

8me Année No. 365

Lundi - 1 - 7 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٦٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق أول يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

العلم أو الأدب ؟ !

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءنى من الأديب « عبد القادر دوير » خطاب يسألنى فيه أسئلة متعددة عن رأيى فى خسارة العالم بفقد أديسون وماركونى، وخسارته بفقد شكسبير وبرنارد شو

وعن رأيى فيما هو الأسبق : « العلم أو الأدب ؟ ! » . وهل خلق الإنسان بطبيعته عالماً يتجه فكره إلى تهيئة أسباب معيشته، أو خلق بطبيعته أديباً يميل إلى الشعر والفنون ؟

ثم يسألنى : « ما رأيكم فى كلمة الأستاذ أحمد الصاوى المنشورة فى الأهرام يوم ١٧ يونيو التى يناشد الشباب المصرى فيها أن يهجر الأدب والشعر وينصرف إلى العلم والاختراع ليكون رجلاً عملياً عاملاً . وختمها بقوله : «أسكتى إذن يا آلهة الشعر لقد ذهب أوانك وتلاشى سلطانك ، وأخرجى أيتها الأرض شباباً واقعياً قوياً يفل الحديد بالحديد والنار بالنار لا بالقصائد والأشعار »

وقد قال الأديب: « أرجو — إذا تكرمتم بالرد — أن ينشر بحثكم على صفحات مجلة « الرسالة » الحبيبة إلى قلوبنا كل الحب »

***

وقد رجعت إلى أعداد « الأهرام » منذ السابع عشر من شهر يونيو ، فقرأت فيها حوار الأستاذين الصاوى والحكيم عن

الشعر والسلاح ، وتتبعت ذلك الحوار إلى أن بلغت به : « مربط حمار الحكيم » و « فيران السفينة » ؛ وانتهيت منه وأنا أقول : « الحق على أساتذة الإنشاء منذ نيف وأربعين سنة فى الديار المصرية ... فلولا موضوعات المقابلة بين الصيف والشتاء ، وبين الذهب والحديد ، وبين العلم والمال ، وبين العلم والأدب ، لما وقع فى الأذهان ذلك الخاطر الذى نعود إليه فى مصر فترة بعد فترة لنقضى للعلوم على الفنون ، أو للفنون على العلوم ، أو لنوحى بهذه دون تلك فى تثقيف الأمة وتعليم الشباب

فما معنى هذه المقابلة ؟

هل النفس الإنسانية صهريج من المدن يزيد فيه من العلم بمقدار ما ينقص من الأدب ؟ هل العلم والأدب ضرتان تلق إحداهما من الحظوة والزلفى بمقدار ما تلق صاحبتها من الهجر والإعراض ؟ هل الجمع بين العلم والأدب فى الأمة الواحدة مستعص أو مستحيل ؟

فإن لم يكن شىء من ذلك كما يحسبه الحاسبون ، فما معنى هذه المقابلات ، وماذا نجنى من الإزراء بالعلوم محاباة للآداب والفنون ، أو من الإزراء بالآداب والفنون محاباة للعلوم

ماذا نجنى من هذا وذاك ونحن فقراء فى هذا وذاك ؟

وماذا أصبنا من الفن والأدب حتى يقال إننا قد شغلنا به عن العلم والاختراع ؟ بل ماذا عندنا مما اخترعه الآخرون حتى نبحث فى اختراع الجديد ، ونزعم أننا لولا الفن والأدب لاخترعنا نحن أيضاً مع المخترعين ؟

أما إذا أغضينا عن أنفسنا ونظرنا إلى أحوال غيرنا ، بل إلى الأحوال التى دعت إلى كتابة ما كتب فى تفضيل السلاح على الشعر ، أو تفضيل القوة على الذوق ، فماذا نحن واجدون ؟

نجد أمة غلبت بالدبابات والطيارات وهى لم تخترع الدبابات والطيارات ، ونجد أمة لها مهندسون غلبت أمة لها كذلك مهندسون لعلهم أفضل من أولئك المهندسين ؟

فالمسألة ليست مسألة اختراع الدبابة والطيارة ، ولا هى مسألة الهندسة والصناعة ، ولكنها مسألة « الباعث النفسى » الذى يكمن وراء علم العلماء واختراع المخترعين وهندسة المهندسين

وهذا « الباعث النفسى » هو الحقد الذى تأجج فى صدور الألمان فجعلهم يطلبون من الدبابة مالم يطلبه منها أصحابها الأولون

فإن كان رأى الأستاذ «أحمد الصاوى» أن يملأ النفوس بالحقد لأنه صنع من الدبابة مالم يصنعه منها الاطمئنان والرضى فله رأيه الذى يرتضيه بمعزل عن الشعر والفن ، أو بمعزل عن المفاضلة بين المهندسين والشعراء

أما إن كان يريد بما كتب شيئاً غير هذا فليس فى المقدمات ما يبنى عليه نتيجة غير تلك النتيجة . وليس فى انتصار مقاتل على مقاتل من جديد يمسح ما كتبته الإنسانية إلى الآن ، ويخط فى مكانه سطوراً أخرى لم يكتبها التاريخ

قال الأستاذ أحمد الصاوى : « ... المهندس هو الذى جلس أمام لوحه الخشبى ورسم على الورق أقصى ما يخطر بالبال من خيال الأهوال : تصور الموت نفسه أمامه وتحداه بالحديد والنار ، فرسم الطيارة ورسم الدبابة ورسم الغواصة ، ثم عاد فرسم لكل آلة من هذه عناصر دمار جديدة . فلم يكتف بنوع واحد من الطيارات والدبابات »

« ... هذه هى رسالة المهندس والكيميائى يعملان جنباً إلى جنب . هذا هو الحاضر ، وهذا هو المستقبل . فإلى الشباب المصرى الذى يريد الأدب ويتعلق بالقصص ويحب الشعر نقول : استيقظ . لقد دقت ساعة الحقائق ، فانصرف إلى العلم بكل قواك ... »

فهل الهندسة هى التى صنعت هذا الصنيع ؟

لو كانت الهندسة هى التى صنعته لكان أولى المهندسين به هم أصحاب الاختراع من الإنجليز والفرنسيين ، هم الذين اخترعوا الدبابة وشغلوا بتحسين الطيارة فى الوقت الذى أقبل فيه الألمان على المناطيد من أيام زبلين وخلفاء زبلين

فعند الإنجليز والفرنسيين مهندسون كالمهندسين الذين عند الألمان ، بل هم المهندسون السابقون المتفوقون فى هذا الميدان

ولكن « البواعث النفسية » هى التى جلست وراء المهندس فأوحت إلى الهندسة فى أمة حاقدة مالم توحه إلى الهندسة فى أمة مطمئنة راضية

والبواعث النفسية هى كل شىء

هى الحياة . وكل ما عدا ذلك فهو أدوات وآلات .

* * *

والآن وقد ظهرت الدبابات الفخام هل يستطيع قائل أن يقول :

إن قلة الهندسة عند الفرنسيين والإنجليز هي التي أقلت نصيبهم من تلك الدبابات الفخام ؟ أو هي التي تمنعهم أن يخترعوا مثلها ، أو يخترعوا لها آفة تقضي عليها وتفلها على نحو ما يقولون : إن الحديد يفله الحديد ؟

كلا !

ليست قلة الهندسة هي العلة . . . فالهندسة هنا كثير

وإنما العلة «فرصة الوقت» إذا اتسعت أو ضاقت للمخترعين. ولن تكون الهندسة هي الباعث على اغتنام الفرصة المنشودة ، وإنما هي البواعث النفسية التي أسلفنا الإشارة إليها ، وهي في الحرب والسلم أمضى سلاح

وهل يعلم الأستاذ الصاوي كم من الملايين الثلاثة أو الملايين الأربعة الذين زحفوا على فرنسا من الشباب الألمان يدرسون العلم ويقرأون الهندسة ؟ وكم منهم يقرأون القصص والروايات ؟

كلهم قراء روايات وقصص كما ظهر من إحصاء الكتب التي كانت ترسل إليهم في الميادين ، فإذا طلبوا مع الروايات والقصص كتباً أخرى فذلك هو كتاب هتلر الذي يفرضونه هناك على جميع الشبان ، وليس هو بهندسة ولا بعلم واختراع ، ولكنه شيء أقرب إلى الأحاجي والأساطير !

* * *

فالهندسة ليست مصدر القوة الألمانية

والأدب لم يكن مصدر ضعفهم يوم انهزموا في الحرب الماضية

لا شأن للهندسة والأدب هنا أو هناك ، بل الشأن كل الشأن للبواعث النفسية، ثم تكون هندسة القوم أو يكون أدب القوم على حسب تلك البواعث من الحركة أو السكون ومن الخير أو الشر ومن الصلاح أو الفساد

ويح الإنسان ... كم تروعه الضجة وكم تخلبه قعقعة السلاح !

وماذا لو طبقنا رأي الأستاذ الصاوي على العلم نفسه ولا نقول على الفن والأدب والقصة والرواية ؟

يوم أن هزمت فرنسا في حرب السبعين كان اسم بسمارك ومولتكه يدوي في كل زاوية من زوايا الأرض، ويجري على كل لسان في المغرب والمشرق

وكان في زاوية من زوايا فرنسا رجل يدعى لويس باستور يكشف جراثيم الأوبئة وأسرار التعقيم ، ويعرض نفسه كل لحظة لهلاك لم يتعرض له بسمارك في العمر الطويل

فما رأي الأستاذ أحمد الصاوي في رجل غاضب مثله متحمس مثله ناصح لبني الإنسان مثله يدخل على الشيخ باستور فيقول :

قم أيها الشيخ الفارغ ولم قواريرك وأنابيبك ؟! الوقت وقت نار وحديد وليس بوقت ماء وزجاج !

وأين مع ذلك حرب السبعين كلها بما انطلق فيها من المدافع وانصهر فيها من الحديد إلى جانب تلك الأنبوبة التي لم يسمع بها ساكن الحجرة المجاورة في بيت باستور ؟

لكنها الضجة التي تروع الإنسان . ويح الإنسان ، ثم ويح الإنسان !

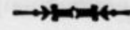
ولو سألنا له جزاءه الحق لسألنا له طوفاناً من الطغيان يغرقه إلى آخر الزمان ، ويشبعه ما استطاع الشبع من الحدائد والنيران ولكنه مخلوق غافل ، تشفع له نية مصلح أو نفحة فنان .

وقد نعلم رأي الصاويين جميعاً فيما يقولون الآن ، إذا نسيت الحرب القائمة ، وبقيت صرخة من صرخات النفس الإنسانية ، لعلها تنظم اليوم في قصيد أو تثبت في لوحة فنان أسوان

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك



الصداقة الروحية — الطلبة والجاموس ! — ابن الجبير ! — معركة في غير ميدان — حمار الحكيم ! — الرفيق قبل الطريق — عشنا وشفنا فقد اكتوينا بنار الحوادث في حربين.

الصداقة الروحية

كانت قسوة الشواغل قضت بأن أحرَم أنس الحديث مع قراء « الرسالة » نحو شهرين ، وهي شواغل متصلة بخدمة اللغة العربية في آفاق لا يسايرُنا فيها القراء لأنها متصلة بحياة التعليم ، وهي حياة لا يُنشر من أخبارها شيء إلا بعد أن يستوثق الباحث من أنه وصل فيها إلى آراء تستحق التسجيل بطريقة علنية ، وذلك لا يتيسر إلا بالجهاد العنيف في الأعوام الطوال ، كالذي تيسَّر في الأبحاث التعليمية التي نشرتُها في الجزء الثالث من كتاب « ليلى المريضة في العراق » وفي كتاب « البدائع » وكتاب « وحي بغداد »

وأنا بهذا الكلام أعتذر عما قيل من أنني جنَحتُ إلى الراحة في الأسابيع الماضية ، فما كان من ذلك شيء ، وإنما حرصتُ على تأدية واجباتي الرسمية تأدية ترفع عن صدري كرب التنيظ من أن يكون في الزملاء مَن هو أحرص مني على تأدية الواجب ، فقد قلت مرة على صفحات « الرسالة » إن في وزارة المعارف رجالاً يجري في خواطرهم أنهم ليسوا موظفين ، وإنما يدبِّرون ملكهم الخاصّ ، وأنا من هؤلاء مكروبٌ مَغيظ ، ومع ذلك أتمنى أن يُكثر الله من أمثالهم في الدولة المصرية . والفُرص أمامي لأسبقهم في ميادين الكفاح الصادق حين أشاء

انتهى العام الدراسي بخير ، ولم تبق إلا أعمال خفيفة لا تستنفد الوقت ، فما عسى أن أصنع ؟

هل أذهب لقضاء الصيف في باريس ؟

وكيف وقد انقطع بيني وبينها الطريق ؟

هل أمضي لقضاء الصيف في الإسكندرية ؟

وكيف وقد انفضّت الملاعب حول الشواطئ ، وضاعت الفرصة على مواعظ الشيخ أبي العيون ؟ وما أسخفَ الحياةَ التي تستقيم استقامة مُطْلقة فلا يثور عليها واعظ ، ولا يتطاول في تثريبها عاذل ، ولا يَشقَى في تَعقُّبها رقيب !

هل أذهب لقضاء الصيف في سنتريس ؟

وكيف وهي تضيق عني ، وأخشى أن أكدر صفو أهلها بأحاديثي عن معضلات الحياة الدولية ؟ وهل تتسع الحياة في الريف لرجل يريد أن يشهد أعنف قَلقلة من قلقلات التاريخ ؟

لم يَبق إلا المقام في القاهرة فأقضي صدر النهار في الاستفادة من خِبرة من ألقاهم في وزارة المعارف ، ثم أقضي بقايا الوقت في تحبير الكلمات التي ألقى بها القراء من يوم إلى يوم ، أو من أسبوع إلى أسبوع ، في الجرائد والمجلات

والحقُّ أننا من الفِكر في كرب ، فالحوادث التي نعانيها في هذه الأيام لا تكفي لتغذية مطامعنا الفكرية ، فنحن نفزع إلى الأدب لنملأ به فراغ الأرواح والقلوب والأذواق ، ومن هنا تفهمون كيف اتفق في أحيان كثيرة أن تقام الحفلات لذكريات الأدباء والمفكرين في ميادين القتال

لا سبيل إلى تخفيف مكاره هذه الأيام « البيض » إلا بالأنس إلى الصداقة الروحية ، الصداقة التي يعقدها الأدب بين الكاتب والقارئ ، وهي أثمن ذخائر الوجود

وفي ظلال هذا الأمل الجميل أقضي هَجِير هذا الصيف ، فأحادث قرائي ، وقد رفع بيني وبينهم التكليف ، فقد ضقت ذرعاً بما في الدنيا من قيود ، واشتقت إلى تنسم هواء الحرية بين صرير القلم وزئير الروح

الطلبة والجاموس !

كنت نشرت مقالاً في المقطم موضوعه « التصوف في الوطنية » سردت فيه بعض الأسباب التي أحب من أجلها وطني ، ومن تلك الأسباب أن أرض مصر تصلح للزراعة أربع مرات في العام الواحد ، فكتب إليّ حضرة « م . ع . ف » خطاباً يُنكر فيه أن تكون مصر كما وَصَفتُ ، ويؤكّد أن أهل مصر لا يعرفون غير سوء الحال ، وأن في مصر آلافاً من الأعيان حُكِم عليهم بالسجن لعجزهم عن سداد المال (؟!)

والظاهر من خطاب هذا السيد أنه يتعقب أعمال الحكومة ، فقد ذكر أشياء تشهد بأنه يُساير خطوات الحكومة فى جميع الميادين ، ويتناولها بالثناء والملام على حسب الظروف !

وأقول بصراحة إن الأمة التى تنتظر من الحكومة كل شىء وتطالبها بكل شىء هى أمة فى دَوْر الطفولة ، والطفل يعتقد أن أباه على كل شىء قدير ! وأقول أيضاً إنه ليس من المعقول أن يكون فى مصر آلاف من الأعيان حكم عليهم بالسجن للعجز عن سداد الضرائب . وإذا صح ذلك فهو شاهد على أن الأعيان فى مصر لا يصلحون لتدبير ما يملكون من الأموال والأطيان

وهذا السيد له منزلة فى الصعيد ، ولم أصرح باسمه إلا خوفاً عليه من النقد الذى سأسوقه إليه بلا ترفق . فهو يرى من الإسراف أن يكون فى الميزانية مال مرصود لجسر شبرا وجسر سمنود ، وهو ينكر أن يكون للأوبرا وحمام السباحة فى أسيوط نصيب من أموال الميزانية ، وهو فى النهاية يَعجب من أن تنفق الدولة ثلاثين ألفاً من الجنيهات لتحسين نسل الجاموس مع أن فى طلبة الجامعة من عجز عن دفع المصروفات !

تحسين نسل الجاموس ؟

يا سلام ! يا سلام !

كيف يليق بحكومة رشيدة أن تفكر فى تحسين نسل الجاموس مع أنها تعرف أن بعض طلبة الجامعة عجزوا عن دفع المصروفات الدراسية ؟ !

ذلك منطق هذا السيد الذى يَشغل مكاناً مرموقاً فى الصعيد !

وعُذر هذا السيد أنه قرأ فى مجلة « آخر ساعة » كلمة جَرَت مجرى الدعابة ، فظنّ أن من العيب أن يهتم وزير الزراعة بتحسين نسل الجاموس ، وهو جاموس !

هو حقيقة جاموس يرعى البَرسيم ويأكل الفول ويشطح وينطح بلا فهم ولا تمييز ، ولكن هذا الجاموس الأعجم هو من صميم الثروة المصرية ، والاهتمام به لا يقلّ خطراً عن الاهتمام بالقطن والقمح والعنب والتين والبطاطيخ

فكيف يجوز لرجل أن يعدّ الاهتمام بتحسين نسل الجاموس عيباً من عيوب الحكومة ، إلا أن يكون هذا الرجل من الصالحين للسجن بسبب العجز عن تسديد الضرائب ؟

المَقتل الخطير لأهل مصر هو الغرام بالنكتة ، ومن هنا جاز أن ينتهزوا الفرصة فيعيبوا على حكومتهم أن تهتم بتحسين نسل الجاموس

ويقول هذا السيد إن اشتغالى بالأدب صرفنى عن مواجهة الواقع . وأقول إنه لو اشتغل بالأدب كما اشتغلتُ لقرأ فى كتاب البيان والتبيين كلاماً معناه أن أحد العرب قال : لو كان لى ألف بعير فيها بعيرٌ واحد أجرب لقمتُ عليه قيام من لا يملك غيره !

ومعنى ذلك أن الاهتمام بالبهائم والأنعام لا يغضّ من أقدار الرجال ، وإنما هو دليل على العناية بأصول الاقتصاد

أيها الغافلون من أهل هذه البلاد

راجعوا وزارة الصناعة والتجارة تخبركم عما نستهلك فى كل عام من الواردات المصنوعة من الألبان ، وعندئذ تعرفون أنه ليس من العيب أن نهتم بتحسين نسل الجاموس

اللهم ارزقنى جاموسة أو جاموستين لأنسى مرارة الإفطار على الشاى الأسود فى كل صباح

وأنت أيها الجاموس

هل تحفظ هـذا الجميل فتذكر أنى دافعت عنك فى مجلة الرسالة الغراء ؟

لقد ضاع الجميل عند الحيوان الناطق ، فهـل تحفظه أنت يا جاموس ؟ !

وكيف نطالبك بحفظ الجميل ، وما حفظنا لك الجميل ؟

كانت فِطرة العربىّ فى الصحراء ألطف وأصدق ، فقد نظم فى ناقته أعظم القصائد ، أما المصرىّ فقد ظلم جاموسته أقبح الظلم ولم يذكرها بغير السخرية والاستهزاء

فهل تكون للبداوة تلك المحاسن وتكون للحضارة هـذه العيوب ؟

كان الفراعنة أعرفَ الناس بأصول المنافع فعدُّوا البقرة من المعبودات لأنهم رأوها من صُوَر الحنان ولأنهم عرفوا ما يصدُر عنها من الخيرات

والجاموسة أغزرُ نفعاً من البقرة ، ومع ذلك صح لأدبائنا أن يَسخروا من الوزير الذى اهتم بصحتها الغالية !

ولكن لا بأس فنحن فى زمن تَغلِب فيه السخرية من المنافع ، وهو زمنٌ مقلوب الأوضاع ، ولولا ذلك لرُسِمت الجاموسة بجانب الفلاح على ورق « البنكنوت »

لبن الحمير !

ومن جناية النكتة على أهل مصر نُفرتهم من شرب لبن الحمير ، مع أنه بشهادة الطب أطيب أنواع الألبان ، وهو فى أمان من الجراثيم التى يتعرض لها لبن البقر والجاموس

ومن المؤكد أن هذه الكلمة ستفوز بطوائف من النكت حين تظهر فى مجلة الرسالة ، كما ظفرت الكلمة التى نشرتُها عن فضائل الحمير فى كتاب « ذكريات باريس »

والمهمُّ عندى أن يعرف المصريون خيرات بلادهم ، وأن يذكروا أن الحمير كانت ولا تزال من أطايب الثروة المصرية ، وإليها يرجع الفضل فى خدمة الفلاّح الذى يذرفون من أجله دموع التماسيح !

وقد ورد التنويه بالحمار المصرى فى كتاب الأغانى ، وهو أصبر من الحمار الحسَاوى ، المنسوب إلى الحسَا من بلاد البحرين ، وهذه فائدة قد يذكرها بعض من يحفظون الجيل

ولا مؤاخذة يا أرباب الذوق المصقول من أعداء الحيوان !

معركة فى غير ميدان

دهش الناس للمعركة الحامية التى ثارت فوق صفحات « الأهرام » بين الصديقين أحمد الصاوى وتوفيق الحكيم حول الفكر والحرب ، وقد وقعت فى تلك المعركة ألفاظ غلاظ لا يصوّبها صديق إلى صديق

وخلاصة رأى الصاوى أن زمن الشّعر قد ولّى وفات ولم تبق إلا دولة الطيارات والدبابات

ويقول الحكيم إن الأمم القوية من الوجهة الحربية هى الأمم القوية من الوجهة الفكرية

والرأيان يلتقيان بكل رفق ، فما الموجب للتراشق بالألفاظ الغلاظ ؟

وقد فصل الأستاذ سعد اللبان فى هذه القضية حين قال : أولئك قوم يتجادلون فى البديهيات !

ولعل الأستاذ توفيق الحكيم يعترف اليوم أنى هديته إلى أصل الفكرة حين حاورته فى جريدة الأهرام ، فقد كان يتوهم أن الفكر منفصل عن الحرب كل الانفصال

لعله يذكر أنى قلت وأنا أحاوره :

« إن الحرب الدموية ترجّ الأذهان والعقول ، ولكنها فى الأصل من صنيع الأذهان والعقول . والعالم غير مُقبل على الخراب ـ كما نقول حين نقرأ أخبار الحرب ـ وإنما هو مُقبلٌ على يقظة روحية وعقلية واقتصادية سيعرف مَداها من يشهد تطوّر الوجود فى المستقبل القريب ، وهو مستقبل نشهد تباشيره منذ اليوم برغم ما نعانى من الضجر والاكتئاب كلما طالعنا أخبار التدمير والتخريب فى الصُّبح والظُّهر والمساء

الإنسانية اليوم فى حومة هائلة من يقظة الفكر والرأى ، فليس القتال نزاعاً بين جنود وجنود ، وإنما هو صراع بين آراء وآراء ، كما كان فى العصور الخوالى نزاعاً بين دِين ودِين ، وما تغيرت المعانى وإن تغيرت الأشكال »

ذلك ما قلته فى الحادى والعشرين من شهر مايو ، وهو أصدق من آراء الصاوى والحكيم ، على ودهما القديم ألف تحية وألف سلام!

كنت أظنهما صديقين ، ثم عرفت — مع الأسف — أنهما من إخوان الزمان :

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا

« حمار الحكيم »

وفى هجوم الصاوى على الحكيم وردت عبارات مقتبسة من كتاب « حمار الحكيم » ، وهى عبارات يقول فيها المؤلف : إن الوقت عنده ليس من ذهب ، وإنما هو من تراب . ويقول : إنه يخاف من العفاريت

وأقول : إن الصاوى لم يدرك ما فى هذه الكلمات من السخرية ، السخرية من المجتمع الذى نرى صوره فى بعض البيئات ، وهى سخرية رأينا صداها فى مقال نشره سعادة الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك فى مجلة الصاوى

وقد آن لبنى آدم من أهل هذه البلاد أن يفهموا أن المؤلف لا يُسأل عما يَرد فى كلامه من العبارات التى يديرها حول نفسه ليتمكن من السخرية بالمجتمع ، فقد آذتنى جريدة لا أسميها فى بلد لا أسميه ، لأنى قلت فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » :

« أنا رجل لئيم ، ويجب أن أستفيد من فساد المجتمع »

فقد قالت تلك الجريدة: كيف يجوز لحكومة رشيدة أن تعتمد على هذا الرجل فى تثقيف الشبان ، وهو يعترف بأنه لئيم يستفيد من فساد المجتمع ؟

وإذا جاز لصديقنا الصاوى أن يؤول كلام صديقه الحكيم بلا فهم لغرضه الصحيح ، فقد جاز لى أن أصفح عن ذنوب الجاهلين ممن فاتهم سر التأليف يوم قرأوا كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

الرفيق قبل الطريق

تلك حكمة عربية أوحتها ظروف الحياة البدوية ، فقد كانت المسالك وعرة ، ولم يكن للمسافر بدٌّ من رفيق يعينه على متاعب الطريق .

وطريقنا فى هذا العهد هو الكتابة والتأليف ، والرفيق هو رئيس التحرير ، أو القارئ ، أو الرقيب فى الأيام التى تُفرَض فيها الرقابة على الكتابة والتأليف

ولى فى هذه النواحى تجارب ، وأستطيع أن أقول إن أعظم من عرفت من رؤساء التحرير هم عبد القادر حمزة وخليل ثابت وأميل زيدان ومحمود أبو الفتح وأحمد حسن الزيات ، فهؤلاء نشروا لى مقالات لم يكن يجوز أن تُنشر لولا إيمانهم بقيمة الحرية الفكرية

ولم أكن أعرف الرقيب الذى كنت أصطدم به يوم كنت رئيس تحرير جريدة الأفكار فى سنة ١٩٢١ فقد كان يفصل بينى وبينه فقيد الوطنية عبد اللطيف الصوفانى بك ، طيَّب الله ثراه

أما الرقيب فى هذه الايام فهو الأستاذ محمود عزمى، وأستطيع أن أقول إنى كنت أملك نشر ما أشاء بدون تهيب ولا تخوف ، لأنى كنت أملك الاحتكام إليه حين أريد

وفى الأستاذ محمود عزمى عيب فظيع هو الخضوع للحرية الفكرية ، وهو عيب جميل ، أكثر الله من أمثاله بين الرقباء !

بَقِى الرقيب الأعظم وهو القارئ

وأستطيع أن أقول إن رقابة القارئ لم تكن رفيقة فى أكثر الأحايين ، فقد كان يفهم عنى غير ما أريد ، وكان يرانى بعين الحقد والمقت فى بعض الأحيان

ومع ذلك بقيت صداقتى للقارئ كما كانت ، فلم أتحوّل ولم أتبدّل ، ولم أستبح الرياء لأظفر منه بالإعجاب ، لأنى أعتقد أن الكاتب الذى يتلمس المواقع من هوى القارئ ليس بكاتب ، وإنما هو مأجور ، والكاتب المأجور لا يصلح لشىء ولو استمدّ بيانه من وحى السماء

الكاتب الحق هو الذى لا يخاف غضبك ولا يرجو رضاك

الكاتب الحق هو الطبيب الذى لا ينزعج من صُراخ المريض

الكاتب الحق هو الذى يفزع إلى القلم والقرطاس كما يفزع الجائع إلى الطعام والظامئ إلى الشراب

الكاتب الحق هو النهر الذى يحمله الطغيان على الهدير ، أو الأسد الذى يحمله الغضب على الزئير

الكاتب الحق لا يعرف قراءه أبداً ، وإنما يعرف أنه ينفس عن صدره بالتعبير ، كما ينفس الوجود عن صدره بسعير الحروب

فمن كان يظن من القراء أننا اشتقنا إليه فهو مخطئ ، فما بنا شوق إلى أحد ، إلا أن تَصلُح الدنيا فترجع الأنوار إلى بُولِيش فى باريس ، وشارع فؤاد فى القاهرة ، وشارع الرشيد فى بغداد

أفى الحق أن الدنيا ردَّتنى إلى هذا الحد من القسوة والعُنف ؟

أفى الحق أنى أمسيت لا أهتم بعواطف قرائى ؟

هو ذلك ، فمنذ أسابيع وأنا حائم بالدار التى بنيتها على حدود الصحراء

وعن الرمال التى يُلهبها القيظ ، يتحرك القلم الذى يُلهبه الغيظ

فإن عشت وعشتم إلى عودة السلام فسيكون لى معكم حديث غير هذا الحديث . ألم تسمعوا أنى كنت شاعر الصباحة والجمال ؟ ألم تلومونى على عُنف الهيام بالعيون والقدود ؟

ذوقوا بأس الحرب يا عُشاق الحرب ، ذوقوا بأس البلاء يا عشاق البلاء ، فلن أنسى أنكم سَخِرتم منى حين كنت أتغنى بالجمال فى أيام السلام !

متى تعود أيامى وأيامكم ؟ متى تعود ؟ متى تعود ؟

عشنا وشفنا

شهدت حربين فى حياتى : الحرب الماضية والحرب الحاضرة

فمن كان يعجب من أنى قضيت حياتى فى حرب فليعرف أنى أخذت الوقود لأدبى من سعير هاتين الحربين ، ولا يملك الفرار من حوادث زمانه غير المزوّد بالغفلة والجمود ، وما كنت من الغافلين ولا الجامدين

فى الحرب الماضية كنت طالباً بالجامعة المصرية ، وكانت أملاكى بالقاهرة لا تزيد عن مكتبة صغيرة سارعتُ بنقلها إلى سنتريس ورجعتُ لأشاهد تلك القلقلة التاريخية

وفى هذه الحرب ، الحرب التى يقال إنها قد تؤذى مصر بعض الإيذاء ، صار لى فى مصر الجديدة منافع هى المكتبة التى

ويلك آمن ... !

للأســتاذ محمود محمد شاكر

أيام من الدهر حائرة فى أودية الزمن ، وسـاعات تخاع المصائب وتلبسها بين الثانية والثانية ، ورعب مظلم خيَّم على الأرض فلا تضيئه إلا شقائق النار وهى تفرى الجو ذاهبة وآيبة ، وحيرة سابحة فيها عقول البشر لا تدع قراراً لفكر ولا خيال ، وسهام نافذة من البلايا تفتق نسج النفس الإنسانية فتقاً رغيباً يتمايا على الراقع والمصلح . . . فيا له من بلاء مطبق على العـالم إطباق اليوم الصائف يسد بحره منافذ الأنفاس

ما الحياة ؟ ما الإنسان ؟ ما العقل ؟ ما الحضارة ؟ إلى أين نسير ؟ كيف نعمل ؟ لماذا نعيش ؟ فيم نتعب ؟ تبًّا لـكل هذه الضلالات الداجية التى لا يبرق فيها نجم واحد يقول للانسان : اتبعنى ، سوف تهتدى ! !

هذه هى الحضارة الأوربية الحديثة قد انتهت بالناس إلى خلق هذا الإشكال الدائم الذى لا يحل ، وساقت الناس إلى مرعى من الشك وبىء ، كلما ازدادوه غذاء زادهم بلاء ، فلا ينتهى من ينتهى إلا إلى هلكة تدع فكرة الحياة خرافة عظيمة قد اتخذت لها أسلوباً تتجلى فيه ، فكان أبلغ أسلوب وأفظع أسلوب ، هذا الإنسان الذى يحمل من رأسه قنبلة حشوها المادة المتفجرة التى تهلكه وتهلك ما يطيف به أو يقاربه ، فلا هو ينتفع بنفسه ، ولا ينتفع العالم به

لو سئل إنسان هذا القرن : ما أنت ؟ لقال : أنا اللمنة الملمونة التى تشأم نفسها وتشأم من يمترض انصبابها وسيلها . أنا الناب الذى ينقع فى الإنسانية سمه حتى تبرد حياتها فى عضته . أنا الهالك المهلك ، هذه حياتى ، وهذا عقلى ، وهذه حضارتى ، ومن أجل هذا خلقت ، وفى سبيله أعيش ، وعلى قضائه أعمل ... ! !

ولو نشر اليوم فيلسوف من محبى الحكمة والعاملين عليها الذين أفنوا أعمارهم فى طلب الخير والفضيلة والحق والجمال ، وجعلوا عملهم هداية الإنسان إلى أسبابها وسلكوا له سبلها ، ثم نظر إلى هذه الحقبة من عمر الإنسانية فما تراه قائلاً فى صفة الإنسان وما فيه من العون على درك هذه الحقائق ، والتحلى بها فى حياته ؟ أم تراه يعرف الصورة وينكر المعنى ؟

المدنية الأوربية الحديثة هى التى استطاعت أن تنفذ بالعقل فى ضمير الحياة تستنبط منه ناموس الحياة التى تدب على الأرض ومع ذلك فهى التى سلبت هذا العقل قدرته على الخضوع للروح لتمده بالنور المشرق الذى يستضىء به فى رفع الإنسانية درجة بعد درجة إلى مراتب الملائكة — أى إلى مرتبة الروحانية الصافية التى تنهل أضواؤها على النفس والقلب والروح ، فتروى من فيضها ، وترث من ذلك نوراً ورحمة وسكينة ، وتنبت غرسها الإلهى الذى يجنيه الإنسان هداية وعدلاً وسعادة ، فتتضاعف به الحياة حتى يقوى الخير فيها ويضوى الشر

لقد أخفقت هذه المدنية فى سعيها لخير الإنسان ، وأثبتت بكل دليل أنها مهما تكن أحسنت إلى الإنسانية فلم تحسن مرة واحدة أن تضبط نوازع النفس ، وتردها إلى الطريق الواحد الذى ينبغى أن تصدر عنه ، حتى تكون كل أعمالها نقية طاهرة متشابهة . ذلك الطريق هو طريق الروح الذى لا يتم لعمل تمام ولا يظفر بخلود أو بقاء ، إلا أن يكون فيه مس الروح وطهارة الروح ، وقدس الروح

لا يمكن نقلها إلى سنتريس ، فأنا معها إلى أن يقضى القَدَر بما يشاء

وأقسى ما أعانيه هو الفزع الذى يقاسيه جيرانى حين تولول صَفَّارة الإنذار بغارة جويّة فى أعقاب الليل ، فهم ينزعجون ويتواصَون بالنزول إلى السراديب ليأمنوا شر الويل ، فأنزعج لانزعاجهم لحظة ثم أسلم جفونى إلى النوم العميق

الحياة ليست غالية جداً ، يا جيرانى ، فلا تخافوا ولا تجزعوا فأينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى أعماق السراديب !

وما قيمة الحياة وهى دُنيا بحق ؟

ألم نشهد فيها غدر الصديق بالصديق ، ونوم الحليف عن نصرة الحليف ؟

لن أقبـل النزول إلى السرداب ولو سقطت السماء فوق الأرض ! ولو كان أبنائى فى مثل عزيمتى لأبيت عليهم الرحيل إلى مرابع السلامة فى سنتريس

وما الذى فاتنا من نعيم الحياة أو بؤس الحياة حتى نحرص عليه ؟

أنا باقٍ فى دارى على حدود الصحراء إلى أن ينفد زاد الموت ، والمستميت لا يموت .

زكى مبارك

أطلقت هـذه المدنية فى الدم الإنسانى كل ذئاب الشر والرذيلة ، تخرجت من مكامنها جائعة قد سلبها الجوع كل إرادة تحملها على بعض الورع الذى يكف منها ، فماثت فى إنسانية الإنسان حتى جُنّ ، وتنزى فى الأرض وحشاً يجعل شريعته المقدسة تنبع أحكامها من معدته، ومن أحكام هذه المعدة ومطالبها، وكذلك انقلب النظام الاجتماعى فى العالم من نظام روحى عقلى سام ، إلى نظام اقتصادى تجارى ضار ، الآكل والمأكول فيه سواء . لأن النية انعقدت فى كليهما على الافتراس ، وما فرق بينهما إلا فرق القوة التى أعدت هذا للظفر ، وأسلمت ذلك إلى العجز ، فدفعت به إلى رحى تدور بأسباب من الطغيان والفجور

وما هى شريعة المعدة فى هذه المدنية الاقتصادية التجارية ؟ هى شريعة السوق التى لا تعرف قيمة الشىء إلا فى ميزان من الطلب . فما طُلب فهو الجيد ، وما عُمِّىَ على الطالب فهو الردىء الذى لا قيمة له ، وكل شىء قائم فى جوهره على النزاع الذى لا تسامح فيه ، والأمر كله للغلبة : غلبة الأقوى ، لا غلبة الأعدل ، غلبة الحيلة لا غلبة الصدق ، غلبة البراعة لا غلبة الحق

فهذه الشريعة هى شريعة إعزاز القوىّ، لأن القوة تسوّغه أن يتسلط ، وإذلال الضعيف، لأن الضعف تهالك به أن يتحكم، وليس بين هذين معدلة ولا نصفة ، وليس أحدهما من الآخر إلا كالثعبان من العصفور إذا عرض له ، فسلط عليه الرعب من عينيه ، فينتفض فى قبضة أشعتهما المفترسة المسمومة حتى يبرد دمه فلا يستطيع حركة ، ولا ينتفش بدنه بذماء من الحياة . هى الشريعة التى تجعل إنسانها القوى مقبرة لإنسانها الضعيف ، فالقوى أبداً آكل قد أرمّت فى نفسه تلك الجيف التى انتهشها وألقى بهـا فى معدته ، فتجيفت وتمفنت ، وتصاعدت أرواحها المنتنة فى حياته ، فجعلته متسرّعاً نفّاذاً كأنما يريد أن يهرب بنفسه من نفسه التى لا يطيق جوها ، لأنه جو خانق ، تطوف فيه أشباح الفرائس المسكينة التى بطشت بها أنيابه ومخالبه

هذه الحضارة القاهرة التى تدنست روحها بالرم التى ضعفت أن تقاوم القوة ، لن تستطيع إلا أن تفسد العالم وتدنسه كما تدنست ؛ فإنه محال أن تكون الشريعة مدنّسة نجسة ، وتأتى الناس بخير طاهر مبارك يغسل أدران الإنسانية التى تتجمع عليها يوماً بعد يوم ، ولا أن تخرج نفس الإنسان فيها مع الفجر ندية مشرقة رفافة تستقبل بفضائلها أعمال نهارها

إن شريعة إعزاز القوىّ وإعلاء الأقوى ، وإذلال الضعيف وإسقاط الأضعف ، هى الشريعة الحيوانية التى لم تعل إلا بإذلال الروح والعقل وإسقاطهما ونبذهما ، هى شريعة البغى والعدوان على الروح بالروح الشيطانية ، وعلى العقل بالعقل المتمرد ، وكلما استحكم أمرها كانت الإنسانية ذاهبة إلى نبع نجس تنغمس فيه لتصدر عنه أقوى مما وردت ـ أى أنجس مما وردت

إن الكون لا يصلح إلا على معنى الأقوى والأضعف . هذا حقٌ لا يمارى فيه إلا مكابرٌ أو مبطل أو أحمق . ولـكن يبقى ذلك العمل الإنسانىّ الذى يثبت للانسان معانى النبل المنحدرة فى روحه من نبل النور الأزلىّ الذى بعث الحياة بعثاً فى نفسه وفى أعماله ، وبهذا العمل وحده يعرف الإنسان معنى السعادة فى السراء والضراء ، وفيما أرضى وما أسخط ، وتكون حاله فى الحالين واحدة ، وذلك بأن تتسع روحه بالواجب الاجتماعى الروحى الذى يتراحب بإنسانيته فى الـكون كله ، فتقع اللذة منها موقع الألم ، وينزل الألم فى منزل اللذة ، وتمسح النظرة السامية عن الوجود كل الغبار الأرضى الذى يغطى محاسن الحياة وتنير الـكلمة ظلمة النفس : الحمد لله فيما سر وما ساء

والعمل الإنسانى المستمد روحه من الجزاء الإلهى فى الإنسان هو العدل والمساواة ، وقد جعلت الحضارة الحديثة معنى العدل والمساواة صدقة يتصدق بها أغنياء قوم على فقرائهم ، وأقوياؤهم على ضعفائهم ، لا على معنى الصدقة فى إخلاصها لله ثم للانسانية ولـكن على معنى التخفف من تعب الغنى وتعب القوة

أما حقيقة العدل والمساواة ، فهى عمل الإنسان الأقوى فى رفع الإنسان الأضعف إلى مرتبته ، فلا يزال هو يرتفع بقوته ، ولا يزال الضعيف يسمو معه لأنه معقود الأواصر به . وإذا كان ذلك هو القاعدة فالاجتماع كله سام ذاهب إلى السمو ، ولا يكون فيه معنى للطبقات إلا على معنى التدرج ، ولا يكون التدرج إلا على تماسك وتواصل ، وليس تماسك ولا تواصل إلا على حرص الأعلى على التعلق بالأدنى ، وكذلك لا يرتفع شىء من المجتمع لأنه أعطى القدرة على الارتفاع ، ولا يسقط الشىء الآخر منه لأنه لم يجد ما يتعلق إذ حرم هذه القدرة أو زويت عنه أسبابها

وقد جعل الإسلام من أول أمره غرضاً للمسلم لا يرضى منه غيره ، ورد معنى الإسلام إليه ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقاعدة وقال للناس : اعملوا : فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه

أزر بعض . والإيمان لا يعرف الغنى والفقر ، والقوة والضعف ، والمراتب الحيوانية التي طبعتها الطبيعة على تنازع البقاء وغلبة الأقوى ، بل هو معنى يوحد الناس حتى ليس لأحد فضل على أحد إلا بقدر منه ، وحتى إن العبد المملوك العاجز ليرفعه إيمانه على من ملكه واستبد به واعتقد رقبته بماله ، إذا لم يكن هذا المالك قد استحق بإيمانه مرتبة هذا العبد

وفي بعض الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء هداية إلى هذا الأصل ، فقد روى عن المعرور بن سويد أنه قال : لقيت أبا ذَرٍّ بالربذة ، وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : إني سابَبْتُ رجلاً ، فعيّرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذرّ ، أعيّرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ! ! إخوانكم خوَلكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم

ولا ينتهي عجب متعجب من بلاغته صلى الله عليه وسلم ، وكيف ينزل كلامه تنزيلاً في معانيه ، تدور بها دورة دائمة لا تنتهي على نظام ثابت لا يتبدل . فقدّم صلى الله عليه وسلم الأخوّة بين المؤمنين لأنها هي الأصل الذي لا يتم معنى الإيمان ولا معنى الإنسانية إلا به ، وردّ على هذه الأخوة ما يوجبه المجتمع من مراتب الناس على الغنى والفقر ، والقوة والضعف ، ألا وهي الخدمة التي يقوم بها النظام الاجتماعي فقال : « إخوانكم خولكم » ولم يقل : « خوَلكم إخوانكم » ، هذا مع أن أصل الخطاب إلى أبي ذر يتوجه إلى مقصود بذاته ، وهو خادمه أو غلامه الذي سبّه ، فكان أول ما يسبق إلى اللسان ، وأقرب ما يسرع إليه الوهم ، أن يتمين خادمه بالابتداء

ثم انظر كيف قال : « جعلهم الله تحت أيديكم » ، « فمن كان أخوه تحت يده » ؟ وكيف حرّر الإنسان من رقبة العبودية القابضة على عنقه ، فجعله تحت يده يستظل ويتحرك في هذا الظل ، ولم يجعله في يده يتصرف فيه ويقبض عليه ويستذله ، فإن شاء حطمتْه قبضتُه . ثم درَج على هذا الأسلوب البليغ حرفاً بعد حرف حتى قال : « فإن كلفتموهم فأعينوهم » ، وذلك زكاة القوة التي بها ملك المالك ، واستخدم المستخدم . فإذ كان المؤمن قد قوى على تكليف ضعيفه أن يعمل ، فهو أقوى على أن يشاركه إذا عجز أو قعد به الضعف الذي أصاره إلى أن يرضى أن يخدم نفسه من كان أعلى يداً وأقوى قوة

فهذه هي شريعة الروح الطاهرة التي تتمطر من نواحيها رائحة جنة الخلد ؛ فانظر ما بينها وبين شرائع المدة التي جعلت أحشاءها مقابر للضعفاء تأكل منهم لتتسع بمعنى الجريمة الحيوانية ، وتنقبض عن معنى الرحمة الإنسانية الإلهية

فهل يمكن أن يتطهر العالم فيما يستقبل من أيامه على أساس هذا الهدْى النوراني الذي جعل النظام الاجتماعي سموًّا بالإنسان كله على مراتبه كلها ؟ هل يمكن أن يفهم العالم حقيقة هذا التطهير التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا قدّست — أي طهُرت — أمةٌ لا يؤخذُ لضعيفها من قويها » ؟

ويلك آمن . . . ! إن وعد الله حق

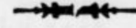
محمود محمد شاكر

---

٤ – إلى أرض النبوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السورى إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ افتتح طريق الحج البرى للسيارات]

للأستاذ على الطنطاوى



إن من دأب العادة أنها تضعف الحس ، وتذهب بالانتباه . فالغنى الذى يلبس الحرير ، وينام على السرير ، ويركب السيارات ، ويملك (العمارات) لا يجد لذلك كله من اللذة ما يجد الفقير المعدم ، والبائس المحروم إن نال مثله ، والشبعان لا يدرك اللذة التي يتوهمها الجائع ، والصحيح لا يعرف لنعمة الصحة قدرها إلا إذا مرض ، فلا لذة فى الدنيا إلا فى التنقل والتبدل ، وألاّ تحمد على حال مهما حسنت فى ذاتها . وهذا ما أراده الشاعر حين قال :

ولذيذ الحياة ما كان فوضى   ليس فيه مسيطر أو نظام

من أجل ذلك أحسسنا حين ذهبنا إلى غداء الأمير ، ورأينا عادات لم نألفها ، وطرائق فى الطعام لم نعرفها ، بلذة التبدل ، والاستمتاع بالجدة ، فما كاد يستقر بنا المجلس حتى أقبل العبيد فدوا سماطاً على الأرض ، ووضعوا عليه قصعة هائلة كان يحملها منهم اثنان ، وقد ملئت رزاً وألقى فوقه خروف كامل بيديه ورجليه ورأسه ، إى والله . . . كأنهم (والله أعلم) خافوا أن نشك فيه فنحسبه دباً أو فيلاً أو قطاً ، فأبقوا على الرأس دليلاً قاطعاً على أنه خروف أصيل من أمة الضأن

وكان الخروف مفتوح العينين ، ناعس الطرف ، فأخذتنى الشفقة عليه ، وتوهمت أنه ينظر إلينا ، وأنه ... ... ثم رأيت أن لا مجال للوهم ولا للخيال ، وأن الوقت لا يتسع للأدب ، لأن القوم أحدقوا بالقصعة وشمروا عن سواعدهم ، ونظروا شزراً فعل من يقدم على معركة ، فخشيت أن يذهبوا بالرز واللحم ، ويبقى لى الخيال والوهم ، ومتى أفاد الخيال جائعاً ، أو أجـدى الأدب على إنسان ؟

وكان أصحابنا يدورون بعيونهم يفتشون عن ملعقة أو سكين أو شوكة فما وجدوا شيئاً من ذلك ؛ وأبصروا القوم يأخذ أحدهم قبضة من الرز ، فيديرها فى كفه ، ويعصرها ، حتى يقطر منها السمن ، ويحركها كما يحرك اللاعب الكرة قبل قذفها ، حتى إذا اطمأن إلى أنها صارت كالقنبلة ، قذف بها فى حلقه ، فما استقرت بإذن الله إلا فى معدته ، لا تقف فى الفم ، ولا تمسها الأسنان ... وطفق أصحابنا ينظرون إليهم ويعجبون ، ثم أقبلوا يأ كلون كما يأ كلون ، ولبثت منتظراً أقول لنفسى وأنا أحاورها لأقنعها : من أين نأ كلين إذا لم نجارى ونماشى ، وتستعدى لقبول كل ما تأتى به الحال ؟ وإنى لفى تفكيرى ، إذ حانت منى التفاتة ، فوجدت القصعة قد تكشفت ، والخروف المسكين قد تناثر لحمه ، وبدت عظامه ... فمددت يدي آ كل كما يأ كلون ، وقد علمت أن شر طعام خير من الجوع ، والرز يتفلت من بين أصابعى ، والسمن يملأ كفى ، فإذا رفعتها إلى فمى ، نقط من مرفقى ، ولم يكف القوم ما كانوا قد وضعوا من السمن ، بل عمدوا إلى كؤوس يحملونها ، فملؤوها وصبوا ذلك أمامنا ، حتى ما نستطيع من كثرة الدهن أن نأ كل ، ولم يكن الرز ليستدير فى يدى استدارته فى أيديهم ، بل كان يدخل بين أصابعى ، حتى أضطر إلى إدخالها جميعاً فى فمى ، وغسل وجهى كله بالسمن ...

وانقضى الطعام . ولا تسألنى : أشبعت أم لم أشبع ، كيلا يطول سؤالك كما طال فى هذه الرحلة عطشى وجوعى

ثم جاؤونا ونحن فى مجالسنا بطست عليه مصفاة قد وضعوا فوقها قطعة صابون وإبريق يصبون منه على أيدينا ، على نحو ما كان يصنع فى دمشق قبل عشرين سنة ، ولم تكن تلك طريقتهم فى الغسل ، وإنما يكون مثلها فى مجالس الأمراء والمتحضرين من العرب . أما البدو ، فيجزئهم الرمل . وقد بلغنا عن بعض البدو فى جهات الشام ، أنه إذا كانت وليمة أو غداء كالذى نصف ، خرج الضيوف فمسحوا الدهن الذى فى أيديهم بباب الخيمة . وعندهم أنه كلما ازداد عليها من الدهن ازداد كرم الرجل وفخاره ...

* * *

ثم خرجنا نجول فى البلد ، وقد علمت أى شىء هـذا البلد فاستقريناه كله فى ساعة ، ثم دخلنا المسجد ، فرأيناه دانى السقف قائماً على عمد دقاق من جذوع النخل ، جدرانه من الطين ، وأرضه مفروشة بالرمل ، لا بساط ولا (سجادة) ولا حصير ، فسألنا متعجبين ، فعجبوا من عجبنا ، وأنكروا سؤالنا ، وكأنهم استخفونا واستجهلونا ، لأن من المقرر عندهم (كما علمنا بعد) ، أن هذه هى سنة السلف ، وعليها مساجد نجد كله اليوم . وأنا رجل سلفى وهابى ، ولكننى لست من المتمسكين بحرفية النصوص ، ولا ممن يأخذها بلا فكر . وأنا أفهم أن المسجد فى الإسلام

يستحب فيه الخلو من الزخارف التي تشغل عن الصلاة ، وتطلب فيه (البساطة) ، ولكن البساطة مردها إلى العرف ، وليس مدارها على الرمل والطين . والذي أفهمه أن فرش المسجد بالبسط النظاف ، وتحوير جدرانه أو دهنها بلون واحد ، واتخاذ مكان فيه للأحذية حتى لا توضع حيث توضع الجباه ، ومدافىء للشتاء إذا كان البلد بارداً ، ومراوح كهربائية في البلد الحار ، وإقامة مكبر للصوت في مثل مسجد دمشق الذي يجتمع فيه اليوم لصلاة الجمعة أكثر من عشرين ألف مصلٍّ . كل هذا لا ينافي سنة (البساطة) ، وإن لم يفعله السلف للجهل به أو لعدم الحاجة إليه . ومصيبتنا نحن المسلمين في هذه الأيام أننا لا نعرف التوسط ولا الاعتدال ، فمنا من ينطلق وراء عقله وحده لا يتقيد بوحي ولا كتاب ، ومنا من يدع العقل والكتاب والسنة ليفكر بعقول من مضى من فقهاء القرن التاسع والعاشر ، أو يأخذ من الكتاب والسنة ، ولكنه يفهم بالحروف والألفاظ ويدع ما وراءها من المجاز والإشارة والحكمة والمصلحة ...

* * *

عدنا إلى الدار التي منحونا مفتاحها ، نتحدث ونسكت ، وننام ونفيق ، ونقرأ حتى نمل ، ونمل فنعود إلى القراءة حتى تصرَّم النهار ونحن نظانه من ثقله شهراً . وقد عرضت مرة في بعض مقالاتي إلى تحليل الحس بالحياة ، فكان من رأيي أن الحياة أصعب شيء على الإنسان ، وأنه لا يستطيع أن يحملها ، فهو يقطعها أبداً بحديث أو مطالعة أو عمل ، أو ما هو من ذلك بسبيل ، فإذا خلت حياته من شيء يشغلها عادت هماً وحملاً ثقيلاً . وكذلك كانت حياتنا ذلك اليوم في (قريات الملح) . وكنا قد سألنا الأمير دليلاً ، وأقمنا ننتظره حتى جاء ، وإذا هو سيد من سادات (الشرارات) ، عُمّار تلك الديرة ، والعشيرة صاحبة النفوذ فيها اسمه (صَلَبي) ؛ ولي في صفته كلام في أول قصة (أعرابي في حمام) ما زدت فيه على الحقيقة وإن كنت قد أقمت القصة على الخيال ؛ فليرجع إليه من شاء ثَمّة .

وقد أبدلنا الله بدرهمنا ديناراً حين صرف عنا الحاج غراباً الجاهل الجامد ، الحضريّ الثقيل ؛ وجاءنا بهذا الأعرابي الفكه الظريف الذي أخذنا منه فوائد كثيرة ولمسنا في صحبته السلائق العربية لمساً : الذكاء والوفاء والإباء ، والمنطق البليغ والذاكرة القوية والجواب الحاضر والصبر والإيثار . وأشهد لقد أحسن إلينا أمير (القريات) حين اختاره لنا ، فلما حضر تجددت عزائمنا ، فأعددنا ثقلنا ، وذهبنا نودع الأمير ونستأنف السفر ، وكان أهل البلد مجتمعين حول الدار التي نزلناها ، وكأن مجيئنا من الحوادث الكبرى في تاريخ البلد . فمشينا بينهم ، ودخلنا الحصن ، فوجدنا الأمير قد أعد لنا مجلساً في رحبته ، يشرف على الفضاء ، ودعانا إلى البيت ، وألحف علينا ، وذهب يلتمس إلى إقناعنا الطرق ، ونحن نعتذر ونتملص ، لا أدري أكان ذلك حياء من الأمير أن نطيل المكث في ضيافته ، أم كراهية البقاء في هذه البليدة الساكنة سكون المقبرة ، الخالية من كل شيء يشغل أو يسلي ، أم حماقة وطيشاً ولعل ذلك هو الأقرب ... فلما يئس منا عرض علينا العشاء فأبينا واجتزأنا بالشاهي نشربه إذ لم يكن منه بد ، وأخرجنا مما كان معنا حلوى من حلويات دمشق التي ملأت شهرتها الآفاق ، وعجزت عن صنع مثلها أيدي العاهاة ، فعرضنا منها على الأمير قطعها فأعجبته وقال لنا ، إنه ما ذاق مثلها ، وخير ذلك ألا يذوقها فيعوده مذاقها الترف والنعيم ، ويسلبه روح الصحراء

وانتهى المجلس مع الغروب فقمنا إلى الصلاة ، ثم استقبلنا البادية القاحلة حيث لا نجد حاشا تبوك والعلا ، داراً مأهولة ، ولا منزلاً معموراً ، ولا نجد إلا الرمال والصخور والشمس الملتهبة ، والفضاء الأرحب ، حتى نصل بمشيئة الله إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

* * *

سرنا فما جاوزنا غير ساعة حتى أظلم الليل ، وتوعرت الأرض ، وتعذر السير ، فأمرنا الدليل بالنزول ، فنزلنا وجعلنا من عادتنا بعد ذلك ألا نسير إلا نهاراً ، وإن اضطررنا إلى مشي الليل اخترنا الإدلاج من آخره على السرى من أوله ...

وكان نزولنا في أرض رخوة ما ألفينا لها بلاً ، فلما نصبنا الخيمة وبسطنا البسط وقعدنا إذا بها تعصر ماء ، وإذا هي سبخة من تلك السباخ التي يستخرج منها الملح ، فتفرقنا وأبعدنا رجاء أن نصيب أرضاً خيراً منها فما وجدنا ، فاسترجعنا وندمنا على ترك البلد ، والسفر ليلاً ، والإعراض عن دعوة الأمير ، وأمضينا الليل على شر حال ، منا من نام وسط الوحل ، وما السبخة إلا وحل . فأصبح يشكو الرئة (الروماتزم) أو يحس الأذى في ظهره ، ومنا من لبث الليل كله في السيارة لا يستطيع أن يتحرك أو يمد رجله ، ولقينا من الشدة ما ذكرنا معه بالخير ليلة (أم الجمال)

قصص

هذا الانسان ... أوجد الحضارات

« السمك والوحش والطير يأكل بعضها بعضاً ، لأنها حرمت العدالة ، أما الانسان فقد منحه زيوس إياها وهى خير ما يمنح ... »

أما أنا فأقول لكم لم لا يأكل الناس بعضهم بعضاً

فى زمان سلف ، قديم كل القدم ، وفى مكان لا أعرفه تماماً ، كان يعيش أبو البشرية آدم وأمها حواء والابن البار هابيل ، والابن العاق قابيل

وفى يوم من الأيام ، بعد أن مل قابيل العمل وزهدته نفسه ، واستصغرته ، جلس على مرتفع من الأرض ، ومرفقه إلى ركبته ، وقد أسند رأسه إلى قبضتة الضخمة . جلس قابيل مهموماً قبل أن تخلق الهموم ، مفكراً قبل أن يخلق التفكير . لقد مل العمل ومل الحياة ، وضاقت الدنيا على سعتها ، فلم تعد تحقق شيئاً مما يريد قابيل . ها هو ذا يعمل كل يوم . يذهب فى الصباح إلى الأرض يصلحها ويبذر الحب فيها ، وإذا أعوزها الماء حمله إليها من أماكن بعيدة ، ثم إذا هو رأى حيواناً يعبث بماشية يرعاها أخوه ، سعى إليه وأرداه

كل شىء أمام قابيل سهل ميسور . إنه ما حاول يوماً عملاً واستعصى عليه . كل ما يراه خاضع ليده القوية . الأرض تتفتت فى يسر وهو يضربها لتفلح . والحيوانات باتت تخاف رؤيته . والأمطار إذا شحت استطاع أن يحمل الماء من أماكن سحيقة دون أن يتعب ... كل شىء سهل ميسور إذا تناوله قابيل . فأية حياة فارغة هذه ؟

وفى تلك اللحظة مر هابيل يسير كعادته دائماً فى سكون وبطء ، لاهياً عن كل شىء بشىء لا يفهمه أخوه ؛ إنه يأخذ الحياة كما وجدت ، لا يطلب جديداً ولا يتعب نفسه فى هذا الطلب ، ولا يحس مللاً كما يحس قابيل

ثم هناك كبش هابيل ، لقد قبل عند ما قدمه قرباناً ، فنزلت النار من السماء والتهمته ، بينما لم يرفع زرع قابيل الذى قدم كما رفع كبش أخيه

وبعد ! فلابد إذن أن يكون هابيل شيئاً عظيما ، فقربانه قد قبل بينما لم يقبل قربان أخيه ؛ وكلاهما ابن لآدم وحواء . وهو لا يفكر كما يفعل قابيل وإنما هو لاه راض . إنه إنسان

رب ليل بكيت منه فلما ... صرت فى غيره بكيت عليه

***

تبدل علىّ كل شىء مذ فارقت (القُريّات) ، فلقد كنت قبل أن أصل إليها أفكر فيها وأراها غاية سفرى ، فصرت أمشى من بعدها لا أعرف لى غاية إلا تبوك ، وأين نحن من تبوك حتى نفكر فيها ؟ وكيف وبيننا وبينها أيام وليال ؟ وكنت آسف على فراق دمشق فصرت لا أفكر فيها إلا لماما ، وأحسست كأنى منقطع حقاً عن العالم ، فلا بشر إلا الرفقة التى أصحبها ، وليس إلا الرمل والتلال والسراب مشهد نراه ، وكان عملنا كله التدقيق فى الأرض ، والانتباه إلى الدليل ، لنجتنب الخوض فى رملة ، أو المرور على شِعب ، أو الالتقاء بصخرة . ولقد كنت أنظر تارة إلى هواننا على الصحراء ، وأفاضل بين صغرنا وجلالها ، وفنائنا وبقائها ، فأحس الصغار ، وأشعر بالعجز ، ثم أنظر فلا أرى فيها إلا إيانا قد انفردنا بين شرقها والمغرب ، وانبسطت تحت أرجلنا وامتدت إلى الأفق البعيد ، ونحن نغزوها ونوغل فيها ، ونحمل حرها وبردها ، ولا نبالى شمسها ولا رملها ، فتغمر نفسى القوة ، وأرفع رأسى فخاراً ، وأتيه زهواً ...

وكنا نسير النهار كله ، سيراً بطيئاً . وما أكثر ما نقف نخرج سيارة غاصت فى الرمل ، أو نتحرى خير الطرق ، أو ننظر فى (الوصلة) لنتبع أبداً الجنوب ، وكنا أبداً على استعداد للوثوب من السيارة . فإذا مالت الشمس واصفرت ، نزلنا فنصبنا خيمتنا وأكلنا وشربنا الشاى ... وأنا أحلف أنى على ولعى بجمال الطبيعة ، وارتيادى الجبال والأودية ، ووقوفى بالعيون والينابيع ، ومقامى على الشواطئ وحيال الشلالات ، ما رأيت منظراً أجل ولا أجل ولا أحفل بالعظمة والفتنة من أماسى الصحراء ، حيث تضطجع على تلة من التلال ، ثم تمد بصرك إلى الجهات الأربع فلا يحجزه حاجز ، ولا يقف فى سبيله شىء ، فترى الشمس وهى تغيب فى الأفق الغربى ، وظلام الليل وهو (يشرق) من الأفق الآخر ، والنجوم وهن يطلعن فى السماء الصافية ، وتحس بلطف الليل ورقة نسيمه ، كما أحسست بجلال النهار وحدة شمسه ، ثم تقوم مع الفجر قوياً نشيطاً ، قد قبست من روح الصحراء روحاً جديداً ، لتستقبل الحياة بعزم جديد !

على الطنطاوى

الفروق السيكلوجية بين الأجناس

(RACES)

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

تمهيد

قصدت بهذا التمهيد أن أقدم مجالة عامة عن مشكلة الأجناس البشرية والمفاضلة بينها، وألا أتعرض للبحوث العلمية التى أجريت منذ أواخر القرن الماضى لمعرفة الفروق بين الأجناس. وقصدت أيضاً أن أجعل موضـوع اليوم ذا صبغة تاريخية اجتماعية حتى أريح القارئ قليلاً من مطالعة الحقائق العلمية الجافة، ولكننى إن أعفيته هذا الأسبوع من عرض الحقائق العلمية التجريبية فلن أعفيه منها فى الأسابيع القادمة

ومشكلة الفروق الجنسية مشكلة قديمة كقدم آدم. لا بل إنها تبدأ به، وبالخلاف بينه وبين إبليس اللعين، فإنه لم يتحرج من إعلان احتقاره للجنس البشرى حين أبى أن يسجد لآدم كأمر ربه. فقال الله تعالى: « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى؟ أستكبرت أم كنت من العالين؟ قال: أنا خير منه، خلقتنى من نار وخلقته من طين » ومن هذا اليوم ظهر الخلاف بين الجنس النارى والجنس الطينى، وهو خلاف جر مصائب على إبليس ومن تبعه، وعلى آدم وذريته من بعده، ولا يزال مثل هذا الخلاف الجنسى مبعث المحن بين بنى آدم أنفسهم

ثم هبط آدم إلى الأرض وتفرق أبناؤه شعوباً وقبائل، واختلفت ألسنتهم وألوانهم، وبعدت صلتهم بأبيهم الأول، فتنافسوا وتحاسدوا، ووقعت بينهم العداوة والبغضاء، وذهب كل شعب يُدِلُّ بعَـدده وعُدده، وحضارته وثقافته، ويفخر على الشعب الآخر، ويعيره قلة العديد وتأخر الحضارة. وكان ما كان مما حفظه لنا التاريخ والكتب المقدسة وما لم يحفظ

أقام بنو إسرائيل فى مصر القديمة، وفلحوا الأرض، ورفعوا البنيان، وكثر عددهم، وقوى ساعدهم، وأصبحوا ذوى نفوذ وسلطان. فخشيهم فرعون ومن معه، ونظروا لهم شزراً واحتقاراً « واستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بقسوة، واستعبدوهم واستخدموهم فى الطين واللبن، وفى كل عمل فى الحقل. وكان كل عمل عملوه بتأثير الضغط والعنف ... »[1] ولم يكن منفتاح بألين جانباً مع الإسرائيليين من سلفه رمسيس الثانى، فأذاقهم الأمرين لا لسبب إلا لأنهم غير مصريين، ومن جنس أجنبى، حتى إذا بلغ بهم البؤس مبلغه جاءهم موسى بعصاه، فأنقذهم من جناية جنسهم عليهم، ولاقى منفتاح حتفه شر لقاء

ثم سار التاريخ سيرته فى الشرق والغرب، فظهر الإغريق بحضارتهم وفلسفتهم وآدابهم، تلك الحضارة الإغريقية التى يعزى إليها — وإلى الرومانية أيضاً — فضل النهضة العلمية الأوربية وحسب الأغريق أنهم شعب مقدس لا يصح أن يتزاوج مع غيره، ولا أن يختلط غيره به[2]. وسموا غيرهم من الشعوب همجياً ووحشياً. ولم يذكروا أن حروفهم الأبجدية إنما كانت عارية فينيقية، وأن مبادئهم الفلسفية نشأت فى مصر. فتعصبوا

(١) سفر الخروج الاصحاح الأول الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة

(٢) أنظر جمهورية أفلاطون

آخر غير قابيل، إنه شىء غامض محاط بالسر ...

وتنهد قابيل تنهدة المحنق وظل يتبع أخاه النظر يسعى إلى الكوخ بجسمه الطويل المعروق والماشية تسعى من أمامه

هذا الإنسان الغريب الغامض لم لا يسبر غوره ويقيس قوته إليه؟

... ورويداً رويداً نزل الظلام؛ ورويداً رويداً امتد الزمن به. فقام أخيراً وقد أزمع أمراً

لقد وجد ميداناً جديداً تبرز فيه قوته. ولقد كان الظلام حليفه هذه المرة، لأن قابيل لم يستطع أن يبلغ مأربه إلا فى الظلام! ومضى الليل إلا أقله، وبينما كان آدم وحواء نائمين، وقف قابيل خلف أخيه، ثم رفع يده وهوى بها، فسقط هابيل، دون أن يتهيأ لهذه المفاجأة، لأن أخاه استعان بها كما استعان بالظلام!!

وهكذا استطاع قابيل أن يجرب قوته من جديد وقد نجح فى ذلك

وبعد، أفتدرون لم لا يأكل الناس بعضهم بعضاً؟ ذلك لأنهم يجدون ما يأكلون

« م . وهبة »

ضد غيرهم من الأجناس ، ودعوهم برابرة . وكانت كلة Bàrbaros أول ما ظهرت ظهرت فى لغتهم [1] ، فأطلقوها على الرومان جيرانهم ، لأنهم كانوا من جنس غير جنسهم ، ولأن لغتهم اختلفت عن لغتهم ، ولأنهم كانوا دونهم فى الحضارة والثقافة ، ولم تلبث هذه الكلمة أن دخلت اللاتينية فاستعملها الرومان بدورهم ، وأطلقوها على الشعوب الأوربية التى كانت تتاخمهم كالصقلب والسكات والجرمان . وهكذا اعتبر الرومان — الذين كانوا يسمون برابرة — كل من لم يدخل ضمن نفوذ الإمبراطورية الرومانية بربريا لأنه غير متحضر ، ولأنه من جنس دون الرومانى

لم تكن الحال فى بلاد العرب قبل الإسلام بأحسن منها عند الأمم الأخرى ، فبا الرغم من أن العربى يعتز بجنسه العربى كانت المنافسة بين عرب الجنوب وعرب الشمال تصل إلى العداء والقتال ، بل كانت الحروب بين العدنانيين أنفسهم لا تطفأ لها نار . وكان التعصب للقبيلة - التى هى الجنس بمعنى ضيق - من أهم أسباب هذه الحروب . وكان الفرد من البطن يفخر على ابن عمه من البطن الآخر بنبل أسرته وكرم محتده . وظل أثر ذلك إلى الإسلام . وها هو ذا جرير يهجو نميرا بقوله :

فغض الطرف إنك من نُمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

مع أن كلاباً ونميراً كلاهما ينتمى إلى أصل واحد هو عامر ابن صعصعة الهوازنى

ما كان الإسلام دين تعصب أو جنسية . فقد كان الناس فيه سواسية كأسنان المشط . ولم يكن بين المسلمين فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . وقد حافظ الخلفاء الراشدون على هذه المبادئ السامية ، فلم ينظروا إلى الشعوب المفتوحة نظرة الغالب القوى ، ولم يحطوا من شأن الأجناس التى خضعت لهم . بل لقد كان أول الشروط التى قدمها عمرو بن العاص إلى مقوقس مصر هو « إما دخلتم فى الإسلام ، فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا وعليكم ما علينا » . غير أن النعرة العصبية القديمة بعثت فى عهد الأمويين الذين اعتقدوا أن العرب هم أفضل الأجناس ، وأن لغتهم أرقى اللغات . ونظروا إلى الموالى وأجناسهم نظرة احتقار وازدراء . وكانت هذه سياسة خاطئة أثارت حروباً جدلية شعواء ، وكرهت الأجناس غير العربية — ولا سيما الفرس — فى حكم الأمويين فأخذوا يتلمسون الفرص للثورة والخروج على الولاة ، فانضموا إلى الخوارج والشيعة ، وآزروا دعاة بنى العباس ، فكان لهم النصر

ولم تكن هذه المفاضلة الجنسية بين العرب والفرس فقط ، بل كانت بين العرب أنفسهم عدنابين وقحطانيين فى الشرق وفى الأندلس . وكانت اليقظة الشعوبية (فى بلاد فارس) أيام حكم العباسيين ، هى التى مهدت وجود تلك الدويلات التى مهدت لزوال الخلافة

وقد أسرف الشعوبيون فى الحط من شأن العرب ، فرموهم بالتأخر ، وأنه لم يكن لهم ملك يجمع سوادهم ، ويضم قاصيهم ، وينهى سفيههم . ولم تكن لهم قط نتيجة فى صناعة ، ولا أثر فى فلسفة ، إلا ما كان من الشعر ، وقد شاركهم فيه العجم . ورماهم ابن خلدون بالتوحش وتخريب العامر ، واستباحة أموال الناس نهباً ومغرماً

وفى أوربا استمرت الحروب الجنسية أثناء القرون الوسطى بين القوط والوندال ، وبين الجرمان والغال ، وبين السكسون والسكات ، وبين الاسكتلنديين والإنجليز . وهذه الحروب وإن كان بعضها للغزو والغنيمة إلا أن الجنسية كانت تشملها ، لأن الجنسية أو العصبية كانت دائماً العامل المشترك بين أفراد الفريقين المتحاربين

وفى أوربا الحديثة شاعت نظرية الجنس الأبيض والأجناس الملونة Coloured races ، واعتقد العامة — والمتعلمون أيضاً — أن الأجناس الملونة أحط من الجنس الأبيض فى الذكاء والاستعداد الفطرى للانتاج ، والاستعداد لتلقى الحضارة . ولعل الذى ساعد على انتشار هذه النظرية الحقيقة الماثلة ، وهى سيادة الجنس الأبيض الأجناس الملونة

وفى أمريكا - بلاد الديمقراطيـة - نجد الزنوج فى ولايات الجنوب موضع احتقار مواطنيهم البيض ، وهذا بالرغم من تفوقهم فى الزراعة والصناعة والرياضة

ثم ما هى تلك الحمى الجنسية الطائشة التى عبثت بعقول العلماء والساسة من النازيين فألفوا الكتب ووضعوا القوانين ليثبتوا

(١) أصل كلة Barbarian عند الاغريق القدماء الأجنبي . ومنها كلة بربر لسكان شمالى أفريقية . ويزعم بعض المؤرخين أنها من وضع العرب عند فتحهم لهذه البلاد ، والحقيقة أن الكلمة كانت مستعملة قبل الفتح العربى . فقد وجد فى النقوش المصرية القديمة التى يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٠٠ و سنة ١٣٠٠ ق م كلمتان هما : بارابارا ، وبارابراتا ، وكل منهما اسم قبيلة من سكان ليبيا

أن الجنس الآرى أو الجرمانى هو أفضل الأجناس البشرية ، وأن الشعوب السامية — وهى مهبط الوحى ومنبع العرفان — شعوب منحطة لا حضارة لها ولا فن ؟

إن هذه الدعاوى العريضة بانحطاط بعض الأجناس وتفوق البعض الآخر ، وما ترتب على ذلك من كرب وحرب ، ومطاردة وعداء ، ما كانت لتستند إلى دليل من العلم أو برهان من التجربة ، اللهم إنها السياسة هى التى أحلت ذلك . والسياسة والعلم لا يتفقان . لأن العالم Scientist يحترم الحقائق لذاتها ، فلا يحابى ولا يتأثر بغاية ، فهو فى أحكامه موضوعى objective بينما السياسى ذاتى subjective يضحى بالحقائق العلميـة فى سبيل مبدئه وغايته . ولذلك لا يكون ـ ولن يكون ـ العالم سياسياً إلا إذا طلق العلم

وسنستأنف حكم السياسة السابق على الأجناس أمام قضاة العلم فى المقالة القادمة إن شاء الله

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

إرادة الطفـــــل

لجان جاك روسو

ترجمة الأستاذ عبد الكريم الناصرى

تكفلت فى إحدى السنين بتربية طفل « شقى » تعود تنفيذ كل ما يضطرب فى عقله الصغير من رغبات ، وما يجول فى قلبه البرىء من أمانى ، كما تعود أن يحمل غيره على تنفيذها إن لم يستطع هو. وقد عرفت فيه تلك العادة منذ اليوم الأول لتكفلى تربيته ، إذ أراد أن يجرب خلقى وذوقى ومجاملتى، فرأى أن ذلك لا يتم له إلا بمضايقتى وتكدير خاطرى . وبينما أنا غارق فى نومى فى منتصف الليلة الأولى ، إذا به يستيقظ من نومه ويجلس تحت سريره ، ثم يلبس (الروب دى شامبر) ويدعونى . فنهضت وأشعلت الشمعة، وسألته عن أمره وماذا يريد ، فلم يطلب شيئاً، ولم يبد سبباً لنهوضه ؛ بل عاد إلى سريره واحتواه النوم بعد ربع ساعة ، راضياً عن تجربته ، مقتنعاً بحسن مجاملتى ، مبتهجاً لقوته وسلطانه ! وبعد يومين أعاد تلك التجربة بنفس النجاح ، أما أنا فلم أبد أية إشارة إلى الضجر ، أو علامة على نفاد الصبر ، ولكنى قلت له حين عانقنى عند عودته إلى النوم : « إسمع يا صديقى الصغير . إن هذا حسن جداً منك ، ولكن لا تكرره ثانية »

وقد أثارت هذه الكلمة فضوله وهيجت منه حب الاستطلاع وأراد أن يرى كيف أجرؤ على عصيان أوامره السامية . لذلك لم يفته فى الليلة التالية أن ينهض فى منتصفها ويدعونى .. سألته ماذا يريد . فأجاب إنه لا يستطيع أن ينام . فأبديت أسفى الشديد وسكت. ثم رجانى أن أشعل الشمعة، فاستوضحته السبب، وصمت. عندئذ هب يدور حول الغرفة راكضاً ، صائحاً ، مغنياً ، ضاجاً صاخباً، قالباً المناضد والكراسى، كل ذلك لإزعاجى والانتقام منى . ومع ذلك ، فقد نهضت بصمت وسكون ، وأشعلت الشمعة ، ثم تناولت صاحبى الظريف بيدى ، وأدخلته حجرة له مجاورة لحجرتى وتركته هناك بدون ضوء ، بعد أن أغلقت الباب عليه بالمفتاح ؛ ورجعت إلى فراشى بدون أن أتفوه بكلمة واحدة . ولا حاجة إلى القول بأن الضجة لم تنقطع بسرعة ، ولكنى أصغيت — بعد هدوئها — فعلمت أنه يرتب فراشـه ويستعد للنوم ، فاطمأننت وهدأ روعى . ولما كان الصباح دخلت غرفته فرأيته مستلقياً على فراش صغير وغارقاً فى نوم عميق

ولا تظن أن هذا الطاغية الصغير لم يكن يحسن من أنواع المشاغبة والمشاكسة إلا هذا النوع . كلا ، ففى أية ساعة يحلو له الخروج فيها ، يجب على المربى المسكين أن يكون مستعداً لاصطحابه — أو بالأحرى لمتابعته والجرى وراءه — وكان يُعنى عناية فائقة ويحتفل احتفالاً خاصاً باختيار الوقت الذى يكون فيه مربيه منهمكا فى أعماله أشد الانهماك ، كأنه يريد أن ينتقم منه على الراحة الذى اضطر فى الليل إلى تركها له

* * *

... لذلك لم يفته فى اليوم التالى أن يقطع على عملى ويطلب منى أن أصحبه ، وأترك ما أنا فيه من عمل بمزيد السرعة. فرفضت، ولـكن رفضى لم يزده إلا إلحاحاً وإصراراً ...

وأخيراً قلت له : كلا ! إفهم أنى حين أنفذ إرادتك ، فإنك تعلمنى أن أنفذ إرادتى أيضاً ... إنى لا أريد الخروج ! فأجابنى على الفور : حسن ! فإنى خارج وحدى !

قلت : « كما تريد » . ورجعت إلى عملي متنافلاً عنه

... أخذ يلبس ملابسه مهموماً لأني لم أنهج سبيله وأسلك مسلكه . ولما انتهى من لبسها حياني تحية الخروج ، فرددت التحية ، وأراد أن ينذرني الإنذار الأخير ، فأخبرني صارخاً بأنه ذاهب إلى آخر الدنيا . فأجبته بأني أتمنى له سفراً سعيداً وعوداً حميداً ... عند ذاك ازدادت دهشته ، وعظمت حيرته ، واشتد ارتباكه ، وطلب من خادمه أن يتبعه ، ولكن الخادم — الذي كنت قد حذرته من مرافقته وتنفيذ أمره هذا — قال إنه لا يملك من الوقت ما يسمح له بمصاحبته ، وإنه يراعي مصلحتي وينفذ أوامري قبل أن يعنى بمصاحبته وأوامره ...

وكيف يعقل أن نترك طفلاً يخرج وحده وهو يعتقد أن الناس جميعاً مهتمون بأمره ، حريصون على إرضائه ، مستعدون لخدمته ؛ ويظن أن السماء والأرض مكلفتان بصيانته وحمايته . لقد أخذ يشعر بضعفه ويحس بعجزه ، ويفهم أنه وحيد وسط أناس لا يعرفونه ، ولا يقدرونه ، ولا يحفلون به . ويتمثل المخاطر التي سيلاقيها ، والعقبات التي ستعترضه في طريقه ... ومع ذلك فقد ظل يلح في الخروج

... نزل الدرج ببطء وذهول . ودخل الشارع ، معزياً نفسه بأن ما قد يصيبه من سوء تقع مسؤوليته عليّ . وبقيت أنا أراقبه وأتابع حركاته . وما كاد يتقدم بضع خطوات حتى سمع أصواتاً تتحدث عنه وتصل إلى أذنيه عن يمين وعن شمال

— إلى أين يذهب هذا السيد الجميل وحده ؟

— إنه تائه يا صديقي . أريد أن أرجو منه الدخول إلى بيتنا

— أنظر يا صاحبي إليه جيداً ! ألا ترى أنه (شقي) طرد من بيت أبيه لشقاوته وعناده ؟ دعه يذهب إلى حيث يشاء

— حسن ! ليصحبه الله ! إني خائف عليه من المصير !!...

وما كاد سيدنا المتمرّد يسير ليلاً حتى التقى بطائشين في مثل سنه تقريباً ، راحا يغيظانه وينهرانه ويضحكان منه ... وهكذا ، كلما تقدم وجد أصنافاً من المربكات وضروباً من المعرقلات ... لقد وضحت لديه قيمته عند الناس ، وعلم أنه وحيدٌ معدوم الحماية محروم السند ، ورأى سخرية الناس منه ، واحتقارهم له ، وأدرك مع الدهشة العظيمة أن عقدة كتفه الثمينة ، وحاشية كُمَّيه الذهبية ، لم تنفعاه كثيراً أو قليلاً ، ولم تحملا الناس على احترامه وتقديره ، أو تضطرهم إلى مراعاة رتبته ومقامه !...

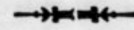
وكنت في أثناء ذلك قد أرسلت صديقاً لي لا يعرفه ، ورجوته أن يتبعه على ألا يشعر به ، فاقتفى أثره مدة ، ثم استوقفه وراح يعظه ، ويهوّل له خطورة عمله ، ووقاحة فعلته ، ووخامة عاقبته حتى لان وارتدع ، وأحس بالخوف وشعر بالندم ، ورجع إليّ مرتبكاً مذهولاً خائر العزم مطأطئ الرأس تعلوه صفرةٌ وترهقه ذلة

ولكي يتمم أبوه الدرس ، ويجعله قاسياً لا يُنسى ، نزل في الدقيقة التي رجع فيها ابنه بحجة الخروج ، والتقى به على الدرج ؛ وأدرك الطفل أنه لا مناصَ من أن يقول من أين جاء ، ولماذا لم أكن معه ... لقد كان المسكين يود في تلك الدقيقة لو تمور به الأرض وتبتلعه ، على أن يجيب على تلك الأسئلة المحرجة ... ولكن أباه لم يطل في تعنيفه ولومه ، بل قال له : « عند ما تريد الخروج وحدك ، أخبر مربيك . وإن عدت إلى فعلتك التي فعلت فإنك ظالمٌ نفسك ـ لأني سأعدّك لصاً حقيراً ولن أقبلك ولا أسمح لك بالدخول في بيتي ! »

عبد الكريم الناصري

مسلمو رومانيا

للأستاذ يوسف ع . ولى شاه



مما يشرح صدر المسلم الناهض أنه إذا أطلق عنان تفكيره فى مجال شئونه الاجتماعية يشعر بوجود أخ محبب إليه يجرى فى عروقه دم يحمل عقيدته ؛ فإذا صح هذا الإطلاق يرى أمامه مسلمى العالم ، ويبين هذا التخيل بوضوح كيفية انتشار الإسلام فى كل بقاع الأرض

فمن نظر إلى خريطة القارة الأوربية مثلاً يلاحظ المسلمين فى كل مكان فيها ؛ ويرى من الإحصاء أن عددهم يزيد تدريجياً يسار الخط المستقيم الذى ينزل من فنلاندا مخترقاً أوربا الوسطى إلى قرية سنت نجير بأسبانيا

يسر المرء حينما يرى أن مسلمى أوربا قد شاركوا أهلها مدنيتهم وجروا معهم فى حياتهم النافعة المتمدينة مع محافظتهم على أصول الإسلام وروح التعاليم الخاصة به . ولكنه يأسف من جهة أخرى ، إلى حد كبير ، حينما يرى قوماً يريدون أن يهدموا حقوقهم مكتسحين حرية الفرد والجماعة . هذه مسألة تختص بالإمبراطورية الروسية وسنتناول بحثها فى دورها

ومن بين هؤلاء الذين رقوا إلى مستوى المدنية الأوربية مسلمو رومانيا الذين يقطنون فى منطقة اسمها دوبروجه موضع النزاع طوال عصور التاريخ

لمحة جغرافية عنها

هذه المنطقة المزدهرة التى يسكنها الأتراك المسلمون فى رومانيا هى أحسن أرض وأوسع باب للحكومة الرومانية ، فتحت مصراعيها للعالم الشرقى والغربى معاً ، وهذه البقعة قلما يوجد لجمالها الطبيعى ضريب فى جهة أخرى من أوربا ، على حين أن الشرق لا يعلم عن جمالها كثيراً ولا قليلاً ، وهى محاطة من ثلاث جهات بالماء، ومن الجهة الرابعة تتاخمها هضبة كوادرى لاتر وغابتها ، ومحاطة بمياه الدانوب التى تحمل تحيات البلاد التى تخترقها ابتداء من منبعها الطبيعى فى الغابة السوداء، ومغمورة بمياه الدانوب التى تكسوها هى والبحر معاً لباس الزينة الطبيعية ، وتبدو كأنها نجمة تزات ثم منطقت خصرها ترغب فى استقبال كل غريب شحب لون وجهه

أما أهميتها لرومانيا فهى كأهمية جزيرة القريم للامبراطورية الروسية، تجرى بين عشبها الطبيعى الأنهر الصغيرة التى تزيد البلاد جمالاً؛ وهى: طاش آولى ، إسلاوا ، تايتا ، وتليتا. فيها البحيرات الخمس الكبيرة بمجموعها مكان واحد مثل: رازيم، غولوويشا، إسمه يكا، سينويه، وكيثوك، وفيها أيضاً بحيرات أخرى: طاش آولى، مامايا، مانغاليا، تكير كول، وهذه الأخيرة بحيرة معدنية تستقبل كل عام عشرات الألوف من الأجانب المرضى يقصدونها للاستشفاء ... يفصلها عن البحر ممر إيفوريا بلدة جديدة أنشئت على أحدث طراز بشاطئ البحر الأسود للاصطياف فيها

فيها أيضاً جزائر مثل جزائر شارپه له ، بوكين ، داله رسكا ، إيفانه شت ، ومه لينوو . أما أهم المدن التى تواجه الأمواج الهائجة للبحر الأسود فهى من الشمال : سولينا ، سنت جورج ، مامايا ، كوستنجة ، إيفوريا ، طوزلا ، منغاليا وبالجيق . ثم تنتهى حدود رومانيا جنوب بلدة ثه كره نه بحوالى ثلاثة كيلات

الموارد الطبيعية للبلاد

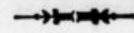
يستخرج من أرضها الجير ومقره مرادخان وقانارا ، والرخام والأحجار المتينة لتشييد الأبنية ومقرها مورفاتلار، طوبلجا، ماچين إغليتا وإيساجقة

الثروة الزراعية

هى منطقة سهلة معدة للزرع من أولها إلى آخرها، يساعدها المناخ ، ككل مكان فى أوربا الشرقية الجنوبية ، على نمو جميع النباتات. وأكثر ماينبت فيها من المزروعات القمح، الشعير، الشوفان الذرة ، الدخن، الخردل ، الباقلاء ، عباد الشمس، الدباء، البنجر، الجزر، الخيار، البطيخ، الشمام، البطاطس، وسائر أنواع الخضروات. ومن كثرة اعتناء السكان بهذه المنطقة قد حالت اليوم إلى حديقة بجانبها بلابل تطرب وتغنى لجمالها . ليس هذا نتيجة العمل فقط، بل الفضل يرجع أيضاً إلى تربة هذه المنطقة لأنها ليست إلا امتداد التربة السوداء من سهول كه رسونه ى ، جزيرة القريم وآستر خان

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى



ماذا بقى لفرنسا ؟

من كان يصدق أن فرنسا تقبل مثل هذه الشروط ؟ ومن كان يصدق أن وزارة المارشال بتان العسكرية تعتبر مثل هذه الشروط التى فرضتها ألمانيا على فرنسا شروط صلح شريف ؟ ولعله يتيسر لنا أن نقدر فداحة النكبة الفرنسية إذا فرضنا أسوأ الفروض ، ثم قارنا بين ذلك الفرض السيء وبين ما قبلته فرنسا الآن

وأكبر النكبات القومية إطلاقاً هى احتلال أرض الدولة ، ونزع السلطة من يد حكومتها . وهذا ما فعلته ألمانيا مع فرنسا . ألم تحتل ثلثى أرضها وجميع شواطئها الغربية

فماذا بقى لفرنسا ؟ أهى تلك الرقعة المحدودة المحاطة بجيوش الاحتلال من جميع جهاتها ؟ أم هى السلطة التى منحت لوزرائها على أن يعملوا تحت المراقبة الألمانية النازية ؟ أم هى المستعمرات التى فصلت عن أمها ولم يبق بينهما من رباط ؟ أم هى القيود التى فرضت على الصناعة والتجارة والحرية فى القول والعمل ؟ ماذا بقى لفرنسا إلا موجة الحزن والأسى وندب الماضي المجيد والكرامة المهدرة ؟

أنصار الهزيمة

لقد بكى الكتاب فرنسا ممثلة فى باريس ما وسعهم البكاء ، وشكوا إلى العالم ما أصاب عاصمة النور والحرية ما وسعتهم الشكوى ، ولسنا أنصار هزيمة ، ولا شكوى ، ولا أنين ؛ ولكننا نتعلق بحبال قوية من الأمل ، لا بخيوط ضعيفة من الرجاء ؛ فلم تضع الحرب أوزارها ، ولم يملِ العدو شروطه بعد ، بل إن الأمر ما زال تحت حكم الجنيه الذهبي ، والعزيمة الصادقة

وإذا كانت دعوة أنصار الهزيمة قد طغت على بتان وفيجان ودارلان ، فألقوا بسلاحهم ، فما زالت دعوة أنصار النصر تطغى على دى جول وبلانشار وتشرشل . فالأولون شيوخ من أبناء المدرسة القديمة التى حطم من عزمها الفشل القريب ، والأخيرون من أبناء المدرسة الحديثة التى يقوى من عزمها ما تجد فى متناول يدها من موارد هائلة تكفى لكسب النصر ، وما تجد فى دمائها من قوة تحبب إليها الموت على حياة تخسر فيها شرف بلادها وكرامتها

وإذا كان الاحتلال مسلماً بأمره اليوم ، ومفروضاً فيه أن يستمر إلى نهاية الحرب ؛ فلسنا نجد مبرراً واحداً يتيح لوزارة بتان أن تتخلى عن القتال ؛ اللهم إلا إذا كانت شهوة الحكم بضعة شهور ، وهى شهوة لا تلبث أن تموت فى نفوس أصحابها إذا انقضت

فى روسيا . هذه التربة لها أكبر فضل فى إنماء النباتات ، لأنها تحتفظ بالمياه من فصل المطر إلى فصل الجفاف ، وهذا الجفاف يعوض قلة المطر فى هذا الفصل الأخير

أما الثروة النباتية فنجد الغابات ولا سيما فى هضبة كوادرى لأثر أى ده لى أورمان كما يسميها الأتراك ؛ ونجد الأشجار على اختلاف أنواعها والحشائش التى ترعاها الماشية فى جميع أنحاء المنطقة

قيمة الثروة الاقتصادية : يستغل الشعب كل ثروتها ، ويديرها ويتصرف فيها كما يشاء يستخرج من كل قسم فى دوره مادة أخرى وتباع بثمن يساوى ثلاثة أضعاف ثمن أصله . وتجار البلاد يصدرون كل سنة ملايين من الأطنان إلى خارج القطر من ميناء كوستنجه ، لأنه تخزن فيها كل ما يحمل إليها القطار من داخل البلاد والبواخر من الدانوب ومن الأنهر الأخرى

هذه المنطقة التى تلخص البلاد الرومانية فى نفسها تبلغ مساحتها ٢٣٫٢٨٥ كيلومتراً مربعاً ، وهى مقسمة إلى شطرين قديم وجديد

وكل شطر من القديم والجديد فى دوره مقسم إلى قسمين ، أى سنجاقين

فدوبروجه القديمة مثلاً لها سنجاقان : الأول طولجا ، والثانى كوستنجه ، وهما فى الشمال . ودوبروجه الجديدة أيضاً لها سنجاقان ولكنهما فى الجنوب ، الأول كاليافرا ، والثانى دور وستور . ومراكز هؤلاء السناجق كالآتى : طولجا مركزه مدينة طولجا ، وكوستنجة مركزه مدينة كوستنجة ، وكاليافرا مركزه مدينة بازارجمة ، ودوروستور مركزه مدينة سلسترة . وهذه مدينة محصنة لها تاريخ مجيد مع الأتراك إذ اشتركوا فيها والجنود المصريون فى الدفاع عن هجوم الروسيين عليها

« يتبع » يوسف . ع . ولد شاه

ساعة الشهوة وأتت ساعة التفكير في المصير، ولا تلبث هذه الشهوة أيضاً أن تنقلب إلى ندم وتكفير، حيث لا ينفع ندم ولا تكفير

شهوة الحكم

ونستطيع أن ندرك أثر هذه الشهوة في نفس بتان إذا عدنا إلى ماضيه. فقد حصل على مجد كبير، وتمتع باحترام لم يتمتع به فرنسي آخر، فهو البطل الذي احتفظ بفردان في أيدي الفرنسيين طول حرب سنة ١٩١٤ فكانت أخطر نتوء في صفوف الجيوش الألمانية، وكانت بمثابة المركز الذي أفسد عليهم سيطرتهم على خطوط مواصلاتهم. فهو رجل عظيم حقاً، ولكن عظمته عسكرية فحسب، فلم يتقلد مناصب الحكم، ولم يكن رئيس وزارة مرة واحدة. أفلا يتوق مثل هذا الشخص إلى أن يربط عظمته العسكرية بعظمة سياسية، ولا سيما وهو في آخر أيامه؟ أوَلا يتوق مثل هذا الرجل أيضاً إلى تخليد اسمه باشتراكه في هذا الحادث الفريد في تاريخ فرنسا؟ وهو تخليد مؤلم ولكن له مبرراته وخصوصاً في نظر الشيوخ.

فقد أصيبت الجيوش الفرنسية بخسائر فادحة، وانقضى الأمل في الدفاع عن فرنسا

وهو عذر كاف يرضي الشيوخ. ولكننا واثقون أن بيتان سنة ١٩١٤ لو وضع في مكان بيتان سنة ١٩٤٠ لما قبل هذه الشروط.

فالعزيمة التي ثبتت أربع سنوات وهي ترى بوادر الانحلال من حولها، والعزيمة التي قضت على مائة ألف ألماني في سنة ١٩١٤ ترفض رفضاً باتاً أن تخضع لانحلال يصيبها في ثلاثة أسابيع. ولكن هي الشيخوخة البالية، وحياة الرفاهية التي قضاها بتان في العشرين سنة الماضية بعيداً عن الحياة العسكرية جعلتاه ينظر إلى الموقف الحالي بمنظاره الأسود

الرأي العام الأمريكي

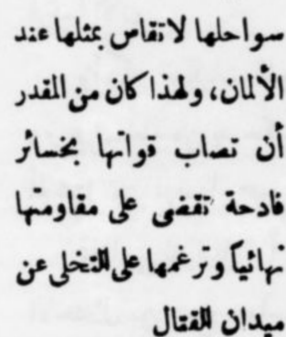
فالامبراطورية الفرنسية غنية ومازالت سليمة، والامبراطورية البريطانية غنية وما زالت سليمة، وأمريكا غنية، وإذا لم تدخل الحرب اليوم فستدخلها غداً؛ فإعداد الشعب الأمريكي للحرب يحتاج إلى سنوات، والشعب الأمريكي الآن مستعد لقبول فكرة الحرب أكثر منه في سنة ١٩١٤، وهو لم يدخل الحرب الماضية عقب هزائم الحلفاء الأولى، بل استمر بعيداً عن ميدان القتال سنتين تقريباً، فهل انقضت هذه الفترة ليقطع بتان الأمل؟

والمعروف أن نقطة الضعف في المحور الديكتاتوري هي إيطاليا فإن قوتها العسكرية، ومعداتها الحربية، وصبر جنودها على متاعب القتال، وانكشاف سواحلها لا تقاس بمثلها عند الألمان، ولهذا كان من المقدر أن تصاب قواتها بخسائر فادحة تقضي على مقاومتها نهائياً وترغمها على التخلي عن ميدان القتال

ما خسرته الحرب

أدى تسليم فرنسا إلى تغيير كبير في الموقف، فلو استمرت في الحرب لنقلت قواتها البرية إلى ممتلكاتها في شمال أفريقيا، وهي تقدر بالملايين مما يسهل الاستيلاء على ليبيا وحصر إيطاليا في الشمال وألمانيا في أوربا، وتنفذ سياسة الحصر البحري والمناوشات الحربية البرية والجوية كلما سنحت الظروف إلى أن تنهار قوات المحور؛ وعلى العموم لم يؤد تسليمها إلى تغيير خطير. فقد أعلنت الممتلكات الفرنسية تصميمها على القتال، مخالفة بذلك قرار حكومتها، فإن الجندي الفرنسي يأبى التسليم بمثل هذه الشروط ولا سيما إذا كانت قواته سليمة كما هي الحال في تونس ومراكش وسوريا ولبنان

وخسرت انجلترا بقبول فرنسا الشروط الصلح شيئاً واحداً، وهو القوات المحاربة الموجودة في فرنسا، ولكن المستعمرات



تبين هذه الخريطة الممتلكات الفرنسية وما يجاورها من ممتلكات الدول المتحاربة

لا تلبث أن تمد قوات غيرها ، وقد أعلنت بريطانيا استعدادها لإمدادها بالعتاد الحربي اللازم ، ومن مصلحة انجلترا أن تضم إليها في القتال هذه البقاع من الأرض لتحتفظ بمركزها العسكري في البحر الأبيض المتوسط ، فإن الشاطئ الأفريقي في غربه في يد الممتلكات الفرنسية ، وضمان موالاته لبريطانيا له أهميته لثلاثة أسباب

أولاً — الاستناد إلى قواعده في تونس والجزائر

ثانياً — ضمان حياد طنجة ، وهي البقعة المواجهة لجبل طارق وقد احتلتها أسبانيا في المدة الأخيرة بالاتفاق مع فرنسا ، وكانت من قبل بقعة محايدة

ثالثاً — تونس ، ولها أهمية ممتازة لأن استيلاء إيطاليا عليها معناه شطر البحر الأبيض إلى قسمين ، وبالتالي منع المواصلات بين شرق البحر وغربه ، أو منع الصلة بين قنال السويس وجبل طارق

الأسطول البحري

ويلي المستعمرات الفرنسية في الأهمية الأسطول البحري الفرنسي ، ولم ترد إلينا حتى الآن أخبار عما حل به ؛ وإن كان الجنرال دي جول صرح بأنه تلقى وعداً من قادته بمواصلة القتال . والمعروف أن هذا الأسطول لم يكن وحيداً ، بل كان موزعاً في عدة أماكن مع الأسطول البريطاني ؛ فإذا حاولت قطعه الانسحاب وتنفيذ أوامر حكومة بوردو ؛ فإن الأسطول البريطاني يتولى إغراقها حتى لا تكون تحت سيطرة الأعداء

وفي اعتقادنا أن ربابنته لا يقلون وطنية عن الألمان ، فإذا كان الألمان قد فضلوا إغراق أسطولهم في حياة سكابافلوا في سنة ١٩١٤ ، عند ما شعروا بأنه سيسلم إلى انجلترا ، فإن الفرنسيين لن يتركوه غنيمة سهلة لأعدائهم . ولاشك أنهم يفضلون القتال إلى جوار حلفائهم الإنجليز على إغراقه أو تسليمه ؛ ولهذا فمن السهل أن ندرك أنه سينضم إلى الأسطول البريطاني في دفاعه عن قضية الديمقراطية ، ولإعادة حرية فرنسا إليها ، فإن نصر بريطانيا الآن هو الأمل الوحيد للفرنسيين الأحرار

والأسطول الفرنسي أسطول قوي حديث تمتاز وحداته بسرعتها ، كما يمتاز رجاله بفهم دقيق لفنون القتال البحرية . به مدرعات خفيفة لا يوجد ما يماثلها في أساطيل الدول الأخرى ، وبه غواصات ضخمة تستطيع تحمل السير في المحيطات ؛ ويكفي أن نذكر أن حمولة الغواصة سيركون مثلاً ٢٨٨٠ طناً بينما الغواصات الأخرى قد لا تصل إلى نصف هذه الحمولة

ويتكون الأسطول الفرنسي من القطع الآتية :

سفن قتال	٧
حاملات طائرات	١
مدرعات ثقيلة	٧
« خفيفة	٤٣
مدمرات	٦٩
غواصات	٨٧
المجموع	٢١٤

وعد بالنقض

وأشرنا في مقالنا الماضي إلى المناورة البارعة التي أذاعتها الحكومة البريطانية حينما أعلنت استعدادها لاتحاد الجمهوريتين البريطانية والفرنسية ، وقد أنتجت هذه المناورة ، فلم يتيسر لمندوبي هتلر أن يعلنوا فرنسا بعزمهم على الاستيلاء على الأسطول الفرنسي ، بل اكتفوا بإعلان تجريده من السلاح ، كما أعلنوا أنهم سيتركون بعض قطعه للدفاع عن المستعمرات الفرنسية

وبديهي من تتبع الوعود والاتفاقات النازية أن هذا الكلام لا يتجاوز الورق الذي سطر عليه ، ولكن الغرض الأساسي منه هو استدراج هذه الوحدات إلى مناطق السيطرة الدكتاتورية ، فإذا أصبح في متناول يدهم تلاشى قصاصة الورق ويشترك الأسطول في الأعمال الحربية الدكتاتورية ، فإن ألمانيا وإيطاليا في أشد الحاجة إلى مثل هذا الأسطول لتعزيز قوتهم البحرية ، وليس من المعقول أن تهدم بريطانيا بأسطولها ويكون تحت سيطرتهم أسطول يتركونه تنفيذاً لاتفاق لا يوجد ما يرغمهم على تنفيذه ، ولاسيما أن سوابق هتلر تدل على أنه إذا وعد اليوم وعداً ينقضه غداً

ويمكننا أن نرى فى شروط الهدنة نفسها بوادر هذا النقض فهى تقول فى المادتين الثامنة والتاسعة : إن الأسطول يستخدم فى الرقابة الساحلية والتقاط الألغام .

ومعنى هذا عسكرياً أن الأسطول الفرنسى يستخدم فى الأعمال الحربية لسببين :

١ — إن شواطئ فرنسا كلها فى أيدى الألمان ، فهو فى هذه الحالة يدافع عن قواعد ألمانية من حق بريطانيا ضربها ومن واجب الأسطول الدفاع عنها

٢ — تتجاوز الرقابة الساحلية الأعمال الإقليمية لأن أحد أركانها مراقبة حركات القوات المعادية وتدميرها كلما سنحت الظروف .

وهذا يفسر أن ألمانيا وضعت شروطاً مطاطة تبيح لها استخدام الأسطول على أوسع صورة ممكنة .

الأسطول الجوى

ننتقل بعد هذا إلى أداة قتال أخرى يسهل نقلها ، وهى الأسطول الجوى الفرنسى . فمن الراجح أن كثيراً من أسرابه ستغادر قواعدها للانضمام إلى قوات بريطانيا ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن بعضها قد غادر مطاراته فعلاً . فإن تمرد الضباط الفرنسيين على قرارات حكومة بوردو شمل جميع القوات والساسة وتناول المسيو رينو رئيس الوزراء السابق مما لا يدع مجالاً للشك أن كثيرين تبعوه مقتنعين بصحة رأيه

وفى شمال أفريقيا ؟ !

ويجدر بنا ألا نختم هذا المقال قبل أن نقول رأينا عن الموقف العسكرى فى شمال أفريقيا ، فهو موقف يستدعى التفكير . فالوعود الدكتاتورية لا يحدها اتفاق ولا قانون، وأحلام موسولينى بالأمبراطورية الرومانية حية زادتها الانتصارات الأخيرة قوة ، فإذا كانت حركاته العسكرية فى أفريقيا نائمة الآن ، فلسببين :

أولهما : ضعف استعدادها فى ليبيا بسبب اشتغالها فى الحرب فى أوربا ، ووجود خناجر العرب المتمردين فى ليبيا

ثانيهما : حر الصيف وطول الصحراء ، وخلوها من الماء مع شدة الحاجة إليها لرى عطش الجنود ، وكثرة المقادير اللازمة لرى هذا العطش فى الصيف عنه فى الشتاء

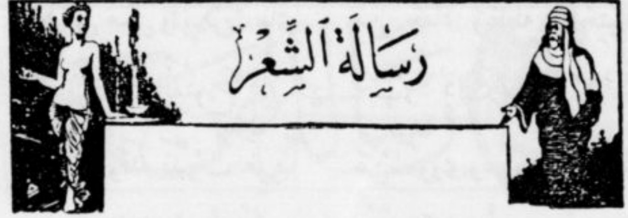
فإذا زال هذان السببان فلن نلبث أن نرى الحركات على أشدها فى شمال أفريقيا مستندة إلى قواعد إيطاليا فى ليبيا . وهذان السببان لا يلبثان أن يزولا بزوال الصيف وقدوم الشتاء

فقد خلا الميدان الأوربى من القتال ، فيسعى الأسطول الإيطالى لنقل القوات الألمانية والإيطالية إلى ليبيا بتلك الأعداد الكبيرة والمعدات الهائلة .

وطبعاً يحرص الأسطول البريطانى على عرقلة هذه الصلات، ومنع وصول القوات إلى ليبيا

فإذا تيسر لقوات الحلفاء الاستيلاء على ليبيا قبل قدوم الشتاء فإن الموقف العسكرى فى شمال أفريقيا يصبح مضموناً ولا يقلق الناس إلا إغارات الطائرات وهى كما قلنا لا توصل إلى نصر عسكرى حاسم .

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة



أنشـــودة

للأستاذ خليل شيبوب

سكنتْ مابين جفنيكِ السماءْ وكستْ خديكِ أنوار الشفقْ
فإذا وجهك رفافُ الضياءْ بُهتَ القلبُ إليه وخفقْ
راعَ قلبي الحزينْ
فرطُ هذا الحنينْ
آه لو تعلمينْ

حسنُكِ المُبْدَعُ من سحرٍ ونورْ عطَّرَ الدنيا وحلاَّها ليا
فإذا غيرُ الهوى فيها غرورْ وسوى حسنِكِ يبدو داجيا
هُوَ لحنُ السنا
أنشدته المنى
فسبى الأعينا

أنصتي فالليلُ يهفو عاطراً ويموجُ الصمتُ فيه والصدى
واسمعي رفرفةَ القلبِ به طائراً بالدمعِ غنَّى وشدا
خافقاً في الظلامْ
حائراً مستهامْ
يكتوي بالغرامْ

كلُّ من يهوى سوى قلبي يرى في الورى معبودةً يألفها
فتعاليْ إنَّ لي أمنيةً أترى قلبُكِ لا يعرفها
أنتِ روحي والرجاءْ
أنتِ دائي والدَّواءْ
وشقائي والهناءْ

إيه يا مُنيةَ عمري حققي مرةً في العمر لي حُلْمَ الحياه
آه من عينيكِ كم قطعتا مهجتي ، أوَّاهُ من عينيكِ آه
سأموت ... اسلمي
فاسمعي واقهمي
وانظري وارحمي

خليل شيبوب

بين عهدين

للأديب فؤاد بليبل

يا زمانَ الهوى وعهدَ الوِصالِ مَنْ مُعيدٌ تلكَ الليالي الخوالي
حينَ كانَ الفؤادُ حرًّا طليقاً ناعِمَ البالِ خالِيَ البِلْبالِ
طائرٌ وكرُهُ على كلِّ غُصْنٍ وهَواهُ مِلءُ الرُّبى والتِّلال
غيرُ وَقْفٍ عَلَى غرامٍ وحيدٍ أوْ أليفٍ فرْدٍ وَحُبٍّ حلال
أوْ مِثالٍ مِنَ الجمالِ فريدٍ فَلَهُ في الجمالِ ألفُ مِثال
شاعرٌ هامَ بالمحاسنِ حتى باتَ في الوَجْدِ مَضْرِبَ الأمثال
يَنشُدُ الحسنَ حيثُ لاحَ لعينَيْـهِ أفي البيدِ أو أعالي الجبال
يتصدَّى لهُ ولو صِينَ بالبيـضِ سَناهُ وَحُفَّ بالأهوال
يتصدَّى لهُ على كلِّ صَدْرٍ كاعِبِ النهدِ غيرِ سَهْلِ المنال
وعلى كلِّ مَبْسِمٍ يَشتهيهِ أوْ قَوامٍ مُرَنَّحٍ مَيَّال
سابحٌ في الفضاءِ يَمْرَحُ زَهْواً بين حلٍّ على الهوى وارتحال
يتغنَّى على الأراكِ طَرُوباً مَرِحَ النفسِ مُطمئِنَّ البال
هَمُّهُ في الحياةِ أن يطرَحَ الهمَّ بعيداً لِعابدي الأموال
مُسْتَخِفًّا بالعَيْشِ جِدَّ قَنُوعٍ فَهْوَ في عُسْرِهِ سَعِيدُ الحال
يَشتكي الفقرَ والكَفافَ سِواهُ وَهْوَ بالفقرِ والكَفافِ يُبالي
تَملِكُ الأُفقَ والنُّجومَ يَداهُ فلِماذا يَشكو مِنَ الإقلال ؟
كلُّ ما في الوُجودِ يدْعُوهُ للصَّبْـوِ وَيَحْدُو على الهوى والوِصال

فجمالُ الربيعِ والزهرُ والدفْـ ... ـءُ وسحرُ الأسحارِ والآصال
وخريرُ الغُدرانِ وهيَ شوادٍ ... واعتناقُ الأدواحِ والأدغال
كلُّ ما في الوجودِ مِلكُ يديهِ ... مِن جمالٍ ورقّةٍ وكمال
فلِمَنْ هذه النجومُ الدراري ؟ ... ولِمَنْ تلكمُ الشموسُ اللآلي ؟
ولِمَنْ هذه الوِهادُ الزواهي ؟ ... ولِمَنْ تلكمُ الجبالُ العوالي ؟
ولِمَنْ هذه السواقي السواقي ... دافقاتٍ بالسائغ السلسال ؟
ولِمَنْ ذلك الفضا المُترامي ... ومُحيّا الضحى ووجهُ الهلال ؟
ولِمَنْ هذه النسائمُ تسري ... سرَيانَ الحياةِ في الأوصال ؟
ولِمَنْ هذه الطيورُ الشوادي ؟ ... كلُّ هذا لهُ فكيفَ يُبالي !
هكذا كان في عهودِ صِباهُ ... ذا خلالٍ أعجِبْ بها من خلال
ذهبيُّ الأحلامِ غيرُ جزوعٍ ... رابطُ الجأشِ عبقريُّ الخيال
كلُّ يومٍ لهُ غرامٌ جديدٌ ... وجُنونٌ ببارقٍ مِن جَمال
وفضاءٌ مِنَ الأمانيِّ عذبٌ ... يتلاقَى فيه الهدَى بالضلالِ
وعُهودٌ مِنَ الهوى خالداتٌ ... وليالٍ أحبِبْ بها من ليال
ومجالٌ مِنَ المجونِ ظريفٌ ... أين منه بهاه كلُّ مجال
ورنينُ الأوتارِ تحسبُهُ السِّحْـ ... ـرَ، وسِربُ المها ووحيُ الدلال
ونزولٌ في كلِّ يومٍ بروضٍ ... عطرِ الزهرِ سُندسيِّ الظلال
وفؤادٌ بما يكنُّ سعيدٌ ... صادقُ الوجدِ باسمُ الآمال
واصطحابُ الكعابِ مِن كلِّ خَودٍ ... جمّةِ اللطفِ مِن ذواتِ الحِجال
يتناقلنَ شِعرَهُ هزِجاتٍ ... هزَجَ الوُرقِ في ظلالِ الدوالي
وكؤوسُ الطلا تُدارُ علينا ... مُشرقاتٍ بالبابليِّ الزلال
وعيونٌ صوامتٌ ناطقاتٌ ... وقدودٌ ميّاسةٌ في اعتدال
ونُهودٌ ولا تسَلْ عن جَناها ... مُثقلاتٌ بالحُسنِ غيرُ ثقال
ذاكَ عهدٌ مِنَ الشبابِ تولّى ... ليتَهُ لم يكُن رهينَ زوال
وفتًى صِيغَ من شُعاعٍ ونورٍ ... فبَغى ، فاغتدى من الصلصال
وإذا بي قد استحلتُ إلى غيْـ ... ـري وجُرِّدتُ مِن قديمِ خِلالي
أنكرتني نفسي وأنكرتُ ما بي ... مِن جفاءٍ وغِلظةٍ واختيال
لم أعُدْ ذلكَ القنوعَ على الـ ... ـحُبِّ ولا ذلكَ الطروبَ الخالي
وإذا بي وقد غدوتُ غريباً ... عن شعوري وعن رفيقِ خِصالي
وإذا المالُ لا يُعيدُ قنوعي ... مثلَما كان أو يزيلُ ملالي
وإذا الدهرُ لا يردُّ صفائي ... وانقيادي لِصَرفهِ وامتثالي
وإذا الكسبُ لا يخفّفُ ما بي ... وإذا اليُسرُ لا يحقّقُ فالي
وإذا النهرُ لا يبلُّ غليلي ... لا ولا الكونُ كلهُ لو غدا لي
وإذا الهمُّ يحتويني ويأبى ... طمعي الجمُّ أن يفكَّ عقالي
وإذا الروضُ قد تعرّى مِنَ الـ ... ـحُسنِ فلا يرتدي سوى الأسمال
وإذا الفجرُ لم يعُدْ فيه ما كنـ ... ـتُ أراهُ مِن روعةٍ وجمال
وإذا الأفقُ ضيّقٌ مُكفهرٌّ ... وإذا البدرُ شاحبٌ في هُزال
وإذا الزهرُ والخمائلُ والورْ ... قُ تنكّرنَ للفؤادِ السالي
وإذا الكونُ خِسّةٌ ورياءٌ ... وميادينُ شهوةٍ واحتيال
وإذا لم يعُدْ يُشنِّفُ سمعي ... مِن غناءٍ سوى رنينِ (الريال)
وإذا بي وقد رجعتُ إلى الطيـ ... ـنِ وأصبحتُ مثلَ باقي الرجال
حدّثونا عنِ الزواجِ حديثاً ... حسنَ السبكِ شائقَ الأقوال
فأخذنا ببارقٍ من سَناهُ ... وسحرنا بمنطقٍ ختّال
وبهرنا بمظهرٍ منهُ عذبٍ ... ومُنينا بمخبرٍ قتّال
فوقعنا فيما خشينا وكنّا ... عن مراميهِ في غِنًى واعتزال
فاضطررنا إلى الخضوعِ وبؤنا ... منهُ بالهمِّ والأسى والنكال
قد طمعنا في كلِّ شيءٍ رخيصٍ ... ففُجعنا بكلِّ شيءٍ غال

(دار الأهرام) فؤاد بليبل

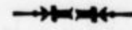
حكم استئنافيا بتغريم عبد العزيز شحاته البقال بالسيدة بالقضية نمرة ١٨٨ تسعيرة نمرة ٤٠ استئناف ١٦٨١٩ بجلسة ٤ يونية جنيها لبيعه كبريتا بأزيد من التسعيرة



بواطن وظواهر

... وعندنا فنانات أيضاً

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



لا شك فى أن المرأة إذا أخلصت للفن سادت فيه ، ولكن المرأة تدخر فنها دائماً لنفسها ، فهو سلاحها فى الحياة لا تلقيه للناس لأنه لا سلاح لها غيره . ولكن الحياة ترغم بعض النساء على الفن ، فمن رضى الله عنها عندئذ أخلصت لفنها وأطلقت نفسها فيه فسمت ، وإلا فهي مذبذبة بين الفن وحياة الواقع ، فهي ككل من يحترف حرفة يأكل منها الرزق حلالاً وإن كان يرجو النجاة منها ...

وفى مصر — كما فى كل بلد — كثيرات من محترفات الفن وإلى جانب هؤلاء قليلات من المخلصات

السيدة منيرة المهدية

حرفتها الغناء وفنها التمثيل . وأستطيع أن أقول بلا تحفظ إنها الممثلة الأولى فى مصر . وليس عجيباً أن تكون كذلك ، فقد قضت منيرة زمناً كانت فيه الغادة المصرية الأولى ، وكان سعيداً من يحظى منها بتحية ، ومحسوداً من تناجيه بكلمة راضية . ولم يكن جمهور منيرة من التلاميذ ولا الصبيان ، وإنما كان من كبار الناس الظاهرين فى البلد ، الناجحين فى أعمالهم المفروضة أشخاصهم على الشعب . وكان على منيرة أن تسوس جمهورها ومن وراء جمهورها من أفراد الشعب ، وكان عليها أن تكسب رضاهم جميعاً ، وعطفهم جميعاً ، وإعجابهم وتحمسهم . ولم تكن منيرة لتستطيع هذا إلا بالتمثيل ، فهو الذى كان يمكنها من أن تضحك للنكتة السخيفة إذا ألقاها باشا من الباشوات جبراً لخاطره وستراً لسخفه ، والتمثيل هو الذى كان يمكنها من أن تلتوى تدللاً على مثر من الأثرياء إذا هجر صالتها أو مسرحها زمناً فلم يتردد ولم ينفق فى البار ما يقوم بنفقات الفن ... فإذا هو بعد التوائها مقيم فى البار ، آناء الليل وأطراف النهار ... يريد أن يسترضيها

منيرة ممثلة هائلة : وهى مغنية ممتازة إذا غنت ، ولكنها لا تغنى كلما غنت

سمعتها يوماً فى رواية « المندورة » ، وكانت تنشد اللحن الأخير من ألحان الرواية ، وقد عرف الجمهور أن هذا اللحن هو اللحن الأخير فأخذ الناس يتسللون مغادرين المسرح ، ووقف بعضهم يستمع اللحن متهيئاً للخروج بعد الفراغ منه ومتحرجاً من الخروج قبل الفراغ منه ... وإذا بمنيرة « تنسجم » فجلس الذين كانوا واقفين ، وعاد الذين كانوا يتسللون خارجين ، وفاضت فى الحضور جميعاً نشوة من الطرب نفثتها منيرة سحراً ... وكنت أنا من أشد المنتشين بغنائها ، وكنت أحملق فيها وأنا أسمعها فكنت أراها كأنما هى سكرى تترنح فى ثبات رهيب ... إى وحياة تلك الليلة كان ثباتها فى سكرتها تلك رهيباً ...

الآنسة أم كلثوم

فتاة حادة النفس كأنها فتى ، هبطوا بها من الريف إلى القاهرة ليستغلوا مواهبها ، فتيقظ عقلها ، والتهب تفكيرها رغبة منها فى المحافظة على كيانها ، وفى تحقيق أحلامها ، وكان من آثار هذا أن اختلق عقلها سوء الظن بالناس دفاعاً منها عن مجدها واسمها ونفسها ، وصاحَبَ هذا شىء من الحرص الشديد على مالها ، كما داخلها بعد ذلك شىء من الاعتداد بمكانتها

هى فنانة بالفطرة ، تحب الجمال على نحو ما يحبه الرجال الفنانون ، وهى تنحدر فى ذلك إلى ما فوق نزعات المرأة حتى لترتج ارتياحاً وانبهاراً إذا رأت فتاة حسناء . وليست النساء هكذا ، فالمرأة تغار من المرأة ، ولكن أم كلثوم قد قتل شغفها بالحسن هذه الغيرة فى نفسها ...

مغنية شجاعة لا تهيب من ألحان القصبجى على ما فيها من قفزات وتسلقات وانحدارات وتعقيدات جبارة

وهى مغنية طيعة ، إذا ساقها فنان فياض مثل زكريا أحمد ، أدت له بصوتها الممتاز الكامل كل ما يجول فى خاطره من صوت

بكل ما يضطرم فى نفسه من إحساس وعاطفة

ولكنها مغنية مستخفة بكل شيء ، إلا صوتها ، فكم أذاعت على الناس أخيراً من ألحان ليس فيها إلا زعيق وصراخ ، معتمدة فى ذلك على أن الناس يسمعونها حتى إذا قالت « ريان يا فجل » !

حرام عليها أن تفعل هذا ، ولكنها تفعله لأن بعض الملحنين غال ، وبعضهم رخيص ، والرخيص يسد أحياناً مسد الغالى ، وأين هم الناقدون والذين يفهمون ؟

وهى أيضاً ممثلة خفيفة الروح، غنية الشاعر، مجتهدة الحس... وهى أيضاً ناقدة سريعة الفهم صادقة التعبير عما تفهمه ... ولها استعداد جامح نحو الفلسفة والتعمق فى التفكير ، ولكن الظروف لم تهيء لها من يعاونها فى هذا الاتجاه . وهى تشعر بتعطشها إلى هذه الناحية ، فتقرأ وتحفظ وتطلع ... ولكن قراءتها وحفظها واطلاعها أشتات ، وإن كثرت ، فلا رابط بينها على أى حال . إنها فنانة مشبعة

الآنسة سهير القلماوى

صورة نسوية جامعية للأستاذ محمد عبد الوهاب : هو له فن ، وهى لها فن ؛ ولكن لكل منهما نفساً تشبه نفس صاحبه ، وروحاً تشبه روحه

الآنسة « مى »

لم أرها إلا مرة واحدة، سمعتها فيها تلقى محاضرة بالفرنسية عن الشرق والغرب ، وأنا محصولى من الفرنسية تافه ، ولكنى مع هذا كنت أفهم ما كانت تقول الآنسة مى ، ولم يكن هذا ليحدث ، إلا لأنها كانت تقول كلاماً خارجاً من أعماق نفسها ، فهو إذا قيل لم يكن اللسان وحده هو الذى ينطق به ، وإنما كانت تقوله مع لسانها عيناها وجوارحها جميعاً ، وأعصابها وروحها جميعاً

ولا ريب أن لهذا الانجراف الروحى وراء الأفكار والخواطر أثراً فى النفس والأعصاب . ولا ريب أن الآنسة مى تعانى آلاماً كثيرة يجرها عليها هذا الصفاء وهذا التدفق ...

كان الله فى عونها من أحلامها ووثباتها ، وانحباس الفكر فى نفسها ، وانطلاق الفكر من نفسها ...

أين هى الآن ؟ !

الآنسة جميلة العلايلى

كاتبة وشاعرة وقصاصة حارة هى أيضاً ، وصادقة ، ولكنها عاصفة صغيرة ... وهذا شأن الهواة جميعاً .

الآنسة ابنة الشاطىء

استطاعت أن تلفت الأنظار إليها بسرعة . فملأت الدنيا كتابة عن الريف والفلاحين وحياتهم . وهذا الموضوع لا شك فى أنه أشد الموضوعات المصرية خطورة ، وقد كان لابنة الشاطىء فيه جولات مجيدة

ولكنى سمعت أنها « دحلابة » وأن لها برنامجاً رسمته لحياتها وهى تريد أن تحققه، وهى تستعين على تحقيقه بالكتابة . وهذا إذا صح آخذه عليها ، لأن من عادة البرامج دائماً أن تكتنف الفن وأن تقيده ، وأن تطمسه أحياناً ، وأن تدس إليه الأباطيل و « التزاويق » الفارغة ...

اسمها « عائشة عبد الرحمن »

السيدة أمينة محمد

ليس فى مصر راقصة مقتنعة بأن الرقص فن جميل إلا أمينة محمد . فكل الراقصات المصريات يحسبن الرقص احتيالاً على تعرية البدن وإظهار محاسنه وتناسقه وليونته ، ولكن أمينة تتخذ من جسمها وسيلة تعبر بها عن معان يندر أن تكون بينها وبين الغريزة الجنسية صلة . وكما أنها تستعين على هذه المعانى بجسمها فهى تستعين عليها أيضاً بوجهها .

وإن لها عينين تقول بهما كل ما يجول فى نفسها ، كما أن لها شفتين تؤكد بهما ما تقوله عيناها . ولو كان جمهورنا فى مصر ينظر إلى الراقصة من أولها إلى آخرها ولا يقف نظراته على مواطن خاصة منها لانفردت أمينة محمد بالرقص فى مصر . ولكن جمهورنا كما نعرف

ولست أدرى لماذا لم يفكر نجيب الريحانى فى أن يضم إلى فرقته هذه الفنانة التى تملأ مكان الراقصات الأوربيات اللواتى يمرضهن أحياناً ، كما أنى لا أدرى كيف تهمل الفرقة القومية الرقص فلا تدخر فتاة مثل أمينة تمثل فيها هذا الفن

ولكنى نسيت أن الفرقة القومية لها نامها ، وبعثاتها ، وهى لا تعترف بأمينة ولا غيرها ممن كالحن فى مصر وأوربا وأرغمن أهل الغرب على احترامهن وتقديرهن

السيدة فردوس محمد

أستاذة لها دراستها الخاصة فى الحياة ، ولها من وراء هذه الدراسة فنها الخاص وأسلوبها الخاص

لا أذكر أنى رأيتها قبل «هوجة» الأفلام المصرية الأخيرة، ولا أذكر أنى رأيتها فى دور إلا وامتلأت اقتناعاً بها

مصرية صميمة فى نظراتها، وفهمها وتعبيرها . لا أظنها تنكل عن دور مصرى عصرى ، إن لم يكن تمثيلاً فتدليا ... أى أنها تملمه لغيرها إذا لم يكن الدور يليق بها

السيدة احسان الجزايرلى

« أم احمد »

ممثلة كوميدية يقول النقاد عنها إنها شعبية ، ويقصدون من وراء قولهم هـذا أنها ليست أرستقراطية . والواقع أن الأرستقراطية فى الفن ليست شيئاً غير ثقل الدم والظل . وقد أنقذ الله «أم احمد» من هذا ، فهى تمثل كما تنطلق القنبلة ، فتنفجر فى النفوس ضحكات وقهقهة

وهى لا تريد من الناس شيئاً أكثر من ذلك . وقد تركت الأرستقراطية لغيرها .

السيدة مارى منيب

معلمة إحسان الجزايرلى . أو هى « أم أحمد » القديمة

وهى تعمل اليوم عند الريحانى ، وهو يعرف كيف يستغلها ، وهى تعرف كيف ترضيه على ما فيه من قسوة فى عمله وملاحظاته ، كما أنها تعرف كيف ترضى جمهوره على ما تربى فيه من براعة الذوق

فنها غير محدود لأنها لا تقلد ولا تتقيد ، وإنما هى تلون نفسها حسبما يتطلب دورها ، وهذا أقصى ما يطلب من الممثل أو الممثلة

ميمى وزوزو شكيب

لم أكن أصدق أن هاتين السيدتين ستستطيعان أن تحتفظا بمكانتهما على المسرح أكثر من موسم واحد . ولكن الريحانى ثبتهما فسكانتا من كراماته

هما فى الأصل تنيظان وتكيدان ... ولكنهما اليوم تضحكان ... على أن الذى يتأملهما ويتأمل ضحكه منهما يرى أنهما لا تزالان ...

الآنسة أمينة رزق

بطلة الأستاذ يوسف وهبى وتلميذته وذراعه اليمنى . فتاة لها « شخصية » تجبر على الاحترام . فيها براءة ظاهرة تمازجها أمارات الحكمة

لا بد أن تكون أمينة رزق فيلسوفة إلى جانب ما هى ممثلة

السيدة علوية جميل

سيدة مصرية ناضجة ، رزينة ، عميقة هادئة ، وأخلاقها هذه تظهر فى تمثيلها ، والأستاذ يوسف وهبى يعرف فيها هذه الأخلاق فهو يسند إليها ما يلائمها من الأدوار فتؤديها على خير ما يمكن أن تؤدى به ...

يراد بها أحياناً أن تمرح ، ولكنها إذا مرحت ظهر لمن يرى أنها تستثقل المرح . وقد يرجع ذلك لسبب لعله من خصائصها هى ...

فتحية ومفيدة أحمد

أختان مغنيتان . فتحية الكبيرة ومفيدة الصغيرة . كلما رأيتهما أو سمعتهما حسبتهما أزهريتين ، مع أنى أعلم أنه لا صلة للأزهر بالنساء . وقد يكون ذلك لأن أباهما كان شيخاً وأنهما استقتا فنه وروحه وحركاته وإشاراته

وهما قريبتان جداً من كل روح مصرية . وهما تصدقان كثيراً فى غنائهما لأنهما تحبان الغناء حقاً ؛ وقد كانت كبراهما فتحية من ربيبات سيد درويش اللواتى كانت تهتز لهن روحه ...

عزيز أحمد فهمى



بعيداً عنـــا في مجــاهل الكون

للدكتور محمد محمود غالى

الموجات الكهربائية وباطن الأرض — الحواس أجهزة طبيعية — الكلب هول — الحمام الزاجل — فى طريق تعرفنا صفات محتملة لغيرنا من الأحياء على الكواكب .

لو أن أحداً من الناس قال لنا إنه يستطيع ، وهو فى طائرة ، أن يعرف هل يُخفى باطن الأرض التى يعلوها بترولاً أو ماء ، ويعرف عمق الطبقة الموجود فيها هذا البترول أو هذا الماء ، ويعرف، فوق ما ذكرنا، أيكون الماء الموجود تحت طبقة الأرض التى يطير فوقها ملحاً أم صالحاً للشرب ، دون أن ينزل من طائرته على سطح الأرض ، ودون أن يلجأ إلى حفر آبار فيها ، لقلنا فى أنفسنا إن قوله هذا حديث خرافة

ذلك أننا معتادون دائماً أن نصدق ما هو فى حدود حواسنا وأن نؤمن بما تستطيعه هذه الحواس، فتفكيرنا مرتبط بمقدرتها واستيعابنا الكون متعلق بعملها ، وكثيراً ما ننسى أنه بدراسة طبيعية فى الكون ، وما ينتج عنها من ابتكار أجهزة دقيقة ، نستطيع أن نجد وسيلة لامتداد حواسنا وسبيلاً لاتساع نطاق أعمالها ، بحيث نصبح فى ظروف عديدة قادرين مثلاً على أن نرى ما كنا عاجزين عن أن نراه، ونسمع ما كان يستحيل علينا سماعه .

ولا يدهش القارئ بعد ذلك من استطاعة الطائر أن يعرف ما هو دفين فى باطن الأرض ، فنى هذه المسألة بالذات وفيما يخص البترول أو الماء نجح العلماء فى ظروف خاصة نجاحاً يبعث على الدهشة ، وبوسائل علمية حديثة وأجهزة طبيعية دقيقة توصل العلماء إلى معرفة ما تخفيه الأرض من بترول أو ماء دون اللجوء إلى وسائل الحفر المعروفة ، وليس المجال هنا لندخل فى تفاصيل هذه المسألة التى يتوافر على دراستها بالتفصيل كل من أتيحت له فرصة دراسة علوم الطبيعة الأرضية Physique du Globe فقد بات من المعروف أنه يمكن بدراسة خاصة ، يقوم بها المهندس وهو على سطح الأرض أو بعيداً عن سطحها ، أن يستنتج الشيء الكثير عن باطنها ، بمعنى أن دراسة طبيعية فوق الأرض تؤدى إلى معرفة جيولوجية فى جوفها ، تكون فى كثير من الأحيان عظيمة الأثر

إنما أحدث القارئ فى هذا عندما ننتهى من استعراض الحلقات العلمية الكبرى التى توصل إليها الإنسان فى عصرنا الحديث مما له اتصال بتفكيره ، عندئذ أحدثه فى مسألة أتاح لنا الفلاح المصرى معرفتها ، وذلك بالإنفاق على بعثتنا فى الخارج ، وأتاحت لى الظروف بعد العودة القيام ببعض الأبحاث[1] عنها ، وذلك مع أحد المؤسسين للطريقة المعروفة باسم : « الطريقة الألكتروديناميكية » الخاصة بالتنبؤ بما فى باطن الأرض

وهذا الباحث الذى صادفته فى مصر منذ أربعة أعوام ، واشتركت معه فى القيام بأبحاث علمية تدور حول هذا الموضوع هو « هنريش لوفى » Heinrich Lövy من « فينا » ، وهو الذى قام بتجارب علمية قيمة أجراها من منطاد « زبلن » المعروف حيث كان يقوم ببعض التجارب الكهربائية الخاصة بهذا الموضوع فى أثناء رحلات هذا المنطاد المتعددة بين ألمانيا وأمريكا

***

إنما ذكرنا هذه الأبحاث التى قام بها « لوفى » Lowy منذ سنة ١٩١٠ والتى ساهمنا فيها بقسط يسير فى السنين الأخيرة لغرض واحد ، ذلك أننا نريد من القارئ أن ينظر إلى ما نملكه من الحواس النظرة العلمية الصحيحة التى نفهمها منها ، وألا ينسى – كما يحدث لكثير منا – أننا وإن كنا فى حاجة إلى هذه الحواس لمعرفة كنه العالم الذى نعيش فيه أو معرفة شيء عن العوالم البعيدة عنا ، فإنها لا تكفى بذاتها للقيام بشتى هذه المعارف ، وأن هناك من العلوم عامة والعلوم الطبيعية خاصة سبيلاً نستطيع به أن

(١) نشرنا هذه الأبحاث فى « الجرلاند بتراج زير جيوفيزيقا » التى تصدر فى ميونيخ ، ويجد الذين يهتمون بهذه المباحث الطبيعية بعض النتائج العلمية والعملية التى توصلنا إليها فى العدد ٥٢ من ص ٣٣٤ إلى ٣٤٣ سنة ١٩٣٨ كما يجد أبحاثنا هذه فى أعداد أخرى من الجرلاند وفى المجلة الفلسفية الانجليزية Phil. mag. العدد ٤٥٧ مجموعة ٢٦ ص ٤٠٣ بتاريخ أكتوبر ١٩٣٨ Gerlands Beiträge Zur Geophysik, vol. 52, p. 334 — 343, 1938 Akademische Verlagsgesellschaft m. b. H. in Leipzig.

نُـعَـدِّل فى مقدرة هذه الحواس ، فتصبح بما نضيفه إليها من أجهزة طبيعية أكثر استطاعة على استطلاع حقائق الوجود ، وأعظم شأناً فى معرفة أسرار الـكون

ثمة مسألتان نود أن يتأملهما القارئ : الأولى أن الحواس فى ذاتها أجهزة طبيعية يمكن بذكاء الإنسان أن تمتد كما ذكرنا فتصبح أقوى على المعرفة وأقدر على الاستنباط ، والثانية أن الحواس ذاتها تختلف عند المخلوقات الحية التى نعرفها فى قدرتها ومواهبها اختلافاً بيناً ؛ ومنها ما هو ليس بحاجة لهذا التحايل الذى يعمد إليه الإنسان وهذا الامتداد الذى يجعل منه مخلوقاً أقوى من طبيعته ، وعن المسألة الأولى ذكرنا أننا لسنا فى حاجة إلى حفر بئر عميقة لنعرف مقدار مستوى الماء أو البترول تحت سطح الأرض ، وعن الثانية نذكر القارئ بمثالين طالما سمعهما وقد لا يكون أعارهما الالتفاتة التى نرجوها الآن

الأول : كلنا سمع بالـكلب « هول » الذى استطاع البوليس المصرى بعد تدريبه أن يجعله قادراً على أن يتعرف الجناة من آثارهم ، وهو حيوان لا يخطئ عادة فى القيام بهذه المهمة ، مهما كان الأثر ضعيفاً ، ما لم تمر مدة كافية بين حدوث الأثر وبين إحضاره

وإنى أقص على القارئ حادثة وقعت لى شخصياً مع الـكلب « هول » ؛ فقد أردت بتجربة بسيطة أن أتعرَّف مدى قدرته على معرفة صاحب الأثر ، فأخرجت « البيبة » التى أدخن عادة بها ، ولمست بها الحائط بعيداً عن الـكلب وبحضور جمهور كبير من الناس ، بحيث لم يشاهدنى عند لمس الحائط بطرف هذه « البيبة » ، بعد ذلك ، ودون أن يرانى ، أعطيت « البيبة » إلى أحد الأشخاص العديدين الذين حضروا هـذه التجربة ، ولم يخفها فى جيبه ، بعـد ذلك وجه « الصول » المـكلف بتدريب الـكلب هذا الحيوان نحو الأثر ، وتركه يشم الموضع من الحائط الذى لمسته « البيبة » ، ولم يمض بضع دقائق حتى سعى الـكلب إلىّ يتعرّفنى رغم الازدحام ، ولم يَسْـعَ إلى صاحبنا حامل « البيبة » ، ذلك أن فى هذه « البيبة » آثارى لا آثار من حلها أخيراً فى جيبه ، وذلك أن فى « البيبة » شيئاً منى يشعر به الـكلب ، ولا تستطيع حواسنا الضعيفة أن يكون لها هذه القدرة من الشعور

الثـانى : كلنا سمعنا بالحمام الزاجل ، إننا نستطيع أن نأخذ واحداً من هذا الطير العجيب من قفص مقفل ، لا يرى منه ما هو حوله ، ونسافر به من مكمنه الأصلى إلى بلدة بعيدة عن البرج الذى تَعَوَّده ، ويصح أن تبتعد هذه البلدة بضع عشرات الكيلومترات عن برجه الأصلى ؛ ومع ذلك لو أننا تركنا ذلك الطائر حراً بعد ذلك السجن وذلك الابتعاد لعاد أدراجه إلى حيث موطنه الأصلى ؛ ويمكن أن نستدل من الحساب على أنه يعود فى وقت يتفق مع السرعة المعروفة عن طيرانه ، وبعبارة أوضح يعود الطائر إلى مكانه الأول ، دون إجراء بحث جدّى عن هذا المـكان ، أو إضاعة وقت فى سبيل العثور عليه غير الوقت اللازم للقيام بهذه الرحلة الطويلة

ترى ما هى تلك الصلة الموجودة بين الطائر وبين المـكان الذى اعتاد أن يعيش فيه ؟ ترى هل هذه المقدرة على العودة ترجع إلى تركيب خاص فى حواسه ، أو إلى أسباب طبيعية أو كهربائية تربطه بهذا المـكان بالذات ، ولا نزال نجهلها ؟ . كل هذا حدس وتخمين ، وليس المجال هنا لندخل فى تفصيلات هـذه المسألة ، وليس المجال لنردد للقارئ بعض الآراء التى استعرضها لنا مسيو « بيلان Belin » ، مخترع البيلانوجرام ، أو جهاز نقل الصور باللاسلـكى ، عند زيارته مى لأحد أبراج هذا الحمام فى ضَيْعَة قضينا فيها يوماً من أيام مارس سنة ١٩٣٨ فى ضواحى القاهرة

وإنمـا أريد أن أخرج من هذا بشىء واحد ، ذلك أن للـكلب هول وللحمام الزاجل ولغيرهما من المخلوقات التى نعرفها والتى لا نعرفها مقدرة تفوق مقدرتنا فى تعرف بعض المسائل الخاصة بالكون الذى يحيط بنا أو الذى نحن جزء منه

ولعل القارئ يتفق معنا الآن على مسألتين يصح أن يتذكرهما

الأولى : هى ضعف حواسنا ، واستطاعتنا أحياناً اللجوء إلى امتداد عملها بما نضيفه إليها بذكائنا من أجهزة طبيعية تصبح متممة لهذه الحواس . والثانية اختلاف هذه الحواس فى القدرة اختلافاً كبيراً عند الـكائنات الحية

نعود مع القارئ بعد هـذه الرحلة التى ذكرناها إلى ذلك المخلوق الذى تكونت عنده حاسة النظر بحيث يرى الأشياء الجسمة بطولها وبعرضها ولا يستطيع أن يُميِّز منها ارتفاعها ، وهو المخلوق الذى قلنا عنه فى مقال سابق[1] إنه يرى الأشياء

(١) الرسالة مقال « حرب ونضال — تأملات فى مجاهل الـكون » العدد (٣٦١ — ٣ يونيو سنة ١٩٤٠) ص (٩٤٧ — ٩٤٩)



حركة النشر في دمشق - عتب وبيان

حضرت مجلساً فيه جماعة من المؤلفين والناشرين ، فكان من حديثهم أن دمشق ضائعة بين مصر ولبنان ؛ فلا هي ترتضي مذهب لبنان في الأدب ، ولا مصر تلقى لها بالاً وتحفل بها ، وساقوا على ذلك أمثلة كتباً كثيرة أهديت إلى المجلات المصرية وإلى كبار نقاد مصر ، فأهمل أكثرها فما كتب عنه حرف واحد ، وكتب عن بعضها ما لا يكفي ولا يفي ؛ فرأيت أن أذكر لقراء الرسالة بعض هذه الكتب ليطلع عليها من يهتم بحركة النشر في دمشق ، ويعلم أصحابها أن العرف لا يذهب بين الله والناس ، وليكون ذلك عتاباً لإخواننا نقدة الأدب في مصر وذكرى

فمنها (سيد قريش) للأستاذ معروف الأرناؤط ؛ وهي من أجل ما أخرج أدباء القصة العربية في زماننا . ومنها روايته الأخرى (عمر بن الخطاب) ، فإنهما على انتشارهما في الشام والعراق ودخولهما كل منزل ما كتب عنهما في مصر ولا تعرض لهما النقاد . ومنها (المتنبي) و(الجاحظ) للأستاذ شفيق جبري ومنها الكتاب القيّم (جولة أثرية في سورية الشمالية) للأستاذ وصفي زكريا ، حتى أن منها كتاب (الإسلام والحضارة) للأستاذ الكبير كرد علي ، لم أقرأ لناقد من النقاد المعروفين شيئاً عنه ولا عن كتابه الآخر (أمراء البيان) . ومنها (سيرة أحمد بن طولون) للبلوي ، وهو كتاب جليل نشره الأستاذ كرد علي وعلّق عليه وقدّم له ، ومنها (أعلام النساء) لعمر رضا كحالة في (١٦٦٨) صفحة ، جمع فيه من تراجم النساء ما لم يجمعه كتاب قبله ، ومنها كتب أساتذة الجامعة ، ولا سيما أساتذة كلية الطب ، الذين قاموا بأعظم عمل يمكن أن يقوم به أمثالهم لخدمة اللغة ، فوضعوا المصطلحات العربية لكافة الأمراض وما يتصل بها ، والأدوية وأعضاء الجسم ، ومن كتبهم (فن الجراثيم) للطبيب اللغوي الأديب الدكتور حمدي الخياط في (١٨٦٠) صفحة معها لوحات فنية كثيرة ، و(صحة الأسرة) له

في صور تختلف عن الصور التي نراها عليها ، فهو يرى من عل مركبة الترام مستطيلاً ، ويرى الكمساري والسائق دائرتين إحداهما ثابتة والأخرى متحركة على حافة هذا المستطيل ويرى الراكبين دوائر متراصة في صفوف متوازية

هنا نذكر للقارئ شيئاً ذكرناه من قبل ، ذلك أننا في حاجة إلى ذكر هذا المخلوق العجيب لكي نشرح موضوعاً يتراءى لذهننا ويجول بخاطرنا، موضوعاً كان استعراضنا لمظاهر الإشماع سبباً لالتماعه في الذهن واقترابه في الفكر؛ وقد وجدنا ونحن نخاطب القارئ أننا في حاجة قبل المضي في هذا الموضوع إلى الرجوع رويداً إلى معرفتنا لحواسنا وفهمنا لقدرتها ، وإلى ذكر ارتباط بينها وبين ما يستنبطه الإنسان كل يوم من أجهزة طبيعية دقيقة

وسيرى القارئ ، أن بين الإنسان الحاد الذكاء والكلب هول العجيب ، والحمام الزاجل ، وهذا المخلوق الذي يرى من الكمساري دائرة تنتقل ، وبين ما نريد أن نتخيله أو نفترض وجوده من مخلوقات على الكواكب السيارة (سواء أكانت هذه المخلوقات موجودة على الكواكب التي تدور حول شمسنا أم كانت حول غيرها من الشموس) نوعاً من الارتباط ، نود أن نتبينه عند ما نجيز لأنفسنا التحدث عن مخلوقات غير تلك التي عهدناها على الأرض

وما مقالنا السابق أو مقال اليوم إلا نوع من الداعبة العلمية السائغة ، كانت النفوس في حاجة هذه الأيام إليها ، وذلك للترفيه بعض الشيء عن القارئ إزاء ما يحدث في العالم من تغييرات سريعة ، وما هو واقع اليوم من تطورات ربما كانت أكبر ما عرفناه في التاريخ ؛ تلك التطورات التي تجري اليوم في أوربا ، والتي يحتمل أن يكون لها أثر على حياتنا في مصر

وإذا كنا قصدنا هذا النوع من الترفيه أو الراحة مع القارئ في مقالين متتابعين ، وإذا كان هذا سيظل رائدنا في المقال القادم أيضاً ، فإنما ذلك لكي ننشط إلى عمل ، أكثر إلى الجد منه إلى الداعبة ؛ عند ذلك نعود إلى حظيرة العلم الذي لا يعرف في البحث غير التقرب من حقيقة الكون

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

فى (٤٠٠) صفحة، و (الصحة العامة والاجتماعية)، (١٠٠٠) صفحة، وكتاب (فلسفة الطب) للدكتور حسنى سبح عميد كلية الطب، وهو سبعة أجزاء صدر منها ثلاثة فى (٢٧٠٤) صفحة، وله كتب أخرى، و (علم الأمراض الجراحية) للدكتور مرشد خاطر فى نحو (٤٠٠٠) صفحة، ومنها كتب أساتذة الحقوق، فارس بك الخورى، وله (علم المالية) و (شرح أصول المحاكمات الحقوقية)، وسعيد محاسن بك نقيب المحامين، وله الشرح القيم على مجلة الأحكام العدلية، وله (القانون المدنى الإسلامى)، وشاكر بك الحنبلى، وله (الحقوق الأساسية) والمباحث القيمة فى الحقوق الإدارية

ومن الكتب التى نشرت فى دمشق (فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى) و (ديوان الكاظمى) و (أصول التفسير لابن تيمية) و (بحر العوام لابن الحنبلى) و (البخلاء للجاحظ) و (المنقذ من الضلال للغزالى) و (إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقى) و (الإجابة للزركشى) و (المفاضلة لابن حزم) و (طوق الحمامة له أيضاً) و (روضة المحبين لابن القيم) وهما كتابان فى الحب لإمامين من أعظم أئمة الدين و (فتاوى الإمام النووى) و (الرسالة المستطرفة للعلامة جعفر الكتانى) فى تاريخ علم الحديث و (الصبح المنبي للبديعى) و (ذكرى الشاعرين) و (تهذيب تاريخ ابن عساكر) و (عبد الله بن المقفع للأستاذ الجندى) و (الجاحظ) و (ابن العميد) و (الصاحب) و (ابن المقفع) للأستاذ خليل مردم بك، و (امرؤ القيس) للأستاذ الجندى و (أبو بكر الصديق) و (عمر بن الخطاب) للطنطاوى، و (خالد بن الوليد) لكحالة، و (أسواق العرب) للأفغانى .

وأنا أظن أن هذا كله، وهذا بعض ما نشر فى دمشق لم يحفل به، ولا يمضه ناقد من كبار نقاد مصر، أفلا يحق لنا أن نعتب، وأن نذكر، وأن نرجو، وأن ننتظر ؟

علي الطنطاوي

فتوى لجنة الافتاء بالأزهر فى فائدة الأربعاء

لا أنكر أن فتوى لجنة الإفتاء فى هذه الفائدة خطوة موفقة فى سبيل الإصلاح الدينى، والقضاء على ناحية من نواحى الفساد فى البلاد، ولكنى آخذ على اللجنة أنها اهتمت فى هذه الفائدة بناحية الشكل، ولم تهتم بالأصل الذى تقوم عليه من جواز التوجه إلى أصحاب الأضرحة فى قضاء الحاجات، بقطع النظر عما يلجأ إليه فى ذلك من تحديد زمان أو مكان أو كيفية للعبادة لا أصل له وقد أفتى العالم الكبير فى هذه الفائدة بجواز التوجه إلى أصحاب الأضرحة فى قضاء الحاجات، ولا شك أن فتوى لجنة الإفتاء جاءت رداً على فتواه، فلم يكن من اللائق مع هذا أن تهتم فتواها بما اهتمت به، ولا تعطينا حكماً صريحاً فى ذلك الأصل الذى قامت عليه تلك الفائدة، فهل يليق أن يبقى عامة المسلمين على ما هم عليه الآن من الاعتقاد فى تأثير أصحاب هذه الأضرحة فى أمور دنياهم، وتجاهل الأسباب المشروعة التى سنها الله تعالى، وهل قامت هذه الأضرحة على أساس صحيح، وهل قيست ولاية أصحابها بمقياس الولاية فى الشرع ؟ ورأيى أنا أن كل هذا لا يصح أن يبقى بيننا، وأنه يجب أن نتخلص منه، ولنا فيما فعلته بعض الحكومات الإسلامية أحسن أسوة (عالم)

١ – حول آية المطعام الطعام

اطلعت على ما كتب فى « الرسالة الغراء » فى هذا البحث، فأرجو أن يتذكر الأستاذ محمود محمد سويلم أن (خصوص السبب لا ينافى العموم) فسيدنا على رضى الله عنه داخل فى هذا العموم دخولاً أولياً بالنظر إلى أنه سبب نزول الآية

وأول من ضرب على هذا الوتر بتوسع هو الحافظ بن تيمية فى كتابه (المنهاج) وكون السورة مكية ليس بأمر مقطوع به

٢ – نيف

كنت أرى بعض الكتاب الناشئين يستعملون كلمة « نيف » قبل العدد، ثم رأيت الأستاذين العقاد وكرد على يستعملانها كذلك فوجب التنبيه على صحة استعمالها :

قال فى القاموس المحيط (والنيف ككيس : الزيادة، يقال عشرة ونيف)، وقال فى المصباح المنير (ولا يقال نيف إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومائة ونيف وألف ونيف)، وكذلك فى كتب اللغة الأخرى

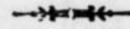
حفيظى على موسى



من أثر الوعيد

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار



ركب الضابطان : « كامبل » و « هاريس » جواديهما واتجها إلى الغابة ، وكان الفصل فصل الربيع ، والجو دافئاً ممطراً ، وكان يلذ لهما إمتاع النظر فى ألوان الطبيعة والسكون فى الغابة البعيدة عن جلبة الحياة وضوضائها . ولما ابتعدا عن المدينة رأيا أبنيتها الضخمة كأنها قطع من الأحجار الملوّنة ، وبجانبها نهر الرين ، وقد انعكست عليه أشعة الشمس ، فبدا كأنه خط من النور

وأشعل كل من الصديقين لفافة ، وألقى « كامبل » عود الثقاب وراقبه وهو يسقط على الأرض ، فرآه قد وقع على كثيب من الحشائش الجافة المتروكة فى الصيف الماضى

وسرعان ما اشتعلت هذه الحشائش ، وكان الرجل طيب القلب ، فلم يترك النار تلتهم الغابة ، فنزل هو وصاحبه فأطفآها . ورأيا فى هذه الأثناء وراء الكثيب المحترق طريقاً ضيقاً بين الأشجار ، فقال كامبل :

— ألا ترى هذا الطريق ؟ أتعرف إلى أين يؤدى ؟ دعنى أمر منه ...

فأجابه :

— بل تعال نركب ، لأن الجوادين يتصببان عرقاً ، وقد يضربهما الوقوف الآن

ولكن « كامبل » أصر على الذهاب وقال : إنه سيعود سريعاً . ثم اختفى بين الأشجار التى وراء الكثيب ، وامتطى هاريس جواده ، وظل يدخن لفافته ، منتظراً عودة « كامبل »

وكان كامبل كثير التطلع إلى شئون الغير يحب أن يعرف كل شىء ويتدخل فى كل أمر . وبعد دقائق سمع صوت صاحبه يناديه ، وكان الصوت ضعيفاً ، فنزل عن جواده وجرى نحوه بعد أن ربط الجوادين . ولم يزل يجرى حتى رأى كهفاً منسماً ، وسمع صوت كامبل آتياً منه ، فدخل الكهف محترساً وهو يشم رائحة غريبة ، وقال كامبل : « هل تشم شيئاً ؟ إننى أشم رائحة ميت ؟ هل معك كبريت ؟ إننى لما جئت تذكرت أن ما معى منه قد نفد »

فقال هاريس : « ليس معى غير عيدان قليلة » ، ثم أخرج علبة الثقاب وقال : « ليس فيها غير عودين فخذهما »

أشعل كامبل أول عود فلم يحترق ، وأشعل الثانى فرأيا على نوره الضئيل كتلة سوداء لم يتبيناها ، وتصاعدت من جهتها رائحة كريهة ، ثم انطفأ العود وأظلم المكان ، فلم يعد كل منهما يستطيع رؤية الآخر

خرجا من الكهف متجهين إلى مربط الجوادين ، ولم يكد هاريس يرفع رجله ليضعها فى الركاب حتى صاح كامبل : « أنظر إلى حذائك ! »

فنظر وقال : « هذا دم ، ولست أعرف ما الذى كان فى الكهف ! »

وقال كامبل : هل تتذكر (إدى مالك جارى) الذى كان ضابطاً معنا واختفى فى الشهر الماضى ؟ »

فقال هاريس : « نعم أذكره ، وكان قبل اختفائه قد تخاصم مع أناس فى مقهى ، وقيل إنهم تضاربوا ثم اختفى ، فهل تظن أنه بهذا الكهف ؟ »

قال كامبل : « لست أعرف » ؛ ثم مشى الصديقان فى صمت . وبعد مدة قال كامبل : « لا تقل شيئاً يا هاريس حتى نتبين الحقيقة ، وسنتقابل غداً فأخبرك بنتيجة بحثى »

وكان كامبل يتردد على حانوت رجل خمار اسمه فرانز شافر ، وقد اشتهر هذا الرجل بمعرفته كل مكان فى المدينة وأكثر من فيها من الناس . وكان بينه وبين كامبل صداقة نشأت منذ جاء إلى هذه المدينة فى أول الحرب . وكان هاريس يعرفه أيضاً ويتردد على حانوته

فى هذه اللحظة ذهب هاريس إلى الحان وأخذ معه مقداراً من التبغ فأهداه إلى الخمار الألمانى الذى أبرقت عيناه، وقام إلى زجاجة من أجود النبيذ فقدمها إلى الضابط وأخذ يصف شوقه إلى اليوم الذى تعود فيه ألمانيا إلى مكانتها الأولى بين الشعوب ويسود فيه الإخاء بينها جميعاً، وقال إن الحرب الأخيرة كانت حرباً بشعة أثارتها العداوة من الجانبين ولكنها انتهت بحمد الله فانتهت معها كل الحروب. ثم سأل الضابط: أليس من رأيه أن الحروب لن تعود؟

فهز هاريس رأسه. وكان فى هذه اللحظة يفكر فى الكهف ويغلب على ظنه أن كامبل مخطئ فيما توهمه. لأن ماك جارى وإن كان ضيق الخلق سريع الغضب، فهو لا يترك نفسه لمن يقوده إلى كهف فيقتله فيه

واستمر الخمار يتدرج فى حديثه السياسى إلى أحاديث مختلفة عن أشخاص يعرفهم هاريس، فتردد الأخير فى إخباره بأمر الكهف. وبعد قليل قال:

« هل تعرف الطريق إلى جبل « برج الز » يا هر شافر؟ »

فقال الخمار: « كيف لا أعرفه وأنا كثيراً ما أذهب منه وصهرى مقيم فى « نيدورف » عند نهايته »

ثم تنهد وشرع فى وصفه ولكن هاريس قاطعه بقوله: « وهل تعرف الطريق الضيق القريب من نهاية الغابة؟ »

فحملق الألمانى فى وجه الضابط وراعه منه رنة غريبة فى صوته وتغير فى لهجته، فقال الخمار: « لماذا يا سيدى الهر؟ لماذا يا سيدى الضابط؟ »

ولكن هاريس استمر يسأله بلهجة المحققين: « وهل تعرف المكان الذى على بعد مائة متر على يمين هذا الطريق؟ »

فلم يجبه الخمار ولكنه ظل واجماً فاتحاً فمه لاعقاً شفتيه بحالة عصبية، وكان هاريس فى هذه اللحظة يتذكر ضابطاً عظيما استجوب أمامه أحد الحراس فشعر بالسرور لأن مهارته الآن فى التحقيق لم تكن أقل من مهارة ذلك الضابط الكبير بدليل ما ظهر من التأثر على وجه الخمار

ولقد كان الإجرام بادياً على الخمار فى هذه الساعة، وكانت عيناه تدوران كأنما تبحثان عن منفذ تتركان منه المحاجر وكانت خياشيمه تنتفخ والعرق يتندى من جبينه. ثم قال بعد ارتباك شديد: « لست أعرف هذا المكان »

فقال هاريس وهو يدق على المنضدة ليؤكد سؤاله: « ولماذا لم تقل ذلك من أول الأمر؟ »

وكان الخمار يحارب نفسه ليحملها على كتمان العواطف، وتظاهر بالغضب على كرامته تظاهراً جعل شكله مضحكا وقال: « لا تؤاخذنى يا هر إذا احتددت فإنى لم أنم جيداً ليلة الأمس، وأنت قد غيرت من لهجتك فاضطربت »

فقال هاريس بلهجة الساخر: « لم تنم جيداً ليلة الأمس؟ »

قال الخمار: « نعم وقد فهمت. إنك تريد اتهامى بمعرفة شىء عن هذه المسألة، عن هذا الكهف. ولكننى أؤكد لك أننى لا أعلم وأنا مستعد للذهاب معك إلى الغابة فى عصر الغد »

ثم هدأت أعصاب الخمار وعاد إلى خديه احمرارهما، ونظر إليه الضابط مبتسما وقال: « لا تنكر يا شافر! لا تنكر! فأنت تعلم الحقيقة بغير شك، إن لم تكن شريكا فيها. وأنت تريد أن تذهب منى إلى الغابة ... هذا حسن والله يا شافر! تريد أن تأخذنى أنت وصهرك إلى الكهف فتقتلنى كما قتلت « إدى ماك جارى »

ثم تغيرت لهجته من الهدوء إلى الحدة وقال: « سأمهلك إلى الغد لتعترف وإن تركت منزلك الليلة فسيراك رجالى، وإن لم تعترف غداً فإنك ستعتقل وتقدم للمحاكمة العسكرية، ومن يدرى؟ لعله يحكم عليك بالإعدام »

فارتعش الخمار وتصور منظر المحاكمة والإعدام ورأى القبر مفتوحاً أمام عينيه، وتذكر زوجته وأولاده وما يصيبهم من البؤس بعد موته، وفتح فمه وظل يقول: « لست أعرف! لست أعرف! »

وتركه هاريس على هذه الحالة وذهب وهو يعتقد أنه وفق إلى اكتشاف جريمة، وأن جبن الخمار كان دليلاً قوياً على أنه المجرم.

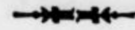
وفى الصباح التالى ذهب هاريس إلى كامبل فأخبره، وكان كامبل قد سمع خبراً لم يشأ أن يطلع صاحبه عليه حتى يلهو قليلاً ببساطته، فأظهر له الاهتمام وقال: « هلم مع حارس إلى الخمار ».

وذهبا مع الحارس إلى الحانة فوجدوا الخمار وزوجته وأولاده

الأب ...

مترجمة عن الفرنسية

بقلم الأستاذ محمد محمد حمدى



هو كاتب فى وزارة المعارف ومنزله فى إحدى ضواحى باريس ، ولذلك كان يركب عربة « الأمنوبيس » فى صباح كل يوم من منزله إلى الوزارة ؛ وكان يجلس دائماً أمام فتاة يشعر نحوها بعاطفة الحب

وكانت الفتاة تذهب إلى المحل الذى هى عاملة به ؛ وهى سوداء العينين بيضاء الجسم ناصعة البياض كأنها تمثال من العاج . وكان يراها تقبل كل يوم من منعطف فى نفس الطريق ، وكثيراً ما كانت تجرى لتدرك العربة وهى سائرة وتتعلق بها قبل أن يقف الجوادان ، ثم تجلس فى المكان الخالى وهى تلهث من التعب وتدير لحظها فيما حولها

ومنذ رآها « فرنسوا تاسيه » أعجب بجمالها ، وكانت الفتاة وفق أمانيه ورغائبه وصورة لخيال الحسن المنطبع على قلبه فأحبها من صميمه قبل أن يتعارفا

كان لا يستطيع أن يرد بصره عنهـا ، وكانت تخجل من من نظراته وتضطرب ، وقد أدرك ذلك فحاول أن ينض من بصره ولـكنه على غير إرادته كان يعود بين لحظة وأخرى فينظر إليها . وبعد أيام قليلة عرف كل منهما الآخر وإن لم يتكلما . وكان يترك مكانه ويقف خارج العربة إن أقبلت الفتاة والعربة مزدحمة . وكانت الفتاة إذ ذاك تحييه وهى مرخية أهدابها حياء من نظراته ولـكنها مع ذلك لم تكن تنضب من هذه النظرات

وأخيراً تحادثا ونشأت بينهما مودة سريعة ، وكان يقضى أمامها نصف ساعة فى كل يوم . ولكن هذه الأنصاف من الساعات كانت فتنة العمر . وكان يفكر فيها بقية يومه ويرى طيفها ماثلاً أمام عينيه ، لأن حبها كان مستحوذاً على خياله متسلطاً على قلبه باعثاً فى نفسه تلك السعادة الجنونية التى يخال صاحبها أنه فى عالم غير عالمنا الإنسانى

وصارت تصافحه كل يوم فيحتفظ بالإحساس الذى تثيره هذه اللمسة الرقيقة من أصابعها الصغيرة فيظل ناعماً بإحساسه هذا إلى الصباح التالى وكان يقضى يومه وليلته فى انتظار الساعة التى يركب فيها الأمنوبيس ، وما كان شىء أبغض إليه من أيام الآحاد لأنه لا يستطيع فيها أن يراها . وكانت الفتاة تحبه بغير شك . وفى يوم سبت من أيام الربيع وعدته بأن تتمشى معه فى اليوم التالى بمطعم فى ضاحية أخرى

* * *

التقيا فى صباح الأحد عند المحطة ففاجأته بقولها : « أريد أن أكلمك قبل أن نذهب ، لقد بقى عشرون دقيقة على سفر القطار وهى كافية لمـا أريد أن أقوله »

وكانت ترتعش وهى تقول ذلك ، وتعلقت بذراعه وقد اصفر لونها ونظرت إلى الأرض واستمرت تقول : « أريد ألا تنخدع بى ، ولن أذهب معك حتى تعدنى وتقسم بأن تكون شريفاً معى »

ثم اصطبغ وجهها احراراً ولم تزد ، ولم يعرف بماذا يجيب

بيكون . وأعاد هاريس استجوابه ، والخمار يتنصل وهو يتوعده بأقسى العقوبات إذا لم يعترف ، ويعده بتخفيف العقوبة إذا اعترف

فلما لم يجد ذلك جلس هاريس أمام المنضدة وكتب بلاغاً وسلمه للحارس وأمره بأن يذهب به إلى رئيس البوليس

عند ذلك تبادل الخمار وزوجته نظرات ثم همس فى أذنه فقال :

« لا ترسل البلاغ وأنا أعترف لك »

فأخر هاريس إرسال البلاغ ، وجلس بهيئة جدية ، وصار يصغى إلى الاعتراف ، واعترف الخمار بأنه هو وصهره قتلا (أدى ماك جارى) وتركاه فى الـكهف

عند ذلك ضحك كامبل ضحكة عالية وقال : « لقد قبض بالأمس على ماك جارى فى باريس »

فدهش هاريس وقال : « إذن فما الذى رأيناه فى الكهف ؟ »

فقال كامبل : « هو خنزير ميت »

ثم خرج من الخان .

عبد اللطيف النشار

لأنه كان مضطرباً رغم شعوره بالسعادة فى هذا الحين ، وربما كان يتمنى من صميم فؤاده أن يكون كما ترجو ، ولقد كان يعرف أن حبه لها سيقل إن وجد منها خفة وطيشاً ولكنه كان أنانياً كسائر الرجال فى الحب

ولما لم يقل شيئاً عادت الفتاة إلى الكلام بصوت مضطرب وعيناها مغرورقتان بالدموع وقالت : « إذا لم تعدنى باحترامى فسأعود إلى المنزل »

فضغط على ذراعها برفق وأجاب : « أعدك بأن أسير على ما تريدين »

فزال اضطرابها وقالت وهى تبتسم : « هل تقسم على ذلك ؟ »

فقال : « أقسمت »

قالت : « تعال إذن نشتر التذاكر »

ثم ركبا القطار ولم يتكلما إلا قليلاً لأن العربة كانت مزدحمة فلما وصلا إلى الضاحيـة مشت معه إلى شاطئ السين ، وأطلت على مائه المنعكسة عليه أشعة الشمس ، وقالت : « ما أراك تظننى إلا حمقاء » . قال : « لماذا ؟ » . فقالت : « لأننى جئت معك وحدى إلى هذا المكان »

قال : « كلا . كلا . بل هذا شىء طبيعى ! »

فقالت : « إنه ليس طبيعياً بالنسبة لى ، ولكنه من الملل أن تتشابه الأيام والأسابيع والشهور ، فإننى أعيش مع أمى معيشة لا تجديد فيها ولا تغيير . وهى عابسة دائماً لكثرة ما تعانيه من السأم ، وأنا أحاول التغلب على نفسى وأضحك لأقل مناسبة . ولكن لا فائدة من ذلك . وقد أخطأت إذ جئت وما كان تخلق ليحزنك »

عندئذ قبلها فرانسوا قبلة حارة ، فغضبت فجأة وصاحت : « ما هذا يا مسيو فرانسوا ! أبعد أن أقسمت ؟ »

ثم مشيا إلى المطعم وهو بناء صغير منخفض عن الأرض ، أمامه أربع شجرات . وبعد أن تمشيا فى صمت وشربا القهوة عادت الفتاة إلى المرح ، ومشت معه على شاطئ السين ، وسألها عن اسمها فقالت : « لوسى » فأعاد اسمها « لوسى » ولم يقل شيئاً . وأخذت الفتاة تجمع الأقحوان النابت على الشاطئ ، وظل يغنى فى طرب كالنشوان ، وهما يمشيان تحت الكروم حتى ابتعدا نحو ميلين عن المدينة ، ولاح لهما بساط سندسى من الخضرة ، فأشار إليه ، وقالت : « ما أبهجه ! » ثم مشيا نحوه فجلسا على العشب ، وكان يتضوع حولهما عبير الأزهار التى أكسبها شعاع الشمس ألواناً مختلفة

وأغمضت عينيها وهى لا تعلم شيئاً غير تلك القبلة ولا تفكر فى شىء آخر ، وهى شاردة اللب مهتاجة الشعور من الرأس إلى القدم . ولكن سرعان ما شعرت بالخطب وبكت من الحزن وهى تستر بيديها وجهها ، وحاول أن يعزيها وهى تأبى إلا العودة فى الحال وصار يستمهلها وهى تأبى ، فلما نزلا من المحطة فى باريس تركته بغير أن تحييه .

***

ولما رآها فى الأمنوبيس فى الصباح التالى خال أنها أشد نحولاً وقالت : أريد أن أكلمك ، فتعال ننزل . ونزلا ، فقالت له : يجب أن نفترق ، فما أستطيع رؤيتك بعد الذى حدث

فقال : لماذا ؟

أجابت : لأنى لا أريد ، وقد أصبحت خاطئة وما أحب أن أعود

ولكنه توسل إليها ، وقد اشتدت به الرغبة فى امتلاكها . فقالت : كلا . كلا . فلا أستطيع ...

فألح ووعدها بالزواج ، ولكنها رفضت وتركته ، ومضى أسبوع لم يرها فيه ، ولم يكن يعرف عنوانها . وفى اليوم التاسع دق باب غرفته ، ففتحه ورآها تلقى بنفسها بين ذراعيه ، ولم تعد تقاومه . ومضت ثلاثة أشهر ، وهى تعيش معه معيشة الخليلة ، وبدأ يسأم منها . فلما أخبرته أنها حامل ، عزم على هجرها وقطع صلاته معها ، ولكنه لم يعرف الوسيلة إلى ذلك ، حتى جاء فى ليلة من الليالى ، فترك ذلك المسكن ، ولم يخبرها بمسكنه الجديد . ولقد كان وقع هذا شديداً على نفس الفتاة ، ولكنها ذهبت إلى أمها باكية وركعت عند قدميها واعترفت بالأمر كله . وبعد أشهر وضعت طفلاً

***

مضت سنوات وأصبح فرانسوا كهلاً ولم يتغير شىء من

نظام حياته بل ظل على المعيشة المملة بلا أمل ولا أمنية ؛ وكان كل يوم يمشى من طريق واحد ، فيجلس على مكتب واحد ويؤدى عمله الواحد . وفى أول كل شهر يتقاضى مائة من الفرنكات يستعين بها على شيخوخته . وفى أيام الآحاد يذهب إلى « الشانزليزيه » ليراقب المتنزهين فيها

وفى يوم من هذه الأيام بهت لما رأى سيدة تتنزه ومعها صبيان ، أحدهما يبلغ العاشرة والثانية تبلغ الرابعة . وكانت هذه السيدة هى صاحبته ، فمشى نحو مائة متر ثم ارتمى خائر القوى على كرسى ، ولم تكن السيدة قد لاحظته . وبعد قليل عاد لكى يراها مرة أخرى ، وكانت قد جلست والصبى واقف بجانبها فى سكون والطفلة تجرى وتلعب

ونظر إليها فلم يشك فى أنها هى وكانت نظراتها نظرات حزن وثيابها بسيطة وكان يراها عن بعد لأنه لا يجرؤ على الدنو منها ولكن نظره قد وقع على الصبى فارتعش وعرف أنه ابنه لأنه يشبه صورته وهو فى ذلك العمر . ثم اختفى وراء شجرة حتى تقوم فيتبعها إلى منزلها

ولم ينم فى تلك الليلة وكاد يجن من التفكير فى ابنه وسأل أهل الحى عنها فقيل له إن أحد جيرانها قد أخذته الشفقة عليها بعد ذلك الحادث فتزوجها وربى ابنها ، ثم ولدت له البنت

صار فرانسوا يتردد على الحديقة كل يوم من أيام الآحاد . وكان فى كل مرة يكاد يجن شوقاً إلى عناق ابنه وتقبيله والمودة به ، ومن ذلك العهد صار يتألم من الوحدة وأحس إحساساً مضاعفاً بالغيرة والندم والحاجة إلى النسل . ثم عزم على خطة لا يقدم عليها غير اليائس ، فذهب إليها ووقف أمامها وقال وشفتاه ترتعشان : « ألا تعرفيننى ؟ » فنظرت إليه وصاحت صيحة رعب وفزع ، ثم أخذت ابنها وخرجت من أمامه ، وعاد هو إلى المنزل باكياً ، ومضت أشهر لا يراها ، وكان ألمه يزداد يوماً فيوماً حتى تمنى الموت على أن يقبّل ابنه قبل أن يموت ، وكتب إليها فلم تجبه حتى بلغ ما كتبه عشرين خطاباً . ثم بدا له فى حالة من اليأس أن يكتب إلى زوجها واستعد لأن يكون الجواب رصاصة من مسدس ، وكان هكذا خطابه : « سيدى ! لا شك أن اسمى يزعجك ولكننى فى أشد البؤس والتعاسة ، ولذلك أجرؤ على استئذانك فى مقابلة قصيرة »

وفى اليوم التالى وصل إليه الرد وهو هكذا : « سأنتظرك غداً فى الساعة الخامسة »

* * *

ذهب إليه وهو خافق القلب حتى اضطر إلى الوقوف فى السلم عدة مرات . ثم فتح له الباب ودخل حجرة الاستقبال ، فوجد الزوج جالساً فى صدرها ، وهو طويل القامة عريض المنكبين ، وقد بدا عليه أنه يتوقع خطباً ، وأشار الزوج له بالجلوس فجلس وقال : « لعلك لا تعرفنى ولم تسمع اسمى ... »

فقاطعه الزوج قائلاً : « بل عرفت كل شىء من زوجتى »

قال فرانسوا : « أنا يا سيدى لم آت إلا لأقول لك إننى أسفت وندمت وحزنت ولا أطلب غير أن أقبل ابنى ... »

فدق الزوج الجرس وأمر بإحضار الصبى (لويس) فدخل الغرفة صبى فى العاشرة مندفعاً لرؤية الذى اعتقد أنه أبوه فوجد معه رجلاً أجنبياً فقبله الزوج ثم قال له : « إذهب فقبل هذه اليد »

فذهب الصبى ونظر إلى الضيف وكاد يغمى على فرانسوا . وقام الزوج فأطل من النافذة . وفى هذه الأثناء سقطت القبعة من يد الضيف فتناولها الصبى وأعادها إليه .

وعند ذلك أخذه بين ذراعيه وبدأ يقبله فوق خديه وعينيه وعلى جبينه وفمه وشعره ؛ فانزعج الصبى من هذه القبلات ودفع وجه الرجل بكلتا يديه ، فقام الرجل المسكين ووضع الصبى على الأرض وقال : « وداعاً ! »

ثم خرج متسللاً من الغرفة كأنه لص . **محمد محمد حمدى**

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }



8me Année No. 366

Lundi - 8 - 7 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٨ يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

على ماهر باشـــا



الآن وقد انفكَّ عن صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا سلطان الحكمين: المدنى والعسكرى، وأصبحت الكلمة فيه للحق الخالص الذى لا يرغب ولا يرهب ولا يجامل، نحاول أن نرسم هنا ظلال الرأى الذى ارتأيناه فيه على قدر ما تسمح به حال الصحفى الأدبى الذى يواكب من جانب ويراقب من بُعد، ولا يتصل بأولى الحكم اتصال دعاية، ولا بذوى الرأى اتصال مشايعة

لم أر على ماهر باشا فيما مضى من حياتى غير مرة واحدة منذ عشرين سنة فى مطبعة الاعتماد حيث كان يطبع كتاباً فى القانون وأنا أطبع كتاباً فى الأدب. وعلى الرغم من جلوسنا ساعة من النهار جنباً لجنب فى ذلك المكان الخشن المضيق الذى

كان يجمع يومئذ بين مكتب الإدارة وصناديق الحروف ، لم نتناول غير النظر الفارغ ، لأنه على ما يظهر من نفسه رزين متحفظ ، وأنا على ما أعرف من نفسي حيي متقبض

وتولى على ماهر باشا الحكم فكان لكل أديب ولكل صحفي من رعايته عون على الجهاد والاجتهاد إلا (الرسالة) ، فقد عاقبها وقساعليها في العقاب حتى لم تنل في عهده من المارف والداخلية إلا شيئاً يشبه الظلم إن لم يكنه . فأنا حين أكتب عنه لم أجد في نفسيَ منه إلا ما يجده المصرى الفلاح أو العامل من أثر الرجل الحكومى في عمله ، ومن نتيجة العمل العمومى في حياته . وألذ الأشياء في ذوق الضمير أن تشهد شهادة الصدق في رجل لا تربطك به علاقة من العلائق الحريرية أو الحديدية

* * *

على ماهر باشا رجل هيأته طبيعته وعقليته وعمله للمواقف الجلّى في عهدنا المستقل الحر . تولى رياسة الحكومة في وزارة المائة يوم فكان مثلاً عالياً للحكم الناسب في النشاط الشامل والتوجيه البصير والإصلاح المبتكر والنزاهة المكينة . وكان للنيب في هذه المدة قد تكشّف عن طور من أطوار العرش والدستور لا يؤمَن فيه الضلال على غير الإرادة الحازمة الرشيدة، فكان من توفيق الله أن تقلد الأمر هذا الرجل العظيم في تلك الساعة العصيبة فساسه على نهج واضح مأمون من اللقانة والأمانة والقدرة

ثم عاد فتولى الحكم حين أخذت العالمَ كله هذه الرجفةُ النازية الكبرى ، فسحقت الجيوش ، وثلت العروش ، وغيرت وجوه الأرض ، ونقضت أحكام الناس ، وقلبت أوضاع المجتمع ، وأصاب مصرَ منها ما لم تره في عمرها الحفيل الطويل ، فصرف الأمور في هذه العاصفة الراجفة بالذهن الثاقب المحتال ، والرأى الجميع الموفّق ، واليد القادرة الحازمة ، والسياسة المتيقّظة المستبصرة ، والخطة الصريحة الجريئة ، حتى اطمأن الناس إلى مصاير الأزمة ، وأمِنوا شر العاقبة

فأنت ترى أن اختيار القدر لهذا الرجل في هاتين المحنتين من غير سعيه ولا استشرافه لا بد أن يكون لسر من أسرار الطبيعة فيه تعلنه عند إعضال الأمر أو استفحاله

والواقع المأنوس أن على ماهر باشا فذٌّ بين ساسة هذا البلد في وسيلته وغايته وحكمه ؛ فهو لا يعتمد في ولايته على عصبية الأحزاب المتغالبة ، ولم يجر في حكمه على غطية الوزارات المتعاقبة ، ولم يجعل همه أن يدغدغ جسمه في كرسى الوزارة المخملى الوثير ؛ وإنما بلغ الزعامة بالكفاية المحض ، وعالج الحكم بالتدبير المبتدَع ، وسما بنفسه عن سفساف الأمور ومحاقر الأغراض ، وألقى باله للكبيرة والصغيرة ، وأخلص رأيه للحميم والخصيم ، وتعهد الأداة الحكومية في أوضاعها المختلفة ومواضعها المتعددة فجلا عنها الصدأ وعالج فيها الاضطراب ، حتى نشطت لعملها الدائب في اطراد واتساق ووحدة

ومن مزايا على ماهر باشا أنه رجل قانون ومنطق . وصاحب القانون يغلب عليه العدل والمساواة وهما روح الحكم ؛ وصاحب المنطق يغلب عليه الرأى والشورة وهما أصل الدستور . لذلك تهيأت له الفرص النوادر للاستبداد فأبى أن يعمل إلا على هَدىْ طبعه ووحى ضميره

لقد كان موقف صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا من سياسة الحليفة العظيمة موقفاً يتمناه كل زعيم عظيم بما بقى من عمره. ولولا أن حليفتنا الكريمة لا تزال تجرى في سياستها الشرقية على موروث من سوء الظن لوجدت في ماهر باشا أصدق حليف وأوفى معاهد يسلّمها من أخلاق قومه ما تجهل ، وينيلها من عواطف شعبه ما تريد . ولكنها أتاحت بهذا الموقف الأخير لعلى ماهر باشا أن ينتقش في ذاكرة الزمان الواعى أنبل ما صدر عن وطنيته وعبقريته من البراعة والشجاعة والإخلاص لوطنه ومليكه

* * *

لقد رفع ماهر باشا مستوى الحكم وأعلى مثله . ومن البعيد أن ينزل خَلفُه عنه أو يترخص فيه ؛ ولكن الاضطلاع به والمحافظة عليه في هذه الزلزلة العامة من المشقات التي تُمتحن بها أقدار الرجال . ويقيننا أن الروح المصرية التي انتعشت في على ماهر وإخوانه الذين اعتزلوا الحكم ، ستشيع في ساستنا الذين خَلَفوهم عليه ، فتميت في أذهانهم معانى الفردية والحزبية ، وتدفعهم متكاتفين إلى إنقاذ الوطن عن طريق الجهاد والإيثار والتضحية

إن القدر المتصرف يخطط اليومَ العالمَ على نظام جديد . والإيمان وحده هو الذى يملك على القدر اللطف في التغيير. فآمنوا يا رجال الساعة بقدرة الله وقوة الحق وقيمة الحرية وسلطة التاريخ وعظمة مصر ، فإن الإيمان ولا ريب دِرع الأمان

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أوهام أدبية تخلقها الحوادث — أسرار الجزع على باريس — الأدب هو سفيرنا فى الشرق — الهجرة إلى الريف — ابدأ بنفسك — الأحزاب السياسية والأدبية

أوهام أدبية تخلقها الحوادث

للحوادث المنيفة تأثيرٌ شديد فى تلوين الحقائق والأباطيل، وفى خلق الآراء والأضاليل ... والمرء حين تصدمه الحوادث، يتلفت ليرى كيف صار إلى ما صار إليه من بؤس وشقاء، وكيف استهدف للمعاطب وتعرَّض للأرزاء، وذلك هو الفرق بين اليقظ والغافل من الرجال. وحكاية «السمكات الثلاث» فى كتاب «كليلة ودمنة» تؤيد هذا الرأى، إن كان يفتقر إلى تأييد

أقول هذا، وقد قرأت فى هذه الأيام كلمات نفيسة لجماعة من أدبائنا فى تعليل الهزيمة التى مُنيتْ بها فرنسا، وهم يكادون يُجمعون على أن تلك الهزيمة ترجع إلى ما درَج عليه الفرنسيون بعد انتصارهم فى الحرب الماضية من إيثار الدَّعة والسلامة والإقبال على الخلاعة والمجون

والأدباء الذين قالوا هذه الكلمات لم يقولوها إلا لغرض شريف، هو تحذير أمتهم من عواقب البطالة والفراغ، وما أثم الترف واللين. والأديب ينتهز الفُرص ليضرب لأمته الأمثال

ولكن تلك الكلمات النفيسة وقعتْ فيها أغلاط تستوجب التصحيح

فهل من الحق أن فرنسا كانت فسقتْ عن أوامر الأخلاق؟

هل من الحق أن باريس لم تكن إلا ملاعب صبابة ومدارج فُتُون؟ هل من الحق أن الأندية الفرنسية لم تكن تعرف غير قول السوء ولغو الحديث؟

تلك أوهام يقول بها من لم يعش فى فرنسا زمناً يسمح بالتعرف إلى أخلاق أولئك الناس، ليدرك المستور من شمائلهم الصِّحاح.

تلك أوهام يقول بها من يعرف فرنسا بالسماع لا بالعِيان

ولو كانت فرنسا كما وصفوا، لكان من المستحيل أن تملك السيطرة الأدبية والحربية فى تلك الأزمان الطوال التى سبقت محنتها الدامية فى هذه الأيام السود

إن الخُلُق الفرنسى نموذجٌ للخلُق الصحيح، فالرجل الفرنسى يلعب فى حين، ويجدُّ فى أحيان، وهو فى لعبه وجِدّه مثالٌ للرجل الذى تنأى به رجولتُه عن اصطناع أخلاق الضعفاء الذين يرون سلامتهم فى التستر والتصنع والرياء

والأدب الفرنسى هو فى جوهره صورة صحيحة للأدب الإنسانى، لأنه ينزع إلى الصدق فى تصوير ما تخضع له الإنسانية من قوة وضعف، ويقين وارتياب، وهدًى وضلال

وإذا اندحرت فرنسا السياسية فلن تندحر فرنسا الأدبية

ولو صدقت فرنسا فى السياسة كما صدقت فى الأدب لكانت هزيمتها من المستحيلات. وقد قلت فى مقال قدمته لمجلة الهلال إنى أنتظر اليوم الذى تسمح فيه الظروف بأن أعلل هزيمة فرنسا السياسية

فهل أجد اليوم منفذاً لكلمة وجيزة بعد أن استباح المسيو بيتان ما استباح فى تعليل تلك الهزيمة النَّكراء؟

إن المسيو بيتان ردَّ أسباب الهزيمة إلى ما تخلَّق به الشعب الفرنسى بعد الانتصار فى الحرب الماضية من إيثار المرَح على التضحية وتقديم الحقوق على الواجبات

فما الذى يمنع من تصحيح رأى المسيو بيتان؟

ما الذى يمنع من القول بأن ساسة فرنسا كانوا أضعف بصراً من ساسة الألمان؟

إن السياسىَّ الألمانى قدَّم لجنوده قضية تستوجب الاستقتال

فهل قدَّم السياسى الفرنسى لجنوده قضية تستوجب الاستقتال؟

قال السياسى الألمانى لجنوده: أنتم جِياع ويجب أن تقاتلوا لتجدوا القوت

أما السياسى الفرنسى فقال لجنوده: هَلُمُّوا للدفاع عن الشعوب الصغيرة

وكذلك شبَّت الحرب بين جنديين أحدهما جائع موتور، والثانى شبعان ريَّان يتكلف الغيرة على مبدأ لا يفقه ما يعبِّر عنه من ألفاظ وحروف

فإلى متى تؤذون شعوبكم بلا موجب أيها الساسة «المحنَّكون»؟

لو أعلن ساسة فرنسا أنهم يدافعون عن بلادهم ومستعمراتهم لاستبسل الجندى الفرنسى واستمات، لأنه عندئذ يعرف أنه يدافع عن الشرف والقوت؛ ولكنهم ساقوه إلى الميادين لاعتبارات

مثالية لا تثير النخوة فى أشجع الجنود

وقد قال الفرنسيون ما قالوا فى غدر ملك البلجيك ، وفات ساستهم أن الوقوف على الحدود كان أنفع وأمنع ، ولو فعلوا ذلك لكان من الجائز أن يتغير مصير الحرب ، ولكان من المحقَّق أن يستبقوا من الجيش قوةً يدفعون بها شرّ العدوّ المجتاح

ولكن من الذى يملك القدرة على توجيه آراء الساسة والزعماء؟

أما بعـد فلهذا الحديث حواشٍ وذيول سنَتعرضُ لها بالتفصيل بعد حين

والمهمُّ هو تذكير بعض الأدباء بحق الأدب ، فما نريد أن يخضع الأدب لأى اعتبار من الاعتبارات ، وإن كان من واجبه أن يتعرض لجميع الشؤون

الأدب لا يزدهر إلا إذا تحرَّر من جميع القيود

الأدب هو الترجمان الصادق للغرائز الإنسانية ، ولا يجوز أن نطالب الأديب بأن يكون عبداً لزمانه وأهل زمانه ، وإنما يجب أن يُسيطر الأديب على الزمان وأهل الزمان ليؤدى رسالته فى قوة وصراحة وإخلاص

الأديب أقوى من الناس ومن الزمان ، وإنه لا يصوِّر غاية زمنية أو محلية ، وإنما يتسامى إلى غايات تُشرف على طوائف الإنسانية ومراحل التاريخ

ليس الأديب مِزماراً مأجوراً يترنم بما توحى أحوالكم من أطراب وأشجان ، وإنما هو قيثارة سماوية يحقّ لها أن تصدح بغير ما تشتهون فى أيام الفَـرَح وما تبتغون فى أيام البكاء ، وإن كانت أُخُـوَّته لكم تفرض عليه أن يكون سناداً لآمالكم فى جميع الأحايين

ألحان الأديب كأزهار الربيع

فإن كنتم سمعتم أن أزاهير التفاح فى نورمنديا تلفّتت إلى المعارك الدموية بين الفرنسيين والألمان فانتظروا أن يكفّ الأدباء عن التغريد فوق أفنان الوجود ، لأن دنيا كم عجزتْ عن تذوُّق المَرَح الذى يتموَّج فى أعطاف الوجود

أيها الناس

اسمعوا ، وعُـوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا

الأديب يُسيطر على الحوادث ، ويرفض الاستعباد للحوادث. والأديب أشجع منكم جميعاً لأنه لا يبالى متى يموت . وهل نسيتم أن الأديب هو الذى صنع بقلبه ولسانه وقلمه حوادث التاريخ ؟

ستذكرون يوماً أن أعظم المعارك قامت أو كُسِبَتْ بسبب لفتة ذوقية صَدَرتْ عن شاعر مُجيد أو كاتب بليغ أو خطيب صَدَّاح . وستعرفون يوماً أن ضمائر الأمم لم تخلقها غير أفكار الأدباء الموهوبين .

الأديب ليس جنديًا يتلقّى الأوامر، وإنما هو بَطَلٌ يُطاع. فليكُفّ قومٌ عن التنديد بأهل الأدب ، وليذكروا أنهم لم يكونوا إلا حاكين لأقوال أهل الأدب فى الوطنيـة . ولولا أقلامنا لعجز أولئك اللاغون عن صياغة عبارات الملام

أسرار الجزع على باريس

وبهذه المناسبة أذكر أن فى أهل مصر من شكت جفونهم قسوة الأرق حين سمعوا بسقوط باريس بين أيدى الألمان

فبأى حق جزع الجازعون على باريس وهى المدينة الوحيدة التى يموت فيها الرجل من الجوع حين يعوزه القوت ؟

جزع المصريون على باريس وليس لهم فيها أعمام ولا أخوال، لأنهم سمعوا أنها كانت مثابة للحرية الفكرية والروحية والذوقية. جزعوا على مدينة سمعوا أن أهلها فى أمان من أوزار النفاق . جزعوا على المدينة التى سمعوا أن الرجل قد يعيش فيها طول عمره بدون أن يتعرض للهوان ما دام معتصما بالأدب والحياء

وتلك معان لم يسمع عنها الناس فى غير باريس

وإلا ففى أى أرض يستطيع الرجل أن يعيش وهو فى أمان من أهل اللغو والفضول ؟

فى أى أرض يستطيع الرجل أن يعيش وهو من أدبه فى حصن حصين ؟

باريس هى البلد الوحيد الذى لا يجازَى فيه الرجل بغير ما تجترح يداه

الرجل المهذَّب يعيش ويموتُ فى باريس بدون أن تتعرَّض سمعته للزُّور والبهتان

فمن أين نشأت هذه المعانى ؟

أليست من ثمرات الأدب الرفيع ؟

باريس هى البلد الوحيد الذى يتجاور فيه حزب الله وحزب الشيطان بلا بغى ولا عدوان . باريس هى البلد الذى لا يتقدم فيه رجل بغير حق إلا فى النادر القليل

فى باريس يقوم الملعب بجانب الكنيسة ، ثم يلتقى اللاعبون والمصلون وهم يتبادلون تحيات المودة والاحترام

فإن كانت باريس ضيمت بجناية الأدب والذوق فهي ضحية كريمة للأدب والذوق

وهل يكون الانتصار فى الغزو دلالة باقية على شرف المنيرين؟ إن كان ذلك فهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينتصر التتار على بغداد؟ وهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينتصر أعداء العرب على إطفاء نور الحضارة الإسلامية بالأندلس؟

وهل عدّ التاريخ من الشرف أن ينجح نيرون فى إحراق ذخائر الرومان؟

المعانى الروحية والأدبية هى الباقيات على وجه التاريخ . فمن كان يرى الفضل كل الفضل فى أن ينتصر جيش على جيش بقوة النار والحديد فستريه الأيام عواقب ما رأى فكره المنخوب ، والزمنُ كفيلٌ برفع الغِشاوة عن بعض القلوب

الأدب هو سفيرنا فى الشرق

ويتحدث قومٌ عن صوت مصر فى الشرق ، وأقول إن الأدب هو سفيرنا فى الشرق ، ولكن أىّ أدب؟

هو الأدب الرفيع الذى يشرّح جميع الأهواء الإنسانية بحيث يشعر كل امرئ فى الشرق أن له نصيباً من العواطف التى يهتف بها أدباء وادى النيل

ولست بهذا القول أعادى أنصار الفكرة المصرية الذين يرون أن تكون مصر مثابة أفكارهم فيما ينظمون ويكتبون ، فمن حق المصرى أن يجعل مصر قِبلة هواه ، ولكن من واجبه وهو أديب أن يذكر أنه أديب ، والأديب أعظم وأرفع من أن يَقْصر أهواءه على الشؤون المحلية . الأديب المصرىّ مسئول عن الطب لأدواء مَن وثقوا به من أهل الشرق . الأديب المصرىّ مطالَب بأن يكون صوته صدًى لجميع آمال الشرق ، ولجميع آلام الشرق . الأديب المصرىّ هو الآسِى لجروح الشرق ، وهو القيثارة التى تصدح بأفراح الشرق

وهذا واجب كفاية - كما يقول الفقهاء - فلست أطالب كل أديب بأن تكون نوازعه شرقية ، وإنما أستنكر أن يعاب على رجل مثلى أن تكون له سياسة أدبية تتجه نحو الشرق ، ولمصر فى الشرق أهلٌ وأصدقاء

والواقع أنى أتهم قومى بلا موجب ، فأدباء مصر جميعاً يضمرون أصدق العواطف للشرق ، ولكن يُعوزهم التعبير المقبول ، فهم يُوهمون قراءهم أنهم لا يعرفون غير مصر ،

ولو نطقت الضمائر لقالت إن عواطف أدباء مصر لم تكن إلا جوارح تحسُّ آلام الشرق

وهل يلام أدباؤنا على إعلان هواهم لمصر فى أوقات الشدائد والخطوب؟ نحن نغار على مصر لغرضين : لأنها مصر ، ولأنها مفتاح الشرق . فإن أمدّنا الله بالقوة والعافية والتوفيق فسنجعل من مصر قاعدة حربية تدفع عدوان الغرب على الشرق

آه ثم آه ! !

إنى أخاف طغيان الحوادث على مصير اللغة العربية ، وعلى العقيدة الإسلامية . وأنا مع ذلك غير يائس ، لأن مصر باقية ، ولأن الشرق لن يزول . والله هو المستعان ، على مكاره هذا الزمان

الهجرة الى الريف

الهجرة فى أصلها اللغوىّ تدلّ على معنى المَشقّة ، فهى تشهد بأن المُهاجر ينتقل من حال الاستقرار إلى حال القلَق ، فهل يكون الأمر كذلك فى الانتقال من المدن إلى الأرياف؟

أعترف مع الأسف بأن الأمر صار كذلك ، لأننا بالغنا فى تجميل الحواضر المصرية مبالغة مُرهِقة ، بحيث صار المسكن الواحد يتكلف من الماء والنور ما يكفى لتموين أسرتين من أهل الريف . وقد زادت الأمور الكمالية زيادة لا تطاق ، ثم أمست تلك الكماليات وهى من الضروريات . فنحن اليوم بفضل الحضارة فى شقاء وعناء

وكنت لأول عهدى بحياة القاهرة أعيش عيشة بسيطة ، فلم أكن أشعر بفوارق كثيرة حين أنتقل لقضاء الصيف فى الريف . ثم تحضّرت رُويدًا رويدًا إلى أن صرت لا أستطيع قضاء ليلة واحدة بمنزلنا القديم فى سنتريس . ولولا الأموال التى خاطرت بتبديدها فى بناء منزل جديد هناك لكان من العسير أن « أهاجر » من وقت إلى وقت لزيارة أهلى

الحق أن الحواضر المصرية شلّت قدرتنا على الأُنس بالريف . فالأنهار الجارية فى الأرياف لا تغنينا عن صنابير المياه التى ننعم بها فى الحجرات والغرفات . والقمر الذى يسطع بأنواره الفضية فى سهول الريف لا ينسينا جاذبية النور الذى نتلقاه عن مصابيح الكهرباء . ومن هنا صح القول بأن الذهاب إلى الريف هِجرة فيها ما فيها من القسوة والعنف . فهل تكون هذه « الهجرة » فرصةً للتداوى من أمراض المدنية؟

إن كنتم سمعتم أن الترف يقتل الممالك والشعوب فقد آن الأوان لشرح تلك النظرية . فالحضرى الذى يعجز عن المبيت بديار الريف هو أعجز الناس عن تحمُّل العيش فى ميادين القتال

ولو شئت لاقترحتُ أن يُمنَع النوم فوق الأسرَّة فى المعسكرات حتى لا يعرف الجنود طعم اللين . فمن الصعب على من تعوّد النوم فوق الحشايا أن يفترش الأرض الصمّاء حين تقهره على ذلك ظروف الهيْجاء

يرحم الله أيامى حين كنت فلاحاً لا يؤذيه النوم فوق الأرض الجرداء !

فقد وَقَذتنى الحضارة وأضرَعتنى حتى صارت جُنُوبى لا تطمئن إلا إلى حشايا تُنَجَّد فى العام الواحد مرتين أو مرات ، وذلك داء عُضال

لا فائدة من الندم على ما فات . ثم أوجِّه الكلام إلى أولئك المهاجرين فأقول :

أنتم تَفِدون على أقوام تحصنوا بالقناعة ، فما يعرفون من ألوان الطعام غير لون أو لونين ، فلا تفتنوهم برؤية الموائد المثقلة بأطايب الطعام والشراب ، ولا تحملوهم على أن ينظروا إليكم نظر المحروم إلى المطعوم . فلذلك عواقب يخشاها من تهمهم سلامة القلوب فى الريف

أنتم تفِدون على أقوام لا يملك الشخص منهم غير ثوب أو ثوبين ، فلا تفتنوهم بكثرة الأثواب ، ولا تشعروهم بأنكم أقدر منهم على الزينة ، فلذلك آثام ستسوؤكم أوزارها بعد حين

وما الموجب لأن يتخطّر بعض الشبان « المهاجرين » فوق شطوط الجداول وقد لبسوا « البيجامات » وتركوا رؤوسهم العارية تداعب النسيم بالشعر المعطّر المشكول ؟

ألا يعرف هؤلاء الشبان أن أهل الريف لن يلقوهم بغير السخرية والازدراء ؟

يجب أن تعيش فى الريف بأخلاق أهل الريف ، فتحلق رأسك وتكتفى فى مطعمك وملبسك بما يتسق مع المأثور من شمائل أولئك الناس ، فإن خالفت هذه الوصية فلست أهلاً لنعمة الله عليك ، ولن تترك فى الريف غير ذكريات لا يسرُّك أن تعاد

هل عندك من قوة الأخلاق ما تقدّم به لأهل الريف زاداً جديداً من أدب النفس ؟

هل تستطيع أن تروض أهل الريف على الاقتناع بأن لأهل المدن شمائل هى السبب فى سبقهم إلى أطايب المنافع وكرائم الطيبات ؟

هذا يومٌ من أيامك ، أيها المهاجر إلى الريف ، فكن قَبَساً من الهداية يدفع ما فى الريف من ظلمات . وكن فى سيرتك مثالاً يحتذيه مَن رحَّبوا بقُدومك أجمل ترحيب

إن الذين يهاجرون إلى الريف بالألوف سيعرِّضون الريف لرجّة اجتماعية ؛ فما عسى أن تكون تلك الرجّة ؟ أتكون خيراً ؟ أتكون شرًّا ؟

عندك - أيها المُهاجر - جواب هذا السؤال . لطف الله بك وهداك !

ابرأْ بنفسك

كَثُر التواصى بالوطنية فى هذه الأيام ، وأصبحت الجرائد والمجلات ميداناً لأقلام أهل الحَمِيَّة من أبناء الوطن العزيز

وهذه فرصة لامتحان النفوس والعزائم والقلوب ، فكل امرىء يعرف ما يملك من زاد الوطنية ، وكل امرىء يعرف ما عنده من عناصر الأمانة والصدق والإخلاص

والمهم هو أن تبدأ بإعداد نفسك لدعوة الواجب ، وأن تؤمن بأنك المسئول الأول ، وأنك وحدك المعنى بالنداء يوم يدعو الوطن أبناءه لتفديته بالأموال والأرواح

ويلى ذلك فى الأهمية أن تشعر بمعنى الأخوّة الوطنية ، وأن تثق بأن جميع من تصادفهم فى غُدُوِّك ورواحك هم إخوتك وأنصارك ، وإن لم تعرفهم من قبل ، وأن تعرف فى قرارة نفسك أن منافعهم هى بعض منافعك ، وأنك عن تفديتهم مسئول

التماسك الأخوى هو الحجر الأول فى بناء الوطنية ، ويوم يصح هذا التماسك لا يضيرنا أن تَفْسُد الدنيا يوماً فينفرط عقد الأمان

هل سمعت بالقوانين التى تشرع للطوارىء ؟

إن كنت سمعت فاعلم أن الأمة الكريمة هى التى لا تفتقر إلى مثل تلك القوانين فى غياهب الأزمات وظلمات الخطوب

نحن لا نحتاج إلى أدب النفس فى أيام السلام ، وإنما نحتاج إلى أدب النفس فى أيام الحرب ، فمن أنت بين أصحاب النفوس ؟

الوطن يعتمد بعد الله على نفسك العالية ، فكن عند ظنه الجميل

الوطن يرجو أن تفى له فى أيام الشدة كما وفى لك فى أيام الرخاء

الوطن هو أنت ، فمن أنت ؟

إن فى الدنيا ناساً يتخذون أيام الحرب وسيلة لورَم الجيوب، وأعيذك أن تكون من أولئك الناس

لمثل هذه الأيام تُدَّخر الأخلاق، فكن من أقطاب الأخلاق إبدأ بنفسك فنزّهها عن مآثم الجشع والخيانة والبهتان ، فإن فعلت فستظفر بثروة روحية تدفع عنك ظلمات الحوادث ، وتمنحك القدرة على الاستهانة بالخطوب

العاقبة للصادقين

العاقبة للصادقين

العاقبة للصادقين

فكن فى جميع أحوالك من أهل الصدق . واحذر أن يكون أحد فى الدنيا أصدق منك ، فما يليق برجل كريم أن يكون من أهل الطبقة الثانية فى الصدق

الأحزاب السياسية والأدبية

فى أعقاب الأزمة الوزارية الأخيرة أدركت قيمة الحياة الحزبية إدراكاً أوضح من الإدراك الذى كنت أتمثلها به من قبل ، فقد صح عندى بصورة صريحة أنها تعاون على إظهار أقدار الرجال

ومن المؤكد أن فى كل أمة رجالاً يصلحون للحكم بأفضل مما يصلح بعض رجال الأحزاب ، ولكن حرمانهم من الأنصار يحول بينهم وبين أداء واجبهم عن طريق المناصب الوزارية ، وهى مناصب تمكّن الرجل المخلص من أداء الواجب الوطنى على الوجه المنشود

قد يتفق فى بعض الأحيان أن يصل الرجل المستقل إلى تلك المناصب ، ولكنه مع ذلك يظل مقلقلاً مزعزعاً بسبب عُزلته عن الأسندة الحزبية ، وهى دعائم تحول الضعفاء إلى أقوياء . والمرء كثير بأخيه ، كما قال الرسول :

من حق الرجل أن يتحزب ، بل من واجبه أن يتحزب ، على شرط أن يكون صحيح النية فى خدمة المبدأ الذى ينتمى إليه ، وعلى شرط أن يكون التضامن الحزبى وسيلة لغرض سليم هو استعجال الفرصة للاضطلاع بحمل الأعباء الثقال فى خدمة الوطن عن طريق الوزارة أو طريق البرلمان

ولا يعاب التحزب إلا بآفة واحدة هى ما يقع من السَّرف فى اللجاجة والعنف ، كالذى نراه من بنى بعض الأحزاب على بعض من حين إلى حين

ولكن من السهل على الرجل الحكيم أن يتجنب هذه الآفة فلا يَشتِم ولا يُشتَم ، ويظلّ محترماً من الجميع ، كأن يكون مِثل مصطفى عبد الرازق بين الدستوريين، ومثل زكى العرابى بين الوفديين ، ولهذين الرجلين أمثال فى سائر الأحزاب ، وإليهم تتجه الأنظار فى الظروف التى توجب أن يتقدم لحمل أعباء الحكم رجالٌ ليس فى مسلكهم الحزبىّ ما يهيج الخصومة ويثير الخلاف

تلك هى الحال فى الحياة السياسية ، فكيف تكون الحال فى الحياة الأدبية ؟

الواقع يشهد بأن النجاح فى الأدب قام على أسناد من العصبيات الممثَّلة فى الأندية والجمعيات ، فعندنا فى مصر أحزاب أدبية ، وإن لم تصطبغ صراحة بالصبغة الحزبية ، وبفضل ذلك التحزب المستور لَمعَتْ فى عالم الأدب أسماء كانت أهلاً للخمول لو واجهت الحياة الأدبية بلا أسناد من الأصدقاء والحلفاء

أقول هذا وقد فاتنى التحزّب فى السياسة والأدب ، فأنا صديق الجميع ، وعدو الجميع ، ومن كان كذلك فهو خليق بأن يعيش بلا أنصار ولا أصفياء

سمعت أن فى مصر حزباً يسمى حزب المستقلين ، وهم الذين قرروا الاجتماع فى حديقة الأزبكية ليعلنوا رأيهم فى الصورة التى تؤلَّف بها الوزارة الجديدة . ثم سمعت أيضاً أن الوزارة أُلِّفت قبل أن ينفضّ اجتماعهم « المفقود »

وأنا فى الأدب من حزب المستقلين ، فليس من العجب أن تؤلَّف اللجان وتُعقد المؤتمرات بدون أن أخطر فى البال ، فتلك مزية الاستقلال !

سأتحزّب ، سأتحزب ، سأتحزب

ولكن كيف ؟

سأعقِد محالفة بينى وبين قلبى ، وهو أقوى وأنفع من ألوف الأصدقاء

قضيتُ دهرى بلا نصير ولا مُعين ، وسأظل كذلك طول حياتى ، لأقيم الدليل على أن من يستنصِر بالله لا يخيب ولا يضيع

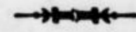
فإليك يا فاطر الأرض والسموات ، وأنت وحدك الولىُّ النصير ، أقدم واجب الحمد والثناء

زكى مبارك

الفروق السيكلوجيــة

بين الأجناس البشرية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد



قد لا يكون من الحكمة أن نتعجل بحث الفروق السيكلوجية بين الأجناس البشرية من قبل أن نعرف: ما هو المقصود بالجنس؟ وما هي أنواع الأجناس المختلفة التي يدور البحث حولها؟

والموضوع من التعقيد بمكان، فقد شغل فقهاء اللغة، وعلماء الأجناس Ethnologists، وعلماء الاجتماع والسياسة، ولا يزال يشغلهم حتى الآن، ولم يوفقوا بعد إلى رأي نهائي. وكل ما وصلوا إليه إنما هو حدس وفرض. وسبب ذلك أن موضوع الأجناس البشرية يبحث في القديم من التاريخ وفيما قبل التاريخ.

وليس ثمة من الوثائق التاريخية أو الأثرية ما يكفي لتحقيق فرض أو إثبات نظرية، كما يبحث أيضاً في الأجناس الحاضرة. وما قام به العلماء من محاولات لكشف ما عسى أن يكون من صفات جسمية وعقلية وخلقية مشتركة تميز طائفة من البشر عن غيرها لم يؤد بعد إلى حكم جازم بأن هذه الطائفة - مثلاً - متميزة كل التميز عن تلك. وذلك لما حدث في الماضي من هجر بعض الشعوب مواطنها الأولى واستقرارها في مواطن أخرى وامتزاجها بسكان هذه المواطن الأصليين بالتزاوج والتناسل، حتى أصبح من العسير علمياً أن يقال إن هذه الطائفة من الناس نقية الجنس لم تختلط بغيرها. وهذا ما جعل تعريف الجنس نظرياً فقط لا واقعياً. وهم يقولون إن الجنس من الأجناس البشرية هو جماعة كبيرة من الناس تنتمي إلى أصل واحد قديم، وتتميز بخواص جسمية وعقلية وخلقية مشتركة تميزاً وراثياً

والتأمل في هذا التعريف لا يستطيع أن يجزم بالحد الذي تكون به الجماعة «كبيرة» بحيث تكوّن الجنس. فجماعة سكان استراليا الأصليين مثلاً لا تعتبر كبيرة إذا قارناها بالترك، مع أن علماء الطبائع البشرية Anthropologists يعتبرون السكان الأصليين لأستراليا جنساً مستقلاً، بينما الترك فرع من الجنس المنغولي. وعلماء النفس لا يُقرون - كما سنرى - القول بوجود تلازم بين الخواص الجسمية والعقلية أو الخلقية. فإن وجود أنواع من الأجناس البشرية، تتميز بصفات جسمية خاصة، لا يدل مطلقاً على وجود تميز عقلي أو خلقي لهذه الأجناس، لأن ذكاء المرء أو خلقه لا يمكن أن يحكم عليه عادة بشكل جسمه، ولأنا إذا سلمنا بوجود اختلاف بين الأجناس في العقل والخلق كنتيجة ملازمة لاختلافها في الشكل والمنظر، كان معنى هذا أن الأفراد يختلفون بالضرورة عقلاً (أعني ذكاء) وخلقاً باختلاف مناظرهم وأشكالهم. وقد أثبتنا في المقالات السابقة أنه لا توجد علاقة تلازمية بين الخواص الجسمية وبين الذكاء، ولا بينها وبين الخلق

ولقد كان الرأي السائد حتى منتصف القرن الماضي أن الأسرة البشرية إنما تنقسم إلى ثلاثة أجناس: سامي وحامي، ويافثي. وهذه هي نظرية التوراة المذكورة في قصة نوح، فإنه لما استوت فلكه على الجودي كان معه من أبنائه الناجين سام وحام ويافث «وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث. وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض»[1]. ولقد شك كثير من العلماء في صحة رواية التوراة، وأيدوا شكهم هذا بحجج منها أن التوراة تجعل الكنعانيين من الحاميين مع أنهم أقارب الإسرائيليين وتربطهم بهم روابط عنصرية ودموية ولغوية وثيقة[2]. كما تأثر فقهاء اللغات بهذه النظرية فقسموا لغات البشر إلى ثلاث طوائف: السامية والحامية واليافثية. ولكن العلماء الآن لا يرون ضرورة وجود علاقة بين اللغة والجنس. فالعرب — كما يقول الأستاذ مرجليوث — ليسوا ساميين لمجرد أن العربية هي إحدى اللغات السامية، فقد يشترك في تكلم اللغة الواحدة أكثر من جنس واحد[3]. وإلى هذا يشير الكاتب الإنجليزي العالمي هـ. ج. ويلز بقوله: «وقد حدث أن خلط فقهاء اللغة بين اللغات والأجناس فافترضوا أن الأقوام الذين يتكلمون لغة واحدة مشتركة لا بد

(١) الاصحاح التاسع، الآيتان الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من سفر التكوين

(٢) راجع كتاب Sprachwissenschaft للأستاذ Brocklemann

(٣) انظر كتاب The Relation between Arabs and Israelites prior of the rise of Islam.

أن يكونوا من جنس واحد مشترك، وهذه ليست الحقيقة . ومن السهل على القارئ أن يعرف هذا إذا عرف أن زنوج أمريكا يتكلمون الآن الإنجليزية ، وأن الإيرلنديين — إذا استثنينا استعمالهم للغة الإيرلندية القديمة لأسباب سياسية — يتكلمون الإنجليزية أيضاً كما يتكلمها سكان ويلز ببريطانيا بعد ما فقدوا لغتهم الكلتية القديمة . وكل ما تدل عليه اللغة المشتركة بين الأجناس المتباينة هو حدوث اختلاط اجتماعي في الماضي بين متكلميها مختلفي الأجناس ، واشتراكهم في مستقبل واحد ، ولا تدل على أصل مشترك واحد[1]

لم يتفق علماء الطبائع البشرية على الخصائص التي تميز جنساً من الأجناس البشرية عن جنس آخر ، ولكنهم متفقون على أنه قد وجد في العصور القديمة جداً أجناس بشرية أولية متميزة ، وقد انتشرت هذه الأجناس في الأرض وارتحلت من مكان إلى مكان ، ومن مناخ إلى مناخ ، ومن بيئة إلى بيئة ، فخضعت لاختلاف البيئة الجديدة ، وتأثرت بما فيها من رخاء وشدة ، ومن طعام ومأوى مغاير ، فتكيفت الأجسام والعقول تكيفاً يناسب البيئة الجديدة . وتطور هذا التكيف خاضعاً لقانون التنازع الدائم بين الإنسان وبين الطبيعة : يريد أن يخضعها وتريد أن تخضعه . فجدت أقوام تخالف أجناسها الأصلية ، وامتزجت هذه الأقوام بغيرها من أقوام ذوي جنسيات أخرى . وهكذا استمرت الأسرة البشرية في تغير وتطور حتى صارت إلى ما هي عليه الآن . فلم تبق إذاً تلك الأجناس البشرية الأولية محافظة على وحدتها وكيانها ، ولكن جماعات أخرى جديدة تأثرت بعوامل البيئة المستمرة وتميزت عن غيرها ، وإن كانت هذه الجماعات الجديدة لم تحتفظ بدمها الجنسي الأصلي . من أجل ذلك نجد اختلاطاً كبيراً في صفات الأجناس البشرية الحالية ، فسكان استراليا الأصليون سود البشرة بينما شعرهم مستقيم ، وتقاطيع وجههم تشبه تقاطيع وجوه الأوربيين . وكذلك نجد بين سكان الأقاليم الشمالية Nordic races من له شعر أسود ، وبشرة ورقاء ، وبين سكان أقاليم البحر الأبيض المتوسط بيض البشرة وسمرها

وبالرغم من هذا كله فقد حاول علماء الطبائع البشرية أن يقسموا الأسرة البشرية الحالية إلى جماعات جنسية وفقاً لصفاتهم الجسمية الظاهرة : كشكل الجمجمة ، وتقاطيع الوجه ، ولون البشرة ، ولون الشعر ولون العيون . وعلى أساس هذه الصفات الجسمية تنقسم الأسرة البشرية إلى ما يأتي :

الجنس القوقازي : وهو يشمل سكان أوربا والبحر الأبيض وغربي آسيا ، وهو جنس أبيض . وهذا الجنس ينقسم إلى جنسين أو ثلاثة أجناس[1] : الجنس الشمالي، ويمتاز بالشعر الأصفر وبياض البشرة بحمرة وطول الجمجمة[2] . وجنس البحر الأبيض المتوسط ، ويمتاز بالشعر الأسود والبشرة البيضاء بسمرة والجمجمة المدورة ، وبين هذين الجنسين جنس ثالث هو الجنس الألبي Alpine race وهو وسط بين الجنسين[3] . ومن الجنس القوقازي بعض السكان الأصليين للهند وإيران وما بينهما . شكل (١) ، (٢) ، (٣)

الجنس القوقازى



شكل (١) بربرى من شمال أفريقيا — شكل (٢) يمثل سكان الشمال — شكل (٣) يمثل يهوديا من الجزائر

الجنس المنغولي : ويمتاز بصفرة البشرة وسواد الشعر واستقامته ، وارتفاع عظام الخد ، وتوسط القامة . ويشمل سكان آسيا الوسطى والشرقية ، والأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر) ، وجنساً يسمى الكالموك كان يسكن هضبة التبت حتى القرن السابع عشر الميلادي حين ارتحل إلى شواطئ الفلجا . وقد اختلط الجنس المنغولي بالجنس القوقازي في أواسط آسيا وشرقيها . شكل (٤) ، (٥) ، (٦)

---

(١) راجع كتاب The Outline of History, H. G. Wells صفحة ١٤٦ .

(١) الجنس في علم المنطق قد يكون بعيداً وقد يكون قريبا ، فالجنس القوقازي مثلاجنس بعيد، بينما الأجناس الأخرى التي ينقسم إليها أجناس قريبة

(٢) إذا نظرنا إلى الجمجمة من أعلى فإن طولها هو امتدادها من الأمام إلى الخلف وعرضها بين الجانبين ، فاذا كان عرضها ⅘ الطول أو أكثر فهي مدورة ، وإن كان العرض أقل من ⅘ الطول فهي مستطيلة

(٣) يرى بعض العلماء تقسيم الجنس القوقازي إلى جنسين فقط : الجنس الشمالي وجنس البحر المتوسط

الجنس المنغولى





شكل (٤) يمثل الهنود الحمر — شكل (٥) امرأة صينية — شكل (٦) كالموكى من سكان الصين الشمالية

الجنس الزنجى : ويمتاز بسواد البشرة ، وتفلطح الأنف ، وثخن الشفتين ، وتجعد الشعر . ويكون هذا الجنس سكان إفريقيا الأصليين . وقد تأثر هذا الجنس بما جاوره من الأجناس الأخرى . شكل (٧) ، (٨) ، (٩)

أشكال زنجية





شكل (٧) — شكل (٨) — شكل (٩)

الجنس الاسترالى الأصلى : ويمتاز بسواد البشرة ، وقد تكون حواء ، وبسواد الشعر واستقامته وكثافته ، وبطول الجمجمة ، وتفلطح الجبهة وانحدارها إلى الخلف . ويشمل سكان استراليا قبل كشفها ، وسكان جنوبى الهند وسيلان وشبه جزيرة الملايو شكل (١٠) ، (١١)

الجنس الاسترالى الأصلى




شكل (١٠) — شكل (١١)

ويذهب بعض علماء الطبائع البشرية إلى القول بوجود جنس آخر أقدم من الأجناس السابقة كان موطنه منطقة البحر الأبيض المتوسط الأفريقية ، ويمتد شرقاً إلى الهند فالمحيط الهادى ، ثم يعبره إلى المكسيك وبيرو . ويمتاز بالبشرة البرنزية وهو صاحب أقدم الحضارات المسماة بالحضارات الهليوليتية Heliolithic ولعل الحضارات الأولى التى ظهرت فى وادى النيل والفرات ودجلة كانت على صلة بتلك الحضارة الهليوليتية ... ويظهر أن سكان صحراء الجزيرة العربية البدو كانت لهم حضارة هليولوتية[1] .

هذا وتقسيم الأجناس الذى ذكرناه إنما هو رأى طائفة من العلماء . والحقيقة أن هذه الأجناس قد اختلط بعضها ببعض لدرجة يصعب معها أن نجد جميع مميزات كل جنس باقية من غير تغير . بل إن بين بعض أفراد الجنس الواحد من الفروق الجسمية ما هو أكثر من الفروق بين فردين من جنسين مختلفين .

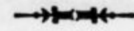
وسنعالج موضوع الفروق العقلية بين الأجناس فى مقال قادم

عبد العزيز عبد المجيد
(بخت الرضا — السودان)

(١) صفحة ١٤٠ من كتاب The Outline of History, H. G. Wells

هذه هى الساعة ...!

للأستاذ محمود محمد شاكر



قامت الدنيا وأخذت تمد زينتها لأمر غير ما مضى من أمرها . إنها لا بد أن تتبرج لعيون عشاقها ، ممن كتب لهم أن يشهدوا مشهداً آخر من فصول الرواية الإنسانية التى تمثل فى ساحاتها . نعم ، فإن الحرب المهلكة التى لا تزال تفقع من شواهقها حين تنقض ، أو تزحر وتئن تحت أثقال الوقائع — لا تلفت الحياة الدنيا عن عملها فى تلبيس العيش بالفتنة لمن يعيشون ، ولا عن تقديم اللذة لمن يشتهون . وكأن هذه الحرب إن هى إلا تضخيم عظيم لعمل العامل فى إزالة النطرية (التواليت) عن وجه الغانية ، ونسف التطريف (المانوكير) عن بنانها ، وما سوى ذلك من إعداد الغانية الحسناء لتبدو مرة أخرى فى حلى وبهاء وزينة

لا أتشاءم ولا أتفاءل ، فالقدر قد قضى على الدنيا قضاءه ؛ وما ندرى ما يراد بنا منذ اليوم ! فرب شر نتوهمه كذلك قد احتقب الخير ، ليرمى فى أرجاء الدنيا غرساً جديداً فى أرض جدد ثراها ما أصابها من تدمير وهدم . إن بعض القسوة فى الحياة يكون كتشذيب الشجر فى إبانه ، يقطع منه ليزداد قوة على إثبات وجوده وتقرير حقه فى البقاء نامياً فينان يسمو وينتشر ويخضر ويثمر . وقانون الفطرة الذى تجرى أحكامه على الطبيعة لتتجدد ، لا يخطئ ابن الطبيعة يعمل فيه ، ليصنع له حياة جديدة تثبت أن وجوده على الأرض حقيقة نامية أبداً ، إن يكن الماضى قد باد فى التاريخ ، فإن الحاضر يثبت إثباتاً عملياً أنه مستمر فى الحاضر ، ويكون استمراره فى الحاضر دليلاً على امتداده إلى المستقبل . ويكون من جميع ذلك أن الحياة الدنيا مهما أصابها من شىء باقية ، لا يمحوها إلا القانون الآخر الذى يجعل لكل أول نهاية ينتهى إليها . فإذا جاء أوان هذا القانون فقد بطلت حيلة المحتال

إن الزمنَ الذى يمشى فى الأرض فتخضرُّ منها مواطئُ أقدامه ، هو نفسه الزمن الذى يدب عليها فيُسمع لدبيبه دمدمة مما يتقصف تحته من عمارة الدنيا وبنيان الحضارة ، وعلى مواطئ الزمن تتنزل الحضارات كلها أو تتهدّم . ومن يوم أن تمهدت الأرض بالحياة يبيدُ شىءٌ ويقومُ شىءٌ ، وما يزول منها ما يزول إلا ليحل عليها ما يحل ، لأن الحركة دليل الحياة ، فلا يثبت معنى الحياة إلا بها ، وما يتحرك من متحرك إلا لتكون لانتقاله نهاية إليها يتوجه ، وعندها يقف . فإذا وقف فهذا آخر أنفاسه ، ثم يسكن سكون الموت

فما بنا على ذلك أن نتشاءم أو نتفاءل ، وما التشاؤم والتفاؤل إلا حركة النفس الفارغة التى لا تجد عملها ، فهى تعمل فى إرهاق نفسها بما لا ينفعها ولا يعنيها ؛ وليس من عمل الإنسان ما هو أضر عليه من إجهاد نفسه فى باطل ، والجهاد بها فى غير طائل . فإذا أردنا اليوم أن ننظر فما ننظر إلا لنعرف الطريق التى يجب أن نقرر لجهودنا أن تمهدها لنا ولمن يأتى بعدنا على تدبير وسياسة

والقــدرُ اليومَ قد قضى بين الناس ، ووضع القضية لمن يختار ، فمن شاء أن يدخل فى عقد هـذا وعهده دخل فيه ، ومن شاء أن يتخلَّف فقد رضى لنفسه على مَيْزة وبصيرة ، وما ينقض القدر قضاءه الذى أبرم ، فيأتى من يأتى ينوحُ بما ظُلم ، ويتوجَّع بما غُبِنَ !!

ونحن قد لقينا من أحداث الدهر ما ردَّنا بعد عزٍّ إلى قرار هوان . وقد أنَى لنا أن نرفع أنفسنا من وهدة واطئة قد ربضت بنا فيها سلاسل من حديد الذل ، وقد حضرت ساعة ينبغى أن نفصل فيها بين عهد مضى وزمن يستقبل ، فإذا قمدت عزائمنا ، وعميت أبصارنا ، فأنفسنا نضيع ، وأرواحنا تزهق

جاءت هذه الحرب لتنسف تاريخاً شامخاً ثقيلاً قد اضطجع على حياة الشرق كما يضطجع الجبل على سفحه الرَّحْب ، فإذا تأخر الشرق وتهاون وتكاسل على ما عوَّده الموت الروحىُّ الذى كان فيه ، فقد سنَحتْ له الفرصة ثم ولَّت عنه ، وتركتْ يدَه ممتدَّة لا تمسكُ إلا أذيالَ الريح التى استَرْوَحتْ عليه بأنفاس الصيد وروائحه

إن فى هـذا الشرق لميراثاً نبيلاً من الأعمال والأخلاق والآداب والسياسات ، ولكن هذا الميراثَ الضيِّع النسى لا يجدى من خير على نائم قد أغمض عينيه عن الحياة ، استمتاعاً

بحياة أخرى تمرضها له أحلام رخية تختال فى خياله . هذا الميراث المجهول فى حاجة إلى من ينفض عنه غبار القدم ، وأتربة الإهمال ، ويزيل عنه أدران الجهل والخمول ، ويجلوه مرة أخرى على أعين الناس مضيئاً مشرقاً يتوهج بأنواره كأحسن ما يتوهج

لقد كانت الحضارة الأوربية الماضية ، وقامت على روح من الأثرة والبغى والاستبداد ، وفقدت كل معانى الروح السامية التى تبذل أكثر مما تأخذ ، وتمتد الغنى من الاستغناء لا من الجمع والتعديد ، وتجعل حرية النفس فى ضبطها وإمساكها على المصلحة لا فى تسريحها وإرسالها على مد الشهوة . وقد كان للشرق مجد وحضارة ومدنية ، وتمم الإسلام كل الكمال لهذه الحضارة بما أقام للناس من شرائعه وآدابه ، وجاء على الشرق زمان كان الإصلاح فيه ضرباً من إفساد الصالح ، وزيادة الفاسد فساداً وخبالاً . وكذلك ضاع كل شىء ، ورجع بنا الزمن إلى جاهلية جهلاء ، تقوم على التقليد لا على الإبداع ، وعلى التابعة لا على الاستقلال ، وبالكبرياء لا بالتواضع ، وحتى ذكرى مجدنا السالف قد صارت عندنا نخوة جاهلية فى التعظم بالآباء والأجداد ، لا عملاً عظيماً تمظمه أعمال الآباء والأجداد والوراثة القومية النبيلة

والحضارة ليست هى العرض الظاهر من قوتها وبنيانها وفنونها وكل ما يقوم به نمت الحضارة ، بل الحضارة هى السر الذى يعمل فى إيجاد ذلك واستنباته ، وإخراجه على الأرض واستثماره : هى سر الحبة التى تنبت الدوحة ، والذرة التى تقوم بها المادة . فكل حضارة لا بد لها من روح تعيش بها وتنمو ، وعلى ما فى هذه الروح من النظام والتدبير والنبل والسمو ، تنشأ الحضارة منظمة مدبرة سامية نبيلة . ونحن لا نشك فى أن الروح التى ورثها الشرق فى نواحيها ، والتى طهرها الإسلام من نواحيها وأتمها ، وأحسن سياستها ، ونفى عنها خبثها ـ هى التى تستطيع أن توجد على الأرض حضارة تملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وتفيض بها رحمة كما فاضت غلظة ، وتجعلها طريقاً للإنسانية تخرج به من ظلمات الباطل والبغى والغرور إلى نور الحق والتواضع والمساواة . ويومئذ لا يقتتل الناس من أجل سلب الحق لزيادة فى أنفسهم وجنسياتهم ، بل يقتتلون ـ إن هم اقتتلوا ـ من أجل إعطاء الحق ورده على أهله مهما اختلفت جنسياتهم ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بما يحسن هذا ويسىء ذاك ، ويصبح القانون العالمى ، قانون الحق يستقر حيث ينبغى أن يستقر

إن العالم الآن ليقتتل على غير غرض إنسانىّ كامل مقرَّر لا يشذ على غاياته ومبادئه أحد . إنه يقتتل على طعام يؤكل ، بل على هذا الطعام كيف يُؤكل . فليس لهذه المدنية الأوربية إلا معنًى جنسىٌّ مُتَعصِّبٌ تدافع عنه لنفسها لا للإنسانية كلها ، لا يشك فى ذلك إلا من طمس الله على بصيرته ، وقادته أهواؤه وغرائزه دون عقله وواجبه . وما هذا التوحش الحيوانىُّ فى هذه الحرب إلا نتيجة طبيعية للفكرة القومية المستذلة التى لا تريد إلا أن تستولى على أعظم ما يمكن أن تضع يدها عليه لتستمتع بالحياة والشهوات والسلطان

أما الإسلام — وهو روح الشرق من أقدم عصوره على اختلاف أديانه وأجناسه — فقد وضع كل أثرة قومية جاهلية تحت قدمى صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وسوّى بين الناس من أهله وبينهم وبين أهل ذمته وعهده ، واختار المسلمين ليكونوا شهداء على الناس ، فيكونوا قضاة يحكمون بالعدل لا يمنون ولا يجورون ، وجعلهم دعاة يدعون إلى مبدأ يتساوى عليه الناس ، فمن دخل فيه فهو منه ، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وكتب عليهم القتال وأمرهم بهم ، وعظم الجهاد فى نفوسهم ، ولكنه قتال على دعوة إلى هذا المبدأ وجهاد فى سبيله وحرم عليهم العدوان ابتغاء عرض الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها

فالمسلم من دينه فى قانون إنسانى كامل ، لا يعمل للجنس أو الفرد أو السلطان والسيطرة ، بل يعمل لإعطاء العالم كله روح المساواة ، قد تحاجزوا بينهم فى الشر ، وانطلقوا فى أيامهم يعملون على إثباتها فى تاريخ الدنيا بجودها لا باستبدادها ، وبنائها دون لذاتها ، وبالسمو بها إلى الإشراف على نظام الدنيا والسمو بها ، لا بسيطرة القوة على إخضاع الدنيا وإذلالها ، وجعلها كالبقرة يُحلب درُّها لمن يملكها . فالقانون الإسلامى العظيم هو روح الحضارة التى يجب أن تسود العالم ، فإنها حين تسود عليه تجعل الحق هو السيد الذى تخضع له أعناق الناس ، لا يبغى بعضهم على بعض فى سبيل شهوات غريزية حيوانية مفترسة ، يغذوها الدم ويهيجها الدم ، فهى آكلة لا تشبع وثائرة لا تقر

والمسلمون اليوم هم جل الشرق ، وروح الشرق ، ولكنهم مسلمون قد أُفرغوا من معانى الإسلام وبقيت ألفاظه تديش بهم. إن كل فضيلة من فضائل هـذا الدين ، وكل عمل من أعماله قد انتزعت منه روحه ، فتعامَل الناس على ما خيَّلتْ ، لا يبالون ما أمروا به ولا مانهوا عنه ، ففقد هـذا الشرق الرأى العام الإسلامى الذى يكون تعبيراً صحيحاً عن إرادة الإنسانية فى الاستعلاء والسمو . ولكن هذه الحرب قد تثير هذا العـالم الراكد ، وتدفع فيه أمواجه الأولى التى غسلتْ وجه الأرض وطهرته من دنس الحياة المـادية العابثة المعربدة ، فإذا كان ذلك فإن هذا الشرق قد أعد اليوم لأمر جلل ، وقد حفظ الله له تاريخه الذى ورثه كاملاً فيه الأسوة وفيه العبرة ، وفيه فلسفة الحياة الاجتماعية التى تجعل الفرد الواحد أمة كاملة لأنه هو ممثل الأمة ، وتنصبه حاكما لأنه يحكم نفسه أول ما يحكم ، وتهيئه جيشاً محارباً فى سبيل الحق الأعلى للانسانية ، لأنه يحارب نفسه أول مايحارب فى إقرارها على إعطاء الحق لمن يستحقه من حقيقة نفسه

فاليوم يوم الشرق إن اختار أن يبدأ حركته إلى الغاية التى أمر بالبلوغ إليهـا والوقوف عليها شاهداً قاضياً ، يدبر الأمر ويصرفه فى سيادة الحق كله على الباطل كله . ونحن لا ننسى ما صرنا إليه ، ولا نغفل عما فرغت منه أيدينا من أسباب الغلبة التى تتحكم اليوم فى مصير الدنيا ، ولـكن الإرادة التى تحكم الرجل الواحد ، تستطيع أن تحكم العالم كله ، وسبيل ذلك أن يكون كل رجل مريداً إرادة صارمة لغرض مقصود بعينه ، فهذه الإرادة هى التى تفتق له الجو الإلـهى الذى يعد الإرهاص للمعجزة الإنسانية

ستكون أحداث ، وتتجدد على الناس نوازل ، وتسيل الـكوارث من كل مسيل ، ولـكن الشخصية الاجتماعية التى لا تختلف ولا تتدابر ولا تتمادى ، تستطيع أن تغرس فى أيام المحن غرس المجد الإنسانى السامى ، لتنبت شجرة يمتد ظلها ، ويترامى فيئها ، ويطيب ثمرها ، ولا يكون ذلك إلا بعد جهد ومشقة وعنت ، ومصابرة للنفس على لأواء الحياة التى فرضت علينا أن نتألم ، وأن نصاب ، وأن يبلغ منا العذاب مبلغاً يُجهد ويؤود

فهذا أوان يستطيع الشرق أن يضرب الاستحكامات فى أرضه وفى أوطانه بأخلاق سامية عاتية ، فيها القدرة على النمو ، والقوة على البقاء ، وأن ينظم لحياته نظاماً يهدف بغاياته إلى مستقبل يمتد عنه أو يقرب على حياطة تحفظه أن يقع فيه ما وقع فى أيام البلبلة الأخيرة التى تبعت الحرب الماضية . نعم ، إن الشرق يفقد اليوم زعيمه الذى يهب من جاعاته كالأسد تنفرج عنه الأجمة الكثيفة عالىَ الرأس حديد النظرة ، تتفجر القوة من كل أعضائه ولـكن ، أيمنع هذا أصحاب القلوب الحية التى تشعر بحاجتها إلى هذا الرجل أن تهزّ شموسها هزًّا عنيفاً متتابعاً ، حتى ينفلتَ إلى المقدمة ذلك الأسد الرابض إلى الأرض فى قيوده الاجتماعية التى تقعد به عن الحركة للوصول إلى المـكان الذى أعده له القدر ، ليبدأ بدأه فى إعداد الدنيا لاستقبال الدين الذى سيتجدد فى الدنيا ، لأنه هو سر الدنيا وسر القدر

إن علينا أن نعمل ، فإن كان ما أردناه وما نتمناه ، فذاك عز الإنسانية ورضوان من الله ، وإلا فقد أدينا ما وجب ، ولله الأمر من قبل ومن بعد

محمود محمد شاكر

حركات الإصلاح الإسلامية

٥ - أزمة إسلامية

للدكتور على حسن عبد القادر

لم تبق حركات الإصلاح محصورة فى الهند ومصر ، ولكنها تعدتهما إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، وذلك أن حركة التبادل الفكرى فى العالم الإسلامى قوية عنيفة لا يمكن معها أن تبقى مثل هذه الحركات مقصورة على مكان واحد . وعلى الأخص إذا كانت أفكاراً لذوى الشخصيات القوية مثل جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ممن تعدت أفكارهم وآراؤهم الحدود ووجدت صدى بعيداً وتأثيراً مباشراً

وقد ظهرت فجأة وعلى غير انتظار حركة إصلاح دينى هى حركة الإصلاح فى تركيا ، ذلك الشعب الذى لعب دوراً فى قيادة العالم الإسلامى عدة قرون . وقد جاءت هذه الحركة متأخرة عن الحركات الأخرى ، ولكنها كانت مع هذا التأخر أشد من أولئك فضلاً وأنفذ عملاً . أما السبب الذى جعل تركيا التى كانت تسير فى الإصلاحات السياسية والثقافية فى المقدمة وعلى قمة الناهضين — لا تهتم اهتماماً استقلالياً بالإصلاح الدينى إلا آخراً ، فإن ذلك يرجع إلى أسباب من أنواع مختلفة ، فمن ذلك أن الأتراك بطبيعتهم لم يكونوا باحثين منقبين ، ولم يساهموا فى تطور الإسلام بسهم ملحوظ ؛ فإنهم عند ما دخلوا الإسلام كان الدين والتفكير فيه قد انتهى إلى شكله النهائى الذى وصل إليه. وكما أنهم لم يساهموا فيه أولاً، كذلك لم يساهموا فى نهضته آخراً ، لما هو فيهم من ميل وسنى لاقتباس المدنية الغربية ، وكلما ظهر تأثرهم بهذه المدنية قوياً ظهر إمكان إيجاد الاتصال بين الإسلام وبين العقلية الحديثة للشباب التركى أمراً بعيداً

وتطور التركية الحديثة يسير منذ زمن طويل قليلاً أو كثيراً فى طريق لا يقوم على أساس أو خلق بل هو عار عن كل وطنية أو دين ، وهو ما يسمى فى الشرق بالنزعة الغربية أو الأوربية occidentalismus على أننا لا ننسى أمراً مهما وهو أن عصر طغيان عبد الحميد كانت تمجد فيه مذاهب السنة والتمسك بها فى الآستانة . ومن الحق أن جمال الدين كان قد أثر هناك، ولكن تأثيره كان ضعيفاً من سوء ظن السلطان به؛ وكانت أفكاره قد طبعت من جانب عبد الحميد بطابع سياسى عملى. وفى هذه الفترة التى اشتد فيها النزاع الداخلى بين الإسلام والتقدم الأوربى كان لا يمكن أن تأتى هذه الأفكار بثمرة . وهكذا نرى أنه بعد ثورة ١٩٠٨ أخذت مسألة الدين مكاناً واهتماماً بنفس الشكل الذى كان عبد الحميد يحاول بشدة تنفيذه ، وأخذت الحركة الروحية النائمة التى كان يحاول إيقاظها تدب فيها الحركة

وفى بدنا الآن بحث قيم وضعه عن تطور حركة التجديد فى تركيا تركى مثقف ثقافة غربية كاملة ، ولكنه فى الوقت نفسه ذو إحساس دينى حار ، وهو أحمد محيى الدين الذى مات مع الأسف فى سن مبكرة[1] أما كيف سار التجديد بسرعة قبل أن يقطع طريقه مرة واحدة فيتبين لنا ذلك من هذه الحقيقة وهى أن محيى الدين استطاع أن يكتب فى سنة ١٩٢١ هذه العبارة : « إن طريقة أهل السنة التى غرضها التمسك بالإسلام بشكله التاريخى الحاضر قد أصبحت اليوم مغلوبة مهزومة» . فى هذا الوقت (١٩٢١) كان يتنازع الغلبة مذهبان مختلفان أشد الاختلاف : المذهب الوطنى die onationalistische Richtungen الذى كان يتزعمه الشاعر المفكر ضياء جك ألب . والمذهب الآخر الذى سماه محيى الدين « المذهب الإصلاحى » Reformation والذى كانت تقوم عليه شخصية الشاعر الواعظ محمد عاكف ، ويعمل برنامجه الأمير المصرى والوزير العثمانى محمد سعيد حليم[2] . ومن الممكن على احتمال قليل أن نميز أولهما بأنه سياسى ثقافى والآخر بأنه دينى إصلاحى والمهم هنا هو أن كليهما قد وضع لمسألة الدين طريقاً واحداً للسير فيه . فكل منهما — كما يقول محيى الدين — يرفض الإسلام التاريخى ويطلب الرجوع إلى الإسلام الأول ، وكل منهما يرفض اعتبار الشريعة للوقت الحاضر ويطلب

---

(١) Ahmed Muhiddin, Die Kulturbewegung un modernen Türkentum (Leipzig 1921)

(٢) راجع عن برنامج محمد سعيد حليم وضياء جوك الب ترجمة فيشر : Fischer, Aus der religiosen Reformbewegung in der Turkei (Leipzig 1922)

حرية الاجتهاد . فهما – كما نرى – قد رسما خطة للتجديد واسعة . ونستطيع أن نتبين من غير صعوبة أن برنامجهما المشترك يتفق في أهم نقطة مع برنامج الإصلاح المصري . وفي الحقيقة أن الارتباط الشخصي ظاهر بين « المذهب الإصلاحي » التركي ، وحركة الإصلاح المصرية ، وأمور الإصلاح فيهما متفقة

وقد وضع المذهبان التركيان لهما شعاراً للاصلاح الديني كلمة « إسلام أشمق » بمعنى الرجوع إلى الإسلام . وعند تفسير هذه الكلمة عند كل من المذهبين يتبين لنا الفرق الأصلي بينهما

ومعنى هذه الكلمة يرجع في مرحلتها الأخيرة إلى جماعة المؤمنين المتمسكين بالقديم ، إزاء المصريين المندفعين في تيار الأوربية المنكرين للإسلام . ثم لما كشف القناع عن دخيلة هؤلاء الأتراك الذين لا دين لهم ولا وطنية أخذ هذه الكلمة الوطنيون أصحاب المذهب الوطني في برنامجهم الثلاثي : (ترك — إسلام — تجديد) وأراد به هؤلاء الوطنيون تحرير الإسلام من أعمال أهل الدين المتأخرين ، ومن أمور زمنية ومكانية التصقت به من أول الأمر ، ولكن كما يظهر من البرنامج الثلاثي فإن هذه الكلمة تصور طلباً من طلبات الوطنية ؛ والنقطة الرئيسية والعماد الأهم إنما هو الناحية السياسية الثقافية ، فكلمة « الرجوع إلى الإسلام » هي على الأكثر القالب الذي يصب فيه البرنامج ما يحس به من مسألة الدين كنقطة هامة . وهكذا حدد هذا البرنامج الدين في مجاله الضيق وفصل عنه الجانب الآخر من الحياة الإنسانية ؛ فهو يطلب مباشرة فصل الدين عن الدولة ، وغايته حياة دنيوية غير روحية

وعلى الضد من هذا « المذهب الإصلاحي » فهو مع إحاطته على العموم بالحياة الثقافية والسياسية يتعمق من الوجهة الإصلاحية في الدين وما يعنيه من « الرجوع إلى الإسلام » . فهو يعني الرجوع إلى الإسلام القديم ؛ لا بإبعاد الأمور التي غيرت منه أثناء تطوره التاريخي فحسب ، بل أيضاً وقبل كل شيء يريد الوقوف ضد هؤلاء المصريين المندفعين في تيار الغرب وضد دعاة المذهب الوطني ، فهي حركة دينية تريد أن يكون الدين قوة تخضع لها كل الحياة الدنية من غير إضرار بحرية الفرد ، وهي في هذا متفقة مع الحركة المصرية مختلفة مع المذهب الوطني أصلياً في مسألة الدين

وقد يختلف المذهبان اختلافاً جزئياً في طلباتهما ، ولكنه أقل من اختلافهما في الدوافع ، وكما يتحدان في نقدهما للاسلام التاريخي في كل الأمور ، يتحدان أيضاً في كثير من المسائل العملية ، فالفرق بينهما ليس فرقاً ظاهراً للعيان ، ولكنه فرق كامن في الأساس . ومن الحق أن نقول من جانب آخر إن عدم اهتمام المذهب الوطني بالدين لا يصح أن يؤخذ على معناه الواسع ، فإن شمر ضياء جوك ألب الديني يرينا بوضوح أنه ذو شخصية دينية محافظة عميقة

إلى هنا قد تعرفنا أهم أشكال الحركات الإصلاحية الحديثة في الإسلام ، أما حركات هؤلاء الوافدين على أوربا وأمريكا مثل الحركة البهائية الفارسية أو الأحمدية الهندية ، فهي حركات منفصلة لا تمت كثيراً إلى الحنيفية الإسلامية

وأخيراً يتبادر لنا هذا السؤال : هل تلك الحركات إذا ما أمكن تحقيقها تستطيع إلى مدى بعيد أن تحقق الاتفاق مع التفكير العصري والأخذ بحركات التقدم العلمي والمادي ؟ وجوابنا على هذا السؤال بالإيجاب بدون قيد ولا شرط ، فإن العقيدة الإسلامية لا تمنع أي تطور تجديدي ، بل هي في أصلها أشد مرونة وأساس قياداً من العقيدة المسيحية . والذي يظهر أنه مانع لا يذلل هو الفقه المكون من تفصيلات تافهة ، فإذا ما ترك هذا كما هو الأساس في كل حركات الإصلاح فإن التقدم العصري — حتى بمعناه الأوربي — يكون بابه مفتوحاً على مصراعيه .

علي حسني عبد القادر

أنا ... والقلم

للأستاذ علي الطنطاوي

[بين يدي الآن رسائل من بيروت وحمص وبغداد والأسكندرية وأم درمان من إخوان كرام ما كان لي شرف الاتصال بهم ، كلهم يسألني لم لا أكتب في الرسالة في هذه الأيام ، ويشفق أن تكون الأرزاء قد هدت ركني وكسرت قناتي .. فكتبت هذا الفصل هدية إليهم وجواباً]
« ع »

أعترف أنها قد جفّت قريحتي فما تبض بقطرة ، وكلّ ذهني ، ومات خيالي ، ومرت عليّ أيام طوال لم أستطع أن أخط فيها حرفاً ، وعدت من العيّ والحصر كأول عهدي بصناعة الإنشاء ، وأصبحت وكأني لم أكن حليف القلم وصديق الصحف ، وكأني لم أجر للبلاغة في مضمار ... وما أدري أأرانى الله من حرفة الأدب التي ابتلاني بها وابتلاها بي ، أم هي سكتة عارضة وعُقلة مؤقتة ، كالذي يعرض للشعراء والكتاب ، ثم تزول السكتة وينطلق اللسان ، ويعود أحدٌ مما كان ؟ . وما أدري أعلّة ذلك الزواج ، وقد قالوا إن زواج الأديب يؤذيه وتنور منه ينابيع فكره ، أم هي الرزايا والآلام ، وما يغيظ الأديب من انحراف الأمور عن صراطها ، وتقدم من حقه التأخر ، وتأخر من يستأهل التقدم ، وضياع الحقوق وغلبة الجهال ، أم هذه العزلة الحسية والروحية التي أبت إلها طوعاً أو كرهاً ، فجعلت حياتي كالبركة الساكنة ، لا يسقط فيها حجر فيثير أوحالها ويخرج دررها ؟

إني كلما أخذت القلم لأكتب ، أحسست أنه يحرن ولا يملكني زمامه ، وأنه يستعصي عليّ ويستعصم مني ؛ وأجدني أميل إلى مطالعة كتاب ، أو أنظر في صحيفة . فأقبل على القراءة ، وأعوض على ذهني ما فاته منها في هذا الزمن الطويل ، وإني لا أزال أحتاج إلى تعلم كثير مما أجهل ، ولا يزال في الكتب ما لا أستوعبه في شهرين أو ثلاثة ، ولست قائلاً مقالة ذلك الدعيّ الذي زعم أنه قرأ ديوان الفرزدق في خمسة عشر يوماً ، ولا والله ما يفهم قصيدة منه واحدة في شهر ... ولا الذي ظن أنه علم كل شيء حتى ما يسائل واحداً عن علم مسألة لكي يزدادها ! فأسلمتني المطالعة إلى الزهد في الإنشاء ، ومال بي الزهد إلى إيثار الدعة وابتغاء السلامة ومحبة الخمول ، بعد الرغبة في الذكر ، فسبحان مقلب القلوب ...

ولقد كنت أشكو الغربة وأضيق بها ، فصرت أشكو فقدها . ويا حبذا الغربة ، وأنعم بها مثيراً للشعور ، موقظاً للهمم . كنت أتألم منها فأصف ألمي ، وأشتاق فأصور شوقي ، وأرى فيها جديداً فأنتبه إليه ، فأكتب فيه ؛ فرجعت أمرّ على المشاهد غافلاً عنها لأني آلفها كلها وأعرفها ، ورجعت لا آلم ولا أسر ، ولا أقول إني راض ولا مبتئس — وهذا لعمري شرّ ما يمر على الأديب من الأحوال ، وهذا هو الموت ... ولربما شغلني سفساف الأمور ، وأضاع عليّ الكثير من وقتي . وهل ينفع القراء أن يعلموا أن عملي منذ شهر الطواف في أحياء دمشق من شرقها إلى الغرب ، ومن شمالها إلى القبلة ، أفتش عن دار أستعيض بها عن داري (في الجادة الخامسة) ، لأن حماقة صاحبها كرهت إلي جمال مستشرفها ، وطيب موقعها ... وأن أعصابي في ثورة دائمة ، عفت معها الحياة ، من صبية عشرة — أحيام الله لأبويهم — يسكنون الطبقة التي تحتنا ، لا يهدؤون لحظة ولا يسكنون ولا يفترون عن بكاء أو صياح أو غناء ، أو قرع باب أو كسر شباك ؛ وقلبي يخفق وأعصابي تتمزق ، ولا أنتفع من نفسي بشيء . وإن شكوت إلى أحد سخر مني وضحك عليّ . فليتصور القراء مبلغ ما أجد من الضيق والأذى ، فياليت أني لم أعط ملكة الكتابة ، أو ليتني إذ أعطيتها عرفت كيف أستفيد منها ، فما شيء أصعب على الرجل من أن يريد ولا يقدر أو يقدر ولا يريد ...

وليثق القراء أن يوماً يمرّ عليّ لا أكتب فيه شيئاً أو أعد في نفسي شيئاً لأكتبه لهو يوم بؤس عليّ لا يوم نعيم ، وأن أول ما أفكر فيه إذا سرني أمر أو ساءني ، أو أعجبني أو راعني ، كيف أصوره وأعرض على الناس صورته كي أنقل إليهم شعوري ، وأقاسمهم عواطفي ، لا أفعل ذلك للشهرة والمجد الأدبي ، ولا للنفع ولا للضرر ، فقد بلغت من الشهرة ما يصح الوقوف عليه لو كانت الشهرة أكبر همي ، ولكني رغبت عنها لأني وجدت ما نلت منها لم يُنلني خيراً قط . ثم إنه ليس بين الرجل وبين أن يشتهر في بلادنا بصفة الأدب إلا أن يكتب فصلاً أو فصلين ؛ فإذا هو ومن ملأ الأسماع أدباً حقاً وبلاغة باقية سواء ، ولكني أكتب — علم الله — لأدفع عن نفسي الملل وما يصيبها من الألم إذا أنا لم أكتب ، فكأنني

أعمل بالغريزة التي تدفع النحل إلى اتخاذ العسل والعقارب إلى نفث السم ، وكل حي من الحيوان إلى ما سخر له من نفع أو ضرر . ولا أعلم أأحسن أم أسيء، ومتى يكون الإحسان وكيف يجيء، وكل ما أعلم أن فكرة تخطر على بالي تأتي بها نظرة أو سمة ، فتنمو فيها حتى تملأ ذهني وتسيطر عليّ ، فلا أملك عن تدوينها تأخراً ، فآخذ القلم فإذا هي تجر وراءها أخوات لها ، وإذا أنا أمضي في الكتابة لا أكف حتى يكون القلم هو الذي يقف ، ثم أبعث بذلك إلى المجلة أو الجريدة ، فإذا أبطأت بنشره أو أهملته سخطت وثرت ؛ وإن نشرته فرحت به وقرأته بلذة ، فإذا مضى عليه يوم عدت إليه فرأيت عيوبه . فقلت ليتني نقصت من هنا وزدت من هناك ، وحذفت هذا أو أثبت ذاك . . . ثم لا يمنعني ذلك أن أعود إلى خلقي من الإسراع كرة أخرى . ولقد حاولت التنقيح والصناعة مرة فأفسدت من حيث توهمت الإصلاح ، فعدت إلى طبعي . فإذا كان في الناس من يعجبه ما أكتب فالحمد لله . . .

وما سكت لقلة في الموضوعات ، ولكن لجفاف في القريحة . ولو كان بي أن أكتب لوجدت في كل شيء موضوعاً لفصل ، غير أنه لا بد من العاطفة والفن ، ولو كان الأدب الواقعي أن تسرد كل ما (وقع) لك لكان الناس كلهم أدباء ؛ ولكن الأدب الواقعي أن تأتي بالصورة الجميلة ، قد صقلها الطبع ، وبرقشها الخيال ، وزانتها العبارة الصحيحة ، والسبك الدقيق . لكنك لا تخرج فيها عما (يمكن أن) يقع . . .

ولو أسعدتني القريحة لكتبت في وصف هذا الفتى الذي صحبنا في لجنة من لجان الامتحان كان فيها عالم الشام الشيخ بهجة البيطار ليصحح معنا أجوبة التلاميذ فكان كلما وجد استعارة أو مجازاً خط تحته خطاً ، وكلما وجد ترادفاً من اللفظ أو مزدوجاً من الجمل مد مدّة فوقه ، ثم نقص عليه من درجات التلاميذ درجة . فحاورناه في ذلك فكان من رأيه الذي تعلمه في باريز وعلّمه التلاميذ الذين جعلوه معلمهم، أن المذهب الجديد ينكر ذلك ويعده غلطاً ، وكانت حجته القاطعة على صحة رأيه أنه رأيه . . . وبذلك دفع كل ما ردّ به عليه الشيخ ، وما بيّن له من سنن العرب في كلامها، وما جرى عليه بلغاؤها وما نزل به الكتاب . . . ومال ناظر المدرسة إلى (رأيه ...) لأنه هو وحده بيننا الذي يحمل شهادة التخصص في اللغة العربية من ... باريز !

ولو أسعدتني القريحة لكتبت في التعليق على الامتحانات وما يكون فيها من الوساطات والشفاعات والالتماسات وما نالني منها ، وكم أبصرت في داري من وجوه ما كانت لتكون فيها لولا الحاجة . . . وطلب (الشفاعات) . . . وما يحيق بالمدرس المستقيم الشريف من عنت ومشقة ، وما يقال عنه وما يلقى ... وما يتخذ التلميذ من طرق الغش والحيل ، فإذا أظهرتها وعاقبته عليها زعم أنك ظلمته، وتمسكن وجعل نفسه ضحية فأثار عليك الناس ، أو (تنمرد) واستكبر فبطش بك ، أو شتمك أو وكل بك من يقوم بـ (الواجب) !

ولو أسعدتني القريحة لكتبت في تاريخ الأدب فصلاً أجعل إهداءه للدكتور صليبا ليرى أن الله لا يستحيل عليه أن يمنح ملكة الأدب من لا يحمل شهادة اختصاص فيه . . . وأن الشهادة بلا علم ليست دائماً أفضل من العلم بلا شهادة . . .

ولو أسعدتني القريحة لوصفت هذا المشهد الذي يملأ النفس ألماً ، ويفجر القلب أسى ، منظر زميلنا المعلم الشاب (مصطفى شكري خسرو) الذي كان موعد زفافه اليوم ، وكان صحيحاً معافى ، فرئي اليوم نعشه يمشي إلى المقبرة وعليه غطاء سرير العرس ووقفت زوجته التي كانت ترقب الزفاف ، تشهد الدفن ...

مثل هذا الموضوع ينشد الأديب ويبتغي ، ينشد لحظات الإشراق والتجلي ، إذ يحس بأنه خرج من ذاته ، فدخلتها روح أخرى ، فطارت به إلى الملأ الأعلى ، فأرته ما لا تراه عين ، ولا تحيط بوصفه لغة بشر ، وإنما يصور بإشارات ورموز ترفع قارئها إلى هذا العالم النوراني العجيب

* * *

أما المشفقون علي ، الخائفون أن تلوى الحادثات قناتي ، وتهد ركني ، فليعلموا أني في أمان ، وأن رسالة الأديب أن يطاعن عن الحق ويناضل حتى تعلو كلمته ، أو يصرع دونه ، ولينظروا أيهما أسير في الناس وأشهر ، أورقة الشهادة الناطقة بفضل صاحبها ، أم مجلة يكتب فيها الأديب فيقرؤها مائة ألف ؟ وأيهما أقوى وأمتن، أهذا القلم الدقيق أم أرجل الكراسي التي يثبت عليها (أولئك) ويعلون بها ؟ وأيهما أحد وأمضى ، ألسان البليغ المفوه أم ألسنة ينفاوات الليسانس والدكتوراه ؟

إن لكل أديب رسالة ، فليقوّنا الله على تأدية الرسالة

علي الطنطاوي

أضرار التشجيع

للأستاذ سعيد الأفغاني



إن من عادتي إذا حل الصيف ونفضت عني عناء التدريس وذيوله من امتحانات ومراقبات أن أفيء إلى قاعة المجمع العلمي العربي، فأسرح الطرف بما يرد إليها من الكتب والمجلات الغريبة. وكان أن وقع في يدي عدد من مجلة «العصبة[1]» الصادرة في المهجر، فطفقت أطالع فيها، فوقفت عند هذا العنوان «ذلك الأمي اليتيم. بحث أدبي لا ديني» وإذا بالكاتب يسيء فهم النصوص ويغمز الأئمة الذين أجمعوا على أمية الرسول صلى الله عليه وسلم منذ صدر الإسلام حتى يوم الناس هذا، ويعجب من غفلتهم، ثم يتلطف بهم ويعتذر لهم بأن الخطأ أتاهم من حيث إن النبي كان أمياً ثم زالت أميته!

يتساءل حضرته: هل زالت عنه الأمية كما زال عنه اليتم بعد أن تقدمت به السن؟ هل تعلم القراءة؟ (وهو يعني طبعاً القراءة في الصحف التي لا يعرفها إلا من تعلمها مع الكتابة تعلماً). ثم قال: «نجيب بكل جرأة (هكذا والله بالحرف) إنه تعلمها وبز الأولين والآخرين!» انتهى وما شاء الله كان

ويأبى بعد ذلك إلا أن يسرد ما يراه حججاً من مثل: «أنا أفصح من نطق بالضاد»، «أنا مدينة العلم...»، «اطلبوا العلم...»، «اقرأ باسم ربك الذي خلق»

لست أريد الرد على هذا الكلام ولا أنا بصدد شرح أمية الرسول فمن العبث المخجل أن أشغل القراء بما هو معلوم من التاريخ بالضرورة، وإن مما يفهمه الصغير قبل الكبير أن القراءة معناها مطلق التلاوة، و (اقرأ) الواردة في الآية معناها (اتلُ) عن ظهر قلب لا أن يسرد ما في صحيفة أو كتاب. وإن حض الرسول على طلب العلم، وكونه أعلم الناس لا ينافي أميته، وكل ما في الأمر أن هذا الناشئ جهل الفرق المقرر بين (الأمية) و (العامية) فتوهم تناقضاً بين النصوص، وأن هذا التناقض عمي عنه الأولون والآخرون حتى طلع حضرته ببصيرته النافذة ونظره الثاقب فأزال لبسه وحل تناقضه بقوله: كان أمياً ثم تعلم وزالت أميته. دع عنك ما يعرفه كل مطلع على سيرة النبي من اتخاذه كتاب الوحي ومن استعماله الرجال ليكتبوا عنه إلى الملوك ومن الحادث المشهور في الحديبية حين سأل علياً عن مكان كلمتي (رسول الله) من الصحيفة ليمحوها بيده الشريفة إذ أصر رسول المشركين على محوها وامتنع علي... إلى آخر القرائن التي لو لم يكن غيرها لما ساغ لأحد عنده شيء من الفهم أن يذهب إلى نفي أميته، فكيف ونصوص القرآن نفسها مصرحة بأميته في آيات مكية ومدنية، ولو لم يكن إلا هذا التواتر الصارخ لكان لعاقل أن يتهم عقله إذا تطرق إليه في هذا الأمر شك مهما ضؤل

أم كان من الحتم إذا قرر كاتب أن يحثه غير دبني أن يركب رأسه فيه فينقض المبرم ويبرم المنقوض، ضارباً بالعلم والتاريخ واللغة والمنطق والعقل عرض الحائط: يأخذ ما شاء ويدع ما شاء ويستنبط ما شاء كيف شاء بلا سناد من برهان ولا رابط من فهم ولا ضابط من منطق

* * *

أنا لا أشك في أن إفساح مجلة (العصبة) صدرها لمثل هذه الآراء الفطيرة ضرب من التشجيع، وأننا باسم هذا التشجيع نُقذي عيون القراء بما يزهدهم في سمين الأدب تحامياً لغثه

وقد آن للمفكرين أن يوازنوا بين مساوئ التشجيع وما يذكر من حسناته، حتى إذا رأوا الشر فيه أربى على الخير نبذوه غير مأسوف عليه

على أن أول الأضرار حائق بالذين نشجعهم: لأن أحدهم حين يرى سخفه مذيلاً باسمه في صحيفة سيارة، يداخله من الصلف والغرور ما لا يقوّمه مهذب بتهذيبه ولا ناصح بنصحه، ثم يترفع بعد هذا عن كل درس ومطالعة، ذاهباً إلى أنه شب عن الطوق وأن بوسعه أن يأتي بخير مما في الكتب، فقد صار كاتباً محرراً وأديباً كبيراً؛ وهذا ما يعوق كثيراً من ناشئتنا عن التعلم والتأدب الصحيحين، وهو هو ما يشكو تفشيه فيهم كثير من العقلاء

لست أنكر أن التشجيع قد يكشف عن بعض المواهب ويسلك بها السبل المجدية التي تؤتي فيها أكلها، لكنه إلى ذلك يدفع إلى الحياة بخلق كثير من أنصاف العوام الذين انتفخوا غروراً واعتداداً وكانت أنوفهم في السماء وهممهم في الحضيض وقلوبهم هواء

ولأن نصد بتثبيطنا اثنين أو ثلاثة نأمل فيهم النجاح خير لنا

(١) العدد (٢٢١) السنة السادسة ص ٩٢

وأبقى من أن نفتح الباب على مصراعيه فنشجع كل جاهل ودعى وغبى ، ونملأ صحفنا ومجلاتنا جهلاً وسخفاً ونعيش فى جو مشبع غثاثة وابتذالاً

وبعد فاذا على المرء أستاذاً كان أم أديباً أم صاحب صحيفة ، إذا قال للشادى : يا بنى تحتاج إلى أن تتعلم كثيراً وتتعب طويلاً قبل أن تحدثك نفسك بدفع ما تخط إلى المطابع ؟

وإذا كان فى كل حكومة إدارة خاصة لمراقبة المطبوعات من الناحية السياسية ، فلم لا يكون فى كل إدارة جريدة ومجلة وفى كل مطبعة مراقبة فنية دقيقة ترفض كل رخيص مبتذل من المقالات ؟

إن من الواجب على المطابع أن تكف عن طبع كل كتاب ليس فيه سد ثغرة فى المكتبة العربية أو إضافة خير أو إحياء تراث قيم ... وحينئذ يستريح الناس من هذا الهستر الذى تدفعه المطابع إلى الأسواق حتى سَئِمَتْ النفوس الكتب والمجلات لما فى أكثرها من غثاء وهزال

والحاجة إلى هذه المراقبة أمسّ لأن فيها وقاية للملكات من الابتذال والركاكة والفساد ، وذلك أجدى على الثقافة من كثرة المعاهد والكليات ، إذ أن الصحف والمجلات والكتب مدارس ميسرة لكل قارئ مهما ضؤل حظه من المعرفة . ومن أول الواجبات على هذه المدارس العامة أن تكون رافعة لمستوى قارئها لا خافضة له

***

فى الأقطار العربية ظاهرة ثانية للتشجيع المجرم لا تقل عن هذه فتكا ونكاية ، وليس بناصح من عرف موطن الداء فلم يدل عليه مجاملة أو إشفاقاً . عنينا بهذه الظاهرة داء الشهادات التى يحصل عليها حاملها بأرخص ثمن وأيسر سبيل

ومع أنى أعرف أن الجامعات ليست سواء فى التساهل (أو الغش إذا شئت الصراحة) أعرف كذلك أن بعضها قد تدنى — وخاصة مع الغرباء — إلى درجة لا يصح السكوت عليها، بل يجب على كل حكومة تحررت من أن يفرض على مصالحها هؤلاء المزورون فرضاً — أن ترفض هذا الضرب من الشهادات صيانة لمصالحها من عبث الجاهلين وحفظاً للأمة أن تنحدر إلى الهاوية إذا تولى أمورها المدلسون

يذهب الشاب العربى إلى إحــدى ممالك أوربة ، فلا يكاد يهبط عاصمتها حتى تراه مهرولاً إلى مكتبة مشهورة أعطى عنوانها قبل سفره ، فيفقها على أن مراده الحصول على شهادة (الدكتوراه) فتتفق معه على مئات من الفرنكات تتناسب هى وعدد الصفحات المطلوبة ، فتجمعه بأحد عملائها من الأساتذة الذين يرتزقون من التزوير ، فيكتب له الأطروحة ويمليه إياها تمليا ، ويقومان معاً بتجربة المناقشة ، ثم يتقدم بها الطالب إلى الجامعة فيفوز بالشهادة ومعه درجة (مشرف جداً très honorable) ويعود إلى بلاده فيمهد إليه بمنصب علمى أو إدارى يشرف منه على كثير من المتعلمين ليس فيهم إلا من هو أعلم منه ومن أستاذه وأشرف

وقد بلغت الوقاحة ببعض الجامعات أن تعطى الدكتوراه لمن قدم إليها أطروحته بلغة يجهلها هو كل الجهل . فإذا أنت عجبت لهذه الجامعة كيف تترخص هذا الترخص ، وهى فى أرقى البلاد المتمدنة ، أجابك النافخون عنها : إن هذا شأنها مع الغرباء فقط ، وهو من قبيل التشجيع لا غير ، وليس على الجامعة من ضير ، لأن هذا الجاهل لن يضر وطن الجامعة ، وإنما الضرر منه على وطن آخر قد تكون سياسة الدولة التى تنتسب إليها الجامعة تتعمد هذا الإضرار تعمداً . والأمر بعد هذا على شاكلة كل البضائع المغشوشة التى تصدر هناك ، ويكتب عليها : « بضاعة للتصدير إلى الخارج »

ولست أدرى ، هل فى هذا الذى ذكروا مايبرر الغش والتزوير؟ وهل يستبيح العلم تسمية الجاهلين علماء لوجه التشجيع فقط ؟

ولما رأى الكثيرون هذه السبيل المعبدة لنيل الشهادات تهافتوا عليها وهجروا الطرق المشروعة من التعلم الصحيح والدأب المتواصل والعمل الجاهد ؛ وصار الذى يطلب الشهادة من طريقها الحلال مثلاً شروداً بين أصحابه فى الغفلة والغباء

ألا أخبرك ، يا سيدى القارئ ، بأشد من ذلك كله وأنكى ؟ أتريد أن تعرف كيف آل الأمر بهذا التشجيع ؟ فاستمع إذن لما أقصه عليك :

لقينى منذ سنوات خمس شاب من حملة (الليسانس) هبط دمشق لجال جولة فى أروقة الحكومة فيها ، وتكفل دهاؤه وشطارته ووسائطه أن يمهدوا إليــه بتدريس اللغة العربية فى إحدى مدارسها . فبعد أن عرفنى بنفسه بلطف متناه واحترام قلبى ، خدّرنى بمجاملته الساحرة ، ثم قال :

إن أولى أمانيه فى مجيئه إلى دمشق أن يجد السبيل لإنقاذ مخطوط عربى نفيس من الضياع ، وأنه لقى كثيراً من علماء

العاصمة وأدبائها ، وارتاد أبهاءها الثقافية (صالوناتها) ، متعرفاً لرجالاتها ، ثم خاطبهم بمراده ، فكلهم أشار عليه بأن يلقانى ... وإن الغيرة على العلم والأدب هى التى تحفزه لهذا الأمر الجسام ، وهو مستعد أن ينفق على مشروعه النفقات الباهظة ... وليس يعوزه إلا أستاذ ضليع محقق ... عنده من الغيرة على لغة العرب وتراثها ما يستحلى من أجله كل صاب وعلقم ... وأنه يحمد الله على أن هداه إلىّ ووفقه إلى إنجاح المسعى بى ... الخ

كل ذلك يقوله بنبرة متحمسة ولهجة عصبية تعطف عليه الصخر الأصم . ولم يكن من هذا العاجز إلا أن وقع فى الشراك قائلاً فى نفسه : إن من الفرض على المرء أن يشجع من نصب نفسه لخدمة العلم مهما كلفه التشجيع من الجهد والوقت

وعدته أن أهب له فراغى الوحيد كل أربعاء من الصباح حتى الظهر ، ولبثت على ذلك حتى انتهى العام الدرسى : يقرأ على فى قاعة المكتبة الظاهرية نسخته التى نسخها بمصر من كتاب (سر الصناعة لابن جنى) وبيدى النسخة الخطية التى تملكها دار الكتب الظاهرية من هـذا الكتاب ، وأنا أصحح وأقابل وأضبط وأعلق وأرجع إلى مصادر كثيرة فى القاعة وهو يكتب ما أملى عليه . فما سلخنا العام حتى أتممنا من العمل قسماً صالحاً لست أدرى مقداره الآن بالضبط ، ولكن الخطة شرعت والعمل وضح ، والعقبات اجتيزت ، والحزون سهلت ، وبقى من العمل ما لا خطر له . كل ذلك على ملأ من الناس ، وعلى عين من موظفى المكتبة ومناوليها وروادها لأن قانون دار الكتب يحظر إخراج المخطوط منها تحظيراً باتاً

ثم تعاقبت الأيام يلقانى فيهن هذا الشاب كلما هبط دمشق بمظاهرة حافلة من البشاشة والشوق والتعظيم والاحترام ... إلا أنه لا يذكر الكتاب بحرف طول هذه المدة ، فظننت أنه ناء بالشروع وعجز عن نفقاته فأهمله لسوء حاله ، ولم أجد من المروءة أن أنكأ فيه جرحاً داملاً ... وكرت الشهور وإذا بى أجد فى دار الكتب قبل شهرين رسالة صغيرة بالفرنسية نال بها هذا الشاطر الدكتوراه ، بعد أن عرضها - فيما بلغنى - بالعربية على الجامعة المصرية فلم تر فيها شيئاً فرفضتها . قلبت الورقة الأولى من الرسالة فإذا خلفها : (سيصدر للمؤلف بالعربية : كتاب سر الصناعة لابن جنى) فدار رأسى والله ، لا حسرة على الوقت الضائع والجهد المسروق ، ولا خشية أن يكون عبث بالعمل فأفسده ثم هيأه للطبع ، ولكن فوجئت بما لم أكن أتصور أن الحياة تنطوى عليه من وقاحة وصفاقة ، وعرفت أن ذلك التهافت من شبابنا على نيل الشهادات بأرخص الوسائل وأبعدها عن الشرف ، قد دخل فى طور آخر أدنى وأحط ، هو ما قصصت عليك من أمر هذا الشاب

وعلم موظفو المكتبة بالأمر فتعجبوا وشُدهوا وقال أحدهم : « هلا انتظر هذا المزور موت الشهود عليه وهم كثير » . ثم بلغنى أنه يريد أن يتقدم بهذا الكتاب إلى الجامعة المصرية لنيل دكتوراه ثانية ؛ فهان الأمر علىّ لأن أقل مناقشة من أساتذة الجامعة المختصين فى موضوع الكتاب وتعليقاته تطلعهم على التزوير فيه وعلى أن البضاعة المعروضة هى لغير عارضها

أحسب والله أن هذا الشاب — ولعل أمثاله فى المجتمع كثيرون — لا يرى أنه أتى أمراً إدًّا ، وأنه فعل فعله أكثر من سبقوه بنيل الدكتوراه من بعض الجامعات الأجنبية ، ففيم يفرد دونهم باللوم ؟

وإذا كان أولئك الدكاترة نقدوا من صنع لهم أطاريحهم الثات من الفرنكات فلأن هؤلاء الصانعين غربيون ماديون مرتزقون ؛ وأساتذة دمشق بحمد الله مثاليون يحتقرون المادة ، وحسب أحدهم من تعب السنين وسهر الليالى أن ينقذ تراثاً من الضياع وليس يهمه أن ينسب إلى سواه

* * *

وبعد فهذه أنماط مختلفة من أضرار التشجيع ، عرضتها ليعالجها وأمثالها المطلعون من الكتاب ، حتى يحذرها الناس

وإن أختم بشىء فهو قولى للمسؤولين من علماء وأدباء وأصحاب صحف ومجلات ورجال جامعات :

احرصوا على تثبيط الدجالين والمغرورين حرصكم على تشجيع الأكفياء الصالحين ، وما أنتظر لكم من ثواب الله وشكر العلم وامتنان الناس على تثبيط الأولين أضعاف مالكم على تشجيع الآخرين .

وإذا لقيتم هـذا الضرب الوبيل من الناس وجاؤوكم بغشهم وتزويرهم وغرورهم وجهلهم ، فثبِّطوا ثم ثبطوا ثم ثبطوا

(دمشق) سعيد الأفغانى

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزي الشتوي

الهدنة الإيطالية

اختلفت شروط الهدنة الإيطالية الفرنسية اختلافاً بيناً عن الشروط الألمانية ، فالفرق بين القيود الألمانية والقيود الإيطالية فرق كبير ، يستنتج منه الباحث عدة نتائج ، فهي تدل على ظاهرتين عامتين :

١ — التعاون بين الحكومتين : الإيطالية والألمانية ، فكلا الشروط الألمانية والإيطالية يتفق في مبادئ عامة ، كشرط نزع السلاح ، وشرط وقف القتال

٢ — التحفظ من جانب الحكومة الألمانية ، فبينما شروط الهدنة الألمانية مؤكدة التحقيق في أكثر بنودها ، نجد شروط الهدنة الإيطالية صعبة التحقيق إن لم تكن مستحيلة بغير قتال

فالهدنتان تطالبان حكومة بتان بوقف القتال في فرنسا ، وفي المستعمرات وفي البحر وفي الجو ، وهذا سهل مؤكد في الشروط الألمانية ، ومشكوك فيه أو من المؤكد عدم تنفيذه في الشروط الإيطالية . فقد احتلت ألمانيا أكثر الأراضي التي نصت عليها الهدنة قبل وقف القتال ولم يبق إلا جزء ساحلي صغير في الجنوب ، يقابله من ناحية ألمانيا احتلال مناطق داخلية تمتد إلى ليون

وأنبأتنا البرقيات أخيراً أن إخلاء هذه المناطق الواقعة خارج نطاق الهدنة يفيد باحتلال المناطق التي لم يصل إليها بعد ، ويعضد تنفيذه رغبة حكومة بتان في الوصول إلى وضع حد للقتال ، ووقوع هذه الأجزاء الساحلية تحت تهديد الغزو الألماني ، فلا مفر إذن من تسليم حكومة بتان باحتلالها

تفسير ايطاليا

فإذا تركنا الجانب الألماني وانتقلنا إلى الجانب الإيطالي نجد أن إيطاليا لا تطالب باحتلال شواطئ البحر الأبيض المتوسط الفرنسية خلافاً لما توقعناه وتوقعه كثيرون ، فهي تكتفي باحتلال المناطق التي حصلت عليها أثناء الحرب . ولعل هذا يفسر لنا السبب الذي من أجله اشتد الهجوم الإيطالي بينما كان المندوبون الفرنسيون يفاوضون المندوبين الإيطاليين ، فقصدت القيادة الإيطالية احتلال أكبر جزء من الأرض ولكن الجيش الفرنسي لم يترك لقواتها الطريق حراً ، بل وقفها عند المخافر الأمامية ، أي أن إيطاليا تسيطر على جانب لا يستحق الذكر من الأراضي الفرنسية لا يتجاوز بضعة كيلو مترات في أراض لا أهمية لها من الوجهة العسكرية ، فالحصون الفرنسية الإيطالية تقع على جبال الألب وهي خارج المناطق المحتلة

ومن المعروف أن شروط الهدنة الإيطالية اتفق عليها موسوليني وهتلر ، أو هي بطريق أوضح من وضع هتلر لا من وضع موسوليني ، ومنها نستنتج ثلاثة أمور :

١ — إيجاد قواعد فرنسية يلجأ إليها الأسطول الفرنسي إذا قبل قادته شروط نزع سلاحه : فلا يتكلف اجتياز مضيق جبل طارق ويتعرض للصدام بالأسطول البريطاني . فالمعروف أن أكثر قطع الأسطول الفرنسي موجودة في غرب البحر الأبيض المتوسط

٢ — تهديد حكومة بتان باحتلال الشواطئ الفرنسية للبحر الأبيض في حالة عدم تنفيذ شروط الهدنة فيما يختص بوقف القتال في المستعمرات ، فإن هتلر وموسوليني يعرفان جيداً تقاليد الفرنسيين ووطنيتهم وعدم خضوعهم لأعدائهم ، فتهديد هذا الجزء بالاحتلال يدفع بالمارشال بتان إلى بذل أقصى ما لديه من جهد لإكراه رجال المستعمرات على تنفيذ شروط الهدنة

٣ — وضع إيطاليا تحت إبهام هتلر بطريقة لا يتيسر لموسوليني التملص منها . فقبل أن تعلن المستعمرات الفرنسية موقفها حيال الهدنة كان من المقطوع به أن تسليمها قليل القيمة ، أو ليست له فائدة عسكرية ، فمثلاً أعلنت حكومة سوريا ولبنان أنها وقفت القتال ، فهذا كلام لا تستطيع ألمانيا أو إيطاليا تنفيذه . فإن القوات الموجودة هناك لم تشترك في القتال لتقفه ، فضلاً عن عدم وجود قوات ألمانية أو إيطالية بالقرب منها لتلاحظ تنفيذ هذه الشروط ، فإن الجزء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والأراضي المحيطة بسوريا ولبنان مناطق نفوذ انجليزية

حالة غامضة

وما يقال عن سوريا ولبنان يقال عن تونس والجزائر وجيبوتي. ومازالت هذه الأجزاء الأخيرة صامتة لم تعبر عن موقفها بصورة قاطعة انتظاراً لما تبرزه الظروف. ويختلف موقف القوات في تلك البلاد عنه في سوريا ولبنان فيجاور كل منها ممتلكات إيطالية، فالصومال الفرنسي هو المنفذ البحري للحبشة، وتونس تجاور ليبيا؛ ولكن الممتلكات الإيطالية هناك مرتبكة بانشغالها في الحرب مع قوات الممتلكات البريطانية، وقد لا يمر زمن طويل حتى تتجلى حقيقة موقف المستعمرات الفرنسية، فما قيل حتى الآن لا يوضح اتجاهها الصحيح

وهذه الحالة الغامضة ترغم موسوليني على مؤازرة هتلر والرضوخ لأوامره، في مقابل إمداده بالمعونة العسكرية سواء أكانت رجالاً فنيين أم معدات قتال، أو بعبارة أخرى يعطى هذا الموقف لهتلر ضماناً باستمرار موسوليني في ميدان القتال. فطلبات إيطاليا لم يتحقق منها شيء، ولم تحصل على ضمان يسهل لها الحصول على أحدها

وإذا حاولت إيطاليا أن تتدخل في شئون سوريا ولبنان بأية وسيلة، فإن تركيا تدخل الحرب، تنفيذاً لتعهداتها للحلفاء ومحافظة على مصالحها، فلن تقبل تركيا أن تجعل إيطاليا البحر الأبيض المتوسط بحيرة إيطالية كما يريد موسوليني، فيهدد مواصلات الدردنيل والبوسفور، وتصبح مجاورته للأراضي التركية خطراً يهددها. وأعلنت بريطانيا أخيراً أنها تقاوم بالسلاح كل عمل حربي يرمي إلى احتلال هذه الأجزاء أو التدخل في شؤونها لغير فرنسا بأية طريقة كانت

في البلقان

واستغلت الروسيا فرصة انهيار فرنسا واستولت على مقاطعتي بساربيا وشمال بكوفينا الرومانيتين، وهو ما توقعناه في مقال سابق، إذ قلنا إن الروسيا لن تدخل الحرب بصفة جدية، وإنها ستكرر ما فعلته في بولندا، فتستغل ضعف مقاومة الفريقين المتقاتلين وتستولي على الأراضي التي تهمها في البلقان أو في البلطيق

ويلاحظ في تصرفات الروسيا أنها تتبع سياسة روسية محضة غير مقيدة بأي فريق، فاحتلالها العسكري لبعض مناطق بحر البلطيق يهدد مصالح ألمانيا التي حرصت على أن تجعل بحر البلطيق منطقة نفوذ ألمانية حتى تضمن سهولة حصولها على خامات السويد، وتحكم السوفيانيين في هذا البحر يهدد هذه المصالح، فهي خطوة لا ترضى ألمانيا، ولكنها مضطرة إلى قبولها الآن لاشتباكها مع انجلترا في القتال، فإذا وضعت الحرب أوزارها أو تناولتها فترة انتظار؛ فنتوقع أن يكون بحر البلطيق مثار نزاع بين الدولتين

ومن الناحية الثانية ضمن الحلفاء سلامة رومانيا، ولألمانيا وإيطاليا فيها مصالح حيوية لمسناها في الحرب الحالية، فلولا بترول رومانيا لما استطاعت ألمانيا الاستمرار على القتال إلى الآن. وأعلنت إيطاليا مراراً أن البلقان مناطق نفوذ إيطالية، وأن أي اعتداء على إحدى دوله تقابله بالسلاح؛ ولكن الفترة الحالية لا تسمح بامتشاق الحسام في وجه الروسيا وإكراهها على احترام مصالحه أو تصريحاته



خريطة رومانيا وهي تبين حدودها قبل الحرب الماضية والبلاد التي ضمت إليها والمناطق التي احتلتها الروسيا أخيراً

منذ ٢٠ سنة

ومسألة بساربيا مسألة طال النزاع عليها، فقبل سنة ١٩٢٠ كانت إحدى مقاطعات الروسيا، واستغلت رومانيا فترة الثورة الروسية الشيوعية، وانحلال قوة المقاومة فيها وضمتها إلى أراضيها ومن ذلك الوقت لم تصل الدولتان إلى اتفاق عليها

ورومانيا بلد كثير الأعداء والخلافات الخارجية، ويعتبر استيلاء الروسيا على بساربيا ثغرة لتدفق هذه المشاكل، ففي

سنة ١٩١٢ اشتعلت الحرب بين رومانيا وبلغاريا وأخذت منها الأخيرة جزءاً من مقاطعة دوبروجا، فلما كانت الحرب الكبرى وانحازت رومانيا إلى جانب الحلفاء، وانحازت بلغاريا إلى جانب ألمانيا، استعادت رومانيا الأجزاء التي فقدتها بمقتضى معاهدة نويلي سنة ١٩١٩، وخسرت بلغاريا في هذه المعاهدة أيضاً مقاطعتي مقدونية وتراقية وقد ضمتا إلى اليونان وفقدت بفقد هاتين المقاطعتين منافذها الساحلية على البحر الأبيض

وحصلت رومانيا من المجر (هنجاريا) بمقتضى معاهدة تريانون التي عقدت في ٤ يونيه سنة ١٩٢٠ على ترنسلفانيا وجزء من مقاطعة بانات التي قسمت بينها وبين يوجوسلافيا، وتطالب هذه الدول الآن بالأجزاء التي اقتطعت منها، ولهذا ينتظر أن تكون خطوة الروسيا في الوقت الحالي بمثابة شعلة من النار ألقيت على دول البلقان، فيكفي أن تتحرك إحدى هاتين الدولتين لاستعادة أراضيها لإشعال نار الحرب في البلقان. ولولا ضغط دول المحور عليهما لأعلنتا الحرب من مدة على فوهة بركان

وإذا اشتعلت الحرب بين دول البلقان، فلا شك أن ألمانيا وإيطاليا ستضطران إلى دخولها دفاعاً عن الدول المنحازة إليهما؛ فإن المجر وبلغاريا من الدول الموالية لمحور برلين روما، وستدخل انجلترا هذه الحرب أيضاً تنفيذاً لسياسة مناوشة ألمانيا ومهاجمتها كلما سنحت الفرصة، وتنفيذاً لتعهداتها حيال اليونان وتركيا

أما موقف انجلترا الأخير حيال رومانيا، إذ اجتاحت الروسيا جزءاً من أراضيها فلم ترسل قوات لنجدتها، فيفسره أن رومانيا لم تدافع عن نفسها، بل قبلت شروط الروسيا وتخلت عن الأرض، ولو قاومت الجيوش الرومانية تقدم الجيوش السوفياتية لتغير الموقف ولأرسلت إليها انجلترا القوات اللازمة. وإذا كانت رومانيا لم تتحرك للدفاع عن نفسها، ولم تطلب معونة انجلترا، فهل يحق لمنصف أن يطالب انجلترا بالتصرف بينما صاحبة الشأن الأول لم تدافع عن نفسها؟

وتعود حركة الروسيا الأخيرة بخسارة كبيرة على ألمانيا وإيطاليا، كما أثرت على هيبة بريطانيا، لأنها لم تستطع الوفاء بعهودها. أما خسارة دولتي المحور فترجع إلى استيلاء الروس على مناطق كان أكثرها يزرع لحساب ألمانيا، فيمدها بالمواد الغذائية، وترجع أيضاً إلى اقتراب الروسيا من مناطق البترول الرومانية.

نحو البترول

فالمسافة بين الجيوش الروسية الآن وبين ينابيع البترول الرومانية أقصر من المسافة بين الحدود الألمانية وهذه الينابيع، وكذلك طبيعة الأرض من ناحية الروسيا أسهل منها من ناحية ألمانيا، فالمناطق التي تقابل الروسيين سهول، ولكن جبال كرابانيا تقف في منتصف الطريق بين ألمانيا ومناطق البترول. فإذا حان وقت تمزيق رومانيا فالغالب أن تستولي الروسيا على هذه المناطق

ويظهر أن الروسيا تتبع سياسة بعيدة الغرض منها السيطرة على جميع دول أوربا. فيلاحظ عند احتلالها لبولندا أنها استولت على مناطق البترول فيها ووضعتها تحت سيطرتها، وتركت لألمانيا المناطق الأخرى. ويلاحظ أيضاً في حركتها الأخيرة أنها اقتربت من مناطق البترول الرومانية ولم تقصر استيلاءها على بسارابيا، بل احتلت شمال بكوفينا، حتى تجد منفذاً للالتفاف حول جبال كرابانيا فيتاح لها الدفاع عن مولدافيا وفلاكيا اللتين بهما أغنى مناطق البترول في أوربا

ويستنتج من هذا أن الروسيا وضعت سياستها على أساس السيطرة على بترول أوربا، والبترول مادة أساسية من المواد الحربية، وبعد الحصول على حقول البترول الرومانية تصبح منابعه كلها تقريباً في قبضة الروسيا، وبالتالي تتحكم في مصير الدول لأنها تكون الدولة الوحيدة التي تستطيع إصدار الأوامر وإكراه الدول الأخرى على إطاعتها. ولكن حركتها هذه موجهة إلى دول وسط أوربا أكثر مما هي موجهة إلى دولها الغربية، فانجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال تستطيع الحصول على هذه المواد من بقاع أخرى، بينما دول المحور محصورة وخصوصاً في حالة الحرب الحالية والحصار البريطاني المفروض على المحيطات، فهل يتجاهل النازيون هذه الحقيقة؟ وإلى متى يمكنهم الصبر؟

إن الموقف الحالي وتوجه حكومتي روما وبرلين بكل قواتهما لمهاجمة بريطانيا لا يتيح لهما اتخاذ قرار في هذا المصير المقبل، ولكن حركات الروسيا الأخيرة سببت ولا شك متاعب كثيرة لدول المحور، وأوجدت لها مشاكل خطيرة يجب حلها بسرعة، وهي لا تستطيع الآن دفع البلقان إلى الحرب حتى لا تخسر موادها وهي عمادها الوحيد، واشتراك هذه الدول في الحرب معناه خسارة هذه المواد.

فوزي الشتوي

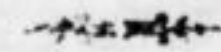


رسالة الشعر



إليهـا ..

للأستاذ حسن حبشي



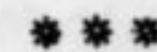
إطلعي في شفوفك الخضراء ... يا مثال الدلال والإغراء
ودعي العين لحظة تتملى ... فاتن الحسن والهوى الوضاء
ما ألذ الحياة في ظلك العذ ... ب وفي فيض نورك اللألاء
ما ألذ الحياة في كنف الحس ... ن طليقين من إسار القضاء
كلما شاهدتك عيناي دبت ... نشوة الحب في صميم دمائي



ربة الحسن والمفاتن حسبي ... طيفك العذب فهو كل عزائي
فيك أبدعت كل لحن حنون ... ساحر الجرس ، فاتن الأصداء
آه يا دميتي الجميلة لو تد ... رين ما بالفؤاد من أهواء
قد بنى فيه حسنك الساحر الفتـ ... ـان دنيا من الأماني الوضاء



لست يا فتنتي من الأرض لكن ... أنت علوية السنا والسناء
أنت حكمت في الفؤاد فأضحى ... طوع هذي البدائع الغراء



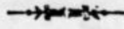
أينما كنت لم أشاهد سوى حسـ ... ـنك يجري في النفس مجرى الدماء
في الدجى والصباح والشفق الدا ... مي ، وسحر الطبيعة العذراء
وغناء الطيور والسحب والرو ... ض ضحوكاً وفي خرير الماء

حسن حبشي

من وحي الربيع الأحمر

قوس قـــزح

للأديب حسن احمد باكثير



أي قوس بسنى الشمس تحلت ... وبأطياف الدراري والبدور
أخذت من كل لون فتجلت ... جمة الألوان تزرى بالزهور
أترى قوس «كيوبيد» استهلت ... لاصطياد القلب من بين الصدور
أم ليهدي كل نفس قد تخلت ... عن هداها بسناها المستطير

ليته يرسل وبلاً من سهامه
يترك الأكباد صرعى بغرامه
ويزيل الحقد منها بضرامه
إن من في الكون عاثوا بنظامه
وأثاروها حروباً في سلامه
كل فرد منهم رهن حسامه
أصعر الخد فخور بوسامه
تغتلي في صدره نار انتقامه
ضلة يسعى حثيثاً لحمامه
ويخوض الحرب زهواً بعرامه
وسدى يخفي أساه بابتسامه
ويواري كربه خلف لثامه
إن سهم الحب شاف لسقامه
ينزع الأحقاد منه بمدامه
ويصب الحب وهاجاً بجامه

أرسلي ياقوس وبلاً من سهامك ... واتركي أكباداً صرعى غرامك
إن سهماً منك يردى كل شر في الصدور

حسن أحمد باكثير

صرخة روح

للأديب عبد العليم عيسى

مشعلي غاب عن عيوني وما زا … ت غريباً لا أنتهي من مسيري
وتهاويلُ ظلمتي أفزعتْ رو … حي فأضحيت بينها كالضرير
أين تمضي يا زورقي أين تمضي … هل لمسراك في الدجى من مصير؟
تتخطّى المدى وأنتَ ضلولٌ … وحواليك كل شيء خطير !
وهزيزُ الرياح ينـذر بالويـ … ـل المعنّى والهوْل والتدْمير
قف تمهل فليس يجديك شيء … قف تمهل فأنت رهن العثور !

***

رقصَ الجن في طريقي فأحجمـ … ـت عن السّير في طريق النكير
غير أنّي لا أستطيعُ وقوفي … رَغمَ هولي وعِلتي وضموري
أي حلم يُغرى فؤادى المدمَّى … يا ترى .. أي كامنٍ مقدور ؟!

***

حجبتْني الأوهامُ عن فتنةِ الـ … ـكونِ فغلّفتُ في ضلالي العسير
ورميتُ الأقداحَ من كفّيَ الدا … مِي ومزّقتُ في فمي مزموري
والأزاهير بعثرتُها على الطّـ … ـين يدي في هناءة وحبور
جفَّ نبعي بها .. فلستُ أبالي … أن أراها في روضها المنضور
ما الذي غيَّر الوجودَ بعيني … فغدا معبد الدجى المنشور
وأنا الشاعر الذى يعشق النو … رَ ويعنو لحسنه المسحور ؟
أي دنيا ملأتُها بغنـائي … فوق شط منضَّر بالنور !
أي عودٍ حملتُه ذاهلَ الرو … حِ وحَولي أحبّتي وزهوري !
ذهبَ الأمسُ مثلما يذهبُ الـ … ـحلم بكاساتِ لذتي وخموري
فإذا بي على ضفاف حياتي … مثقَل بالهموم والتكدير
آه ما أثقل الحياة عَلَى الشا … عِرِ لَمّا يجفوه فيض الشعور

(القاهرة) عبد العليم عيسى



تأملات:

ذات اليمين وذات الشمال

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

أوى الفتية إلى الكهف

قالوا إنهم سبعة وثامنهم كلبهم

وقد لجأوا إلى الكهف هاربين من الدنيا يستعجلون الآخرة . والآخرة عندهم جميعاً نهاية نيرة يستطيع كل إنسان أن يصل إليها إذا سلك لها طريقها

ولما كانوا فى المدينة بحثوا طويلاً عن هذه الطريق حتى أعياهم البحث ، وكانوا يتفرقون ثم يتجمعون ويسأل بعضهم بعضاً هل اهتدى أحدهم إلى طريق النهاية النيرة ؟ فما كانوا يجيبون وما كانوا يهتدون

وأخيراً قال قائل منهم : ما أظننا واجدين شيئاً ولو قضينا العمر كله هنا فى هذا المكان المنحرف عن مسرى النور ، وتحت هذه الجدران الجاثمة فوق الأرض بأثقالها والقاذفة الأرض بظلالها ، ظلالها المظلمة المعتمة ، التى لا يحب أهلها أن تشف ، ولا أن تلطف ... فتعالوا بنا إلى هذا الكهف الذى فوق هذا الجبل فإنه أكثر تصدياً للنور ، وأبعد عن حلبة الصراع المخبول ، ولعلنا هناك نهتدى إلى شىء ...

فأوى الفتية إلى الكهف ، وتبعهم الكلب

وكانوا وهم فى الطريق إلى الجبل يسيرون جميعاً صامتين خاشعين مطرق الرؤوس ، شاهدين على أنفسهم بعجزهم وضعفهم ، مؤملين أن يتاح لهم ما يرجونه حتى إذا ما رحلوا عن هذه الدنيا غادروها وهم أكبر مما كانوا يوم وردوها ...

إلا أحدهم ، فقد كان يضحك . فسألوه عما يضحكه فأشار إليهم ثم أشار إلى نفسه وظل يضحك ، فتركوه يضحك

ولما انتهوا إلى الكهف قال قائلهم : نستطيع الآن أن نتفرق فى أركان هذا الكهف وزواياه ومنافذه ، ولنجتمع بعد يوم كامل لينبئ كل منا صحبه عما رأى ...

فتفرقوا أفراداً ، إلا أحدهم فقد اصطحب أحدهم

أما الكلب فقد جلس حيثما كان وبسط ذراعيه

وذلك الذى كان يضحك ، ظل يضحك ولم يرض أن يتجه إلى ناحية ما يستقر فيها ، وإنما أخذ يطوف بهم ، فكلما رآهم واجمين زاد ضحكه ، فإذا رآهم منبسطين تضاعف ضحكه ، حتى الكلب لم ينج من ضحكاته ، بل إنه هو نفسه لم ينج منها ، فقد مر وهو فى تلافيف الكهف بنبع نظر فى مائه فرأى صورته فما استرسل إلا ضحكا ...

حتى إذا جاء إلى الاثنين اللذين تصاحبا سمعهما يتناجيان ، فتخفى وراء صخرة يستزيد سمعاً ... وأرهف للسمع نفسه كمن يستجدى السمع مهرباً من ضيق وأزمة ... مع أنه كان يضحك !

كان الصغير يسأل الكبير قائلاً :

— الآن وقد جئنا إلى هذا الكهف لنبحث عن ذلك الذى دخنا فى البحث عنه لما كنا فى المدينة ، ماذا ترانا صانعين ، وأين ترانا سنبحث ؟ لقد كانت فى المدينة حياة ملونة ، وكنت ترسلنى منها وتقول لى : ابحث . فإذا سألتك عن أى شىء أبحث ؟ قلت لى : سر متيقظاً ، فإما رأيت أو سمعت شيئاً فاسأل نفسك ما هو ؟ وكيف كان ؟ ومن أين جاء ؟ وإلى أين هو ذاهب ؟ فإذا وجدت الجواب عند نفسك فامض بحثاً حتى تقف أمام ما يعجزك تأويله . فكنت إذا أعجزنى تأويل شىء جئت إليك فأولته لى ، وعرفتنى أصله وفصله ، ولم أرك يوماً حرت فى أمر ولا استغلقت عليك مسألة ، بل إنى على العكس من ذلك كنت أرك تجيئنى أحياناً بأحاديث عما رأيت أنت وسمعت مع تفسيره وتأويله ، وما كنت أنا لأخرج منه بشىء إن كنت رأيته أو سمعته ... هذه كانت حالنا فى المدينة ، فكيف تريد بحالنا أن تكون هنا ، ونحن لا نرى شيئاً ولا نسمع شيئاً ، وليس أمامنا إلا هؤلاء الذين جاءوا معنا ، وها هم أولاء كما تراهم متفرقين يبحثون مثلنا عن شىء لا أراه أنا فدلنى عليه إن كنت تراه ...

— هأنذا معك يا بنى ، لا أرى إلا ما ترى ، ولا أسمع إلا ما تسمع

— وهم جميعاً هكذا ، وسنقضى العمر هنا أضيع مما كنا سنقضيه لو أننا بقينا فى المدينة ، فهيا بنا نعد فهناك من غير شك أوفى حياة وأحلى

— صحيح . ولكن أمامنا الآن ونحن هنا في هذا الكهف شيء ليس في المدينة ما يشبهه ، وإنه من الخير لنا أن نبقى هنا لنراه

— أما فرغنا من رؤيته بعد ، هذا الكهف وما فيه ؟

— ربما كنا قد فرغنا من استعراض الكهف حقاً ، ولكننا لم نفرغ بعد من استعراض الذين فيه نحن ومن معنا . أما قلنا إننا سنجتمع بعد أن يمضي يوم ؟ أو لا يمكن أن تحدث في هـذا اليوم حوادث لنا وللذين معنا ؟ أو لا يمكن إذا انتهى هذا اليوم أن يقول لنا واحد منا إنه رأى شيئاً أو سمع شيئاً ، ولو في المنام رؤيا ؟ ثم أليس أمامنا الآن نفسانا ونفوس هؤلاء الذين معنا وقد اعتزموا أن يقضوا يوماً في الكهف بحثاً . . . ألسنا جميعاً أهلاً لأن يرانا راء وأن يسمعنا سامع ونحن على هذه الحال التي لو علم بها أهل المدينة لجعلونا بها سخرية وهزؤاً ؟ ألست تحب أنت أن تسخر وتهزأ . . . هيا اسخر واهزأ إن لم تجد أمامك جداً . . .

. . . وهنا قصفت من وراء الصخرة ضحكة انفجرت في صدر المختفي وراءها لم يستطع أن يحبسها ، فلما دوت الضحكة وفضحته أطل من وراء الصخرة وقال لهما وقد استرسل يضحك :

— لقد سبقتكما ، فأنا أضحك منذ كنا نحت . . . سنلتقي في آخر اليوم ، وسأقول ، وستقولان ، وسيقولون ، وسنسمع . وأما أنا فسأظل أضحك ، وأما أنتم . . . فمن يدري

فقال الصغير : نحن الذين سنضحك في الآخر وأنت ستبكي

وقال الكبير : من يدري . . .

. . . وهنا . . . تثاءب الكلب . . .

... فلما تثاءب الكلب تثاءب بعده أقربهم منه ... وكان شاباً صادق الوجه ، فيه ملاحة وفيه خفة وفيه دلال بمثه في نفسه حب الناس له وإقبالهم عليه ... وكان فيه إلى هذا إهمال ظاهر في إهماله لنفسه ، ولمحاسنه ولعقله ...

رأى الكلب يتثاءب ، فالتقط منه تكاسله ، وتثاءب هو أيضاً ، ثم طرح نفسه على الأرض ، وقال للكلب :

— أتكون أنت أهدأ مني بالاً ؟ ... لماذا ؟ ... أنا جالس إلى جانبك أحرق نفسي بحثاً عن هذا الذي يبحث عنه هؤلاء جميعاً ، والذي لا أعرف ما هو ، وأنت جاثم نائم مرتاح ؟ لماذا لا أرتاح مثلك ؟ ألأني أريد مثلهم نهاية نيرة ؟ إن عندي ألف نهاية نيرة ! جلسة عند الراقصات الحور في جنة قطوفها دانية بين ذراعي تلك التي . . . هل تعرف يا أيها الكلب « تلك التي . . . » ؟ أو لست تعرفها . . . ؟ تعرفها أو لا تعرفها ، فإنني أنا أعرفها ، وسيزورني الآن طيفها ومعه قطعة من الجنة ، فأحسن استقباله يا صديقي الكلب ، ودله عليّ إذا تاه عني ، وها أنذا راقد إلى جانبك ... أسعدت مساء ...

... قال هذا ونام ... نام بعد أن غنى لنفسه ما شاء ، وما استطاع ... ومر به الضحاك ، فإذا به نائم ؛ فبانت عليه أمارات الغيظ وانحنى عليه يسأله :

— أنائم أنت ؟ ... فإذا استيقظت في آخر اليوم ، فماذا أنت قائل لهم إن سألوك عما رأيت وعما سمعت ؟ سنرى ...

... وانصرف الضحاك عنه إلى واحد من أصحابه رآه يثقب سقف الكهف بمثقاب نحته من الحجر . فهم الضحاك بأن يشكو لهذا الصاحب صاحبهما الذي نام ، ولكنه آثر أن يستتر خلف منعطف في الكهف ، ليرقب هذا الذي يريد أن يخرق الحجر ، وليس شيء وراء الحجر إلا الفضاء

وسطع من جوف الحجر بريق ، فانبهر الثاقب ، وجفل الضحاك . أراد أن يضحك ، ولكنه أمسك عن الضحك ، وآثر مرة أخرى أن يظل يرقب صاحبه ، وهذا البريق الذي لمع من حرف الحجر ، وما عساه أن يحدث بينهما ...

ظل الرجل يثقب ويثقب حتى استخرجها من جوف الحجر حصاة كبيرة شفافة براقة متألقة ، استقبلت النور فعكسته أنواراً ، فراح يتأملها في إعجاب وفرح ، وأخذ ينفخ فيها ويمسحها بأنامله وهو يقول :

— أظنهم مهما جدوا فلن يعثر واحد منهم على ما يشبه هذه ؟ ولكن ما هذه ؟ على أي حال إنه لا يعنيني كثيراً أن أعرف ما هذه ، ما دمت بهذه أستطيع أن أمتاز على الناس وأن أخلب أنظارهم ؛ فلأخفها ولأكتم أمرها

... وبعد أن كان الضحاك الذي كف الآن عن الضحك ... بعد أن كان يريد أن يشكو صاحبه الذي نام لصاحبه الذي اهتدى إلى قطعة النور المتجمدة ، مضى وفي عزمه أن يشكو صاحبه هذا الأخير لأول من يلقاه من أصحابه ...

فأخذ يتسلل بين منعطفات الكهف حتى أشرف على صاحب آخر رآه ينبش الأرض وينكثها ، وينبش وينكث حتى تفجر من الأرض ماء ، مد الرجل إليه فمه فشرب منه رشفة ، فإذا به

يترنم ترنماً خفيفاً وإذا به يقول :

— ما في الحياة خير من هذه اللذة ... ولا أمتع منها راحة ...

سأملأ من هذا الماء قدحاً، وسأسقي كلا من أصحابي رشفة فيهدأون ويرتاحون، ويدعون بحثهم واستقصاءهم، فأبحث أنا وأستقصي أنا فإن وجدت بعد ذلك شيئاً أعطيتهم منه القليل ، وادخرت لنفسي مصدره ... لن يكون غير هذا ، ولست ظالمهم ، ولا هم ظالمي ، وإنما لكل منا حظه ...

وكان الضحاك قد نسي الضحك ، واعتراه هم لم يكن يتوقعه واعتراه يأس لم يعرف منشأه ، فأطرق برأسه إلى الأرض ، وسار بخطوات عمياء إلى حيث لا يدري ، وانتهى به المسير إلى حيث كان الكلب راقداً فرقد إلى جانبه هو أيضاً ، ولكنه لم يرقد كما يرقد الناس ، وإنما انبطح على وجهه كالكلب ، وبسط ذراعيه أيضاً كالكلب ...

***

كانوا سبعة وثامنهم كلبهم . أما الكلب فهو الكلب

وأما هم فأولهم هذا الضحاك الذي اغتم ونام في آخر الأمر ، وثانيهم هذا الذي غنى ونام من قبله ، وثالثهم صاحب قطعة النور، ورابعهم صاحب الماء اللذيذ، وخامسهم صاحب سادسهم، وهما اللذان أرادا منذ أول الأمر أن يريا في هؤلاء الجماعة جداً أو هزؤاً وسخرية إن لم يريا الجد

فأين كان سابعهم ؟ .

سابعهم كان جالساً على حجر عند مدخل الكهف يتمتم قائلاً :

— هو . هو . هو . هو . هو

***

وانقضى اليوم . واجتمعوا عند مدخل الكهف حول هذا المتمتم ، فسأل أولهم : ماذا وجدت ؟ فضحك . فقال له : أمجنون أنت ؟ لقد سكتنا عن ضحكك هذا عندما كنا في الطريق ، ولكننا الآن لا نستطيع أن نسكت عنه بعد أن قضينا يوماً بحثاً ...

فضحك ... فقالوا جميعاً : دعه ، إنه مجنون . فتركه يضحك

ثم سأل الثاني : ماذا وجدت ؟ فقال له : غادة هيفاء، وروضة فيحاء ، ونسيم عليل ، وخمر وغناء ، ورقص وتسابيح ، ودنيا أخرى غير هذه ما فيها إلا السعادة والنعيم ...

فسأله : أين هي ؟ فقال : ها هي ذي ... أما تراها ... إن كنت لا تراها فهي إذن قد ولت ... يا خسارة ...

فقال له : إذا عدنا إلى المدينة فصفها للناس يرحبوا بك شاعراً

ثم سأل الثالث : وأنت ماذا وجدت ؟

فقال له : هذه ... تلمع في النور ، وتلمع في الظلام ، لها أنوار مختلفة الألوان ، حمراء وخضراء وزرقاء وصفراء ... أنا لا أدري ما هي ولكني أحبها ، وأنت أيضاً تحبها ، والناس جميعاً يحبونها ، أليس كذلك ؟

فقال له: نعم، فإذا نزلت إلى المدينة فاخلب بها الأنظار والألباب إنها السحر ... ولكني أوصيك ألا تؤذي بريقها امرأة ولا طفلاً ولا رجلاً ضعيفاً ، فما كل عين تطيق هذا التألق الخطاف ...

ثم نظر إلى الرابع وسأله : وأنت ماذا وجدت ؟

فقدم له القدح وقال له: اشرب ، فقال له : ما هذا الذي تريدني أن أشربه ؟ فقال له: ماء وجدته . فسأله: أين ؟ فقال : لن أقول، فإن لي به سلطاناً لو شاع بين الناس فقدته ... إنه شراب لذيذ ومسعد

فقال له : لا ريب إن كنت لا تزال صادقاً . . . فارجع به إلى أهلك فاسقهم منه يقيموك فيهم كاهناً يطلبون عندك الراحة كلما تعبوا ... ولكن إذا لا تدلهم على سر هذا الشراب حتى إذا مت وجدوه من بعدك ...

فقال : من بعدي ؟ ما لي أنا والذين بعدي ، والذين قبلي ؟ هل عطف عليّ من أهل هذه المدينة أحد ... لا يا سيدي ، لكل منا سره ...

... ثم نظر المتمتم للصاحبين المتلازمين وسألهما : ماذا رأيتما ؟

فقال الصغير : رأينا كم أنتم ، وقد عرفتكم جميعاً إلا أنت يا من تسألني .. وتسأل الناس لم أعرف ماذا وجدت أنت ؟ ولا ماذا ستصنع عند ما تعود إلى المدينة ...

فقال الكبير من الصاحبين : هذا يا صغيري رجل ، له ولي ، كلما فرغ نصب وذكره ، فهو دواماً معه ...

فسأل الصغير — ومن وليه ؟

فأجاب الكبير — هو ...

فسأل الصغير مرة أخرى — ومن هو ؟ !

فأجاب الكبير مرة أخرى — اسأله هو ...

فسأله الصغير — قل لي من هو ؟

فقال له — عند ما أستطيع الكلام سأقول لملك . . .

ثم نزلوا إلى المدينة ... ووراءهم كلبهم . فلما تشتتوا كان الكلب يعود إلى الكهف وحده بين الحين والحين لينام ، فقد استطاب الهواء الذي هناك .

عزيز أحمد فهمي



الذرة وبناؤها الكهربائي

THE ELECTRICAL STRUCTURE OF THE ATOM

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

يكاد يكون اتجاه علم الطبيعيات الحديثة في مبحث الذرة أن اللبنات الأساسية التي تبنى منها الذرة موجية، وذلك من بعد ما نجح العالم الفرنسي « لويس دي بروجلي » Louis De Broglie - والأستاذ « هيزنبرج » Heisenberg - في وضع مبادئ الميكانيكا الموجية. فنحن نعلم أن نظرية « نيلز بوهر » Niels Bohr مع نظرية المقدار القديمة The Old Quantum thèory كانت تستحكم في الأذهان حينما تقدم للملأ « لويس دي بروجلي » عام ١٩٢٣ م مقرراً أن الألكترونات وهي دقائق كهربائية مادية ذات شحنة سالبة تحمل ما يتبين فيه نبض موجي، وأن أشعة « إكس x » تظهر في شكل من القوة خاص بالذرة غير أن ملاحظة « لويس دي بروجلي » لم تحظ بتأييد أحد غير العلامة « سترودنجر » Erwin Schrodinger ولكن حدث أن نجح الأستاذ « دافسن » Davisson وزميله « جرمر » Germer في إثبات أن الألكترون وهو دقيقة مادية يخضع لقوانين التفرق الموجي. فنحن نعلم أن مرور موجة ضوئية في ثقب دقيق يتمخض عما يعرف باشتباك الأمواج وتفرقها - إذ بدلاً من أن تسير الموجات الضوئية في خطوط مستقيمة فإن أجزاءها تشتبك. ومثل هذا يحدث إذا مرت في معدن متبلور أو صفائح فلزية حيث تقوم دقائق المعدن أو الفلز مقام الحائل في الضوء المرئي. وقد نجح هذان العالمان في إمرار الكترونات من خلال صفائح فلزية من الذهب ومعادن متبلورة، فكانت النتيجة التي انتهينا إليها أن الألكترون يتصرف تصرف الأمواج، إذ تشتبك أجزاؤه وتتداخل. ومن ذلك الحين احتلت الميكانيكيات الموجية مكانها اللائق في عالم الفكر العلمي الحديث

وقد استند « لويس دي بروجلي » إلى ظاهرة تصرف الألكترون كموج وقرر أنه عبارة عن موجة كهربائية تجمعت في حيز صغير، ورغم أن فرضيته كانت توافق النتائج التجريبية التي انتهى إليها الأساتذة « دافسن » و « جرمر » و « طمسن الصغير » M. G. p. Thomson فإن مبدأ « عدم التثبت » uncertainty الذي كشف عنه « هيزنبرج » كان يقف عقبة دون قبول هذا الرأي

فنحن نعلم من نظرية المقدار القديمة أن إطلاق المادة لفوتونات الطاقة يكون كاملاً وكذلك امتصاصها لها، وأن عملية امتصاص الفوتونات وإطلاقها تسير متقطعة غير متصلة، وذلك يرجع إلى أن نظرية « ماكس بلانك » Max Planck قامت تستمد كل قوتها من التحولات الدورية periodic في الاهتزازات التي تمين خط شعاع الموجة، معتبرة هذه التحولات غير مستمرة بل هي وثبات متماثلة متساوية المسافة الفاصلة بينها، كما أن الزمن الفاصل متساو، فتكون بناء على ذلك هذه التحولات الدورية راجعة لوحدات ثابتة لا تنقسم اصطلح على تسميتها بثابت بلانك أو H = هـ في الرمز الرياضي. فإذا أخذنا موضع النظر الحقيقة التي قررها « جيمس كلارك ماكسويل » James Clearck Maxwell من أن الأمواج أياً كانت تتسع في دوائر باستمرار في كل الجهات، فكأن موجة ضوئية تصدر من أحد السدم تصل إلى الأرض بعد سنين من صدورها، ورؤيتها تحمل في « علم المقدار على أن مقداراً Quantum أصاب العين، مع أن المقدار المنطلق من إحدى ذرات السديم يجب أن تتوزع طاقتها على صدر قوس موجتها، حتى أن السنتيمتر من سطح الأرض الواقع في دائرة شمول الموجة لا يصيبه إلا جزء صغير جداً من المقدار وهذا يستلزم انقسامها وهي لا تنقسم، وهذا خلف contradiction

ولقد افترض « هيزنبرج » لحل هذا الإشكال أن الأمواج لا تحمل كميات من الطاقة متساوية في صدرها، إنما تحمل احتمالات متساوية بوجود الطاقة، متجمعة في إحدى النقط الواقعة على صدر الموجة. والمذكرة التي قدمها « هيزنبرج » في هذا الشأن خريف عام ١٩٢٥م تنطوي على هذا المبدأ الذي يستتر وراءه حقيقة من أهم حقائق الكون الخفية

وقد نجح العلماء من بعد « هيزنبرج » في إثبات هذه الحقيقة وقد كنت أنا من أوائل هذا النفر، فقد بينت تجاريبنا بمعامل البحث الطبيعي في موسكو أننا لو أسقطنا حزمة من أمواج الحرارة على طبقة معدنية من المغناسيوم، فبطبيعة الأمر سيتطاير عدد

من الكهارب ، وعن طريق قياس سرعة سقوط أمواج الحرارة وعدد الكهارب المتطايرة وعرض الموجة ، أمكننا حساب مسئلة تركز الطاقة فى نقط معينة من صدر الموجة أو توزعها ، وكانت نتيجة هذه التجارب أن الطاقة فى أمواج الحرارة متجمعة فى أجزاء على صدر الموجة ، وبذا تؤثر فى الكهارب التى تصدمها

وإذاً يمكننا أن ننقح رأى « لويس دى بروجلي » ، وأن نفترض مع الأستاذ « أروين شرودنجر » أن الكهربائية فى الذرة ليست مركزة فى نقط معينة من الذرة ، هى الكهارب ، إنما هى موزعة على السواء فى محيط كرة الذرة . وتفسير هذا التوزيع يشكل أهم مسألة فى الطبيعيات الحديثة

§ ٢ : —

لقد كان أثر نظرية المقدار فى تفكيرنا العلمى عن بناء الذرة كبيراً ، إذ لم نعد نعتبر سير الألكترون فى فلكه حول النواة مستمراً بل متوثباً ، ويكون بذلك شكل الذرة الخارجى متعدد الأضلاع نظراً لأن الألكترون يرسم حدود الذرة وثباً فى سيره من حول النواة ، وهكذا نقترب من التصوير الذى وضعه للذرة « جلبرت نيوتون لوس » G. V. Lewes عام ١٩١٦ ، والتى اعتبرت أساساً لبناء الذرة المستقر

وهذا التفكير وضع حداً لذرة « بوهر » وخصوصاً أنه كان يرى المسارعة فى الذرة ، مسارعة الألكترون ترجع لقوانين النشاط الكهربائى — Electrodynamic — الكلاسيكية ، بينما إشعاعات الذرة للفوتونات ترجع لقاعدة « ثابتة بلانك » فى « علم المقدار » . ومن المعلوم لنا عن طريق التجربة أن المسارعة من جهة وإطلاق الذرة للفوتونات من جهة أخرى يمكن أن يخضع لقوانين النشاط الكهربائى الكلاسيكية ، ولكن ... ذلك إذا بلغت عدد المقادير ـ ثوابت بلانك ـ اللانهائية أو قاربتها

هـذا إلى أنه من المتعذر على الباحث فى الدقائق الذرية Sub - Atomic أن يعين مكان دقيقة ذرية وسرعتها فى آن واحد ، فإذا عرف المكان تعذر على الباحث تعيين السرعة ، وإذا عرف السرعة تعذر عليه تعيين المكان ، وقد كان تأثير هذا المبدأ — مبدأ عدم التثبت — كبيراً فإنه هدم ثقة العلماء بالجبرية determinism فى علم الطبيعة غير أنه من المهم أن نلاحظ أن عدم التثبت كان ينعكس فى المقادير الكبيرة إلى نوع من التثبت والحقيقة.

وهذه الحقيقة بجانب أوليات حسابات الاحتمال مهدت السبيل للعلامة « أورين شرودنجر » أن يضع نظرية جديدة فى « علم المقدار » تضافر معه على تحقيقها « ماكس بورن » Max Born و « جوردان » Jordan و « ديراك » Dirac وفى هذه النظرية الجديدة لم يعتبر « شرودنجر الإلكترون دقيقة مادية ركزت فيها الشحنة الكهربائية ، إنما اعتبرها شحنة كهربائية موزعة على فلك الإلكترون على السواء ، والتوزيع هنا معناه احتمالى محض ، وقد اختلفت وجهات النظر فى تفسير الاحتمال ، فهو عند شرودنجر ليس فى ساحة فراغية إنما هو فى ساحة رياضية صرفة ، بينما هو عند جوردان وماكس بورن مقياس لا لكم واحد أو عدد من الكميات وإنما هو مظهر من قياس عدد لا متناه من الكميات الممكنة المنتظمة ؛ أما « ديراك » فيرى التوزيع رمزاً symbol ولكن بدون أى إمكان لتفسير عددى إذ يأخذ بالوجهة التى تربط سرعة الإلكترون بمقدار طاقة حركتها

إن فكرة الاحتمال التى دخلت ساحة الطبيعيات الحديثة نبتت من الحقيقة التجريبية فى أنه إذا بلغ عدد المقادير أعنى ثوابت بلانك اللانهائية أو قاربها ، فإن مسارعة الإلكترون وإطلاق الذرة للفوتونات يخضعان لقوانين النشاط الكهربائى الكلاسيكية ، ومن المعلوم من حسابات الاحتمال أن اتساع الدائرة التى تخضع للاحتمال يؤدى إلى تكييفات حتمية أو شبه حتمية ، وذلك راجع إلى أنه فى حالة اتساع الدائرة تتساوى نسبة مجىء الحادثات واطرادها فى تتابعها . وبيان هذا :

لو افترضنا أن معنا قطعة من النقد ، فهذه القطعة لها وجهان بطبيعتها ، واحتمال مجىء أحد هذه الوجهين معادل لاحتمال مجىء الوجه الآخر . فالحالات الممكنة أعنى المحتملة هنا هى :

١ ، ٢   ز   ٢ ، ١

ويكون احتمال هاتين الحالتين بنسبة بعضهما لبعض :

$ع_{١} ، ع_{٢} = ١ - ع_{١}$

باعتبار أن الوضع ١ ، ٢ = $ع_{١}$ والوضع ٢ر١ = $ع_{٢}$ فإذا تكررت هذه الأوضاع ن من المرات ، فالحالات الممكنة ثابتة فى التعاقب ويكون وجه احتمال مجىء الوضع $ع_{١}$ راجعاً للمعادلة

$[ع_{١} - ع_{٢}]^{ن}$

التى تحدد من إمكان الوضع الأول

وهنا التفاضل بين $ع_{١} - ع_{٢}$ أصغر من الواحد ، فإذا كان

مقدار به بالغاً الحد الأعظم فإن إمكان الوضعين يقترب من التعادل حتى يساويه فى اللانهائية

واستناداً إلى هذه الفكرة الرياضية المحضة أمكن تفسير غامض انطلاق الفوتونات وتغيير الذرة لموازنتها الكهربائية ، فنحن نعرف أن كهربا ينطلق من الذرة إذا بلغ عدد المقادير اللانهائية وذلك فى صورة متجانسة مع المبادئ الكلاسيكية ، وانطلاق كهرب أو تغييره لفلكه يحدث اختلالاً فى موازنة الذرة ويحدث فى بناء الذرة رد فعل ينجم عنه موازنة جديدة ، لا تأتى إلا بإطلاق مقادير من الطاقات تعرف بالفوتونات . وإطلاق الذرة لهذه الفوتونات يرجع لحملها حالة طنس جديدة تقوم على عدد لانهائى من المقادير . وهذه اللانهائية فى عدد المقادير هى التى تعطى الاطراد فى انطلاق الفوتونات بالنسبة لتغيير الشحنات الكهربائية موازنتها فى الذرة ، لأنه فى الوضع اللانهائى يتساوى كل الحالات الممكنة واطراد انطلاق الفوتونات فى تتابعها

ونفس النظر الاحتمالى فسر مفهوم مبدء عدم التثبت لأن هذا المبدأ فى أبسط صوره لم يخرج عن استحالة تعيين دقيقة ذرية فى مكانها وسرعتها فى آن واحد ، فإذا أمكن تعيين السرعة استحال تعيين المكان ، وإذا أمكن تعيين المكان استحال تعيين السرعة. ولكن هذه الاستحالة وعدم التثبت سرعان ما ينعكسان — كما قلنا فى المقادير الكبيرة — ولبيان هذا نقول :

إن قطعة النقد المؤلفة من وجهين : وجه عليه رسم الملك ، ووجه آخر عليه الفيئة ؛ ولنرمز إلى الوجه الأول بالرمز (ع ١) ، وللوجه الثانى بالرمز (ع ٢) ؛ فإن إمكان تعيين أحد الوجهين متعادل واحتمال بحيثه متساو بحكم الطبيعة ، فإذا رمينا قطعة النقد عدداً من المرات ، فمن المحتمل فى هذه المرات أن يأتى كل وجه فى دورة واحدة ، كما أنه لا يستبعد أن يأتى أحد الوجهين عدداً من المرات ، ولا يظهر الوجه الآخر إلا مرة واحدة ...

ولكن هذا التخالف سرعان ما يتناقص مقداره ويأخذ فى الاقتراب من الصفر إذا رمينا قطعة النقد ٥٠٠ ألف مرة ، لأنه فى هذه المرات الكثيرة يعطى اتساع المدى تساوياً لتتابع واطراد الأوجه الممكنة — التى هى وجهان هنا — فيأتى معنا الوجه الذى يحمل رسم الملك ٢٥٠ ألف مرة ، وكذلك الوجه الآخر

ونفس هذا يحدث معنا فى ساحة «علم الذرة» وعلم «المقدار»

ولشرح هذا نقول :

إن المشاهد فى عالم الذرة أن النتيجة التى يخلص بها الباحث من تعيين أوضاع لبناتها غير حتمية ، لأن النتيجة التى يخلص بها الراصد والباحث فى زمن ووضع معين يخرج بغيرها باحث آخر فى غير الوقت والوضع ولو جرت التجربة فى عين الشرائط التى جرت وفقاً لهذه التجربة الأولى . ولو أجريت التجارب عدداً من المرات فعلى عدد هذه المرات تكون النتائج معنا ، غير أن هذا العدد إذا بلغ حداً كبيراً فسنجد أن النتائج الجزئية تعطى وجهاً عاما فى احتمال لا نهائى . وهذا الاحتمال يمكن الباحث من من حساب النتيجة التى تأتى معه فى وضع رياضى ولكن يحمل عنصر اللزوم والحتم فى طياته

وهذا نفس ما يحدث معنا إذا رمينا قطعة النقد مرات فإن النتائج تتباين فى كل رمية ، ولكن هنالك فى اتساع المدى تساوياً فى تتابع واطراد هذه النتائج

هذه الأوليات تفسر لنا أوجه تفسير « التوزيع » عند كل من (شرودنجر) و (جوردان) و (ماكس بورن) و (ديراك) من وجهتيه الطبيعية والرياضية

§ ٣ : —

لقد انتهى « ديراك » بمباحثه النظرية فى تفسير التوزيع ، إلى أن هذا التوزيع رمز ولكن بدون أى إمكان لتفسير عددى أخذاً بالوجهة السلبية من المعادلة الأساسية لنظرية الكوانتا الجديدة ، أعنى الوجهة التى تربط سرعة الألكترون بمقدار طاقة حركته ، وكان نتيجة ذلك أن انتهى إلى أن هنالك ضربين من الكهارب موجبة وسالبة الشحنة الكهربائية ؛ والكهارب ذات الشحن السالبة من الكهربائية هى الألكترونات ، أما الموجبة فهى وراء تناول تجاربنا ، فكأنها والخلاء سيان

وامتحان نظرية « ديراك » من الوجهتين الرياضية والفيزيقية عن طريق دراسة تدفق الإشعاع المادى واستناداً إلى معادلتى كلاين Klein و « نشينا » Niskina ينتهى بالباحث ، كما انتهى بنا ، إلى حقيقة فوزيقية مهمة: هى أن الطاقة السالبة، والطاقة الموجبة التى ترتبط بدقيقة الكهربية متساوية ، وأن الاختلاف فى دلالة الإشارة الجبرية على نوع الشحنة، وهذا يؤدى حتما إلى افتراض كهرب موجب الشحنة الكهربائية يقابل الألكترون السالب الشحنة الكهربائية . وهذا التنقيح فى نظرية « ديراك » يجعلنا ننجح حيث فشل غيرنا ، مثل أوبنهيمر Oppenheimer ، ومن الحتم أن نقول إن « لويس دى بروجلى » يوافقنا على هذا التعديل وقد كشفت المباحث الفيزيقية الأخيرة عن وجود دقيقة



بين الدكتور زكي مبارك وصديق له

رأيت في الرسالة الغراء كلمة وفاء ورثاء بكى بها الدكتور مبارك لفرنسا، ورثى لما أصابها. وجميل بالرجل أن يكون وفياً رقيق القلب، ولا سيما في مثل موقف فرنسا ونكبتها التي حلت بها من انحلال الأخلاق واللهو واللعب مكان الرجولة والتضحية، كما قال المارشال بيتان، وهذا من أعظم مواضع الرثاء والأسف

وقد أعجبني من صديقي مبارك أنه متفق مع الجميع في التأثر والألم لما أصاب مدينة النور «باريس الجميلة» فإن لكل متعلم في باريز عهداً لا ينسى ذكراه. وللمدينة الخالدة «باريس» فضل على كثير من الشرقيين والغربيين لا تبلو جدته

غير أني رأيت الدكتور يرد على صديق عاتبه في الإفراط بمحبة فرنسا، بينما فرنسا الدولة المستعمرة التي أرهق استعمارها عشرات الملايين وإخوان زكي مبارك

ورأيت الرد خلط بين أمرين كان يجب التفريق بينهما

الأول: فرنسا العالمة مبعث النور والحرية ومهد الاختراعات

الثاني: فرنسا المستعمرة بكل ما في معاني الاستعمار من استبداد

وفي الحالة الأولى يجب على كل إنسان أن يحب فرنسا ويرثي لنكبتها

وفي الثانية على كل حر في العالم وكل من ذاق استعباد فرنسا في مستعمراتها ألا يجزع لما حل بها

نعم، إن الشماتة لا تليق بالرجال ولكن حب الانتقام، ولا سيما في المظلوم من الغرائز البشرية التي اعترفت بها الشرائع والقوانين، وهي صفات إذا فقدتها الجماعات والأمم أصابها هذا الانحلال...

فالإنسانية تتألم لفرنسا والحرية تبكيها، والأمم التي أصابها ظلم فرنسا تصمت أمام انهيار السياسة الفرنسية، وتعد انهيارها نذيراً لكل أمة تظلم الإنسانية أيًّا كان مذهبها وملتها

فالأولى بالصديق مبارك أن يفرق بين فرنسا وفرنسا؛ وعندها ينصف نفسه وينصف من يعتب عليه

«صديق»

مادية ذات شحنة موجبة تقابل الألكترون اصطلح على تقريبها بالبوزيتون. وكان زميلنا العالم الروسي سكوبلزن Skobelzien أول من انتبه إلى هذه الحقيقة أثناء تصويره مسارات الأشعة الكونية Cosmic Rayo عن طريق ما تتركه من الأثر في المسار الذي تسلكه خريف عام ١٩٢٩. وكانت تجارب الأساتذة: أندرسون Anderson وبلاشيت Blachett وأشياليني Occhialini في الذرة المهيجة تحت تأثير الأشعة الكونية قد انتهت لحقيقة تجريبية في أن كتلة هذه الذرات المهيجة تحت تأثير الأشعة الكونية تعادل كتلتها في حالتها الأولى. وقد تبيّن خلال هذه التجارب أن هنالك خطوطاً مزدوجة أحدها منحرف لليمين والآخر لليسار، أعني أن أحدها موجب والثاني سالب، وتبين من مباحثهم أن الخط الموجب هو صنو للالكترون نظراً لأن الخط السالب هو الإلكترون نفسه، وأن كتلة الدقيقة الموجبة معادلة لكتلة الدقيقة السالبة، فكأن البوزيتون صنو الإلكترون وليس البروتون هو صنوه

ونحن نعلم من نظرية «نيلز بوهر» العالم الدانمركي أن النوية في الذرة تعادل كتلتها كتلة الذرة وأنها مكونة من بروتونات، غير أن الميكانيكا الموجية وتجارب «دمبستر» A. J. Dempster بينت أن البروتون لم يخرج عن كونه موجة كهربائية ولكنها ليست مركزة في قلب الذرة كما ارتأى «دي بروجلي» وإنما هي موزعة توزيعاً رياضياً في كرة الذرة الداخلي

هذه الحقيقة التي تنسجم مع المبادئ النظرية في الفوزيقا الحديثة لما ما يسندها في عالم التجربة، وقد كان لي عام ١٩٣٣ فكرة في أن كرة الذرة الداخلية متوزعة فيها الشحنة الموجبة توزيعاً رياضياً، وأن هذه الشحن تتجمع في بعض النقط، وهذه النقط هي الإلكترونات الموجبة أو البوزيتونات حسب الاصطلاح الحديث

وفي مستهل عام ١٩٣٨ حملت أنباء التجارب العلمية الحديثة أن البروفسور سكوبلزن قد نجح في تخليص بيروتونات من تيار من البوزيترونات تحت ضغط عال، فإذا صح هذا، فسيكون معنا في الذرة لبنتان أساسيتان ـ الألكترون والبوزيتون وهكذا يتحقق معنا الفرض القديم الذي قلت به منذ خمس سنوات في مذكرتي إلى معهد الطبيعيات الروسي، وهي أن الذرة مكونة من موجتين: ذات شحنة موجبة وذات شحنة سالبة، وأن هاتين الموجتين في توزيعهما الرياضي في عالم الذرة يخلقان لنا ذلك الشيء الذي نصرف إليه اصطلاح الذرة

اسماعيل احمد أدهم

من الأستاذ القاياتي الى الدكتور عزام

أرسل الأستاذ السيد حسن القاياتي إلى الدكتور عبدالوهاب عزام هذين البيتين على أثر قراءته كتاب « رحلات » :

ظمئت لتصلح لب القسيم   وعدت لتكتب رأي الحكيم
بيانك والشرق أغلاهما   جمال الجديد ونبل القديم

حسن القاياتي

المقنع لأبى عمرو الدانى

أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى الأندلسى عصرى ابن حزم المتوفى سنة (٤٤٤) إمام من أئمة علم القرآن ، وله فيه تصانيف كثيرة منها (التيسير) ، وهو اليوم أقدم مرجع للبحث فى القراءات السبع . وكتابه « المقنع » أقدم مرجع فى رسم القرآن وكتابته ، (والنقط) فى نقطه وإشاراته ، وكان بعض المستشرقين قد نشره ونشرت ترجمته إلى اللسان الفرنسى — فأعاد الأستاذ المحقق الشيخ محمد أحمد دهمان نشره مقابلاً على ثلاث نسخ مخطوطة قديمة بتحقيق وعناية وطبعه على ورق جيد جداً ، فلما يطبع على مثله كتاب. فلما بلغ إلى المقدمة التى أعدها وهى تبلغ ثلث الكتاب (الكتاب مع فهارسه يقع فى ١٨٠ صفحة) لم يجد فى السوق من هذا الورق وكره تشويه الكتاب بتنويع ورقه فأرجأ نشرها إلى طبعة أخرى ، ولعله ينشرها فى الرسالة مستقلة أو مختصرة

والأستاذ « دهمان » مؤسس مكتب الدراسات الإسلامية فى دمشق ، وقد نشر كتباً قيمة منها : « كتاب النشر فى القراءات العشر » ـ وهو أول من نشره ـ و « البدع والنهى عنها » لابن وضاح وهو أقدم كتاب فى موضوعه ، و « سنن الدارى » وغيرها

ونحن نشكر للأستاذ جهده وننبه المشتغلين بهذا الفن إلى صدور هذا الكتاب القيم « ع . ط »

التاريخ ـ لماذا هزمت فرنسا ؟

أذاع المارشال بيتان البيان الآتى :

أيها الفرنسيون فى فرنسا وفيما وراء البحار ، أخاطبكم اليوم لأوضح لكم الأسباب التى دعتنا إلى عقد اتفاقيتى الهدنة الأولى مع ألمانيا منذ ثلاثة أيام والثانية مع إيطاليا أمس

إن الأمر الذى يجب التنويه به قبل كل شىء هو الوهم الخادع الذى بنت عليه فرنسا وحلفاؤها آمالهم بشأن قواتهم العسكرية الحقيقية وأثر السلاح الاقتصادى وحرية البحار والحصار والموارد التى كانوا يستطيعون الحصول عليها . فاليوم ـ كما فى الأمس ـ لا تكسب الحرب بواسطة الذهب والمواد الأولية فقط . إن النصر يتوقف على القوات والمدات وكيفية استخدامها . وقد دلت الحوادث على أن ألمانيا كانت متفوقة فى هذا الميدان فى مايو سنة ١٩٤٠ تفوقاً ساحقاً كنا لا نستطيع أن نواجهه عندما دارت رحى المعركة إلا بعبارات التشجيع والأمل

وقد انتهت معركة الفلاندر بتسليم الجيش البلجيكي وسط القتال ومحاصرة الفرق الإنجليزية والفرنسية . وقد قاتلت هذه الفرق الأخيرة قتال الأبطال ، وكانت مؤلفة من خيرة قوات جيشنا . وبالرغم من مقدرتها لم نتمكن من إنقاذ جانب من رجالها إلا بالتخلى عن معداتها . ودارت المعركة الثانية على نهرى الأين والسوم ، وللثبات فى هذا الخط قاتلت ٦٠ فرقة فرنسية لا تحميها التحصينات ولا تؤيدها الدبابات — تقريباً ١٥٠ فرقة ألمانية من فرق المشاة و ١١ فرقة من الفرق المصفحة . فاخترق العدو خطوطنا فى بضعة أيام ، وجعل قواتنا أربعة أجزاء واجتاح القسم الأكبر من الأراضى الفرنسية ، وكانت ألمانيا فى حكم المنتصرة عندما دخلت إيطاليا الحرب ، وأقامت ضد فرنسا جبهة جديدة صمد لها جيش الألب . وعندئذ اتخذ نزوح اللاجئين شكلا يفوق ما يتصوره العقل ، فقد انضمت عشرة ملايين من الفرنسيين إلى مليون ونصف مليون من البلجيكيين وأخذوا يتدفقون على مؤخرة جبهتنا فى أحوال اختل فيها النظام وسادها بؤس لا يوصف

وابتداء من ١٥ يونيه اجتاز العدو نهر اللوار وانتشر فى بقية أنحاء فرنسا . فأمام مثل هذه المحنة كان يجب أن تكف مقاومة الجيش ، وكان على الحكومة أن تختار بين أحد أمرين : إما البقاء فى مكانها أو مغادرة البلاد . فتداولت فى الأمر وقررت البقاء فى فرنسا للمحافظة على وحدة شعبنا وتمثيله أمام العدو، ذلك لأنها رأت أن واجبها فى مثل هذه الأحوال يقضى بالحصول على هدنة مقبولة باستثارة روح الشرف والعقل لدى العدو . وقد عقدت الهدنة وانتهى القتال . وفى يوم الحداد الوطنى هذا تتجه أفكارى إلى جميع القتلى ، وإلى جميع أولئك الذين تألموا فى أجسادهم وعواطفهم من جراء هذه الحرب . إن تضحيتهم قد احتفظت بسمو علم فرنسا وطهارته فهم لا يزالون أحياء فى ذكرياتنا وقلوبنا أما الشروط التى اضطررنا إلى قبولها فهى قاسية . فسيحتل



جندى مرابط

للأستاذ محمد سعيد العريان

« راجح ! حبيبي ! أرجوك ... إن العدوّ لا يرحم ، ولا يعفو ؛ فلا ترمِ بنفسك إليه .. احرص على حياتك من أجلي يا حبيبي ! عِش لي ، أوْ لا ، فاقتلني واسدِل بيديك أجفاني قبل أن أرى فيك مصارعَ أهلي وأهلاء يا راجح ! »

كانت « بدرية » تتحدث إلى فتاها وقد أمسكت بيديه ، ورفعت إليه عينين مخضلّتين بالدمع وفي صوتها نبرة يأس وأسى . كانت موقنة بأنه لن يستمع إليها ، ولن يجيب ؛ ولكن جذوة الحب التي تؤج في صدرها كانت تبعث في نفسها أثارةً من الرجاء !

واستمع إليها الفتى صامتاً وفي قلبه عواطف تصطرع ، وفي رأسه خواطر تموج وتتدافع ؛ وأوشك أن ينتكث عزمه ، حين التقت عيناه بعينيها الدامعتين وأحسّ شدّ يديها على يديه كأنما تخشى أن يفر إلى أجله قبل أن تلقي إليه كلمة الوداع !

وبرز القمر من خلل أعذاق النخيل ، فألقى شعاعه على وجه الفتى والفتاة جالسين مجلسهما على مقربة من مضارب الحيّ ، وقد سكن كل شيء منهما ومما حولهما ، إلا قلباً يجف وأنفاساً تتردّد . . .

وثابت إلى الفتى نفسه حين أذكرته صاحبته مصارع أهلها وأهله ؛ لقد كان موشكا أن يخور وتضعف عزيمته ، ولكن ذكرى أهلها ، وأهله ... ووطنه ... قد ردّته إلى رأيه ، فأفلت من يدي صاحبته ووقف ، وهتف :

« نعم ... ولكنّ دم آبائي يا بدرية ، ودم أبيك ، وشرف الوطن ... يناديني ؛ لقد أقسمتُ أن أنتقم أو أموت ، وسأنتقم ، أو أموت ... ويومئذ ألقى آبائي ، وآباءك ، رافع الرأس فخوراً بما بذلت لأهلي ووطني ، من دمي ... ! »

جزء كبير من أراضينا مؤقتاً وتقيم ألمانيا حاميات في شمال بلادنا وغربه من بحيرة جنيف حتى تور ثم على طول الساحل من تور ، حتى جبال البيرينيه . ويجب أن تسرح جيوشنا وأن تسلم معداتنا وتحصيناتنا وأن يجرد أسطولنا من سلاحه في موانينا . وستجرد القواعد البحرية من سلاحها في البحر الأبيض المتوسط

أما الشرف فلا يزال سليما . فلن يستخدم أحد طائراتنا ولا أسطولنا . ونحن محتفظ بالوحدات البرية والبحرية اللازمة للمحافظة على النظام في فرنسا ومستعمراتها ، وستظل الحكومة حرة ولن يدير شؤون فرنسا إلا الفرنسيون

لقد كنتم على استعداد لمواصلة القتال — إني أعلم ذلك — ولكن الحرب كانت لا محالة خاسرة في فرنسا

لا تنتظروا كثيراً من الدولة فهي لا تستطيع أن تعطي إلا ما تتلقاه . اعتمدوا في الوقت الحاضر على أنفسكم وفي المستقبل على الأبناء الذين ستربونهم ؛ وعلينا أن نجدد فرنسا ، فأظهروها للعالم وهي ترقب خصمها وتعمل في هدوء وكرامة . لقد أتت الهزيمة من الانحلال فدمرت روح الملذات واللهو ما شيدته روح التضحية ، فإني أدعوكم قبل كل شيء أن تنهضوا بأخلاقكم .

أيها الفرنسيون ، إنكم لقادرون ، وإني أقسم لكم أنكم سوف ترون فرنسا جديدة تنبعث من حرارة إيمانكم

رد الجنرال دي جول على بيانه

قال الجنرال دي جول في إذاعة له رداً على بيان المرشال بيتان :

« في ساعات الخجل والغضب هذه ، يجب أن يرتفع صوت واحد للرد عليك

« لقد ضربت فرنسا بقوات العدو الميكانيكية ، فإذا كانت فرنسا لا تملك هذه القوات الميكانيكية ، فغلطة من هذه ؟

« لقد كنت ترأس هيئاتنا الحربية بعد انتهاء الحرب في عام ١٩١٨ ، وكنت قائداً عاماً حتى سنة ١٩٣٢ ، وكنت وزيراً للحربية في عام ١٩٣٥ ، وكنت أكبر شخصياتنا العسكرية . ولكنك لم تطلب أبداً إدخال الإصلاح اللازم لهذا النظام البالي

إن قبول العبودية لم يكن يتطلب بطل فردون ، بل أي إنسان كان يستطيع عمل هذا . إنك رفضت موارد الإمبراطورية البريطانية والمساعدة الأمريكية الكبيرة ، وقد لعبت لعبة فاشلة وألقيت بالأوراق وكأنه لم يبق في أيدينا أية ورقة نافعة

كيف تنتظر من فرنسا النهوض مرة أخرى وهي تحت أحذية الألمان الثقيلة وأحذية الرقص الإيطالية ؟

« ألا إن فرنسا ستنهض مرة أخرى في الحرية والنصر

« إن أسلحتنا منضمة إلى أسلحة حلفائنا ستعود بالنصر ، وسنعيد خلق فرنسا ... »

وراح يدبّ على رمال الصحراء ، تحت ضوء القمر ، وبندقيته على كتفيه ؛ لم يحاول أن ينظر إلى وراء فيودّع الفتاة التى كان كلّ شىء فى دنياها وكانت ؛ ومضى ليجيب داعى الوطن !

* * *

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ، حين زحفت الجنود المغيرة من مربضها الذى ترابط فيه منذ سنوات على ساحل برقة ، تحاول أن تبسط سلطانها على الجنوب كما بسطته على الشمال لتميد مملكة الرومان فى جوف الصحراء وتنشىء لها عرشها من جريد النخل فى ظلال أغصان الزيتون ...

واصطرعت قوتان ، أما إحداهما فكانت تملك الحديد والنار وفى يدها السيف والذهب ، وأما الأخرى فكانت تملك الإيمان بالله ، والإيمان بالوطن ... وترامى الفريقان بنبالهما ، وسال الدم ، وعقد الدخان ضبابة سوداء فوق رءوس المسكرين، ودارت رحى المنون !

وانتبه الفتى والفتاة من سكرتهما وحيدين قد فقدت أباها وفقد أباه وعمه ؛ فأقسم من يومئذ قسمه وأبرم عزمه ...

... وخلف الفتاة فى الحى تنتظر مآبه !

* * *

لم تهدأ ثائرة البادية حين خيل للفاتح المغير أنْ قد غلب وتسلط ، ولكن جمرات تحت الضلوع تبص بصيصها ثم تختفى ، ولا تخبو وقاد « راجح » فرقته الصغيرة فمضى بها حتى أوى إلى غار فى طريق الرائد والسابل والقافل ، يتربص على حذر ورقبة ؛ فما يمر به ولىّ ولا عدوّ إلا عرَّفه نفسه وخيَّره بين عاقبتيه ...

وشَرِىَ أمرُ الفتى وعزّ جنده ، ووفدت إليه الوفود من أبناء البدو وأفلاذ الصحراء مذعنة لأمره مطيعة ، وعقدوا له اللواء ؛ وحار العدو حيرته فما عرف سبيلاً إليه ولا منجاة منه ، وإن له العدد والقوة والعتاد !

وترامت أخبار الفتى إلى فتاته ، فرفعت عينيها إلى السماء تدعو الله مشفقة راجية !

وبثّ العدوّ سراياه بين الكهوف والوديان يطلب أثره ويلتمس غِرّته ، وراحت الدبابات تطأ الأخبية وتجوس خلال الديار ، وحلقت الطيارات تقذف اللهب وترمى بالصواعق ، ومضت الكتائب المكتّبة تحاصر القرى وتقطع الطريق ؛ وانكشف المخبأ ، ونشبت المعركة فى ضوء الصبح ؛ وكان ما لا بد أن يكون ، وأمعن العدوّ قتلاً ومُثلة حتى بلغ مبلغه ؛ وتبدد الجيش الصغير الباسل وتقسمته بطونُ الأرض أشلاء وجماجم ...

وحلقت طيارات الجيش الظافر ترسل تحيتها إلى القرى المغلوبة قذائف من جماجم بنيها الشهداء ؛ ولبس الحدادَ شعب بأسره ؛ وأحدّت « بدرية » على فتاها كما أحدّت على أبيها وأهلها من قبل !

* * *

وفى بيت من الشَّعر إلى جانب الصحراء فى غرب الأسكندرية، رأيت بدرية منذ ثلاث سنين ...

كنت أصطاف يومئذ هناك ، وكان بيتها على مقربة ، فإنها لتغدو علىّ وتروح كل يوم لحاجتها بين السوق والبيت ؟ فأراها ... لم أكن أعرف شيئاً عن ماضيها ، ولم يحدثنى أحد بخبرها وإنها لواحدة من كثيرات من الأعراب قد ضربن خيامهن هناك ؛ ولكن مرآها كان يثير فى نفسى فضولاً عجيباً ؛ فما أكاد ألحظها قادمة من بعيد حتى تطيف بى خواطر وأسئلة لا أجد فى نفسى جوابها ؛ فأتبعها عينى حتى تغيب ...

كانت بزيِّها ، وعينيها ، وشفتيها المطبقتين أبداً على ابتسامتها العابسة ـ تمثالاً صامتاً يرمز إلى أبلغ معانى الوحشة واليأس والحرمان ، حتى لا يملك من يراها إلا أن يتخشع ويصمت ؛ وكان لها جمال ، وفى عينيها وداعة ، وعلى جبينها طهر ؛ وعلى أنها فيما تبدو لمن يراها جاوزت الأربعين فقد كان لها روح الطفل وخفته ... وعرفتُ خبرها من بعد ، فأعظمتُ وفاءها ، ورثيت لها .

* * *

لقد مضت بضع عشرة سنة ، منذ تلك الليلة التى خلّفها راجح ومضى لأمره يحاول أن يثأر لقومه ؛ ولكنها ما تزال بعدُ كأنها منه على ميعاد ، وكأنما كان ما كان منذ أيام . لم يزدها مرُّ السنين وحادثاتُ الليالى ، وفراقُ الوطن ، إلا وفاء لذكراه وجَلَت عن أرضها مكرهة فيمن جلا من عمومتها وبنى أبيها ، ولكن قلبها بقى هناك ، حيث وقفت لآخر مرة تتبعه عينها وهو ماض لأمره تلفُّه ريح الصحراء فى الليل القر !

وقنعت بذكراه عن الأمل فى لقياه منذ جاءها النبأ الفاجع ! ونذرت نفسها للوفاء بعهده ، فلم تتزوج ، ولم تخلع الحداد ؛

ونسيت ما كان من ماضيها ومن أيامها ، إلا صورته وذكراه ؛ وتأيمت العذراء ولما تخلع أبراد الشباب !

* * *

وكانت بدرية فى فراشها حين دوت صفارة الإنذار لأول مرة فى الإسكندرية ، تنذر أهلها ليأخذوا أهبتهم للكفاح ؛ وأشرق الصبح وقد هجر المدينة نصف أهلها فراراً من الموت ؛ فحملت بدرية متاعها ومضت مع الناس تلتمس سبيلاً إلى النجاة !

يا رحمتا للمسكينة مما يطاردها من أحداث الليالى !

وأعياها السير ، فحطت متاعها عن كاهلها وجلست تستريح على حيد الطريق ، حين مر بها فوج من الجند فمدت عينيها تنظر ...

ونظرت ، فعرفت ، فهتفت ...

ولكن هتافها تلاشى فى ضجة الناس وزحمة الطريق ؛ ومضى الجنـد ومضت تعدو فى آثارهم وتركت متاعها تتقاذفه أقدام السابلة ...

وانقطع بها الطريق فما بلغت ولا بلغ صوتها إلى من يسمع ، وكأنما كانت تنادى منادَى من التاريخ يفصلها منه بضعة عشر عاماً من عمر الزمان !

وهامت المسكينة على وجهها ذاهلة لا تكاد تعى شيئاً مما ترى أو تسمع ، ليس لها هدف فيما تسعى ولا غاية إلى ما تسير !

وأعيت بعد جهد فسقطت فى الطريق لا حس ولا حركة ولا حياة ؛ ثم أفاقت لتسأل نفسها ويسألها الناس فلا تجد الجواب !

وتتابعت على عينيها ذكريات الماضى يوماً يوماً منذ كانت حتى صارت ؛ ونظرت يمنة ويسرة ، ثم انطلقت تعدو ... !

* * *

وعرفت بعد لأى أين تقصد ، فمضت فى طريقها ...

... والتقى فى خيمة الضابط المشرف على فرقة المتطوعين من أعراب الصحراء شخصان لم يلتقيا منذ بضع عشرة سنة ، أما أحدهما ففتاة فى الأربعين قد تقنعت بلفاع أسود حائل ، وعليها ثوب أسود مرقوع ، وترف على شفتيها ابتسامة لم تنفرج عن مثلها شفتاها منذ سنين . وأما الآخر فرجل أشمط مخدد الوجه فى جبينه شجة ملومة ، يلبس حلة عسكرية وعلى رأسه طربوش بدوى غليظ يكبس أذنيه ويتدلى زره على قفاه ...

وقالت الفتاة : راجح ! ...

وغصت بريقها وتسابقت بوادرها على خديها !

وقال الرجل : لم أكن أظن يا بدرية !

وكان الضابط جالساً إلى منضدة فى صدر الخيمة يسمع وينظر ويبتسم ابتسامة الغبطة والرضا !

وعادت بدرية تقول : راجح ... !

وربت راجح على كتفيها وهو يبتسم ، وقال : لا تخشى بعد اليوم شيئاً يا بدرية ؛ لن نفترق بعد ؛ لقد دنا اليوم الذى أرتقب يا عزيزتى من زمان ، لأغسل الدم بالدم ، وأنتقم ؛ فنعود أعزة إلى الوطن الذى أكرهنا على هجرانه ، ويومئذ ...

وطأطأت بدرية رأسها من حياء ، واسترجعت أمانى عاشت بها حيناً وعاش فتاها ؛ ومرحا بأفكارهما إلى بعيد ؛ إلى حيث كانا يلتقيان كل مساء تحت ضوء القمر فى ظلال النخيل القائمة على مقربة من بيوت الحى ، يتساقيان المنى ويتناجيان نجوى الشباب ؛ وابتسم ، وابتسمت ...

ودوى بوق المعسكر يدعو فرقة المتطوعين من أعراب الصحراء إلى نوبتهم فى العمل ؛ فهب راجح واقفاً ومضى إلى واجبه ، تتبعه عينان تفيضان بالحب والحنان ، ولسان يخافت بالنجوى والدعاء !

محمد سعيد العريان

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }



8ème Année No. 367

Lundi - 15 - 7 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٥ يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــــرس

لا نخدع أنفسنا حتى يخدعونا

للأســتاذ عباس محمود العقاد

لم نخدع أنفسنا حتى خدعنا الأوربيون عنها فانخدعنا !

ثم صــدقنا أننا أهل عاطفة ولسنا أهل عقل ، وأننا أهل خيال ولسنا أهل حس ، وأننا أهل روح ولسنا أهل مادة ، وأننا لذلك مخفقون

وأنا مع الذين يقولون : إننا لسنا أهل عقل ولا أهل حس ولا أهل مادة ، ولـكنى لست ممن يقولون : إن هذه « اللاسية » توجب لنا نقيضها وتعطينا ما يقابلها ، فنصبح أغنياء فى الروح لمجرد أننا فقراء فى المادة ، ونصبح نفـاذين فى الخيال لمجرد أننا محجوبون عن الحس ، ونصبح و « العاطفة » فياضة من نفوسنا لمجرد أننا مستريحون من العقل أو واقفون منه عند ينبوع جديب

فجائز جـداً أننا لا عاطفيون ولا عقليون ، ولا روحيون ولا ماديون ، ولا خياليون ولا حسيون ؛ وأننا على نصيب نزر من جميع هذه الصفات لا تستلزم القلة فى إحداها كثرة فى نقيضها، لأن الصفات الإنسانية لا تمشى عِدلين عدلين متلازمين يعلو أحدهما حيث يهبط الآخر ضربة لازب . بل قد ينعدم العدلان والبعير معهما فى كثير من الأحيان ... !

* * *

واليقين عندى أننا منذ زمن طويل فقراء فى العاطفة محتاجون إليها أشد من حاجتنا إلى العقل والعلم والحكمة وسائر مشتقاتها.

وكان هذا رأيى يوم ناقشنى فيه فقيد العراق الأكبر جميل صدقى الزهاوى المصلح الحكيم ، وكان — رحمه الله — يسألنى : بماذا عبر لندنبرج المحيط الأطلسى : أبالعقل أم بالعاطفة ؟ فأجيبه : « بالعاطفة » ... فإن العاطفة لا العقل هى التى أركبته الطيارة بعد أن فرغ العقل من تركيبها فى المصنع وتركها حديدة لا تتحرك ولا تأتى بالفلق إلا أن تقدم بها عاطفة مجازفة لا تبالى العقل ولا تحفل السلامة

والذى كان يسمه رحمه الله يقسم حسبة الطيارة إلى كومين: كوم العاطفة وكوم العقل، يخيل إليه أننا نحن الشرقيين قد ظفرنا منها بكل ما فيها من عاطفة وهمة وطموح ومغامرة واستطلاع ، ولم يبق منها للغربيين غير حفنة من مسامير ومطارق وأرقام ، هى التى يرتع فيها العقل ما يشاء !

***

والآفة كلها من أوربا نفسها

فقبل اتصال أوربا بالشرق لم يقل أحد من الشرقيين إن الشرقيين أهل أحلام وخيالات ، وإنهم من رجال العاطفة وغيرهم من رجال العقل والواقع

ولكن الأوربيين وصفونا هذه الصفة فاغتررنا بها ومضينا فيها ، ولا سند لها على الأرجح أقوى من ألف ليلة وليلة وما جرى مجراها من القصص والنوادر ، وهى كما نعلم ليست « بالخيال » فى أى سمة من سماته ولكنها « واقع » مع إيقاف التنفيذ كما يقولون فى لغة القانون ! أو هى أحلام الجائع فى سوق الطعام ، لا فرق بينها وبين الواقع إلا أن يستطيع الأكل فعلاً ، وهو عاجز عن الأكل لأن الأكل غير موجود !

فالخيال المزعوم عند الشرقيين هو « واقع ناقص » لا يحسب له فضل الواقع ، ولا يحسب له فضل الخيال

ولو كان خيالاً حقاً لكان ابتكاراً وخلقاً وسمياً إلى عالم جديد ولم يكن واقعاً فى كل شىء إلا فى أنه غير موجود

فنحن واقعيون مفرطون فى الواقعية

وكل الفرق بيننا وبين الأوربيين أن الأوربيين واقعيون يجدون المائدة التى يأكلونها ، ولكننا نحن واقعيون نمضغ مائدة من الهواء ... ومن الخطأ جد الخطأ أن نسمى من أجل ذلك خياليين أو حالمين

أخياليون وحالمون لأننا نعيش فى عالم ألف ليلة وليلة ؟ فما عالم ألف ليلة وليلة إذن ؟ عالم قصور وموائد وكنوز وفتيات حسان ... عالم واقع ملموس تراه العيون وتذوقه الأفواه إلا أنه لا ينال ، وليس هذا هو الخيال

بل الخيال هو فكرة يبيع الإنسان فى سبيلها متاع الدنيا وكنوز الأرض وبهرج الحياة

أو هو مثل أعلى لا تعرفه شهرزاد ، ولا يتبعه صائغ البصرة ، ولا تراه فى ديوان من دواوين تلك القصص التى هى وسوق الرقيق سيان

وبودنا ألف ود لو يعظم نصيب الشرق من هذا الخيال

***

وقريب من هذا اعتقادنا أننا نحن المشارقة أهل السماحة والبر لأننا لا نصول ولا نجول ، أو لا نصنع اليوم السلاح الذى نصول به ونجول !

فإذا يوم كنا نصنعه ، أو يوم كان سلاحنا الذى نصل إليه كفيلاً بالنصر على أعدائنا وعلى العزل المستضعفين من جيراننا ؟

كنا نتغنى بالسيف كما لم تتغنّ أمة قط بسلاح ، وكنا نعيب « رذيلة » السلم كما يعيبون اليوم رذيلة الكفاح

ولعل الأموال التى بذلت فى الخير بين الغربيين لا تقل عن الأموال التى بذلت فيه بين الشرقيين . ولعل جهودهم فيه لا تقل عن جهودنا ، وثمرات أعمالهم فيه لا تقل عن ثمرات أعمالنا ، وعلامات البر فى عصرنا الحديث لا تقل عن علاماته فى سائر العصور فالإنسان إنسان حيث كان

ذلك أصدق ميزان للخلائق الإنسانية فى كل أمة وفى كل أوان

***

وأحرى بنا فيما نعتقد أن ننجو بعقولنا من أحلام الأوربيين التى أفرغوها علينا لا من أحلامنا نحن فليست لنا بحمد الله أحلام من القوة بحيث تتقاضانا النجاة منها

إن أناساً من هؤلاء الأوربيين أفزعتهم بلادهم فى القرن الثانى عشر وما بعده فخلوا بالشرق كما يحلم آكل الأفيون بما يراه فى غيبوبة الخدر والجود ، ويحلوه صفات ليست منه وليس منها فأعجب الشرقيون بما كتبوه

أو أن أولئك الكتاب الأوربيين قد تخيلوا أبطالهم من الشرقيين كما نتخيل الأبطال الذين نتحلهم فى الروايات شمائل نتمنى أن نراها فى عالم الحس فيعيينا طِلابها

أما الواقع فلا

الواقع أننا نحن الشرقيين لسنا عاطفيين ولسنا مأخوذين بالروح ولا مفتقرين إلى من يسوق لنا المواعظ بالإقبال على المادة والانصراف كما يقولون عن الخيال . ونحن أفرح من طفل بالدرهم وأعجز من طفل عن كسبه فى سوق الابتكار

أنحن أهل خيال ؟

سمع الله منكم أيها القوم !

لقد عشنا عصرنا الحديث نضرب المثل « بالجرسون » الرومى فى الحرص على المليمات ، ولو رأينا مماهده فى بلاده وفى بلادنا لعرفنا مَن صاحب الحرص ومن صاحب الأريحية وإن اختلفت العوارض والأشكال

وربما ألقينا بقطعة اللحم من الفم لنزدرد قطعة اللحم التى فى المـاء . . . !

أخيال هذا ؟

كلا ! ولا النحاس الذى يستحيل ذهباً ولا الصفقة التى يدركها الصمود فى سوق القطن فتفتح الكنز كله بعد يوم ما فى شيء من هذا خيال وإنما هو كله واقع العاجزين

* * *

وبعد فنحن فى عصر اضطراب الثقافات وارتجاج الأخلاق والزايا لا جرم يخطر لنا أن ننظر فيما يصلح وفيما لا يصلح ، وفيما تعز به النفوس وفيما تهون ؛ وأن نسأل أنفسنا ماذا نأخذ وماذا ندع مما يتمخض عنه عراك الأمم والدولات

فلنكن على يقين سواء كنا من طلاب الحرية أو طلاب القوة أن النخوة مطلب لا غنى عنـه فى الحالتين وأننا محتاجون إليه ، وأن الخيال عدة لا محيص عنها فى المعسكرين ، وأننا نحن الشرقيين عزل منها ، وأن أمة من الأمم لن تصاب فى سلمها ولا فى حربها بمصاب هو أفدح عليها وأقبح بها من مصاب الانحصار فى واقعها ، لأن الانحصار فى الواقع خلة حيوانية وليس بخلة إنسانية ، وكلما ضاق أفق النفس عز عليها أن تخرج من الواقع القريب إذا أرادت الخروج منه ، ولا مناص لها أن تريد ذلك فى بعض حالاتها

تريد ذلك لتعلو على أثرتهـا ولتعلو على ضنكها ولتعلو على حاضرها فى انتظار مستقبلها أو مستقبل بنى قومها ، وتريده لتشعر بأن الواقع الذى هى فيه دون الواقع الذى تبغيه

وهذا هو الخيال الذى يرتفع بالنفس عن واقعها

أما الخيال الذى هو ظل اللحم فى الماء فذلك هو الواقع مشوباً بالعجز والغفلة

وأما « الواقعية » التى يقولون إنهم ينقذون الشرق بها ويردون الشرق من أحلامه إليها فحذار حذار منها ... هى داء الشرقيين أجمعين ، وإنهم لأئمة الواقعيين بين العالمين .

عباس محمود العقاد

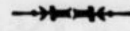
تصويب

وقع فى المقال الافتتاحى للعدد الماضى فى السطر الأول من العمود الأول من الصفحة الثانية خطأ مطبعى وهو : نتناول النظر ، والصواب نتبادل .

في ظلال الذكريات

أحمــــد الله إليك !

للدكتور زكي مبـارك



في شهر يولية سنة ١٩٢٨ تلقيت وأنا في باريس خطاباً من الأستاذ الدكتور طه حسين بك جاءت فيه عبارة : « أحمد الله إليك » ؛ فالتفت ذهني إلى هـذه العبارة ، لأنها لم تكن من العبارات المألوفة في رسائله إليّ ، وقلت لنفسي : من أين وصل هذا التعبير إلى الدكتور طه حسين وهو في هذه الأيام يعيش في جيرار يير ؟

وصح عندي بعد التأمل أن الدكتور طه قد يكون مشغولاً بمراجعات متصلة بالسيرة النبوية ، لأن عبارة « أحمد الله إليك » تكثر في الرسائل المأثورة عن عصر النبوة وعصر الخلفاء

وبعد أعوام أخرج الدكتور طه كتابه « على هامش السيرة » وتفضل فأهداني نسخة ممهورة بعبارة كريمة من عبارات الإهداء، وكنت حينئذ أحرر الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ ، فرأيت أن أتحدث عنه إلى قرائي بعناية تحملهم على اقتناء ذلك الكتاب ، تحقيقاً للتضامن بين المؤلفين

فماذا قلت ؟ قلت : إن الدكتور طه يجيد أعظم الإجادة حين يتروى في التأليف، وكتابه الجديد أثر من آثاره الجيدة في تروّيه، فهو مشغول بموضوعه منذ سنة ١٩٢٨ ، وإن لم يقل ذلك ، فقد كتب إليّ خطاباً في شهر يولية من تلك السنة يقول فيه : « أحمد الله إليك » ، وقد فهمت من هذه العبارة أنه كان مشغولاً بدراسات متصلة بالسيرة النبوية ، وكذلك عرفت أن الظن قد يبلغ درجة اليقين ، وقد يقوم مقام المعاينة عند صدق الإحساس

فكيف استقبل الدكتور طه هذا التقريظ الطريف ؟

مضى يقول : هذا اختراع جديد من اختراعات زكي مبارك في الأسمار والأحاديث ، فليس من المعقول أن أكتب إليه خطاباً أقول فيه « أحمد الله إليك » ، وهي ليست من عبارات هذا الجيل !

ولقيني بعد ذلك ، فجدد استغرابه من العبارة التي نسبتها إليه ؛ فقلت : إنها حق ؛ فقال : إنها من المستحيلات !

ومضيت أبحث عن ذلك الخطاب ، فلم أهتد إليه ، لأن الدنيا كانت أسرفت في اللجاجة واللدَد، فنقلتني من أحوال إلى أحوال، وبعثرَتْ ما كنت أحرص عليه من رسائل الأهل والأصدقاء ، وعَدَتْ على مكتبتي بالقلب والإعلال ، فلم يبق أمل في الوصول إلى نص الخطاب المنشود

ثم أخذت أتحدث في مقالاتي ومؤلفاتي عن أشياء وقعت بيني وبين الدكتور طه حسين ، فكان إذا سئل عن بعض تلك الأشياء أجاب بأنها اختراع من نوع « أحمد الله إليك » ! !

ومنـذ أيام مضيت لمقابلة سعادة الأستاذ الجليل الدكتور السنهوري بك وفي يدي نسخة مهداة إليه من كتاب « الأسمار والأحاديث » فوجدت الدكتور طه بك هنـاك ، وسألني السنهوري بك عن بعض أغراض الكتاب ، فقلت : فيه أقوال فاه بها الدكتور طه ولم ينشرها ، فنشرتها بالنيابة عنه على نحو ما كان يصنع أفلاطون مع سقراط !

واللطف الملحوظ في هذه العبارة لم يمنع الدكتور طه من أن يقول : لا بد أن تكون اختراعات من طراز « أحمد الله إليك »

وسألني السنهوري بك عن القصة فأجلتها في كلمات قصار فراراً من الدخول في جدل جديد مع الدكتور طه حسين ، فقال وهو يبتسم: يجب أن يكون الخطاب صحيحاً ما دمت تحدثت عنه في البلاغ!

فقلت : وإن وجدت أصل الخطاب ؟

فقال الدكتور طه : إن وجدته فسيكون بخطك ؟

فقلت : وإن كان بخط « توفيق » ؟

فقال : هذا مستحيل !

فقلت : وهل عندك مانع من أن تحمد الله إليّ ؟

فقال : أنا أحمد الله في كل وقت ، ولكني لا أذكر أني حمدته إليك !

ثم انصرفت وقد اطمأن مَن حضروا هذا الحوار إلى أني أتزيد على الناس حين أشاء

***

أين ذلك الخطاب ؟ وأين أنا من سنة ١٩٢٨ وقد شرّقتُ وغربت ، وانتقلت من دار إلى دار ، وبعثرت أوراق مئات المرات ؟ أما تسمح المقادير بأن أصل إلى ذلك الخطاب ليعرف الدكتور طه حسين أني لم أتزيد عليه ؟

إلى يا أوراق ، إلىّ ، إلىّ ، فقد طالَ عهدكِ بالحجاب ، واشتقتُ إليك أشد الاشتياق !

ورجعت إلى تلك الأوراق ، الأوراق التي سبقت هجرتي إلى بغداد ، رجعت إليها في حذر وخوف ، لأنها تذكرني بعهود سيطول عليها بكائي إن فكرت في أيامها الطيبات

فاذا رأيت ؟

رأيت ألوفاً من أطياف الشباب ، الشباب الذي أبليته في الدرس بلا ترفق ولا استبقاء

ورأيت قصائد منسية كنت نظمتها أيام كنت أومن بأن الدنيا أهل لأن يعيش فيها الرجل وهو مُرهَف الحس خفاق الفؤاد

ورأيت رسائل مهجورة أملتْها قلوبٌ خوافق لا أعرف مصيرها اليوم ، ولا أدري مكانها بين الحياة أو الموت

ورأيت مواعيد وفيتُ منها بما وفيت ، وأخلفتُ منها ما أخلفت ، يوم كانت الدنيا تسمح بأن أتخيّر من المواعيد ما أشاء . ومن أخصب تخيَّر . فيا زمن الخصب أين أنت ؟ وكيف ألقاك ؟

ورأيت صوراً غالية كادت تبليها الأنفاس والمدامع ، لطول ما عانت من لوعتي وأساي ، قبل أن يروضني الدهر على اصطناع الصبر الجميل :

وإن أكُ عن ليلَى سلوتُ فإنما
تسليتُ عن يأس ولم أسلُ عن صبر

ورأيت خطابات لا تستحق الحفظ ، لأن أصحابها ضيعوا العهد ، وأخلفوا الميعاد

وقد مزّقتُ تلك الخطابات شر ممزّق ، ثم رجعت فجمعت أوصالها بترفق وتلطف ، لأني تخيلتها جثثاً هوامد لأرواح قتلها الغدر والجحود ، ولا يباح التمثيل بجثث الأموات

ورأيت رسائل من هند ، فعرفت أن بلائي بها قديم العهد ، وكنت أحسب هواها ابن أمس !

ورأيت ما دلني على أن فلاناً كان ينزعج حين تخلو حياته من وجهي يوماً أو بعض يوم ، وقد صار إلى ما صار إليه ، فلا ألقاه إلا بعد استئذان

فيا فلان ، كيف حالك ، فلست أنت الذي أراه حين أستأذن في الدخول عليك ، وإنما هو خيالك ، خيال الصديق العزيز الذي كنت أعهد ، وما هو خيالك ؟ إنما هو الهيكل الذي احتل روحك اللطيف بغير حق ، فأين أنت يا صديقي لأقدم إليك تحية الوجد والشوق ؟ أين أنت ، فما تخيلتُ لجيعتي فيك إلا طار صوابي ؟ !

ورأيت عناوين محفوظة لأحباب أوفياء ، فأين أولئك الأحباب لأكتب لأحدهم خطاباً أقول فيه : « أحمد الله إليك » ؟

ومن يضمن بقاء تلك العناوين ، وخرائطُ البلاد تتغيّر من يوم إلى يوم ؟ وهل تسمح الدنيا مرة ثانية بأن نأخذ المواعيد في القطارات لعام أو عامين ثم نفي بتلك المواعيد كما كنا نصنع ؟

هي دنيا قد تولتْ فعلى الدنيا السلامْ

إلىّ يا أوراق ، إلىّ ، فقد بقيت مآرب يعزّ عليّ أن تضيع

وما هذه الأشياء ؟ ما هذه الأشياء ؟ وبأي حق حفظتَها في أضْونة الأوراق ؟

هذه كِسرات من آنية مصدوعة ، فما تاريخ تلك الآنية ؟

أسندتُ رأسي بيديّ وفكرت عساني أذكر ذلك التاريخ

ثم تذكرت بعد لأي أني كنت ذهبت إلى الهافر لأشهد الاحتفال بعيد « المنصرة » هنالك في سنة ١٩٢٧ ونفدت نقودي فرجعت إلى باريس بدون أن أشتري شيئاً من طرائف ذلك الثغر الجميل

وسألتني ربة البيت الذي كنت أقيم فيه عن رحلتي إلى الهافر فذكرتُ أني متوجع لأن النقود خانتني فلم أشتر شيئاً من طرائف تلك المدينة ، فنظرت إليّ ابنتها بطرف غضيض وهي تقول : سأعوّض عليك ما ضاع منك ، ثم أتحفتني بزهرية جميلة كانت اشترتها من هناك

وانصدعت الزهرية بعد أحايين فجمعت كِسراتها وضممتها إلى ما أحفظ من رسائل ذلك العهد ، فهي اليوم روح من أرواح تلك الذكريات

فما أخبار صاحبة الزهرية ؟ وكيف حال طرفها الغضيض ؟ أفي الحق أن باريس عانت مخاوف الحرب وإطفاء الأنوار بالليل ، ثم انتهتْ بها الخطوب إلى الاشتمال بأثواب الحِدَاد ؟

متى نلتقي وفي جيبي كسرات تلك الزهرية التي عاشت بين أوراق وهي مصونة في مدة زادت على أربعة عشر عاماً ؟

متى نلتقي لتحدثني وأحدثها عما صنع الزمان بأحلامها وأحلامي ؟ وهل أعرفها حين أراها أو تعرفني حين تراني بلا بشير بالتلاق ؟

عندي صورتها وعندها صورتي ، ولكن أين نحن مما كنا

عليه سنة ١٩٢٧ وقد تبدلنا أحوالاً بأحوال ؟ ومن ذا الذى لا يتغير ، يا ربة الطرف الغضيض ؟ !

أنا بخير وعافية ، وإن صنع الدهر ما صنع ، فكيف أنتِ ؟ ومتى تعود ليالينا بمطالع الأقمار فى باريس ؟ ومتى نعود سيرتنا الأولى ، سيرة الأطفال الذين يرضَون ويَغضبون فى اللحظة الواحدة عشر مرات ؟

حدثينى متى أردّ إليك أصداع الزهرية ومعها أصداع قلبى ، القلب الذى أخذ عنك درس الثقة بالقلوب ، فلم يعرف بعدك غير الأسف على حُسن الثقة بالقلوب ؟ !

كنت نسيت أنى أخذت الدرس عن طفلة ، وكذلك يندم من يأخذ الدروس عن الأطفال !

ولكن أين خطاب الدكتور طه حسين ؟ وأين عبارة « أحمد الله إليك » ؟

إن أسفارى فى البحث عن هذا الخطاب ستطول ، وقد لا أصل إليه أبداً ، وما قيمة التعلق بتاريخ قديم تنكَّر له عارفوه ؟ وما الفائدة فى رَجْع هذا الدكتور إلى حسابٍ تمتْ تصفيته منذ أعوام طوال ؟ وهل أقدر على بعث الأموات من الذكريات ؟ تلك معجزة صحّت لبعض الأنبياء ولن تعود ، فليقل الدكتور طه إنى افتريت عليه وليُسرف فى اتهامى كيف شاء ، فحسبى من الطمأنينة أن أعرف أنى كنت من الصادقين

ولكن ما هذه الخريطة ؟ ولأى سبب حفظتها فى أوراق ؟

هى خريطة لمقبرة بير لاشيز فى باريس

فكيف عرفتُ تلك المقبرة وكيف احتفظتُ بالخريطة فنقلتها من باريس إلى مصر الجديدة بلطف ورفق لأرجع إلى درس معالمها حين أريد ؟

كنت فى درس المسيو « تونلا » أستاذ الأدب الألمانى بالسوربون ، وكانت دروس هذا الرجل تستهوينى كل الاستهواء ، فقد كانت تنقلنى إلى آفاق من الفكر لا أصل إلى مثلها فى صحبة رجل سواه ، وفى دروس هذا الرجل عرفت سيدة ألمانية لم تكن مع زوجها على وفاق ، وكانت فيما حدثتنى من شواعر برلين ، وكانت ملامحها وشمائلها تشهد بأنها على صلة وثيقة بشياطين الشعر الجميل . ويظهر أن الزوجية قيدٌ لا يستريح إليه بعض

هذا النوع من الجنس اللطيف .

ولم يكن للشاعرة بُدٌّ من رجل تشكو إليه جهالة زوجها الغبىّ البليد ، فهدتها الفِراسة إلى أن أذنىّ أصلح الآذان للترحيب باغتياب الأغبياء والبُـلَداء ، وكذلك أخذتْ تصبّ فى أذنى شكايات هى أعذب وأخطر من صهباء الرُّضاب

كنت أعرف أن النميمة من الكبائر ، وأن السامع شريك القائل فى الإثم ، ولكنى نسيت الأدب مع الشرع ، لأن تلك الكبيرة كانت تساق إلى أذنى فى لغة فرنسية ملحونة ، وأنا أعبد اللحن فى اللغة الفرنسية إذا صدر عن الألمانيات الملاح ، وهل فى الدنيا لغة أحلى وأعذب من لغة باريس حين تمضغها ظبية من برلين ؟

واتفق فى تلك الأيام أنى كنت مشغول الفكر والقلب بدرس طوائف من الشعراء العشّاق منهم ألفريد دى ميسّيه ، وقد كُتِب فى تاريخ هواه عشراتٌ من المؤلفات الجياد ، فحدثتنى النفس بأن أحجّ إلى قبر ميسّيه مع تلك الألمانية الحسناء ، لأذوق حلاوة النجوى فى رحاب ذلك « الشهيد »

وكذلك مضينا إلى مقبرة بير لاشيز فى صباح يومٍ مَطير لا يَدفع غيومه الثقال غير ما فى قلوبنا من صفاء

وأسرع البواب فقدّم إلينا خريطة المقبرة بثلاثة فرنكات ، ولم يكن بدٌّ من الاهتداء بالخريطة ، لأن تلك المقبرة فيها ألوف من المقابر ، ولن نصل إلى قبر ميسيه بغير دليل

وماذا تقول الخريطة ؟

إنها لا تعيِّن غير أسماء العلماء والشعراء والكتاب والمجاهدين ، وهى أسماء معدودات ، فأين أسماء المجهولين والمنسيين بتلك المقبرة الفيحاء ؟

أولئك أقوامٌ دفنوا همومهم فى صدورهم فلم يتحدث عنهم شاعرٌ ولا كاتبٌ ولا خطيب

أولئك أقوام كانوا أحجاراً فى بناء الوطنية الفرنسية ، ولو كانوا من أصغر الطبقات ، فكيف نسيهم الناس فلم يُحفظ لهم فى الخريطة مكان ؟

تلك حظوظ من يعملون وهم صامتون ، وقد يكون فيهم من أدى لوطنه خدمة منسية ، وقد يكون فيهم من حفظ العهد

لإخوانه الناسين ، وقد يكون فيهم من شرب من رحيق الوجود أكثر مما شرب كبار الشعراء

وما هي إلا لحظات حتى التفتتْ رفيقتي فرأت عينيَّ مغرورقتين بالدمع ، ورأتني لا أطيق الجواب من فرط الحزن والذهول

وصوَّبت الرفيقة بصرها إلى ما صوَّبتُ إليه بصري فرأتني أحدِّق في لوحة رُقِمت فوقها هذه العبارة الصارخة :

فرنسا ! تذكرى ! ! France ! Souviens-toi !

وهي عبارة مسطورة فوق قبر رجل استشهد في الدفاع عن الألزاس أيام حرب السبعين

فقالت : وماذا يهمك من هذه العبارة ؟

فأجبت : أشتهي أن أوجِّه مثل هذه العبارة إلى وطني

وكنت في صبيحة ذلك اليوم تلقيتُ من مصر خطاباً يشهد بأن وطني لا يحفظ الجميل . فما هو ذلك الخطاب ؟

هو خطابٌ له تاريخ يضيق عنه هذا الحديث

وفي طريقنا إلى قبر ميسيه مررنا بقبر حوله أحواض من الأزهار ، فأخذتْ رفيقتي تجمع الزهر الذي تساقط على الأرض. ونظرتُ فرأيتُ أحد الحراس يراقبها من بعد ، ثم انقض كالصاعقة يسألها عما جنَتْ يداها ، فأجابت : هذه أزهار ذوابل أسقطتها العواصف . فانصرف الحارس وهو مُجلَّل بالخجل والكسوف !

ثم وصلنا بعد لأْيٍ إلى قبر ميسيه وبجانبه تمثال الشاعر وهو كهلٌ لا تنطق معارف وجهه بأنه كان حُلم الغانيات في باريس

أما شجرة الصفصاف التي أوصى الشاعر بأن تُغرس بجانب قبره فقد رأيتها في صُفرة الموت

ثم قضينا بقية اليوم في تدوين ما كُتِبَ فوق القبور لأقارنه حين تسنح الفرص بما يُكتب فوق المقابر المصرية ، وهو مقال لم أكتبه بعد ، وقد كان في بالي حين زرت مقابر الكرخ ومقابر بغداد

والكاتب قد يُجيل فكره في الموضوع الواحد عدداً من السنين

* * *

أين خطاب الدكتور طه ؟ أين ؟ أين ؟

ولكن ما الموجب للحرص على خطاب صديق لم تصحّ لي صداقته غير عشرة أعوام كانت أقصر من عشر دقائق ؟

وماذا يهمني من أن يعرف أني لم أتحدث عنه بغير الصدق ولم تبق لذكراه في قلبي غير أطلال ؟

هذا الصديق يهمني جداً ، لأنه لم يعرف بعد فراقي كيف يكون صدق الإخاء

هذا الصديق يهمني جداً ، لأنني خلقت منه عدواً عظيما ، وأنا أتخيَّر أعدائي كما أتخير أصدقائي . ولكن أين الخطاب ؟

هذه أوراق وأوراق وأوراق . هذه مئات من الرسائل التي تشهد بأني كنت على صلات مع أرواح جاذبتُها زمناً أطراف المحبة والعتاب

رباه ! متى تعود أيامي ؟ متى تعود ؟ !

ثم تشاء الأقدار أن أجد الخطاب المنشود ، وبخط « توفيق » الذي صار من أيام دكتوراً في الحقوق من الجامعة المصرية

تشاء الأقدار أن أجد الخطاب الذي يقول :

« أحمد الله إليك على ما أنت فيه من رضاً بالإقامة في باريس ، وأتمنّى لك المزيد من هذا الرضا ، كما أتمنى أن تنتفع بأيامك في فرنسا إلى أبعد حدّ ممكن ، وتقبّل من السيدة ومني تحية خالصاً وشكراً جميلاً »

وتاريخ الخطاب ٢٦ يولية سنة ١٩٢٨

وقد ابتسمتُ حين وجدت « تحية خالصاً » فهي غلطٌ من « توفيق » لا من الدكتور ، إلا أن يكون لها وجه ضعيف !

ثم ماذا ؟

ثم تشاء الأقدار أن أجد خطاباً للدكتور طه كتبه إليّ من الإسكندرية ، وفيه يقول :

« صديقي العزيز الدكتور زكي مبارك

أنا مَدينٌ لك بشُكرٍ كثير : فقد قرأت كتابيك وتسلمتُ السِّفرين اللذين تفضّلت بإرسالهما إليّ . ولست أدري كيف أشكر لك عنايتك بفلسفة ابن خلدون ، وأنا مقتنعٌ فيما بيني وبين نفسي بأنها لا تستحق هذه العناية . ومع ذلك فسأشتري « المقطم » منذ اليوم لأقرأ ما تكتُب لأنك أنت الذي سيكتبه لا لأني أنا موضوعه . وكل ما أرجوه لك أن تصدر فيما تكتبه عن الحرية الصادقة القاسية ، لا عن الإخاء والمودة اللذين يدفعان

فى كثير من الأحيان إلى شىء من الرفق لا يخلو من إثم . وأنا أعيذ أصدقائى من أن يتورطوا من أجلى فى إثم الإسراف فى البِرّ ، كما أكره أن يتورطوا فى إثم العقوق . وقد كنت أحب أن يقف كتابى عند هذا الحد ، ولكن الله يأبى إلا أن يضاعف دَيْنى لك حتى يتجاوز قدرتى على الأداء ، فأنا أريد أن تتكلف السعى إلى إدارة السياسة حيث تلقى صديقنا الرصفى وتطلب منه أصول الجزء الثانى من حديث الأربعاء فقد كلفته أن يجمعها لك ، وأشكرك إن دفعتها إلى مصطفى أفندى محمد ليبدأ فى طبعها . وأنا أرجو أن تكون بخير مطمئن النفس ، وأن تكتب إلى فى شىء من الإطالة والحرية ، فإن كتبك وأحاديثك تقع من نفسى دائماً موقعاً حسناً . وليس لدى الآن ما يشغلنى عن قراءة كتبك ، فأنا أقضى من بقى من أيام الراحة فى قراءة متفرقة لا نظام لها ولا نفع فيها ، وأرجو أن أراك بخير حين أعود إلى القاهرة فى الأسبوع الأول من الشهر المقبل ، إن شاء الله ، وتقبل تحيتى الخالصة »

طه حسين

وتاريخ هذا الخطاب (٢ أغسطس سنة ١٩٢٥)

وفيه غلطة نحوية وقعت من « توفيق » لأنه أساء النقل عن الدكتور ، كما كان يتفق له فى بعض الأحيان

فإن قيل : وكيف أمكن بعد ذلك الوداد الوثيق أن تَفسُد العلائق بينى وبين الدكتور طه حسين ، فإني أجيب بأن لله حكمة فيما وقع بينى وبين هذا الصديق

لم يكن لى بدٌّ من خصومة أتخذ منها فرصة لتوجيه الجمهور إلى الحقائق الأدبية ، وكذلك خاصمتُ عدداً من رجال الأدب كان أظهرهم الدكتور طه حسين

وأنا اليوم فى حياد ، أو غير محارب ، وهما حالتان متقاربتان ، فتى أخلق خصومات جديدة أذكى بها نار الأدب من جديد ؟

أنا حاضرٌ للخصومة ، على شرط أن أجد خصماً فى مثل مواهب الدكتور طه حسين ، فما أرضى بمنازلة الشادين فى الأدب من الذين لم يأخذوا زادهم الأدبى إلا من قراءة المواهش بالجرائد والمجلات

***

يا دكتور طه

إن كنت أنكرت أن تحمد الله إلىّ خطابك تحت يدى أقدمه إليك حين تشاء ، فإن لم تحمد الله إلىّ فأنا أحمده إليك !

وإن أذن الله بانقشاع ظلمات الحرب فستراني حيث تحب أو حيث تكره بأبحاث طوال عراض تعود على الأدب بأجزل النفع ، وتملأ مسامع الزمان

والله يحفظك للخصم الذى يتمنى لك دوام العافية والتوفيق

زكى مبارك

البلهبـــذ

للأستـاذ حسن السندوبى

للأمير شكيب أرسلان كتاب قيم وضعه حديثاً عن «شوقى» وجعله تذكاراً لصداقة أربعين سنة . وقد حفل بالطريف من المعلومات ، والجليل من الموضوعات ، كما رد فيه كثيراً من الحقائق التاريخية التى غمرتها الحوادث ، وأبعدتها عن أصولها الكوارث ، فى العصر الحديث . فكان كتاباً فريداً فى بابه ككل ما يعرض له الأمير من أبحاث وشؤون ، ولا سيما ما كان منها متعلقاً بالعالم الإسلامى والعربى فى بقاع الأرض

وقعت لى نسخة من هذا الكتاب القيم فمنيت بقراءته عنايتى بكل ما تجود به قريحة الأمير ويسيل به قلمه الكريم . ولى منذ الصبا ولع شديد بتتبع آثاره، واستيعاب أفكاره، واقتطاف أزهاره، فله عندى منزلة من الحب قوامها الاحترام

وبينا أردد نظرى فى صحائف هذا الكتاب استوقفنى قوله وهو يقارن بين سينية البحترى التى يصف بها إيوان كسرى ، وبين سينية شوقى التى يعارضه بها ، عند قول البحترى :

قد سقانى ولم يصرد أبو الغو ... ث على العسكرين شربة خلس
من مدام تقولها هى نجم ... أضوأ الليـل أو مجاجة شمس
وتراهـا إذا أجدت سروراً ... وارتياحاً للشارب المتحسى
أفرغت فى الزجاج من كل قلب ... فهى محبوبة إلى كل نفس
وتوهمت أن كسرى أبرو ... يز معاطى والبُلَـهْـبُـذَ أنسى

قال الأمير : ما اهتديت إلى الآن إلى معنى « البلهبذ » الذى هو لفظ فارسى فيما يظهر

فلما رأيت ذلك دهشت وأكبرت ذكاء الأمير وفطنته عن أن يفوتهما المعنى من هذا اللفظ . ولا سيما بعد أن وضعه البحترى فى مكان لا يحتمل لبساً ولا إبهاماً . فالبحترى يذهب به خياله إلى أن كسرى يعاطيه الخمر والبلهبذ يؤانسه بصوته الرخيم . إذن فالبلهبذ كان من ندماء كسرى ذوى التطريب والتغريد ، ومن الذين يحيون مجالس الشراب ، وينعشون محافل المنادمة بأصواتهم الحسنة ، وأنغامهم العذبة فالبلهبذ على هذا كان المغنى الخاص لكسرى ، والمطرب المغرد فى مجلس شرابه

ولقد أذكر بهذا أن الشيخ الشنقيطى اللغوى الكبير قال قصيدة فى رحلته إلى الأندلس ، وصف فيها الباخرة وصفاً سلبياً إلى أن قال فيها :

لا تحسبن عراب الخيل تشبهها ... ولا المهملج شبديزاً ولا عدسا

ثم علق على هـذا البيت بقوله : إن شبديز فرس كسرى المشهور . كان من خصائص كسري أبرويز أن الناس لم يروا أحداً فى زمانه قط أمد منه قامة ولا أتم ألواحاً ولا أوفر جسامة ولا أبرع جمالاً منه ، فكان لا يحمله إلا فرسه شبديز ، وكان فى الأفراس ككسرى فى الناس ، يضرب به المثل فى عظم الخَلق وكرم الخُلق وجمع شرائط العتق . ولما مات شبديز لم يجسر أحد على نعيه إلى كسرى ، فضمن صاحب الدواب « للفلهيد » المغنى مالاً وسأله أن يعرض لأبرويز بموت شبديز !

فقال ـ وهو يغنيه بمجلسه ـ : « شبديز لا يسعى ولا يرعى ولا ينام »

فقال أبرويز : « قد مات إذن » !

فقال الفلهيد : « من الملك سمعت »

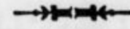
وليس من شك فى أن « البلهبـذ » فى بيت البحترى هو نفسه « الفلهيد » فى رواية الشنقيطى ، وعليه يجب تصحيح رواية الشنقيطى بقول البحترى . والظاهر أن الشنقيطى نقل روايته عن كتاب أعمل فيه الناسخ يد المسخ والتحريف والتصحيف ، ولم يفطن لها الشيخ ولم يتكلف تحقيق صحتها إذ لم تكن الفارسية من شأنه ، ولا خفاء أن النقلة عن اللغات الفارسية والسريانية والعبرية وغيرها من اللغات القديمة طالما وضعوا « الفاء » فى مكان « الباء » ، كما عكسوا ذلك . وكثيراً ما أعجموا الدال وأهملوا الذال ، وهكذا فى المتشابه من الحروف . وهذا كثير غامر فيما وصل إلينا من آثار السلف

على أننى لم أرد بذلك نقد الأمير أو الغض من عالى منزلته وراسخ علمه ، فهذا ما لم يخطر لى ببال ، وإنما أردت الإيماء إلى شىء لا أشك فى أنه مر كثيراً بالأمير أثناء مطالعاته ولكنه سها عنه عند إيراده بيت البحترى . والكمال لله وحده

حسن السندوبى

الفروق السيكلوجية
بين الأجناس البشرية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد



عرضنا فى المقال السابق نظرية تقسيم الأسرة البشرية إلى أجناس رئيسية ، والميزات الجسمية العامة لكل منها . وقلنا : إن وجود هذه الفروق الجسمية بين الأجناس لا يستلزم بالضرورة وجود فروق عقلية بينها ، فقد يتساوى اثنان فى نسبة الذكاء ، ويختلفان فى الصفات الجسمية الجنسية بأن يكون أحدهما زنجياً والآخر أوربياً (قوقازياً)

والتاريخ والواقع يثبتان أن التفاوت الجنسية لا توجد إلا بين جماعات منعزلة بحكم الطبيعة أو الاجتماع . فأمريكا خليط من كل الأجناس ، وآسيا الصغرى تواردت عليها أجناس مختلفة . ومصر غزاها الهكسوس والفرس والإغريق والرومان والعرب والترك والفرنسيون ، وامتزجت هذه الدماء قليلاً أو كثيراً بدم السكان الأصليين . وإذاً ، فقد انمحت إلى حد ما خواص الأجناس البشرية الرئيسية، ولم يعد لعلماء النفس مجال للبحث العلمى التجريبى على أساس الجنسية ، اللهم إلا بين بعض الجماعات التى لا تزال تحتفظ بنقاوتها نسبياً كزنوج أمريكا والهنود الحمر

تعرض الأستاذ وُدْوِرْث بإيجاز لموضوع الفروق الذكائية بين الأجناس فى كتابه : « دراسة الحياة العقلية » . وكان فى كل ما كتبه عن هذا الموضوع حريصاً حرص العلماء المدققين . وهو يحدثنا أن تجارب « أجريت » فى ولاية « أكلاهوما » بأمريكا الشمالية على تلاميذ المدارس الأولية الريفية ببعض المدن الصغيرة . وكان هؤلاء التلاميذ يمثلون ثلاثة أنواع جنسية وهى : هنود حمر خلَّص ، وأمريكيون خلص ، وخليط من الدمين الهندى الأحمر والأمريكى . وقد اختُبِرَ ذكاء ثلاثمائة تلميذ من النوع الأول ، وأربعمائة من النوع الثانى ، وثلاثمائة من النوع الثالث . واستعملت فى هذه التجارب « المقاييس الجمعية » group tests فكانت النتيجة ما يأتى :

الهنود الحمر الخلَّص	: متوسط نسبة الذكاء	٧٣
الأمريكان الخلص	: « « «	١٠٠
الخليط منهما	: « « «	٩١

والتأمل فى هذه النتيجة يرى أن نسبة ذكاء الهنود الحمر الخلص أقل بكثير من نسبة ذكاء الأمريكان الخلص ، الذين يمثلون مزيجاً من الأجناس الأوربية أو الجنس القوقازى . كما يرى أيضاً أن نسبة ذكاء الخليط من الجنسين هى نسبة وسط بين النسبتين السابقتين . فإذا علمنا أن البيئة المدرسية لهؤلاء التلاميذ واحدة جاز أن نستنبط أن هذا الفرق فى نسبتى الذكاء بين الهنود الحمر وبين الأمريكان الخلَّص إنما يعزى للفرق الجنسى ، والأستاذ يقول فى حيطة : « على أنه يجب أن نذكر فى نفس الوقت أن هذه المقاييس إنما تناسب ثقافة التلاميذ الأمريكان الخلص ، ولذلك فالهنود الحمر يجدونها غريبة عليهم . هذا والتلاميذ الخليط أكثر تأثراً بالثقافة الأمريكية من الهنود الحمر » وليس معنى هذه النتيجة أن كل فرد من أفراد الهنود الحمر أقل ذكاء من كل أمريكى ، فالنتيجة تشير إلى المتوسط فقط ، وعلى هذا قد يوجد من بين الهنود الحمر الخلص من هو أكثر ذكاء من الأمريكان الخلص

وثمة تجارب أجريت على بعض الأطفال الزنوج فى جنوب الولايات المتحدة وأسفرت عن أن متوسط نسبة ذكائهم هو ٧٥. وفى مدينة ناشفيل فى شمال الولايات المتحدة أجريت تجارب أخرى على بعض الأطفال الزنوج ، وكان متوسط نسبة ذكائهم يعادل ٨٥ ولهذا الفرق بين نسبة ذكاء الزنوج فى الجنوب والزنوج فى الشمال مغزاه . فإن زنوج الشمال أصلهم من الزنوج سكان جنوب الولايات المتحدة وإنما هاجروا إلى الشمال لأنهم أكثر طموحاً وأقوى استعداداً على التكيف باختلاف البيئات من الزنوج الذين آثروا الإقامة فى الجنوب. وهذا يدل على أنهم أذكى من الزنوج المقيمين، ويفسر ما أظهرته التجارب من زيادة نسبة ذكائهم . ونعود فنسمع الأستاذ وودورث يعلق على نتيجة هذه التجارب بقوله : « إن ذلك الضعف الواضح فى نسبة ذكاء الأطفال الزنوج يمكن أن يعزى إلى الجنس ، أو إلى بيئتهم الثقافية الأولى غير النشطة ، أو إلى خطأ فى الاختبارات نفسها . ولم نصل حتى الآن إلى رأى

جازم يعزو ضعف الذكاء إلى واحد بعينه من هذه العوامل الثلاثة »

تطورت كلمة « الجنسية » حتى أصبحت تستعمل فى الوقت الحاضر — كما فى جواز السفر مثلاً — بمعنى النسبة إلى الوطن السياسى الذى ينتمى إليه الفرد ، أو ما يقابل الكلمة الفرنسية Nationalité . وهذه الكلمة مأخوذة من كلمة Nation بمعنى أمة أو جماعة سياسية خاضعة لنظام حكم واحد مقرر ، على حين أن كلمة « الجنسية » العربية مأخوذة من « الجنس » التى يقابلها فى الفرنسية La race . ومن هذه المقارنة يظهر التساهل فى استعمال كلمة « الجنسية » بالمعنى السياسى فى اللغة العربية ، ودقة استعمال كلمة Nationalité أو ما يشبهها فى اللغات الأوربية . ولعل سبب هذا التساهل فى استعمال كلمة « الجنسية » هو أن الأصل أن الأمة أو الوحدة السياسية إنما كانت تتكون من أفراد ينتمون إلى جنس واحد ، فأطلق العام وهو الجنس على الخاص وهو الأمة مجازاً . وإلا فقد تتكون الأمة من عدة أجناس مختلفة كما ذكرنا

ذهب علماء النفس خطوة أبعد من بحث الفروق السيكلوجية بين الأجناس البشرية الرئيسية ، فقد رأوا أن الأمة الواحدة — ولو أنهـا تتكون من أجناس مختلفة — قد تحمل طابعاً خاصاً يميزها عن غيرها جسمياً وعقلياً وخلقياً . ذلك لأن وحدة الأمة السياسية إذا طالت عليها المدة ، واستقر السكان ، وقل الطارئون عليهم من الأمم الأخرى ، وربطتهم لغة واحدة ، وثقافة واحدة ، وخضعوا لظروف مشتركة ، فإن هؤلاء السكان مختلفى الأجناس — كما فى مصر وأسبانيا مثلاً — يمتزج بعضهم ببعض بالتزاوج فتختلط الدماء ، ويتكون من أمشاجها المتباينة نوع جديد a new pattern ودم جديد ، نتيجة لهذا الاختلاط المستمر الكثير الذى قد يتغلب فيه جنس خاص ويسود . وبهذا تمتاز الأمة — بمرور الزمن وتعاقب أجيالها — بخواص جسمية وعقلية وخلقية قد تختلف عن خواص غيرها من الأمم وتختلف أيضاً عن خواصها هى قبل هـذا الامتزاج والانسجام الجنسى « وقد حدث هذا الاختلاط الجنسي والامتزاج بالضبط فى كل الوحدات السياسية والأمم التى على ظهر البسيطة الآن . فكلها من غير استثناء نتيجة امتزاج عناصر جنسية مختلفة . وكل واحدة منها تكاد تصل إلى المرحلة التى تتميز فيها بخصائص أمّيّة (نسبة إلى الأمة) تجعل منها طرازاً جنسياً جديداً ، كأسبانيا ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وألمـانيا ، وانجلترا ، وأمريكا . وترتيب الأمم هكذا إنما هو وفق لتطورها التاريخى وتكوينها الجنسى . ولو أن هذه الأمم استمرت على ما هى عليه الآن بضعة آلاف من السنين من غير امتزاج بأى عنصر آخر من الخارج لتكوّن من كل منها جنس جديد[1] »

ولا نريد أن نتعرض هنا للفروق الجسمية بين الأمم لأنها موضوع يطول شرحه من غير جدوى ، ولأنها تستدعى دراسة كل أمة أو وحدة سياسية على انفراد ، ومعرفة الخواص الجسمية والعضوية التى تمتاز بها . وإنما يهمنا أن نذكر بعض التجارب التى أجريت لمعرفة الفروق الذكائية بين بعض الأمم . وهنا يجدر بى أن أشير مؤكداً أن نتائج هذه التجارب ليست نهائية أو قاطعة لأنها ما زالت فى مرحلة النظريات ، فهناك صعوبات كثيرة تحول دون الوصول إلى النتائج النهائية ، منها تعذر وجود « عينات » ممثلة تمثيلاً صحيحاً لأفراد الأمم التى ندرس ذكاءها ، ومنها صعوبة وجود الاختبارات التى تلائم فى لغتها ووضعها عقليات الأمم المختلفة . وفيما يلى نتائج لتجارب أجريت فى أمريكا فى مقاطعة ماساشوستز على أطفال ولدوا بها ، وآباؤهم من أمم أوربية مختلفة ، وقد هاجروا إلى أمريكا طلباً للرزق . وهى تدل على متوسط نسبة الذكاء لأطفال كل أمة

أطفال آباؤهم من السويد	متوسط نسبة الذكاء	١٠٢
» » انجليز	» » »	١٠١
» » يهود	» » »	١٠٠
» » ألـمان	» » »	٩٩
» » أمريكان	» » »	٩٨
» » لتوانيون	» » »	٩٧
» » إرلنديون	» » »	٩٦
» » سلاف	» » »	٩٠
» » إغريق	» » »	٨٨
» » إيطاليون	» » »	٨٦
» » من كندا الفرنسية	» » »	٨٥
» » برتغاليون	» » »	٨٣

(١) صفحة ١٤٨ من كتاب Individual Differences, by Freeman

ويقول الأستاذ ودورث الذي اقتبسنا من كتابه هذه الأرقام « وهذه النتائج يجب ألا تؤخذ على أنها تدل قطعاً على الفروق الموجودة بين ذكاء الأمم التي يمثلها المختبرون . لأن أسباب الهجرة لها أثر في اختيار نوع من الناس دون الآخر . فالإنجليز والسويديون جاءوا في الغالب من طبقة مثقفة يبحثون عن أعمال تحتاج لثقافة أعلى من ثقافة تلك الأعمال التي ينشدها الإيطاليون أو البرتغال »

وقد حاول علماء النفس التغلب على صعوبة اللغة في اختبارات الذكاء فاستخدموا « اختبار [1] الرسم المقنن » لمعرفة نسبة الذكاء عند أفراد يمثلون أمماً مختلفة . وهذه هي النتيجة :

أطفال آباؤهم يهود	متوسط نسبة الذكاء	١٠٦
أطفال آباؤهم من اسكاندنافيا	متوسط نسبة الذكاء	١٠٥
« « صينيون	« « «	١٠٣
« « أمريكان	« « «	١٠٠
« « يابانيون	« « «	١٠٠
« « ألمان	« « «	٩٩
« « أرمن	« « «	٩٢
« « إيطاليون	« « «	٨٨
« « مكسيكيون	« « «	٨٧
« « هنود حمر	« « «	٨٦
« « زنوج	« « «	٨٣

هذه نبذة عامة عن الفروق الذكائية بين بعض الأمم ، وهي نتيجة تجارب ما زالت موضع بحث ونظر ، وسنعود لتحقيقها في مقالات قادمة إن شاء الله .

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

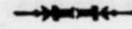
(١) مقياس الذكاء بواسطة الرسم هو نوع من الاختبارات غير اللفظية يستعمل مع الأطفال من سن الرابعة إلى العاشرة ، وفيه يطلب إلى الطفل أن يرسم إنساناً ، وتعطى الدرجة على عدد الأعضاء المرسومة ، ونسبها وتناسقها .





أخوك أم الذئب ...؟

للأستاذ محمود محمد شاكر



أجل ! ! هذا هو العالم المغرور الذى ظن خير الظن بمدنيته ، وأثنى عليها ثناء الأم على عذرائها ، ونفض عليها من محاسين الخيال فنوناً كذُنابى الطاووس ، وأدار عليها مجامر الندّ والمندل والعود من عطر الشهوات واللذات ، وأحاطها بالعبقرية العلمية التى توجد فى كل شىء شيئاً جديداً يدخل على العقل إبليساً صغيراً ليُضل عن سبيل الحق ، ويضع فى الثمرة حلاوة تلذ ونشوة تسكر ، ثم زاد فأعطى المادة المتبدلة الفانية تدليساً يجعلها فى فتنة الرأى ثابتة خالدة ثم غلا فجعل النفس تطلق أهواءها جميعاً لتحرز من لذات الحياة كفايتها ، إن كان لأهواء النفس كفاية

هذا العالم المغرور يقف اليوم فى فئتين التقتا للقتال فى سبيل الأهواء الغالبة والشهوات المستحكمة . وفى هذا القتال تتكشف لمن أبصر حقيقة هذه المدنية ، وحقيقة أغراضها التى عملت لها وعمدت إليها ، وحقيقة الروح التى يتعامل بها الاجتماع الإنسانى الذى تعيش به هذه المدنية الأوربية التى تنكر من الحياة وتعرف وتدعى لنفسها إسقاط ما أنكرت وإقرار ما عرفت

وفى كل يوم تتجدد أحداث الحرب ، فتتجدد معها أساليب الغرائز الوحشية المصبوغة رحمتها بأصباغ الافتراس ، وفى كل يوم يخلع الوحش عن مخالبه ذلك المخمل الناعم الذى دسها فيه ، ويهجم بطبائعه على فريسته ليعلن بذلك أنه هو الوحش : قانونه المنفعة ، وشرفه المنفعة ، وصداقته المنفعة ، وأدبه المنفعة ، ودينه المنفعة . فهو لا ينفك من منفعته فى مثل السعار إذا أخذ الوحش فاستكلب فهاج فطاش ، لا يهدأ حتى يطفىء هذا السعارَ ما يشفيه أو يرده أو يقدعه ، وهو لا يرعى فى ذلك حرمة ، ولا يكفه شرف :

وكان كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقبيح بنا — نحن الشرقيين — أن نغمض أعيننا عن النظر إلى هذه المدنية التى أخذت تنهار تحت قصف المدافع وهد القنابل وزلازل الحرب ، وأن ننام عن مستقبل أيامنا ، وألا ننفض هذه المدنية نفضاً لنأخذ منها وندع ، ولنعرف سوء ما تركت أنيابها فى جسم أوطاننا ، ونتبين حقيقة النفوس المسمومة التى أصبحت فى الشرق فاشية تعمل على إدماجه فى حضارة غريبة عنه ، لا يطيقها إلا على نكد ولا يحتملها إلا عنتاً وإرهاقاً وغروراً

إن رؤوساً من الناس فى هـذا الشرق قد طالت بهم أيامهم حين أقبلت عليهم الدنيا ، فأخذوا على الرأى العام منافذه كلها ، وصرفوه ما شاءوا بما شاءوا كما شاءوا ، لم يغلب عليهم إلا ذلك الداء الوبيل الذى قبسوه من مدنية الغرب ، داء المنفعة . طلبوا المنافع لأنفسهم ، فاستبدوا فى غير ورع ، وتجبروا فى غير تقوى ، وعملوا على أن يكون سلطانهم فى الأرض كسلطان الله فى السماء : يمحو ما يشاء ويثبت ، علواً فى الأرض واستكباراً ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟

إن الشرق لا يؤتى ولا يغلب إلا من قبل أهله . هذه هى القاعدة الأولى فى السياسة الاستعمارية الماضية ، فعملت هذه السياسة على أن تنشر فى الشرق عقولاً قد انسلخت من شرقيتها وانقلبت خلقاً آخر ، وقلوباً انبتت من علائقها ولصقت بعلائق أخر ، وبهذه العقول المرتدة والقلوب المرتكسة استطاع الاستعمار أن يعد للشرق طريقاً محفوفاً بالكذب والضلال والفسوق ، يختدعه عن الصراط السوى الذى يفضى به إلى ينبوع القوة الذى يتطهر به من شرور الماضى وأباطيل الحاضر ، فيمتلك من سلطان روحه ما يستطيع به أن يهدم الأسداد التى ضربت عليه ، ويجتاز الخنادق التى خسفت حوله

لقد لقينا بهؤلاء العنت حين استحكم لهم أمر الناس فتسلطوا عليهم بالرأى وأسبابه ، فخلوا بسوء آرائهم على الشرق ليلاً من الاختلاف لا يبصر فيه ذو عينين إلا سواداً يختنق إذ يستبين . وكانوا له قادة فاعتسفوا به كل مضلة مهلكة تسل من قلب المؤمن إيمانه ، وتزيد ذا الريبة موجاً على موجه . فلما كتب الله أن يدفع مكر هؤلاء بقوم جردوا أنفسهم للحق ، رأوا أن يلبسوا للناس لباساً من النفاق يترقون به إلى التلبيس عليهم بما حذقوا من المداورة ، وما دربوا عليه من فتن الرأى ، وما أحسنوا من حيلة المحتال بالقول الذى يفضى من لينه إلى قرارة القلوب ، حتى إذا استوى فيها لفها لف الإعصار ، واحتوشها من أرجائها ، ثم انتفض فيها انتفاض الضرمة على هبة الريح فى هشيم يابس .

وقد أقبلت اليوم على الشرق أيامٌ تتظاهر فيها الأقدار على أن تسلم إليه قيادة مدنيته الجديدة بعد طول الابتلاء وجفاء الحرمان ، وجاءت مع هـذه الأيام فتنٌ يُخشى أن تضرب أوله بآخره حتى لا يقومُ شيءٌ هو قائمٌ ، ولا يبقى من أعلام الماضى إلا آثار التاريخ التى تقف شواهد على ما مضى وآيات لما يستقبل . فإذا كان ذلك ، فإن الحكمة والحزم والجد أن نميز الخبيث من الطيب ، وأن نختار لأنفسنا قبل البدء ، وأن يلى منا أمر القيادة من هو حق صاحبها والقائم عليها والمحسن لتصريفها وتدبيرها وسياستها ، وإلا انفلتت من أيدينا حبال الجمهور المتحفز ، فانتشر على وجوهه وتفرق ، وكأن ما كان لم يكن ، وكأن الفرصة قد عرضت لنا لتدع فى قلوبنا بعد ذلك حسرة لا تزال تلذع بالذكرى .

إن أكثر هؤلاء الذين وصفنا قد وجدناهم يمدون أعناقهم يتطاولون مرة أخرى للوقوف فى مقدمة الطلائع الشرقية ، ورأوا — من أجل ذلك — أن يماسحوا الرأى العام على بعض أهوائه وعلى طائفة من أغراضه ، ليستمر لهم ذلك المكان الذى حازوه من قبل ، وليكونوا فى الشرق الجديد ما كانوا فى أيامه السالفة . فهم يبدون له ما لا يعتقدون عليه نياتهم ، ويحدثونه حديث من طب لمن حب ، وهم كانوا قبلُ أعانوا عليه ، إذ أفسدوا صالح أعماله بالآثم من أعمالهم وآرائهم ، وهم كانوا عليه حرباً ، إذ نزعوا من يديه سلاح القتال فى سبيل حريته واستقلاله وانفراده بخصائصه التى ورثها وخص بها ، وعمل الجيل بعد الجيل فى تنقيتها له تنقية الدرَّة من بين الحَب

ليس اليوم أوان يترك الشرق عنانه فى الأيدى التى لعبت به وغررت ، ولا هو يوم التهاون فى القليل لأنه قليل ، ولا هو يوم إحسان الظن بمن يحتال للظفر بحسن الظن ، ولكنه اليوم الذى يتفلت فيه من كل ضلالة وعبث ، ومن كل مرتفق للنفع متشرف للمصلحة ، ومن كل سبب من أسباب التدمير . فإذا فعل ذلك ، وأعطى كل ذى حق حقه ، وامتاز المجرمون ، وخلص له المخلصون واستمان بحرية اختياره على إقرار الناس فى مواضعهم وعلى مراتبهم ، فيومئذ يجد القدرة على انتزاع حريته من أنياب الناهسين ، ويصيب مهاد الطريق إلى الغاية التى ينظر إليها بآماله وأشواقه نظرة العامل لا نظرة الحالم المتخيل

وأخوف ما نخافه هو ما أوتى هؤلاء من الرفق واللين وحسن المجاملة ، وأنهم قد أحكموا معرفة الأسباب التى بها يأخذون بأيدى الناس وعقولهم ، وأنهم قد أوتوا نصيباً من الصيت يتغلب بهم على ما يعترضهم أو يردهم ، وأن الناس أسرع اتباعاً لما ألفوا وحنيناً إليه ، وأن البلبلة التى تأتى مع الحروب وتمتد فى أذيالها ، تدع الناس حيرى غرقى يتلمسون فى كل شىء شيئاً يتعلقون به ، فإذا لم نأخذ من الآن فى جد من الأمر ، ولم نصرف جهودنا إلى اختيار الأصلح فى كل شىء ، فما بد من أن تنجلى العمايات بعد عن الدنيا لتطبق علينا عماية مصفقة كالظلام المصمت . ويومئذ نرتد على أعقابنا حسرى عناة كأسوأ ما مر بنا من زمن ، وتضيع الفرصة السانحة ونحن غرقى فى بحر طام قد نزح عنا شاطئه بعد الدنو

فعلينا الآن أن نثق بأنفسنا غاية الثقة ، لأن الثقة بالنفس هى جيش الحرية ، وأن نشك كل الشك فى أصحاب الرأى ومن يتعرضون للامارة عليه ، لأن الشك فى هؤلاء هو حارس الحرية ، وأن نشتد فى مطاردة الضلال والعبث ، لأن هذه الشدة هى سلاح الحق وسلاح الحرية . فإذا غلب علينا التهاون فى شىء من ذلك ، فإنها ثغرة تتدفق منها على الشرق مرة أخرى ضلالات وفتن كقطع الليل المظلم ، ويعجز أهله عن حمل أعباء الحضارة الجديدة التى اختارهم الله مرة أخرى للعمل عليها والقيام بها . فما بد من أن ينفض الشرق بعينيه ورأيه كل بارقة وكل غمام ، مخافة أن تنزل الصواعق عليه من حيث ظن الغيث

ليس فى الشرق قوًى تضارع تلك القوى الهائلة التى صبت من الحديد والنار وأسرار الكون ، وليس فيه ذلك الغنى غنى الاستبداد والجبروت والسياسة ، وليس فيه ذلك الجمهور المظيم من العقل العامل لإيجاد القوة فى كل شىء لاستخلاص المنافع من كل شىء ، ولكن هذا الشرق لا يزال يحتفظ بأعظم قوة تخضع كل هذه الأشياء لسلطانها الذى ينال النصر ما تعاون ولم يتفرق . وتلك هى قوة الروح ، وقوة الخلق ، وقوة الاستمرار إلى النهاية مصابرة لا ذلاً ، وإيماناً لا عناداً ، وتسليما لا غفلة . فعلينا أن نعرف فضائلنا التى توارثناها ، وأن ننفى عنها ما خالطها من خبث الجهالات القديمة التى تراكمت عليه فقعدت به أزماناً

طوالاً ، حتى استرخى نائماً والناس يقظى

إن الشرق إذا خلص من شر النفايات الطافية على سطحه ، وإذا وثق بسلطان الروح السامية التي لا تذل ، وإذا نهج النهج لا يهيب ، فما بدٌّ من أن يحوز من القوة ما يضارع قوة المدنية الأوربية المتهالكة ، وأن يحمل فى هذه القوة من النظام الروحى النبيل ما يرد كل غائلة ويمنعها كل عدوان ، ويرفع الإنسانية درجات فى طريقها إلى السماء . وهذه أيامٌ فيها عِبَرٌ كثيرةٌ لمن يعتبر ، فإن حقائق المدنية الأوربية تستعلن كلها فى هذه الرجة العظيمة التي ترجف بالعالم ساعة بعد ساعة

ولكن علينا أن نثق ، وعلينا أن نشك ، فإذا رفعت الثقة أسباب الشك ، فإن الخير كله آت على طول الجهاد وترك التهاون وعلى استجادة العمل ومرابطة النفس عليه ، وعلى الأناة دون العجلة ، فإن الفرس الصغير يكبر على التعهد حتى يؤتى الثمرة ، ومن استعان بأسباب الحق أعين ، ولا يهلك الناس إلا من هيبة أو تهور

محمود محمد شاكر

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

سكون الميادين البرية

سألنى بعض القراء من أيام عن مدى التغير الذى حل بالموقف العسكرى منذ تسليم فرنسا « وهل يضعف تسليمها انجلترا أم يقويها ؟ » وردنا على هذا السؤال بنعم ولا ؛ فهذا التسليم يضعفها ويقويها ، كما ترتبت عليه نتائج لها خطورتها . فبعد ما كانت نهاية الحرب رهن معركة برية وانهزام برى ، يعقبه انحلال ألمانيا السريع ، لم يبق تسليم فرنسا من مجال يؤدى إلى هذا الغرض ، وتبعاً لذلك يرى بعض العسكريين أن الحرب قد تطول فيمتد زمنها إلى عدة سنوات

أما الأسباب التي يستندون إليها لإطالة الحرب فهى :

أولاً : سكون القوات البرية ، فلم يعد من صلة مباشرة بين قوات انجلترا وقوات المحور فى أوربا ، فلا توجد منطقة تعتبر معاركها حاسمة وتقرر النصر والهزيمة ، فإن السلاح الجوى وحده ليس كفيلاً باحتلال البلاد ، ويقتصر عمله على إضعاف الروح المعنوية فى الشعوب ، وعلى تدمير المرافق الحيوية التي تتغذى الجيوش .

ثانياً : اتساع موارد دولتى المحور ، مما يتيح لهما إطالة زمن الحرب ، فهما تسيطران الآن على جميع موارد أوربا من صناعية وغذائية ، ونضوب هذه الموارد ليس من الأمور اليسيرة ؛ فموارد بلدان أوربا عظيمة ، وبهذه البلدان أكبر مصانع العالم ، وضعفها الوحيد ، هو حاجتها إلى بعض المواد الأولية التي تستورد من أمريكا أو من المستعمرات كالقطن والمطاط والبترول وغيرها من المعادن التي تدخل فى صناعة الطائرات والذخائر .

موطن قوة ألمانيا

وإذا كان اختفاء الميادين البرية من الحرب الحالية يطيل الحرب ، فإنه قد قوى مركز انجلترا قوة لا يستهان بها وجعلها حصناً منيعاً ، فإن استعداد ألمانيا البرى والجوى استعداد لم يسبق للعالم أن رأى شبيهاً له ، فهى تمتاز بمعدات برية سلم قادة الحلفاء أنفسهم بأنها معدات ساحقة . ومن حسن حظ انجلترا أنها جزيرة لا تستطيع ألمانيا أن تنقل إليها هذه المعدات فبطل عملها . فالموقف الحالى إذن وفر على انجلترا الاصطدام بنقط ألمانيا القوية ، وأتاح لها تدميرها شيئاً فشيئاً ، كما أتاح لها الوفرة من الزمن إذ تستطيع أن تعد ما يضارعها ويفوقها

حكم تسليم فرنسا على قوات ألمانيا البرية بالنوم ، ولم يبق لها إلا القوة الجوية ، وهى تفوق القوة الجوية البريطانية من الناحية العددية ، ولكنها فى الوقت نفسه تعتبر أضعف من القوة الجوية البريطانية إذا نظرنا إلى مجال كل من القوتين ومدى تأثيرها . ونستخلص هذه النتيجة من ثلاثة عوامل :

١ — اتساع رقعة الأراضى التي يحتلها الألمان

٢ — صغر رقعة الجزر البريطانية

٣ — استعداد انجلترا للدفاع الجوى

فأما اتساع رقعة الأراضى التي يحتلها الألمان ، فنستطيع إدراكه من نظرة واحدة نلقيها على خريطة أوربا فنرى المساحة العظيمة التي يضطر الألمان للدفاع عنها ، وصغر الرقعة التي يدافع عنها الإنجليز . وفيما يلى بيان تقريبى لمساحات هذه الأراضى التي يحتم موقف ألمانيا العسكرى الدفاع عنها

الدولة	مساحتها بالميل المربع
ألمانيا	١٨٥ر٩٩٨
النمسا	٣٢ر٠٠٠
دانزج	٧٤٥
تشيكوسلوفاكيا	٤٠ر٨٦٥
بولندا (الألمانية)	٧٠ر٠٠٠ (؟)
بلجيكا	١١ر٧٥٢
هولندا	١٢ر٥٨٢
دنمرك	١٦ر٥٧٠
النرويج	١٢٤ر٩٦٤
فرنسا (المحتلة)	١٤١ر٩٧٢ (؟)
إيطاليا	١١٩ر٧٤٤
ألبانيا	١٠ر٦٠٠
المجموع	٧٦٧ر٧٨٤

ويقابل هذا مساحة الجزر البريطانية وهي ١١٥ر٣٣٨ ميلاً مربعاً . أي أن مساحة الأراضي التي تدافع عنها دولتا المحور ستة أمثال مساحة الجزر البريطانية . فلتساوي قوات الدولتين الجوية يجب أن تكون قوات ألمانيا ستة أمثال قوات انجلترا وهذا يخالف الواقع

سلاح الطيران

فقد كان مجموع الطائرات الألمانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ ٢٢ ألف طائرة يضاف إليها سلاح الطيران الإيطالي وعدد طائراته خمسة آلاف طائرة. وكان عدد الطائرات البريطانية في ذلك الوقت ١٧ ألف طائرة يضاف إليها ما اجتلبته من الولايات المتحدة وكان مجموعه إلى الشهر الماضي ٢٥٠٠ طائرة ، وقد تدرج هذا المجموع في النمو تدرجاً مطرداً بفضل نشاط المصانع الإنجليزية حتى أصبح التفوق العددي لدولتي المحور تفوقاً غير مذكور

ولا ننس في هذا المجال جرأة الطيارين البريطانيين وحسن مرانهم ، مما يتيح للسلاح البريطاني التفوق الفني على السلاحين الألماني والإيطالي ، مما ألقى الرعب في قلوب الطيارين النازيين ودفع بإذاعة برلين إلى الشكوى من قسوة الإغارات البريطانية على ألمانيا

أما العامل الثالث وهو استعداد الجزر البريطانية للدفاع الجوي ، فقد ثبت أن الطائرات الألمانية تجد صعوبة كبيرة في مهاجمة انجلترا وخصوصاً المرافق العسكرية فيها ؛ فلندن مثلاً محاطة بسور من المناطيد الجوية التي ترتفع إلى طبقات الجو العليا وتهبط منها أسلاك متينة مشدودة إلى الأرض ، فإذا حاولت الطائرات اختراق هذا السور فإنها تصطدم بالأسلاك وتتحطم ، فإذا أرادت التحليق فوق المناطيد ، استحال عليها ذلك نظراً لتخلخل الهواء في تلك المناطق وقلة الأكسيجين اللازم للجسم ، فيموت الطيار قبل أن يصل إلى ارتفاعها

وأفاد تسليم فرنسا من جهة أخرى ، فإن معدات الدفاع ضد الغارات الجوية من طائرات مطاردة ومدافع مضادة للطائرات بعد ما كانت موزعة في فرنسا للدفاع عن القوات والبلاد الفرنسية عادت إلى الجزر البريطانية وتركزت في رقعتها الصغيرة لاستقبال الطائرات المعادية ، فازداد عددها وأصبح مجموع النيران التي تقابل بها الطائرات المغيرة أكثر مما كان قبلاً ، ففشلت الطائرات الألمانية في الوصول إلى أهدافها

ولسنا في حاجة إلى تكرار القول بأن قوات بريطانيا البرية أصبحت الآن مركزة في الجزر البريطانية لاستقبال ما قد يرسله هتلر من قواته إليها مما يضمن لها التفوق على ما قد تنقله الطائرات ، أو ما قد يفلت من حصار الأسطول البحري ، إذا تيسر لبعض السفن الإفلات

وكان من نتيجة تسليم فرنسا زيادة أعباء الأسطول البريطاني واتساع مساحة المناطق المحصورة بحرياً ، فبعد ما كانت مناطق الحصر قاصرة على بحر الشمال مرتكزة إلى القواعد الفرنسية ، شملت جميع سواحل أوربا مرتكزة على جبل طارق ، وهي مهمة قاسية خبر الأسطول البريطاني تنفيذها في تاريخ انجلترا وحروبها الطويلة

لأسباب عائلية

وكنا نأمل أن تنضم قوات المستعمرات الفرنسية إلى الجانب البريطاني ، ولكن يظهر أن حال الفرنسيين تغيرت ، وأن دعاة الهزيمة في فرنسا غلبوا على ما في الفؤاد الفرنسيين من وطنية وحب للحرية ؛ فأعلنت قوات الجزائر وتونس وسوريا تسليمها لأسباب مضحكة ، فقال الجنرال ميتلهوزر إن له عائلة في ستراسبورج فهو يخشى إذا استمر على القتال أن تضطهد ، فهو على رأى أحد القراء الكرام : يقف القتال « لأسباب عائلية »

فهذا السبب يدعو إلى الضحك ، وشر البلية ما يضحك ، فهل هؤلاء قادة ؟ ألم يكن في استطاعته أن يستقيل بدل أن يقول مثل هذا اللغو ؟

فى المستعمرات

وخسرت انجلترا فى المستعمرات الفرنسية القوات القاتلة فى تونس والجزائر ، فإن وجودها كان عاملاً له أثره فى القتال فى ليبيا ، لأنها كانت تضطر القوات الإيطالية هناك إلى القتال فى جبهتين ، فتقاتل من الغرب القوات الفرنسية ، ومن الشرق القوات البريطانية ؛ ولكنها الآن تستطيع أن توجه جهودها إلى الميدان الشرقى وحده . وأدى تسليم قوات سوريا ولبنان إلى فائدة تلك البلاد ، فانفقت تركيا والعراق على استقلالها ، وهى بشرى حسنة للأقطار الشرقية . أما فى الصومال الفرنسى فقد رفضت القوات الفرنسية وقف القتال ، ولهذا القرار أثره ، فإن جيبوتى هى المدخل البحرى المتصل بالحبشة

وتنبأنا منذ توقيع الهدنة أن الأسطول البحرى الفرنسى سيخير بين شيئين ، فإما أن ينضم إلى الأسطول البريطانى فى كفاحه وإما أن يغرقه ، وقد تحقق ما تنبأنا بوقوعه ، فعند ما عارض قادة الأسطول الفرنسى الطلبات البريطانية وجهت الوحدات الإنجليزية نيرانها إليه فأغرقت بعض قطعه ودمرت قطعاً أخرى حتى أصبح استعمالها متعذراً ، إذا قدر لها أن تقع فى أيدى الأعداء

موقف حازم

وأعجب العالم بحزم الحكومة البريطانية فى هذا الموقف ، إذ ضمنت بتصرفها حرمان دولتى المحور من أسطول بحرى كبير ، يفوق فى استعداده وعدد قطعه الأسطول الإيطالى ؛ فلو وقع هذا الأسطول فى يد هتلر وموسولينى لسببا لانجلترا كثيراً من المتاعب سواء فى البحر الأبيض أو فى المحيطات ، إذ تستغل قطعه فى أعمال القرصنة ، ولا عبرة بما وعدا به من عدم استعماله ، فإنهما يدفعان بفرنسا الآن إلى إعلان الحرب على انجلترا مستغلين ضعف وزارة بتان

ولا ندرى بالضبط مدى التهديد الذى يوجهه النازيون إلى قادة الفرنسيين ، ولا مدى الوعود المعسولة التى يمنونهم بها ، ولكنه مما لا شك فيه أن الوزارة الفرنسية واقعة تحت ضغط شديد يفقدها حرية التفكير والعمل . ويقال إن الألمان يهددون الفرنسيين بنسف مدن كاملة إذا لم تنفذ الهدنة تنفيذاً دقيقاً ، وإذا لم يخضع الفرنسيون لجميع طلباتهم ، ومثل هذه الوحشية ليست بعيدة عن الألمان

فى البلقان

كتبنا فى مقالنا الماضى فى حركة الروسيا فى رومانيا ، واستنتجنا منها أن الروسيا تتبع سياسة خاصة لا تتقيد فيها بدولتى المحور ولا بالحلفاء ، مستغلة الظروف الحالية ، وأنها تتجه فى سياستها إلى الاستيلاء على بترول أوربا وتقوية مركزها العسكرى . فالروسيا مشتركة فى المؤامرة الديكتاتورية على الدول الديمقراطية ، ولكنه اشتراك ظاهرى كما يبدو لنا ، الغرض منه حصولها على أهدافها على حساب غيرها ، دون أن تكلف نفسها خسائر حربية . وقد تم حتى الآن كما نرى نصف المؤامرة ولم يظهر بين المتآمرين خلاف كبير أو تعارض فى المصالح ، وبدأنا نشعر بأن تحقيق مؤامرتهم على وشك أن يفشل ، لأن الروسيا هددت باستيلائها على بسارابيا وشمال بكوفينيا مصالح دولتى المحور فى البلقان . فإن المدى الذى تهدده الروسيا لا يمكن أن يكون داخل نطاق المؤامرة ، فالتسليم به بمثابة تسليم رقبة دولتى المحور للروسيا الشيوعية التى تخالفهما فى المبادئ والمصالح ، والتى طالما نعتوها بأقبح النعوت .

فى أحضان النازية

وظل الشك يخالجنا فى موقفها فى الفترة الماضية ، ولكن حوادث رومانيا الأخيرة أزالته ، وأكدت لنا أن علاقاتها بهما ليست صافية ، وأن حركاتها ليست متفقاً عليها كما يتوهم البعض. فبعد استيلائها على مقاطعتى بسارابيا وشمال بكوفينيا يذاع أن وزارتها أعيد تشكيلها وأن بعض أعضائها من حزب الحرس الحديدى ، وهو حزب نازى المبادئ والميول ، ثم يعلن أيضاً أنها ارتمت فى أحضان ألمانيا

وليس لهذا الموقف إلا تفسير واحد ، وهو أن رومانيا تطلب حماية ألمانيا من الروسيا ، فليست بسارابيا وبكوفينيا إذن هما كل ما تريده الروسيا، بل إن رومانيا تشعر بأن جعبة الروسيا لم تفرغ فهى تسعى وراء شواطئها الساحلية ومنابع بترولها ، وإذا قبلت ألمانيا شرط الحماية فهى تقبل تبعاً لذلك موقف معارضة الروسيا ، وتلوح لها بأنها تعارض تحقيق مطامعها ، ومعنى ذلك انهيار جزء كبير من المؤامرة الدكتاتورية

فوزى الشتوى

بكالوريوس فى الصحافة

تفاريق الحيـــاة

للأستاذ إيليا أبو ماضي

إذا جدّفت جوزيت على التجديف بالنار
وإن أحببت عيرت من الجارة والجار
وإن قامرت أو راهنت فى النادى أو الدار
فأنت الخاطئ الآثم عند الناس والبارى
وإن تسكر لكي تنسى هموماً ذات أوقار
خسرت الدين والدنيا ولم تربح سوى العار
وإن قلت إذن فالعيش أوزارٌ بأوزار
وإنّ الموت أشهى لى إذا لم أقض أوطارى
وأسرعت إلى السيف أو السم أو النار
لكى تخرج من دنيا ذووها غير أحرار
فهــذا المنكر الأعظم فى سر وإضمار
إذنْ فاحيا ومتْ كالناس عبداً غير مختار

ايليا أبو ماضى

أغنيـــة حزينة !

[مهداة إلى شاعر الحب والجمال « على محمود طه »]

للأستاذ إبرهيم محمد نجا

دنا الليل ، وما الليل سوى أطياف آلامى !
دنا الليل ، وما الليل سوى أشباح أيامى !
دنا الليل ، وما الليل سوى يأسى وأوهامى !

فهاتى خمرة اليأس وهيا أترعى كأسى
وعبى منه يا نفسى ولا تبكى ولا تأسى
فما يومى سوى أمسى

دنوت الآن يا ليلى فأيقظت كآباتى !
ورعت فؤادىَ النافى وهيجت جراحاتى !
وأترعت بخمر الوحشة الخرساء كاساتى !
وأطلقت بأفق الروح أشباح خيالاتى !
أتسمع أيها الليل صدى شجوى وأناتى ؟
أتبصر أيها الليل سكونى وارتعاشاتى ؟
أتبصر فى محياىَ تهاويل التعاسات ؟
شكوت إليك يا ليلى فما أجدت شكاياتى !
فعدت أعلل النفس ، فلم تنفع تعلاتى !

فهاتى خمرة اليأس وهيا أترعى كأسى
وعبى منه يا نفسى ولا تبكى ولا تأسى
فما يومى سوى أمسى

زرعت الحب والأحلام فى بستان أيامى
وقت الليل أرويه بماء سحابىَ الهامى
وأعزف عنـده فرحًا على القيثار أنغامي
وقلت : « إذا أتى الفجر بنور منه بسام
سألنى الحقل - وافرحا - يرف بزهره النامى »
فلما أقبـل الفجر يفيض بنوره السامى
رأيت الشوك فى حقلى يماثل أسهم الرامى !
فعدت لكوخىَ النائى بقلب حائر دامى !
أوقع لحن حرمانى ، وأحزانى ، وأسقامي !

فهاتى خمرة اليأس وهيا أترعى كأسى
وعبى منه يا نفسى ولا تبكى ولا تأسى
فما يومى سوى أمسى

(دمنهور) ابرهيم محمد نجا

هكذا الدهر ...

للأديب بدوى سليمان

نُحْ مَعى يا شاكى الأيْـكِ فقد صوّح روضى :
خبتْ الشـعلة فى رو حى وقـد أطفأ وَمْضى
فرْعك الغض سيذوى مثلما قد كان غضِّى
فانعم من قبل أن يُذْركه الصيف بأرضى
كل من طال به العَيْـشُ فلا بد سيمضى
زمرٌ في إثر أخرى لاحقاتٍ إثرَ بعضِ

بدوى سليمان



بوادر وظواهر

... وعندنا فنانات أيضاً

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

السيدة روزاليوسف

جاء عليها يوم كانت فيه الممثلة الأولى فى مصر ، وجاء عليها يوم بعد ذلك كانت فيه الصحافية الأولى فى مصر ، وهى لا تزال إلى اليوم تحتل مكانها الملحوظ فى عالم الصحافة

أظهر ما فيها طيبة قلبها ، حتى ليعدها الإنسان بلهاء ؛ فهى بعد الوقت الطويل الذى انغمست فيه بين أهل الفن والصحافة ، وما أدراك ما أهل الفن والصحافة ، وما نعومتهم وما دهاؤهم ، مع طول ما جربت هؤلاء وقارفت عشرتهم وقارفوا عشرتها ؛ فإنها لا تزال إلى اليوم على استعداد لأن ترحب بكل من قال لها « إنى صديق » ، وبكل من قال لها « إنى صادق » ، على شرط ألا يقول لها هذا تصريحاً ، فإنه لو فعل ذلك لشكت فيه

تتعرف إليها الساعة ، فتراها انطلقت إليك بروحها كلها غير متحفظة وغير متريثة ، فإذا كنت ابن حلال قدرت هذه البراءة وصنت لها رجاءها فيك . أما الجاحدون فيخدعونها ويجمعون من حولها الرزق والشهرة ، حتى إذا شبعوا هجروها ، وربما آذوها

وهى لا تزال صابرة سليمة النية ، والله يسلمها من كل كرب ومن كل ضائقة

أنشأت منذ سنوات صحيفة يومية تطاولت إلى مقام الأهرام وقد تصدت بصحيفتها هذه لأزمة كانت مستحكمة فى البلاد ، فكانت من أقوى الأسباب التى حطمت هذه الأزمة ، ولكن هذه الأزمة كانت العامل القوى الوحيد الذى حطم صحيفة روزاليوسف

ولكن السيدة روزاليوسف لم تتحطم ، وإنما رعاها الله بضعفها وسلامة نيتها

السيدة فاطمة رشدى

ليلى ، كليوباترا ، سميراميس ، النسر الصغير ، غادة الكاميليا ، نجف ، إيميلى

كل هذه أدوار أشبعتها فاطمة رشدى حياة ، مع أنى أستطيع أن أراهن بكل (السجائر) التى منى على أنها لم تدرك من أسرار هذه الأدوار إلا أيسر الإدراك ، ولم تلم بدقائقها النفسية إلا أهون الإلمام

فكيف إذن كانت تجيد فاطمة رشدى هذه الأدوار ، وكيف كانت توفق فيها التوفيق الكبير ؟

إنها كانت تجيد وكانت توفق ، لأنها كانت تتصور وكانت تحس ، ولأنها كانت تبنى بخيالها نماذج لهذه الشخصيات التى كانت تمثلها ، فكان طبعها السليم يهديها إلى أصدق النماذج مشابهة لهذه الشخصيات ، فكانت تمثل كما لو كانت رأت اللواتى تمثلهن

ولكنها على الدوام كانت تنفذ بروحها إلى أرواح بطلاتها ، فإذا بالشخصية المسرحية التى كانت فاطمة رشدى تتقمصها ، لا يزال فيها من فاطمة رشدى نفسها ، حركات قاهرية عذبة ، وإشارات بلدية لذيذة ، وتنهدات وتكسرات نعرفها نحن فى مصر وفى هذه الأيام ولكنى لا أظن أن كليوباترا ، وسميراميس ، وليلى ، وغيرهن من بطلات فاطمة رشدى قد عرفنها ...

وتلاشى هذا العيب من فاطمة رشدى وتمثيلها حين ظهرت فى فلم العزيمة ، فقد أخرجت فى هذا الفلم دور فتاة قاهرية بلدية فانطلقت فى التمثيل على أساس من سجيتها وعلى عون من ذكائها وبراعتها ، فتساند فنها بعضه إلى بعض واكتمل لها النجاح على نحو متألق رائع

الآنسة نبوية موسى

مربية تحترمها الأسر احتراماً كبيراً ، وتعترف لها وزارة المعارف بجلال العبء الذى تحمله على عاتقها

وكاتبة قصدت فيما تكتبه من مذكراتها لأخطر ما يمكن أن يكتب فيه المربى ، وتعرضت فيه لخفايا يتهرب أشجع الكتاب

من التعرض لها مع أن أمرها معروف ، وخطرها ظاهر ، ونتائجها بينة ، وعلاجها أمر تفتقر إليه بيئات التعليم وغيرها من البيئات افتقاراً ملحاً عنيفاً ، ومع هذا فنحن نتحامى عنها على قسوة ما يترتب عليها

فإذا لم يكن للآنسة نبوية موسى غير مالها من فضل الشجاعة الأدبية التي دفعتها إلى معالجة هذا الموضوع ، واحتمال ما قد ينشأ عن ذلك من سخف القول لكفاها هذا فخراً ، فإن هذا الموضوع لم يتعرض له حتى اليوم في مصر من الكتاب المعاصرين رجل .

السيدة بديعة مصابني

لها ابتسامة لا أدرى كم تجهد أعصابها . حاولت أن أقلدها فيها مراراً ، فكنت أضحك أنا من نفسي قبل أن يضحك الذي كنت أتصنع هذه الابتسامة معه

ولكن بديعة مرنت على هذه الابتسامة ، واعتادها الجمهور منها وأصبحت لها أمارة وعلامة

هي مديرة مدبرة تحسب الحساب ، وترتب النتائج على الأسباب ، وتأخذ عملها بالحزم والجد ، وهي لذلك تنجح وتواصل العمل

وهي أيضاً فيلسوفة صاحبة حكمة . أرادت الرقابة أن تمنعها عن أغنية « لا والنبي يا عبده » فضحكت وقالت : إذا منعت هذه الأغنية عندي فسيغنيها الشعب في الطرقات والبيوت لأنها « نشيدنا القومي ... ! »

في هذا التعبير قسوة من غير شك ، وفيه لطمة لحشمتنا . ولكن بديعة على أي حال صدقت ، فالأغنية راجت رواجاً لم ترج مثله أغنية أخرى منذ « يا عزيز عيني » و « زوروني كل سنة مرة » !

الآنسة روحية خالد

كانت وهي في فرقة رمسيس كالمصفورة ، وربما كان التحاقها بالفرقة القومية من العوائق التي عرقلت نموها الفني ، فهي تشعر اليوم بأنها موظفة حكومة ، تقبض مرتبها آخر كل شهر ، فهي لا تحاول الاستزادة من الإجادة في عملها ، وإنما التفتت إلى الاستزادة من دواعي راحتها

لا ريب في أن استعدادها الفني جارف ، ولكن منذا الذي سيتعهدها في الفرقة القومية ؟ إن العمل في هذه الفرقة يسير على نمط عجيب ، فلكل رواية مخرج ، وكل مخرج ينتقي من الممثلين والممثلات من يرى صلاحهم لروايته وأدوارها ، وأغلب ما يهتم المخرجون في الفرقة القومية بالمناظر والملابس والإضاءة . أما أرواح الأشخاص الذين يظهرونهم على المسرح فأمر يتركه المخرجون للممثلين ؛ والممثلون أنفسهم يحبون من المخرجين هذا ، والمخرجون أنفسهم راضون عن أنفسهم في هذا ، وعلى هذا الأساس فإن ممثلة ناشئة مثل روحية خالد سيقف تقدمها الفني عند المرحلة التي انتهت إليها وقتما فارقت فرقة رمسيس حيث كان الأستاذ يوسف وهبي يعلمها بإخلاصه لفرقته ونفسه كل ما يعلم من تجاربه واطلاعه

ويوسف وهبي — على الأقل — أكبر سناً من المخرجين في الفرقة القومية وأغلبهم تلاميذه ...

السيدة خديجة حافظ

أخت السيدة بهيجة حافظ . وخديجة الكبرى

موسيقية كأختها ، ولكنها ليست ممثلة ، لا أعرف من أخبارها اليوم شيئاً ، ولكني أذكر لها « تانجو أورينتال » وضعته منذ عشرين سنة تقريباً ، وكنت أسمعه وأنا صغير فيخفق له قلبي غراماً وحباً ، وحناناً ووداعة ...

ولا أزال أترنم بهذا اللحن إلى اليوم كلما هفت نفسي إلى ذلك العهد .

السيدة بهيجة حافظ

هي أيضاً موسيقية ممتازة ، وموسيقاها عندي أحب من تمثيلها . لها قطعة اسمها « أنت » أعوذ بالله من الآلام التي تتدفق فيها

متوثبة . ذات آمال فنية عريضة ، ولكن هناك عائقاً شديداً يحول بينها وبين تحقيق هذه الآمال ، إن هي تخطته فقد يسهل عليها جداً أن تتخطى بقية العوائق ...

ذلك أنها لا تنسى في أي لحظة من اللحظات أن أباها كان باشا ، وأنها بذلك من طبقة غير طبقة هؤلاء الممثلين وهؤلاء الممثلات ، وهؤلاء الموسيقيين وهؤلاء الموسيقيات

وفكرة الأرستقراطية هـذه كفيلة بتحطيم الفن ونسفه فى أى نفس مهما تأصل فيها الفن ومهما تمكن منها . . .

السيدة زينب صدقى

وهذه لم يكن أبوها «باشا» ولا غير ذلك من حملة الألقاب ، ومع هذا فهى تحب أن تظهر بمظاهر الأرستقراطية ، وتحب من دعاتها دائماً أن يقولوا عنها إنها أرستقراطية . وقد تأثر كثيرون من الناس بهذه الدعاية وأنا من بينهم ، وكانت نتيجة هذا التأثر عندى أنى حسبتها أرستقراطية حقاً أو قريبة من الأرستقراطية فنفرت منها ونفرت من فنها

أقول هذا ، وأقول أيضاً إلى جانبه إنى كثيراً ما كنت أنسى هذه الدعاية وأنا أشاهد زينب فى تمثيلها فكنت أهتز لها وأعجب بها

فإذا كانت تريد أن تبرأ من عتمة الجمود التى نسبها إليها دعاتها فلتطالبهم بأن يكفوا عن دعايتهم الخاطئة

الآنسة أسمهان

إذا لم يكف عنها أخوها الأستاذ فريد الأطرش ، وإذا لم تبدأ منذ اليوم بالبحث عن ملحن يربى مواهبها ، فإنها بعد ثلاثة أعوام أو أربعة على الأكثر ستتحول إلى مغنية « ميكانيكية » يسمعها الناس بآذانهم بينما قلوبهم منصرفة عنها وعما تغنيه ...

كل عمل فى الدنيا يقبل « الشركة » و « المسامحة » إلا الفن

السيدة زوزو الحكيم

فيها الشاعرية والأسى اللذان أراهما فى « كاى فرانسيس » وعلى الرغم من أنها قضت وقتاً طويلاً على المسرح المصرى فإنى لا أزال أنتظر لها دوراً يشبعها ويشبع معها الذين يثقون بها والفرص مقبلة ، وفى الله الأمل

أظنها فى الفرقة القومية ، وأظنها لهـذا فقط لا تزال مغمورة ... ولـكن أين تذهب ، وفى أى فرقة أخرى تعمل ، وحال المسرح كما نعرف ! ...

الآنسة فردوس حسن

فيها ميل ظاهر إلى المرح واللعب والضحك ، لست أدرى إذا كان طبعاً فيها أو دوراً لها ، ولكنها به على أى حال تستطيع أن تكون فى طليعة ممثلات الكوميدى ، وإنها لكذلك ولو لم تتح لها فرصة التخصص

السيدة نرجس شوقى

لم نعد نسمع عنها شيئاً فى هذه الأيام ، ولست أدرى أين هى ولا ماذا تصنع ، ولـكنى لا أنسى أنها كانت « المونولوجيست » المصرية الوحيدة الرشيقة الخفيفة ، التى كانت ترتجل مواقفها وحركاتها وإشاراتها على المسرح ارتجالاً ، معبرة بذلك عما تلقيه أنفذ التعبير وأبلغه ؛ كما كانت المرحومة امتثال فوزى

لم ترق كثيراً فى عملها من الناحية المادية ، لأنها فنانة كانت تعتمد على فنها وحده كما كانت تعتمد على الله فى حفظ حياتها يوم كانت « بهلوانة » فى سرك تقفز فى الفضاء قفزات ثمن الغلطة فى إحداها كارثة أقل ما فيها من شر هو تحطيم العظام وتكسير الضلوع

هى

التى ربت أذنى ، وعينى ، وقلبى ، وعقلى ، ولسانى ، وقلمى والتى غذت روحى ونفسى

والتى تسلمتنى من فاطمة بنت حواء وآدم التى احتضنتنى بعد ما احتضنت أبى من قبلى ...

والتى رفعتنى ، وخفضتنى ، وقومتنى وعوجتنى ، وألهبتنى وأثلجتنى ، وأروتنى وأظمأتنى ، وأصلحتنى وأتلفتنى ، وعلمتنى وخبلتنى ...

سألتها أن تقرأ الفاتحة معى للسودانية التى فتحت لله منذ الطفولة نفسى

ولنا جميعاً من الله الرضا والرحمة

ولكن ... من الذى سيترجم لها هذا ؟ وكيف ستقرأ الفاتحة ؟

عزيز أحمد فهمى



تأملات:

فى مملكة الحيوان

للأستاذ محمود الدسوقى

فى إحدى السنين التى كان خلو الذهن فيها ظاهرة بادية فى الشعوب ، وإشغاله ظاهرة تبدو على الحكومات ، والتى كانت فيها الطبيعة آمنة ، وكان الناس من نحوها آمنين مطمئنين – فى إحدى هاته السنين زرت أوربا ، وأوربا كعادتها جمة النشاط ، منصرفة إلى التجديد ، والطبيعة باسمة حالمة يفيض قلبها بالحب وتزخر على جوانبها الأمانى ، فلم يرعنى شىء كالألفة القائمة بين الحيوان والإنسان تقليداً ترعاه التربية العامة ، ولا ينفل إلا بمقدار

وقد كان بينى وبين الطير والحيوان حديث ما أعذبه ، فلم يكن فى الجو ما يقصى الطير عن شجره والحيوان عن مأمنه . والطير والحيوان أحب الرفاق إلى الإنسان إذا أعوزته الرفاق ، فهما أحفظ لسره ، وأبقى على عهده ، وأطوع لإرادته ، ما دام كل شىء يجرى معهما على سجيته

لم أقصد إليهما كما فعل التاجر هورن ، فأقتحم عليهما الغاب والآجام ، فأنا أعرف بالحدود من ألا أقف عند حد . بل إنى حاولت أن أجتمع بهما وأنا آمن ، وهما عديما الحيلة عديما الأذى . وهل فى غير حدائق الحيوان ينشد المرء مثل هذا اللقاء ؟ وإنه لمتعة للنفس ، وفرصة للنظر والدرس ، وساعة للتحصيل لا تجلب السآمة

وقد كنت أغشى حديقة الجيزة فيما مضى من الزمان ، فإذا الظاهرة التى تسترعى انتباه من يعنيه الانتباه إلى علاقات المخلوق الطليق بالمخلوق الحبيس هى اضطهاد وتحفظ ، اضطهاد من الزوار الذين لا ينون عن مضايقة الطير والحيوان كل فى قفصه ، وتحفظ من الطير والحيوان ، إذ هو لا يقترب إلا حذراً ، ولا يبتعد إلا متوجساً

وغشيت فى تلك السنة التى ألمت إليها إحدى حدائق أوربا العامة المترامية الأطراف التى يضل فيها السائر من دون خريطة ، وتعصف فيها المركبات من كل قدماه قلت : غشيت تلك الحديقة ، فإذا الكلفة التى ألفنا أن تكون فى حديقة عامة بين الطليقين من الإنسان والحيوان مرفوعة ، وإذا ألفة مفقودة بين المخلوقات تجعل من الحديقة سفينة أخرى لنوح عليه السلام . وقد لفت نظرى عند جزع شجرة أطفال دون العاشرة « وسنجاب » فى أعلى الشجرة ، والسنجاب حيوان خفيف الروح ، تملكه بالإحسان والدعابة ، لكن قبضك الريح كقبضك عليه . وقد ناداه طفل بالاسم الذى آثره به فأحس فى الحال أنه المعنى بالنداء ، فدلف من فرع إلى فرع ، ووقف عند متناول اليد ، فمد إليه الطفل يده بالغذاء غير باغ ، فتناول « السنجاب » حاجته منه وارتد . وجعلت طفلة تستهويه بشىء جديد ، وتناديه كذلك باسم جديد ، فإذا السنجاب دالف على عادته ، مؤدٍّ مهمته ، والأطفال بين ضاحك وباذل ومتحبب « والسنجاب » فى تلك الأسرة الصغيرة ابنها المدلل العزيز

ولقد خطرت لى فكرة التحدث إلى السنجاب ما دام من سجاحة الخلق بهذا القدر فحاولت أن أختلى بأخ له بعيداً من مجمع الأطفال إذ كنت قد نسيت فنونهم من قديم ، وإنى إلى ذلك لأتحاشى أن يذكرونى بهذه الفنون ؛ فكان أن لقيت سنجاباً فدعوته إلى ناحية فتطلع إلىّ ولم يزد إذ كانت يدى خالية مما يطمع فيه ، وانطلق ليستروح طيب الشمائل من غيرى

والعصافير فطينة أليفة فى تلك الحديقة تتصيد المارة . وكثير من الناس يطوفون بالحدائق العامة وفى ميزانياتهم رصيد محترم للطير والحيوان . فالحب دائماً على أكفهم لا يبذرونه ، ولكن يقع الطير عليه فيلتقطه غير هياب . وقد لقيت غير بعيد عصفوراً جاثماً على فرع شجرة ، فما إن اقترب منه عابر سبيل باسطاً يده بالنذر اليسير حتى هبط على يده والتقط الحب فى لمح البصر ثم عاود الجثوم ، وعاود المار الكرة وعاودها العصفور ، حتى إذا خرجت يد العابر من هذه المعاودة وهى خالية إذا بالعصفور يميل

يمنة ويسرة ، ويصل بين ذنبه ورأسه . ولا أدرى أكان يبنى بما فعل أن يرد الحسنة بعشرة أمثالها أم كان يبنى المزيد

وجلست فى حديقة للحيوان غشيتها بعد ذلك بأيام على مشرب أستريح . وعلى كثرة أقفاص الحديقة وحظائرها ، والمواطن التى أنشئت فيها على غرار الطبيعة ، ليحس فيها الطير والحيوان أنه فى بيته — كنت أجد الطاووس يخطر فى طرقاتها ويماشيها مع الزوار جنباً إلى جنب أو معترضاً طريقهم ، وكنت ألفى الدجاج الزاهى الألوان البديع الريش يسرح بين الناس فى طلب الرزق . وليس فى هذا ما يستحق الذكر ، لكن حين جلست إلى مائدة المقهى أقبل على الدجاج فى رهطه ومنه طائفة من الديكة الرومية أحاط بى جميعها فى انتظار ما يكون . وكان أن طلبت فنجاناً من القهوة يعيد إلى رأسى بعض ما انتهب التعب ، فأدرك الدجاج أن ليس ما يطلبه عندى فلا فطيراً رأى ولا كعكا ، ولا قراطيس مما يحمل المحسنون ؛ ولم يشأ أن ينصرف مع ذلك عنى فلعله خشى أن أتهمه بالنفعية أو لعله لم يكن قد يئس بعد من كرمى وأنا رجل غريب لا علم لى بتقاليد الحديقة

واستأنفت المطاف فى الحديقة ووقفت أمام حيوان صغير لطيف يشبه النمس ويدى فى جيبى ، فتبعها بنظره شأن المترقب حتى إذا خرجت وألفاها فارغة رمانى بنظرة لم يفتنى ما فيها من ازدراء .

* * *

تعرف الحرية القيود جد المعرفة ، وقد لا تعرف غير القيود؟ فليس ثمة إباحة إلا ولها شرط . وقد كنا إلى عهد قريب نسرف فى تقييد حرية الطير والحيوان فى حديقة الجيزة، ثم احتذت مثال حدائق الحيوان فى الغرب فى كثير ؛ لكنا لا نرى فيها ما رأيت حين تابعت المسير فى الحديقة الأوربية من قطعان الحمير التى لا تعرف الحظائر أو تعرفها ولا تحتاج إليها . ولعل من الخير أن تترك الحمير تسرح فى الحدائق وتمرح على هواها فقد ترتفع من هذا قيمتها ويرتفع سعر ذكائها المشهور ، فهى تحسن جرش السكر فوق ما تجيد من طحن الفول ومضغ التبن وحصد البرسيم، وهى تعرف كيف تعترض سبيلك لتنال بغيتها منك ، وكيف تدفع ظهرك بأشفارها لتلفتك إليها . وقد تسير فى الحديقة فى حاشية طيعة من البرازين تتبعك كظلك إلى حيث تشاء فى داخل الحديقة طبعاً إذا كنت رجلاً كريماً ، وكان السكر بعض ما عندك

والحيوانات جيماً حبيبة إلىّ ، لأنها على الفطرة ، وفطرتها سليمة لم تتلف على نقيض الإنسان الذى تستنفد فيه المدنية هذا الزخر الطبيعى ، وفصيلة القط أجمل الحيوانات طراً ، لأن لها شخصية قوية ، ولأنها قادرة على النضال ، ولأن كل حركة من حركاتها جذابة فيها ظرف كثير . وهذه الفصيلة بالذات هى التى يخشاها الإنسان لأنه يتوجس منها الشر ولأنها فى يقينه غادرة خائنة وقد لا تكون أغدر من الإنسان ولا أخون ، وهنا نتساءل لماذا نحبو بالعطف غير هذه الفصيلة من طير وحيوان ونأباه على الوحش الذى ينتمى إليها ، والجواب الذى تنتظره منى أيها القارئ غير الجواب الذى أعده لك ، فليس كون هذه الوحوش تفترس فى جوعها سائر المخلوقات هو الذى يحبس عنها عطفنا وإلا فما الذى لا يفعله زعيم المخلوقات الإنسان العاقل النبيل فى جوعه ؟ وإنه ليقال إن الإنسان ليفترس أخاه الإنسان فى مسة الجوع الجنونية حين تجنح به سفينة إلى شاطئ قفر أو تتحطم به فى البحر

إن المرء ليتوجس من الوحش ويتوقع دائماً أذاه لأنه كثيراً ما يغفل من حسابه حساسية الحيوان فى حالات كدره . فقد يقربه بشىء من الملاطفة فلا يجنى إلا عكس ما ينبغى أن تثمر الملاطفة ، وكذلك يفعل الإنسان حين ينحرف مزاجه ويضيق صدره . أفلا يضيق هو أيضاً ذرعاً بالتربيتة على كتفه والمسحة الرفيقة على خده وأحياناً بالكلمة اللينة ؟ فالحيوان والإنسان فى هذا سواء وإن اختلفا فى المظهر وطريقة الأداء أو إن شئت فقل أدب السلوك . فالنمر والأسد والسنور تدهم فى استيائها ملاطفها بعضة دامية ؛ والإنسان يجبه ملاطفه فى فترة كدره بكلمة نابية أو دفعة غير لطيفة سواء فى ذلك الرشيد وغير الرشيد ، وصغار الحيوان والإنسان وحدها هى التى لا تملك فى تلك الحالة أذى لكنها تطيق الملاطفة على مضض . فالغدر والغش والخيانة صفات يشترك فيها الحيوان والإنسان ، غير أنها تصدر من الأول عن ضرورة غالباً ويرتجلها الثانى فى أغلب الأحيان . والطبيعة التى سلحت الوحوش الضارية بأنياب أنفذ من السنان وأحد من الخنجر لا يمكن أن تتطلب منها ما تتطلب من أسنان اللبن ، ولا أن تجعل مهمة الحوافر والأظلاف كمهمة المخالب والأظفار . ولولا أن للثور قرنين ما فكر فى النطح ، ولولا أن للحيـة سماً زعافاً للزمت الأجحار ؛ لكن للمخلوقات جيماً

— والإنسان على رأسها — أوقات صفاء وفترات كدر ؛ فالنمر الذى يفترس الإنسان وهو يطلب الصيد قد يمسح خده فى كمك ويطيق أن تربت على جلده فى ساعة الرضا . بقى أن تعلم متى يكون راضياً ومتى تكون غمضة عينه ورقدته الساكنة على كدر . وكذلك هدأة الإنسان كثيراً ما تكون خطراً أى خطر ، وكثيراً ما تنطوى على أسوأ الفاجآت ؛ وهذا على فهمك الإنسان وجهلك الحيوان

* * *

إن القلق الذى يساور بعض أكلة اللحوم غريب مُسَلٍّ ، والغريزة التى تحرك صغارها أعجب وأغرب ، فقد مررت بقط السرفال المستوحش فى حديقة حيوان الجيزة ، فألفيت وجبته من اللحم النئ بين فكيه وهو مقبل مدبر ، يساوره القلق الدائم من مزاحم ينجم له من بطن الأرض ، أو لعله كان يأمل أن يتاح له من القفص مخرج فيفلت بوجبته إلى حيث يأمن الازعاج

وتربض النمرة تتناول مخصصاتها وهى لا تقل عن صدر ثور ويأبى لها حنان الأم إلا أن تنزل عن ضلع للصغار وهى ثلاثة ذكر وأنثيان فينقض الذكر على الضلع يحاول نهشه فلا يعدو جهده سلوخاً رفيعة ينسرها بشق الأنفس ، وتجتمع عليه أختاه تحاولان صرفه عن هذا الجشع وحب الذات ، فينهرهما ويلطمهما بمخلبه فتبتعدان تموءان . لقد آثر بغريزته هذا الجهد على الرضاع المهين ، وترك اللبن لأختيه ، وأعمل هو أسنان اللبن فى الضلع وحده بلا شريك

وهناك ظاهرة ملحوظة هى الشبه بين الإنسان والحيوان فى المنطقة الواحدة ، وللمناخ وطبيعة الأرض وظروف الحياة أثرها البالغ فى إحداث هذا الشبه بلا مراء . فقد مررت بالدب الأسود والدب الأبيض فى وقت كان السلام يسود فيه ربوع العالم فلم أفطن إذ ذاك إلى شىء ، ودارت رحى الحرب بين الروسيا وفنلندة ، فإذا بالدبين ماثلان أمامى أفطن هذه المرة إلى ما بينهما من فرق وأعمد إلى المقابلة ، الدب الأسود أو الدب الروسى يحاول أن يعض قضبان القفص فيعض يده ، فيئن ويتأوه ولا يبرح موضعه ، وإنما يدور فى باطنه حول نفسه فى ضجر وبرم شديدين ، لا ينقطع له تأوه ولا أنين . والدب الأبيض أو دب الشمال أنيق ، سامى المظهر ، رشيق الخطو ، يدور فى قفصه فى خطى ثابتة متزنة ، ويلتمس المخرج فى كل مكان ، فإذا عز لم ييأس ولم يحاول أن يقبع نهباً للقنوط كجاره الروسى

كذلك البيغاوات شريكة الإنسان فى البيان والمكان ، تغرى بالمقابلة ، لحظها فى حدائق الحيوان كحظ مناطق الانتداب تستمتع بقسط كبير من الحرية ، وترسف مع ذلك فى القيود

و « البوم » محببة إلى الحكماء تشبههم فى رصانتهم وتحفظهم وتعاليهم واستصغار شأن من عداهم ، والانصراف عن التفكير فى المادة إلى التفكير فيما وراء المادة . وهى كالحكماء لا تلفيها فى مجلسها إلا صامتة ، اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة ، تطيل التأمل والنظر

* * *

هذا قليل من كثير مما يعرض للمرء من أمور الحيوان . وقد نكون تناولناه فى شىء كثير من العجلة وقليل من التعمق ، والأناة والغوص من صفات العلماء ، ولسنا فى هذه العجالة منهم

محمود الدسوقى



مصطلح التاريخ

تفضل الصديق الكبير الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ في جامعة بيروت الأميركية فأهدى إلى كتابه الجديد « مصطلح التاريخ » (الثودولوجية) ، وهو أول كتاب في موضوعه في اللغة العربية ، وقد نحا فيه المؤلف إلى تطبيق هذا العلم الجديد على قواعد « مصطلح الحديث » واستعمال طرائقه ، فكان هذا الكتاب تلخيصاً وافياً لمصطلح المحدثين ، فضلاً عن أنه ينقل إلى العربية علماً جديداً ، وكان عمله فيه سنة حسنة يكون من نتائجها وصل نهضتنا الجديدة بنهضة أجدادنا ، وإقامة بنائنا الحاضر على أساس متين مما بنوا ؛ وقد بحث فيه المؤلف في التقميش (أي جمع الأصول) والعلوم الموصلة (ويعني بها وسائل المؤرخ) ونقد الأصول (وهو باب طويل يشتمل على فصول) وتنظيم العمل ، وتفسير النص ، ثم بحث في العدالة والضبط ، وتكلم بإسهاب عن سبق علماء الحديث في هذا المضمار ، وإثبات الحقائق المفردة ، والربط والتأليف ، والاجتهاد ، والتعليل والإيضاح ، والعرض .

وأنا مع إدراكي جلالة هذا البحث من الناحية العلمية الخالصة ومن الناحية التوجيهية ، وفضله في نشر « مصطلح الحديث » ، وبيان ما وفق إليه رجاله — لا أستطيع أن أنقد الكتاب أو أحكم عليه ، لأني لست من رجال هذا الفن ؛ وأنا أشكر لصديق الدكتور رستم هديته ، وآمل أن يتولى بعض زملائه (أساتذة التاريخ في جامعة القاهرة) الكلام على هذا الكتاب في الرسالة وأن يسارع إلى اقتنائه المشتغلون بالتاريخ

علي الطنطاوي

١ — لجنة لفهرسة المخطوطات في المكتبة الظاهرية

عقد في دار الكتب الظاهرية بدمشق اجتماع حضره بعض أعضاء المجمع العلمي العربي ، ورئيس المطبوعات الفرنسية وبعض حملة الشهادات الأجنبية ، لتلخيص المخطوطات الثمينة العربية التي ترقد تحت الغبار فوق قبر الملك الظاهر . وقد حضر الاجتماع الأستاذ أنور افندي حاتم الدكتور في الآداب الفرنسية ، لاطلاعه الواسع على المخطوطات العربية ، كما حضرته الآنسة فلك طرزي ، والأستاذ يوسف افندي العش حامل أجازة صف الكتب وتنظيمها من باريس . فنرجو لهذه اللجنة التوفيق الباهر لما سيبذله أعضاؤها الأعلام من خدمات

٢ — أصحاب العاهات ونوادرهم

تقوم نخبة من الأساتذة الأدباء بجمع أخبار أصحاب العاهات ونكاتهم . وقد توفر لديها قسم كبير منها . على أنها لم تعثر إلا على القليل من أخبار العوران ومُلحهم . فمن كان لديه شيء منها فليتفضل بنشره أو بالإشارة إليه على صفحات الرسالة ، أو بإرساله إليّ وله الشكر الجزيل .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

برنارد شو بعد بلوغه الثانية والثمانين

كتبت بعض الصحف الإنجليزية أن جورج برنارد شو اعتزل كتابة المسرحيات بعد بلوغه الثانية والثمانين من عمره فكذب هو هذه الإشاعة وكتب يقول :

« إنني سكير مدمن من أسرة مدمنة ، ولكن بينما أسرتي قد قنعت بالكحول فإني ترديت في شيء أردأ من جنون السكر هو جنون العمل

إني لأشعر بتعس لا حد له إذا انقطع عملي . إني لأحس بصداع خفي بعد سكرة كل شهر ، وقد عاهدت نفسي على تحريرها منه وقررت بيني وبينها ألا أشتغل بعد الغداء ، وأن أشتغل ساعتين فقط في اليوم ؛ ولكن هذا كان عبثاً فكل يوم جديد يأتي بإغراء جديد وشهوة جديدة ؛ وفي كل مرة يشتد بي الشوق ويستأثر بي الحنين ؛ وأنا أفزع من البطالة أكثر مما أفزع من أي شيء في العالم ... »

الامبراطورية العربية

نشر أحد الكتاب الأوربيين سلسلة مقالات في إحدى الصحف الأمريكية عن « الامبراطورية العربية » و « حلم العرب الأكبر » خلاصتها أن الناطقين بالضاد يحلمون بتأسيس امبراطورية عربية عظيمة تضم شمل العرب وتجعل منهم امبراطورية

كبيرة تواجه العالم الغربي مواجهة الند للند

وقد نشر الكاتب قائمة بأسماء هذه الأمم وعدد سكانها ننشرها فيما يلي ، ونلاحظ أن بعض الأرقام الخاصة بعدد السكان أقل من العدد الحقيقي ، ويرجع ذلك إلى أنها مأخوذة من إحصاءات قديمة :

الأمـــة	عدد السكان
مراكش الفرنسية	٦٫٠٠٠٫٠٠٠
مراكش الإسبانية	٨٠٠٫٠٠٠
الجزائر	٧٫٥٠٠٫٠٠٠
تونس	٢٫٥٠٠٫٠٠٠
ليبيا	٧٥٠٫٠٠٠
مصر	١٥٫٠٠٠٫٠٠٠
الحجاز ونجد	٥٫٠٠٠٫٠٠٠
العراق	٣٫٥٠٠٫٠٠٠
اليمن	٦٫٥٠٠٫٠٠٠
سوريا	٣٫٠٠٠٫٠٠٠
لبنان	٩٠٠٫٠٠٠
فلسطين	١٫٥٠٠٫٠٠٠
شرق الأردن	٣٠٠٫٠٠٠
الكويت	٥٠٫٠٠٠
جزائر البحرين	١٢٠٫٠٠٠
قطر	١٥٠٫٠٠٠
عمـان	٥٠٠٫٠٠٠
عدن وحضرموت	٥٠٠٫٠٠٠
المجمـــوع	٥٤٫٦٠٧٫٠٠٠

مؤلف كتاب المقنع

تفضل الصديق الكريم الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان فقدّم لي نسخة من كتاب المقنع في مرسوم كلمات القرآن الذي نشره بعد أن صححه وعلق عليه وحققه حسب عادته في جميع ما ينشر من كتب ، ومؤلف الكتاب هو الإمام أبو عمرو عثمان ابن سعيد الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ وألحق به رسالة في النقط والتشكيل تتمة للكتاب للمؤلف نفسه . ولقد كنت أطالع أمس فصلاً في كتاب « ألف باء » للامام يوسف بن محمد البلوي فرأيته يذكر كتاب المقنع ويعزوه إلى الإمام أبي عمرو المقرى وينقل عن الكتاب فصلاً في نقط المصاحف هو نفس الفصل الموجود في كتاب الداني ، فكان ذلك باعثاً لي على الشك في اسم المؤلف . فأنا أشكر للصديق الكريم هديته ، وأرجو منه إيضاح هذه الناحية وله مزيد الشكر

(دمشق) ناجي الطنطاوي

الجمعية الملكية للدراسات التاريخية

أقر مجلس الوزراء المرسوم الخاص بإنشاء الجمعية الملكية للدراسات التاريخيـة ، وهو مكون من عشرين مادة تتلخص فيما يلي :

تنشأ بمدينة القاهرة جمعية تاريخية تسمى « الجمعية الملكية للدراسات التاريخية » ويكون غرضها تنظيم الدراسات المتعلقة بالتاريخ وتشجيعها ، وخاصة التاريخ المصري من نواحيه المختلفة ولتحقيق أغراض الجمعية :

١ — تقوم بجمع الأوراق والمذكرات الرسمية وغير الرسمية الخاصة بالتاريخ المصري في مصر والخارج وتنسيقها ووضع فهرس عام للمؤلفات والمطبوعات ذات الاتصال بتاريخ مصر ، وعمل مصورات لمصر في عهودها المختلفة ومعجمات تاريخية للمدن والآثار والوقائع الحربية والرجال الذين امتازوا في مختلف نواحي الحياة المصرية

٢ — تنشر مؤلفات وأبحاثاً في الأغراض السابقة وتصدر مجلة دولية تتضمن مباحثها ونواحي نشاطها

٣ — تبذل المساعدات المادية لتشجيع البحث التاريخي والرحلات المتعلقة بالدراسات التاريخية

٤ — تنظم في مصر مؤتمرات ومعارض ، وتشترك في مثل هذه المؤتمرات والمعارض في الخارج

٥ — تنظم محاضرات ومناقشات في موضوعات تاريخية

عبد الله بن المبارك في كتاب « فجر الإسلام »

جاء في كتاب فجر الإسلام ص ٢٦٠ في صدد الكلام عن الوضاعين في الحديث: « وبعضهم كان سليم النية يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح وهو في ذاته صادق فيحدث بكل ما سمع فيأخذه الناس عنه مخدوعين بصدقه كالذي قيل في عبد الله بن المبارك ؛ فقد قيل :

إنه ثقة صدوق اللسان ، ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر » وجاء في هامش الكتاب أن هذا القول في عبد الله بن المبارك وارد في صحيح مسلم

وهنا أخطأ المؤلف في موضعين ، الأول : أن الوضاع في الحديث هو من ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً لم يقله ، أما سليم النية الذي يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح وهو في ذاته صادق ، فهذا رجل ذو غفلة لا يدخل تحت الوضاعين بحال من الأحوال ، فحشره بينهم كما صنع الأستاذ أحمد أمين خطأ بيّن

الثاني : أنه جعل عبد الله بن المبارك من المحدثين ذوى الغفلة الذين يحدثون بكل ما سمعوه من غير تمييز بين الصحيح والموضوع والغث والسمين ؛ واستدل لذلك بالعبارة التي نقلها عن مسلم .

وعبد الله بن المبارك من أوائل المحدثين الذين عنوا بنقد الرجال ولم يرووا إلا عن الثقات من الشيوخ ، وفي مقدمة صحيح مسلم أمثلة متعددة لعنايته بالنقد وبلائه الحسن فيه . وفي تذكرة الحفاظ للذهبي : « عن ابراهيم بن اسحق قال سمعت ابن المبارك يقول : حملت عن أربعة آلاف شيخ فرويت عن ألف منهم » ، فرجل يسقط من شيوخه ثلاثة أرباعهم لا يروى عنهم لا يصح أن يقال فيه إنه يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح . ومن هنا أجمع الأئمة ونقاد الحديث على إمامته وجلالة قدره ، يعلم ذلك من يرجع إلى كتب الرجال . أما العبارة التي نقلها عن مسلم فهي محرفة تحريفاً شنيعاً وأصلها كما في جميع النسخ المطبوعة من صحيح مسلم : « حدثني قهزاز قال : سمعت وهباً يقول عن سفيان عن ابن المبارك قال : « بقية » صدوق اللسان ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر » فالكلام عن بقية وهو بقية بن الوليد المحدث الحمصي المشهور ، والمتكلم عنه هو عبد الله بن المبارك . وبقية هذا مشهور بما ذكره عنه ابن المبارك ، ففي مسلم بعد هذه العبارة بقليل « عن أبي إسحق الفزار » : « اكتب عن بقية ما روى عن المعروفين ولا تكتب عنه ما روى عن غير المعروفين . ونقل الذهبي عن ابن المبارك نفسه أنه كان يقول في بقية : إنه يدلس عن قوم ضعفاء ويروى عمن دب ودرج . فانظر بعد ذلك هل الأستاذ أحمد أمين قرأ عبارة مسلم بنفسه فأخطأ في فهمها ونقلها وبنى عليها هذا الرأى الخاطئ في رجل كعبد الله بن المبارك ؟ أم هنالك شيء آخر ؟ !

مصطفى حسنى السباعى

ذكرى سيد العاشقين

نشرت إحدى المجلات الأسبوعية المصورة فصلاً عنوانه : « ضريح سلطان العاشقين » قالت فيه ما خلاصته :

لعل الكثير من المصريين — إن لم نقل كلهم — لا يعلم أن ضريح الشاعر العظيم عمر بن الفارض موجود في جبل المقطم بالقاهرة قريباً من جامع الجيوشي المعروف في هذا المكان

وذكرت المجلة أن مندوباً لها ذهب إلى هناك فعلم أن المرحومة الأميرة جميلة اسماعيل أرادت قبل وفاتها أن تبنى لها ضريحاً فوق الجبل ، ولما اختارت المكان لذلك ، وجدت أن ضريح ابن الفارض مجاور لهذا المكان ، فأمرت بتجديده وتشييده ، حتى صار عنواناً على الروعة والجلال !

ومن الطريف أن جميع الذين يزورون هذا الضريح من العاشقين المحترقين بنيران الصبابة ، وهناك يشكون إلى إمامهم ما يلقونه في سبيل الحب والهيام ، ويرددون ما يحفظون من أشعاره ويكتبونها على جدران الضريح ، ويوقعون ذلك بأسمائهم الصريحة

ولا ينسى بعض المستشرقين الهابطين القاهرة أن يزوروا الضريح وينشئوا عنه الأحاديث ، ويأخذوا له مختلف الصور ...

وقد رجت المجلة في نهاية المقال « أن يعنى الأدباء والموسيقيون بالعمل على إحياء ذكرى ذلك الشاعر المتصوف »

فيا ترى ، هل تجاب هذه الدعوة الطيبة ، وهل يعمل أدباؤنا وموسيقيونا على تحقيقها ، فيقضون الواجب عليهم نحو هذا الشاعر الذي خلق أناشيد الغرام ، وأنغام العشق والصبابة ؟

لقد أحببت الإشارة إلى هذا الموضوع في مجلة « الرسالة » الغراء لأنها مجلة الآداب والفنون ، وهي أسير من غيرها بين أهل الفن والأدب . قد يقال إن الحرب تلفتنا عن الاهتمام بمسائل الأدب وشئون الروح والفن ، ولكن الواجب أن يعنى بهذه المسائل في مثل تلك الظروف وأمام تلك القلقلات العالمية لتلفت الناس ولو بعض اللفت عن أحاديث المدفع وأخبار القنبلة والطيارة ، وقد ذكر أستاذي الدكتور زكي مبارك أنه كثيراً ما احتفل بذكرى الكتاب والأدباء في ميادين القتال نفسها ...!

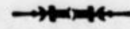
فيا ترى ... هل نشهد عناية من أهل الأدب ورجال الوفاء بهذا الشاعر العاشق المتصوف ؟ وهل نراهم يخصون ضريحه — بعد أن عرفوه — بالزيارة والحديث ؟ !

أحمد جمعة الشرباصي



حلم ساعة

للأستاذ نجيب محفوظ



من عجيب الأمور أننا قد نحيا حياة سعيدة نخالها طويلة فى حلم قصير الأجل . وما تتم أن تطرق اليقظة مغلق الأجفان ، فينتقل النائم من عالم الأحلام المخدرة إلى دنيا حقائق شديدة الجفاء ، وما يجد يده قابضة إلا على هواء . على هذا المثال مضى ذلك اليوم من حياته ، كان يوماً أو بعض يوم، ولكن قلبه ذاق فيه سعادة وغبطة ، وحلق فى آفاق بعيدة من أحلام المنى ، وخفق خفقة فرح سماوى جاز به عالم الزمان والمكان. ثم أدركته يقظة منكرة اغتصبته من عالمه الحنون السعيد ، على نحو بالغ فى القسوة والوحشية ... كيف كان ذلك ؟ ! ...

كان اليوم السعيد يوم الخميس ، وكان الأستاذ بهاء الدين عائداً من سماع محاضرة علمية فى الجمعية الجغرافية الملكية عن الغدد الصماء ؛ وكان يسير فى ميدان الاسماعيلية متفكراً فى تلك الأدوات الإنسانية العجيبة المسيطرة على الفرد أيما تسيطر ، وكيف يزعم العلماء أنهم بالتحكم فى إفرازاتها يستطيعون أن يحولوا الطيب إلى شرير ، والشرير إلى طيب ، والشاعر إلى رياضى ، والرياضى إلى شاعر . وكيف يفسرون أخيلة جيتة وأحلام شيلى بمصاراتها المتدفقة فى الدم ؟ ... وكان رأسه لا يكاد يخلو من أمثال هذه الأفكار ، فهى مادة عمله ومادة حياته معاً . وفى الواقع يندر أن تجد بين الشباب المعيدين بكلية العلوم من يناظر الأستاذ بهاء الدين فى حبه العلم وحرصه على تحصيله

وكأنما أرهقه القعود والسكون — فى أثناء إلقاء المحاضرة — فأحس بارتياح إلى المشى واعتزم السير على قدميه إلى شارع فؤاد الأول ، واتجه إلى شارع قصر النيل فى خطى وئيدة يدخن لفافة من التبغ ويجتر أفكاره وتأملاته فى لذة ويسر ، وصادف بلوغه مدخل المكتبة الفرنسية بروز فتاة منها تندفع فيما يشبه العدو ، فتوقف بحذر ووجل وتراجع خطوة على عجل ، وتوقفت مثله وتراجعت ، والتفت نحوها فرآها ترمقه بنظرة ارتباك واعتذار ثم مضت فى سبيلها حتى إذا ما حاذته عطفت رأسها إليه بغتة وقد بدا على وجهها التساؤل والحيرة وكأنها تحاول تذكره ولا تدرى كيف ، ثم أدركت ما فى نظرها إليه هكذا من الغرابة ، فأدارت رأسها عنه وما روت غلة ، وقصدت إلى سيارة تنتظر إلى جانب الطريق، فأدرك من أول وهلة أن صورته اشتبهت عليها وعلت لذلك فمه ابتسامة ، وأراد أن يستوثق من رأيه فألقى بنظرة إلى السيارة — وكان جاوزها بأمتار — فرآها تتابعه بنظرتها تملؤ وجهها آى الحيرة والغرابة . فغمرته موجة انفعال مضطرب لذيذ وتمتر بأذيال الارتباك والحيرة . ثم تحركت السيارة مندفعة فى الاتجاه الذى يسير فيها وما تزال صاحبتها ترنو إليه خلل زجاج النافذة بنظرة تحير بماذا يصفها ... ودية ! حنون ؟ ... حتى باعدت بينهما المسافة ...

وعجب الأستاذ أيما عجب ، على أن عجبه كان شيئاً يسيراً إلى ما أحس به ساعتئذ من ثورة الوجدان ، وكانت الفتاة شابة حسناء مدمجة الخلق ، مرتوية الساقين ، فاتنة القسمات ، يزين وجهها عينان زرقاوان لنظرتهما وقع السحر فى الحواس والقلب والأعصاب . فانبعث فى قلبه خفقان واضطراب ، وشعر بنشوة رائعة ، ثم لسعته حسرة أليمة ، حسرة محروم طال عهده بالحرمان وكانت حياته فى الواقع خالية من الحب مثل كهف رطب لا تزوره الشمس ، لأن تفانيه فى طلب العلم لم يدع له وقتاً لشىء سواه ، ولعيبين طبيعيين كبرا فى وهمه واشتدا على نفسه ، إذ كان يترامى إلى أذنيه أنه ثقيل الظل ، وكان إلى هذا عيياً حصوراً لا يكاد يبين، فلم يكن فى وسعه قط أن يحسن خطاب فتاة فضلاً عن أن ينازلها . ودعاه هذا وذاك إلى النفور من الحسان . وإلى ما يشبه الخوف منهن . وحز لذلك الألم فى نفسه وسكب فى قلبه امتعاضاً ومرارة ، فتبدى عليه الجفاء والوحشة ، واضطرب عهداً طويلاً يائساً بين الرغبة فى الحب والخوف من المرأة ، والتشوف إلى النساء والحقد عليهن . فكانت تلك النظرة الحلوة أول نسمة تهب عليه من دنيا الوجدان فترتوى بها نفسه الظمآنة ويندى بها قلبه الجاف ولكنه ارتواء كالظمأ وندى أشد حرقة من الجفاف . فتحير

وتعجب وتساءل وهو يقلب كفيه: ترى ما خطب هذه الفتاة؟... وما معنى هذه النظرة الفاتنة التي أذابت الوجد والهيام والحنو المتجمدة في قرارة نفسه؟... إنه لا يعرفها على وجه اليقين ولا يذكر أنه رآها من قبل، وهي بغير ريب لا تعرفه أيضاً، فلا هي قريبة ولا جارة ولا طالبة بكلية العلوم، ولعله التبس عليها شبهه، ولكن كيف طال بها الشك تلك المدة السعيدة التي أدامت فيها النظر إليه؟!... ومضى يتفكر تنقله الحيرة من فرض إلى فرض وقد انشغل عن المدد والكيمياء جميعاً...

وكان في عزمه أول الأمر أن يعود إلى بيته فيستمع إلى المذياع ساعة ويطالع ساعة قبل النوم. ولكن عافت نفسه ذلك ومضى يضرب في الأرض على غير هدى تاركا محرك خياله للخواطر السعيدة والأحلام اللذيذة والأوهام المخدرة حتى أعياه التعب وتمناه المشي؛ وكان سري عنه بعض الشيء وأخذ يفيق من أثر النظرة، فاتجه إلى قهوة روجينا وجالس بعض صحبه حتى شارفت الساعة التاسعة. ثم خطر له أن يقضي سهرة المساء في سينما رويال - وكان قليلاً ما يجذبه مزاجه إلى ذلك - فسار بلا تردد إلى السينما وابتاع التذكرة. وكان يكره الانتظار جالساً فدلف إلى الصور الملقة بالردهة الخارجية وقلب فيها عينيه، ثم أولاها ظهره ملالاً وأرسل بناظريه إلى مدخل السينما يشاهد جمهور الداخلين. فرأى سيارة فخمة تقف أمام مدخل السينما، وفتح بابها ونزلت منها سيدة بدينة بادية النعمة والثراء تبعتها على الأثر فتاة حسناء انخلع لرؤيتها قلبه في صدره وأحس بفرح عجيب تمازجه دهشة، فلم تتحول عنها عيناه. وفاته في ذهوله أن يرى ضابط بوليس شاب يبرز من الباب الثاني للسيارة ويدور حولها بسرعة ويلحق بالسيدة والفتاة. وانعطف رأس الفتاة إليه — وكانت فتاته دون سواها — كأنما جذبتها قوة بصره المشوق فالتقت عيناهما، ولاح على محياها الجميل الاهتمام والدهشة ورقت نظرتها بالحنان الذي حيره وفتنه منذ حين. فتبعهما في خطى مضطربة ملبياً نداء قوة عاتية. وصعدت الفتاة مع الصاعدين إلى الطابق الثاني فوقف في الردهة يتابعها بعينيه. ورآها قبل أن يغيبها عن ناظريه منعطف السلم تلقي عليه نظرة أخرى... يالها من نظرة... فاستخفه طرب جنوني عذب لا يتأتى لغير الموسيقى وصفه. واندفع إلى الداخل لا يلوي على شيء، فلما اطمأن به مقعده مضى يصعد نظره في (الألواج والبناوير) باحثاً عن الوجه الحبيب ذي النظرة الفاتنة الحنون. حتى وجد ضالته في (البنوار) رقم (٣)، وكانت تتقدم السيدة بقامتها الهيفاء. والتقت نظرتها بوجهه هذه المرة أيضاً، وكأنها كانت تتوقع أن تجده مجداً في العثور عليها فارتسم على شفتيها القرمزيتين شبه ابتسامة أضاء لها وجهها بنور بهي. وجلست وهي ترنو إليه بعينيها فبدت وهي تنحني قليلاً وكأنها تحنو عليه. وأنقذه من سعادته، التي لا تحتمل، انطفاء الأنوار وانهماك الشاشة في عرض أخبار الدنيا... كان قلقاً مجنوناً إلى غير حد، فرحاً سعيداً بغير حساب، يشعر برغبة عنيفة لا يدري ما كنهها إلى القتال أو الرقص أو الصياح أو البكاء، وتندت أهدابه بدمعة أحس بتفجرها من أضلعه. كان يمنى آخر عاشقاً يتلق قلبه لأول مرة أمواج الحب الكهربائية الغامضة غموض الأثير. وأغمض عينيه في الظلام وهو يتنهد في ارتياح وغبطة مستسلماً للذة الأحلام. وتساءل في استسلامه السعيد: ترى ما الذي ساقه هذا المساء إلى السينما ولم يكن أعد نفسه لذاك؟... إن كل شيء يبدو وكأنه يؤكد أن القدر يرسم خطة رائعة بدأها في شارع قصر النيل وما زال ينسج فصولها في سينما رويال. نعم إنه لم يرها عبثاً، ولم تلتق عيناهما مصادفة؛ كلا، ولم يأت إلى السينما اتفاقاً. ولكن الحب يخلق الحوادث والظروف، وإلا فما معنى هذه هذه الحلقة المتقنة؟! وما معنى هذه النظرة الحنون المذبة التي دل تكرارها على أنها مقصودة؟! أليس هذا الذي يسمونه الحب من أول نظرة؟... بلى، هو هو... ويشهد عليه قلبه ومشاعره ونظرتها الفتانة النافذة التي لن يمحى أثرها من نفسه. كيف حدث هذا... هل كان القدر في قسوته عليه وازوراره عنه يدخر له هذه المفاجأة السعيدة وهو لا يدري؟.. وهل وُجدت أخيراً من لا تستثقل ظله كما يستثقله كثير من الناس... ومن تعرف نفسه بالنظرة الملهمة لا بتغرير الألفاظ وسحر البيان؟... كم سخط على الدنيا ظلماً؛ وكم أدان القدر جهلاً... والساعة الساعة ينتهي الجفاء وتتبدد الوحشة، وينـدى قلبه المحروم ويرطب قلبه اليابس. وفكر الأستاذ بهاء الدين مع ذلك في أمور غاية في الأهمية والجد تناولت حاضره ومستقبله، ولم يفته أن يحسب حساب الوسيلة إلى التعرف والخطبة، ولا فاته — في تلك الساعة — أن يقدر المهر ويحدد تاريخاً للزواج السعيد...

ولم يحس بالوقت كالسمداء . وجعل يتأمل بعين مخيلته الوجه النضير والنظرة النافذة إلى القلوب ، مستسلماً للأحلام استسلام الحران إلى برد النسيم حتى ظن أن أشهى الأماني دانية لا تكلفه إلا أن يمد يده فيقطفها في يسر واطمئنان

وانتهت الشاشة من عرض فصولها الأولى ، وأضيئت الأنوار ، ففتح عينيه وكأنه يصحو من نوم سعيد . وصعد رأسه إلى (البنوار) رقم ٣ ، فرأى فتاته في أجمل صورة ترمقه بنظرتها الفاتنة كأنها كانت تنتظر انقشاع الظلمة مثله ، ورآها تميل برأسها نحو السيدة البدينة — التي تدل الظواهر على أنها أمها — وتهمس في أذنها ، ثم شاهد السيدة تنظر إلى أسفل باحثة بعينيها حتى استقرتا عليه . . . فارتبك وتعجب وتساءل ترى لماذا تدل أمها عليه ؟ . . . على أن عجبه ازداد إلى غير حد ، لأنه رآها تعطف رأسها إلى الوراء وتحادث شخصاً لا يرى سوى أعلى طربوشه . ومال هذا الشخص إلى الأمام ونظر صوبه وكان ضابط البوليس . فلم يستطع أن يديم النظر إلى أعلى وأدار رأسه إلى الأمام . ولكنه تذكر هذا الضابط ، وذكر أنه كان من زملاء فرقته في الخديوية ، وأنه يدعى على سالم ، وأنه كان مبرزاً في الألعاب الرياضية ، وظن أنه أخو الفتاة ، ولكنه تحير في فهم الدواعي التي بعثتها إلى توجيه الانتباه إليه بكل جسارة ، وفيما عسى أن تكون حدثتهما به عنه ... وغلبه الشوق وحب الاستطلاع فرفع بصره إلى (البنوار) مرة أخرى فرأى الوجوه الثلاثة محدقة فيه . وخيل إليه أن زميله القديم يحييه ، فلم يصدق بصره وظل جامداً لا يتحرك ، فأعاد الضابط تحيته برفع يده إلى رأسه ورد عليه الأستاذ التحية مرتبكا ، وشاهده يدعوه أن يصعد إليه ، فخفق قلبه خفقة عنيفة وقام واقفاً وقد لفته الدهشة والارتباك ، وغادر المكان في ذهول شديد ، وصعد السلم والتقى بصاحبه عند مدخل (البنوار) واستقبله هذا استقبالاً ودياً وشد على يده بحرارة — ولعله فعل ذلك ليطرد عنه الدهشة والارتباك — ثم أوسع له وهو يقول هامساً : « تعال أقدمك إلى أهلي » ووجد نفسه في البنوار أمام السيدة والفتاة الجميلة . وقال الضابط يقدمها له وهو يشير بيده :

« حرم الأميرالاي محمد جبر بك . الآنسة زينب كريمتها وخطيبتي »

ثم التفت إليه وقدمه لهما مكتفياً بذكر اسمه وزمالته القديمة لأنه كان يجهل حاضره . ودوت كلمة « خطيبتي » في أذنيه دوياً مزعجاً أطفأ نشوة الفرح في حواسه جميعاً وسكب مكانها خيبة مرة ، فجلس كما طلب إليه ذاهلاً مرتبكاً قانطاً عاجزاً العجز كله عن حصر انتباهه فيما حوله ، وكانت السيدة ترحب به وتشارك الضابط في التودد إليه ومجاملته ولكنه لم يدر مما قالا شيئاً ، واكتفى بانتزاع ابتسامة مغتصبة من شفتيه يرد بها عليهم رداً صامتاً كئيباً . وكان يتخبط في حيرة عمياء ، لا يدري لماذا دلت الفتاة عليه ، ولا كيف دعاه زميله ، ولا لأي سبب عرفه بهما وعرفهما به . . . ولاحت منه نظرة إلى الفتاة ، فوجدها تبسم إليه ابتسامة حزينة ، فشعر بامتعاض ، ووجه عينيه إلى أمها كأنما يفر منها فراراً ، فرأى المرأة ترنو إليه بعينين مغرورقتين بالدمع ، فازدادت دهشته وبدا عليه الانزعاج ، والتفت إلى صاحبه متسائلاً متحيراً . ودق الجرس في تلك اللحظة منذراً بإطفاء الأنوار ، فقام الشاب واقفاً وأحنى رأسه محيياً ، ودعته السيدة إلى زيارة البيت ، فوعدها قائلاً : « إن شاء الله » وهو لا يعني ما يقول . وغادر (البنوار) ولحق به صاحبه ، وكان يدرك ما يقوم بنفسه من الدهشة والانزعاج ، فقال له وهو يشد على يده مودعاً :

« إني آسف جداً على ما أحدثته دعوتي لك من الارتباك والانزعاج ، وحقيقة المسألة أنك تشبه شبهاً عجيباً ابناً شاباً فقدته هذه الأسرة منذ عامين . ولعل هذا يفسر لك كل شيء أيها الصديق ... ... »

وهبط السلم في خطى بطيئة جدا . وكان يتوقف كل درجتين ويتأمل فيما أمامه بعينين لا تريان شيئاً ، وعلت شفتيه الشاحبتين ابتسامة هازئة مريرة وقد بدا له كل شيء كريهاً كئيباً تعافه النفس ... ...

نجيب محفوظ

نهاية التنكر

بقلم استيفن ليكوك

ترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان رئيس البوليس السرى جالساً إلى مكتبه ، وأمامه وجوه مستعارة وشوارب ومناظير مستعارة كذلك مختلفة الأشكال فهو فى أقل من ثانية يستطيع التنكر

ووضع قليلاً من مسحوق أبيض فى كوب من الماء وتجرعه، وفى هذه اللحظة طرق باب حجرته طارق، فخبأ المسحوق فى درج مكتبه ووضع على شفته العليا شارباً أسود ، وأذن للطارق بأن يدخل ، ولكنه لما رآه وتبين أنه سكرتيره أعاد الشارب إلى مكانه وهو يقول :

— أهذا أنت ؟ ماذا لديك من الأخبار ؟

فأجابه سكرتيره :

— عندى مسألة فى نهاية الغموض وفى نهاية الأهمية لعلاقتها بدولة أجنبية ، ويخشى إذا لم يستطع البوليس حلها أن تنشب حرب طاحنة

قال رئيس البوليس السرى :

— وهل تكون المسألة بهذه الدرجة من الأهمية ويعجز بوليس لندن عن حلها ؟ قل لى ، هل تتعلق بالبرلمان أم بالوزارة أم ماذا؟ فأجابه سكرتيره: «هى تتعلق بمن لا نكاد نجرؤ على النطق بأسمائهم ولها مساس بالسياسة الدولية وأخشى أن تحدث بشأنها حرب عالية »

قال رئيس البوليس : « إذن فأخبرنى بما عندك من التفاصيل »

فأجابه السكرتير : « لقد اختطف البرنس ورتمبرج »

وقف رئيس البوليس السرى منزعجاً وقال : « لقد سمعت كثيراً عن هذا الأمير وأعتقد أنه من أسرة البوربون . إنك محق بلا شك فإن وراء اختطاف الأمراء أمراً شديد الخطورة »

فأخرج السكرتير من جيبه رسالة برقية وقدمها لرئيسه وهو يقول : « هذه رسالة رئيس البوليس فى باريس »

فتناولها وقرأها وهذا نصها : « لقد اختطف البرنس ورتمبرج والأرجح أنه نقل إلى لندن . يجب أن يعاد إلى باريس قبل يوم المعرض . الجائزة ألف جنيه »

قال الرئيس : « لا بد أن يكون المعرض دولياً ولا بد أن يكون لاشتراك البرنس فيه مغزى سياسى، فهم لذلك يختطفونه. أكتب برقية فى الحال إلى باريس طالباً وصفاً دقيقاً للبرنس »

فأحنى السكرتير رأسه وخرج . وفى اللحظة نفسها طرق الباب طارق ولكنه دخل بغير استئذان

ولما التفت رئيس البوليس كان الزائر قد توسط الغرفة . ولما عرفه وقف مذعوراً وقال :

— رئيس الوزارة الإنكليزية ! ما الذى تأمرون به يا صاحب الدولة ؟ أظنكم جئتم من أجل البرنس ورتمبرج ؟

قال رئيس الوزارة : « كيف عرفتم ؟ لقد أتيت من أجل هذا السبب فابحثوا عن الأمير ولكم جائزة غير التى تعرضها فرنسا ولكن أهم من العثور عليه ومن إعادته ألا يمس أحد شعره أو أذنيه فإنه لا فائدة من إعادته إذا قص شعره أو قطعت أذناه »

دارت رأس الشرطى ولم يكد يفهم معنى لهذا التحذير . ولكنه أجاب على وجه التأكيد : « يا صاحب الدولة سيعاد دون أن يمس بسوء »

وهنا طرق الباب ودخل زائر آخر بغير استئذان، وهو كبير البطن عليه عباءة حمراء ، فاشتد انزعاج رئيس البوليس ووقف وهو يقول: « رئيس أساقفة كونتربرى ! تفضلوا بالجلوس يا صاحب النيافة ... لا بد أن يكون مجيئكم من أجل البرنس ورتمبرج ؟ »

فأشار رئيس الأساقفة على نفسه إشارة الصليب ، ولم يسره كثيراً أن يعرف رجل البوليس السرى الأمر الذى جاء من أجله كأنه من المشتغلين بالسحر . وقال : « نعم لقد جئت من أجله لأن أختى مهتمة أشد الاهتمام بالعثور عليه ، فقد راهنت عليه بعشرة آلاف جنيه . على أن أهم من وجوده فى نظرها ألا يقص شعره ولا تشوه خلقته ولا تزال العلامات الخاصة به ... »

أظهر رئيس البوليس اهتماماً شديداً لما سمع أن الكونتس داسليغ أخت رئيس الأساقفة مهتمة بالبرنس ووعد بأن يبذل كل عنايته . وفى الحال دق الباب مرة ثالثة ودخلت الكونتس فابتدرها رئيس البوليس بقوله : « ... وأنت أيضاً أتيت من أجل البرنس ورتمبرج ؟ »

فقالت : « لقد اختطف هذا الكلب المسكين وأنا مهتمة به أشد الاهتمام »

ارتاع رئيس البوليس من ذكر كلمة «كلب» ولكنه تذكر أنها دوقة تحاول إنقاذ حياة أمير فلا بد أن تكون العلاقة بينهما علاقة حب ، وقد يكون من مقتضيات هذه العلاقة في بعض الأحيان أن تصف المحبة حبيبها بأنه كلب . وقال ليتعرف كنه العلاقة بينهما : « هل أنت تحفلين به كثيراً ؟ »

قالت بلهجة التعجب : أحفل به ؟ إنني ربيته

فغير رئيس البوليس السري رأيه في الحال وقام بروعه أنه ابنها وليس حبيبها كما كان يظن . وقالت الكونتس : « وفضلاً عن ذلك فإني راهنت عليه بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، ولكن أحذرك من أن يقصوا شعره أو يغيروا شيئاً من صفاته »

كان رئيس البوليس لا يزال في حيرته من كون هذه الدوقة أماً لأمير من أمراء البوربون ، ولكن كل شيء محتمل في الحياة وأدرك أن المؤامرة لابد أن تكون كبيرة الأهمية لأن في نجاحها كشفاً لأسرار خطيرة بين الأسر المالكة

وخرج رئيس الوزارة ورئيس الأساقفة وأخته معاً . وبعد لحظات من خروجهم تلقى رئيس البوليس برقية من باريس بصفات الأمير المفقود، فلم تزده هذه البرقية إلا ارتباكا، وفيها أن جسمه طويل وإن شعره أسود كثيف وأن أذنيه طويلتان وأن صوته عميق

قال لسكرتيره : « قل لي بالله كيف يمكن أن نهتدي إليه ، وهذه صفاته كلها مبهمة ؟ »

وقبل أن يجيب السكرتير على سؤال الرئيس وردت برقية من باريس لم تزدهما إلا ارتباكا ، وفيها أن أهم صفة بارزة للبرنس ورتمبرج أن في وسط ظهره خصلة بيضاء من الشعر

قال الرئيس : « على كل حال يجب أن نبحث عنه على أساس هذه الصفات ، ولا بد أن يكون الأمير شاباً أولاً ، لأن الدوقة دعته كلباً ، وثانياً لأنها ربته فلنبحث عنه في مجتمعات الشبان .

وتنكر رئيس البوليس وبدأ بحثه

وفي الأربعة الأيام التالية زار كل مكان في لندن ودخل كل مشرب وكل مكان عام . وكان في بعض المشارب يدخل متنكراً في زي بحار ، وفي البعض الآخر يدخل متنكراً في زي جندي ، وفي غيرها يتنكر في زي قسيس ، وفي غيرها يتنكر في زي أجنبي ولم يعبأ أحد به ، ولم تسفر مباحثه عن نتيجة

وألقى القبض على رجلين لاعتقاد أن كلا منهما هو الأمير ، ولكن أطلق سراحهما في الحال لما ثبت من أنهما سواه

واستأنف رئيس البوليس السري مباحثه وزار بعد منتصف الليل سراً منزل رئيس الوزارة وفحصه غرفة غرفة ، وزار بيت رئيس الأساقفة وبيت الدوقة ، وهناك وجد ما حل الألغاز التي كانت مستعصية على كل طرق الحل ... وجد صورة معلقة على الحائط ، وقد كتب تحتها اسم الأمير ورتمبرج ، ولكن الصورة كانت مع الأسف صورة كلب حقيقي ، وقد توافرت فيه كل العلامات التي ذكرت في برقيتي باريس

صاح رئيس البوليس بسكرتيره : إن البرنس ليس إلا كلباً

ثم هرع كلاهما إلى خارج المنزل والسكرتير يقول لرئيسه : « ألم تصرح لنا الدوقة بأنه كلب ؟ ... على أن كل الصفات لم تكن لتنطبق إلا على الكلاب ... أليس في وسط ظهره خصلة من الشعر الأبيض بين شعره الأسود ؟ أليس يراد قبل المرض ؟ أليس هو موضع المراهنة ؟ »

وفي اليوم التالي ذهبا إلى الدوقة فوجداها على أشد حالات الانزعاج وقالت : « هل علمتما ؟ لقد عرفنا مكانه ووجدناهم قد قصوا شعره وقطعوا أذنيه وغيروا علاماته التي كان ينتظر أن ينال بواسطتها الجائزة الأولى ، وقد ضاع المبلغ الكبير الذي راهنت به عليه »

قال رئيس البوليس السري :

— لا تحزني يا سيدتي فإني سأحصل على الجائزة الأولى فأتنكر وفقاً للوصف الذي وصل إلينا في شكل كلب فأحصل على تلك الجائزة . إنني سأحضر المرض فأربح الرهان ، ومن أمهر مني في التنكر ؟ !

وفي الليلة التالية أرسل رئيس البوليس السري إلى باريس متنكراً في شكل كلب تنطبق عليه جميع العلامات المميزة للبرنس ورتمبرج

قال كل من في المرض : « ما أجمل هذا الكلب وما أذكاه ! » وكان الشبه شديد الإحكام بينه وبين الكلب المفقود ونال الجائزة الأولى . ولكن فاته مع الأسف أن يحصل لنفسه على رخصة كلاب من بلدية باريس فلم يكد يخرج من المرض حتى التقطته عربة الكلاب فأعدم عصر ذلك اليوم

على أن هذه النهاية بالطبع ليست ضرورية في صلب القصة وإنما هي عرضية يجب أن نتذكر على أثر نجاحه في نيل الجائزة .

عبد اللطيف النشار

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾



8ème Année No. 368

Lundi - 22 - 7 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٢ يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

بين المهاجرين والأنصار

كان من أثر الفزْعة الشديدة التي نالت الناس من الغارات الجوية الإيطاليـة أن لجأ سكان العاصمة والثغور ، إلى القرى والعزب والكفور ، يلتمسون الأمن فى ظل الريف الوريف ، وينشدون الهدوء فى حضن الطبيعة المشْبل

وكان الطيار الذى يحلق ذات صبح من هـذه الأصباح المضطربة ، فى سماء مصر الشرقة المخوفة ، يرى الطرق الرئيسية تسيل بحاملات الأنفس وناقلات المتاع بين القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية وبورسعيد ، فلا يجد نوعاً ولا شكلا من عربات النقل أو الركوب التى تسيرها الأحصنة الحيوانية أو الميكانيكية إلا جُمع لهذه الهجرة التى لم تر مثلها مصر فى ماضيها الطويل !

هذه سلاسل من عربات النقل تجرها الخيل أو الحمير فتسير على يمين الطريق وئيدة الكرّ تقعقع عجلاتها مخنوقةً فى التراب ، وتجلجل أجراسها خافتة فى الجو من ثقل ما تحمل من الأثاث و (الـكرار) والماعون …

وهذه قوافل من اللوريات المكشوفة والمغطاة موقرةً بالأثاث الفخم والرياش الثمين ، تهتلك دُروجاً فى وسط الطريق الترب فتثير غماماً من الغبار الخانق يحجب وراءها الأشخاص والأشياء إلى مسافة بعيدة

الفهـــــرس

وهذه أرتال السيارات المملوكة أو المأجورة تَشرَق بمن فيها من النساء والرجال والأطفال، وهي تنتقل من الوسط إلى الشمال، لتخطف طريقها من الكيبونات المنيدة

ولدى كل نقطة من (نقط المرور)، وعلى كل رأس من رءوس الجسور، طوائف من القرويين والقرويات، يُلوّحون بالفواكه والمرطبات، فلا يكاد المهاجرون المفزَّعون يحسونهم، لتوزع قلوبهم بين أهوال الحرب المتوقعة، ومخاوف الحياة الجديدة

***

أشرقت القرى العوابس بألوف من ناشئة النعيم المدني ذوي الوجوه الرقافة والأطراف الناعمة والطرر المصفوفة والبنائق المفوّفة والطرابيش القانية؛ وألوف من نابتة المطبخ الحضري ذوي الوجوه المطهمة واللناديد الضخمة والبطون الشحيمة والجسوم الرهلة؛ وازدانت الأكواخ والمصاطب وحواشي البرك وحفافي السكك برواد الكنتننتال والكرسال وسان جمس؛ واعترى القرى بادئ الأمر من التزايل والازوراء ما يعتري القروية إذا رأت أحد الأفندية على حين فجاءة. ثم أدرك القرويون أنهم ملاذ هؤلاء الضيوف فاستشمروا قليلاً من الجرأة، فخالطوهم وباسطوهم حتى ارتفعت الكلفة بين أهل المهجر وأصحاب الدار، وأصبح بينهم من التعاون والألفة ما كان بين المهاجرين والأنصار

وفي سقيفة من شجر الصفصاف وحطب القطن، بين تل من تلال السماد العطري، ومستنقع من آسن الماء الوَحِل، جلس ذات يوم جماعة من المهاجرين بعد شهر من الهجرة وقد حف من حولهم رجال القرية بين مضطجع فوق الحصا، ومحتبٍ بحضيض التل، ومستند إلى جذع الشجرة. وكان كل رجل من هذه الجماعة قد نال من جسمه الشحوب، وشاع في نفسه السأم، وانتشر على جبينه الأبلج حَبَر البراغيث والبعوض، فهو يتكلم من غير شهوة للكلام، ويجيب من غير تفكير في الجواب، ثم يذهل ذهول شارب الأفيون فلا كلمة ولا حركة.

ولكن الشيخ السنطاوي، وهو رجل أزهري الثقافة سليط اللسان جريء القلب، أراد أن يشفي صدور الفلاحين من هؤلاء المترفين الذين سلبوهم نعمة الله وراحة الدنيا وحق الحياة؛ فقال في خبثه المعهود يسأل أحدهم وهو من الملاك الغلاظ المتأبهين:

— لعلك سعيد يا بك بجمال الطبيعة وبهجة الحقول وصفاء الهواء وهدوء القرية!

ولم يكد الشيخ يتم جملته حتى تحرك ساكن القوم، ثم جاشت حركتهم حتى فارت على ألسنتهم خليطاً من الكلام فيه الضجر والسخر والملام والسب، قالوا:

— أين الجمال وهذه المزابل والزرائب والخرائب والبرك تقذى الأعين؟ وأين البهجة وهذه الأجسام الضاوية والثياب البالية والمساكن التي في بطنها الوحل وعلى ظهرها الروث تقبض الأنفس؟ وأين الصفاء وهذه الدور المنتنة والأزقة القذرة والمراحيض المكظومة تسم الأبدان؟ وأين الهدوء وطنين البعوض والذباب، وتجاوب الكلاب والذئاب، ونقيق الضفادع، ونهيق الحمير، وصراخ الأطفال، تؤلف جوقة من الموسيقى الشيطانية تحطم الأعصاب؟

إن القرية الأوربية خميلة من خمائل الفردوس فيها متعة الحس والعقل والجسم؛ وكان الظن بالقرية المصرية أن تكون قريبة الشبه بتلك. فلما رأيناها أنكرنا أن يكون سكانها من الناس، لأنهم يأكلون ما تعافه الكلاب في المدن، ويشربون ما لا يجوز أن تغسل به الأقدام في المدن، ويعانون من مختلف الأمراض في القرية الواحدة، ما لا يجتمع مثله إلا في المستشفيات المتعددة. فنحن بهجرتنا إلى القرية قد فررنا من موت متوقع إلى موت محقق. لذلك عقدنا العزم على أن نعود إلى القاهرة؛ فإن الموت بالشظايا على دفعة، أخف من الموت بالجراثيم على دفعات

فما كان جواب الشيخ والذين معه إلا أن قالوا بلسان واحد: الحمد لله الذي أراكم بعد العمى، وأنطقكم بعد البكم! لقد خطبنا حتى نشف الريق، وكتبنا حتى جف الحبر، فلم تصدقوا أنكم عمرتم المدينة وخربتم القرية، وأبطرتم الباشا وأفقرتم الفلاح، واتخذتم من عرقنا ودمنا أفناناً من لذائذ البطن أعلاه وأسفله، حتى ضوينا وسمنتم، وفزعنا وأمنتم، وكانت بلية كل أولئك على الإنتاج والدفاع!

ثم افترقوا، هؤلاء ساخطون، وأولئك قانطون! فعسى أن يلتقي هذا السخط وذلك القنوط عند معالي وزير الشؤون الاجتماعية!

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبـارك

الكتيبة الأدبية — دمياط والمنصورة — ا كلوا مين الزمان بعرود الحياة — ياليل ياعين ، ثم ياليل ياعين ، وللأستاذ فكرى أباظة أن يقول ما يشاء !

الكتيبة الأدبية

فى اليوم الثالث من شهر يونية قدَّمتُ إلى وزير المعارف السابق معالى النقراشى باشا اقتراحاً أدعو فيه إلى تأليف « كتيبة أدبية » من رجال المعارف يتطوع فيها المدرسون والمفتشون ، وتكون مهمتهم تقوية الروح القومى وحراسة العزيمة الوطنية من عدوان الأراجيف ، بما ينشرون على صفحات الجرائد والمجلات ، وبما يذيعون من خطب ومحاضرات . ثم قلت :

« ولى مَطلبٌ أوجهه إليك : وهو أن تدعو رجال الأقلام من وقت إلى وقت ، لتشير عليهم بما تراه فى تسديد العزائم الوطنية ، ولتشعرهم بأن الدولة ترى أن القلم من أدوات الجهاد »

وقد أشّر النقراشى باشا على هذا الاقتراح بعبارة كريمة من عبارات التأييد والتشجيع

ومضيت أفكر فى تكوين تلك الكتيبة على مَهَل ، ولكنى سارعتُ فنشرت فى المقطم والأهرام مقالات حماسية فى نطاق الغرض الذى دعوت إليه ، راجياً أن يكون فى ذلك تمهيد لتكوين « الكتيبة الأدبية » وتذكيرٌ لأهل الأدب بواجبهم فى هذا الميدان

فى الأسبوع الماضى وجه الأستاذ أحمد أمين دعوة إلى الكتّاب على صفحات « الأهرام » يقول فيها إنه يرجو من أرباب الأقلام أن يتناولوا بعض المشكلات الحاضرة بالدرس فيتحدثوا عن الهجرة إلى الريف ، وتنظيم الشؤون الاقتصادية بما يضمن السلامة من القلقلة التى تحدثها الحرب ، إلى آخر ما نص عليه من المسائل التى تستوجب الدرس ، فردَّ عليه الدكتور طه حسين فى اليوم التالى بمقال صرح فيه بأن الجرائد تحت رقابة الأحكام العرفية ، وأن الكاتب لا يملك من الحرية ما يساعد على درس تلك المشكلات بصراحة ، وعدَّ السكوت تضحية ! فعجب الأستاذ توفيق الحكيم من ذلك وكتب يقول :

إنه لم يكن يعرف قبل اليوم أن السكوت من التضحيات . فوخزه الدكتور طه وخزة أليمة جاء فيها أنه يدعو إلى الأدب الرخيص فى حين أن الأستاذ أحمد أمين كان يدعو إلى الأدب الثمين ! وانزعج الأستاذ توفيق الحكيم فكتب يرجو الدكتور طه أن يمد الكتابة فى تقوية الروح الوطنى من الأدب الرفيع ، لأنها على كل حال مما يدعو إليه الواجب فى هذه الظروف !

أولئك كتّابنا الأماجد ، وهم قومٌ يمزحون فى غير أوقات المزاح !

فالأستاذ أحمد أمين فى يده مجلة أسبوعية وكان يقدر على معالجة تلك الشؤون منذ اليوم الذى نسب فيه نفير الحرب ، وقد كان مفهوماً أن الحرب لن تترك مصر بلا إيذاء ، فما الذى قهره على السكوت إلى اليوم ، إلا أن يكون تذكر فجأة أن الدنيا فيها أشياء غير الحديث عن أدب المعدة وأدب الروح

وأحمد أمين الغيور على الريف هو نفسه أحمد أمين الذى صرح فى إحدى مقالاته بأن الموت بالقنابل فى القاهرة أفضل من الموت بالميكروبات فى الريف ، وذلك إيحاءٌ أثيمٌ سيَلقى عليه « أطيب الجزاء » بعد حين

أفى الحق أن الريف ليس فيه غير الميكروبات ؟ وكيف أمكن إذاً أن تعيش كل تلك الخلائق فى الريف ؟ وكيف عاش آباؤنا وأجدادنا جميع تلك العصور الطوال ؟

تلك وسوسة سخيفة لا تبلبل غير المتحذلقين . ولو أنصف أحمد أمين نفسه وقلمه لقال إننا فرطنا كثيراً فى حق الريف ، ومن الواجب أن ننتهز هذه الفرصة لنرجع إليه بالتحسين والتجميل ، عساه ينسينا ما تعودناه من القرار الراكد فى الحواضر أيام الصيف

والدكتور طه حسين أمره عَجَب : فهو يدَّعى أن الرقابة لا تسمح له بشىء ، ويدافع عن كسله بأن البرلمان يلجأ فى بعض الأحايين إلى عقد جلسات سرية ، فمن حقه أن ينتظر إلى أن تنتهى الحرب ويستطيع الكتاب أن يقولوا ما يشاءون !

ومن الذى يضطر الدكتور طه إلى الوقوف عند درس المسائل التى لا يعرض لمثلها البرلمان إلا فى جلسات سرية ؟

أتكون كل مشكلاتنا القومية من اقتصادية واجتماعية وسياسية مشكلات لا يتحدث عنها الناس إلا فى الخفاء ؟

أيؤمن الدكتور طه بأن من المحرَّم عليه أن يتحدَّث فى الشؤون التى تصور مستقبلنا بين أمم الشرق وأمم الغرب ؟

أيعتقد أن الحديث عما نفترض لمصر من المصاير الاجتماعية والاقتصادية بعد الحرب أمر قد يستوجب الوقوف أمام المحكمة العسكرية ؟

وما هذا الذي يدّعيه الدكتور طه حين يقول بأن الكتابة فى تقوية الروح الوطنى من الأدب الرخيص؟ ومن الذى أوحى إليه هذه الحكمة « الغالية » ؟ وعمن أخذ القول بأن الحديث فى تقوية الروح الوطنى هو المقصود بالحديث المعاد الذى نهى عنه الحكماء؟

لقد دافع توفيق الحكيم عن هذه القضية ، ولكن توفيق الحكيم رجل قصيرٌ نحيل ولا يقدر أبداً على صدّ غارات طه حسين

للدكتور طه أن ينسحب من الميدان بحجة أنه مشغول بشواغل أدبية تصرفه عن الحرب وأخبار الحرب وما يجب على مصر أيام الحرب . ولو قال ذلك لكان له عذرٌ مقبول ، فالدولة تُطالب كل رجل بالتفرغ لما يصلُح له من الأعمال ، والأديب الذى يُشغل بالأدب الصِّرف أيام الحرب هو أيضاً من المجاهدين ، لأن الجهاد فى سبيل الوطن له ميادين مختلفات ، منها ميدان الأدب الصِّرف الذى يُنسى صاحبه أنه يعيش فى غمرات الحرب . وقد اتفق للدكتور طه فى أحيان كثيرة أن يتناسى المكاره القومية ليتفرغ لعمله الأدبى بالجامعة المصرية ، فما لامه على ذلك لائم ، ولا اتّهمه أحد بالجبن عن الاستجابة لنداء الواجب الوطنى ، لأن الوطن يعرف أن المتفرّغ للأدب الصِّرف هو أيضاً جندىٌّ فى الميدان ، وإن لم يحمل السلاح ويتقدم للقتال

ولكن الدكتور طه يأبى إلا أن يقع فى خطيئتين : خطيئة الدعوة إلى السكوت عن درس المشكلات القومية إلى أن تنتهى الحرب ، وخطيئة السخرية من الكتابة فى تقوية الروح الوطنى بحجة أنها من الأدب الرخيص !

ألاَ يفتح الله عليك مرةً واحدة يا دكتور طه فتكتب مقالاً واحداً يَسلَم من إثم المغالطة والتلبيس ؟

بقيت حكاية توفيق الحكيم ، الكاتب الذى يجمع بين الظَّرف والضَّعف ، وأنا أقترح أن يُمحى اسم هذا الكاتب من سِجِل الوطنية المصرية

هذا كاتبٌ خفيف الروح فى بعض نواحيه ، ولكن روحه يَثقُل جدًّا حين يتحامل على القومية المصرية ، وحين يتوهم أنه من المصلحين ، ومن خلفاء قاسم أمين !

وما ظنكم بكاتب يزعم أن الفكر لا يساوره فى مصر ، وإنما يساوره حين ينتقل إلى الهضاب السويسرية أو الفرنسية ؟

العفو ، يا سيد المِلاح !

فمصر يا أخى فيها منادح للفكر والبيان ، وهى بشهادتك قد عزَّت على عُدوان الغرب وطغيان الشرق ، وقد عجزت المصائب والويلات عن قتل مواهبها الذاتية ، فكيف يجوز لك أن تسخر منها أقبح السخرية فى بعض مؤلفاتك وأنت تعجز عن الرد على كاتب مثل طه حسين ؟

أما بعد فأنا ما زلت أدعو إلى تأليف كَتيبة أدبية تجرِّد ألسنها وأقلامها لتقوية الروح الوطنى لتحوِّل الوطنية إلى عقيدة راسخة لا تزعزعها النوازل والخطوب

وفى الأدب الصِّرف نفسه يتسع المجال لتأييد العقيدة الوطنية ، فالشاعر الذى يتغنَّى بجمال الليل حين يتموّج نور القمر فوق صفحات النيل هو شاعر وطنىّ ؛ والكاتب الذى يتأنق فى وصف ملاعب القاهرة والإسكندرية ودمياط هو كاتب وطنىّ . والباحث الذى لا يَعنيه غير درس مشكلات التعليم هو باحثٌ وطنىّ . واللاعب الذى يقضى أوقاته فى التأهب للاشتراك فى مباراة رياضية هو لاعبٌ وطنىّ . والتاجر الذى يُغلق أذنيه عن الحوادث اليومية ليتفرغ لمصاعبه التجارية هو تاجر وطنى . وطه حسين وأحمد أمين وتوفيق الحكيم يستطيعون أن يكونوا من الوطنيين إذا قَصروا جهودهم على ما يحسنون من الأعمال

اللهمَّ يا بنى آدم أن تعاونوا على إيقاظ الروح الوطنى فى أية ناحية من نواحيه ، وأن يكون لكم شأن فى تحرير البلاد من قيود الركود والجمود

دمياط والمنصورة

وهَتف سائل يقول : ما الذى أوجبَ أن نرى فى مؤلفاتك ومقالاتك إشارات رقيقة إلى دمياط ؟

وأجيب بأنى لم أزُر دمياط إلى اليوم ، ولكنى مُوَكل بالحديث عن البقاع الكريمة من وطنى ، فدمياط من ثغورنا البواسم وكان لها مقامٌ محمود فى صدّ الغارات الصليبية . وما تزال دمياط مرجع طوائف كثيرة من كرائم الأفئدة والقلوب ، ولن أنسى أبداً طغيان البحر والنيل حول دمياط حيثُ غرِق الروح الشفّاف الذى أوحى إلى خاطرى بعض القصائد الجياد

وأخونا الزيات يقيم اليوم بالمنصورة ليتقى الغارات الجوية ،

وأنا والله فى خوف عليه ، وما أخاف الميكروبات التى يخافها أحمد أمين ، وإنما أخاف على الزيات غارات الميون ، العيون الفواتك التى تصاول الآمنين والغافلين ، فتحوّل أرواحهم إلى أقباس أقسى وأعنف من طغيان السعير

وكيف يذوق العذاب من ترحمه المقادير فلا تدلّه على الطريق إلى المنصورة أو دمياط ؟

إرجع إلينا ، يا أحمد ، قبل أن تمضك سمكة من سمكات النهر الذى أعرف وتعرف ، وإلا فانتظر قدومى إليك لأشاطرك النشوة بغناء الملاّحين فى غفوات الليل

ولكن هل عندكم ملاح تذكر أغاريده بأغاريد الملاح الذى سمعته مرة وهو يَصدَح فوق متْن النيل فى الأقصر بهذا النشيد :

قابتْ على جِسر النيـل
قابَلونى اثنيـن حـلوين
آخذ مين وأسيِّب مين ، يا بُوىْ !

وحدثتنا الجرائد بأن النيل يهدر بعنف فى أعالى السودان ، فانتظرنى عندك لأرى معك بعد شهر واحد كيف يَسهُل صيد السمك فوق ذلك الشط بأيسر عناء

أتخاف الحرب ؟ لا تخف ، فأعمار الأشقياء باقية !

وإن عشنا فسنقضى بقية العمر فى التغريد فوق أفنان الجمال

إرجع إلينا يا أحمد ، قبل أن تمضك السمكات بشط المنصورة فقد عرفتُ بالتجربة أنها أفتك من سمكات شط العرب . حرسَكَ الله وحَمَاكَ !

أمِن الإثم هُتافى بالجمالْ فى بلاد كلُّ ما فيها جميلْ
لو بعينى نظر اللاحى وجالْ لرأى الفتنة فى كل سبيل

اكحلوا عين الزمان بمرود الحياة

أنتم تسمعون أن الدنيا كلها فى حرب ، أليس كذلك ؟

بَلَى ! ولكن الحياة لها مطالب روحية وعقلية تنسى الناس أحياناً مخاطر الحرب ، والرجل الضعيف هو الذى تقهره الظروف على أن يكون ريشة فى مهبّ الخطوب . أما الرجل القوى فتصطدم به المصاعب كما تصطدم الموجة العالية بالصخرة العاتية

لقد قَذيتْ عين الزمان فاكحلوها بمرود الحياة ... كونوا أحياء فى كل وقت ، واحذروا أقوال المرجفين الذين يزعمون أن الدنيا لم يبق فيها مجال لطرب الأفئدة وجُموح القلوب

لا تصدقوا الأستاذ فكرى أباظة حين يحدثكم فى المذياع عن عجبه من أن تعجز أعوام الحرب عن قتل تغريدة « يا ليل يا عين » فهذا الأستاذ نفسه لم ينقطع عن الغناء وإن كان صوته « أرخم » الأصوات !

هذه الحرب التى تمانون بلاءها من قرب أو من بعد هى أيضاً شهوة إنسانية أو حيوانية كسائر الشهوات ، والمحرومون من حب الدنيا ومن الهيام بما فيها من نعيم لا يصلحون أبداً للتمرس بالمخاطر فى ميادين القتال

يجب أن تبقى حواسكم كلها سليمة ، حتى حاسة الذوق وحاسة الجمال ، لأن هذه الحواس هى « الجوارح » التى تصولون بها فى ميدان الوجود . وهل يصلُح إنسان للتفكير فى المنافع القومية حين يُشغَل تفكيره فى المنافع الذاتية ؟

الجندىّ لا يصلح أبداً للاستماتة فى الدفاع عن الوطن إلا إذا كانت له فيه مآرب وأهواء ، أما الجندى الفارغ الرأس والقلب من المطالب الذاتية فهو أداةٌ عاطلة لا نفع فيها ولا غناء

زادكم الأول هو مطامعكم ، وزادكم الثانى هو مطامعكم ، وزادكم الثالث هو مطامعكم ، وأزوادكم الأصلية والفرعية هى مطامعكم ، فلا تعيشوا فى دنيا كم بلا أطماع لئلا تنعدم قدرتكم على الجهاد

لا تصدّقوا الذين ينهونكم عن الابتسام للدنيا والوجود

لا تصدّقوا من يزعمون أن مَرَح النفوس فى أيام الحرب من نُذُر الفناء

الدنيا لكم ولسائر المزوّدين بالحيوية والأريحيـة والجذل والابتهاج

فما سكوتُ الشعراء وما سكوتُ المغنّين عن التغريد فوق أفنان الجمال ؟ وما الموجب للدعوة الأثيمة التى تريد أن تحوّل دنيانا إلى ملاطم ومناحات ؟

عزائمكم وأرواحكم وقلوبكم هى الذخائر الباقيـة ، وهى أسلحتُكم فى مقارعة الخطوب ، فلا تُضعفوها باستماع الأراجيف ، ولا توهنوها بالخضوع لخداع الأباطيل

ودّ أعداؤكم لو تنقلبون إلى أشباح بلا عواطف ولا أحاسيس

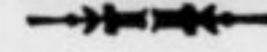
فاحذروا الفتنة ، فتنة الدعوة إلى تسريح الأمانى والآمال

واعلموا أن الرجل الحق هو الذى يعيش فى كل وقت بعواطف الأقطاب من الأحياء .

زكى مبارك

٥ - إلى أرض النبوة

للأستاذ على الطنطاوى



قرأتَ فى المقالة الماضية وصفاً للصحراء ليلها ونهارها وشدتها إذا اشتدت ولينها إن لانت ، على أنها تختصر صفتها ، ويوجز تاريخها فى كلمتين اثنتين هما : الحب والحرب ، فليلها للحب ، ونهارها حرب ، حرب مع الشمس اللاهبة والرمال المشتعلة ، والضلال والموت ، وحرب مع الناس ؛ فإذا أدركك المساء ، ولا يدرك مساءها إلا كل بطل صبار قوى متين ، تفتح للحب قلبك ، فأحسست فيه بشوق إلى الهيام كشوق الظمآن إلى الماء الزلال ، وشعرت كأن البادية كلها ملكك ، فأنت منها فى روضة وغدير ، تعانق بدرها إن لم تجد من تعانقه ، وتسامر نجمها إن أعوزك من تسامره ، ويقبل عارضيك نسيمها الرخى الحبيب الذى يصور لك أنفاس الأحبة ...

أشهد لقد نقّت ليالى الصحراء نفسى ، وصفّتها ، وعلمتها الشعور بجمال القبيح وأنس الوحشة وأغانى الصمت ، فعرفتْ جمال الكون ، فأوصلها إلى معرفة كمال المكوّن ، كما صهرت أنهار الصحراء عزيمتى فألقت عن نفسى أوضار الخوف والجبن والضعف والتردد ، وأشعرتها عظمة الطبيعة وقوتها ، فشعرت بعظمة الطابع ، ولم أكن أعدم النظر فى الآفاق الواسعة ، ولا حرمت التحديق فى المناظر البعيدة ، وإنى لأبصر من شباك دارى دمشق كلها وغوطتها والقرى المنثورة فيها ، لا يغيب عنى من ذلك شىء فأرى فيها نهاية الجمال والرواء ، ولكنى لا أرى فيها طهر الصحراء ولاصفاءها. الصحراء مبسوطة مكشوفة كالرجل الصريح الشريف ظاهرها كباطنها لا تخفى سراً ، ولا تبطن دون ما تظهر أمراً... ليست كالمدن ولا كالرياض ، والله وحده يعلم كم يتوارى خلال تلك الأشجار الزهرة المخضرّة ، وتحت تلك السقوف المزخرفة والقباب والسطوح من رذائل ورزايا ، وكم يسكنها من عوالم الكذب والنفاق والحسد

إن الله حرم الصحراء رواء المدن ، وروعة السهول ، وفتنة الأنهار ، ولكنه عاضها عن ذلك ما هو أحلى وأسمى : جمال الصدق وبهاء الصراحة ، وسناء الإخلاص ، ليس فى الصحراء مثل النيل ولا الفرات تأوى إلى ضفافه ، وتبصر غروب الشمس فى مائه ، وتمخر بالزورق عبابه ، وما فيها إلا برك وغدران قليلة الماء غير دائمة ولا باقية ، ولكنها على ذلك أجل من النيل ، وأجل من الفرات لأنها فى .. الصحراء !

* * *

لست أستطيع أن أترجم لك عمّا لليالى الصحراء من معنى فى نفسى ، لأن لغة الألسنة لا تترجم عن القلوب . وياليتنى أقدر أن أصف لك تلك الكائنات الخفية التى تعيش فى ليالى الصحراء فتخاطب القلوب بما لا تنقله الأقلام

واشهدوا على أنى أوثر الصحراء على كل مظاهر الطبيعة المطبوعة ، إلا الأودية والجبال ، فإن للجبال السامقة ذات الصخور الماثلة كالجبابرة لا تبلغ هامها النسور ولا العقبان ، ولا يسكنها إلا الثلج الأبيض ... والأودية العميقة التى لا يبلغ قرارتها إلا الشلال المتحدر من أعالى الجبال ، ولا يعيش فيها إلا السواقى الحائرة التى تهيم على وجهها ذاهلة لا تصحو إلا على جرجرة أمواج البحر الذى يفتح فاه لابتلاعها ... وإن فى التواء الوادى حتى يضيع الطريق فيه ، وفى اختفاء الشّعب الضيق خلال الصخور ، وفى ضلال الساقية بين الحشائش والحجارة ، لمعنى من معانى المجهول لا ألقاه فى الصحراء المكشوفة العارية ؛ ولكن للصحراء سحرها وجمالها وإنى لأفضلها على السهول والبساتين ...

* * *

سلكنا بعد القُريّات مهامه وفلوات لا يعرف لها أول ولا آخر . ولا أدرى ولا يدرى أحد ممن كان معنا أين موقعها على المصوّر الجغرافى . وكنا كلما زدنا إيغالاً فى الصحراء زادت بنا بعداً عن مظاهر الحياة ، حتى أحسسنا كأن قد ودّعنا هذا العالم ، وكأن دمشق وبغداد والقاهرة صور شعرية تخطر على البال ويدركها الخيال ولكن الواقع خلوٌ منها ، واسترحنا من هموم الاجتماع ومشاغل السياسة وأعباء الفكر واستسلمنا إلى المقادير ، فغدا شعورنا بالحياة كشعور من يرى فى نومه أنه سائر على وجه الريح ، أو مضطجع على صفحة الماء يحمله إلى حيث يشاء ، فإما أن يغرق وإما أن يبلغ ما يريد ، ولكنه على الحالين راضٍ قانع لا يشكو ولا يتبرم

وكان همنا الأكبر أن نتأمل الأرض أو ننظر فى الفضاء لنأمن عثرة السيارة وننجو من الضلال ، وما فى البرية علامة يهتدى بها إلا النجوم ، فعرفت بذلك معنى قوله تعالى : (وبالنجم

هم يهتدون) . وعرفت سرّ اعتماد العرب عليها في تحديد مواقع البلدان حتى أن الشاعر المحتضر ليسرّه أن يرى مهيلاً لأنه يذكره بلاده وأرضه ...

وكنا نمر على الأرض المتماسكة الصلبة فنحمد الله عليها ونسرع . ثم نمر على القاع ، والقاع في عرف البدو أرض طينية كان فيها غدير من ماء المطر لجف وترك فيها شقوقاً وغادرها مستوية كالطبق ، ويسمى القاع في بادية الشام (على طريق بغداد) طليحة ... ونمر على مسيل قد جرف الماء ترابه وأبقى فيه حجارة كباراً وصغاراً ، وهو والشعب شر ما نمر عليه ، والشعب في عرفهم أرض فيها رمل قليل هش ونبات صحراوي ... أو نصعد رابية أو تلة ، وامتدت هـذه الرحلة (من القريات إلى تبوك) أربع ليال ، مررنا فيها على مياه من مياه العرب ، وهي آبار منتنة خبيثة الطعم واللون والرائحة ، تضع المنديل بين فمك ومائها فتاتي عليه مثال الوحل أو ما هو أخبث ، تسمى غطى والميساوية والفجر ، ولم نصادف في هذه الرحلة ماء غير ذلك ...

ولا تسألني أين هذه المياه ، ولا تطلب إليّ تحديداً ولا يقيناً فلست أعرف ذلك ، وإنما أعرف أننا تركنا وادي سرحان عن شمائلنا وسرنا قِبَل الجنوب حتى لاحت لنا عن اليمين جبال عالية ، فأممناها حتى إذا اقتربنا منها سرنا بحذائها على أرض ما رأينا أعجب منها ، فهي أرض سوية متسعة مشينا في طرفها تسعين كيلاً ، فيها حجارة سود دقاق مرصوفة رصفاً كأنها أرض ميدان واسع في مدينة كبيرة فرشت وثبتت بالمداحل ، وهم يسمونها (بسيطة) بصيغة التصغير . وسلوا أهل الجغرافيا يعرفوكم موضعها على المصور ، حتى وجدنا ثغرة في الجبل فدخلنا منها ، فإذا نحن في واد ما رأيت في عمري مكاناً أوحش منه ، وكلما أبعدنا فيه ازدادت وحشتنا ، ولم يكن حولنا إلا الصخور والتلاع والقلل الشامخة ، والوادي يتشعب بنا ويتفرع ، ونحن منفردون بين ذلك كله ، وطال الوادي حتى أمسى علينا المساء فبتنا فيه ، ولم ندر أننا ضالون حتى أصبحنا غداة الغد ، فخالط قلوبنا الرعب من أن تكون خاتمة مطافنا أن ندفن في بقعة لا يمر فيها إنسان ونحرم قبراً يستوقف السالكين ، ويستجديهم دعوة صالحة .

وكانت ساعة يأس أحيت في نفوسنا الماضي الذي ظننا أنا نسيناه فتلفتنا بالقلوب إلى دمشق فإذا نحن منها على مسيرة سبع ليال بالسيارة ، ولكن ما إليها من سبيل ، فجعل كل منا يذكر أهله وأحبابه ، ويتخيل ماذا يحل بهم من بعده ، ويتصور بردى يجري زاخراً دفاعاً ونحن نكاد نموت عطشاً لأن الماء الذي معنا قد شح ونفد إلا الأقل منه احتبسه الأقوياء منا ، وبلغت المسألة مبلغ التنازع على الحياة ، ولم يبق إلا الأثرة الشنيعة أو الإيثار البالغ . وحار الدليل وأظهر حيرته حين لم يعد مكان لإخفائها .

وكان يدع السيارة في قعر الوادي ويصعد قمم الصخور ينظر فلا يرى شيئاً ، فيعود فيسير بنا على غير هدى ، حتى نظر مرة وكان ذلك في مساء اليوم الثاني لدخولنا وادي الموت هذا ... فلمح جبلاً فهلل وكبّر وقال : وصلنا . . . هذا شَرَوْرَى !

وشروري جبل قريب من تبوك أظن أن (ياقوت) قد ذكره . فسرنا إلى الليل وشروري مكانه عند الأفق لا يدنو ولا يريم ، فنزلنا للمبيت ... وعاودنا السير من الصباح فاخترقنا الجبل وهبطنا إلى جوف الأرض حتى وصلنا إلى موضع رأينا فيه جبلاً عظيماً يسد الوادي فتشاورنا فلم نجد بداً من صعوده بالسيارات وما نحمل من الأثقال ، فجعلنا نصعد وندور ونحتال على الارتقاء حتى إذا بلغنا القمة بعد مخاوف ومتاعب لا ينفع معها وصف. نظرنا تحت أرجلنا ، فإذا في الحضيض الأوهد البعيد فضاء فسيح كالبحر ، في وسطه سواد ، كأنه باخرة ماخرة ، فقال الدليل مشيراً إليه . هذه تبوك !

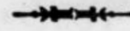
علي الطنطاوي

* * *

حاشية : لعل في القراء من أحس أن بين المقالة المنشورة المرقومة بـ (٣) والتي قبلها كلاماً منقطعاً ، فليعلم أن بينهما مقالة لم تنشر . وأكبر الظن أنها قد قطعت عن الوصول . « الرسالة » : نعم ، لم تصل

يوم البعث . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر



إن أحدنا لتستبد به فى بعض عمره فترات يجد فيها الحياة قد وقفت فى دمه كالجدار المصمت لا تميل ولا تنثنى ولا تتحول، ويجد النفس متهاونة لا ترف رفة واحدة تشعر العقل أن الحى الذى فيه لا يزال حياً يعمل، ويجد الدنيا كأنها بساط ممدود يمشى فيه بعينيه، ولكن البساط لا يمنحه حركة من همود وسكونه وانعدام الحياة ذات الإشعاع فيه. ويتمنى أحدنا يومئذ أن تحل بأيامه قارعة تملأ عليه الزمن ضجيجاً وزءاعاً، عسى أن يتحول كل ما يجده من الفتور إلى نشاط ويقظة وخفة تبعث ميت نفسه من رمس الحياة الخاملة

وهذا العارض إذا ألم جعل الأيام مقعدة تزحف فى زمانه زحفاً بطيئاً مرهقاً كأنها أمسكت على مرفأ الحياة بسلسلة ربوض، ويجعل الحى يعيش فى كذب وباطل وفراغ من الروح، أى فى حيرة وقلق وملل، فإذا حار وقلق ومل، جاءت أعماله كلها جسداً لا ينبض نبض الحياة، وكذلك يختلف ما بين الحى وعمله، ويقف أحدهما من الآخر موقف المثال العاجز من تمثاله، يقول له: أين أنا فيك أيها التمثال الغبى؟ فيجيبه الصامت البغيض: أين أنت فى نفسك أيها الأحمق؟

الحياة هى حركة الروح فى العمل، فإذا خلا العمل، فلم تتمثل فى كل أحنائه حركة الروح العاملة، فذلك دليل على أن الروح مضروبة بالموت أو ما يشبهه، وأنها قد فقدت شرطها ونمتها وحقيقتها، وأنها إن عاشت على ذلك فستعيش فى قبر منصوب عليها فى تمثال إنسان. وإذا بلغ الإنسان ذلك أربقت كل إنسانيته على أيامه المقفرة فلا يثمر، فإن يثمر فما يطيب له ثمر، وإنما هو حسك وأشواك وحطب وكل ما لا نفع فيه إلا أذىً وبلاء عليه وعلى الناس

وكما يكون ذلك أمر الفرد الواحد، يكون هو أمر الأمة من الناس، والجيل من الأمم، فإن الفرد هو خلاصة الجماعة وأصل الجماعة. فالأمة تصاب بمثل الفترة التى يصاب بها الواحد منها، ولا يمنع ذلك أن يكون فى بعضها ما يخرج على ضرورة هذا العارض من الفتور الذى وصفناه. وعندئذ تتمنى الأمة أن تنزل القارعة لتهز الجو الذى تعيش فيه هزة مدوية بجلجلة، ترمى فى سمع أبنائها الصوت الموقظ الذى يفزع عليه النائم ينفض عن نفسه الخمول والأحلام الهائمة والأمانى الباطلة المكذوبة

وقد عاش الشرق من قرون طويلة وهو يجد الحياة من حوله فاترة ساكنة بليدة ميتة الظلال عليه، وجاء بعض أبنائه من سراديب الفكر البعيدة يصرخون ليوقظوا الأحياء الذين ضرب على آذانهم بالأسداد، وغشاهم النعاس عجزاً وذلاً ومهانة، ولكن هؤلاء رجعوا وارتدوا، ولم يسمع الناس، وإنما سمعوا هم صدى أصواتهم وهى تتردد فى قفر خراب موحش

أما اليوم الذى نحن فيه، فقد جاءت الشرق القارعة التى حلت بديار الناس وبدياره، وهو يسمع صليل صواعقها بأعصابه كلها لا بآذانه وحدها، وهو يفيق من نومة طويلة على ما لا عهد له بمثله. فهل يحق لنا أن نؤمل أن هذا الصليل المفزع سيجمل الشرق يلمّ ما تشعث من حياته ليستقبل حياته الجديدة قد جمع قواه للنهضة والوثبة والانقضاض على أوثان المظالم القديمة التى نصبت فعبدها من عبد ممن خشعوا وذلوا، وطمعوا فى رحمة الطواغيت فما نالوا — على أوهامهم — إلا فُتاتاً من موائد هذه الطواغيت المتوحشة المستبدة الطاغية؟

إن الشرق اليوم يجب أن يسأل سؤالاً واحداً يكون جوابه عملاً صارماً نافذاً لا يرعوى دون غايته، وهذا السؤال هو أول سؤال ينتزع إنسانية الحى من الموت الفادح، إذا كان الدافع إليه هو رغبة النفس فى تحقيق إرادتها تحقيقاً لا يبطل. من أنا؟ هـذا هو السؤال؛ فإذا أخذ الشرق يسأل يحاول أن يصل إلى حقيقته المضمرة فى تاريخه، فهذا بدء النصر على الأيام الخاملة التى غط غطيطه فى كهوفها المظلمة

ولكن البحث عن الحقيقة هو أبداً أروع شىء وأخوف شىء، فإن السائل شاك حائر، فإذا لم يستعن فى حيرته بالسداد فى الرأى وطول التقليب وحسن الاختيار وبالله التوفيق، فإن السؤال سوف ينزع به وينبث عليه ويأخذه ويدعه حتى تتحطم قوته على جبل شامخ قد انغرست فيه أشواك صخرية من الحصا

المسنون ، ويرجع مجرّحاً ندى جروحه ، يتألم ويتوجع ويشتكي قد أعياه الصبر على الذى يلقاه من أوجاعه

فحاجتنا في البحث عن الحقائق التي يتطلبها هذا السؤال ، أن نتدرع بقوة اليقين مما نحن مقبلون عليه من مجاهله ومنكراته، وأن نستجيش للنفس كل ما يزعها ويكفها عن الشك والتردد ، وأن نقبل على دراسة أنفسنا بفضيلة المتعلم المتواضع ، لا برذيلة المتعالم المتشامخ ، فإن بلاء المتعلم والدرس هو كبرياء الحمق وغرور ذوى العناد والمكابرة

والأمر كله الآن بيد الشعب أفراداً أفراداً ، فإن العادة المستقبحة في هذا الشرق أنه يكل كل أمره إلى حكوماته التي أثبتت بوجودها إلى اليوم أنه لا وجود لها في حقيقة الحياة الشرقية . فالحكومات لا تستطيع أن تضع في روح الشعب هذا الإلهام الإلهي السامي الذى يشرق نوره على الإنسانية فيجلى لها طريقها ، وينفى عنها خبثها ، ويغسلها بأضوائه المنهلة من أعراض البلادة وجراثيم التفانى والانقراض

ليس لشرقي أو عربي بعد اليوم أن يقف مستكيناً يقول لحكومته : إفعلى من أجلى يا حكومتى العزيزة !! بل يجب أن تكون كلمته : اعملى يا حكومتى فإذا أسأت فأنا الذى سيصحح أخطاء أعمالك الرديئة ! ويجعل كل أحد منا همه سامياً إلى غاية ، وأمله معقوداً بغرض ، ويبيت ليله ونهاره يتدارس في نفسه وفى أهله وفى عشيرته وفى شعبه ، وفى التاريخ النبيل ، وفى التراث المجيد — حقيقة ما يجب أن يتعرفه من شعب هذا السؤال الواحد : من أنا ؟ ؟

والدعوة الجديدة إلى اليقظة الشرقية والعربية والإسلامية يجب أن تقوم على إثارة الشعب كله ليسأل كل أحد نفسه هذا السؤال : من أنا ؟ فالعالم والأديب والشاعر والفيلسوف والعامل والصانع وأعضاء الأمة على اختلاف منازعهم ونوازعهم يجب أن يشعروا في قلوبهم بحاجتهم إلى هذا السؤال ، وأنهم موكلون به لا يهدأون ، وأنهم دائماً في طريقهم إلى جمع الحقائق للجواب عن هذا السؤال الواحد

أما قيام الدعوة على البحث عن طرق الإصلاح وأساليب الإصلاح وتحقيق ذلك بالطرق العلمية . . . إلى آخر ما يقال في هذا الباب من القول ، فما يجدى على الأمة شيئاً إلا ما أجدى قديم ما رددوه ولا كوه ومضغوه من الآراء التي عانوا وضعها ، فلما وضعوها ماتت في المهد . وليس يمنع البحث عن مثل هذه الأشياء أن نكون أول ما نكون سباقين إلى الأصل الذى يجب أن تقوم عليه هذه الأشياء كلها

إن الأمم لا يُصلحها مشروع ولا أسلوب من الحكم ، ولا باب من الإصلاح ، وإنما يحييها أن يكون كل فرد فيها دليلاً — بما فيه من الحركة النفسية — على أن الحياة التي يعيشها هي إثبات لوجوده . ولا يثبت الوجود للحى إلا بقدرته على الاحتفاظ بشخصيته ، ولا يحتفظ المرء بشخصيته إلا أن يكون قد استوعب فهم ما يستطيع من حقيقة هذه الشخصية ، وهو لا يفهم هذه الشخصية إلا أن تكون كل أفكاره متنبهة لتحليل كل شيء يعرض له ، وذلك حين يكون كل همه في البحث عن أشياء هذا السؤال الواحد : من أنا ؟

فإذا استطعنا في هذه الساعة الهائلة من تاريخ العالم وتاريخ الإنسانية أن نجعل طبقات الشعوب الشرقية تثور ثورتها على الفتور والجهل والغباء والبلادة وقلة الاحتفال بالحياة ، وأن نجعل سلاح الثورة على أحسنه وأجوده وأمضاه في هذا السؤال ، فقام كل أحد يسأل بمن أنا ؟ فتجديد الحياة في الشرق حقيقة لا مناص للعالم بعدها من الاعتراف بأنها واجبة الوجود على الأرض . وأما إذا انطلقت مع أحلام النوم وفلسفة الأحلام ، وجعلنا نلبس مسوح العلماء والمفكرين ، وجلابيب الوقار والسمت ... أى البلادة ! فقد هلك على أيدينا من كان حقه علينا أن نجعل هذه الأيدى خدماً في حاجاته ومرافقه

إن من المراء أن تأتى مجلس قوم من بلداء المهندسين قد اختلفوا في الأرض : هل تصلح لوضع الأساس أو لا تصلح ؟ فتحدثهم أنت أن الرأى أن يتحولوا إلى مكان آخر من صفته ومن نعته ... مما يصلح عليه البناء ! فإن هؤلاء إذا بدأوا أمرهم بالاختلاف على ما يجدون عنه مندوحة ، فاعلم أنه لا فلاح لهم ، وإنما الرأى أن تتحول أنت عن هؤلاء البلداء إلى من تجد عنده من الانبعاث إلى العمل ما لا يجد معه وقتاً يضيعه في ترجيح بعض ما يختلف عليه على بعض آخر

فالطريق الآن إلى الحياة الجديدة أن يتحول الشرق عن

أصحاب الاختلاف والمنابذة وعلم الآراء التي يضرب بعضها وجوه بعض تناقضاً وتبايناً وافتراقاً ، وأن يصغى إلى حنين النفوس المتألمة التي تحن وتئن من أشواقها ، فيتجاوب حنينها نغماً روحياً فيه حركة الحياة ، وحرارة الوجد ، وأضواء الأمل . وعندئذ يستجيب القلب للقلب ، وتستمد الروح من الروح ، وتثور الأشواق الخالدة في القلوب الطامحة والأرواح السامية ، وبذلك تستحث الحياة الحياة إلى الغاية التي يرمى إليها الشرق بأبصاره من تاريخه ومن وراء التاريخ

إن عمل العامل في أول الطريق غير عمله في آخره ، فنحن سوف نبدأ — وسنبدأ بإذن الله — ، فعملنا الآن هو إنقاذ أرواح الملايين من الموت ومن الفتور ومن الكسل ، وليس عملنا أن نضع الأسس العلمية أو السياسية أو الأدبية لأرواح موات لا حركة فيها ولا انبعاث لها . وما جدوى علم لا روح فيه ؟ أو سياسة لا نشاط فيها ؟ أو أدب لا قلب له ؟

إن عمل من يريد أن يعمل اليوم هو أن ينفخ في صور جديد يكون صوته فزعاً جديداً مع الفزع الأكبر الذي نحن فيه ، حتى تنبعث الأمم الشرقية من أجداثها ثائرة حثيثة قد احتشدت في ساحة الجهاد تلمع قسماتها بذلك اللهيب المتضرم الذي يتوقد بالأشواق ، وتلمح نظراتها لمحاً بالشعاع الظامئ المتوهج بالأماني المرهفة المتسعرة ، وتتجلى في كل عضو منها تلك القوة المعروفة في العضلات المفتولة ، يخيل لمبصرها أنها تكاد تنفجر من ضغط الدم في أنهارها وأعصابها لو لا ما يمسكها من جلدة البدن

يومئذ يكون جواب الشرق عن سؤاله : من أنا ؟ عملاً صامتاً لا يتكلم ، لأنه لا يضيع أيامه في إسماع الزمن الأصم أساطيره الباطلة التي يرويها عن أحلام البلادة والجهل والخمول .

محمود محمد شاكر

الفروق السيكلوجية بين الأمم

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق الذكائية

فى سنة ١٩٢٨ دعت وزارة المعارف المصرية الدكتور كلاپاريد أستاذ علم النفس بجامعة جنيف لدراسة حال التعليم فى مصر ومعرفة مواضع النقص فيه، واقتراح الإصلاحات الضرورية للمناهج وطرق التدريس ونظام المدارس على أسس من التربية وعلم النفس. وكان مما قام به الأستاذ هو إجراء بحوث اختبارية فى الذكاء على طوائف من التلاميذ فى جميع مراحل التعليم لمعرفة مستوى ذكاء التلميذ المصرى واتجاه نموه العقلى. وقد أجرى الأستاذ فعلاً عدة تجارب - بمساعدة عدد من الأساتذة المصريين - لقياس الذكاء، واستخدم أنواعاً مختلفة من المقاييس من بينها مقياس(١) الدكتور بالارد. وكان هذا المقياس قد جرب فى انجلترا وفى البلجيك وقُنّن. ولكن الأستاذ أدخل عليه بعض التعديلات ليناسب الناشئة المصرية. وقد أظهرت النتائج التى أسفرت عنها اختبارات الذكاء أن مستوى الذكاء عند التلاميذ المصريين — ما عدا البنات اللواتى تتراوح أعمارهن بين الثامنة والعاشرة — أقل بكثير من مستوى الذكاء عند التلاميذ البلجيك والإنجليز

وقد استرعت هذه النتيجة انتباه الدكتور واهتمامه، فجعلته يحاول معرفة هذا التأخر الذكائى، فذهب يفرض له فروضاً، وشرع فى درسها، وكان من بين الفروض التى افترضها ورفضها أن سبب هذا النقص هو انحطاط فى فطرة الطفل المصرى. وهو يقول فى تقريره: «هذا وليس فى الأسباب ما يحدو بنا إلى الاستناد إلى الغباوة الفطرية كخصيصة فى الطفل المصرى، لأننا إذا راعينا النتائج الفردية، ولم نقتصر على المتوسطات وحدها، فإنا واجدون فى جميع أدوار أعمار الأطفال طائفة من نتائج اختبارهم أحسن ما تكون. وفى هذا ما لا يبرر الاستناد إلى الانحطاط الفطرى» ثم هو يذهب فيبحث فروضاً أخرى ويرى «أن تأثير الوسط المحيط هو ما يصح الاستناد إليه فى كثير من الوثوق والتأكد لتعليل ذلك الانحطاط. فقد دل عدد كبير من البحوث التى أجريت على أن مستوى عقل الطفل يترتب إلى حد ما على الوسط الاجتماعى الذى يمت إليه بصلة ما، وعلى وسطه العائلى الخاص أيضاً. وبدهى أن الأطفال الذين فى أسرة مثقفة يعلو مستواهم على مستوى غيرهم» ثم يعود الدكتور فيؤكد أن الوسط تقع عليه إلى حد كبير مسئولية رداءة النتائج العامة التى وصل إليها فى اختبار ذكاء الطفل المصرى، ومقارنتها بذكاء الطفل الأوربى، ويشير إلى سبب آخر من أسباب الانحطاط الذكائى خاص بالتجارب التى أجراها، ويقول: «إن نصف النتائج التى حصلنا عليها عن أطفال وشبان من تلاميذ المدارس الأولية والفنية أو مدارس المعلمين الأولية، أى من وسط اجتماعى متواضع. وقد قلنا إن نتائجهم أحط بكثير من نتائج المدارس الابتدائية والثانوية باعتبار التساوى فى السن بينهم جميعاً، وأنها كانت لهذا السبب باعثاً على هبوط التوسط العام. ولا شك فى أن ما أبدته اختباراتنا من نقص النمو العقلى يعزى فى بعضه إلى هذه الحال. والواقع أن الأطفال والشبان المصريين من الطبقات الدنيا تنقصهم الأسباب المنشطة للعقل، والبواعث التى تستثير دفين الذكاء، كما تنقصهم لتفتيق أذهانهم تلك الفرص التى كثيراً ما تسنح للأطفال الصغار الأوربيين فى حياتهم»

ساهم الأستاذ القبانى بنصيب وافر فى إجراء الاختبارات التى قام بها الدكتور كلاپاريد ومراجعة نتائجها، ولكنه لم يقتنع بصحة هذه النتائج، لأنه كان شاكا فى صلاحية مقياس بالارد لاختبار ذكاء التلاميذ المصريين، للاختلاف الكبير بين البيئة المادية والاجتماعية المصرية وغيرها من البيئات الأوربية، وهذا ما يجعل الأسئلة التى يختبر بها ذكاء التلاميذ الإنجليز أو البلجيك لا تناسب بالضرورة التلاميذ المصريين. من أجل هذا اتجهت عناية الأستاذ لدراسة الذكاء المصرى، فأجرى عدة بحوث كانت أغراضها: التحقق من صلاحية كل سؤال من أسئلة بالارد لاختبار الذكاء فى مصر، وحذف الأسئلة التى يثبت عدم صلاحيتها وإضافة أسئلة غيرها لتكوين مقياس مصرى للذكاء، وإجراء هذا المقياس الأخير على تلاميذ المدارس الابتدائية ومن فى مستواهم للوقوف على حقيقة عقليتهم(١). وقد نجح الأستاذ فى تحقيق هذه

(١) Group Tests of Intelligence, by P. B. Ballard

(١) هذا اقتباس من كتاب «مقياس الذكاء» فى المدارس الابتدائية بالقاهرة للأستاذ اسماعيل القبانى

الأغراض ، وكأنه بعمله هذا أراد أن يختار من التلاميذ المصريين من تشابه بيئته — المدرسية والاجتماعية إلى حد ما — بيئة التلاميذ الأوربيين ، حتى تكون المقارنة بين متوسط الذكاء المصرى والذكاء الأوربى مقارنة عادلة . وقد كشفت اختبارات الأستاذ عن متوسط ذكاء تلاميذ المدارس الابتدائية أرقى من ذلك الذى وصل إليه كلاپارير ، كما أيدت اختباراته نظرية تأثير الوسط فى الذكاء ، فقد وجد أن المدارس التى يغلب على تلاميذها أن يكونوا من أوساط اجتماعية راقية تتفوق فى الذكاء فى كل عمر على المدارس التى يغلب على تلاميذها أن يكونوا من أوساط اجتماعية متواضعة ، وأن الفرق بين ذكاء هذين النوعين من المدارس ليس كبيراً إذا قيس بالفرق بين متوسط ذكاء كل منهما ومتوسط ذكاء المدارس الأولية

رأينا إذاً كيف تتعسر المقارنة بين متوسط ذكاء أمة ومتوسط ذكاء أمة أخرى لاختلاف البيئات ، هذا الاختلاف الذى له أثره فى تنشيط الذكاء الفطرى وشحذه ، ولصعوبة إيجاد « عينات » ممثلة كل التمثيل لأفراد الأمة وأوساطها المختلفة تجرى عليها اختبارات الذكاء . وعلماء النفس يدركون هذا التعسر ويُقرّونه ، ولكنهم بالرغم من ذلك حاولوا التغلب عليه ودراسة الفروق الذكائية بين الأمم ، فالتجارب التى أجريت فى الولايات المتحدة لقياس ذكاء الزنوج ومقارنته بذكاء الأمريكيين البيض أسفرت عن أن الزنوج أقل ذكاء من الأمريكيين فى كل المقاييس التى تتطلب حل معضلات معنوية مجردة abstract بينما يقربون من الأمريكيين أو يشابهونهم فى الذكاء الذى يحتاج إليه فى حل المعضلات العملية أو المحسوسة ، كما تدل على ذلك نتائج المقاييس العملية Performance Tests ومما لا جدال فيه أن القدرة على التفكير المعنوى المجرد والحكم تتأثر إلى حد كبير بالتربية والثقافة العامة ، ونوع العمل الذى يقوم به الفرد . ومهما يكن السبب — وراثياً أو بيئياً — فالحقيقة الواقعة هى أن الزنوج أحط ذكاء كجماعة من الأمريكان البيض

فى أثناء الحرب الكبرى الماضية قيس ذكاء أفراد الجيش الأمريكى ، وكان من بينهم جماعات ذوو جنسيات أوربية مختلفة : انجليز ، وهولانديون ، ودنماركيون ، وإيطاليون الخ . وقد استغل علماء النفس نتائج اختبارات الذكاء فى معرفة ما إذا كانت هناك فروق ذكائية بين الأمم الأوربية ممثلة فى جماعات الجيش الأمريكى . درست النتائج دراسات إحصائية مطولة ، وكان ترتيب الأمم ترتيباً تنازلياً بحسب الذكاء هو[1] :

(١) انجلترا (٢) اسكوتلندا (٣) هولندا (٤) كندا (٥) ألمانيا (٦) الدانمراك (٧) السويد (٨) النرويج (٩) إيرلندا (١٠) النمسا (١١) تركيا (١٢) الروسيا (١٣) البلجيك (١٤) اليونان (١٥) إيطاليا (١٦) بولندا

والتأمل فى هذا الترتيب يرى أن سكان الأقطار الأوربية الشمالية (الجنس الشمالى) أذكى من سكان الأقطار الأوربية الوسطى (الجنس الألبى) وهؤلاء أذكى من سكان أقطار البحر الأبيض المتوسط . وقد وجِّهت انتقادات كثيرة لهذه النتيجة السابقة ، أهمها هو أن هذا الترتيب لا يصح أن يؤخذ على أنه ترتيب للذكاء الفطرى عند هذه الأمم . وهذا انتقاد وجيه ، ولكن أقل ما يدل عليه هذا الترتيب هو مقدار تأثير التربية المدرسية والثقافة الاجتماعية فى إظهار ذكاء الأمم

وثمة اختبارات أخرى أجريت على صبيان ولدوا فى الولايات المتحدة وآباؤهم من جنسيات مختلفة ، وكانت أعمارهم تتراوح بين الخامسة والنصف وبين الثامنة عشرة . وكان هؤلاء الصبيان يتعلمون فى المدارس العامة Public Schools[2] . وقد بلغ عدد من اختبر ذكاؤهم ٥٥٠٤ تلميذ ، وكانت تربيتهم المدرسية متشابهة بصفة عامة ، كما كانوا يعيشون فى بيئات متجاورة ومتقاربة الثقافة . وكانوا جميعاً يعرفون اللغة الإنجليزية بجانب لغتهم الأصلية . وقد رتبت نتيجة ذكائهم ترتيباً تنازلياً ، فكان الترتيب كما يأتى :

اليهود البولنديون ، السويديون ، الإنجليز ، اليهود الروس ، الألمان ، اللتوانيون ، الإرلنديون ، الكنديون البريطانيون ، الروس الخلص ، البولنديون الخلص ، الإغريق ، الإيطاليون ، الكنديون الفرنسيون ، البرتغاليون . وسأترك للقارئ المقارنة بين هذه النتيجة ونتيجة الاختبارات السابقة لها

هذا وخلاصة القول هى أن علماء النفس متفقون على أن الاختبارات التى أجريت حتى الآن تدل على وجود فروق ذكائية بين الأمم المختلفة . ولكنهم مختلفون فى سبب هذه الفروق ؟ أهى فطرية جنسية ، أم بيئية ثقافية ، أم هما معا ؟ والجمهور على الرأى الأخير .

عبد العزيز عبد المجيد

(١) هذا الترتيب مقتبس من كتاب A Study of American Intelligence, by C. Brigham

(٢) الاصطلاح Public schools فى انجلترا يعنى مدارس أولاد الأعيان ، وفى أمريكا يعنى مدارس أولاد العامة

لمح وجيزة عن

كتاب الديارات

لأبي الحسين علي بن محمد الشابشتي

للأستاذ صلاح الدين المنجد

... وبعد فهذا كتاب جليل، حوى ما طَرُف من أخبار الأُدباء وما لَطُف من سِيَر الشعراء وما فُقد من أحاديث الندامى وأفاكيه الأمراء في العصر العباسي الأول، سمّاه صاحبه «كتاب الديارات»[1]، وجعلها سبيلاً إلى سرد ما حفظه من أخبار أهل الأدب وطرائفهم؛ فجمع فيه ما لا تجده في غيره من الكتب. فهو مؤلَّف ثمين جدير بأن ينوَّه به ويكتب عنه

كيف عثرنا عليه

عنيت منذ زمن طويل بدراسة أثر الأديار في الأدب العربي، فقد كان أهل بغداد يعيشون في عالم مِلؤه الهدوء والسلام، ساجين في النعيم، غارقين في اللذائذ واللهو والمجون. وكانت الديارات من المواطن التي يحلو فيها الغناء والشراب، وتصفو بها القلوب والنفوس. وكان يرتادها خلعاء الشباب ومترفو الناس، ومُجّان الأمراء والشعراء؛ يجدون فيها ما تشتهي الأنفس من خمر ولذة وجمال. وكان أهل هذه الديارات يرحبون بالطُرّاق: يهشون لهم ويأنسون بهم، ويعطونهم من أنفسهم وأموالهم ما يشتهون، ليفتنوا المسلمين عن دينهم ويوجهوهم وجهة كلها فتون ومجون وإغراء، فكان الشعراء ومن اتبعهم يهتزون لمرأى الراح والريحان والبيض الحسان، فيجيش في صدورهم الشعر، ولكنه شعر رقيق فيه صفاء وملؤه أنغام، وصفوا فيه الدير والديار، والقسّان والنلمان، والعذارى والمتبتلات، والصليب والناقوس، والخمر والنديم، والمسوح والصلاة. فقد وجدوا في هذه الأديار عالماً جديداً فيه بشر وانطلاق وسرور وحبور وسع الأخيلة وأبهج النفوس

وقد أورد ياقوت في معجمه طرفاً من الأشعار التي قالها روّاد تلك المواطن. وقد نقل عن «الشابشتي» مؤلف هذا الكتاب كثيراً. ثم جمت ما ذكره صاحب مسالك الأبصار في الديارات وأهلها، ووددت لو أقع على نسخة من كتاب الشابشتي، حتى زرت مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق، وعثرت فيها على نسخة فوتغرافية له، أخذت عن نسخة مصورة أخرى في الخزانة التيمورية. وكان أحمد تيمور باشا قد أرسل فصوّرها عن نسخة خطية فريدة موجودة في خزانة برلين تحت رقم (١١٠٠)

قرأت الكتاب فأغرتني طريقته ونوادره وأخباره، وما ضم من أحاديث مفقودة وأشعار رقيقة مجهولة، وتراجم شعراء جمعوا بين الرقة والعذوبة فأتوا بشعر منه المطرب ومنه الراقص، فنسخت الكتاب، وعزمت على تحقيقه وفهرسته وشرحه وجمع ما ضاع منه وحفظته الكتب الأخرى، وبدأت العمل منذ شهور وشهور، ووضعت للأديار مخطَّطاً يبيّن مكان كل منها. على أني لاقيت في تحقيقه العناء والبلاء، ولا يعرف الجهد إلا من يعانيه، ولن يمضي إلا القليل — إن شاء الله — حتى يكون الكتاب جاهزاً

أول من نوه بالكتاب

وأول من نقل عن هذا الكتاب ونوه به هو السيد حبيب الزيات، فقد أخرج للناس في تموز من عام ١٩٣٥ عدداً خاصاً من مجلة «المشرق» الكاثوليكية في بيروت عن «الديارات النصرانية في الإسلام»، فنقل عنه نقولاً كثيرة وبحث في الديارات ونشأتها وأهلها. ولكنه لم يتجرد في بحثه عن تعصب وافتراء، شأنه في مباحثه التي يديرها حول النصرانية وأهلها وأمورهم في الإسلام. على أنه نوّه بالكتاب وقال عنه: إنه جدير بالخدمة وجدير بالتحقيق

وصف الكتاب

والكتاب يقع في (١٣٥) صفحة فوتغرافية، كل صفحة ضمت صفحتين من صفحات الكتاب الأصلية، فيكون عددها إذن (٢٧٠) صفحة، في كل صفحة – على الغالب – خمسة عشر سطراً، وقد كتبت بخط شديد الشبه بالنسخي، مضبوط قليل

(١) الديارات والأديار والديرة ج دير؛ قال اللسان: والدير خان النصارى. وقال ياقوت ج ٢ ص ٦٣٩: والدير بيت يتعبد فيه الرهبان

الأخطاء ، أسقطت منه الهمزات ، كما أسقطت منه « التعقيبة »[1] في كثير من الصفحات ، وما وضع منها فهو بخط يختلف عن خط الناسخ . وقد سقطت من أوله أوراق كثيرة فيها ذكر ديارات الشام . على أن في ياقوت ومسالك الأبصار نقولاً عن الشابشتي تتعلق بها

أما الصفحة الأولى منه فلم يظهر فيها إلا :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد

ثم يلي ذلك جمل مضطربة سقطت بعض كلماتها ، وحروف وأرقام ، ثم يبتدأ الكتاب بما يلي :

« الدار التي بناها الديلمي أحمد بن بويه بباب الشمّاسيّة . وموقعه أحسنُ موقع . . . وهو نَزِهٌ كثير البساتين والأشجار . . . الخ »

وفي آخر صفحة منه :

« تمّ كتاب الديارات بحمد الله وعونه وقوته وحسن توفيقه . ووافق الفراغ منه في ليلة صباحها يوم الخميس السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وستماية » .

« كتبه العبد الفقير إلى رحمة الله عبد الحليم بن محمد ابن عبد الوهاب بن أحمد بن عربي الدمشقي ، المعروف جده بالنحوي . وهو يسأل الله أن يغفر ذنوبه ويستر عيوبه . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين » .

نسخ الكتاب

وفي دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من هذا الكتاب . وقد أخبرني صديق الأستاذ شكري فيصل بأنها رديئة قليلة الضبط لا يستطيع المحقق أن يعتمد عليها . وكنت أخبرت بذلك صديقي الجليل سيد النثر الأستاذ أحمد حسن الزيات بنية أن يعلمني شيئاً عن الكتاب ، ولكنه تكرم فطلب أن « أنشر فصلاً منه وأن أكتب كلمة عنه » فخصصت هذه الكلمة بالرسالة ، ومن أحق من الرسالة بهذه البشرى وهذه المباحث ؟

وقد ذكر الأستاذ حبيب الزيات في رسالته « الديارات النصرانية في الإسلام » :

« إنه كان من هذا الكتاب نسخة ثمينة مزوقة Illustrée وقف عليها شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي في القرن العاشر للهجرة (عن ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون الحنفي ، رقم ١٤٢٢ من الخزانة التيمورية) ولا يخفى ما فاتنا بفقدها من الفائدة الجُلّى ، لإمكان دلالة ما فيها من الصور والأشكال على رسوم الديارات وضروب أبنيتها » (الديارات النصرانية : مقدمة)

فالكتاب إذن قيم ذو شأن لما جمع وحوى . ترى من هو مؤلفه الشابشتي ... ؟

والشابشتي هذا نديم بارع وأديب فاضل ، ولاّه العزيز صاحب مصر خزانة كتبه . ولعله ألف هذا الكتاب وهو قائم عليها ، وله تآليف كثيرة ضاع أكثرها ، منها « اليسر بعد العسر » نهج فيه نهج القاضي التنوخي في كتابه « الفرج بعد الشدة » وما ندري أيهما أخذ عن صاحبه نهجه فقد كانا معاصرين ولكن توفي القاضي التنوخي قبل الشابشتي بأربع سنوات (توفي الشابشتي سنة ٣٨٨ هجرية ، وتوفي القاضي سنة ٣٨٤) والرجح أن الشابشتي أخذ عن التنوخي

طريقة الكتاب

قلنا إن المؤلف قد جعل الديارات سبيلاً إلى ذكر أخبار الشعراء والأمراء ، فهو يذكر الدير وموقعه وما يحدّه وما يتصف به ، ثم يذكر من زاره من الشعراء ، ثم يستطرد إلى الشاعر فيورد ما قاله في الدير من الشعر ، ثم ينتقل إلى سرد أخباره ، فإن كان الزائر من الندامى ذكر الخلفاء الذين نادمهم واستطرد إلى ذكر بعض نوادرهم ، وإن كان من الأمراء ذكر بذخه وترفه ومجونه ولهوه وكل ما يتصل بحياته الخاصة بسبب ، وهو بطريقته هذه قد ترجم لكثير من الشعراء والندماء والمغنين والولاة والخلعاء والأمراء والخلفاء وما بنوه من قصور وما أقاموه من حفلات وما أنفقوه من أموال . وفي الكتاب فصل فريد لم أعثر عليه في كتب الأدب وهو وصف حفلة أقامها المتوكل لإعذار[1] المعتز وهو في منتهى الطرافة ، وسننشره إن شاء الله في العدد القادم .

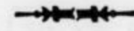
(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) التعقيبة في اصطلاح الناسخين القدماء : هي الكلمة التي تكتب في أسفل كل صفحة لتدل على أول كلمة تأتي في رأس الصفحة التالية

(١) جاء في الأساس : عذر الصبي : طهر ، وكنا في إعذار فلان وفي عذيرته وهو طعام الختان .

من عجائب الاجتهاد ...!

« لنـــاقد أديب »



منذ عامين رأى الدكتور بشر فارس أن يخرج للناس مسرحية رمزية يثبت بها اتجاهاً جديداً فى عالم القصص الرمزى

وبعد التحصيل والروية والاجتهاد ، كما يقول الدكتور الفاضل فى مستهل توطئته ، صنع هذه القصة أو المسرحية الرمزية وعنوانها (مفرق الطريق) وقال فى تبيين موضوعها وتوضيح فكرتها : إنه مفرق طريق ينحدر يساراً إلى ظلمة ، حيث الشعور ، ويمتد يميناً مناراً فى صعود مثلوجة ، حيث العقل . وفى هذا المفرق الصراع بين العقل والشعور ، فإما أن ينتصر الشعور فينحدر المرء فى ظلمة تحترق عندها النفس ، وإما أن ينتهى الصراع بانتصار العقل فيسلك المرء فى صعود مثلوجة يحيا عندها بنجوة من الاحتراق . ثم يقول « على ما هو مبين فى رسم الغلاف »

ورسم الغلاف هـذا صورة رمزية أيضاً من تصميم المؤلف نفسه ، تمثل جبلاً عالياً ذا قمة مغطاة بالثلوج ، ومنحدراً ينتهى إلى غور مظلم يتضرم بحرارة الحياة

ومنذ اثنتى عشرة سنة أنشأ الأستاذ عباس محمود العقاد قصيدة رمزية فى ديوانه صفحة (٢٠٦) عنوانها : «القمة الباردة» حيث يعيش العقل متجرداً من الشعور فى عالم ثلجى لا يشعر فيه بحياة

ومن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد أن الفكرة التى جعلها الأستاذ العقاد لباب موضوعه ، والموضوع الذى بنى عليه قصيدته هما نفس الفكرة وذات الموضوع الماثلتان فى مسرحية بشر فارس !

ومن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد هذه أن يقول العقاد فى مقدمة قصيدته : « إن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة» . فيقدم بشر فارس لمسرحيته بنفس المعنى ويقول بلسان صورة من صنع الشعور : بينى وبين بصرك صلة اليقظة والإحساس بالوجود . ويقول عن رسم من صنع العقل : أفلا تقبض صدرك البرودة المنسابة فيه ؟

ومن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد أن تكون (القمة الباردة) فى قصيدة العقاد هى (الصعود المثلوجة) فى المسرحية ص ١٤ ، وأن يكون الطريق الذى يسلكه العقل فى الصعود المثلوجة مُناراً ، لأن القمة الباردة فى قصيدة العقاد لا تعرف اختلاف الليل والنهار

هنـا لك لا الشمس دوّارة ولا الأرض ناقصة زائده

وأن تكون (القمة الباردة التى تملوها الثلوج و (ثلوج الذرى) التى (تفتر عندها الحياة) والتى (لا يشعر عندها بحياة) كما كتب العقاد فى قصيدته ــ هى فى مسرحية بشر فارس (الآن أعيش فى الثلج ص ٢٥) و (إنما أحيا والثلج من حولى ص ٢٥) و (إنما حياتى فى الثلج ص ٢٧) و (بينى وبينك الثلج لا يبرح قائماً ص ٢٧) و (أحرقته وهو يثلجنى ص ٣٦) و (سيثلج بعضى بعضاً منذ الآن ص ٣٧) فهذه مسرحيته طمرتها القمة الباردة بثلوجها كما قدمنا فى هذه الكلمة

ومن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد أن تدور هذه المسرحية حول الفكرة التى تدور حولها القصيدة وأن يكون ختام المسرحية والقصيدة واحداً لا تباين ولا خلاف ؛ فإذا دعا العقاد إلى النزول من هـذه القمة والانحدار إلى الغور المتضرم بحرارة الحياة

إلى الغور ! ! أما ثلوج الذرى فلا خـــير فيها ولا فائده

ختم بشر فارس مسرحيته أيضاً بالدعوة إلى النزول من الصعود المثلوجة بقوله : (خذا هذا الطريق، الذى لا نور فيه، الذى ينحدر)

من عجائب التحصيل والروية والاجتهاد أن يقع هـذا كله ، وأن تأتى عجائب أخر فى التحصيل والروية والاجتهاد أيضاً من قصيدة للشاعر على محمود طه عنوانها « قلبى » (ديوان الملاح التائه طبعة عام ١٩٣٤) . فى ختام هذه القصيدة يصف الشاعر الصراع بين القلب والعقل أو الشعور والعقل فيقول مخاطباً قلبه :

وو شيت حين أخبتك الليلُ متمرداً تجتاحك النـارُ
وبدا صراعك أنت والعقلُ ولأنتما بحـــرٌ وإعصارُ

ما بين سلمكما وحربكما — كونٌ يبين ويختفى كونُ
وبنيتما الدنيـــا وحسبكما — دنيـا يقيم بناءها الفنُّ

فيجيء الدكتور بشر فارس فى عام ١٩٣٨ ليقول فى هذا المعنى « يلتقى العقل والشعور فيتجاذبان المرء ، ولكل منهما حظه من القوة والغلبة ، وأما الجانب المظلم لحيث يقهر الشعور العقل ، فينحدر المرء وقد عمى رشده إلى غاية تحترق عندها النفس الخ ... »

فتجاذب الشعور والعقل القوة والغلبـة هو فى قصيدة على محمود طه « وبدا صراعك أنت والعقل »

والقلبُ الذى أَجنَّهُ الليلُ فى القصيدة هو « الشعور فى الجانب المظلم » ، والقلب الذى تجتاحه النـار فى قصيدة على محمود طه هو النفس التى تحترق فى مسرحية بشر فارس .

وهكذا ترى هذا الصراع الذي يبدو محدداً بخطوطه ، مصوراً بألوانه ، فى قصيدة الشاعر ، منقولاً بإطاره فى مسرحية الكاتب ، كما رأيت النغمة الباردة فكرة وموضوعاً ماثلة بذاتها فى المسرحية وتوطئتها حتى بعض العبارات ودلالاتها وإن اختلفت لفظاً وتركيباً ، كأن يقول الأستاذ العقاد : (التى لا يشعر عندها بحياة) فيقول الدكتور بشر : (يعوزه لهب الحياة)

وبعد فهذه مسرحية رمزية من فصل واحد صفحاتها محدودة وألفاظها معدودة ، لم يبق منها لكاتبها التحرير سوى زهرة تضوع ، ونهر يهدر ، وإضافات تائهة فى منعطفات الروح ومثانى المادة (كذا) ، وراقصة متشنجة تكـنى بالتلوّى والتوتر (كذا) وتنرف بذراعيها طرائف من الهواء (كذا) ، وغير إنسان أبله يعوى مقلداً الكلاب (كذا) ، ثم كاب مسكين يتهمه المؤلف بامتصاص القصب ! ! (كذا)

وهذا ولا شك كما قلناه وأثبتناه وأعددناه من عجائب التحصيل والروية والاجهاد فى زمن اصطناع المسرحيات الرمزية من قصائد الشعراء .

(ناقد أديب)

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

المؤامرة

يرى كثير من الناس أن الصراع الحالى مؤامرة سياسية عسكرية نظمتها الدول الدكتاتورية بمهارة وإتقان منذ سنوات ، ويرون أيضاً أنها تسير بخطوات متزنة ، فلم يطرأ عليها حتى الآن خلل يستحق الذكر . أما رأس هذه المناورة فألمانيا ، وأطرافها إيطاليا والروسيا واليابان وأسبانيا

ويستدلون على ذلك بتسلسل عدة حوادث أدت إلى انهيار فرنسا ، وإذا صادفها النجاح إلى النهاية فقد تؤدى إلى انهيار انجلترا أيضاً . فقد وضعت فرنسا سياستها عقب الحرب الكبرى على تطويق ألمانيا بالدول الصغيرة التى تعتمد على ولائها لفرنسا مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وبلجيكا

فعمدت ألمانيا من جانبها إلى تحطيم هذا النطاق ، فنجحت رغم معارضة خططها لما كان معروفاً من قبل لخطط إيطاليا والروسيا ؛ فكانت الأولى تحرص على استقلال النمسا ، ومع ذلك سمحت لألمانيا باحتلالها ؛ وكانت الثانية تشتهى من زمن طويل أن تحصل على مرافىء حرة على بحر الشمال ، ومع ذلك سمحت لألمانيا باحتلال النرويج

وأخيراً ، دخلت إيطاليا الحرب تنفيذاً لاتفاقات موسولينى وهتلر ، عندما كانت فرنسا فى النزع الأخير ، وبعدما أفادت ألمانيا بموقفها غير المحارب فائدة كبيرة

الفرص المناسبة

ومعنى هذا أن دول المؤامرة — فى عرفهم — تنفذ الجزء الخاص بها عندما تتوفر ظروف خاصة ، كما حدث مع إيطاليا التى يعتبرون دخولها الحرب بمثابة بدء الجزء الخاص بانجلترا ، وبمثابة عامل يمنعها من وقف القتال إذا أرادت عقب تسليم فرنسا ؛ فلن ترضى بريطانيا مثلاً أن تتجاوز عن حقها فى البحر الأبيض وهو طريقها الطبيعى إلى امبراطوريتها إذا طالبت إيطاليا ببعض هذه الحقوق ، وهذا ما كان منتظراً لو استكانت بريطانيا لأعدائها

أما متى تدخل الدولة التالية ومن تكون فهذا أمر رهن الظروف ، وإن كان بعضهم يرجح أنها تكون أسبانيا ، فلدول المحور فيها نفوذ كبير ، بل إن حكومتها الحالية تدين لدولتى المحور بالبقاء . ولأسبانيا أهمية خاصة إذ يسهل من أراضيها سواء فى أسبانيا أو فى مراكش الأسبانية من كونا ضرب جبل طارق ، وإطلاق سراح الأسطول الإيطالى ليوالى أعماله فى البحار ، وينقل الجنود لمهاجمة انجلترا . ولعل انتظار هذا الظرف هو السبب فى هرب الأسطول الإيطالى من مواجهة الأسطول البريطانى

الصخرة

ويعتبر جبل طارق أقوى حصون العالم وأمنعها ، فهو لسان دقيق من الصخور المرتفعة ينساب من الشاطئ الأوربى ، ولا يتجاوز طوله ثلاثة أميال وعرضه ميلاً واحداً ، وهو متصل بجنوب أسبانيا برقبة ضيقة من الأرض السهلة . وفى شمال الصخرة من جهة أسبانيا سهل يمتد ربع ميل به خطوط الدفاع البريطانية ، ويليه الأرض المحايدة وهى رملية تمتد ١٥٠٠ ياردة بطول الأرض وعرضها يختلف من ٩٠٠ — ١٨٠٠ ياردة ، وفى نهايتها مدينة لا لينيا الأسبانية

وترتفع الصخرة من الناحية الأسبانية عمودياً ، ثم تتدرج إلى ناحية البحر ، وارتفاع أقصى قممها ١٤٠٠ قدم فوق سطح البحر . كان سطح الصخرة فى أول الأمر مكوناً من الرمال والصخور فى أوضاع غير منتظمة ، ولكن أعمال الهندسة تناولته فبنت فيه طرقاً دائرية من الأسمنت المسلح يتجمع فيها ماء الأمطار وينساب إلى أحواض عظيمة لحفظه . وبهذه الطريقة حلت معضلة ماء الشرب ، وأصبح خلو الصخرة من الأنهار أو الآبار أمراً لا أهمية له

واستغلت الصخرة نفسها فعملت فيها عدة أنفاق عسكرية يوصل أحدها بين البحر الأبيض والمحيط ، كما جهزت بالمدافع والحصون والمخابئ . وشيد على الشاطئ الغربى للصخرة ميناء بديع يرجع عهده إلى القرن الثامن عشر ، وله شهرة تاريخية يمجدها الإنجليز فهو أول ميناء رست فيها السفينة « فيكتورى » وهى تحمل جثمان « نلسن » عقب موقعة الطرف الأغر التى

دمر فيها الأسطول الفرنسى ، ومنها أذيع النبأ فى جميع أنحاء الامبراطورية ، ومساحة المنطقة المائية لهذا الميناء ٤٤٠ فداناً مربعاً ، وأطول أرصفتها ٨٥١ قدماً

منذ قرنين

وبلغ عدد سكان جبل طارق سنة ١٩٣١ : ٢١٫٣٧٢ نسمة لا يحق لأحدهم امتلاك قطعة من أرضها ، بل يعيش فيها الجميع بتصاريح خاصة من حاكم المنطقة ، ويتضمن هذا العدد العسكريين منهم والمدنيين

بدأت سيطرة انجلترا عليها سنة ١٧٠٤ ، وحاولت فرنسا وإسبانيا نزعها منها ، ولكن جميع الجهود التى بذلت لم تأت بأية نتيجة . فى سنة ١٧٧٩ حاصرتها الدولتان ، وكان عدد الجنود البريطانية ثلاثة آلاف جندى يقابلهم ١٧ ألف جندى فرنسى وإسبانى ، واستمر الحصار ستة أشهر خسر فيها المهاجمان عشرة آلاف مقاتل مقابل ٤٠٠ بريطانى ، وتوالى عليها الحصار فى هذه الحرب مدة ثلاث سنوات وسبعة شهور ولكنها ظلت أمنع حصون العالم

ولا نستطيع أن نتكهن من الآن عن المصير الذى تواجهه فقد صقلت الأسلحة الحديثة إلى حد بعيد ، وأصبح من السهل قذفها بقنابل المدافع من كوتا فى الساحل الأفريقى ، فهى لا تبعد عنه إلا ١٢ ميلاً ، كما يمكن ضربها من أسبانيا ؛ فإذا حاولت دولتا المحور مهاجمتها فسنرى لجبل طارق تاريخاً جديداً ، فقد جهزه الإنجليز بأحدث الأسلحة وأبعدها مرمى ، واستعدوا لجميع الظروف من تخزين مؤن وذخائر مما يجعل اقتناصها أمراً بعيد التحقيق

ومنذ سنة ١٧٨٣ لم تحاول أية دولة دخلت الحرب مع انجلترا أن تطمع فى مهاجمة جبل طارق أو تنازع بريطانيا العظمى السيادة فيه . ولهذه الصخرة أهمية ممتازة وخصوصاً فى الحرب الحالية ، فهى مفتاح البحر الأبيض المتوسط ، ويتحتم على كل سفينة تحاول دخول هذا البحر المرور فى مياهها الساحلية لضيق المسافة بين الشاطئين الأفريقى والأوربى . فإذا حاولت العصيان فإنها تتعرض لقنابل مدافع الصخرة المركزة فى أماكن حصينة

حلقة الحصر

ويؤدى جبل طارق فى هذه الحرب مهمتين :

الأولى : حبس الأسطول الإيطالى فى حوض البحر الأبيض فيتعذر عليه الخروج إلى المحيط لمرافقة الملاحة البحرية ، فإن رجال البحرية الإيطالية يعرفون مقدرة الأسطول البريطانى فلا يفكرون فى الاشتباك معه فى معركة بحرية ، وظهر هذا التصرف واضحاً عند ما التقى الأسطولان فى البحر الأبيض فلجأ أسطول إيطاليا إلى الهرب

والثانية: حصر إيطاليا وتعطيل تجارتها فيستحيل على سفنها أن تنقل إليها المواد الخام أو الأغذية اللازمة لسكانها . ولجبل طارق ميزة أخرى أشرنا إليها فى مقالنا السابق ، فهو القاعدة التى تكمل حلقة الحصر البحرى على ألمانيا، وبهذا أصبحت دولتا المحور محصورتين فى حلقة مقفلة ، فإن نشاط الأسطول الإيطالى محصور فى غرب البحر الأبيض ، أما فى شرقه فلبريطانيا سيادة كاملة عليه . أضف إلى ذلك قنال السويس وهو يعزل إيطاليا عزلاً تاماً عن مستعمراتها فى شرق أفريقيا

وبهذا الوضع يتيسر لبريطانيا السيطرة البحرية التامة على المحيط الأطلنطى ، فلا توجد فيه أساطيل تنازعها سيادته بعد ما أصيب الأسطول الألمانى بخسائر فادحة فى النرويج جعلته مشلول الحركة

فإذا انتقلنا إلى باقى أطراف المؤامرة وهى الروسيا واليابان فقد وضحنا فى مقالاتنا السابقة أن الروسيا تتبع سياسة خاصة لا تهتم فيها إلا بتحقيق أغراضها ، وإن هذه السياسة لا تلبث أن تفصم العلاقات التى بين هذه الدول ، فضلاً عن عداوتها واصطدام مصالحها بمصالح اليابان فى الشرق الأقصى

بين الروسيا واليابان

فالروسيا تعتبر الصين وآسيا من مناطق نفوذها ، واليابان تعتبرهما من مناطق نفوذها ، وهى التى أصدرت المبدأ القائل : « آسيا للأسيويين » فإذا تجاوزنا اختلافهما فى المبادئ إذ الروسيا بلشفية تسمى لبلشفة العالم ، واليابان ملكية وللامبراطور فيها نفوذ الآلهة ، وإذا اقتصر بحثنا على اصطدام مصالحهما تبين لنا أن اتفاقهما متعذر

فإذا قلنا إن ما حدث بين الروسيا وألمانيا يمكن أن يحدث بين الروسيا واليابان وجدنا أن القياس متعذر ، فإن المناوشات لا تكاد تنقطع بين قوات الفريقين ، فحدودهما متجاورة وبحارهما واحدة ، بل إن بعض البحار التى فى شمال الجزر اليابانية والتى تحيط الأملاك الروسية فيها مصالح رئيسية لليابان ؛ فهي مورد رزق لعدد كبير من صيادى السمك اليابانيين ، ومصدر صناعات كبيرة فى اليابان ، وفى هذه البحار يتقابل الفريقان ويتناوشان .

فهذا الاختلاف البارز فى علاقات الدولتين يفسر لنا الجزع الذى بدا فى أوساطهما عند ما ظهرت مساعى انجلترا للاتفاق معهما ، فكل منهما تخشى الأخرى ولا تريد أن تقوى جبهتها بالانحياز إلى جانب قوى يستطيع أن يفض خلافاتها ، ومن ثم يعتبر اشتراكهما فى المؤامرة الدكتاتورية اشتراك المصلحة فحسب، فإذا تيسر لانجلترا تحقيق هذه المصالح، وهو فى استطاعتها بما لها من نفوذ فى الشرق فلا يوجد ما يستدعى استمرار المؤامرة ولا سيما أن الروسيا واليابان تطمئنان إلى التوسع البريطانى أكثر مما تطمئنان إلى التوسع النازى ، فقد خبرا الأول وعرفا ميوله ووسائله ، ولكن الثانى مجهول . وإن رجحت فيه كفة الخيانة والغدر ، فالاتفاق مع انجلترا خير من الاتفاق مع ألمانيا ، لأنه اتفاق مأمون العاقبة

السياسة تعمل

أما كيف يتم هذا الاتفاق وعلى حساب أية دولة فهذا أمر ليس فى استطاعة الباحث أن يجيب عليه ، فقد دخلت الحرب الآن فى فترة تعمل فيها السياسة والمعاهدات أكثر مما تعمل القوة العسكرية. فالحرب الآن حرب حياة أو موت تكثر فيها المفاجآت، وتكثر فيها المعاهدات السرية الوقتية التى تعمل المعجزات

فمنى أن انجلترا تسعى لفض منازعات اليابان مع الصين أنها رأت فى سكون هذا النضال مصلحة تريد استغلالها ، فساستها ليسوا من الغفلة بحيث يفضون مشاكل اليابان فى الصين إذا عرفوا أن اشتراكها فى مؤامرة ألمانيا وإيطاليا ما زال معقول التنفيذ

وتعرف انجلترا ما بين الروسيا واليابان ، فتلويحها بالاتفاق مع إحداهما إضعاف للمؤامرة النازية ، وإنذار للأخرى ، ولا سيما لما بينها وبين أمريكا من اتفاق على إنقاذ العالم من شرور النازية وأطماعها ، وخصوصاً لما بين اليابان وأمريكا من الاختلافات قد تؤدى إلى الحرب بينهما

واتفاق الحلفاء مع الروسيا مع ملاحظة سياستها الحالية التى تسعى إلى الحصول على أغراضها كلما سنحت الفرصة سواء كانت هذه الأغراض ضمن الاتفاق أو خارجة عنه كما شاهدنا فى تصرفاتها مع ألمانيا — اتفاق لا يطمئن إليه الحلفاء. فللروسيا أطماع كبيرة فى تركيا ، فسياستها فى جميع مراحل الحكم من قيصرى وشيوعى كانت مبنية على الاستيلاء على مداخل البحر الأسود فى البسفور والدردنيل، فإنه يلاحظ إذا نظرنا إلى خريطتها أنه رغم الرقعة الواسعة التى تشغلها فى القارتين الأسيوية والأوربية ، يلاحظ أن منافذها البحرية الهامة محصورة وتحت تصرف غيرها من الدول ، أو معطلة فى جزء من السنة

الروسيا تنتظر

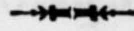
فموانيها فى بحر البلطيق تقفل أثناء الشتاء بفعل تجمد الماء ، وكذلك موانيها فى البحر الأبيض الشمالى بعيدة قليلة الأهمية . ويلاحظ فى موانيها فى البحر الأسود أن منفذها إلى البحار الواسعة تحت سيطرة تركيا ، فهى تسعى للاستيلاء على البسفور والدردنيل ليكون منفذها إلى البحر الأبيض المتوسط حراً ، ولتأمن الاعتداء على سواحلها فى البحر الأسود من اعتداء أساطيل الدول البحرية ، فإنها إذا سيطرت على هذين الجزأين أصبحت سيدة البحر الأسود وهددت البحر الأبيض المتوسط

ومن يتتبع سياسة الروسيا يشاهد أنها توفر قواتها إلى وقت تستطيع فيه استغلالها فى ظروف أكثر ملاءمة ، فقد احتلت نصيبها من بولندا ورومانيا دون أن تبذل أى مجهود حربى يؤثر على الجيش السوفياتى

فهى فى الغالب تنتظر أن تنهك الدول المحاربة ثم تبدأ بنشر الدعوة البلشفية بين الأمم، مستندة إلى قوة الحديد والنار، ولعل هذا مما يدعو الدول الأخرى إلى التفكير فى ذلك المصير إذ يهدد الخطر الشيوعى الدول المنتصرة والمنهزمة ، ولا شك أن ساسة الدول فكروا فى هذا المصير طويلاً وقدروا له العلاج اللازم

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة

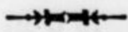
سبحي معي ...!



أنا يا أختُ شاعرٌ قستِ الدُّ — نيا عليه فعاشَ فيها شقيا
وأنا ابن الخيالِ والفنِّ والحبِّ — نغني السماء روحًا بهيا
فتعالَيْ نعزفْ على العودِ لحناً — يدع الكونَ مستهامًا زكيا
سبّحي سبّحي معي للذي أوْ — دَعَ قلبينا حبّنا العذريا
بسمع الله يا حبيبةَ قلبي — لحبيبين ينشدان سويا
أنتِ أسكرْتني وأنسيْتِ قلبي — كرُباتٍ تركْنَ فيه دويا
أنت فتّحت في عيونِيَ آفا — قَ وأبصرْتني جمالاً خفيا
أنت أجريْتِ جدولَى بعدأن كا — نَ حبيساً مغلقاً منسيا
أنت أذهلْتني فسِرْتُ وما أدْ — ري على كونِيَ المنوّر شيا
أنت عودتني احتقار الأماسيِّ — وأحلَلْتني مكاناً عليا
فتساميتُ عن وجودي وغنّيْـ — تُ غنـاءً مخلداً سحريا
أنت أرقصْتِ حولَ روحي أغاريـ — دَ فصارتْ دنيايَ لحناً شجيا
أنت أسمعتني من الغيب أصوا — تاً وهمساً محبباً علويا
أنت صيرتني طروباً يغني — ذاهلا عن حياته قدسيا
فاسمعيني يا أختُ في عشك السّا — جي وروّي فؤادكِ العبقريا
ألهميني أغانيَ الوتر الشا — كي ومدّي شعاعَك الكوكبيا
واسكبي النورَ صافياً في عيوني — وافتحي قلبي الرحيبَ الصبيا
واخلُقيني كما خلقتُكِ في فنِّـ — يَ وخلّدْتُ حسنكِ الأبديا
العناياتُ أبدعتك لأنغا — مي وشِعْري فجئتِ سحراً شهيا
فاصطفيني كما اصطفيتك قلباً — صافياً، زاهراً، طهوراً، نقيا
واتركيني في حضنك الشّاعر الحا — ني وليـداً مدللا قمريا
حوله ترقصُ الملائكُ نشوى — وتغنى الأقدار لحناً سنيا
طهرتني السماء حتى تمنّيْـ — تُ لوَانَّ الوجودَ مثلي نقيا
ورعتْني الغيوبُ فانساب قلبي — جدولاً، ناغماً، رقيقاً، نديا
إيه من تلهم الأناشيدَ كالعطـ — رِ تعالَيْ نسكرْ على الكونِ هيا
أنت للفنِّ صاغكِ الله يا رو — حي فلا تمنعي عن الفن ريا
وأنا الفنّانُ الذي يهتف الطيـ — ر حواليه حين يسرى هنيا
وتغنى الأمواجُ سكرى من الشوْ — قِ وتلهو على الضفاف مليا
وتفوحُ الأزهارُ حتى يُرى الكوْ — نُ نسيماً معطراً عبهريا
هكذا جئنا الحياة ... فلِمْ لا — نتغنّى على الحياةِ سويا ؟

عبد العليم عيسى

رباه ...



يا طلعةَ النورِ في ظلماءِ أحزاني !
يا بسمةَ الأمنِ في أمواج حرماني !
يا هَدأةَ الروح في أهوال عاصفةٍ
يا نغمةَ الطُّهرِ في سرّي و إعلاني !
يا شُعلةَ الخير في صدري مؤجّجةً
ويا صدى الحقِّ في أحناءِ وجداني !
رباهُ صوتُكَ في الأعماق رجْعَتُهُ
قلبي الضعيفُ بترتيلٍ وألحانِ
رباه هـذا كياني رمزُ مقدرةٍ
يضجُّ بالحمـدِ والتسبيح للباني
رباهُ إنَّ لهيباً ثائراً أبداً
أذكى دمائي بوقدٍ ليس بالفاني
رباهُ منك اقتبستُ الشعرَ مؤتلقاً
بكلِّ معنًى رفيع القدرِ فتّانِ
رباهُ لولا جمالٌ منك مطلعُهُ
يوحي البـدائع لم أُهْمِمْ بتبيانِ
رباهُ طهِّرْ فؤادي أن يُلِمّ به
إثمُ الضلالةِ من إغواء شيطانِ
رباهُ إنَّ سبيلي شائكٌ وَعِرٌ
فاشدُدْ قُوايَ بلطفٍ منك معوانِ
وافتحْ لروحيَ آفاقاً مُزوّقةً
من الخيالِ بأضواءٍ وألوانِ



طبق الأصل

معـــــركة . . .

للأســـتاذ عزيز أحمد فهمى

نشبت فى الأسبوع الماضى على صفحات « الأهرام » معركة بين فريق من كبار الـكتاب المصريين ، كان مثار الخلاف فيها أن بعضهم أراد أو تمنى أن يعالج مفكرونا وأصحاب القلم عندنا شئوننا الاجتماعية والاقتصادية والقومية والحربية وغيرها من شئوننا الفقيرة إلى التفكير والتدبير ، بينما رأى البعض الآخر أن هذا الوقت العصيب الذى نجتازه ليس أنسب الأوقات لمعالجة هـذه الشئون التى لا ريب تحتاج فى دراستها إلى أعصاب مستريحة وعقول مطمئنة . وأين هى اليوم هـذه الأعصاب التى لا تتحفز فى اليوم الواحد مرات لا مرة واحدة ، والتى لا تشرئب إلى الغيب تريد أن تستخلص منه الحادثات وما يتبعها من النتائج ، وما هى مستخلصة شيئاً إلا هذا الجهد الذى تبذله . وهذا الشرود الذى تعانيه . وأين هى اليوم هذه العقول التى تستطيع أن تتلقط مادة الفكر ومادة النطق فى خلال هذه المفاجآت النهارية على الناس من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون ...

هذه كانت معركة الأسبوع الماضى

وستنشب فى الأسبوع القبل معركة أخرى بين هؤلاء الكتاب الكبار وسيدخلها غيرهم ، وقد جاءتنى أنباؤها ، واطلعت على ما أعد هؤلاء الكتاب لهـا من وسائل الهجوم وعدد الدفاع فآثرت أن أستعجل الزمن وأن أطلع قرائى على ما أطلعتنى عليه الصدف ، أو الملائكة .

ما قل ودل

لـما كنت فى باريس ، فى المرة الأخيرة ، ألقى صديقى الأستاذ مارسيل دوديه محاضرة قيمة فى دار جمعية (الشمس والقمر والنجوم) كان أهم ما جاء فيها قوله المأثور : « إن الإنسانية يجب عليها أن تفكر منذ الآن فى البحث عن وطن جديد غير الأرض تكون نسبة الأكسجين فى مناخه أقل من نسبته فى مناخ كوكبنا هذا ، فإنه لا شىء يساعد على إشعال النفوس بالغيرة والحقد والغيظ مثلما يساعد الأكسجين على ذلك » ... وقد أثبت الأستاذ مارسيل دوديه نظريته هذه بصور كثيرة عرضها بالفانوس السحرى كما أنه قام أمام النظارة بعدة تجارب أجراها على الأرانب والجرذان وعلى نوع خاص من الحشرات لا يوجد مثـله فى مصر ويوجد منه كثير فى فرنسا واسمه اللاتينى (سانكا مانكا هوساروم) وقد دلت كل التجارب التى ألقاها الأستاذ مارسيل دوديه على أن نظريته صحيحة كل الصحة ، ولكن الحرب لم تمهله حتى يتم أبحاثه فقد فوجئ بصفارات الإنذار وهو فى معمله . ولست أدرى ماذا حدث له بعد ذلك وإن كنت آسفاً كل الأسف على أن بحثاً جليلاً كهذا وئد وهو فى طفولته ... أ . . .

البحث مستمر

كتب صديقنا الأستاذ الصاوى يقول : إنه كان فى باريس حين ألقى العلامة الفرنسى الجليل الأستاذ مارسيل دوديه محاضرته الخالدة عن (المسكن الجديد) وهو الكوكب الذى كان هذا العلامة الفذ يريد أن ينقل الجنس البشرى إليه فراراً من

واسكبْ عليها نَدى الآمالِ ممتزجاً
بنشوةِ الحسنِ من أعطافِ نَيسانِ

وانثرْ ورودَ الأمانى فى بواكرها
على ربيع صِباىَ الضاحك الهانى

رباهُ هذى صلاةُ الشعر حاملةً
نجوى يقيني وتقديسى وإيمانى

ما قيمةُ الشعرِ إن لم ينتظمْ سُوَرًا
تدعو إلى الحقِّ ما كرَّ الجديدانِ

(العراق — العمارة) أنور خليل

الأكسجين الأرضي الذي يشعل في النفوس النيرة والحقد والغيظ فيسبب بها الحروب والويلات والأهوال ...

والحقيقة هي غير ما قال الأستاذ الصاوي ، فأنا الذي كنت في باريس في ذلك الوقت ، وأنا وحدي الذي حضرت هذه المحاضرة القيمة ، ولقد رويت ما استقيته منها للأستاذ الصاوي عند ما قابلته في اليوم التالي في مطعم «سان سوسي» حيث قال لي إنه هبط باريس منذ ساعتين فقط ، وما كنت أظن الأمانة العلمية تهون على الأستاذ الصاوي إلى حد أن ينسب لنفسه الاستماع إلى ما لم يسمعه ، وادعاء العلم بما لم يأخذه بنفسه على أهله

وإني أستحلف الأستاذ الصاوي بالضفدعة التي أكلناها معاً في ذلك اليوم أن يعود إلى الحق فينسب الفضل إلى أهله وذويه على أنه لا يهمني كثيراً أو قليلاً أن يأخذ عني الأستاذ الصاوي هذا الذي أخذه ، فكم أخذت مني معلومات نسبها الآخذون إلى أنفسهم وهي لي أنا تعلمتها في رأسي هذا الذي أحمله فوق كتفي والذي كدت أنوء بأثقال العلم التي احتواها .

ومع هذا فإني سعيد . ومن أسعد من العالم الذي يرى علمه يتفشى في الناس ، ويروج ويذيع ؟

هذه كلمة عاجلة أردت بها أن أضع الحق في نصابه ، وكفاني الحق وكيلا .

زكي مبارك

(حاشية) : نسيت أن أقول إنه بلغني أن الأستاذ مارسيل دوديه لا يزال مستمراً في أبحاثه .

موضوع للتفكير

كثر اللغط في هذه الأيام حول موضوع الهجرة من الكرة الأرضية إلى كرة أخرى من هذه الأكر المنثورة في الفضاء . والواقع أنه موضوع جدير بالتفكير، وإن ظهر لنا اليوم أنه قد يكون بعيد الحدوث . ولكن كل الاختراعات التي حققها العلم في هذا العصر كانت في العصور السابقة أحلاماً اعتبرها الناس إذ ذاك بعيدة الحدوث

والذي يراجع التواريخ ويقلب الكتب يجد أن رجال الآداب والفنون عادة هم الذين يسبقون رجال العلم في تخيل هذه الأحلام ، ويجيء رجال العلم بعدهم فيحققونها

والأستاذ مارسيل دوديه رجل من كبار الأدباء والفنانين والفكرين لا في باريس وحدها ، وإنما في أوربا كلها ، وهو شيخ تجاوز الثمانين من العمر ، وقد كان هو أول من فكر في اختراع الدبابات ، وإن لم يكن تفكيره قد اتجه إليها مباشرة ، ففي نهاية الربع الثالث من القرن الماضي كتب الأستاذ مارسيل دوديه قصة « السلحفاة الحديد » ونشرها في جريدة « العقل الجديد » . فاستغل العلماء هذه الفكرة واخترعوا بها الدبابة

وعلى هذا الأساس أستطيع أن أدعو الأدباء والكتاب والفنانين والفكرين المصريين إلى أن يسرحوا في عالموت الخيال ما استطاعوا عسى أن يوفق أحدهم إلى فكرة يمكن تحقيقها مادياً . وعندئذ يكون لمصر فخر الهاجرة بالبشرية من هذا الكوكب الذي قضى ربك أن ترتفع فيه نسبة الأكسجين ارتفاعاً بسبب الحروب والكوارث

فما رأي الكتاب عموماً ؟ وما رأي أخي طه على الخصوص ؟

أحمد أمين

أوهام

لست أدري كيف جاز على الأستاذ أحمد أمين أن هناك أستاذاً في باريس اسمه مارسيل دوديه ، وأن هذا الأستاذ عضو في جمعية اسمها جمعية الشمس والقمر والنجوم ، وأن هذا الأستاذ ألقى في هذه الجمعية محاضرة عن الأكسجين في الأرض والأكسجين في السماء ، وأن هذه المحاضرة خرج منها السامعون أو السامع الواحد الذي يؤكد أنه سمعها ورأى فيها صوراً بالفانوس السحري وتجارب على الأرانب والجرذان ، وعلى تلك الحشرة العجيبة التي اسمها « سانكا مانكا هوساروم » ... بفكرة هي أن الناس يستطيعون أن يعيشوا في أرض غير هذه الأرض وفي جو غير هذا الجو ... مع أن قصة هذه المحاضرة كلها من أولها إلى آخرها ليست إلا مزاحاً أراد به صديق عابث أن يلهو مع الدكتور زكي مبارك الطيب القلب السليم النية ، فقدمه إلى شاب من هواة التمثيل في باريس ، بعد أن تنكر هذا الشاب في زي شيخ من العلماء الطاعنين في السن . وقد اختلق هذا الشاب الماجن الساخر كل ما حسبه الدكتور زكي مبارك حقاً ، وألقى عليه

المحاضرة الساخرة فى نادى التمثيل الذى ينتسب إليه ، وقد حسبه الدكتور المبارك جمية علميــة يعمل أعضاؤها على مجرة الأرض وسكنى السماء ...

وقد كنت أربأ بصديقى الأستاذ أحمد أمين عن تصديق مثل هذه الأشياء ، ولكن يظهر أن الذين قالوا : إن لكل عالم هفوة لم يكونوا كاذبين .

طه حسين

ولــكنى مسرور

بعــد أن فضح أستاذنا الدكتور طه حسين ذلك الشاب الفرنسى الخبيث الذى ادعى أنه أستاذ علامة ، وأن اسمه مارسيل دوديه ، وأنه يبحث عن سعادة البشرية واطمئنان الإنسانية ، فحملنى الخبيث على تصديقه والإيمان به ...

بعد هذه الفضيحة ، قد يحسب القراء أننى أريد السفر إلى باريس الآن لأبحث عن هذا الشاب وأخنقه وأشرب من دمه ...

ولــكن لا ...

فما هذا والله إلا من ظرف باريس ، ولطف باريس

وإنك لا يمكن أن تجد هذه الدعابة العذبة الحلوة الشهية إلا فى باريس

رعاك الله يا باريس ، وجدد شبابك ، وأعاد لك البهجة والحبور ، ولتمزحى معى بعد ذلك كيف شئت ...

يا باريس ...

زكى مبارك

وأخـــيراً

تيقظت من تأملاتى العميقة التى يسبح فيها فكرى فى سماء الفن البنفسجية المتماوجة الأضواء ، على صوت شاب من جماهير المعجبين بى الذين يضايقوننى بزياراتهم وأسئلتهم التى يوجهونها إلىّ بالتليفون وبالبريد ، وبالتلغراف أحياناً، ظناً منهم أننى مادمت مفكراً وفناناً وفيلسوفاً فإننى أستطيع أن أصغى إلى أسئلتهم وأن أجيب عنها مع أننى أتعب نفسى كثيراً فى عملية الإصغاء والفهم ، فعقلى الطــائر وراء الحقائق المتراقصة فيما بعد آفاق الإدراك لا يستطيع أن يغوص إلى حيث تدب المخلوقات المادية على أرض العقل الناعس المتهدل

تيقظت على صوت ذلك المعجب وهو يسألنى رأيى فى مسألة الأستاذ مارسيل دوديه ؛ فطلبت منه أن يقصها علىّ بمنتهى الإيجاز حتى أستطيع أن أحصرها فلا تفلت منها شاردة ولا واردة ، فلما فرغ منها طلبت منه أن يعطينى مهلة يوماً أو يومين حتى أفكر فى هذا الوضوع

وبعــد طول التفكير نتأت فى عقلى فكرة جديدة ، وهى : لماذا لا نتخلص من هذه الأبدان التى تحتاج إلى الأكسجين والهيدروجين وسائر هذه المواد التى تحجب عنا أنوار الأفراح المقامة فى السماء ؟

وأخيراً اعتزمت أن أبدأ بهذه التجربة ...

وكما طلبت من ذلك الشاب المعجب بى أن يمهلنى فأمهلنى حتى اهتديت إلى هذه الفكرة ، فإنى أطلب من القراء أن يمهلونى هم أيضاً حتى أهتدى إلى الطريقة التى يمكن بها أن نتخلص من أجسامنا الــكثيفة

توفيق الحكيم

***

... وهذه « هدنة » تقف عندها المعركة

« عزيز أحمد فهمى »



الوضع الحقيقي لمشكلة

جابر بن حيـــــان

للأستاذ أحمد زكى صالح

الباعث على نشوء مشكلة جابر

نحن الآن أمام شخصية فذة، ذلك لأن «جابراً» هو شخصية العلم، لا فى العصور الوسطى الإسلامية فقط، ولكنه شخصية العلم فى القرون الوسطى الأوربية.

ومنذ عام ١٩٢٢، احتلّت مشكلة جابر بن حيان الصدر والمكانة الأولى بين أهم المسائل التى عالجها العلماء المستشرقون فى أوربا بوجه عام وفى ألمانيا بنوع خاص

ويمكن أن نقول: إن من أهم الأسباب لنشوء مشكلة جابر بن حيان وجود عدد معين من الكتب الكيميائية اللاتينية التى ينسب أصل تأليفها العربى لجابر بن حيان العربى المسلم

وهذه الكتب تعرف فى الأدب اللاتينى الكيميائى بالأسماء الآتية:

1. Summa Perfectionis Magesetri
2. De Investigatione Perfectionis
3. De Investigatione Ueritatis
4. Liber fornacum (١)

ولعل أهم باعث على الشك فى صحة نسبة هذه الكتب لجابر بن حيان، هو هذه اللغة الواضحة، وذلك الأسلوب الجميل، وهذا العرض المنسجم العالى، وغير ذلك من ظواهر الوضوح الفكرى التى كتبت بها هذه الكتب. ذلك فى حين أن التراجم اللاتينية لبعض المؤلفات العربية الأخرى كانت فى لاتينية مضطربة وأسلوب مشوه قبيح، ولهذا السبب خُيّل لبعض العلماء المستشرقين غموض أصل هذه التراجم وأنها مدخولة على جابر بن حيان

ولكى نعرض المشكلة عرضاً حسناً، ونضعها فى وضعها الصحيح يجب أن نعرضها على شكل أسئلة نحاول أن نجاوب عليها، فإذا استطعنا ذلك سهل علينا إصدار الحكم الصحيح فى هذه المشكلة، فنتساءل:

أولاً: هل يمكن أن تكون الكتب الكيميائية التى عرفت فى الأدب الكيميائى فى القرون الوسطى تحت اسم Gèbèr من أصل أوربى؟

ثانياً: إذا لم تكن هذه الكتب من أصل لاتينى فهل يمكن أن تكون ذات أصل عربى؟

ثالثاً: هل حقاً أن هذه الكتب كتبها جابر بن حيان العربى المسلم؟

رابعاً: إذا كان كذلك، فمن هو جابر إذن؟

ولكن فى عرضنا للمشكلة، لن نعرض لها جزءاً جزءاً، ولكن سنعرضها ككل، وبعد ذلك نناقش ما وصلنا إليه من نتائج

شخصية جابر بن حيان

جابر بن حيان من تلك الشخصيات التى عاشت فى صدر الإسلام، وكلنا يعرف أن أهم ميزة يمتاز بها رجال هذا العصر هى العقلية الجامعة العامة، وأعنى بها تلك التى يطلق عليها Mentalité encyclopidíque، وجابر خير من كان يمثل هذه العقلية، إذ أنه جمع بين العلم والأدب، وكان فيلسوفاً ومتكلما شيعياً، وكيميائياً، ومنطقياً، وإماماً للشيعة، وطبيباً، وإذا عرفنا شيئاً عما يذكره (الفهرست) من مؤلفاته أمكننا أن نتصور على أى شكل وصورة كانت عقلية جابر

فنحن نجد فى (الفهرست) إلى جانب ما يذكره له من كتب الكيمياء وهى حوالى ٢٥٠ كتاباً، نجد كذلك ٣٠٠ كتاب فى الفلسفة و ٥٠٠ فى الرد على الفلاسفة، و ١٣٠٠ فى العلوم الآلية والحيل ومثيلها فى عدد الحروب، و٥٠٠ ونيفاً فى الطب، وعدداً كبيراً من الكتب فى علوم التنجيم والفلك والسحر والتعويذ والعلم الإلهى

(١) الأصل العربى لهذه الكتب مفقود، ومن بحثنا خلال مؤلفات جابر بن حيان التى أوردها الفهرست نستطيع أن نقول إن أصلها العربى يعرف بالأسماء الآتية على التتابع: الجمع، الاستتمام، الاستيفاء، فكتاب التكليس.

ونحن لا نذهب إلى القول بصحة ما جاء فى هـذا الثبت ، فقد يكون ابن النديم قد فهم (الرسالة) على أنها كتاب أو أراد التهويل ، ولكن الذى يعنينا هنا أن ابن النديم يريد أن يصور لنا عقلية جابر بن حيان على أنها عقلية جبارة

أصول الترجمة اللاتينية لمؤلفات جابر

ليس من شك فى أن اتحاد شخصية Gèbèr التى يقول بعض المؤرخين إنها الشخصية اللاتينية المؤلفة للكتب السابق ذكرها مع شخصية جابر بن حيان — يكون عديم القيمة إذا كانت نسبة المؤلفات اللاتينية لجابر محض انتحال ، وفى نفس الوقت تقدم البرهنة على ذلك مفتاحاً لمصادر هـذه المؤلفات . وفى اختبارنا إياها كى نرى هل هناك احتمال يمكن أن يدل على أصلها العربى يتحتم علينا أن ندرس الكتب العربية لجابر بن حيان التى وصلت إلى أوربا ؛ ولكن الأهم من هذا كله هو أن ندرس محتويات هذه الكتب الأربعة التى سبق أن أشرنا إليها

فكتاب «الجمع» Summa Perfectionis Magestri الذى يعد بحق أعظم وأهم مؤلفات جابر كلها ، قسم إلى كتابين : الكتاب الأول مقسم إلى أربعة أبواب ؛ والثانى إلى ثلاثة :

فأما الباب الأول من الكتاب الأول فإن المؤلف يعالج فيه الصعوبات التى يقابلها الكيميائى فى تحضير الأكسير . وفى الباب الثانى يدحض جابر براهين وأقوال أعداء الصنعة وخصومها .

واختص الباب الثالث بمناقشة خصائص عناصر الكبريت والزرنيخ والزئبق التى منها تتكون المادن فى نظر جابر بن حيان . ويبين فى الباب الرابع الكيفيات التى بها تعالج المعادن والكحول والتبر ووصف التجارب الخاصة بكل معدن ؛ ثم تحدث بعـد ذلك عن العناصر الهامة والأجهزة اللازمة لكل تجربة

وفى الباب الأول من الكتاب الثانى عالج تحضير الكحول وبعض المعادن ، ثم فى الباب الثانى ذكر عدداً من الوصفات الطبية لا بأس بها ، وفى الباب الثالث ذكر بعض التجارب التى لا تحتاج إلى شرح طويل

وسنقتصر هنا على ملخص هذا الكتاب لأهميته ولإحرازه قصب السبق على الثلاثة الآخرين ، إذ أن هذا الكتاب أخذ منزلة إنجيل الكيمياء فى العصور الوسطى فضلاً عن أنه نشر مرات باللاتينية منذ العصور الوسطى حتى الآن

مناقشة آراء المستشرقين فى جابر ومؤلفاته

ولقد عزّ على بعض المستشرقين أن يوجد مثل هذا الفكر الجليل الشأن فى الشرق خاصة وفى الإسلام عامة ؛ فأخذوا يبتدعون أساليب الشك ، ويحاولون بمعاول الهدم أن ينالوا من جابر بن حيان ، ولـكن هل قُدر لهم النجاح فيما أرادوا ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه !

وضرورى جداً ، لمن كان فى سبيل بحث كبحثنا هذا ، أن يؤرخ تأريخاً بسيطاً لحركة الاستشراق العلمى

كانت دراسة المستشرقين للناحية العلمية فى العالم الإسلامى عديمة القيمة فى القرنين : الثامن عشر والتاسع عشر ؛ ولكن منذ خمس وعشرين سنة ظهرت حركة جديدة فى محيط الاستشراق لتبيّن أصول العلم العربى الذى يوجد بين طيات تلك المخطوطات العربية العديدة الموجودة فى دور الكتب الشرقية والغربية ، والتى يرجع الفضل فى نشر بعضها إلى : برجستراسر وبراون وتكاتش وسوتر ومسبيرو

وهناك مدارس كثيرة من تلك التى اختصت بالكيمياء والطب والفلك والرياضة والطبيعة والفلسفة صبغت نفسها فى نفس الوقت بصبغة استشراقية ، نذكر من هؤلاء : رسكا وودمان وستشو وكروس وبلسنر وسرطون ورينو وغيرهم

تقرير الأستاذ شميدر Chr. Schmieder (١)

الأستاذ شميدر له صولة وجولة فى تاريخ الكيمياء ، وبطبيعة الحال اتصل بحثه بمشكلة جابر بن حيان ومؤلفاته ، ونحن نقتطف بعض عبارات مما كتبه :

قال : إن أشهر الكتاب العرب الذين عالجوا الصنعة (أى الكيمياء) هو جابر بن حيان الذى عاش حسب تقدير ليوافريكانس Leo Africanus فى القرن الثانى الهجرى ، ويمكن أن يقال بالدقة فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلاد . وليس ثمة عربى قبل جابر استطاع أن يكتب مثل ما كتب جابر . وليس ثمة عربى بعده استطاع أن يصل إلى مثل ما وصل إليه

(١) ذكره رسكا فى مقاله فى Jolamic iu lture 1937

جابر ، الأمر الذى ترتب عليه أن أطلق على جابر بن حيان فى التراجم اللاتينية اسم (ملك العرب) ، وإنه ليظهر لى غريباً وبعيد الاحتمال أن أولى محاولات التأليف فى موضوع معين فى شعب من الشعوب قد تبلغ هذه المرتبة من الناحية العلمية ، ولكن المشكلة زال ما كان يعتريها من غموض بفضل استكشاف ليوافريكانس الذى ذهب إلى القول بأن جابر لا يمت إلى العرب بصلة ، وإنما هو منحدر من سلالة إغريقية . فلقد عاش جابر فى إشبيلية Seville بأسبانيا حيث ألم بكل فروع الفلسفة اليونانية العربية ، وربما يكون جابر هذا هو الذى أنشأ الجامعة العربية هناك ، أو على الأقل يمكن أن يعتبر مؤسس مدرسة فلسفية انتشر تلاميذها فى القارات الثلاث ، وأخذوا ينشرون العلم باسم جابر بن حيان. ولما كانت كل مؤلفات جابر بالعربية فإنه اكتسب لنفسه الجنسية العربية وكذلك اكتسبها لعلمه

ولكن إذا أنعمنا النظر فى هذا الرأى الذى يأخذ به الأستاذ شميدر وجدناه مليئاً بالأغلاط التاريخية ، وذلك أن جابراً لم يذهب إلى إشبيلية ، وما عاش بها قط ، إنما عاش متنقلاً فى بلاد الشرق بين الكوفة وبغداد ، وأن جميع كتب التاريخ العربية تثبت لنا ذلك بشكل قاطع ، هذا أولاً ، وثانياً : إذا كان صحيحاً ما يقول به شميدر من أن جابراً معتنق جديد للدين الإسلامى ، فما هو اسم جابر الأصلى ؟ ولمَ لَمْ تذكر فى كتب التاريخ هذه الحقيقة ؟ وهبنى سلمت بصحة مايقول به شميدر فكيف يمكن التوفيق بين ما يقول به وبين ما تقول به كتب التاريخ الصريحة من أن جابراً تولى إمامة الشيعة ، بعد موت جعفر الصادق ، وهم على ما هم عليه من تطرف وغلو شديدين فى الدين الإسلامى ؟

ولهذا كله لا يسعنا إلا أن نرفض ما يقول به الأستاذ شميدر

تقرير الأستاذ ماير هوف Max Meyerhaf [1]

يرى الأستاذ مايرهوف أن تلك الكتب التى تنسب لجابر هى فى ذاتها مشكلة ، إذ كيف يتيسر أن نفهم أن رجلاً عاش فى القرن الثامن وله كل هذا الاطلاع على الأدب اليونانى الكيميائى ؟ ولكن يظهر أن هذه المؤلفات من أعمال جمعية فى القرن العاشر من الميلاد أى القرن الرابع الهجرى شبيهة بتلك التى أطلقت على نفسها (إخوان الصفاء) . وأسماء المؤلفين اليونان هى التى تذكر فقط فى أعمال جابر الطبية ، ولكن النصوص بعيدة عن أصحاب هذه الأسماء جد البعد ، وتدل على روح مدرسية صريحة ، ففى حين أنه قليلاً ما يأتى ذكر الأعلام السريانية والهندية ، نجد كثيراً ما وردت الأعلام الفارسية ... وعلى أية حال فمن الشكوك فيه أن نعدها الحلقة الأخيرة من سلسلة تقدم على امتداد من عصر ما قبل الإسلام إلى العصر الإسلامى

ولكن رأى مايرهوف لا يعدو أن يكون تقريراً ساذجاً ، فالأستاذ رسكا يقول : إن المسألة لا يمكن أن تفسر هذا التفسير البسيط الساذج من أن أعمال جابر بن حيان إنما هى أعمال مدرسة استمرت عدة قرون [1]

ولكن ، فلنتوسع قليلاً فى مناقشة ما يذهب إليه مايرهوف : فمايرهوف يبنى أساس برهانه على أنه لا يمكن لجابر أن تكون له هذه المعرفة الواسعة المدى بالكيمياء ، وهو الذى عاش فى القرن الثامن للميلاد ، ولكن أنسى الأستاذ مايرهوف وهو الفطن اللبيب الذى بحث فى الأصول التى استقى منها الإسلام العلم وبين بكل وضوح وجلاء أنه ما أتى القرن الثانى من هجرة الرسول ، أى القرن الثامن من الميلاد ، حتى كان لدى المسلمين معرفة حسنة بل جيدة بالعلوم ، وخاصة الطبيعية منها التى كانت لدى الفرس والسريان والهنود والمصريين واليونان [2]

ولكن يمكن أن نلتمس له عذراً إذا عرفنا أن المدة بين رأيه الأول ورأيه الثانى تقرب من ثمانى سنوات . فإذا كان مايرهوف سنة ١٩٣٧ يهدم الأساس الذى بنى عليه مايرهوف تقريره سنة ١٩٣٠ فلا يسعنا إلا أن نرفض النتيجة المترتبة على رأيه الأول ، وهى أن أعمال جابر من أعمال مدرسة امتدت حوالى ثلاثة قرون

(يتبع) أحمد زكى صالح

(١) من مقال له فى pegaey of Islam

(١) Ruska : Alchemy in Islam. Isl. cul. 1937

(٢) M. Meyerhaf : on the transmission of Greek & Indian Science to the arabs



الى الدكتور زكي مبارك

قرأنا حنقين مقالك الذي تبكي فيه بلدة آثرت صلة هواك بملاهيها وحبك لماهدها على صلتك بإخوانك الذين جرّعهم أبناء النور الصاب ، وأوردوهم شرّ مورد ، صلة الدم واللسان والإسلام ما كان لك أن تنساها

ولولا أن الفم فيه ماء ، لعاتبتك عتاباً يتحدث به الركبان .

ولكن يشفع لك ما قدمت إلينا من جميل ، وما أسلفت من إحسان

وإن يكن للقول الذي ساء واحداً

فأقوالك اللاتي سررن ألوف

وأرجو ألا يمنع الأستاذ الزيات من نشر هذه الكلمة أنه شريكك فيما أعاتبك عليه وألوم ...

والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته

(دمشق) علي الطنطاوي

(الرسالة) : كان الأستاذ الطنطاوي حرياً أن يفرق بين فرنسا السياسية المستعمرة وفرنسا الأدبية المتمدنة ، فانه لو فعل ذلك لوافقنا على أن فرنسا الروحية هي الوطن الفكري لكل أديب .

أصحاب العاهات ونوادرهم

ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد في العدد الماضي من الرسالة أن نخبة من أدباء دمشق عنوا بجمع أخبار أصحاب العاهات ونوادرهم وأنهم لم يعثروا إلا على القليل من أخبار العور وملحهم . ويسرني أن أرشد هذه اللجنة الموقرة إلى كتاب يفيدها في هذا الموضوع ، وهو « الشعور بالعور » للعلامة صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي ، وهو كتاب جامع في أخبار العور من صحابة وتابعين وعلماء وأدباء ، وهو على مثال كتابه في العميان المسمى « نكتُ العميان في نكتِ العُميان » . والشعور بالعور من الكتب التي نقلها المرحوم أحمد زكي باشا بالتصوير الشمسي عن مخطوط في بعض مكاتب الأستانة . وهو يوجد الآن في خزانته الزكية بدار الكتب المصرية . وعسى أن يجده الأستاذ في مكاتب دمشق الخاصة أو العامة فانه فريد في بابه .

محمود حسني زناتي

أمين الخزانة الزكية سابقاً

(الرسالة) : جاءنا مثل هذا البيان من الأديب رشاد عبد المطلب ، وقد زاد على ما قال الأستاذ الزناتي أن من هذا الكتاب نسخة خطية في الخزانة الخالدية في القدس ، وأن الصفدي كتابا في العمش وآخر في الحدبان ذكرهما السخاوي في كتابه (الاعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) .

دعاء : شيئاً لله يا مرسي !

يا أبا العباس لقد كنت تقياً ، وقد كنت ولياً ، وإن لك عند الله كرامة ، وهو مجيبك إذا دعوته ، فهلا دعوته اليوم للاسكندرية !

لقد دعا الشيخ المراغي للقاهرة فادع أنت للبلد الذي أسكنك الله إياه كما دعا إبرهيم للبلد الآمن ، الذي أمنه الله بدعائه

قل يا رب صن الإسكندرية من شر عبادك ، كما صانت الإسكندرية عبادك من شر بلادهم ، فكم جاءها من فقير ، وكم جاءها من يائس ، وكم جاءها من مؤمل ، وكم جاءها من مجاهد ، وكم جاءها من عالم ، وكم جاءها من عابد ، وكم جاءها وكم جاءها . جاءوها من هنا وجاءوها من هناك ، ففتحت لهم جميعاً ذراعيها ، وأحسنت وفادتهم ، وآخت بينهم ، وحنت عليهم أماً رؤوماً ، وعلمتهم ، وشدت أزرهم ، وصرفتهم من كتمة الفل إلى براح الرجاء ، وطهرتهم من وخامة الحقد لما كوتهم بالملح ... فصنها يا رب صنها فما كانت تتوقع من إنسان غدراً ، وما قدمت يداها سيئة ، وما انطوت نفسها على ضغينة ...

ليس في الإسكندرية جبن يا رب وليست فيها ذلة ، وأنت أعلم بمن فيها من عبادك الذين يصارعون التحجر في الصحراء والتجبر في البحر والتناحر في التجارة ... أيكون هؤلاء جبناء أنذالاً أذلة ، أم هم الأحرار الكرام الأعزة ... ؟ إنهم الأحرار الكرام الأعزة يا رب ، إذا هبط لهم العدو وصادمهم وجهاً لوجه ، وفرداً لفرد ؛ أما أن يتحجب فوق السحاب ويقذف بالنار وهو فوق ، فالأسود يا رب تحرقها النار إذا انقذفت عليها من فوق ... فصن اللهم الإسكندرية

وإذا كانت الإسكندرية قد فسقت يوماً عن أمرك يا رب حين تولتها المرأة كيلوباترة فقد أنزلت بعد ذلك عليها من غضبك

ونقمتك ما ردها لصوابها فتابت إليك يا رب وأنابت واحتملت عن مصر بعد ذلك ويلات الحروب المتوالية ، وهجمات الطامعين المتعاقبة . فهلا تبت عليها بذلك فتغفرت لها الميئات من سيئاتها ، وما سيئاتها إلا مجون الطيش وعبث الخفة ، وهي بريئة بعد ذلك من الطغيان ، بريئة من الكفر ... وهي لا تزال إلى اليوم تخشاك وتخافك ، إن أذنبت استغفرتك ، وإن زلت استنجدتك ، فإن استمرأت الخطيئة ، واستغرقت فيها ذكرتك ، وإن في الأدنس من أحيائها صلاة لك ، ومسجداً تهوى إليه أفئدة الأشقياء المحرومين ، أو أسماعهم أو أنظارهم ، فما يلبثون حتى يقولوا وهم في سكرة الرجس : اللهم يا رب ... يرجونك ويسألونك الهدى ... يا رب ...

... قل لربك هذا يا موسى ، وقل من عندك ما هو خير

« عزيز »

عطف ملكي كريم

رفعت إلى السدة الملكية العالية نسخة من كتابي الجديد « بين صديقين » فكان من فضل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، أن تلقيت كتاباً كريماً من ديوان كبير الأمناء ، أتشرف بنشره في مجلتنا « الرسالة » الغراء ، ونصه :

حضرة المحترم الشيخ أحمد جمعة الشرباصي :

أتشرف بإبلاغ حضرتكم الشكر السامي ، على النسخة التي قدمتموها إلى « حضرة صاحب الجلالة الملك » من كتابكم « بين صديقين »

وتقبلوا وافر الاحترام ؟ كبير الأمناء

تحريراً في ٩ يوليو سنة ١٩٤٠ عنه : أحمد محمد حسنين إمضاء

وإني لأبتهل إلى الله العليّ القادر أن يؤيد مُلك الفاروق وأن يعز دولته ، وأن يحفظه قائداً للشباب وقدوة للملوك ! ...

« البجلات » أحمد جمعة الشرباصي

الشيخ الأكبر

يطلق كثير من المسلمين لقب « الشيخ الأكبر » على الشيخ محيي الدين بن العربي اعتقاداً منهم بولايته ومنزلته عند الله؛ وضريحه في دمشق محطّ للمئات منهم كل يوم يطوفون حوله ويتمسحون به تبركاً وربما دعاه بعضهم لقضاء حوائجه بدلاً من أن يدعو الله . وإذا أنكر هذا عليهم منكر اتهموه بالزندقة، وقد أحببت أن أعرض للقراء بعض ما يقول هذا الرجل، وأن أترك لهم الحكم في «ولايته»

قال في كتاب اليواقيت والجواهر : إعلم أن عدد الأنبياء والمرسلين من بني آدم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، كما ورد في الحديث (!) ولا بد من هذا العدد في الأولياء في كل عصر وقد يزيدون . وقد جمع الله بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد إلا وعرفته، وكذلك جمعني على من هو على أقدامهم من الأولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم . وقال : رأيت في كشفي جميع الأنبياء والمرسلين ، وأممهم مشاهدة على من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق تعالى في صعيد واحد ! قال : وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه السلام قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك مني فكان يبكي عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لي منه خشوع عظيم . وأما موسى عليه السلام فأعطاني علم الكشف والإفصاح عن الأمور وعلم تقليب الليل والنهار . وأما هود عليه السلام فأخبرني بمسألة كانت وقعت في الوجود وما علمتها إلا منه . وأما عيسى عليه السلام فتبت على يديه أول دخولي في طريق القوم .

وقال في الفتوحات (الباب الثالث والسبعين): ما اجتمعت بأحد من الأنبياء أكثر من عيسى عليه السلام، وكنت كلما اجتمعت به دعا لي بالثبات حياً وميتاً ! وكان يقول لي : يا حبيبي ! وقال فيه (الباب الخامس والستين) : قد شاهدت في واقعة نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وشاهدت جميع الأنبياء وأشهدني الله تعالى جميع المؤمنين بهم ، حتى ما بقي منهم أحد لا من كان ولا من يكون إلى يوم القيامة ، وعرفت خاصهم وعامهم ، وعرفت جميع السعداء الذين كانوا في ظهر آدم وعددهم ، فلا يخفى عليّ الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار، لكن لم يعطني الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم . ويقول فيه (الباب الثامن والتسعين) فإن قلت . فهل اطلع أحد من الأولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم الأعلى في اللوح إلى يوم القيامة ؟ فالجواب نعم ومائة نعم ! وأنا ممن أطلعه الله على ذلك . فإن قيل لكم : فكم عدد ما سطر في اللوح من آيات الكتب الإلهية ؟ فالجواب : عدد ما سطر في اللوح من الآيات التي أنزلت على الرسل: مائتا ألف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ! !

فما رأي سادتنا العلماء في هذا الولي العظيم والشيخ الأكبر؟

(دمشق) م . ط

حديث صحيح

جاء فى كتاب « فجر الإسلام » ص ٢٦٧ : أن البخارى على جليل قدره ودقيق بحثه أثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية على أنها غير صحيحة . واستشهد لذلك بحديث : « لا يبق على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة » اه

هذا الحديث أخرجه البخارى كاملاً فى باب السمر فى الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة، ونصه : عن عبد الله بن عمر قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء فى آخر حياته ، فلما سلم قام النبى (ص) فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد . فوهل الناس فى مقالة رسول الله عليه السلام إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة ؟ وإنما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض يريد أنها تخرم ذلك القرن . ورواه مختصراً — على عادته من تجزئة الحديث فى مواضع متعددة — فى باب السمر من كتاب العلم ، ونصه كما نقله الأستاذ أحمد أمين . وفى هذا المقام نبه الشراح — ابن حجر والقسطلانى والكرمانى — على أنه جزء حديث ، وأنه ذكر كاملاً فى باب السمر فى الفقه ، وأنه مقيد بقيد « اليوم » . ورواه مسلم من طرق متعددة إحداها عن جابر أنه عليه الصلاة والسلام قال لهم قبل وفاته بشهر : « ما من نفس منفوسة اليوم تأتى عليها مائة سنة وهى حية يومئذ » . وقد نص النووى وغيره على أن هذا الحديث علم من أعلام النبوة إذ أخبر فيه بأن كل نفس كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة ، وكان الأمر كذلك ، وليس فيه نفى عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة ، ولا إخبار عن فناء الدنيا بعد مائة سنة كما فهمه الأستاذ أحمد أمين . وقال ابن حجر بعد شرح الحديث المذكور : « وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجوداً حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتاً ، وغاية ما قيل فيه أنه بقى إلى سنة عشر ومائة ، وهى رأس مائة سنة من مقالة النبى صلى الله عليه وسلم » . فكيف أقدم الأستاذ على الحكم بوضع هـذا الحديث ، وهو كما رأيت من أخبار الرسول التى وقعت كما أخبر !

وقد عدّ الأستاذ فى آخر فصل الحديث مراجع ذكر فى مقدمتها فتح البارى والقسطلانى على البخارى والنووى على مسلم فإن كان قد اطلع على روايات الحديث ، وما كتبه الشراح ، فكيف حكم بكذبه ، وإن كان لم يطلع إلا على الجزء المختصر من متن البخارى فكيف عدّ تلك الشروح من مراجع بحثه ؟!

مصطفى حسنى السباعى

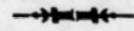
***

فى الكلمة الماضية جاء لفظ « قهزاز » وصوابه « قهزاذى » . « والفزار » وصوابه « الفزارى » .



عودة المــاضى

للأستاذ محمد سعيد العريان



خلت « هُدَى » إلى نفسها تتدبّر أمرها وتزن ماضيها وحاضرها ؛ كانت تشعر أنها قادمة على أمر ذى بال ، وأنها الساعةَ فى مرحلةٍ بين مرحلتين من حياتها ، وثمّةَ طريقان عليها أن تختار أيّهما تسلك ؛ فإما إلى سعادةٍ تُنسيها الماضى بما فيه من لذة ونشوة وسحر ، وإما ...

ولكنها لا تعرف السعادةَ إلا ما كانت فيه قبل ؛ فما هذا الجديد الذى يحاول أهلها أن يزيّنوه لها ويحملوها عليه ؟

الزواج ! والبيت ! والأسرة !

ما أجمل هذه الأسماء وألطفَ موقعَها من قلب كل فتاة ! ولكن ما بال « هدى » إذ تسمعها الساعةَ كأنما تخزها وخزَ السنان ، فما تطرق أذنَها إلا فارغةً من معناها أو معدولاً بها عنه ، فليس لها فى نفسها إلا معانى القلق والوحشة والحرمان !

أتراها وقد جاوزت العشرين لم تفكر فى الزواج والبيت والأسرة قبل اليوم ؟ بلى ! ولكن ... ، لو أن أحداً غير أبيها وأمها ألقى إليها هذه الكلمات قبل ، لكان لها معنى حقيقٌ بأن يسرّها ويملأها سعادة ومرحاً ؛ أعنى لو أنه هو ... ولكن ، أين هو ؟ وهل يدرى ... ؟

وطارت خواطرها سريعاً إلى « ماجد » ، وتمثلته جالساً مجلسَه ينتظرها لموعدها الذى طالما التقيا فيه منذ سنوات ... يتلفت وعدّ عينيه يتنوّرها قادمةً من بعيد ، فيلقاها مبتسماً ويبسط لها يمينه !

آه ! ماذا تُراه يفعل حين يبلغه النبأ ، فيعرف أن « هدى » لن توافيه لموعده منذ اليوم ، وان تلقاه ، ولن يراها ؛ لأن حياةً جديدة قد باعدت بينهما فلا سبيل إلى اللقاء !

ورانت على عينيها غشاوة من الدمع ، وتدحرجت على خدها عبرة ؛ وامّحى خياله من خيالها ، ثم عاد ، ورأته – كما نظرت فى مرآتها – عابساً مقطّباً ، فى جبينه ذلة المخذول وفى عينيه ذبول السهر ولهفة الحرمان !

وغلبتْها نفسُها فأرسلت عينيها ، وأطرقتْ ، وأصابعُها تعبث بمنديل بللته الدموع !

ورن جرس المِسرّة ، فهبّتْ واقفة كأنها من رنين الجرس على ميعاد ، ثم ذكرتْ موقفَها ، فقمعتْ فى صدرها رغبة تختلج وعادت إلى مجلسها . لا ينبغى أن يسمع « ماجد » صوتَها فى المسرة بعد اليوم !

* * *

لم يَحسب ماجد وهدى حساباً لهذا اليوم من قبل ، ولم يدُر فى خاطر واحد منهما لحظة أن هذه الساعة آتية ؛ لقد كانا من الحب فى سكرة ذاهلة لا تدع لهما سبيلاً إلى الفكر والتدبير وتَوَقُّع ما لم يقع بعد ... وفجأة تغيّر الموقف وكان ما لا بد أن يكون ؛ وطرق الباب طارقٌ مجهول يطلب يد هدى ...

... وسأل أبوها وتقصّى أمرَه ، فرضيَه لفتاته ، ولكنه تلبّث حتى يسمع رأيها ، وسألها فلم تُجب ، وفزعت إلى خلوتها تتدبّر أمرها وتزن ماضيها وحاضرها ، وتبكى ...

أكانت تبكى حُباً لماجد أم شفقة عليه ؟ مَن يدرى ؟ ولكنها ظلت تبكى ؛ وماذا تملك أن تفعل غير البكاء ؟

أتُراه يعرف ؟ ياليت ...! إنه هو وحده الذى يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة غير البكاء ! لو أنه جاء الساعةَ يطلب يدها ! إذن لاستطاعت أن يكون لها رأى ، وأن يكون لرأيها اعتبار ومكان ... !

ولكنه جالس مجلسه هناك ، ينتظرها لموعدها ؛ فمَن له بأن يعرف ؟ مَن له بأنه لن يرى هُدى بعدُ ، ولن تراه ؟

... أم تُراه لو عرف يسرع إلى بابها فيزحم هذا الخاطبَ المجهول بما له من سابقةٍ وصلةٍ قريبة ؛ فما منَعَه من ذلك قبلُ لو أنه كان يريد ؟

... ومضت أيام قبل أن تعلن هدى رأيها إلى أبيها ؛ لقد حاولتْ فى هذه الأيام أشياء كثيرة ولكن محاولاتها جميعاً لم

تستطع أن تحمل فتاها على ما أرادتْ ؛ ليت شعرى أكان ذلك منه غباء أم تغابياً ؟

ولم تجد الفتاةُ سبيلاً إلى الخلاص بعد ، فرضيتْ !

* * *

لم تكن هدى من الغفلة بحيث تجهل أنها مقبلة على عهد جديد ليس بينه وبين ماضيها سبب ، وأن ذلك الماضى بما فيه من أمانى وذكريات قد ذهب إلى غير رجعة ؛ فإن هى لم تستطع أن تنزع من نفسها كل ما يربطها به ، فقد ضلّتْ وأثمتْ وبذلتْ ما لا تملك لمن لا يملك — فراحت من أول يوم تحاول أن تدفن ذلك الماضى فى أعمق أغوار النسيان ، فلا تدع سبباً يذكّرها به إلا أبعدته وعفّتْ آثاره ؛ فلا رسالة ، ولا صورة ، ولا جريدة فيها شىء من معناه أو ممن يتصل به إلا أحرقتها وأذرَتْ رمادها ، وحتى المخدع الذى كان يُلمّ بها طيفُه إذ تأوى إليه ، لم تَدَعه فى موضعه ؛ والصورة التى تصوّرتها يوماً لتهديها إليه حين يطلبها — ولم يطلبها — ، لم تُبقِ عليها ؛ والسرة التى طالما تحدث فيها إليها وتحدثت إليه فى غفلة من أهلها وأهله ، لم تحاولْ أن تمسك سمّاعتها بعدُ مرةً واحدة لتنادى أحداً أو تجيب نداء ...

ولكن هدى مع كل ما فعلتْ وما غيّرتْ من نظام حياتها كانت من أوهامها ووساوسها على حذر ورِقبة، تخشى يوماً يستيقظ فيه ذلك الشبحُ الراقد فى قلبها فيفسد عليها حياتها ويُزِلّها !

وتركتْ ما كانت فيه من أسباب اللهو ومتاع الشباب إلى الصلاة والعبادة ، لعل الله أن يجدد لها السعادة ويهب لها السلوان ؛ وجلست فى مُصَلّاها ورفعتْ يدين ضارعتين إلى الله تدعو : « يا ربّ ! هذه طاقتى فيما أملك ؛ فجنّبنى الإثم والخطأ فيما لا أملك ! »

ولما حُدِّد يومُ العُرس بعد أيام ، رَجَتْ أباها وخطيبَها أن يَنْسَآ الأجل ؛ فما تريد أن تذهب إلى زوجها إلا فارغة القلب له ، مغسولة الصفحة من ذكريات الماضى جميعاً ! ...

* * *

وجلست هدى إلى خطيبها وجلس إليها ، ورأتْ فتًى يستحق الحبّ لو أنها تملكه ؛ فمنحته الاحترام والطاعة !

وكثر لقاؤها خطيبَها ، وطالت مجالسهما وطابت . وخلا إليها ذات مساء يحدثها وتحدثه ، ومضى الحديثُ فنوناً ، وكشف لها من صدره ووضع بين يديها أمانيه ؛ ونظر إليها بعينين صافيتين فيهما طهر وبراءة ، ونظرت إليه فأغضَتْ من حياء ، ونهضت معتذرة فأوت إلى مخدعها تبكى !

أرأيت دموع الندم فى عينى فتاة قط !

لكأنما كانت تحاول أن تغسل بالدموع سرّاً أطلّ عليه من عينيها حين نظرتْ ونظر ، فلم ترقأ دمعتُها ليلتئذ !

ولما جلست إليه فى الزورة التالية بعد أيام ، حاولتْ أن تقول شيئاً ثم أمسكتْ ؛ لقد خُيّل للمسكينة أنها تستطيع أن تتخفّف من وقر ذلك الماضى الذى تثقل ذكراه على ضميرها لو باحتْ به بين يديه ؛ ولكنها لم تقدر ، فسكتتْ على ألم !

... وراحت الأيام تدنيهما قلباً إلى قلب وروحاً إلى روح حتى صفا الود بينهما ، وتراءيا نفساً لنفس ، وكشفت لها الأيام منه كنزاً من الإخلاص والوفاء والرجولة ؛ فمنحته الإعجاب إلى الاحترام والطاعة !

وأخذ الماضى يتلاشى من خيالها ويستتر فى حجاب وراء حجاب من فضائل خطيبها ، حتى نسيت ؛ فلم يعد شىء من ذلك الماضى يلم بها أو يخطر لها ، وأنست إلى حاضرها وسعدت به !

* * *

وصحبتْ زوجها إلى داره ، والتقيا روحاً وجسداً وعاطفة ، وثابت نفسها إلى الاطمئنان والرضى ؛ فراحت تبذل لزوجها ما تستطيع أن تبذل وراح زوجها يبذل لها ، ورفرف طائر السعادة على عشهما يغرّد ألحانه . ومضى عام ، وصار الاثنان ثلاثة ؛ واجتمع شمل الأسرة السعيدة على الوفاء والحب والإيثار ؛ وكما يشرق الصبح فى أعقاب ليل داج فيغسل ظلماته بفيض من النور ويمسح على وجه السماء فإذا هى مشرقة تتألق — كذلك كان حاضرها من ماضيها ، وتلفّف الماضى فى أكفانه ودفنته الأيام فى أعمق أغوار النسيان !

* * *

ثم كان مساء ، وكانت هدى تسابق طفلها فى شارع خالد على شط النيل حين برز لها شبح فألقى ظلاله فى طريقها ثم تراءى لها. وانبعث الماضى إنساناً حياً يحدق فى وجهها بعينين فيهما ظمأ وجوع ، وانطوى الزمان فكأن ما مر من سنيه لم يكن

إلا خفقة طرف سافرت فيها النفس ثم آبت ؛ وطفت الذكريات الراسبة في أعمق الأغوار بسمات على الشفاه تختلج وتناجياً في العيون تتلاحظ ؛ وهتف ما جد في همس : هُدى !

وهمَّتْ هدى أن تجيب النداء فما أطاقت ، ورانت على عينيها غشاوة من الدمع ، ودار رأسها فأوشكت أن تسقط ، فاستندت إلى جذع شجرة قائمة وأغمضت عينيها ، وتعاقبت على الواعية الباطنة صورٌ وذكريات ، وخيل إليها أن أصواتاً كثيرة تهتف بها ، وأن متكلماً يتكلم ويسأل ويجيب ولا سميع ، وأفاقت على على صوت ناعم يناديها ويجذب ثوبها : ماما ! ماما ! أنا سبقتك !

وانحنت على طفلها فحملته بين ذراعيها وكرت راجعة ، وأوت إلى مخدعها تبكي !

***

وكعهدها في ليلةٍ منذ سنوات — كانت في تلك الليلة ؛ وخلت إلى نفسها تتدبر أمرها وتزن ماضيها وحاضرها ؛ وشعرت كما شعرت مرة من قبل ، أنها قادمة على أمر ذي بال ، وأنها الساعة في مرحلة بين مرحلتين من حياتها ؛ ولكنها هذه المرة لم تكن في شك من الطريق الذي ينبغي أن تسلكه وإن كانت تطأ فيه الشوك وتدوس على الجمر !

ودنا الطفل من أمه وعلى شفتيه كلمة صامتة وفي عينيه سؤال...

ومدت أمه إليه يداً فضمته إلى صدرها وانحنت عليه وراحت تبكي بلا دموع !

« يا ولدي ! ... »

ولم تتم حديثها ! ترى بماذا كانت تريد أن تحدث طفلها ؟ أتراها كانت تريد أن تتخفف من ثقل يئودها فتفضي إليه بالسر الذي عجزت عن الإفضاء به إلى أبيه ...

وذكرت الرجل الذي وضع أمانيه بين يديها وأخلص لها ؛ لقد منحته من نفسها الاحترام والطاعة حين عجزت أن تمنحه الحب ؛ ولقد خُيل إليها في فترة من حياتها أنها تحبه ؛ فما بالها اليوم قد صبأتْ حين ذكرت ذلك الماضي الذي كانت تظنه قد غاب في مَدْرَجة النسيان ؟

***

وتعاقبت الأيام ، وهُدى من داء قلبها في همٍّ واصب ، والزوج يرى ويحس ولا يكاد يدري ، والطفل يذبل ويذوي عوده ؛ إذ كانت أمه في شغل عنه بما تصارع في نفسها من هم !

وعاد الزوج إلى الدار ذات مساء ومعه ضيف ... وكان الماضي طيفاً يُلمّ فعاد ضيفاً يزور !

واستقبلته هدى بشعور بين الأنس والوحشة ، واتخذت مجلسها بإزاء الرجلين اللذين فرض عليها القدر أن تكون منهما بين شِقَّي مقص لا يجتمعان إلا على فرقة وشتات !

ونهض الزوج لبعض شأنه ، فهمَّت أن تلحقه حين ناداها ماجد ، ونظر إليها ونظرتْ ؛ وكان في عينيه نظرةٌ ضارعة ، وفي عينيها نظرةُ تساؤل ، وتحركت شفتاه هامساً : « هدى ! لقد التقينا أخيراً ... »

وفي نبرة صارمة متكبِّرة أجابته ووجهها إلى الباب : « خيرٌ ألا نعود ... ! »

***

ولما خلت إلى نفسها بعدُ ومَثَلَتْ صورته في خيالها ، كان رجلاً آخرَ غير مَن كان ؛ بلى ، إنها كانت تحبه ، وكانت تحفظ له في أعماقها أجلَ الذكرى ، ولكنها لم تعرفه على حقيقته إلا الساعة ؛ لقد كانت له يوماً بقلبها وعواطفها تحفظ له غَيْبَه ومَشهده ؛ فماله يحاول اليومَ أن يكون له منها غَيْبٌ ومشهد ؟ أتراه لم يصحب زوجها إلى داره إلا ليقول لها في همس : « هدى ! لقد التقينا أخيراً ... » أم تراه يحاول أن يُزِلَّها بالمكر والخديعة لتمنحه في غفلةٍ من زوجها بعضَ ما لا تملك !

ونبذَتْه مُذ عرفته وسقط من حسابها ، وتحطم التمثال الجميل الذي أقامته في قلبها تقدّسه وتتعبّد له ؛ ومحت كلمةٌ من شفتيه ما لم تمحه السنون من ذكريات الماضي فصار هباء وعاد كما بدا !

ووازنتْ بين رجلٍ ورجلٍ فشالت موازينُ ورجحتْ موازين ، وانجابت الغشاوة عن عينيها فهمدلأي ما أبصرتْ ، وعرفتْ ...

... وشيعه زوجها إلى الباب وقفل إليها كأنه عائد من سفر طويل ، ودفنت وجهها في صدره لتذرف آخر دمعةٍ على الماضي الذي ذهب ولن يعود ؛ ورفعت إليه عينين مخضلتين بالدمع وعلى شفتيها كلمة حب لم يسمعها قط ولم تقلها منذ أظلهما سقف .

وكأنما كان قلبها في سجنٍ فحطّم أقفاله وانطلق ، وبدأ الحب يكتب تاريخاً جديداً في صفحة بيضاء !

محمد سعيد العريان

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }



8me Année No. 369

Lundi - 29 - 7 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــصـــــ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٦٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٩ يولية سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

تقـديم السنين

« على طريقة المقامات »

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلت ونحن نقدم الساعة : غير هذا التقديم كنت أريد . فنحن لم نقدم الساعات ولكننا سمينا الحادية عشرة ثانية عشرة وانتهينا عند هذا التبديل ، وإن هى إلا أسماء !

وإنما التقديم الحقيق بمعناه أن نتقدم الساعة فى الزمان ، فيصبح ما سيكون فيها وقد كان

فمن ركب الطيارة من القاهرة يصبح « على جناح السرعة » وهو فى الأسكندرية

ومن أخذ فى قراءة فصل من كتاب يصبح وقد فرغ من القراءة ووعى ما قرأ ، أو فى كتابة مقال يصبح وقد فرغ من كتابته كأنه قد جهد له طوال الدقائق الستين من تلك الساعة .

ومن غلبه الغضب يصبح وقد سرى عنه ، أو من اطمأنت نفسه بالغبطة يصبح وقد تهيأت نفسه لغبطة جديدة

فهكذا يكون تقديم الساعات ، أو هكذا يكون التقدم فى الزمان

***

ثم قلت وقد سنح لى الخاطر وتمثلت الأمنية : أمن أجل ساعة واحدة تريد هذه الخارقة ؟ كلا ، هذا إسراف فى التمنى وافتيات على الخوارق . وساعة واحدة لا تستحق هذا الإسراف ولا هذا الافتيات . فما أيسر انتظارها على المتشوف ، وما أسهل إغفالها أو نسيانها على المتطلع ! إنما يستحق هــذه الأمنية تقديم سنين لا تقديم ساعات ، فمن لنا بمن يقدم الزمان فى مجاهل المستقبل عشر سنين ؟ ومن لنا بمن يميط هذا الحجاب الكثيف لعيون المتلهفين ونفوس المترقبين ؟

عشر سنين فإذا الغد أمس والمجهول معلوم

عشر سنين فإذا الحرب الحاضرة وقد سماها الكاتبون حرباً ماضية ، وإذا الناس قد عرفوا الغالب والمغلوب ، وكشفوا الغشاوة عما وراء هذا الستار المضروب ، من غبار الوقائع وعِثْيَر الحروب

عشر سنين فإذا بلاد قد طويت وبلاد قد نشرت ، وإذا أعلام قد برزت وأعلام قد اندثرت ، وإذا مذاهب من الإصلاح أو من الإفساد قد جربها المجربون، فمنهم راضون ومنهم ساخطون، ومنهم من يحكم على أصحابها بالحكمة ومن يحكم عليهم بالجنون

وفى مصر كم ذا يحدث فى عشر سنين ؟

وكم جاهل بحاضره اليوم يصبح وهو من علم الغد وبعد الغد على أتم اليقين

عشر سنين !

فمن ذا الذى يدير لنا لوالب الزمان عشر سنين ؟ !

* * *

قال الراوى : وكأنما كانت أمنيتى هذه أمنية مرقوبة فى العالم المجهول ، فما سنحت فى خاطرى حتى تكشفت لبصيرتى ساحة فسيحة كأرحب ماتكون الساحات ، مكظوظة باللوالب والتروس ، مزحومة بالمحركين والمحركات ؛ وعلى مقابض تلك اللوالب مردة أشداء ، ظهر عليهم السأم ولا أقول ظهر عليهم الإعياء ، وكبيرهم الذى يقبض على أكبر اللوالب يسألنى سؤال العارفين : أأنت المقترح علينا تقديم الزمان عشر سنين ؟

قلت : نعم . وإن شئت فعشرين أو خمسين !

قال : على رِسلك . فما أجبت إلى الصغير حتى تطلب العظيم ، فهل أنت وحدك طالب هذا التقديم ؟

قلت : أحسبنى وحدى ، فما زاد الأمر على أمنية فى خلدى

قال : جزاك الله الحسنى ، فليس أحب إلينا من إجابة ما تتمنى ، فقد سئمنا والله وبرمنا ، وشقت علينا الإدارة والدوران ، وتاقت نفوسنا إلى اختزال واختزان ، على شكل من الأشكال ولون من الألوان

إلا أنك وحيد . وماذا تغنى أمنية الوحيد بين المدد المديد ؟ فهلا ضممت إليك جمعاً من الطلاب ، وحشداً من الزملاء والصحاب ، فنسأل لك ولهم ونطمع إذن فى أن نجاب ؟

* * *

قال الراوى : ولم يكن أيسر علىّ من جمع الألوف والمئين ، ممن يشتهون تقديم السنين ، فخرجت فناديت : إلينا يا طلاب الغيب المكنون ، الذين يودون لو يعرفون ما أضمرت للدنيا سنة ألف وتسعمائة وخمسين ، فنى لمحة واحدة تبصرونها اليوم فيما تبصرون ، وتسمعونها اليوم فيما تسمعون . فما أتممتها حتى كان معى فى الساحة الكبرى ملايين من ورائهم ملايين ، يوشك أن يضيق بهم المكان ، فلا تدور المحركات ولا يتحرك المحركون . وقلت لصاحب اللولب الكبير : دونك اللوالب فأدرها ، فهؤلاء هم الراغبون المؤيدون

فنظر إلىّ كالمتهكم وهو يقول : لوالبى فأديرها ؟ ! أهكذا بغير شرط وبغير قبول ؟

فاستغربت مقاله ، وأعدت عليه سؤاله : بغير شرط وبغير قبول ؟ فما ذا تشترطون ؟ وماذا وقد وصلنا إلى الساحة الكبرى يحول بيننا وبين الوصول إلى الغد المأمول ؟

قال : الشرط معقول ، والشرح لا يطول ... !

قلت : هات ما عندك ، فقد يهون الشرط المعلوم فى سبيل الغيب المجهول

قال : إن هذه السنين تحسب من أعمار الناظرين

قلت : كيف ؟ ألا تبين ؟

قال : بلى ، وإليكم البيان . فمن أباه فلينصرف ومن ارتضاه فليبق فى هذا المكان

أيها المستطلعون والمستطلعات : إذا دارت اللوالب فمن بقى له من العمر خمس سنوات ، فهو إذن مطوىٌّ فى غياهب القبور

منذ خمس سنوات ، ومن بقى له من العمر اثنتا عشرة سنة فغايته بعد إدارة اللوالب سنتان ، أو عشرُ محرَّمات فهو ميت عند بداية الدوران

ثم نظر إليهم كما ينظر دلال المزاد ، ونادى فيهم : أقابلون ؟ « أنضبط » اللوالب على الميعاد ؟

فما أتمها أو كاد ، حتى خلا المكان إلا من خمسة أفراد : صاحب الأمنية ، وفيلسوف ، ومخترع ، وفنان ، ورجل من الزهاد

***

قال الراوى: فعجب أصحاب اللوالب من هذا الحشد الصاخب، والجيش اللاجب، ما بين زائغ ورائغ وهارب ، وطفقوا يعجبون من قلة من يعيش للمعرفة والحكمة ، وكثرة من يعيش للنفَس واللقمة ، وشاقهم أن يسألوا أولئك الخمسة ما بالهم قد طاب لهم المقام ، فلم يتفرقوا مع الزحام ؟

ومال صاحب اللواب على الفيلسوف يسأله : ما بالك لم تذهب مع الذاهبين ؟

قال : إذا جمعت خلاصة العمر فى لمحة فما أنا من الخاسرين

وسأل المخترع : وأنت ما بالك لم تذهب مع الذاهبين ؟

قال : إذا حكيت لوالب الزمن فقد عفَّيت على المخترعين ، وقبضت على زمام القرون ، فإنى إذن لمن الخالدين

وسأل الفنان : وأنت ما بالك لم تذهب مع الذاهبين ؟

قال : لعلى أستخلص زبدة البقاء، من هذه السنين الجوفاء، فأصوغها فى رمز ثمين ، أو تمثال مبين

وسأل الزاهد : وأنت ما بالك لم تذهب مع الذاهبين ؟

قال : لأن تذهب بى أقدام الزمن خير من أن تذهب بى هذه القدم الواهنة وهذا القلب الحزين

وسألهم جميعاً : ومن أدراكم وقد دارت اللوالب أنكم ستعيشون ولا تذهبون مع الغابرين ؟

قالوا : هذا الذى نسألك عنه

قال : وهذا الذى أجهل سره

ثم عاد سائلاً : فهل قبلتم ما يكون وقد جهلتم أين تذهبون ، يوم يدور دولاب السنين ، وتطلع على الدنيا سنة تسعمائة وخمسين ؟ فتلفتوا ثم تعلثموا

وانجلى الحشد الحاشد، عن شبح جامد، كأنه الجسد الهامد، لا يقارب ولا يباعد

... اذهب أيها الزاهد ، أو اقعد حيث أنت قاعد ، فما دارت طاحون من أجل واحد ، فتدور من أجلك دواليب الزمن الخالد والأبد الآبد

***

قال الراوى : وإذا صدَّقتم هذه المقامة ، فلا تقديم للسنين حتى القيامة ، وعلى الله السلامة ! . . .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

إليك أعتذر ، أيها الغزالي . فما كنت أحسب أن السياسة ستجني علينا كما جنت عليك — حصار مزعج ! — اللهم اجعل هيكل باشا هو الدكتور هيكل — عواطف نبيلة من شعب نبيل

إليك أعتذر ، أيها الغزالي !

في سنة ١٩٢٢ كنت أقضي أكثر الوقت في تحرير كتاب « الأخلاق عند الغزالي » وكان ذلك في أعقاب أعوام شداد واجهتُ بها نار الثورة المصرية ، واكتوت يدي بلهب الجدل والصيال حول المطالب الوطنية ، فأثر ذلك في عقلي وتفكيري إلى أبعد الحدود ، وحملني ذلك التأثير على السخرية من اعتزال الغزالي المجتمع السياسي وابتعاده عن الضجيج الذي كانت تثيره الحروب الصليبية في ذلك الحين

ثم مرّت أعوامٌ راضني فيها الدهر بعد الجُموح ، فعرفتُ أن الغزالي لم يكن من الجبناء ، وإنما كان من الحكماء

وهل أخطأ ابن خلدون حين نهى العلماء عن الاشتغال بالسياسة ؟ وهل أخطأ محمد عبده حين استعاذ بالله من مادة : ساس يسوس ؟

دلوني على رجل واحد غمس يده في السياسة ثم سلم من الأقاويل والأراجيف ؟

لا بأس من تجريح الرجل الآثم ، ولكني أستطيع أن أذكر عدداً من الرجال أُهينوا في السياسة بغير حق . وأعجب من ذلك أن أستطيع الإشارة إلى عدد من الرجال أهينوا بسبب الانسحاب من ميدان السياسة ، فهي عقربٌ تلسع بلا تمييز بين الغويّ والرشيد

إن أقطاب السياسة في مصر هم عيون الأمة من الوجهة القومية ، وهم أيضاً من الأقطاب في ميادين العلم والأدب والذكاء ، ولكن ما نصيب الأديب من الاستفادة بعقول هؤلاء الزعماء ؟

الرِّيبة تُلاحقك إن فكرت في زيارة هذا الزعيم أو ذاك ، والشبهات تحيط بك إن رأيت أن تزوّد عقلك بمعرفة أهل زمانك فتزور الأندية السياسية من وقت إلى وقت ، وسمعتُك غرضٌ رجيم لأهل الظنون إن طاب لك أن تحفظ الأدب مع أقطاب عصرك فتؤدي واجب التهنئة أو واجب العزاء في بعض الظروف

لك أن تجالس الفارغين من أحلاس القهوات ، وليس لك أن تظفر بمجالسة رجل كبير له منزلة سياسية ، فإن فعلت فأنت وصوليٌّ ينتظر الجزاء القريب أو البعيد

أليس هذا هو الواقع في هذه البلاد ؟

بأي حق يُحرم الأديب في مصر من التعرف الصحيح إلى من يسيطرون على السياسة المصرية ؟

وعمن يأخذ معاني التفكير في مصاير الأمور الوطنية إذا حُرم التزوّد بأفكار أولئك الرجال ؟

لو اتصل أدباؤنا بالزعماء لوجدوا لأدبهم آفاقاً أوسع من الآفاق التي يعرفون ، الآفاق المحدودة التي لا تُمتّع غير البصر الكليل ، الآفاق المزدحمة بأهل العقم والنضوب من الأشباح التي تغدو وتروح وليس لها زاد غير مضغ الحديث المعاد من فُتات الزور والبهتان

كيف يجوز لأديب أن يقول إنه عاش في هذا العصر مع أنه لم يعرف أحداً من أمثال مصطفى النحاس ومحمد محمود وعلى ماهر وحلمي عيسى وعلى الشمسي وعبد الفتاح يحيى ومحمود النقراشي ومحمد هيكل ومصطفى عبد الرازق وحسن صبري وعبد الرحمن عزام وحافظ رمضان ولطفي السيد وأحمد ماهر ومكرم عبيد وصبري أبو علم ونجيب الهلالي ومحمود بسيوني ، ومن إلى هؤلاء من الوزراء والنواب والشيوخ ، فإنما تريد التمثيل لا الاستقصاء ؟

الأديب الذي لا يعرف أمثال هؤلاء معرفة صحيحة ليس بأهل لمعرفة روح العصر الذي يعيش فيه ، وهو أيضاً أكذب الكاذبين حين يدّعي أنه أثّر في عصره تأثيراً قوياً أو ضعيفاً ، فما يمكن لأديب أن يكون من أصحاب السُّلطة الأدبية إلا حين يستطيع بلسانه أو بقلمه أن يوجه المسيطرين على مصاير البلاد إلى غاية سامية أو مطلب شريف

ثم ماذا ؟

ثم تقع البشاعة التي نشهد آثارها في كثير من الأحايين

فالزعماء ناس كسائر الناس ، وعندهم أوقات يزجونها بالسمر والحديث ، فماذا يصنعون وقد غاب عن ناديهم كبار الأدباء ؟

يلتفتون فيرون أنديتهم قد اكتظت بأهل اللغو والفضول من الذين يؤذيهم أن يكون لرجل من أهل الأدب أديم صحيح ،

وعندئذ يصح عند الزعماء أن دنيا الأدب دنيا حقد وغيظ وليس فيها مجال للفكر الثاقب والرأي الرشيد ، فيكتفون بالزاد الخبيث الذي يقدمه إليهم الأفاكون من أشباه الأدباء . قاتلهم الله أنى يؤفكون !

سعد زغلول أعز أدب مصطفى المنفلوطي

وعبد الخالق ثروت أعز أدب طه حسين

ومحمد عبده أعز أدب حافظ ابراهيم

فهل تعرفون بعد هذه الأسماء أن زعيما مصريا عاون على خلق الفرص لأديب جديد ؟

وكيف نصل إلى التعاون المنشود والموانع تقوم من الجانبين؟ فالأدباء ينفرون من الاتصال برجال السياسة خوفاً من تهمة الوصولية

والساسة لا يعرفون من الأدب إلا أنه وسيلة للدعايات الحزبية

وبين خوف أولئك وغرض هؤلاء تضيع الفرص على الأدب الصحيح الذي يمثل ما في المجتمع من آراء وأهواء ، وحقائق وأباطيل .

أما بعد فالأدب في خطر ، لأن أصحابه في عزلة عن الساسة ، والساسة يملكون أكثر الوسائل في توجيه المجتمع ، لأن الحاكم يملك في اليوم الواحد ما لا يملكه الأديب في الأعوام الطوال

فإن كنتم في ريب مما أقول فتذكروا حوادث التاريخ ، فقد كان الناس منذ أقدم العصور يعرفون أن الأدب لا بد له من سناد ليؤدي واجبه على الوجه الصحيح ، وسناد الأدب هو الدولة ، والدولة هي الساسة الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأحسن القول هو التوجيه الذي يصدر عن كبار الأدباء

أليس من العجب أن يكون قدماء اليونان أعقل منا وبيننا وبينهم أجيال وأجيال ؟

ومن أجل هذا كان الأدب اليوناني القديم غنيًّا بالحديث عن سياسة الأمم والشعوب ، وكذلك كان الأدب العربي في العصور التي ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ، فلما خمدت جذوة العرب تخاذل الأدب وترك الحديث عن السياسة العالية ليتحدث عن المنافسة بين الربيع والخريف ، وليكثر القول في الألغاز وخصائص الأيام والأسابيع

أين ما دعوتُ إليه ألف مرة من خلق الصلات الروحية والذوقية والقومية بين الساسة والأدباء ؟

إن طالت هذه الجفوة بين هاتين الطائفتين فسيكون مصير الأدب من أقبح المصاير ، فسيُحصَر وهو راغم في الحديث عن مشكلات الحاجّة خدّوجة والمعلم مشحوت !

وأين الأديب الذي قضى سهرته في منزل سعد زغلول ليلة الحادث الذي خرج به الجيش المصري من السودان ليخلق منه قصة أروع من قصة الزوج الذي خانته زوجته الحسناء ؟ !

وأين الأديب الذي قضى سهرته في منزل علي ماهر في الليلة التي مات فيها جلالة الملك فؤاد ليصور عواطف الوزراء في قلقلات التاريخ ؟

وأين ؟ وأين ؟

تلك أيامٌ خلَتْ ، فليستمدَّ الأدباء لفهم هذا القول ، فقد ينفعهم في الأيام المقبلات

حصار مزعج

ويمكن بعد هذا أن ندرك بوضوح أن الأدباء يعانون ضرباً من الحصار المزعج ، فهم بعيدون عن الأوساط السياسية خوفاً من تهمة الوصولية ، وهم بعيدون من الأجواء الشعبية خوفاً من تهمة الإسفاف ، وهم بعيدون من الأوساط الفنية خوفاً من تهمة النزق والطيش ، فقد شاع صدقاً أو كذباً أن الفنانين لهم بدوات تخرج عن الوقار في بعض الأحيان

نحن إذاً في حصار . ومع ذلك يُطلَب منا أن نصف جميع طبقات المجتمع ، وأن يكون أدبنا صورة صحيحة لما يثور في ضمير المجتمع من عواطف وآمال

وأنا أشهد على نفسي بالمرض من هذه الناحية ، فأنا أجانب رجال السياسة مجانبة مقصودة ، لأني أتوهم أن اتصالي برجال السياسة قد يصورني أمام الجمهور بصورة من يطلب الصيد . وقد حاولت إبراء نفسي من هذا المرض فلم أفلح ، وكان من آثار هذه العلة أن تمضي الأعوام ولا أنتفع بمحادثة زعيم أنقل عنه وينقل عني ، فعندنا بالتأكيد آراء وأفكار قد تنفع الزعماء بعض النفع ، وقد توجههم إلى التعصب للأدب الرفيع ، وهو في حاجة إلى عصبية قوية ترفع ما يعترض طريقه من عقبات وأشواك

وقد أزعجت قراء الرسالة مرات كثيرة باقتراح لم أجد مَن

يصغى إليه ، وهو أن يكون للأدباء مكان فى الحفلات الرسمية ، كجميع الطوائف تمر فى خواطر رجال الدولة عند المناسبات الخطيرة ولا ينسى غير الأدباء. وإلا فأين الأديب الذى دعى بصفته الأدبية إلى حضور إحدى الحفلات فى قصر عابدين أو قصر الزعفران ؟

ويزيد الحرج حين يكون الأديب موظفاً ، فهو لا يدعى لأية حفلة رسمية إلا حين يصل إلى درجة مالية تضيفه إلى طبقات الأعيان ، والمعاذ بالذوق !

والدرجات المالية للموظفين هى الميزان فى كثير من الشئون ، ولا سيما شئون التشريف . ويكاد يكون من المستحيل أن يمرّ الموظف فى خاطر أية جهة رسمية إلا بعد أن يصل مرتبه إلى كيت وكيت ، ولو كان من أقطاب الأدب والبيان

وكان المأمول أن يعتدل الميزان فى وزارة مثل وزارة المعارف وقد تولى شؤونها وزراء من رجال الأدب أمثال : محمد على علوبة ، ومحمود فهمى النقراشى ، ومحمد حسين هيكل . ولكن الأمور ظلت تسير فى طريقها القديم ، فلم يستفد الأدب شيئاً من الوزراء الأدباء ، وإن كنت أذكر بالخير الكثير أن بعض هؤلاء راعى منزلتى الأدبية فتناسى أنى تطاولت عليه فى إحدى المجلات !

قد يقال : إن الدولة تفتح باباً من الشرحين تفكر فى الاعتراف الرسمى بالقيمة الأدبية ، فكل إنسان يدّعى أنه أديب ، وأن له حقاً فى حضور الحفلات الرسمية !

وأجيب بأن الأدب لم يعد فوضى كما كان فى الأزمان الخوالى، فالجمهور يكاد يتفق على الإعجاب بأفراد معدودين هم عنده الطبقة الأولى من الأدباء ، وهو كذلك يعرف من هم رجال الطبقة الثانية ومن هم رجال الطبقة الثالثة ، فما الذى يمنع من أن يكون فى ذهن الدولة صورة لأدباء الطبقة الأولى لتفكر فى دعوتهم إلى الحفلات الرسمية ، كما تفكر فى دعوة من يمثلون بعض الجوانب من حياة المجتمع ؟

أليس من العجيب أن يشهد الحفلات الرسمية بعض المجهولين من موظفى السفارات والقنصليات ، ثم يُحرَم رجال الأقلام من شهود تلك الحفلات ، ولهم فيها زادٌ نفيس هو تذوُّق ما فى المجتمع العالى من دقائق تعود على القلم بأجزل النفع ؟

إن وزير المعارف اليوم هو صاحب المعالى محمد حسين هيكل باشا ، وقد سألت عنه زملائى بالمعارف فأكدوا لى أنه الدكتور هيكل ، الأديب المشهور الذى كان يحامى عن الأدب وأهله فى جريدة السياسة ، وأجمعوا على أنه هو بعينه صاحب كتاب « ثورة الأدب »

والحق أن وزيرنا الجديد فيه مَشابه من الدكتور هيكل ، وإن كنت أخشى ألا يكون إياه ، فمن واجبى نحو الأدب الذى أتشرف بالانتساب إليه أن أطلب من الوزير الذى يُشْبه الدكتور هيكل أن يتفضل فيخص الأدب بنظرة من نظراته الثواقب ، ونحن بكل تواضع نقترح أن يكون لكبار الأدباء بعض ما لكبار العلماء من منازل التشريف . فإن كان العلماء — وهم اصطلاحاً رجال الدين — أولى منا بالرعاية لأنهم من أهل الآخرة ، فنحن أحق بالعطف العاجل لئلا يُكتب علينا الحرمان فى الدارين !

وليكن مفهوماً جدًّا أنى أقول هذا الكلام وأنا أتوهّم أن هيكل باشا هو الدكتور هيكل ، فإن ثبت أن زملائى بوزارة المعارف خدعونى وأن هيكل باشا شخص غير الدكتور هيكل ، فأنا أعتذر لمعالى الوزير عن هذه الكلمات الجافية ، وأرجوه أن يثق بأنى برىء من الأدب والأدباء !

لو صح أن هيكل باشا هو الدكتور هيكل لكانت فرصة ذهبية لنصرة الأدب الرفيع ، فقد نغريه بالوعود فنزعم أن أهل الأدب يحفظون الجميل ، وأنهم لن ينسوا فضله فى إعزاز الشخصية الأدبية بالديار المصرية

اللهم اجعل هيكل باشا هو الدكتور هيكل !

عواطف نبيلة من شعب نبيل

فى صباح اليوم السادس عشر من حُزَيران تلقيت إشارة تليفونية من وزارة الخارجية المصرية تسألنى عن اسمى الكامل وعن منصبى بوزارة المعارف ، وأردت أن أعرف الموجب لهذه الأسئلة المفاجئة ، فقيل : إن أجوبتها ستقدَّم إلى قصر جلالة الملك تمهيداً لوسام سأتلقاه من حكومة العراق

وفى صباح اليوم الخامس عشر من تموز تلقيت برقية من الصديق الكريم السيد عبد القادر أحمد الموظف بمديرية الدعاية فى بغداد يهنئنى بوسام الرافدين

ومعنى تلك الإشارة وهذه البرقية أننى خطرت فى بال أهل الصدق والوفاء من أقطاب بغداد

وأنا مع ذلك لا أعدّ « وسام الرافدين » تحية شخصية ، وإنما أعده رمزاً لتوكيد الصلات الأدبية والعلمية بين مصر والعراق ، وقد جاهدت فى ذلك جهاد الصادقين

وإذا كان الله أراد أن أتشرف بعضوية نادى القلم العراق ، وأن أتشرف بعضوية نادى المثنّى ، وأن أتشرف بهدية من جلالة الملك غازى الأول ، وأن أتشرف بحمل وسام الرافدين ، فإن الله تباركت أسماؤه خصَّنى بمزية جليلة هى وسام الود الصحيح الذى شرفنى به الشعب العراق ، الشعب النبيل الذى قيدنى فى هواه بقيود متينة من شرف الحب وكرم الإخاء

وإذا قيل إن العراق يجزينى وفاء بوفاء ، وإخلاصاً بإخلاص فأنا أقول إنى سأقضى دهرى كله مَديناً للعراق . ولن أستطيع أداء ما للعراق فى عُنقى من ديون ، ولو بذلت دمى وروحى فى حب العراق وأهل العراق

ومن واجبى فى هذا المقام أن أقدم واجب التحية لحضرة صاحب السمو الأمير عبد الإله ، الرجل العظيم القلب والروح ، وقد عرفته معرفة صحيحة فى جلال شخصيته الذاتيــة قبل أن يضاف إليها جلال الوصاية على عرش العراق ، ثم زرته بعد ذلك فلم أره زاد إلا كرماً إلى كرم ، وصفاء إلى صفاء ، وكذلك تكون المعادن الكريمة لعظماء الرجال

ومن واجبى أيضاً أن أقدم التحية لفخامة رئيس الوزراء ومعالى وزير المعارف ، وفخامة وزير الخارجية وسعادة رئيس الديوان الملكى فى بغداد ، راجياً أن يكون عهد جلالة الملك فيصل الثانى من العهود البواسم فى بلاد الرافدين ، بلاد دجلة والفرات

المرء كثيرٌ بأخيه ، ولى فى العراق إخوة يُعدُّون بالألوف فلله الحمد وعليه الثناء .

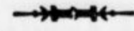
زكى مبارك

على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن

للأستاذ عبد الرازق إبراهيم حميدة

— ١ —



امتلأت الصحف بحديث الطابور الخامس ، وتناقلت الألسنة خبرهم ، وتحدث الوزراء والقواد يحذرون الأمم منهم . والمقصود بالطابور الخامس تلك الفئة التى تظهر أو تستتر فى أمة من الأمم المشتبكة فى حرب مع أخرى ، فتوالى الأعداء ، أو تعمل على خذلان قومها بنشر الأراجيف وإذاعة الأخبار الكاذبة أو الضارة عن ضعف قومهم ، وقوة أعدائهم ، أو عن نتائج الحرب بما لا يفيد أبناء وطنهم ، أو أنهم مسوقون إليها خدمة لمطامع أمة أخرى تحت ستار المحالفات ، ومبادئ الشرف ، والدفاع عن مبادئ الديمقراطية

وقد يكون عملهم إرشاد الجند الفاتحين إلى مواطن الضعف فى البلد المغزو وإلى ما يدبر من خطط ترد كيد العدو وتصد زحفه

وشاعت هذه الكلمة أخيراً وصفاً لأعوان هتلر فى النرويج وفى هولنده وبلجيكا ، وفى فرنسا نفسها وجد هذا النوع من الناس فكان سبب نكبتها ، وعاملاً من أكبر العوامل فى هزيمتها ، ففنى رجالها وضاع استقلالها ، ووطئ الألمان بلادها يحكمون فى أرضها وديارها وأموالها ، ويغيرون على نظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويبدلون دستورها وحكومتها ، ويفعلون بها ما يشاءون

والغريب أن هتلر ينفى وجود أعوان له مأجورين فى بلد من البلاد التى غزاها ، ويقول إن وجود هــذا الطابور الخامس فى البلاد المفتوحة راجع إلى فساد النظم فى تلك البلاد ورغبة فريق من أبنائها فى الاستعانة به على إصلاح الأحوال لتكون كألمانيا قوة واتحاداً

والحق الذى لا مرية فيه أن فى كل أمة من الأمم ـ القديمة منها والحديثة حتى ألمانيا نفسها ـ اختلافاً فى الرأى ، ودعاة لمذاهب سياسية تخالف مذهب أمتهم ، وغيرة من الطبقة الحاكمة وتشيعاً لنظم اقتصادية أو اجتماعية غير السائدة فى بلادهم . وهذه الاختلافات تضعف وتقوى تبعاً للعوامل التى تساعد على قوتها أو ضعفها ؛ فإذا كانت الأمة متحدة الجنس ، متشابهة البيئة ،

قوية الأخلاق ، مُربَّاة على حب الوطن والتفانى فى سبيله ، وكانت الحكومة قوية يقظة كانت جماعة الطابور الخامس محدودة العدد قليلة الأثر ضعيفة النشاط .

وخير مثال لذلك انجلترا التى أخذت حكومتها بالشدة أنصار الفاشست فيها ، وقبضت على زعيمهم سير « أزوولد موزلى » هو وزوجه واعتقلت من تشك فى أمرهم من رعايا الأعداء كذلك

أما الدول ، أمثال تشيكوسلوفاكيا التى اختلفت عناصرها ، وهولندا التى ضمت عدداً غير قليل من أنصار النازى داخل حدودها ، وفرنسا التى تشعبت أهواء الناس ومذاهبهم فيها ، فقد قضى هتلر على استقلالها ، وأصابها بنكبة الهزيمة ، وألبسها ذل الاحتلال وفقدان الاستقلال

* * *

وقد كان لمثل هذه الجماعة وجود ونشاط فى عهد النبى (ص) وعنى القرآن بأمرهم ، وكشف أسرارهم ، وحذر النبى منهم ، ونزلت السور تنبئه بما فى قلوبهم ، وسماهم « المنافقين » وخصهم بسورة من سوره ، وتحدث عنهم فى غيرها من السور الكريمة تارة بصفهم وصفاً عاماً ، وتارة يذكر مواقفهم فى ظرف من الظروف التى أحاطت بالنبى ، وأحياناً يأمره أن يتخذ منهم موقفاً خاصاً ، أو يحرضه على إنزال نوع من الأذى بهم

وكان ظهورها وعملها والقضاء عليها بعد الهجرة بالمدينة وما حولها ، وكان القائمون بها هم اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير . وكان هناك رءوس للضلال من الأوس والخزرج أمثال عبدالله بن أبى بن سلول

وكانت هاتان القبيلتان الأوس والخزرج فى حرب دائمة قبل الإسلام وبعده إلى ما قبيل الهجرة . كانت الخزرج أكثر عدداً ، ففكرت الأوس فى محالفة قريش عليهم ، وأرسلوا لذلك رسلاً إلى مكة ، فلما علم الرسول بأمرهم — وكان قد يئس من قريش أو كاد ، وأخذ يعرض نفسه ودينه على القبائل وفى مواسم الحج — دعاهم إلى خير مما جاءوا له ، دعاهم إلى الإسلام وإلى عبادة الله وحده ، فأبوا ثم عادوا إلى يثرب

عقب انصراف الوفد من مكة إلى المدينة حدثت موقعة « يوم بُعاث » بين الأوس والخزرج ، وانتصرت الأوس . وفى الموسم الذى تلا يوم بعاث أقبل جماعة من الخزرج إلى مكة للحج ، فدعاهم الرسول إلى الإسلام ، فآمنوا من فورهم ، وكانوا من قبل يسمعون بقرب ظهور نبى فى بلاد العرب . ثم أخبروا الرسول بما فى المدينة من تنازع وشحناء ، ورجوا أن يصلح الله أمر يثرب على يديه ، ولما عادوا إلى قومهم ذكروا لهم حديث الرسول والإسلام ، فلم تبق دار فى يثرب إلا وفيها حديث عن الرسول وعن الإسلام

وفى موسم الحج الذى قبل الهجرة بايع النبى قوم آخرون من أهل يثرب وتسمى بيعة العقبة الثانية أو بيعة النساء ، وأرسل النبى معهم مصعب بن عمير يعلمهم الدين . فأسلم على يديه كثير من أشراف يثرب منهم سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حضير ، ودعا سعد عشيرته إلى الإسلام أو يقاطعهم فأسلموا جميعاً

وفى عام الهجرة جاءه من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وأقسم سيدهم البراء بن معرور فقال: والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا . ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال : إن بيننا وبين الرجال (يعنى يهود المدينة) حبالاً وإنا قاطعوها . وأعرب عن خوفه منهم إذا تركهم لليهود بعد أن يظهره الله على أعدائه، ففهم النبى الكريم مراده ، وتبسم وقال : بل الدم الدم، والهدم الهدم. يعنى أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم

علمت قريش بما كان فأرسلت وفداً منها إلى منازل الحجاج من أهل يثرب ، وأخبروهم بما حدث ، وقالوا إنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . فحلف نفر من مشركى يثرب أنه لم يكن شىء من هذا ، وكانوا صادقين لأنهم لم يعلموا بما كان فى الليلة السابقة. وقال لهم عبد الله بن أبى بن سلول ، وهو رأس النفاق فيما بعد : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفوتوا علىَّ بمثل هذا ، وما علمته . فانصرفوا عنه وأخيراً تأكد لدى قريش ما كان من بيعة العقبة الثالثة ، ولكن بعد أن نَفَر الناس من مِنًى وفاتهم أهل يثرب

* * *

كان إسلام أهل المدينة نصراً للإسلام والمسلمين ، وكان فرصة طيبة لأصحاب النبي في مكة ، فقد وجدوا مهاجراً جديداً يفرون إليه بدينهم ويقيمون بمنأى من أذى قريش في حماية إخوان لهم في الدين ، وجعل الله المدينة دار أمن لهم يلجئون إليها ؛ فخرجوا مهاجرين أرسالاً ، نساء ورجالاً ، إلا من حيل بينه وبين الهجرة من المستضعفين

خافت قريش تلك الحركة ورأوا فيها خطراً يتهددهم ، وصمموا على أن يحولوا بين النبي وبين دعوته بكل ما وسعهم من قوة وحيلة ، واجتمعوا للتشاور في دار الندوة ، وتشاوروا في واحدة من ثلاث كما حدث القرآن الكريم بذلك في سورة الأنفال : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وقر رأيهم على قتله ، وذلك بأن يجمعوا من كل قبيلة شاباً فتياً نسيباً ، ويعطوه سيفاً صارماً ، ثم يقف هؤلاء الفتيان على بابه ليلاً ، ويضربوه ضربة رجل واحد وهو خارج لصلاة الفجر فيتفرق دمه في القبائل ، ويرى بنو عبد مناف أن لا قدرة لهم على حرب جميع القبائل ، فيرضون بالدية

أخبر الله الرسول بما كان وأمره بالهجرة ، فذهب إلى أبي بكر الصديق — وكان من قبل يمنعه حتى يأذن الله لهما — وأخبره الخبر وأعدا الرواحل والدليل . وفي الليلة الموعودة التي عينتها قريش لتنفيذ مكرها أمر النبي علياً أن يبيت في فراشه لئلا يرتاب أحد في وجوده ، وخرج النبي من بيته في آخر الليل وهو يقرأ « وجعلنا من بين أيديهم سداً، ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ، فألقى الله النوم على الفتيان ، وأخذ النبي الكريم حفنة من تراب رمى بها في وجوههم وهو يقول : شاهت الوجوه

ثم ذهب إلى أبي بكر ، وسارا حتى وصلا إلى غار ثور بأسفل مكة ، واختفيا فيه ثلاثة أيام حتى انقطع رجال قريش عن طلبهما ، ثم جاء الدليل وخادم وركبوا جميعاً وساروا في طريق المدينة حتى وصلا إلى « قباء » في اليوم الثامن من ربيع الأول لثلاث وخمسين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم . وذلك في اليوم العشرين من سبتمبر سنة ٦٢٢ من ميلاد السيد المسيح

أقام النبي بقباء أربعة أيام وأسس مسجد قباء ، ثم ارتحل إلى المدينة يحيط به أنصاره من أهل يثرب ، وكان كلما مر بقبيلة ناداه رئيسها أن ينزل عندهم ، وأخذ بخطام ناقته ، ولكنه كان يقول : دعوها فإنها مأمورة . ومشت الناقة حتى جاءت إلى موضع مسجده الآن فبركت ، ثم قامت وبركت ، فنزل النبي ووضع الرحل عند أبي أيوب الأنصاري واشترى مكان المسجد والدور التي بناها له ولزوجاته

ومن ذلك اليوم تبـدأ حياة جديدة تختلف عن حياة مكة له ولأصحابه ولأهل المدينة أنفسهم ، وبدأت عوامل النفاق تبدو ، وتحركت العداوة والبغضاء في نفوس المنافقين ، ولقى النبي من مكرهم وسوء أعمالهم ومؤامراتهم هم واليهود شيئاً حتى أراحه الله منهم جميعاً

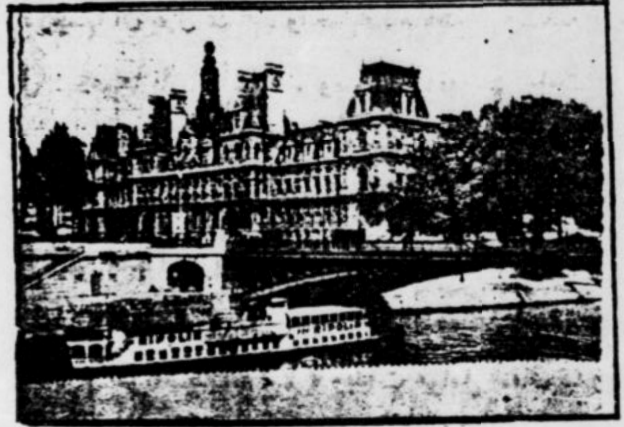
وذلك هو موضوع الحديث التالي إن شاء الله .

عبد الرازق ابراهيم حميده

محنة باريس

بمناسبة ذكرى عيد الحرية — ١٤ يوليو سنة ١٩٤٠

للأستاذ على محمود طه



سألونى عن بيانى وقصيدى

أسفاً ... باريس ! قد ماتَ نشيدى !

شهدَ الحبُّ ذكرناكِ ولمْ ... أنسَ نجواكِ ولم أخفرْ عهودى
أنا لا أنسى لياليَّ على ... روضكِ الرفاف بالزهر النضيد
ثمر الفكر وتجنى نورهِ ... ومراحُ العينِ والقلبِ العميد
خطرةٌ عابرةٌ عدتُ بها ... عودةَ الغوّاص بالدرِّ الفريد
فاعذرى المِزهرَ فى كفّى إذا ... أخرستْهُ ضجّةُ الرُّزءِ الشديد
يوم قالوا جلّل القيدُ يداً ... حطمتْ بالأمس أصفادَ العبيد
حملتْ مِشْعَلَ حُرِّيَّاتهم ... فى شُراةٍ[1] من شباب الجد صيد
كيف يا باريس بالله هوى ... ذلك النجمُ من الأفق البعيد ؟
إن ينَلْ منكِ المغيرون فما ... فتحوا غيرَ تخومٍ وحدود !
لستِ بنياناً ، ولا أرضاً ، ولا ... غابَ آسادٍ ، ولا جَنّةَ غيد
أنت معنى عالمُ الفكر به ... يتحدّى قبضةَ الباغى المريد
كعبةَ الأحرار ! هذى محنةٌ ... راعتِ الأحرارَ فى أكرم عيد

(١) الفدائيون

صُرِعَ النورُ به وانحسرتْ ... جبهةُ الشمس عن النور الشهيد
وأتى الليلُ ، ومِنْ أهوالهِ ... أنْ تُرَى بين ظلامٍ وقيود
أين من فرساى[1] أفقٌ ضاحك ... مشرقٌ عن أمل الشعبِ السعيد
وعلى كلِّ طريقٍ موكبٌ ... صادحُ الأبواق خفّاقُ البنود

لكأنى اليوم ألقَى مأتماً

وأرى الكُنْكُرْدَ[2] كالقبر الحريد[3]

حالَ شدوُ الماءِ فى أحواضهِ ... نفثةَ الغرقى ببحرٍ من صديد
وقفتْ مصر[4] به صامتةً ... تتقرّى الغيب، طلَّسْمَ الوجود
غلبتْها حكمةُ الدّهرِ ولو ... نطقت لم تأتِ بالمعنى الرديد
ساحةَ الباستيل[5] ! حانَ الملتقَى ... وتعالتْ صرخةُ الفجر الوليد
أين أبطالكِ ؟ ماذا ! أتُرَى ... ضربَ الليلُ عليهم بالوصيد ؟
أغمدوا أسيافهم ؟ وَيْحَ ! وما ... عوّدوا أسيافَهم حبسَ الغمود
ويحهم قد شيّعوا أعيادهم ... بين عصفِ النار أو قصفِ الحديد
فوق أرضٍ صُبغتْ من دمهم ... وتحدّتْ كلَّ جبّارٍ عنيد
فوق أحجاركِ صرعى أمسهم ... فلذاتٌ كَتَبَتْ سِفْرَ الخلود
فاذكريهم بالذى تمرّ بهم ... واقرئى تاريخهم، ثم أعيدى !

***

أيها العائدُ من غاراتهِ ... راقداً تحت قبابِ (الأنفليد[6])
تلك راياتُك ، فانظرْ ! أتُرى ... من سيوفٍ تحتها أو من جنود ؟
أين من برلين أو آفاقها ... جيشُك الظافرُ بالحشدِ البديد
تطأُ الأرضَ إلى مَشْرقها ... موغلاً فى أثرِ الدُّبِّ الشريد

(١) قصر فرساى العظيم ، وقد شهد الشاعر فى حدائقه المشهورة الاحتفال الباهر بليلة عيد الحرية

(٢) ميدان الثورة التاريخى من أجل ميادين باريس ، تقوم به المسلة المصرية وتماثيل رائعة ونافورتان عظيمتان

(٣) المنعزل أو الوحش المنفرد (٤) المسلة المصرية

(٥) الحصن الرهيب الخالد بفظائعه ، وقد اقتحمه الثوار يوم ١٤ يوليو فكان عيد الثورة (٦) قبر نابليون

لفرنسا همّــــةٌ لا تنثني / أمَشَتْ في النارِ أم تحت الجليد
بالقليـــلِ الجمعِ من أبنائها / تنزعُ النصرَ من الجمعِ العديد
أمْ ترسُفُ في أحقادها / دِنْتَها بالصفح والصنع الحميد
لم تسـيِّرْ فوقها دبّابةً / أو تباغِتْها بطيرٍ من حديد
يقتلُ الولدانَ والشِّيبَ ولا / يرحمُ المرضى وربّاتِ المهود
شرَفُ الحرب كما لقّنتــه / ملتقَى سيفين في ظلِّ البنود
فاعـذرِ اليوم فرنسا إنّها / وثقتْ بالعهد في دنيا الجحود
قَرَعَتْ النصرِ كأسًا! ويحها! / صَرَعَتْها خمرةُ النصر التليد!
رَقدتْ عن غدِها وانتبهتْ / حيث لا ينفعُ صحوٌ من رقود
أسفرتْ سِيدانُ[1] عن مأساتها / وتهاوى حجرُ الحصن المشيد
ثغرةٌ أنفِــذَ منها خنجرٌ / قد تلَقّتْهُ على حزِّ الوريد
شهدَ المجـدُ لها باسـلةً / خُضِّبتْ بالدم من نحرٍ وجيد
فابعثِ العزّةَ من تاريخها / وتألّقْ بسناهُ من جديد
واطلَعِ اليوم عليها سيرةً / وكنِ الشاعرَ واهتفْ بالقصيد:
... أيها الفاتحُ لا يغررْكَ ما / مِزْتَ فيه من حصونٍ وسدود
لكَ في العِــبرةُ المثلى فلا / تأمنِ الزلّةَ في أوجِ الصعود!

***

ربّةَ النور ســلامًا كلما / هتفَ الشعرُ بماضيكِ المجيد
لكِ في كلِّ خيــالٍ صورةٌ / بُرِئَتْ من وصمةِ العصر الجديد
غيرَ ذكرى يرجعُ الفكرُ بها / لليالٍ من عصورِ الظلم سُود
لَهفَ نفسي لدمشقٍ[2] ولمنْ / خرَّ فيها من جريحٍ وشهيد
من شواظٍ يقذفُ الموتَ على / رُكَّعٍ في ساحةِ الله سجود
فأنا الشرقُ لا أنسى الذي / حاقَ من حكمكِ بالشرق العتيد
المساواةُ التي أعلنتِهـا / أعلنَتْهُ بنــذيرٍ ووعيد
والإخاءُ الحرُّ ما كان سوى / مدفعٍ يرمي بمُرْدٍ ومبيـد
وطني الروحيُّ، إن أغضبْ لهُ / فلآباءٍ كرامٍ وجـدود
وتراثٍ خالدٍ من أدبٍ / أنا فاديه بروحي ووجودي
كفرتْ ثورتُكِ الكبرى بهِ / وهوَ المحسنُ يُجزَى بالكنود
سار بالإسلام نوراً، وهَدَى / بسنا عيسى خُطَى الحقِّ الطريد
النبيّون همـــو ثُوّارهُ / حاملو الشُّعلة، أعداء القيود
نفتدي بالحقِّ والرُّوح الذي / هزَّ بالثورة أركانَ الوجود
وابعثيها ثورةً أخرى فما / يعرفُ الأحرارُ معنى للجمود!

(رأس البر)

علي محمود طه

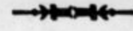
(١) المدينة الفرنسية المشؤومة، في ساحاتها انهزم جيش نابليون الثالث وانهارت امبراطوريته، وقامت الجمهورية الثالثة ثم جددت مأساتها في الحرب الحاضرة بهزيمة الجيش الفرنسي فيها وانهيار الجمهورية

(٢) إشارة إلى نكبة عاصمة الأمويين، ضربها الجنرال الفرنسي «سراي» بقنابل مدافعه عام ١٩٢٥

من وحي الحرب

وداعاً ...!

للأستاذ كامل محمود حبيب



وداعاً ، يا عزيزتي ، وداعاً !

بين هذه الزعازع التي تلف العالم في ثورتها ، وهذه العواصف التي تصمق الأمم في شدتها ، وهذه النزوة الطائشة التي تبتلع الشعوب في احتدامها ... وقفتُ أنا أهتف بك : وداعاً ، يا عزيزتي ، وداعاً !

وانسرب بك القطار إلى الريف الجميل ، إلى حيث تنعمين بالهدوء والراحة ، إلى حيث تجدين لذة الأمان والطمأنينة ؛ وخلّفتني ألوّح لك بمنديل أبيض قائلاً : وداعاً ، يا زوجتي ، وداعاً ! ...

ووجدتُ فقدك ، فغمرتني لجة من الخواطر السود ، وأنا في مكاني أشهد القطار وهو يتوارى خلف الأفق ... ثم عرتني نكسة الفراق ، فتراءت لي من خلالها أنانيتك ، وأنت تسدلين عليها — في ساعة الوداع — سجفاً من عبرات خادعة كاذبة ، هي صورة من قلب المرأة الفارغ

ورجعت أتخبط في أرجاء الأرض ، وقد لعج الحزن فؤادي ؛ تضيق نفسي بالوحدة ، ويتحرّق قلبي بالوحشة

* * *

ودخلت الدار وحدي فأحسست مقتها وخيل إليّ أنها تكاد تلفظني لأنني غريب عنها وهي غريبة عني . لقد امتدت حماقتك إلى أثاثك لحملته — من قبل — إلى دار أبيك

ورحت أطوّف في أنحاء الدار فما أجد بعض آثارك ، فعلمت أنك أردت أن تمسحي تاريخك من عمري وألفيت كتبي وحدها تناديني لجلستُ إليها ألتمس السلوة

آه لو ألقيتُ إليك السّلم فقذفت بكتبي حيث طوّحتِ أنت بأثاثك ، إذن لاستشعرت فقدك مرتين

إن حرصك على حاجاتك انتزع منها الحياة فهي لُقًى في ناحية من دار ، أما اعتزازي بكتبي فما انفك يبث فيها الحياة

* * *

لا جرم ، قد انخذلت أوصالك وانخلع قلبك ، أول ما دوت صفارة الإنذار ، فانبعثت تبحثين عن نفسك وقد تبعثرت في صلصلة الصوت

ثم تطاير الحمم من فوهات المدافع يزلزل الأرض والقلب في وقت معاً ، فاندفعت تصرخين ، وأنا أهدىء من روعك فما أصنع شيئاً

وهالني ما رأيت فتركت لك الخيرة من أمرك لأنني أشفقت عليك ، فآثرت الرحيل

لا بأس ، فقد خشيت أن يبلغك بمض غضب الإنسان الوحشي الذي لا يفترس — حين تتأجج حيوانيته — بالناب والظفر ، بل بالقنبلة والمدفع والرصاصة و ... مما لا يسمع ولا يرى ولا ... ولا يعي

وغرّك شبابك الغض وجمالك الخلاب وأملك الباسم ، فضننت بها جميعاً أن تكون طعمة لثورة الإنسان

وحرصت الحرص الذي ينزع بالمرأة دائماً إلى أن تنسى كل شيء إلا أن تكون عالة تتدلل

وتركتني من ورائك جندياً في الميدان ، أحمل عبء نفسي وعبء عملي وعبء الدار وعبء الفزع الأكبر الذي يتهددني ، وأنت بين أهلك لا تحتملين شيئاً من كلف الحياة

هـذا ، يا عزيزتي ، هو الإخلاص الذي تمنيت به زماناً فانخدعتُ له ؛ والآن — حين مرج الأمر — تبعثر في دوي الصيحة الكبرى

* * *

إن المرأة ، يا سيدتي ، معمل تفريخ فحسب ، فإن هي عجزت عن أن تكونه فقد تعطلت وظيفتها ، وبطل عملها في الحياة

وأنا عشت معك عمراً من عمري ، أصفيك محض الود ، وأحبوك خالص العطف ، على حين قد لبثت سنين أنتظر ... غير أنك كنت جرداء قاحلة لم تتفتح حياتك الجافة عن نبتة واحدة

أستمتع فيها بنور الحياة الجميلة ، فما ضاقت بك دارى ولا غصت بك أيامى ...

يا عجباً ! لقد نسيت أنك كنت وأنى ... فقزعت عنى أحوج ما أكون إليك ، وطرت بملمك الجاهل وعقلك المأفون ، وفى رأيى أن المرأة المتعلمة العاقلة ليست فى الميدان أماً لطفل فحسب ، بل هى أم ذلك الجندى الذى تحركه الحادثات وتصمقه النوازل ، وهى ... وهى رأب صدعه ، ولكنك عجزت عن أن تكونى واحدة منهن

وثقلتْ عليك أيامى وأحلامى مماً فانفلت إلى أهلك ، ولكن جشمك الوضيع كان يبعث بك إلىّ أول كل شهر لتحبطى حجتك الواهية وتفندى رأيك الخاوى

***

لا ضير ، يا سيدتى ، فإن طرفى النقيض لا يتلاقيان إلا فى شرع امرأة

فى الريف ، أخذ عقلك الفج يفتن فى الزينة والتطرية و ... تباهين بها فتيات من أهلك هن دونك لأنك أنت زوجى

ورحت تبتذلين فى دار الاحتشام ، وتنفثين عطرك الذكى بين الحظائر والزرب ، وتتأنقين فى ربى الطبيعة الساذجة ، وتنشرين ثراءك فى بلاد التربة والفقر، ونسيت أنك تؤرثين نار الحقد فى قلب الفلاح المسكين ، وتبذرين غراس الطمع فى وطن القناعة والرضا بالله لقد عجزت عن أن تلدى طفلاً فرحت تلدين فى مأساة الحياة مهزلة تسخر منك

فهجرت المدينة والمدنية ما تبرح تتوثب فى دمك وتتناثر حواليك سموماً تلتهم قلب الريف الطاهر النقى

آه ، لقد خفت أن تعربدك للنضة الناعمة على جنة الريف النضيرة فتذرها جحيماً تتسعر

فذهبت إليك أخفف من غلوائك وأسكّن من حدّتك فابتسمت فى فتور وقد طمت بك شيطانيتك التى لا ترعوى

وآذنى أن أرزح تحت حماقتك وجهلك وغباوتك وأنانيتك فأسدلت على أيامك ستراً، ثم انطويت وأنا أهتف بك : وداعاً ، يا عزيزتى ، وداعاً !

***

وشملنى ظلام الدار وظلام الحياة وأنا ما أزال فى فوحة العمر وربيع الشباب ، فانطلقت أفتش عن قبس من نور

لا تحزنى يا زوجتى ، فأنت ... أنت دفعتنى

وتلمست ، فإذا فتاة فى ربق العمر وثورة الشباب ، تبذك جمالاً وفتنة ، وتفوقك علماً وأدباً ، وتعجزك حسباً وثراء ...

وتلاقينا على ميعاد

ووصلت حبلاً بحبل ، ونممت ، من بعدك ، بالحياة بعد إذ أمضّنى ملمسها الخشن

واطمأنت نفسى إليها واطمأنت هى

وجلسنا فى خلوة ، ثم ... ثم دوت صفارة الإنذار ، فانخذلت أوصالها وانخلع قلبها ، وانبعثت تبحث عن نفسها وقد تبعثرت فى صلصلة الصوت

وانكشفت لى عن امرأة مثل من أعرف : امرأة فيها روح الثعلب أو شيطانة فى مسلاخ امرأة

فطرحتها جانباً وانطلقت وأنا أهتف بها : وداعاً ، يا عزيزتى وداعاً !

« مشتهر » كامل محمود حبيب

من ثنايا «كتاب الديارات» للشابشتي

يوم من أيام المتوكل (*)

للأستاذ صلاح الدين المنجد

... ذكر [عبيد الله بن احمد] بن خرداذبه[1] أن المتوكل[2] أنفق على الأبنية التي بناها وهي: بركوارا، والشاة، والعروس، والبركة[3]، والمختار، والجوسق، والجعفري[4]، والبديع، والصبيح، والمليح، والسندان، والقصر، والجامع، والقلاية[1]، والبرج[2]، وقصر المتوكلية[3]، والبهو، واللؤلؤة... [4] مائتي ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم[5] ومن العين ألف ألف دينار؛ [ف] تكون قيمة الورق[6] بصرف الوقت[7] مع ما[8] فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار[9]

قال [المؤلف] : شرب المتوكل يوماً في بركوارا فقال لندمائه[10] : أرأيتم إن لم تكن أيام الورد لا نعمل نحن شاذ كلاه[11] ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين لا يكون الشاذ كلاه إلا بالورد، فقال: بلى، ادعوا إلى[12] عبيد الله بن يحيى[13]،

(*) كتاب الديارات ص ٦٨

(١) فارسي الأصل، بغدادي المسكن. اشتهر بالتاريخ وبالجغرافيا. وكان جده خرداذبه مجوسيا أسلم على يد البرامكة. واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسي فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل، وجعله من ندمائه. له من التصانيف: «جمهرة أنساب الفرس» و «المسالك والممالك» و «اللهو والملاهي» وغيرها. توفي سنة ٢٨٠ هـ (الأعلام)

(٢) جعفر (المتوكل على الله) ابن محمد (المعتصم بالله) من الخلفاء العباسيين. ولد ببغداد سنة ٢٠٦ هـ وبويع بالخلافة بعد وفاة الواثق أخيه سنة ٢٣٢ هـ. وكان جواداً محباً للعمران — وسترى مبلغ حبه له — أعرض عن السيرة التي استنار بها المأمون والمعتصم في القول بخلق القرآن فأحبه الناس. نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق فأقام بها شهرين، ثم عاد منها وأقام في سر من رأى، واغتاله فيها غلام ترك اسمه (باغر) سنة ٢٤٧ هـ. (فوات الوفيات — زهر الآداب)

(٣) البركة لغة المكان الذي تبرك به المياه وتجتمع. وهذه بركة الجعفري، وهي بركة ما رؤي أروع منها. وقد وصفها البحتري في قصيدة من أرق الشعر وأدته وأولها:

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات إذا لاحت مغانيها

وفيها يقول:

ما بال دجلة كالغيرى تنافسها في الحسن طوراً وأطواراً تباهيها
فحاجب الشمس أحيانا يغازلها وريق الغيث أحيانا يباكيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها

... وقد ذكرها بعض كتب الأدب فلتراجع ثمة

(٤) قصر عظيم بناه المتوكل قرب سامراء سنة ٢٤٥ هـ واستحدث عنده مدينة وانتقل إليها، وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء. ثم شق إليها نهراً يسقيها. قالوا: إنه أنفق على القصر ألفي ألف دينار. ولما انتقل المتوكل إلى الجعفري انتقل أهل سر من رأى معه وأضحت المدينة خلاء. وقد وصفها أبو علي البصري (ياقوت ٨٧ ج ٢). وقد وصف البحتري الجعفري في قصيدة رنانة أولها:

قد تم حسن الجعفري ولم يكن ليتم إلا بالخليفة جعفر

(ياقوت)

(١) القلاية صومعة تبنى في جوار الديارات على شرف من الأرض تطل على ما حولها من البساتين والرياض والغدران. وكانت تزخرف ويتأنقون في صنعها؛ يأتي إليها المتطربون والخلعاء ليرشفوا الخمر فيها (تاج العروس — الديارات النصرانية لحبيب الزيات). قلت: ولعل المتوكل كان قد بنى قلاية لنفسه لتكون موطن شربه وأنسه

(٢) سيمر بك وصف بارع لهذا البرج بعد قليل

(٣) قصر من أفخم قصور المتوكل. وقد جعله ياقوت قصر الجعفري نفسه على أنهما مختلفان، وقد وصفه البحتري في إحدى قصائده فقال:

أرى المتوكلية قد أضاءت محاسنها وأكملت التماما
قصور كالكواكب لامعات يكدن يضئن للساري الظلاما

(الديوان).

(٤) هذه كلها أبنية بناها المتوكل ولم نستطع أن نعلم إلا صفة بعضها. على أن هذه الأبنية كانت مثار دهشة أهل ذلك الزمان وإعجابهم. ولعلي ابن الجهم قصيدة ينوه فيها بهذه الأبنية وأولها:

وما زلت أسمع أن الملوك تبنى على قدر أخطارها

(زهر الآداب)

(٥) ذكر ياقوت (ج ٢ ص ٨٨) أن كل خمسة وعشرين درهما كانت تساوي في زمن المتوكل ديناراً فانظر

(٦) الورق بفتح ثم كسر الدراهم المضروبة (القاموس). وفي القرآن: « ابعثوا أحدكم بورقكم هذه »

(٧) بصرف الوقت تعبير جيل معناه باللغة العامية: « بسعر البورصة »

(٨) في الأصل مما وهو خطأ

(٩) أنت ترى هذا العدد من الدنانير الذي أنفقه المتوكل. وقد ذكر صاحب زهر الآداب أن ما أنفقه المتوكل على أبنيته وقصوره كان ثلاثة ألف ألف (ج ١ ص ٢٣٠)

(١٠) في الأصل: لندمآه. ويلاحظ أن الناسخ قد أسقط كل همز

(١١) شاذ بالفارسية فرح وكلاه ما يوضع على الرأس، ولعل معناها « فرح التاج »، وكأنه مهرجان أو يوم عيد

(١٢) في الأصل: ادعوا لي

(١٣) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان؛ كان ذا شأن في العصر العباسي، استوزره المتوكل والمعتمد. وكان عاقلا حازماً (الأعلام)

لخضر، فقال [له المتوكل] : تقدم[١] بأن تضرب لى دراهم، [زنة] كل درهم حبتّان[٢] . قال : كم المقدار يا أمير المؤمنين؟ قال : خمسة ألف ألف درهم . فتقدم عبيد الله فى ضربها فضربت وعرفه الخبر فقال : اصبغ منها الحمرة والصفرة والسواد، واترك بعضها على حاله . ثم تقدم إلى الخدم والحاشية — وكانوا سبعمائة — بأن[٣] يعد كل واحد منهم قباء[٤] جديداً وقلنسوة على خلاف لون الآخر وقلنسوته ففعلوا. ثم عمد إلى يوم تحركت فيه الريح فنصبت له قبة لها أربعون باباً فاصطبح فيها، والندماء حوله، ولبس الخدم الكسوة التى أعدها، وأمر بنثر الدراهم كما ينثر الورد؛ فنثرت أولاً أولاً؛ فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والأرض كما يقف الورد[٥] فكان [هذا اليوم] من أحسن أيام المتوكل وأظرفها[٦]، وكان البرج من أحسن أبنيته فجعل فيه صوراً عظاماً من الذهب والفضة، وبركة عظيمة جعل فرشها — ظاهرها وباطنها — صفائح الفضة، وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصفر، مكللة بالجوهر وسماها طوبى؛ وعمل له سرير من الذهب كبير، عليه صورتا سبعين عظيمين ودرج[٧] عليها صور السباع والنسور وغير ذلك، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما السلام؛ وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام المذهب فبلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وسبعمائة ألف دينار. وجلس [المتوكل] فيه [يوماً] على السرير الذهب وعليه ثياب الوشى المنقشة[٨] وأمر ألا يدخل عليه أحد إلا فى ثياب وشى منسوجة أو [ثياب] ديباج ظاهرة[١]، وكان جلوسه فيه سنة تسع وثلاثين ومائتين . ثم دعا بالطعام وحضر الندماء وسائر المغنين والمُلهّين[٢] وأكل الناس، ورام النوم فما تهيأ له، فقال له الفتح[٣] يا مولاى ليس هذا يوم نوم، فجلس للشرب. فلما كان الليل رام النوم فما أمكنه، فدعا بدهن بنفسج فجعل منه شىء على رأسه وتنشقه فلم ينفعه، فمكث ثلاثة[٤] أيام بلياليها لم ينم، ثم حُم حمى حادة فانتقل إلى الهارونى[٥] قصر أخيه الواثق[٦] فأقام به ستة أشهر عليلاً وأمر بهدم البرج وضرب تلك الحلى عيناً[٧] (انتهى)

(دمشق) صلاح الدين المنجد

استدراك :

١ — ذكرت فى العدد الماضى أن أول من نوه بكتاب الديارات هو السيد حبيب الزيات في عدد خاص من مجلة المشرق أصدره في تموز سنة ١٩٣٥، والصواب أن هذا العدد صدر فى تموز سنة ١٩٣٨

٢ — مر معك أن المتوكل قد بنى قصر « بركوارا » ومعنى ذلك بالفارسية « قصر الغناء » (المنجد)

(١) جاء فى الأساس : وتقدمت إليه بكذا . أمرته به

(٢) كان فى مكان « زنة » كلة شوهت ولم يبق منها إلا ما يشبه الباء . فاما أن تكون الكلمة (فى) وإما أن تكون الكلمة التى قدرناها أو ما هو فى معناها

(٣) فى الأصل : أن . والصواب كما ذكرنا

(٤) فى الأصل قبا بدون همزة

(٥) كان المتوكل على الله مفتونا بالورد، بلغ من فتنته به أنه كان يلبس فى زمن الورد الثياب الحمر، ويأمر بالفرش الأحمر، وكان الورد لا يرى إلا فى مجلسه . وكان يقول : أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه (الأعلام)

(٦) فى الأصل وأظرفه وهو خطأ

(٧) معطوف على سرير، ج درجة

(٨) فى الأصل المثقلة، ومعناها المبالغ فى ترقيها، ولعل الصواب ما ذكرنا .

(١) أى تجذب العين (القاموس واللسان)

(٢) فى الأصل الملهيين

(٣) الفتح بن خاقان أديب شاعر فصيح، كان فى نهاية الفطنة والذكاء . فارسى الأصل من أبناء الملوك، اتخذه المتوكل العباسى أخاً له واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه . وكان يقدمه على جميع أهله وولده، واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن، وله تصانيف كثيرة . مات سنة ٢٤٧ هو والمتوكل (الأعلام)

(٤) فى الأصل : ثلثة

(٥) الهارونى : قصر عظيم قرب سامراء وهو على دجلة، بينه وبين سامراء ميل واحد، وفوقه قصر الجص الذى بناه المعتصم للنزهة (ياقوت)

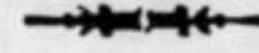
(٦) أبو جعفر هارون بن محمد المعتصم بالله؛ ولد ببغداد وولى الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم سنة ٢٢٧ هـ؛ ومات بعلة الاستسقاء فى سامرا . وكان كريماً حازما (الأعلام)

(٧) العين : الدنانير

في الأدب الإنجليزي

دراسة شاعر قصصي

للأستاذ أحمد الطاهر



لنتخلف عن قافلة الزمان ، ولنرجع إلى الوراء خمسة قرون أو ستة ، ونحط الرحال فى لندن ، ونتخير أحد فنادقها ، وليكن فندق « تابارد » فى حى « سوث وارك » . وما كنا لنهبط لندن فى غير الربيع ، فالأشجار وارقة غيناء تلتف أفنانها وتتلاقى خصلاتها وترف ظلالها ، وهى لا تزال ملمة لم يحن وقت أثمارها وإن بكر بعضها ، فما يزال الثمر أكماماً ونَوْراً ، والطير يدوّى فى الأرض ويدوّم فى السماء ، ثم يدفّ ولا يزال يواتر ذلك أبابيل ووحداناً تشدو بين إرنان شجى ، وهزج دقيق ، وترجيع شهى

يطرأ على الفندق جماعات من الناس مثنى وثلاث ، يلقون عصا التسيار ، وقد بدا على وجوههم أن تحلّل بهم السفر فأعياهم : فيهم الرجال الأشداء ، وفيهم النساء الضعيفات . ولكن لا يكاد أن يلتئم جمعهم حتى يشيع فى وجوههم البشر ، وتنطق قسماتهم بالسرور ، ثم تغريهم كثرتهم فتنسيهم النصب والتعب ، ثم يغرقون فى اللهو والعبث ؛ إن رأيتهم حسبتهم أطفالاً قد استخفهم الفرح وازدهاهم الطرب

هذا خليط من الناس فيهم الطغام والهباء ، وفيهم السادة والأحباء . أما هذا الرجل الأنيق البدين فهو أحد الفرسان ، كمىّ جسور ، مغوار مشهور ؛ وأما هذا الذى وراءه فهو سيد من سادة الريف لعله صاحب القرية أو ذو الشأن فيها ؛ وهذا الزرى الضامر النحيف قس قد قنع بالكتاب عن فاخر الثياب ، يلبس الأسمال والأخلاق ، ويعلم الحكمة والأخلاق ؛ وهذا الذى يرفل فى الديباج الأحمر طبيب يلهج لسانه بالحمد والثناء حين يذكر أيام الطاعون والوباء ، إذ امتحنت المدينة عامين تعاون فيهما على الناس الطاعون والطبيب : ذلك يحصد الأرواح ، وهذا يجمع الأرباح . وهذه الفتاة الناعمة الرقيقة راهبة من الرهبان ، تتكلم الفرنسية بلهجة ظريفة سليمة ، ولكنها لا تفهم لغة باريس ؛ وحسبك أنها تعلمت الفرنسية فى بلاد الإنجليز ! أما الذى خلفها فراهب متعبد غير متأبد ، لا يتذمم مع رهبنته من اقتناء الخيل والخروج للصيد ، وهو ليس بالرجعى الذى يلزم القديم ، بل هو مجدد كأهل هذا الزمان ، لا يحبس روحه فى القُوس والصومعة ، ولا عقله فى الكتب والصحائف ، ولا يكد بدنه بالزرع والحصاد ، إنما همه فى الحياة أن ينمى اثنين : كلاب صيده ولحم بدنه . وبجواره شماس خبير بأهل المدينة ونواديهم وحاناتهم وخاناتهم ، قد وهب جمال الصوت وحسن التوقيع والبداهة فى المداعبة الحلوة والمحاورة المرة . وهذا رجل من عامة ذوى الأملاك مرح طروب يشغله فى الحياة شيئان : الطعام المرىء والخمر العتيق . وهذا كاتب قد ملأ رأسه من أكسفورد لا فرق بينه وبين جواده : كلاهما هزيل ناحل ما أغنى عنه علمه وما وعى ، فهو لا يزال حائراً يتخبط فى غيهب الحياة ، ينام الليل متوسداً أرسطو وفلسفته ويصبح خالى الوفاض لا يملك شيئاً ، حتى إذا يَسّر له صديق هرع إلى الكاتب يلتقى إليها بالمال ، ويعود منها مثقلاً بأحمال ؛ وهذه ربة دار امرأة صناع قد أبلت فى عمرها خمسة أزواج أوردتهم جميعاً موارد العذاب ، ولا تزال تتربص بسادس فهى تنصب للزوج شركا من الحب الزائف والود المصطنع حتى يقع فيه فترديه ، وهذا نجار وهذا صباغ ، وهذا فلاح ، وهذا حباك ، وهذا نجاد

كل أولئك الذين رأيت لهم قبلة واحدة هى الحج إلى بيت الشهيد توماس فى كانتربرى . فبيته مثابة المؤمنين ومقصد المخلصين

ولعلى قد أنسيت أن أحدثك عن صاحب الفندق فهو رجل حلو الفكاهة رقيق الحاشية يرى أن الحج ركن من أركان الدين ، حكمة شرعته أنه سبب رزقه ومورد الخير له ، وهو لا يدخر وسعاً فى إيناس الحجيج وتيسير السبل لهم . وقد تراءى له أن يحج هذا العام فما فصلوا عن الخان حتى بدا له أن يجد سبيلاً للترفيه عنهم ودرء أوصاب السفر ، قال : يا قوم نحن ثلاثون فعلى كل واحد منا أن يقص على إخوانه قصتين فى الذهاب ومثلهما فى الإياب ، فمن فازت قصته بالإعجاب فله عشاء فى فندق يدفع ثمنه بقية الصحاب

ولست أدرى هل كانوا جميعاً قد قصوا ما قضى عليهم ، ولكننى أعلم أن رجلاً منهم قد وعى ما سمع من القصص أو هو أجرى على أفواه الحجيج قصصاً تخيلها وأسماها « قصص كنتربرى » !

هذا الرجل هو « جوفرى شوسر » أبو الشعراء الإنجليز وزعيم قصصيهم

ولقد أدرك القراء أن وصف الحجاج والفندق ووصف المدينة في الربيع ، وكل ما قرءوا من أول هذا المقال ، إنما هو مقدمة قصص « كنتر برى » للشاعر الذى ندرسه ، نقلتها عنه فى أمانة ووفاء ، لنتبين أسلوبه ، وندرس حياته وآراءه ، وما تأثرت به كتابته من آراء غيره ومما أحاط به من ظروف وأحداث كان لها الأثر فى تفكيره وبيانه

فالشاعر كما ترون خلال هذه السطور القليلة التى قرأتم والتى أرجو أن أوفق للمزيد منها فى مقال آخر ، لا يحاول أن يبسط سلطانه على عقل القارئ ولا يختار موضوعاً اجتماعياً بعينه ليدلى فيه برأى قوى عنيف يفزع به القارئ أو يجذبه إليه ، ولكنه يعمد إلى الحقائق المجردة والمشاهد المألوفة فيدعها تسيطر على عقله هو ثم يصفها لك كما أثرت فى نفسه وكما يراها هو ، فلا يلبث القارئ أن يؤخذ بالصورة التى رسمها له ، ويتأثر بالعوامل التى تأثر بها الشاعر ، فيرى بعين الشاعر ويفهم بعقل الشاعر فى غير عناء ولا كلفة . وإنك لتدرك بعد هذا أن شاعرنا قوى السلطان على قرائه، ولكنه لا يقسرهم على طاعته، شديد التأثير فيهم ولكنه لا يسلط عليهم قوته ، وإنما هم القراء الذين يهرعون « لبضاعته » ويخضعون لطاعته والتأثر به. قال فيه أحد المترجمين له : «لم تكن هناك أخيلة قد ألقى عليها الشعراء ضوءاً يمكنه أن يختار منها ويقتبس ، ولكنه كان يفحص الأشياء فى حدود ضيقة لنفسه وبنفسه حتى يستطيع وصفها وصفاً لا يفترق عن صنعة المثَّال ، فوصفه للطبيعة يشعرك بهبوب الريح ورطوبة الثرى وبرودة الجو »

وأحسب أن مما ساعده على هذه القوة الوادعة وهذه السطوة الهادئة أسلوبه التهكمى وسخريته الحلوة المرة إن جاز هذا التعبير ، فأسلوبه حلو يستسيغه القارئ ولا يستطيع أن يعبس له ، بل لا يسعه إلا أن يضحك منه ويتأثر به ؛ وهو مر لأنه يكشف عن العيب الذى يريد الشاعر الكشف عنه ، فيريك منه أبشع صورة وأشدها إيلاماً للنفس . أنظر إليه حين يصف أطباء عصره كيف يضحكك من وصفهم ، وكيف يؤلمك من جشعهم وما نال الناس منهم ومن الطاعون : فطبيبه الذى يصف رجل يلهج لسانه بالحمد والثناء حين يذكر أيام الوباء، وهو والطاعون إذا اجتمعا على المدينة أفنياها ، هذا يحصد الأرواح ، وهذا يجمع الأرباح .

وانظر إليه حين يصف المرأة الزواج يعبر عن ذلك بأنها « أبلت » فى عمرها خمسة أزواج ، ثم يدعها ويسخر من الرجال الذين يقعون فى حبائلها ...

ولعلك لحت فيما قرأت له أن أكثر سخريته وأشدها منصب على رجال الدين من قساوسة وشمامسة ورهبان ؛ ونحن نبادر قبل أن نعرض لهذا البحث — إن أتيح لنا أن نعرض له — فنقول إنه متأثر فى هذا بعاملين : أولهما حال رجال الدين فى ذلك العصر وما كان بينهم وبين الملوك والأمراء من تحاسد وتباغض وتنازع فى السلطان ، والملوك والأمراء هم أرباب الفضل والنعمى على شاعرنا ؛ وثانيهما خضوعه فى هذا وفى غير هذا لما تأثر به فى آرائه وأسلوبه من كتابات الشاعر الإيطالى بترارك وغيره من شعراء الطليان الغابرين وكتابهم

***

ولد هذا الشاعر فى لندن منذ نحو ستمائة سنة . وقليل ما عرف عن فجر حياته ، بل لم يسمع اسمه فى لندن إلا عندما كان موظفاً فى بلاط الدوقة كلارنس التى كانت زوج ابن إدوارد الثالث

وكان شوسر لا يزال شاباً فى طراءة السن ، ثم انخرط فى سلك الجندية وحارب فى حروب فرنسا المعروفة بحروب مائة العام. قيل إن الفرنسيين أسروه وطلبوا له الفداء وبهظوا واشتطوا على أهله وصحبه فى الفدية، فاكتتب أولئك فى جمعها وساهم الملك بماله فى ذلك . ولما عاد إلى بلاده استخدمه الملك خاصة له وأصبح له فى الأسرة المالكة منزلة محترمة. فكان موضع الثقة فى السفارات، والرسول المجتبى فى الملمات . سافر إلى فرنسا وإلى إيطاليا فحذق اللغتين وقرأ شعرهما ولقى شعراءهما . وشغل بعد هذا مراكز حكومية كإدارة المكوس وعضوية مجلس الشورى ورياسة المقاطعات ، ولا تزال جامعتا اكسفورد وكمبردج تتنازعان بنوة هذا الشاعر

ولعله لا يتعاظمنا أمر فقره فى أخريات حياته ، فهذا شأن الكثيرين من الكتاب والشعراء حتى اليوم ، ولعل هذا هو ما أوحى إليه وصف الكاتب بقوله : « ما أغنى عنه علمه وما وعى — حائر يتخبط فى غيهب الحياة ، ينام الليل متوسداً

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

أى الصلح يريد ؟

عرض هتلر فى حديثه إلى مجلس الريشستاغ الألمانى إلى موضوع الصلح مع انجلترا ، فأبدى استعداده للدخول فى مفاوضاته ؛ ولكن أى صلح يريد هتلر ؟ ولماذا يبدى استعداده اليوم بعد مضى شهر على تسليم فرنسا ؟ الحقيقة أن هتلر لا يريد الصلح ، وهو لم يكن فى يوم من أيام حياته من مريدى السلام ؛ بل هو فى حالة حرب دائمة ، فإذا كانت ألفاظ السلام على شفتيه ، فعقله وقلبه يمملان للحرب ، وإذا طالب بالسلام ، فلأنه يريد أن يضمن النصر فى الحرب ؛ فصلحه وسلامه يقومان على الغدر والخيانة واستغلال الفرص للقضاء على سلام غيره

فتاريخ هتلر مملوء بالصفحات السوداء من تغرير ، وخيانة ، وغدر ، وخديعة ؛ ولم يتورع فى تصرفاته عن استعمال أسلحة القتل والجريمة ، فعندما أراد ضم النمسا دفع رجاله لاغتيال دلفوس زعيمها ، فلما خاب مسعاه فى المرة الأولى كرره فى المرة الثانية ، إلى أن تمكنوا من قتله ، وعندئذ بدا هتلر على حقيقته زعيماً للمجرمين ، لحمى القتلة ، بل وزاد أن مجد ذكراهم لأول مرة فى تاريخ الإنسانية ، فوضع على قبور من اقتصت منهم العدالة أكاليل الزهر ، وأقام نصب التخليد . فيالها من أكاليل ويالها من نصب !

الاختطاف الدولى

وعندما أراد أن يضم إلى بلاده مناطق السوديت توطئة لوضع تشيكوسلوفاكيا تحت سيطرته تبع نفس الوسائل ، ولكن بطرق أخرى ؛ فبدل أن يقتل اختطف ، فاستدرج الرئيس هاشا بحجة المفاوضة ، فلما وصل إلى ألمانيا أحاطه بالحرس المسلح ، وألقى إليه بشروطه ، على أنها شروط لا تقبل المفاوضة ؛ فلما رفضها ، برزت المسدسات من مناطق الرجال ، وحيل بين هاشا والنجاة وجعلت شروط الصلح شروط الفدية ، مذكراً بمصير « شوشنج » وما يعانيه من آلام الأسر ، وعذاب رجال الجستابو

وعبثاً حاول هاشا الخلاص من التهديد أو الإكراه إلى أن نفد احتماله وأغمى عليه مرات ، ولكن الأطباء المعدين فى حجرة مجاورة كانوا يسعفونه بالعلاج حتى يتمكن من إمضاء الاتفاق ؛ وبعد ساعات من الاضطهاد المتواصل خارت قوى الشيخ فسلم الفدية وأمضى الاتفاق

فأى فرق بين هتلر وعصابات الاختطاف والسرقة ؛ فالأول يقتل الزعماء ليتخلص من عزيمتهم ، ومن منافستهم ، ليسلب بلادهم حريتها ، وليبعث الرعب فى قلوب غيرهم ؛ والآخرون يقتلون منافسيهم وغرماءهم ليسلبوهم أموالهم ؛ والأول يختطف رؤساء الدول مستغلاً قواعد المعاملات الدولية ، ويجعلهم رهينة ترهب وترغب ، إلى أن يكرهوا على تسليم الفدية ؛ والآخرون يختطفون الأثرياء طمعاً فى فدية يحصلون عليها من ذويهم

أى فرق بين هاتين العصابتين ؟ وإذا كانت الأمة لا تسمح لمثل هذه الطائفة بالعيش ، وتسلط عليها رجال الأمن للقضاء عليهم ، فهل يحق للعالم أن يترك هتلر يقتل الزعماء ويختطف الساسة تحت ستار السلام ؟

وإذا أردنا أن نذكر تصريحات هتلر ووعوده مع بولندا والدانمارك والنرويج وبلجيكا وهولندا ، ضاق نطاق المقال ، وأعدنا على القارئ سيراً مؤلمة

وشعر هتلر بأن النصر بعيد ، وأن الهزيمة أقرب منه ، فأراد أن يهرب من مصيره ، ولوح للعالم بالسلام ، ولكن العالم يعلم ما يخبئ لهم هذا السلام ، فإن هى إلا فترة من الزمن يبث فيها رجال الطابور الخامس فى انجلترا فينشرون الرعب والخيانة بين رجالها ، وإن هى إلا فترة من الزمن يستمد فيها هتلر بقوات

أرسطو وفلسفته ، ويصبح خالى الوفاض لا يملك شيئاً » لعله كان يصف نفسه ، فكذلك كان شاعرنا ، عاش على قليل من المال رتبه له هنرى الرابع ابن صديقه جون أوف جونت ، واتخذ له مسكناً فى وستمنستر فى بقعة منها يشغلها الآن جزء من كنيسة وستمستر المعروفة ببيعة هنرى السابع ومات بها عام ١٤٠٠ م ودفن فى زاوية الشعراء من هذه الكنيسة . وكان أول شاعر نال هذا الشرف

ولنا عود إن شاء الله إلى قصصه وآثاره .

« الأسكندرية » الصاغ
أحمد طاهر

تمكنه من غزو انجلترا حتى يبدأ الحرب الفعلية من جديد ، وهذا هو السلام الذى يريده هتلر

ولم الآن ... ؟ إن الشهر الذى انقضى منـذ توقيع الهدنة الفرنسية لم يمض عبثاً ، فقد خبر فيه هتلر قواته ، وشاهد نتائج إغاراته على انجلترا ، فعرف أن بريطانيا العظمى بعيدة المنال ، وأن سلاح العنف لن يصل به إلى غرضه ، فعاد إلى سلاح الخديعـة ليوهم أنصار السلام بأنه ملاك ، وليحمل انجلترا تبعة استمرار الحرب ، فيشتد عضد أنصار الهزيمة فيها ، وتسرى فى الرأى العام لهجة الصلح ، ولكن هيهات ! ففى تاريخ انجلترا كله ما يدل على أنها إذا عزمت على أمر فلا مفر منه إلى النهاية

وهى خلة فرضتها عليها الظروف ، فهى تبدأ الحرب متراخية ضعيفة ، ولكنها لا تلبث أن تحشد جهودها ، وتوجه قوتها إلى الغرض المنشود ، وهى تتكلف فى هذا التحول كثيراً من الخسائر المادية والأدبية مما يعز عليها أن تتخلى عنه وهى فى منتصف الطريق

سياسة الأمبراطورية

فهى تضع خطة نضالها على حرب طويلة الأجل ، تكون فى نهايتها أقوى منها فى أولها ، وقد فرضت عليها سياستها الأمبراطورية هـذا السبيل حتى لا ترهق شعوبها بالاستعدادات الحربية فى زمنى الحرب والسلم ، وتكتفى بالسيطرة على جميع الموارد فى زمن الحرب ؛ وغنى عن القول أن مواردها تنمو فى فترة السلم نمواً كبيراً بفضل تقدم العمران ، وأن شعوبها إذا أحست بالخطر ضحت فى سبيله ، حرصاً على رفاهيتها من أن تهددها دولة أخرى ؛ وعلى هذا الأساس تدخل الميدان واثقة من قوة عزيمة رجالها ، واثقة من اتساع مواردها

عرف هتلر كل هذا واختبره ، ولهذا السبب يعرض الصلح الآن . فخير له أن يحل مشاكله وهو قوى من أن يحلها وهو ضعيف ، فالحالة الأولى تتيح له التهديد بالرفض أما الثانية فلا يسعه فيها إلا القبول ، فقد أدرك الآن أن خطة الحرب الخاطفة التى بنى عليها سياسة انتصاره يرجح فشلها على نجاحها

فى الشرق الأقصى

وثمة ميدان آخر بدأت الحيـاة تدب فيه ، وبدأ الناس يتكهنون بما قد يجرى فيه ، فسألنى عدة أصدقاء ما هو الموقف فى الشرق الأقصى ؟ وماذا ينتظر أن يجد فيه من الأحداث السياسية والعسكرية ؟

فهناك أمريكا واليابان والروسيا والصين ؛ وهناك أيضاً أملاك لهولندا وقد احتل بلادها الألمان ، وأملاك لفرنسا وقد سيطر على فرنسا النازيون ، فانقطعت الصلة العسكرية بين هذه الممتلكات وبين أمها ، بحيث يتعذر عليها وحدها الوقوف أمام غزو يابانى سياسى أو عسكرى

والموقف فى الشرق الأقصى دقيق لا يتيح للباحث أن يقطع فيه برأى ، وأمريكا هناك هى قطب الرحى ، وهى أقدر دولة على حفظ التوازن والسلم ولو إلى حين . وقد ناقشنا فى مقالنا الماضى ناحية من العلاقات وتضارب المصالح بين الروسيا واليابان

ونناقش الآن موقف أمريكا فى هذا المجال ، فإن كانت مصالحها فى أوربا لا تدفعها إلى دخول الحرب والاقتصار على امداد انجلترا بالعتاد الحربى فإن مصالحها فى الشرق الأقصى رغم اتساع المحيط الهادى تدفعها إلى الاحتفاظ فيه بالتوازن الدولى بجميع الوسائل ومنها الحرب

المصالح الأمريكية

فقد تضاعفت تجارتها فى الصين قبل حربها مع اليابان حتى بلغت ستة أمثال ما كانت عليه ، فأصبحت ٢٥٠ مليون دولار ؛ فإذا اعتبر هذا المبلغ بسيطاً بالنسبة لأمريكا ، فإن زيادته المطردة وتضاعفه فى فترة قصيرة مما يبعث كبير الأمل فى نفوس الأمريكيين ولا سيما أن الصين بدأت تأخذ بأساليب الحضارة الحديثة من صناعية وزراعية

واستيلاء الروسيا أو اليابان على الصين يقضى على التجارة الأميركية فيها ، ويهدد أميركا ودولها بالغزو ، فبنت أمريكا سياستها فى الشرق الأقصى على ألا تكون لإحداهما فيه أمبراطورية واسعة تضم إليها الصين ، ومن ثم يسهل عليها الاستيلاء على الجزر الواقعة فى المحيط الهادى وأهمها الفلبين وهاواى ، وعندئذ يتاح لها أن تغزو أية دولة شرق المحيط الهادى ، وتتخذها قاعدة لتهديد الولايات المتحدة تهديداً مباشراً

ومن سياسة أميركا فى الشرق أيضاً أن تثبت أقدام الدول

الأوربية فيه ، حتى لا تكون مهمة حفظ التوازن واصطدام المصالح قاصرة عليها ، فعند ما اشتدت حركة الحصار اليابانى على تيانتسين ، واتخذ اليابانيون مع البريطانيين وسائل قاسية تدخلت أميركا وهددت اليابان بقطع العلاقات التجارية

ولتهرب اليابان من المسئولية الدولية بنت سياستها على المكر والدهاء ، فألفت حكومة صورية فى منشوكو لتنفذ بها سياستها ؛ فعلى حكومة منشوكو أن تزرع وعلى اليابان أن تجنى الثمر ناضجاً ، فمنطقة شنغهاى مثلاً منطقة دولية موزعة على الدول ، فتلبس حكومة منشوكو قفاز اليابان وتطالب الدول بإخلائها ، فإذا احتجت الدول إلى اليابان على أنها المحرك الأصلى قالت إنها غير مسئولة عن تصرفات حكومة أخرى مستقلة

أمريكا تعمل

ولهذا برزت فى الدوائر الأميركية فكرة تضع اليابان فى وسط المضلة ، فتخطر بأن كل حركة أو عمل ينفذ من جانب حكومة منشوكو تعتبر اليابان مسئولة عنـه ، وتتخذ قبلها العقوبات أو التصرفات اللازمة

أما هذه التصرفات فهى :

١ — عرقلة التجارة اليابانية فى أمريكا وهى أكبر عملائها ، فتفرض الضرائب على الواردات اليابانية

٢ — عرقلة مساعى الصين فى اليابان وإفساد خططها

ويؤيد هذين التصرفين الموقف الدولى الحاضر وحالة الحرب الناشبة فى الميدان الأوربى والميدان الصينى ، وقد نتجت عنه ثلاثة عوامل

ا — تعتمد اليابان على التجارة الأمريكية ، فلم يبق لها من أسواق سواها

ب — ضعف اليابان نتيجة لحربهـا مع الصين وصعوبة تخلصها من هذه الحرب

حـ — ضرورة احتفاظها بقوات بحرية وبرية كبيرة لتدافع عن ممتلكاتها إذا نشبت الحرب بينها وبين انجلترا

ولا تعتمد أمريكا على اليابان اعتماداً كبيراً فى تجارتها ، فالأقطار الأمريكية من أغنى أقطار العالم ، وهى البلاد الوحيدة التى تستطيع الاستغناء عن الدول الأخرى لاتساع رقعتها وتوفر خاماتها

وقلنا فى مقالنا السابق إن مساعى انجلترا للصلح بين الصين واليابان على وشك النجاح ، ومعنى هـذا إضعاف هذه العوامل وخصوصاً العامل الثانى ، ولكنه يلاحظ أن صلح الصين واليابان لا يعيد للأخيرة ما فقدته من عتاد وقوات حربية ، ولكنه يعطى لهذه البقعة السلام ، وهو ما ترجوه الدول ذات المصالح فيها ، حتى تعود تجارتها واطمئنانها إلى سابق عهدها

وهناك عامل آخر يحبذ وقف القتال بين الصين واليابان ، فالخطر الأكبر هو أن تسيطر الروسيا على الصين ، وهـذه نتيجة طبيعية لاستمرار الحرب ، فإن أمل الصين فى الانتصار ضعيف نظراً لتفوق اليابان العسكرى وموقعها الجغرافى الحصين ، فهى جزيرة كانجلترا ؛ فكل أمل الصين هو وقف الزحف اليابانى أو إخلاء بعض المناطق الصينية المحتلة

وبعض المقاطعات الصينية خاضعة للنفوذ السوفياتى ، فإذا طالت الحرب وتدخلت قوات هذه المقاطعات فيها ، فإن النفوذ السوفياتى ينتشر فى الصين كلها ، ويتدرج من السلطة العسكرية إلى السلطة المدنية ، وتصبح الصين بلاداً بلشفية ، أو بعبارة أوضح تتكون الأمبراطورية الشرقية بزعامة الروسيا ، وهو الخطر الذى تخشاه دول أمريكا وأوربا

وتخيف هذه النتيجة اليابان ، لأنها إذا تحققت قضت على جميع أحلامها فى الصين ، وحققت أحلام الروسيا ، وهو خطر يهدد جزر اليابان نفسها إذ توضع الأراضى الصينية تحت تصرف الروسيا ، أو تصبح جزءاً منها كما حدث فى ليتوانيا واستونيا ولتفيا ، فقد بدأ النفوذ الروسى فيها صغيراً ، ثم تدرج إلى أن أعلنت انضمامها إلى الاتحاد السوفياتى

فمن مصلحة اليابان إذن أن تضع حداً لحربها مع الصين اتقاء لشر الروسـيا ، ولا سيما أن فقر الصين مرعى خصيب للمبادئ الشيوعية ومنها تنتقل العدوى إلى اليابان ، فمستوى المعيشة فيها ليس أكثر ارتفاعاً منـه فى الصين ، ولا يمد اليابانيين عن الشيوعية إلا بعض المعتقدات الدينيـة والتقاليد التى لا تلبث أن تنهار أمام شظف العيش وغريزة حفظ النفس

ولهذا فلا يستبعد أن يكون الصلح بين اليابان والصين صلحاً شريفاً يقبله الطرفان ويحفظ كرامة المتحاربين .

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة



تأملات :

التقليد والتمثيل

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

عندنا عامل فقير مرح ، فجأته ثروة ضخمة ، فانكب على إنفاقها ، فأصابته أمراض وعلل ، فانقلب صاحب هم وغم ولم يجد خلاصاً من همه وغمه إلا أن يفر من ثروته

هذا الرجل نريد أن نمثله فكيف نمثله ؟

الممثلون ينقسمون حيال هذا الرجل — كما ينقسمون حيال غيره — إلى قسمين : قسم يقول لك : أنا إذا أردت أن أمثل دوراً كهذا فإنى أبحث بين الناس أو فى ذاكرتى عن رجل يشبهه أكون قد رأيته أو أكون قادراً على رؤيته ، ثم أدرس هذا الشبيه فى فقره ومرحه فأرى أثر الفقر فيه ، وتأثيره فى صوته ، وفى مشيته ، وفى حديثه ، وفى إصغائه ، وفى إشاراته ، وفى إقباله على الناس ، وفى تركه للناس ... وما يفعله الفقر بعد ذلك كله فى نفسه ، ثم أدرسه بعد ذلك فى مرحه ، ثم أدرسه بعد ذلك إذا اغتنى ، فإذا رأيته يبذر القرش فى طعام ، فهو سيبذر الجنيه فى طعام أيضاً إذا أتاه جنيه ، وإذا رأيته يبذر القرش فى زينة ، فهو سيبذر الجنيه أيضاً فى زينة ، وإن اختلفت زينة القرش عن زينة الجنيه ؛ ثم أدرسه بعد ذلك وهو مريض معتل ، فأراه إذا كان يصبر ويحتمل أو يتبرم ويتملل ؛ ثم أدرسه بعد ذلك فى همه وغمه ، فأراه كيف يشكو أو كيف يكتم الشكوى ، وأراه لمن يشكو إذا شكا ، ألكل من هب ودب أمامه ، أم لعاقل ترجى عنده النصيحة ، وأراه بعد ذلك كيف يقطع الرأى فيما يهمه ويغمه ، أيتردد طويلاً أم قصيراً ، أم يبت فى الأمر بالفكرة الأولى ، أم يستقصى ما يتوارد إلى ذهنه من الأفكار ، أم يستسلم فلا يفكر ؛ ثم أدرسه فى آخر الأمر وهو فار هارب من همه وغمه ، وأراه كيف يكون حين يشعر بالنجاة ، أراضياً مرتاحاً ، أم ساخطاً ، أم مشتاقاً إلى الرجوع إلى النكد عند ما يذكر أن هذا النكد كان فيه مال ، وكانت فيه ثروة

فإذا درست هذا كله وإذا رأيته استطعت بعد ذلك أن أمثله وأنا أضمن أن أخرجه صورة طبيعية صادقة رائعة ...

هذا كلام يقوله ممثل من القسم الأول ، أما الممثل من القسم الثانى فيقول : « ومالى أنا أجرى وراء الناس ، أو أجرى وراء الأشباح فى ذكراى ؟ أنا سأفرض أنى هذا العامل الفقير وسأرى أى أثر يؤثر هذا العمل فى النفس وفى الجسم : أهو يعطى صحة أو يعطى سقماً ، أهو يورث الهدوء أم يبعث فى الأعصاب الفزع ، أهو ينشط العقل أم يملؤه النوم والكسل ... فإذا علمت أى شىء يصنعه هذا العمل بالعامل استطعت أن أعود إلى نفسى أنا فأراها كيف تكون عندما تنطبق عليها الأوصاف المترتبة عن هذا العمل ، وليس على بعد ذلك إلا أن ألزم نفسي اتخاذ هذه الأوصاف وأنا أمثل هذا الدور ، فإذا فرغت من هذا الأساس رجعت إلى نفسى مرة أخرى فرأيتها فى الفقر ورأيتها فى المرح ، ورأيتها حين تبذر وتسرف كيف تلقى المال وكيف تنفقه إذا كانت بهذه الأوصاف الجيدة ، ثم أرى نفسى بعد ذلك كيف أهتم وكيف أغتم ، وكيف أفر من الهم ومن الغم ...

فإذا رأيت هذا كله وإذا درسته استطعت بعد ذلك أن أمثله وأنا أضمن أن أخرج الدور لك صورة طبيعية صادقة رائعة

وتسمع أنت كلام الممثل الأول ، وكلام هذا الممثل الثانى ، وتريد أن ترى أيهما الأضمن طريقاً ، وأيهما الأمكن فناً ، أهذا الذى يتلقط مادة فنه من صورها الطبيعية ، أم هذا الذى ينفخ نفسه فى الطبيعة فيخرجها مخلوقاً جديداً ؟

فإذا طلبت من هذين الممثلين أن يمثلا هذا الدور ، رأيت الممثل الأول يسرع إلى الإجادة ، فلا يحتاج إلى تدريب ، وإن احتاج فإلى تدريب قصير يتمكن بعده من الدور تمكناً ملحوظاً

أما الممثل الثانى فإنك تراه يتسكع نحو الإجادة تسكعاً ، ولكنه كلما أصاب تصوير حالة ما استمسك بها ، وراح يبحث عن غيرها ، فكلما طال تدربه على الدور وانشغاله به زاد إتقانه له

واندماجه فيه ، على العكس من الممثل الأول الذى يقف فى الإجادة والإتقان عند حد خاص ، هو الذى رآه فى الطبيعة ونقل عنه .

وليس هذا وحده هو الفرق بين هذين الممثلين ، فثمة فرق آخر كبير ، ذلك أنك تجد فى الممثل الأول الذى يأخذ عن الصور الطبيعية ملامح هذه الصور الطبيعية ولا ترى ملامحه هو، كما أنك ترى نفوس هذه الصور الطبيعية ولا ترى نفسه هو؛ أما الممثل الثانى فإنك ترى ملامحه ونفسه فى هذا الدور ، فكأنه هو قد انصرف عن التمثيل فعلاً واشتغل عاملاً وافتقر ، وحدث له وحدث ...

فأى واحد من هذين الممثلين أمكن فناً من صاحبه ؟

أغلب الممثلين المجيدين فى الغرب من النوع الأول ، وقليلون جداً فيهم الذين من النوع الثانى وأذكر منهم شارلى شابلن

وأغلب الممثلين المجيدين عندنا هنا من النوع الأول أيضاً ، وقليلون جداً فيهم الذين من النوع الثانى وأذكر منهم نجيب الريحانى

ولعل القارئ يلحظ أن شارلى شابلن منذ استتب أخذ يتباطأ فى إخراج الروايات ولم يعد يلاحق بعضها ببعض ، كما أن نجيب الريحانى قد أخذ هو أيضاً يتباطأ ولم يعد يخرج فى العام الواحد أكثر من روايتين

ولعل القارئ يعرف أن شارلى ونجيب يقضيان ما بين الرواية السابقة والرواية المقبلة تهيؤاً وتربصاً ، وإن كان شارلى يستمتع بحرية أوسع بكثير جداً من الحرية التى يستمتع بها الريحانى

وشارلى ونجيب لا يتشابهان فى هذا فقط ، وإنما هما يتشابهان أيضاً فى أن كلا منهما يؤلف رواياته لنفسه ، ويعلم ممثليها بنفسه ، ثم إن كلا منهما يضم حوله مجموعة من الممثلين لا يكاد الجمهور يعرفها إلا حوله هو ، فإذا بعدت عنه ثقل التمثيل عليها وثقلت عليه ، زد على ذلك أن شارلى شابلن بدأ أخيراً يضع الموسيقى التى تصاحب التمثيل فى رواياته ، وقد سبقه الريحانى إلى هذا وإن لم يكن قد سبقه بنفسه ، فزكريا أحمد الملحن الكبير الذى اختصه الريحانى برواياته يقول إنه تعلم من الريحانى ألواناً من الموسيقى شرحها له معانى فنفذها هو بالنغم

فهل هناك علاقة بين أوجه الشبه هذه ، وبين الطريقة التى يسلكها هذان الممثلان فى فنهما ؟ وهل نستطيع أن نقول إن هذه الطريقة هى التى ارتقت بهذين الممثلين حتى ميزتهما هذا التميز على الممثلين المجيدين ؟

الواقع أن هناك علاقة وصلة بين هذه الطريقة وبين هذا التمكن الفنى الذى وصل إليه كل من الأستاذين شارلى شابلن ونجيب الريحانى

فنحن إذا رجعنا إلى طريقة التمثيل الأولى رأيناها أقرب إلى ما تمارسه القردة من التقليد ، فالقرد كلما رأى حركة قلدها ، وكلما رأى حالة نفسية تنضح على صاحبها أثراً جسمانياً بادياً تصنع هذا الأثر الجسمانى البادى وإن لم يقدر على أن يقنع الناظر إليه بأن نفسه من الداخل قد تحولت إلى هذه الحال التى من عادتها أن تنضح بهذا الأثر ، ولكن الممثل الذى من نوع شارلى ونجيب أصدق تصويراً للنفس الإنسانية فى حالاتها المختلفة ، وإن كان يتقيد فى هذا التصوير بطبيعة نفسه هو تاركا ما عداها من النفوس ، ونفسه مهما كانت غنية ومهما كانت سهلة طيعة فهى نفس مفردة واحدة بيننا الحياة فيها ملايين اللايين من النفوس والصور ...

وهذا عيب قد يؤخذ على هذا النوع من الممثلين ، ولكنه فى الحقيقة غير عيب ، وإنما هو فضيلة . فكل نفس إنسانية فى حقيقتها المجردة لا تفترق فى شىء عن غيرها من النفوس ، وإنما تختلف النفوس بعضها عن بعض تبعاً لمؤثرات عارضة بعضها موروث وبعضها مكتسب ، وبعضها تمكن ، وبعضها لا يزال مزعزعاً ، وهكذا ، والفنان الذى يتخذ الحق طريقة إلى الفن يبدأ أول ما يبدأ بمراقبة نفسه ومتابعة فضائلها ورذائلها ، ثم يعكف على توطيد الفضائل ، ومكافحة الرذائل ، فإذا لم ينجح حيال شر من شرور نفسه لم يخفه عن الناس ، وإنما أعلنه مع ما يعلن من نفسه فيعرف عن الناس أسراره ودخائله وشروره وآثامه وعيوبه وأخطاءه ومساويه ورذائله ، وهو أول من يعرفها من الناس ، وهو أول من يكرهها وإن استسلم لها وعجز حيناً عنها ، ولكنه لا يزال يتربص بها الفرص ويرجو النجاة منها ويطلب من الحق أن يعينه على هذه النجاة . . .

وهذه نزعة من نزعات التصوف ، وهى انطلاقة جريئة نحو الحق ، وهى وحدها التى تمكن صاحبها من الإلمام بنفسه



الوضع الحقيقي لمشكلة:

جابر بن حيـــان

للأستاذ أحمد زكي صالح

تقرير الأستاذ برتلو Berthelot

وبرتلو هذا هو أول من تعرض لبحث مشكلة جابر بن حيان على منهج علمى منظم ، وذلك فى ثنايا عرضه لتاريخ الكيمياء فى كتابه La Chemie de Moyen Age، حيث يعرض برتلو منهجه قائلاً : « ولكى نجزىء هذه المشاكل المسيرة ، ونعين بها مشاكل كتب جابر بن حيان ، التى تمانها هذه المرحلة العلمية ، فإن الدراسة المباشرة للنصوص أو للتراجم اللاتينية تفيدنا أكثر إفادة ، ولكن هذه الدراسة النقدية لا تكفينا تماماً ، إذ أنه يبدو لى أنه من الضرورى أن نستعين بدراسة المؤلفات العربية نفسها ، وأن نقارنها بالنصوص اللاتينية المعروف أنها ترجمة لها . ولكن هذا ليس بالأمر اليسير ، ذلك لأن معظم النصوص العربية فقدت فى ركاب الدهر ، ولكن يوجد بعضها فى المكاتب الأوربية مثل ليدن وباريس ، وإن نشر هذه المخطوطات من الضرورة بمكان كبير ، حتى تتم الدراسة المقارنة ذات الأثر الفعال فى تاريخ العلوم . وحتى يتيسر لنا أن نضع تاريخ الكيمياء فى وضعه الصحيح[1] »

ثم بعد أن .. ، برتلو كتب جابر بن حيان التى لا يشك فى أنها من تصنيفه يقول :

يسمح لنا تحليل هذه الكتب بأن نكون الفكرة العامة لميزات جابر ، وأن نتبين كيف أن هذه الكتب ترتبط ارتباطاً مباشراً مع عدد معين من الأفكار والآراء والنظريات التى تبسط فى التراجم اللاتينية للكتب العربية مثل كتب أفلاطون وأرسطو والرازى وابن سينا وغيرها من الآراء والنظريات التى انتقلت عن طريق الكيمياء العربية إلى الكيمياء اللاتينية فى القرن الرابع عشر من الميلاد . وفى حركة النقل هذه ظهرت قيمة جابر بن حيان وكيف عُد أستاذ الكيمياء فى الإسلام

ويمكن أن ترد بعض هـذه النظريات إلى أصول يونانية ، ولـكن الأعمـال العربية لجابر تختلف تماماً من حيث عرض الأفكار وأسلوب البحث ومنهجه أو إثبات الظواهر ووضوح النظريات عن تلك الكتب التى ألفها منتحل اسم جابر Psuedo - gébèr ليس فقط فى أن الظواهر الجـديدة التى يشرحها هذا المؤلف كانت مجهولة تماماً عند العرب بل إنه من المستحيل أن نجد فى المؤلفات التى تحمل اسم جابر Gébèr فى اللاتينية صفحة حتى ولا فقرة يمكن أن تعتبر ترجمة لنص عربى

ولـكن هذا كله لا يمكن أن يقلل من شأن الكيمياء العربية التى أثارت تاريخ العلوم إثارة كبيرة إذ أنه عن طريقها أمكن معرفة تاريخ الكيمياء عند المصريين واليونان ثم فى بزنطة وعند السريان ، ثم عند العرب أنفسهم[2]

ثم إن كتاب الـ Summa لا يحتوى أى دليل يشير إلى أصله العربى سواء فى منهجه أو فى حقائقه أو فى كلماته أو الأشخاص المذكورين فيه ، ولا فى الخرافات الإسلامية التى هو خلو منها تماماً

وليس شك فى أن كتاب السوما Summa قد أُلّف قبل القرن التاسع بأقل من شك فى أنه لا يوجد ثمة أصل عربى هو ترجمة له فى مثل هذا التنظيم البديع وتلك الإبانة الوافية . إذ أن مؤلفات

(1) Traité d'alchemie arabe V. III. P. 8.

(2) نفس المصدر السابق ص ٢٣ — ٢٤

والإحاطة بما فيها ، فإذا بالذى فيها كنز لا يفنى ، كـكل كنز فى كل نفس ، غير أن هـذا كنز مفتوح لم تتكدس عليه الأكاذيب والأباطيل

فليس عجيباً بعد هذا أن تتاح محبة من الفنون الجميلة للفنان الذى نفسه هى هذه النفس ، فيكون أديباً وممثلاً ومغنياً وراقصاً ومملاً وغير ذلك

وإذا كان الفرد يقلد وينجح فى التقليد نجاحاً خفيف الروح بهيج الظل لأنه يتطلع إلى غيره ، فإن للانسان أن يكون فناناً إذا تطلع إلى نفسه وهى أقرب إليه من غيره .

عزيز أحمد فهمى

جابر العربية وأبحاث ابن سينا لا يمكن أن تملي علينا التسليم بأن كتاب السوما Summa ترجم عن أصل عربي

ونحن لا ننكر أن بعض العبارات قد اقتبست من مؤلفات جابر العربي، الذي لا زال وجوده غ ى. ولكن على الرغم من ذلك لا نستطيع أن نقول بإمكان ان يكون مؤلف هذا السفر الجليل عربياً مسلماً، إنما الافتراض الذي يبدو لي معقولاً هو أن مؤلفاً لاتينياً لا زال مجهولاً لنا تماماً كتب هذا الكتاب في النصف الثاني من القرن الثالث عشر من الميلاد ونسبه إلى جابر كما فعل الكيميائيون اليونان في مصر الذين وضعوا اسم ديمقريطس على مؤلفاتهم كي تشتهر وكما فعل الكيميائيون السريان في نحلهم مؤلفاتهم لديمقريطس كذلك

وقصارى القول إذن أن المؤلف اللاتيني Psuedo - gébèr «المدعي الجابرية» قد احتل مكانة سامية في العالم الكيميائي بفضل وضوح منهج الـ Summa وبامتيازها عن غيرها من المؤلفات العربية البحتة حتى صار هذا المؤلف في القرن الرابع عشر من الميلاد أساس الدراسة الكيميائية في العالم أجمع، ولكن نسبة هذا الكتاب للعرب أنفسهم أفسد كل تاريخ العلم لمنحه لهم هذه القدرة العلمية الإيجابية التي ما وجدت لديهم يوماً ما» (١)

مناقشة تقرير برتلو

يرى الأستاذ برتلو أن وضوح كتاب السوما Summa وأسلوبه وتنظيم أبوابه وقوة نظرياته ومنهجه الخاص تكفل لهذا السفر الخروج عن دائرة التأليف الإسلامية، والدخول في دائرة التأليف اللاتينية، ولكن لِمَ لا يكون جابر هو الذي كتب هذا المؤلف، بالعربية طبعاً، في أخريات حياته، بعد أن اكتمل له حظ كبير من المؤنة العلمية ومن الآراء والنظريات السابقة له؟ ولكن هبني سلمت بأن جابراً لا يعرف التنظيم في مؤلفاته، وهذا بعيد جداً، فلم لا يكون هذا التنظيم وذلك الأسلوب اللذان ركز عليهما برتلو نقده الطويل، من عمل المترجم؟ وكل ما هنالك أن هذا السفر الكيميائي كان حظه أوفر من حظ غيره من الكتب، إذ وُهب مترجماً ميالاً للأدب، ضليعاً في لغته، فاهماً تمام الفهم ما هو في سبيل ترجمته. وأؤكد أن هذه الأمور لو توافرت في أي مترجم لخرجت الترجمة وهي تضارع الأصل في وضوح الفكرة وجمال العرض

فالأساس الذي يعتمد عليه برتلو في نقده كتب جابر بن حيان أساس خاطئ، حظ الشك فيه راجح على حظ اليقين.

ونحن نكتفي بأن نسأل سؤالين :

أليس من اليقين القاطع أن أعمال جابر العربية التي في متناول أيدينا تدل على نبوغ وعبقرية ؟؟ ولم لا تكون هذه الكتب اللاتينية الأربعة التي سبق أن أشرنا إليها في بدء المقال، قد ترجمت عن أعمال أخرى لجابر بن حيان ؟

أما السؤال الأول فإن برتلو يسلم بأن الكتب العربية لجابر ابن حيان تدل على نبوغ وعبقرية

ولقد لاحظ الأستاذ رسكا Ruska، خليفة برتلو في الاهتمام بمشكلة جابر بن حيان، أن عملين من المؤلفات التي نشرها برتلو إنما تدل على سمو وامتياز، وعلى عقلية نامية نابغة

أما السؤال الثاني : فإن إجابة برتلو عليه كما سبق أن بينا، لا تلزم الباحث بضرورة الاقتناع برأيه

وعلى ذلك فإن القول بأن هناك أسباباً وجيهة جعلت كيميائياً لاتينياً ينسب أعماله لجابر بن حيان لشهرته التي لم تأت فقط عن طريق التراجم العرضية كدكراته ورسائله، إنما كذلك عن طريق التراجم اللاتينية لبعض المؤلفات العربية لجابر بن حيان الدالة على نبوغ وعبقرية، والتي أكثرها أهمية بدون شك هو كتاب السبعين الذي نشره برتلو وهوداس Haudas في سنة ١٩٠٣ حسب مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس

ولما كان من المستحيل أن يكون لدينا رأي جازم في مستوى الأسلوب العلمي في ذلك الوقت فإنه ليس من الممكن أن نسلم بأن كتباً كتبت على أسس جديدة غير الأسس القديمة ليست من أعمال جابر بن حيان

ونحن لا نكتفي هنا ببيان استحالة صحة رأي برتلو من الناحية الأسلوبية فقط، إنما كذلك تحت أيدينا من النصوص ما يثبت قطعاً أن رأي برتلو في معالجته لمشكلة جابر بن حيان من الناحية الموضوعية خاطئ كل الخطأ كذلك

والآن فلنقارن بعض النصوص اللاتينية التي يذهب برتلو أن جابراً لم يفطن إلى معانيها، أو إلى التجارب التي تشرحها، ببعض النصوص المسلم بأنها من عمل جابر بن حيان، من جميع العلماء المستشرقين :

(١) راجع Berthelot : Traité d'alchemie arabe

أولاً : كتاب الاستتمام ، هذا الكتاب ذكر فى الفهرست لابن النديم ، ويذهب المستشرقون إلى أن هذا الكتاب ، أعنى ترجمته باللاتينية التى نقلت بدورها إلى الإنجليزية تحت عنوان Book of seaich of Perfectoin إنما هى منسوبة إلى جابر بن حيان انتحالا ، ويذهب برتلو إلى أن هذا الكتاب يحتوى على نظرية الكبريت Sulphur mecury التى لم يحاول العرب التفكير فيها . ونحن الآن نقتطف نصاً من هذه الترجمة اللاتينية ونصاً آخر من كتاب لجابر بن حيان بالعربية وهو « الإيضاح » وترى بعد ذلك هل حقاً يوجد تباعد بين الفكرتين ؟

يقول كتاب Book of Seaich of Perfection ما ترجمته « تتركب جميع المعادن من أصل واحد هو الكبريت سواء كان نقياً أم لم يكن »

ويقول كتاب « الإيضاح » (مخطوط بدار الكتب بالقاهرة): « تتكون جميع الأجسام المدنية فى جوهرها من الكبريت الممتزج مع الزئبق ... وأنها إن يختلف بعضها عن بعض فما ذلك إلا لسبب اختلاف خواصها العرضية »

فأين إذن هذا التباعد بين النظريتين ؟

ثانيا : كتاب السوما Summa أى الجمع :

ولعل هذا البرهان الذى سنسوقه الآن هو الذى سيضع المشكلة فى وضعها الصحيح ، فمقدمة الكتاب اللاتينى ترجمت عن العربية ، إذ جاء فيها ما ترجمته « إن ما ذكر غير كامل فى كتبنا السابقة قد أكملناه فى كتابنا هذا »

وهذا ما يتفق تماماً وملاحظات جابر وتعليقاته فى أنه قد فرّق براهينه فى كتب مختلفة . وهو قد قال : « إن البحث ينبغى أن يُعمل بالشكل الذى يوافق الطبيعة » ؛ كما يذكر أن الكيميائى يريد أن يقلد الطبيعة بوسائل مصطنعة . كما يذكر أيضاً أن الكيميائى ينبغى أن يكون مجتهداً فى عمله مواظباً على الوصول إلى نتيجة نهائية ، وألا يسلم لنتائج سريعة وظواهر خداعة

ففى كتاب الجمع Summa ، أتى ذكر عملية التكليس فى الفصل الرابع عشر ؛ فبالرغم من أن التعاليم والأوصاف التى أعطاها جابر اللاتينى فى وصفه لجهات التجربة وخطوات العمل فيها تتفق تماماً مع تلك التى قال بها جابر بن حيان فى كتاب الخواص ، الذى لا يشك أحد أنه من عمل جابر ، فإن الأستاذ برتلو يعترف بأن عملية التكليس هذه لا نظير لها فى الكتب العربية ، ولكن من حسن الحظ ، أو من سوئه ، لا أدرى ، أن جابر بن حيان قد أفرد كتاباً لهذا الموضوع فقط هو كتاب « التكليس » ، ولا يشك أحد أنه من عمل جابر بن حيان

فلنقارن النصوص ، ونتركها تتكلم :

جاء فى كتاب الجمع Summa فى النص اللاتينى ما ترجمته : « التكليس هو تأكسد المادة بواسطة التسخين ، وذلك أنه يسلب الماء والرطوبة منها فتتجمع أجزاؤها ، والسبب فى ذلك هو أن تجفيف الكبريت وتلوينه وإفساده يمكن أن تمنع بواسطة التسخين ، ولكن هذا المنع يختلف باختلاف الأشياء المتكلسة إذ أن الأجسام تتكلس كما تتكلس الأرواح ، ولكن رغم ذلك توجد بعض الأشياء الخارجة عن طبقة هذه وتلك ...(١) »

وقد جاء فى كتاب التكليس لجابر بن حيان : « الغرض من تكليس المعادن هو إزالة عدم صفائها وعدم نقاوتها »

« وكل معدن يكلس بطريقة تختلف عن الطريقة التى يكلس بها معدن آخر ، ذلك لأنه يوجد بعض المعادن النقية الصافية بطبعها وفى هذه الحالة يكون الغرض من التكليس هو تحويل المعدن إلى مسحوق نهائى . أضف إلى هذا كله أن الحقيقة القائلة بأنه إذا طرقت الفضة حتى صارت صفائح رقيقة ثم سخنت بعد ذلك فى درجة الحرارة اللاذعة يمكن سحقها بعد ذلك مباشرة كالزجاج تماماً ، ثم إذا صهرت مع البورق Borak ، ترجع ثانياً إلى حالتها الأولى أى على صورة سبائك غير مطروقة ». أقول إن هذه الحقيقة إنما وجدت فى كتاب الخواص قبل غيره من الكتب ، وهو كتاب لا يمكن أن يتطرق شك إلى أنه من عمل جابر بن حيان

وآية ذلك كله أن محتويات الكتب اللاتينية لها شبيه فى محتويات الكتب العربية إن لم نقل إنها هى نفسها ، وهو القول الأقرب إلى الحقيقة والصواب

« يتبع » أحمد زكى صالح

* * *

وقعت بعض أخطاء مطبعية فى المقالة السابقة نكتفى بالاشارة إلى صحيحها : هامش ص ١٢٠٥ — العمود الثانى : (١) ذكر رسكا فى مقاله فى Islamic culture 1937 ، وفى هامش ص ١٢٠٦ — العمود الأول : (١) من مقال له فى Legacy of Islam

(١) يلاحظ أن النظرية غريبة بعض الشيء ، وذلك لأنها نظرية مر عليها الآن ستة قرون



الحزن على باريس

قرأت ما نُشر في « الرسالة » بإمضاء « صديق » وما نشر بإمضاء الأستاذ علي الطنطاوي ، وكذلك قرأت ما نشر في جريدة « الدستور » بإمضاء الأستاذ محمود محمد شاكر ، والأستاذ محمود حسن إسماعيل ، وما نشر في جريدة « منبر الشرق » بإمضاء الأستاذ أحمد جمعة الشرباصي ، وسمعت الملام من بعض الأصدقاء ، وذلك كله كان تعقيباً على المقال الذي نشرته في « الرسالة » بعد سقوط باريس تحت أيدي الألمان

ويظهر أن أولئك الأصدقاء تناسَوْا أني حددت فكرتي بأوضح بيان حين قلت : إني جزعت على مصير فرنسا الروحية لا فرنسا السياسية ، فقد حاربتُ الاستعمار بقلمي أعواماً طويلة ، وقمت بحملة قلمية ضد فرنسا وأنا في باريس بمناسبة الحوادث التي أُريدَ بها تنصير البربر ، وخطوتُ خطوات في أندية باريس لصدّ ذلك العدوان

فما الموجب للقول بأني أتوجع لأمة صنعتْ ما صنعتْ في الشرق ، وقد وضحتُ غرضي تمام التوضيح ؟ وما الموجب لأن يتفضل كاتب كبير مثل الأستاذ المازني فيغمز جميع من توجعوا لباريس بمقال لاذع من مقالاته القيمة في البلاغ ؟

أيجوز أن يقع حادث مثل سقوط باريس ولا يتوجع له روح الأديب ؟

وكيف جاز إذاً لكبار شعرائنا أن يتوجعوا للأمم التي آذتها الزلازل من أمثال الطليان واليابان ؟

وما قيمة الأديب إن لم يتأثر بالحوادث الخطيرة في هذا الوجود ما قيمة الأديب إن لم يتوجع لمصاب العدوّ كما يتوجّع لمصاب الصديق ؟

في تاريخنا الإسلامي نقطة بيضاء هي ما صنع صلاح الدين حين جزع لمرض عدوه وهو ملك نصراني قاد جيشاً لمحاربة المسلمين في فورة الحروب الصليبية ، فقد سجل التاريخ أنه اهتمّ بمداواة ذلك الملك النصراني ، وكانت مكرمة مأثورة من مكرمات صلاح الدين

فكيف يعاب علينا أن نجزع لنكبة الفرنسيين ولو صحَّ أنهم في جميع أحوالهم أعداء ؟

وأقول للمرة الأولى بعد الألف إنني لا أصدُر فيما أكتب إلا عن وحي القلب والضمير ، ومن الصعب أن ألتفت إلى النصائح الثمينة التي يوجهها الأصدقاء من حين إلى حين ، والخطأ المبتكَر هو عندي أفضل من الصواب المنقول

وهل كان من الكثير أن أكتب مقالاً في التوجع لما صارت إليه باريس ؟

تلك والله إحدى الأعاجيب ، ومن الخير أن تقع في دنيانا أعاجيب ، فقد عرفت أن في الدنيا ناساً يرون الشماتة من كرم الأخلاق ... عفا الله عنهم وهداني !

زكي مبارك

حول العتب والبيان

كتب الأستاذ علي الطنطاوي في العدد الصادر أول يولية سنة ١٩٤٠ كلمة عن أدب دمشق ، وأنها — أي دمشق — « ضائعة بين مصر ولبنان ، فلا هي ترتضي مذهب لبنان في الأدب ولا مصر تلقي لها بالاً وتحفل بها » فعجبت من مساق هذا الرأي ورضا الكاتب عنه ، فأنا أربأ بدمشق الخالدة ، بلد العلم والثقافة ، ومثابة الشعر والجمال ، أن تكون مُتَّبِعةً في أدبها لا مُتَّبَعة ، مقلدة لامبدعة ، راجية في أدبها الاقتداء لا السيادة ، وذلك على الرغم من سماتها السادرة ، وطوابعها الحائرة، وما يعتور أدباءها من قلق ووجوم وفتور . إن دمشق الشام لها كيان أدبي مرموق ، وفيها أهل معرفة وثقافة ، فينبغي أن تفرض أدبها فرضاً ، وأن تسم آثاره بمياسم خاصة تميزها من غيرها ، وتكون دليلاً عليها

قد تكون مصر الأدبية والعلمية بحكم أهلها الكرام وجيرانها الخلصاء ، لا تعبأ بأدب الأقطار العربية التي تعتز بها وتؤمن بزعامتها ، فقد سبق لكثير من أهل هذه الأمصار أن عتب على مصر العزيزة لتفريطها في الحديث عن ثقافة الإخوان والجيران ، ورعاية الإعجاب الذي يحسه نحوها كل أديب ومتأدب في هذه الديار ، على أن مما يسكن نأمة العتب أن قادة الأدب في مصر

وكتابه الفضلاء كالدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور طه حسين ، والأستاذ سعيد العريان ، يعترفون بهذا التفريط فى حق من يولونهم هـذه المودة الصريحة والثقة الغالية اللتين تتجليان فى أقوال العاتبين وأفعالهم ، وإن المجال ليضيق الآن عن تعداد ما كتب أولئك المصريون الفضلاء ، وترداد ما أعلنوا بصدد العتاب والاعتراف

والواقع أن على مصر الناهضة تبعات ثقالاً وأن لها رسالات أشتاتاً ، فهى آخذة فى توحيد الشعور والتفكير ، جاهدة فى سبيل الحرية والتعاون والمعاش ، متلاقية بأمصار العرب والإسلام تحت راية القرآن وفى حمى الفصحى والجوار ، ولسوف تفيض لها الأيام أن ترى ألوان الأدب فى كل بلد من بلاد الشام وتلمس مبلغ قوته أو ضعفه فتتعاون والإخوان على ازدهار الحياة الأدبية عندنا إن كانت متينة مشرقة ، أو على تغذيتها وتقويتها إن كانت كامدة موهونة .

أما العتب الذى وجهه الأستاذ الطنطاوى بشأن منشورات دمشق العلمية والأدبية وإهمال الكتاب المصريين واجب نقدها والإشارة إليها ، فمن ذلك النوع العاتب على نية خالصة بريئة ولوجه الأدب فحسب

ولو أنصفنا لقلنا إن أكثر تلك المؤلفات التى أومأ إليها الأديب الفاضل كتبت عنها «الرسالة» و «الثقافة» الكريمتان ، وقد نشرنا من بعضها فصولاً طوالاً . ولعل قارئ المجلتين يتذكر ما سبق إذاعته عنها . وأما كتب أساتذة الجامعة السورية من طبية صحية وحقوقية قانونية ، فليس من اختصاص أهل الأدب وكتاب النقد فى مصر أن يلموا بها ويكشفوا عن محاسنها ومساويها ، فإذا كان ثمة عتب من أجلها فينبغى أن يوجه إلى أنداد أولئك الأساتذة من علماء القانون والطب فى مصر

ومن الحق أن نعترف أن مجلات مصر الكبريات كالمقتطف والهلال والرسالة والثقافة تشير فى كثير من الأحيان إلى ما يرد عليها من آثار القلم فى بلاد العرب وإن تكن إشارتها محدودة ضئيلة ، على أنها لا تحجم أحياناً عن نشر دراسات مفصلة لتلك الآثار

على أن هنالك كتباً قيمة صدرت عن دمشق تجاوز عن ذكرها الأستاذ الطنطاوى سهواً ونسياناً ، وكان يجدر بها ألا تحرم إعجابه وتنويهه بها ، فقد اقتصر على ذكر طائفة معينة من المؤلفات الدمشقية طالما أشاد بها وأكبر أصحابها ، فرأيت من العدل أن آتى على ذكر ما يحضرنى من الكتب التى لم يشر إليها الكاتب العاتب ، منها :

ديوان التقى : للأستاذ أديب التقى

الزراعة العملية : للأمير مصطفى الشهابى

فن القصص عند الجاحظ : لمحمد المبارك

الحجاج : لإبراهيم الكيلانى

آرائى ومشاعرى : لفلك طرزى

أخطاؤنا فى الصحف والدواوين : لصلاح سعدى

غزل البحترى : لياسين الحموى

صريع الغوانى وجرير : لجميل سلطان ... وغيرها ...

وأما كتب الأستاذ محمد كرد على فإنها فى مصر تكاد تكون أشهر وأذيع منها فى ديار الشام ، ومؤلفاته الحديثة المطبوعة فيها من مآثر « لجنة التأليف والترجمة والنشر فى مصر » مما ينطق ألسنة الشاميين بالشكر والإعجاب .

« دمشق » وداد سكاكينى

من عجائب الاجتهاد

قرأت البحث القيم المنشور فى عدد الرسالة الأخير تحت هذا العنوان عن مسرحية الدكتور بشر فارس واقتباسه موضوعها وفكرتها من قصيدة الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد « النغمة الباردة » ومن أبيات للأستاذ على محمود طه من قصيدة « قلبى » المنشورة فى ديوانه « الملاح التائه » فوجدت فى هذا البحث هُدىً للمطلعين . وقد لاحظت خطأً مطبعياً فى صدر أول بيت من أبيات الشاعر على محمود طه أرى تصحيحه كما هو مثبت فى ديوانه بالنص الآتى :

وصرختَ حينَ أجنَّكَ الليلُ متمرداً تجتاحكَ النارُ

ولا شك أن هذا النقد القوى الدقيق هو من مقومات حياتنا الأدبية .

سالم العطار
مدرس ثانوى

الى علماء التاريخ

لما كنت فى كركوك من مدن العراق وجدت البلد قسمين: المدينة الجديدة وهى فى السهل وبحذائها (مدينة النفط) والمدينة القديمة ويدعونها القلعة لأنها قائمة على قلعة عالية منشأة على هضبة مصنوعة وحولها خندق ولها أبواب. أما سورها فلم أجد منه إلا بقية لا يكاد يتبينها الناظر، فلما خرجت منها متوجهاً إلى دمشق عن طريق الهلال الخصيب مررت بإربل (ويسمونها اليوم أربيل) فوجدت فيها قلعة مثل قلعة كركوك ولكنها أكبر وأظهر وأبقى أثراً وحولها خندق عميق وفيها بيوت سراة القوم والسوق والمسجد الجامع. ثم بلغت الموصل فوجدت فيها قلعة مثلها ولم أستطع أن أراها، ثم دخلت حلب فوجدت قلعتها على مثال القلاع التى ذكرت غير أنها مبنية بالصخر وهى أكمل وأجمل، وحيال بابها جسر يجتاز عليه الخندق كجسور قلاع القرون الوسطى. ثم أتيت حماة فوجدت فيها وفى حمص قلعتين على هذا الشكل فاستوقفنى هذا الخط من القلاع وأحببت أن أعرف تاريخه فرجعت إلى (ياقوت) وغيره وسألت من أعرف من المشتغلين بفن التاريخ فلم يشف لى أحد منهم غلة، فعرضت السؤال على قراء الرسالة راجياً ممن له معرفة بالجواب نشره فيها، لأستفيد منه أنا وغيرى ممن لم ينقطع للتاريخ ومباحثه

(دمشق) «سائل»

قصتان والفكرة واحدة

منذ أشهر قرأت للأستاذ محمد سعيد العريان قصة «من أدباء الجيل» بالرسالة العدد (٣٤٥) ولقد أعجبت هذه القصة كل من قرأها لقوة فكرتها وروعة أسلوبها، ولكنى بعد انتهائى من قراءتها أخذت أشعر بأنى قرأت مثل هذه القصة من قبل. ثم تذكرت أنى قرأتها فى العدد الخاص بـ «أحسن القصص» من مجلة «كل شىء والدنيا»، ولقد أفضيت بما يجيش فى نفسى لبعض الأصدقاء، ولكن كان جواب أحدهم: يجوز أن يكون الأستاذ العريان نشرها من قبل وعلى ذلك يكون المؤلف واحداً. فكان جوابى: نعم يجوز

واليوم بينما أنظم مكتبتى — المتواضعة — عثرت على مجلة «كل شىء والدنيا» العدد (٤٩٨) الأربعاء ٢٢ مايو ١٩٣٥. ولقد تصفحت هذا العدد، فوجدت القصة التى هى بيت القصيد للأستاذ «محمد أبو طائلة» وعنوانها «الشهرة» ولقد قرأت هذه القصة مرة أخرى، فوجدت أن فكرة هذه القصة هى بلحمها ودمها فكرة قصة «من أدباء الجيل» وإن اختلف الأسلوب والعنوان وبعض الحوادث الثانوية

هذا ولست أقصد من وراء قولى هذا أن أعتبر هذا الاتحاد فى الفكرة من السرقات الأدبية. كلا ... فإنى أحترم أدب الأستاذ «العريان» وأنزهه عن ذلك. وإنما أعتبر اتحاد الفكرة فى القصتين من توارد الخواطر. والذى دعانى إلى تسجيل هذه الكلمة هنا هو أنى أريد أن أضع الحق فى نصابه، وحتى تكون للأدب (كما قال الدكتور زكى مبارك) رقابة أدبية، تراقب الإنتاج الأدبى الجديد وتزنه بميزان الحق والعدل. ومن العدل أن نقول إن الأستاذين «أبو طائلة والعريان» كتبا قصتيهما فأجادا. ولكن الفضل الأكبر للسابق لأن الفكرة واحدة.

(دمنهور) حسين الحوفى

ارتجال المصادر

ذكر الأديب السيد ميخائيل عوّاد العراقى فى ثنايا حواشيه على مقالة «العروب فى العراق» فى العدد الستين بعد الثلاثمائة من الرسالة النيّرة، أن للسيد حبيب الزيات مقالة نفيسة فى مجلة «لغة العرب» (٥ [١٩٢٧] ٤٦١ — ٤٦٥) بعنوان: «السفن والمراكب فى بغداد فى عهد العباسيين» وقد رجعنا إلى مجلة لغة العرب، وبحثنا عن هذه المقالة فلم نجدها، كما فتشنا فى مجموعة المجلة المحفوظة فى المجمع العلمى فلم نرها. فهل للأديب السيد عوّاد أن يزيدنا من الإيضاح، ويعلمنا مكان المقالة بالضبط؟

(دمشق) صلاح الدين المنجد

استفهام

وقع نظرى فى مقالة الأستاذ محمود شاكر فى العدد ٣٦٤ على قوله: «وجمل يقتطف منها حيث أراد» فكان من الحتم علىّ

— وأنا من المعجبين بأسلوبه ولغته واطلاعه — أن أسأله هل يسوغ استعمال (اقتطف) ومعجمات اللغة كاللسان والأساس والقاموس والنهاية والمصباح لم تذكر غير (قطف)؛ على أنها نصت على استعمال (قبس واقتبس)

وإذا كان استعمال (اقتطف) من الخطأ الذي لا يجوزه القياس ولا السماع فقد قال العلامة ابن الأثير في المثل السائر: «ليس الفاضل من لا يغلط، بل الفاضل من يعد غلطه»

رشاد عبد المطلب

انتحار الدكتور اسماعيل أحمد أدهم

روت الصحف أن الدكتور اسماعيل أحمد أدهم الباحث المعروف قد انتحر غرقاً في البحر الأبيض في الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء الماضي يأساً من الحياة وزهداً فيها. وقد عثر البوليس في معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهته لها، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقبرة المسلمين، ويطلب إحراقها وأن يشرح رأسه

والدكتور أدهم أعزب في الثامنة والعشرين من عمره ينتسب إلى أصل تركي، ولم يكن له عمل أو وظيفة، بل كان يعول في الحياة على إيراد منزل يمتلكه بالاسكندرية. وقد كان يميل في بحوثه إلى الفلسفة اللادينية

مصير المبادئ في فرنسا

تعجبني هذه الروح التي بدت في الشرق على أثر انهيار فرنسا ورددت صداها مجلة الرسالة الغراء في مقالات الأساتذة: الزيات، وزكي مبارك، وصديق، هذه الروح التي التفتت إلى الشرق لترى ماذا أصابه من فرنسا المنهزمة

صحيح أننا إذا أردنا أن نحكم على أمة عظيمة مثل فرنسا لا يمكننا ذلك إلا إذا عشنا في فرنسا نفسها وفي مستعمراتها لنرى كيف تتصرف في كل من البلادين. وعند ذلك نستطيع أن نحكم، وعند ذلك نستطيع أن نعلل هزيمتها تعليلاً منطقياً صحيحاً. ولو عاش الدكتور زكي مبارك في مستعمرات فرنسا كما عاش في باريس لعرف أن الحرية التي تحمل رايتها فرنسا، وأن الديمقراطية التي حاربت الألمان من أجلها هي أفكار قد سعدت بها فرنسا يوم كانت تؤمن بها أشد الإيمان وشقيت بها يوم أصبح إيمانها بها ضعيفاً وأصبحت عندها كتقاليد لا كمبادئ...

لقد علل المريشال بيتان هزيمة فرنسا بالضعف الخلقي الذي أصابها بعد الحرب العظمى والذي صحبه انحلال في المبادئ التي ورثها الفرنسيون عن الثورة الفرنسية الكبرى وآمنوا بها، فلا الحرية بقي لها المعنى السامي الذي عرفها به الذين أعلنوا «حقوق الإنسان»، ولا الديمقراطية نفذت في فرنسا كمبادئ سامية يدين بها الشعب والزعماء والأحزاب. ولكن فرنسا — بعد الحرب العظمى — تسترت تحت هذه الكلمات: «الحرية، الديمقراطية، العدل» ولم تعمل بها كمبادئ ولكن كأفكار فقط

وهذا سر ما نري من أنها ما كادت تسلم لأعدائها حتى محت من دستورها كلمات «الإخاء، الحرية، المساواة» وأخذت تعمل على تغيير دستورها ونظام الحكم فيها، وما كان للحرية والديمقراطية اللتين يؤمن بهما شعب عظيم أن ينهارا بهذه السرعة

وإذا كانت فرنسا تمثل ركناً عظيما من أركان الديمقراطية فكيف نفسر الاتفاق بين سياستها وسياسة إيطاليا الفاشستية مثلاً: إن الفكرة التي أوحت إلى إيطاليا الفاشستية أن تقذف زعماء العرب في طرابلس من الطيارات هي التي أوحت إلى فرنسا الديمقراطية — وفي عهد الجبهة الشعبية — أن تجرد على قرية من قرى المغرب الأقصى سرباً من الطيارات ليهدمها على أهلها لأنهم طالبوا بحقوق حيوية لهم كعدم صرف مياههم التي يستغلونها في الشرب والسقي إلى المعمرين الفرنسيين

والفكرة التي أوحت إلى هتلر أن يسجن شو شنج زعيم النمسا في قصر عظيم من قصور فيينا لأنه عارض في استعمار بلاده، هي التي أوحت إلى فرنسا أن ترسل الزعيم علال الفاسي إلى «ليبرفيل» — مقبرة الرجل الأبيض — ليستنشق من هوائها العذب الموت الزؤام، لأنه عارض في سياسة القمع والإرهاب التي يساس بها المغرب الأقصى

الحق أننا يجب أن ننتبه إلى ما جرى في الشرق فإنه قد يكشف لنا عن أسرار الحوادث الجسام التي تجرى في المغرب

(ع ك)



زينوبيا

للأستاذ محمد محمد مصطفى

[لا تزال أطلال مدينة « تدمر » قائمة بالقرب من دمشق ينقب فيها العلماء عن الآثار ، وقد حكمت هذه المدينة من سنة ٢٦٧ إلى ٢٧٢ بعد الميلاد فتاة تدعى « زينوبيا » فتنة عنيدة شديدة المراس لاقى منها الرومانيون الأهوال ، وقصتها ممتعة شائقة]

— مولاتى ... مولاتى ... أين مولاتى ؟

— ما وراءك يا مرندا (١)

— إنه بيلنوس يا مولاتى ... تالله لقد رأيته بعينى هاتين . أنصتوا ... ألا تسمعون قرع الطبول ؟ ... لقد عاد بيلنوس من مصر على رأس جيشه الظافر

— لئن كان ذلك حقاً فلن يضع أحد سواك على رأسه الغار

***

ودنت كتائب الجيش من المدينة فقامت « تدمر » بأسرها تحيي الظافرين ، وغص قصر الملكة بزرافات الشعب ترقب عود الفاتحين ...

وتحدج الملكة بنظرها قائدها بيلنوس وقد نال منه الونى ، وبدا عليه الوهن لفرط ما بذل فى دحر الرومان، فتهتف : يا ابنة نادبوس ضعى على رأسه الغار

ويفتر ثغر مرندا لهذا الشرف ويهتز له قلبها وتطوق رأسه بالغار ، وتسأله فى خفر : كيف وجدت مصر ؟

— لقد عاث فيها الرومان الطغاة وأزلوا بها الهوان ، فانقضت جيوشى عليهم فروعتهم وملأتهم رعباً وتساقط جنودهم تحت أقدام فرساننا كالذباب واندفعت وراء فلولهم حتى انجلى آخر رومانى عن أرض وادى النيل

وتبسم الملكة فيميد لابتسامتها قلبه ، وتقول له : لقد أعجبت بما جندلت من جنود العدو مشاة وفرساناً ، وقد وليتك أرض مصر فكن بأهلها رحيما ، واعلم أن بها أناساً يكنزون المال وآخرين لا يجدون إلى القوت سبيلاً ، فخذ من غنيهم وأعط فقيرهم ، فإن أبوا فخذ رقابهم من أموالهم بديلاً ، فإن جئتك زائرة لا أجد فيها معوزاً ولا ذليلاً

واهتز جسم القائد وشحب لونه شحوباً عظيما وتمتم فى صوت خافت :

— أفيكون جزاء بلائى وما أكنه لك من بالغ الوجد إقصائى ؟ فتدرك مرماه وتهمس له مؤنبة :

— ما رأيت أشد منك هولاً فى الحرب وأوهى جلداً أمام النساء

فتفصد جبينه عرقاً ولوى عنانه وانسل بين جموع الجنود

***

أخذ الكرى بأجفان الجنود إلا بيلنوس ، فقد أمضه السهد ، ورانت على نفسه الأحزان ، فانطرح على الرمال يؤرقه الشوق إلى وجه مليكته التى أرسلته إلى مصر وهو الذى كان يستمد السعادة من النظر إلى عينيها

وفى ذات ليلة هاجه إليها الوجد ، فجلس يقلب فى السماء عينيه السادرتين ، وذكر أنها تنعم الآن بالحياة ، لا يخطر اسمه على بالها ولا تفكر إلا فى شن الغارات على ممتلكات الرومان ، أما قلبها فلن تهبه له ولا لسواه، لأنها تهيمن عليه وتخضعه لإرادة من فولاذ

وأحاط به اليأس ، فقام يمشى كسير النفس جريح القلب ، ذاهلاً ، لا يشعر إلا بألمه . وفى منعطف الطريق رأى سائلاً ، فتحسس جيوبه ليمطيه شيئاً فلم يجد ، وأراد قتل الوقت فسأل السائل عمن يكون ، فتكلم السائل أو تحدثت الفتاة التى تمد يدها فى الطريق ، فكأنما كانت تسكب فى روحه نغما موسيقياً يسحره ويسلبه . وقالت : إنها رومانية فقدت ذويها فى الحرب ، فلبست مسوح الرهبان ، ووقفت تستندى الأكف لتطعم أبناء جلدتها الجائعين

ويشفق بيلنوس لهذا الجمال يهصره برد الليل ويقبره الدير ، ويأسى لهذه الفتنة يدب فيها الذبول ، وهذه العيون ينطفىء فيها البريق ، ويراه « دورا » مقبلاً عليها بنفسه وبقلبه ، فتسكن إلى حديثه ، وتنصت له بسمعها وقلبها ، حتى إذا ما كشف عن نفسه

(١) ابنة نادبوس كبير الكهنة

وعلت فيه البدد لجيوش وطئها القاتل قدوبها ثارت نفسها سخطاً عليه

* * *

نحن فى القصر الامبراطورى بروما وقد جلس الامبراطور أورليان على عرشه يحف به الجلال، وتراه يستبطئ قدوم شخص دعاه فيزلزل البهو بصوته الجهورى :

— أين مارسيوس ؟

— هوذا أنا يا مولاى

وترى فتى مديد القامة يهش الامبراطور لقدومه ويبش ويسأله عما إذا كانت السفن قد أعدت للرحيل، فيجيب: نعم، فيقول: ألم يصل بعد أوكتاف، فينبئه أنه وصل الآن وأن الراهبة ستعمل بعشيئة الامبراطور

— حسن . ستكون أنت إذاً يا مارسيوس على رأس الجيش المغير على أرض تدمر، وعليك أعتمد فى محو هذه الملكة، وعليك أن تولى وجهك إذا ما حالفك النصر شطر مصر ، ولدى دورا أوامرى المشددة بإقصاء القائد بيلنوس عن مركز رياسة جيشه

* * *

— مالى أرى وجه الحبيبة كالحاً كالظلام ؟

— قد تركنى حبك يا بيلنوس نهباً بين نداء القلب ونداء الدير، ولى الآن شهور انقطعت فيها عن جمع الإحسان لأنعم بقربك وترانى أذوب كمداً كلما ذكرت أهلى الذين جندلوا فى الحرب ، ولم يبق منهم غير شقيقى الذى لاذ ببطن الصحراء وركب النيل إلى بلاد النوبة

— جعلت فداك ، فما تشائين ؟

— أريد اللحاق به فما يهنأ لى عيش بدونه

— وأنا يا دورا ... أفتتركين هذا الحب يعبث بقلبي لا ينفعنى طب ولا رقى ؟

— فلم لا ترافقنى فى رحلتى نبحث عنه ونعود به فأعيش بينكما ؟

— ومصر يا دورا ؟

— ليقم عليها لبيد بن عبد الله حتى تعود

ونجحت دورا فى إقصاء القائد عن جيشه ، وتوغلت به فى ذرا الهضاب وبين النجود والوهود تسأل النادين والرائحين عن شقيقها المزعوم ، وشغله هواها عن مليكته وجيشها الذى ائتمنته عليه .

* * *

أبحر مارسيوس وألقت سفنه مراسيها، ووثب جنوده إلى شاطئ «تدمر» كأنهم موج يتلوه موج ، وساح جيشه فى أرض تدمر كأنه الطوفان ، وأفل نجم زينوبيا فلم تصمد لهجومهم العنيف

وصعدت الملكة إلى مخدعها حيث كانت خادمتها تمسح عن سيفها ودرعها دماء الأعداء

وتهالكت على مقعد وقد بدا على وجهها الجميل الغضب فزادها جمالاً وتمتمت : كيف يكون هذا يا رب ؟

أين أنت يا بيلنوس ... يا خائن ؟

تالله لو رأيته لأجعلن جسده طعاماً للنسور

واقترب مارسيوس من القصر الملكي وملكه العجب لهذا الفردوس وهـذا الدوح المحيط بقصرها المرد المنيف . وما كاد يطأ وصيد البهو حتى رأى زينوبيا جالسة على عرشها وقوراً

وسمرت قدماه وقد شدهته هـذه الفتنة ، وسبته عيناها الفيروزيتان، وراعه جمالها فزلزل كيانه وانعقد لسانه فما كاد يبين

ووقر فى قلبه أن هذا الجسد الفتان سيكون هدفاً للسهام إن أرسلها أسيرة حرب إلى روما

وهتفت نفسه: ماذا أفيد من دك هذا العرش وموت هذه الفتاة؟

ودنا منها متوسلاً إليها أن تفر من وجهه إلى حيث يحلو لها المقام

واستضحكت زينوبيا وقالت :

— أما وقد ثل عرشى واجتاحت جيوش الرومان بلادى فليس لى رغبة فى الحياة

وحلق فيها مارسيوس وأخذ يعبث بيده فى قوسه وسهامه ورأسه يفور كبركان أوشك أن ينفجر

قال وهو يرسف فى إسار سحرها :

— لا شك أننى أخطأت بلقائك يا زينوبيا بعد ما انتهى إلىّ من فعل سحرك بمن يراك ، ولقد غلبنى هواك فما أستطيع إرسالك إلى روما ليعجل الامبراطور أورليان بك إلى الموت

— أتخاف الموت أيها الشاب ؟

— كنت لا أخافه قبل أن أراك ، أما الآن فقد تبدل الحال وأحببت الحياة لأنك معنى كبير من معانيها

— إنك تجيد الغزل إلى حد ما ... ولكن قلبي منيع لم يتطرق إليه يوماً عبث الحب وسفاسف العشق التى أودت بقائدى الخائن بيلنوس الذي شغفته الرومانية حباً ، وتوغلت به

في الجبال ، فلم يعثر عليه رسولي ولا سمع استغاثتي

إفعل ما توحي به إليك وطنيتك وما أمرك به امبراطورك أيها الشاب فتكسب احترامي وتقدير مواطنيك

فما سمع منها ذلك حتى ذهب لونه وتفصد جبينه عرقاً ، حتى لقد ظنت الملكة أن فالجاً قد عاجله ، واقتلع قدميه اقتلاعاً حتى دنا منها وسلك يديها البضتين في سلسلة من ذهب

وحالف النصر مارسيوس فاجتاح مصر وثأر لمواطنيه، وغدرت « دورا » بيبلنوس فأسلمته إلى مارسيوس

* * *

وهبت روما تستقبل من عجلت بفناء فلذات أكبادها أعواماً تلي أعواماً ، وكان الناس يؤذونها بما يرمونها به من فاحش القول وبذيء الفعال ؛ على أنها كانت وسط هذا الضجيج رافعة الرأس هادئة البال ، فكانت في محنتها ملكة لم يغير من أبهتها ما لاقته من هوان ، فإذا ما بلغوا بها السجن ألقوها في قبو منه يعاف النوم فيه الكلاب ...

* * *

قال الامبراطور في مجلس الأعيان :

— سأرمي بها للأسود في ملعب الأولمبياد لتخف لوعة المحزون على ولده من شعبي

فضج المجلس بالاستحسان ، واسترسل الامبراطور :

— وسيكون يوم موتها عيداً تقام فيه الصلوات للآلهة شكراً ، وسأضع بيدي هاتين الغار على رأس مارسيوس العظيم !

وعجل مارسيوس العودة إلى روما إذ دعاه امبراطوره . ولما علم بالعزم على طرح زينوبيا فريسة للأسود اشتد وجيب قلبه ، حتى خيل إليه أن صوت هذا الوجيب قد طغى على أصوات الجماهير التي تزخر بها جوانب الطرق . وكان يبسم للشعب وقلبه يقطر كمداً . وقبله الامبراطور فأحس كأن عقرباً قد لدغته ، ووضع على رأسه الغار فشعر كأن ناراً توضع على جبينه ...

وأحنى مارسيوس هامته حتى كادت تلامس الأرض ، وطلب إذن الامبراطور له بالكلام فأذن :

— خدمت مولاي ثلاثين عاماً أو تزيد لم ألتمس فيها شيئاً ولي الآن حاجة ...

فقاطعه الامبراطور :

— كل خزائن الدولة رهن رغبتك

— ليس لي بها حاجة

— فما حاجتك ؟

— حياة زينوبيا

فتجهم وجه الامبراطور وتمتم :

— هي ملك الشعب وقد خرجت من يدي

ووقعت الكلمات على قلب مارسيوس فدكته بين ضلوعه ، ومشى مستأنيا والناس من ورائه ذاهلون، وسقط في فراشه يقبض بأصابعه على بطنه فيكاد يفريها، ويشد شعره فيكاد يقتلعه ، وينتابه اليأس فيوىء إلى بعض أنصاره لإنقاذها فيصرع حرس السجن منهم كثيراً ومن يبق يبتلعه السجن

* * *

وجلس الامبراطور في الحفل الهائل يضحك حيناً ويشير حيناً إلى الأسود التي تزأر في ساحة الملعب ، فيتردد صدى أصواتها في جنبات القصور ، وغص الأولمبياد بمن جاء من القرى والحضر ليرى المشهد الروع

ويؤتى بالملكة إلى ساحة الموت فتقترب منها الأسود في بطء كأنها ترهب هذا الجمال وتدوي أصواتها كالرعد فيغشى على النساء ويخفي بعضهن عيونهن بأيديهن ، وكلما ضاقت المسافة جفت الحلوق وذهبت الألوان حتى الامبراطور لم يملك نفسه فهتف : « يا لهذا الجمال ! »

ووقفت الملكة يتدلى شعرها الأسود اللامع على كتفيها العاجيتين تنظر إلى الأسود لا تجفل ولا تفزع كأنها مقبلة منها على صديق ، فإذا لم يبق بينها وبين أول أسد إلا عشرون متراً رأته يقفز وبين عينيه سهم رائش نفذ في رأسه وراح يتخبط في الأرض ، وذعر الأسود فتفرقوا شذراً . وبسرعة خاطفة سقط مارسيوس إلى جانب الملكة ، وأخذ يذود عنها الأسود بالسيف ، ويدفع زينوبيا إلى الوراء حتى إذا اقتربت من الحاجز رفعها أنصاره ... وتراجع المنقذ ليلحق بها فأنشب فيه أسد جريح أظفاره وراح يعمل فيه

صرخ الإمبراطور : أليس لك رغبة ننفذها يا مارسيوس ؟

فهتف بما وسعته قوته : زينوبيا

محمد محمد مصطفى

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتدولي — عابدين ﴾



8me Année No. 370

Lundi - 5 - 8 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٠ « القاهرة فى يوم الاثنين أول رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ٥ أغسطس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

نهـــاية أديب . . .

فى الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر يولية ، لفظ البحر على ساحل « جليم » بالإسكندرية جثة كانت فى رونق العمر وإن بدا على محاسرها مسحةٌ من شفوف الهم وشحوب الألم . لم يكد يلقيها الموج الصاخب المتعاقب بالرمل المستوى المنضوح حتى أخذتها عيون الحرس الساحلى ، فظنوها لأول وهلة ضحية من ضحايا الحرب الإنجليزية الإيطالية فى هذا البحر المسجور بالعذاب والموت ؛ ولكنهم علموا من بذلة الغريق ومعطفه وسلامة بدنه أنه مدنى سقط فى البحر أو ألقى فيه. فلما فتشه رجال الشرطة ليكشفوا عن هويته عثروا فى جيب معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يقول فيه :

« إنه قتل نفسه بالغرق يأساً من الدنيا وزهادة فى العيش ، ويوصى بأن يحرق جسده ويشرّح رأسه »

إذن هو رجل من رجال الفكر والرأى ، جعل للحياة مثلاً لم يحققه فهو يجتويها ، ورأى فى العقيدة رأياً لم يرقه فهو لا يرتضيها ، واعتقد أن فى مخه عبقرية فهو يرجو أن يظهر بالتشريح خافيها .

فهل تدرى من هو ؟

هو الدكتور « إسماعيل أحمد أدهم » عضو أكاديمية العلوم

الروسية ، ووكيل المعهد الروسي للدراسات الإسلامية ، كما كان يخبر عن نفسه ؛ وهو صاحب المقالات العلمية والنقدية في الرسالة والمقتطف، ومنشط الحركة الأدبية في الإسكندرية وجمعية الثقافة. تجاذبه أبوان مختلفان : تركي وروسية ، ثم غُذي في يفاعته بثقافة البحر الأسود ، فتأثر بنفسية الترك الجمهورية ، وعقلية الروس الشيوعية . وتزوج أبوه مرة أخرى من مصرية فعاش معه في الإسكندرية حيناً من الدهر تعلم فيه العربية. ثم ترك له بعد موته بيتاً صغيراً كان يعيش على أجرته هو وأخته عيش الكفاف الضيِّق . واعتراه داء السل فكان يراوغه بالسكنى في جفاف (أبو قير) ، ولكنه كان مضطراً إلى أن يشق طريقه في زحمة الحياة بسن القلم : فكتب وألف وحاضر وناظر ، حتى كان له في كل كتاب رأى ، وعلى كل مسألة اعتراض ، ومع كل كاتب موقف . وأعانه على هذا الجهد العظيم قريحة طيعة وبصيرة ناقدة وعزيمة نافذة وطبع عمول ؛ ومع ذلك ظل في عزلة عن القلوب المؤاسية أو المشجعة من جمهرة القراء وقادة الأدب ، لأن نشأته اللادينية ، ونزعته العلمية ، وطبعه الجرىء الحر ، وأسلوبه الجاف القلق ، كانت تجعل لسطوره ظلالاً من الإلحاد والمادية والنتانة تبغضها إلى صاحب الدين وصاحب الفن . ثم وصل أسبابه ببعض ذوى القلم النابه فاستخدموه فيما لا يكسبه المودة والعطف . وجابه قوماً من المتصوفة وطلاب العلم بوقاح الرأى في الدين فآذوه في بدنه وسمعته . ووجد رضى نفسه وراحة عقله في تسليط الطبيعة على العقيدة وتحكيم الفلسفة في الشعور ، فساءت ظنون الناس فيه ، وأرهقت الألسن عليه ، حتى عجز أن يعيش على ثمرات فكره

وكان المرحوم إسماعيل أدهم عفيف النفس يقتنع بميسور الرزق ، ويتكرم عن طلب المعونة ولو كانت جزاء على عمله . وكان مرضه الدخيل المزمن يقتضى وفرة الغذاء وجودة الهواء وراحة الجسد ، ولكنه كان لا يجد الكفاف لضيق مضطربه ، ولا ينال الدعة والجمام لقوة عزمه ؛ فتظاهر عليه الداء والشقاء والإباء واليأس من روح الله حتى زلزلت هذه المحن في نفسه الثقة ، وأذهبت عن قلبه السكينة

ونُكبت الإسكندرية الجميلة بالغارات الجوية الإيطالية ، فجلا أكثر الساكنين عن الثغر المروَّع ، فأقفرت المنازل حتى منزل أدهم وهو مرتزقه الوحيد ، فلم يكن بد من هذه النهاية المحزنة التي انتهى إليها هذا الأديب البائس

***

كان الدكتور أدهم – غفر الله له – شديد الذكاء أصيل العقل رياضي الفكر واسع الثقافة لا يؤمن إلا بالعلم والمنطق . وقد أضاف إلى ثروة الأدب العربي الحديث جهداً مهما اختلفت الآراء فيه فإن له قيمته . وكان من الممكن أن يعيش في ظلال أدبه رخى البال مكفول الرزق لو أنه وصل ما بينه وبين الله . ولكنه خضع لسلطان طبيعته ونشأته فعالج الموضوعات الإسلامية معالجة الملحد الخاص الذي يجد سعادته في الكفر ورسالته في التكفير . ولو أنه خادع الناس عن عقيدته كما يفعل بعض الأكياس من الأدباء ، لأدرك السلام في الأرض وإن لم يدركه في السماء ؛ ولكنه كان أشبه بشهداء الكفر الذين يجدون اللذة في الألم ، ويبتغون الخلاص في الموت !

***

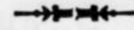
رحم الله الدكتور أدهم ! حسب أن أرقام العلم وأقيسة المنطق هي كل شيء في تقدير المعلوم واكتناه المجهول ، فاعتمد في أدبه على العقل القعيد الذي يرى ولا يطير ، واتكأ في فلسفته على الفرض البعيد الذي يطير ولا يرى، وتحامل في مُعتقده على الضمير البليد الذي خبا وجُمد بين فتور الخيال وخمود العاطفة . ثم غره أن معارضة الدين سبيل من سبل الشهرة فأوغل فيها بعنف حتى انقطع في صحراء الحياة عن الله والناس ! فهو لا يملك النور الذي يضيء ظلمة القلب، ولا الرجاء الذي يخفف وطأة الكرب، ولا الحب الذي يؤنس وحشة الطريق . وحكم القدر على السائر في الظلام والوحدة أن ينزلق من صخرة الحرمان إلى لجة العدم ؛ وهناك لا يدركه إلا رحمة الله التي وسعت كل شيء وشملت كل شخص !

إن الأدب الملحد قد يعيش في الغرب لأن الظلام يمده الظلام ، ولكنه لا يستطيع أن يعيش في الشرق لأن الظلام ينسخه النور !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك



موجة صوفية تثيرها رحلة الموسيقار محمد عبد الوهاب إلى سنتريس — بين القناطر الخيرية وسدة المندية — خطاب ضائع — ثمرة شهية من ثمار المطابع

موجة صوفية

في عصرية الاثنين « ٢٢ / ٧ / ١٩٤٠ » توجه جماعة من الأصفياء إلى سنتريس ، وفيهم المسيو دي كومنين والمسيو جوزيه كانيري والدكتور ابراهاميان والمسيو بوندربي والموسيقار محمد عبد الوهاب وسِربٌ من كرائم الفرنسيات

ولم تكن تلك القافلة تحتاج إلى دليل[1] فقد شرّفتْ سنتريس بزياراتها مرات كثيرة ، ولا سيما مدام دي كومنين التي تأنس كل الأنس بزيارة سنتريس ، والتي تُعَدُّ زيارتها لداري من مواسم الفرح عند أبنائي

إنما يحتاج إلى الدليل ذلك الموسيقارُ السابح في لُجج الأحلام محمد عبد الوهاب ، وكذلك أُتيحت الفرصة لأن يترفق فيدعوني لمرافقته في طريقنا إلى سنتريس

وماذا أستفيد من مرافقة عبد الوهاب ؟

وهل يُفيق هذا الحالم حتى يعرف رفيقه في الطريق ؟

ابتدأ صاحياً في المرحلة الأولى ، فسأل عن منازل الكتّاب المصريين وعن مبلغ تأثيرهم في مصر والشرق ، وما كدنا ننتهي من الكلام عن طه حسين والزيات والعقاد وتوفيق الحكيم حتى أسلم خياله لأحلام أوابد لا يَقْتنصها غير القلب الذي راضه الحب على التمرّس بملاحقة أبكار المعاني . ومحمد عبد الوهاب قنّاص أحلام وألباب ، وإن كان أرقّ من الزهر المطلول

ونظرتُ إليه في غيبوبته الروحية فرأيته يُغمغم بأجراس صوتية لا تُبين عن لفظ مُعيَّن أو غرض محدود

وفي لمحة من لمحات الوجد تمثّلتْ لي شفتان ورديتان لو سبّح لله بهما مسبِّحٌ لكان فيهما غَناءٌ عن تسبيح كل ما حوَى الملكوت من أرواح وأشباح

أيصير عبد الوهاب إلى مثل هذا الُحسن الفاتن كما نقله الخيال إلى عالم الروح ؟

ثم انتبه بغتة ، وقد وخزته نظراتي فقال : أتزور سنتريس في كل أسبوع ؟

فقلت : وما الذي يهمك من ذلك ؟

فأجاب : إن هذا إن صح قد يفسِّر نزعتك الصوفية ، فما شعرتُ بمثل هذه الأقباس الروحية إلا في هذا الطريق الذي يصل بالأفئدة إلى سنتريس

وما كاد يُتِمّ هذه الجملة حتى هوَى إلى الغيبوبة من جديد ، وحتى عُدتُ إلى التأمل في أسارير ذلك الوجه الذي خلق ليكون مَصدَر هداية ومبعَث فُتُون

وبعد لحظات كانت أقصر من ومضة القلب بالتشوف إلى موعد غرام وصلنا إلى القناطر الخيرية ، ثم وقفنا عند قنطرة الرّيّاح المنوفي لننتظر سيارات الأصفياء قبل أن نُنفذ السير إلى سنتريس . وهنالك وجدنا على غير موعد جماعة من الشبان الفنانين يترنمون بأغاريد عبد الوهاب ، وهم ينتظرون وفود القمر لمصافحة النيل ؟

ثم وصل الأصدقاء الفرنسيون فطربوا لذلك المنظر الجذاب ، وسرّهم أن يكون في مصر فنّان يرى طلائع فنه في مكان يتوجه إليه على غير ميعاد

ودخلنا سنتريس والشمس تجنح للغروب والناس يرجعون إلى دورهم وفي أيديهم مقاود المال الناطق ، وتلك طلائع نعيم تكون أوفر ما تكون في سنتريس : فأخصبُ أقاليم مصر هو إقليم المنوفية ، وأخصب مراكز المنوفية هو مركز أشمون ، وأخصب البلاد في مركز أشمون هو سنتريس ، وأخصب بقاع سنتريس هو ما ورثته عن أبي وجدي ، وأجل دار في سنتريس هي دار شاعر سنتريس

فإن ضاق بعض الناس صدراً بهذا الازدهاء ، فليذكر أني تحدثت عن الريف وجمال الريف قبل أن تُخلَق وزارة الشؤون الاجتماعية بأعوام طوال . يضاف إلى ذلك أن بلدي أجل البلاد حقّاً وصدقاً ، وهو الشاهد على أن مصر موطن الخيرات والثمرات ومهد الأفئدة والعقول . ولو قلت : إن بلدي يفوق جميع البلاد

(١) لم يصب أبو علي القالي في تخصيص « القافلة » بالراجعة من سفر . وأكثر اللغويين على أن القافلة هي الرفقة ، ويقال للمبتدئة بالسفر قافلة تفاؤلا لها بالرجوع

من الوجهة العلمية لكنت أصدق الصادقين

ثم جلسنا نتجاذب أطراف الأحاديث مع الأهل والأصدقاء ، وقد ذاع في أرجاء البلد أن عبد الوهاب حضر ومعه عوده الحنّان فأقبلوا يتسابقون لتزويد أفئدتهم بأطايب البواكير من أغاريد الخلود

ثم وقع ما لم يكن في الحسبان : فقد قيل إن في سنتريس مغنين يغنّون أصوات عبد الوهاب بأطيب وأوقع مما يغنيها عبد الوهاب

وتنادى أولئك المغنّون ليُباروا مطرب الأمراء والملوك ، وليروضوه على الاقتناع بأن التواضع خُلُقٌ جميل ، فانسحب من الميدان قبل انتهاء السهرة ليرجع إلى القاهرة بحجة أن عنده موعداً في منتصف الليل !

وعند باب الحديقة سأل عبد الوهاب عن العود ليكون رفيقه في الإياب ، ثم سارت به السيارة وهو يترنم بقول أحد الشعراء :

تنظُر الساعةَ من حين لحين ليت شعري ما الذي يستعجلُكْ
إن هذا الوصل أحلامُ سنين فاتق الحب وَدَع ما يَشغلُكْ

وانصرف جمهور المعجبين بالموسيقار عبد الوهاب وبقيتُ مع الضيوف الأعزاء نتحدث عن الآداب والفنون ، ونسمع مداعبات من كان في السهرة من الجنّيات

ومضينا نواجه النيل وقد طلع القمر وطاب النسيم فرأينا طوائف من أدباء سنتريس يَسمُرون هناك كما كنت أسمُر مع أصفيائي قبل أن يصنع الدهر بقلبي ما صنع ، وقبل أن أُحرَم من قضاء ليالي الصيف في سنتريس ، فما ذقت طعما للحياة المادئة منذ قضت الأيام بألا أزور سنتريس إلا كما يزور طيف الخيال

ثم هتف هاتفٌ بأن الليل قد انتصف وآن أوان الرحيل عن سنتريس

وفي القناطر الخيرية وقفنا مرة ثانية نشهد صراع الأمواج في قنطرة الرّياح المنوفي ، فأخذتُ المسيو كارى من يده ، واقتربت به من معركة تلك الأمواج

ثم وَثب القلب وهو يسأل : أين الوعد ، موعد فلانة ، الوعد الذي عقدته فوق « سَدّة الهندية » منذ أكثر من عامين ؟

فأجبتُ : تلك يا قلبي مواعيد البنان المخضوب !

وتلفتُّ إلى المسيو كارى وأنا أقول : ألا يكون النوم في ضيافة هذه الأمواج الصواخب أطيب من النوم في الغُرف المغلقة النوافذ ؟

فأجاب : ذلك نعيمٌ خاصٌ بأهل الشرق

فقلت : ومن أجل هذا النعيم يوصي بعض الفلاسفة بأن تكون مدافنهم في ثنايا الأمواج

ثم رجعنا إلى القاهرة لنأنس بالعيش الرّتيب من جديد

فإن سألتموني : أين كنا ؟

فأنا أجيب : كنا في رحلة صوفية ، وكان معنا عقل دي كومنين وبلاغة كارى وعُذوبة عبد الوهاب ، وكانت معنا أشياء ، فلا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تزدكم أسفاً على الحرمان من أطايب الوجود ... وهل كانت تلك الأشياء إلا القلوب الأواهل بأرواح الصفاء ؟

خطاب ضائع

كان صديقنا الأستاذ صادق عنبر — طيب الله ثراه ! — قد نشر في مجلة « النهضة النسائية » سنة ١٩٢٧ خطابات غرامية قال إنه وجدها مُلقاة في الطريق ، وصحّ عندي يومئذ أنه ابتدع تلك الخطابات ، فكتبتُ إليه من باريس أهنئه على ذلك البِدع الطريف ، فأجاب بأنه لم يبتدع تلك الخطابات ، وإنما وجدها مصادفةً في شارع الدواوين وهو ذاهب إلى جريدة الأهرام ، ولم أصدّقه فيما ادعاه فتعقبتُه في جريدة البلاغ بمقال لاذع بدّد ما كان بيني وبينه من وداد

ثم تشاء الأقدار أن تصحح رأيي في ذلك الصديق المظلوم فقد وجدت أنا أيضاً خطاباً ضائعاً ، وجدته في شارع فؤاد وأنا ذاهب للسَّمَر مع الأستاذ « وحيد بك الأيوبي » في قهوة السلام بميدان إبراهيم ، وأطلعتُ عليه جماعة من الفضلاء الذين صادفتهم هناك

وإلى القارئ فقرات من ذلك الخطاب الضائع ، ستَر الله كاتبه وهداه ! :

« تماتبين ؟ تماتبين ؟ وما الموجب للعتاب وقد صدَّ قلبٌ عن قلب ، وزهد روح في روح ؟ !

ومن تماتبين ، يا شقية ، وقد انتهى عهد العتاب ، ولم يبق من الذكريات غير أطلال ؟

لا أراك الآن إلا حجراً أصم أبكم ، لا يسمع ولا يتكلم ، وإن كنتِ تحسنين زُخرفَ القول حين تكتبين إليّ من حين إلى حين ...

وتقترحين أن أزورك فى مدينة ... فهل تظنين أنى أطرب لزيارة مدائن الأموات ؟

تلك غمرة من غمرات الكرب عانيتها حين توهمتك إنسانة لها وعى وإحساس ، ثم لطف الله فأفقت ، وما كنت أحسبنى أفيق كان غرامى نزوة من نزوات الطيش ، وقد عقلت ، والحمد لله على نعمة العقل !

أمثلكِ يُزارُ بوحى من القلب ، وأنتِ رسمٌ من الرسوم الهوامد ، وقد انتهى عهد البكاء على الرسوم والطلول ؟

ما أبكى عليك ، يا شقية ، وإنما أبكى على النعيم الذى ذهب منذ اليوم الذى انزاحت فيه الغشاوة عن قلبى

كنت توهمت أنى عشقت ، وكانت الدنيا لا تسمنى كلما خطر فى البال أنى أملك قلب امرأة لها فى دولة الحسن تاريخ

ثم انجابت ظلمات الغواية فرأيتك مخلوقة من خزف ، مخلوقة غبية بليدة حرمتها الأقدار نعمة الفهم لسرائر الأرواح والقلوب

خرجتُ من هواكِ كما دخلتُ ، فما أمدّنى هواكِ بقصيدة رشيقة ولا مقال بليغ . والأديب لا يعشق ليقال إنه عشق ، وإنما يعشق الأديب ليطلع على الآفاق المجهولة من ضمائر الوجود .

وأنت أنت ، أنت الأنثى الغبية البليدة التى لا ينتفع الأديب من صحبتها بشىء ، إلا أن يصير اسمه إعلاناً عن جمالها المظنون ، وأنت والله جميلة ، ولكن جمالك لا يزيد عن جمال التماثيل !

إنما أبكى على نفسى ، فقد كنت أحسبنى أهلاً لغرام أقوى وأعنف من الغرام الذى عانيت ، ثم عرفت مع الأسف الموجع أننى شغلت قلبى بإنسانة ضعيفة لا تقدر على نقل القلب من مكان إلى مكان . فمتى تزحزح من مكانك يا قلبى؟ ومتى تعرف أن الهدى ليس أكرم عنصراً من الضلال ؟

لا تكتبى إلى بعد اليوم ، يا شقية ، فقلبك أصغر من قلبى ، ولم تكونى إلا طفلة نضجت قبل الأوان فتوهمتْ أنها قادرة على مساورة الرجال »

تلك فقرات من ذلك الخطاب الضائع ، الخطاب الذى وجدته فى شارع فؤاد

فهل رأيتم أسخف من كاتب هذا الخطاب ؟

الدنيا فى حرب وشقاء وبلاء ، فكيف يجوز أن يكون فيها من يعشق ويلتاع ؟

وفى قهوة باليرا بمصر الجديدة صادفت الدكتور مشرّفة بك عميد كلية العلوم فعرضت عليه هـذا الخطاب على أنه نموذج من السفاهه والُحمق فابتسم ، وقال : العواطف من القُوى الأساسية فى حياة الإنسان ، ولا بُدّ لتلك القوى من غذاء . واستطرد فحدثنى أنه طرب حين رجع إلى معاهد الطفولة بدمياط ، يوم كان يتقرب إلى الله بتقبيل ضريح الشيخ مظالوم !

العواطف تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول ؟

هذه فلسفة لم أسمع بها من قبل

فإن صحت هذه الفلسفة فهى سنادٌ لكاتب الخطاب الضائع ، الخطاب الذى وجدته فى شارع فؤاد

الدنيا فى حرب ، فلا تصدّقوا الدكتور مشرّفة ، وإن كان عميد كلية العلوم ، واقضوا أوقاتكم كلها فى متابعة أخبار الحرب بين الإنجليز والألمان ، فأخبار الحرب هى زاد العواطف والعقول فى هذه الأيام العِجاف !

ثمرة شهية من ثمار المطابع

اليوم عرفت أن الأستاذ محمود بك تيمور وأخاه المرحوم محمد بك تيمور ورثا فنّ القَصَص عن أبيهما العظيم أحمد باشا تيمور

أقول هذا وقد فرغت من قراءة كتاب نفيس اسمه « أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » تحدث فيه تيمور باشا عن جماعة من الشعراء والعلماء والأعيان بأسلوب هو القَصَص الحق ، أو هو أحسنُ القَصَص ، إذا صح الاستئناس بعبارة القرآن المجيد

كتابٌ كله أقاصيص ، ولكنه حقائق ، وله جاذبية تجعله فوق القَصَص المعطّر بأنفاس الخيال

في الاجتماع اللغوي

تطور اللغة وارتقاؤها

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

انتقال اللغة من السلف إلى الخلف : التطور الجبري ؛ مظاهره في لغة الحديث ولغة الكتابة

تتأثر اللغة في تطورها وارتقائها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف :

(إحداها) انتقال اللغة من السلف إلى الخلف

(وثانيتها) تأثر اللغة بلغة أخرى

(وثالثتها) عوامل اجتماعية ونفسية وطبيعية ، كحضارة الأمة ونظمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ، وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ، ومناحي وجدانها ونزوعها ، وبيئتها الجغرافية .. وما إلى ذلك[1]

(ورابعتها) عوامل أدبية ، تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة ، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية وما إليها في سبيل حمايتها والارتقاء بها[1]

وسنعالج بإجمال في هذه الكلمة الطائفة الأولى من هذه العوامل ، مرجئين الكلام عن العوامل الأخرى إلى المقالات التالية

***

على الرغم من أن الطفل يأخذ اللغة عن أبويه والمحيطين به ، فإن لغة الخلف في كل أمة تختلف عن لغة السلف في كثير من المظاهر ، وبخاصة مظاهر الصوت

ويرجع جزء يسير من نواحي هذا الاختلاف إلى أمور خاصة مقصورة على بعض الأفراد كالعيوب الصوتية التي يصاب بها بعض الناس ، وضعف السمع ، واختلال أعضاء النطق ... وما إلى ذلك ؛ وليس لمثل هذه الأمور شأن كبير في تطور اللغة ؛ لأن آثارها مقصورة على أصحابها ، تبقى معهم وحدهم في حياتهم وتختفي بموتهم

(١) تشترك هذه العوامل جميعا في أنها من مقومات الحياة الاجتماعية ، ولذلك جعلناها طائفة واحدة على الرغم من اختلافها في نوعها .

(١) ترجع في الواقع هذه الطائفة من العوامل إلى الطائفة الثالثة ، لأن آداب الأمة ليست إلا مظهراً من مظاهر حياتها الاجتماعية . ولكننا آثرنا فصل الطائفتين لاختلاف آثار كل منهما بهذا الصدد عن آثار الأخرى

في هذا الكتاب أربع وعشرون ترجمة لبست جميعاً ثوب الصدق في حدود ما وصل إلى المؤلف من أخبار مَن ترجم لهم . ومن المؤكد أن هذا الكتاب يسدّ فراغاً في تصور بعض معالم العهد الذي عاش فيه المؤلف ، ففيه أخبار سياسية وأدبية واجتماعية لم يتحدث عنها أحد من قبل بهذه الدقة وبهذا التفصيل

ونحن نأسف على أن لم يُكتَب لتيمور باشا أن يقف جهوده على هذا اللون من التاريخ ، فلو أن الله كان وفقه إلى ذلك لأتى بالأعاجيب في تسجيل الحوادث وترجمة الرجال

وقد التزم تيمور باشا في هذا الكتاب التواريخ الهجرية أو كاد ، والتزم العبارات القديمة في وصف بعض الأشياء ، فالعِزبة هي الضّيعة ، والجنيه هو الدينار ، ودخول الإنجليز مدينة القاهرة كان يوم الخميس مستهلّ ذي القِعدة سنة ١٢٩٩ . وتلك من لوازم تيمور باشا الذي كان يريد أن يجعلنا عرباً ومسلمين في جميع الشؤون ، أحسن الله إليه بقدر ما أحسن إلى العروبة والإسلام !

وتيمور باشا في كتابه يجسّم الحسنات ويتغافل عن السيئات . وإذا قهره التاريخ على تسجيل سيئة أحاطها بعبارة من عبارات التشكيك ، أو اعتذر عنها بلطف ورفق ، حتى ليمكن الحكم بأن الرجل أراد أن يكون كتابه من كتب الأخلاق الصّحاح . وكيف لا يكون مراده كذلك وقد شهد عارفوه وشهدت آثاره بأنه كان من أرباب القلوب

ولا تجد في هذا الكتاب عبارة تشير إلى أن تيمور باشا كان رتب ويصنف ويؤلف ، فهي أحاديث أخذ بعضها برقاب بعض في يسر وسهولة واتساق ، وذلك شاهد القدرة على التعبير الخالي من التكلف والافتعال

وقد أكثر تيمور باشا من الترحم على من ترجم لهم ، فعليه رحمة الله ، وعلى المراوي رحمة الله ، وعلى عبد المطلب رحمة الله ، فقد كانا يريانه إماماً في الأدب واللغة والتاريخ ، ولهما في البكاء عليه قصائد جياد

زكي مبارك

أما معظم نواحي هـذا الاختلاف وأكبرها أثراً في تطور اللغة فترجع إلى أمور عامة يشترك فيها جميع أفراد الطبقة الواحدة ويمتازون بها عن أفراد الطبقة السابقة لهم، كالارتقاء الطبيعي لأعضاء النطق في الفصيلة الإنسانية (لأن أعضاء النطق في تطور طبيعي مطرد، فتختلف في كل طبقة عنها في الطبقة السابقة لها) والارتقاء الطبيعي للظواهر النفسية (فالقوى العقلية يختلف أنواعها في تطور طبيعي مطرد، شأنها في ذلك شأن أعضاء النطق. ومن الواضح أن كل تطور يحدث في هذه القوى ينبعث صداه في اللغة) والأخطاء التي تنتشر بين الصغار في طبقة ما ولا يفطن لها الكبار لدقتها وخفائها أو يهملون إصلاحها ولا يعنون بالقضاء عليها. فالفروق اللغوية الناشئة عن هـذه الطائفة من العوامل يشترك فيها جميع أفراد الطبقة الواحدة وتمتاز بها لغتهم عن لغة الطبقة السابقة لهم

ومن هذا يظهر أن ناحية هامة من نواحي التطور اللغوي ترجع إلى عوامل جبرية لا اختيار للانسان فيها، ولا يد له على وقف آثارها أو تغيير ما تؤدي إليه

ومن هذا يظهر كذلك أنه ليس في قدرة الأفراد أن يقفوا تطور لغة، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص. فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها، وضبط قواعدها وأصواتها ...، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة وكتابة ونطقاً وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل الذي تريدها على السير فيه سنن التطور والارتقاء الطبيعيين

حقاً إنه يمكن أحياناً التحكم في لغة الكتابة والجمود بها زمناً طويلاً على أصولها القديمة أو ما يقرب منها؛ ولكن لغة الكتابة التي تجمد بهذا الشكل لا تمثل تمثيلاً صحيحاً حالة الحياة اللغوية في الأمة، وتتسع كثيراً مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة، لأن هذه اللغة الأخيرة في تطور مطرد، ولا تستطيع أية قوة إلى تعويق تطورها سبيلاً. فلا تنفك تبعد عن لغة الكتابة الجامدة، حتى تصبح كل منهما غريبة عن الأخرى، ويصبح تعليم لغة الكتابة في الأمة أشبه شيء بتعليم لغة أجنبية. وهذا هو ما كان عليه الحال بفرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال أيام أن كانت لغة الكتابة هي اللاتينية، وكانت لهجاتها المحلية مقصورة على شئون المحادثة؛ وما عليه الحال الآن في مصر وبلاد العرب وشمال أفريقيا بصدد العلاقة بين لهجات المحادثة واللغة العربية الفصحى المتخذة لغة كتابة في هذه الممالك

على أن ظاهرة كهذه لا تكاد تبدو إلا حيث تكون لغة المحادثة غير تامة التكون ولا كاملة النمو؛ ولا تبقى إلا ما بقيت لغة المحادثة على هذه الحال. فإذا ما بلغت هذه اللغة أشدها، وتم تكونها، واكتمل نموها، واتسع متنها، ووضحت دلالة مفرداتها ووجوه استخدامها، وتشعبت فيها فنون القول، ودقت مناحي التعبير، وقويت على تأدية حقائق الآداب والعلوم، أخذت تطارد لغة الكتابة وتسلبها وظائفها وظيفة وظيفة حتى تجردها منها جميعها، فتصبح هي لغة الكتابة، وتقذف بلغة الكتابة القديمة في زوايا اللغات الميتة. وهذا هو ما انتهى إليه أمر اللاتينية مع لغات المحادثة بفرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال.

فما أشبه لغة الكتابة الجامدة، في حالات كهذه، بجبل ثلج ثابت على سطح البحر؛ ولغات المحادثة المتطورة بالتيارات المائية التي تموج من تحته. فمهما طال بقاء هذا الثلج، فإن مصيره إلى التحطم والذوبان، وحينئذ تطفو تلك التيارات إلى سطح البحر، وتعيد إليه ما كان مستوراً تحت هذا الجبل الجامد من مظاهر النشاط والحياة: «سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا».

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

الحضـــارة المتبرجة

الأستاذ محمود محمد شاكر



أعطيت هذه الحضارة الأوربية الحديثة أعظم روح من الفن كان فى الأرض من لدن آدم إلى يوم الناس هذا . وهذه الروح الفنية — على سموّها فى بعض نواحيها إلى غاية ما يتسامى إليه الخيال الفنى — تتساقط وتتدنى وتنحدر من جوانبها إلى أدنأ ما يبتذل من الفن العامى المثير لأشأم الغرائز الحيوانية فى الإنسان .

وبهذه الرُّوح الفنية عالجت الحضارة الأوربية مشكلة الحياة السريعة الدائبة المثقلة بأعباء العمل ، فاتخذت لكل مَـلّل راحة واستجماماً بلغت بهما غاية اللذة الفنية ، تلك اللذة التى تجعل الأعصاب المجهدة إذا أوت إليها كأنما تأوى إلى بيت ذى رونق وزخرف وعطر وضوء يتمتم ألحاناً من الفن الموسيقى ، فإذا بلغته استنامت بإجهادها على حشايا الخز والديباج ، نعومة وليناً ترسل فى الأعصاب لذة تمسح الجهد حتى يسكن ويخف ثم يتبدد

وكانت المرأة هى فن الفنّ للانسانية ، وهى الشاطئ الوادع لبحر الحياة المتموج ، وكانت الظل الرطيب فى بيداء موقدة تحت أشعة الشمس المحرقة ، وكانت هى السكن للقلب المسافر دائماً فى طلب أسباب العيش والحياة . فجاء فن المدنية الحديثة فجعل الشاطئ بحراً آخر يموج موجاً فنياً مغرياً يجعل السباحة المجهدة فيه ضرباً من الراحة ، وتركت الظل الرطيب حرارة مستعرة تحرق ، ولكنها تحرق بلذة ، وفرشت السكن حتى مدته طريقاً بعيداً مترامياً يسافر فيه القلب سفراً بعيداً فى أحلام وفتنة وجديد لا يتقادم

وبدأت المرأة بدءها لتجعل الحضارة فناً جديداً من تجميل الحياة للمكدودين . ثم جاءت الحرب الماضية ، فخرجت المرأة من وطيسها المتوقد قد استوت ولذّت وطابت ، وتجدّدت عقلاً وروحاً وجمالاً ، وشاركت أسباب الحضارة فى إيجاد حل جديد لمشكلة الإنسان العامل المنطلق فى أعماله بسرعة وكدٍّ وإرهاق وعناء ، فاتخذت فن العقل السامى عبداً تصرّفه فى إنشاء لذات الحياة إنشاءً عبقرياً تخشع لسلطانه النفس خشوعاً راضياً ، ثم تمشى فى جنّاته : تأبى أن تجد راحتها إلا راحة فيها ذلك السحر الناعم الرقيق الفاتن ، الذى يصنعه بنان مؤنث يقول للأشياء : كونى جميلة ، فتكون

وأعطت العين للمرأة أشواقها المستبدة ، وزيّنت المرأة للعين متاعها المتجدد ، فاستيقظت الغرائز كلها من هزة الأشواق وحب الاستمتاع ، وانحدرتْ فى دم الرجل قطرات الفتنة المؤنَّثة ، وسطعت فى كيانه كله نفحات العطر المربد ، وألقت المرأة ظلها على كل شىء ألواناً تتخايل بالفن المنسّق البديع ، وصبغتْ كل شىء فى حلاوة أنوثتها ، حتى لم يبق للرجولة ولا للإنسانية هوًى فى الحياة إلا وهو من المرأة وإلى المرأة وفى سبيل المرأة .

وصارت المرأة هى المحور الذى تدور عليه الإنسانية فى فلك الشهوات الضارية التى تنزع منازعها فى حياة الإنسان باقتدار وقسر ، وسار العالم كله على ذلك حتى ما يُحس ذو شعور أنه يعمل من أجل المرأة ، مع أنه ما يعمل عامل إلا من أجلها . فهو فى نشوة متصلة لا تنقطع فى عمله ، لأن الغرائز المنتشية هى التى تحكم وتصرّف ، وبذلك لم يبق له من الفكر ما يستطيع به فى هذا الأمر أن يتبين حقيقة التيار المسكر الذى يتدافع به فى حياته

أصبحت الحضارة الأوربية بعد ذلك فناً جميلاً يتوالى فيه زخرف الحسن مبعثراً ومنتظماً ، لأن الأعمال كلها قد احتملتها إرادة واحدة ، هى إرادة جعل الحياة أجمل مما هى لتكون أمتع للعين والقلب والنفس والغريزة ، مع إسقاط مطالب الروح السامية المتحررة من استعباد الشهوات

ومن عجيب تصريف القدر فى الحياة أن يجعل أعظم شىء فيها هو أقل الأشياء حظاً من الحياة ، فالروح التى هى أعظم ما وجد فى الحياة ، ترجع فى غمرة اللذات والشهوات وأمواج الغريزة الطاغية ، أقل ما وجد فى الحياة ، حتى ما يكون لها نصيب منها إلا ذلك الجو الأغبر القاتم فى عزلة موحشة ، بعيدة عن تحقيق لذاتها الروحانية الحلوة التى تبقى حلاوتها خالدة فى الهرم بعد الشباب ، وفى العجز بعد القدرة ، وفى السكون بعد الحركة ، وفى الموت بعد الحياة . وتقف الروح متغضنة جافة متكسرة تنظر نظرة متألمة إلى ما يصيب الإنسان من اللذات الطارفة الطارئة التى تتحول فى نار الشهوات رماداً بعد توقد واشتعال

فاعتزال الروح فى هذه المدنية الأوربية قد جعل العالم يعيش ليحترق بأسرع ما يمكن أن يحترق ، وهـذا هو الدلة فى امتياز هذه المدنية بالسرعة والنشاط والتوقد ، واحتمالها متاعب الجهد المضنى فى سبيل استغلال أقصى ما يستطيع الإنسان من الإنتاج فى العمل ، ثم امتيازها بنظام الطبقات الذى تجهد جهدها أن تستره بتلك الزينة الفنية العلمية الظاهرة ، لئلا يكون معنى ذلك أن المدنية تريد أن ترتد بالناس إلى الحالة الطبيعية الوحشية اللئيمة التى ينتجها اجتماع همجى مستبد لا يعقل ، وإنما يكون فيه اللذة التى تسكر العقل ، والظلم الذى يثير العقل ، والأثرة التى تطغى العقل

وجاء اشتراك المرأة اشتراكاً عملياً فى الحياة الأوربية العامة ليقذف الروح بعيداً فى عزلتها ، ويدنى غريزة تشتاق إلى غريزة تشوق ، فكذلك بدأت الأنظمة الأدبية والاقتصادية والمدنية تخضع لسلطان الأشواق وحدها دون سلطان الروح والعقل ، وسلطان الأشواق هو الذى يكون غرضه دائماً أن يضيق ويتخصص وينفرد بأسباب شوقه ، وسلطان الروح والعقل هو الذى يتراحب ويشمل ويعم ويوجد المساواة بين الناس ، مهما لقى من العنت والقسوة والشقة فى وضع النظام الذى يريد أن يجعل به الناس أحراراً فى قيود من الإنسانية السامية المترفعة عن الذل كما تترفع عن بنى السطوة ، والتى تستنكر العبودية الخاضعة كما تستنكر الحرية الفوضى ، والتى تأبى تحكم طبقة فى طبقة كما تأبى ثورة طبقة على طبقة

ولكن تبرج الحضارة الأوربية فى ذلك الخَلق الجميل الفتان ذى الحيلة والفتنة والسحر الذى يعيش فى صورة الأنثى ، قسر هذه المدنية على الخضوع لسطوة الشوق المتمرد ، فقام النظام كله على هوى واحد إلى المرأة . فالعامل الذى يعمل يريد أن يستغل الحياة بين يديه لا ليعيش ويعيش معه أهله وبنوه وتلك الدولة الصغيرة التى تسمى البيت ، بل هو يعمل ليجد أولاً تلك اللذة الحاكمة المتمة التى يستمتع بها فى ظل تلك الدولة العظيمة التى تسمى المرأة

وإذا بدأت الطبقة العاملة من الشعب تجد حوافز أعمالها فى شيء بعينه ، كانت كل أعماله من الأدنى إلى الأعلى لا تجد فى أعمالها إلا هذا الحافز الواحد ، وإذا تشابهت الحوافز تشابهت الغايات ، وما يفترق هذا عن ذاك إلا بأن لكل شيء أسلوباً ، ومهما اختلفت الأساليب فى هذا فلن تختلف فى الدلالة إلا بمقدار الأصل العملى الذى يوجب هذا الاختلاف

والمكان الذى نصت عليه عروس النفس الإنسانية فى هذه المدنية الحديثة ، هو الحافز وهو الغاية ، ولذلك نجد هذه المدنية قد تبرجت لأبنائها تبرج الفن العبقرى الحافل بأسباب التحكم المستمر فى أعمال كل حى . ولما كانت هذه الحوافز على تعددها إنما هى فى الحقيقة اختصاص فردى لكل واحد من النـاس — لأن اللذة لا تقبل الشركة والتعدد — ولكل اختصاص عيب هو الأثرة ، والإصرار على التفرد ، ومعاندة الناس بعضهم بعضاً فى سبيل هذا التفرد ـ وقع التضارب والتمادى والانتقاض فى كل عمل ، وصار ما يبنى لا يكاد يتم حتى يلقاه ما يهدمه ، وبذلك كان نظام هذه الحضارة مع روعة ما يبنى يقابله نظام آخر فى الهدم والتدمير ، يخيف هذا بقدر ما يروع ذاك

ولولا هذا التبرج الفاجر فى هـذه المدنية ، ولولا هذه الشهوات التى انطلقت ترشف من مسكرات الفن المتبرج ، ولولا هذه الغرائز الجامحة فى طلب السيطرة لإدراك غاية اللذة ، لما كان النظام الاقتصادى الحاضر فى هذه المدنية هكذا مهدِّماً مستعبداً مستأثراً باغياً ، ولما تماندت القوى الدولية هذا التماند الذى أفضى بالعالم إلى الحرب الماضية ثم إلى هذه الحرب المتلهبة من حولنا اليوم ؛ وذلك فى مدى خمسة وعشرين عاماً ، لم يستجمع العالم خلالها قوته ، ولم يتألف ما تفرق ، إلا ليضيع قوته مرة أخرى ويتفرّق

إن الحضارة فى هذه السنوات التي تبعت الحرب الماضيـة كانت ترفه عن المكدودين بالعمل ترفيهها الحلو الفنى المتبرّج لتعطى القُوى العاملة نشاطاً جديداً من النشوة ، أى من الحالة التى يفقد فيها العقل والروح قدرتهما على التحكم فى نظام الحياة . وأقدمت المرأة الأوربية إقدامَها الجرىء فجلبت زينتها من كل خيال ومن كل فن ومن كل سحر ، لتعين الحضارة على الحياة والبقاء فى هذا الجوّ الذى اختارته وعملت له . وكان هذا الإقدام ضرورة طبيعية للمقدمات التى سبقت عصر الحرب الماضية ، ثم للحرب نفسها . فإن المرأة التى فقدت زوجها ، والفتاة التى أضلت حبيبها ، والبنت التى أضاعت قَيِّمها من أب أو أخ أو عم ، ... وبقيت فى موج الحياة حَيرى متلدّدة ، لم تجد بدّاً من الإقدام على الطريق المجهول بجرأة واندفاع وتهور ، فلما

أوضعت في الطريق المجهول وأسرعت خطاها جرى العالم وراءها يطلبها ؛ فلم تجد بداً من أن تأخذ منه أكثر ما تستطيع لتجتلب لزينتها أحسن ما تستطيع ، وتطارد الصيدُ للصائد في كل وجه حتى اصطدم العالم كله هذا الاصطدام الهائل الذي لا يدرى إلى أين ينتهي ولا كيف ينتهي

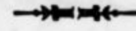
وستخرج المرأة من هذه الحرب أيضاً كثيرة فاتنة حائرة لا تجد أباها ولا زوجها ولا أخاها ولا حبيبها ، وستكون في عينيها تلك النظرة الحزينة الضارعة التي تقول لك : أنقذني ! أنقذني ! ! أنا وحدي ، لا أجد من يعولني ! وسينظر العالم الجديد إلى هذه المرأة بالرحمة والعطف والحنان ، كما نظر للواتي كنّ بعد الحرب الماضية . وستعمل المرأة يومئذ لتكتسب الرجل في كل وجه ، ثم لا تلبث أن توجد من بقايا العالم المتحطم سحراً جديداً لمدنية ساحرة ، وبذلك يرتد العالم إلى النظام الاقتصادي الفاجر المبني على اللذة وطلبها والبحث عنها ، فتكون أنظمته كلها قائمة على الاستبداد والفجور في الاستبداد

ويومئذ يبدأ تحقيق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة وما يكون في أعقاب الدهر ، إذ « يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » ، وحتى « ترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به » . وما يكون ذلك إلا يوم يتحقق للحياة المعنى الفني المحض الذي لا يعرف قاعدة اجتماعية يحرص على تحقيقها للاجتماع ، والذي يرى الحرية انطلاقاً من قيد الأخلاق التي تقسره على مصلحة الجماعة دون لذة الفرد ، وتتبرج الحياة تبرجاً هائلاً يجعل العقل غريزة جديدة تشتهي ، والروح خلقاً منبوذاً حائراً يطوف على هذه الفتن كما يطوف الصعلوك على مائدة ملكية . ويومئذ يرفع العلم لأنه سيُستعبَدُ في إيجاد اللذات ، وتفارقه الروح النبيلة التي لا يكون العلم إلا بها علماً ، ولا يبقى في الأرض إلا الجهل الأحمق الذي لا يعرف إلا السيطرة بحماقة ، والأثرة بكلب ، وتكون المرأة هي علم الحياة الجديدة الذي يمزق الرجولة القليلة في جذب الشهوات المنيفة ، ويغرق الفضيلة في طوفان المتعة الجميلة التي تبث في الأعصاب المجهدة نشوة مسكرة .

محمود محمد شاكر

محل الحضارة العربية

للدكتور جواد على



هل هنالك حضارة عالية اشترك فى تكوينها جميع أفراد البشر على اختلاف أشكالهم وأجناسهم ؟ أم هل هنالك حضارات مختلفة لكل حضارة ميزة وعقلية تمثل عقلية الجيل أو الأمة ؟ أم هل هنالك حضارة واحدة تنذى العالم كله وتشع عليه كما تشع الشمس على الأرض ؟ تلك نظريات مختلفة تمثل نزعات علمية وسياسية متضاربة وغايات متباينة . غير أن الرأى السائد اليوم بين جمهور المؤرخين ومنقبى تأريخ الحضارة هو أن هنالك تفاوتاً بين البشر ، كما أن هنالك تفاوتاً بين الحيوان أو النبات ، وأن الحضارة التى هى إنتاج البشر العقلى تختلف لذلك تبعاً لاختلاف المجموعات البشرية [(١)] ، وهذه النظرية على طرفى نقيض مع نظرية هيردر J. G. Herder (١٧٤٤ — ١٨٠٣) ، ونظرية التطور التاريخى [(٢)] للفيلسوف هيكل G. W. F. Hegel (١٧٧٠ — ١٨٣١) ، ونظرية (« الانسانيين » Humanismus) [(٣)] ، وأتباع الكنيسة من المؤرخين

والمسألة لم تقف عند هذا الحد مع ذلك بين أصحاب نظرية تعدد الحضارات ، إذ أن من بين هؤلاء من يدين بفكرة تأثر الحضارات بعضها ببعض ، كما هى نظرية الفيلسوف الألمانى Graf Key-serling مؤسس « دار الحكمة » فى مدينة Darmstadt الألمانية والمستشرق C. H. Becker ، وجمهرة من المستشرقين ، كما أن هنالك مثل الفيلسوف O. Sprengler من يقول بتعدد الحضارات مع وجود نفسية خاصة لكل حضارة ، أو استقلال تام كما هو رأى الفيلسوف Ernst Troeltsch [(٤)]

(١) انظر كتاب Ernst Troeltsch المنون Kulturgeschichte فى مجموعة Schmollers ص ٦٣٣ من المجلد XL IV

(٢) انظر Schmidt Entwicklungsgeschichte قاموس الفلسفة ص ١٠٨

(٣) انظر Schmidt أيضاً ص ٢٧٢

(٤) انظر C. H. Becker فى كتابه Islamstudien جـ ١ ص ٢٤ طبعة ١٩٢٤

أما أصحاب فكرة وجود حضارة واحدة هى سبب هذا التطور العالى والتقدم البشرى المطرد فهم أصحاب العواطف المتطرفون من الأوربيين كالفرنسى رينان Renan فى محاضراته التى ألقاها فى عام ١٨٨٣ Luschan فى كتابه تاريخ الحضارة السامية و Jehering وكرافر كوبينو والنازيين الألمان وفاشست إيطاليا . ولكن معظم أصحاب هذه النظرية هم أناس ليسوا ذوى اختصاص فى الموضوع ولا دراسة ناتجة عن استقراء على محدود ، بل هم من ذوى الطريقة الفلسفية العامة التى تحاول الإلمام بكل شيء وتضع القوانين حسب قواعد رأتها صالحة لذلك . والحضارة العربية فى نظر هؤلاء حضارة سطحية ظاهرية أنتجتها عقلية آرية ومنابع يونانية فارسية هندية غوطية . وحيثما وجد الإنسان ظاهرة من ظواهر الحضارة فى البلاد العربية فلا بد من إرجاعها إلى عقلية آرية وإنتاج غير سامى [(١)] . ودوزنبرك الدكتاتور النازى للشؤون الثقافية الذى لم يسلم إلا بالزخارف المعروفة باسم Arabeska يحاول الحط من قدر هذه ، فيجعلها تمثل عقلية ساذجة لا غير [(٢)]

غير أن النظريات لا قيمة لها أبداً إن لم تدعم بالنصوص والبراهين ، كما أن الاستشهاد بحادثة أو رواية لا يتخذ حجة للحكم به على أمة . وإنى أستطيع أن أجعل من الأمة الجرمانية أمة همجية بربرية مادية خاملة لم تنهض إلا أخيراً ، كان يحاول زعماؤها إيقاظها ، بالاستناد إلى النصوص الجرمانية نفسها المجموعة فى المصادر والمنابع عن التأريخ الجرمانى [(٣)] . ويستطيع كل مؤرخ أن يفعل ذلك فى تأريخ أى أمة كانت ولا سيما إن كانت أمة ضعيفة فى وقته منحطة . وأستطيع أن أقول إن الأمة العربية لو كانت فى الوقت الحاضر قوية لكانت النظرية على العكس تماماً وفى المصادر

(١) انظر خلاصة آراء هؤلاء فى كتاب H. S. Chamberlain بعنوان Die Grundlagen des Neumehnten Jahrhunderds ص ١٢٤٠

(٢) انظر كتاب Alfred Rosenberg المسمى Der mythebs طبعة ١٩٣٠

(٣) انظر كتاب Reichmann المنون Ein Jahrtausend Deutscher Kultur المطبوع فى لايبزك حيث تجد نتفاً ومنابع مستقاة من كتب التاريخ والأسفار المختلفة فى عصور مختلفة وكذلك المنابع المطبوعة فى اللغة الانكليزية أو الفرنسية عن حياة هذه الأمم ، وإني كفيل بأن القارىء سيعرف تاريخ أوربا تماما .

والنقوش الأثرية ما يبرهن على أن وضع حدود وحواجز بين حضارة وحضارة ومحاولة عزل الحضارات بعضها عن بعض أمر غير ممكن . حتى فى المسائل الروحية تتأثر الأمم بعضها ببعض . فمحاولة كتابة تاريخ أوربى فقط لا تنجح تماماً إن لم يتطرق المؤرخ فى بحثه إلى الحضارة الإسلامية ، كما أن محاولة كتابة تاريخ عربى مجرد عن ذكر أى تأثير للحضارة الغربية محاولة فاشلة غير علمية[1]

ولو درس التاريخ العربى كما يدرس التاريخ بجميع فروعه فى الجامعات الأوربية، أو لو انصرف المؤرخون إلى دراسة النصوص الأوربية على العلاقات بين أوربا والشرق الأدنى لتغيرت نظرية أصحاب العزلة تماماً . وهناك مؤثرات أثرت تأثيراً شديداً من جانب العرب ليست فى الحياة المادية بل فى الحياة الروحية الأوربية التى هى من أصعب الأشياء لما بين المقايتين من فروق . ومن أمثلة ذلك الشعر فى القرون الوسطى وظهور نوع جديد منه هو الشعر الغزلى على الطريقة الشرقية والروايات العربية والتصوف الذى أطلق عليه اسم « التصوف الألمانى » وكان زعماؤه يجيدون اللغة العربية ودرسوا وترجموا الكتب إلى اللغة اللاتينية[2]

وقد غير كثير من أصحاب نظرية « الشرق شرق والغرب غرب » نظريتهم حين توغلوا فى البلاد العربية وجابوا البلاد الأفريقية، وتوصل بعضهم إلى أن الحضارة العربية تعود إلى الحضارة الأوربية لا الحضارة الأسيوية، وأن السيد أمير على المسلم الهندى أقرب جداً إلى أوربا عقلاً وثقافة من الفيلسوف طاغور الأسيوى فكراً وعقلاً[3] . كما لاحظ الأوربيون الذين ذهبوا إلى السودان وأعالى النيل أن التفاهم مع المصريين المسلمين كان يزداد يوماً فيوماً كلما تقرب هؤلاء من العالم الأسود ، وكذلك كان الحال فى نواحى أفريقية الأخرى . كما لاحظ المستشرقون أن اللغات الهندية الأوربية تتقارب مع السامية جداً بالنظر إلى اللغة السودانية أو لغة البانتو مثلاً . وقد ظهر أن الأتراك أقرب إلى أوربا عقلياً من اليابان ، مع أن اليابان هى فى مدنيتها أوربية محضة ، ولكنها فى حضارتها أسيوية محضة ، وقد جعلوا سبب ذلك تأثير الحضارة الإسلامية[1] . وأغرب من ذلك هو أن القبائل الإفريقية أو قبائل الهند الهولندية حينما تسلم تسرع إلى لبس الملابس وإلى التقرب من الأوربيين أكثر من الوثنيين الابتدائيين. وهذه المسألة كانت من أهم المسائل التى درستها الحكومة الألمانية قبل الحرب لتعيين سياستها تجاه الإسلام[2]

يرجع بيكر Becker ذلك إلى الأصول التى تتألف منها كل من الحضارتين الأوربية والعربية ، فبينما نجد الحضارة اليونانية الرومانية والحضارة المسيحية والحياة اليومية الأوربية هى الأسس التى تكون الحضارة الأوربية نرى الحضارة العربية متأثرة بالعاملين الأولين مضافاً إليهما العقلية السامية الخاصة ، وهذا هو سبب التقارب الموجود بين الحضارتين[3] ولكن ذلك لا يعنى أن الحضارة العربية مشتقة أو هى جزء من الحضارة الأوربية ، بل هى وسيلة بين الحضارة الأوربية والحضارة الأسيوية[4] لها مميزاتها الخاصة ومثلها العليا ، ونظرتها العالمية

هنالك حضارة كما أن هنالك مدنية، ومن الخطأ عدم التفريق بينهما، كما أن من الخطأ تفضيل حضارة على حضارة بصورة مطلقة دون قيد أو شرط ، إذ أن كل حضارة تمثل نفسية خاصة هى وليدة عوامل مختلفة ، ومن الخطأ كذلك أن نتكلم عن حضارة أوربية بصورة عامة ، إذ أن بين شعوب أوربا من البون الشاسع كما فى شعوب البلقان ما لا يسوغ لنا إطلاق هذا التعبير . كما أن من الخطأ نكران الحضارات الأخرى، ولدينا أمثلة من الحياة اليومية لا تنكر

جواد على

خريج جامعة هامبرك بألمانيا

(١) Becker فى كتابه دراسات إسلامية ص ٤٢ Islamstudian

(٢) انظر كتاب S. Singer Arabische und Europaische Poe-sie in mittelalter المطبوع سنة ١٩١٨ وكذلك كتاب Burdachs المعروف بـ Über den Ursprung des mittelalterlichen minnesan-ges و Liebesromans und Frauendienstes المطبوع سنة ١٩١٨ كذلك كتاب الاسبانى Miguel Asin Palacios المعنون La Esca-tologia muslimana en la Divina Comidia. Madrid 1919

(٣) انظر كتاب الفيلسوف Graf Keyserling الذى ألفه عن سياحته حول العالم بعنوان Das Reisetagebuch lives Philosophen المطبوع سنة ١٩١٩ فى Dartmstal جـ ١ ص ٢١٣ — ١٠ وكذلك Becker جـ ١ ص ٢٤

(١) انظر Becker جـ ١ ص ٢٧

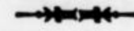
(٢) انظر كتاب — Prof. Pfannmüller Handbuch der Islam Literatur Berlin 1923 فى الفصل الثانى عشر منه

(٣) Becker ص ٢٨ (٤) كذلك ص ٣٥

للنقد الخالص

من عجائب الفهم ...؟!

للأستاذ زكي طليمات
مفتش شؤون التمثيل بوزارة المعارف



للنقد الأدبي اليوم في مصر حركة ونشاط ، وكأن الأدب في مصر ، وقد تأثر بالهزة المنيفة التي أنزلتها الحرب القائمة بالنظم والأوضاع في حياة العالم بأسره ، يختلج اليوم اختلاجات عنيفة ويتحوى وينقبض شأن كل كائن يتهيأ لحركة عنيفة ، أو يتحفز لوثبة قادمة

والحرب والنقد شيء واحد ، فالحرب — كما قرر بعض علماء الاجتماع — وقفة تقفها الإنسانية تراجع فيها نظمها وما كانت عليه ، لتتدارك ما « تضخم » من طفيليات المذاهب ، وتفتح عروقها لتتفصد بما طغى عليها من الأوشاب والفضول ، والنقد في طبيعته ووسائله ومقاصده لا يختلف عن هذا

وقيام هذه الحركة النقدية في مصر اليوم جدير بالاهتمام حري بالتأمل ، يبعث الارتياح في نفس كل تواق إلى أن يرى الأدب في مصر يقتحم مناطق جديدة من النشاط الذهني ، ويعمل على أن يتخلص من علله وأمراضه . فالنقد شاهد على حيوية الأدب ، وفيه ما ينهض دليلاً على أن الذهن يتطلع ، ويؤمل ، ويراجع ، ويتبصر ، وينصب الميزان الصحيح

وآخر ما قرأناه في هذا الموضوع نقد بعنوان « من عجائب الاجتهاد » بإمضاء (ناقد أديب) ، تناول في نقده هذا مسرحية « مفرق الطريق » للدكتور بشر فارس

و « مفرق الطريق » مسرحية أخرجها مؤلفها إلى الناس منذ عامين فدوّت في عالم التأليف المصري دوياً واسعاً ، دفع الأقلام إلى تناولها بين مادح ومستغرب ، وكانت (الرسالة) الغراء معرضاً لما دبجته هذه الأقلام ، وقد كان لي سهم في الكتابة عن هذه المسرحية ، فبسطت دقائقها ، وكشفت عن مفاتنها الخفية ، وبينت أصالتها في الرمزية المستحدثة ، وقررت جدتها في عالم التأليف المصري للمسرحية

قرأت نقد (الناقد الأديب) وكان أول ما عجبت له أن يخرج ذلك المقال متأخراً ، بعد أن مضى على ظهور المسرحية أكثر من عامين ، وبعد أن خبت النار التي اشتعلت حولها . عجبت لهذا ثم عجبت لما هو آخذ من هذا ... مما يصح أن يقف القارئ عليه خلال مطالعة مقالي هذا ليشاطرني عجبي ، ولينتهي إلى ما انتهيت إليه

***

يزعم (الناقد الأديب) أن الفكرة التي تقوم عليها (مفرق الطريق) توافق في جوهرها فكرة فلسفية أوردها (الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد) في قصيدة له عنوانها « القمة الباردة » ويحاول تأييد زعمه هذا بإيراد جمل وألفاظ غير مفهومة ، مقتطعة عمداً من المقدمة التي قدم بها الأستاذ العقاد قصيدته، ومن التوطئة التي مهّد بها الدكتور بشر فارس لمسرحيته ، عبارات ملتقطة في تعسف واقتضاب يجعلها تحتمل وجوهاً من التأويل اللفظي فقط ، قد ينغلق معها المعنى الصريح ، فتنبعث شكوك القارئ . وكأن « الناقد الأديب » ينسى أو هو يتناسى أنه لا يجوز الحكم في قضية بإيراد بعض ألفاظها المنسلخة عن قصد مرسوم

ما هي الفكرة الفلسفية التي تقوم عليها قصيدة القمة الباردة ؟ إلى القارئ نص تقديم القصيدة كما أورده الأستاذ العقاد :

« للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج ، وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء ، لأن حقيقتها كلها ذرات ترجع إلى حركة متشابهة في كل ذرة ، فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ، ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحيّ لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التي لا يشعر فيها بحياة »

وجاءت القصيدة بعد ذلك ، وأبياتها في وصف هذه القمة :

هنالك لا الشمسُ دوّارةٌ ... ولا الأرض ناقصةٌ زائدة
ويابؤس فانٍ يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة ... وحيٌّ له جثة هامدة
إلى النور ، أمّا ثلوج الذرى ... فلا خير فيها ولا فائدة

والمقصود بثلوج الذرى : حياة الفكر المجرد ، والمقصود بالنور حياة الفكر العملي

وهكذا نرى أن القصيدة ، تقديماً وشعراً ، ما هي إلا عرض وتحليل لمذهب من مذاهب المعرفة . ومسألة المعرفة

La connaisasnce تتعلق بالفلسفة العامة أو ما وراء الطبيعة ، بل إن هذا المذهب الفلسفى بالذات هو مذهب مشهور وصاحبه الفيلسوف الألمانى (كانت Kant) الذي قيد الوصول إلى اليقين بنظريته (النسبية Relativisme) أو (القيسة)[1] القائمة على تحديد إدراك العالم الخارجي ، وهو ينفى أن تستطيع الحواس إدراك الأمور المطلقة أو الحقائق فى ذاتها ، فالمعرفة فى نظر (كانت Kant) نسبية وظاهرة ، قوامها الفهم أو البديهة ، وأدواتها الحواس ؛ فالفكر يُلبس المعرفة شكلها دون المادة ، وأما المادة نفسها فهى فوق إدراكنا وإن كانت موجودة حقاً[2]

وهذا ما فسره الأستاذ العقاد بالذات فى مقدمته بقوله : « لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة » !

وأما ما وراء ذلك من طلب المعرفة — وطريقة الفكر المجرد الخالص من فعل الحواس — فيلقى بالمرء فى قمة لا متسع فيها لعمل الفكر ، خارجة عن الحياة « لا الشمس هنالك دوّارة ، ولا الأرض ناقصة زائدة » فإذا المرء : « ربٌ بلا قدرة ، وحىٌ له جثة هامدة »

وخير للمرء أن ينزل إلى النور ، أى إلى الأخذ بظواهر الدنيا ليستطيع أن يلمسها ويدركها ، فيحيا على قدر ما ركب فيه من إدراك وفهم

هذا ما أراد قوله أستاذنا الكبير العقاد ، وهو من أحسن الشعر وأجوده وأبعده معنى

وبين هــذا المذهب وما نزع إليه فى بعض مسرحياته (هنريك إبسن) زعيم المسرحية الحديثة وشائج قربى ونسب . ومن درس (إبسن) يعرف (قممه المثلوجة) أو قممه الباردة

ولا لوم ولا تثريب على أستاذنا العقاد أن يورد قصيدة من شعره تحمل فى طياتها نزعات فلسفية لمدرسة معروفة . فليس كل شاعر أو أديب مهما نبه ذكره وعلا شأنه بصاحب مدرسة فى الفلسفة système phylosophique والأدب الذى يجفوه لمسات المذاهب الفلسفية الرفيعة هزيل فى كيانه قريب فى معانيه . وإنه لأمر مقبول ـ بل وواجب ـ أن يمتنق الكاتب والفنان مذهباً من المذاهب الفلسفية الرفيعة ؛ وهذه هى حالة كبار الأدباء فى أوربا ، فالكاتب ويلز من الآخذين بفلسفة النشوء والارتقاء كما بيّن ذلك الأستاذ (على أدهم) فى عدد قريب من أعداد « الثقافة » ؛ و (بيراندللو) متأثر بأعمال (فرويد) وكذلك (ليونورمان) و (أندريه جيد)

* * *

والنر الآن ما ذا أراد أن يقرره بشر فارس فى مسرحية : « مفرق الطريق »

تقوم هذه المسرحية على معالجة حالة نفسية غامضة ، أو على تعقيد نفسى complexe psychologique ، كما يقول علماء النفس اليوم ، مُفادُها : المرأة التى يجذبها الحب وتخاف منه ، والرجل الذى يريد الحب ولا يعرف قدره ، ثم الرجل الذى يريده ولا يستحقه . وهذه قضية من قضايا النفس البشرية ، لا علاقة لهــا بالمسائل الفلسفية الصرفة اللاحقة بنظرية المعرفة واليقين ، وما يدخل فى باب ما وراء الطبيعة[1] الذى أورده الأستاذ العقاد فى قصيدته ، ومرده إلى فلسفة (كانت)

والمذهب الذى نزع إليه بشر فارس فى مسرحيته ، قد بسطه فى توطئة مسرحيته بسطاً محكماً ، إذ قرر أنه آخذ بالطريقة الرمزية فلسفة وأدباً وفناً ، فقال فى صحيفة ٦ : « وليست الرمزية ههنا بموقوفة على الرمز بشىء إلى شىء آخر ، ولكنها فوق هذا استنباط ما وراء الحس من المحسوس ، وإبراز المضمر ، وتدوين اللوامع والبواده بإهمال العالم المتناسق ، المتواضع عليه ، المختلق اختلاقاً يكد أذهاننا ، طلباً للعالم الحقيقى الذى نضطرب فيه ، رضينا أو لم نرض ، عالم الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجماد المتأهب للتحرك ، إلى ما يجرى بينها من العلاقات الغريبة والإضافات التائهة فى منعطفات الروح ومثانى المادة ، يشترك فى كشفها الإحساس الدفين والإدراك الصرف والتخيل المنسرح »

فالمذهب الفلسفى عنــد بشر فارس غير المذهب الفلسفى عند الأستاذ العقاد

---

(١) والنسبية هنا هى غير نظرية النسبية Relativité عنــد العلامة (أينيشتين) طبعا .

(٢) راجع لـكل هذا أى كتاب فى الفلسفة ، مثلا (دروس فى الفلسفة ، الجزء الثانى) (نظرية المعرفة واليقين) للعلامة A. Rey الأستاذ بكلية باريس . الناشر Reider بباريس ١٩٢٧

(١) métaphysique

(العقاد) مذهبه النزول إلى ظواهر الدنيا والاطمئنان إليها من غير أن يهمل الحقائق كل الإهمال ، و (بشر فارس) مذهبه الاعتماد على البصيرة والإحساس الدقيق والإدراك الصرف مع إهمال ظواهر العالم وطلب خفاياه وبواطنه ، وهذا من المذهب الباطنى أو التصوفى ، وهو مذهب معروف عند أفلاطون وبلوطنيوس والمتصوفة على أشكالها ، وقد أحكم أمره أخيراً الفيلسوف الفرنسى (برجسون Bergson) وأيدته تجارب عدد من العلماء والأطباء فيما يتعلق بالعقل الباطن . وقد أسهبت فى تبيين هذا المذهب فى المناقشة التى دارت بينى وبين بشر فارس نفسه فى (الرسالة) منذ عامين

وقد أحدثت آراء (برجسون) بدورها تيارات واسعة تأثر بها كثير من الكتاب ، وأحدثت نوعاً من أنواع الشعر الرمزى فى فرنسا

فأين بصيرة (برجسون) التى أخذ عنها بشر فارس فى معالجته قضية من قضايا النفس البشرية ، وذلك فى مسرحية (مفرق الطريق) ، من المسائل الفلسفية الصرفة اللاحقة بنظرية المعرفة واليقين للفيلسوف (كانت Kant) التى تأثر بها الأستاذ العقاد فى قصيدته (القمة الباردة) ؟

إذن يكون حقاً من عجائب الفهم أن يتهم (الناقد الأديب) بشر فارس بأنه أخذ مسرحيته هذه من تلك القصيدة

ويكون أيضاً من عجائب الفهم ومدهشاته أن يلج (الناقد الأديب) فى اتهامه هذا ، محاولاً أن يقيم الشواهد على ما ذهب إليه ، فإذا هو يتعسف ، بل هو يغالط ولا يبالى أن يحرف المسائل عن مواضعها ، فقال إن فى قصيدة العقاد يعيش العقل متجرداً من الشعور فى عالم ثلجى لا يشعر فيه بحياة . فأين ورد هذا فى قصيدة العقاد وتقديمها ؟؟

كذلك أورد (الناقد الأديب) ألفاظاً كالعقل والشعور والثلج ، وقد غاب عن ذهنه أن الثلج عند (العقاد) رمز إلى ابتعاد المرء عن ظواهر الدنيا وتقربه من الحقائق وتمسكه بالفكر المجرد . هذا فى حين أن (الثلج) عند بشر فارس ، رمز إلى خلاص النفس من ألم الإحساس البشرى

وتورط (الناقد الأديب) فيما هو أدهى من هذا ، وهو يحاول أن يقرب مسرحية (مفرق الطريق) من قصيدة (القمة الباردة) للعقاد فنسب تصميم رسم غلاف المسرحية إلى بشر فارس نفسه ، والواقع أن صاحبة الرسم فنانة باريسية اسمها « سوزان جوفروا » كما هو موضح فى الصفحة الأولى من المسرحية المطبوعة . وقد شرح المؤلف وضع المسرح فى (التبيين) الذى صنعه للمسرحية (ص١٤٠) مشيراً إلى رمز الغلاف ، ولم ترد فى تبيينه كلمة « قمة » ولا « غور »

بعد هذا يأتى اتهام آخر له وزنه فيقول (الأديب الناقد) إن الصراع « بين العقل والشعور » وهو مما ورد فى مسرحية بشر فارس ، منقول بإطاره من قصيدة للشاعر على محمود طه المهندس عنوانها « قلبى »

والرد على هذا أن الصراع بين العقل والشعور حقيقة من حقائق النفس البشرية ، فهى عامة ومبذولة لكل كاتب ، وما نعرف كاتباً أو شاعراً — إلا فيما ندر — لم يبن على هذه الفكرة بعض مؤلفاته . وإلى القارئ أعمال (راسين) الفرنسى و (شاكسبير) مثلاً شاهدة على ذلك . وما (الشاعر المهندس) إلا واحد ممن أخذوا بهذه الفكرة العامة . وستبقى هذه الفكرة ، كما كانت دائماً ، معيناً يأخذ منه الكتاب ما دامت النفس البشرية لم تتغير ، وما دام الكتاب يعنون بتسجيل خفايا هذه النفس

وإن صح ما ذهب إليه (الناقد الأديب) فى هذا الصدد ، يكون الأستاذ الكبير توفيق الحكيم الذى أقام مسرحيته الرفيعة « شهر زاد » على فكرة الصراع بين المادة والروح قد سلخ هذه الفكرة ممن سبقه إليها فى الأدب العالى ويكون الحال كذلك فى مسرحيات (إبسن وشكسبير وبيراندللو) الذين أقاموا مؤلفاتهم على حقائق النفس البشرية

إن المعانى والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس فهى دوارة فى نفس الجاهل والسوق ، والمتعلم والأديب ، وإنما العبرة بطرائق معالجتها وبالكسى التى تضفى عليها من حيث حسن التأليف وجودة التركيب والابتداع ، والنفس المبتكر الخلاق ، وهنا مجال التفاوت بإبراز الشخصية الكاملة المستقلة ؟ ومن هنا يتأتى الخلود الذى يتوج أعمال الشعراء والكتاب والفنانين .

زكى طليمات

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

البلقان

يجتاز الحرب الآن فترة هدنة قصيرة ، تنتظر فيها الأداة الحربية نتيجة المباحثات السياسية ، فهى فترة صراع عقلى قاس ، يتناول خريطة العالم بأجمعها ، فالمباحثات السياسية دائرة فى روما وبرلين وطوكيو ولندن وموسكو ووشنجطن ، وتتناول موضوعاتها مستقبل الدول فى العالم القديم والجديد

ولكن أبرز هذه المباحثات وأكثرها جذباً لأنظار العالم ما يدور حول البلقان ، تلك البقعة التى تنبأ لها العالم قبل أن تنشب الحرب بأنها ستكون مسرح نضال عنيف ؛ ودامت الحرب عشرة شهور والبلقان تترقب ما تكشف عنه الأيام والحوادث. فهل تكشف الحوادث الأخيرة عن مصير (نصف دستة) من الدول؟ وهل ينتقل ميدان الحرب إليها أم تتولاها يد الاتفاقات السياسية بالبتر والترقيع ؟

هذه أسئلة لا تسهل الإجابة عنها ، فالسياسة تلد كل غريب، والمناورات الحربية تخلق المتناقضات ، ولا نستطيع أن نجزم إذا كانت المناورات السياسية الحالية مناورات عسكرية يقصد بها شغل الرأى العام عن حركة عسكرية تمد ، أم أنها مباحثات سياسية فعلاً ؛ فالحرب الآن لا تقتصر على البندقية والمدفع ، ولكنها تمتد إلى الحالة المعنوية للشعوب

نصيب الأسد

وعلى أية حال ، فالبلقان الآن فى كفة القدر ، تتطاحن من أجلها دول أوربا الدكتاتورية علناً، وإن كانت تذيع فى الوقت نفسه أنها متفقة كل الاتفاق ، وقد تتفق سياسياً كما قالت الأنباء البرقية ولكنه سيكون اتفاق الإكراه ، لأن الروسيا سواء اتفقت أم لم تتفق ستخرج من الغنيمة « بنصيب الأسد » ، وستضطر إيطاليا إلى ابتلاع أمانيها والتخلى عن أطماعها التى طالما رددها موسولينى ، وسترغم ألمانيا على نسيان وعودها . فالموقف الآن غير ما كان من سنة ، فقد رق الآن قناع ستالين وبانت من خلفه أنياب أقسى مما كان موسولينى وهتلر يظنان ، وأصبح لروسيا وحدها تقرير مصير تلك الدول

أما انجلترا فيبدو للناس أنها تتفرج ، وربما كان هذا صحيحاً ، فالانتظار فى مثل هذه الأحوال أصلح من التسرع ، لتكشف كل من هذه الدول عن نياتها ، حتى يتاح لانجلترا أن تعمل ، وعندئذ تضرب ضربتها فى الصميم ؛ فقد تأخرت دول البلقان فى العمل ، وكم نادى ساسة الإنجليز باتحاد تلك الدول ، ولكنها ظنت سلامها فى الحياد وتمسكت به ، إلى أن حانت اللحظة التى صار الحياد فيها انتحاراً ، وأصبح اتحادها قليل القيمة ، بعد زوال القوة العسكرية الفرنسية من الميدان ، وبعد ما فرغ الجيش الألمانى من أعماله البرية ، واستتب له الأمر فى ميدان أوربا الغربى ، فأصبح جزء كبير من وحداته مطلق السراح

وبرغم الأحداث الأخيرة ما زالت مصالح انجلترا فى البلقان راجحة ، وما زالت تركيا واليونان مواليتين لها ، ووقفت يوجوسلافيا صامتة

رنين النقود

وما كادت الروسيا تستولى على بسارابيا وشمال بكوفينيا حتى هبت « بلغاريا » و « هنغاريا » تطالبان بنصيبهما ؛ الأولى تطالب بترانسلفانيا ، والثانية تطالب بدوبروجة ؛ فقد صبرتا طويلاً وضحتا كثيراً ، وهما فى معاملاتهما تحدوهما غاية واحدة تنطبق على مثل بلغارى يقول : « إن أحب الموسيقى إلىّ هو رنين النقود التى تملأ كيسى »

فهل ملأت معاملات ألمانيا مع هاتين الدولتين فى الفترة الماضية كيسهما نقوداً ؟ الحقيقة أن الفترة الماضية كانت فترة تضحية من جانب الدولتين ، فكانتا تقدمان لألمانيا محصولات بلادهما مقابل بعض المنتجات الألمانية الناقصة أو القليلة القيمة ، وكانتا ترسلان إليها المواد الغذائية وتستوردان مدافع تنقصها الذخيرة ، وآلات كاتبة أو أدوات تصوير ، فقد تحفظت ألمانيا فى تسليح هاتين الدولتين حتى لا تكونا خطراً يهددها إذا حانت ساعة الفصل

وها هما تان الآن تطالبان بالثمن ، ولا شك أن الفترة الحالية أحسن فترة تتاح لهاتين الدولتين لمواجهة ألمانيا التى من مصلحتها أن يستقر السلام فى مخزن مؤونتها فى البلقان ،

فرومانيا متأثرة بصدمة الروسيا وألمانيا تريد التفرغ لانجلترا ولا تريد شغل نفسها في ميدانين ، والروسيا متحفزة لتنفيذ خططها غير مقيدة باتفاق أو تعهد إلا مصلحتها الخاصة

وتنتهز الروسيا — كما شاهدنا حتى الآن — الفرص للعمل فتترك الدول تتطاحن حتى إذا قررت عملاً سبقتها إلى الحصول على ما تريد وتضعها أمام الأمر الواقع ، وأهم أغراض الروسيا في البلقان أولاً : الاستيلاء على آبار البترول في رومانيا ، وثانياً : الوصول إلى مضيق البوسفور والدردنيل كما قلنا من قبل ، ونجاحها في الحصول على هذه الأغراض رهن بالظروف التي تمدها الدول المتطاحنة

نصيب إيطاليا

وانحط مركز إيطاليا في التطاحن الحالي ، فبعد أن كان لها صوت مسموع ومركز محترم في البلقان أصبحت كلمتها ثانوية ومن قبيل الاستشارة فحسب ، إذ أصبحت تابعة لهتلر تستمد من خططه خططها ، واضطرتها ظروف الحرب الحالية إلى الخضوع للخطط الألمانية خضوعاً تاماً

وقبل أن تنغمر إيطاليا في سياسة المحور كانت ذات أطماع كبيرة ، ولم يكن استيلاؤها على ألبانيا إلا خطوة لاعتبارها من من دول البلقان ، فمن ألبانيا فتح أمامها الطريق إلى بلاد اليونان ويوجوسلافيا ، فضلاً عن أنها أتمت سيطرتها على بحر الأدرياتيك ووضعت منافذ يوجوسلافيا البحرية تحت سلطتها ، فإن مضيق أترنتو لا يتجاوز طوله ٤٠ ميلاً يسهل إقفاله بالألغام أو السيطرة على منبع مائه بالمدافع الساحلية

ويرجع اهتمام إيطاليا بالبلقان إلى ما قبل الحرب الماضية ، فكانت المنافسة بينها وبين الامبراطورية على أشدها في البلقان وخصوصاً في ألبانيا ؛ فأنشأت كل منهما عدة مدارس لنشر ثقافتها في تلك البلاد ، وكانتا تتنافسان في جذب الطلبة إلى معاهدهما فتقدمان لهما الملابس والغذاء مجاناً ، وكانت كل منهما تحرص على عدم إغضاب الطلبة وتوقيع العقوبة القاسية عليهم حتى لا ينتقلوا إلى مدارس الأخرى

ولسياسة إيطاليا القديمة يفضلها البلقانيون على ألمانيا ولكن ضعف إيطاليا الحالي واعتمادها على ألمانيا دفعا بالدول البلقانية إلى الارتماء في أحضان ألمانيا لحمايتهم من أطماع الروسيين

ولا نستطيع أن نجزم الآن بما سينتج من الحادثات الدبلوماسية التي تدور الآن، ولكنه من الواضح أن الدولتين اللتين تسعيان لسيطرتهما على دول البلقان هما الروسيا وألمانيا ، فرومانيا تستغيث بألمانيا وتقدم لها فروض الطاعة ، وتيسر لها التجارة أملاً في حمايتها ، ولإيجاد مصالح قوية تحتم على ألمانيا الدفاع عنها

ولا نعتقد أن أنباء الاتفاق الأخير بين رومانيا من ناحية والمجر وبلغاريا من الناحية الأخرى على إعطاء الدولتين الأخيرتين بعض ما تطمعان فيه في رومانيا اتفاقاً نهائياً ، فهو كما يبدو لنا مجرد تهدئة أعصاب لا يلبث أن يمحى عند ما تضع الحرب أوزارها، لأن معناه أن تخرج ألمانيا من البلقان صفر اليدين وهذا ما لا ترضاه، إذ من الراجح أن تكون يوجوسلافيا من نصيب إيطاليا بحكم قربها منها ولطول سواحلها على بحر الإدرياتيك مما يهدد سيادة إيطاليا البحرية في الصميم ؛ والغالب أن تنقض ألمانيا هذه الاتفاقات عند ما تسنح لها الفرصة لتحقق أطماعها في البلقان سواء بالسيطرة التجارية أو العسكرية

***

فرنسا تعتنق الهتلرية

نعم فرنسا التي كانت تدين منذ عهد الثورة الفرنسية بمبادئ الحرية والمساواة والإخاء ، تقبر الآن الحرية والمساواة والإخاء لتقلد الهتلرية ، فينادي قادتها بالديكتاتورية ويدعون إلى ترك المبادئ التي طالما كانت تضيء للعالم سبل المدينة والتقدم ، لترجع إلى مبادئ القبيلة ، لتقدس الأسرة بعد ما كانت تقدس العالمية ، وتعمل للفرد بعد ما كانت تعمل للعالم ، فتنكمش مثلها العليا من التعميم إلى التخصيص ، وتنحصر أفكارها فبعد ما كانت تقود العالم بآراء مفكريها ، ومبادئ أهلها ، تزول عنها الصبغة الدولية لتحل محلها صبغة الأسرة

وسبقتها ألمانيا في هذا السبيل من قبل ، وفي مثل ظروف الهزيمة واليأس التي تعانيها فرنسا الآن ، ولكن ألمانيا في عهد غليوم الثاني كانت أقرب إلى الدكتاتورية منها إلى الديمقراطية ؛ تكونت في عهد ولهلم الأول وبسمارك دولة حديثة العهد لم تتم وحدتها إلا بعد حرب الأمم ، فلم يتعاقب على وحدتها جيلان حينما حلت بها كارثة الحرب العظمى ، ولم يشعر أهلها حتى ذلك الوقت بثقل وطأة النظام الفردي ، فلم يقدموا لمبادئ الديمقراطية

ما قدمت فرنسا من ضحايا ، ولم يحطموا من مظاهر الظلم والجور ما حطم الفرنسيون فى سجن الباستيل ، ولم تمر بهم خطوات التقلب من الملكية المطلقة ، إلى حكومة الإدارة ، إلى الإمبراطورية إلى الجمهورية

لم تتقلب ألمانيا المتحدة فى تجارب أنواع الحكم من جمهورية وامبراطورية كما تقلبت فرنسا ، فلم يتول حكم ألمانيا إلا عاهلان قيصر لولهلم الأول بناء وحدتها ، وجاء غليوم الثانى فكان نكبة عليها ، وظل الاتحاد الجرمانى طول عهده بالحياة فى ظل الحرب وللاحتفاظ بالوحدة ، ولم يفكر أهله تفكيراً جدياً فى نظام الحكم الملائم

تقليد غير موفق

فهل ينطبق هذا على فرنسا التى عاشت القرون الطويلة متحدة تجرب ألوان الحكم من فردية مطلقة ، إلى فردية مقيدة ، إلى حكومة شعبية ؟ وهل يستطيع الفرنسى أن ينزع من قلبه حب الحرية ليعيش مقيد الحرية ، محصور التفكير ، تعد عليه أنفاسه وتفرض عليه تصرفاته كما يريد هتلر ونصيره بتان ؟

كلا . إن حب الحرية فى دم كل فرنسى ، فإذا شغلته النكبة الحالية عن مبادئه ، فلن يلبث أن يعود إلى رشده ويذكر حريته عند ما تستقر الحال ، فالصدمة الحالية لن تسلب الفرنسى الحقوق التى سطرها بدمه ، فهو الآن فى نوبة من الغيبوبة التى تزول عند ما تزول الصدمة

وهذه المظاهر التى أعلنها المارشال بتان إنما هى تقليد أعمى يخالف الثقافة الفرنسية ، ويتنافر مع طريقة المعيشة الفرنسية ،

ولعل الدافع للمارشال بتان على هذا التقليد ما رآه من تشابه بين حال فرنسا الآن وحال ألمانيا عقب الحرب الكبرى ، من انهيار استقلال أمته وتغير أقيسة المعيشة فيها ؛ فإذا كانت هذه نظرته ، فقد فاته ما بين الشعبين من اختلاف فى التقدير والحالة العامة

فقد خرجت ألمانيا من الحرب الكبرى بعد نضال دام أربع سنوات أ كل الأخضر واليابس ؛ فأنهكت موارد البلاد حتى عم الجوع وتضخم النقد حتى فقد قيمته الشرائية ، وأصبحت ألمانيا فى حالة إفلاس ، وانتشرت البطالة والشيوعية بين الشعب ، فلم يجد الناس عملاً يكتسبون الرزق من ورائه ، وظهرت الفتن والثورات

تشغيل العاطلين

فى هذه الظروف برز هتلر فوزع الوعود ما وسعه الكلام ، وما سمحت به الاستعارات ؛ وكان الشعب فى حالة اضطراب ، لا يصدق أنه خسر الحرب بعد ما بذل من جهد ومال ، فقال لهم : ما جذبهم إليه إذ اتهم اليهود بأنهم سبب خسارة الحرب بما نسجوا من دسائس ومؤامرات

وزاد على ذلك أن استدرج الشعب لجمل من حزبه مكتباً لتشغيل العاطلين ، وعلى هذا الأساس بنى حزبه ، متوسلاً إلى تحقيق برنامجه باضطهاد اليهود وفصلهم وإحلال الألمان محلهم ، وبتكوين فرق مقاتلة تحمى المصانع الكبيرة من جهة ، وتكره أصحاب الأعمال على إطاعته من جهة ثانية

فهل هذه حال فرنسا الآن ؟ هل عمت البطالة فرنسا وانهار نقدها وجاع أهلها ؟ إن فترة الحرب كانت قصيرة فلم تمهد لهذه الأحداث ؛ وفرنسا دولة قليلة السكان لم يشك أهلها كما شكى العالم من أزمة البطالة الحادة فى السنوات الماضية

استقرار الحكم

فليس للشعب الفرنسى من الأسباب ما يدفعه إلى كره مبادئه والسخط عليها ، وإذا كانت هناك أخطاء فهى أخطاء القادة من أمثال بتان ؛ أضف إلى ذلك أن نصر ألمانيا لم يتم ، وما زالت انجلترا فى الميدان ، وما زال دى جول يمثل الشعب الفرنسى ، وفى نصر انجلترا خلاص فرنسا من كارثتها الحالية

فتجربة بيتان تجربة وقتية لن تلبث أن تزول ، لأنها لا تقوم على أسس صحيحة ، ولم يبلغ بأس الشعب الفرنسى حده ليترك مبادئه السامية ويشايع الهتلرية ؛ وإن كانت هناك أخطاء فى عدم استقرار الحكم

فليحاول هتلر أن يقلب رجال الحكم ويضع مكانهم رجالاً نازيين ، وليحاول بيتان أن يجاريه فى تنفيذ هذه السياسة ماوسعته المجاراة فإن فرنسا لم تصدم الصدمات التى تنسى شعبها حبه للحرية والمبادئ التى ضحى من أجلها

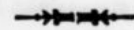
فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة

من نار الوطن

يا « مصـــــــر » ...

... يا أنشودة الدنيا !

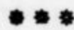
للأستاذ محمود حسن إسماعيل



نَاداكِ مَجْدُكِ فاسْتَجِيبي !   وامْشى لهُ فَوْقَ اللّهيبِ !
وَتَجَشَّمِى لِعُـلاهُ نِيـرانَ الشَّدائِدِ والْخُطوبِ
وَثِبى لَهُ أَيَّانَ شَا   ءَ، وَلَوْ عَلَى كَبِدِ الْغُيُوبِ
صَفًّا مِنَ الأَبْطالِ يزْ   حَفُ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْقُلُوبِ
نَشْـوَانَ يَهْزَأُ بالْمَنا   يا الْحُمْرِ فى الْيَوْمِ الْعَصِيبِ
وَيُزَلْزِلُ الأَيَّامَ إنْ   لَقِيَتْهُ عادِيَةُ الْكُرُوبِ ...
هُـبِّى كَطَاغِيَةِ الرِّيا   حِ، وَثَوْرَةِ الْبَحْرِ الْغَضُوبِ
يا « مِصْرُ » قَدْ دَوَّى النَّفِيـرُ عَلَى ضِفَافِكِ فاسْتَجِيبى
واسْتَنْهِضِى النُّـوَّامَ فى   زَمَنِ التَّحَفُّزِ والوُثُوبِ
زَمَنٍ نَرَى الدُّنيا بهِ   سَبَّاحَةً بِدَمٍ صَبِيبِ
والدَّهْرَ مِثْـلَ سَرِيرَةٍ   نَاءَتْ بِأَعْبَـاءِ الذُّنُوبِ
غَشَّتْ عَلَى أَرْجَائِهـا   ظُلَمُ التَّشَكُّكِ والرُّيُوبِ
والشَّرُّ ، والْقَلَقُ الْمُفَزَّ   عُ لِلْمَضَاجِعِ وَالْجُنُوبِ !
والأَرْضَ مِثْـلَ سَفِينَةٍ   رَعْنَاءَ فى يَمٍّ قَطُوبِ
حَـيْرَى تُضَلِّلُها الرِّيا   حُ عن الْمَسَالِكِ والدُّرُوبِ
فى الشَّرْقِ، فى الْغَرْبِ الْمُرَوَّ   عِ، فى الشَّمالِ، وفى الْجَنُوبِ
لَيْلٌ تَرَصَّدَ أُفْقَهَـا الدَّا   جِى بِإِعْصَـارٍ رَهِيبِ
ورَدًى يَقولُ لهـا : أَثِمْـتِ فأَقْبِلِى عِنْدِى وَتُوبى
هـاتى الدَّمَ الْمَسْفُوكَ مِنْـكِ وَأَتْرِعى قَدَحى وَكُوبى !
فَمَضَتْ تَخَبَّطُ فى الْقَتَـا   مِ بِحَيْرَةِ الطِّفْلِ الْغَرِيبِ
رُبَّانُهـا « عِزْرِيلُ » فانْـ   ظُرْ هَوْلَ مَصْرَعِها الْعَجِيبِ !



يا « مِصْرُ » حَوْلَكِ مِرْجَلُ الْـ   آفَاقِ مُضْطَرِمُ الشُّبوبِ
رِيحُ الْحُروب عليه فى الدُّنْـيَا مُجَلْجِـلَةُ الْهُبوبِ
مَعْتُـوهَةُ الْخُطواتِ تَعْـصِفُ بالْخَصِيبِ وَبالْجَدِيبِ
هَبَّتْ وَشَمْسُ الْعَصْرِ فى   سِرْبالِ بَهْجَتِها الْقَشِيبِ
فإذا بها أَشْـلاءُ لَيْـل   فاجِعِ الرُّؤْيا كَئِيبِ
حَفَرَتْ له قَـبْرَ الحضا   رَةِ فِتْنَةُ الْعَقلِ الْمَرِيبِ !!



يا « مِصْرُ » يا أُنْشودَةَ الدُّ   نيـا وَأُغْنِيَـةَ الشُّعوبِ
يا أُمَّ أبطـال الفُنُو   نِ وَأُمَّ أَبْطال الْحُروبِ
يا أَرْغُنَ التَّارِيخِ ، يا   نَغَمًا مِنَ السِّحْرِ الْمَهِيبِ
يا جَنَّـةً تَهْـتَزُّ بالْـ   أَسْرار بَيْنَ شَذًى وَطِيبِ
مِنْ كلِّ مُعْجِزَةٍ يَنُو   ءُ بِوَحْيِها قَـلَمُ الْغُيُوبِ
وَتَمِيلُ عَنْها حِكْمَـةُ الْـكُهَّانِ شَـلَّاءَ الدَّبِيبِ ...
وَالسِّحْرَ تُفْزِعُـهُ طَلَا   سِمُها فَيُمْعِنُ فى الْهُرُوبِ
وَالشَّمْسُ تَخْشَعُ فى ثَرَا   ها فى الشُّروقِ وفى الغُروبِ
آثارُ قَوْمٍ أذهَـلوا الدُّ   نيـا بِفَنِّهِمُ الْعَجِيبِ
وَبِما أَفاءُوا مِنْ ظِلَا   لِ الْمُلْكِ وَالْمَجْدِ الرَّحِيبِ
وَبِما بَنَوْا لِلنِّيـلِ مِنْ   عِزٍّ بِمَوْجَتِهِ خَضِيبِ ...
النِّيـلُ ! مِرْآةُ النُّجو   مِ وَكَهْفُ عَالَمِها الرَّهِيبِ !
بَلْ قِصَّـةُ الشَّمْسِ التى   تَتْلُو بها شَجَنَ الْمَشِيبِ
وَتُذِيبُ أَحْزانَ الأَشِعَّـةِ فَوْقَها عِنْدَ الْمَغِيبِ ...
وَقَصِـيدةُ الشَّرْقِ الْمُعَطَّـرَةُ المطَهَّـرَةُ الطُّيوبِ
جَمَعَتْ عَلَى أَنْغَـامِها   شَـتَّى مُنًى وَأَسَى قُلُوبِ
وَتَنَفَّسَتْ بالْحُبِّ بَيْـنَ شَذَى رُبًى وَهَوَى شُعُوبِ
النِّيـلُ ! غَابُ الفاتِحِيـنَ الصِّيدِ غِيلَانِ الْحُروبِ !

يا خَيلَ « رَمْسِيسَ » اصْهَلِي ... وَبِجَيْشِكِ الـآتى أهِيبِي
قُومِي اذكُرِى أهْوالَ جُنْـدِكِ فَوْقَ نيرانِ الشُّهُوبِ ...
يا سَيْفَ « إبْرٰهِيم » عُدْ ... فَوْقَ الحِمَى أمْضَى خَطِيبِ
فاليَـوْمَ يَوْمُكَ يا حَدِ ... يدُ ، وَيَوْمُ فُرْسانِ اللَّهِيبِ
يَوْمُ الجِبَـالِ الزَّاحِفا ... تِ مِنَ المَنايا وَالكُرُوبِ
يَوْمٌ جَهَنَّمُ لَوْ رَأتْـهُ لَرَاعَها هَوْلُ الوَجِيبِ ...
فَقِفِي لَهُ يا « مِصْرُ » واضْطَرِمِى بِأرْزَاءِ الخُطُوبِ
ضُمِّى يَدَيْكِ عَلَى الجِرا ... حِ وَألْفِي بَيْنَ القُلُوبِ !
وامْشِى عَلَى البَأسَاءِ سَا ... خِرَةً بِأهْوالِ الحُرُوبِ
وامْضِى ... فَتاجُكِ فى السَّمـاءِ مَنارَةُ الوَطَنِ الحَبِيبِ
يا كَعْبَةَ الأحْرارِ رَنَّ ... هُتافُ شاعِرِكِ الطَّرُوبِ
« وَدَعاكِ مَجْدُكِ فاسْتَجِيبِي ... وامْشِى لَهُ فَوْقَ اللَّهِيبِ »
« يا « مِصْرُ » يا أنْشُودَةَ الدُّنْـيَا وَأغْنِيَةَ الشُّعُوبِ ! ! »

(القاهرة) محمود حسن اسماعيل
مراقبة الثقافة — بالمعارف

هذا العالم المجنون

للأستاذ يوسف أسعد

إلى السِّلْم يُدعى فلا يسمعُ ... ويُعطى الكثير فلا يقنعُ
وتأبى سياسته أن تعفّ ... ففى كل غنمٍ لها مطمع
تدبُّ دبيب الكرى فى الجفون ... ومن خلفها عقرب تلسع
وتصحو على الدم ظمأى إليه ... وبالدم تحلم إذ تهجع
فلا قيمة عندها للعهود ... ولا رحمة بالورى تشفع
ومن ألِفت نفسه الموبقات ... فهيهات عن غيّه يرجع
لذا كان عدّته فى الحياة ... وشاغله « التفنك » والمدفع
فللحرب أزواجها الأمهات ... وأرحامهن وما تدفع
وللحرب ما يُنتج الزارعون ... وللحرب ما يُخرج المصنع
ومن بعدُ فليُنكب الأبرياء ... وتُنتزع الهامُ والأذرع
ويكتسح الخوف دُور الأمان ... فلا يستقرُّ بها مضجع
علا الأرضَ فى الجوّ فوق الخضم ... ومن تحت أسلحةٌ شُرَّع
جنونٌ فشا فى جميع الجهات ... فلم يخلُ من شرّه موضع
وماضاقت الأرض بالساكنين ... ولا غاض من رزقها منبع
ولو سبر الناس غور الأمور ... لما فاتهم أيُّها الأنفع
ولكنها نزوةُ الفاتحين ... طغى جارفاً سيلُها المترع
فظيع من الناس سفك الدماء ... وإصرارهم حدَث أفظع
وشرُّ الخلائق حوت يعبُّ ... من البحر عبًّا ولا ينقع
وأفقدهم الشعور بصير ... يمرُّ على الدم لا يخشع
فيا مذكياً نارها فى الضلوع ... وما لك فى نارها أصبع
إذا شبع الوحشُ عفّت يداه ... وبالضدّ وحشك إذ يشبع
ستدرى فظاعة ما قد جنيت ... متى سكن العاصف الزعزع

(المنصورة) يوسف أسعد

البلبل

[مهداة إلى نجيّ « البلبل » الأستاذ حسين عفيف]

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

بُلبلَ الوادى استفِقْ فالدّ ... يكُ قد نبَّـه فجرَكْ
الربيعُ الطلْقُ قد آ ... بَ وما بارحتَ وكرَكْ
والرّياضُ الغِينُ قد أطْ ... لَعْنَ للفتنة زهرَكْ
وحَماماتُ الحِمَى ين ... قلْنَ للأنسامِ شِعْرَكْ
والنسيمُ العذبُ قد أف ... شى إلى العالَمِ سِرَّكْ
عِطرُكَ الحبُّ ... فصبَّ الـ ... آنَ فى الأرواح عِطرَكْ !

***

بلبلَ الوادى تنبَّهْ ... ! ... لِمَ لا تُطرِبُ صُبحَكْ ؟



متفـــرقات

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

من أيام الفاروق

احتفلت مصر يوم الإثنين الماضى بالعيد الدستورى للملك فاروق وللملك فاروق فضل على الفنون الجميلة فيما له من أفضال على سائر نواحى الحياة فى مصر . ومن أنصع أياديه البيض على الفن تشجيعه للتمثيل والشعر تشجيعاً ملحوظاً رائعاً

وإنى أسجل بالفخر لجلالته عدة حوادث لها دلالاتها المسعدة التى تنتعش بها نفوس الفنانين

أما الحادثة الأولى فقد كانت يوم وقف للفاروق فى مقصورته بعد ختام الفصل الأخير من رواية « لو كنت حليوة » التى مثلتها أمام جلالته فرقة الريحانى فى دار الأوبرا ، فقال جلالته لشعب الريحانى الذى هو من شعبه : « أرجو أن تكونوا جميعاً قد أفدتم من هذه الرواية ما يجب أن يفاد منها » ...

وقد كانت هذه الرواية تصور أخلاق نظار الأوقاف ، وبلايا المستحقين فى الأوقاف ، كما كانت تعرض إلى جانب هـذا ألواناً من الدس الشنيع والتآمر الخاطئ فى ثوب مكروه بغيض ...

فكان لكلام جلالته على أثر هذه الرواية معنى ، وكان من هذا المعنى أن جلالته يحب من شعبه أن يعدل إذا حكم ، وأن يزن الحق بقسطاس الله ، وألا يطلب الحق إلا طلباً صريحاً لأن الحق لا يطلب إلا صراحة ، والدس والتآمر للزور

وكان لهذه الحادثة بعد ذلك معنى آخر ، وهو إعجاب جلالته بفرقة الريحانى ، وهى الفرقة التى ظلت تعمل السنوات الطوال فى صبر واجتهاد كانت تنتزع بهما صفوة المصريين نفراً نفراً وهم متحرجون من الاعتراف بالتفوق الفنى « لـكشكش » لا لشىء يحرجهم إلا أنه « كشكش » وليس « عطيلا » ولا « هملت »

ولكن بعد كلمة الملك رفع « كشكش » رأسه بالحق

وأما الحادثة الثانية فقد كانت تمثل فيها فرقة أنصار التمثيل والسينما رواية نسيت اسمها ولكنى أذكر أن موضوعها كان يدور حول الصدق ، وأن أبطالها التزموا الصدق فيها يوماً من أيام المسرح ... وبين فصلين من فصول هذه الرواية تشرف الأستاذ سليمان نجيب بالمثول بين يدى الملك فسأله جلالته : « هل تستطيع

قُمْ إلى الدَّوْحِ وَغَرِّدْ فَلَكَمْ هَدْهَدْتَ دَوْحَكْ
قُمْ إليه فَخُيوطُ الشمـ ـسِ قد داعَبْنَ صَرْحَكْ
غَرِّدِ الآنَ فقد أَسْـ ـلَمْتَ للأَصداءِ نَوْحَكْ
بَلْسَمُ الأيامِ يا با بِلُ قد رَمَّمَ جُرْحَكْ
فَعَلَامَ الصمتُ والحزْ نُ ووجهُ الأرضِ يَضْحَكْ ؟

***

الربيعُ الطَّلْقُ قد آ بَ ، ولَكِنِّى مَهِيضُ
لم يَضِقْ وَكْرِى وقد ضا قَ بِىَ الكَوْنُ العريض
جَدْوَلُ الرحمةِ فيـه أَوْشَكَ الآنَ يَغِيض
نَضَبَتْ فيـه الأمانى بعد أن كانت تَفيض
إنَّ فى الوَكْرِ هَناءا تٍ يُلاشيها النُّهوض
أنا إن غَرَّدْتُ أو نَوَّ حْتُ لن يَغْنَى القَرِيض

***

الربيعُ الطَّلْقُ قد آ بَ فَمَنْ لى بربيعى ؟!
بَسَماتُ النُّورِ في عَيْـ ـنَىَّ وارَتْها دموعى
وظِـلَالُ الراحةِ السَّمْـ ـحَةِ مالت عن رُبوعى
وَنُهاةُ الطـير قد غَصَّـ ـتْ بِمُهْرَاقِ النَّجيعِ
فدعونى صـامتاً أَذْ فِنُ فِى الصَّمْتِ نزوعى
ما الربيعُ الحقُّ إلاَّ خَفَقَاتٌ فِى الضُّلوعِ !

حسين كامل الصيرفى

أن تقول لى وأنت بطل من أبطال الصدق اليوم من هو الذى يصلح لأن يحكم مصر ؟ » فأجاب الأستاذ سليمان نجيب بقوله : « هو الرجل الذى تختارونه جلالتكم » ... وهى إجابة مؤدبة من الأستاذ سليمان نجيب، ولكن جلالة الملك كان من غير شك يريد فى ساعة الصدق هذه أن يسمع رأى رجل من الرجال المنتسبين إلى الفن ، والفن هو أصدق الصادقين ، وقد شرفه الملك بتوجيه هذا السؤال إليه ولكن ممثل الفن الذى تلقى هذا السؤال كان مؤدباً

وأما الحادثة الثالثة فقد كانت فى حفلة من حفلات الجمعية الخيرية ، وقد ألقى فى هذه الحفلة الشاعر النابغة محمود حسن اسماعيل قصيدة ، فدعاه جلالته إلى مقصورته وحياه ولاطفه ، وكان محمود إذ ذاك لا يزال يتسلق المجد بمشقة وتعب ، فلما ظهر بإعجاب المليك به قفز إلى القمة ولم يعد شاعر فى مصر يستطيع اليوم أن يطاوله

من هـذه الحوادث نستطيع أن نقول إن لجلالة الفاروق فضلاً على الفن فيما له من أفضال ، فهو راعيه وهو موئله

الدكتور أدهم

اللهم ارحم الدكتور أدهم ، فقد كان يريد أن يعرفك ، وكان يريد أن يصل إليك ، ولـكنه ضل الطريق ، وكفاه شقاء أنه قتل نفسه حين ضل

وقصة الدكتور أدهم مأساة قد يحسن عندها الصمت الحزين ولكنى أوثر أن أقول فيها كلمة لأنها فرصة مناسبة — وإن كانت مؤلمة — يمكن أن تقال فيها كلمة من كلمات الإيمان والرضا

مما هو ملحوظ أن أغلب الذين ينتحرون علماء ومفكرون يجرهم العلم والتفكير إلى الإلحاد

ومما هو ملحوظ كذلك أن أغلب الفنانين يشقون فى حياتهم شقاء مريراً ومع هذا فهم لا ينتحرون وإنما يصبرون ، ويعيشون ، ويحتملون ولا يشكون

ومما هو معروف ثابت إلى جانب هذا وذاك أن الموت ضد الحياة ، وأنه لا حى يطلب لنفسه الموت

هذه حقائق كل منها مرئى على انفراد ، فإذا أطلقنا بعضها على بعض استطعنا أن نقول إن الفن يورث الإيمان والحياة ، وإن من العلم ما قتل كما يقول الأستاذ بشارة الخورى

فلماذا ؟

الواقع أن هذا يرجع إلى أن الفنان يرى بالتجربة أنه لا ينتج شيئاً يروقه هو ويعجبه إلا على عجز منه ، لا تدبير له فيه ولا إرادة . ومن هذا يتعلم الفنان أنه فى هذه الدنيا مرزوق يعطيه الله ما يريد ، ومحروم يمنع الله عنه ما يشاء . وبهذا العلم يعيش الفنان ويصبر ويشيخ وهو يرجو السعادة وينتظرها ، بل إنه لينعمن بالسعادة فى أرذل أوقات الشقاء ، تلك الأوقات التى يراها الناس شقاء ، والتى يستشف الفنان فيها من لطف الله وكرمه وإحسانه ما لا يستشف غيره ممن ربطوا عقولهم على صنوف خاصة من الحاجات والنعم فهم لا يرون غيرها ، ولا يرضون عن غيرها ، بينما الحياة المجردة نعمة

أما رجال العقل والفكر — العقل الأوربي والفكر الأمريكانى — فأولئك الذين يكرهون الحياة لأنهم يحصرون تفكيرهم فى نوع خاص من الحقائق المجردة يريدون أن يعوها وعياً منطقياً معقولاً بينما هى أعز من أن ينالها هذا الوعى ، وبينما هى تتطلب ممن يحب أن يصل إليها أن يعزز عقله إذا ارتقى بخلق مرتق ، وبأفعال مرتقية ، وبحياة ينسجم فيها الارتقاء الإنسانى من كل نواحيه . وبهذا فقط تستطيع النفس أن تصل إلى الحقائق العليا

والعجيب أننا حين نحدث أصحاب العقل والفكر هؤلاء بمثل هذا الحديث يقولون لنـا : وما دخل الأخلاق والعبادات التى لا نعدها إلا شعوذات فى الوصول إلى الحقائق المجردة ؟ وأذكى ذكى منهم يسألنا قائلاً : هل يلزم أن أكون رجلاً فاضلاً كى أعرف أن المغناطيس يجذب الحديد ، وأن الأرض تدور دورة كاملة فى اليوم ، وأن لها قمراً واحداً بينما لزحل أو عطارد أكثر من قمر ... ؟ !

وجوابنا على هـذا الذكى الأذكى هو أن الشر إذا لم يكن يؤذى نفس صانعه فإنه يؤذى نفس من يقع عليه ، فهو إذن شىء تكرهه النفس ، وهو إذن عدو لها ، فيجب على النفس التى تريد أن تعرف نفسها أن تتخلص أولاً من هذا الذى تكرهه ، عدوها الكامن فيها ...

وبعد، منذ حين تعرف النفس نفسها ... وترى نفسها ... تستطيع أن تسأل : من أين هى ؟ وإلى أين هى ؟ وستعرف أنها من الله وأنها إليه راجعة ، كما عرف ذلك كل مؤمن ، وكل فنان ألهمه الله فنه . وبعد أن تعرف النفس نفسها تستطيع أن تعرف غيرها ...

رحم الله الدكتور أدهم مرة أخرى

وإنى أعود فأنتهز هذه الفرصة لأنصح شبابنا الحائر وراء المعرفة بألا يغتر بعقله ، وبأن يعتمد فى المعرفة على خلقه كما يعتمد على تفكيره

اللهم وفقنا جميعاً ، واللهم ارحمنا جميعاً . . . يا أرحم الراحمين يارب ... هداك

هل هو انتقام ؟

الأستاذ عزيز عيد من أشد الناس صبراً على المكاره ، فهو فى أوقات المحنة لا يشكو ، ولا يكفر بالله ، ولا يتملق أحداً ، وإنما ينتظر ، ويظل ينتظر حتى يأتيه فرج الله من حيث لا يحتسب أو من حيث يحتسب

ولكن ليس معنى هذا أننا إذا كنا نملك إسعاد الأستاذ عزيز عيد أن نمسك عنه ما نستطيع أن نقدمه إليه لا لشىء إلا لأنه قوى النفس صلب الكرامة

لقد سمعت أن الأستاذ عزيزاً يفكر فى أن يؤلف فرقة صغيرة يمثل بها فى الاستراحات التى تتخلل الروايات فى دور السينما

وهذا عمل كان يقوم به الفقير حسن بك ، كما كانت تقوم به فرقة الحلو البهلوانية وغيرها ، وإذا أقبل الأستاذ عزيز عيد على عمل كهذا فإنه لن يقوم به إلا لأنه رأى مجال الفن قد ضاق عنه

فهل صحيح أن مجال الفن قد ضاق فى مصر عن عزيز عيد ، وفى مصر فرقة قومية ترعاها الحكومة وتنفق عليها ؟

إن هذا يكون صحيحاً إذا كان أقل فرد من أفراد هذه الفرقة له دراية فنية ، وتجربة مسرحية تفوق ما للأستاذ عيد

فهل تستطيع الفرقة القومية أن تدعى هذا ؟

إن كل ما يعيب الأستاذ عزيز عيد هو شدة طموحه الفنى ، فهو لم يخرج من الفرقة القومية فى هذه المرة إلا لأنهم عهدوا إليه بإخراج « مجنون ليلى » فأراد أن يكرمها ، وطلب من الفرقة أن تنفق عليها نفقات رأتها هى باهظة فأمسكت عن إنفاقها

ولقد كان من الممكن أن تقف المسألة عند هذا الحد ، ولكنهم شاءوا فى الفرقة القومية أن يشملوا عزيزاً فلم يعتذروا له بالفقر وإنما سخفوا فكرته ، فتحمس هو لها ، فاتسعت شقة الخلاف بينهما ، فانفصل الأستاذ عن عمله

وإنى أتجه الآن بهذه الكلمة للشاعر الفنان الأستاذ خليل بك مطران . ولا أريد أن أزيد . . .

عزيز أحمد فهمى



الوضع الحقيقي لمشكلة

جابر بن حيان

للأستاذ أحمد زكي صالح

تقرير الأستاذ رسكا Ruska [1]

يتساءل الأستاذ رسكا : كيف وأين نظمت وألفت هذه الكتب المنسوبة إلى جابر ؟ هل هي أعمال فرد واحد أم من أعمال مدرسة ؟ هل حدث تأليفها وتطورها وتقدمها في مدى وقت قصير أم انتشر على بساط قرن كامل ؟ كل هذه أسئلة لا زالت أجوبتها غامضة ، بل قل لا زالت غارقة في بحر من الغموض والإبهام

وتلك النصوص التي نشرت بإشراف الأستاذ هوداس [٢] لا تكفي تماماً كي نصدر حكما صحيحا على مميزات أدب جابر بن حيان الكيميائي

ويجب أن أعترف أن « كتاب الرحمة » بمحاوراته المضحكة بين جابر بن حيان وجعفر الصادق ما هو في الحقيقة إلا قصة ملفقة ، و « كتاب الملك » يفشي سر نفسه بنفسه حينما يرجع أصله إلى جعفر الصادق ، وبعض النتائج يمكن استنتاجها في شأن « كتاب الموازين » لأنه عنوانات بعض أعمال أرسطو في المنطق التي ابتدأت معرفة العالم الإسلامي لها بعد أواخر القرن التاسع من الميلاد. ولكن إذا سلمنا بصحة نقد هذه الكتب الثلاثة، فهل يؤثر هذا بقليل أو كثير في المشكلة ككل ؟ وبالأحرى هل يمكن أن نفصل المؤلفات الكيميائية مسلمين بأنها من عمل جابر عن قائمة الفهرست الثانية [٣] ؟ أليس من المعقول أن مؤلف الكتب الكيميائية ينتمي إلى زمن وإلى بيئة مدرسية يختلفان كل الاختلاف عن هؤلاء الذين ألفوا الكتب الطبية والفنية والرياضية والإلهية ؟

من الجلي الواضح أن ذلك الذي يستطيع الأخذ بيدنا إنما هو البحث خلال المخطوطات التي عثر عليها أخيراً ، وإني لموفق إذ استطعت الحصول بمساعدة الأستاذ ماكس مايرهف Max Mayerhof لا على صور النصوص العربية للسبعين كتاباً التي ذكرها ابن النديم فحسب ، بل أيضاً على بعض النصوص غير المعروفة ككتاب « السموم » و « الملك النوعي » وغيرها من المؤلفات التي جمعت لأجل « مجمع برلين للدراسات الطبيعية »

وهذه المؤلفات قد فتحت مدى أوسع في الأبحاث في هذا الموضوع لم يتحقق من قبل ، فكتاب السموم أصبح اليوم أمنع من أن يناله هجوم ، وهو يبين مقدار معرفة جابر الطبية، أما الفصول المتعددة من كتاب « الخواص النوعية » فيمكن النظر إليها على أنها مقتطفات من كتب مختلفة المقرر أن جابر كتبها في هذا الموضوع ، ويمكن أن نقول إن كثيراً من البحث والاجتهاد يحتاج إليه ذلك الذي يريد الكشف عن حقيقة هذه المؤلفات والإجابة على السؤال الآتي : كيف جاءت مؤاتي هذه الكتب فكرة نسبة هذه المؤلفات إلى الإمام جعفر الصادق [1] أو تلميذه المدعى جابر ... نقول إن الإجابة على هذا السؤال تقهقرت كثيراً ...

وأولى اللاحظات التي يمكن استفادتها من نتائج أبحاث مجمع برلين في النصوص الجديدة هي : أن ارتباط الحقائق المختصة بالكيمياء وعلم البحث عن الصنائع technologie والطب لازم كما هو في نفسه ولكنه لا يبين ولا يقدر الغرض الأخير لهذا الأدب ؛ إذ أن كل التفاصيل العلمية إنما تتحرك في اتجاه مذهبي واحد ، وأن المتأخرين هم الذين أعطوها المعنى والتحقيق . والسبب الفلسفي هو نقطة البدء في هذه المؤلفات كلها ، وهذا السبب الفلسفي إنما ترجع إليه قيمتها ، وكثيراً ما كان يتكرر بشكل يقيني في هذه الأعمال أن العلم لا يمكن أن يكون إلا إذا كانت هناك نظرية خاصة يضعها نصب عينيه . وهذه المشكلة تمت لأول

(١) نشرت هذه المخطوطات بإشراف هوداس في كتاب الأستاذ برتلو Berthelot : Traité d'alchemié arabe

(٢) Ruska. J. : The history of Jabir Problem Islamic culture 1937 P. 303 — 312

(٣) هذه القائمة ذكر فيها ابن النديم أعمال جابر في غير الكيمياء كالعلم الالهي ، والطب ، والفلسفة ، والمنطق ... الخ

(١) جعفر الصادق إمام السنية عاش على ما نعتقد في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني للهجرة ، ونظن أنه مارس الصنعة أعني الكيمياء ، ولقد كان علاوة على ذلك متكلما شيعيا ، صوفيا ، زعيما دينيا . كما يقال إن جابر بن حيان تتلمذ عليه في الكيمياء .

وهلة لمشكلة السببية . وتبعاً لذلك فإن مفهوم « الميزان » الذى يعد من أهم مميزات مؤلفات جابر بن حيان ، ونظرية الخصائص النوعية للأشياء المتعلقة بمدى التحول الكيميائى يعتمدان على أسس عددية دقيقة

وربما لا يبدو هذا فى الكيمياء الحديثة شيئاً يذكر ، ولكن العجيب حقاً هو ذلك التيار الذى واظب عليه العقل البشرى ، واجتهاده فى تبيان أن القانون الطبيعى إنما يعتمد فى أساسه على أسس عددية ثابتة . ونحن أصبحنا اليوم ، بعد هذه الأبحاث ، نعتقد أنه نجح تماماً فيما كان يصبو إليه ؛ فإن قانون الأعداد هذا فى نظر جابر بن حيان يضع كل شىء فى الوضع الحقيقى له فى العالم

ودراسة بعض النصوص التى ذكرت آنفاً تقودنا خطوة أخرى نحو الغرض الفلسفى للبحث لهذه الأعمال . أقول إن هذه الدراسة تقودنا خطوة أخرى حين تطالعنا على الصلات والملاقات بين هذا الغرض الفلسفى وبين النظريات الجارية فى العلم الإلهى التى هى الغرض والغاية النهائية الحقيقية لهذا الأدب الجابرى

فالنظريات العلمية التى احتوت عليها هذه المؤلفات قيل إنها ليست شيئاً آخر غير معلومات محمد « صلى الله عليه وسلم » و « على ابن أبى طالب » وأستاذ جابر « جعفر الصادق » ، وهذه الخرافة تذهب إلى حد أنها تفسر بعض نصوص القرآن على ضوء الكيمياء كما ينسب لدى بعض المحاضرات فى موضوعات كيميائية، وفى بعض هذه النصوص يظهر بعض المذاهب التى تتفق تماماً وما تقول به فرقة الاسماعيلية [1] من الناحيتين الفلسفية والعملية ، ومن ثنايا أفكار هذه المدرسة الدينية التى رئيسها وإمامها وأستاذها الإمام جعفر ، يمكن أن يفهم المعنى الكامن فى نظريات جابر ابن حيان ، وهذه الحقيقة تثبت عرضاً أى فى كل هذه المؤلفات إنما ترجع أصولها إلى النصف الأخير من القرن التاسع أو النصف الأول من القرن العاشر الميلاد أى القرنين الثالث والرابع من الهجرة ، أو قل فى ذلك الوقت الذى بلغ فيه الإسلام الذروة فى هضم الفكر اليونانى ، وهكذا يمكن أن ترد تلك الثروة العلمية والفكرية التى توجد فى مؤلفات جابر بن حيان .

مناقشة رأى الأستاذ رسكا

الأستاذ رسكا فى نقده لكتب جابر الثلاثة : الرحمة ، الملك ، الموازين، لا يحتاج لكثير عناية لتفنيده، إذ أن رسكا يتناول الموضوع من ناحية سلبية بحتة ، مثل الأستاذ رسكا فى ذلك كمثل اثنين يتحاوران، بعد أن عرض أحدهما رأيه قال له الآخر كلا إنك مخطىء وتركه ومضى فى طريقه ، فهو لم يبين له لماذا هو مخطىء وما هو صواب هذا الخطأ، كذا الحال فى نقد رسكا لهذه المؤلفات الثلاثة ، فهو يقول إنها ليست لجابر بن حيان ، فهل ينتظر منا الأستاذ رسكا أن نحنى هاماتنا لرأيه سامعين طائعين مختارين ؟ وحتى هبنى سلمت بصحة هذا النقد الضعيف فأى قيمة تكون له فى إخراج هذه الكتب الثلاثة عن دائرة مؤلفات جابر الكيميائية وهى تبلغ سبعين مؤلفاً ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الأستاذ رسكا فى القسم الثانى من كلامه ينحو نحو الجدليين ، إذ أنه يلتجىء إلى أسلوبهم وأعنى بذلك أسلوب « المعقول وغير المعقول » .

إن الأستاذ رسكا عالم له أسلوب العلماء وطبعهم وروحهم ونحن لذلك نسمو به عن أسلوب الجدل ، إذ أن العلم ليس أمامه معقول وغير معقول ، إنما أمامه حقائق يسلم بها ، أو لا يسلم بها ، حقائق يبرهن على وجودها أو يبرهن على عدم وجودها ، فالقول بأنه من المعقول أن تنفصل كتب جابر الكيميائية عن غيرها قضية كاذبة علمياً ، هـذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : هل نسى الأستاذ رسكا أن التفكير الإسلامى كان فى هذه المرحلة الزمانية أو الفكرية تفكيراً عاماً شاملاً أى تفكير encyclopodique ، وأن التخصص فى التفكير وفى البحث لم يعرف فى الإسلام إلا بعد ذلك بقرن من الزمان على الأقل ؟ ؟

أما القسم الثالث من رأيه وهو تفسير الانتحال لجابر بن حيان فهو يستعيره من أبحاث مجمع برلين ، وسنتركه الآن ونعرض هذه الصورة بشكل أوسع لدى الأستاذ ب كراوس P. Kraus الذى كان مساعداً بهذا المجمع إذ ذاك

رأى الأستاذ كراوس P. Kraus [1]

يرى الأستاذ كراوس أن هذا الأدب العظيم يبين لنا كل ما درس فى الإسلام من العلم اليونانى لا يمكن أن يكون بأية حال من عمل مؤلف واحد ، ولا يمكن كذلك أن يصعد إلى النصف الثانى من القرن الثانى من الهجرة ، إذ أن جميع الظواهر التاريخية تدلنا على أن هذا الشكل corpus كان من إنتاج أخريات القرن

(١) الاسماعيلية فرقة شيعية وجدت فى القرن الرابع الهجرى، ولازالت موجودة إلى اليوم فى الهند

(١) انظر ملحق دائرة المعارف الاسلامية : Ency. de l'Isl. article : D. Jabér par P. Kraus 1934

الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع

وإن كتابات جابر بن حيان لتضع لنا بادىء ذى بدء أساس مشكلة دينية تاريخية، فكما أن الكيميائين القدماء قد اتجهوا إلى الأجنوزية المسيحية[1] La gnose chrétienne كذلك جابر يقدم فى مؤلفاته العلمية أجنوزية الإسلام ، ولم تكن آراء جابر ابن حيان كتلك الآراء الساذجة الأولية التى وجدت فى محيط الشيعة فى القرن الثانى من الهجرة، إنما كانت أقرب إلى تلك التى كان يتردد صداها فى محيط غلاة الشيعة فى القرن الثالث من هجرة الرسول . وهذه الآراء كانت ذات صبغة سياسية وثورية خطيرة عرضت الإسلام نفسه للخطر ، إذ أن جابراً أعلن قرب قيام الإمام المنتظر الذى سيبطل حكم الإسلام ويحل محل القرآن نور العلم والفلسفة الإغريقيين ، وكان محل عرض هذه الآراء هو نظريات جابر فى مؤلفاته حيث عرض هذا الوحى الروحى الخالص الجديد والذى أوحى به الأئمة العلويون

ووجهة نظر جابر بن حيان فى العلم الإلهى تقترب من القرامطة الذين ابتدأوا يلعبون دورهم فى العالم الإسلامى منذ سنة ٢٦٠ هـ . ودرجات العلم مقسمة عنده نفس التقسيم الموجود عند القرامطة والاسماعيلية

ونظرية امتداد الأمامية قد تقدمت بنفس الخطوات التى تقدمت بها الأمامية ، فالأماميون يقسمون تاريخ العالم من حيث الوحى إلى مراحل سبع يكون آخرها بعث الإمام الجابرى ، وعلى ذلك فإن الأئمة الذين تبعوا علياً ، حتى الإمام القائم الجديد يكون عددهم سبعة وهم على التوالى : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلى بن الحسين بن محمد الباقر وجعفر الصادق واسماعيل الإمام المنتظر أو القائم . ونحن نلاحظ أن جابراً فى تعداده للأئمة على عكس القرامطة والاسماعيلية لم يعتبر علياً إماماً من هؤلاء السبعة ، وأن هذا السانيت ، الذى يسمو عن الناتيك هو الذى يكون به تجسد الأئمة السبعة الأرضى ، وفى هذه النظرية يقترب جابر من تلك التى يقول بها النصيرية[2] الذين يعتقدون أن هناك ثلاثة أقانيم : « ع » أى على ، « م » أى محمد « س » أى سلمان ، والسين فى نظر جابر سابقة ومتقدمة على الميم ، وفى هذا المذهب يسمى الإمام جعفر « بالإمام المجيد » أو « اليتيم » الذى له تفضيل مباشر على « ع » كما أن له الحظوة على « م » ، « س » . وهنا يقبل جابر القول بنظرية التجسد empsycose والتناسخ والأدوار ، والإكرار ، والنسخ ، والفسخ ، والمسخ .

وإن جابراً ليعلن على رؤس الأشهاد أن علمه إنما هو وحى أستاذه جعفر الصادق ، وإلى هذا « النبع من الحكمة » mène de sagesse ترجع كل معرفة جابر ، وما هو إلا جامع ومعلق على مؤلفات أستاذه . وربما كان ذلك راجعاً إلى أن جابراً نفسه يأتى فى التسلسل الدينى فى مرتبة تلى مرتبة جعفر الصادق مباشرة ، أضف إلى ذلك بعض أساتذته مثل حاربى حميرات ، أرهون الحمار ، جعفر البرمكى . ولكن نحن نرى أن كل هذه التأكيدات ما هى إلا إفتراءات باطلة إذ أنها متناقضة تماماً مع ما كتبه جابر نفسه فى مؤلفاته . وعلى ذلك فإن تلميذ جعفر الصادق المسمى جابر بن حيان يظهر أنه محض اختراع ، ونحن ندرك تماماً لماذا تنسب كتب كهذه إلى الإمام جعفر الصادق الذى يعتبر فى الأدب الشيعى خير مصدر للعلم اليونانى وخاصة للعلوم السحرية ولعلم الفلك ، أضف إلى هذا كله أن جعفر هذا والد الإمام السابع إسماعيل الذى نص على ظهوره فى هذه المؤلفات

ويشير الفهرست إلى بعض الشك الذي يخالج نفراً من الشيعة المعاصرين لأحد أصحابه فى صحة نسب هذه الكتب لمؤلفها[1] ، وثمة رجل آخر هو أبو سليمان السجستانى المنطقى، يذكر فى كتابه « التعليقات » ملاحظة يستنتج منها أنه هو نفسه يعرف المؤلف الحقيقى للكتب التى تنسب لجابر بن حيان ، ويسمى أبو سليمان باسم الحسن بن النقاد الموصلى ، ولكن على رغم هذه الرواية فاننا نعتقد أن مؤلفات جابر لا يمكن أن تكون من إنتاج رجل واحد رغم تطور التفكير المنسجم فيها . ونحن نعتقد كذلك أن هذا التفكير لم يصل إلى هذا الحد الذى وصل إليه إلا فى سنة ٣٣٠ هـ .

(البقية فى العدد القادم) أحمد زكى صالح

(١) الاجنوزية Gnosticisme هى مذهب دينى فلسفى ، يدعى أصحابه أنهم على معرفة تامة وكاملة بطبيعة الله وصفاته .

(٢) هم أتباع ناصر بن خسرو ، فرقة متكلمة

(١) نص عبارة ابن النديم فى الفهرست : « وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين إن هذا الرجل يعنى جابراً لا أصل له ولا حقيقة ، وبعضهم قال إنه ما صنف ... الخ » . ولكن ابن النديم يسفه هذا الرأى ولا يأخذ به كما سيأتى بعد .



١ — اقتطف !

قرأت سؤال الأخ الفاضل « رشاد عبد المطلب » ، وكنت أرجو أن أكون مخطئاً ، كي أقرّ له بخطأ ما جاء في قولي : « وجمل يقتطف منها حيث أراد » ، وذلك لحسن أدبه ، ولطف سياقه

والقول في « اقتطف » إنها خطأ ، وإنها لم ترد في كتب اللغة : كاللسان والأساس والقاموس والنهاية والمصباح ... إلى آخر هذه الجملة — قول قديم، قد ذهب إليه المتأخرون من فضلاء المشتغلين باللغة في عصرنا وما قبله بقليل

ولو لم يرد هذا الحرف في اللغة لوجب أن يوجد للغة وجوباً بيانياً من عدة وجوه، وليس هذا موضع تفصيل ذلك ولا هذا أوانه. وأنا لا أستطيع الآن أن أقف في الطريق لأتلفت إلى ما ورائي مما قد مضى زمنه . وإذ كان لا بد في إقامة الدليل على صواب هذا الحرف ، من شاهد عربي ، فنحن نأتي به ، وذلك من قول نابغة بني شيبان « عبد الله بن مخارق » :

تسبي القلوب بوجه لا كِفاء له كالبدر تَمّ جلالاً حين ينتصف
تحت الخمار لها جَثْل تمكّنه مثل المثاكيل سوداً حين تقتطف
لها صحيفة وجه يستضاء به لم يعل ظاهرها بثر ولا كلف

وفي قديم الشّعر من الرجز ما أحفظه ولا أثبت موضعه : « يقتطِفْنَ الهاما » ، يصف السيوفَ . وبيت النابغة كافٍ في الدلالة والشهادة ، وأدع ما وراء ذلك لمن يحمل همّه اقتناص الكلمات الهاربة من معاجم اللغة

وما دمنا في ذكر شاهد من شعر نابغة بني شيبان ، نقول : إن أبا الفرج الأصفهاني زعم أنه نصرانيٌّ ، لأنه زعم أنه وجده في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى ، وذلك كله وهمٌ فاسدٌ ، استقرّ به صاحب شعراء النصرانية لويس شيخو اليسوعيّ ، فاحتمله فيمن احتمل من شعراء العربية . وشعر النابغة ليس فيه حرفٌ واحدٌ مما زعم أبو الفرج

هذا ، وأبوه « مخارق بن سليم الشيبانيّ » صحابيٌّ جليلٌ روى له أحمد بن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٢٩٤ ، والنسائي ج ٧ ص ١١٣ ، وروى عبد الله (هذا الشاعر) وأخوه « قابوس بن مخارق » عن أبيهما . وكان عبد الله يكثر رواية الحديث ، ثم انصرف إلى الشّعر ، وله في انصرافه إلى الشّعر خبرٌ .

٢ — باريس !

قرأت في عدد الرسالة الماضي كلمة يذكرني فيها صديقنا الأخ « زكي مبارك » ويزعم أنه قرأ في « الدستور » كلمة بإمضائي ، عدها هو تعقيباً على المقال الذي نشره في « الرسالة » بعد سقوط باريس تحت أيدي الألمان

ولو أحسن الدكتور زكي فأخرجني من عداد من ذكر لكفى نفسه مؤونة الفكر في أني أتعقب كلامه . ولو كان ما قاله الدكتور زكي صحيحاً لكان للسان مقال غير الذي قلت . والذي كتبته كان حديثاً عاماً لم أرد به أحداً بعينه وخاصته ، وكثير غير الدكتور بكى باريس وناح ، فكيف يريد أن يخص نفسه دون سائر من أعول على هذه المدينة ؟

وإذن فسائر ما جاء في كلمة الدكتور زكي ليس يعنيني ، ولا هو مما أستطيع أن أشتغل به ، والمذهب الذي يجري فيه الدكتور غير مذهبنا ، وبينهما من الفرق ما يوجب عليّ أن أصرف خطابه — في هذا المكان من الرسالة — إلى من شاء غيري . وللدكتور مني تحية ، وعليه سلام .

محمود محمد شاكر

ملاحظات علمية

١ — كثيراً ما أجد فيما أقرأ من المباحث التاريخية مطاعن في بني أمية منقولة عن المسعودي ، وينسى هؤلاء الباحثون (ومنهم من هو عميد كلية أو أستاذ في جامعة) أن المسعودي على جلالة قدره ورفعة مكانه بين المؤرخين لا يحتج به في مثل ذلك ، لأنه شيعي متهم ببغض الأمويين والطعن فيهم . وقد نص على شيعيته الأستاذ الكبير آل كاشف الغطاء في رسالته أصل الشيعة وأصولها ؛ كما أنه لا تقبل رواية السني المتعصب في الطعن على الشيعة ، وهذا معروف عند العلماء

٢ — ذكر الأستاذ أحمد أمين فى فجر الإسلام (ص٢٤٨) دليلاً على كثرة الوضع فى الحديث أن البخارى اختار كتابه الصحيح وفيه سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاثة آلاف مكررة من ستمائة ألف حديث كانت متداولة فى عصره

وهذا الدليل مردود من وجوه :

أولها — أن البخارى لم يستوعب الصحيح كله فى كتابه ، وروى عنه أنه قال : ما أدخلت فى كتابى إلا ما صح وتركت من الصحاح للال الطول ، وقد استدرك الحاكم أبو عبد الله على الصحيحين شيئاً كثيراً تكلم فى بعضه وسلم أكثره

ثانيها — أنهم كانوا يعدون الحديث الواحد حديثين إذا كان له سندان وروى من طريقين ؛ ومن هنا جاءت هذه الأعداد الكبيرة . ذكر ذلك ابن الصلاح

ثالثها — أنهم كانوا يدرجون تحت اسم الحديث آثار الصحابة والتابعين . ذكره ابن الصلاح أيضاً

على الطنطاوى

رأى الأستاذ أحمد أمين فى واضع علم النحو

المعروف بين جمهور النحاة أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلى ، ولكن دائرة المعارف الإسلامية تخالف جمهور النحاة فى ذلك ، وترى أنه ليس حقاً ما يقال من إن أبا الأسود الدؤلى واضع أصول النحو العربى (دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٣٠٧) وقد ذكر صديقى الأستاذ محمد طنطاوى المدرس بكلية اللغة العربية فى كتابه نشأة النحو (ص ١١) أن الأستاذ أحمد أمين أراد أن يوفق بين الرأيين ، وأن يتلمس وجهاً لنسبة وضع النحو إلى أبى الأسود الدؤلى ، فقال فى كتابه ضحى الإسلام (ج ٣ ص ٢٨٦ وما بعدها) : ويظهر لى أن نسبة النحو إلى أبى الأسود لها أساس صحيح ، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط ، وهو أنه ابتكر شكل المصحف ، وواضح أن هذه خطوة أولية فى سبيل النحو ، تتمشى مع قانون النشوء ، وممكن أن تأتى من أبى الأسود ، وواضح كذلك أن هذا يلفت النظر إلى النحو فعمل أبى الأسود يسلم إلى التفكير فى الإعراب ، ووضع القواعد له ... وأن هذه الأمور لما توسع العلماء فيها بعد ، وسموا كلامهم نحواً ، سحبوا اسم النحو على ما كان قبل من أبى الأسود ، وقالوا إنه واضع النحو ، للشبه فى الأساس بين ما صنع وما صنعوا وربما لم يكن هو يعرف النحو بتاتاً ، ثم رأى بعد كلام طويل أن واضع النحو الذى نعرفه إنما هو الخليل بن أحمد

وكأنى بالأستاذ أحمد أمين قد خيل إليه أنه أتى فى هذا الرأى الأخير بالقول الفصل فى واضع علم النحو ، مع أن الأمر قد اشتبه عليه فى ذلك اشتباهاً ظاهراً ، لأن أصل الخلاف فى واضع علم النحو إنما هو فى أصوله الأولى ، لا فى هذا النحو الذى نعرفه ؛ لأنه لا يمكن أن يختلف أحد فى أن هذا النحو الذى نعرفه يرجع إلى كتاب سيبويه ، وقد أخذ سيبويه كتابه عن الخليل ابن أحمد ، بل قيل إن هذا الكتاب للخليل لا لسيبويه ، فليس بشىء بعد هذا أن يقال إن الخليل واضع هذا النحو

وقد ذكر الأستاذ محمد طنطاوى فى كتابه نشأة النحو (ص ٢٠) أن عيسى بن عمر الثقفى — وهو من الطبقة الثانية والخليل من الطبقة الثالثة — ألف كتابين فى النحو : أحدهما مبسوط سماه الجامع ، والآخر مختصر سماه الإكمال ، وأن الخليل قال فى إطرائهما :

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

ويؤخذ من هذا أن اسم النحو كان معروفاً قبل الخليل ، وأن كتباً جامعة ألفت فيه قبله ، فكيف يقتضب الأستاذ أحمد أمين ذلك كله ؟

(عالم)

قصتان والفكرة واحدة

قرأت فى العدد الماضى من الرسالة كلمة بهذا العنوان للأديب حسين الحوفى بدمنهور ، يقول فيها : إن فكرة قصتى « من أدباء الجيل » المنشورة بالعدد ٣٤٥ من الرسالة تشبه قصة للأستاذ محمد أبو طائلة عنوانها « الشهرة » نشرت بالعدد ٤٩٨ من مجلة كل شىء والدنيا « وإن اختلف الأسلوب والعنوان وبعض الحوادث الثانوية »

وأحسب أنه مما يهم قراء الرسالة أن يعرفوا أننى لم يكن لى حظ قراءة تلك القصة المشار إليها حتى اليوم ، وقد تكون الفكرة فى القصتين واحدة — كما يقول الكاتب — أو لا تكون ؛ ولكن ذلك لا يطعن فى عمل أدبىّ لم أستلهمه إلا من وجدانى الخاص لحادثة بعينها قد يكون مثلها مما مر على الأستاذ أبو طائلة

فى بعض أيامه ، فألهمه فكرة قصته وألهمنى . وإذ كان الأمر على ما زعمتُ — وعلى ما يؤكد الكاتب من احترامه لأدبى وتنزيهه عن الانتحال — فإنى أحسب أن ذلك خارجٌ عن نطاق ما يسميه « الرقابة الأدبية » ، ولا معنى معه للحديث عن السابق والمسبوق

وثمة بديهية أخرى يعرفها كل من عالج فن القصة دراسةً أو عملاً ، هى أن الفكرة الواقعية فى القصة غيرُ القصة نفسِها ؛ وخاصة حين تكون فكرتها منتزعة من الحياة العامة التى يحسها كل من يتصل بها من أبناء الجيل . ولا حاجة بى إلى تعداد الحوادث التى تقع كل يوم فى حياتنا الأدبية العامة مما يصلح أن يكون كل منها موضوعاً لمثل قصة « من أدباء الجيل » . وأدع تفصيل ذلك لموضعه من كتاب « الأدب المنحول » الذى أرجىء نشره حتى تأذن الرقابة الأدبية العامة !

محمد سعيد العريان

من الشعر المنسى لحافظ

« لما أخرجت وزارة المعارف ديوان المرحوم حافظ إبراهيم ، لاحظ كثير من الأدباء أن قصائد عدة للشاعر الكبير نسيت فلم تدرج فى هذا الديوان ؛ وقد نشر بعضهم شيئاً من هذه القصائد فى الرسالة الغراء ، ويسرنى ونحن فى الذكرى الثامنة لحافظ أن أذكر للقراء مقطوعة من شعره فى وصف الطيارة لم تنشر فى ديوانه »

قال رحمه الله :

يجرى بسابحة تشقُّ سبيلها شقَّ الإزار
وتكاد تقدح فى الأثير فيستحيل إلى شرار
مثل الشهاب انقضَّ فى آثار عفريت ، وطار
فإذا علت فكدعوة المُضطَر تخترق السِّتار
وإذا هَوَتْ فكما هَوَتْ أنثى العُقاب على الهزار
وتُسِفُّ آونة ، وآ ونة يحيد بها ازورار
فيخالها الرائون قد قرَّت ، وليس بها قرار
لَعِبَ الجواد أقلَّ لَيْثاً من قُضاعة ، أو نزار
أو كالقلوب من الحما م فوق ملعبه استطار
وكأنها فى الأفق حين يميل ميزان النهار
والشمس تلقى فوقها حلل اصفرار واحمرار
مَلَكٌ تُمَثله لنا السما فيأخذنا انبهار

« البجلات » أحمد جمعة الشرباصى

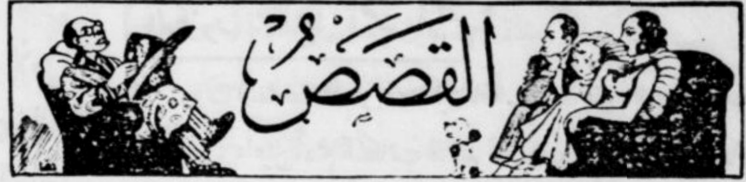
الدكتور اسماعيل أحمد أدهم

روت الصحف المصرية — خبر نافه — موت فقيد العلم والأدب الدكتور اسماعيل أدهم الكاتب الناقد المعروف نجل أحمد بك أدهم الضابط التركى وحفيد أدهم باشا وزير المعارف التركية سابقاً.

وقد عرفه قراء (الرسالة) شارحاً لنظرية النسبية لأينشتين، ومساجلاً للمرحوم فليكس فارس عن الشرق والغرب، وأخيراً مناقشاً للدكتور بشر فارس فى كتابه (أبحاث عربية) كما طالع له قراء (الرسالة) بعض أبحاث متفرقة آخرها (عام الفيل) الذى اشتغل بالرد عليه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

ويغلب على أبحاثه الصبغة العلمية الجافة، فإذا أضيف إلى ذلك ضعف بيانه العربى عرفنا جهل الكثيرين بعلمه وأدبه ، لأنه لم يكن له أسلوب جزل يخلق المحبين ، إذ أن الناس بطبيعتهم يصدفون عن الحقائق الجافة التى لا يموهها الخيال ، لذلك كان محرر مجلة المقتطف يراجعه راجياً فيما يكتبه لها زيادة الإيضاح، وكان يشكو لى من ذلك الدكتور أدهم . ومن هذه الناحية أيضاً حيث موطن ضعفه ، كان يغزوه الأستاذان فليكس وبشر فى مساجلاتهما معه

وعرفه قراء المقتطف من أبحاثه المتوالية التى كان يوالى نشرها فيها ، آخرها دراسته طيلة هذا العام لخليل بك مطران. وهى دراسة لا يسلك فيها طريقة التراجم المعروفة ، بل الدراسة التمحيصية الاستقرائية على الطريقة الاستشراقية ، لذلك كانت فريدة فى العربية ، وعدها بعض المستشرقين ثروة أدبية ، وقال فيها الرافعى : (دراسة لا أشك لحظة فى أنها لو وجهت وجهة صحيحة لقومت النقد العربى) وقال فيها بشر فارس (دراسة تعتمد على الاستقراء والتثبت أكثر مما تعتمد على الظن والتخمين) وقال فيها سلامه موسى. (لو أردنا أن نجازى فناناً لحق لنا أن نجازى الدكتور أدهم بأكرم مما يجازى به عالم فنان) ومما أذكره أن الدكتور أدهم كتب غير مرة فى المجلة الجديدة التى كان يصدرها الأستاذ سلامه موسى ، وعرَّفه الدكتور أبو شادى بأنه أكثر من شخصية ، ومما أعرفه أنه كان من أول المكتشفين لشخصيته العظيمة ، فشجعه على المضى فى أبحاثه وأفسح له صدر مجلاته التى كان يصدرها ، رغم تطرف رأيه وحرية فكره حرية غير معهودة فى حياتنا الأدبية ، ومن أهم ما نشره رسالته (لماذا أنا ملحد) التى رد عليها الدكتور أبو شادى برسالته « لماذا أنا مؤمن » ، والتى شغلت الكثيرين من رجال الدين وقتاً غير يسير . ونشرت



رجلان وامرأتان

للأستاذ محمد سعيد العريان

لم يكن من طبيعتها الزهو والمباهاة ، ولكنها تشعر الليلة بين لداتها وصواحبها أنها قد بلغت مرتبةً من حقها أن تُزْهى بها وتفتخر ؛ إنها خطيبة « سامى » ، وهذا خاتم الخطبة فى إصبعها يزهو ويتألق شعاعه ؛ وأى صواحبها لم تعرف « سامى » أو تسمع به ، وإنه من الشهرة وذيوع الصيت حديثُ كل فتًى ونجوى كل فتاة !

وراحت « رشيدة » تخطر بين رفيقاتها تتقبل التهانى وتوزّع الابتسامات مغتبطةً سعيدة ، لا تكاد تستقر على مقعد من خفة الفرح ونشوة المسرة ...

... ثم انفضّ السامر وخلت « رشيدة » إلى نفسها تحلم بما كان وبما يكون ، وتتهيأ لليوم السعيد المنتظَر !

***

فتى فى ربيع العمر ، لم يفتنه الشباب ولم يبطره الغنى ، تنوّر أملاً بعيداً فمضى يشق الطريق إليه فى عزم وقوة ، وبلغ ؛ وبرز اسمه فى الطليعة من أدباء الجيل ولم يزل فى أوّل الطريق ، وذاع اسمه كما ينفذ شعاع الصبح فتكتحل كلُّ عين من نوره ويصحو كل نعسان ؛ وشدَت القارئُ بأغانيه فى الرياض ، وهتفتْ بها العذارى ، وتغنّى الفِتيان ...

... ودُق الجرس ذات مساء فى دار رشيدة ، وجاء سامى يخطبها ... ، وتوافد لِداتها وصواحبها يهنئنها ويتمنّين لها ...

... وراحتْ تتخيّل نفسها إلى جانبه يمشيان ذراعاً إلى ذراع تحدّثه ويصغى لها ، والناس تهتف باسمها واسمه ، والعيون تتبعهما حيث ينتقلان من روض إلى روض فى طريق مفروش بالزهر ، والأصابع تشير إليهما فى همس : أتُنه لَهُو ، وإنها ...

ولذّها الحُلمُ السعيد ، فطارت بغير جناح تحلّق فى وادى المنى سكرى !

وتتابعتْ على عينيها صُوَر ؛ وأفاقتْ من سكرتها مذعورة

لأول مرة فى مجلة «الإمام» ، ثم أفردت فى كتاب ، وذلك عمل ينطوى على جرأة كبيرة من المؤلف والناشر ، لأن الرسالة صودرت عقب تداولها . وأول كتاب أصدره فى مصر هو كتابه « مصادر التاريخ الإسلامى » الذى صودر بمرسوم ملكى من جلالة الملك فؤاد، وهو آخر مرسوم صدر من جلالته قبل وفاته .

ومن هنا يعرف أن حياته الأدبية كانت قصيرة إلا أنها كانت ملأى بنشاط جدير بالإكبار والتقدير ، فقد كان يعتكف الأيام المتوالية حتى ينتهى من وضع كتاب، أو إخراج بحث، أو يستوعب عدة مؤلفات قراءة ودراسة ؛ ومن نتاج ذلك الاعتكاف كتابه « الأنساب العربية » ، وكتابه « الزهاوى الشاعر » . وقد اهتم الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة «الحديث» السورية بدراسات أدهم فرحب بها وأصدر بها أعداداً ممتازة، كدراسته للدكتور طه حسين ، والشاعر التركى عبد الحق حامد ، وأخيراً الأستاذ توفيق الحكيم ، ومن أظرف ما يروى بهذه المناسبة أنه كان مختلفاً مع صاحب الترجمة على مولده، إذ كان توفيق الحكيم يذكر أن مولده فى عام ١٨٩٨ ، ولكن أدهم يصر على أنه ولد فى عام ١٩٠٣ ؛

ومما يدهش القارئ إيراد أدهم لأدلة منطقية لا يملك الإنسان معها إلا أن يسلم بخطأ توفيق الحكيم نفسه فى معرفة مولده

وكانت إدارة « الحديث » تستعد لإخراج عدد خاص بدراسته لميخائيل نعيمة ، كما كانت تستعد إدارة المقتطف لإخراج دراسته لخليل مطران لتهديها إلى مشتركيها هذا العام ، ولا أدرى ماذا تم فيها، وإن كنت أعرف أن المؤلف كان يستعجلها فى إخراج كتابه قبل وفاته، لأنه كان يريد أخذ نسخة معه إلى أوربا، إذ كان يعتزم السفر بعد تغير الموقف الدولى ؛ واشتدت الرقابة عليه لشبهات لا محل لها من الصحة ، إذ أنه كان فى أيام السلم يرسل بعض أبحاثه لتذاع من محطة بارى العربية ، كما أنه كان ينشر بعض أبحاثه فى مجلة (المستشرقين الألمانية) منها نقده لكتاب حياة محمد، وقد أشار إلى ذلك النقد الدكتور هيكل فى مقدمة الطبعة الثانية من كتابه بعد أن أغفل اسمه .

ولما لم يتمكن من السفر والهروب من قفص الرقابة ضاقت به الحياة فودعها ومضى

(لها عودة) عبد الحفيظ نصار

لصورة عَرَضَتْ ؛ وتخيَّلته يحفّ به فتيات يسألنه ويجيب وفى عيونهن معانٍ وفى عينيه معنى ؛ وقدعتها نار الغيرة وساورها القلق ، وراحت تسأل نفسها : أتُراه - وهو مَن هو - لم يفتح قلبه لفتاة قبلها ولن يفتحه ؟ فكيف ، ومن أين لها ، وإن اسمه لحديثٌ على الشفاه ونجوى فى القلوب ! ... أم تراه يخاص لها فلا يغلبها على قلبه أحد ؟

وابيضّتْ ذؤابةُ الليل وما تزال أحلامُ اليقظة تُراوح بين جنبيها فى الفراش !

* * *

ومضت ليال ، وأنِسَتْ رشيدةُ إلى فتاها وأنس بها ؛ وتتابع اللقاء بينهما فى الحلم حيناً وفى اليقظة ؛ وتكاشفا نفساً لنفس فاطمأنّت وزال ما كان يساورها من هم ، واسترسلت فى أحلام السعادة والمجد ، وهى تحصى ما بقى من أيامها حتى يكون لها

وجاء اليوم الموعود وزُفَّتْ رشيدةُ إلى سامى ...

* * *

« يا هَنَاها ! »

ذاك حديث كل صواحبها ؛ أفتراها كانت تسمع ما يتحدّثن؟

أما هو فكان من شأنه فى شغل عما يتحدث الناس ؛ لقد وجد الاستقرار والراحة منذ وجد رشيدة ؛ فانصرف إلى غايته دائباً لا يشغله من شئون الحياة إلا فنُّه والأمل الذى يتنوّره على مبعدة

وأما هى ... أين هى من أحلامها التى كانت تداعبها فى اليقظة وتُلِمُّ بها فى المنام ؟

هذا عام مضى منذ دخل سامى فى حياتها وشاركته فى داره ؛ فماذا تحقق من أمانيها وماذا بقى ؟ وماذا يجدى عليها صيتُه ومجدُه وشهرته وإنها لحبيسة الدار لا تتحدث إلى أحد ولا يتحدث إليها أحد ؛ وزوجها الذى خلق لها دنيا عريضة من الأوهام والأمانى حبيسٌ فى غرفته مكبٌّ على أوراقه ودفاتره !

هذه الصحف التى تتحدث عنه ، وهذه الكتب التى تصدر باسمه ، وهذه الجماعات التى تدعو دعوته وتُشيد به ... كل هذه أوهام وخداع وتلبيس على الحقيقة . لقد حسبتْ يوماً أنها ستكون أسعدَ زوجةٍ فيمن تعرف من صواحبها ؛ لأن هذه الأوهام المكتوبة كانت تُخيِّل لها وتخدعها عن الحقيقة ؛ أما اليوم ، وا أسفا !

إنه ليحبها وإنها ... نعم ، لقد كانت تحبه ؛ ما فى ذلك شك ؛ أما اليوم ... آه ! ليتها تستطيع أن تقول ... ليتها تستطيع أن تعرف ...!

إنها لتحس فى بعض الأحايين أنها تكرهه ، شوقاً إليه !...

ليت شعرى ، ما الحب ؟ وما البغض ؟ ... أهما معنيان متناقضان أم هما اسمان لمعنى ؟

وما الحقيقة ؟ أهى شىء واحدٌ أم شيئان ، ولونٌ واحدٌ أم ألوان ؟

إنه هو هو ، وإنها هى هى ؛ لم يتغيَّر شىءٌ منها ولم يتغيَّر شىءٌ منه ؛ ولم يَزَلْ هو كلُّ شىء فى حياتها ولم تَزَلْ ؛ وهذه الأشياء التى كانت تحببه إليها يوماً هى هى التى تبغّضه إليها اليوم

إن الباطل الصُّراح أحبُّ إلى النفس من الحقيقة المتلوّنة !

* * *

واحتوشتها الأفكار فلم تعرف ماذا تأخذ وماذا تدع ؛ فأطرقت ، وأرسلت عينيها ؛ وكان سامى فى غرفته يكتب ويؤلف !

... وفرغ من موضوعه بعد هدأة من الليل ، فرفع أوراقه بين عينيه والمصباح وراح يقرأ ، وأعجبه عمله ؛ فهتف : رشيدة ، تعالى اسمعى !

وماذا يجدى عليه رضا الناس إن لم ترض رشيدة ؟ ولكن رشيدة كانت مطوية على نفسها فى الفراش تبكى ؛ ودنا منها ، فجفّفتْ دموعها واعتذرتْ ؛ وجلس على حافة الفراش محزوناً أسوان يسألها عن علتها ؛ وما كانت علتها غيره !

وطوى أوراقه صامتاً ، وأوى إلى الفراش منكسراً ذليلاً ؛ وأصبح كما يصبح كل يوم ، وكما أمسى ؛ وأصبحت كما أمستْ !

* * *

وجاءت صديقتها « سعاد » لزيارتها ؛ وما زارتها فى بيت زوجها قط ؛ وخلت رشيدة إلى صديقة صباها تحدثها وتستمع إليها ، وخلا سامى إلى نفسه يعمل ...

وقالت سعاد : وإنى لأسمع عنك وأعرف ، فيسرنى هناؤك ... وإنك لحقيقة أن تسعدى بسامى ... !

وابتسمت رشيدة وسكتت !

ونهضت الزائرةُ فشيَّعتها صديقتها على ميعاد

وذهبتْ رشيدة لتردَّ الزيارة لصاحبتها ؛ ولقيتها سعادُ فى غلائلَ وشفوفٍ وجَلْوةِ عروس ؛ وأحسنتْ استقبالها ؛

ثم وَدَّعتها لحظة لتسرّ إلى زوجها حديثاً وعادت ، وأحست رشيدة أن صديقتها فى شغل ؛ فأوجزتْ ، وسألتها : أرجو ألا يكون في زيارتى ما يشغلك عن شىء !

وابتسمت سعاد وأجابت : ليس شيئاً ذا بال ؛ كنا على أن نشاهد رواية فى السيما ، فطلبتُ إليه أن يذهب وحده إذا أراد ! لقد شاهدناها مرة منذ يومين !

وغمغمت رشيدة بكلام ، ثم أطرقت ؛ أتراها كانت تحدّث نفسها أم تحدّث مضيفتها ، وماذا همّتْ أن تقول ؟

وخفّفتْ فنهضتْ ، وفى قلبها حسرة ، وفى صدرها غيرة ، وفى رأسها فكر !

وقالت سعاد لزوجها وقد ذهبت رشيدة : « زوجة سامى ! »

واستطردت : « إنها صديقتى منذ الطفولة ! ألا تقرأ له ؟ قل لى : لماذا لا تحاول أنت . . . ؟ إن له مستقبلاً عظيما ! لقد بَلغ . . . هل سمعْت . . . وله جاهٌ وشفاعة . . . إننى ورشيدة صديقتان ، لم نفترق منذ كنا ، حتى تزوّجتْ ، وخطبَها على غفلة . . . ! »

* * *

. . . وأدارتْ رشيدةُ مفتاح المذياع وجلستْ مرتفقةً إليه تنتظر ؛ إن زوجها هناك ؛ وما بها شوق إلى أن تستمع إليه ، لولا أن صوته فى المذياع يردُّها لحظاتٍ إلى ماضيها ، أيام كانت فى بيت أبيها مُسمَّاة عليه ؛ تلك أيامٌ خلَتْ ؛ وكان صوته يلذها ويبعث فيها نشوة . . . أوه ! أين اليقظة من الحلم ؟ أكُتِبَ علينا ألا نرى السعادة إلا طيفاً فى المنام أو حُلماً فى اليقظة ؟

وتسرّحت رشيدةُ فى أوهامها . . .

. . . وكأنما أحسّ سامى من رشيدة فتوراً وانقباضاً ، فأهمّه ما أحسّ ، وراح يحاول أن يصلح ما بينه وبينها ، وعطف عليها يسألها فى رقة : ماذا بك يا رشيدة ؟

وانفجرت رشيدة غاضبة صاخبة ، وكشفت الحجاب ، ونفضت عليه ما تكظم من الغيظ منذ عام ؛ وطأطأ رأسه يوازن ويقدّر ويحكم ؛ وبدت له الحقيقة سافرة وانكشف عنها غطاؤها ؛ وآثرها بالرّضا فقدّم لها معاذيرَه !

وتغيّر سامى منذ اليوم ، فأغلق دار كتبه وأقبل على زوجته ؛ وفى المساء كانا يمشيان ذراعاً إلى ذراع فى الطريق على أعين الناس ؛ وصحبها إلى السيما ، وسهرا معاً فى الأوپرا ، وتمشّى معها فى مطعم ؛ وراقصها على نغمات الموسيقى فى الحديقة ، وعاد معها إلى الدار مخموراً قبيل الصباح !

وعرف سامى منذ الليلة أن فى الحياة ألواناً من اللذة لم يذقها بعدُ وقد أوشك شبابُه ؛ فاشتهى وتمنّى . . .

وفاءت رشيدةُ إلى الرضا ومَرّنتها حياتها الجديدة فطلبت المزيد !

* * *

وكانا يمشيان على ضفاف النيل حين اعترض سبيلهما سربٌ من الحسان . وقالت إحداهنّ وأومأت إلى سامى : أتنه لَهُو ! فأحنى رأسه مبتسما وأتبعها عينيه ؛ وأغضتْ زوجتُه !

ولم تجد رشيدة من نفسها فى الليلة التالية رغبة فى الخروج ؛ تخلفها فى الدار ومضى وحده ؛ وأشرقت الشمس قبل أن يعود ، وهمّت زوجته أن تتكلم فتركها وما تريد ومضى إلى فراشه . . .

وعرف عنوا نَه من لم يكن يعرف من عشاق أدبه ؛ فكثر زائروه وزائراته ؛ وراح يقتضى الناسَ ثمنَ إعجابهم بفنه لذائذَ وشهوات . . .

وتدحرجت الكرةُ على المنحدر المائل واستمرتْ تهوى . . .

. . . وجاءت سعاد لتزور صديقتها ، وقالت : أين سامى ؟ منذ بعيد لم نسمع ولم نقرأ . . . !

وابتسمت رشيدةُ وسكتتْ ؛ شأنها فى يوم مضى ؛ ثم أطرقت وعضت على شفتيها تحاول أن تحبس زفرة ألم !

ونهضتْ الزائرة وخلت رشيدة إلى نفسها تبكى ؛ وخيّلتْ لها أمانيها أنه هناك ، فى غرفته ، يكتب ويؤلف ، وأنه يوشك أن يفرغ من موضوعه فيهتف بها : رشيدة ! تعالى اسمعى ! كما كان فى ليلة منذ ليال ! . . . ولكنه لم يفعل ، لأنه ليس هناك !

. . . .

* * *

. . . ثم استيقظت وهى مرتفقة إلى المذياع ، ورنّ صوته فى مسمعيها قادماً من بعيد ، صوت ندى رطب ، يتحدث فى وداعة ولين . لم يكن حديثه إليها ، ولكنها وجدت بَرْدَه على قلبها ، فدمعتْ عيناها فرحانة ؛ وهتفت : سامى ! عُدْ إلىّ !

ولم يسمع نداءها ، ولكن خاتمة حديثه فى المذياع كان جواب النداء . . .

محمد سعيد العريان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)



8me Année No. 371

Lundi - 12 - 8 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

تأخير السنين

للأستاذ عباس محمود العقاد

أما تأخير السنين فهو الرجوع بها إلى الوراء

يكون الرجل مثلاً فى سنة أربعين فيرجع إلى سنة عشر ، أو يكون فى القرن العشرين فيرجع إلى القرن الأول ، أو يكون فى أيام التاريخ فيرجع إلى ما قبل التاريخ

ولذلك ثلاث وصفات على طريقة المعجزات ، ووصفة واحدة على طريقة المعجزة أبناء الفناء

فالوصفة الأولى على طريقة المعجزات أن تقبض على دولاب الزمن فتديره إلى الأمام أو إلى الوراء حين تشاء وكيفما تشاء .

ولا بد قبل ذلك من معركة فاصلة بين المرء وبين الزمن ينكسر فيها الزمن فيلقى بدواليبه ومقاليده ومفاتيحه ثم يلوذ بالفرار

وأنا قد حاربت الزمن فى معارك شتى ، ولكننى لم أصل معه إلى المعركة الحاسمة ، ولا علمت بمستودع الدواليب والمفاتيح . فليس فى الوصفة الأولى رجاء

والوصفة الثانية على طريقة المعجزات هى وصفة أينشتين فى بعض الفروض الرياضية والألغاز « النسبية »

وذلك أن أشعة الأرض تصل إلى بعض الكواكب فى مائة

سنة ، وإلى بعضها فى مائتين ، وإلى بعضها فى ألف أو ألوف

فمن صعد إلى كوكب من تلك الكواكب ، ورصد أشعة الأرض على أسلوب من أساليب الصور المتحركة ، فهنالك يرى اليوم حروب نابليون أو حروب فردريك الكبير أو حروب هنيبال لا تزال فى البرنامج ولا تزال تجرى على حقيقتها كما كانت تجرى فى هذه الأرض منذ كذا من السنين

وبينى وبين هذه الوصفة أن أصعد إلى الكوكب بأسرع من صعود الشعاع إليه ، أو أن أصعد إلى الكوكب على جناح فرض من الفروض الرياضية فى مثل لمح البصر أو خطرة الخيال

فإذا جاء اليوم الذى يطير فيه الإنسان على أجنحة الفروض فهنالك نؤخر الزمان الأرضى كما نشاء ، ولكننا نصعد إلى الكواكب فنجد فيها الحاضر حاضراً لا يقبل التأخير

والوصفة الثالثة على طريقة المعجزات هى وصفة على لسان « أولاد البلد » فيما يتحدثون به عن فعل الحبوب والعقاقير

فقد زعموا أن حبوباً تعيد الشباب ، وأن الحبة منها ترد من يتناولها عشر سنين ، وأن رجلاً بالغ فى التصابى فتناول خمس حبات فعاد رضيعاً على كفوف بناته وأبنائه

وصيدلية هذه الحبوب لا تدين بمذهب الأمريكان فى حب الدعوة والإعلان ، فما اهتديت إلى مكانها حتى الساعة ، ولعلها تدين بتأخير السكان

فدعونا إذن من الوصفات الثلاث على طريقة المعجزات وهلموا بنا إلى وصفة المعجزة من أبناء الفناء

ووصفة المعجزة من أبناء الفناء هى كتب التاريخ ، أو هى الصحافة التاريخية على التعبير الصحيح فيما نحن فيه

فإذا رجعت إلى سجلات الصحف فأمامك حوادث الأيام يوماً بعد يوم ، وخبراً بعد خبر ، وفى وسعك أن تقفز إلى الوراء مائة سنة أو أكثر من مائة حسب تواريخ الصحف التى تقرأها ، دون أن تتجشم المرانة على براعة القفز إلى الوراء

ومن سجلات الصحافة القيمة سجل يجمع فصول « التيمس » الافتتاحية فى جلائل الأحداث من سنة ألف وثمانمائة إلى ما قبل اليوم بثلاث سنوات

ففى أى يوم من أيام تلك الأحداث تريد أن تجلس إلى قهوتك وتفتح صحيفتك وتأمر بأمر الفضول ، فتستطلع الغيب عن الحادث المجهول ؟

معركة ترافلجار أو الطرف الأغر ؟ معركة واترلو ؟ تسليم نابليون ؟ موت نابليون ؟ أحاديث العلماء والجهلاء عن الاختراع الجديد المسمى بالتليفون ؟

أنت لا تعلم شيئاً من هذه الأشياء ، ولكنك تفتح الصحيفة لتقرأ آخر الأنباء

٧ نوفمبر سنة ١٨٠٥ — يوم ترافلجار

« فى مكان آخر من عدد اليوم نص التقرير الرسمى عن المعركة البحرية التى انتهت بأحسم انتصار ظفرت به الفطنة والبسالة البريطانيتان . وهو انتصار على ما فيه من العظمة والمجد قد اشتريناه بثمن غال ، وكفى دليلاً على شيوع هذه العقيدة ورسوخها فى الأذهان ذلك الحزن البالغ العميم الذى قوبل به موت اللورد نلسون . فلم يكن للنصر صدى الحماسة والطرب الذى تردد به كل نصر فى معاركنا البحرية السابقة ، وليس فى البلاد فرد لا يرى أن حياة بطل النيل أنفس جداً من أن تقوّم بعشرين سفينة فرنسية وإسبانية بين غائصة ومأسورة ، فلا مظاهرات فرح شعبى ولا أصداء نشوة قومية صحبت هذا الحادث الخطير . وإنما ظهر شعور الأمانة والرجولة فى نفوس الأمة كما ينبغى أن يظهر : رضى عميق بانتصار سلاحهم المحبوب ، وحزن خالص أليم كحزن المرء فى أسرته على البطل الصريع »

***

وتقدمْ ثمانى سنوات فأنت فى انتظار الأخبار عن معركة « واترلو » وهى تتوالى متناقضة متفرقة ، يقول بعضها بانتصار نابليون ويقول بعضها بانتصار الحلفاء . وتروى عن ولنجتون كلمته المشهورة : « ما رأيت كاليوم غباء فى سبيل النصر ، ولا رأيت كاليوم اقتراباً من الهزيمة »

وتقدمْ أياماً أخرى فإذا بنابليون أسير لم تتحقق أنباء أسره ، وإذا بالناس مختلفون هل يجوز الحكم عليه فى محكمة دولية ؟ هل يسلم إلى ملك فرنسا ليعقد له محكمة فرنسية ؟ هل يحاسب على من قتل من الأسرى والسجناء فى غير ميدان القتال ؟

ثم تحقق نبأ الأسر وجيء بالأسير إلى الشواطئ الإنجليزية ، وانعقد مجلس الوزراء للبحث في مصيره . فهل تعلم ماذا قرر مجلس الوزراء ؟ . . . كلا . . . أنت لا تعلم ذلك في أثناء انعقاده ولكنك تقلب الصفحة فتعلم بالقرار

وتستمع فإذا الصبية في الطرقات ينادون بنفي نابليون إلى جزيرة القديسة هيلانة ، وإذا بالتيمس تقول بعد السفر به إلى تلك الجزيرة :

« ألآن نحسبنا على يقين أننا سنفرغ من شأن نابليون بونابرت فلا نعود إلى ذكره إلا أن نتخذ منه مثالاً لكل جريمة عبرة للآخرين . ولئن كانت يد الإنسان قد رفقت به في جزاء آثامه فلا يفهمنّ من هذا أنه نجا من كل عقاب غير هذا العقاب . وما ندري بأي عقيدة من العقائد يدين الآن . فقد جهر بالإلحاد مرة وبالإسلام مرة أخرى وبالكثلكة مرة ثالثة حسبما لاح له من بوادر المصلحة في كل حين ، وكان على ما رزق من الملكات العظيمة والنشاط الدائب عريقاً في الخسة ، تلك المراوغة التي لا يبالي معها أي ضرب من ضروب الغش والرياء تزجية لمآربه في غير خجل من افتضاح أمره أو عواقب خداعه ما دام قد نفذ إلى مراده . ولكنه — إن يكن إنساناً — فله لا محالة وقد أوى إلى العزلة والفراغ عقيدة يركن إليها وتلعج في ضميره مضيض الألم ووجيع الندم مما اقترف من المساوئ والشناعات »

وتقدمْ ست سنوات فأنت تقرأ نعي نابليون كما تقرأ الذكرى المنسية قد انبعثت من قبور النسيان

***

وعلى هذه الشاكلة يرجع المدبرون إلى الماضي من طريق الصحافة ، وهي طريق معبّدة يهتدي إلى معالمها كل عابر سبيل

فإن لم تعجبك طريق الصحافة فللشعر والأدب طريقهما إلى كل ماض وإن لم تكن بالطريق المعبدة لجميع العابرين

ومن مصادفات الأيام أنهم احتفلوا في يونيو الماضي بانقضاء مائة عام على مولد الشاعر الإنجليزي الكبير توماس هاردي صاحب قصيدة « المواهل » أو قصيدة نابليون

وظهرت الصحف الأدبية وفيها شذرات من تلك الملحمة الفخمة كأنما تقال في هذه الأيام ، ومن أجل هذه الحرب ، وعلى نغمات الحوادث العالمية التي تصلصل الآن في الآذان

وأي وصاة في حروب نابليون لا يوصى بها في الحرب الحاضرة ؟

قال هاردي على لسان ولنجتون وقد سئل في اليوم المرهوب بماذا توصي إذا وقعت في حومة الوغى ؟

قال هاردي أو قال ولنجتون : « بالثبات إلى أقصى مداه... فحيثما بقي في الميدان رجل واحد على قدم عرجاء في حقيبته رصاصة واحدة فليثبت في النهاية كما انتهيت »

ولكن نابليون هو الذي انتهى فوقف بلسان الشاعر يقول :

« الآن كل شيء ضاع ... فياساعات الأرض جيماً دقي لسلطاني دقة الختام »

ووقف الزمن يقول لذلك السلطان المخذول : « ما أمثالك من الرجال الذين يخوضون غمار الدنيا محدثين فيها الأحداث مقلبين السعود والنحوس إلا حشرات على صفحة الأجيال كحشرات النبات على صفحة الأوراق ، ينشرون ما تطوى أخاديد التراب »

***

أترانا على هذا النهج قد رجعنا في طريق الماضي ، وأفلحنا في تأخير السنين ؟

كلا ، بل نحن فيما أرجو قد تقدمنا أمام الزمن ، ونظرنا إلى المستقبل ، ورأينا على صخور القديسة هيلانة مكان ضيف جديد !

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبـارك

العمر الضائع بين المداراة والرياء — الأندية الصحفية — نادى المعارف — الاذاعة اللاسلـكية — إذاعة وزارة المعارف

العمر الضائع

هو عُمرى وأعمار أكثر الأدباء فى الشرق ، فأعمارنا تضيع بين المداراة والرياء ، ومن أجل هذا يقلّ فى أدبنا ذلك الجوهر النفيس : جوهر الصراحة والصدق . ومن أجل هذا أيضاً يقلّ السائلون عنا والراغبون فينا ، لأنهم يعرفون أنهم لن يطّلعوا على أفق جديد من آفاق القلوب والعقول حين يقرأون ما نطالعهم به من حين إلى حين

أقول هذا وقد وَأدتُ صفحتين كتبتهما بالأمس ، صفحتين صوّرتُ بهما من عَرفتُ من الوزراء تصويرًا يُعيّن بعض الملامح من تاريخ العصر الحديث

ومن أعجب العجب أن نعجز عن قول الصدق ، حتى فى الأحوال التى يكون فيها ذلك الصدق خيراً محضاً ، لأن الجمهور الذى نعاصره يتأذى من الصدق الذى يسرّ أكثر مما يتأذى من الصدق الذى يسوء . وإنما كان الأمر كذلك لأن هذا الجمهور لا يرضيه أن يكون الصدق وسيلة لتوكيد بعض الحقوق التى غنِمها بعض الناس بصدق الجهاد

ويجب أن نسجل أن النوابغ فى الشرق لهذا العهد لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه بفضل تشجيع الجمهور أو تشجيع الوزراء والأمراء ، فما نبغ نابغٌ فى الشرق لهذا العهد إلا بقوة ذاتية حَمَته وعصمتْه من كيد المخذّلين والموهّنين ، فهم كالأشجار التى تنبت فى الصحراء ثم تصير بواسق برغم الظمأ والأعاصير

وهنا تظهر العلل الأساسية لغضب الجمهور من الصدق الذى ينفع، هنا يظهر السبب فى أن الفضل أصبح من أكبر الذنوب، لأنه من صور الانتصار على الجمهور ، والمنتصر لا يقابَل بغير الموجِدة والغيظ . وهل كانت شماتة الناس بالمغلوبين إلا تعبيراً عن هوامّ الدفين فى أن تدول دولة القوة والتفوق ؟

فالذين يغضبون من الصدق المؤذى لا يغضبون لمن آذيت ، وإنما يغضبون عليك ، لأنك ملكت من القدرة أكثر مما يملكون ، وكانوا يتمنّون لو كان إليهم المرجع فى القدرة على الإيذاء . والذين يغضبون من الصدق النافع يُعبّرون بغضبهم عن علة خفية هى بغض الخير للناس ، ويزيد ألمهم كلما تذكروا أن جودك بالكلمة الطيبة قد ينفعك . وهذا يشرح أسباب حرصهم على تزييف المجاملات بحجة أنها من وسائل النفع ، كأنه لا يجوز أن يقصد الرجل بمجاملة النافعين من الرجال غاية شريفة هى رفع العوائق من طريقه والاتسام بسمة التلطف والترفق والذوق

وكنت قلت فى حديث سلَف إنه يجب على الأديب أن يتعرف إلى من يعاصر من الوزراء والزعماء ليساعد على توجيه الحياة الاجتماعية وليكون له مكان فى تسديد خطوات الجيل ، فرأى بعض الصحفيين أن يقول إنى أشرت إلى أسماء كان أكثرها من وزراء المعارف السابقين واللاحقين

فما معنى ذلك ؟ معناه أنى ألاطف قوماً قد أحتاج إلى معونتهم فى بعض الأحيان !

والذى قال هذا الكلام صديق ، وقد نشره فى جريدة هى أيضاً صديق . نسأل الله الحماية من الأصدقاء !

وأقول بعبارة صريحة إنى غير راض عن نفسى ، لأن جوانب الهجوم لها الحظ الأوفر من أدبى ، وذلك باب من الشجاعة بالتأكيد ، وهو يعرّضنى لكثير من ألوان المكاره والمتاعب ، ولكن هناك شجاعة أعظم من هذه الشجاعة ، وهى التى تنبعث عن القدرة على كلمة الإنصاف والتأييد فى المواطن التى يحتاج فيها من نعاصرهم إلى الجهر بكلمة الإنصاف والتأييد

فأنا حين أهجم على رجل أقيم الشاهد على الزهد فى المنافع الشخصية ، وقد أتلقى كلمات الإعجاب بلا حساب . وهذا المذهب لا يضمن الخلوص من هوى النفس

وأنا حين أتردد فى إزجاء كلمة الصدق لمن تنفعهم كلمة الصدق إنما أخدم نفسى بإبعادها عن المواطن التى قد أُتهم فيها بالتزلف ؛ وهذا فى رأيى جبن بشع لأنه من صور الخوف من تزيُّد الناس ، ولا يخاف تقوُّل المرجفين إلا الجبان

وخلاصة القول أنه يجب أن ندرس نفوسنا دراسة عميقة لنعرف إلى أى حد نتأثر بالجمهور فى غضبه ورضاه ، فهذا الجمهور كالطفل المدلل ، ورأيه أضعف من هواه ، ولا يخضع الرجل فى تفكيره إلى هوى الجمهور إلا حين يكتب عليه الخذلان

الأندية الصحفية

يظهر أن الحرب الحاضرة سيكون لها تأثير فى مصاير الأندية الأدبية : ذلك بأن الظلام الذى يغمر شوارع القاهرة فى هذه الليالى قد أضاع بهجة القهوات ، وصرف روادها إلى أماكن جديدة هى إدارات الصحف والمجلات

فقهوة نيوبار بميدان إبراهيم لم تعد أمسياتها ملتقى السامرين من أهل العلم والأدب والذوق ، وكذلك صارت قهوة السلام بذلك الميدان مجفوة من روّادها بعض الجفاء ، ومشرب سيسل جفاه أصدقاؤه الأقدمون ، وقهوة ريجينا صدّ عنها من كانوا يجعلونها ندوة الصيف ... وهكذا صار من العسير أن نجد الفرصة للأنس برؤية بعض الإخوان على غير ميعاد فى تلك القهوات كما جذبنا الشوق إلى أطايب الأسمار والأحاديث

ومع ذلك عوضنا الله خيراً ، فقد انتقلت تلك الأندية إلى إدارات الصحف ، وصار من السهل أن نجد من نحب من الإخوان حين نريد . ولكن ما خصائص تلك الأندية الصحفية ؟

أرجو أن تسنح فرصة قريبة لتفصيل الكلام عما يقع فى إدارات الصحف والمجلات من العناية بتعقب أخبار الآداب والفنون

نادى المعارف

وما أريد « نادى المعارف » فى بغداد الذى يلتقى فيه جمهور المعلمين كل مساء ، وإنما أريد النادى الذى أنشأناه بوزارة المعارف فى المنطقة الشمالية من الديوان

ونواة هذا النادى كانت بمكتب تفتيش اللغة العربية ، وكان وَقوده من المجادلات النحوية والصرفية واللغوية ، ثم انتقل إلى البهو الفسيح الذى يجتمع فيه كاتمو أسرار الوزير والوكيلين ، إن صحّ أن لوزارة المعارف أسراراً لا تذاع !

ولنادينا بوزارة المعارف محاسن وعيوب ، فهو يقرّب بعض الإخوان من بعض ، وينفّر بعضهم من بعض ، وإن دام الحال على هذا المنوال ... ؟ !

هو نادٍ مبعثَر ، ولكنه جذّاب ، لأنه يجمع أشتات الألوان ولأن أعضاءه جميعاً من أهل البصر بالأدب الرفيع ، وإن كان فيهم من لا يقرأ المجلات الأدبية إلا بالمجّان ، وحجتهم أن وزارة المعارف لا تشترك فى بعض المجلات الأدبية إلا للتوفر على موظفيها من الأدباء بضعة قروش فى كل أسبوع ، وهى حجةٌ من الوجاهة بمكان !

وليس لهذا النادى مواعيد ، فأنا أذهب إليه حين يخفّ ضجيج الجدل بمكتب تفتيش اللغة العربية ، وعبد الرحمن صدقى يخفّ إليه حين يحتاج إلى استعارة جريدة أو مجلة من أحد الرفاق ، وعلى أدهم يقرّ فى مكانه إلى أن تنزل عليه نازلة من بعض من يسألون عن مصاير الأدب حين تصطلح الحيتان فى بحر الشمال ، وسيد نوفل يتلبّث ويتمكث إلى أن يجىء من يحدثه عن مدارج البلاغة فى غياهب التاريخ

وسيقوى هذا النادى بعد البشاشة التى شاعت بوجه الأستاذ فريد أبو حديد ، وقد تطيب الدنيا فينضم إلى نادينا فريق من الذين كانوا يظنون أن جوّ وزارة المعارف لا يساعد على خلق الروح الأدبى ، لأن وزارة المعارف فيما يزعمون ليس لها أثرٌ مذكور فى تشجيع الأدباء

وزارة المعارف ؟ ذلك هو اسمها ، والأسماء لا تعلَّل ، كما كان يقال . وإلا فكيف جاز ...

لقد أنسانى الشيطان ما كنت أحب أن أقول !

الإذاعة اللاسلكية

لا تنقطع أصوات الاعتراض على ضعف مناهج الإذاعة اللاسلكية ، ولا يكون من المغالاة أن نقول إن فى الناس من نسى أن فى مصر إذاعة تواجه الجمهور بالطيبات من الأحاديث الأدبية والعلمية والاجتماعية ، فصار من المألوف أن تُناق فى محطة الإذاعة بعض المحاضرات الجيدة بدون أن يتنبه لها جمهور المتشوفين

فما علة هذا النقص ؟

لا ترجع العلة إلى ضعف من يسيطرون على محطة الإذاعة ، وفيهم أدباء فضلاء ، من أمثال فلان وفلان وفلان ، وإنما ترجع العلة إلى كسل أولئك الأدباء الفضلاء

ولكن كيف ؟

لم يتفق للمشرفين على محطة الإذاعة أن يفكروا فى الانتفاع بمواهب الأدباء الكبار انتفاعاً يشهد بأنهم يحرصون على تزويد الجمهور بأطيب ما فى مصر من ثمرات العقول والقلوب والأذواق ، وإنما يقبع المشرفون على المحطة فى مكاتبهم لفحص ما يَرِد عليهم من طلبات الشادين والمبتدئين من الذين لا يعرفهم الجمهور أول مرة إلا عن طريق المذياع

من حق محطة الإذاعة أن تشجع بعض المبتدئين ، ومن حقها أن ترفع إصر الخمول عن بعض الخاملين ، ولكن هذه النية

الطيبة ستعود عليها بالضرر البليغ ، وسيكون حالها كحال المجلات التي تسقط جدرانها فوق رءوس من تشجع من التلاميذ

ويظهر أن محطة الإذاعة تنسى أن لها جماهير في أقطار الشرق ، وأن تلك الجماهير لا تنظر بعيون الارتياح إلى عنايتها بتدريب المبتدئين ، وتشجيع الخاملين

أكتب هذا وقد سمعت أن المشرفين على محطة الإذاعة أقسموا بالله جهد أيمانهم ليُغلقُنّ آذانهم عن كلمات النصح ، حتى لا يقال إنهم ضعفاء تخيفهم أسواط النقد الأدبي

وأنا أحترم هذا النوع من الشجاعة ، وأرجو أن يعرفوا أني يائس من آذانهم كل اليأس ، وما حملني على تسطير هذه الكلمة إلا الرغبة في أن تعرف جماهير الأمم العربية أن مصر بخير وعافية ، وأن محصول محطة الإذاعة لا يمثل ما في مصر من حيوات القلوب والعقول

إذاعة وزارة المعارف

زعموا أن وزارة المعارف نظمت دروساً للراسبين في امتحانات الثقافة العامة وامتحانات القسم الخاص

وما يهمني إلا الدروس الخاصة باللغة العربية ، لأنها تصوّر مواهب المدرسين بالمدارس الثانوية . وأنا أقترح أن تسجَّل تلك الدروس لنستطيع مؤاخذة أصحابها حين نشاء ، فبعض من يُلقون تلك الدروس يقعون في اللحن الفاحش ، ويسقطون في تفسير النصوص سقطات لا يتردى فيها العلماء ، فإن اعتذروا بأن بعض من يفسرون القرآن عن طريق المذياع يقعون في أغلاط أبشع من أغلاطهم فذلك هو العذر الذي قيل إنه أقبح من الذنب !

ولو تفضلت محطة الإذاعة فسجلت طوائف من الأحاديث لاستطاع النقد الأدبي أن يطوّق بعض أصحابها بأطواق من حديد

ولكن متى تصنع وهي تزعم أنْ ليس في الإمكان أبدع مما كان ؟ ! ومع ذلك يعاب علينا أن نثور من وقت إلى وقت ، كأن من الواجب أن نفرح بكل ما يصدر عن أبناء الوطن الغالي !

أيكون من حق بعض الناس أن يصدّعونا باللحن والخطأ في جميع الأوقات ، ولا يكون من حقنا أن نعرك آذانهم في بعض الأوقات ؟

سنزجي أيام هذا الصيف بتعقب أولئك « الفضلاء » إلى أن يصدر الأمر بأن محطة الإذاعة محطة حكومية وأن توجيهها إلى السَّداد من الممنوعات . فمتى يصدر ذلك الأمر ليعرف الجمهور أن سكوت النقد الأدبي عن محطة الإذاعة ليس إلا فناً من الطاعة لأولي الأمر منا ؟

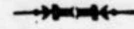
عفا الله عمن حرّضوني على هذا النقد اللاذع من القارئين والقارئات والسامعين والسامعات ، وإن كان تحريضهم شاهداً على أن في مصر ناساً يقرأون ويسمعون ! وهل من القليل أن أن يكون في مصر من يرجو أن تُفرض « الرقابة الأدبية » على من يكتبون ويخطبون ؟

زكي مبارك

إلى الباكين على فرنسا

مقتول يبكي على قاتله !
وفى غير الحب . . . !

للأستاذ عبد المنعم خلاف



عجيب هذا التفريق والتمييز بين فرنسا السياسية وفرنسا الأدبية والروحية — إن كان لها روح — من أقلام طائفة من كتابنا ، بينما فرنسا لا تفرق بين الإسلام والعروبة السياسيين والإسلام والعروبة الروحيين !

أصحيح أنه ليس فى مواريثنا ولا فى أفكارنا ولا فى إنسانيتنا شيء ذو قيمة يستحق الإبقاء عليه والاحتفال به وإمداده بعوامل النمو والحياة ؟

وإلا فما بال فرنسا فى كل ديار العرب والإسلام التى وقعت تحت سلطانها السياسى أو الأدبى تكيد للإسلام والعروبة وتحاول تجريد أهلهما من القوة والمقومات والجنسية واللغة والدين ؟

لو فرقت فرنسا وهى القوية بين شخصيتنا السياسية وشخصيتنا الروحية والأدبية ما كان فى ذلك خطر عليها مثل الخطر الذى على أممكم الضعيفة أيها الكتاب من هذا التفريق الذى تفرقون

« إن أول الشر استظراف الأشرار » تلك مقالة صحيحة فى علم الأخلاق . وأنتم استظرفتم أعداءكم أعداء الحرية والحق الذين زعموا أنهم أول من أعلن حقوق الإنسان ، ومددتم أعينكم إلى ما عندهم من زينة الحياة وأعجبتم بجمال اليد التى تضربكم بالسيف وتأخذ منكم أقواتكم وأرزاقكم وغلات أرضكم وجهود عمالكم وجنودكم لتصنع من كل أولئك أدوات زينتها ووسائل ترفها ، وتقيم بها أسواق فنونها وأنسها وبهجتها ومعارض قوتها ، ثم لا تذكر هى فقركم وعيلتكم وحرمانكم وضعتكم وهوانكم وجهلكم حين تذكرون أنتم باريس التى قام بنيانها على أنقاضكم وفتونها على أطلال هداكم

إنكم أخطأتم فهم وضع الإنسان فى الحياة ونسيتم الوضع القدسى الذى وضعه فيه الإسلام ، وكان هذا الخطأ وهذا النسيان السبب الأول فى تنازلكم عن حقوق حياتكم الكاملة وحقوق حياة الآخرين من عباد الله واغتفاركم لفرنسا جناياتها السياسية على صميم الحياة الإنسانية فى ملايين عدة من أرواح الإنسان فى مقابل تحكم بترفها العقلى والأدبى وألوان فتونها التى لم تغن عنها شيئاً غداة نكبتها الكبرى تحت أقدام الألمان

لقد أنذرتكم الأقدار فى سقوط فرنسا بأن هذا الترف العقلى والبدنى الذى فتنتم به وأعجبتم بعدوكم له ونسيتم حقوق نفوسكم ونفوس أبناء عمومتكم ودينكم من أجله — إن هو إلا فقاقيع صابون جميلة براقة تنفجر لأقل نسمة تلامسها

الأدب والفلسفة والفن فى فرنسا زور وبهتان وهذيان ، لأنه لم يرفع النفس الفرنسية إلى درجة الوصاية الرشيدة على ميراث الفضائل الإنسانية ، ولم يجعلها نفساً رحيبة سمحة مع من اغتصبت حرياتهم وحقوقهم بل لم يجعلها نفساً سمحة مع ذاتها هى . وأكبر الدليل على ذلك تلك الأسس الاقتصادية الفاسدة والبراكين الداخلية والانحلال والتفكك الذى انتهى بها إلى نهايتها العجيبة

لو حكموا الناس حكم الإبقاء والاستحياء لا الإبادة والإفناء والإهدار والتحقير والحرمان من نور العلم وهدى الدين لقلنا خلفاء فى الأرض يعمرونها وينمون مواردها ويحترمون إنسانها كما يسمنون حيوانها ، ولكنهم لم يفعلوا هذا بل جشموا وهم الأغنياء ، وحرموا المحكومين العلم وهم العلماء ، ولم يحاولوا رفع النفوس الإنسانية ، بل على الضد كادوا لها ودسوا سموم الضعف والفساد إليها ، فليس لنا أن نقول إن لهم روحاً تحب وسياسة تكره لأن التفريق بين الفضيلة والسياسة إلى هذا الحد الفاحش لا يستقيم فى معرض انتحال الأعذار وتلمس المنادح إلا إذا حرفنا القلب الإنسانى عن موضعه الإلهى . . . ليس لنا أن نقول فيهم غير نتيجة أعمالهم

إن هذا التفريق بين السلوك السياسى والسلوك الروحى قد صار أمره عجباً من أعاجيب الحياة الأوربية ! وقد بات خطراً على الحياة الإنسانية الشخصية لأنه تسرب إلى موازين الحكم على الأفراد فهم يحترمون الذكى ويقدرونه ولو كان شيطاناً شريراً مفسداً ويقولون هناك حياة خاصة يحل للانسان فيها ما يحرم عليه فى الحياة العامة ... حتى تعددت الشخصيات بين ازدواج وتثليث وتربيع إلى ما لا نهاية ... وبات الإنسان بهذا متعدد النواحى

تصطرع فيه الأضداد وتحترب المتناقضات

هذا كذب وتدليس على الطبيعة والفطرة كما أرادهما الله فاحذروه ! « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه . . . » إن الحياة الشخصية إذا لم تكن بريئة نظيفة معتصمة بعروة الحق الواحد الذى لا يتعدد فهيهات أن تصفو لها وبها الحياة العامة . فإن النوازع النفسية هى الروافد للأفكار والأعمال . وإن الحق لا يعترف بسلطان الهوى « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض » فلا غفران من الحق لنسيانكم آلامكم وآلام أبناء جنسيتكم ودينكم فى الجزائر وتونس ومراكش الذين جعلتهم فرنسا أمكم الروحية متخلفين عن قافلة الحياة العالمة العادلة بمائة وخمسين سنة . . .

إنهم ضربوا مدينتكم دمشق ظئر الإسلام الفاضلة الأصيلة العامرة بآثار مجدكم — بالمدافع فى الثورة السورية الكبرى ؛ ومع ذلك لم يبك عليها منهم باك ، ولم يرث لها قلب راث . . . فلماذا تبكون أنتم على باريس حينما جرعتها الأقدار غصص القصاص العادل والثأر لكم ولغيركم من عبيد الله المستضعفين ؟ !

ليست هذه شماتة ، ولكنها أيضاً ليست صوفية بلهاء فى الوطنية والجنسية ، ترحم الجانى وتبكيه يوم ينزل به قصاص العدالة التى قامت بها السموات والأرض

أجل ، ليست ضعفاً وفسولة من « مقتول يبكى على قاتله . . . » وفى غير الحب !

لا تنسوا آلامكم إلا إذا تحررتم من أعدائكم ، ولكن ما دمتم تحت النعال فلا تمسحوها وتجملوها بأيديكم . . . وما دامت النصال تنوشكم فلا تحدُّوها وتشحذوها وتسددوا السواعد التى تضربكم بها . . . وتسديدها هو أن تتغنوا بأى مجد لمن بها تجنوا عليكم ما داموا مصرين على تعذيبكم بمجدهم

ذلك هو منطق الطبيعة الصحيحة المزاج البريئة من التدليس وخديعة الضعف والعجز ونسيان القدر الضرورى اللازم من الوحشية لكل إنسان يحرص على الكرامة الإنسانية التى لا تساوى الحياة تكاليفها إذا جردت منها . . .

***

هذا كلام يساق لمن يعتقد أن عالم الفكر والفن والأدب هو العالم الأصيل فى حياة النفس الإنسانية ، وأن ما عداه فهو على هامشها ؛ وعلى هذا الأساس ، إذا لم يؤثر هذا العالم الرفيع فى النفس ويوجهها للخير ، ويجعل حياتها وحدة متناسقة بريئة من التناقض ، فلا جدال فى أنه قد قام على أساس فاسد يجب تعديله وتصحيحه وعدم اللجاجة فى الدفاع عنه

أما من يظنون أن الأدب والفن حديث بدوات ونزوات وعربدات وألاعيب ذكاء معجلة تسجيلاً جيلاً ببيان براق يسحر النفس ويخيل إليها أخيلة الأحلام المنفصلة عن حياة الواقع فى السياسة والمعاملة . . . فهؤلاء سيظل الأدب والفن بهم فى درجة متخلفة أمام جماهير الإنسانية الحكيمة الواقعية عن درجات صناعة الأحذية ودبغ الجلود وكنس الطرق . . .

وسيظلون عائشين على هامش الحياة منظوراً إليهم من الناس على أنهم يحيون فى نطاق عالم آخر مملوء بالشذوذ والعقم والفراغ والحيرة والخيبة وعلك الكلام ومضغ الأحاديث والاكتفاء من الحياة بأيسر ما فيها وأهونه . . .

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

تعليق على :

« فائدة الأربعاء ! »

للأستاذ علي الطنطاوي

هذه كلمة صغيرة من باب ما نشره الأستاذ المدني في « فائدة الأربعاء » ، وما أفتى فيها ذلك (العالم الكبير) الذي أولع — غفر الله له — بتبرير كل ما تفعل العامة ، والاستدلال عليه ، والدفاع عنه ، ولو كان خطأ محضاً ، ولو كان ظاهراً فيه الخروج على مبدأ التوحيد الذي جاء به الإسلام نقياً واضحاً ، دأبه في ذلك دأب زميله الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله رحمة واسعة ، فإنه كان على علمه وأدبه يذب عن عقائد العامة ، ويسخر للدفاع عنها قلمه البليغ ، ويناضل عنها ويهجو العلماء المصلحين بالقصائد الطوال ، حتى إنه تطاول على علامة العصر السيد رشيد رضا ، وعلى شيخه مربي الجيل الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنهما

وسبب ذلك كله ابتغاء الحظوة عند العامة ، والرغبة في نيل احترامها وتقديرها ، وإلا فكيف يخفى على مثل الشيخ يوسف النبهاني والشيخ يوسف الدجوى ، وهما هما في سعة العلم ، وبلاغة القلم ، وحدة الخاطر ، أن الذي يدعو إليه السلفيون من لدن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والشيخ جمال القاسمي — أن الذي يدعون إليه إنما هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ونبذ البدع والخرافات ، وطرح الأحكام الاجتهادية التي لم يرد فيها نص ولم يبق إليها من حاجة ، وليس على شيء من ذلك رد ، ولا للجدال فيه مجال ؟

وكيف يخفى على عالم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنعه ما كان يقاسي من آلام المرض الذي قبض فيه من أن يبيّن أن الله لعن قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد — وأن المسلمين أمسوا اليوم ، وما مسجد من مساجدهم إلا وفيه قبر أو أقيم على قبر ، وأكثر هذه القبور لم تصح نسبته إلى صاحبه . هذا مسجد دمشق الكبير ، من يستطيع أن يثبت أن القبر الذي فيه هو قبر سيدنا يحيى عليه السلام ، وقبر سيدنا الحسين في القاهرة من يثبت أنه فيه مع أن رأسه في المشهد المعروف باسمه في مسجد دمشق وجسده في كربلاء ؟ وكيف يكون في بيروت مقام سيدنا يحيى وليس في هذا المقام قبر ولا شبهه ؟ ولكنهم كرهوا أن يكونوا بمنجاة من مخالفة الحديث ، فأقاموا هذا المقام على غير شيء ... وما الفرق بين وجود القبر وعدمه ونحن نعتقد أنه لا يضر ولا ينفع ؟ وكيف يخفى على عالم أن في الحديث الصحيح الذي رواه علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره ألاّ يدع صنماً إلا كسره ، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّاه بالأرض ؟ فما بالهم أحرص الناس على تشييد القبور وتعظيمها والوقوف بأعتابها ؟ وهل يفعلون ذلك إلا استرضاء للعامة وابتغاء الحظوة عندها ؟ فأين إذن أمانة العلم وكرامة العالم ، وأين إرث الرسول ؟

وأغرب من ذلك وأبعده عن الحق أن من العلماء من يستدل على الخرافة بأحاديث لا أصل لها إرضاء للعامة . حدث من أسابيع أن قدم دمشق عالم تركي من علماء اسكندرون ، فدخل المسجد فرأى حلقة نبيلة فجلس فيها ، وكان المدرس من علماء دمشق المعدودين الذين يقرؤون بين العشاءين ، فسمعه يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم يخرج كل ليلة من قبره بلحمه ودمه فيدور دورة في الأرض يرى فيها كل شيء ثم يعود إلى قبره . فقال له الشيخ التركي : من أين جئت بهذا ؟ فأظهر المدرس الغضب وصرخ : ألمثلي يقال من أين ؟ إذا شئت أن تتعلم فتعال إليّ في داري أعلمك . فجاءه في داره ، فبحث ونقب ثم أتاه بحديث ليس له سند معروف . فقال له : هذا حديث موضوع ، فقال المدرس : لا بل هو صحيح ، وصرفه من داره . فلما كان الغد دخل الشيخ التركي المسجد ومعه طائفة من الكتب المعتبرة التي تنص على أنه حديث موضوع ، فكان جواب الشيخ أن صرخ : نحن ما عندنا وهابية ... نحن ما عندنا وهابية ... نحن من أحباء الرسول . وكرر ذلك حتى جمع عليه العامة فكادوا يبطشون به

وأشد غرابة من هذه القصة ما أسمعه كل جمعة على كثير من منابر دمشق ، من التصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم حيّ في قبره . وما أدري كيف يكون حياً في قبره والحيّ عندنا هو الذي يأكل ويشرب ويتنفس ؟ فهل هو صلى الله عليه وسلم حيّ في قبره بهذا المعنى ؟ وإذا كان حياً فكيف نعتقد أنه مات سنة كذا ، وكيف قام من بعده أبو بكر وعمر ومئات الخلفاء ؟ وإذا

ثبت أنه قد عاش كما يعيش الناس ومات كما يموتون فكيف يكون حياً فى قبره إلا أن تكون حياة روحية برزخية لا نفهم ما هى ؟ ولا ندرك صلتها بحياتنا الأرضية ؟

أما إنه لا بد من تصحيح عقيدة المسلمين بالنبى صلى الله عليه وسلم . والصحيح أنه ليس بشراً كسائر البشر أو فيلسوفاً أو مصلحاً فحسب ، كما يريد أن يصوره بعض المستشرقين وأذيالهم من الملاحدة الذين تخرجوا على أيديهم فجاءوا منكرين للوحى ، لا يرون فرقاً بين النبى وبين العلماء المصلحين ، ويزعمون أن الإسلام إنما خرج من رأس محمد وقلبه

وليس فوق البشر ، كما يتصوره بعض المسلمين القائلين بخرافة حياته فى قبره ، وعلمه بكل شىء ، وقدرته بعد موته على النفع والضرر

ولكنه بشر مثلنا بنص القرآن ، وإنما يمتاز بالعصمة وبالوحى ، وبقيامه بالتبليغ عن الله ، وقد انقطع الوحى والتبليغ بموته ، فمن ادعى أنه رآه صلى الله عليه وسلم فى نومه فأمره بكذا أو نهاه عن كذا ، يكون إما مجنوناً أو معتقداً نقص الشريعة ، أو متلاعباً بالدين ... ومن حسب أنه يمدحه بمثل قوله :

يا أكرم الرسل مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

فهو على ضلال ، لأنه يمدحه بما يهدم التوحيد من أساسه . وإذا كان كفار قريش الذين سماهم الله مشركين وأوجب قتالهم ، يدعون الله مخلصين إذا ركبوا فى الفلك ، ورأوا الشدة ، فماذا يكون هذا الرجل الذى يحيق به الحادث العمم فلا يجد من يلوذ به إلا الرسول ؟ وينسى الله ؟ ونحن نعلم أن النفى والاستثناء من طرق القصر ولذلك كانت كلمة التوحيد لا إله إلا الله ؟

وماذا نقول للعلماء الذين يفهمون هـذا الأمر الواضح ، ثم يقرؤون هذا البيت ويتواجدون عند سماعه لأن العامة تعتقد به وتقدسه ؟

وماذا نقول للعلماء الذين يحضرون الموالد وأشباهها فيسمعون المغنى يتغزل بالرسول ، ويذكر الوصال ، أى والله ، والعين والفم وهاتيك الوقاحات ، ويسكتون خوفاً من العامة ؟

والذين يجلسون فى حفلات الرقص التى تسمى ذكراً ، ولا ينكرونها وهم يعرفون بطلانها خوفاً من العامة ؟

* * *

يا سادتنا العلماء الأعلام ، إننا لا نحتاج إلى علم ، فإن عندكم منـه ما يزيد على الحاجة ، ولـكنا نحتاج (ولا مؤاخذة) إلى إخلاص وإلى جرأة ، وإلى تحرّر من التعبد لجماهير الناس ، وتخلص من الخضوع للعامة ، فإذا وصلتم إلى ذلك لم نختلف ولم نتجادل ، لأن المسألة ترد إلى الدليل وأنتم أعرف به منا

إننا نشكو أموراً كثيرة ، وأنتم تعرفون دواءها ولـكنكم تخافون العامة . . .

منها العقيدة بالقبور ، وسؤال أهلها ، والتوجه إليها ، وهى عقيدة لا يعرفها الإسلام ، بل يعرفها اليونان الأقدمون ويسمونها عبادة الأبطال . ومن شاء فليرجع إلى كتاب تاريخ الحضارة لشارل سينوبوس الذى عربه أستاذنا كرد على بك وليقابل بين العقيدتين وليقل لى : أما هما من جنس واحد ؟

ومنها مسألة السفور ، هذه المسألة الاجتماعية الخطرة ، التى تعد من الأدواء المعضلة ، والعلماء واقفون منها شر موقف ، وبيان ذلك أن النساء يمشين نحو السفور بل الحسور والتهتك والعلماء ساكتون لا يعالجون المسألة ولا يحسنون علاجها ، فإن تصدى لها مصلح فأحب أن يجد لها دواء ، كالسفور الشرعى المحتشم مثلاً — أثاروا عليه العامة ، وخطبوا به على المنابر ، واتهموه بأنه سفورى مفسد ، فإذا كف عن بحثه الإصلاحى عادوا إلى نومهم وتركوا حبل التهتك على غاربه ... فلا هم يصلحون ولا هم يتركون الناس يصلحون، وأظنهم لا يفكرون فى الإصلاح تفكيراً جدياً ، وإنما يبتغون الحظوة عند العامة

ومنها مسألة الطرق الصوفية وما فيها من منكرات

ومنها خرافات المتصوفة وضلالاتهم كالقول بوحدة الوجود ، والقطبانية ، وأهل الديوان

ومنها مسألة المذاهب الفقهية والاجتهاد ، والكلام فيها يحتاج إلى فصل بل إلى فصول طوال

ومنها الرد على الشبه التى يوردها المستشرقون وأمثالهم

فمن لهذه المسائل إلا أنتم يا سادتنا العلماء ؟ من يعالجها ؟ من يدرسها ؟ وكيف تدرسونها وأنتم تحرصون على رضا العامة أكثر من حرصكم على الحقيقة ؟

هذه هى المسألة يأيها الأستاذ المدنى ، ليست محصورة فى فائدة الأربعاء ولا فائدة الخميس ! فسل إخوانك علماء الأزهر ما هو جوابهم عليها وقل لى ، ولك الشكر وعليك السلام .

على الطنطاوى

من وحي الحرب

يا سيدى ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

[تلق أحدهم أبيض بضاً ، يلخ فى الباطل ملخا ، ينفض مذروبه ، ويضرب أصدريه ؛ يقول : هأنذا فاعرفونى . قد عرفناك فقتك الله ومقتك الصالحون] الحسن البصرى

أهلاً بك ، يا سيدى ، وسهلاً !

الآن أشرق ظلام القرية بنور وجهك البهى ، فافتح أمامى بابك المغلق وقلبك الموصد ، ودعنى أجلس إليك ساعة أبثك هماً من همى ، وأشكو إليك شجناً من شجونى ؛ فأنا عبدك وخادمك منذ أن كان أبوك وأبى ...

دعنى أجتلى طلعتك الوضاحة علّها تزحزح عن صدرى بعض ما فدحه

لطالما طلبت إليك أن تسكن إلينا يوماً أو بعض يوم لتنفث فينا الحياة ، فرميتنى بالنظرة الشزراء والكلمة القاسية ، تشعرنى خيبة الرجاء وضيعة الأمل

وتصرمت سنوات ، يا سيدى . والآن ، جزى الله الشدائد كل خير ، فهى أرسلتك إلينا لتسكن القرية وترى ... فأهلاً بك ، يا سيدى ، وسهلاً .

***

ماذا ، يا سيدى ، ماذا ؟

ماذا وراء هذه السحابة السوداء التى تظلل وجهك الصبوح؟ وماذا وراء هذا الفتور الذى يغمم جنبات حياتك ؟ وماذا وراء هذه النظرة الفاترة الحائرة ، وهذه الإطراقة الطويلة الصامتة ؟

إنك تأخذ وتذر فى صمت ، وتجادل وتناقش فى ملل ، وتأمر وتنهى فى تكسر ، وتمل وتدع فى ضيق ؛ فاذا ... ماذا أصابك ، يا سيدى ؟

أفتضيق نفسك بهذا الفضاء المنفسح وهو مسرح القلب وصراحه ، وتنزعج أذنك من خرير ماء الغدير المنساب خلال الوادى وهو النغم الساحر توقعه الطبيعة على قيثارتها الإلهية ؛ ويرتد طرفك دون هذا البساط السندسى الجميل فى ضجر وهو روح الجنة على الأرض ؛ وينغلق صدرك دون هذا الهواء النقى وهو معنى من معانى الشباب الدائم ؛ وتتململ وأنت فى ثوبك الفضفاض وهو يشعرك بحلاوة الحرية ؟

لا جرم ، فأنت لا تجد هنا بهجة الروح ، ولا هوى النفس ولا نور العين ، ولا ... ولا شفاء القلب

غير أنك ، يا سيدى ، حللت أهلاً

***

برغمك هبطت بيننا لتعيش عمراً من عمرك ، فهل ترسل نفسك على سجيتها لتشعر ببعض ما أقاسى ؛ فأنا الفلاح الصغير الفقير ، أكابد شدة الحياة ، وشظف العيش ، وذلة الإهمال ، وحيرة الضياع

منذ سنوات ، وأنت تقسو على ، فتنتزع منى قوت عيالى ومساك روحى فى غير رحمة ولا شفقة ، لتشبع رغبات الدنية الجامحة وحاجات الحضارة المزورة ، وأنا أحمل ثقل ظلمك فى صبر لأنك أنت سيدى

منذ سنوات ، وأنا أقف بباب قصرك ساعات « كالشحاذ » أطمع أن أفوز بكلمة ، فلا أجد السبيل إليك ، لأن حاجزاً من الرقاق يحول بينك وبينى

واندفعتَ فى سبيلك ، فركبك الدَّين ؛ وأنا أنادى ، فلا يبلغك صوتى الضئيل ، لأن فنوناً من الشهوات تشغلك عنى وعبث الأيام ، وقصر أبيك المشيد فى الضيعة يتداعى رويداً رويداً ، وأنا أناشدك أن تمنحه فضل مالك ، فأعرضت عنى فى أنفة وكبرياء ؛ وشمخت بأنفك ، فقلتُ : يا سيدى ، إن الغيب مستور ، ومن يدرى ، لعلك محتاج إليه فى وقت ما . فقلتَ : هيه ، أيها النبى ، أفتبتنى أن أسكن القرية وأنا هو أنا ... فسكت وفى قلبى حسرات على أن ينهد هذا الجمال الرائع

لقد تأنق أبوك فيه ، فكان فناً من الفن ، وكان مشرق العز ومهبط النعيم ؛ فلما سيطرت عليه اطّرحته ، وطرت إلى بلاد تسميها أنت بلاد النور ، تضيف إلى جهلك جهلاً آخر ، وتركتنا هنا نتكفأ فى بلاد الظلام والفاقة

إن الذى دفعك إلى هناك هو العلم الذى يعلم الجهل ، وهو العقل الذى يعلم الجنون

والآن جئت ، يا ابن القرية ، برغمك لتتردى فى قرار مكين

وثارت بك سورة السلطان فرحت تتمخط على هذا الجهل الشامل ، ونسيت يوم أن ذهبتُ أستجدى جاهك علّ ابنى يجد مكاناً فى المدرسة ، فهررتَ فىّ وأنت تقول : حتى أنتم ... حتى أنتم ، أيها الفلاحون ، تريدون أن تتعلموا ... ؟ فرجعت والخيبة تشيع فى جنبات نفسى

فهل يسرك الآن هذا الجهل الذى تفهق به القرية ؟

***

أتحس فى قرارة نفسك أننى إنسان مثلك ؟ كلا

بل أنت كنت خاوياً نفخت فى إهابك الرتبة وسما بك اللقب

هذا اللقب غرسته يد الكبرياء ، وسقته نزوة الخنزوانة ، وتعهدته ثورة النّعرة

هو النبتة اللئيمة التى خلقتها أيام الاستعباد ، وترعرعت فى حضن الاستبداد

هو القيد البغيض والغُل القَمِل

هو العصا السحرية التى تخضع لها الأعناق ، وتتملّقها الألسن ، وتهفو نحوها الرغبات ، وترنو إليها الأبصار ، وينفتح أمامها الباب المغلق ، ويذل لها القلب المتغطرس ، و ...

واللقب هو سيما الخسف والهوان ، وعلامة الغشم والحيف ، فمتى ... متى الخلاص ؟

لا تلمنى ، يا سيدى ، فاللقب هو عدوى الذى أفرق منه : لأنه بعث فيك العظمة والكبر ، وعلمنى الصغار والضعة ، ونفث فيك الغطرسة والعجب ، وأوحى إلىّ بالاستكانة والاستخذاء ، وسما بك إلى الخيلاء والصلف ، وانحط بى إلى التصاغر والخنوع .

وهو فتح أمامك مغاليق الحكومة وأوصدها فى وجهى ، وهوّن عليك أمر الرزق وأعضله علىّ ، وألان لك الحياة ورمانى منها فى مهمه حَزن

فلا تلمنى إن أنا مقتُّه من جماع قلبى

ولكنك أنت ، يا سيدى ، حللت بيننا أهلاً

***

تعال معى ، يا سيدى ، نجلس هناك على الحصباء تحت الظل الوارف ، إلى جانب الساقية . تعال علّك تجد فى نواح الساقية وأنين الثور وشكواى أنا الفلاح برداً يطفئ ثورتك

تعال واشهدنى وأنا بين الطين والماء ، بين الفأس والمحصدة ، بين الساقية والطنبور ، بين أرجاء أرضك التى تسعد بمحصولها ، أسهر الليل وأقوم النهار ، أعنّى النفس لتجد أنت لذتك . تعال علّ قلبك يتفتح لى فألمس بعض عطفك

تعال واقترب منى . لا تخش جسمى القذر ولا ثيابى الرثة الوضيعة

تعال ، انزل عن كبريائك ساعة واجلس إلىّ وذق طعامى ونم إلى جانبى ، ولا تأنف ولا تمتعض ولا تدع الحسرة تتسرب إلى قلبك فأنت رجل عظيم تستطيع أن تصنع شيئاً

ثم تعال إلى دارى وتأمل أهى خير أم حظيرة البهائم ؟

إن شيئاً من هذا لا يؤلمنى بقدر ما آلمنى أن أراك تشكو الريف وتضيق بالقرية وتفزع عن ضيعتك التى تغلّ عليك الآلاف ولكنك الآن ، يا سيدى ، حللت هنا أهلاً

***

هذا هو وطن الشدة فاحبه بعض رعايتك ، وهيئ منه فى شتائك لصيفك ، ولا تدع صمرك يطغى على عقلك

إن الريف يمرح بك ويبسم لمقدمك ويتلقاك بين ذراعيه فى فرحة ، فليكن له منك حسن الجزاء

لقد تفتق ذهنك ، وأنت بيننا ، عن ألف مشروع ومشروع ، ورأيتك تمسك بالقلم - تارة - ترسم على القرطاس ، وتمسك بالعصا - تارة أخرى - تخط على الثرى ، فهل تعمل أم هو الرخاء يمحو آثار الشدة ، فتنطلق - بعدُ - على سننك بجرفك الترف الذى أفسدك وأفسدنا

***

وأنت - أيها الحرب - رعاك الله وأدامك لأنك علمت سيدى أن له داراً وأهلاً وضَيعة يطمئن إليهم ساعة من زمان ، وأنت أزحت الغشاوة التى كانت تحجب بصره عنى ، وأنت ... وأنت ...

فرعاك الله - أيتها الحرب - وأدامك

(مشتهر) كامل محمود حبيب

على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن (*)

للأستاذ عبد الرزاق ابراهيم حميدة

— ٢ —

أهل الكتاب

أعمالهم فى السلم : التشكيك فى الدين ، محاولة فتنة المؤمنين ، تحريف كتابهم إذا كان فيه ما ينفع المؤمنين ، محاولة التفريق بين الأوس والخزرج

قدمنا فى المقال السابق كيف اضطر الرسول الكريم إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ، وكيف يسر الله له أسباب هذه الهجرة الشريفة بدخول كثير من أهل المدينة ، وبخاصة أشرافها ، فى دين الله ، فكانوا عزاً للاسلام ، ولمن هاجر إليهم من مسلمى مكة ، وعندهم استراح المسلمون المهاجرون من أذى قريش ، وتهيأت لهم الفرصة فى يثرب ليقتصوا من الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . واستمر النضال بين المسلمين ومن تخلف عن الدين الجديد إلى أن ظهر الإسلام فى جزيرة العرب على الدين كله

ولكن انتصار المسلمين على قريش خاصة وعلى بقية المشركين عامة ، لم يكن أمراً سهلاً ؛ فقد كان العدو الخارجى قوياً ، وكانت جماعة الطابور الخامس فى المدينة وما حولها خطراً شديداً ، إذ كانت تخفى عداوتها وتبدى مودتها وتتربص بالمؤمنين الدوائر وتعين عليهم إن سراً وإن جهراً كل من يغير على المدينة أو يريد بالإسلام سوءاً

ولما كان عدد المسلمين كثيراً بالمدينة ، وكان النبى الكريم أكبر عامل فى حياة يثرب ، وله الرأى الأعلى فى إدارتها وحربها وسلمها ونظامها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، كان لا بد من استخفاء جماعة الطابور الخامس فى المدينة ، وكان لا بد لها من إظهار الإسلام ، أو الارتباط بالرسول بعهود وثيقة أن تنصره وتشد أزره ولا تعين عليه مُغيراً ، حتى تسنح الفرصة لإظهار الكفر أو لنقض العهد ، وحينئذ تسارع هذه الجماعة فى الكفر وتخلف النبى ما وعدته

وأهم طوائف هذه الجماعة — جماعة الطابور الخامس — هم أهل الكتاب والمنافقون من أهل المدينة وممن حولها من الأعراب ، ويكاد اليهود يكونون هم وحدهم دعامة الطابور الخامس من أهل الكتاب ، ولنبدأ بحديثهم :

اليهود

كان اليهود فى بدء الإسلام ينزلون بالمدينة وما حولها ، وكانت لهم سيطرة ونفوذ فى المدينة قبل الإسلام ، وبخاصة من الناحية الروحية ، وكانوا يتلون كتابهم ويرون فيه أن رسولاً من غيرهم قرب ظهوره . وكانت صفاته عندهم تدل على أن « النبىّ الأمىّ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمُرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُحِلُّ لهم الطيبات ويُحَرِّمُ عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرَهم والأغلال التى كانت عليهم » هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، العربى القرشى ، الذى ظهر بمكة وأخرجه قومه منها ، وهاجر إلى المدينة ؛ « فلما جاءهم ما عَرَفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » . وكان الذى دفعهم إلى الكفر به هو حسدهم له وغيرتهم من أن يكون خاتم الرسل رجلاً من غير اليهود ، فقال الله فيهم : « بِئسما اشترَوْا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزلَ اللهُ بَغْياً أن يُنزِّلَ اللهُ من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذابٌ مهين »

موقف اليهود من الرسول فى السلم

كانت لليهود مواقف بعد الهجرة لا تمت إلى الشرف بسبب سواء ذلك فى السلم أو الحرب ، والذى يعنينا اليوم هو موقفهم فى السلم ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين

(*) طلب منى الدكتور الفاضل زكى مبارك أن أختار لفظاً عربياً لهذه الكلمة ، وأخبرنى أن أهل الفرق يستعملون « الرتل الخامس » فأخبرته أن أصح كلة فى نظرى هى « الصف الخامس » فوافق عليها . غير أنى آثرت العنوان السابق لشيوعه وكثرة استعماله ، ولا مانع عندى من استعمال اللفظة الشائعة لأنها تجرى الآن مجرى الأعلام .

والأنصار بعد وصوله إلى المدينة وأذهب الله به ما كان بين الأوس والخزرج من عداوة ، وكان من أول ما عمله أن عاهد اليهود على أن يعيش وإياهم فى أمن لا ينصر أحدهم عدواً على الآخر ، ومن عهده لهم : « وإن من تبعنا من يهود فله النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » ولكن الحوادث التى سنقدمها تدل على أنهم لم يوفوا بعهدهم ، بل أخذوا يحاربون الرسول الذى أقرهم على دينهم وأموالهم ، وأخذوا يحاربون دينه بوسائل شتى

ومن تلك الوسائل التى اتبعوها طريقة التشكيك فى الدين ، وذلك أنهم كانوا يؤمنون حتى يطمئن إليهم المسلمون ثم يرتدون كفاراً ، كى يظن المسلمون بدين الرسول ظنونا ، ويقولوا ما كفر هؤلاء وهم على بينة من أمر الأديان إلا لعلة . ففضح الله هذه اللعبة الخطرة إذ يقول : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون »

وكانوا « إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا » عاتبين على من يخبر المؤمنين منهم بصفات الرسول فى التوراة : « أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليُحاجُّوكم به عند ربكم ؟ أفلا تعقلون ؟ »

وكانوا يرسلون طائفة منهم إلى الرسول بعد أن يسمموها أحكام التوراة محرفة ، ويوصون تلك الطائفة ألا تقبل من التعاليم والأحكام إلا مايوافق أهواء مرسليهم سواء وافقت الحق أو خالفته

وكانوا يتحاكمون إليه ، لا رغبة فى حكومته العادلة ، ولكن رجاء أن يحابيهم فيحكم بما يوافق هواهم ، ثم ينقلبون عليه ، ويشيعون عنه السوء من أجل هذه الحكومة : روى أن شريفاً زنى بشريفة بخيبر ، وهما محصنان ، وحدُّهما الرجم فى التوراة . فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقالوا لهم : إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا ، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا . فأمرهم بالرجم ، فأبوا أن يأخذوا به ، فنزل قوله تعالى : « ومن الذين هادوا سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا » وأمر الله نبيه الكريم أن يحكم بينهم بالقسط أو يعرض عنهم ، وبين له أنهم إنما احتكموا إليه هرباً من حكم كتابهم ، فقال له : « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ؟ ثم يتولون من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين » ثم حذره أمرهم فقال : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك »

وكان علمهم بدين موسى سبباً فى مغالطات منطقية سخيفة يريدون بها أن يبطلوا دين محمد ، وأن يصرفوا العرب عنه ؛ فمحمد يقول لقومه عن الإسلام : « مِلّة أبيكم إبراهيم » وهم يقولون إن إبراهيم كان يهودياً ، وهو أبو العرب فواجب على أتباع محمد أن يتبعوا اليهودية التى هى دين إبراهيم ، لا أن يتبعوا الإسلام ، فنفى الله وصفهم لإبراهيم باليهودية فى قوله : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » ثم وبخهم على هذه المغالطة بقوله : « يا أهل الكتاب لم تحاجُّون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، أفلا تعقلون ؟ »

وبلغت بهم الجراءة أنهم أرادوا تهويد جماعة من كبار الصحابة منهم حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر ومعاذ بن جبل ، ولكن الله عصمهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يُضلُّونكم وما يُضلُّون إلا أنفسهم وما يشعرون »

وكان فى التوراة آيات تدل على صفات محمد وفضله ، وكان فيها أحكام توافق القرآن ولا توافق هواهم ، فعمدوا إلى تحريفها ليبطلوا حجة المسلمين وبرهانهم على رسالة محمد من هذه الناحية ، وكان على رأس هذه الطائفة المحرفة كعب بن الأشرف ، ومالك ابن الصيف ، وحُيَيّ بن أخطب ، وهم الذين قال الله فيهم : وإن منهم لفريقاً يَلوُون ألسنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »

وكانوا يحاولون التفريق بين الأنصار من الأوس والخزرج

بتذكيرهم بحروب الجاهلية ، والعداوة التي كانت بين القبيلتين ومحاها الإسلام : قيل مرّ شاس بن قيس اليهودى على نفر من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون ، فغاظه تحدثهم وتألفهم ، فأمر شاباً من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون ، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس ، ففعل الشاب ما أمر به ، فتنازع القوم عند ذلك ، وقالوا : السلاح السلاح . فبلغ النبى عليه السلام ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار ، فقال : أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً باكين . فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدىَ إلى صراط مستقيم ، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً »

تلك خلاصة أعمالهم فى السلم وتتجلى فى أنهم كانوا يريدون فتنة المسلمين عن دينهم بطريق التشكيك أو المغالطة أو التحريف ، وكانوا يودون التفريق بين المؤمنين بإثارة أحقاد الجاهلية ، فكان الله لهم بالمرصاد يكشف حيلهم ، ويفضح أسرارهم ، وينهى عن مودتهم ، ويبين مبلغ عداوتهم ، فقال فيهم : لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . وقال تهديداً لهم : « يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً »

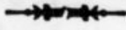
أما مواقفهم فى الحرب ، ومحاولتهم هدم الإسلام بالسيف والقتل فهو موضوع الحديث التالى إن شاء الله

(القاهرة) عبد الرزاق ابراهيم حميدة

نجوى !

فى غدير السُّكون ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



تَعَالَيْ نَذُبْ فى غَديرِ السُّكونِ ... وَنَحْرِقْ أسانا عَلَى ضِفَّتِهْ
تَعَالَيْ نَكُنْ صَمْتَةً فى دُجاهُ ... وَذِكْرَى هَديرٍ على مَوْجَتِهْ
تَعَالَيْ نَسِرْ فى جِنازِ الغُروبِ ... شُعاعاتِ ثُكْلٍ على صَفْحَتِهْ
تَعَالَيْ ... فإنا بَقايا لهيبٍ ... حَشا الدَّهْرِ يَفْزَعُ مِنْ وَقْدَتِهْ
فما نَبْتَغى مِنْ رَمادِ الزَّمانِ ؟ ... ومِنْ لَغَطِ النَّاسِ فى ضَجَّتِهْ ؟
حَضيضٌ حَياةُ الوَرَى كُلُّها ... وإنْهُمْ يَهِيمُونَ فى لَوْثَتِهْ
فَطيرِى بنا عَنْ سَماواتِهِم ... إلى أُفُقٍ هِمْتُ فى عُزْلَتِهْ
بَرِيءِ الحَواشِى كَقَلْبِ النُّجُوم ... وكَالْمَلاكِ الطِّفْلِ فِى غَفْوَتِهْ
عَفِيفُ الخَيالِ كأَنِّي بِهِ ... تَهادَيْتِ وَالفَجْرَ فِى رَبْوَتِهْ
تَعَالَيْ فإِنِّي سَئِمْتُ الحَياةَ ... وَعِفْتُ الشَّبابَ عَلَى نَضْرَتِهْ
نُطِلُّ بِعُشِّى نُجومُ السَّماءِ ... جِراحًا تُوَلْوِلُ فى ظُلْمَتِهْ
وَيُلْقِي حَوالَيْهِ لَيْلُ الوُجودِ ... خُطًا مارِدٍ لَجَّ فِى ثَوْرَتِهْ
وَقَلْبِي بِهِ وَتَرٌ أَشْعَلَتْ ... خَيالَ السُّكونِ رُؤَى نَغْمَتِهْ
تَعَالَيْ نَغِبْ فِى تَهاوِيلِهِ ... وَنَفْنَى مَعَ الصَّمْتِ فِى نَشْوَتِهْ

محمود حسن اسماعيل
مراقبة الثقافة — بالمعارف

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

اضطراب سياسى

أبرز بقاع النشاط السياسى الآن الشرق الأقصى والبلقان ، فهما المنطقتان الوحيدتان التى لألمانيا فيهما مجال للمناورات ، فهى تحاول فى البقعة الأولى أن تضم اليابان إلى صفها لتربك بريطانيا العظمى فى الميدان الشرق ، ولتوزع أسطولها للدفاع عن ممتلكاتها فى آسيا والمحيط الهادى ، وتحاول فى البلقان أن يستتب السلام مؤقتاً بأى ثمن

أما أمريكا فمعروف أمرها ، ومعروف أن تأييدها لبريطانيا العظمى أقوى من أن تضعفه المناورات السياسية ؛ فأمريكا تعتبر انجلترا وأسطولها خط دفاعها الأول ، فانهيارها يعرض أمريكا للخطر ، وإذا كانت أمريكا تحرص على حفظ قوة انجلترا البحرية فى المحيط الأطلنطى ، فإنها تحرص أيضاً على ألا تنتقص هذه القوة بانتقالها إلى المحيط الهادى لتواجه اليابان

وحاولت انجلترا بقفل طريق بورما ، ومنع توريد الأسلحة إلى الصين، أن ترضى اليابان وتضع حداً لنزاعهما ، ولكن الحزب العسكرى فى اليابان ثار فأعلن رؤساؤه عدم رضاهم عن الحكومة فاستقالت ليشكل غيرها على هواه ، وكانت باكورة أعمال تلك الوزارة أن قبضت على بعض الرعايا الإنجليز مما أثار الحكومة البريطانية ، ووقف عقبة فى سبيل مفاوضات انجلترا واليابان

انقلاب عسكرى

ولعل السر فى هذا الانقلاب اليابانى عقلية حزبها العسكرى الذى يصبو إلى السيطرة على جميع آسيا ، فهو يريد التخلص من منافسة انجلترا لليابان اعتماداً على قوته ، وقد أنبأتنا البرقيات أن حركة الحزب العسكرى لا يقرها قادة اليابان البحريون الذين يعرفون مدى قوة الأسطولين البريطانى والأمريكى، وهم يعرفون أن الحرب مع انجلترا وأمريكا صدام بين قوات بحرية أكثر منه بين قوات برية ، فإن تردد أميركا فى دخول الحرب ينتهى بمجرد أن تدخلها اليابان ، ويتولى أسطولها وقواتها العبء الأكبر من الحرب فى الشرق الأقصى

وتدل حركة اليابان الأخيرة على الوسائل التى تلجأ إليها ألمانيا لتحبط حركات انجلترا وخصوصاً إذا أضفنا إليها ما أذاعه مدير قسم الأبحاث السرية فى أمريكا عن عمل الجواسيس ومحاولتهم إفساد خطط الدفاع الأمريكية بتدمير الطائرات بوضع الرمل فى محركاتها ، أو بنسف المنشآت العامة وتسميم الماء ، وغير ذلك من الوسائل التى يرتكبها الجواسيس

الروح الوطنية

أما فى البلقان فقد تطورت الحوادث الأخيرة تطوراً كبيراً نشك إذا كان هتلر نفسه توقعه ، فإنه كان يعتمد اعتماداً كبيراً على تأييد رجال الحرس الحديدى لمشروعاته ، فلما ظهرت نياته بالموافقة على ضم جزء من ترانسلفانيا إلى المجر تمرد رجال الحرس الحديدى وتكاتفت طبقات الشعب وزعماؤه ، فأعلنوا توحيد صفوفهم بزعامة مانيو زعيم الفلاحين ، وقالوا إنهم يفضلون أن تضم بلادهم إلى الروسيا على أن تقتطعها المجر أو بلغاريا

فإذا لم يتمكن النازيون من إيجاد صدع بين أحزاب رومانيا فإن ضم أحد أجزائها إلى دولة أخرى يتعذر حتى إذا وافقت الحكومة الرومانية على هذا الضم بإكراه ألمانيا ، لأن الشعب فى هذه الحالة يثور ، وتجد الحكومة الرومانية نفسها فى مركز ضعيف ، وكل حكومة تفضل فى مثل هذه الحالات أن تقاتل على أن تسلم ، ولاسيما أن المجر وبلغاريا ليستا من القوة حتى تتمكنا من إكراه رومانيا على تلبية طلباتهما ، فرومانيا هى أقوى دولة فى البلطيق فلديها أقوى جيش ، وأقوى سلاح طيران ، وكانت تعرف أطماع هذه الدول من قبل فأعدت العدة لصد عدوانها

واتحاد كلمة زعمائها وتمسك شعوبها وخصوصاً سكان الأجزاء التى يراد ضمها إلى الدولتين الأخريين — عقبة كبيرة فى سبيل تحقيق السلام الذى ينشده هتلر فى البلقان ويضع خططه فى مركز حرج ؛ أضف إلى ذلك ظهور الخلاف بين ألمانيا والروسيا على ألسنة الساسة الرومانيين بعد رجوعهم من مقابلة هتلر ؛ فقد كثر الكلام أخيراً عن الخطر الشيوعى وعن مساعى ألمانيا لوقفه ؛ فهل تكشف حوادث البلقان الأخيرة نقاب الزعيمين

اللذين يتظاهران بالصفاء والاتفاق رغم تنافر طباعهما واختلاف ميولهما وأطماعهما ؟ هذا ما تكشف عنه الأيام قريباً

***

دروس الحرب

ولا يقتصر الاضطراب على أوربا والدول المتحاربة وحدها بل يشمل الأرض بأجمعها ، فمهما تباعدت حدود الدول عن ميدان الخطر فهي تشعر به في مناورات جاراتها للاستيلاء على بعض أجزائها حرصاً على فائدة عسكرية ، وهي تحسه فيما أصاب تجارتها من كساد ، وما أصاب أهلها من ضيق في العيش تبعاً للرقابة على الصادر والوارد

فلا يقتصر الحصر الإنجليزي البحري على الدول المتحاربة ، بل يتعداها إلى الدول المحايدة البعيدة ؛ فلكيلا تحصل ألمانيا على الواردات يجب أن تمنع الدول الأخرى من تصدير منتجاتها إلى ألمانيا ؛ وهذه الفترة من الفترات التي يشعر فيها العالم أجمع بما يين دوله من رباط وثيق ؛ وهي ليست التجربة الأولى من نوعها ولكن لها أشباهاً في الحروب الماضية ، وإن كان العالم قد خبر أقسى تلك الدروس في الحرب الماضية عند ما فرض نفس الحصر على تجارة ألمانيا

وتكرار هذا الدرس من شأنه أن يوحد بين أمم العالم ، ويجعلها تتنازل عن عصبيتها ، فتوحد قانونها وتجعل له من القوة ما للقوانين المحلية التي تقيد مطامع الأفراد وتنظم معاملاتهم على أساس العدل والمنفعة المتبادلة في ظل السلام ، وإذا كان الأفراد قد شعروا بوجوب احترام قوانين الدولة فإن أمثال النضال الحالي والنضال السابق هي خير معلم للدول لتشعر نفس الشعور وتحترم القوانين الدولية ؛ وقد فشلت عصبة الأمم في العهد الماضي في تحقيق هذه الوحدة لأن الدول لم تكن أعدت الإعداد الكافي من الناحية العقلية ، ولأن بقايا النظم القديمة وأطماعها أثرت في نفسية الشعوب

ولسنا نعني أن هذه الحرب ستكون الحد الفاصل للمنازعات الدولية ، وأن العالم سيصبح إذا انتهت دولة واحدة ينظم معاملاتها قانون واحد ، ولكننا نرى أن النضال الحالي وما جره من مصائب يضع أحد أحجار ذلك الاتحاد ؛ ففكرة اتحاد دولي عالمي ليست بنت اليوم فقد نودي بها من زمن طويل وكان أول حاكم دولي أراد إحياءها بصورة جدية اسكندر قيصر الروسيا فوضع في سبتمبر سنة ١٨١٥ أسس اتحاد مقدس يحكم الدول على ضوء التعاليم المسيحية ولكن مشروعه قبر لأسباب كثيرة

جغرافية الحرب

وكما تعطينا هذه الحرب فكرة واضحة عن ارتباط مصالح العالم بعضها ببعض ، فإنها تعطينا دروساً أخرى في الجغرافيا ، فقارن بين معلوماتك عن بلدان العالم الآن وبين معلوماتك عنها قبل الحرب ، تجد أنها تضاعفت عدة مرات ، دون أن يكرهك أستاذ على دراستها ، ودون أن يضطرك امتحان إلى مذاكرتها

وعلمتك هذه الحرب كثيراً من المميزات الإقليمية للبلاد من جبال وأنهار وسهول ، وما تضمه أرضها من ثروة معدنية وزراعية ، وما اتصف به أهلها من قدرة على تحمل شظف العيش ومرارة القتال ، كما عرفت مدى حاجات الدول بعضها إلى بعض

ثورة صناعية

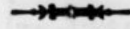
والحرب ثورة صناعية تحفز الحكومات والمخترعين على ابتكار معدات جديدة في الميدانين المدني والعسكري ، فكلاهما مكمل للآخر ، ولا نستطيع أن نضع حداً فاصلاً بينهما ، فالجندي يحتاج إلى وسائل مدنية وعسكرية ، فيجب العناية بطعامه وصحته وملابسه ووسائل راحته ، كما يجب العناية بإعداده وإمداده بأدوات القتال

ومن أمثلة تقدم المخترعات « الطيران » ، فإن ما وصل إليه من طول مدى الطيران وقوة الحمولة يدلان على ما فعلته فيه الحرب ، فلم نعرف من قبل أن الطائرة تحمل أربعين جندياً بعداتهم كما هي الحال الآن ، ورحلات سلاح الطيران في إغاراتها على ألمانيا وعودتها دون توقف ؛ هذا تقدم كبير يربحه العالم من الحرب عندما تضع أوزارها ، ومثله كثير في الطب والصناعة والزراعة

وليس معنى هذا أننا من مؤيدي الحروب فإن المصائب التي تحل بالعالم من قتل الأنفس وتدمير البلاد وانتشار الأمراض ،

خواطر في الحرب

للأستاذ محمد عرفة



لم يبق ريب فى أن من أعظم الأسباب فى سقوط الدولة الفرنسية الترف

اعترف بذلك الباحثون والكتاب ورجال السياسة ، قال بيتان رئيس الوزارة الفرنسية :

« لقد دمرت روح الانتهاس فى الملذات ما شيدته روح التضحية ، أصلحوا من أخلاقكم ودعوا الترف والملذات ، وأقبلوا على العمل بصبر وتضحية »

ليس فى ذلك كله شك ، إنما الشك فيما أعرضه على نظر القراء : أيمكن للأمة تجنب الترف ، أم أن الترف أمر لازم يتبع الغنى والثروة ، والزهد والحرمان يتبع الفقر والإملاق ، فالأمم الغنية حتما تنغمس فى الترف والنعيم ، والأمم الفقيرة تكون بمنجاة منهما ، ولذلك لا يفلّ حدها ، وتبقى لها قوة الصبر والمجالدة ؟ حوادث التاريخ تنبئنا أن المذهب الثانى هو الحق فإذا صحّ هذا كان الوجود مقسما قسمة عادلة ؛ فما خسره الفرد من ذات يده ربحه من ذات نفسه ، وما ربحه من ذات نفسه خسره من ذات يده ؛ أى أن الفقير المعدم وإن خسر المال يربح قوة العزم والقدرة على المقاومة ، فهو يخسر الكنوز فى المال ، ويربح الكنوز فى الأخلاق والقوى ، والغنى القادر — وإن كسب المال — يخسر القوة والقدرة على المقاومة فهو يكسب كنوز المال ويخسر كنوز الخلق والقوة والنفس

عدل فى القسمة ، وكنوز بدل كنوز ، بل ربما كان حظ الفقراء أوفر من هذه القسمة ، فإن الكنوز النفسية أثمن من كنوز الذهب والفضة بما لا يقدر

وإذا صح ذلك أيضاً كان التاريخ متشابهاً ، وهو يتكون من دورات رحوية ، لا تبدأ حتى تنتهى ، ولا تنتهى حتى تبدأ

فأمة تتغلب على أمة ، فتغصبها خيراتها ، وتتمتع بهذه الخيرات دونها ، فإذا فتحت عليها كنوز الأرض ، وانغمست فى النعيم ، ضعفت شوكتها ، ولانت قناتها ، وتغلب عليها من هم أقوى منها ، ممن لم يفسدهم الغنى والترف والنعيم ، وممن ازدادوا حصانة بالفقر والإقلال .

محمد عرفة

تفوق بمراحل هذه المكاسب الزهيدة التى يصل إليها العلم أثناء السلم بعد فترة أطول من الزمن، فتقدم العالم مطرد سواء فى السلم أو فى الحرب إلا أن فترة الحرب فترة انقلاب وسرعة

الخسائر والأرباح

وهى فترة انقلاب ضرورية إلى أن تصفو الضمائر وتقتنع العقول بأن الحرب مهما أكسبت من أسلاب وغنائم ، فلن توازى ما يخسر العالم من أموال ومن أرواح ، وبلغ عدد القتلى والجرحى فى الحرب الماضية ٢١ مليون نفس ، وتكلفت ٦٧,٥٩٨ مليون جنيه؛ وبديهى أن هذه الأنفس والأموال لو وضعت تحت تصرف العلماء والمخترعين لأنتجوا أضعاف ما أنتجت الحرب من تقدم

وها هى ذى الحرب الحالية تنفق عليها انجلترا وحدها ٥٢ مليون جنيه فى الأسبوع الواحد ؛ فإذا قلنا إن ألمانيا تنفق نصف هذا المبلغ عرفنا كم تتكلف الحرب من أموال تضاف إليها خسارة الأرواح وكساد بعض نواحى الحياة المدنية مما لا تتلاءم طبيعته وطبيعة الحرب

ولا يسعنا أن نقول إن الفنون والعلوم توقف تماماً ، ولكنها تتحول إلى الناحية العسكرية ، فيشتغل القصصيون بالقصص العسكرية ، ويرسم الفنانون الصور العسكرية ، وتتحول العقول الهادئة إلى عقول مدمرة عملها شحذ عزائم أهلها ؛ فكل أديب أو فنان لا يعمل الآن من أجل الحرب يموت جوعاً ، ولا يتيسر له إبراز إنتاجه لأنه يعيش فى وادى غير وادى الناس ويفكر فيما لا يفكر فيه الناس ، ويبتدع ما لا يقرء الناس

فالقتال إحدى الغرائز الإنسانية ، صقلتها القوانين والنظم ، وكبتت فى الفرد ، ولكنها ما زالت بارزة فى الجماعة ، فإلى أن يتاح للجماعة أن تكبت هذه الغريزة وتحولها إلى غريزة أصلح ، فإن الحرب لن تزول

وإذا كانت الحكومات وفقت فى ضبطها عند الأفراد ، فمصيرها غامض عند الأمم لاختلاف أمزجتها وميولها اختلافاً بيناً وإن كانت نهايتها المحتومة عند ما تعقل الدول

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة

يا شاعر ...!

أيها الشـاعر قُم واهـ ـبَ على تلك الحقول
وتنقّـل بين هاتيـ ـكَ السّواقي والنخيل
طلَعَ الفجرُ على الوا دى طروباً والسهول
فلماذا ... لا تغنّى غنوةَ الفجرِ الجميل ؟!

***

أترك الغـرفة يا شاعرُ واسبح فى الفضاء
نَسَجَ الفجرُ على الكوْ نِ جلابيبَ الصفاء
والشعاعُ السَّمح صلّي فى خشـوع للسماء
فلماذا ... أنتَ لا تخـ لعُ أشجانَ المساء ؟!

***

أذّنَ الفجرُ ... فقم يا شـاعر الحبّ وغَنّ
صَـوتُك المطرابُ يا شاعرُ فنّ أى فن
شـد أوتارك واسكبـ ـها أغاريدَ تهنّى
واجمع الطـيرَ حواليـ ـكَ وأسمِعْها بلحن

***

جئتَ يا شـاعرُ الريـ ـف فلِمْ لا تتهنّى ؟!
هـذه التُّرعة كانتْ فى صباكَ الحلوِ لحنا
طالما مرتَ عليهـا فى صـفاء تتغنى
والعـذارى رائحاتٍ غاديات تتثـنـى

***

ذلك الجـدولُ يا شاعر كم غنّى طروبا
والأزاهيرُ عَليـ ـهِ تملأ الوادى طيوبا
وصَبايا الحقـلِ يرقصْـ ـن صـباحًا وغروبا
شاديات غنـوةَ القطـ ـن فيطربْن القـلوبا

***

هـذه يا شاعرَ الحبِّ مغـانيكَ الحبيبَة
عصرَ الله عليهـا حسنه الباهى وطيبَـه
وكسـاها بُرْدَةً سحـ ـريّة النّور عجيبـه
كم تنعمتَ عليهـا والمنى منكَ قريبـه

***

أيها الشاعرُ قمْ وامر حْ على تلك القنـاةِ
أنتَ كم نحتَ وفجّرْ تَ ينابيعَ الشكاة !
فرصَـةٌ حانتْ فخذْها طربًا قبـل الفوات
إن للشّاعرِ دون النا سِ بخسًا فى الحيـاة !

عبد العليم عيسى

على قيثارتى ...

لحن اليأس ...!

اتركونى .... لشجونى ! وليأسى المظـلم !
ودعـونى .... وسفينى ! لرياح العـدم !
قد شربت الكأس ما أبقيت فى كأسى شيا !
وطويت الأمل المجروح فى صدرىَ طيا !
وبعثت اليأس فى قلبي فعاد اليوم حيا !
آه ! قد أصبحت فى دنياى حيرانَ شقيا !
زورقى ضلّله الليـلُ وأعشى ناظريا !
ورياح الموت تدنو ، توسع الخطو إليا !
فاتركونى .... لشجونى ! وليأسى المظـلم !
ودعـونى .... وسفينى ! لرياح العـدم !
إننى أحيا كما يحيـا الشريد الهائم !
لست أدرى أين أمضى ؟ كل أفق مظلم !
عصر اليأس فؤادى والحنين المبهم !
فهو فى خدىّ — واقلباه ! — دمع ودم !
وهو فى أنفاسىَ الحرّى لهيب مضرم !
وهو فى القيثار لحن شاع فيـه الألم !
فاتركونى .... لشجونى ! وليأسى المظـلم !
ودعـونى .... وسفينى ! لرياح العـدم !



قأنها ذكرى :

أستاذها يوحى لهـــا

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

فى المرقص ، جئن يتبارين ، لتفوز المجيدة منهن بالعمل . فقد كن راقصات معطلات ، وقد أعلن هذا المرقص عن يوم قريب حدده ليبدأ فيه العمل بأبطال وبطلات جدد

وكان يومنا هذا اليوم المختار لانتقاء الراقصات المتهافتات على هذا المجال الجديد المطلى

وراحت كل واحدة منهن تعرض أبهى ما عندها ، وأحيي ما عندها ، وأشد ما عندها أخذاً ، وأقواه أسراً ، وأحلاه فجوراً ، وأشهاه فتكا

وكلما كانت واحدة منهن تفرغ من جولتها كانت تجلس إلى جانب أخواتها اللائى فرغن لتشاهد أخواتها اللائى يتتابعن على الحلبة يذوبن أنفسهن حركات ونظرات وتشمماً . فمن أساءت حينها ، ومن أحسنت حينها أيضاً

وكانت صاحبة المرقص هى والأستاذ جالسين فى ركن يتذوقان كل راقصة من هؤلاء كما يمضغ الأهتم التفاحة ، يمصها مصاً فى تريث وفى تأن ، فما تفوته من حلاوتها ولا من نكهتها نسمة

حتى انطلقت عذراء لترقص

كان الرقص ملهاتها فى المدرسة ، وكانت تتشرف به ، وكانت تمنح عليه الجوائز دون أن تفكر يوماً فى أنها ستستنجده العيش ، ولـكن أباها لما مات ، وأمها المنهوكة ترملت ، وإخوتها الصغار تيتموا ، لم تجد مفراً من أن تعرض فى السوق نفسها فى أفضح ما تكون نفسها ، ألماً وفرحاً ، راحة وتعباً ، رغبة وإعراضاً ، تماسكا وتحطما ... لتكون راقصة

عذراء ، لا يزال يفيض منها الحياء ، انطلقت بين الأستار والأنوار ، ونهشات الأنظار ، فانعقدت ، عقلها راح . انصدمت فوقفت ، وتدلت ، فتساقطت ، ولو أنها عصرت ألها دمعاً لما اختنقت ، ولـكنها ضعفت فلم تقو حتى على أن تبكى

هذه ... تريد أن تكون راقصة . من الذين رأوها من تألم ، ومنهم من ضحك ، ولكنهم جميعاً أسرعوا إليها ، وحملها بعضهم ، وأمرت صاحبة المرقص أن يذهب بها إلى حجرة ما تسعف فيها ثم تأخذ ملابسها وتمضى ، فذهبوا بها ، وعادوا عنها إلى ما كانوا فيه ، ولـكن صاحبة المرقص ألفت نفسها فى ركنها قد طال مكثها وحدها ، لم يرجع الأستاذ لها فسألت عنه فعلمت أنه لا يزال عند البنت التى أغمى عليها

وكان وقت الراحة قد جاء فقامت السيدة إلى الأستاذ لتراه ماذا يصنع عند تلك البنت

فلما جاءتهما وجدته يقول لها : « هـذه الأنوار أنوار ، فإذا كنت تكرهينها أطفأناها ، وهذه الأستار أستار قطع من القماش مدلاة بحبال ومرسوم عليها صور وأشكال ، فإذا لم تكن تعجبك رفعناها ، وهؤلاء الناس الذين ينظرون إليك ناس مثلى أنا ومثلك أنت ومثل كل الذين عرفتهم وعرفوك ، فإذا كنت تبغضينهم طردناهم ... أيرضيك هذا ؟ ولـكن لماذا يرضيك ؟ أما كنت ترقصين فى المدرسة أمام أنوار وأستار وأنظار ؟ هذه كتلك ، فلم التخاذل هنا والشيطنة هناك ؟ قومى ... أعيدى الكرة ... فإنى أضمن لك فى الرقص مستقبلاً قريباً ربما لم يكن أتيح مثله لراقصة من قبل ... يا لله يا ماما ... وهاك الشوكولاتة ! ... »

ها أنا أطفأت مصباحى ، وحطمت قناتى !
ها أنا شيعت أحلامى إلى وادى الممات !
ها أنا ألقيت قيثارىَ فى تلك الفــلاة !
ها أنا أمضي إلى قبرى سريع الخطوات !
لا تقولوا : واهنُ القلب ضعيف العزمات !
ماتت الآمال فى قلبى فما معنى حياتى !

فاتركونى .... لشجونى ! وليأسى المظــلم !
ودعــونى .... وسفينى ! لرياح العــدم !

(دمنهور) ابرهيم محمد نجا
الشاعر الحائر

ومصت العجوز القصابية صاحبة المرقص شفتيها عجباً واستهزاء وقالت : اسمعي الكلام يا روحي وقوي أرينا البشائر وأشهدينا الفتح ... يالله يا ماما ، وهاك أيضاً من عندي شوكولاته

وأصرت الصغيرة على أنها تكره الرقص، وتنفر منه وتخشاه وتضرب عنه ... وجمعت أشياءها في حقيبتها وتمتمت بكلمات شكر مما تحفظه وترويه بدون أن تتدبره أو تفكر فيه ، واستأذنت لتمضي ، ولكن الأستاذ وقف في طريقها وأقسم ليحبسنها ، فلا تخرج إلا إلى الأنوار والأستار والأنظار

الرجل أحبها ، هذا المغمور في منابع الهوى ، المنغمس ليله ونهاره بين أذرع الغيد ، المنطبق بروحه على أرواحهن ، المتقبل بحواسه نفثاتهن وصرخاتهن وهمهماتهن وغلياتهن ... هذا العليم الخبير، الغني الوفير الصيد إذا أراد صيداً، كان يزهد في كل ما كان يرى ، لأنه لم يكن يرى إلا صنمة هو أستاذها . . . أما هذه فقد رأى فيها أشياء أخرى ، ولم يكن ينقصها إلا هذه الصنمة التي هو أستاذها ، رآها الراقصة التي ظل يحلم بها ليحبها وليعلمها ولترقص له فتلهبه ، وتلهمه ، فيعود يوحي لها ... الأخريات لم يقبلن على الرقص إلا حين أردن أن يسفكنه ذهباً ، وهذه حين أرادت العيش من الرقص استعصى عليها واستعصت عليه ... الأخريات عيونهن مفتحة وأرواحهن غائبة ، وهذه عيناها محتشمتان مغضوضتان ، وروحها هي العاصفة ...

هذه هي الفنانة الراقصة

قالت صاحبة المرقص للأستاذ : « ما دامت الآنسة مصرة على الذهاب فدعها تذهب ، وإني أصدقها النصح وأؤكد لها أنها غير مخلوقة لهذه الحياة الصاخبة التي نحياها ، وأنه من الخير لها أن تعمل في متجر أو مصنع فهو أليق بها وأوفق لها » . . . فما عارضت هذا الآنسة وإنما هزت رأسها . وقالت : « شكراً ، وإن هذا ما اعتزمته ، ثم شكراً للأستاذ فقد كان رؤوفاً رقيقاً »

فضحك الأستاذ وقال : « إذا خرجت فأنا معك »

وترك عمله وخرج معها ، وصحبها إلى بيتها ، فاستقبلته أمها وإخوتها وكانوا ينتظرون عودتها في اشتياق وإشفاق ، وكانوا يرجحون أن تزف إليه خبر فوزها في المباراة واضطلاعها بالعمل ، فلما دخلت هي والأستاذ أسرعت إليها أمها وسألتها : « ما الخبر ؟ » فأسرع الأستاذ بالإجابة قائلاً : « إن هي إلا سنة ، إن لم تكن بعدها ابنتكم هذه سيدة الراقصات فإني لست إياي » ... فقالت الأم : «على الله، ولكن أما انفقتم معها لتعمل عندكم هذه السنة؟ » فقال الأستاذ : « سأعمل معها أنا » ...

وأخذ الأستاذ بعد ذلك يهرج مع الصغار ويمازحهم ويضحك معهم ويلعب ، ثم أولم لنفسه ولمية عندهم فآكلهم وشاربهم ومازحهم، وما غادرهم حتى كان قد أشاع في نفوسهم جميعاً الفرح، والأمل ، والإيمان بأن رضواناً من الله قد انساق إليهم ...

إلا الراقصة فقد كانت تسايرهم بما يبدو فرحاً وأملاً وإيماناً، ولكن نفسها كان فيها غير هذا يأس وقنوط وظلمات ووحشة . وكان الأستاذ يحس هـذا كله ولكنه لم يكن يعبأ به ولا يخاف منه على صغيرته فقد كان يعد هذا كله من علامات التوفيق الذي كان يتوقعه

وانتهت زيارة اليوم ، وعاد إلى الزيارة في الغد وقال لها : « أما رأيت فرّوجاً يخرج من بيضة ؟ » فقالت : « رأيت » فقال لها : « وكيف رأيته ؟ » فقالت له : « هكذا رأيته ، بمنقاره ينقب البيضة وهو فيها ، فإذا انفتحت فيها ثغرة أطل برأسه منها، فإذا رأى الدنيا أمامه نظر إليها عن يمينه وعن يساره ، ثم إذا حلت له الدنيا عاد إلى البيضة ، فإذا كره الحبسة فيها عاد فنقبها ، حتى يتسع له فيها مخرجه منها ، فينطلق من محبسه ، جرياً ، وقفزاً ، لا ينظر إلى مثواه القديم ، وإنما ينساه ، وينجذب إلى أمه ، يعرف أنها أمه ، وهكذا يخرج الكتكوت من البيضة » فقال لها الأستاذ : « لو أنك انتبهت إلى نفسك وأنت تقصين عليّ هذه القصة ، لعلمت أنك قد ابتدعت رقصة ، هي رقصة بريئة طاهرة ترضيك وتوافقك ، وقد أخذتها أنا الآن عنك ، وسأعود إليك بها غداً ، مقسمة ، منظمة ، منغمة ، مزيداً عليها تزاويق من عندي على الأصل الذي كان عندك ، فإلى اللقاء غداً ...

وفي الغد عاد الأستاذ بالراقصة . . . وليس في البيت أنوار ولا أستار ولا أنظار إلا أمها وإخوتها ، وهؤلاء جميعاً يفيض من أعينهم الحب والإعجاب والتشجيع ... فرقصت وأحسنت

فلما رآها أحسنت قال لها : « الآن تستطيعين أن تقصدي المرقص ، وأن تتحدى الراقصات فيه بهذه الرقصة ، فإذا كنت ستشعرين بشيء من التهيب أو شيء من الوجل فإني سأقف على قرب منك تجاه عينيك ، فانظري إلي ، وارقصي لي ، ولا ينشغل

بالك بمن هم حولك ، وانسيهم ، وازعمي لنفسك أني سألتك ثانية كيف يخرج الكتكوت من البيضة وأنك تجيبين عن سؤالي هذا رقصاً ... يالله ياماما ... وهاك الشوكولاته ...

اضطربت قليلاً ، ولكنها قامت معه

ولم يكن باقياً على موعد البدء في العمل إلا يوم ، ولم يكن عند صاحبة المرقص من الصبر ما تحتمل به اختبار راقصة جديدة بعد ما أعدت برنامجها واطمأنت لما نظمت به عملها ... ولكن تحمس الأستاذ ، وإصراره ، وأيمانه التي كان يقسمها يؤكد بها نجاح راقصته ... كل هذا حمل العجوز على أن ترضخ وأن تصبر وأن ترى ... فرأت عجباً ... فناً رشيقاً بريئاً حلواً مبعوثاً من نفس بكر خالصة صادقة ساذجة ذكية ناعمة ، موشى بحلى صاغتها روح هذا الأستاذ العارف المدرك الدقيق المتأنق ...

فرضخت العجوز واعترفت ...

وبدأت الراقصة العمل ... ونجحت في الليلة الثانية ، وواصلت النجاح بعد النجاح ، وبدلت الرقصات رقصة بعد رقصة ، وتفتحت نفسها بعد ما كانت مظلمة معتمة وبارحها اليأس ، وتبدل قنوطها فرحاً ومرحاً وبهجة وإيماناً ورضى ...

ولكنها لم تنتبه إلى الأستاذ ، لم تكن تطلق إليه روحها إلا وقتما كان يعلمها ، ووقتما كان يقف لها على بعد أو على قرب لترقص له ... أما في غير هذين الوقتين فقد كانت تنشغل بالدنيا ، وبما فيها ، وبمن فيها ... كلما قال لها واحد من الناس كلمة إعجاب صدقت أنها كلمة إعجاب ، وما بالها لا تصدقها والأستاذ نفسه معجب بها ... كان عليها أن تسأل نفسها : هل هؤلاء الذين يبدون الإعجاب بها يعرفون أين موطن الحسن فيها ، وما مبلغ هذا الحسن وما مبعثه ... ولكنها لم تفكر في شيء من هذا ، ولكنها تلقت إعجاب الناس كما تلقت إعجاب الأستاذ ، وحسبت أن الناس كلهم مثله ، ثم راحت تحسب بعد ذلك فيهم ميزات ليست فيه هو ، فهذا غني ، وهذا وجيه ، وهذا شباب ، وهذا صحة ، وهذا اسم ، وهذا مجد ، وهذا ظرف ، وهذا تودد ، وهذا هدايا ، وهذا ولائم ... وهذا وهذا ...

أما الأستاذ فإنه لم يزد عندها على أن يكون معلمها وهدف فنها ...

لم تفكر في أنه يحبها . انفرد بها يوماً وقال لها كلاماً كثيراً دس فيه أنه يحبها فسمعتها منه كما كانت تسمع منه كل شيء : حقيقة تتلقاها خالصة ، وتستغلها . فلم يعد يعيدها

ومرت السنة .

وكان اسمها قد لمع . ولم يعد أحد يجهلها . الجمهور يتهافت عليها ، والصحافة تتلقف أخبارها ، والمراقص تتنافس لتتعاقد معها . وهي ناعمة راضية ...

والأستاذ عاشق يكتم العشق ، صابر راض بأن تكون تلميذته الموفقة إن لم تكن له أكثر من ذلك

وأقاموا لها حفلة يكرمونها . واحتشدت الدنيا في هذه الحفلة : العشاق ، والهواة ، والمعجبون ، والمتطفلون ، والزملاء ، والأستاذ ... وألقيت الخطب ، والقصائد ، ونثرت الزهور والرياحين ، وطالبوها برقصة « الكتكوت » فقال لها الأستاذ : « لا ترقصي » فقالت : « عجباً ! ولماذا ؟ لا بد أن أرقص ، هؤلاء جميعاً جاءوا ليكرموني فلا أقل من أن أكرمهم برقصة ... وهي بعد ذلك وقبل ذلك رقصتك التي علمتني إياها ، ثم إني أريد أن أرقص »

— إذا كنت تريدين أن ترقصي فهيا إلى البيت ارقصيها بين أمك وإخوتك ، وإني أذهب معك

— وهؤلاء الناس ؟

— هؤلاء الناس ليسوا شيئاً . إنهم ناس ! بشر لا أكثر ولا أقل

— وأنت ألست من الناس ؟ ألست من هؤلاء البشر ... هذه غيرة وغرور

— قد تكون غيرة ، ولكن أين منها الغرور ؟ أنسيت أنك حتى الأمس لم ترقصي إلا لي ...

— ومنذ اليوم سأرقص للناس لا أريدك أن تقف في طريقي

— O. K. ... أوروفوار !

... ولم يستغرق هذا التهامس إلا دقائق قليلة مرت بسرعة ... ثم أشارت بعدها إلى العزاف فبدأوا اللحن ، واعتدلت للرقص ... وبدأت ... وأخذت تطرد من مخيلتها صورة هاتين العينين اللتين اعتادت أن تسيل بفنها فيهما ... وأخذت تسفك فنها في الفضاء وتنثره على عيون منها البلهاء ، ومنها المتلصصة ، ومنها الصفاحة الخاطئة ...

اضطربت المسكينة . وعاودتها تلك الرجفة التي دهمتها في ليلة المباراة الأولى ، فسقطت كما سقطت إذ ذاك . وانقلبت حفلة التكريم إلى مأساة



الوضع الحقيقي لمشكلة

جابر بن حيـــان

للأستاذ أحمد زكي صالح

(تتمـة)

مناقشة رأى الأستاذ كراوس

الأستاذ كراوس حيران بين أمرين : أولهما أنه يريد أن يثبت أن جابراً إنمـا عاش فى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع من الهجرة ، والأمر الثانى هو البرهنة على عدم وجود هذه الشخصية العلمية الإسلامية التى تسمى جابر بن حيان؛ ولـكن هل تأتى له أن يصل إلى نتيجة أحسن مما وصل إليه أساتذته وغيره من المستشرقين؟

هذا ما نرى الجواب عليه فيما يلى :

يريد الأستاذ كراوس أن يبين أولاً أن جابراً إن كان له وجود فهو إنما عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث وأوائل الرابع الهجرى ، معتمداً فى ذلك على الدراسة المقارنة ، فهو أولاً يقارن آراء جابر الـكلامية الشيعية بآراء غيره من رجال الفرق الشيعية الأخرى ، ويخرج من هذه الدراسة المقارنة بأن آراء جابر بن حيان إنما تشابه وتماثل آراء القرامطة والاسماعيلية اللتين ابتدأتا تلعبان دورهما منذ سنة ٢٦٠ ﻫ أى فى النصف الثانى من القرن الثالث ، ولـكن نحن نسلم بكل ما جاء فى هـذه الدراسة المقارنة بين الآراء الـكلامية والفلسفية لجابر بن حيان ، وبين تلك التى قالت بهـا فرقتا الاسماعيلية والقرامطة ، ولكن الذى لا يمكن التسليم به هو أن وجود هذا التشابه بين الآراء يصح دليلاً على أن جابراً معاصر لهما ، بل الأقرب إلى العقل أن جابراً وضع أسس النظريات الـكلامية والفلسفية والإلهية التى توسعت فيها فيما بعد الاسماعيلية والقرامطة

ومن الجلى الواضح لدى كل من درس علم الـكلام أن فرق الشيعة كانت أنشط الفرق الإسلامية حركة ، وكانت أولى من أسس المذاهب الدينية على أسس فلسفية ، حتى أن البعض ينسب فلسفة خاصة لعلى بن أبى طالب

وعلى هذا فنحن لا نسلم برأى الأستاذ كراوس ، وهو أن جابراً عاش فى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع من الهجرة ، وعلى ذلك فنحن ننتقل إلى مناقشة رأيه الثانى ، وهو عدم وجود

حملوها إلى البيت ، وأرقدوها فى الفراش ، وتسللوا وتركوها بين أمها وإخوتها ، ومعها مندوب من المرقص ليقف على خدمتها ريثما يطمئن على صحتها ... ولكنها ظلت فى غيبوبة تامة ... ولم تفق وإن كانت تردد نداءها للأستاذ

ولم يكن أحد قد علم بشىء مما دار بينهما ، فلم تر أمها إلا عجباً فى انقطاع أستاذها عنها ، فأرسلت إليه تستدعيه ، ولـكن الرسول عاد يقول لها إن الأستاذ مريض هو أيضاً وإن لم يكن طريح الفراش . فعادت وأرسلت إليه فجاءها ...

دخل إلى تلميذته المريضة متثاقلاً من تعبه ، محطماً من تلك اللطمة التى تلقاها إذ اعتبرته واحداً من الناس ، من هؤلاء الناس جلس إلى جانبها ، ومد يده فأمسك بيدها ، ففتحت عينيها فلما رأته قالت له بصوت منكسر :

— سامحنى يا أستاذ

— إنك لم تسيئى إلىّ ، فليس ما حدث إلا قضاء الله ، وأنا الذى أرجو أن تسامحينى أنت

— إذن فقبلنى ...

فقبلها ... ولكن فى جبينها ، ومكث عندها ما مكث ثم مضى ولكنه لم يمض إلى بيته ، ولم يعرف بعد ذلك أحد إلى أين مضى ثم أذيع أنه مات

أما هى ... فقد انهارت بعد ذلك وأصبحت راقصة كبقية الراقصات ...

غير أنها كانت تسكر أحياناً ، وتمعن فى السكر ، وعندئذ كانت إذا رقصت نظرت إلى فضاء ما

وعندئذ كانت تلم بها أطياف من المجد القديم ، وعندئذ كان يتهامس المقربون منها والذين عرفوا قصتها قائلين : « أستاذها يوحى لها »

عزيز أحمد فهمى

شخصية جابر بن حيان ، وأن المؤلفات المنحولة لجابر بن حيان ، إنما هي من أعمال مدرسة في القرن الرابع للهجرة

يقول الأستاذ رسكا : « إن المسألة لا يمكن أن تفسر هذا التفسير البسيط الساذج وهو أنها أعمال مدرسة استمرت عدة قرون » . ولكن يظهر أن الأستاذ كراوس أخذ بشطر من هذا التفسير على الأقل ، إذ أنه فسرها على أنها من أعمال مدرسة وجدت في القرن الرابع ، ولكن هذا التفسير كذلك ينطبق عليه قول رسكا من أنه تفسير بسيط ساذج ، ونحن نسأل الأستاذ كراوس : هل يمكن لهذا التفكير المنسجم المطرد أن يكون تفكير أفراد كثيرين ؟ ؟

نحن نفهم من المدرسة عدة أشخاص معتنقين مذهباً واحداً واضعين نصب أعينهم أغراضاً واحدة يعملون على تحقيقها ، يقسمون العمل فيما بينهم فلا يخرجون كتاباً إلا إذا بحث ومحص من كل الوجوه كما هو حال « إخوان الصفاء » ، ولكن هل نلاحظ هذا في أعمال جابر بن حيان ؟ ؟ كلا فكثيراً ما عاد جابر في مؤلفاته يشرح بعض النظريات التي سبق أن قال بها ويكمل بعض الآراء التي وصل إليها . أضف إلى هذا أن تفكير جابر بن حيان لا يدل على تفكير مدرسي ولا يمكن بأية حال أن يدل على ذلك، إذ أن شخصية جابر تظهر في جميع مؤلفاته على السواء بنفس الروح وبمظهر واحد وأسلوب فذ . على عكس التفكير المدرسي فإنه إما أن يكون خلواً من الروح المميزة له على الإطلاق أي يتلاشى الفرد في الجماعة ، وهذا بعيد جداً عن مؤلفات جابر ، أو أن تظهر فيه شخصية الأفراد المؤلفين فتختلف روح العمل والإنتاج تبعاً لكل كاتب ، وهذا ما لا نجده في مؤلفات جابر

جابر الحقيقي

بعد ذلك نخرج بالنتائج الآتية :

أولاً : إن كلمة Gèbèr في الكتب اللاتينية قد استعملت ترجمة لاسم جابر العربي

ثانياً : إنه وجد فعلاً شخص عربي كيميائي مسلم هو جابر ابن حيان .

ثالثاً : إن الكتب الكيميائية العربية لهذا المؤلف قد نقلت إلى اللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد

رابعاً : كثيراً ما كان المترجم اللاتيني يستعيض عن الترجمة الحرفية للكتب العربية بترجمة مع تصرف

خامساً : قسطاس الأصل العربي للكتب المفقودة ، يجب أن يكون عن طريق البحث في المحتويات أولاً وفي الأسلوب ثانياً

من هو جابر إذن ؟

قال ابن النديم : « هو أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي ، واختلف الناس في أمره : فقالت الشيعة إنه من كبارهم وأحد الأبواب ، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق رضي الله عنه ، وكان من أهل الكوفة . وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم . وله في المنطق والفلسفة مصنفات . وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره وأن أمره كان مكتوماً ، وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان ولا يستقر في بلد خوفاً من السلطان على نفسه ، وقيل إنه من جملة البرامكة وكان منقطعاً إلى جعفر بن يحيى ، فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر البرمكي وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق ...

« وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين إن هذا الرجل يعني جابراً ، لا أصل له ولا حقيقة ، وبعضهم قال إنه ما صنف ، إن كان له حقيقة ، إلا كتاب الرحمة وإن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه إياها ، وأنا أقول إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة ، يتعب قريحته وفكره لإخراجه ويتعب يده وجسمه لنسخه ثم ينحله لغيره إما موجوداً أو معدوماً ضرب من الجهل ، وإن ذلك لا يستمر على أحد ، ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم ، وأي فائدة في هذا وأي عائدة ؟ والرجل له حقيقة وأمره أظهر وأشهر وتصنيفاته أعظم وأكثر ، ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة أنا أوردها في مواضعها ، وكتب في معاني شتى من العلوم قد ذكرتها في مواضعها من الكتاب ، وقد قيل إن أصله من خراسان والرازي يقول في كتبه المؤلفة في الصنعة[1] : قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان[2] »

(١) الصنعة يعني الكيمياء

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ ط فلوجل

وقال القفطى : « جابر بن حيان الصوفى الكوفى كان متقدماً فى العلوم الطبيعية بارعاً فى صناعة الكيمياء وله فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة ، وكان مع هذا مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام ... وذكر محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاط الاصطرلابى الأندلسى أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفاً فى عمل الاصطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير لها »[1]

ونحن إذا سلمنا بوجهة نظر ابن النديم ؛ فإننا نستطيع أن ننسق من جديد ما يقوله « الفهرست » ، وأن نعيد مبنى هيكل حياة جابر بن حيان ؛ فإذا كان جعفر الصادق الذى عاش من ٦٩٩ — ٧٦٥ م أى ٨٩ — ١٥٥ هـ هو أول أصدقاء جابر ومعلميه ، فإن تاريخ ميلاد هـذا الأخير حوالى سنة ٧٣٠ م أى حوالى ١٢٠ هـ وهكذا يمكن أن يكون قد ارتبط ، وهو فى سن الستين أو السبعين ، بعلاقة ما مع البرامكة . ولا يجد الجلدا كى ثمة غرابة فى أن يكون لجابر نشاط أدبى عظيم لأغراض علمية وفلسفية وإلٰهية

والبرهان على حياة جابر وتنظيمها أثبت فى كتاب الجلدا كى « البرهان فى أسرار علم الميزان »[2] . جاء فى هـذا المخطوط : الأسـتاذ الكبير جابر بن حيان ولد فى الكوفة ، وهو من قبيلة أسد فهو طوسى الأصل صوفى المذهب ، تتلمذ فى صباه على حرابى حميرات أحد المعمرين . ويذكر لنا جابر أن حميرات هذا قد عاش أربعمائة سنة ؛ أى أنه ولد فى سنة ٢٠٠ قبل الهجرة وعاش حتى حكم هارون الرشيد ، أى أنه مات سنة ١٧٠ هـ تقريباً . وعن هذا المعمر أخذ جابر العلم فى صباه ؛ ثم رحل إلى حيث يوجد الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه وتتلمذ عليه وصار بعده إماماً . ثم اتصل بعـد ذلك بالبرامكة ومارس تحت ظلهم الكثير من التجارب ، وعن طريق جعفر البرمكى اتصل اتصالاً مباشراً بهارون الرشيد وأهدى إليه الكثير من كتبه

وعلى هذا الأساس فإن جابراً يعد أستاذاً للكيمياء . ومما ساعده على ذلك أنه أحضر فى أيامه الكثير من المؤلفات الكيميائية اليونانية من بيزنطة إلى بلاط الخليفة فى بغداد . أضف إلى ذلك أن جابراً نفسه قد انهمك فى الفلسفة حيناً من الزمن ثم مات وله من العمر تسعون عاماً أى حوالى سنة ٢١٠ هـ أى ٨٢٠ م . بعد تصنيفه لثلاثة آلاف رسالة وكتاب

الخواص العلمية لكيمياء جابر

كان جابر بن حيان أول من فطن إلى الناحية التجريبية الخالصة فى الكيمياء ، وبهذه الوسيلة تيسر له أن يأخذ بيد هذا العلم الناشئ فى ناحيتيه النظرية والعملية ، ويمكن أن نتتبع أثر جابر هذا فى كيمياء وكيميائيى أوربا

فمن الناحية العملية يصف لنا جابر طرق التبخير ، والتكوير والترشيح ، والذوبان والتمطير والتبلور ! كما وصف أيضاً الكثير من طرق التحضير الكيميائى ، كالزنجفر وأكسيد الخارصين ، كما عرف تماماً كيف يُحضر حامضا الكبريتيك والأزوتيك ، وحجر الشب ، والقلوى والسلمونيك وملح البارود

ولقد اقتبست اللاتينية عن العربية بفضل مؤلفات جابر ابن حيان الكيميائية بعض الاصطلاحات الكيميائية التى لا زالت تستعمل فى اللغات الأوربية مثل البوتقة Aludel والأنبيق Alimbic والتوتيا Tutia التى هى أكسيد الخارصين ، والقلوى والرهجار Realgar الذى هو كبريت الخارصين

الأسس العامة التى قامت عليها كيمياء جابر

بينا كيف أن كيمياء جابر إنما تقوم على أسس تجريبية ؛ ويرى الأستاذ كراوس أن كيمياء جابر مؤسسة كذلك على أسس فلسفية ، ويقرر أن هـذه النظرية الفلسفية قد اقتبست إلى حد كبير من طبيعة أرسطو ، وجابر نفسه يعيد ذكر الكثير من عبارات أرسطو كما يذكر بعض فقرات وتعليقات على : الإسكندر الأفروديسى ، وطيمسطس وسمپليكيوس ونورفوريوس وغيرهم . وكذلك نرى فى مؤلفات جابر ذكراً لمؤلفات أفلاطون وبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وأرشميدس ، وبين هؤلاء المؤلفين الكثيرون ممن لم تفقد أصول مؤلفاتهم اليونانية ، وبالدراسة المقارنة أثبت أنه ليس هناك مؤلف كيميائى فى الإسلام على معرفة واسعة النطاق بالأدب العلمى القديم ، ومؤلفاته لها صبغة دوائر المعارف إلا جابر بن حيان ومؤلفاته ، هـذه

(١) القفطى : أخبار الحكماء ص ١١١ ط القاهرة

(٢) الجلداكى توفى سنة ١٣٦٠ م وكتابه السابق الذكر مخطوط

المؤلفات التى تقرب من أن تكون دائرة معارف إسلامية تعبر عن معارف عصره تماماً. وأساس العلم الجابرى هو الميزان، وهو فى نفس الوقت الذى يبيّن لنا وحدة العلم الجابرى ، ونحن كى نستطيع فهم هذا الأساس وهذه الوحدة ، يجب أن نعدد المعانى المختلفة لهذا الميزان :

أولاً — الوزن النوعى

ثانياً — وزن الكيميائيين القدماء الذى يحدد امتزاج العناصر بعضها ببعض

ثالثاً — ميزان الحروف : كان يرى أن حروف اللغة العربية على صلة بالخواص الأربع : الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف، وهو يرى أن ميزان الحروف هـذا لا ينطبق على عالم ما تحت القمر فقط إنما كذلك على الكائنات الميتافيزيقية مثل العقل والروح والمادة والمكان والزمان

رابعاً : والميزان هو المبـدأ الميتافيزيقى للواحدية العلمية monisme scientifique ، ويظهر هنا أن تصور أفلاطون للواحد لا يمكن أن يكون إلا ذا أثر

خامساً : وأخيراً فإن الميزان يتفرع عن تفسير مجازى طويل لآيات القرآن عن ميزان الحكم فى العالم الآخر، وهذا هو ما يوجد إجنوزية الإسلام التى حاول جابر أن يربط بها مذهبه فى الدين

أثر جابر فى الدراسات الكيميائية

جابر فى نظر كيميائيي الإسلام أستاذ الصنعة الأكبر ، ولقد ترك جابر أثراً ليس من السهل الإقلال من شأنه، ونكتفى بأن نشير إلى أنه من خيرة تلاميذ مدرسة جابر بن حيان فى الكيمياء: الخرقى، ابن عياض المصرى الإخميمى ، وذو النون المصرى ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، ومسيلمة بن أحمد المجريطى ، والطغرائى وابن وحشية ، والإكيمى المصرى ، وأبو القبردان النصيبى (؟)

أما فى العالم الأوربى فأغلب أعمال جابر الكيميائية إن لم تكن كلها مترجمة إلى اللاتينية مطبوعة فى المجموعات التالية :

1. Treatrum chemicum
2. Bibliothecae chemia
3. Artis auriferae quam chemicam vacant. [Bâle
4. Artis chemical principes. [Bâle.

وهذه التراجم اللاتينية تنقسم إلى قسمين :

قسم أخذ فيه بمنهج الترجمة الحرفية فخرج غير متين الأسلوب ولا قوى التركيب . وقسم أخذ فيه بمنهج الترجمة مع تصرف فجمع فيه بين دقة التعبير العلمى وبين متانة الأسلوب الأدبى ، وبين وضوح الفكر ورونق التنسيق وجمال التقسيم

وهـذه التراجم اللاتينية لـكيمياء جابر إنما سادت التفكير الأوربى العلمى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر حينما عرفت كتب جابر العلمية ، وإن كان بعض المغرضين قد انتهزوا فرصة فقد الأصول العربية لهذه التراجم اللاتينية وضياعها ، فحاولوا أن يخرجوا بهذه التراجم عن دائرة الفكر العربى الاسلامى ، فإن هذه المحاولات مقضى عليها بالفشل ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على قيمة هذه المؤلفات وعظيم تأثيرها على الفكر اللاتينى فى القرون الوسطى .

وإنى لا أعدو أن أكون مقرراً للواقع حين أقول إن كيمياء جابر يمكن أن نعدها إلى حد ما أساساً للـكيمياء الحديثة ؛ ذلك لأن التراجم اللاتينية لأعمال جابر بن حيان طبعت فى القرن السادس عشر ، ثم أعيد طبعها فى القرن الثامن عشر ، ولا بد لهذه الأعمال العظيمة أن تؤثر فى عقليات المفكرين سواء أكان هـذا التأثير من ناحية سلبية أم من ناحية إيجابية أم هو بين السلب والإيجاب

***

هذه هى مشكلة جابر بن حيان فى وضعها الصحيح ، وبهذا نكون قد أزحنا بعض العبء الثقيل الذى يبهظ أعناقنا نحن دارسى التراث الإسلامى ، وفقنا الله جميعاً لإحياء هذا التراث الخالد .

(تم البحث)

أحمد زكى صالح



الى الأستاذ الشاعر على محمود طه

قرأنا بإعجاب كبير ديوان «ليالى الملاح التائه»، وفى مطالعتنا لمقدمات القصائد مررنا بمقدمة القصيدة التى عنوانها «خمرة نهر الرين» وقد جاء فيها:

«يتفرد نهر الرين بجنات أعنابه، وأشجاره الباسقة، وقصوره التاريخية، ذلك النهر الذى ينبع من سويسرا ويمر بين فرنسا وألمانيا ويخترق هولندة حتى مصبه فى بحر الشمال. وقد تغنى بجماله وفتنته شعراء مبدعون، احتفل الأدب بآثارهم ومنهم الشاعر الإنجليزى جون كيتس الذى أودع قصائده الأخيرة إلى محبوبته أرخم ما غناه عشاق نهر الرين ...»

واعتماداً على ما نعلمه من دراستنا لأخبار الشاعر المبدع جون كيتس وأشعاره لا نجد فى ديوانه كله أية قطعة تتغنى فيها بنهر الرين مباشرة أو عرضاً، وليس فى قصائده المعروفة إلى محبوبته «فانى براون» أى تغن بنهر الرين

وزيادة فى الايضاح نذكر أن الشاعر المذكور لم يترك انجلترا فى حياته إلا مرة واحدة، وذلك فى عام ١٨٢٠ تلبيـة لدعوة الشاعر «شلى» الذى كان فى إيطاليا فى تلك السنة. وكانت الطريق التى سلكها «كيتس» بحرية. ومنذ اليوم الذى ترك فيه انكلترا حتى وفاته بعد ذلك بزمن يسير لم يقل غير قصيدة واحدة وهى مشهورة فى الأدب الإنكليزى بعنوان «النجم الساطع» Bright Star مهداة إلى «فانى براون»، وليس فيها إشارة إلى النهر المذكور الذى لم تقدر له رؤيته فى حياته

أما الشاعر الإنكليزى الذى تغنى بنهر الرين فهو «اللورد بيرون» فى قصيدته الطويلة Childe Harold وذلك فى المقاطع (٤٦ — ٥٥) من الفصل الثالث؛ وهى من أجمل ما قيل فى التغنى بجمال نهر الرين وعظمته

وختاماً تقبل أستاذى هذه الملاحظة، وليس يقلل من شأن شاعر الحب والجمال «جون كيتس» ألا يتغنى بجمال نهر الرين وكفاه ما تغنى به. ودم للمعجب

على كمال

(فلسطين)

حول أخى اسماعيل أدهم

قرأت جل ما كتب فى المجلات والجرائد المصرية خاصاً بأخى المرحوم «اسماعيل أحمد أدهم» وقد رأيت أن بعض الكتاب قد وقعوا فى بعض الأخطاء، ورأيت من الواجب أن أنبه إلى تلك الأخطاء إحقاقاً للحقيقة، وخدمة للتاريخ

ولقد كتب صديقى الأستاذ «عبد الحفيظ نصار» مقالاً فى العدد الأخير من مجلة (الرسالة) فوقع فى بعض الأخطاء منها أنه ذكر أن أخى اسماعيل حفيد أدهم باشا وزير المعارف التركية سابقاً. والحق أن ابرهيم أدهم باشا كان وزيراً للمعارف المصرية — أى مدير المدارس المصرية — على عهد ساكن الجنان المغفور له «محمد على الكبير» وخلفه المظيم الخديو «اسماعيل»

وقد أشار إلى هذا الأستاذ الأديب «صديق شيبوب» فى المقال المنشور له فى جريدة البصير بتاريخ (٢ أغسطس ٩٤٠) نقلاً عما كتبه المرحوم على باشا مبارك فى خططه

وذكر الأستاذ نصار أن أخى نشر أبحاثاً متفرقة فى الرسالة كان آخرها بحثه عن (عام الفيل) والحقيقة أن آخر مقال له فيها هو (الذرة وبناؤها الكهربائى)

وذكر أيضاً أن أول كتاب صدر له فى مصر هو (مصادر التاريخ الإسلامى) والصواب (من مصادر التاريخ الإسلامى) وقد صودر — كما أذكر — بقرار من مجلس الوزراء وليس بمرسوم ملكى كما قال الأستاذ

وقال أيضاً إن له كتاباً اسمه (الأنساب العربية) والصواب (علم الأنساب العربية) وقد نشرته مجلة (الحديث) الحلبية

هذا، ولى عودة — إن شاء الله — لتصحيح أخطاء بعض الكتاب.

(الاسكندرية) ابرهيم أحمد أدهم

مأخذ طائش

قال الأديب أحمد جمعة الشرباصي : لما أخرجت وزارة المعارف ديوان المرحوم حافظ إبراهيم لم تنشر به عدة قصائد له ، وذكر مقطوعة من شعره في وصف الطيارة لم تنشر بديوانه وهي :

يجرى بسابحة تشق سبيلها شق الإزار

والحقيقة أنها موجودة بالجزء الثاني صفحة ٧٧ في استقبال الطيار العثماني فتحي بك ، وكانت طائرته قد سقطت به ومات قبل إتمام رحلته إلى مصر ، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حياً وميتاً . فهل اطلع الأديب الشرباصي على الديوان ؟

أحمد حسين حسنين

تصحيح بيت في ديوان (حافظ) بمناسبة ذكراه

إلى حضرات الأساتذة المحترمين الذين ضبطوا وصححوا ديوان شاعر النيل « أحمد حافظ إبراهيم » رحمه الله

جاء في الجزء الثاني من الديوان مطلع قصيدة (تصريح ٢٨ فبراير) :

مالى أرى الأكمَ لا تُفَتَّحُ والروضُ لا يزهو ولا يُنَفِّحُ

وذلك بتشديد الكلمة الأخيرة من صدر البيت ومثلها من عجز البيت ، وعلى هذا فوزن البيت لا يستقيم مطلقاً مع وزن القصيدة . إذاً فالأصح أن يكون بيت المطلع بلا تشديد هكذا :

مالى أرى الأكمَ لا تَفتَحُ والروض لا يزهو ولا يَنفَحُ

هذا ما خطر لى لدى مطالعتى ديوان حافظ بجزئيه منذ أمدٍ بعيد ، وقد سجلت هذا الخاطر ... والآن بمناسبة ذكرى هذا الشاعر العربي العظيم أعرض ملاحظتى المتواضعة على البيت المذكور أمام الأساتذة المصححين للديوان ليقولوا كلمتهم ، كذلك أعرضها لقراء الرسالة ليتدبروها جيداً ويُبدوا آراءهم فيها ، والله أسأل أن يهدينا إلى الصواب

(العراق — العمارة) أنور خليل

نؤت بالحمل وناء بى

نشر الأستاذ الطنطاوى فى العدد (٣٦٢) مقالاً جاء فيه تلك العبارة :

« ... وكانت السيارات تسير متعاقبة يكاد ينوء بها ثقل ما تحمل ... » . وقد أشار فى الهامش إلى أن هذا هو التعبير الصحيح رغم شيوع عكسه ، وهذه الإشارة إن أفادت شيئاً ، فإنما هى تفيد أن العكس خطأ

وقد قرأت فى كتاب الأمالى ما نصه[1] : « يقال : نؤتُ بالحمل أنوء به نوءًا ، إذا نهضت به ، وناء بى الحمل ينوء بى نوءا ، إذا جعلنى أنهض به » اهـ

وقد دفعنى ما قرأته فى الأمالى إلى أن أرجع إلى القاموس ، فأدهشنى أن كلا الكتابين متفق ، وذلك بعد أن أرجعت البصر فيهما مرات ، وهاك الدليل : يقول القاموس فى مادة (ناء) : « ناء نوءًا وتنوءاً : نهض بجهد ومشقة ، و (ناء بالحمل) : نهض به مثقلاً ، و (ناء به الحمل) : أثقله وأماله كأناءه » اهـ

ولو تلمسنا وجاهة كل من التعبيرين ، لوجدنا أن قولنا نؤتُ بالحمل أوجه بكثير من قولنا ناء بى الحمل، والتعبير نفسه ينطق بذلك فما رأى الأستاذ الطنطاوى ؟ ؟

« كفر المياسرة » عوض عوض الدهمة

مغالطات

أستاذى الكبير الزيات

قرأت للأخ الأديب أحمد جمعة كلمة فى الثقافة عدد ٨٣ حول ترجمة لابن الفارض فى كتاب (تاريخ الأدب العربى) إذ نقل منه هذه العبارة :

ومن أشهر شعره — يعنى ابن الفارض — تائيتاه الكبرى والصغرى ، تبلغ الأولى ٦٠٠ بيت ، والثانيـة ١٠٣ أبيات ، قد استوعبتا أغراض الصوفيين وأسرارهم ولا يقرأهما إلا من رزق الصبر والجلد على حل تلك الرموز، يقول فى مطلع الكبرى:

نعم بالصَّبا قلبى صبا لأحبتى فياحبذا ذاك الشذا حين هبّت

تذكرنى العهد القديم لأنها حديثة عهد من أُهَيل مودتى

نقل هذه العبارة ، وقال إن فيها عدة أخطاء :

١ — فى عدد أبيات التائية الكبرى ، فهى ليست ٦٠٠ بل ٧٧٩ بيتاً كما عدها بنفسه مراراً

٢ — إن التائية الكبرى ليست مبدوءة بما ذكرتم من قول ابن الفارض :

« نعم بالصبا قلبى صبا ... » البيتين

(١) الأمالى : جـ ٢ ص ١٣١ — طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ م

٣ — فى إتيانكم بالبيتين متعاقبين والحقيقة أن البيت الثانى « تذكرنى العهد القديم ... » الخ جاء فى التائيـة الصغرى ـ لا الـكبرى ـ بعد أربعة أبيات... الخ، وأنا أعجب للأخ أحمد جمعة، كيف جشم نفسه هذا الجهد الـكبير ، والأمر أسهل مما يعتقد ؟!

أما عن عدد الأبيات فقد صدق أستاذنا الزيات ، فلقد رجعت إلى طبعات ديوان ابن الفارض المختلفة ، فوجدت اختلافاً كبيراً فى عدد الأبيات ، أبيات هذه القصيدة . فبعض الطبعات ذكرت هذه القصيدة فى نحو ٦٠٠ بيت ، وعلى هذه الطبعة اعتمد أستاذنا الزيات فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) صفحة ٢٢٩ من الطبعة الخامسة كما ذكرت ، وصفحة ٣٥٢ من الطبعة السادسة وكذلك اعتمد عليها أيضاً الدكتور زكى مبارك فى كتابه التصوف الإسلامى ج ١ ص ١٣٠ حيث يقول : « ولا يسع من يهتم بدرس ابن الفارض أن يغفل التائية الكبرى ، وهى نحو ستمائة بيت ، وقد نظامها بحث وحى صوفى. الخ ». وطبعة أخرى ذكرت هذه القصيدة نفسها فى ٧٥٨ بيت ، وطبعة ثالثة ذكرت هذه القصيدة أيضاً فى ٧٦٢ بيت ، وأحمد جمعة يقول إنها تبلغ ٧٧٩ بيتاً كما عدها بنفسه مرات فلا يصح له بعد ذلك أن يخطئ الأستاذ فى عدد الأبيات قبل التثبت فى حين أنه أخذ بأكثر هذه الطبعات دقة وعناية هذه واحدة . وأما الثانية : فأنا معه فيها ، إذ أن التائية الكبرى مبدوءة بقول ابن الفارض :

سقتنى حُميّا الحب راحة مقلتى ... وكأسى محيا من عن الحسن جلّت
فأوهمت صحبى أن شرب شرابهم ... به سُرّ سرى فى انتشائى بنظرة

ولعله يرى معى أن هـذا لا يعد خطأ ، وإنما هو سهو ، وكان الأجدر به أن يعطيه اسمه الصحيح ... ! وأما الثالثة : فهى مغالطة صريحة ولا تجدر بطالب الحقيقة والناقد المنصف .

ألم يقل أستاذنا : « يقول فى مطلع الـكبرى : « نعم بالصبا قلبى صبا ... » البيتين ؟ أليس البيت الثانى : « تذكرنى العهد القديم ... » الخ خامس أبيات القصيدة ؟ وهل ترى أن الإتيان ببيتين متعاقبين يدل على أنهما كذلك فى أصل القصيدة ؟؟

اسمع يا أخى كلمة الحق : كان يكفيك أن تقول : « وقع سهو فى كتاب (تاريخ الأدب العربى) حين ذكر مطلع التائية الصغرى، على أنها الـكبرى . » . إنك لو فعلت ذلك لـكنت من المقسطين

عبد الحفيظ أبو السعود

الى الدكتور زكى مبارك

لاضَيْرَ أن يلحق التأخير تهنئتى ... ما العِبرةُ الحقُّ إلا بالخواتيمِ
كمثل فعلك : مجهودٌ وتضحيةٌ ... يتوّجان بتقدير وتكريم
إن الوسام الذى أُعطيته ثقةٌ ... للرافدين وحقٌّ غير مهضوم
سفارةٌ لك فى الأقطار يحمدها ... ساعٍ يؤالف ما بين الأقاليم
مِزاجُ أكؤسها من كوثرٍ شَبِمٍ ... ووِردُ أنهارها من عذب تسنيم
الفكر والقلم المفتول ساعِدُهُ ... قد أولياها بمشبوبٍ ومضروم
فانهض (مباركُ) للجُلَّى بلا وَهَنٍ ... ما كان مقتحِمُ الجُلَّى بمهزوم
واقبل كأصدق ماهُنِّئْتَ تهنئةً ... ممن قصائدُه وحى الحواميم

عامر محمد بحيرى

استدراك

سقطت عبارة من مقال « من عجائب الفهم ...؟ » المنشور بالعدد ٣٧٠ صفحة ١٢٥٩ عند السطر ٢٦ ، وها هى ذى :

« وقد بينت أن الحياة عند الأستاذ العقاد فى قصيدته هى النزول إلى ظواهر الدنيا للاتصال بها وإدراكها، وليست الحساسية النفسية كالتألم والفرح وسائر حركات النفس »

الإمام أبو هريرة فى كتاب « فجر الإسلام »

تحدث الأستاذ أحمد أمين فى كتاب فجر الإسلام عن أبى هريرة كما تحدث عنه (جولدزيهر) وأمثاله ، ومما قاله : « والحنفية يتركون حديثه أحياناً إذا عارض القياس كما فعلوا فى حديث المصراة ، فقد روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصروا الإبل والغنم من ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر » قالوا : (أبو هريرة غير فقيه ، وهذا الحديث مخالف للأقيسة بأسرها ، فإن حلب اللبن تعد وضمان التعدى يكون بالمثل أو القيمة والصاع من التمر ليس بواحد منهما) » اهـ (ص٢٦٩)

كلامه هـذا يفهم شيئين : الأول أن الحنفية يقدمون القياس على حديث أبى هريرة إذا عارضه . الثانى أنهم يرونه غير فقيه ؛ ونسبة الأمرين إليهم نسبة غير صحيحة . أما فى تعارض الخبر والقياس فالامام وصاحباه وجمهور الحنفية على أن الخبر

مقدم على القياس مطلقاً سواء كان الراوى فقيهاً أو لا ، وذهب فخر الإسلام — واختاره ابن أبان وأبو زيد — إلى أن الراوى إن كان فقيهاً قدّم خبره على القياس مطلقاً ، وإن كان غير فقيه قدم خبره أيضاً على القياس إلا إذا خالف جميع الأقيسة وانسد باب الرأى ؛ وبهذا تبين أن الحنفية لا يقولون بتقديم القياس على الخبر ومن ذهب منهم إلى تقديمه عند انسداد باب الرأى يعممه فى كل خبر راويه غير فقيه لا بخصوص أبى هريرة ، وأما أن أبا هريرة غير فقيه ، فهذا لم يقل به غير فخر الإسلام وصاحبيه المذكورين ، وقد شنع الحنفية عليهم قولهم هذا وردوه أبلغ رد كما هو معلوم لمن يطالع أصولهم ، فنسبة القول بذلك إليهم نسبة باطلة

ولك أن تتساءل كيف نسب الأستاذ إلى الحنفية كل هذا وهم منه براء ؟ والجواب أنه قد اعتمد فى كتابة فصل الحديث فى فجر الإسلام على « مسلم الثبوت وشرحه » ، أكثر من أى كتاب آخر ، وشارح المسلم لما تعرض لقول فخر الإسلام وموافقيه وأبان عن وجهة نظرهم قال : « ومثلوا لذلك بحديث المصراة ، وهو ما روى أن رسول الله الخ الحديث . قالوا أبو هريرة غير فقيه وهذا الحديث مخالف للأقيسة كلها إلى أن قال : وفيه تأمل ظاهر فإن أبا هريرة فقيه مجتهد لا شك فى فقاهته الخ . . . » . ولا يخفى أن الضمير فى قالوا راجع إلى فخر الإسلام ومن وافقه ، ولكن الأستاذ أحمد أمين حول الضمير إلى الحنفية ، ونسب قول فخر الإسلام إليهم . ولا أدرى كيف تناضى عن سياق الكلام ، وكيف تناضى عن اعتراض الشارح على القول بعدم فقاهة أبى هريرة ، وكيف تناضى عما فى كتب الأصول من النص على فقه أبى هريرة والرد على فخر الإسلام ومن تابعه فى قولهم ذاك ؟

وصفوة القول أن ما نسبه الأستاذ إلى الحنفية فى هذه المسألة غير صحيح وإنما هو لفخر الإسلام لم يوافقه عليه غير اثنين ، وهو قول مردود من الحنفية أنفسهم .

مصطفى حسنى السباعى



عقيـــدة الشيطان

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

في العهد الذي كان فيه السيد المسيح والقديس بطرس يمشيان على الأرض مرَّا بحداد اتفق مع الشيطان على أن يكون عبداً له إذا استطاع الشيطان أن يجعله في مدى سبعة أعوام سيداً على جميع الحدادين. وقد وقع الحداد والشيطان على وثيقة بهذا المعنى، ومن أجل هذا السبب علق الحداد على باب حانوته لوحة كتب عليها «سيد الحدادين»

ولما رأى المسيح هذه اللوحة ذهب إلى الرجل وسأله: «من أنت؟» فأجابه الحداد: «اقرأ اللوحة التي على الباب وإذا كنت لا تستطيع القراءة فانتظر حتى يمر بك من يعينك على فهمها. وقبل أن يجيبه المسيح جاء رجل على ظهر جواد وطلب إلى الحداد أن يضع حدوة في رجل جواده فقال المسيح للحداد: «أتأذن لي في أن أقوم بهذا العمل بالنيابة عنك؟»

قال الحداد: «جرب وإذا أسأت وضع الحدوة فإني سأعيد وضعها». فوضع المسيح قدمي الجواد فوق الفرن ونفخ في النار. وبدلاً من أن تحترق أقدام الجواد أصبحت مكسوة بطبقة لامعة معدنية وانتعلت بحدوات متينة، فدهش الحداد وقال للمسيح: «أنت حداد بارع»

وفي هذا الحين جاءت أم الحداد لتخبر ابنها بأن طعام الغداء قد أعد ولتدعوه إلى تناوله، فتأهب الحداد للذهاب معها. وطلب إلى المسيح أن ينتظره هو وصاحبه بالحانوت حتى يعود. فأذن له بذلك. ونظر المسيح إلى وجه أم الحداد فألفاها مجعدة الجلد عجوزاً شوهاء، فحملها ووضعها في الفرن فأصبحت فتاة جميلة. وأخذها ابنها وذهب معها إلى المنزل وهو ضاحك مسرور. وكانت كلمته للمسيح: «على الرغم من أني كتبت على لوحة حانوتي أني سيد الحدادين، فإن المرء ما عاش قابل للتعلم ولم أر قبلك حداداً يعيد العجائز فتيات»

ولما عاد الحداد بعد الغداء كان المسيح والقديس بطرس ينتظرانه. وجاء رجل على ظهر جواد ليطلب أقدام جواده فأراد الحداد أن يجرب الطريقة التي رأى المسيح يعمل بها ووضع أقدام الجواد في الفرن؛ فكانت النتيجة كما ينتظرها كل إنسان، واحترقت أرجل الجواد. وفي الحال مرت عجوز فقال الحداد: «إذا أنا لم أفلح في إحدى الأعجوبتين فقد أفلح في الأخرى» وقاد العجوز إلى النار وهي تستغيث وهو يقول: «سأعيدك فتاة جميلة ولن أطلب منك أجراً على ذلك. تعالى إلى الموقد»

وحملها إلى الموقد وهي تصرخ من الألم فنظر الحداد إلى المسيح وقال: «ليس في العالم ما هو أدعى إلى الخجل» فقال المسيح: «ما هو الذي يخجلك؟»

قال الحداد: «الشيطان هو الذي من حقه أن يخجل فإنه لم يف بوعده لي ولم يجعلني سيداً للحدادين مع أنه هو الذي كتب اللوحة التي على الباب»

فقال المسيح: «هبني أستطيع أن أحقق لك ثلاث أمان فماذا تريد تحقيقه من أمانيك؟»

قال الحداد: «أريد أن يكون لي نفوذ على كل من آمره بأن يتسلق شجرة الكمثرى التي أمام الحانوت فلا يستطيع أن يخالفني ولا يستطيع أن ينزل إلا إذا أمرته، فهذه أمنية؛ والأمنية الثانية أنني كلما أمرت إنساناً بأن يجلس في حانوتي فلا يستطيع الامتناع ولا يستطيع القيام إلا إذا أمرته، والأمنية الثالثة أن من آمره بالجلوس في كيس نقودي يضمر حتى أضعه في الكيس ولا يخرج إلا إذا أخرجته»

قال القديس بطرس: «هذه أمان حمقاء وقد كان عليك أن تتمنى محبة الله ورحمته»

فقال الحـداد: «إنني لا أجرؤ على تمني أمنية كبيرة مثل هذه»

وعند ذلك ودعه المسيح والقديس بطرس وانصرفا، وأجابه المسيح إلى أمانيه

وانقضت الأيام سراعاً فتمت السنوات السبع المتفق عليها بين الحداد وبين الشيطان، وجاء الشيطان يتقاضاه الشرط وبدأ

بأن سلم إليه مسماراً مكسوراً ليصنع له رأساً . فقال الحداد : « سأفعل ولكنك على ما يظهر متعب من طول المسافة التى قطعتها إلىّ ومن الجوع ، فتسلق هذه الشجرة ريثما تأكل من ثمرها وتستريح وأكون فى هذه الفترة قد صنعت رأس المسمار »

فتسلق الشيطان الشجرة ولكنه وجد نفسه عاجزاً عن النزول ؛ وأخذ الحداد يضحك منه ويقول : « إن رأس المسمار ستستغرق منه أربعة أعوام » . فتوسل إليه الشيطان أن يأذن له فلم يقبل إلا عند ما وعده الشيطان بأن يذهب عنه فلا يعود إلا بعد أربعة أعوام . فأذن له على هذا الشرط . وانطلق الشيطان وبعد أربعة أعوام أخرى عاد الشيطان فقال : « لقد غبت أربعة أعوام ولا بد أن تكون قد فرغت من رأس المسمار »

فأجابه الحداد : « لقد صنعته ولكنك مع ذلك أتيت مبكراً فهو لا يزال محتاجاً إلى السن ، فاجلس فى هذا المقعد حتى أفرغ من سنها »

فجلس الشيطان ، ولكنه عاد فأدرك أنه لا يستطيع القيام ، وأخذ يتوسل إلى الحداد ، وهذا يختلق له المعاذير ، وأخيراً وعده بألا يعود قبل أربعة أعوام أخرى يكون الحداد فى أثنائها قد فرغ من سنه المسمار

مضت أربعة أعوام أخرى وجاء الشيطان فقال له الحداد : سأذهب معك الآن حيث تريد ، ولكنى أريد أن ألقى عليك سؤالاً واحداً وهو : هل صحيح ما يقولون من أن الشيطان يستطيع أن يضمر جسمه إلى أى حجم يريد ؟ فقال الشيطان : هذه حقيقة لا تحتمل الشك

فطلب إليه الحداد أن يضمر حتى يدخل كيس نقوده ، وأن يستمر فى الكيس حتى لا تسرق أمواله مدة السفر ، ففعل الشيطان ذلك

ولما صار الشيطان فى داخل الكيس ، ألقى الحداد بالكيس فى الفرن ، فصاح الشيطان : هل أنت مجنون ؟ لماذا تلق بالكيس فى النار وأنا فيه ؟

قال الحداد : إننى أريد أن أعيد صنعه بحيث تضيق فتحاته ، وها هو ذا قد احمارّ والمثل يقول : لا تضرب الضربة إلا إذا حمى حديدك ، ثم أهوى بالمطرقة فوق الكيس ، فتوسل إليه الشيطان أن يتركه على ألا يعود إليه مدى الحياة

وتركه الشيطان ، ولكن الحداد ندم وقال : « إذا فاتتنى الجنة الآن وقد سدت دونى أبواب النار بما فعلته مع الشيطان ؛ فسوف أصير فى الآخرة بغير مأوى . وكان الأفضل أن أظل مصاحباً للشيطان ليكون لى مسكن فى النار إن فاتتنى فى الجنة المسكن » . وعزم على أن يتابع السير حتى يعثر على الشيطان فيسترضيه ، حتى لا يكون فى الآخرة من المتشردين . فلما صار فى مفترق الطرق بين الجنة وبين النار . لقى خياطاً وسأله إلى أين يريد الذهاب ، فقال الخياط : « إننى أبحث عن الجنة »

قال الحداد : « إذن فطريقى غير طريقك وسأذهب لأبحث عن النار وذلك لأنى عرفت صاحب الأمر فيها منذ عهد الشباب »

وتفرقا فذهب كل فى طريقه ، وكان الحداد سريع المشية طويل الخطوة ، فوصل بعد مدة وجيزة إلى باب النار ، وطلب إلى بوابها أن يخبر الشيطان بأن رجلاً ينتظر بالباب

وقال الشيطان للبواب : « اذهب فاسأله من هو ؟ » فقال الحداد : « قل له إنى صاحب الكيس وسيعرفنى . وتوسل إليه أن يأمر بدخولى لأنى فى تعب شديد فقد ظللت أشتغل إلى الظهر وبدأت السير بعد ذلك »

فلما عرف الشيطان من هو الزائر أمر البواب بأن يغلق أبواب الجحيم التسعة ويحكم الرتاج « فإن هذا الرجل إن دخل الجحيم فسيزيد أهلها شقاء »

قال الحداد فى نفسه : « لا فائدة من التسكع هنا فسأذهب وأجرب الجنة »

وعاد إلى المكان الذى ترك عنده الخياط وتبع الطريق الذى سار فيه فلحق به ساعة كان القديس بطرس يفتح أبواب الجنة ولكن أبواب الجنة ضيقة لا تسمح إلا بدخول الرجل الهزيل الجسم فتردد الحداد ثم قال فى نفسه : « لا ينبغى أن أضيع الوقت »

وفى اللحظة التى كان الخياط فيها يدخل من الباب ضرب الحداد بمطرقته الدلفة المتحركة من ذلك الباب

ولست أعرف إذا كان الحداد لم يدخل من الفرجة التى أنشأها بمطرقته فى سور الجنة ففى أى طريق سلك ...

عبد اللطيف النشار

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }



8me Année No. 372

Lundi - 19 - 8 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

خواطر مهاجر...

تفيأتُ كعادته كل يوم ظلال الكافورة الغيناء من قهوته المختارة على شاطئ النيل الجميل فى (المنصورة) بلد الشعر والسحر والجمال والفتنة. وكان مجلسه تحت هذه الدوحة الفينانة أشبه بالعش الناعم قد احتضنه النهر وحنَت عليه الغصون وتنفّس فوقه الماء بالنسيم الرطب فأصبح للحس الشاعر قطعة من رياض عدْن، أو بقعة من بقاع عبقر! فإذا أضفت إلى جمال المكان وبهجة المنظر، أنس الصديق المخلص، ورقة الجليس المهذَّب، وبشاشة الوجوه النامة عن الود، وعطف القلوب المتآخية فى الأدب — جمعتَ فى ذهنك صورة مقاربة للحياة الروحية الوادعة التى يحياها هذا المهاجر فى زمن روعت الحرب فيه معالم الأرض ومجاهلها حتى ما كان ممتنعاً منها على شرور الإنسان منذ الأبد كأجواء السماء وأثباج البحر وقفار البيد!

مال ميزان النهار وأوشكت جمهرة النادين من الأهلين والمهاجرين أن تنصرف عن مناضد القهوة الحافلة، فلم يبق إلا جماعة هنا وجماعة هناك من الذاهبين إلى (رأس البر) أو الآيبين منها، جلسوا يستروحون من عناء السفر ليستأنفوه بعد الظهيرة؛ وسكت النداء عن النُّدُل فجلسوا يرفهون عن أقدامهم على أبواب القهوة؛ وانقطع الرجاء بماسحى الأحذية وبائعى اليانصيب

ومحترفى السؤال فناموا متربصين على إفريز الطريق ؛ وهمدت الأصوات والحركات حول المهاجر فاتجه بعينه وقلبه إلى النهر الخالد وقد ظمىء شاطئاه ونش مجراه حتى سحب اللاحون قواربهم على قاعه . هنالك رأى زمر القرويين الوافدين على السوق يملأون الزوارق فى المعبَر الذى لم يتغيّر منذ رآه وهو طفل ، فأتبعهم نظرَه الحالم حتى صعدوا درَج الموردة وانسابوا بعصيهم وأخراجهم فى شارع فاروق . فلما مروا به على قرب رأى لهم صوراً غير التى عهدها لآبائهم وهو يافع : كان الغالب على آبائهم الجسامة والوسامة والسذاجة والصحة ؛ وكان بين أبدانهم الوثيقة ولحاهم المرسلة وثيابهم الفضفاضة وعمائمهم الضخمة تناسق عجيب يملأ النفوس مهابة وروعة ؛ فإذا حادثتهم فى شىء من الأشياء ، أو عاملتهم فى أمر من الأمور ، وجدت صفاء القلب مشرقاً فى الحديث ، وأثر الدين ظاهراً فى المعاملة . وكنت تخالط سوادهم أو آحادهم فلا ترى إلا عفة فى القول ، وصراحة فى الفعل ، وقناعة بقسمة القدر ، وزهادة فى مال الناس ، ومساهمة فى تكاليف العيش ، ومواساة فى محن الدهر ، ونية صادقة فى أن تكون القرية للكل ، والكل للقرية

ذلك لأن الرزق كان أكثر من الناس ، والرضا كان أوسع من الهم ، والأمل كان أطول من الحياة !

زِدْ على ذلك أن أولئك الآباء السُّعداء ما كانوا يعرفون عداوة الانتخاب ولا دعاية الأحزاب ولا مكاره السياسة ولا تهاويل الحرب ؛ إلا ما كان يقع فى أسماعهم الحين بعد الحين من أخبار الحروب بين العثمانلى والمسكوف !

أما فلاحو اليوم فهم كما رآهم ضئال الأجسام قصار القدود مبذوءو الهيئة ، يتبيّن الناظر فى وجوههم لوائح المرض ، وعلى مظاهرهم دلائل الفقر ؛ ثم يتمثلهم وهم فى طواقيهم الحقيرة وجلابيبهم القصيرة ، مسوخاً من تشويه الطبيعة ينسجم فيها خبث الطوية مع قبح الصورة !

لم يرث قروى اليوم عن قروى الأمس إلا الجهل . أما سلامة الصدر وسماحة النفس وعفة الطُّعمة ، فيقولون إنها ارتفعت مع البركة من أرض القرية . فالفلاح يكدح ولا ينجح ، ويسعى ولا يبلغ . لأن عدد الناس زاد إلى الضعف ، وموارده هو ظلت على الضيق ؛ وتشوّفت نفسه إلى متاع الدنيا ويده من محصول عمله أو ملكه صِفْر لشره المرابى وطمع المالك ، فاضطر إلى أن يساعد الجهل بالحيلة ، ويرفد الحلال بالحرام ، ويمزج الطيب بالخبيث ؛ وذلك يأخذ من راحته وصحته وخلقه ودينه مالا يعوضه طب الطبيب ولا وعظ الواعظ

والفلاح لإخفاقه الغالب وحرمانه المتصل ينفِس على الناجح ويحقد على الغنى . ولعله يعانى من حُمّى الحسد أضعاف ما يعاني من تبريح العلة !

ولقد ركبه الغرور باستفحال الجهل فيه ، والهبه الطمع بإلحاح الحرمان عليه . والجهل إذا طغى خيّل لصاحبه أنه العلم ؛ والحرمان إذا استمر زيّف فى ذهن المحروم معنى الحياة ، والشر إذا دأب على معاندة الطبع أفسد فى نفس الشرير صلاح الفطرة . فالفلاح يقول الزور ويعتقده الحق ، ويفعل المنكر ويظنه المعروف ، ويعمل مع الطبيعة فى استثمار الأرض ولا يتفق معها ، ويعتمد على الله فى اكتساب الرزق ولا يتصل به !

والفلاح التام الجهل كالحضرى الناقص العلم ، كلاهما ضحية من ضحايا الانتقال الاجتماعى فى هذا العصر ؛ لأن القروى المغرور يحاول أن يكون مدنيًّا ، والمدنى المفتون يريد أن يكون أرستقراطيًّا ، فيقعد بهذا وذاك فشل القدرة دون الغاية ، فيعيشان عيش المسيخ المشيَّأ لا يصلح أن يكون فى نسيج الكون لُحْمَةً ولا سَداة

* * *

هذا الفلاح الزيف لا يصلحه تنظيم قريته ولا تجميل داره ؛ إنما يصلحه تربية ذوقه وإرهاف حسه . فإن صاحب الذوق يبنى الدار الجميلة ويخط الحديقة البهيجة ؛ أما فاقده فخليق به أن يجعل القصر زريبة والبستان مزبلة . ووسيلة إصلاح الفلاح التعليم ولا شك . ولكن التعليم وسيلة بطيئة وإن كانت مضمونة . فإذا أردتم سرعة الإصلاح فلم لا تجربون مع التعليم أن تجعلوا مكان العُمَد (كنستبلات) تكون لهم عجرفة الترك وعقلية الإنجليز ؟ إن هؤلاء خلقاء أن يُعلموا الفلاح الجاهل بالفعل كيف يعيش ؟

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الأستاذ سلامة موسى يتجنى على الأدب العربي — من واجب كل مصري أن يعطف على العروبة والاسلام لأنهما سناد مصر في الشرق — أدوات مدرسية — السوريون في مكاره الاغتراب — الخوف أنفع من الأمان

درس بليغ

يظهر أن فصل الصيف تعوّد الجدل والعناد ؛ ففي الصيف الماضي كانت جناية الأستاذ أحمد أمين على الأدب العربي ، وقد وأدنا تلك الجناية وهي في المهد . وفي هذا الصيف يتجنى الأستاذ سلامة موسى على الأدب العربي ، فهل يكون من الواجب أن نوجه إليه التفاتة ترده إلى الصواب ؟

ونذكر أولاً أن الأستاذ سلامة موسى صديق عزيز ، وأنا لا أتخلى عن أصدقائي ، ولا أذكرهم بغير الجميل

ونذكر ثانياً أن هذه شنشنة نعرفها من أخزم ، فقد وقعت بيني وبين الأستاذ سلامة موسى مناوشات كثيرة على صفحات البلاغ يوم كنا زميلين نتحارب بالأقلام ونتصافح بالقلوب

والحق أن الأستاذ سلامة موسى له على أهل الأدب حقوق ، فهو رجلٌ بنّاء ، وإن غلبت عليه الشهرة بحب الهدم ، وقد يكون أقدر أدباء اليوم على مسايرة ما يجدّ من التطورات في الأدب الحديث ، فهو لذلك صديقٌ روحيٌّ لأكثر أدباء هذا الجيل

ثم أدخل في صميم الموضوع فأقول :

تحدث الأستاذ سلامة موسى في مقال نشره بمجلة اللطائف عن الجهود الأدبية لجماعة من أدباء مصر هم : طه حسين والعقاد والزيات وزكي مبارك

وهو يرى أن هؤلاء الأدباء « لهم هموم ثقافية لا يمكن أن تحرك قراءنا وتحيلهم إلى مكافحين يجاهدون أو يجتهدون لخدمة الأمة، لأنهم في حقيقتهم وشعورهم متفرجون مستمتعون لأنهم يعالجون الماديّات العربيــة التي تدرس للذة والاستمتاع وليس للمغزى والكفاح »

ذلك كلام الأستاذ سلامة موسى ، وهو كلامٌ برّاق يُزيغ بصائر القارئين ، فمن الواجب أن ننقضه من الأساس قبل أن يفعل فعله في القلوب والعقول

وماذا يريد هذا الصديق أن يقول ؟ إن كان يريد القول بأننا لم نلتفت إلى ما في عصرنا من ثقافات ومعارف وفنون فقد أخطأ كل الخطأ ، وانحرف عن الصواب أشد الانحراف

فالدكتور طه حسين الذي شغل نفسه بدرس عصر النبوة والعصر الأموي والعصر العباسي وتحدث عن المعري والمتنبي هو ذاته طه حسين الذي شغل نفسه بدرس طوائف من الآثار الجليلة للأدب الفرنسي الحديث ، وهو ذاته طه حسين الذي التفت إلى مستقبل الثقافة في مصر فنشر عنها كتاباً في جزأين ، فمن التجني أن يقال إن مثل هذا الرجل لا يعرف غير الهيام بأودية العصور الخوالي

والأستاذ عباس محمود العقاد الذي شغل نفسه بدرس أشعار ابن الرومي ، ومن إليه من أعيان الشعراء القدماء هو ذاته عباس العقاد الذي شغل نفسه بدرس جماعات من المفكرين الذين سيطروا على العقل الأوربي الحديث ؛ وهو نفسه عباس العقاد الذي سايَر التطورات السياسية في مصر بذهن ثاقب وقلم وثّاب؛ وهو عينه عباس العقاد الذي ترجم لشعراء مصر في الجيل الجديد ، فمن التعسف أن يقال إن مثل هذا الباحث لا يعرف غير الاشتغال بالماديّات الأدبية

والأستاذ أحمد حسن الزيات الذي اهتم بتأريخ الأدب العربي ، والذي عنّى نفسه بنقد كتاب ألف ليلة وليلة ، والذي يحرص أشد الحرص على إحياء ما اندثر من آثار القدماء ، هو نفسه أحمد حسن الزيات الذي جاهد أصدق الجهاد في نقل الغُرر من آيات الأدب الفرنسي الحديث ، وهو عينه أحمد حسن الزيات الذي عالج المشكلات الاجتماعية بأسلوب يشهد بأنه مجروح القلب من أزمات هـذا الجيل . فكيف يقال إن مثل هذا الكاتب لا يعرف غير الطواف برسوم العهود السوالف ؟

بقي الكلام عن الدكتور زكي مبارك وهو رجلٌ أدرك أسرار أدبه بعض الإدراك لأن اسمه يشابه اسمي

وأعترف بأني أوغلت في دراسة الأدب القديم كل الإيغال ،

ولكن عذرى فى ذلك مقبول ، فقد أفهمنى جماعة منهم الأستاذ سلامة أنى قضيت عشرين سنة فى الحياة الجامعية ، وأن من الواجب أن أقيم الدليل على أنى أصلح لأستاذية الأدب العربى والفلسفة الإسلامية ، وكذلك خصصت الأدب والفلسفة بجهود لا ينكر قيمتها أحدٌ من المنصفين . . . وهل فسد الزمان حتى أحتاج إلى الاعتذار عن الأعوام الطوال التى قضيتها فى تأليف «الأخلاق عند الغزالى» و «النثر الفنى» و «التصوف الإسلامى» و «الموازنة بين الشعراء» و «عبقرية الشريف الرضى» ؟

وإلى من أعتذر ؟ إلى الأستاذ سلامة موسى الذى أعجب بهذه المؤلفات كل الإعجاب ! !

وأنا مع ذلك لم أنس نصيبى من معالجة معضلات العصر الحديث ، وقد سجّـل الأستاذ سلامة موسى فى «المجلة الجديدة» أنه كان يجدُر بالدكتور زكى مبارك أن يجمع مقالاته التعليمية فى كتاب خاصّ لتكون نبراساً يهتدى به المعلمون

وقد زكّيت عن الأعوام التى قضيتها فى فرنسا بكتاب «ذكريات باريس» وهو كتابٌ يشهد بأنى عشت فى فرنسا وأنا حادّ البصر ، وافر الذكاء ، وهو كتاب يصوّر كثيراً من أزمات فرنسا فى هذا الجيل

والعام الذى قضيته فى بغداد صورتُ به فى كتاب «ليلى المريضة فى العراق» أعظم المعضلات التى تعانيها فلسطين وسورية ولبنان ومصر والعراق ؛ ولو أن الأستاذ سلامة موسى قرأ كتاب ليلى لعجب من أن يستطيع الرجل فى عام واحد أن يدرك سرائر هـذه البلاد ، مع أنه كان موظفاً مسئولاً يحضّر فى كل أسبوع نحو اثنى عشر درساً لفتيان ناضجين هم طلبة دار المعلمين العالية فى بغداد

* * *

لا يهمنى أن أدفع الاتهام الموجّـه إلىّ وإلى العقاد والزيات وطه حسين ، فلى ولهم أقلام تدفع ما يوجّـه إلينا من العدوان بأيسر مجهود حين يشتجر القتال

وإنما يهمنى أن أدفع الشر عن الأدب العربى ، فهو ليس أدباً ميتاً ، كما يتوهم بعض الناس ، وإنما هو أدب يتوثب من فيض القوة والحيوية ، وبفضل الأدب العربى بقيت الذاتية الشرقية إلى اليوم ، ولولا الأدب العربى لكان الأستاذ سلامة موسى فى أيامه هذه كاتباً يرطن فى لغة الأرمن أو لغة اليونان !

ومن محاسن الأستاذ سلامة موسى أنه وطنىٌ صادق الوطنية ، ومن هذه الناحية أغزوه بلا رفق

فمصر التى يحبها أصدق الحب لم تَسُـد فى الشرق إلا بقوتين عظيمتين : هما اللغة العربية والشريعة الإسلامية

وهل من القليــل أن تأخذ بلاد العرب ثقافتها العربية عن مصر؟ هل من القليل أن يأخذ وطن الرسول معارفهُ الدينية عن مصر ؟ هل من القليل أن تكون مصر هى البلد الذى صارت العربية لغته القومية الوحيدة وصار الإسلام هو دين الأكثرية الساحقة من أبنائه الأوفياء ؟

قد يكون سلامة موسى فى دينه أصدق منى فى دينى ـ والله أعلم بالسرائر ـ ولـكن من المؤكد أنى أصدق منه فى الوطنية ، فأنا أحرص على اللغة العربية والإسلام خدمةً لوطنى ، وأنا أغض النظر عن هفوات كثيرة لرجال الدين ، لأنهم على أى حال من الشواهد على أن وطنى له سلطة روحية . وقد تطوع المسلمون فى مصر لمعاونة الأحباش أيام محنتهم بعدوان الطليان لغرض وطنى هو الشعور بأن الكنيسة القبطية لها سلطانٌ روحىٌّ على عقائد الأحباش

فهل يغار الأستاذ «سلامة موسى» على الأزهر الشريف كما أغار على الـكنيسة القبطية ؟ وهل يحب المسلمين كما أحب الأقباط؟

أستغفر الله وأستغفر الوطن ، فالأستاذ سلامة موسى بحق وصدق من أكرم أصدقاء العروبة والإسلام ، لأنه بالفعل من مشاهير الـكتاب فى اللغة العربية

وإنما أعيب على سلامة موسى أن يكون أقل وطنية من مكرم عبيد الذى يحفظ القرآن عن ظهر قلب ليكون من أفصح الخطباء باللغة العربية

وإنما أعيب عليه هذا لأنى أكره أن يكون السياسى أصدق وطنية من الأديب

ولنفرض جدلاً أن طه حسين والعقاد والزيات وزكى مبارك لا يشتغلون بغير دراسة الأدب العربى القديم ، فما العيب فى ذلك ؟

وهل من الـكثير أن يكون منا عشرة أو عشرون

أو ثلاثون يقضون أعمارهم فى دراسة ماضى اللغة العربية ، وهى اللغة القومية فى مصر منذ ثلاثة عشر قرناً ؟ وهل تعاب فرنسا وانجلترا وإيطاليا بأن فيها مئات من الباحثين لا يهتمون بغير درس الذخائر من الأدب القديم عند اليونان والرومان ؟

وما رأى الأستاذ سلامة موسى فى التوراة والإنجيل وهما من النصوص العتيقة بلا جدال ؟

هل يرى أن الاهتمام بدرس التوراة والإنجيل من العبث السخيف بحجة أنهما لا يمثلان معضلات العصر الحديث ؟

وهل يرى أن يحرق جميع ما حفظ الزمن الشحيح من تراث المصريين القدماء ؟

الأستاذ سلامة موسى رجل مثقف ، فهو يدرك أن العقل الإنسانى يتطلع إلى فهم جميع الآثار الإنسانية ، وإن قدُم عهدها فى التاريخ . فهل يوجّه ثورته إلى العرب لأنهم عرب ؟

إن كان ذلك فلينتظر ، فقد أرجع إليه بعد أيام ومعى وثيقة تشهد بأنه عربىّ الأصل ، وفى العرب نصارى ويهود ومسلمون لأن العروبة هى مصدر هذه الديانات الثلاث

الدنيا كلها تجتمع ، ونحن نفترق ، مع أننا أحوج من سائر العالمين إلى الائتلاف ، والعرب والمسلمون فى جميع بقاع الأرض يرون مصر مشرق الأنوار العربية والإسلامية ، وأخونا سلامة موسى يريد أن ينزع عن رأس مصر هذا التاج المرموق

ولو كان سلامة موسى من أرباب المآرب المادية لعذرناه ، وقلنا إنه رجل ينتفع من مؤازرة خصوم العروبة والإسلام ، ولكن سلامة موسى رجلٌ عفيف القلب والجيب ، ولن يترك لأطفاله غير ما ورث عن أبويه الكريمين ، فكيف يستبيح أن يسيء إلى سمعة مصر العربية والإسلامية بلا جزاء ؟

سلامة موسى من أعز أصدقائى

فهل أرجو أن يراعى خاطر صديقه الأمين حين يتحدث عن صلة مصر بالشؤون العربية والإسلامية ؟

إلى صديق سلامة أوجّه هذا الرجاء ، فى الدنيا مكاره تشغلنى وتشغله عن مكايدة الصديق للصديق

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل ، فإنى أو إياه لعلى هدًى أو فى ضلال مبين

أدوات مدرسية !

كان المألوف فى مثل هذه الأيام أن ينص أصحاب المدارس فيما ينشرون من إعلانات على ما تمتاز به مدارسهم من جمال الموقع ، وكثرة المختبرات ، وأهلية المدرسين ، وحسن النتائج

ولكن الزمان يأتى بالأعاجيب ، فلأول مرة فى تاريخ مصر تقول إحدى المدارس فى إعلاناتها إنها مزوّدة بمخبأ طويل عريض يؤوى مئات التلاميذ !

هى محنة جديدة لم تخلُ أخبارها من جديد ، والله الحفيظ

أبعدَ الحديث عما فى المدارس من أفنية وملاعب يجيء الحديث عما فى المدارس من مخابىء وسراديب ؟

وأنا مع هذا أرحّب بهذه الشدائد ، فالأمم لا تضعُف إلا حين يسود فيها الأمان ، والأمن نعمةٌ عظيمة جدًّا ، ولكنه يغرى بالطمأنينة وهى ضربٌ من السكون ، والسكون نذير الجمود

السوريون فى مطارح الاغتراب

وهنا تسنح الفرصة للجواب عن سؤال وجّهه إلينا الأستاذ محمد حلمى وقد لاحظَ أن السورى المسلم والسورى المسيحى يختلفان فى النشاط وفى الحظوظ حين يهاجران إلى أحد البلاد العربية ، مع أنهما انحدرا من بلد واحد ومن جنس واحد ، ثم سأل : أيرجع ذلك إلى فروق خفية بين العقلية الإسلامية والعقلية النصرانية ؟

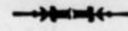
وأجيب بأن ذلك لا يرجع إلى فروق ظاهرة أو خفية بين الديانتين ، وكيف والإسلام دين جهاد ، وهو يدعو أبناءه إلى الكسب والمعاش والاضطراب فى بقاع الأرض ، على حين تدعو المسيحية أبناءها إلى الزهد فى المنافع الدنيوية والتطلع إلى المصاير المأمولة فى رحاب السماء ؟

إنما يرجع السبب إلى أن السورى المسلم حين يفد على أحد البلاد العربية يندمج بسرعة فى البيئات الإسلامية بسبب اتحاد الدين : فتزول عنه وحشة الاغتراب ، ويذهب عنه الخوف ، ولا يشعر بالحاجة إلى التسلح بالمال ، وهو عماد المغتربين

أما السورى المسيحى فيشعر بأنه بعيد بعض البعد عن المجتمع وهو مجتمع إسلامى ، وبذلك تقوى فيه القدرة على الكفاح

خواطر فى الحـــــرب

للأستاذ محمد عرفة



يعجب قوم أشد العجب من هذه الأمم المتحاربة ، ويرون أنهم أصيبوا بنوبة جنونية ، أو بخذلان لم يكونوا ليصلوا إليه إلا بغضب من الله وخزى من الشيطان ؛ وإلا فبأي حجة يسفك بعضهم دماء بعض ، ويحشدون قوى الطبيعة للقتل والتدمير ؟ ألم يكونوا فى حياة كلها لين وكلها رفاهية ؟ ألم يكونوا سعداء فى ظلال الأمن ؟ ألم تفتح عليهم بركات السماء ، وتدرّ لهم خيرات الأرض ؟

لم تكن لذة من اللذائذ إلا وهى فى متناول أيديهم ؛ ولم تكن سعادة إلا وهى طوع بنانهم ، فتركوا الجنة مريدين ، ودخلوا النار عامدين ، وها هم أولاء يصلوْن بحرّها ، ويلفح وجوههم لهب سعيرها

وفى الحق أن الحجة قائمة والبرهان قوى ، لو أن الناس جميعاً يفكرون هذا التفكير ويصدرون عن مبدأ واحد ، ويؤمون غاية واحدة

لكن الواقع أن الناس يصدرون فى هذه المشكلة عن مبدأين متناقضين ؛ فنظر كل فريق إلى الحياة نظراً يخالف نظر الآخر ، وخيل إلى كل واحد أن الآخر مجنون لا يعرف صالحه ، ولا يدرك حظه . . .

هذان المبدآن هما : إرادة الحياة ، وإرادة القوة . فمن الناس ومن الأمم من يريد من دنياه هذه الحياة ، يبغيها ويتوخاها ويحافظ عليها كيفما كانت وكيفما وقعت

ومن الناس ومن الأمم من يريد من دنياه القوة ، فهو يؤثر أن يكون قوياً فى الحياة ، ولا يعبأ بالحياة إن فقد القوة ، وبطن الأرض خير له من ظهرها إذا لم يكن قوياً ؛ فاذا رأى مريدو الحياة مريدى القوة يأكلون ويشربون وينعمون ، ثم هم يتركون هذا النعيم ، ويحمّلون أبدانهم لتمزيق القنابل ، وإحراق النيران ، عابوهم وزرروا على أفكارهم ورموهم بالعته والجنون

وإذا رأى مريدو القوة مريدى الحياة راضين بالحياة غير عابئين بالقوة ، خالوهم كلاباً طوقت أعناقهم بالذهب ، أو موتى فى أكفان من حرير

فليكف مريدو الحياة عن تفنيد مريدى القوة ، وليكفكفوا عبراتهم على من مات منهم ، فلعلهم أولى ممن مات بهذه العبرات ، وإذا فكروا فى لومهم وتفنيدهم فليذكروا قول المتنبى :

لا يعجبن مَضيما حسن بزته ... وهل يروق دفيناً جودة الكفن

محمد عرفة

فى سبيل الحياة ليعوّض مافاته من الأنس الذى يوجبه اتحاد الدين

ويظهر هذا جليًّا حين نتمثل حالة السورى الذى يهاجر إلى أمريكا وهو مسيحى ، فإنه فى أمريكا أقوى منه فى أى بلد عربى ، لأن البلد العربى يوافقه فى اللغة وإن خالفه فى الدين ، أما أمريكا فتخالفه من جميع النواحى وإن وافقته أحياناً قليلة فى النحلة المذهبية ، وكذلك نرى السورى المسيحى فى أمريكا أقوى من أخيه فى الشرق بسبب ما يعانيه هنالك من قسوة الاغتراب

ولن يطول اختلاف الحظوظ بين السورى المسلم والسورى المسيحى فى البلاد العربية ، لأن التسامح الدينى يزداد من يوم إلى يوم ، ولأن العروبة تقوى من يوم إلى يوم ، وبذلك ينعدم شعور السورى المسيحى بأنه فى الشرق غريب ، فلا يصل النهار بالليل مكافحاً فى سبيل المعاش ، اكتفاء بالأنس الذى يجده من مشاركة الجمهور فى العواطف والآمال

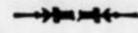
فمن ارتاب فى هذا التفسير الفلسفى لهذه الظاهرة الاجتماعية فلينظر حالى فى دنياى : فهذا النشاط الذى حيّرتُ به الناس يرجع مصدره إلى الخوف ، وإنما أخاف لأنى أشعر بالغربة فى وطنى لوفرة ما خلق قلبى من الضغائن والحقود

اللهم أدِمْ علينا نعمة الخوف فهو أنفع من الأمان ، ونسألك اللهم أن توالى فضلك فتهبنا القدرة العارمة على وأد ذلك الخوف ، كما نسألك أن ترزقنا الخوف منك حتى لا يكون فى أنسنا برعايتك العالية ما يحمل على سوء الأدب مع عبادك ، ولله الحمد وعليك الثناء

زكى مبارك

من عجائب الاجتهاد !

« لنـاقد أديب »



قرأت كلمة الأستاذ زكى طليمات فى الذود عن مسرحية مفرق الطريق ، فسرنى والله إعجاب الكاتب بهذه المسرحية ، وتسجيله هذا الإعجاب لثالث مرة . وليس أدعى إلى السرور من أن تكون آثار أدبائنا موضع هذا الاهتمام من كتابنا الناقدين ، وأن يدور الإعجاب بينهم مدار الأنخاب ، فتنتفى الشكوك وتختفى الظنون ولا يكون هناك محل لعجائب الفهم أو عجائب الاجتهاد !

ومن الخير أن يكون لى نصيب من هذه الأنخاب ، فأسجل إعجابى بالأستاذ طليمات ؛ وفيما ذكره عن كانت وبرجسن وإبسن وغيرهم دليل على احتشاده للدفاع عن المسرحية أو عن رأيه الأول فيها

والأدباء الذين يعرضون للنقد لا يتناولونه من الجانب الهين ، ولكنهم لا يسمون إلى التعقيد أيضاً ، فإنهم يذكرون مع الأستاذ طليمات أن قصيدة الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى القمة الباردة ترجع إلى أصول من فلسفة « كانت » فى المعرفة . يذكر الأدباء هذا ويذكرون أن أداة « كانت » فى الوصول إلى حقائق الأشياء وما وراء الطبيعة هى « الشيء فى ذاته » Noumena ويذكرون أيضاً أن فلسفة « برجسن » فى المعرفة وحقائق الأشياء وما وراء الطبيعة تستعين بالبصيرة Intuition

فالمعرفة والوصول إلى حقائق الأشياء وما وراء الطبيعة غاية مشتركة ، وإن اختلفت الوسيلة أو الأداة ، وليست كما هى فى مسرحية مفرق الطريق ، هذه الأخيلة الداوية أو الوجدان الكابى أو الصور المضطربة وإن ظنها البعض من مذاهب التصوف كما يقول بذلك الأستاذ ليروى Leroy فى بحوثه الأخيرة وتعريفه لفلسفة برجسن . والإلمام بالفلسفات شيء ، والتطبيق شيء آخر ؛ فلو ذهبنا فى التطبيق والمنطق لوجدنا أن هذه المسرحية تقوم على أشياء من هنا ومن هناك ؛ فهى من « كانت » ، وهى من « برجسن » ، وهى من « إبسن » ، وهى من أشياء أخرى لم يتحدث عنها النقاد ولا المؤلف ، لأنه يمضى بينهما على غير هدى ، ولأن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد لا بد أن تخلق عجيبة فى عالم الفلسفات ، وسبحان من يجمع العالم فى واحد . هذه الأشياء الأخرى التى تحدثت عنها فلسفة قديمة يقضى مذهبها أنه لا يحق لنا أن نستدل على وجود الكائنات بحياتنا الخارجية ، وأن العقل الفردى لا يثبت أى شيء خارج نطاق طائفة متلاحقة من الأحاسيس والتصورات والفكرات إلا إذا كانت فى نفوسنا ؛ فالموجودات لا وجود لها إلا بنا

يقول بهـذا جماعة السوليبزم Solipism ويقول به مؤلف المسرحية ص ٢١ : « إن الأشياء لا وجود لها إلا بنا » ؛ ولا أغض من جهـد المؤلف إذا قلت إن مسرحيته « تخريجة » فى الفلسفات وتصنيف من حشو التأليف ، فمن عجائب الفهم حقاً أن يتظنن بى الكاتب الفاضل وأن يخدعه إعجابه فيمضي إلى تعريف المذاهب الفلسفية ومابين الأستاذ العقاد ومؤلف المسرحية من فروق فيها ؛ والأمر لا يحتاج إلى كل هذا العناء لأنى لم أتناول غير جانب الاقتباس ؛ والأستاذ زكى طليمات يقرر فى ختام مقاله أن لا بأس فى ذلك ، وأن المعانى والأفكار أشياء مبذولة للناس

وأنا لا أريد أن أخدع القراء بحديثى أو تخدعنى الفلسفات بحديثها عما أسلفت البرهان عليه . فأنا لم أختر للمسرحية الرمزية هذه الصمود المثلوجة ولا الطريق النار يمضى فيه العقل صاعداً ؛ وأنا لم أختر هـذا المنحدر المظلم يمضى فيه الشعور هابطاً ؛ وأنا لم أخترع صراعاً بين قلب يحترق فى الظلمة ، وعقل يريد أن يمضى فى صعوده المثلوجة وطريقه النار ليحيا فى هدوء وعمق وصفاء البحر ؛ وأنا لم أدع فى ختام المسرحية دعوة الأستاذ العقاد فى ختام قصيدته إلى النزول والانحدار — لم أختر لهذه المسرحية كل هذه الأشياء ، وإنما اختارها المؤلف نفسه ، وتكلم عنها فى تبيينه ، فرأيت فيها قصيدة القمة الباردة وبيتين من قصيدة « قلبي » ... !

ولقد عملت هـذه الأشياء عملها فى نفس وعقل الفنانة الباريسية « سوزان جوفروا » فكانت الصورة المزدان بها غلاف

المسرحية ، وإذا الصورة جبل تغطى قمته الثلوج ، ومفرق طريق تقوم فيه شجرة جرداء قد شظف عودها أو « فترت عندها الحياة » ، وطريق منار ينتهى بين الثلوج إلى هذه القمة، ومنحدر يمضى فى الظلام إلى أدنى الجبل حيث مشاهد الحياة وضرامها . هذا ما فهمته الآنسة الفنانة من المسرحية ، صورته بريشتها رمزاً ، فكون هذا الرسم من تصميمها وليس من عمل المؤلف دليل على صحة رأيى وليس دليلاً على غيره

ولكن الأستاذ طليمات يقول فى كلمته « وقد شرح المؤلف وضع المسرح فى التبيين الذى صنعه للمسرحية ص ١٤٠ مشيراً إلى رمز الغلاف ، ولم ترد فى تبيينه كلمة (قمة) ولا (غور) وأرى بعد الذى ذكرته أن الأمر لا يتطلب هذا التعريف ، فماذا تنتهى صعود مثلوجة على جانب جبل ؟ ألا تنتهى (بقمة) ! وإلى أين ينتهى منحدر على سفح جبل ؟ ألا ينتهى إلى (غور) ! فالقمم والأغوار يملأ حديثها الأدب العربى والآداب الأخرى ، ولا يقابل القمة فى الصعود والارتفاع غير الغور فى الهبوط والانحدار .

وأريد أن أقف هنا قليلاً ، وأقف عند كلام من تبيين المؤلف ، فى مفرق الطريق هذا يتصارع العقل والشعور ، فإذا انتصر العقل فقد مضى صاعداً وصاعداً بين الثلوج ، وإلى أين ؟ أليس لهذا الصعود من غاية ، أو ليس لهذا الطريق المنار من نهاية ، أليست هى القمة الباردة أو ثلوج الذرى ؟

ويقول الكاتب الأديب إن الثلج عند بشر فارس رمز إلى خلاص النفس من ألم الإحساس البشرى ، وهذا التفسير جزء من كل ، لأنه إذا انعدم الشعور بالألم فقد انعدم أيضاً الشعور باللذة ، هو انعدام الإحساس إطلاقاً بخلجات الحياة ، وهو العقل المجرد فى فلسفة « كانت » ، لأن انعدام الشعور معناه أن لا قلب هنا ، وإنما يوجد عقل موغل فى طريق المعرفة ، فالمؤلف قد أخذ لنفسه من قصيدة العقاد ما رآه مواتياً لموضوعه ، ملائماً لصور المسرحية . ولا يغنى الكلام شيئاً حين نقول إن المسرحية تدور حول قضايا النفس البشرية ، فإن العقل له أثره الظاهر فى هذه القضايا ، وسبق الكلام على ذلك فى مستهل هذه الكلمة ، وفى حديث فلسفات Kant و Bergson و Solipism

وأخيراً فإنى لم أتناول هذه المسرحية إلا من جانب واحد ، هو جانب الاقتباس ، ولم أبد فيها رأياً كما أبداه الكثيرون ومنهم الأستاذ طليمات ، ولم أتعرض لهذه الرمزية المصنوعة بعد التحصيل والروية والاجتهاد ؛ والأصل فى الرمزية أن تنشأ مع النفس وفى التفكير ، لأنها التعبير عما وراء الطبيعة ، أو ما وراء أفق الشعور ، بما تعجز الألفاظ عن إبانته والإفصاح عنه ؛ فإذا كان التعبير مستطاعاً ، وإذا كانت الألفاظ قادرة أن تؤدى معانى النفس وخطرات العقل فى يسر وإيضاح ، فلا موجب إذن لهذا الاصطناع

ولم أر فى المسرحية إلا حواراً عادياً ، ومعانى لا ترتفع عن أفق الشعور ، وصوراً من الأحاسيس لا تضيق بها الألفاظ ، وإشارات لا تجد اللغة عسراً فى الإبانة عنها وهى فى سعة ، لم أجد شيئاً غير هذا ، ولكنى وجدت أديباً يؤلف ليقال عنه إنه رمزى

نشأت الرمزية مع النفس ولم تصنع ، نشأت فى الأدب كما نشأت الواقعية والبارناسية وغيرها ، ومحال أن يكون فى استطاعة الكاتب أن يكتب ، وأن يكون مجال الإشراق والطلاقة مهيأ له ، فيغمض ويبهم ويظلم ، ويسعى إلى الرموز والكفايات عمداً وكداً ، لا اضطراراً ولا فنـًا فيفقد طلاقته الفنية ، وإشراقه الوجدانى ، كما صنع مؤلف مسرحية مفرق الطريق . بينما الطريق أمامه عريض ومتسع وممتد إلى غايات كثيرة فى المسرحية الرمزية ، وفى استحداث التشابيه والإغراب فيها كما شاء مع لطف الإشارة ورشاقة التخلص ؛ وهذا الغموض الذى يلقى ظلاله أحياناً فيبهر ويسحر ، وخصوصاً إذا كانت القضية هى قضية القلب والعقل بين امرأة ورجل ! ، ولا أنسى حديث الرمزية عن المقبرة البحرية للشاعر الفرنسى بول فاليرى ، وقد ذهب إليه جماعة من النقاد والكتاب يستوضحونه ما استغلق عليهم من معانى هذه القصيدة الرمزية وكلماتها ، فكان جوابه لهم أنه لا يملك إيضاحاً ولا إبانة أكثر مما عبر به من الكلمات والعبارات فى قصيدته

وهأنذا قد خلصت من ضباب هذا الإبهام أو الإيهام ، وما أرانى إلا كهذا الإنجليزى الذى كان يسمع عن أشباح هائلة تظهر

على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن

للأستاذ عبد الرزاق ابراهيم حميدة

— ٣ —

أهل الكتاب

أعمالهم والحرب معهم : إجلاء بنى قينقاع وبني النضير . انتقاض بنى قريظة فى غزوة الخندق . غزو خيبر

نتحدث اليوم عن عداوة اليهود المسلحة بعد دسائسهم وكيدهم للرسول ولدينه ولأصحابه فى أوقات السلم :

كان من أول ما فعله الرسول بالمدينة أن عاهد اليهود ، وأقرهم على دينهم وأموالهم . ومن عهده لهم كما تقدم : وإن من تبعنا من يهود فله النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وما كان بينهم من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله ورسوله .

غير أن هذا العهد الذى يوحد بينهم فى السلم والحرب ، ويقضى عليهم بالتناصر وبالعيش معاً فى أمن وراحة ، لم يكن مرعيًّا إلا من جانب محمد . أما اليهود فلم يرعوه إلا مضطرين ؛ فإذا سنحت فرصة تحللوا منه ، ورأوا نقضه فرضاً عليهم « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيلٌ » ومن أمثلة تسترهم على

المنيرين ونقضهم بذلك عهدهم للرسول أن أبا سفيان كان قد حلف بعد هزيمة قريش فى بدر ألا يمس طيباً حتى يغزو محمداً ، ثم خرج لذلك فى مائتى راكب من قريش يود لو يصيب من المسلمين دماً أو مغنماً ، ونزل على بنى النضير المعاهدين لرسول الله ؛ وعرفوا غايته ، وكان الواجب يقضى عليهم أن يخبروا محمداً بذلك ، ولكنهم لم يفعلوا . وسار أبو سفيان حتى نزل ناحية يقال لها « العريض » فحرق نخلها وقتل اثنين من الأنصار ، وأحس المسلمون بأمر أبي سفيان فخرجوا للقائه ففر فتعقبوه ، فألقى هو ومن معه زادهم فى الطريق ، وكان من السويق فسميت الغزوة غزوة السويق

بنو قينقاع

ثم إن يهود بنى قينقاع — وهم أول من جاهر بنقض العهد من اليهود — أظهروا ما خفى فى نفوسهم بعد بدر ، وهددوا الرسول ، فحاصرهم خمس عشرة ليلة ، نزلوا فى آخرها على حكم حليفهم عبد الله بن أبى ، فحكم أن يجلوا عن المدينة ، فخرجوا منها إلى أذرعات بالشام

بنو النضير

ثم جاء دور بنى النضير ، فإن النبى ذهب إليهم يستقرضهم دية قتيلين مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى وهو يحسبهما مشركين ، فأظهروا حسن استعدادهم لإجابة طلبه . ولكنهم ائتمروا به ليقتلوه ، وعهد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة ، وأراد أن يلقيها على رأس النبى من أعلى الجدار الذى كان مستنداً إليه ، فأمسك الله يده ، وأخبر رسوله بكيدهم وسلطه عليهم ، وفى ذلك يقول الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ هَمَّ قومٌ أن يبسُطوا إليكم أيدِيَهم فكَفَّ أيدِيَهمْ عنكم »

ويقال إنهم كانوا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على ألا يكونوا عليه ولا له ، فلما ظهر المسلمون فى بدر قالوا هو الرسول الذى نعته فى التوراة ؛ فلما هُزم المسلمون فى « أحد » ارتاب اليهود ونكثوا عهدهم ، وخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكباً إلى مكة فحالفوا عليه قريشاً ، وتلك محالفة تجعلهم خطراً عظيماً على المسلمين لأنهم من المدينة ، وفى استطاعتهم التجسس لقريش على المسلمين ، وإرشادهم إلى مواطن الضعف

فى الضباب كل صباح ، فلما كان ذات يوم مُضببٍ رأى فى طريقه عن بعد شبحاً يروع منظره ، وكان كلما اقترب منه تضاءل هذا الشبح حتى إذا ما التقى به لم يكن غير إنسان عادى ، عرف فى وجهه أحد معارفه ! !

ولقد مشيت وسط هذا الضباب وبين حديث الفلسفات إلى مسرحية « مفرق الطريق » ، فلما دنوت منها وتبينت سماتها واستظهرت دقائقها ، لم أجد شيئاً يروع ويعجب ، وإنما رأيت شيئاً عادياً كالذى رآه ذلك الإنجليزى .

(ناقد أديب)

١٦ . ١٥

فى الجيش الإسلامى ، وأحسن الأوقات للهجوم ، وغير ذلك من أعمال الطابور الخامس

عرف النبي الكريم بأمر هؤلاء القوم ونياتهم ، وسلطه الله عليهم فصبحهم بالكتائب ودعاهم إلى الخروج من المدينة ، فقالوا : الموت أحب إلينا . وتنادوا بالحرب ، فحاصرهم النبي ؛ ويقال إنهم استمهلوه عشرة أيام يتجهزون فيها للخروج ، وفى تلك الفترة أرسل إليهم المنافقون أنهم ناصروهم إن قاتلهم المسلمون ، وأنهم سيخرجون معهم إن أُخرجوا . فتحصنوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، ولكن الحصار اشتد عليهم ، وقعد المنافقون عن نصرتهم وقذف الله الرعب فى قلوبهم ؛ وطلبوا الصلح ، فأبى الرسول إلا الجلاء ، فجلوا إلى الشام : إلى أريحا وأذرعات ، وجلا آل حيى بن أخطب إلى خيبر

ونزل فى هذا الجلاء والفىء الذى ظفر به المسلمون ، والمنافقين الذين غروا اليهود أكثر سورة الحشر : « هو الذى أخرجَ الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ماظننتم أن يَخرُجوا ، وظنوا أنهم مانِعَتُهم حُصُونُهُمْ من الله . فأتاهم الله من حيث لم يَحْتَسِبوا ، وقَذَفَ فى قلوبهم الرعبَ . يُخرِبون بُيوتَهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار » . ثم بين سبب ماحل بهم وما أعده لهم من عذاب النار فقال : « ذلك بأنهم شاقُّوا اللهَ ورسولَهُ ومن يُشَاقِّ اللهَ فإن الله شديد العقاب »

أما المنافقون الذين وعدوا اليهود النصر لخديتهم فى هذه السورة قوله تعالى : « ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرِجتُم لَنَخرُجَنَّ معكم ، ولا نُطيعُ فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لَنَنصُرنَّكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أُخرِجُوا لا يَخرُجُونَ معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم لَيُوَلُّنَّ الأدبار » ثم بين حالهم من اليهود وخذلانهم لهم فقال : « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالِدَيْنِ فيها ، وذلك جزاء الظالمين »

الأحزاب

لم يترك اليهود فكرة الانتقام من محمد لحظة واحدة ، وقد هداهم تفكيرهم إلى أن خير وسيلة للانتقام منه هى تحزيب الأحزاب عليه واستئصاله هو ومن معه من المسلمين ، فخرج بعض من نزل خيبر من بنى النضير إلى مكة ، وحالفوا قريشاً عليه ، ودعوهم إلى حربه ؛ فقالت قريش : يا معشر يهود ، أنتم أهل الكتاب ، وأنتم أقرب إلى محمد منا ، وهو أقرب منكم إلينا ، فلا نأمن مكركم ، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ، ففعلوا . فقال أبو سفيان : أنحن أهدى سبيلاً أم محمد ؟ فقالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى وأولى بالحق منه . وذلك افتراء على محمد وكذب على الله وعلى التوراة ، ولكن الحقد أضلهم أو لعلهم رأوا الغاية التى يرجونها ، وهى استئصال المسلمين ، تبرر الوسيلة ، ولو كانت الكفر بكتابهم ودينهم

ثم ساروا إلى غطفان فأعدوها لحرب النبي ، وخرجت قريش وغطفان يريدون المدينة ؛ فلما علم النبي بخبرهم استشار أصحابه فى الوسيلة التى يتقى بها تلك الأحزاب العظيمة والجموع المحشودة لاستئصاله . فأشار عليه سلمان أن يحفر خندقاً فى الناحية المخوفة من المدينة ، فقبل ولم يكن للعرب عهد به ؛ فلما وصلوا حجز بينهم الخندق . ولكن هل اكتفى اليهود بتلك الجموع وحدها ؟ إن لهم فى المدينة إخواناً فى الدين يصح استغلالهم ليكون خطرهم على المؤمنين شديداً ، أولئك هم بنو قريظة

بنو قريظة

ذهب حُيَيُّ بن أخطب إلى سعد بن كعب سيد بنى قريظة ، وصاحب عهدهم ، وكان بين سعد وبين النبي عهد أن ينصره إذا حورب كما تقدم ، وأن يكون معه على من دهم يثرب ، فأغلق سعد بن كعب الباب دون حيى ، ولكنه استجاب أخيراً لدعوته ، ونقض عهده ، وانضم إلى الأحزاب ، وسمع النبي بذلك فأرسل سعد بن معاذ سيد الأوس وحليف بنى قريظة وأرسل معه سعد ابن عبادة سيد الخزرج ليعلما له صدق الخبر ، وكان أمر بنى قريظة يهمه أكثر مما يهمه أمر الأحزاب ، لأن بنى قريظة فى بلده لا يفصل بينه وبينهم خندق ولا غيره ، وخيانتهم فى هذا الوقت الحرج تؤثر أثراً بالغاً فى جيشه

ولما بلغ الرسولان بنى قريظة وجداهم على أخبث حال من الغدر والخيانة ، نالوا من رسول الله بألسنتهم ونقضوا عهدهم ،

وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ ؛ فقال له سعد بن عبادة : إن ما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم عادا إلى رسول الله وأخبراه بما عليه القوم فعظم البلاء على المسلمين ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، وزلزل المؤمنون زلزالاً شديدا

وأقام المسلمون على ذلك الحال من الخوف والحذر بضعا وعشرين ليلة ، ثم قيض الله لهم نعيم ابن مسعود الأشجعى فجاء النبي مسلماً ، وقال له إنى أريد مساعدتك وإنى رجل واحد ؛ فقال له الرسول : خذّل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة ، فاستطاع بحسن حيلته وتدبيره أن يوقع الفرقة بين الأحزاب . وأرسل الله على هؤلاء ريحاً اقتلعت خيامهم ، فعادوا إلى بلادهم من غير حرب ، وفى ذلك كله يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجُنوداً لم ترَوْها ، وكان اللهُ بما تعملونَ بصيرا ، إذ جاءوكم مِنْ فوقِكم » وهم بنو قريظة ، « ومن أسْفلَ منكم » وهم الأحزاب ، « وإذْ زاغتِ الأبصارُ وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظُّنونَا . هنالِكَ ابتُلِيَ المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً »

أليس عمل بنى قريظة من أخبث الغدر ، وأخطر الأعمال ؟ وأى فرق بينهم وبين جماعة النازى من الطابور الخامس فى تشكوسلوفاكيا وهولندا والنرويج ؟ وماذا يكون جزاؤهم من الرسول بعد أن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وأعانوا العدو على حليفهم فى أشد الأوقات حرجاً ؟ لا بد من التخلص منهم سريعاً . ولهذا أمر الرسول المسلمين بعد انصراف الأحزاب ألا يصلوا العصر إلا فى بنى قريظة . وذهب إليهم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله الرعب فى قلوبهم وطلبوا الصلح ، فقال رسول الله : تنزلون على حكمى ؟ فطلبوا أن يحكم فيهم حليفهم « سعد بن معاذ » سيد الأوس ، فحكم بقتل رجالهم ، وسبي نسائهم وذراريهم ، ثم نفذ القتل فى سوق من أسواق المدينة . وفى عاقبة بنى قريظة يقول الله فى سورة الأحزاب : « وأنزَلَ الذينَ ظاهروهمْ منْ أهلِ الكتابِ من صَياصِيهِمْ ، وقذفَ فى قلوبهمُ الرُّعبَ ، فريقاً تقتُلون وتأسِرون فريقاً ، وأورثكم أرضَهُم ودِيارَهم وأموالَهم وأرضاً لم تَطئُوها ، وكان الله على كل شيء قديرا »

لم يبق من أهل الكتاب — اليهود — إلا أهل خيبر ، فرأى الرسول أن يأخذ بالأحوط وأن يستريح منهم بقوة السلاح . فسار إليهم بعد صلح الحديبية ونزل بساحتهم وحاصرهم فامتنعوا بحصونهم ، فشدد المسلمون عليهم الحصار حتى استولوا على حصونهم واحداً بعد الآخر ، وطلبوا الصلح ، فصالحهم على نصف ما تغله أرضهم على أن تبقى فى أيديهم ، وللمسلمين أن يخرجوهم منها إذا شاءوا . ثم صالح أهل فدك على مثل ما صالح عليه أهل خيبر

من هذا نرى أن جماعة الطابور الخامس من أهل الكتاب هم اليهود ، وقد قدمنا عملهم فى السلم فى المقال السابق ، أما عملهم فى الحرب فهو — كما فى هذا المقال — أنهم كانوا ينقضون العهود فى أشد الأوقات حرجاً ، ويخونون الله ورسوله عندما يكون المسلمون فى أشد الاطمئنان إليهم ، وفى أعظم الحاجة إلى نصرتهم أو حيادهم ، وأنهم دبروا قتل النبى فى حين أمنه إليهم وثقته بعهودهم

بقى من الطابور الخامس فى القرآن المنافقون وحديثنا عنهم قريب إن شاء الله .

(القاهرة) عبد الرزاق ابراهيم حميدة

نحن وفرنسا

باكون وشامتون

للأستاذ نجيب محمد البهبيتى

قرأت مقال صديقى الأستاذ « عبد المنعم خلاف » الأخير فى مجلة « الرسالة » . ولقد حمدت له انفعاله لما قاساه إخوان لنا فى الدين وأقرباء منا فى الدم ؛ ولكنى أخذت عليه أن هذا الانفعال قد ساقه إلى نوع من الشماتة المؤذية ، وإلى نظرة ظالمة فى الحكم على أمة لم تبد عيوبها ولم تتضح زلاتها إلا بعد أن حطمتها القوة .

لا مكابرة يا عبد المنعم فى أن الحكم الفرنسى فى المستعمرات كان صارماً ، ولا ريب فى أن أسلوب حكام المستعمرات فى القضاء على كل ما يمكن أن يصبح بذرة مبشرة بالنمو المؤدى للانفصال عن جسم الامبراطورية — كان هداماً ، وأن محاولات إدماج الممتلكات قد تغلغلت إلى الروح بعد وضع اليد على الجسد ، ولكنك نسيت أشياء كثيرة أخرى ، نسيت أن الساسة ليسوا هم الأمة ، وإن كانوا يعملون دائماً باسمها ، وأن مجموع المحكومين لا يصل إليهم كثير من تفاصيل وسائل الحكام ، وما يصلهم منها يصلهم ممزوجاً بالدعاية ، مقروناً بأسباب فيها كثير من إسدال ستار صفيق على الحقائق التى يعرفها الساسة ولا يعرفها غيرهم

فهذه الأساليب فى الحكم لا تمثل الأمة الفرنسية، ولو خوطبت فيها لأبدى كثير من الناس سخطهم ونفورهم منها ؛ ولقد عاشرت الفرنسيين عن كثب وعرفت فيهم المغالاة فى تقدير حرية الرأى ، ورأيتهم يسمعون بآذانهم ما يقال فى ذمهم فى كثير من التسامح وسعة الصدر . ولو علمت أن أبناء أحط المستعمرات الفرنسية يعاملون فى فرنسا نفسها معاملة الفرنسيين أنفسهم ، يستوون معهم أمام القانون ، كما يساوونهم فى المعاملة وفى القدر الذى يلاقونه من احترام الناس أو احتقارهم فى غير تفريق بين الألوان والأجناس ؛ لو علمت هذا لعجبت ولأدركت شيئاً من الأشياء التى تجعل كل أجنبى ينزل فرنسا يشعر بأن هذا البلد وطن ثان له . ولو عرفت بعد هذا أن فرنسا كانت مأوى جميع اللاجئين السياسيين من كل صنف ومن كل لون ، وأن باريس وحدها كانت تؤوى نحو مليون من غير الفرنسيين لزاد عجبك ، ولأدركت بعض الأسباب التى تدفع بمن ينتصرون اليوم لفرنسا إلى الانتصار لها على الرغم مما يعلمون عن مساوئ حكمها فى مستعمراتها ، لأنهم يعرفون أن هذا النوع من الحكم إنما يسأل عنه فريق من أبنائها لم يستطيعوا أن يطبقوا هذه المناهج من الحكم على الأجانب فى أرضهم لما يعرفونه من نفور أبنائها بطبعهم من الاستبداد

والحكم فى كل أمة من الأمم يكاد يتعاقب عليه أبناء طبقة من الطبقات فى الجيل الواحد حتى ليصبح أشبه شىء بالحرفة تصطنعها هذه الفئة وتمرن بها فلا تكاد تخرج عنها ، وتجدها تتوارث تقاليدها حتى ليصبح تطبيق هذه المناهج والقواعد أشبه بدورة ميكانيكية تؤخذ بها الأجيال المتعاقبة فى كثير من أدوار التاريخ . وليس لك أن تطالب الشعوب فى مجموعها بالنظر فى أعمال الحكام ، ذلك النظر الفاحص القائم على الدرس ، لأن دون هذه الدراسة العامة ما يشبه الاستحالة العملية ؛ وتيار الحياة البشرية، والقدر المتاح لكل فرد من القدرة على تحصيل عيشه وعلمه الأشياء يخضع دائماً لحاجاته ومواهبه ؛ فليس لإنسان أن يسأل أمة من الأمم مهما بلغت ثقافة أبنائها : لماذا لم تعرفوا عن حكم حكامكم لكم ولغيركم ما يجعلكم فى حل من إقصائهم عن الحكم إذا ما أساءوا السيرة لأنهم إنما يعلمون الأشياء فى نطاق وسائل تحصيل الأخبار المتاح لهم ؟

ومع هذا كله فإنى لست أبرئ الفرنسيين من أخطاء الحكم التى اقترفها حكامهم فى الأراضى التى نزلوها ، ولست أعصم هذه الأمة من الزلل، ولكنى أتحدث الآن وفى نفسى ذكرى مائلة لذلك التسامح الذى كنت أشهده بينهم فى كل نواحى الحياة ، وذلك النفور الثائر الذى كنت أراه منهم حين يحس أحدهم ظلماً يقع عليه أو على غيره . ولا زلت أشعر بتلك الطيبة الفياضة فيهم . لا زلت أذكر هذا وأنظر على ضوئه إلى الأشياء، ثم أحكم وإن كنت لا أزال أدع فى جانب من نفسى مجالاً للضعف البشرى ، ولتلك

الحاسة الحيوانية التى تأخذ بخناق الإنسان مهما ارتقى ومهما سما حين تهيج بنفسه غريزة الإحراز أو غريزة التملك

فهؤلاء القوم فى استعمارهم ، وفى محاولاتهم الإدماج المادى والروحى للأمم التى كانوا يحكمونها ، إنما كانوا مقلدين لغيرهم ، وإن كانوا أفرطوا فى التقليد . كانوا يقلدون فى هذا أمة عزيزة علينا . ولا أظنك تجهل من أقصد ؛ فإن العرب قد طووا تحت جناح الدين كل الأمم التى حكموها ، وكان الدين يأمرهم بهذا ويأمرهم بالتسوية بين أبنائه . ولكن عوامل الضعف البشرى والدين إنما نزل لتهذيبها أخذت تقوى على الأيام فاستيقظت العصبية ، وانبعثت الفوارق الجنسية ، رغم ما سعى إليه الدين من إزالتها . وعاد البشر بشراً يعزقون عنهم ذلك الثوب الملائكى الذى رسمه لهم المثل الأعلى للدين الكريم . وانقلبت تلك الحياة الرتيبة التى كان يحياها المسلمون إلى حياة مضطربة صاخبة تطاحن فيها الأجناس تطاحناً أدى إلى انحطام الأمويين أولاً ثم البرامكة وغيرهم بعد ذلك .

لا أريد أن أطيل فى هذا فقد تعلم منه ما أعلم ، وإنما ذكرت لك ما ذكرت عن طريق المثل . فالبشر هم البشر ؛ وما الأديان وما تلك المدنيات إلا خطوات فى طريق تقدم الإنسان الخلقى والمثالى يحقق كل منها على الأيام قدراً يتفاوت قوة وضعفاً ، ولكنه من غير شك خطوة فى طريق الكمال المجهول الذى تشرئب إليه الإنسانية وتطمح إلى بلوغه يوماً

ولو كنا نحن الحاكمين لما حكمه الفرنسيون لما كنا خيراً منهم ، فإن مبدأ حكم الأمم للأمم فى ذاته مأزق يجر إلى مآزق .

لذلك قد يكون من الخير أن نترك هذه الناحية من نواحى أخلاق الأمم ، وهذا الوجه من وجوه مدنياتها ، لأنهم يتساوون فيه جميعاً ، إلى غيره من صور المدنية لنعلم كم تركت هذه الأمة فى تراث البشرية ، وكم رسمت لها عن طريق النظر والعمل من سبل لبلوغ غاياتها من الكمال والمثل

ويظهر أننى لست فى هذا مبتدعاً ولا مبتكراً ، ولكنه الطريق الفطرى الذى يندفع إليه كل الناس بغرائزهم فى الحكم على الأمم التى تركت أثراً فى التاريخ . وليس أدل عليه من ذلك الشعور العميق من الحزن القاتم الذى أحس به الناس حين كانوا يقرأون كل يوم خبراً عما كان ينزل بفرنسا . ولم يقم بهذه الحركة الشامتة وهى الحملة على فرنسا إلا قوم يخيل إلىّ يا عبد المنعم أنهم لم يتبينوا حق التبين ما يجرى فى نفوسهم ، ويخيل إلىّ أن بعضهم لم يكتب ما كتب مخلصاً لفكرة أو مؤمناً بحقيقة

إن الفرنسيين قد قادوا الأمم قيادة عملية إلى تحقيق قسط ضخم من الرخاء النفسي الذى تستمتع به الإنسانية اليوم . ولم تكن الثورة الفرنسية التى سالت فيها دماء فرنسا بغزارة إلا إحدى المحاولات الجبارة لدفع طبقة من الطبقات إلى الاعتراف بحقوق الإنسان ، بعد أن عاش غالب البشر عبيداً يلهو أقلهم بآلام أكثرهم ، ويسخر مجهوداتهم لترفه . وقد تكون هذه النعمة التى تستمتع بها أنت وأستمتع بها أنا من الحياة والتفكير الحر اليوم أثراً من آثار جهادهم ونضالهم . فهلا رأيت فى هذا شيئاً يسيل من عينيك دمعة حرى على نكبتهم ؟

هل ترى لأمة أخرى فى التاريخ الحديث مثل هذا الفضل ؟ إن الإنجليز كانوا يستمتعون قبل الفرنسيين بنوع من الحكم الدستورى الحر لم تستمتع به أمة أخرى ، وقد ثاروا على ملوكهم قبل الثورة الفرنسية مرات حتى استخلصوا من بين أنيابهم حقوقهم ، فهل سمعت عنهم قبل الثورة الفرنسية أنهم طالبوا الأمم غير أمتهم بهذه الحقوق المقدسة ؟ لم تسمع لهم فى هذا صوتاً ، ولكن الفرنسيين يوم حصلوا على هذه الحقوق قاموا يدعون بها ويبشرون ويضجون ، وكأنى بسيل دمائهم يفيض على الدنيا فيوقظ النفوس الراقدة ، وينبه الأمم إلى حقوقها

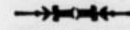
هذا شىء من تراث النفس الفرنسية ؛ أما ثمرات عبقريتها فى حضارتنا المادية فقد تعلمها خيراً منى . فتقدم الإنسان الآلى قام بقسط من خلقه العقل الفرنسى ؛ ورقى الطب كان أكثره على أيدى الفرنسيين ، وتلك الثروة الهائلة من الإنتاج الأدبى الرقيق هى من ثمار العقل الفرنسى

كم وددت لو أتيح لكل من هؤلاء الشامتين بفرنسا أن يحيا فيها زمناً لينظر كيف يعمل الناس فى صمت ، وكيف يعملون كالنحل دائبين ، كأنما العمل الدائم الدائب فيهم موهبة مخلوقة وغريزة متوارثة . لو رأيت هذا مثلى لأدركت حقاً أن

السير جمس جينز

أمير الفلك فى القرن العشرين

للأستاذ قدرى حافظ طوقان



لا يستطيع أحد من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية والفلكية تبسيط بحوثها إلا إذا كان مالكا لناصيتها ضليعاً فى اللغة واقفاً على أسرارها . فليس من السهل تقديم الموضوعات المويصة فى قالب خال من التعقيد والغموض ، كما أنه ليس من السهل أيضاً وضع النظريات والقوانين الكونية وما يتصل بها من ظواهر وحركات فى أسلوب يستسيغه أصحاب الثقافة العامة وجمهور المتعلمين

قد يتمكن الفلكى أن يكتب مقالاً فى النظام الشمسى لأمثاله من الذين يهتمون بالفلك والطبيعة ، وقد لا يجد فى ذلك صعوبة أو مشقة ، ولكن إذا أراد أن يكتب للناس وللذين لا يعرفون شيئاً فى الفلك ، فهنا يجابه صعوبة وعناء فى تقريب هذا البحث إلى أذهان القراء وجعله فى متناول أفهامهم ، وليس من الهين التغلب على هذا العناء وتلك الصعوبة

ولهذا ، فقليلون هم الذين يوفقون فى عرض بحوث العلوم الدقيقة والعويصة (كالفلك والرياضيات والطبيعيات) فى لغة سلسة سهلة المأخذ بعيدة عن الغموض والإبهام .

ولقد امتاز السير جيمس جينز فى هذه الناحية فبرز على غيره من علماء هذا العصر . ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنه أول من استطاع أن يقرب بحوث الفلك إلى الأذهان ، وأول من حبب الناس فى الفلك وموضوعاته

وضع العلماء كثيراً من المؤلفات الفلكية التى تتناول النظام الشمسى والنجوم وحركاتها وما يجرى فى الكون من ظواهر .

ولكن هذه الكتب خاصة بطبقة الذين يدرسون الفلك أو الذين يهتمون به ، لا يجد فيها غيرهم متاعاً أو لذة . وجاء فى هذا القرن السير جينز وخط طريقاً جديداً مبتكراً فى التأليف فأخرج كتباً فلكية وجد فيها الناس على مختلف ميولهم العلمية متاعاً ولذة وطرافة وفائدة ، فكثر الإقبال عليها وذاع صيته ودعته الإذاعات اللاسلكية لتحقيق رغبة الجمهور فى إذاعة أحاديث فلكية لاقت كل الإقبال وجرى على طريقته بعض العلماء فحاولوا أن يبسطوا العلوم الطبيعية فوفقوا فى ذلك بعض التوفيق ، ولكن لم يصلوا إلى درجته من حيث العرض والسلاسة ...

ولد جينز فى لندن سنة ١٨٧٧ وتعلم فى جامعة كمبردج وحصل فى أثناء دراسته على جوائز علمية عديدة

درّس الرياضة التطبيقية مدة فى جامعة كمبردج ، وكان أستاذاً للرياضيات فى جامعة برنستون

وفى سنة ١٩١٩ عين سكرتيراً للجمعية الملكية

إن السير جينز رياضى من الطبقة الأولى ، وقد استطاع أن يسخر الرياضيات فى العلوم الفلكية والطبيعية وخرج بنتائج رائعة لم يسبق إليها . أتى ببراهين رياضية لنظريات (حركة الغازات Kinetic theory of gases) ولقانون ماكسويل فى سرعة الذرات .

بعض الأمم تعيش كما تعيش الطفيليات عبئاً على غيرها

لو شهدت متاحفهم ، وتلك اللوحات التى تصور بألوانها وظلالها جمال النفس وحلاوة الروح ، لأدركت أنك أمام أمة ممتازة لا تملك إلا أن تحبها ، لأن الإنسان بفطرته يحب ما يمتاز وما يعطيه فكرة عن أسمى ما فى كيانه

ولو شهدت معى فى فرساى « قاعة الوقائع » ورأيت سلسلة الانتصارات التى أحرزها هؤلاء الناس فى ماضيهم ، وأحسست بما تتركه هذه الصورة فى نفسك من تاريخ هذه الأمة وفى نفس الطفل وفى تربيته ، لوقفت على شىء من عظمة هذه النفس وعبقريتها

وبعد فإن سقوط الأمم ليس لهواً من اللهو ، ولا تسلية يزجى بها الوقت ، ولكنه حادث جليل تخضع النفوس له إجلالاً وتخشع القلوب منه رهبة ؛ فإذا كانت الأمة المحطمة قد تركت فى حياة الناس أثراً ، وفاضت عليهم من نور روحها شعاعاً ، فهى أولى يومئذ بأن تسكب فى سبيلها الدموع ولو كانت عدواً ؛ فما أنبل أن تخشع فى حضرة عدوك يوم يسقط صريعاً عند قدميك !

نجيب محمد البهبيتى

وأوجد معادلة حسب منها الطاقة التي تصدر عن الأجسام السوداء .

بحث في الإشعاع والكهارب ، واستعمل القوانين الرياضية في الفلك فوصل إلى نظريات مبتكرة زادت في ثروة العلم الحديث زيادة أدت إلى تقدم الفلك وما يتصل به من فروع الطبيعة

بيّن جينز أن نظرية « لابلاس » في النظام الشمسي غير صحيحة ، وأتى ببحوث جديدة في النجوم ونشوئها وفي الجاذبية وما إليها . كتب في النجوم المزدوجة وفي أصل السدم اللولبية . وله نظريات جديدة في ألوان النجوم وأقدارها ، وفي الأقزام البيضاء والمردة الحمراء والطاقة النجومية ونشوء النظام الشمسي والكوني ومولد السدائم وجفولها . وله آراء مبتكرة في عمر الكون واتساعه . ولهذه البحوث والآراء الأثر الكبير في تقدم علم الفلك الحديث . ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن الفلك (في هذا العصر) قائم على مآثر جينز وعلى جمعه بين الفلك والطبيعة والرياضة ، فلولا هذا الجمع لما توصل إلى هذه النتائج الباهرة التي توصل إليها

إن مآثر جينز لا تزال (وستبقى) منهلاً ينهل منه العلماء من مختلف الأقطار . ولا تجد كتاباً حديثاً في الفلك يخلو من نتائج جينز كما أنك لا تجد مؤلفاً لا يعتمد على آرائه ونظرياته ونتائج تجاربه وأرصاده وحساباته في الموضوعات الفلكية والطبيعية

ألّف جينز في الغازات وفي النظريات الرياضية التي تتعلق بالكهرباء والمناطيس ووضع كتاباً في مسائل الديناميكا السماوية Stellar Dynamics وله بحوث وآراء في الإشعاع ونظرية الكم Quantum theory وأيضاً عني بوضع الكتب الفلكية ككتاب « العالم حولنا » وكتاب « النجوم في مسالكها » وغيرهما

وقد بسط في هذه الكتب خلاصة ما انتهى إليه العلم الحديث في الكون وأنظمته والقوانين التي تسيطر عليه وما يتصل بها من نظريات النسبية والإشعاع والطاقة . وقد لاقت إقبالاً منقطع النظير، وبلغ متوسط المبيع منها كل يوم إبان ظهورها فوق الألف. تناول فيها بحوث النظام الشمسي والكون ، وهل هو محدود أو غير محدود، متمدد أو منقبض. وكذلك تناول تركيب الذرات وتولدها وانحلالها والنجوم وما يتعلق بها من أقدار وألوان وحرارة وعدد وحركات . وحين وضع كتبه هذه فرض أن القراء ليس لديهم معرفة علمية سابقة ، ولهـذا عمل على عرضها في أسلوب استهوى به المتعلمين والمثقفين ، وتمكن بذلك من إطلاع الناس على شيء من سحر علم الفلك الحديث وعلى شيء من عجائب الكون

وفي مقدمة أحد كتبه (وهو كتاب النجوم في مسالكها) — وكان قد أذاع بحوثه في إذاعة لندن — ورد ما يلي : « ... والكتاب الذي بيدك يحتوي على هـذه الأحاديث متوسعاً فيها إلى ضعف طولها الأصلي . ولا تزال في أسلوبها ولغتها كالأحاديث اللاسلكية — بسيطة لا تكلف فيها ولا صعوبة فنية ، فالكتاب لا طموح فيه إذ لم يقصد به سوى أن يكون مقدمة لأوفر العلوم حظاً من الشعر . مقدمة سهلة مقبولة غير متقلة بالجد ... » أي غير مثقلة بالمعادلات والحسابات

وهكذا سار في بعض كتبه (التي وضعها للناس) والتي قصد منها وقف جمهور المتعلمين على خلاصة ما انتهى إليه العلم الحديث من أسرار وروائع وأعاجيب . وقد يلذ للسامع أن آتي له على نموذج من كتابات جينز الفلكية ، ولعله من المستحسن أن أروي قصتين ، إحداهما في نشوء الكون ، والثانية في تكوين النظام الشمسي (١)

لقد علل جينز نشوء السدائم ومولدها تعليلاً لم يسبق إليه ركب منه قصة ممتعة أخاذة سماها : « قصة نشوء الكون » . وقد رجع إليها فلكيو العالم واعتمدوا عليها في بحوثهم ، وهي كما يلي : « ... سنبدأ عند مبدأ الزمن حين كانت جميع الذرات المقدر لها أن تكوّن الشمس والنجوم والأرض والسيارات وأجسامكم وأجسامي وأيضاً جميع الشعاع الذي انصب من الشمس والنجوم منذ ذلك الحين . سنبدأ حين كان ذلك كله مختلطاً بعضه ببعض ومكوّناً كتلة من الغاز فوضى تملأ الفضاء كله . ولما كانت جاذبية كل قطعة صغيرة من الغاز تؤثر في جميع القطع الأخرى فإن تيارات تنشأ بالتدريج . وأينما أحدثت هـذه التيارات تجمعاً طفيفاً من الغاز ازدادت قوة الجاذبية ، فأخذ كل من هذه التجمعات الصغيرة يجذب نحوه مقداراً آخر من الغاز . إن

---

(١) اعتمدنا في القصتين المذكورتين على ترجمة الأستاذ الكرداني بك لكتاب « النجوم في مسالكها »

الطبيعية تتصرف طبقاً لقانون « من كان يملك شيئاً أعطى زيادة » ؛ فالقطع الناجحة من الفلز تنمو إلى تكاثفات ضخمة تزداد باستمرار على حساب القطع الخائبة حتى تبتلعها فى النهاية. وكما اتخذت الأرض والشمس والسيارات أشكالاً منتظمة تحت تأثير الجاذبية، فإن هذه التكاثفات تبدأ الآن تتخذ أشكالاً منتظمة فتكوّن ما قد سميناه سدائم منتظمة الشكل.

وتأتى التيارات النازية التى أوجدت هذه السدائم فتحملها الآن على الدوران، فلا تكون كرية الشكل تماماً بل يكون شكلها فى مبدأ الأمر كالبرتقالة مثل أرضنا الدوارة. وكلما ضمرت تغيرت أشكالها باستمرار، وازداد تفرطحها ازدياداً مطرداً. ثم نعود فنرى الغاز الذى عند حوافها الخارجية يتكاثف إلى مدائن نجومية تكون عند ولادتها مفرطحة وتظل مفرطحة بسبب دورانها ... »

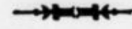
ثم يأتى إلى قصة تكون النظام الشمسى، وهى كما يلى:

« ... يقترب من شمسنا نجم اقتراباً لم يسبق لأى نجم آخر قط أن اقترب به؛ فينشىء فيه مدوداً أعلى من أى مد أنشىء فيه من قبل - مدوداً كجبال عظيمة من غاز نارى تسير فوق سطح الشمس. وأخيراً يزداد اقتراب النجم الثانى من الشمس بحيث لو كان شخص واقفاً على سطحها لبدا له ذلك النجم مالئاً جزءاً كبيراً من السماء، وبينما هو يقترب هكذا تصير قوة جاذبيته من العظم بحيث تنتزع قمة الموجة المدّية من الشمس وتتكاثف ذاتها قطرات. هذه القطرات هى السيارات والأرض واحد من أصغرها، وهى فى أول الأمر تكون كتلة فوضى من غاز نارى لكنها تأخذ تبرد فيستحيل وسطها إلى سائل، ثم تصير بمرور الزمن إلى درجة من البرودة تتكون معها قشرة صلبة على سطحها، ثم بعد ذلك إذا ما ازدادت برودتها يبدو على هذه القشرة الصلبة ظاهرة جديدة عجيبة: تأخذ طوائف من الذرات تتحد فتكون هيئات منظمة متماسكة من النوع الذى لمّا نعرف شيئاً عن طبيعته ولا عن الطريق التى ظهر بها أول مرة فى الوجود سميناه بالحياة ... »

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

٦ - إلى أرض النبوة !

للأستاذ على الطنطاوى



أبصرنا الشمس وهى تغيب فى آخر السهل ، ورأينا سواد الليل يمتد حيال الأفق الشرق ، ونحن لا نزال فى أعالى الجبال المطلة على تبوك ، والفضاء الأرحب الذى يحيط بها ، فتنازعنا الرأى واختلفنا : أنبيت مكاننا فنهبط تبوك مصبحين ، أم نصبر على ما نجد من السغب واللغب ، ولا نبالى الليل وظلمته ، ونتمّ طريقنا إليها ، فننام فيها نوم الآمن . . . وطال الخلاف ولم يكن علينا أمير منا ، مع أن ذلك من السنة ، واليمن والبركة فيه . فقطعتْ سيارتنا كل قول حين أخذت طريقها هابطة ، وتبعتها السيارات بلا جدال ، وكان ضوء السيارات وهى فوق الجبل متوجهة إلى تبوك يبدو قوياً منظوراً ، وكان أمير تبوك على علم بقدومنا ، فبعث إلينا بسيارته تستقبلنا وتهدينا ، فعرفناها بضوئها ، فتبعناها حتى بلغت بنا السهل ، ثم أوصلتنا البلد ، وقد كاد ينتصف الليل . . .



وصلنا البلد على حال لم نكن نملك معها ملاحظة ولا نظراً ، ولقد شغلنا ما نجد من الجوع والتعب عن أن نبصر المدينة ، أو نرى مسالكها ، وما عرفت إلا الدار التى أنزلونا فيها ، وليست داراً كالتى عرفنا فى القريات ، ولكن بناء حضرى واسع منظم ، مبنى على طراز فنى مقبول ، ذو ردهات وغرف وأبهاء ، فأدخلونا بهواً فيه ، مفروشاً بالبسط والوسائد و (الطراريح) . استقبلنا فيه الأمير « السديرى » وهو شاب مهذب[1] ، على غاية من اللطف والنبل والرقة ودقة الملاحظة ، وقد علمت أنه من أنسباء جلالة الإمام « عبد العزيز » أعزه الله . فلما استقر بنا المقام ووجدنا بعض الراحة ، أحببت أن أقوم فأجول فى القصر ، فلما خرجت من البهو عرض لى أحد العبيد

(١) سمعت كثيرين من إخواننا يستعملون كلة « جنتلمان » بدعوى أنه ليس فى العربية ما يقابلها ، مع أن كلة « مهذب » هى نفسها . وقد استعمل هذا الحرف بهذا المعنى « تقريباً » منذ الجاهلية . قال النابغة :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أى الرجال «المهذب» ؟

وهم كثر فى القصر ، فقال لى : من هنا . فتبعته وأنا لا أدرى إلى أين يسير بى ، حتى انتهى إلى باب ، فأشار إليه وتخلّى عنه ، فدخلت ، فإذا أنا فى حمّام ما ظننت أنى ألق مثله فى دمشق ، له ظاهر وباطن ، وفيه الماء البارد والحار والرشّاش « الدوش » والمناشف معلقة والصابون مهيأ ، فدهشت وفرحت فرحاً ما أفرح مثله لو أعطيت مائة دينار ، مع أنى لم أرها قط ولم تحتوها يدى إلى الساعة التى أكتب فيها هذه الكلمة ... فمددت فاستخرجت من حقيبتى ثوباً نظيفاً ، ولم أرض لثيابى التى كانت علىّ إلا بيت النار — أحرقتها وأبيك — ودخلت الحمام وأنا أنظر إلى الباب أخشى أن ينزل على من يشاطرنى هـذه النعمة أو ينغّصها علىّ فلا أهنأ بها ، وأقبلت أصبّ على جسمى من الماء الحار فأحسّ له بعد هذا التعب بما تحس الأرض اليابسة هطل عليها المطر ... حتى إذا انتهيت عدت إلى أصحابى بوجه متورد ، وثياب نظيفة . فجنّ جنونهم عجباً ودهشة ، ولكن وجود الأمير أمسك ألسنتهم ؛ فلما جلست أفضيت إلى جارى بالأمر فتسلل من مكانه إلى الحمام ، وما زالوا يذهبون واحداً بعد واحد حتى اغتسلوا جميعاً . وكان إعداد الحمام أول ما شهدنا من لطف الأمير السديرى - أمير المدينة المنورة الآن - وتهذيبه ...

فلما انتهوا وكان الهزيع الأخير من الليل دعينا إلى المائدة ، وكان فيها الخروف « المعهود » برأسه ... ولكن حوله ألواناً من الخضر كالفاصولياء والباذنجان والطماطم موضوعة فى أطباق صغار ، وعلى المائدة الملاعق لمن شاء ، فجلس الأمير وجلسنا ، وأكلنا أكل من لا يخشى البشم !

ولم نفق إلا فى ضحى الغد ، فأفطرنا ورأينا البلد ، فإذا الدار التى نزلناها مستشفى كبير كان العثمانيون قد أقاموه عنـد ما مدّ الخط الحجازى ، وأمامه رحبة واسعة جداً ، ويقابله من آخر الرحبة المحطة العظيمة ، وبينهما على يسار من يقف على باب المستشفى ويستقبل المحطة بساتين النخيل تتخللها البلدة ، وهى ستون بيتاً ، فيها مسجد كمسجد القريات ، وفيها قصر الإمارة ؛ والبساتين تسق من عيون ثلاث بارك الله فيها إكراماً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، على ما هو مقرر فى كتب المغازى

هذه هى تبوك ومن حولها الصحراء وهى نصف طريق المدينة



ذهبنا نزور الأمير في قصره الزيارة الرسمية ، فدخلنا منزلاً صغيراً جدرانه من الطين ، لا يختلف عن منازل الفلاحين في القرى الفقيرة من قرى الشام ، فصعدنا درجاً ضيقاً ملتوياً إلى ردهة صغيرة تطل على أرض الدار ، ولها درابزين من خشب عادي ليس فيه زخرفة ولم يمسه صبغ ، ثم ولجنا غرفة ضيقة لم تكد تسمنا في صدرها مكتب صغير ، وليس فيها إلا مقاعد من الخشب وكان الأمير وراء مكتبه فنهض لاستقبالنا بلطفه الذي وصفت

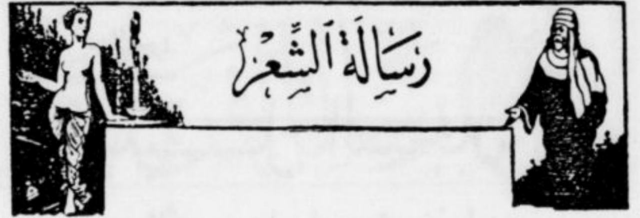
وكنت قد أبصرت على الدرج وفي أرض الدار ، وفي الردهة العالية عدداً عديداً من العبيد، فعجبت من كثرتهم ولم أدر ما عملهم، فلما قال الأمير بصوت منخفض : قهوة . سمعت العبد الذي يقوم على رأسه يقول بصوت أرفع : قهوة ، فيقول الذي على الباب : قهوة . فيصرخ الذي في الردهة: قهوة. فينقلها الذي على الدرج، ثم الذين في أرض الدار ، حتى يبلغ الصوت صانع القهوة . وكانت تلك عادتهم ولكنا لم نكن نعرفها، فما راعنا ونحن نسلم على الأمير ونتحدث إلا ستون قهوة . . . قهوة . . . بأصوات كالصوت الذي ذكره ربنا في القرآن، تخرج متعاقبة متلاحقة كصراخ الجن، لا يفهم منها شيء. فلم ندر ماذا حدث، وعملت المفاجأة عملها في نفوسنا، فمنا من صاح ، ومنا من ابتدر الباب ، ومنا من سقط على الأرض ، ومنا من وضع يده على سلاحه . . . وكان الأمير مبتسما مسروراً من هذه الدعابة . . .

وليس كثيراً أن نحمل في سبيل القهوة هذا الفزع ، فإن للقهوة عند العرب اليوم من الشأن ما يقل معه كل تعب ينال من أجلها ، ولها عندهم قواعد وقوانين لا معدل عنها ولا ترخيص فيها ، فمن قوانينها أن البن يدق بالهاون دقاً حتى يسمعه الضيفان فيهرعوا إليها ، ولا يجوز أن يطحن طحناً لأن ذلك من اللؤم ، وأنهم يتخذون لها أواني كثيرة يصبون القهوة من إناء إلى آخر ليصفوها ويرققوها ، ويسمون كل دلة من هذه الدلال باسم ، فهذه العروسة ، وهذه الأم .. ولقد رأيت عند أمير تبوك أكثر من عشرة أوان (دلال) كلها مملوءة ، والساقي يحبها حباً شديداً ، ويراها في منزلة أولاده . . .

وهم يخلطونها بحب الهيل ، ويضعون قطعة من الليف في فم الدلة تقوم مقام المصفاة، فإذا نضجت القهوة قام الساقي فأخذ الإناء باليسرى وقدم الفناجين باليمنى ، ويرون تقديمها باليسرى كما يفعل الشاميون إهانة للضيف قد تجر إلى سفك الدم والعياذ بالله تعالى . . . فيأخذ الضيف الفنجان بيمينه فيشربه ويدفعه إليه ، فلا يزال يصب فيه حتى يهزه الضيف ثلاث هزات علامة على أنه قد اكتفى ولا يصبون في كل مرة إلا رشفة واحدة لا تكاد تستر قمر الفنجان وعندهم أن هذا من الإكرام ، وإذا ملأ الساقي فنجان أحدهم كان ذلك احتقاراً له. ويبدأ الساقي بمن على يمينه ثم يعطي من يليه ، وإذا هو تخطى واحداً فقد أهانه إهانة بالغة لا يصبر عليها إذا كان شريفاً ، وإذا اكتفى الضيف ولم يأخذ الفنجان بعد أن يصبه الساقي وجب على الساقي أن يشربه هو أو يريقه على الأرض ولو كان على الأرض بساط قيم أو سجاد ثمين ، ولا يدفعه إلى الذي بعده . . .



هذا جانب من قوانين القهوة ، وللقهوة عند العرب شأن كبير فقد يستغني البدوي عن الطعام والماء ، ولكنه لا يستغني عن القهوة ولا يعدل بها شيئاً ، وقد يميل عن الطريق مسيرة يوم ليشربها . وقد حدثنا أستاذنا شكري الشربجي، وقد كان على رأس فرقة عسكرية من العرب أيام الملك حسين رحمه الله : أنه افتقد جنده في ساعة حرجة فلم يجدهم ، فلما عادوا سألهم، فخبروه أنهم افتقدوا القهوة فذهبوا ليشربوها ؛ فقال : في مثل هذه



نجوى !

أيها الحائر...؟!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سَأَلَتْنِي : لِمَ إِطْرَا قُكَ فى ظِلِّ السُّكُونِ ؟
أَيُّهَا الصَّامِتُ كالنَّغْـمَةِ فى العُودِ الحَزِينِ !
أيُّها الحَائِرُ كالزَّوْ رَقِ فى بَحْرِ السِّنِينِ !
أَيُّهَا الذَّابِلُ كالآ هَةِ فى الجُرْحِ الدَّفِينِ !
أيُّها الجَاثِمُ كالشَّكِّ بِوَاحاتِ اليَقِينِ !
أَيُّهَا الخَفَّاقُ كالرَّعْشَةِ فى القَلْبِ الطَّعِينِ !
عُمْرُكَ المَشْدُوهُ وَلَّى فِي التَّشَكِّي والأنِينِ
وَغَـدًا نَايكَ مَشْنُو قَ الأغانى والرَّنِينِ
دَفَنَتْهُ الجِنُّ فى صَحْراءِ ظَلْماءِ الجَبِينِ
وَشَوَشَتْ فى صَمْتِهَا الوَا جِمِ أَشْبَاحُ الظُّنُونِ
وَمَشَى فيها زَمَانُ النَّا سِ مَنْهُوبَ العُيُونِ
دَوَّخَ التِّيهُ خُطَاه فَارْتَمَى تَحْتَ الدُّجُونِ ...

***

قُلْتُ : يا مِرَّ عَذَا بِى وَشَقَائِى وَشُجُونِى
يا صَدًى زَلْزَلَ أَحْلامِى وَصَفْوِى وَسُكُونِى
وَمَشَى نارًا عَلَى نِيرَانِ شَوْقِى وَحَنِينِى !
يَا هَوَى عُمْرِى وَدُنْيا سَكَرَاتِى وَجُنُونِى
يَا رُؤَى صَمْتِى وَأَحْلاَ مَ زَمَانِى وَفُتُونِى
يا أَمَى رُوحِى وإلْهَا مِى وَشِعْرِى وَفُنُونِى . . .
اتْرُكِينِى لِفَنَائِى ... وَإِذَا شِئْتِ ابْعَثِينِى
أنا إعْصَارٌ مِنَ اللَّهْفَةِ مَشْبُوبُ الحَنِينِ
فَانْشُرِى ظِلَّكِ فى قَفْرِ زَمَانِى وَارْحَمِينِى !

الساعة تهتمون بالقهوة ؟ قالوا : والله يا بيك نتقهوى ولو كان فى خشم الأسد

وللعرب بالقهوة اهتمام عظيم حتى أنهم من اهتمامهم بها نحتوا من اسمها فعلاً هو تقهوى يتقهوى تقهوياً ، وتوسعوا فى معنى هذا الفعل حتى شمل الشاهى والطعام يؤكل فى الصباح فهم يقولون (أتلط تقهوى) أى تفضل اشرب القهوة أو اشرب الشاهى أو كل ... وقد يقولون اتقهوى شاهى ...

هذه هى القهوة، وهى لذيذة نافعة لا يقوم مقامها شىء فى إراحة الجسم بعد التعب الشديد والسير فى الصحراء تحت الشمس المحرقة، وقد جربنا ذلك بأنفسنا . أما الشاهى – أعنى النجدى منه – فسم ناقع يشرب فيه شاربه المرض والحمى . ذلك أنهم يأخذون الشاى الأحمر فيغلونه على النار ، ثم يغلونه حتى يصير أسود مثل دم الغزال – على حد تعبيرهم – ويشربون منه كؤوساً كثيرة ، ولو أنك كنت فى ضيافة أمير أو شيخ من مشايخ البدو لم يمر عليك دقيقتان لا يقدم لك فيهما قهوة أو شاهى ولا تفتأ تسمع الأمير أو الشيخ يصفق وينادى :

قهوة . شاهى . شاهى . قهوة ، فتصور مجلساً على هذه الحال يمتد ساعتين أو ثلاثاً

تلك هى القهوة . وذلك مبلغ غرامهم بها ...

(لها بقايا) على الطنطاوى

من اللهب

أنا البـاكى . . . !

للأديب عبد العليم عيسى

خيوطُ النورِ جِلْبابي   وَعِطْرُ الزهْرِ أنفاسي
وَصَوْتُ البلْبلِ الحنّا   نِ مِنْ صَوْتي وَإحساسي
وقيثارةُ أحْلامي   لم تُحبكْ لِفنّانِ
نمّاها اللهُ للحُبِّ   وَأشعاري وَألحاني
ولكنْ لم أزل نهبًا لأشجاني
وَآلامي وَأتعابي وحرماني

***

رِياضُ النّاسِ لا تنْـ   بتُ غير الوردِ ألوانَا
بها الطيْرُ يُغنّي غُنْـ   وَةَ الأفراحِ سكرانَا
وَبُسْتانيَ لا ينْـ   بتُ غيرَ العوسَجِ النامي
عَليْهِ تَسْرحُ الغِرْبا   نُ في صَفْوٍ وَإنعَامِ
فيَا ضَيْعَةَ آمالي وأحْلامي
ويا خَيْبَةَ حظّي فوْقَ أيّامي

***

أنا الشّاكي... ولكن أيْـ   نَ مَنْ يَسْمَعُ شكْوَايا
أنا الباكي... ولكن أيْـ   نَ من يَنْفُضُ بَلْوَايا
لَقَدْ رَقّتْ إلى النّاسِ   حَنَايا قلبيَ الآمي
فَسَلْ قلبيَ كم رَقّ   لهُ قَلْبٌ من النّاسِ ؟!
وكم شَمَتَتْ على دُنيايَ أعْوامي
وَأفراحي ولذّاتي و إيناسي؟!

(الباسرة — دقهلية)   عبد العليم عيسى

من جحيم القيود

البلبـل السجين !

للأديب ابراهيم محمد نجا

وبلبل سجنوه فهو مكتئب   بادي التفجع لا ينفك ينتحب !
في قلبه الغض أحزان مبرّحة   وفي جوانحه الآلام تصطخب !
وبين جنبيه جرح غير ملتئم   وفي جناحيه كسر ليس ينشعب !
يعيش في قفص عيش الأسير فلا   زهر جميل ولا غصن ولا عُشُب !
يعيش في قفص كلُّ القيود به   وحوله قامت الأستار والحجب !
يحن للهو ، لكن أين ملعبه ؟   وهل يكون بسجن ضيق لعب ؟
ينام كل خليّ وهْو في شُغُل   وهل ينام شجي القلب مضطرب ؟
ويذرف الدمع من قلب يفيض به   فدمعه الغيث لولا أنه لهب !
ويرسل اللحن أنات مقطّعةً   يلفها في ثنايا موجه الصخب !
يأتي الربيع ولا أفقٌ يطير به   ولا رياض على أفنانها يثب !
ولا أليف له في الدوح يلثمه   إن هاجه غزل أو هزه طرب !
ماتت أمانيه ، والدنيا مغردة   والزهر يرقص والأغصان تأتشب (1)
وكيف يسعد محبوس على ظمأ   والماء من حوله يجري و ينسكب؟
ألا خلاصَ له مما يكابده ؟   فقد برت جسمه الأشجان والنوب
ألا خلاص فهذا السجن يخنقه   وذلك القيد في رجليه يلتهب !
وها هي النار : نار اليأس تحرقه   وها هو الموت منه اليوم يقترب !

***

هـذا فؤاديَ قد مثلت عيشته   ولم أبالغ فأين العطف والحدَب؟
يعيش في قفص عيش الأسير فلا   زهر جميل ولا غصن ولا عشب!
يعيش في قفص كل القيود به   وحوله قامت الأستار والحجب!
وارحمتاه له ! طال الحنين به   إلى حبيب بوكر الحب يرتقب
فأطلقوه ، فإن الحب يمنحه   ما ليس يمنحه التلقين والكتب؟

(دمنهور)   ابرهيم محمد نجا

(1) انتشب الشجر : التف



من أي فن ؟

فكر يفكر تفكيراً

فهو إذن مفكر

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

أردت أن أكيد لصاحبتي فحملت إليها « حمار الحكيم » وقلت لها : « اقرئي هذا الكتاب وستجدين فيه فصلاً يذكر المرأة المصرية بما أحب أن أعرف رأيك فيه » وقد كنت أعلم أن صاحبتي لن يسرها شيء مما أريدها أن تقرأه ، فقد نال « حمار الحكيم » من المرأة المصرية نيلاً موجعاً ، وقد كنت أعلم أيضاً أن صاحبتي طويلة اللسان لا تسكت على الضيم ولا الأذى ، وانتظرت بعد أن تفرغ صاحبتي من القراءة أن أستمتع بثورة من ثوراتها التي تشنها على خصومها ، وكل ثوراتها حريفة تفتح النفس وتوقظ العقل

كنت أنتظر ثورة ما ، مهما تكن فإنها ثورة لا نظام لها ولا خطة ولا هدف محدد . ولكن الذي حدث شيء لم أكن أتوقعه ، فقد كتبت لي بنت حواء فصلاً هو هادئ حقاً ولكنه مسمم نفثت فيه الموتورة كل ما احتبس في نفسها من الغل الذي ظل صاحب الحمار يلهبه ويشعله في نفوس بنات حواء منذ انطلق يكتب ... وعلى ما في هذا الفصل من السم، فإن فيه لذة، وإني لذلك أعرضه على القراء لعل فيهم صديقاً للأستاذ توفيق الحكيم ينقذه من بين براثن هذه « النولة » العاتية التي ترى بعينيها الحراوين ما لا نراه نحن بعيوننا البريئة السالمة ...

قالت وقانا الله شر أقوالها :

« يا حضرة الرجل

لا تحية ولا سلام . أول ما قرأت في هديتك هو هذا الكلام المطبوع على الشريط من الورق الذي لف به الأستاذ توفيق وبأمثاله نسخ كتابه . وهذا الكلام هو بنصه : « الأمة الحية » هي الأمة التي يبقى فيها « الفكر » قائماً بوظيفته و « الإنتاج الفكري » مستمراً على الرغم من نوازل العلل والخطوب والأهوال ... ثم علامة استفهام ، ونقطتان ...

فقلت في نفسي : لا بد أن تكون في هذا الكتاب فكرة يلفت الأستاذ الحكيم النظر إليها بهذا الكلام ، ولا بد أن تكون هذه الفكرة من الجلال بحيث تعتبر من علامات الحياة في أمتنا المصرية أو أمتنا العربية التي استمر واحد من مفكريها الكبار « ينتج » على الرغم من نوازل العلل أولاً ، ومن الخطوب ثانياً ، ومن الأهوال ثالثاً ، ومن علامة الاستفهام والنقطتين بعد ذلك كله ... ولكني لما قرأت الكتاب لم أجد فيه من هذا كله إلا ما سأذكره لك يا حضرة الرجل وهو بعيد كل البعد عن نوازل العلل والخطوب والأهوال وما إلى ذلك

على أني أسمي هذا الكتاب كتاباً تجوزاً . فأنا أعرف الكتاب كلاماً متجهاً إلى قصد معين يستطيع الإنسان أن يلخصه في جملة مفيدة إذا فرغ من قراءته ، ولكن « حمار الحكيم » هذا كلام لا يستطيع أحد أن يلخصه لأنه مجموعة من الحكايات كل منها مستقل بذاته يمكنك أن تقرأها من الآخر إلى الأول كما يمكنك أن تقرأها من الأول إلى الآخر فلا تشعر إن كانت اضطربت أو ارتبكت ، ثم إني لا أستطيع أن أسمي هذا الكلام قصة لأنه كما رأيت مجموعة حكايات، ولأنه يتخلله إلى جانب ذلك مقالات صغيرة ، وبحوث تاريخية تشعر بأن الأستاذ الحكيم تصيدها تصيداً وضمنها الكتاب غصباً حتى تضخم الكتاب وكبر

وإن لي ملحوظة أخرى على ضخامة الكتاب وكبر حجمه لا أحب أن أغفلها ، وهي أن الورق الذي اختير فطبع عليه هذا الكتاب ورق غليظ، الورقة منه سمكها سمك أربع ورقات من الورق العادي ، زد على ذلك الفراغ الذي بين كل سطر من هذا الكتاب يتسع لسطر كان يمكن أن يوضع بين السطرين فيقل حجم الكتاب كثيراً ، وهذا شيء يظهر أن مؤلف الكتاب لا يستحسنه لسببين: أحدهما مادي والآخر أدبي، أما السبب المادي فهو أن الكتاب الضخم يباع بسعر أعلى من السعر الذي يباع به الكتاب النحيف ، وأما السبب الأدبي فهو أن الكتاب الضخم ينتصب احترام القارئ أكثر مما ينتصبه الكتاب النحيف

صحيح أن هذه ملحوظة ماكرة ولكن الذى دبرها هو الأمكر ممن لحظها . والذى دبرها هو الذى دبر معها عنوان الكتاب فجعله هذا العنوان الجذاب الذى يغري الجمهور بالتهافت على الكتاب ، فالحمار (شخصية فنية) يحب الناس أن يعرفوا آراء الكتاب المحدثين فيها ، ونظرتهم إليها ، كما اطلعوا على أقوال القدماء فيها وتعليقاتهم عليها ، والأستاذ توفيق الحكيم معتبر من هؤلاء المفكرين ، وقد شوقنى عنوانه فعلاً إلى قراءة الكتاب ولكنى لم أجد فى الكتاب شيئاً عن الحمار الفنى ، وإنما وجدت أن الأستاذ اشترى جحشاً فى القاهرة ثم صحبه إلى الريف فتركه يموت هناك جوعاً لأنه لم يجد حمارة ترضعه ، ولذلك أبيح لنفسى بأن أتهم الأستاذ بأنه استدرج القراء إلى كتابه بخدعة هى أبلغ من خدع النساء جميعاً

وكما دبر الأستاذ الحكيم هذه الخدعة فى العنوان فقد حاك خدعة أخرى نصب شباكها فى بقاع عديدة متفرقة من الكتاب ، تلك أنه ما فتئ يلح على القارئ بين كل صفحة وأخرى بترديده القول بأنه مفكر ، وبأنه يفكر ، وبأنه فكر ، وبأنه سيفكر ؛ حتى خفت على نفسى وأنا المتيقظة له بأن أقتنع بأنه يفكر حقاً مع أنه لم يدلنى على هذا بدليل واحد غير قوله : إنى أستغرق فى تأملاتى ، وإن ذهنى يمتلئ بالمعانى والأفكار ، وإنى ... وإنى ... وقد كنت أحب من غير شك أن أعرف فى أى شىء يفكر الأستاذ كل هـذا التفكير ، ولـكن لم أقف فى طول الـكتاب وعرضه على شىء غير هذه الأقوال ، اللهم إلا قوله فى مرة من هذه المرات : والمعانى ، إذا كانت هناك معان تذوب قبل أن تبلغ ذهنى . فقلت فى نفسى : لعل أفكار الأستاذ كلها من هذا النوع ، فهو يفكر فيها طويلاً ، ولـكنها تذوب منه قبل أن يمسكها ، فهو معذور إذن إذا عجز عن أن يعرضها على قرائه

ولننتقل بعد ذلك إلى الـكتاب أو القصة ، ولنقف فيها وقفات عاجلة لنرى فيها مواطن البراعة فى هذا الـكاتب الذى يكيد للنساء والذى كنت تريد أن تكيد لى به . وفى سبيل هذا لا بد أن نهمل الحمار فهو بطل محشور فى القصة حشراً ليستعار اسمه عنواناً لما لغرابته وطرافته لا أكثر ولا أقل

أما بطل القصة الحقيق فهو الأستاذ توفيق الحكيم نفسه الـكاتب الذى جاءه مخرج فرنسى ليضع له حوار قصة ريفية مصرية ، وكان موسم « الإنتاج الفكرى » لهـذا الـكاتب قد انتهى ، فاعتذر للمخرج بذلك مؤكداً له أنه لا يستطيع أن ينتج إلا فى « الموسم فقط » كأنما الفكر فول أو قطن أو مشمش ، فأغراه المخرج بالمـال وصحبه إلى الريف ليهيئ له الجو ، ومع ذلك فإنه قعد عن صنع الحوار واضطر فى آخر الأمر إلى أن يلجأ إلى اعتذار جديد ، وهو أن الـكاتب الحق لا يستطيع أن يكتب للسينما ، لأن الـكاتب الحق الذى مثل الأستاذ توفيق الحـكيم لا يصنع كلاماً لأشخاص ، وإنما هو يصنع أشخاصاً يتكلمون

هذا هو صلب الحـكاية التى أوردها الأستاذ فى هذا الباب وأنا أعلم من هذه الحـكاية شيئاً لم يورده الأستاذ فى الكتاب وإن كان حدث فى الحـكاية . ذلك أنه بعيد كل البعد عن إتقان الحوار الريفى ، ودليلى على ذلك أن الأستاذ عرض فى الكتاب لمواقف أجرى فيها الحديث بين بعض أبناء الريف فما كان يزيد على جملة أو جملتين ، ثم يقف الحوار الريفى بعدهما ويسترسل يكتب بلغته العربية الفصحى راويا بقلمه ما كان يريد أن يرويه أبناء الريف بألسنتهم ، ومثال ذلك قصة المعلم ملطى التى رواها واحد من الفلاحين للأستاذ وقال له فيها إن قتيلاً قتل فى الحجرة التى أعدت له . فقد مهد الأستاذ لهذه القصة بحوار بينه وبين ذلك الفلاح ، فلما جاء الفلاح ليروى القصة خطفها الأستاذ منه ورواها هو ، وما من سبب عندى دعاه إلى ذلك إلا شعوره بالتعب من الـكتابة بلغة الريف . وقد ظهر هذا التعب للمخرج ـ وإن لم يرد الأستاذ ذلك ـ فعدل عنه وعهد بكتابة هذا الحوار إلى الأستاذ محمود بيرم التونسى وقد قطع فيه الأستاذ بيرم شوطاً بعيداً وإن لم يؤلف كتاباً أو حماراً يروى فيه قصة ذلك السناريو

وليس هـذا التعب عجيباً من الأستاذ توفيق فهو كاتب لم ينس الناس أن أحب صورة كان يحب من الناس أن يتصوروه بها هو صورة ذلك القاعد فى البرج العاجى تحت ضوء المصباح الأخضر يسمع الاسطوانات الألمانية والفرنسية ، ويقرأ الكتب الغربية ، ويسرح بعد ذلك بين سحابات الفكر الذى لا أعلم ما هو ولا كيف تكون سحاباته . . . والواقع أن الأستاذ الحـكيم من هذا النوع حقاً فهو متأثر بالقراءة بعيد عن الدنيا ، وآية تأثره بالـكتابة الغربية والصور الأوربية هو قوله عن نفسه فى « الحمار » : « فما أنا فى الحقيقة دائماً سوى كوخ مقفر وسط صحراء من الجليد » ، وهـذه صورة روسية ؛ ثم قوله على لسان واحد من الفلاحين تصوره يناجى محبوبته : « إنى لست ملاحاً ، ولـكنك لو كنت شاطئاً فى بحر من البحار النائية لنشرت فى

الحال شراعى وانطلقت أجوب إليك البحار » ، وهذه صورة انجليزية أحس الأستاذ أنها انجليزية فجمل المخرج وهو أحد أبطال قصته يعلق عليها بقوله : ذاك حوار من شكسبير ...

ومع أن الأستاذ يدعى أنه من أصحاب الفكر والتأمل ، ومع أنى أعترف له أنه من أهل الوحدة الذين يحبون الانفراد بأنفسهم، فإنى لا أظنه من أولئك المتصوفين الذين يريد أن يتصوره الناس منهم؛ فهو يقول عن نفسه: « إنى لا أملك صفة من تلك الصفات التى تجذب الناس إلىّ أو تغريهم بصحبتى ، فإذا أنفقت الوقت بحثاً وتنقيباً فى أرجاء نفسى الوحشة المقفرة فإنما يدفعنى إلى ذلك الأمل فى أن أستكشف فى بعض شعابها معدناً نفيساً له شىء من البريق » فهذه صورة صبيانية للتأمل والتفكير ، فالذين يستغرقون فى التأمل فى أنفسهم إنما يجدون فيها ما يغنيهم عن الاختلاط بالناس ، فهى ليست نفوساً مقفرة موحشة ، وإنما هى نفوس غنية ملأى بالحياة ، وبما فى الحياة من خير ومن شر ، ملأى بالعواطف والنزعات على اختلاف ألوانها ، ملأى بالعزائم ، ملأى بالمآسى ، ملأى بالأفراح ... ثم إن أولئك الذين يعمدون إلى أنفسهم ليستخلصوا منها العلم لا يأخذهم مطلقاً البريق ، ولا يطلبون مطلقاً ما هو لامع ... فكل ما يطلبونه هو المفيد النافع الذى يستطيعون باستغلاله وتنميته أن يربوا إنسانيتهم ... ولكن الأستاذ يظن الفنانين « مخابيل » ويظن أنه إذا ادعى الخبل اعتبره الناس فناناً ، وإنه يدعى الخبل فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب ، فهو إذا كان فى مجتمع نام ، وهو إذا عهد إليه بعمل أهمله ، وهو إذا كان فى سيارته لم يعرف أين هو ولا متى خرج من بيته ولا متى يعود إليه ، وهو حين يسمو جداً جداً فى الفن يحادث بائع الذرة وكناس الجهة متبسطاً متواضعاً ، وهذه أعمال تصدر عن الناس عفواً فلا يذكرونها ، وتصدر عن الفنانين دوماً فلا يعلقون عليها ، ولكن الذين يهتمون بها هم الهواة ، وهؤلاء الهواة يحبون أن يقال عنهم إنهم مبعثرون ، وإنهم متواضعون ، وإنهم وإنهم ... لأنهم يظنون أن الفن هو هذا ، أو أن هذا هو أهم ما فى الفن

والآن تعال إلى هذه الدعوى العجيبة التى يدعيها الأستاذ إذ يقول إن الكاتب الحق لا يستطيع أن يكتب للسينما ... وقل لى ما رأيك فى شكسبير ، وهيجو ، وشو ، ومارك توين ، وتولستوى ، وغير هؤلاء من الكتاب الذين أخرجت السينما آثارهم الفنية ووصلت بها إلى قمة المجد الفنى ... أليس هؤلاء كتاباً حقيقيين مساوين للأستاذ توفيق الحكيم ؟ ... إنه يفر من هذا المأزق ويقول إن الكاتب الحق هو الذى يتجه إلى الكليات ولا يتجه إلى الجزئيات ، فهو الذى يصنع أشخاصاً يتكلمون ، لا كلاماً لأشخاص . وأنا لا أدرى هل الخياط الحق هو الذى يستطيع أن يصنع الأزياء للناس ، أو هو ذلك الذى يصنع الناس للأزياء . إنى موقنة أنه الأول ، لأن الثانى هو الله سبحانه وتعالى وحده

وأخيراً أختم خطابى هذا بالرد على ما يطعن به الأستاذ الحكيم المرأة المصرية إذ يقول إنها « حريم » لا أكثر ولا أقل، بينما الفن والشعر والأدب قد علم المرأة الأوربية ماذا تقول وماذا تفعل إذا أحبت . ولا نزيد ردى على هذا عن أن أقول له : إن الحب شىء لا يتعلمه الناس من الكتب ولا من الشعر ولا من الفن ولا من الأدب ، وإنما هو الذى يعلم الناس هذا جميعاً ، وهو موجود فى مصر كما أنه موجود فى سرنديب ، وقد بعث فى مصر من الشعر والأدب ما أعجب لتغافل الأستاذ عنه ، فما كنت أحسبه ينسى هذه المواليا المصرية وهذا « الواو » المصرى ، وتلك الأغانى التى تنبعث من أصفى النفوس فى أصفى القول وأبلغه وأصدقه ... صحيح أن أدبنا وفننا ليس فيهما من أدلة الثقافة شىء كثير ، ولكن الحب لا يحتاج إلى ثقافة فى التعبير عنه ...

خبط الهوا ع الباب جلت الحبيب جانى
تاريك يا باب كداب تهز بالمانى

... وليس الغرام وحده ما يصوره الأدب الشعبى المصرى ، وإنما هو يصور سائر ألوان الحياة المصرية ، ففيه ملاحم ، وفيه معارك ، وفيه قضايا ، وفيه بطولات ، وفيه وفيه ، ولذلك أنت يا حضرة الرجل تعرف مما فيه مثلما أعرف، ولعلك تكتب فيه قريباً فترفع عنه هذه التهمة الباطلة التى يتهمه بها الأستاذ الحكيم الذى يعيش فى البرج العاجى تحت المصباح الأخضر ... هنيئاً له ... »

هذا هو الفصل الذى أرسلته إلىّ صديقتى ، وأنا لا أشك مطلقاً فى أن الذى أملاه عليها هو غيظها من الأستاذ الحكيم لأنه يخاصمها ويخاصم بنات جنسها جميعاً ... ولكننى أيضاً لا أشك مطلقاً فى أن كلامها واضح الصدق فيه

وهى صديقتى ، ولا أحب أن أخسرها فى سبيل الأستاذ الحكيم ؛ فإذا كان للأستاذ أصدقاء ، فليردوا عليها هم ... أما أنا « فوافقون » !...

عزيزة أحمد فهمى



الأحياء فى غير الأرض

هذه حدودنا فما حدود الغير ؟

للدكتور محمد محمود غالى

الدهشة فى تمييز الأشياء بالعين — تشابه رؤية الأشياء والاستماع للاذاعة — مملكتانا الحيوانية والنباتية بين ملايين الممالك الأخرى فى الكون — جولات بين النجم القطبى ومجموعة ذنب الدجاجة — الحياة جائزة على غير الأرض

تطل من النافذة فترى النيل عن يمينك ينساب مجراه فى هذا الوادى منذ آلاف السنين وترى داراً عن يسارك يسكنها أهلها منذ أعوام طويلة ، وتميز بالعين ذلك المجرى من تلك الدار ، وقد اعتدنا ألا ندهش من هذه المقدرة على التمييز التى تقوم به مداركنا فى كل لحظات حياتنا ، فى يقظتنا وفى سباتنا ، فعندما يقع ناظرى على ابنى أميزه عن ابنتى فإننى لا أفكر لحظة فى أن هذه العملية ، من تمييز النهر من الدار والابنة من الابن ، من الأمور العجيبة التى تتصل بالحياة وما تحمل فى طياتها من أسرار فى التكوين

إننا نميز الأشخاص بالعين باختلاف هؤلاء الأشخاص فى الملامح ، أو بالأذن باختلافهم فى الصوت . هـذا لصوته خشونة معينة ، وهذه لصوتها نعومة تتفق مع خصائص جنسها وأنوثتها ، وما هى عليه من ريعان الصبا ، وهكذا نميز ما نراه وما نسمعه بحواسنا المختلفة التى تكونت أصولها فينا منذ أن كنا مادة حية تختلف عن المادة عادمة الحياة .

إنما أود أن ألفت النظر إلى أن إدراكنا لما نراه أو نسمعه أصبح من الأمور المألوفة التى لا نعجب لها ، فنحن لا نفكر ، ونحن نميز الأشياء أو المخلوقات . إن عملية التمييز تحمل فى طياتها أموراً هى من أعجب ما نعرفه فى الكون ولا نفكر أن فى حاسة اللمس عمليات دقيقة وعديدة ، وأن عدد الأعصاب الموجودة فى الجلد والمتصلة بالمخ ، والتى مهمتها نقل ما يحدث عند ملامسة الجلد إلى المخ — تبلغ فى أجسامنا بضعة الملايين ، ومع ذلك فثمة ظواهر أخرى نعجب لها رغم أنها أبسط فى مصدرها أو فى تفاصيلها من أجهزة اللمس الدقيقة والعديدة المتقدمة .

إنك تستمع للاذاعة اللاسلكية مثلا ، ويعتذر المذيع عن خطأ وقع فيه وهو يطالع الأنباء فتسمع اعتذاره ، فإذا طوى الورقة التى أمامه ، أو وقف من على النضد الذى هى عليه سمعت حفيف الورقة وهو يطويها وصوتها وهى تصطدم بالأرض ، وكأنك معه رغم بعـده عنك ، فقد يكون المذيع فى أمريكا وتكون أنت فى القاهرة ، وكأنكما تتحدان فى المكان وإن اختلف وجودكما فى الزمان ، وإنك فى كل ذلك تعجب أشد العجب لهـذه المسألة التى تتلخص فى أنك تسمع كل ما يحدث داخل غرفة الإذاعة مهما بعدت ، إن تحرك بندول الساعة فيها سمعته وكأنه على مكتبك ، وأنت تعجب من ذلك ، ولا تعجب عند ما ترى النيل وترى الدار المجاورة له فتميز بينهما دون أن تعجب من إتمام هذه العملية التى تتلخص فى أنك رأيت النيل والدار وأدركت فارقاً بينهما ، وعند ظنى أنه يجب أن يكون للأمرين: سماع الإذاعة ورؤية الدار، الدرجة ذاتها من العجب

أن يصبح وجود الدار فى الكون الأثيرى - حادثاً يعدل من شأن هذه التموجات الأثيرية حولها ، فترى الدار بما أحدثه وجودها من تعديل فى كون خلا من قبل منها ، فنراها بما ترسله أو بما ينعكس عليها من إشعاع ، ونراها بألوانها المختلفة التى تصل العين والتى يعين كل لون منها عدداً معيناً من الذبذبات التى تصل إلينا فى أزمنة متتابعة ومن مواقع مختلفة، كل يمثل لوناً معيناً وموضعاً مستقلاً ، وتصل كل هذه الذبذبات المختلفة فى عددها وفى طول أمواجها إلى العين ، وبالتالى يصل أثرها تباعاً إلى المخ ، فينشأ عن هذا الإحساس بالدار وألوانها وحدودها مع تبين موضعها .

إن هذه أمور كلها تدعو إلى الإعجاب

أن تحدث الأمواج الصوتية من المذيع أمواجاً كهربائية ، نتيجة لاجتهادنا الشخصى ، وأن تكون هذه الأمواج الكهربائية ضمن سلسلة الأمواج الضوئية المتقدمة ، نتيجة للوضع الطبيعى فى الكون ، وأن تصل هـذه الأمواج إلينا ، مهما ابتعدنا عنها ما دمنا موجودين على ظهر ذلك الكوكب الصغير الذى يجذبنا

إليه كما يجذب هذه الأمواج ، كل هذه أمور لا يجوز أن نعتبرها أعجب من المسألة السابقة

فالاستماع للاذاعة أو رؤية الدار أو غير ذلك مظاهر فى الكون متشابهة، والمذياع جهاز أقل تعقيداً من العين ، وأعظم ما فى الأمر من دهشة ، هو ما يحدثه وجود هذا الجسم الذى نسميه الدار من نتوء فى هـذا الكون ، ومن حدث موجى يؤثر فى أحد هذه الأجهزة وهو العين ، بقدر ما أحدثه الجسم من نتوء واتساع

ولا يعجبن القارىء كثيراً من عظم السرعة التى يقطع بها الضوء أو الكهرباء المسافات الكونية (للظاهرتين كما قدمنا فى مقالات سابقة سرعة واحدة تقرب من ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثانية) لأننا اعتدنا أن نسمى الشىء عظيماً إذا كان عظيماً بالنسبة لنا ، وما اعتدناه من خطوات متثاقلة وبطيئة لا شىء بجانب خطوات الضوء السريعة ، ولكننا لسنا كل شيء فى الكون ومن الحكمة ألا ننظر إلى الأشياء دائماً بالمقاييس التى اعتدناها ، وقد لا نكون فى الكون إلا نوعاً من المخلوقات بين بلايين المخلوقات الأخرى ، وقد لا تكون مملكتانا الحيوانية والنباتية إلا مملكتين اثنتين بين ملايين الممالك الأخرى فى الكون ؛ وتختلف هذه الممالك عنا فى الشبه وفى المميزات أو الخواص وقد لا نكون إلا مخلوقاً واحداً من هذه البلايين من المخلوقات . لنا درجة فى الإحساس لا نتعداها ؛ فنحن نستطيع أن نرى الدار ونميزها من النيل ، كما نستطيع أن نرى الأشخاص فنميز الواحد منهم من الآخر ، ولكننا لا نستطيع أن نعرف ما بلغته الحواس عند الغير ، وأننا نستمع للاذاعة اللاسلكية ، بفضل عمل الإنسان ، ولا يفترق موضوع رؤيتنا للدار عن موضوع استماعنا للاذاعة إلا أننا نرى الدار بحواسنا بطريقة مباشرة ، ونستمع لاسلكياً للبعيد بأجهزة بسيطة ، هى صنع أيدينا وثمرة تفكيرنا ، وهى مهما بلغت لا تزيد فى طبيعة حواسنا أو قوتها وإن كانت تعاون فى محيط عملها ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نعرف اليوم ما يستطيع أن يعمله أو يستنبطه غيرنا من المخلوقات

لماذا نميل إلى الاعتقاد بأننا الوحيدون فى الكون ؟ لماذا لا تكون هذه الدرجة من الإحساس وهذا المبلغ من المعرفة مراتب أولى فيما قد يحتويه الكون المنتشر من مراتب أخرى ، وصلت إليها مخلوقات عديدة تعيش فى ظروف غير التى نعيش فيها ، ولها درجة فى الحواس تختلف عن حواسنا ، ولها حالة من المعرفة تختلف عن معارفنا ؟

جُل بنظرك فى السماء فى ليلة من تلك الليالى التى لا ترى فيها القمر، وانظر إلى المريخ والمشترى والأول أصغر من الأرض قليلاً، والثانى يكبرها بألف وخمسمائة مرة ، وهما فى مجموعتنا الشمسية ؛ فهما والأرض أبناء أم واحدة (الشمس) لا يبرحان مداريهما حولها ، ثم ارفع البصر إلى حيث ترى مجموعة الدب الأكبر أو السبعة النجوم كما يُسميها الكثيرون ، وهى مجموعة من النجوم لا تمت لشمسنا بأى صلة قريبـة ، بل هى بعيدة عنا جد البعد . فبينما تبتعد الشمس عنا بمقدار ثمان دقائق ضوئية (أى يصل ضوء الشمس إلينا فى ثمان دقائق) تبتعد هذه المجموعة عنا بمقدار يزيد فى بعضها عن ٢٠٠ سنة ضوئية ، وانظر ملياً إلى أخفض نجمين فى هذه المجموعة واذهب إلى يمينك بنظرك مسافة تبلغ سبعة أضعاف المسافة بين هذين النجمين الخفيضين تر النجم القطبى ويبتعد عنا حوالى ٧٠ سنة ضوئية، ويعين لنا جهة الشمال، وما الشمال إلا كلمة اصطلاحية لا تدل إلا على أمر اتفاقى ، وهو الجهة التى يحددها لنا هـذا النجم الذى نعتبره ثابتاً بالنسبة إلينا وبالنسبة للأحقاب التى يحيا فيها الجنس البشرى ، وإن كان أبعد الأشياء إلى الثبات بالنسبة لمجموع الكون ، وبالنسبة لأحقاب أطول بكثير من ملايين السنين التى عاشها ويعيشها الإنسان ، ومع ذلك فكل ما نراه من النجوم بعيداً عنا ثابت إلى حد ما بالنسبة لنا ، وحركتنا حول أنفسنا وحول الشمس هى التى تجعلنا نرى تغييراً ظاهراً فى مركز هذه النجوم ، وما الشمال وتحديده بالنجم القطبى إلا اختيار كان يصح أن يقع على غيره من النجوم ، فهو اتفاق يشبه اتفاقنا على أن اليوم ٢٤ ساعة وأن الساعة ستون دقيقة. فقد كان يصح أن نعتبر اليوم عشر ساعات والساعة مائة دقيقة ، وعندى أن اتفاقاً كهذا أقرب إلى منطق الأرقام عن اتفاق الأربعة والعشرين قسما السالفة الذكر

ثم جل بنظرك بعد ذلك بعيداً من النجم القطبى وجهة اليمين أيضاً تر (ذنيب Deneb) العظيم ويسمونه بالعربيـة الشمرة اليمانية فى مجموعة ذنب الدجاجة تصطدم فوتوناته بشبكة العين بعد تسع سنوات ضوئية، وهى رحلة عظيمة بالنسبة إلينا ولكنها صغيرة فى الكون المحدود ، وإذا تركت هـذه المجموعة القريبة

رأيت مجموعات أخرى تبتعد عنا بآلاف وملايين من السنين الضوئية ويساعدنا المنظار على رؤيتها

إن هذه الفوتونات الضوئية التي تصل إليك الآن مسافرة من بعض هذه المجموعات قد بدأت رحلتها ولا شك قبل حروب نابليون، وقبل فتوحات الاسكندر بل وقبل مدنية المصريين، وشاءت الظروف ألا تصطدم طوال رحلتها بأي شيء تتعثر فيه وإلا كنا لا نرى هذه النجوم التي تبعث لنا أضواءها

وأنت في نظرك إلى هذا النجم أو إلى غيره، وفي استطلاعك السماء ليلاً، تستطيع أن تُمَيِّز بين ما يسميه العلماء نجوماً وبين ما يسمونه كواكب سيارة، فضوء الأولى يتألق وتتغير شدته على العين، وضوء الثانية ناصع ثابت كضوء القمر، ووسط كل هذه العوالم تميز بسهولة كوكب المريخ، ذلك الكوكب الذي تشبه حالته إلى حد كبير حالة الأرض، والذي هو واحد من التسعة الكواكب التي تكون مجموعتنا الشمسية، تراه ينحدر في آخر الليل قليلاً قليلاً، ويتغير لونه على العين كما يتغير لون الشمس أو القمر عند غروبهما، حتى يتوارى عنا، أو بالأحرى حتى نتوارى نحن عنه

وهكذا تنتقل العين من كوكب إلى آخر، من المريخ إلى المشترى، من كوكب أصغر من الأرض إلى آخر أكبر منها ومن شمس إلى أخرى، من واحدة أصغر من الشمس إلى شمس تكبرها آلاف المرات، بل من مجموعة نجمية كمجموعة المجرة التي تحوي ملايين الشموس والكواكب والتي تعد شمسنا واحدة منها إلى غيرها من المجموعات

ويساعدك المنظار الفلكي في تجوالك هذا، بحيث أنه إذا أمكنك أن ترى بالعين المجردة أكثر من ألفي نجم في نصف السماء التي تعلوك ويرى ساكن البرازيل عدداً مماثلاً في النصف الجنوبي الذي لا نراه، فإنك تستطيع أن تعين بالمنظار في السنتيمتر المربع الواحد آلافاً من هذه النجوم التي لكثير منها كواكب يشبه بعضها بلا شك كوكبنا الأرضي الذي نعيش عليه

* * *

وفي أثناء ذلك نفكر أن لكثير من هذه النجوم التي تعد بالملايين سيارات تابعة لها، وتدور حولها وحول نفسها، ونفكر أنه لا بد لبعضها على كثرتها ظروف تشبه الظروف الطبيعية للأرض، أو تختلف عنها بما لا يتعارض مع نوع آخر من الحياة

ونتساءل هل من حياة على هذه الكواكب؟ ولماذا تختص الأرض بالحياة؛ وما هي إلا ذرة من قطرة في محيط في الكون؟

وإذا كانت الأرض وما عليها تعتبر بالنسبة لما نعرفه عن الكون أصغر من حبة رمل بين رمال الصحاري الشاسعة وأقل من قطرة ماء في مياه المحيط جميعها، فلماذا تسكن الأحياء هذه القطرة بالذات وتخلو جميع القطرات منها؟

هذا سؤال لا يمكن للانسان إذا اتبع منطقاً سليماً أن يجيب عليه بالنفي، وعند ظني أن الحياة جائزة على غير الأرض؛ فإن لم توجد في أحد كواكب مجموعتنا الشمسية، فلا أقل من أن توجد في كواكب أخرى تنتسب إلى غير هذه الشمس

إما أن يكون بين حياتنا وحياة غيرنا صلة فهو ما زال بعيداً جد البعد عن أن يكون من الموضوعات العلمية التي نتناولها بالبحث بالطريقة ذاتها التي نتناول بها مسألة احتمال وجود الحياة

* * *

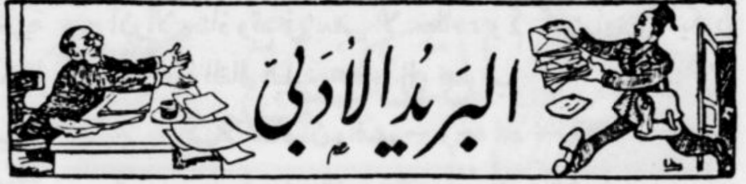
إنما ذكرنا للقارىء العين، وذكّرناه بما تنطوي عليه عملية رؤية الدار أو النيل من دهشة، وعرجنا على المذياع عند ذكرنا للحواس وفعلها، ثم صعّدنا النظر مع القارىء إلى السماء نتأملها ونتجول في ربوعها، وتركنا حيناً ذلك المخلوق الذي تكلمنا عنه في مقال سابق (1) والذي لا يرى من عربة الترام إلا مستطيلاً يتنقل في الطرقات، ولا يرى من الكمساري إلا دائرة تنزلق على حافة المستطيل ولا يرى من الركاب إلا دوائر متراصة في صفوف متوازية، ذلك أننا لسنا في حاجة إلى هذا المخلوق المسكين وحده، وإنما في حاجة أيضاً إلى التذكير بالعين وفعلها العجيب وإلى النظر إلى السماء وتأمل ما فيها من ملايين النجوم والكواكب لنذكر للقارىء موضوعاً قلنا إنه يلتمع في الذهن ويدور بالخاطر، وهو موضوع خاص بما عسى أن نفترضه أو نتخيله من صفات لغيرنا من الأحياء على الكواكب، وقد قادتنا إلى هذا الموضوع الذي يخرجنا قليلاً عن الدقة العلمية، مقالاتنا الأخيرة عن الاشعاع، ولم يكن في نيتنا يوماً أن نتجه هذا الاتجاه، ولكننا سنعود مع القارىء بعد المقال القادم إلى دراسة العلاقة بين المادة والضوء ليقف معنا على أحدث ما يعرفه العلماء اليوم عن الكون

(يتبع) **محمد محمود غالى**

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(1) راجع مقال أول يوليو سنة ١٩٤٠ بالرسالة ومقالنا الذي قبله .



قصيدة خمرة نهر الرين

قرأتُ الملاحظة الدقيقة المنشورة في بريد الرسالة الأدبي للأستاذ الأديب على كمال. ويبدو لى أن الأستاذ محق فيما ذهب إليه، فليس في المراجع الأدبية الخاصة بحياة جون كيتس ولا في رسائله إلى شقيقه أو حبيبته (فانى براونى) ما يشير إلى مرور الشاعر بنهر الرين في خلال رحلته إلى إيطاليا، ولكن توجد في قصيدتين أو ثلاث له إشارات إلى نهر الرين، ومنها القصيدة الآتية: «تعالىْ بنا أيتها الحبيبة نحلق بأجنحة السعادة بعيداً، فإن السكون قد ضرب على الكون وما من سامع أو راء الآن، لقد صرعت القومَ خمرةُ نهر الرين واستبدت بهم نشوتها، فهبى من رقادك، واطرحى الخوف وتعالىْ فإنى قد أفردتُ لك منزلاً بين مروج الجنوب»

ولعل الشاعر على محمود طه أراد الإشارة إلى ذلك في مقدمة قصيدته.

السيد رأفت

حول كتاب «المقنع» للدانى

كتب الأستاذ ناجى الطنطاوى في العدد (٣٦٧) من الرسالة الغراء يسأل الأستاذ المحقق الشيخ محمد دهمان أن يجلو عليه الشك الذى وقع فيه لاختلاف لقب مؤلف «المقنع» أبى عمرو الدانى، ذاهباً إلى أن «البلوى» في «ألف باء» قد سماه «المقرى». والحقيقة أن «المقرى» مخففة عن «المقرئ» وهو لقب كانوا يلقبون به من انتهت إليه رياسة الإقراء في عصره. وقد عثرت في مكتبة أبى - شيخ القرئين في الشام - عليه الرحمة والبركات والرضوان، على نسخة خطيّة لكتاب «المقنع» المذكور وفيها يقول المؤلف:

«قال أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المقرى» وليس «المغربى» كما أثبت الأستاذ دهمان. وقرأت أيضاً في نسخة خطية لكتاب اسمه «مواقف القرآن» للدانى نفسه، وجدتها في مكتبتنا، وقد كتبت سنة الخمسين بعد الألف، ما يلى:

«قال أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المقرى الدانى»

فيكون المقرى إذن لقباً للدانى.

ووجدت في كتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» للعالم العلامة محمد بن الجزرى ما يلى:

أبو عمرو الدانى: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبو عمرو الدانى الأموى مولاهم، القرطبى، الإمام العلامة الحافظ أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين... قدم (دانية) واستوطنها فنسب إليها، وله تآليف حسان... منها كتاب «المقنع في رسم المصحف» وكتاب «المحكم في النقط» وكتاب «المحتوى في القراآت الشواذ» و ... (غيرها ...) وتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة - طبقات القراء ج ١ ص ٢٠٩١، طبعة برجستراسر والخانجى. اه

على أن عمل الأستاذ دهمان يستحق كل شكر وثناء

(دمشق) صلاح الدين المنجد

١ - كتب ضائعة للمرحوم اسماعيل أدهم

قرأت في الأهرام ما كتبه الأستاذ الصحافى المجوز عن شقيق المرحوم إسماعيل أحمد أدهم، وطالعت كذلك ما كتبه في الأهرام أيضاً الدكتور عبد الغنى مصباح تعليقاً على مقال الأستاذ الصحافى المجوز. وقد أشار الدكتور مصباح في معرض كلامه إلى أثر من آثار أخى الفكرية، ألا وهو كتاب تحليلى عن «ابن الهيثم» العالم الرياضى الكبير

وأزيد على هذا أن أخى الفقيد كان عثر على ثلاثة مخطوطات لم يسبق نشرها، وهذه المخطوطات لابن الهيثم، وكان أخى يشتغل قبيل وفاته في إعداد هذه المخطوطات للنشر، ويعدها للطبع، ورأيته يكتب هوامش لهذه المخطوطات ويعلق عليها، وأذكر أن من بين المخطوطات مخطوطاً عنوانه «الأثر الظاهر في أوجه القمر» أو شيء من هذا القبيل

وكان الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة الحديث الحلبية يعتزم إصدار مخطوط أو أكثر في مجلته، كما أن أخى حدثنى بأنه سيتفق مع بعض الهيئات أو لجان النشر في شأن هذه المخطوطات. ولأخى الفقيد مخطوطات لم يطبعها، وهى كتب علمية رياضية، ومباحث تاريخية، ودراسات أدبية؛ فمن كتبه العلمية الرياضية كتابه «نظرية النسبية الخصوصية»، وكان قد نشر جانباً من هذا الكتاب في مجلة «الرسالة» في أواخر سنة ١٩٣٥ وأوائل سنة ١٩٣٦

كما أن له كتاباً آخر أسماه « مبادئ الطبيعيات النظرية الحديثة » ويقع هذا الكتاب فى نحو ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير

وهناك كتاب ثالث بعنوان « نظرية النسبية وقيمتها العلمية » ويقع فى مجلدين . هـذا عدا مقالات رياضية مبعثرة هنا وهناك فى شتى المجلات العربية. ولشقيقى المرحوم إسماعيل دراسة للشاعر المجيد الأستاذ خليل شيبوب، ودراسة أخرى للفيلسوف المتصوف اللبنانى الأستاذ ميخائيل نعيمة ، رفيق جبران

وله من المباحث التاريخية كتاب « حياة محمد ونشأة الإسلام » ويقع فى ستة أجزاء كبار، وفى نحو ثلاثة آلاف صفحة من القطع الكبير . ومباحث أخرى كان ينشرها فى الصحف منها سلسلة من المباحث كان يكتبها فى جريدة (البصير) خلال شهرى أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٣٧ عنوانها « الصلات بين الإسرائيليين والعرب منذ أقدم العصور حتى الآن » وقد نقلت هذا المبحث جريدة الشمس القاهرية . وكذلك له قصة ترجمها عن الكاتب التركى المشهور رفيق بك خالد عنوانها « ابنة يزيد » ، وقد نشر نحو ثلثى القصة فى مجلة الحديث ، والثلث الأخير كان ترجمه وأرسله لمحرر المجلة ، ولكنه ضاع فى البريد ما بين الإسكندرية وحلب ، ولدى أستطيع أن أقوم بترجمة ما بقى من القصة . أو يقوم الأستاذ سامى الكيالى بذلك ، لأن القصة ستخرج فى كتاب

وله غير ما ذكرت كتب أخرى لم تمها الذاكرة التى وهنت إزاء هذه الفاجعة الأليمة ، وبعض هـذه الكتب فى النشوء والارتقاء ، وبعضها فى الفلسفة ، وبعضها فى النقد وغير ذلك

ومن المهم أن أقول إن هذه الكتب كلها ضائعة أو فى حكم الضائعة ، لأن أخى ـ رحمه الله وغفر له ـ نقل جميع آثاره وكل مكتبته بعد تصفيتها إلى مكان لا أزال أجهله حتى الآن ، ولعله أودع هذه الكتب عند بعض أصحابه

وأخيراً لى كلمة وهى أن بعض الناس وجـدوا فى وفاة أخى فرصة ليتحدثوا بألوان من القول ، وأصناف من الكلام . وكثير منهم يهرفون بما لا يعرفون، وبعضهم يتحدث فى أشياء إن تبد لهم تسؤهم ، وهم فى هذا لا يراعون حرمة الموت — الذى هو مصير كل حى — ولا يخشعون أمام جلاله

٢ — تصويب

قرأت المقال البليغ الذى دبجته براعة الكاتب الكبير الأستاذ الزيات عن أخى الفقيد تحت عنوان « نهاية أديب » وقد لاحظت أن الأستاذ وقع فى بعض الأخطاء ، وكم كنت أود ألا يكون مثل هذا المقال البليغ محتاجاً إلى تصويب

ذكر الأستاذ أن والدى — رحمه الله — تزوج من روسية ثم من مصرية بعد ذلك ، والصواب أن والدى لم يتزوج من روسية ولا من مصرية

وقال بعد ذلك : « ونكبت الإسكندرية الجميلة بالغارات الجوية الإيطالية فجلا أكثر الساكنين عن الثغر المروع ، فأقفرت المنازل حتى منزل أدهم » والحقيقة أن منزلنا لم يخل من سكانه ، وهو اليوم آهل بقاطنيه إلا شقة واحدة

وعلى الأستاذ منى أزكى التحيات

(الاسكندرية) ابراهيم أحمد أدهم

* * *

حدثنى المرحوم أدهم أن أباه تزوج فى مصر ، وكان بين أولاد الزوجين الأولى والأخرى نزاع على ميراث فغلب على ظنى أن الزوجة الثانية مصرية . أما خلو المنزل من ساكنيه فهى رواية قادم من الاسكندرية يزعم أن بينه وبين الفقيد معرفة (الزيات)

مسابقة الأدب العربى لطلاب السنة التوجيهية

اقترح معالى وزير المعارف إقامة مسابقة بين طلاب السنة التوجيهية فى الأدب العربى . وقد خوطبت الجامعة فى صدد المساهمة بمنح الفائزين مجانية كاملة أو نصف مجانية بكلياتها . وننشر فيما يلى قرار الوزارة فى موضوعات المسابقة

يمتحن المشتركون فى المسابقة فى الكتب الآتية :

أولاً : يمتحن الطلبة تحريرياً فى الكتابين الآتيين :

(١) ديوان اسماعيل صبرى للمرحوم اسماعيل صبرى باشا

(٢) تحرير المرأة للمرحوم قاسم بك أمين

ثانياً : يمتحن الطلبة شفوياً فى ثلاثة كتب (على حسب اختيار الطالب) من الكتب الآتية :

(١) الإنجليز فى بلادهم للدكتور حافظ عفيفى باشا

(٢) رحلة أحمد حسنين لأحمد حسنين باشا

(٣) الأيام (الجزء الأول) للدكتور طه حسين بك

(٤) مطالعات فى الكتب للأستاذ عباس العقاد

(٥) فيض الخاطر للأستاذ أحمد أمين

(٦) وحى الرسالة للأستاذ أحمد حسن الزيات

(٧) أهل الكهف للأستاذ توفيق الحكيم

(٨) مختارات للأستاذ عبد العزيز البشرى



قصة واقعية

آخر الطـــريق

للأستاذ محمد سعيد العريان

على الضفة اليمنى من « بحر شبين » كان يقوم القصر الأبيض ، كما يسميه أهل القرية والقرى المجاورة ؛ وهو بيت مبنى على طراز بيوت المدن ، تفصل بينه وبين الطريق العام حديقة كبيرة تحنو على حوافيها أشجار ذات ظلال وأريج

فى هذا القصر كان يقيم « عبد الرحمن بك » وهو ضابط من ضباط الجيش القدماء ، له ماض مجيد ووقائع مشهورة ؛ فلما أسنّ وقعد ، هجر المدينة إلى الريف الهادئ ، فاتخذ له بيتاً ومزرعة ، وأقام حيث بنى القصر الأبيض فى عز وجاه ومنعة

وكان له ولد واحد أتاه على حين كبرة وهرم ، فنشأ فى الريف نشأة أهله ، وتشرّب من طباعهم وعاداتهم المأثورة ؛ فلما بلغ السابعة بعث به أبوه إلى المدينة ؛ فشدا من العلم ما شدا ، ثم عاد ليقيم بجانب أبيه ويقوم على شئون مزرعته

... لم يكن فى القرية كلها ، وفى القرى المجاورة ، فتى أعزّ على أهله وعلى جيرانه من « عابد » بن عبد الرحمن بك ؛ فإنه لفتى ريّان العود ، ناضر الشباب ، فيه دماثة الحضرىّ المتبدّى وشهامة القروى المتحضّر ، وإنه لوحيد أبيه وصاحب أمره ، وأبوه سيّد القرية العزيز المنّع

وكان « عابد » فى السابعة عشرة من عمره حين التقى بأمينة عيناً لعين ، فوقع من نفسها ووقعتْ من نفسه ؛ وكان جالساً فى خُصّ إلى جانب من مزرعة أبيه حين مرّت به لأول مرة فأتبعها عينيه مأخوذاً ، ومضت على وجهها مغضية من حياء ، وهى تتمتم بالتحية . وابتدأ للحب تاريخ ...

لم يكن أبو « أمينة » من ضباط الجيش القدماء ؛ نعم ، ولا كان له تاريخ ووقائع يباهى بها ويفتخر ؛ ولا كان يملك قصراً ومزرعة ؛ ولـكن أمينة على ذلك قد استطاعت أن تغلب الفتى على نفسه وتملك قِيادَه ...

ولما التقيا بعدُ على غفلة من العيون فى ظل شجرة الصفصاف ، والشمس تنفض آخر أشعتها على أوراق الشجر حمراء ملتهبة ، نظر إليها ونظرتْ إليه ، وكانت شفتها تختلج وفى عينيها عبرة ؛ ودنا منها ومد إليها يداً وامتدّت يداها إليه تردّه ، وهمستْ : « عابد ! » ورقتْ قطراتُ الدمع بين أهدابها ؛ وتحدثتْ عينان إلى عينين ؛ وأرخى الليل سدوله وما تزال أمينة فى مجلسها وما زال عابد ؛ ثم نهضا فاتخذا طريقهما إلى القرية صامتين يتبادلان لمسة باليد كلما همّتْ أن تجتاز قناة فى طريقهما بين الحقول ، يهم أن يعينها وتهم أن تستعينه ؛ ثم افترقا قبل أن يبلغا أول أبيات القرية

---

(٩) المنتخبات الجزء الأول لسعادة أحمد لطفى السيد باشا

وسيكون الامتحان فى موضوعات حول هذه الـكتب وفق بيان ستذيعه الوزارة على المدارس . وتضم درجة الناجحين فى الامتحانين التحريرى والشفوى إلى درجة اللغـة العربية فى امتحان شهادة الدراسة الثانوية للقسم الخاص سنة ١٩٤١ ، ويرتب الطلبة فى الامتحان وفق مجموع هذه الدرجات الثلاث ، ولا يدخل هذا الترتيب إلا الناجحون فى امتحان القسم الخاص . وستكون الجوائز التى تعطى للناجحين فى هذه المسابقة كما يأتى :

للثلاثة الأول — مجانيـة كاملة بجامعة فؤاد الأول ، (وموضوع تقريرها معروض على مجلس الجامعة) و٢٠ جنيهاً لـكل منهم . للثلاثة الذين يلونهم ـ نصف مجانية بجامعة فؤاد الأول (وموضوع تقريرها معروض على مجلس الجامعة) و ١٥ جنيهاً لـكل منهم . للأربعة عشر طالباً التالين ـ ١٠ جنيهات لـكل منهم

وستكون المجانية فى الجـامعة مقتصرة على الطلبة الذين يستوفون الشروط للدخول فى إحدى الـكليات

ويباح الدخول فى هذه المسابقة لجميع الطلبة المقيدين فى السنة المدرسية ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ بفرقة السنة الخامسة التوجيهية بالمدارس الأميرية والمدارس الحرة الخاضعة لتفتيش وزارة المعارف ، ويكلف الطلبة الراغبون فى دخول هذه المسابقة بشراء الكتب على نفقتهم الخاصة وعليهم أن يقدموا طلباتهم إلى مراقبة الامتحانات بوزارة المعارف على الاستمارة الخاصة (ويمكن الحصول عليها من إحدى المدارس الثانوية الأميرية) فى ميعاد غايته أول نوفبر سنة ١٩٤٠

وما سألها ولا أجابت ! وأوت أمينة إلى منامها بجانب أخيها الصغير فى دار أبيها براوح القلق بين جنبيها ، واتخذ عابد مقعده إلى جانب النافذة فى غرفته من القصر الأبيض ، يسرّح عينيه فى الفضاء المظلم الذى يظلّف دور القرويين ويلفّها فى صمت موحش ؛ وأشرق الصبح وما تزال وما يزال !

كان عابد يعلم من نفسه ما يعلم الناس ، أنه سيّد نفسه ، وأنه من المنزلة عند أبيه بحيث يحق له أن يتمنى وأن ينال ؛ ولكنه إلى ذلك كان يشعر فى أعماقه أن القدر يتربص به ليحول بينه وبين أعز أمانيه ؛ أتراه يستطيع أن يقول ويكشف عن ذات نفسه ؟ وماذا يقول أبوه ويقول الناس حين يصارحهم أنه يريد أن يتزوج أمينة ؟

أمينة ... ؟ من تكون ومن يكون ؟ هل هى إلا فتاة من فتيات يتمنين لو كن من خدم القصر الأبيض ؟ نعم وإن أباها لواحد من عشرات يعيشون فى ظل القصر الأبيض خَوَلاً وبطانة ، إنه لسيد من يليه من الفلاحين ولكنه عبد سيده ، وإنه ليملك داراً وأفدنة كاسبة ولكنه مملوك ؛ لأن القرية كلها ليس فيها إلا سيد واحد ومالك واحد ...

كذلك كان عابد يفكر حين كانت أمينة راقدة فى فراشها تفكر ؛ وبكى الفتى حين تبين موقفه ، وتمنى لو كان واحداً من سواد أهل القرية وله رأيه وإرادته ، ولم يكن السيد العاجز . وبكت الفتاة حين تبينت موقفها وأعجزها أن تتمنى !

وقالت له : « سيدى ... ! »

وشد على يديها فلم يدعها تتم ، وقال : « أمينة ... ! نادينى باسمى ياحبيبتى ! لست ... »

ومال رأس على كتف ، وامتزج الدمع بالدمع ، وَتَرَوَّتْ الشفاهُ الظِماء ، وتلاحقت أنفاس مبهورة ؛ وهمت أن تقول ، وهمّ أن يجيب ، وماتت الكلمات على شفاه ترتجف ، وتساءل قلب وأجاب قلب ، وتلاشى الوجود بينهما فلا شىء هناك إلا اثنين يتناجيان بلا كلام ، وهبّتْ نسمة ندية فالتقى غصنان ثم افترقا ، وتهامست زهرتان ثم أمسكتا ، وأطلّت عينان من فرجة السحاب تختلسان النظر ، وازدحمت العيون على فروج الخباء تنظر ؛ ثم انقشع السحاب وبرز القمر ؛ وانكشف السر المختبئُ فى ضمير الليل ، ثم عاد فاستتر ؛ وكان على الغصن قُمْرِيةٌ تغنى ، وكان غناؤها خفقات قلبين يتهامسان

... وقام يودّعها وقامتْ ، وأتبعها عينيه حتى واراها الظلام ثم قفل وفى قلبه نجوى وفى عينيه بريق ، وعلى شفتيه مَذاق ، وفى أذنيه رنين !

وتتابعت لياليهما حافلة بأسباب الهناء والمسرة فى غفلة من العيون ، لم يطلع على سرهما أحد إلا النجم والزهر وغرّيدة الشجر وطابت له الحياة وطابت لها ، لولا حديث بينه وبين نفسه يؤرقه كلما جن الليل ، ولولا وساوسها !

وأجمع رأيه على أمر ؛ وكأنما كان المسكين يتعجّل آخرةَ هنائه حين بدا له أن يكشف صدره لأمه ويستعينها ...

وقالت أمه وفى عينيها دهشة وفى وجهها غضب : « أمينة ! وأنت لها يا عابد ! »

وهتف الفتى فى يأس : « أمى ! »

ولكن أمه لم تجب ، وأجابه أبوه ؛ هل رأيت قطُّ قائداً فى هيئته العسكرية قافلاً من معركة بنصف جنوده !

كذلك كان موقف عبد الرحمن بك من ولده فى ذلك اليوم ؛ وطأطأ الفتى رأسه يستمع إلى أبيه يحكم عليه باليأس والحرمان ! ثم سقط على كرسيه باكياً ومضى أبوه إلى غرفته

ولم يلتق عابد وأمينة منذ اليوم ، وافترقا بلا وداع وما افترقا قطُّ إلا على ميعاد ! ولزم الفتى غرفتَه مطويًّا على آلامه ، لا يرى أحداً ولا يراه أحد ؛ على حين كان ثلاثة نفر يعنيهم من أمره ما يشغلهم ليلَ نهار ...

أما واحدةٌ فكان لها كل يوم مَغْدًى ومراح فى مواعيدَ رتيبةٍ إلى شجرة الصفصاف القائمة على حافة الغدير ، تتروّح عندها رَوْحَ الماضى فى خفقة الغصن ورفة الزهر وأرج النسيم ، ثم تروح وحيدةً دامعة العين !

وأما اثنان فرجلٌ وامرأة فى خريف الحياة يتشاوران فى أمر وحيدهما الذى يوشك أن يُضلّه الحب عن رشاده فيهوى إلى عار الأبد !

أربعة أشقياء لو شاءوا لاستقامت لهم الحياة واستقاموا لها فسَعِدوا ، وضمّتهم التقاليدُ بين شِقَّى رَحَى طحون توشك أن تحطمهم حطمة الموت فلا نجاة !

وضاق الفتى بنفسه وضاقت به ، ولم يطق الصبر بعد ، فأجمع أن يكون سيد نفسه فلا يسمع لقول أحد ، وأعلن العصيان !

وتهالك أبوه فى مقعده وطأطأ رأسه وجاشت نفسه بآلامه ، وتحيرت دمعتان فى عينى الرجل الذى لم يبك قط ، ووقف الفتى رافع الرأس وفى عينيه بريق الإرادة الصارمة ، ونظرت أمه إليه

فأطالت النظر، ثم هتفت بضراعة: «عابد!»

وظل الفتى صامتاً لا تطرف عيناه، فلو أن القــدر يتحدث بلسان أمه ما ثناه عما اعتزم!

وبلعت أمه ريقها وابتسمت، وأشرقت في وجهها مسحة هدوء ظاهر؛ ثم أردفت: «أجاد أنت يا عابد؟»

وضحك الفتى ساخراً، وأجاب: «نعم، ولا بد ... !»

ووقفت الأم، ثم تقدمت في خطوات ثابتة حتى وضعت يدها على كتفه، وقالت في لهجة الآمر والثقة: «ذلك حقك يا عابد، ولـكن ... ولكنك لن تفعل!»

وابتعد الفتى مغضباً وهو يقول: «بل إنني سأفعــل، سأفعل؛ سأتزوجها ولو ...»

وقاطعته أمه: «... ولو كانت أختَك ... ... !»

وسكت عابد وجحظت عيناه مدهوشاً؛ واسترسلت أمه: «... بلى؛ إنها أختك يا عابد؛ لقد رضعتما من ثدي واحدة دهراً طويلاً يا بنيَّ من طفولتك؛ أتراك تريد أن تتزوج أختك يا عابد ....؟!»

ودار رأسُ الفتى وأوشك أن يسقط، وتهاوى على كرسيه لا يكاد يعي، وغَشّى عينيه الدمع ...

وبدأ منذ اليوم تاريخ جديد، أما الفتى فراح يعالج نفسه بالصمت والوحدة لعله أن ينسى؛ ولـكن صورتها ما برحت تتخايل لعينيه في فنون؛ لقد استطاع أن يقهر نفسه على السلوان ويسومها الرِّضا؛ ولكنه لم يستطع أن يتصامَّ عن تأنيب الضمير ووخز الندم كلما تذكّر أن أمينة أختُه، وأنه نال منها ما لا ينال الأخ من أخته وترك لها خِزي الدهر وعار الأبد؛ فلا كان لها منه حِفاظُ الأخ ولا وفاء الحبيب!

هـذا واحد؛ أما الأب والأم فراحا يدبران أمرهما قبل أن ينتقض غزلهما، وإنهما ليحسان حيناً بعد حين آلاماً مُرّة من قسوة ما نال وحيدهما العزيز المرجوّ؛ فذهبا يمدان المدة لتزويجه قبل أن ينتكس ويعاوده مرضُه!

وأما هي، أما هي فكانت بين مَغْداها ومراحها كل يوم إلى شجرة الصفصاف ما تزال تأمل أملاً، أملاً يلوح ويخفى كما يتراءى القمر بين قطع السحاب، ولـكنه أمل يمسك عليها نفسها... وبلغها النبأ أخيراً وعرفتْ أن فتاها يوشك أن يتزوج؛ وارتكضت أحشاؤها تنبئها نبأ آخر ...

وكانت القرية ساطعة الأنوار احتفالاً بعرس عابد، حين كانت أمينة تدرع الظلماء في طريق لا تعرف له غاية!

وأصبحت القرية بعد ليلة ساهرة تبحث عن أمينة فلم يعرف لها خبر؛ ولكن سرها ظل مكتوماً لم يطلع عليه أحد؛ لأن الثلاثة الذين يعرفونه لم يكن يسرهم أن يعرفه أحد!

وراح أبوها وذوو قرابتها يتقصَّصون الخبر ويتبعون الأثر؛ فلم يبلغوا إلى غاية؛ وذهب الناس في الحدْس مذاهب، ولـكن أحداً منهم لم يبلغ من ســوء الظن أن يتهم أمينة تهمة تنال من شرفها؛ إذ كانت عندهم فوق الظنون والريب؛ فاتهموا بها وَحْشَ الفلاة ومَوْجَ البحر ولم يتهموها؛ وأقاموا لها مأتماً وقرءوا لها القرآن!

وسمع عابد النبأ فعرف ما كان، وأقام مأتمها في قلبه ولم يزل صدى أغاني العرس في أذنيه!

لم يسعد عابد بزواجه كما رجا أهلُه، ولم ينس؛ وعاش كما قُدِّر له، بين حُطام الأمل، ولوعة الذكرى، ولذع الندم؛ صباحٌ ومساء، ونجم ينير ونجم يغور، والحياة هي الحياة إلا ما تُجدّ له الذكرى من الألم وعذاب القلب ووخز الضمير!

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة، وما يزال عابد كعهده يوم كان؛ لم يغيِّره الشيبُ الباكرُ شيئاً ولم تقوَ الأيامُ أن تمحو آلامه؛ على أنه اليوم يعيش منفرداً في القصر الأبيض كما عاش منفرداً بآلامه منذ سنين؛ وقد آل إليه القصر والمزرعة بعد وفاة أبيه وأمه، وعقمت زوجُه فلم تقدر أن تمنحه الولد، كما عقمت من قبــل فلم تقدر أن تمنحه الحب؛ وعاش وعاشت كما يعيش الضيف في غير أهله، فليس بينهما شابكةٌ من حبٍّ ترفّه عنه، ولا رابطة من أمل تقرّ بها إليه؛ فلولا هذه الخادمة الصغيرة التي ترعاه وتلبّي نداءه وتبسم له لـكانت حياته جحيماً لا طاقة عليها ولا صبر معها؛ وقد اصطفاها عابد لخدمته الخاصة منذ بعيد؛ فليس لها من عمل في القصر إلا خدمته والترفيه عنه وليس لأحد غيره عليها حق

وكانت «زهيرة» الخادمة حقيقةً بهذه المـكانة من سيدها؛ فـكانت صموتاً مطيعة لا تسبق إلى عمل في غير وقته ولا تؤخره وكأنما صنعت لها روحها ابتسامتها الدائمة، فلا تُرى إلا ضاحكة السن، تطِلّ من عينيها نفس صريحة فيها بريق الإخلاص والحب تنشر حولها جوّاً من الرضا والطمأنينة!

لم يكن ذلك شعورَ عابد وحده، ولكنه كان شعور الـكافة

من أصدقائه القليلين الذين يزورونه فى قصره ؛ على أن أحداً منهم لم يبلغ به حُسْنُ الرأى فى « زهيرة » أكثر من هذا الحدّ ؛ بل إنها كانت موضع التهمة فى أمانتها عند بعض خدم القصر. فكثيراً ما اختفت أشياء من أشياء سيدها لم تكن تبلغ إليها يد غير يد زهيرة ؛ ولكن سيدها كان من حسن الظن بها بحيث تنال منه ما تشاء لو أنها أرادت ؛ فكيف يتهمها بمنديل أو خاتم أو صورة تختفى ولو شاءت لمدت يديها من المال إلى ما تريد ؟

وبلغت « زهيرة » سن الشباب ونضجت أنوثتها ، وكان لها جمال تَخلق إلى جمال المـِنشرة وحسن الخلق ؛ وخلا عابد إلى بعض صحابته يوماً يُسِرّ إليه حديثاً ؛ وأجفل صاحبه مذعوراً وهو يقول : « وتفعلها يا عابد ؟ »

وسكت عابد ، ولكن نفسه كانت تحدثه حديثها ...

ولما خلا عابد إلى نفسه أطلق العنان لأفكاره ومرح ...

« وماذا عليه لو تزوّجها ؟ وماذا يهمه حديث الناس ؟ »

هكذا راح يسأل نفسه فى خلوته ؛ لقد أحب عابد فتاته ؛ ذلك شعور يحسه فى نفسه إحساساً لم يحس مثله منذ بضع عشرة سنة فاله وللناس ؟ وماذا يضطره إلى أن يصانعهم ليشترى رضاهم بسعادة نفسه ؟ أو ليس يكفيه ما بذل من شبابه وراحة قلبه من أجل الناس ؟

ودعا عابد فتاته فلبّت ووقفت بين يديه صامتة تنتظر ما يأمر ؛ ونظر الرجل إليها نظرة جمعتْ له الزمانَ فى لحظة فكر ؛ وكأنما خيل إليه أنه قد رجع القهقرى إلى ماضيه مع أمينة يوم كان وكانت ، وراحت الذكريات يمدّ بعضها بعضاً فتنثنىْ له أملاً وتبعث فيه نشوة ؛ ووقف ، وأراح على كتفها يداً ترتجف ، وقال لها : « أمينة ! أتقبلينني ... ! »

ورفعت إليه عينين فيهما حنان وحب ، ثم أطرقتْ ؛ وقالت : « سيدى ! »

وكما سمعها مرة منذ بضع عشرة سنة من فم أمينة - طرقت مسمعيه الساعة ؛ واستطردتْ : « لستُ لك يا سيدى ، ولست لنفسى ؛ إننى خادمتك ! »

وانفلتت من بين يديه وذهبتْ . ومضت أيام قبل أن يعود إلى الحديث معها ، وقالت : «سيدى !» وضمها إليه وهو يقول :

« ناديني باسمى يا زهيرة ؛ إنه أحبُّ إلىّ ! »

قالت : « ولكن لك اسماً آخر أحب إلىّ ؛ لقد أنبأتنى أمى ... ! »

قال عابد : « أمك ؟ ... »

قالت : « نعم ، إنها أمى ... أمينة ؛ لقد أنبأتنى أمس ؛ لم أكن أعرف قبلها أن لى أباً ، ولكنى كنت أعرفه ، وأحبه ... ! » وهوتْ بين ذراعيه باكية !

وفى كوخٍ منفردٍ على حدود العمران ، والشمس تنفض آخر أشعتها على أوراق الشجر حمراء ملتهبة ، كان اثنان جالسين يتحدثان فى همس ، وثمّة فتاة على مقربة تصغى إليهما فى شوق ولهفة ، تحاول أن تعرف قصةً بدأتْ قبل أن تولد ولم تنته إلى نهايتها بعد ...

... وقال عابد : « إذن فلم ترضعْنى أمُّكِ كما زعموا ؟ »

قالت : « ومن أين لها وقد ماتتْ أمى قبل أن يُبْنَى القصر الأبيض ، ومن أين لك ؟ لقد خلفتنى أمّى قبل أن أتم الرضاع فلم ألقم ثدياً بعدها قطّ ، وجاءت بك سيدتى وأنت غلام تسابق الفَراش بين نوّار الحقل ، وكنتُ أدعوك سيدى ! »

فابتسم عابد وقال : « ولكنك لن تدعينى بهذا الاسم بعد ؟ »

ومال رأس على كتف ، وامتزج دمع بدمع ، وتروّت شفاهٌ ظمأى ؛ وتلاحقت أنفاس مبهورة ، وهمت أن تقول ، وهمّ أن يجيب ، وماتت الكلمات على شفاه ترتجف ؛ وتساءل قلب وأجاب قلب ؛ وتلاشى الوجود بينهما فلا شىء هناك إلا اثنين يتناجيان بلا كلام . وهبت نسمة ندية فالتقى غصنان ، وتهامست زهرتان ، وأطلّتْ عينان من فرجة السحاب تختلسان النظر ، وازدحمت العيون على فروج الخباء تنظر ؛ ثم انقشع السحاب وبرز القمر ؛ وانكشف السر المختبىْ فى ضمير الليل ...

واتخذا طريقهما إلى شجرة الصفصاف يجددان العهد ويبعثان الذكرى ، ومشيا صامتين يتبعهما ظلاهما ، ويتبادلان لمسة باليد كلما همّتْ أن تجتاز قناة فى طريقها بين الحقول ، يهم أن يعينها وتهم أن تستعينه ؛ وعاد الماضى كما بدأ ؛ وتعاهدا لا يفترقان حتى يبلغا آخر الطريق ؛ وعادت البهجة إلى القصر الأبيض ، ورفّ النور من شرفاته

محمد سعيد العريان

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }



8me Année No. 373

Lundi - 26 - 8 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٧٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

الاصـــــلاح ...!

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثر فى هذه الأيام حديث الريف وإصلاح الريف لكثرة الرائفين من الحضريين الذين رهبوا الغارات فى المدن فالتمسوا الأمان فى القرى، ثم هربوا من أمان القرية إلى مخاوف المدينة، وهم الرابحون!

ومنذ عام أو قرابة عام سمعنا من يسأل: « أليس الأجدى على الفلاح أن تطعمه وترفه عنه بهذه الأموال التى تنفقها على تعليمه إلزاماً وهو مفتقر إلى الطعام النافع والماء النظيف » ؟

وقال لى زميل فى مجلس النواب ممن يملكون عشرات الألوف من الأفدنة وقد رأى اهتمام فريق من النواب بنشر التعليم: « ما هذا التعليم الإلزامى الذى تحسبونه خيراً وبركة على الفلاحين؟ إن هؤلاء الفتيان الذين ينتشرون فى القرى لتعليم أبنائها لا يعلمونهم إلا الحذلقة وفتنة البطالة ... وأقسم ما عرفت أنا أن للجورب حمالة إلا من هؤلاء الفارغين المتبطلين الذين يقضون الساعات فى التصدى للغاديات الرائحات ... ثم تنظر إلى ابن الفلاح فلا تراه قد أفاد منهم إلا الشوق إلى اليوم الذى يغدو فيه مثلهم لابس رباط فى الرقبة وحمالة فى الساق » !

قال لى الفلاح الكبير ذلك وهو يرى أن حالة الجورب هى رمز الفساد الذى ينقله « هؤلاء الأولاد إلى أهل البلاد »

وأنا لا أقول إن التعليم الإلزامى هو التعليم المنشود للفلاح ، ولا أقول إنه هو التعليم الذى يفسده ويشغله عن المصالح والصالحات، ولكنى أقول إن الإصلاح كله عبث ما لم يبدأ بإصلاح العقول والأذواق ، وإن إرادة المصلح وحدها لن تحقق له ما يريده من الخير ما لم تقترن بإرادة المحتاجين إلى الإصلاح

عرض لى ما دعانى إلى البحث الطويل عن ماء الشرب فى الريف : كم من المساقى المرشحة أقامتها الحكومات المتعاقبة هناك ؟ وكم منها أفاد وماذا أفاد ؟ وكم من الفلاحين تعود النظافة فى العيش بما تعوده من شرب الماء النظيف والاستحمام بالماء النظيف ؟

فعلمت المضحكات المبكيات

كان المظنون أن السقى المرشح لا يقام فى القرية حتى يتهافت عليه أهلها وتتسابق القرى من أهل الجيرة القريبة إلى المطالبة بمثله فينتشر فى أنحاء القرى قاطبة خلال أشهر معدودات ، أو خلال سنوات على الأكثر إذا لم يسعف المال

كان هذا هو المظنون وكان عجيباً ألا يكون

إلا أن العجيب هو الذى حدث ولم يعجب له أحد ، وغير العجيب هو الذى دق عن الأفهام

شاع بين جمهرة من أهل الريف أن الماء النظيف ماء لا خير فيه ولا دسم فيه فهو مضعف للرجال ... !

أما الماء الذى فيه الخير والدسم فهو الماء العكر الذى يجلب البركة إلى الأرض فتنبت ويجلب البركة إلى أصلاب الرجال فينبتون

وسألت غير واحد من الثقاة فأكدوا لى ما سمعت ، وقال لى أحدهم إنه وقف بنفسه على طريق الماء المرشح فرأى الفتيات يتخطينه إلى مساق الماء العكر وهى بعيدة من دورهن ، وسألهن ماعيب هذا الماء النظيف ؟ أليس أصلح للشرب وأسوغ فى المذاق ؟

قال: فتضاحكن وملن بعيونهن وهن يقلن: ولكنه ردىء!

قال فسألتهن : وما رداءته ؟

فلم يزدن على أن قالت إحداهن : أنا عارفة ؟ كلهم يقولون إنه ردىء وإنه يهد الحيل

ثم علم بعد الاستيضاح ما هذه الرداءة وما هذا الحيل الذى يهده ذلك الماء المسكين !

أيها المصلح المنير دونك فأصلح !

ولكن قل لنا بحقك ماذا أنت مصلح فى الريف : مضخات الماء أو تلك العقول فى رؤس الرجال والنساء ؟ !

وأرى أن سوء الفهم آفة يبتلى الفلاح من قبلها بأعظم البلاء ، ولكنها دون الآفة الكبرى فى الضرر والإيذاء ، وهى فيما نعتقد سوء الظن والمبادرة إلى تصديق قالة السوء

يستقرئك الفلاح رسالة فتقرأها له بغير جزاء ، ولا يخطر ببالك أن فى الأمر ما يدعو إلى إساءة ظن أو تشكك فى صواب القراءة .

ثم ترقبه فتراه قد حمل الرسالة إلى ثان وثالث يستعيد قراءتها ليوقن أنك لم تخدعه ولم تهزأ به ، وأن القراء جميعاً مخلصون لأنهم متفقون

ويسألك الطريق فتهديه ، ثم يمضى خطوات فإذا هو قد استوقف غيرك ليعيد عليه السؤال

وهكذا فى كل ما يسمع من النصائح ويتلقى من الإرشاد ولو لم يكن ثمة قط سبب للريبة والتردد فى التصديق

هذا الظن السيء حائل دون الثقة بالمصلحين وحائل دون النجاح فى الإصلاح . فليس من اليسير أن تدخل فى روع فلاح جاهل أن إنساناً من الناس يعنّى نفسه ويطيل همه بإسداء الخير إلى إنسان آخر ، ولكنه يسير كل اليسر أن تقنعه بنية السوء واتهام القاصد والسهر على الكيد والخديعة

فإذا قيل مثلاً إن الماء النظيف يضعف الرجال ، وقيل بعد ذلك إن إضعاف الرجال مقصود فى سياسة من السياسات الخفية التى يدبرها بعض الأجانب ، فقد ضمنت للاشاعة سرعة السريان وسرعة الإصغاء والقبول . وإذا حاولت بعد ذلك أن تنفى هذا الهراء فها هنا الصعوبة جد الصعوبة فى استرعاء الآذان والأذهان ، وها هنا الشك فيك أنت واتهامك أنت بأنك المريب المتواطىء مع الكائدين بأجر معلوم ... وإلا فما يفيدك ؟ وماذا يعود عليك ؟ ولماذا تشغل بالك بتبرئة أولئك الكائدين الذين لا شك فى أنهم كائدون ؟ أليس للناس عقول ؟ أليس التواطؤ بادياً لكل

ذى عينين ؟... بلى .. وما من حاجة بعد هذا الوضوح إلى دليل !

ومن النقائض الظاهرة أن هذا الفلاح الذى يستريب هذا الريب بالمصلحين يقع فريسة هينة سهلة المقاد لـكل دجال أومشعوذ يدعى له من الدعاوى ما يوجب الاتهام ويثير الشكوك

لماذا ؟

أفى الأمر تناقض بين ذلك الحذر وهذا الاستسلام ؟

كلا ... لا تناقض إلا فى الظاهر دون الحقيقة ، لأن الحرص هو العلة الغالبة فى كلتا الحالتين

فالحرص الذى يشكك الفلاح الجاهل فى المصلحين هو الحرص الذى يخيل إليه أن الدجال قادر على تمويذه وتمويذ أبنائه وماشيته وغلاته بالرقى والعزائم والطلاسم والدعوات

والحرص الذى يوحى إليه أن أحداً من الناس لا يعنّى نفسه ولا يطيل همه من أجل أحد آخر لا قرابة بينهما ولا مودة، هو هو الحرص الذى يوحى إليه أن الدراويش ومصطنعى التقوى يفعلون الخير لأنهم باعوا الدنيا واشتروا الآخرة ، وهى تجارة غير خاسرة ولا بائرة ، وكثيراً ما يتفق أن « المتدروش » من هؤلاء يظهر له الزهد فى ماله وما عسى أن يكافئه به من زاد أو مؤنة ، ثم يتسلل إلى جيبه أو خزانته من سراديب الغش والملق والمراوغة بعد الظفر بطمأنينته والنفاذ إلى مكامن سره ومواطن ضعفه وجشعه

فالآفتان الكبريان الرابضتان فى طريق الإصلاح هما سوء الظن وسوء الفهم، وكلاهما حجاب حائل بين الناصحين والمنصوحين

وليس العائق كله من جانب القادرين على النفع فإن العاجزين عن الانتفاع يقيمون فى وجه الإصلاح عائقاً لا يجدى فيه الإقناع ولا الإرغام ؛ وماذا يصنع القادرون على النفع بمن لا يريدون نفعاً أو بمن يريدونه ولكنهم يخطئون السبيل إليه، ويصرون على الخطأ ولا يستمعون إلى من يعالج هذا الإصرار بالبيان والبرهان ، بل يسرعون إلى اتهامه هو فى أكثر الأحيان ؟

وما نبغى بهذا أن نيأس أو أن ننفض الأيدى من هذا الواجب الذى لا يعفينا منه عذر ولا تعلة . فالإصلاح فرض لا يرفعه عن الكواهل أنه عسير ، بل لعل هذا العسر مما يوجبه ويستحث العزائم على النهوض بتكاليفه وأوقاره

ولكننا نبغى الدلالة إلى مواضع الصعوبة ومواضع التقصير ، ونعتقد أن المزيد من التفاهم والتقريب بين الحضريين والريفيين ، والمزيد من المثابرة على إزجاء الأمثلة المحسوسة والبينات المقنعة ، والمزيد من الدقة فى اختيار الوعاظ والمرشدين ، والمزيد من التعليم والتهذيب — خليق كله أن يروض ما جمح ويذلل ما استعصى من العيوب والآفات ، ويغرينا بالرجاء أننا صنعنا شيئاً بما بذلنا من الجهود ولم نضيعها كلها سدى كما يلوح لبعض المتشائمين

وأصاب صديقنا الأستاذ صاحب الرسالة حين قال : « إن هذا الفلاح لا يصلحه تنظيم قريته ولا تجميل داره . إنما يصلحه تربية ذوقه وإرهاف حسه »

نعم ، فأنت إذا أنشأت فلاحاً سليم الذوق مرهف الحس مفتوح العقل مستجيب السليقة ، فسيجرى وراءك لتعطيه الماء النظيف والغذاء الجيد والأدوية النافعة والنصائح القويمة ، ولا يجشمك كما يجشمك اليوم أن تعدو وراءه لتقصيه عن موارد الماء المكدر « بدسمه وخيره » وتدنيه من مساقى الماء المرشح وموائد الغذاء المفيد

عباس محمود العقاد

بعض مآثر سعد زغلول

للدكتور زكي مبارك

امتاز سعد باشا – طيب الله ثراه ! – بميزات كثيرة جداً منها غزارة العلم وفصاحة اللسان وقوة الشخصية ، وكانت له مآثر كثيرة جداً ، منها المآثر الآتية :

أولاً – استطاع سعد بشخصيته العاتية أن يغزو ملايين القلوب بالحب والبغض ، فأحبه ناس إلى حد الجنون وأبغضه ناس إلى حد الحمق . ومن عجيب أمره أن الذين أحبوه كانوا صادقين والذين أبغضوه كانوا صادقين ، وكانت الوطنية الصحيحة مصدر العواطف التي تفجرت في قلوب أصدقائه وأعاديه . وما أذكر أني عرفت أحداً يبغض سعد باشا حسداً ، لأن سعداً كان أهلاً للعظمة ، وما كان يخطر في بال أحد أن سعداً ينال من سموّ المكانة مالا يستحق ، وإنما أبغضه مبغضوه وطنيةً كما أحبه محبوه وطنيةً ، وقد جُنّ أحد أعدائه فأطلق عليه الرصاص ، كما جُنّ أحد محبيه فودّع العقل إلى غير رجعة يوم مات

وقد كنت في مطلع الحركة الوطنية من أنصار سعد ، ثم تمردت عليه تمرداً عنيفاً ، فكتبتُ في الهجوم عليه ما كتبت وقلت ما قلت وأنا موقن بأني أخدم وطني بمحاربة ذلك الرجل المسيطر الجبار ، ولم يصدني عنه إلا الائتلاف الذي نمتْ به مصر في سنة ١٩٢٦ . فلما قضى نحبه بعد ذلك عرفت أني فقدت باباً من أبواب الثروة الروحية هو المعاداة في سبيل الوطن بلا ترفق ولا استبقاء

ماذا أريد أن أقول ؟

أريد أن أقول إن سعداً قد استطاع إيقاظ الأفئدة المصرية فلم يعش أحدٌ في عهده بلا روح ثائر أو قلبٍ خفّاق

كان المصريون لعهد سعد متحزّبين بحماسة وصدق ، ولم يكن فيهم رجلٌ واحد يواجه الشؤون الوطنية بلا اكتراث . فكان لأصدقائه جميعاً ولأعدائه جميعاً أقباس روحانية تشهد بأنهم لمبادئهم أوفياء . وأنصار الوفد وخصوم الوفد من الذين لهم في هذه الأيام قوة ذاتية قد تخرجوا جميعاً في مدرسة الحب ومدرسة البغض لعهد سعد ، وكذلك نفع الرجل أعداءه كما نفع أصدقاءه ، وبهذا صح القول بأنه أجج الجمرات التي صهرت أرواح الجيل الجديد .

ثانياً – اتفق لسعد أن يؤدي للغة العربية خدمة عظيمة لا يتنبه لقيمتها إلا من يعرف ما كانت تتعرض له لغة العرب بعد الحرب الماضية

كان الأدعياء كثُروا ، وكانت بدعة القول بأن العناية بالأسلوب ليست إلا حذلقة لا تليق بأبناء العصر الحديث ، وكانت هناك فتنة يَنجُم قرنها من وقت إلى وقت ، وهي فتنة الرجم بأن اللغة الفصيحة لغة أجنبية وأن اللغة العامّية هي لغة المصريين . وقد وُئدتْ تلك البلايا وهي في المهد بفضل سعد ، ولكن كيف ؟

كان سعد من أبناء الجيل الماضي ، وهو جيل سليم ، ويشهد بسلامته وعافيته ما نهض به من جلائل الأعمال ، فذلك الجيل هو بطل الثورة على الظلم والاستبداد ، وذلك الجيل هو الذي قاومَ طغيان الغرب على الشرق ، وذلك الجيل هو الذي عاونَ على قوة الشخصية القومية ، وذلك الجيل هو الذي خلق مُنشئات عظيمة منها الجامعة المصرية

من ذلك الجيل السليم كان سعد ، وكان ذلك الجيل يؤمن بأن اللغة العربية هي أكرم ذخائرنا الوطنية ، وكان يرى أن متانة الأسلوب هي العنصر الأول من عناصر البيان

وكذلك يفهم من لم يكن يفهم كيف كان سعد يُعنّي نفسه ويعذّبها في سبيل الظفر بالأسلوب الرصين

هل تذكرون كيف كان سعد ينظم خطاباته الرسمية وهو يتوجّه إلى جلالة ملك مصر أو إلى الأمة أو إلى النواب والشيوخ؟

لو صح القول بأن الجهد الشاقّ يقصّر الأجل لقلت إن عناية سعد باشا بالأسلوب قد نهبت من عمره نحو عشر سنين ، وإلا فكيف جاز أن يموت قبل أن يصل إلى السن التي يموت فيها رجلٌ في مثل هامته العالية وبُنيانه المتين ؟

إن اهتمام سعد بالأسلوب خلق في القلوب فكرة الحرص على كرامة اللغة العربية ، وكان ذلك بداية انهيار جيش الأدعياء ، من الذين كانوا يرون أن من السهل أن يكون الشخص أديباً بدون أن ينفق من عمره سَنةً واحدة في الاطلاع على ذخائر اللغة العربية . ومن حظ مصر أنْ كان خصوم سعد باشا يرون هذا الرأي ، فكانت جريدة السياسة وجريدة اللواء وجريدة الأخبار تحارب جرائد الوفد بأساليب ظل أثرها باقياً إلى هذه الأيام

وماضي سعد باشا في صباه يوم كان محرراً في « الوقائع المصرية » يشهد بأنه كان من الذين يستهويهم القول الجزل والتعبير المصنوع ، وقد لزمته هذه الخصلة طول حياته فكان يرى البلاغة ضرباً من الفن الجليل لا يصل إليه الرجل إلا بعد أن يتمرس بأساليب الفطاحل من القدماء

وكان سعد خطيباً من الطراز الأول بشهادة الأكثرين ، وقد حضرت له خطبتين إحداهما في بيت البكري بعد رجوعه من باريس عقب انفضاض مؤتمر الصلح ، والثانية في مصر الجديدة أيام ثورته على المرحوم عدلي يكن ، ثم حضرت له خطبة ثالثة في مجلس الشيوخ يوم احتل الإنجليز الجمارك بعد مقتل السردار في سنة ١٩٢٤ ، وفي هذه الخطب الثلاث لم أصدق أن منزلته الخطابية تساوي شهرته الشعبية ، ومع هذا لا يمكن التغاضي عن سعد الخطيب ، فقد كان أقدر الناس على خلق الانقلابات ، وخطبته بشبرا أيام « وزارة الثقة » هي مصدر التقلبات السياسية التي ظلت تقلقل حياة مصر إلى هذا اليوم . وعلى الرغم من أنه لم يرضني خطيباً فما أزال أذكر كيف كان يخرج الحروف بأصوات ونبرات هي الشاهد على أنه كان في الخطابة من الفنانين

ثم حضرت خطبه مرة رابعة وخامسة فلم يتحسن رأيي فيه ، فهل كان للعداوة السياسية تأثير في حكمي على ذلك الخطيب الذي بهر الجماهير زمناً غير قليل ؟

المهم أن نسجل أن سعد باشا عاون معاونة جدية على صيانة اللغة العربية من عبث الجاهلين بأصول الأدب وأسرار البيان

ثالثاً — ترفق سعد بالتقاليد حتى ليمكن الحكم بأنه كان يكره الانقلابات الاجتماعية ، وهو الذي صدنا عن لبس القبعات سنة ١٩٢٧ ، ولولا مقاومته ومقاومة الأمير عمر طوسن لجرينا في الطريق الذي جرى فيه الأتراك . وهذه المسألة تبدو في صورة المسائل الشكلية ، ولكن لها جذوراً أعمق من ذلك ، فلو أننا كنا جارينا الأتراك في ترك الطرابيش لكان من الجائز أن نجاريهم في كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، ولكان من الجائز أن نسايرهم في اضطهاد رجال الدين ، وهذا وذاك من الأغلاط التي وقع فيها الأتراك مجذوبين بتيار الانقلاب

كان سعد من المحافظين ولم يكن من الرجعيين ، وكان على محافظته حر الفكر إلى أبعد الحدود ، وهو الذي مد يده فنزع نقاب امرأة وقفت تخطب بين يديه ، لأنه شعر بأن منطق المصر لا يقبل أن تلقى المرأة خطبة وهي في حراسة النقاب

رابعاً — كان الجو في أيام سعد مشبعاً بهواء ثقيل هو الدعوة إلى عزلة مصر عن الأقطار العربية والإسلامية ، وقد انتبه سعد إلى خطر ذلك الهواء فصده بحزم وعنف . ولما وقع الزلزال بفلسطين في صيف سنة ١٩٢٧ تبرع سعد بمئة جنيه لمنكوبي الزلزال وتبرع المرحوم عوض بك عريان المهدي بتسعة وتسعين جنيهاً فكانت نكتة لطيفة من نكت الذوق . وعواطف سعد من الوجهة العربية والإسلامية كانت عواطف الزعيم الذي يؤمن بأن العروبة والإسلام هما سنادا مصر في الشرق

خامساً — كان سعد أقوى نصير للمواهب الأدبية ، وكان ينظر إلى القلم نظر الخوف والرجاء ، ولم يكن يجد المتعة الروحية إلا في محاورة أهل الفكر والبيان

كان سعد يحب أنصاره من الكتاب فيقربهم ويشجعهم ، وكان يبغض خصومه من الكتاب بغضاً شديداً ، فلا يأوي إلى فراشه إلا بعد أن يطمئن إلى أنه سيقرأ في غده ما ينقض تحاملهم عليه ، وكان يتقدم بنفسه من حين إلى حين فيخوض غمار المعارك القلمية بإمضاء مستعار ليشفي صدره من المتطاولين على مقامه الجليل

سادساً — كان سعد من أرباب القلوب ، وتتجلى عظمة سعد من هذه الناحية إذا تذكرنا كيف نسي ما كان بينه وبين خصومه من الأحقاد السود بعد إذ من الله بنعمة الائتلاف ، فقد كان سعد يبكي لفراق عدلي يكن وعبد الخالق ثروت ، وكان صدقه في مودة هذين الخصمين من أكرم ما صدر عن قلبه السليم

سابعاً — كان لسعد فضل عظيم في تقوية الشخصية الحزبية ، وهي أساس لجميع الأعمال الوطنية ، حين تحسن النيات ، وتصفو الضمائر ، وتطيب القلوب

كان سعد رئيس الأمة ، ولكنه لم ينس أبداً أنه رئيس الوفد ، فكان يجاهد في تقوية ذاتيته الحزبية بعزيمة قهارة وقلب صوال ، وهو الذي رفض السماح لأحد أنصار الوفد بالاعتراض على الحكومة الوفدية في مجلس النواب

وهنا ندرك أن سعداً كان يعرف قيمة المبادئ ، وما كانت تجوز عليه الحيلة الطريفة التي تقول بالتفرقة بين المبادئ والأشخاص ، والتي تبيح للرجل أن يخرج على حزبه بحجة أنه

من أنصار الحق ! ومعنى هذا الكلام أن الرجل يجب عليه أن ينصر حزبه ظالماً أو مظلوماً ، وأن يؤازره فى جميع الأحوال ، ولو اعتقد أنه على ضلال .

وبهذا الحزم الصارم نجح سعد ، واماه كان يفهم جيداً أن العضو فى الحزب كالجندىّ فى الكتيبة ، فما يجوز له أن يتحدث فى تبديل خطط القتال

أما بعد ، فهذه لمحات من مآثر سعد ، وما أريد بها التكفير عن الأعوام التى قضيتها فى الهجوم عليه ، فما كان لى من غاية ولا غرض فى ذلك الهجوم الذى شببتُ ناره فى جريدة الأفكار وجريدة المحروسة وجريدة اللواء ؛ وإنما كنت جندياً من جنود الحزب الوطنى ، وكنا نرى صادقين أن هدم سعد من أوجب الفروض

فإن قيل إن جهادنا فى تحطيم سعد قد ذهب أدراج الرياح ، فأنا أجيب بأن هذا من حظ مصر ومن حظ الحزب الوطنى ، لأن الحزب الوطنى يسره أن يكون فى مصر رجال ترضى عنهم الأمة وتقيم لهم التماثيل

الحزب الوطنى ينتظر خصوماً من طراز سعد ، خصوماً أقوياء لا تهدمهم معاول الحق ، وما أعظم الرجل الذى تعجز عن هدمه معاول الحق !

وهل كان عبد العزيز جاويش على خطأ فى محاربة سعد زغلول ؟

وهل كان مصطفى الشوربجى آثماً فى تفنيد المطالب الوفدية ؟

إن انتصار الوفد فى عهد سعد وفى عهد النحاس لن ينسينا مبادئنا ، ونحن مع ذلك نرحب بانتصار الوفد ونرجو أن يطول بيننا النزاع والشقاق ، لأننا نؤمن بأن السلام ضرب من الموت

كانت لنا مبادئٌ وكانت لنا ميادين قتال

فتى يرجع ذلك العهد ، العهد الذى كنا نشتجر فيه حول المقاصد الوطنية ونحن فى غياهب الاعتقال ؟

أيقضى علينا أن نعيش فى أمان فلا نعرف غير مصاولة الكاتبين والباحثين ؟

ولكن لا بأس ، فما كان النقد الأدبى إلا خدمة وطنية ، لأن الأدب هو سفير مصر فى الشرق

وسلام الله على شهداء الوطنية فى جميع الصفوف .

زكى مبارك

خواطر فى الحرب

عـــبرة الزمن

للأستاذ محمد عرفة

انجحْ فى الحياة ولا تفشل ، وتوخَّ أسباب النجاح ، وتوقَّ أسباب الفشل ، فإنك إن تنجح عدَّ الناس ذنوبك حسنات ، وإن تفشل عدَّ الناس محاسنك مساوىء

هذه فرنسا كانت فى رأى كثير من الناس أم الدنيات ، وما من حضارة إلا وهى مقتبسة منها ، وما من خير إلا إليها مرجعه ؛ فلما اجتاحها الألمان ، وسقطت تحت كلكل القوة ، انقلب مدح الناس ذماً ؛ والفضائل التى كانوا يعدونها لها صارت رذائل . . .

كانت ترى أن يربى الفرد لنفسه ، ولا يعطى للدولة إلا ما فضل عنه ، فكانوا يرون ذلك معها ، ولا يرون أن يربى الفرد للأمة كما يرى الألمان

وكانت ترى الحرية فى أوج مداها ، فكانوا يرون ذلك معها ولا يرون أن أناساً قد تفسدهم الحرية كما تصلح قوماً آخرين

وكانت ترى إشباع الشهوات ، والأخذ بأكبر قسط من ملذات الحياة ، فكانوا يرددون هـذا ، ويرون أن الأخذ بضد ذلك سجن للحرية ، وشقاء للنفس والمجتمع

وكانت ترى تضييق حدود النسل ، فكانوا يرون أن الحق معها وأن المرء لم يخلق ليكون عاملاً غير مأجور لأولاده وأسرته

وكانت وكانوا إلى ما شاء الله من هذه الآراء . فلما هزمت فى الحياة صار هذا الجلال صغاراً ، وذلك النور ظلاماً ، وانقلبت كل هذه المحاسن والمحامد آثاماً وعيوباً فى أقل من طرفة عين .

ما هذا الذى بدّل هذا الحسن ، وشوّه ذاك الجمال ، وأحال الأمور إلى أضدادها ؟ . . . إنه الفشل ، وقاتل الله الفشل

والناس من يلق خيراً قائلون له
ما يشتهى ولأمّ المخطىء الهبـل

محمد عرفة

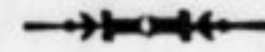
في الاجتماع اللغوي

تطور اللغة وارتقاؤها

تأثر اللغة باللغات الأخرى : تبادل المفردات بين اللغات

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب



عالجنا في المقال السابق عاملاً من عوامل تطور اللغة ، وهو انتقالها من السلف إلى الخلف ، وسندرس في هذا المقال عاملاً آخر من هـذه العوامل وهو تأثر اللغة باللغات الأخرى

من المقرر أن أي احتكاك يحدث بين لغتين أو بين لهجتين - أيًّا كان سبب هذا الاحتكاك ، ومهما كانت درجته ، وكيفما كانت نتائجه الأخيرة - يؤدي لا محالة إلى تأثر كل منهما بالأخرى

ولما كان من المتعذر أن تظل لغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى ، لذلك كانت كل لغة من لغات العالم عرضة للتطور المطرد عن هذا الطريق

وأهم ناحية يظهر فيها هذا التأثر هي الناحية المتعلقة بالمفردات . ففي هذه الناحية على الأخص تنشط حركة التبادل بين اللغات ، ويكثر اقتباسها بعضها من بعض . وقد تذهب بعض اللغات بعيداً في هذا السبيل ، فتقتبس معظم مفرداتها أو قسماً كبيراً منها عن غيرها : كما فعلت التركية مع الفارسية والعربية ، والسريانية مع اليونانية ، والفارسية مع العربية ... وهلم جرا .

وأما القواعد وأساليب الصوت فلا تنتقل في الغالب من لغة إلى أخرى إلا بعد صراع طويل بين اللغتين ؛ ويكون انتقالها إيذاناً بقرب زوال اللغة التي انتقلت إليها واندماجها في اللغة التي انتقلت منها

ولهذا تخضع في الغالب الكلمات المقتبسة للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها ، فينالها كثير من التحريف في أصواتها وطريقة نطقها ، وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة . فالكلمات التي أخذتها العربية مثلاً عن الفارسية واليونانية قد صبغ معظمها بصبغة اللسان العربي حتى بعد كثيراً عن أصله .

ومن ثم نرى الكلمة الواحدة قد تنتقل من لغة إلى عدة لغات ، فتتشكل في كل لغة بالشكل الذي يتفق مع أساليبها الصوتية ومناهج نطقها ، حتى لتبدو في كل لغة منها غريبة عن نظائرها في اللغات الأخرى . فالكلمات العربية مثلاً التي انتقلت إلى اللغات الأوربية قد تمثلت في كل لغة منها بصورة تختلف اختلافاً غير يسير عن صورتها في غيرها

وكثيراً ما ينال معنى الكلمة نفسه تغيير أو تحريف عند انتقالها من لغة إلى لغة أو من لهجة إلى أخرى : فقد يخصص معناها العام ويقصر على بعض ما يدل عليه ؛ وقد يعمم مدلولها الخاص ؛ وقد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين ؛ وقد تنحط إلى درجة وضيعة في الاستعمال فتصبح من فحش الكلام وهجره ؛ وقد تسمو إلى منزلة راقية فتعتبر من نبيل القول ومصطفاه ... وهلم جرا

ويختلف مبلغ ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقات التي تربط الشعبين وما يتاح لهما من فرص للاحتكاك المادي والثقافي . فكلما قويت العلاقات التي تربط أحدهما بالآخر ، وكثرت فرص احتكاكهما ، نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي ولذلك تبلغ هذه الحركة أقصى شدتها حينما يسكن الشعبان منطقة واحدة أو منطقتين متجاورتين ؛ فالإنجليزية قد أخذت عن النورماندية أكثر مما أخذته عن أية لغة أخرى ؛ لأن الغزاة من النورمانديين قد استقر بهم المقام في نفس بلاد الإنجليز المغلوبين . واللاتينية قد اقتبست من الإغريقية أكثر مما اقتبسته من أية لغة أخرى ؛ وذلك لتجاور منطقتيهما وشدة الامتزاج بين الشعبين الناطقين بهما . ولهذا السبب نفسه بلغت حركة التبادل اللغوي أقصى شدتها بين العربية والفارسية والتركية . وما اقتبسته ألمانية سويسرا من اللغة الفرنسية لا يذكر بجانبه ما اقتبسته منها ألمانية النمسا مثلاً ؛ وذلك لأن القسم الألماني اللغة في سويسرا متاخم للقسم الفرنسي اللغـة ولشدة الاحتكاك بين سكان القسمين ، على حين أن النمسا غير متاخمة لمنطقة فرنسية اللسان . وقد تسرب إلى لغة رومانيا عدد كبير من مفردات الشعبتين الصقلبية والمجرية ، على حين أن أخواتها اللاتينية الأصل (الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية) لم تكد تتأثر بهذين اللسانين ؛ وذلك

لأن رومانيا قد انعزلت عن أخواتها اللاتينية وأحاط بها من جميع جهاتها أمم صقلبية اللسان أو مجريته

والمفردات التى تقتبسها لغة عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات، أو برّزوا فيها، أو امتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها ... وهلم جرا. فمعظم ما انتقل إلى العربية من المفردات الفارسية واليونانية يتصل بنواح مادية أو فكرية امتاز بها الفرس واليونان وأخذها عنهم العرب[1]. ويتألف معظم المفردات التى أخذتها الإنجليزية عن النورماندية من كلمات دالة على معان كلية وألفاظ تتصل بشئون المائدة والطهى والطعام؛ وذلك لأن النورمانديين كانوا يفوقون الإنجليز كثيراً فى هاتين الناحيتين، فنزرت مفرداتهما فى لغتهم بينما قل ورودها فى لغة الإنجليز القديمة. وقد انتقل إلى اليونانية، ومنها إلى اللاتينية، كثير من الكلمات الفينيقية المتصلة بشئون الملاحة والبحرية؛ وذلك لأن الفينيقيين قد سبقوا غيرهم من الشعوب فى هذا المضمار. وانتقل إلى اللاتينية كثير من الكلمات الإغريقية المتعلقة بالمصطلحات الفلسفية والدينية؛ وذلك لبراعة الإغريق فى ميدان الفلسفة، ولأن الدين المسيحى قد انتشر بفضلهم فى شرق الإمبراطورية الرومانية ووسطها. وقد أخذت اللغات الجرمانية عن اللاتينية كثيراً من المفردات المتصلة بالقضاء والتشريع ونظم الاجتماع والسياسة ... وما إليها، وذلك لأن الرومان كانوا مبرزين فى جميع هذه الشئون، ولهذا السبب نفسه انتقل إلى الفرنسية كثير من الكلمات الجرمانية المتصلة بشئون الحرب، ومنها كلمة الحرب نفسها La guerre وكثير من الكلمات الإيطالية المتعلقة بالموسيقى وآلاتها والفنون الجميلة؛ وانتقل إلى معظم اللغات الأوربية وغيرها المفردات الإنجليزية المتصلة بالألعاب الرياضية، والمفردات الفرنسية المتعلقة بالأزياء وألوان الطعام

ومن أجل ذلك تنتقل مع المنتجات الزراعية والصناعية أسماؤها فى لغة المناطق التى ظهرت فيها لأول مرة أو اشتهرت بإنتاجها أو تصدر منها فى الغالب، فتنتشر عن هذا الطريق فى لغات البلاد الأخرى. فكلمة الشاى قد انتقلت إلى معظم لغات العالم من لغة جزر ماليزيا Malaisie التى كانت المصدر الأول لهذه المادة («شاى» فى العربية «thé» فى الفرنسية «tea» فى الإنجليزية ... الخ)، وكذلك كلمة الطباق؛ فقد انتقلت إلى معظم اللغات الإنسانية من لغة السكان الأصليين لأمريكا حيث كشفت هذه المادة لأول مرة («طباق» فى العربية tabac فى الفرنسية tobacco فى الانجليزية ... الخ)

وعن هذا الطريق انتقل إلى اللغات الأوربية كثير من الكلمات العربية الدالة على منتجات زراعية أو صناعية: كالليمون، الموصلى (وهو نسيج خاص ينسب إلى الموصل)، الزعفران، الشراب، السكر، الكافور، القنوة (عسل قصب السكر المجمد)، القهوة، القطن، القرمزى، الكمون، الدمسق (نسيج ينسب إلى دمشق)

فى الانجليزية lemon, muslin, saffron, sherbet, surup, sugar, camphor, candy, coffet, cotton, crimson, cumin, damask.

فى الفرنسية limon, mousseline, safran, sorbet, surop, sucre, camphre, candi, café, coton, cramoisi, cumin, damas.

على عبد الواحد وافى

دكتور فى الآداب من جامعة السربون

---

(١) من أشهر ما أخذته العربية من اليونانية أسماء بعض آلات الرصد والجراحة، وبعض مصطلحات الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها. وأخذت منها كذلك أسماء بعض المعادن والوظائف والمنشآت المعمارية وغيرها، وأدوات البناء والموازين والأمتعة ... الخ: كالقبرس (وهو أجود النحاس)، والبطريق، والقيطون (وهو البيت الشتوى)، والقنطرة، والفردوس (البستان)، والقراميد (الآجر)، والقسطاس (الميزان)، والقنطار، والبطاقة، والسجنجل (المرآة). وهلم جرا...

ومن أشهر المفردات التى انتقلت إلى العربية من الفارسية: الكوز، الابريق، الطست، الخوان، الطبق، الكرجة، السمور، الخز، الديباج، السندس، الياقوت، الفيروزج، البلور، السميذ، الكعك، الفالوذج، الفلفل، الكرويا، القرفة، الزنجبيل، الخولنجان، الدار صينى، النرجس، البنفسج، السوسن، الياسمين، الجلنار، المسك، العنبر، الكافور، الصندل، القرنفل ... الخ

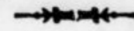
انظر فى ذلك «فقه اللغة الثعالبي» الباب التاسع والعشرين. وانظر كذلك «المزهر للسيوطى» الجزء الأول، النوع التاسع عشر.

أوراق مبعثرة

من ظـــــلال الهوى (*)

[مهداة إلى الدكتور زكي مبارك]

للأستاذ صلاح الدين المنجد



... قلت لها ونحن نمشي على رَوْدٍ بين الكروم: « ما ذا تريدين يا نشوى ... وما ذا تودين؟ أتريدين ثوباً مذهباً يلمع، أم طيباً ناعشاً يسطع، أم تودين سماع الأقاصيص الناعمة التي ترقص فيها البطولة، ويغني في ثناياها الحب ... أم يهفو قلبك إلى أحاديث الغزل، وتتلمظ شفتاك لحر القبل ... ؟ »

قالت: « لا ... ولكني أريد فتى يكون لي وحدي؛ يموج قلبه بحبي، وتصفق روحه لجمالي ... ولا يرى في الوجود سواي

ما نفعُ الثوبِ اللامع إذا كان الحبيب الذي يراه لا يسكر لمرآه ...

وما غناء الأقاصيص والأحاديث إذا كان القلب الذي ينظمها لا يتدفق بالحنين ولا يغني للحياة ...

نعم متى جاء الحبيبُ ... جاء كل شيء ... !

ثم انعطفت تقطف أوراق كرمة نسي ... فقلت لها:

— ألستُ فتاك الذي تودين ... ؟

قالت: لا ...

قلت: بلى ... أنت تحبينني يا نشوى ... اذكري الدمعَ الذي ذرفته من أجلي، إذ مستني الحمى فأصبحت ساهما واجماً ... واذكري الفرحَ الذي يطل من نظراتك، ويلهبُ أعطافكِ وقسماتك إذا ماالقيتني. لا تنكري يا نشوى ... أرأيت تهيامي بكِ وتحناني إليك لجئت تدلين وتميسين ... ؟ أرودي في مشيتك ... وتعالي إلى أحضان هذه الأعشاب، أسمعك النشيد الذي نظمته أصيل الأمس.

فقفزت فوق كرمة متراخية، وارتمت بين أوراقها، وجلست أنا أمامها، وأنشدتها قصيدتي التي أولها:

يا سادراً هيمان يبكي ولا يصحـــو

وكان الدمُ الدفّاق في خديها، والفرحُ الراقص على وجنتيها، يكسبانها وضاءة ونضارة، فاقتربتْ مني، واستراح رأسُها على صدري، وسرحت بصرها في جنبات السهل الساجي تحت أقدامنا فحنوت عليها، وضممتها إلى صدري، كما تضم الأم وليدها، وراحت شفتاي تسكبان على سحرها حنيناً لاذعاً وحباً ناعماً، وشعوراً مُترعاً بالحماسة واللذة والفرح

ما أروعَ لياليك أيها الحب!

لقد كانت ليلة ندِيانة بالقبَل نشوانة بالغزل، وكان يخيل إلينا أن الحبَّ الذي جمع قلبينا بالمودة، ورُوحينا بالوئام، يجوبُ السفوح، ويرف في أشعة القمر الصبوح، ويخلع على الدنيا السناء والبهاء.

وكان القمرُ كالأمير الضُرانق الجميل، حفَّت به النيومُ البيضُ لترقصَ أمامه عرايا بدلال وفتور ... وكان يريق أشعته على قمم الجبل فتنير تلك السنديانات الهاربة نحو السماء، ثم تزحف نحونا بهدوء لتسمعَ أناشيدَ الهوى وترى جنون الصبا؛ حتى غمرتنا، وطفَحتْ على الحاني والرُّبى فحسبنا أننا في بحيرة من الأنوار السُّمر والفاترة، وأن الكرمات زوارق سكرى، وأننا غريقان في اللجج، تائهان فوقَ الثبج، نتلمسُ الشاطئ فلا نجده، ونتقرّبُ من الضفّة فلا نلقاها ... !

وسمعنا الشلالَ يغني لنا، وانتشر العبيرُ حولنا، وضحك السهلُ والجبلُ لمرآنا، ورفعتْ الصخورُ رؤوسها لترانا ... وسكرنا سكرَتين: سكرَ هوى وسكرَ جمال ...

بوركتَ أيها الجبلُ القائمُ كالفارسِ الأسمرِ الجميل ... !

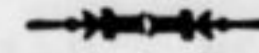
لقد قال لي بالأمس وأنا أرنو إليه في شحوب الأصيل: « لقد حفظت ذكرى الحبيبة بين صخوري، وجاء البشر يرتع فوق حدوري، وتمايلت الأعاشيب على صدري، وتزاحمت الأزاهير لتطرز سفوحي، وغنت الرعاة باسم فتاتك في متوع الأصابيح وسجوّ الأماسي

لقد حفظت ذكراها ... لأن تلك الدموع التي ذرفتها أصبحت منبت الأزاهير، ولأن تلك القبلات التي غنت رنينها النسيمات أضحت ينبوعاً للأغاريد، ولأن حنين الشفاه ونجوى القلوب عادت أناشيد الرعاة! »

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(*) انظر العدد ٣٢٢ من الرسالة

قصة كتاب الديارات
للشابشتى
للأستاذ كوركيس عواد



إن كان لكل شيء قصة ، فلكتاب الديارات الشابشتى قصة ، أرويها فيما يلى ، وذلك على أثر المقال الذى نشره عنه الأستاذ صلاح الدين المنجد ، فى العدد ٣٦٨ من الرسالة الغراء :

لقد رغبت فى نشر « كتاب الديارات » للشابشتى ، منذ سبع سنوات ، حينما أخرجت للناس فى سنة ١٩٣٤ كتابى المسمى « أثر قديم فى العراق : دير الربان هرمزد » القائم بجوار الموصل . فقد كان صاحب المعالى الأستاذ « يوسف غنيمة » ، نبهنى حينذاك إلى أهمية كتاب الشابشتى ، بالمقدمة التى وضعها لكتابى المذكور . فازدادت رغبتى فيه يوماً بعد يوم ، وقد مضت سنة ونصف سنة منذ اختمرت عندى فكرة نشره . فأقدمت على العمل بعد أن أعددت له عدته ، ليكون ما أقوم به على الوجه العلمى الذى يستحقه هذا الكتاب الجليل ، ويرتضيه أرباب البحث من الأدباء والمؤرخين

وكتاب الديارات للشابشتى لم يبق منه اليوم سوى نسخة وحيدة فى خزانة برلين برقم (٨٣٢١) . وإن تحرينا وجه التدقيق قلنا إن هذه النسخة البرلينية ما هى إلا قسم من الكتاب الأصلى ، فهى مخرومة من أولها بمقدار لا يمكن معه معرفة عدد أوراقه الذاهبة ، كما أنها ناقصة من وسطها بعض النقصان . على أن كافة النسخ المعروفة اليوم لكتاب الديارات ، سواء المصورة منها والمخطوطة ، مصدرها هذه النسخة الفريدة التى كتبت سنة ٦٣١ هـ . فهى ، ولا مراء ، أمهن جميعاً ، ولولاها لكانت خسارة الأدب فادحة

أما حصولى على نسخة هذا الكتاب ، فكان على يد العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، فإنه فى إحدى كينوناته فى مصر وذلك فى سنة ١٩٣٨ ، حصل على النسخة المصورة التى كانت بيد المستشرق الدكتور أ . فيشر A. Fischer وكان قد صورها قبل حرب سنة ١٩١٤ ليتولى طبعها هو بنفسه ، لكن لما تعددت أشغاله وأحب أن يقدم على طبع كتاب الديارات معجمه الملحق بمعاجم لنوبى العرب ، دفع النسخة المصورة إلى الأب المذكور ، لعلمه أنه قد عزم على طبعه . وبعد ذلك نقل الأب نفسه وبقلمه نسخة ثانية معتمدة ، فصارت النسخة بهذا نسختين . ثم لما توافرت شنائه ناط بى نشر الكتاب بعد أن علم مبلغ رغبتى فى ذلك ، فدفع إلى نسختيه المذكورتين ، قبل سنة ونصف سنة ، فاعتمدت عليهما فى كتابة نسخة ثالثة بيدى ، كانت عنايتى بنقلها وضبطها تفوق حدود الوصف ، ثم أعدت مع الشكر النسختين المصورة والخطية إلى صاحبهما . وأكببت بعد ذلك على دراسة نسختى ، واجتهدت بروية دقيقة فى ضبط ألفاظها وتحقيق ما فيها من أعلام الأشخاص والواقع والشؤون العمرانية والأخبار التاريخية والروايات الأدبية والأشعار وما إلى ذلك . وأفرغت كنانة وسعى فى الرجوع إلى عشرات من الكتب العربية وكنت قد خصصت بضع ساعات من كل يوم ، مدة سنة وبعض أخرى ، لخدمة هذا الكتاب ، وتصحيحه ، والتعليق عليه بما لا مزيد عليه من العناية به

وقد وجدت من الخير لهذا الكتاب أن أعود إلى المؤلفات الأرمية أيضاً ، وقد مكنتنى معرفتى لهذه اللغة من الوقوف على عدد منها أربى على الثلاثين ، وكلها ذات مساس بموضوع الديارات ؛ والحق أننى خرجت منها بفوائد جليلة . ورأيت من الضرورى الرجوع إلى طائفة صالحة من المؤلفات الأفرنجية فضلاً عن المؤلفات العربية الحديثة

وكان الأب أنستاس ، قد سلم نسخته المكتوبة ، بعد انتساخى عليها نسخة ، إلى صديقنا المحقق الدكتور مصطفى جواد ، ليطلع على هذا الكتاب ، ويقيد فى أثناء مطالعته له ما يعن له من الملاحظات والتصويبات على هوامش النسخة . فطالعها الدكتور مطالعة مدققة ، وذلك شأنه فى كل ما يطالع ، فصحح من أغلاطها ، وكشف وجه الصواب عن تحريفاتها ، وقوم ما اتآد منها على أيدى النساخ ، كما حقق أموراً جمة من أعلامها ، وحل كثيراً من مغلقاتها . وقد سمح لى كل منهما بنقل هذه الملاحظات الثمينة ، لأنهما يرقبان الكتاب ويأملان أن يخرج فى أتم ما يمكن من الإتقان . وقد نقلت تلك الملاحظات شاكراً فضلهما ، وأدخلت كل واحدة منها مقرونة باسم صاحبها الدكتور مصطفى ، فى محلها من حواشى الكتاب

فأنت راء أن كتاب الديارات للشابشتي، قد انتقل بعد كل هذه الجهود من عالم إلى عالم، وأضحت أخباره ومروياته مدعومة بما يؤيدها من الأسانيد الواردة في المراجع القديمة الأخرى

وقد أضفتُ إلى الكتاب ملحقات جمّة، في أحدها معلومات طريفة بتلك الديارات الساقطة تراجمها من مخطوطة برلين، وذلك بعد أن ثبت لي لزوم اشتمال الأصل عليها. كما وضعتُ ملحقاً ثانياً مطولاً، يكون «مستدركاً» على الشابشتي، وفيه أخبار الديارات التي لم يتطرق إلى ذكرها، وبينها ما هو من الخطورة الأثرية والتاريخية والأدبية بمكان رفيع. ويلي ذلك ملحقات أخرى عمرانية وتاريخية وبلدانية أضرب عن ذكرها الآن صفحاً قصداً إلى الاختصار. وأخيراً جملت «الفهارس» المتنوعة، وكلها في غاية الضبط، بحيث تكشف عن مكنونات الكتاب المختلفة، وتيسّر للقارئ مراجعة مضموناته. وكان قصدي من كل ذلك، أن يكون كتاب الشابشتي، مع المستدرك الذي وضعتُه عليه وسائر الملحقات والتعاليق، أتمّ وأوفى كتاب للديارات

وقد أنهيتُ عملي قبل أشهر، ونويتُ إذ ذاك عرض الكتاب على الطبع؛ غير أنه قد صدمني غلاء الورق وكثرة النفقات، وهما أمران ناشئان عن قسوة الأحوال الحاضرة، فاضطررت إلى تأجيل نشره إلى فرصة ثانية

هذا ولعل من القراء من يتذكرون أنه مرت في هذه المجلة قبل ما يقرب من ثلاثة أشهر (أنظر الرسالة «العدد ٣٦٠»، حاشية ٣ من الصفحة ٨٩٥ ب) إشارة صريحة تذكر أنني عازم على إخراج هذا الكنز من مدفنه. ثم إن عندنا في العراق عدداً كبيراً من المؤرخين والأدباء وأولي البحث يعلمون الشيء الكثير من أمر اشتغالي بتحقيقه والعناية به

وفي هذا اليوم وصل إليّ العدد ٣٦٨ من الرسالة الغراء، وإذا فيه مقالة وجيزة للأستاذ صلاح الدين المنجد، عنوانها «كتاب الديارات» للشابشتي. فاستبشرتُ بها واندفعت إلى مطالعتها حرصاً مني على الوقوف على كل ما من شأنه أن يكشف لي شيئاً جديداً من أمر هذا الكتاب أو مؤلفه. غير أنني وإن لم أخرج منها بما كنت أنتظر ولا بأقل من ذلك، قد سرني منها أن كاتبها ينوي نشر هذا الكتاب بعد أن ظلّ مدفوناً في زوايا الخزائن، كما سرني أنه سينشر منه نبذة في العدد القادم من الرسالة الغراء

وإن من طريف الاتفاقات أن يُقدم باحثان على نشر كتاب واحد، دون أن يعلم أحدهما بما يعمله الآخر، وهذا سيكون من مصلحة الثقافة، وهل ذلك إلا دليل واضح على خطورة ذلك المصنف الجليل وأهميته البالغة، التي أغرت اثنين بخدمته وإعداده للنشر؟ فإن كان الأمر على ما ذكر، فما عسى أن يعنيني عن نشر الكتاب بالوجه الذي رسمتُهُ لنفسي، سواء أعمِلَ غيري على نشره أم لا. هذا وإني موقن أن ما بذلته من العناية وطول البحث في سبيل هذا المؤلف يتطلب مني ألا أهمل نشره، بل لا أتردد في ذلك مهما كان من الأمر، ما دامت غايتي من ذلك كله خدمة العلم لذاته

ثم إن ملاحظات عنّت لي في أثناء مطالعتي لمقال الأستاذ المنجد، أرجو أن يتغاضى عن بياني لها هنا، جلاء للحقيقة وحباً للفائدة

أولاً: ذكر أن نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق مصورة على نسخة أحمد تيمور باشا، المصورة على نسخة خطية فريدة في خزانة برلين برقم ١١٠٠، والصواب أنها برقم ٨٣٢١ كما يلاحظ في قائمة مخطوطات برلين العربية (١)

ثانياً: وقال أيضاً: «وأول من نقل عن هذا الكتاب [يقصد كتاب الديارات]، ونوه به هو السيد حبيب الزيات، فقد أخرج للناس في تموز من عام ١٩٣٥ [كذا، والصواب عام ١٩٣٨] عدداً خاصاً من مجلة المشرق الكاثوليكيه في بيروت عن الديارات النصرانية في الإسلام، فنقل عنه نقولاً كثيرة.»

قلنا: الذي نعلمه يخالف ذلك كثيراً؛ فقد تتبعنا من نَقَلَ عن هذا الكتاب من المعاصرين، وتعقبنا نقولهم، فوجدنا أن أقدمهم في النقل المستشرق السويسري متز Adam Mez

---

(١) يلاحظ أن واضع هذه القائمة، المستشرق هلوردت Ahlwardt قد نسب هذا الكتاب إلى أبي الفرج الأصفهاني. وتابعه في شيء من هذا الوهم جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٢: ٢٨٣) والمعروف أن لأبي الفرج كتاباً في الديارات، أقدم من كتاب الشابشتي، أخنته يد الزمان. وقد وقفنا على طرف منه في النقول المتفرقة في بعض المؤلفات العربية القديمة

المتوفى سنة ١٩١٧ ؛ فقد اقتبس فقرات عديدة منه فى كتابه « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » ، ولقد أحصينا فى الجزء الأول فقط الذى نقله إلى العربية الأستاذ محمد عبدالهادى أبو ريدة تسعة عشر موضعاً اقتبس فيها من كتاب الديارات

وتلاه المستشرق الألمانى سخاو Eduard Sachau فنشر سنة ١٩١٩ بالألمانية رسالة ثمينة تقع فى ٤٣ صفحة من القطع الكبير ، عنوانها « كتاب الديارات للشابشتى » Vom Klos - terbuch des Sabusti وصف فيها هذا الكتاب ، كما أتى على خلاصة بحوثه ، ثم ترجم منه نبذاً مختلفة ، بينها تلك الحفلة العباسية الرائعة التى جرت فى قصر بركوارا فى سامراء فى عهد المتوكل الخليفة العباسى

وتلاهما الأستاذ المحقق حبيب زيات فنقل من كتاب الديارات هـذا ، سنة ١٩٢٧ ، فقرتين فى بحثه المنون « السفن والمراكب فى بغداد فى عهد العباسيين » المنشور فى مجلة لغة العرب (٥ [١٩٢٧] ص ٤٦١ — ٤٦٥) . ثم نقل عنه ثانية سنة ١٩٢٨ نقولاً كثيرة فى بحثه النفيس « نقد كتاب الديارات الوارد فى الجزء الأول من مسالك الأبصار » المنشور فى لغة العرب أيضاً (٦ [١٩٢٨] ص ٣٢٢ — ٣٤٢) . وفعل ثالثة سنة سنة ١٩٣٥ ، فنقل منه فى كتابه « الصليب فى الإسلام » مرتين ، وكان آخر نقوله عن الشابشتى ما أورده فى كتابه القيم « الديارات النصرانية فى الإسلام » وهى التى أشار إليها الأديب المنجد بكونها أقدم النقول التى وقف عليها !

ولنا أن نضيف إلى ما ذكرنا ، تلك الفقرات الكثيرة التى نقلها الأستاذ محمد كامل حسين فى كتابه « فى الأدب المصرى الإسلامى »

إن كان الشىء بالشىء يذكر ، فنقول إن هنالك جهوداً مختلفة بُذلتْ فى سبيل إخراج هـذا الكتاب إلى حيز النشر . أقدمها يعود إلى همة المستشرق هير F. J. Heer حسبما أشار إلى ذلك البحاثة لسترنج G. Le Strange فى حاشية الصفحة ٢١١ فى كتـابه Baghdad During the Abbasid Caliphate وكان قد سبق له فى سنة ١٨٩٩ أن وصف هـذا الكنز الثمين فى بحث له فى الخطورة التاريخية والبلدانية لمعجم ياقوت الحموى .

وعلى ما يظهر لنا لم يوفَّق المذكور لنشره حينذاك ، لأسباب لا أعلمها

ثم تلتها جهود المستشرق سخاو فى نشر رسالته المنوه بها آنفاً . فقد عرف بها كتاب الديارات للعلماء ومتتبعى الآثار القديمة العربية ، ووقفهم على خلاصة مضموناته، غير أنه لم ينشر الأصل بكماله

وكان المستشرق فيشر قد عزم — على ما أخبرنى به الأب أنستاس — على نشر هـذا الكتاب أيضاً وسبقتْ منا الإشارة إلى ذلك ؛ غير أنه عدل عن ذلك للأسباب التى ذكرناها فى صدر كلامنا

هذا ولدينا فى هذا الشأن تفاصيل أخرى كثيرة نرجئُ نشرها إلى المقدمة المسهب فيها التى صدّرنا بها هذا المؤلَّف النفيس

ثالثاً : قال الأستاذ المنجد ما نصه : « ووضعتُ للأديار مخططاً يبين مكان كل منها ... »

قلنا : إن فى هذا القول شيئاً كثيراً من التجوّز ، إن لم نقل من الادعاء ! فإن كتاب الديارات للشابشتى يتناول — بحسب النسخة الوحيدة البرلينية — أخبار خمسة وخمسين ديراً . منها : ثمانية وثلاثون فى العراق ، وثلاثة فى سورية ومثلها فى فلسطين ، وثلاثة أخرى فى تركية ، والباقى وهو ثمانية فى مصر . ومعلوم أن أغلب هذه الديارات عراقية

فأنا مع تتبعى لموضوع الديارات ، منذ أكثر من عشر سنين ، وكونى امرأً عراقياً لا يدع الفرصة تفوته دون الوقوف على ما يتعلق بشؤون بلاده من الوجهات الأثرية والتاريخية والبلدانية . . . أزيد على ذلك أنى أحد موظفى دار الآثار القديمة فى العراق ، وهذه الدار أولى من غيرها بتعقب أمثال هذه المواقع الأثرية ، بل هى صاحبة الدراية بها . . . نعم ، مع كل ذلك ، لم أستطع بعد الجهـد تعيين « المواقع الحقيقية » إلا لعشر ديارات عراقية من تلك الثمانى والثلاثين التى تكلم عليها الشابشتى ! أما ما تبقى منها ، فلا أثر لها ألبتة اليوم ، كما لا يمكن الاهتداء إلى مواقعها وتعيينها بصورة علمية خططية مضبوطة بصح الركون إليها . وبعد هذا لا ندرى كيف أمكن للأستاذ المنجد أن يضع « مخططاً يبين مكان كل منها » ؟

بين الفهم والاجتهاد

المعـــانى شائعة
ولا تجوز الملكية فيهـــا

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

كتب ناقد أديب فى الرسالة الغراء مقالاً عنوانه من عجائب الاجتهاد ، يسجل فيه بعض المعانى التى أخذها الدكتور بشر فارس لمسرحيته من ديوان الأستاذ العقاد ، وديوان الشاعر الأستاذ على محمود طه المهندس

وهذا الاتهام — وأعنى اتهام الشعراء بالسرقة والأخذ — قديم منذ اللحظة التى نشأت فيها حركة النقد الأدبى . وهى حركة ترجع إلى العصر العباسى حينما استطاع الذوق الأدبى أن يتكون . ومن أبطال هـذه الحركة الآمدى صاحب الموازنة وابن رشيق صاحب العمدة وقدامة بن جعفر صاحب نقد النثر ونقد الشعر وغيرهم

ولما استوت علوم البلاغة ووضعت لها القواعد والأصول ، استطاع النقد الأدبى أن يجد فيها مسنداً يستند إليه . وأفردت فصول خاصة بالمعانى والسرقات الشعرية

والواقع أنه من الصعب أن يستقصى المعنى الواحد ويُتتبع ويرد إلى مخترعه أو مفتض عذرته . وقد حاول هذه المحاولة أبو هلال العسكرى فى كتابه ديوان المعانى ، ونجح — إلى حد ما — فى جمع المعانى الواحدة فى سمط واحد مع التدرج فى استعمالها ، ووجوه الحسن فى ذلك الاستعمال وهل كان الآخذ مُفضِلاً على المأخوذ منه أم مساوياً له أم مقصراً عن بلوغ شأوه

واشتط بعض البلاغيين فى هـذا الباب فوضعوا للسرقات الشعرية أسماء كثيرة كالمسخ والساخ والنسخ وغيرها . وكأنهم — سامحهم الله — جعلوا أسبقية الزمان سبباً فى الاتهام . فالشاعر التالى يعد فى نظرهم آخذاً أو سارقاً إذا اتفق له معنى مما يكون قد اتفق لشاعر سابق . وقد يكون الشاعر المتهم بالأخذ أو السرقة أو السطو — أو ما شئت أن تسميه — بريئاً من ذلك كله . وقد يكون للمصادفة وحدها فضل اتفـاق الخاطرين وورودهما على معنى واحد

ومثل الذى يقال فى الشعر يقال فى النثر ؛ فمن الظلم أن يتهم دانتى صاحب الكوميديا الإلهية بالسطو على رسالة الغفران للمعرى لاتفاقهما فى كثير من الأفكار وأسلوب التحليق فى السموات ، كما أنه من الظلم أن يتهم قصصى بالسرقة من قصصى آخر لمجرد اتفاق الفكر بين الكاتبين

نعم فى الأدب العربى كما فى أدب كل أمة جماعة من اللصوص الذين يحبون أن ينسب دائماً فضل غيرهم إليهم . وهذا النوع من اللصوصية جرىء كل الجرأة ، لأنه لا يستحى ولا يخشى النقد إذا ما ضبط ... ولـكن الغالب فى هذا النوع أنه يتوارى متى كشف للناس أمره وتبين للناقدين زيفه

وهذا النوع لا يعنينا أن نكتب عنه لأنه لا يستحق الكتابة قدر استحقاقه العقاب . أما ما نقصد إليه فهو هذه المعانى الزاخرة المشتركة بين النفوس الإنسانية التى تعد بالملايين ... هذه المعانى التى تدور على بعض النفوس ، وتشترك فى بعض الخواطر ، ويختلج بها بعض الصدور ، فإذا ما سجلها بعضهم بالكتابة سمعت صيحات عاليات تنادى أن هذه سرقة ، وأن هذا المعنى لفلان دون فلان

رابعاً : لم يشر ألبتة إلى الاختلاف الواقع فى تعيين سنة وفاة الشابشتى . فبينما نرى أن ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ٤٨١ بولاق) يقول إن وفاته كانت سنة ٣٨٨ هـ ، إذ نجد ياقوتاً الحموى (معجم الأدباء ٦ : ٤٠٧ طبعـة مرجليوث) يقول : إنه مات سنة ٣٩٩ هـ . والفرق ، كما لا يخفى ، ظاهر بين هذين التاريخين ولا يصح السكوت عنه

هـذا وأسأل الله تعالى أن يوفقنى فى القريب العاجل إلى إخراج هذا المصنف الجليل ، الذى هو جدير بكل عناية وأهل لـكل خدمة علمية ، ومن الله الفلاح

(بغداد) كوركيس عواد

وليس غريباً أن يتفق الشاعران أو الكاتبان فى الفكرة الواحدة أو أن يقع فى بعض النفوس ما يقع فى البعض الآخر . وهذا النبع العظيم من التفكير الإنسانى لا بد أن يجد له مسيلاً فى نفوس كثيرة متشابهة . فكثيراً ما نرى بعض الناس فى أحاديثهم الخاصة تتفق أفكارهم الخاصة فى لحظة معينة بذاتها . كأنما ألهم كل منهما الرأى إلهاماً

وكثيراً ما نسمع بين المتحادثين هذه العبارة المألوفة (عمرك أطول من عمرى) وهى عبارة لا نحاول أن نثبت بها قضية نذهب إليها ؛ وإنما نسوقها فقط لنبرهن بها على ما يجرى بين المتخاطبين من توافق فى الأفكار أو الألفاظ ، كما يقع فى كثير من الأحيان

والسرقة هنا أمر عظيم وحادث جليل ؛ والاتهام بها ليس من السهولة بحيث يستطيع توافق الأفكار أن يؤيده . أما سرقة الماديات فمن السهل إثباتها وإقامة الدليل عليها ، لأنها فى أبسط تعبير انتقال شىء من يد مالكة إلى يد مغتصبة . فملكية المالك هنا ظاهرة واضحة مشهود عليها بألف دليل ودليل ... واغتصاب السارق لها واضح ظاهر مشهود عليه بألف دليل ودليل أما ملكية الأفكار فمن الصعب إثباتها لوقوع الفكر دائماً على الشيوع لا على الاختصاص . والذين يضيقون علينا سبل التفكير والإنتاج والاجتهاد إنما يضيقون على أنفسهم ، لأنهم فى كثير من الأحوال غرض يُرمَى كما يَرمون . والواقع أن السرقة - بمعنى اتفاق الأفكار - موجود فى كل نفس ، لأن كل نفس بشرية يجرى عليها الإحساس والعواطف والانفعالات وهى أمور مشتركة فى الإنسانية جميعاً

وقد يكون وقع فى مسرحية بشر فارس من الأفكار ما وقع فى إحدى قصائد العقاد . وليس فى ذلك مطعن على بشر ولا مفخر للعقاد

وقد وقع أكثر من هذا للفحول من كتاب الغرب فلم ينقص ذلك من مقامهم العلمى أو الأدبى ، ولم يحجم التاريخ عن وضعهم فى أماكنهم الصحيحة من سجل الخالدين . ولعلك تعجب إذا علمت أن موليير القصصى الفرنسى العظيم اتُّهم - فى حياته - بالسطو على قصص غيره من المعاصرين والسابقين ، فكان رده اعترافاً منه بالسرقة إذ يقول : « إننى إذا وجدت شيئاً نافعاً فلا أحجم عن أخذه للانتفاع به » . كما كان « تشسترتون » زعيم الحركة الرجعية فى انجلترا فى العصر الحديث يُتَّهم من برنارد شو وويلز بالسطو على معانى الصنار من كتاب الصحافة البريطانية

والعقاد فى شعره وفى كتابته غنى بالمعانى ، إلا أن هذا الغنى لم يكن ميراثاً خاصاً به ؛ فهو ولا شك قرأ كثيراً وأفاد كثيراً مما قرأ . ولا شك أن رأسه يزدحم بكثير من المعانى التى تعرض له فى مطالعاته .

فليس ينقص من قدر العقاد أنه يشترك فى كثير من معانيه مع كثير غيره من كتاب الإنسانية الذين يحسون إحساسه ، ويتأثرون تأثره

وعبد الرحمن شكرى يعترف فى مقال له بمقتطف مايو سنة ١٩٣٩ بأنه كان يحتذى شعراء الصنعة العباسية . فما قال منصف إنه سارق ، ولكن قال المنصفون إنه متأثر . ولم يعب عليه المرحوم حافظ ابراهيم هذا التأثر (الاحتذاء) وهذه المعارضة بل أثنى عليهما . ولما سافر شكرى إلى انجلترا كان احتذاؤه للشعر الإنكليزى فى توليد الموضوعات الجديدة لا فى أساليبه

على أن الشاعر أو الكاتب لا يستغنى فى إنتاجه عن التأثر — المقصود أو غير المقصود — بما يقرؤه ، ولا يسلم من ذلك التأثر فحل من الشعراء أو مبرز من الكتاب . فالأستاذ أحمد حسن الزيات قد تأثر فى مقاله «بين المهاجرين والأنصار» (الرسالة عدد ٣٦٨) بفكرة للأستاذ أحمد أمين فى مقال سابق بالثقافة . فأحمد أمين يصرح بأن الموت بالقنابل فى القاهرة أفضل من الموت بالمكروبات فى الريف ، والزيات يجري على لسان المهاجرين هذه العبارة (إن الموت بالشظايا على دفعة ، أخف من الموت بالجراثيم على دفعات) [1]

وقد يكون — والعلم عند علام الغيوب — أن الزيات لم يطلع على مقال أحمد أمين المنشور بالثقافة

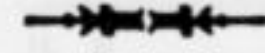
***

(١) هذا معنى من المعاني الواقعة أحسه كل مهاجر فى كل قرية ، ولكل لسان فى التعبير عنه صورة خاصة ؛ والصورة التى كتبناها قد سمعناها فلم نقرأها ولم نبتكرها (الزيات)

السيد محمد رشيد رضا

بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته

للأستاذ محمود أبو رية



من حق شيخنا الإمام السيد محمد رشيد رضا علينا أن نؤدى بعض ما يجب له من التنويه بفضله ، والإشادة بذكره ما أتيحت لنا الفرص وما واتتنا المناسبات . وكذلك من الحق على الرسالة الغراء وقد حلت علم العربية فى لغتها ودينها أن تتحفى بهذا الإمام الجليل فتخصه بجانب من عنايتها ، وتجعل لآرائه نصيباً من صفحاتها ، ومن أولى بهذه الحفاوة منها وهى أحق بها وأهلها ؟

هذا ما يجب علينا وعلى الرسالة ، لأن هـذا الحجة الثبت ليس من كبار علماء عصره فحسب ، وإنما هو ولا ريب من كبار أئمة الإسلام على مد عصوره ، خدم دينه وأمته بما لم يخدمها أحد قبله منذ قرون طويلة ، وخلف آثاراً خالدة فى دراسة الدين الإسلامى لم يكتب قلم عالم من قبل مثلها – ونحن نعرف ما نقول – وفسر كتاب الله تفسيراً هو معجزته فى هذا العصر . إذ لكل عصر تفسير يكشف لأهله عما فيه من أسرار رائعة وآيات بينة حتى تظل حجة الله قائمة ومعجزة رسوله دائمة ؛ ونحن فيما نكتب عنه اليوم لا نحاول أن نترجم له ترجمة تحليلية مفصلة تحيط بنواحى عبقريته وتنفذ إلى أقطار إمامته ؛ فإن ذلك يحتاج إلى مؤلف كبير برأسه نرجو أن نوفق فيه ويعيننا الله عليه ؛ وإنما ننشر بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته صفحة من تاريخه تصور ناحية من فضله وتظهر قبساً من أعماله يفيء جانباً من علمه

نبت شيخنا الجليل ونشأ فى قرية (القلمون) من قرى الشام ؛ ولما قرأ القرآن والخط وقواعد الحساب أدخل معاهد العلم بمدينة (طرابلس) ، وبعد أن أتم الدراسة فيها على ما يجرى عليه نظام التدريس فى هذه المعاهد واستوفى كل العلوم الدينية والأدبية على أكابر شيوخ الدين والأدب فيها هاجر إلى مصر فجاءها فى رجب سنة ١٣١٥ عالماً دارساً . وكان الذى ساقه إلى الهجرة إلى مصر أن آنس فى نفسه أنه يستطيع خدمة دينه وأمته بما أوتى من حدة الفؤاد واستقامة الفكر وما وهب من قوة الإرادة وكمال الاستعداد ، وأن ذلك غير مستطاع فى بلاده إذ كانت يومئذ بين ماضغى الظلم التركى ، قال رحمه الله فى ذلك :

« فعزمت على الاتصال بالسيد جمال الدين لتكميل نفسى بالحكمة والجهاد فى خدمة الملة ، فلما توفاه الله تعالى إليه واشتهر أن السياسة الحميدية هى التى قضت عليه ضاقت علىّ المملكة العثمانية بما رحبت وعزمت على الهجرة إلى مصر لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم ، وكان أعظم ما أرجوه من الاستفادة فى مصر الوقوف على ما استفاده الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة وخطة الإصلاح التى استفادها من صحبة السيد جمال الدين ، وأن أعمل معه وبإرشاده فى هذا الجو الحر »

وقد اتصل بالأستاذ الإمام محمد عبده من أول يوم هبط فيه مصر وكان معه كما قال رحمه الله : « كاللازم والملزوم اللذين لا ينفك أحدهما عن الآخر » يستزيد من علمه ، ويستضىء بحكمته إلى أن صار ترجمان أفكاره والمعبر عن آرائه ، ولم يلبث قليلاً فى حياته الجديدة حتى أخذ نفسه بما جاء من أجله ، فأنشأ مجلة (المنار) وصدر أول عدد منها فى اليوم الثانى والعشرين من شهر شوال سنة ١٣١٥ وقد جعل غرضها الأول :

« الحث على تربية البنات والبنين ، والترغيب فى تحصيل

والشاعر على محمود طه قد تأثر فى قصيدته محنة باريس المنشورة بالرسالة عدد (٣٦٩) بمقال للدكتور طه حسين بك فى الثقافة عنوانه باريس (عدد ٧٧) فالدكتور طه حسين بك يقول : (ليست باريس رقعة من الأرض) ، والشاعر على محمود طه يقول مخاطباً باريس :

لست بنياناً ولا أرضاً ولا غاب آساد ولا جنة غيد

هذه كلمة أحببت أن أذولها بمناسبة كلمتين نشرتا فى الرسالة بعنوانين هما « من عجائب الاجتهاد » و « من عجائب الفهم » . وما أود أن أغمط بها فضل ذى فضل ؛ وإنما هى كلمة حق لعلها تضع حداً لأمور ليس من مصلحة الأدب كتمانها والسلام .

(المنصورة) محمد عبد الغنى حسن

العلوم والفنون ، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم ، والتنشيط على مجاراة الأمم المتمدنة فى الأعمال النافعة ، وطروق أبواب الكسب والاقتصاد ، وشرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التى أفسدت الكثير من عوائدها ، والتعاليم الخادعة التى لبست الغى بالرشاد ، والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل ، حتى صار الجبر توحيداً ، وإنكار الأسباب إيماناً ، وترك الأعمال المفيدة توكلا ، ومعرفة الحقائق كفراً وإلحاداً ، وإيذاء المخالف فى المذاهب ديناً ، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً ، واختبال العقل وسفاهة الرأى ولاية وعرفاناً ، والذلة والمهانة تواضعاً ، والخشوع للظلم والاستسلام للضيم رضى وتسليما ، والتقليد الأعمى لكل متقدم علماً وإيقاناً الخ »

كان الذى يرى إليه شيخنا المحدث الفقيه ويدأب عليه فى عمله هو « الإصلاح الدينى والاجتماعى وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل وموافقته لمصالح البشر فى كل قطر وفى كل عصر »

وكان رأيه الذى لا ينفك يجاهر به من يوم أن أنشأ فيه مجلته أن الدعوة إلى هذا الإصلاح لا تكون إلا « بهداية الكتاب والسنة ، لأنهما مشتملان على كل ما نحتاج إليه لأجل الهداية والنهضة الاجتماعية »

وهذه الطريقة فى الإصلاح هى التى وضع أساسها موقظ الشرق السيد جمال الدين ، وعممها تلميذه الأكبر الأستاذ الإمام محمد عبده رحمهما الله ؛ ثم جاء شيخ الإسلام السيد رشيد فرفع قواعدها وأتم بناءها ، ولولاه لاندك هذا الأساس وغطاه تراب النسيان ...

ولم يكن مادعا إليه شيخنا رحمه الله سهلاً ولا طريقه ميسرة ، وبخاصة فى مثل الزمن الذى ظهرت فيه دعوته ، فقد وجد فى سبيله ما يجده المصلحون فى أممهم من العنت والأذى ، فحورب من نواح متعددة لا يصمد لمثلها إلا كل مصلح قوى ، وشجاع كمى . وقد بيّن رحمه الله تلك النواحى التى عادت المنار فقال :

« عاداه المرتزقون بالخرافات والبدع من أهل الطريق وغيرهم ، وعاداه علماء الجمود ، وعاداه النفوذ الاستعمارى الدولى ، وعاداه دعاة التفرنج والتفرنج الإلحادى » وقبل ذلك عادته الدولة العثمانية من أول ظهوره وآذته فى أهله ببلاده

وكان الذى أثار عليه أعاصير هذه المداوات لتزعزع من أركانه ، وتهدم من بنيانه ، أن كان لا يألو جهداً فى الدعوة إلى حرية الفكر ، والاستقلال فى فهم العلم الذى لا ينال العلم الصحيح بدونه ، وترك التقليد وعدم التقيد بمذهب من المذاهب لأن التقيد بالمذاهب يدعو إلى التعصب لها ؛ والتعصب ، وهو مفض إلى التباغض ، ينافى الوحدة الإسلامية ، ويخالف نصوص القرآن . وكان هو العالم الوحيد بعد عصر الأئمة المجتهدين الذى يجاهر بأنه لا يقلد فى عقائده ولا فى عباداته أحداً من الأئمة ، فكان لا يعبد إلا الله ولا يعبده إلا بما أمر ، وإذا تنازع مع أحد فى شىء لا يرد التنازع إلى أحد من الأئمة والمشايخ وإنما كان يرده إلى الله والرسول أى إلى الكتاب والسنة . ولقد كان أشد الناس عداوة له دجاجلة القبوريين من الشيوخ الرسميين الجامدين ومن يتبع نعيقهم من الإمعات الجاهلين الذين هم بلاء الأمم وأرزاء الشعوب

وإذا كان الكلام عن نواحى الإصلاح التى ضرب فيها شيخنا السيد رشيد متعددة والحديث عنها يحتاج إلى مقالات طويلة ودراسة مستفيضة كما أبنّا من قبل ، فإنا نقصر كلامنا اليوم من ترجمته على ما سعى فى سبيل إصلاح الأزهر وتجديد الدين الإسلامى . وما انتحينا هذا النحو إلا لمناسبة حركة الإصلاح القائمة بهذا المعهد اليوم ، ولأن مجلة الرسالة الغراء قد جعلت تجديد الدين من أهم أغراضها ، وجرت الأقلام بهذا الأمر على صفحاتها لعل فيما نذكره تبصرة للمصلحين ومعيناً للمجددين

ولا يفوتنا أن نذكر أن الذى دعا شيخنا رحمه الله إلى ذلك أن وجد هذا المعهد الكبير لا يدرس فيه الدين وعلومه كما يجب أن تكون الدراسة الحق بل كان « التقصير فى دراسة الإسلام فيه أمر ظاهر » كما بين ذلك أبلغ بيان أديب العربية الكبير « محمد إسعاف النشاشيبى » فى كتابه النفيس الممتع (الإسلام الصحيح)

ولقد كان أول نقد صريح وجهه (المنار) إلى علماء الأزهر الذى صدر فى شهر شعبان سنة ١٣١٦ عن بدعة احتفالهم بمولد

الإمام الشافعي الذي يسمونه (الكنسة) إذ كانوا يكنسون قبة الضريح ويقسمون كناستها بينهم للتبرك بها ويكون نصيب كل واحد منهم في هذه الكناسة بمقدار درجته العلمية ، وكذلك كانوا ينقلون العمامة التي على المقام من رأس عالم إلى رأس آخر ليستزيدوا من البركات ويستكثروا من النفحات . ورحم الله شيخنا المحدث اللغوي الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطي فقد سحت قريحته بقصيدة رائعة في هاتين المبادتين الوثنيتين اللتين يقترفهما علماؤنا مصابيح الظلام ، وأئمة الهدى الأعلام ؛ ولو كان المجال ذا سعة لأوردنا هنا هذه القصيدة العصماء ، ليعجب القراء بها ، ويتندروا بما جاء فيها

وكان أول انتقاد على علماء الأزهر أن أحد أعضاء مجلس إدارة الأزهر وهو الشيخ أحمد الرفاعي كان يجادل يوماً الأستاذ الإمام محمد عبده في أمر علم السنة وتعليمها ، فكان مما قال هذا الشيخ : « إن علم السنة لا حاجة إليه ، ولا يجوز لمسلم أن يأخذ بالحديث ، بل (الواجب) الأخذ بكلام الفقهاء ، ومن يترك فقهاء مذهبه للأخذ بحديث يخالف فهو زنديق » !

ثم أخذ المنار يبين لشيوخ الدين أنهم أبعد الناس عن معرفة فن التعليم ، وأنهم لا يقرنون العلم بالعمل ، وكان يحثهم دائماً على العناية بعلم الأخلاق . ولما وجدهم يصدون عن تعليم العلوم الرياضية والطبيعية ، وأن كبارهم يفتون بأن هذه العلوم لا لزوم لها ، صاح فيهم : « إن الإصلاح الإسلامي يتوقف قبل كل شيء على إقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوة لازمة لا مندوحة عنها ، ويجب أن تعلم مع الدين »

ومما عابه عليهم وآخذهم به أنهم يشاركون العامة في الخرافات والبدع ولا يكتفون بذلك بل يدعون الناس إليها ويحضونهم عليها بما جعلنا ضحكة بين الأمم وسخرية بين الشعوب، ولأن هذه الكلمة لا تحتمل تفصيل القول في جهوده لهذا الإصلاح فإنا نأتي بها مجملة وهي :

١ — استقلال الفكر وحرية العقل في العلم واجتناب تقليد العلماء والكتب فيه

٢ — إبطال البدع والخرافات ، والتقاليد والعادات التي أفسدت العقائد والأخلاق والأعمال وروّجت في المسلمين أسواق الدجل والخرافات ... ولا سيما بدع الموالد وعبادة القبور والمشاهد، وأكبر مفاسدها اشتراك علماء الأزهر فيها وسكوت غير المشتركين فيها عن إنكارها فكانوا بذلك قدوة سيئة للعوام ، وفتنة منفرة للمتعلمين عن الإسلام ، وحجة للكافرين على المسلمين

٣ — الرجوع إلى هداية القرآن العليا وهدى السنة النبوية المثلى في تصحيح العقائد وتزكية الأنفس وتهذيب الأخلاق ، والاتباع المحض في العبادات على منهاج السلف الصالح وهو يتوقف على إحياء علوم التفسير والسنة وآثار السلف

٤ — إصلاح نظام التربية والتعليم والتصنيف بالأساليب العصرية

٥ — إدخال علوم البشر في الجامع الأزهر ومعاهد التعليم التابعة له

٦ — اتباع سنة التخصص (أو الإخصاء) في العلوم والفنون

٧ — إعادة ثقة الأمة بالعلماء إلى ما كانت عليه في عصور الإسلام الحية

٨ — الدفاع عن الإسلام بالرد على الملاحدة ودعاة النصرانية ودحض شبهاتهم

٩ — الوعظ والإرشاد العام للمسلمين

١٠ — الدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب بعد الاستعداد لها

هذه هي خلاصة جهاده رحمه الله في سبيل إصلاح الأزهر وإذا كان رحمه الله قد ذكر في آخر حياته أن كليات الأزهر قد اقتنعت بأكثر ما دعا إليه وأنها ستأخذ به كله واطمأن بذلك فإنا إن شاء الله لمطمئنون كذلك بأن الأزهر سيبلغ المنزلة التي يستأهلها في العالم كله على مد أقطاره ما دام الذي يقبض على زمامه اليوم هو الإمام المراغي وما دام شبابه من حوله يؤيدونه ويتبعون سبيله

وإلى هنا نقف في القول في ترجمة شيخنا المحدث الفقيه السيد محمد رشيد رضا، ولكيلا يرمينا أحد بالغلو فيما تحدثنا به عنه نطرز ما قلنا بعبارة رائعة في وصفه للأستاذ الأكبر شيخ الجامع

الأزهر، ذلك الإمام الجليل الموصوف بسعة العلم وبعد النظر ودقة التعبير، يجعلها مسك الختام

قال حفظه الله فى خطاب بليغ ألقاه فى حفلة تأبينه :

« كان فقيد الإسلام السيد محمد رشيد رضا محيطاً بعلوم القرآن ، وقد رزقه الله عقلاً راجحاً فى فهمه ، ومعرفة أسراره وحكمه ، وواسع الاطلاع على السنة وأقضية الصحابة وآراء العلماء عارفاً بأحوال المسلمين فى الأقطار الإسلامية ، ملماً بما فى العالم من بحوث جديدة ، وبما يحدث من المعارك بين العلماء وأهل الأديان ؛ فهو ممن أوتي الحكمة ورزق الخير الكثير

وقد كان - بلا شبهة - أكبر المدافعين عن قواعد الإسلام وأشدهم غيرة عليها ، فنى فى خدمة دينه وجاهد فى الله حق جهاده وأوذى فى سبيل مبادئه وصبر وصابر إلى أن توفى رحمة الله عليه

كان مبدؤه مبدأ جميع علماء السلف: التحاكم إلى الله ورسوله عملاً بقوله تعالى (فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول)

وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف أيضاً : تخير الأحكام المناسبة للزمن والنافعة للأمم فى مواضع الاجتهاد

وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف فى كل ما يتعلق بذات الإله سبحانه وصفاته ، وكل ما يتعلق باليوم الآخر ؛ فهو رجل سنى سلفى يكره التقليد وينادى بالاجتهاد ويراه فرضاً على نفسه وعلى كل من قدر عليه

من الحق أن نعد السيد رشيد من المجددين ، وأن نعده من المجاهدين فى إحياء السنة ، ومن الحق أن نعتبر بما كان للسيد رشيد من أناة وصبر فى البحث والقراءة ، والتأليف والفتوى والمناظرة ؛ ومن الحق أن نذكر أن هذه الأعمال الصالحة قام بها احتساباً وأداها فى سبيل الله

فرحمة الله على السيد رشيد وجزاه الله فى الإسلام أحسن ما يجازى به رجل وهب حياته للعلم والدين » . ونحن نكرر طلب الرحمة والرضوان من الله تعالى عليه ، إنه سميع الدعاء .

(المنصورة) محمود أبو رية



ما أشبه الحال هناك بالحال هنا !

الرجوع إلى القرية

للأستاذ بشارة الخورى

أبنى أبينا طال نومكمُ تشقى النفوس وينعم البدن
لا الحقل يبسم عن معاولكم فيه ولا تترنم المهن
ذوت الرياض ومأوكم عَمَمٌ وتعطلت من حَلبها القنن
وخوت زرائبكم وكان على جنباتها يتدفق اللبن
محرائكم صدئ الحديد به والفأس ملء عيونها الوسن
عودوا إلى تلك القرى فلقد ساختكم عن قلبها المدن
الذكريات على مقادمها الأم والأخوات والسكن
قبل الطفولة فى ترائبها ليت الحياة لبعضها ثمن
تحت الدوالى ملعب بهج عند الظهيرة والربى وُكن
فدت العيونُ النجل أجمعها عيناً تدفق ماؤها الهتن
تأوى الطيور إلى أظلتها ويظل يلثم كفها الغصُن
تَرِد الصبايا بالجرار وقد عادت على أكتافها المُزُن
تلك المبوءات التى عمرت بشبولها الأجمات والمُرُن
لبنان لبنان الحبيب خوى لا البيت لا البستان لا العطن
خلت المرابط من سوابقها وتثاءبت بحبالها الأُنُن
الجانيان القاسيان على (شيخ الربى) بيروت والسفن
قالوا السياسة قلت هل نبتت إلا على لهواتها المحن
قالوا الوظائف قلت هل نحرت إلا بها الأخلاق والفطن
قالوا المدارس قلت ثابتة خضراء إلا أنها دمن
أين الألوف من الشباب وما قبسوه من علم وما خزنوا
ماتوا بعلمهم فما طبخوا منه ولا طحنوا ولا عجنوا
الأرض أطهر والحارث من عيش على أدرانه الدرن
عودوا إلى تلك القرى فعلى بسماتها يتمرغ الحزَن
لبنان ما فعل الزمان بنا سله أما لحروبه هدن
يغدو عليه بأوجهٍ كلحت فتى ينوّر وجهك الحسن

يا حبيبى . . . !

للأستاذ أنور خليل

لم تزلْ فى لُجةِ الغيبِ خيالاً يتدفَّق
لم تزلْ حُلماً على مهدِ شبابى يترقْرق
لم تزلْ فى جانبِ الأفقِ سراباً يترقرَق
فمتى فجرُك ينسابُ وحلمى يتحقَّق ؟
من وراء الغيبِ ناديتُكَ : أقبلْ وتألَّق !

***

يا حبيبى أنتَ فى روحى وقلبى ودمائى
أنتَ أنشودةُ أشواقى ودنيا كبريائى
أنتَ نايٌ أبديُّ الشدوِ سحريُّ الغناء
نفحةٌ أنتَ من اللـهِ ومن عطرِ السماء
يا حبيبى ! كم أناديكَ فهل يجدى ندائى ؟

***

صورةٌ منكَ تناجينى على طول الليالى
ومُحيَّا رائعُ الفتنةِ وَضَّاء الجمالِ
يا حبيبى قد تَمَثَّلتُكَ لكن فى الخيالِ
ليتنى ألقاكَ فى الأرضِ على أبهى مِثالِ !
ليتنى ... أوّهُ لا ... بل إننى أخشى انخذالى !

***

أنا فى أمواج حِرمانى ، وأشجانى غَريقُ
فى حياةٍ لم يُهَوِّنها خليلٌ أو رفيق
أنا فى دنيَا بها الشرّ سلطانٌ عريق
وبنو الدنيا قطيعٌ لِهُوَى الموتِ مَسوق
ضَلَّ راعيهِ وغامَ الأفقُ والتاثَ الطريقُ !

***

يا حبيبى قيلَ عنّى : بالخيالاتِ غنائى . . .
صدَقوا إذ لستُ بدعًا بينَ رهطِ الشعراء

كلنا نَهتِفُ بالُحبِّ   ونشـدو بالإخَـاء
قد بعثنـاها مَزامِيـ   ـرَ سلامٍ وصَفاءٍ . . .
لهَفتا !! ضاعَ صَداها   فى ضجيج وازدراء !

* * *

يا حبيبى آهِ لو أا   تاكَ إنساناً سَـوِيًّا !
تتخطَّى حُجُبَ الغيـ   ـبِ وتَنْصَبُّ عليًّا . . .
فأرى فيكَ الأمانى   والنعيـمَ الأبديَّا
وَحَيـاتى تكتسى منـ   ـكَ جمالا عبقـريًّا
. . . .
يا حبيبى آهِ لو أا   تاكَ إنساناً سَوِيًّا !

الجنـــدى المجهول

« المدرس »

للأستاذ على شرف الدين

صَلَى حرَّهَا وَالموْتُ يَقظَانُ جَاثِمُ   وَخَاضَ رَحَاهَا وَالْمَنَايَا حَوَائمُ
وَكَمْ رَكزَ الراياتِ فى رأسِ شامخٍ   مِنَ المجدِ لم تَنْهَضْ إليْهِ القَشاعِمِ
وَسَجَّلَ مِنْ خُضْرِ الفُتُوحِ لِسَانُهُ   بما قصَّرتْ عَنْهُ السُّيوفُ الصَّوارِمِ
بَرَاعَتُهُ فِيها سِنَانٌ قَنَاتِهِ   وَأَسْفَارُهُ الغُرُّ الجِيادُ الكَرَائم
وكم فَكَّ عَنْ أعنَاقِ جيلٍ مَذَلَّةً   وَحَرَّرَ شَعْبًا أَرْهَقَتْهُ المظَالم
فلمَّا أفاءَ اللهُ ضَنُّوا بحظِّهِ   وَلَوَّوْا رُءوسًا أشرَعَتْها الأرَاقِمِ
يقُومُ عَلَى أَكتَافِهِ النَّصْرُ باهِرًا   وتُخطِئُهُ أسلَابُها والغَنَائم
وَيمضِى بِحِمْلِ الطَّوْدِ فِى كلِّ أمَّةٍ   وَمَا أحَدٌ مِمَّا يُعَانِيهِ رَاحِمِ
وَيَهْدِمُ مِنْ أعصَابِهِ لِبنَائِها   فتَسْمُو بِه أَرْكَانُهَا وَالدَّعَائِم
وَيَدْفَعُ عَنْ أكبادِهَا جَهْدَ نَفْسِهِ   كما دَافعَتْ دُونَ العَرِينِ الضَّراغِمِ
وَيُنْشِى لَهَا الجيلَ الأَغَرَّ جَبِينُهُ   عَلَى مِثْلِهِ فى الدَّهْرِ تُبْنَى العَظَائم

* * *

فَتَى أنشَأَ الأجيَالَ غَيْرَ مُدَافَعٍ   وفى كلِّ شَعْبٍ فَضْلُهُ لا يُزَاحَم
تَسِيرُ بِهِ الأَيَّامُ تَزْنِى لِحَظِّهِ   وَتَنْدُبُهُ فى شَجْوِهِنَّ الحمَائِم
يُسَاقُ إلى الإرْهَاقِ والسَّوْطُ خلفَهُ   وَيحْمِلُ مُرَّ العَسْفِ والأَنْفُ رَاغِم
إذَا ما بكى كَفَّ الوعِيدُ بُكاءَهُ   وَإِمَّا شكا شُدَّتْ بفِيهِ الشَّكائم
جِهادٌ وَلاَ مجْدٌ وَسَعْىٌ كما سَعَى   إلى الماءِ مَخْدُوعٌ بصَحْرَاءَ هَائم
ولَوْ أنَّ عدلاً يَشمَلُ الأرضَ ظِلُّهُ   لَمَا باتَ مَظلومٌ عليهَا وظالِمِ

* * *

حَلَفْتُ لأطْوِى عَهْدَهَا غيرَ نَادِمٍ   فما تَرْكُها فيهِ تَعَضُّ الأبَاهِمُ
وَأخلعُها خَطْمًا لِأَنْفِى وَمِقْوَدًا   فلاَ يَقبَلُ الأرْسَانَ إلا البَهَائم
تَعَالَى شَبَابِي أَنْ يُرَاضَ إبَاؤُهُ   عَلَى شِرْعَةٍ فيها تُصَكُّ اللَّهَازِمُ
وَ إنَّا وَإنْ لَمْ تَكتَنِفنَا نَبَاهَةٌ   أتَشغَلُ بُرْدَيْنَا الملوكُ الخضَارِمِ

* * *

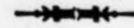
فَيَا أيُّهَا المَغْبُونُ والعَدْلُ شَامِلٌ   وَيَا أيُّهَا المَحْرُومُ والخَيْرُ زَاحِم
وَمَنْ بَاتَ يُخْفِى فى حَنَايَاهُ صَارِخًا   مِنَ اليأسِ تَطْوِى بِه الحَشَا والحيَازِم
أيَادِيكَ بِيضٌ يَبْهَرُ الشَّمْسَ نورُهَا   وَحَظُّكَ مُسْوَدُّ الجوَانِبِ قَاتِم
وتَشْقَى بِعَيْشٍ ضَيِّقُ الكَفِّ مُجْدِبٍ   وَغَيْرُكَ مُخْضَرُّ العطِيَّةِ نَاعِم
وَتَبذُلُ مِنْ نُورِ العُيُونِ مُسَهَّدًا   وَغَيْرُكَ مِلْءَ الجفنِ وَسْنَانَ نائم
وَمَا فَائزٌ إلاَّ المَغصُوبُ لِحَقِّهِ   وَمَا خَائِبٌ إلاَّ الوَدِيعُ المسَالم
وَمَا شَجَنِى أنْ كَانَ حَظُّكَ تَافِهًا   فما كلُّ شَىْءٍ فى الحياةِ الدَّرَاهِم
وَلَكِنْ عُقُوقٌ وَاضطهادٌ حَمَلْتَه   وَإنكَارُ مَجْهُودٍ وَبُؤسٌ مُلازِمُ



زكريات:

لن أنسى ...

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



لست أدرى ما الذى ذكرنى الآن بهذا الموقف لشارلى شابلن فى رواية البحث عن الذهب تضرب المحبوبة لشارلى موعداً، فيمد العدة له ويزين البيت له بالزهر والورق الملون، ويهيء مائدة يقدم عليها كل ما يمكن أن يقدمه عاشق فقير مثله لمحبوبة صغيرة مثلها، فى صحراء ألاسكا التى أرضها ثلج وسماؤها ثلج وهواؤها ثلج

ولم يكن شارلى يشك مقدار ذرة من الشك فى أن محبوبته موافيته راغبة مشوقة كما أنه انتظرها راغباً مشوقاً ، ولكن ميعادها أزف ، ثم فات ، ثم بعد ، فيئس شارلى ، فاعترته لوثة ، فأخذ يقفز فى الحجرة ويرقص كما يرقص الطير المذبوح ، ولكنه مع هذا كانت تصدر منه حركات تضحك إلى جانب ما تثير فى النفس من الوجع

والذى لا أنساه هو أنى كنت وأنا أشاهد شارلى فى هذا الموقف أضحك وأبكى معاً

وليس هذا الموقف وحده هو الذى استطاع شارلى فيه أن يخبلنى هذه الخبلة ، وأن يوقظ فى نفسى ما لا يتفق بعضه مع بعض من الإحساسات والعواطف ، وإنما كان له موقف آخر يشبهه فى رواية أنوار المدينة ، فقد كان اعتاد أن يمين صغيرة فقيرة ضريرة تبيع الورد ، بأن يشترى منها فى كل حين زهرة ، وما كان شارلى يحصل على ثمن الزهرة إلا عفواً ، أو بعد عسر يطول ، ومحرجات تتراكم بعضها فوق بعض ، وما كان شارلى يقنع بأن يشترى الزهرة من هذه الفقيرة بالثمن الذى يدفع الناس مثله ، وإنما كان قد عوّد صغيرته على أن تأخذ من يده التى عرفتها نفحة تسد الكثير من حاجتها ...

وفى مرة من هذه المرات التى كان شارلى يطير فيها إلى صغيرته طيراناً ليضع فى يدها ما رزقه الله ليأخذ الزهرة — وقعت له واقعة من هذه الوقائع التى تتوالى عليه ، فأبكانى أيضاً عندئذ وأضحكنى ...

وبهذين الموقفين آمنت بأن شارلى شابلن هو أعظم الفنانين فى الأرض ، ولا أقول أعظم الممثلين فقط ، وإنى أعتقد أنه قد شاهد بنفسه موقفه الأول فى « البحث عن الذهب » ثم درسه ثم استخرج منه موقفه الثانى فى « أنوار المدينة » فدبره تدبيراً ونسجه نسجاً ، ثم حققه تحقيقاً نجح فيه إلى أقصى حدود النجاح ...

وشارلى شابلن يمتاز باطلاعه على أسرار النفوس وتمكنه من قوانينها . فهو يضع مواقفه التمثيلية ويعرف ما سيفعله كل منها فى نفوس النظارة لا تفوته فى ذلك فائتة ، وإذا كانت عبقريته هى التى تساعده فى غربلة رواياته وتنقيتها من المواقف الباردة المتكلفة وإذا كانت هى التى تهيئ له كمال الدقة فى تصوير النزعات الإنسانية وحركات العقل الإنسانى فى المواقف المختلفة تصويراً يكون مؤلماً أحياناً ويكون مضحكا فى أغلب الأحايين ، وإن كان هذا لا يبرئها من معانى الألم والشقاء ... إذا كانت عبقريته هى التى تهيئ له هذا الكمال وهذه الدقة فى تصوير كل عاطفة وكل نزعة وكل حركة من حركات العقل ... فأى شىء هو الذى يمكنه من أن يصل إلى الكمال والدقة فى خلط العواطف المتناقضة بعضها ببعض حتى ليخلط فى نفوس الناس البكاء بالضحك فإذا بهم يجنون وهم يشاهدونه

أعبقرية هذه هى أيضاً ؟

كلا . وإنما هو الجنون . فشارلى شابلن لا بد أن يكون قد جن فى حالة من حالات حياته جنوناً ربما لم يكن استغرق

إلا مقـدار ومضة من ومضات الروح تشمت فيها نفس شارلى من ناحيتين متضادتين ، فاختبل ، إذ أحب وكره فى آن واحد ، وإذ غضب ورضى فى آن واحد ، وإذ أحسن وأساء فى آن واحد ، وإذ حزن وفرح ، وإذ تقدم وتأخر ، وإذ شبع وجاع ، وإذ ثار وهو مهد ...

وأمثال هـذه المواقف والأحوال لا تحدث للناس عامة وإنما هى تحدث للأرهف منهم حساً ، وللأذكى منهم عقلاً ، ولأشدهم انطلاقاً نحو الحق . وحتى هؤلاء فإنه لا يحدث لهم هذا إلا قليلاً . ولو أنه كثر عليهم أو أطال بهم لفقدوا توازنهم ولاختلط عليهم أمرهم ، ولاختل تكييفهم لأنفسهم بحسب الظروف العارضة لهم ، ولقعد الجنون بهم عن تذليل المواقف المسرة التى تمترض حياتهم كما يقعد بهم عن الاستمتاع بالمواقف الحلوة التى تتفق لهم .

ويظهر أن هذين الموقفين أغريا نجيب الريحانى بأن يكون له موقف يشبههما . فقد عرض فى رواية « حكم قراقوش » نفسه وهو محكوم عليه بالإعدام ، ووقت التنفيذ لم يبق عليه إلا دقائق فهو مشفق على نفسه جزع من الموت ، ولكنه مع هذا يضطر إلى أن يدافع عن نفسه بسرد حقائق مضحكة يعرف النظارة أنها لفقت على هذا المسكين تلفيقاً ، وأنه كان يجب عليه أن يدرك هذا من قبل أن تفوت عليه فرصة النجاة

بهذا الموقف أراد الريحانى أن يضحك الجمهور وأن يبكيه فى آن واحد ، ولكن الذى حدث هو أن الجمهور كان يضحك فقط ، ولم يبك منه أحد . ففات على الريحانى بهذا مأربه الفنى السامى الذى كان ينشده ، ولست أظن الريحانى كان عاجزاً عن الوصول إلى ما وصل إليه شارلى، فإن فيه من صفاء النفس وذكاء العقل وطواعية الروح ما يستطيع أن يحقق به كل الذى يحققه شارلى شابلن ، أو أغلبه على الأقل ؛ وإنى أعتقد أن الريحانى فشل فى إدراك هذه الغاية البعيدة لأنه لم يوفق إلى التمهيد الكيس الذى كان يجب عليه أن يأخذ به نفوس النظارة قبل أن يعرض عليهم هذا الموقف ، فالذى أذكره هو أن هـذا الموقف قد جاء فى « حكم قراقوش » عقب موقف آخر كان النظارة فيه منطلقين ضحكا ومعربدين مرحاً ، فلم يكن من السهل بعد ذلك أن ينقلوا من هذا الضحك وهذا المرح ليستقبلوا هذا الموقف المعقد المؤلم المضحك فى آنٍ واحد

وعندى أن الريحانى لو أنه نثر فى المواقف السابقة لهذا الموقف بعض المؤلمات المتميزة الواضحة ليتخذ منها بعد ذلك قواعد يقيم عليها أعمدة الألم فى الموقف المعقد الذى قصد إلى إبرازه ... أقول لو أن الريحانى فعل هذا ، فإنه كان من غير شك يصل إلى ما وصل إليه شارلى ، ولو فى بعض الليالى التى يمثل فيها « حكم قراقوش » إن لم يكن فيها كلها ، فالواقع أن موقفاً معقداً كهذا يرتاح ممثل السينما بعد تسجيله ، ويشقى ممثل المسرح كل ليلة فى تحقيقه ، وهو دائماً معرض للفشل فيه كما أنه معرض للنجاح . . .

ثم إن الكلام نفسه فى هذه المواقف مما يدعو إلى تبريدها وتخفيف حدتها والتهوين من عنفها ، ولاريب فى أن صمت شارلى هو الذى ساعده على النجاح فى هذين الموقفين ، كما أن ثرثرة الريحانى فى موقف قراقوش هى التى عطلته

ذلك لأنه ليس من السهل أن يهتدى الكاتب أو المؤلف إلى كلمة مجنونة يعبر بها عن حالة مجنونة فيها الألم والراحة معاً إلا أن يكون ذلك الكاتب مجنوناً ، أو يكون قد جن فى حالة من الأحوال ، وروايات الريحانى يكتبها اثنان : الريحانى نفسه وهو يكتفى برسم معانيها لأنه أميل إلى الصمت والتعبير بإطلاق الحس كما يفعل شارلى شابلن . . . ويعاونه الأستاذ بديع خيرى وهو الذى يصوغ الكلام له ، وهو رجل عاقل جداً لا أظنه جن يوماً حتى يستطيع أن يؤدى مع الكلام وثقله ما يريد الريحانى أن يؤديه على نحو الذى أداه شارلى بالصمت

على أنى لم أيأس من أن تتاح للأستاذين المصريين فرصة قريبة فى رواية قريبة يقدمان فيها مثل هـذه الدرة الفنية العاتية الجبارة ، فأنا أعرفهما يهيمان بكل ما هو عات من الفن جبار

***

وما دمت فى معرض الذكريات فإنى أسجل مع التقدير ليوسف وهبي دوره فى كرسى الاعتراف ، فقد كان عليه فى هذا الدور أن يتصنع الجنون ، وكان أشق ما عليه هو أن يوحى إلى النظارة أنه يتصنع الجنون من غير أن يكون فى هذا الوحى شىء يصح أن يقول فيه أحد إنه كان من الممكن أن يلتفت إليه بطل من أبطال الرواية أو بطلة من بطلاتها

وما كان يوسف وهبي إلا لينجح فى مثل هذه الرحلة المعقدة من هذا الدور ، فهو أقدر ما يكون على الأدوار المعقدة لا الأدوار السهلة . . .

وذلك لأنه فى حياته الخاصة لا يحب أن يترك نفسه على سجيته ، لكثرة ما لاقى من متاعب فى حياته ، ولكثرة ما تعرض لأذى الناس وهجماتهم ، فهو دائماً منكمش فيما بينه وبين نفسه ، مطل على كل إنسان بناحية يعتقد يوسف أنها هى الصالحة لمواجهة هذا الإنسان ، وهو بهذا يمثل دائماً ، فإذا كان له دور سهل يراد منه فيه أن ينطلق على سجيته لم يجد سجيته ، فهو مضطر بعد ذلك إلى أن يبحث عن سجية ما يتظاهر بها ، وعندئذ ينكشف يوسف وهبي للعين النافذة ويظهر كأنه ممثل ضعيف ، بينما هو حين يتقمص الأدوار المعقدة التى يعجز عنها كثير من فحول الممثلين ينطلق فيها متدفقاً كأنما يوحى إليه وحى ، وكأنما يلهم التمثيل إلهاماً .

والذين شاهدوه فى أدواره الأولى التى ظهرت بها فرقة رمسيس أول ما ظهرت لا يستطيعون إلا أن يشهدوا له بأنه ممثل مجيد ممتاز ، وإذا كان النقاد فى ذلك الحين قد اتهموه بالتهويش فإن هذا « التهويش » لم يكن مطلقاً إلا مبالغة فنية مقبولة استساغها الجمهور وأقبل عليها إقبالاً شديداً

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأسأل يوسف وهبي عن هذه الأدوار لماذا تركها ؟

يخيل إلىّ أن الجواب عندى . وهو أن هذه الأدوار ورواياتها تحتاج إلى تشجيع ورعاية ، وأن الحكومة قد خصت بتشجيعها ورعايتها للفرقة القومية وهى مجموعة الممثلين الذين تتلمذوا على يوسف وهبي ، أو عاونوه الزمن الطويل . . .

***

وهذه حالة عجيبة لم تكن تحدث إلا فى مصر . فلم يكن معقولاً أن تأخذ الحكومة فرقة من صاحبها ثم تتركه فى الميدان يعتمد على الهواة والممثلين المبتدئين ، ثم تتركه بعد ذلك من غير تشجيع مادى يعوض عليه ما بذله فى تدريب فرقته التى أخذت منه .

عزيز أحمد فهمى



الحياة على الكواكب

للدكتور محمد محمود غالى

من طرق التفكير الحديث — أهل المريخ وهندسة إقليدس — حساب الاحتمال والحياة على غير الأرض — سكان الأرض وجرام الراديوم — العثور على شيء يشمل العثور على غيره — من الفيزيقا إلى النجموفيزيقا — ومن الاحتمال إلى التحتيم

لا يعتقدن القارئ وهو يطالع عنوان هذا المقال أننا نخرج بكتاباتنا من الفيزيقا Physique إلى الميتافيزيقا Métaphysique، فليس هـذا الذى قد يتبادر إلى ذهنه بصحيح ، فإن ما نكتب لا يمكن أن يخرج عما تعلمناه أو تأثرنا به ، وعلاجنا لما يَعِنّ لنا من مسائل يستند إلى العلم التجريبي الذى لا يعتمد إلا على التجارب العلمية التى يستطيع أن يقوم بها الإنسان ، أو العلم النظرى الصحيح الذى يقبله المنطق السليم ، والذى يتفق والعلم التجريبي أو يقترب منه . فإذا أراد أن يُقنعنا باحث بوجود إنسان مماثل لنا فى القمر ، فإننا نميل إلى مطالبته بأن يرينا فى المنظار الفلكى أثراً من عمل هذا المخلوق القمرى مادام قد فرض أنه مماثل لنا ، كنشأة له مثلاً ، وإننا نميل إلى ذلك ما دمنا نعرف أن منظارنا الفلكى بالغ حداً من الإتقان يمكن معه أن نرى المنشآت التى من حجم الجامع الأقصى فى القدس أو الرفاعى فى القاهرة . وإذا أراد باحث آخر أن يقنعنا أن هذه المنشأة التى تصادف أن رأيناها هى صدفة من عمل الطبيعة ، وأن القمر ، وهو يتقلص تحت عامل البرودة خلال الملايين من السنين التى يبرد فيها ، تكيف على سطحه ذلك الشكل الذى يختلط فى المنظار بإحدى منشآتنا ، وأضاف هـذا الباحث أمراً جديداً يدل عليه التحليل الطيفى الذى يثبت خلو أجواء القمر من الهواء ومن الأكسيجين مثلاً ، هذا الخلو الذى يقوم دليلاً على عدم إمكان وجود مخلوق شبيه بنا على سطحه ، فإن هذا دليل عندنا يرجح الرأى الثانى .

بهذا الروح نتعرض لمثل هـذا الموضوع الخاص بمناقشة وجود الحياة على الكواكب ، فليس من عملنا أن نشغل صحيفة العلم بغير العلم ؛ والعلم عندنا هو البحث عن الحقائق بالطرق العلمية . ومع ذلك فإننا نسخر من هؤلاء الذين فكروا فى التعرف على أهل المريخ بأن يرسموا فى إحدى صحراواتنا بالحب وبالحجم الكبير البرهان على نظرية فيثاغورث المعروفة التى يبرهنون فيها على أن مساحة المربع المقام على وتر المثلث القائم الزاوية تساوى مجموع مساحتى المربعين المقامين على ضلعيه ، بحيث إذا أبصروا بالمنظار الفلكى وبعد فترة كافية ، على سطح المريخ الرسم ذاته ، كان ذلك برهاناً على أن المريخ مسكون بمخلوقات شبيهة بنا على الأقل فى صفة الذكاء ، مخلوقات تدرجت بدورها فى العلم فعرفت هى أيضاً هندسة إقليدس

إنما نسخر من مثل هذه الوسيلة القاسية ، فقـد يكون هناك مريخيون ، ولكنهم لم يتجهوا فى فهم الكون اتجاهنا ، ولم يفكروا فيه على طريقتنا ، مما قد يجعل فلسفتهم فى الحياة لا تتسق مع فلسفتنا ، وأغراضهم لا تمت بأية صلة إلى أغراضنا

إنما نذهب فى افتراض وجود هؤلاء أو غيرهم مذاهب أخرى متأثرين فى ذلك بما يفرضه « حساب الاحتمال » Calcul de Probabilité من إمكان وجود مخلوقات غيرنا ، وليس عدم وجود أهل للمريخ ، إذا قام يوماً برهان على ذلك ، بدليل عندنا على عدم وجود أجناس حية أخرى فى مجموع الكون ، وما المريخ فيه إلا حبة رمل من رمال الصحراوات العديدة ؛ إنما تستمد عقيدتنا فى وجود الحياة على غير الأرض قوتها من وجودنا وغرابة أمرنا ثم من حساب الاحتمال السالف الذكر ، وهو رياضة لا يدل اسمها على ما تعنيه اليوم ولا على ما تقوم به للعلم من خدمات ، رياضة يتحتم بواسطتها وقوع مسائل معينة إذا توافرت اشتراطات معينة ، ومع ذلك فلسنا فى حاجة هنا إلى استعراض علم من أهم العلوم الحديثة ، وكل ما نرغب فيه أن يدرك القارئ أننا نقصد من الاحتمال التعيين ؛ وإننا لنستعين فى ذلك بمثال سبق أن تقدمنا به فى مناسبة أخرى ، عند ما ذكرنا للقارئ أنه يتحتم أن يموت من أهل القاهرة فى كل أسـبوع عدد يتراوح بين الخمسمائة والألف مثلاً . هذا حساب محتمل من أرصاد ماضية وطويلة

يصبح حساباً حتمياً للشهر الذى نعيش فيه . إن حياتنا ومايكتنفها من غموض ، وعظمة الكون واتساعه وعدم استقراره ، ووجود الكواكب العديدة، لا حول شمسنا فحسب بل حول ملايين غيرها من الشموس ، ووجود جميع الأقدار فى المسافات ، ثم اتساع نطاق العلم فى معرفة خواص الكون ودرجة انتشاره وعظم مسافاته وطول زمنه ومعرفة قوة شموسه وكثرتها ، والوقوف على حقارة أرضنا التى نلعب فيها دوراً غير ملحوظ ، دوراً لا يُؤثر فى هذه المجموعة الكبيرة التى تحيط بنا ، كل هذا يجعل وجود الحياة على النحو الذى ألفناه أو على نحو آخر فى أماكن أخرى فى غياهب الكون المنتشر — من الأمور الحتمية لا من المسائل الاحتمالية

* * *

وأود لو أطمئن إلى أن القارئ قد أدرك غايتنا على النحو الذى قصدناه ، ففهم كيف يصبح الاحتمال أمراً حتمياً إذا لم نتعمد الوصول به إلى تعيين دقيق فى الموضوع الذى يتناوله الاحتمال ؛ ونعيد القول بأننا نستطيع أن نعرف العدد التقريبى لمن سيقضون نحبهم من سكان القاهرة فى شهر سبتمبر القادم بمقارنته بشهور سبتمبر من السنين الماضية ، وذلك بعمل امتداد رياضى لهذه المسألة البسيطة Extrapolation ، ولكننا لا نستطيع أن نكتب لوحة عليها أسماء الذين سيموتون . ومهما يكن من الأسباب فإنه من المحال أن يمر شهر سبتمبر القادم ولا يحدث فى القاهرة هذا العدد المحتمل من الوفيات

كذلك لو وضعنا جراماً من الراديوم فى صندوق متروك فى المعمل، فإننا على ثقة بأنه ستخرج منه، بالتفتت الذرى والإشعاع الذاتى، آلاف معينة من ملايين الحُبَيبات الراديومية فى كل ثانية تمر من الزمن ، وإننا على ثقة بتناقص هذا الجرام إلى نصف وزنه بعد مرور ألف وخمسمائة سنة ، كما أننا نستطيع أن نُعيِّن مقدار ما يخرج يومياً من هذه الوحدات التى لا تعود بحال إلى جسمها الأصلى ، ونعرف كيف يتغير هذا المقدار بعد ذلك العهد الطويل وبعد أن يكون قد فقد نصف وزنه أى نصف سكانه ، ولكننا لا نستطيع أن نُعيِّن بالذات الوحدات التى شاء لها القدر أن تخرج اليوم من بين بلايين الوحدات التى يحتويها هذا الجرام

هذا الجرام من المادة المشعة يشبه فى الواقع الألفى المليون نسمة الذين يسكنون الأرض . إننا واثقون بأن نصفهم سينقرض بعد نصف قرن مثلاً ، ولكننا لا نستطيع أن نعين أسماء هؤلاء الذين يشاء لهم القدر أن ينقرضوا فى النصف الأول من هذه الحقبة . كذلك الكون ، كل شيء يدل على ضرورة وجود الحياة فى بعض أنحائه المترامية ، ولكننا لا نستطيع أن نعين الأمكنة أو الكواكب بالذات التى عليها هذه الحياة

وعندى أن الذين يريدون أن ينكروا وجود الحياة بأية صورة فى الكون المنتشر ، الكون الذى عرّفناه للقارئ وفق « أينشتاين » (Einstein) ووفق «دى ستير» (De Sitter) ، الكون الذى له شكل كرة زائدة (Hypesphère) ذات حدود مختلفة فى المكان والزمان ، الكون الذى يكبر وينتفخ يوماً بعد يوم[1] — لا يختلفون عن هؤلاء الذين يحاولون إقناعنا بمرور شهر سبتمبر القادم دون حدوث وفاة شخص واحد فى القاهرة . إننا نرد على هؤلاء بقولنا إننا واثقون بوفاة عدد كبير فى الشهر القادم لا يمكن أن ينقص عن حد معين ، وإننا فى هذا ننتقل من مسألة احتمالية إلى مسألة حتمية . إننا واثقون من العدد التقريبى للذين سيفارقوننا ، ولكننا عاجزون عن إدراك أسمائهم ، ونحن فى ذلك نتبع الطريقة ذاتها التى نثق فيها بوجود الحياة على كثير من الكواكب فى الكون دون أن نعين هذه الكواكب بالذات بين حدوده الفسيحة

* * *

ولا تحسَبنّ إذن أنك قد تميزت بحياة تعتقد أنها الوحيدة فى الوجود، وأن كل ما عداها موت فى موت وجود فى جود ، ولا تعتقدن فيما تعتقد أنك الوحيد فى الكون العظيم ، تمرح على هذه الأرض بين أشجارها الفيحاء وورودها الجميلة ، تتغذى من

---

(١) راجع بالرسالة مقالاتنا : رسالة من العوالم البعيدة تنبئنا أن الكون ينتشر ص ٤٦٣ — ٤٦٦ — ٦ مارس سنة ١٩٣٩ الكون يكبر ص ٥٩٢ — ٥٩٦ — ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩ — وزن الكون — ص ٦٤٠ — ٦٤٣ — ٢٧ مارس سنة ٩٣٩ — ترى ما وراء هذا الكون — ص ٧٨٠ — ٧٨٣ — ١٧ إبريل سنة ٩٣٩

مملكة نباتية بديعة ، وتستمتع بأخرى حيوانية رائعة . إن هذه الحياة لا يمكن أن تختص بها حبة الرمل الحقيرة التي نعيش عليها ، وليس ما يمنع أن تتكرر عملية الحياة في غيرها من الحبات العديدة المتناثرة في الكون على هذه الصورة أو على غيرها

ولو خلت الأرض من الإنسان الفخور بذاته المعجب بذكائه لظلت الأشجار والورود والحيوان باقية ما بقيت الشمس ؛ فهي تعيش عليها بقدر ما نعيش نحن ، وتنعم بفضلها بقدر ما ننعم ، وليس ما يمنع أن يكون حول الشموس الأخرى حياة كحياتنا أو تختلف عنها ، بل إن كثرة هذه الشموس في الكون المغلق على نفسه تحتم وجود هذه الحياة

* * *

ولو أنك دخلت حديقة متسعة بدأ نضوج نوع من الفاكهة فيها ، وليكن البرقوق مثلاً ، فإنه من غير الممكن أن يكون نضج في اللحظة التي تتجول فيها برقوقة واحدة بين ملايين البرقوق الموجود على الشجر ، بحيث لو عثرتَ على برقوقة ناضجة فإننا واثقون أنك إذا تجولت كثيراً وجدت غيرها من البرقوق الناضج ، ولو أنك بادرتني بقولك إنك وجدت برقوقة واحدة ناضجة لم تجد غيرها فإنني لا أميل إلى تصديقك ، أو أعتقد أن حديقتك صغيرة ، وأنها لا تحوى سوى بضع شجرات من البرقوق ، ولو أنك بادرتني أنك على العكس تملك حديقة فسيحة الأرجاء متسعة بحيث لا تكفى أيام عديدة للتجول في أنحائها المختلفة ، فإنني واثق إذن أن هذا النضوج قد حدث في أماكن عديدة ، وأنك حتماً ستعثر على كثير من البرقوق الناضج كلما تجولت في الحديقة

كذلك الكون ننظر إلى الحياة فيه لا كعملية محتملة ، بل كواقع موجود

* * *

وها نحن أولاء ننتقل بالقارئ قليلاً قليلاً ، لا من الفيزيقا إلى الميتافيزيقا ، وإنما من الفيزيقا إلى النجموفيزيقا [1] ، وهي من الموضوعات العلمية الصحيحة التي تتصل بحقائق الكون

وفي هذا نقترب من المخلوق العجيب الذي لا يرى من الترام إلا مستطيلا ومن « الكمسارى » إلا دائرة تنتقل على حافة المستطيل ، ونقترب من بعض الفروض التي نريد بها أن نضع أنفسنا وجنسنا البشري في جدول المخلوقات في الكون العجيب ، وبهذا نقترب من مسائل بدأت في ذهننا كمسائل احتمالية وانتهينا فيها بعد طول التأمل إلى أنها حوادث حتمية . وفي مقالنا القادم نصف كوناً حياً مقفلاً على نفسه ، وما نحن في ذلك إلا محاولون .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

---

(١) النجموفيزيقا كلمة نقصد بها العلوم التي تربط العلوم الفلكية ، وما يتصل منها بالعلوم الطبيعية ، والكلمة الأفرنجية « أسترونيزيك » Astrophysique من كلمة Astre أي نجم و Physique أي طبيعة ، ويحسن أن نعمد في ترجمة أسماء العلوم المختلفة إلى اختيار الكلمات القصيرة فلا نترجم هذه المسميات بجمل طويلة وهذا ما عمدنا إليه في نحت كلمة « نجموفيزيقا » التي تدل بلفظها على هذا العلم .



الحركة الأدبية في العاصمة السورية – تعليق ونقد

منذ أسابيع خمسة، قرأنا في بريد الرسالة الأدبي كلمة العتب والبيان التي أطل بها علينا الأستاذ الأديب الشيخ على الطنطاوي وبها يعتب على أدباء مصر ونقادها لإهمالهم واجب النقد والتقريظ لعشرات المؤلفات التي صدرت في العاصمة الأموية

وبقدر ماسرنا عتب الأستاذ وتذكيره، كان عجبنا بالغاً أشده، ذلك أن الأستاذ غاب عن باله — فيما أعتقد — أنه أنكر على دمشق العزيزة وجود حركة أدبية فيها[1] لذا فنحن نقف اليوم تجاه رأيين متضادين لكاتب فاضل واحد، لا ندري أيهما نصدق، ولا بأيهما نأخذ، فإذا كان الأستاذ ينكر وجود الحركة الأدبية في دمشق، فقد نقض « بعتبه وبيانه » رأيه الأول، إذ كيف يصح أن تنشر دمشق الحبيبة هذا العدد الضخم من الكتب والمؤلفات، ثم يُنكر عليها الأدب ؟...

بين يديّ الآن عدد الرسالة الأخير ذو الرقم ٣٦٩ وبه تناقش الأديبةُ الكبيرةُ السيدة وداد سكاكيني بعضَ أقوال الأستاذ الطنطاوي في « عتابه وبيانه » .

والسيدة وداد من أديباتنا النوابغ ذوات العواطف الوطنية المرهفة، يدل على ذلك كتابها « الخطرات »، وهي بحكم هذه العاطفة الوطنية المستعرة تأبى أن يقول الطنطاوي عن دمشق إنها « مُتَّبِعة في أدبها لا مُتَّبَعة، مقلدة لا مبدعة » وتقول السيدة وداد :

« إن دمشق الشام لها كيان أدبي مرموق، وفيها أهل معرفة وثقافة، فينبغي أن تفرض أدبها فرضاً، وأن تسم آثاره بمياسم خاصة تميزها من غيرها وتكون دليلاً عليها »

ودمشق العزيزة يا سيدتي، كما يشاء الواقع والحقيقة، مقلدة متبعة – وأقولها بكثير من الأسف والألم – تقتفي خطوات المصريين، وأبناؤها يقرأون على الدوام آثارهم وينهجون نهجهم. ونحن وإن كنا نعجب بالثقافة المصرية، وبكثير من الأدباء المصريين، ونقر لمصر بالزعامة والتفوق، ولكننا — إلى ذلك — نرغب في استقلال أدبنا وثقافتنا، ونحب أن يكون أدبنا ذا كيان خاص، ومياسم تميزه من غيره

أما أن نفرض أدبنا فرضاً – ولا ندري على أي قطر تريد السيدة أن نفرضه ! – فهذا أمر يحتاج يا سيدتي إلى عشرات من السنين، إذ ليس فرض الأدب والثقافة من الأمور الهينة السهلة كما تخالين، ولا سيما لبلد له شأن كشأن دمشق. وبالرغم من ذلك كله فما أغنانا عن هذا « الفرض ! »

ولقد ذكرت يا سيدتي، وذكر الأستاذ الطنطاوي قبلك عدداً من الكتب كبيراً، أهمله كتّاب مصر ونقادها. ولكن « التواضع » أبى عليكما أن تشيرا إلى مؤلفاتكما ! . وإذا كان الطنطاوي قد أشار إلى كتابين من تأليفه بصورة خاطفة ... فقد أهمل كتابين آخرين ربما كانا من أحسن ما أنتج وهما : « في بلاد العرب » و « من التاريخ الإسلامي » والأول كتاب ثمين ضمنه صاحبه قطعاً بارعة من أدبه، وبه صور ومشاهد طيبة لكثير من بلاد العرب، والثاني مجموعة من القصص، قبس الكاتب موضوعاتها من التاريخ الإسلامي المجيد ؛ وقد أجاد في كثير منها

وهناك كتاب « الخطرات » للسيدة وداد سكاكيني وقد حوى موضوعات في الأدب والاجتماع قيمة

وكما خجلت السيدة وداد من الاشارة إلى « خطراتها » فقد أبت الإشارة إلى مؤلَّف زوجها الصديق الأستاذ زكي المحاسن وهو « النواسي شاعر من عبقر » درس فيه أدب الشاعر الماجن أبي نواس وأخرجه للناس في حلة قشيبة وشكل حسن .

وأما كتاب « آرائي ومشاعري » للأديبة النابهة الآنسة فلك طرزي الذي ذكرته السيدة وداد في معرِض التذكير، فقد سبق لكاتب مصري معروف أن نقده وقرّظه في حينه على صفحات الرسالة الزهراء، فلم تكن ثمة حاجة لذكره، إلا أن تكون الذاكرة قد خانت السيدة وداد في هذه المرة .

هذا ما أردت أن أقوله في معرض التصحيح والتذكير، وللأستاذ الطنطاوي والسيدة وداد أذكى التحية وأطيب السلام .

(دمشق) عبد الغني العطري

(١) مجلة المكشوف عام ١٩٣٧

مواعيد البنان المخضوب

قرأت فى جريدة الدستور كلمة كريمة لأديب كريم اسمه « إبراهيم » وهو كاتبٌ لم أعرفه من قبلُ ، ولكن شمائله تنمّ عليه كما ينمّ الدُّخان على الجمر المشبوب

وهذا الكاتب يتوجع للنعيم الذى ضاع بين سَدّة الهندية والقناطر الخيرية ، ثم يُنقلبُ على وقاره فيذكر أن له نعيماً ضاع فى ظلال « الجيزة الفيحاء » وأنه تأسّى بقول أحد المتيمين :

« تلك يا قلبى مواعيد البنان المخضوب »

ذلك عزاؤك ، أيها الزميل ، فأين عزائى ؟

هل تظن أن « خواطر مهاجر » التى قرأتها فى الطريق مرتين حتى كدتُ أصطدم بالجدران تُلهينى عن « خواطر مهجور » التى أدرتها فى خاطرى مئات المرات ولم أجرؤ على صبها فوق صفحات القرطاس ؟

وهل ترى أن أداوى همومى بالتفكير فى بلايا المجتمع كما يصنع جليس « الكافورة الفيناء » ؟

وكيف وما جمحتُ القلم إلا وثبَ القلب وثبة المسعور وقد تألق أمامه السراب وهو يظن ويتوهم ويخال أنى سأكتب إلى الذين لا يصل إليهم خطابى إلا بعد أن يمرّ بثلاثة رقباء ، أولهم فى القاهرة وثانيهم فى فلسطين وثالثهم فى ... (؟)

إن سمح الدهر بيوم العتاب فسأقول وأقول وأقول

وإن ضنّ الدهر بيوم العتاب فسأرسل إلى الغادرين جذوة من جَذَوات قلبى ليعرفوا أن دمى لا يذهب هدَرًا فى دنيا النفوس النوادر والقلوب الشّحاح

بتذكرة بريد تكاليفُها أربعة فلوس تداوَى جراح قلبى

فهل رأى الناس أبخل من الذين يستكثرون أربعة فلوس على من جاد فى هواهم بالعافية والأمان ؟

ويزيد بلائى كلما تذكرت أن الخلاص من أسرهم هو رابع المستحيلات ، وكانوا أوهمونى أن دنيا الوجد لا تعرف المستحيل ، يوم كنا نتناجى بنبرات أرقّ وألطف من وسوسة الأزهار فى أسحار آذار

لا تحسبونى نسيت العهد ، يا أصفياء روحى ، فما الدنيا بدون هواكم إلا هجيرٌ تموت فى وقدته رياحين القلوب ، كما تموت أعشاب « الموصل » عند قدوم حُزَيران

وآه ثم آه من القلب الذى تعجز الخطوب والصُّروف عن وَأد ضلاله القديم !

زكى مبارك

حول ارتجال المصادر

قرأت الكلمة التى وجهها إلىّ الأستاذ صلاح الدين المنجد فى العدد ٣٦٩ من الرسالة الغراء ، تلك الكلمة التى يزعم فيها أننى ارتجلت مصدراً أوردت ذكره فى مقالى المنون « العروب فى العراق » المنشور فى العدد ٣٦٠ من الرسالة

إن المصدر المنوّه به هو : « السفن والمراكب فى بغداد فى عهد العباسيين » للأستاذ حبيب زيّات . وقد رجعت إلى المجلة ، فوجدت ما ذكرته فى مقالى صحيحاً لا شبهة فيه . وعليه أعود الآن ثانية فأؤكد ما ذكرته هناك من أن المقال منشور فى مجلة « لغة العرب » ، التى كانت تصدر فى بغداد : (٥ [١٩٢٧] ٤٦١ — ٤٦٥)

وإذا كان الأديب المنجد لم يجد تلك الأرقام فإننا نفيده أن الرقم (٥) يعنى المجلد الخامس من مجلة « لغة العرب » ، والرقم (١٩٢٧) يشير إلى سنة صدور ذلك المجلد ، والرقمين (٤٦١ — ٤٦٥) يشيران إلى الصحائف التى نشر فيها مقال « السفن والمراكب » المشار إليه فى نفس المجلد والسلام .

(بغداد) ميخائيل عواد

كتاب الشعور بالعور

إلى الأستاذ محمود حسن الزناتى

قرأت الكلمة التى تفضل الأستاذ الزناتى أمين الخزانة الزكية ومحقق كتاب « الفصول والغايات » لأبى العلاء المعرى فكتبها عن كتاب « الشعور بالعور » لصلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى الذى جمع فيه أخبار العور من صحابة وتابعين وعلماء وأدباء ، وقد طلبناه فى مكاتب دمشق الخاصة والعامة فلم نعثر عليه ؛ فنحن نشكر للأستاذ إشارته هذه ، ونود لو تكرم بتلخيص طرف من ملح الكتاب ونوادره لنقف على بعض ما تضمنه الكتاب

صلاح الدين المنجد



قصيدة غرام ...

للقصصى الفرنسى جى دى موباسان

بقلم الأستاذ عبد الغنى العطرى

غادر القطار مدينة جنوا متجهاً نحو مرسيليا ، ومتقفياً تعرجات الشاطئ الصخرى الطويلة ، وأخذ يسلك سبيله - بخفة وسرعة ونشاط ، كثعبان أسود مخيف - بين اليم والجبل ، زاحفاً فوق الشواطئ ذات الرمال الصفر التى تدغدغها الأمواج الصغيرة بخيوط دقيقة لجينية ، ثم يدخل - دون تمهل - فوهة النفق الأسود ، كما تدخل البهائم فى أجحارها ، أو الطيور النافرة فى أوكارها

وكان فى العربة الأخيرة من القطار ، شاب فى ريعان صباه ، وامرأة أوتيت من السمن حظاً وفيراً . جلسا متقابلين وجهاً لوجه ، دون أن ينطقا بحرف ، أو ينبسا ببنت شفة . وكان كلاهما يختلس من صاحبه النظر ، بين الفينة والفينة . أما المرأة فكان لها من العمر نحو خمس وعشرين ربيعاً ، وكانت جالسة قرب النافذة تمتع ناظريها بمناظر الطبيعة المُرْتَنِية[1] وهى إلى ذلك امرأة قروية صلبة العود ، قوية البنية ، من مقاطعة بيمون الإيطالية ، ذات عينين سوداوين ، وصدر ناهد جسيم ، ووجنتين مكتنزتين باللحم والشحم ، وقد ألقت تحت مقعدها الخشبى عدة حُزم ورِزم ، واحتفظت فيما بين ركبتيها بسلة

أما هو ... فقد كان فى نحو العشرين من عمره ، وكان نحيلاً مهزولاً مسفّعاً[2] بصبغة سمراء قاتمة ، وهى من علامات الرجال الذين يعملون فى الأرض ، خلال فصل الصيف ، وفى حر الهاجرة وكان إلى جانبه منديل حوى كل ما ملكت يمينه من « ثروة ! » ونشب : حذاء وقميص ، وسروال وصدار . وقد أخفى عدا ذلك تحت المقعد أشياء أخرى : مجرفة ومعولاً ، رُبط بعضهما إلى بعض بحبل . لقد كان ذاهباً إلى فرنسة ليبحث فيها عن عمل يمتاش من ورائه

أخذت الشمس تتسلق القبة الزرقاء ، بخطوات متئدة رزينة ، وأخذت تقذف من برجها العاجى البعيد وابلاً من أشعتها النارية المستعرة على الشاطئ الهادئ الوديع .

(١) كلمة جديدة رقيقة ، بمعنى معجب شديد الاعجاب ، وضعها الأستاذ الأديب الشيخ عبد القادر المغربى ، وهى تقابل كلمة Pittoresque الفرنسية ؛ وفى اعتقادنا أنها خير ما يعبر به عن هذه الكلمة الأعجمية ، فلعلها تقابل من كتاب مصر بالاستحسان ، كما قوبلت فى دمشق من كتابها

(٢) يقال سفعته النار إذا لفحته لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرته

مولد الدكتور إسماعيل أدهم ونسبه

اقتصر الأديب إبراهيم أدهم أخو الدكتور إسماعيل أدهم على أن يخطِّئ ما قيل عن نسب أخيه من جهة أمه دون أن يذكر الحقيقة . فرأينا أن ننقل فى ذلك ما كتبه الدكتور زكى أبو شادى صديق الفقيد عنه فى مجلة (أدبى) :

« ولد إسماعيل أحمد أدهم فى ١٧ فبراير سنة ١٩١١ بمدينة الإسكندرية من أب تركى وأم ألمانية . فأما والده فهو أحمد بك أدهم الأميرالاى فى الجيش التركى سابقاً ، وجده إسماعيل بك أدهم أستاذ الأدب التركى بجامعة برلين ، وجدُّ أبيه إبراهيم أدهم باشا ناظر المعارف المصرية على عهد ساكن الجنان محمد على باشا ، وقد شغل أيضاً من المناصب منصب محافظ القاهرة وناظر الأوقاف وناظر الحربية فى مصر . وأما والدته فهى السيدة إيلين فانتهوف كريمة البروفسور فانتهوف الشهير عضو أكاديمية العلوم البروسية »

نوّت بالحمل وناء بى

بهذا العنوان نشرت الرسالة للأستاذ عوض عوض الدحة كلمة يناقش فيها الأستاذ الطنطاوى حول تعبيرين هما : « نوّت بالحمل ، ناء بى الحمل » فالأستاذ الطنطاوى يرجح الأخير ويومئ إلى أنه هو الأصح رغم شيوع عكسه ، بينما الأستاذ عوض يستملح التعبير الأول ويستدل على هـذا بما عثر عليه فى بطون المعاجم وأسفار الأدب

وليسمح حضرة الناقد بالانتقال معى إلى خير حَكم ، وهو الكتاب المبين فقد ورد فيه حكاية عن قارون فى سورة القصص « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » أى لتُنيء العصبة بثقلها ، ومن الواضح أن هذا التعبير أنسب وأوجه ليتحقق المعنى المقصود .

أبو الفضل السباعى ناصف

كان ذلك فى أواخر شهر أيار ، وأريج الزهر المعطارى يعبق فى الجو ، ويدخل العربات ، التى ظلت نوافذها مفتحة ، وكان شجر البرتقال والليمون فى إبان إزهاره ، وأريج زهره الناضر يعبق فى الجو ويتطاير مع النسيم برقة وعذوبة وقوة ، فيفعم الأنوف ، ويملأ الخياشيم ، ويمتزج برائحة الورود الفواحة العطارة التى كانت تنبت على طول الطريق بكثرة مفرطة كما ينبت العشب أو الكلأ فى البساتين وأمام الخرائب المتهدمة ، وفى الحقول والمزارع أيضاً

لقد كانت هذه الورود والأزاهير فى المكان اللائم لما على هـذا الشاطئ الوديع ، وكانت تملأ جو البلدة بشذاها الفواح ، وأريجها المتضوع ، حتى إنها تجعل النسيم حلواً طيباً كقطعة من حلوى ! وليس ذلك ما تصنعه فحسب بل كانت تجعل من النسيم شيئاً ألذ من الخمر ، ولكنه مسكر كالخمر !

أما القطار ، فكان يسير الهوينى ، كما لو أنه يبنى عامداً أن يطيل مشيته فى هذه الحديقة الحالمة ؛ وكان يقف بين الآونة والأخرى فى المحطات الصغيرة أمام بعض المنازل البيض ، ثم يستأنف مسيره الهادئ الوانى ثانية بعد أن يصفر طويلاً ، لم يكن أحد يركب القطار من تلك المحطات ، ولم يكن يُرى أحد أيضاً ؛ حتى إن المرء ليحسب أن الخليقة ناعسة بأسرها ، وأن أحداً لا يجد القوة والنشاط لتغيير موضعه فى ذلك الصباح اللاهب من فصل الربيع

وكانت المرأة البدينة تسبل جفنيها بين الآونة والأخرى ثم تفتحهما على حين غرة ، عند ما تشعر بأن السلة التى وضعتها بين قدميها على وشك السقوط ، فتمسكها بحركة سريعة نشيطة ، وتمد رأسها إلى النافذة ، وتمتع ناظريها بمشاهد الكون المرئية ، ثم تعود إلى إغماض جفنيها من جديد ، وكانت بعض قطرات من العرق تلتمع فوق جبهتها ، ثم تتنفس بجهد وعناء ، كما لو كانت تعانى ضغطاً شديداً

أما الفتى القروى فقد أحنى رأسه ، واستسلم لنوم عميق لذيذ وعند ما كان القطار يغادر محطة صغيرة ، استيقظت المرأة على حين غرة ثم أخرجت من سلتها رغيفاً من الخبز وبيضاً مسلوقاً وقارورة من الخمر وأجاصاً جيداً مورد الخد وشرعت تأكل

واستيقظ الشاب فجأة أيضاً على صوت حركاتها الأخيرات وأخذ يرنو إليها ويطيل النظر إلى كل لقمة تلقمها وتذهب بها من بين ركبتيها إلى فمها . ومكث كذلك : مشبك القراعين ، محلق العينين ، بارز العارضتين ، مغلق الشفتين

وكانت المرأة تَطْـعَم غداءها برغبة ملحة ونَهَم شديد ، وتحسو مع كل لقمة جرعة من صهبائها كى يسوغ طعامها ويسهل عليها ابتلاعه . وكانت تمتنع هنيهة عن طعامها بين الفينة والفينة لتستجم أولاً وترسل نَفَساً طويلاً ثانياً

لقد أتت على كل ما لديها من طعام وشراب ، فلم تبُـق شيئاً من الخبز أو البيض أو الأجاص أو الخمر . وما أن انتهت القروية البدينة من غدائها حتى أغمض الفتى جفنيه . ولما شعرت المرأة بالشبع ، وامتلاء المعدة ، نزعت أزرار ثوبها من عراها ، كى تصيب بعض الراحة بعد هذا الشبع المفرط . ونظر إليها الفتى من جديد ، ولكنها لم تضطرب من نظراته ولم تقلق ، بل ثابرت على فك أزرارها ، وكان ضغط نهديها التوثبين الشديد ، يبعد القماش بعضه عن بعض ، ويظهر من الفرجة — التى أخذت تتسع — شيئاً من قميصها القطنى الأبيض ، وقليلاً من بشرتها

ولما وجدت القروية البدينة نفسها أقر عيناً ، وأهدأ بالاً ، وأكثر راحة وسروراً ، رفعت رأسها إلى الفتى ، وقالت له تحدثه بالإيطالية :

— لقد بلغت شدة الحر حداً تعسر معه التنفس وضاق

فأجابها الشاب ، باللغة نفسها ، واللهجة ذاتها :

— إن الطقس حسن ، ملائم للسفر والسياحة كل الملاءمة

والتفتت إليه فسألته :

— أأنت من مدينة بيمون ؟

— بل من آستى

— أما أنا فمن كازال

لقد كانا من بلدتين متجاورتين ، فألف ذلك بين قلبيهما ، وجمع بين روحيهما ، فأخذا يتجاذبان أطراف الأحاديث . تحدثا طويلاً ... وطويلاً جداً ، عن أمور وأشياء مبتذلة ، لا قيمة لها ولا شأن يذكر ؛ أشياء تعيد العامة ذكرها ، وتكررها فى كل ظرف أو مناسبة . وهى فى الحق أقصى ما يصل إليه تفكير هذه

الطبقة الضيق . تحدثا عن البلاد ، وعن أخبارها وطرائفها . لقد كان لديهما معلومات مشتركة غزيرة ، يعرفها كلاهما بالتفاصيل والدقائق . وأخذا يذكران الأشخاص ، ويعددان الأسماء التى يعرفان أصحابها . وكانت أواصر الصداقة والمودة تزداد توثقاً بينهما كلما ذكرا شخصاً جديداً رأياه ، أو صحباه ، أو عرفاه . وكانت الكلمات تنطلق من ثغريهما بقوة وحماس ، وسرعة ونشاط ، مع نهاياتها الموسيقية الرنانة ، ونغماتها الإيطالية الحلوة . ثم أخذ كلاهما يعرّف صاحبه إلى نفسه :

أما المرأة فقد كانت متزوجة ، ولها من الأولاد ثلاثة تركتهم إلى أختها لترعاهم ، وتقوم على خدمتهم ، لأنها أخذت تشغل منصب مرضع وفير الربح ، لدى سيدة فرنسية فى مرسيليا

وأما الفتى الشاب فقد كان يبحث عن شغل ، وقد قيل له : إنه سيجد — دون ريب — عملاً فى مرسيليا ، لأنهم يكثرون من البناء والعمار هناك

وما أن بلغا هذا الحد من الحديث حتى اعتصما بالسكوت

وأخذت الحرارة تزداد ، والنهار يَرْمض[1] ، وذكاء يشتد سعيرها كلما غذّت الخطا فى تسلق القبة الزرقاء ، وكانت أشعة الشمس اللاهبة تسقط على عربات القطار فتزيد فى شدة الحر ، وتضاعف أواره المتسعر ، وأخذت غمامة من الغبار الكثيف تتطاير خلف القطار ، وتدخل العربات . وكان أريج زهر البرتقال والورود يزداد تضوعاً وانتشاراً ، فيملأ الخياشيم ، ويفغم الأنوف

واستولت على المسافرَيْن الفتيّيْن من جديد رغبة ملحة فى الرقاد ، فاستسلما طائعين لسلطان الكرى القاهر

وعادا بعد حين ، فنفضا عن عيونهما بقايا النوم ، فى وقت يوشك أن يكون واحداً . وتضيّفت الشمس[2] أخيراً ، وأخذت تدنو من البحر، وهى تنير صفحة الماء الأزرق، بأشعتها الأرجوانية اللألاءة، فتزداد بريقه، ويشتد تألقه والتماعه . وبدا الهواء الطرىُّ الرطب ، أخف وطأة ، وأقل ضغطاً .

وأخذت المرضع تلهث ، وكان صدارها مفتوحاً ، وخدّاها مسترخيين ، وعيناها كامدتين ... ثم قالت بصوت ينم على الإعياء البالغ ، والأين الشديد :

— منذ نهار أمس لم أدن ثديى من طفل، وها أنا ذى بسبب ذلك مضطربة الفكر ، مشتتة القلب ، موزعة الفؤاد ، كما لو كنت مقدمة على إغماء شديد

ولم يحر الشاب جواباً ، لأنه لم يدر ما يقول ، ولا بماذا يجيب

واستمرت المرضع فى حديثها فقالت :

عند ما تملك المرأة لبناً بالقدر الذى أملك ، من الواجب عليها أن ترضع ثلاث مرات فى النهار ، فإن لم تفعل أصيبت بضيق عظيم ، وغم شديد . إننى أشعر بعبء ثقيل يرزح فوق صدرى ، ويكاد يحبس عنى الأنفاس ، ويحطم منى الضلوع . من الشقاء والتعاسة أن تملك المرأة لبناً بهذه الغزارة والكثرة

فأجابها الفتى بنغمة الموافق الآسف :

— حقاً إنه من الشقاء يا سيدتى ... إن هـذا اللبن يقض مضجعك ويزعجك دون ريب ...

وفى الحق كانت تبدو على محياها أمارات المرض ، ويظهر فى عينيها بريق التعب والإعياء . ثم جمجمت فى صوت خفيض :

— يكفى أن يضغط المرء ثديىّ قليلاً كى يتفجر منه اللبن ، كما لو كان ماء ينبجس من نبع ، حقاً إن هذا منظره مروع ، حتى إن المرء لا يكاد يصدقه لمجرد السماع ، وفى « كازال » يتقاطر الناس علىّ كى يروا ثديىّ

— أحقاً ذلك ؟

— أجل ، إن هذا حق ، لا غبار عليه ، ولا لبس فيه ، وسأريكهما ، غير أن هذا لا يفيدنى فى شىء ، لأنى لن أستطيع أن أفرغ شيئاً من محتوياتهما على هذه الصورة

قالت ذلك وسكنت من جديد

ووصل القطار بعد حين من الوقت ، إلى إحدى المحطات ، فوقف عن المسير . وكان فى المحطة — خلف الحاجز القائم بين القطار والجمهور — امرأة هزيلة الجسم ، رثة اللبوس ، تحمل بين ذراعيها طفلاً يبكى

ووقع نظر المرضع على المرأة ؛ فقالت بصوت تمثل فيه العطف والإشفاق والرحمة :

— هذه امرأة يمكننى أن أخفف عنها ما تعانى من ضيق ، كما أن الطفل بإمكانه أن يخفف عنى هـذه الأثقال التى ينوء بها صدرى . إسمع يا صديق لست غنية — لأنى أترك منزلى وذوىّ وابنى الأصغر ، كى أعمل كرضع ، بعيدة عن الوطن والأهل — ولكنى على استعداد لدفع خمسة فرنكات فى سبيل الحصول على

(١) يقال رمض النهار إذا اشتد قيظه . (٢) مالت إلى الغروب .

هـذا الطفل وإرضاعه مدة عشر دقائق ؛ إن هذا دون ريب يعيد الهدوء والسرور إلى نفسينا . يخيل إلىّ أنى سأبعث من جديد حين أفعل ذلك ، وإن الحياة ستسرى فى عروق

قالت ذلك ، ولجأت إلى أحضان الصمت تعتصم به من جديد وأخذت تمسح يدها اللاهبة ـ حيناً بعـد حين ـ جبهتها فيسيل العرق منها ويندى

ـ ثم قالت بصوت موجع حزين :

ـ لم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك ... لم أعد أستطيع ... يخيل إلىّ أنى أوشك أن أموت

وبحركة لاشعورية أطلقت لأزرار ثوبها العنان فتفتح كله ! وبدا ثديها الأيمن للعيان، فكان ضخماً كبيراً ينتهى بحَـلَمة سمراء ... شديدة السمرة . وقالت المرضع المسكينة شاكية متألمة :

ـ آه يا إلهى ! ماذا أصنع ؟ ماذا أفعل ؟ لم أعد أستطيع !..

وكان القطار قد عاد لاستئناف المسير بين الأزاهير الفواحة التى تنشر شذاها العبق الذى يشتد تضوعه فى الأمسيات الدافئة . وفى بعض الأوقات كان يخيَّـل إلى المرء أن زورق صيد وقف هادئاً فوق صفحة الماء الأزرق الساجى بشراعه الأبيض الساكن ، وكانت صورته تنعكس فى الأمواه ، كما لو أن زورقاً آخر كان فى المـكان نفسه ولـكن باتجاه معاكس ، أى رأسه إلى أسفل ! ...

ورفع الفتى القروى رأسه إلى المرضع وقال لها مضطرباً متمتماً :

ـ ولـكن يا سيدتى ... يمكننى أن ... أن أريحك مما تعانين ! ...

فنظرت إليه المرضع بطرف مريض كليل ؛ وأجابته بصوت خفيض ذليل :

ـ أجل ... إن أردت يا سيدى . إنك تسدى إلىّ يداً لا أنساها . لم أعد أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك ! لم أعد أستطيع ...

وجثا الفتى على ركبتيه أمامها ، وانحنت المرضع نحوه مقدمة إلى فمه ، بحركة من حركات المرضعات المألوفة لديهن ، حَـلَمَـة ثديها الدكناء . وخلال الحركة التى قامت بها المرضع ، والتى أمسكت بها ثديها بيديها ، كى تدنيه من الرجل الشاب ، ظهر على الحلمة نقطة من اللبن ، فامتصها هذا بسرعة ورغبة ونهَم ، وهو يقبض بشفتيه على الثدى الثقيل المنتفخ ، كما لو كان يقبض على ثمر شهى ! . أو فاكهة طيبة لذيذة . وأخذ الرجل يرضع لبن هذا الثدى بشره ورغبة ، ونظام ودقة .

وطوّق الشاب بذراعيه خصر المرأة ، وأخـذ يضغطها كى يدنيها منه أكثر ، وكان يتناول لبنه بجرعات متباطئة متزنة ويميل برقبته يمنة ويسرة ، كما يفعل الأطفال الرُّضع على التمام ! وفجأنه المرأة بعد حين بقولها :

ـ يكفى هذا المقدار من هذا الثدى ، خذ الآخر الآن

وتناول الثدى الآخر بإذعان وطاعة وخضوع . ووضعت المرأة يديها على ظهر الشاب ، وأخذت ترسل أنفاسها ، بهدوء نفس ، وانشراح صدر ، وهى تنشق عبير الورود والأزهار الممتزج بنسمات الهواء الرقيقة التى كانت حركات القطار تقذف بها إلى العربات . وقالت له على حين غرة :

ـ أعتقد أنه يكفى هذا المقدار الذى ارتضعته

فلم يحر الشاب جواباً ، واستمر يحسو من هذا النبع الذى لا ينضب ، مسبلاً جفنيه ، كى يشعر بلذة أكبر ، وسعادة أعظم ولـكنها أبعدته برفق وهى تقول :

ـ كفى ... كفى ... أشعر بتحسن شديد . إن صنيعك يا سيدى قد أعاد روحى إلى الجسد ، وبعثنى بعثاً جديداً

وانتصب الفتى واقفاً ، وهو يمسح شفتيه بظاهر كفه . فقالت له المرأة حينذاك ، وهى تُدخل فى ثوبها ، ثديها الـكبيرين اللذين ينفخان صدرها :

ـ حقاً لقد أسديت إلىّ يا سيدى يداً لن أنساها، إننى أشكر لك هذه المنة ، وأحفظ لك هذا الفضل

فأجابها الشاب بغنّـة فيها امتنان وشكر ، وعرفان للجميل :

ـ ولـكن عفوك يا سيدتى وغفرانك ! ... أنا الذى يجب علىّ أن أشكرك من صميم الفؤاد ، وسويداء القلب . لقد انقضى علىّ يومان ، يا سيدتى ، لم أطعم خلالهما شيئاً ...

(دمشق) عبد الغنى العطرى

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى ـــ عابدين }



8ine Année No. 374
Lundi - 2-9-1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

خواطر مهاجر ...

— ٢ —

كأنما أقبل فيضان النيل فى هذا الموسم متلكئاً مزوراً ليوائم طبع هذا العام فى خصومة السلام وعداوة الخير !

وكأنما كانت كل سنة من عمُر الدنيا نشيداً من ملحمة القدَر تتألف أبياته من تفاعيل الخير أو من تفاعيل الشر ليصح منطق الكون فيما ينتج من أفعال الناس ومنطق الطبيعة !

كل شىء من الأشياء قد انحرف اليوم عن وضعه أو خرج عن مداره ؛ لأن زلزلة الشر للأرض ، وانفجار الدواهى على الناس ، لا بد أن يحدثا الفساد فى كل معنى ، ويبعثا الاضطراب فى كل ذات . فمن توقع فى هذه السنة النازية الجهنمية خيراً أو سكينة كان كمن يتلمس الصلاح فى عمل الشيطان ، ويتحسس الطرب فى لحن الحزن !

يُخيَّل إلىّ وأنا أقرأ أنباء الحرب وأطالعُ أحوالَ الناس أن وشائج الإنسانية قد تقطَّعت بين بنى آدم فوقعوا فى فَترة منكرة من فترات الوحشية الأولى ، فلا وفاء بين الآحاد ، ولا ثقة بين الأمم ، ولا حِجاز بين النفوس ؛ وإنما يعيشون على الترصد والغيلة فى فزع لا يهب وحذر لا يغفل . فإذا أخلف النيل بعض الإخلاف — وهو فى رأى مترجمه « إميل لدْوج »

معروف بخصائص الإنسانية العليا من الوفاء والسخاء والعدل — فإن ذلك لا يتنافر مع هذه الفوضى العامة المهلكة التى أصبح فيها الكذب سلاحاً مشروعاً يسمى الدعاية ، والغدر سياسة مرسومة تسمى الوقاية ، والخيانة خطة مدبرة تسمى الطابور الخامس !

* * *

على أن النيل أوفى منذ أيام فطمَى وزخر ! ففى ذات بُكرَة من بُكر المنصورة الغريقة فى النور والفتور والهدوء والعطر ، رأيت من مشرف القهوة شاطئيْه الظامئيْن قد شرِقا من فيضه بدم الحياة أو بذوب النضار فهما يفهقان كما يفهق اليهودي ذو الربو المرم ! وأبصرت الزوارق التى كانت تَجرُ بالأمس على رمال القاع قد غدت على صفحته الذهبية المتموجة أشبه شىء بالحمام الطائر على حقول القمح إذا استحصدت ، أو بالفراش المبثوث على رياض الشقائق إذا توردت . ثم صُوِّرَ لى أن المدينتين المتقابلتين على ضفتى النهر المقدس الخالد قد صمّتا إليه بوجوههما وقلوبهما كأنهما تؤديان إليه تحية العرفان ، وإلى الله صلاة الشكر ! حتى الكافورة بالنت أغصانها الشمالية فى التدلى حتى أوشكت أن تقبّل أمواجه المسلسلة وهى تنساب فى ظلها الظليل شادية بالثراء والغبطة !

حينئذ وجدتنى على الرغم منى عانيَ الوجه له مستغرق الفكر فيه ، يتردَّد فى خاطرى ما ردَّده الحيوان والشجر من تقديسه وتمجيده . ثم قرَّ فى نفسى أن بينى وبين هذه الشجرة الغريبة وذلك الرجل البعيد قرابة شابكة ، لأنى شعرت أن بينى وبين من يسقيه النيل إخاء من رضاع الماء كما يكون بين الولد والولد إخاء من رضاع اللبن ! ووضح فى ذهنى الآن معنى ما يقول الناس من أن علاقة الفرد بالأمة هى علاقة الأخوّة ، وعلاقة الأمة بالوطن هى علاقة الأمومة . وكما يتجه فى لحظات الصفاء الروحى فكر الأخ الممنوح إلى أخيه المحروم ، اتجه فكرى فى هذه الجلوة النفسية إلى تُرانا المكروب وأكبادنا الحرّى فى صحارينا الشرقية والغربية . فقلت لنفسى وأنا أردد الطرف الساهم فى تيار النهر الجارف ودواراته المدوّمة ولججه الفائرة : كيف خفَّ على ضمائر ذوى العلم والرأى فى وزارة الأشغال أن يدعوا هذا الفيض الحيوى العظيم يتدفق أربعة أشهر فى لموات البحر الأبيض دون أن يحبسوه بحيلة من حيل الفن الهندسى ليحيوا به موات الناس والأرض !

لو كان لمهندسى الرى فى بلدنا مطمح تُشرف نفوسهم عليه غير أن يكونوا موظفين يسجلون المناسيب ويضبطون المناوبات ويتعهدون الجسور ويترقبون العلاوات ، لوصلوا ما انقطع من أبحاث (ولكوكس) و (مرى) حتى يبلغوا بها الغاية التى يكون بعدها كل سهل واحة وكل تل غابة . ولكن مهندسينا كسائر أهل الفكر فينا لا يعملون إلا للعيش ؛ فإذا ضمنوه هدهدوا كسلهم الرخى اللذيذ على كرسى العمل الدوار فى المكتب ، أو على كرسى المضجع الهزاز فى المنزل !

* * *

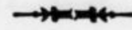
قالت نفسى وقد ساءها أن أتهم العلماء والمفكرين بقلة الوفاء بعهد الضمير : لعلهم لا يوفون بعهود الوطن والفكر إلا إذا قدّمت الأمة إليهم العرائس كما كانت تقدمها إلى النيل من قبل

فقلت لها : لا جرم أن العرائس أو الجوائز هى أقوى الحوافز لقرائح العلماء والأدباء والفنانين ، لأنهم خُلقوا لأنفسهم قبل أن يخلقوا للعلم والأدب والفن ، فإذا لم يجدوا الجزاء على ما يبذلونه للناس ضنوا به أو أنزروه ، ولكن النيل خاق لغيره كما يخلق النبي المرسل والزعيم الملهَم ؛ فوجوده أن يفيض ، وعمله أن يعطى . ومن ذلك كان أصدق خلاله الوفاء والكرم ، فهو منذ اتصلت منابعه بعيون السماء ، وانشقت مجاريه فى صدور الأرض ، لا يزال يفى بوعده ويجود برفده على القدْر الذى يريده الله لا يملك زيادته ولا نقصه . وما كان الوفاء والسخاء غريزتين فى المصرى الحر إلا لأنه خلق من غرين نهره الحبيب ومائه . فهو لا بد موفٍ بما عاهد عليه وإن تثاقل . والتثاقل مثبِّط عارض ينشأ من غفوة الضمير أو من كلال الذهن ، فمتى نبه الدين الضمير وشحذ العمل الخاطر ، عادت النفوس إلى جوهرها الخالص فسخت بما تملك ؛ ويومئذ لا تجدين عالماً يكسل ، ولا غنيًّا يبخل ، ولا سياسيًّا يكذب ، ولا زعيماً يخون ، ولا صانعاً يغش ، ولا عاملاً يهمل ؛ وإنما يجرى أبناء النيل على أعراق النيل ، ينشأون أطهاراً ويشبون أحراراً ويعملون أخياراً ، ثم يذهبون أبراراً كما يذهب هذا النهر العظيم بعد أن يُخصب الجدب ويُنبت الحب ويرفع الحضارة ويقر السلام .

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك



عبد الوهاب عزام — ذكرى سعد — بين الدين والوطنية — سلامة موسى رجل غير موفق — نكتة أدبية — على هامش التاريخ المصرى القديم ، لسعادة الأستاذ عبد القادر حمزة باشا

عبد الوهاب عزام

قلت مرات كثيرة : إن الشجاعة الأدبية لا تقف عند القدرة على أن تقول للمسىء أسأت ، وإنما تسمو الشجاعة الأدبية فتصل إلى القدرة على أن تقول للمحسن أحسنت ، لأن ذلك يشهد بأن الناقد يملك السيطرة على هوى النفس

وأنا أحب أن أقول كلمة فى الدكتور « عبد الوهاب عزام » بعد أن سمعت المحاضرة التى ألقاها فى المذياع عن « أخلاق القرآن » فقد بهرتْ قلبى وعقلى ، وأشعرتنى بأن من العقوق أن أسكت عن توجيه القراء إلى متابعة هذا الباحث المفضال

وإنما وجب ذلك التوجيه لأن مباحث الدكتور عزام تتسم بالدقة وتخلو من البريق ، فهو لا يجذب إليه من القارئين والسامعين غير طلاب المعانى ، من الذين يعرفون من قبل أنه باحث على جانب عظيم من الدقة والعُمق

فإذا استطعت بهذه الإشارة أن أدل قرائى على فضل هذا الباحث وأن أجذبهم إليه فسيذكروننى بالخير حين ينتفعون بما ينشر من مقالات أو يذيع من محاضرات

شعرت وأنا أسمع محاضرته عن أخلاق القرآن أن القرآن نزل أمس فهو يحدثنا بما نرى وما نسمع من معضلات الوجود ، ومع أن الدكتور عزام أضاء روحى بهذا المعنى فما أحسست أنه تكلف أو تعسف أو حاول الظهور بمظهر الغيرة على الشريعة الإسلامية ، فهو يُلقى كلاماً فِطرياً سمحاً لا زُخرف فيه ولا تنميق ، وهو ينقل إلى سامعيه آيات القرآن فى لطف ورفق حتى لتكاد تحسب أنه وجدها مسطورة فى صفحة واحدة من صفحات المصحف الشريف

فإذا أضفنا إلى هذا أن الدكتور عزام رجلٌ أريحىّ النفس ، عذب الفُكاهة ، مصقول الحديث ، حضرىّ الشمائل ، أدركنا أنه من أعيان أهل الفضل فى هذا الجيل

ولو شئت لمضيت إلى آخر الشوط فقلت : إن صحبتى لهذا الصديق قد اتصلت بالفكر والروح أكثر من عشرين سنة ، وما أذكر أبداً أنى أحصيت عليه هفوة واحدة من هفوات الفكر والروح

فى الدكتور عبد الوهاب عزام عيبٌ واحد هو الهدوء ، ولكنه هدوء الطمأنينة لا هدوء الخمود ، فأرجو من القراء ومن المستمعين أن يذكروا أن هـذا الرجل لا يكتب أو يتحدث إلا ليواجههم بأشياء من المعانى الصِّحاح فى الأدب والخُلُق والدين والتاريخ .

ذكرى سعد

من تحصيل الحاصل أن أقول إنى لم أكن وفديًّا فى يوم من الأيام ، والوفد يعرف ذلك ، ومن أجل هذا كان يتغاضى عما أبثه فى مقالاتى من الدعوة إلى مبادئ الحزب الوطنى حين كنت أشتغل بالتحرير فى الجرائد الوفدية

وكنت أحضر الحفلات التى يقيمها الوفد لذكرى سعد تأييداً للمعنى الجميل الذى تنطوى عليه ، ثم هجرتُ تلك الحفلات بعد أن صارت تقام فى مكانين : أحدهما للهيئة الوفدية ، وثانيهما للهيئة السعدية ، تجنباً للظهور بمظهر التحزب لأحد الفريقين ، ولى فيهم أصدقاء أعزّاء

وفى اللحظة التى أكتب فيها هـذا المقال تقام حفلتان لذكرى سعد ، وكان فى نيتى أن أحضر هاتين الحفلتين بلا تفريق لأواسى أصدقائى هنا وأصدقائى هناك

فما الذى صدنى عن حضور هاتين الحفلتين ؟

أذكر السبب فأقول :

لما مرض رفعة النحاس باشا ترفق سعادة الدكتور ماهر باشا ومضى لعيادته ، على ما كان بينهما من ضغائن سود وقفتهما حاقدَين أمام محكمة الجنايات

ولما عُوفى النحاس باشا مضى لزيارة من عادوه من الكبراء ،

واتفق أن لم يجد الدكتور ماهر باشا فى داره فترك له بطاقة وانصرف ، وإلى هنا أدى النحاس باشا واجبه تأدية صحيحة ، ولكنه رأى أنه كان يجب أن يُشعر الدكتور ماهر بزيارته لينتظره ، فترفق وأخبره بأنه سيزوره مرة ثانية ، ثم كان تلاقٍ كريم بين صديقين قديمين فرّقت بينهما اللجاجة الحزبية ، وهى خلاّقة المآثم والعيوب

هذا تصرُّفٌ نبيل من هذين الرجلين ، فهل تعرفون كيف كان تأثير هذا التصرف النبيل فى الجرائد الوفدية والسعدية ؟

ظل التلاحى على ضِرامه بين جريدة المصرى وجريدة الدستور ، ولسان حالها يقول :

إذا ما الُجرح رم على فسادٍ تبيّن فيه تفصير الطبيب

فهل يُلام مثلى إذا أنجرته هذه الحال فلم يشترك فى الاحتفال بذكرى سعد ؟

للسياسة فنون ، ومن فنون السياسة أن يكون الرجل أخاً صادقاً لجميع المواطنين ، وكذلك تتحول السياسة إلى وطنية صحيحة تكره الهدم والتجريح

اختلفوا ما طاب لكم الخلاف ، يا بنى وطنى ، فالخلاف دليل الحيوية ، ثم احذروا العداوة والبغضاء ، لأنهما لا يصدُران عن أرباب القلوب

بين الدين والوطنية

يظهر أن مقالى فى نقد الأستاذ سلامة موسى لم يُرض جميع القراء ، فقد تلقيت خطاباً صَدَر عن مدينة فارسكور ، وهو خطاب لم يخلُ من تحامل ، وإن كانت عبارات كاتبه تشهد بأنه من المطلعين ، وكيف لا يكون كذلك وهو « ضبع » ؟!

وأنا أحرص أشد الحرص على إزالة ما قد يقع بينى وبين قرائى من أسباب الشقاق ، لأنى طيب القلب إلى أبعد الحدود ، وإن قال قوم بأنى سأكون من حطَب جهنم ، لطف الله بهم وهدانى !

فما الذى كنت قلت فى ذلك المقال ؟

أذكر أنى قلت إن من واجب كل مصرى أن يعطف على العروبة والإسلام ، لأنهما سناد مصر فى الشرق ، وأذكر أنى قلت إن اهتمام الأستاذ مكرم باشا عُبيد بحفظ القرآن هو مظهر من مظاهر الوطنية ؛ فجاء كاتب الخطاب من فارسكور يقول :

« أهذه هى مقاييس الوطنية ؟ »

وأقول : نعم ، هذه مقاييس الوطنية ، بشهادة الأستاذ مكرم باشا عبيد

ولكن كيف ؟

ظهر الأستاذ مكرم عبيد على مسرح السياسة سنة ١٩١٩ قبل أن يولد كاتب الخطاب من فارسكور ، وكنت أنا يومئذ من المكتوين بنار الثورة المصرية ، فهل يعرف الناس كيف التفتنا إلى مكرم عبيد فى ذلك العهد ؟

كان مكرم سكرتيراً لأحد المستشارين الإنجليز ، ثم اندهش رئيسه من أن يشترك مع الموظفين المُضربين ، وكان اندهاشه لأنه يعرف أن مكرم عُبيد قبطىٌ ، ولأنه يتوهم أن الأقباط لا يشاركون المسلمين فى الثورة على الاحتلال

ورأى مكرم أن يصحح موقفه أمام رئيسه فكتب إليه خطاباً يشرح له فيه كيف استجاز لنفسه أن يُضرِب مع المضربين ، وساق فى ذلك الخطاب حديثاً لأحد القسيسين الأقباط قال فيه : « إذا صح أن الأقلية القبطية ستكون عقبة فى طريق الاستقلال فسندعو الأقباط جميعاً إلى الإسلام لتسقط حجة المحتلين »

وقد طبعنا خطاب مكرم عبيد إلى رئيسه الإنجليزى ومضينا فوزّعناه على الجماهير لنذكى به روح الوحدة القومية

ثم ماذا ؟

ثم نظر مكرم فرأى أن أبويه كانا سمّياه « وليم » فاستغنى عن اسمه الأجنبى واكتنى باسمه الوطنى ، وهو اسمٌ عربىٌّ صريح كان علماً لأحد أقطاب الأشراف بهذه البلاد

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم صرح مكرم باشا فى خطبة شهيرة بأنه مسلمٌ وطناً ، وأزهرىٌّ ثقافةً

فما معنى ذلك يا كاتب الخطاب من فارسكور ، عليها أطيب التحيات ؟

معناه أن مكرم باشا يرى الإسلام من أكبر عناصر الوطنية المصرية ، وأن الثقافة الأزهرية من مظاهر تلك الوطنية

وإنما استبحت لنفسي أن أخوض في هذه الأحاديث الشوائك لأني واثق بأني لن أجد من يتهمني بالتعصب الديني ، فأصدقائي الحقيقيون في مصر أكثرهم من الأقباط ، ولي بين نصارى الشام والعراق إخوان أوفياء يرونني أكرم صاحب وأوفى صديق ، وأراهم من أطيب الذخائر في حياتي ، ومن مسالكهم النبيلة أستمد التأييد لهذا الرأي الصريح

سلامة موسى رجل غير موفق

الأستاذ سلامة موسى صديق عزيز ، وقد تحدثت عنه في مقالاتي ومؤلفاتي بما هو له أهل ، وقد دفعت عنه قالة السوء حين كنت في العراق ، فقد كتب الأديب مشكور الأسدي خطاباً وجّهه إليّ في جريدة « الكلام » عن حقيقة سلامة موسى

ثم شاءت المقادير أن تعطّل الجريدة قبل أن تنشر جوابي وهو ثناء مستطاب على الصديق الذي كنت أحاربه بقلمي وأصافحه بقلبي

والحق أن الأستاذ سلامة موسى رجلٌ غير موفّق ، فهو يغمز العروبة والإسلام من وقت إلى وقت بلا موجب معقول ، وما ذكّرناه بسلام الأستاذ مكرم عبيد إلا لندله على أن عقلاء الرجال لهم مسالك غير التي يسلك ، وهل كان مكرم باشا أول قبطي هدته الفطرة السليمة إلى أن القومية المصرية قومية إسلامية ؟

أذكر في هذا المجال الأستاذ وهبي بك مدير المدارس القبطية في الجيل الماضي القريب ، فهو الذي عرّب أسماء تلاميذ من الأقباط ليزج بهم في غمار المجتمع الإسلامي

وأذكر الأستاذ وهيب بك دوس أحد خطبائنا الكبار ، وأحد المتفوقين في الأدب العربي ، وأحد العارفين بأسرار الشريعة الإسلامية . أنا المسئول عن حقيقة هذا الثناء ، فما رأت عيني أديباً في مثل براعة وهيب دوس ، مع استثناء أفراد قلائل يسيطرون على الحياة الأدبية ، ويذيعون الثقافة المصرية في الشرق

وأذكر القس ابراهيم لوقا راعي الكنيسة القبطية بمصر الجديدة ، وهو الذي اتهمته جريدة المكشوف بأنه ينقل عن بعض قساوسة لبنان ، ولو رآه حاسدوه وهو يهدر باللغة الفصيحة لأيقنوا أنه في غنى عن انتهاب الأفكار والآراء

وأذكر جريدة الإنذار بالمنيا وكدت أحسبها جريدة إسلامية لحرص صاحبها على نشر محاضرات الوعاظ من المسلمين

وخلاصة القول أن جمهور الأقباط في مصر لهم نزعة إسلامية عميقة ترجع إلى صدقهم في الوطنية . وقد كان الأقباط أصهار الرسول ، وهي وشيجة يحفظها الكرام من جيل إلى جيل ، وكذلك يصنع جميع الأفاضل من الأقباط ، إلا رجلاً واحداً يتجنى على العروبة والإسلام من حين إلى حين ، وهو الأستاذ سلامة موسى على أرجح الأقوال !

نكتة أدبية

قيل إن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده كان يلام على اصطفائه للشاعر حافظ ابراهيم ، وكان شاعرنا حافظ فيما يذيع المرجفون رقيق الخُلُق والدين ، فقال الشيخ محمد عبده : لقد صحبني حافظ ابراهيم عشرة أعوام فما استطعت أن أهديه ولا استطاع أن يضلني !

وأقول إنني صحبت الأستاذ سلامة موسى عشرة أعوام فاستطعت أن أهديه قليلاً ، وما استطاع أن يضلني ؟

وهل ترجع أيامنا بجريدة البلاغ وكنا شباناً نضطرم بجذوة الحرية المثلية ؟

كنا نجلس في مكتب واحد وجهاً إلى وجه نتساق حلو الأحاديث ومرّ المقالات

وهل فر الأستاذ سلامة موسى من وجه ناقد كما فر من وجهي؟

ومع ذلك كان هذا الرجل أول من يتقدم لنصرتي في أيام الشدائد ، لأن سلامة رجل والرجال قليل

إليّ يا صديقي ، فما يستطيع الخلاف في الرأي أن يفسد ما بيني وبينك ، لأن الصداقة رأي يفوق جميع الآراء ، ونحن أولياء الصداقة في هذا الجيل المرتاب

التاريخ المصري القديم

كنت قلت في العدد الصريح الذي أخرجته مجلة « الإثنين » : إن الأستاذ عبد القادر حمزة باشا إمام من أئمة العقل ، ولكنه لا يجيد إلا حين يغضب ، وقد قلّت غضباته منذ عامين

كذلك قلت ، ولم أكن أعرف أن عبد القادر باشا سكت عامين ليستعد لإخراج كتابه النفيس « على هامش التاريخ المصرى القديم »

فما هذا الكتاب ؟

هو تحفة من تحف المنطق والعقل والذوق

هو سلسلة ذهبية تربط حاضر مصر بماضيها فى ترفق وتلطف ، وتروض المصرى على الاقتناع بأنه نشأ فى بلد كان المصدر الأصيل لجميع الدنيات

كان ابن العميد يقول : كُتُب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً

وكذلك أقول فى كتاب عبد القادر حمزة أو كتب عبد القادر حمزة ، لأن له أبحاثاً تاريخية سبقت كتابه الجديد ، وهى نماذج حية لقوة الأدب وسيطرة العقل

لا تجد فى هذا الكتاب عبارة تشعرك بأن المؤلف يتعسف فى تفسير النصوص ، أو يحاول إعطاء مصر ما ليست له بأهل ، وإنما تشعر بأنه باحث صادق يحاول تبيين ما لمصر من مزايا ذاتية بلا تزيد ولا إسراف

ويظهر من كتاب عبد القادر باشا أن المؤرخين متفقون على أن مصر هى مهد المدنية فى التاريخ ، وأن هناك آراء فى المفاضلة بينها وبين وطن الكلدان الذين كانوا يسكنون أحواض الفرات

معنى ذلك أن الحضارة القديمة مدينة لبلدين اثنين هما مصر والعراق .

ومعنى ذلك أيضاً أن المنافسة بين دجلة والفرات والنيل منافسة أزلية ، وأن التشابه بين المصريين والعراقيين فى الألوان والوجوه ومخارج الحروف له أصول ترجع إلى مئات الأجيال

كنا وكان العراقيون فى التاريخ القديم

فمتى نرجع إلى السيطرة على العالم فى التاريخ الحديث ؟

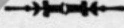
« لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة »

ولا بد يوماً أن تُرَدّ الودائع ، ولو طال مطال الزمان

زكى مبارك

خواطر فى الحرب

للأستاذ محمد عرفة



حدثتنى من لا أتهمها فى الحديث أن زوجها بنى بها قبل الثورة العرابية بقليل ، وكان صغيراً وقد ترك له والده ضيعة واسعة ، فلما كانت الثورة العرابية وهاجر الأسكندريون إلى البلاد التى يظنون فيها الأمن نزح كثير منهم إلى بلده وكان منهم فقراء ومعوزون فرأى حاجتهم ، ففرق فيهم البر الذى أغلته ضيعته حباً ودقيقاً وخبزاً ، فدخلتْ علىَّ جاراتى وذكرن صغر زوجى وما يُستلزمه الصغر من السفه ، وأنه فرّق غلة العام على المهاجرين فاعذليه فى ذلك ، فإن لم يصخ فاشكيه إلى أبيك . قالت : فعذلته ، فقال : ويك لا أسمع قول العاذلين

فشكوته إلى أبى فقال : يابنيتى قدّرى أنك المهاجرة فهل كنت تودين أن يمنع ذوو المعروف عنك معروفهم . أو كنت تودين أن يعطوك الفضل من مالهم وتحقدين على من لم يعط . يا بنيتى إن فى هؤلاء المهاجرين من كان آمناً فى سربه، مُعافىً فى بدنه ، واجداً قوت عامه ، فكفى عن عذله ، فلم يفعل إلا الصواب. هذا رأى أبى فما رأيك أنت ؟ ، فقلت : هى رفقة قد ضلوا فى صحراء موحشة وقد فقدوا ماءهم إلا واحداً قد بقى معه فضل من مائه ، أيجوز له أن يمنعه رفقته حتى يهلكوا عطشاً ، أم يلزمه أن يعطيهم من فضل مائه ليستعينوا به على قطع الطريق حتى يصلوا إلى العمران ؟ قالت : يلزمه ألا يمنعهم ماءه لئلا يهلكوا عطشاً ، قلت : وهذا ما فعله زوجك

وقد دار الدهر دورته وجاءت هذه الحرب واضطر بعض أهل المدن إلى الهجرة إلى الريف ، وإن منهم صناعاً تركوا صناعتهم ، وعمالاً تركوا عملهم ؛ فهل من أغنياء الأمة من يكونون لهم كما كان ذلك المحسن العظيم ؟ قد كان فى الإمكان أن نقول للحكومة افعلى ، ولكننا اغتنمناها فرصة ليربى فينا خلق المحبة والإيثار ، والكرم والإعطاء وروح التناصر والتعاون

إذا كنت رباً للقلوص فلا تدع
صديقك يمشى خلفها غير راكبِ
أنخها فأردفه فإن حملتكما
فذاك وإن كان العقاب فعاقب

محمد عرفة

الى الباكين على فرنسا أيضاً

بين أبراج العاج وأكواخ الطين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أننظر للحياة من أفق بعيد نظرة سكان الأبراج العاجية من الفلاسفة والصوفيين والعلماء المتنهين الراصدين للحياة من بعد ، والذين هم فى راحة بعالمهم الرحب الذى فيه لكل خطأ تصحيح ولكل إثم غفران ... وحينئذ فلا علينا إن سقط وطن أو أهينت عقيدة أو هيض جناح قوم أو هضم حق ؛ فإن هذه ظواهر أبدية للحرب بين الخير والشر ، وهذه هى شئون الدنيا وسير دولابها : « فالكلاب على البقر » والذئاب على الغنم ... ؟

أم ننظر للحياة من قرب نظرة سكان الأكواخ من العبيد والمساكين والمضطهدين الذين يعيشون بغيظ المحروم ، وحقد المغصوب ، وشعور الذى يجد الحياة مباحة لكل نفس دخلت رحابها ، ولكن يد الظلم هى التى قيدتها وضيقتها ووزعتها بموازين مختلة ومعايير قاسطة ... فلسنا بعد هذه النظرة بمحتفلين لشيء من دنيا الظالمين المترفين ، ولا بباكين عليها حين تتحطم بعلومها وآدابها وفنونها وتهاويلها وتزاويقها : « فإذا مت ظمآناً فلا نزل القطر » ، « وعليّ وعلى أعدائى يا رب » ؟

إن الأبراج من طبيعتها العلو ، والعلو من طبيعته كشف ما حوله فى محيط أوسع ، وهو دائماً يجعل الأشياء الأرضية صغيرة حساً ومعنى . ومن طبيعته أيضاً البرودة والتجمد ... ولكن الأكواخ من طبيعتها الالتصاق بقرار الأرض والإحساس بحرارة معترك الحياة فيها ، والاختلاط والانبهام والتداخل بين مشاهدها ؛ فلا تمييز فيها بين كل حق وكل باطل ، وكل بر وكل إثم ، وخصوصاً فيما يتصل بالعداوات والحزازات

أما والله لو كان الذين يبكون على فرنسا من أمة غير العرب الذين ذاقوا من كيد فرنسا فى مختلف بقاعهم وبخاصة شمال أفريقية ، لكان لهم بعض العذر فى أن ينظروا لحياة قوميتهم وحياة أعدائها نظرة ساكنى الأبراج العاجية الذين لديهم لكل إثم غفران ، وعندهم المقدرة على رحمة أعدائهم ومباركة لاعنيهم ...

ولكن هؤلاء الباكين من أمة يضرها ويخونها أن ينظر فريق من أبنائها فى غير الأفق الطبيعى الذى يليق بأمثالهم . يضرها أن ينظروا نظرة الباردين الذين ذهبت منهم « الوحشية » التى لا بد منها لكل إنسان يحرص على حقه فى الحياة الكريمة التى تحفظه حراً لا يستعبد روحه وإن استعبد جسمه

إذاً فلننظر للحياة نظرة المدركين لوضعهم فى الحياة، المحرومين من الحرية واجتماع الشمل ، بل فلننظر للحياة نظرة المدركين لوضعهم فى عين فرنسا نفسها ؛ فهى تنظر إلينا كأعداء ... وإن هذا الإدراك يدعونا دائماً إلى الكفاح لاستكمال سيادتنا ورفع النير الثقيل عن عاتق قوميتنا

ولنحذر من الإسراف فى شهوات العقل والتمتع بالترف العقلى والبدنى الذى هو لدى أعدائنا حتى لا يصيبنا التخدر والذهول عن وضعيتنا الراهنة ، وإن للعقل لشهوات تخدر الروح وتقعد بها عن الكفاح للحرية كشهوات البطن والفرج سواء بسواء !

هى فى ميزان الأخلاق كالرشوة بالدينار والمرأة والكأس . فكل من خدرته دنيا الناصبين لحقوق قوميته أو عقيدته فنسى وضعه فى أعينهم ، ومد عينه إلى ما عندهم من زينة الحياة وأحبهم من أجلها ، ونسى مرارة العداوة ، ولم يقف فى صفوف المألومين من قومه ، فهو لا شك مرتش قبض رشوته من شهوات عقله ونفسه

إننا الآن نشاهد أمماً حرة عالمة مثقفة تحطم حياة أمم أخرى عالمة مثقفة حرة مثلها فى سبيل إرضاء ما تعتقده كرامتها وكمال وجودها ، ولا تبالى فى هذا التحطيم بروح تلك الأمة المحطومة ولا مواريث ثقافتها ولا متاحفها التى تبين عن « روحها الحلوة » والحاطم والمحطوم من أرق شعوب الأرض وبينهم رحم فى التاريخ والجنس والعقيدة ... ومع ذلك لا يفرقون فى حربهم بين السياسة والفضيلة ؛ فكيف يطلب منا نحن المنيطلين المحنقين المحرومين من كل شيء المنظور إلينا كأننا من أفق حيوانى دنيء ، أن نفرق بين أساليب أعدائنا الاستعمارية وبين روحهم الحلوة وثقافتهم الممتازة التى لم يقدموا لأبناء عقيدتنا وقوميتنا شيئاً منها إلا ما هو بمثابة السروج واللجم التى تمكنهم من ظهورهم ؟ !

بل أدهى من ذلك وأمر : يضع فلاسفتهم - وهم من سكان الأبراج العاجية التى توحى بسمو النظرة - الخطط لتحديد ما يقدم لأبناء قوميتنا من العلم وما يمنع عنهم : فهذا « غوستاف لوبون »

الفيلسوف الفرنسى الذى لم ير العرب مثله إلا قليلاً فى دفاعه عنهم وبيانه لتاريخهم وفضائلهم ووقوفه على أسرار فكرهم وروحهم ؛ تراه فى كتابه « روح التربية » يعقد فصلاً للبحث فى تربية أبناء المستعمرات ـ ومنهم العرب الذين تحت حكم فرنسا ـ ينادى فيه بوجوب تحديد ما يقدم لهم من الثقافة بما لا يخرج عن نطاق التعليم الأولى ... !

فأنت تراه حين تدور مصلحة قومه ووطنه ينزل من برجه العاجى ، ويخلع ثوب الفيلسوف المنصف ، ويلبس ثوب المستعمر الظالم والوصى الحريص الذى لا يريد القاصر بلوغ رشده أبداً ... وبهذا تلتقى نظرته بنظرات ساكنى الأكواخ ورجال الشوارع وأرباب المال والأعمال ومحبى استذلال الشعوب من الفرنسيين الذين يعيشون فى نطاق المصلحة المادية والأنانية الشعبية ولا ينظرون لمبادئ ثورتهم التى ملأوا الخافقين دعاية لها

والأمة التى يريد « لوبون » تقييد عقولها هى التى أخرجت « ابن خلدون » أبا فلسفة التاريخ والاجتماع اللذين نبغ فيهما « غوستاف » ... فيا للعقوق !

وعلى هذا فلا ضير على ولا جناح ولا ملام حين أطلب من الباكين لما نزل بفرنسا أن يبكوا عليها وحدهم بصوت خفيض لا يسمعه إخواننا العرب الباكون ليل نهار لما ينزل بهم من فرنسا ... وإلا كان هذا البكاء منا شماتة بالعرب أنفسهم أو تبجحاً بجرح شعورهم الذى يتألم منذ مائة وخمسين سنة غداة احتلت فرنسا ديارهم ولم تسمح لهم بحرية العلم الذى هو وطن الإنسانية جميعها

وهل من الشماتة يا صديقى نجيب أن أفرح لضعضعة سلطان غاشم جاثم على صدر بنى دينى ودمى ، لا يسمح لهم أن يتنفسوا أنفاس الحرية ويتمتعوا بالعلم والثقافة والنتاج العقلى الفرنسى الذى فتنك حتى أحببتهم ودافعت عنهم وبكيت لهم ؟ ! وإذا كانت هذه شماتة فكيف يكون الشعور بالوطنية ووحى الدم المتحد ؟ !

إن كانت هذه شماتة فأنا أول الشامتين ! وأنا بها إنسان موزون القوى صحيح الطبيعة ، لم تخدرنى عن واجباتى صوفية صناعية ومجاملة بلهاء فى تغطية مشاعرى نحو بنى دينى ودمى .

وأنا بها أيضاً برىء من طفولة النظرة إلى ما عنـد أعداء قومى ودينى ، ومن الانخداع فيهم ، ومن نسيان أول حق يجب أن يراعى ، وهو حق الحياة والحرية والعلم

ونحن إذا طاوعنا أنفسنا فى الافتتان بمـا عند الأوربيين من الفن والأدب خيره وشره ، وألقينا إليهم السلم ، ونسينا أنهم غصبوا حقنا الأول فى الوجود ، فأولى بنا أن نترك لهم أوطاننا ، وننحاز بحضارتنا الروحية التى من شأنها أن تعدل ماديتهم ، وتتكسر من شرتها وحدتها ، إلى الصحارى لننجو بصحة العقائد فى الحياة وربها ، والقيمة السامية للانسانية فيها

نعم، ذلك أولى من الفناء فيهم والإعجاب بهم إعجاباً يحملنا على نسيان نظرتهم إلينا، وعلى اغتفار جناياتهم على أرواحنا وعلى كرامتنا

إنهم يا نجيب هم الذين صيرونا كما ترى وكما تنمى « نعيش عليهم كما تعيش الطفيليات عبثاً على غيرها »

وإنك لتذكر أننا سبقنا اليابان فى نهضتها الضارعة لنهضتهم الآن، وذلك بقيادة محمد على ذى العمامة العجراء والجبة القوراء ... ولـكنهم هم الذين اشتركوا فى تحطيم نهضتنا لنعيش عالة عليهم ... فتنتفخ جيوبهم وتمتلئ ديارهم بألوان الترف والنعيم

إنهم جعلوا همهم أن نكون سيئى الظن بأنفسنا ، حتى أوشكنا أن نصدق دعاويهم فينا أننا أحط منهم بحيث لا يمكن أن نرقى إليهم. والله الذى خلق الناس أنواعاً يشهد ويشهد معه أولو العلم ، أن جوهر ابن آدم واحد ولكنها التربية والعلم هما (الحجران السحريان) اللذان يرفعانه إلى أعلى عليين أو يخفضانه إلى أسفل سافلين ...

* * *

حين تكفر فرنسا بأغلى مواريث حضارتها ، وهى مبادئ ثورتها ، وتعذب الإنسان وهى التى زعمت وزعم لها أبواقها أنها معلنة حقوق الإنسان ووطن الأحرار ، فكيف تطلب منا يا نجيب أن نصدق فلسفاتها الفردية وأن نمشق روحها الحلوة التى تبين عنها فنونها ؟ ! إنها كفرت بفلسفتها الإجماعية التى لم ترق لها مداداً على ورق بل أراقت لها دماً غزيراً وأزهقت فى سبيلها أرواحاً لا عدد لها ، وحطمت من أجلها ملكاً كبيراً فى ثورة جنونية ... فكيف تريدوننا أن نبكى على شىء من ميراثها بعد ذلك ولو كان أسنى ما أنتجه العقل وأروع ما أخرجه الفن ، ما دامت الفلسفة الفردية والإجماعية لم تؤثر فى نفوس من يحكمون الناس باسمها ؟

إذا كفر رسول برسالته فهو دجال مشعوذ لا يؤمن به إلا الحمقى والمغفلون وتابعو كل ناعق ممن تنزلت عقليتهم عن مقام أهل الفكر الذين وكل الله إليهم إدراك وجهة الحياة وإقامة الأحكام بالقسط على الناس ...

إذا كان حقاً ما تقول من أن أبناء جميع المستعمرات يعاملون

فى فرنسا على قدم المساواة مع الفرنسيين ... فهل نطلب من أبناء المستعمرات جميعاً أن يرحلوا عن أوطانهم ويسكنوا فرنسا ليحظوا بالحرية والكرامة والعلم والوقوف على قدم المساواة مع الفرنسيين ؟

كلا ! لن يبيع عرب الجزائر وتونس ومراكش وطنهم بوطن آخر ولو كان فرنسا إلا إذا باع الفرنسيون الآن وطنهم للألمان لأنهم احتلوه بالقوة والطغيان ، وإلا إذا ذهبوا أوزاعاً وأخلاطاً ليسكنوا ألمانيا ويندمجوا فيها وينزلوا عن جنسيتهم ليحظوا بشرف المساواة مع السادة ...

ويح عقول مثقفينا ! بل ويلها ! إنها فى ضلال وخديعة ما يغنى لها أسف ذوى القلوب البسيطة التى تصدر عن سلامة الفطرة وبراءة الفكرة ...

وبعد هـذا ، أنحن الذين « لم يقوموا بهذه الحركة الشامتة وهم متبينون ما يجرى فى نفوسهم ، وأن بعضهم لم يكتب ما كتب مخلصاً لفكرة أو مؤمناً بحقيقة » ؟

***

أما ما « شهدت متاحف فرنسا ولا تلك اللوحات التى تصور بألوانها وظلالها جمال النفس ولا حلاوة الروح » ، ولم أحبب كما تريدنى يا نجيب هذه الروح الممتازة ... إذ لا يمكن أن أحب جلادى قومى ومعطلى روحهم وقواهم وذكائهم الممتاز الذى حفظ شعلة الثقافة والعلم ونماها حتى أسلمها لهذه الأيدى العاقة الجاهلة بسير التاريخ وتقلباته بالدولات والأمم ... فلا أفتتن بالأصباغ والألوان الزاهية وأنسى الحقائق القائمة المعتمة ...

ولم أشهد كذلك تلك اللوحات التى فى « قاعة الوقائع » فى فرساى ، إذ ينبغى أن نكون فى شغل عنها برؤية الوقائع السود الدائمة والمعارك الظاهرة والخفية التى تشنها فرنسا على قومك فى الشرق والغرب : فى سوريا ومصر وشمال إفريقية ...

لو سقطت فرنسا تحت أقدام قوى لخشعت فى حضرتها « فما أنبل أن تخشع فى حضرة عدوك يوم يسقط صريعاً تحت قدميك ! » كما قلت يا نجيب ... ولكن فرنسا حطمت وهى لا تزال جاثمة على صدر قوى ... وقد فرحت لصرعها أملاً فى أن يزحزحها قومى عن صدورهم ثمّ ينهضوا ليؤدوا لها تحية الخشوع التى تراها الأخلاق من النبل

أما الآن وفرنسا لا تزال سجانة فى ديار العرب ، وإن كانت سجينة فى ديارها فكيف تطلب منى أن أبكى عليها وهى لا تزال ثقيلة الوطأة تقلّ جثث الأموات ... ؟!

أولى بسكان الأبراج العاجية من كتاب العرب أن ينزلوا إلى منطق أهل الأكواخ المكتوين بنار الحياة حين يتحدثون عن قوميتهم وعقيدتهم كما يفعل أمثالهم فى جميع الأمم قويها وضعيفها ، وأن يتكلموا فى هـذه الحقبة من تاريخ الأمة العربية بلسان بنى قومهم المحكومين المحرومين فى أفريقية وآسيا ، الذين لم يزوروا باريس أو غيرها ولم يفتتنوا بدنياها ... فإنهم لو تكلموا بلسان غير هذا ، لكذبتهم اللايين التى استهلكت فرنسا قواها وتركتها تدخل إلى الحياة وتخرج منها ، وهى على جهل وفقر وألم وسخط .

وطبيعى أن الإنسان الإفريقى والأسيوى المحكوم بفرنسا هو أولى الناس بالحكم على النفس الفرنسية ، لأنه هو الذى احتك بها وخبرها خبرة عملية فى مجال وصايتها عليه ، وعرف كذب فلسفاتها وفنونها وإفلاسهما فى تهذيب أفضل عمل للانسان : وهو الرياسة والسياسة

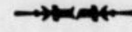
ولن يبالى هذا الإنسان المحكوم أكانت فرنسا حقيقة بلاد الفردوس المفقود فى المساواة والعدالة والفن والعلم كما أراد أن يصورها الباكون عليها ؛ أم كانت بناء قائماً على براكين اجتماعية وأنانية وتفسخ عائلى وتدليس اقتصادى كما يصورها عارفوها الذين لا يفتتنون بالظواهر والقشور ، وكما صورتها أحداثها الأخيرة التى رأينا فيها أكبر قائدين فيها كأنما يقولان للفرنسيين قبل الهزيمة : « قاتلوا من أجل روح فرنسا ! » ينقلبان بين عشية وضحاها بوقين يصبان اللعنات كل يوم على روح فرنسا ... ويديران دفة الحكم تحت وصاية عدو فرنسا الأبدى إدارة ينظران فيها إلى اتجاهات أنظاره ومواقع رضاه . ولو انتصر «فيجان» و «بتان» على الألمان لهتفا وهتف معهم الناس « المجد لروح فرنسا ... »

فى جميع الممالك التى أخضعتها ألمانيا من ابتداء الحرب ، لم يسر الناس فى موكب ألمانيا بمثل ماسار الفرنسيون ، بل جميعهم قالوا لألمانيا : دونك فاحكمينا باسمك كما تشائين ، ولكننا لن نحكم أنفسنا باسمك وبأسلوبك فى الحكم

تلك ظاهرة تبين لنا أن فرنسا لم تكن مؤمنة بروحها ، ولم تكن ممتلئة به . بل لا نبالغ إذا قلنا : إنها ليس لها روح يسيطر على أفرادها ويجعلهم يمثلون مثلاً أعلى يلمس فى أغلبيتهم كما يلمس المثل الأعلى الإنجليزى فى أغلب الإنجليز ...

وخير ما نختم به هذا الحديث هو تلك النبذة التحليلية التى نشرها الأستاذ الصاوى صاحب « ما قل ودل » وصديق فرنسا المشهور قال : « وإذا عدنا إلى الفرنسيين ـ الذين ألقوا سلاحهم ـ

الغنـــاء المريض
ينخر الخلق المصرى والمجتمع
للأستـــاذ سيد قطب



ليست تهمنى الأخلاق التقليدية فى أوضاعها الشكلية التى تتبادر إلى أذهان العامة أو أشباههم عند ذكر كلمة الأخلاق . ولست أتصور الفضيلة فى هذه الأوضاع المتعارفة ، فالباعث على هذا العمل أو ذاك هو موضع التقدير لا العمل نفسه

فالذى يجتنب الشر مثلاً لأنه يخشى عذاب الآخرة فحسب لا يرتفع مستواه الخلق فى اعتقادى عن الذين يجتنبون الجرائم لمجرد خوفهم من قانون العقوبات ، فالمسافة قصيرة بين من يخاف عذاباً مجهولاً ومن يخشى عقاباً معروفاً ، بل ربما كان المجهول مهولاً مخوفاً أشد من المعلوم ، وأكثر ردعاً للنفوس الشريرة !

وعندى أن الرجولة الصحيحة وفضائلها الذاتية كالمروءة والنجدة والعطف والاعتداد بالكرامة والإيثار وتحمل التبعات ، والأنوثة السليمة وفضائلها الكامنة من حياء ورحمة وتضحية . وكذلك الفضائل المشتركة كحساسية الضمير وسمو النفس وطهارة الإحساس ونظافة القاموس الشخصى بترفع الأذن واللسان عن الاستماع والنطق بالمعانى النازلة والتعبيرات الفاحشة والألفاظ المرذولة ... كل أولئك وأمثاله من صميم الأخلاق

بل إن الذوق الراق ، وتذوق الجمال ، والحس المرهف ، من صميم الأخلاق . لأن النفس الإنسانية لا ترتفع لتقدير الجمال فى المنظر الجميل أو اللحن الجميل أو الوجه الجميل حتى تكون قد خطت فى مدارج الرقى الإنسانى ، والتهذيب العقلى والنفسى خطوات تضمن لها مستوى راقياً من الخلق السليم

وليست الفضيلة عملاً سلبياً بالامتناع عن الرذائل المتعارفة ، ولكنها فى صميمها أعمال إيجابية أو شعور يدفع إلى أعمال إيجابية . فحسباننا الرجل الذى لا يعمل كذا ولا كذا من الرذائل المشهورة رجلاً فاضلاً هو خطأ فى تصور الفضيلة وغبن لها

كما أن هناك نقائص لا نعيرها حقها من العناية فى تقدير الناس لدينا ، فخلائق : كالحقد أو الشماتة أو نضوب العطف الإنسانى وبلادة الإحساس بآلام الناس ، أو عدم الترفع عن الملق والرياء ، أو سرعة اليأس والعجز عن مواجهة التبعات، هى من صميم الرذائل الإنسانية ولو لم يأت صاحبها رذيلة إيجابية واحدة

وكل ما يعمل لهـدم فضائل الرجولة أو فضائل الأنوثة أو فضائل الجنس الإنسانى المشتركة التى سبقت الإشارة إلى بعضها إنما هو عمل شرير تنبغى مقاومته لأنه هدم للخلق والمجتمع

وإذا نظرنا إلى الأخلاق من هـذه الوجهة أمكننا أن نقدر أن الغناء المريض ــ وأغلب ما يذاع فى هذه الأيام كذلك ــ هو أكبر معول يهدم بناء المجتمع المصرى ويحطم الخلق الشخصى ، لأنه يحارب فضائل الرجل وفضائل المرأة وفضائل الجنس كله على الوضع السالف . ولما كنت لا أبتغى تجريح أشخاص بالذات من المؤلفين أو المطربين والمطربات ؛ فإنى أكتفى بالإشارة إلى بعض الأغانى المتداولة فى هذا السياق

لا يمارى أحد فى أن الرجولة وكل فضائلها تتأذى أشد التأذى من أغنية مثل : « يا لوعتى ياشقايا . يا ضنى حالى » أو « راضى بلومه وكلامه . ولو أنى مظلوم معاه » أو « الهوان وياك معزة » أو « ميلت بختى فى الحب يختى ! »

فماذا نجد فى تحليل الخلق الفرنسى السياسى كما وصفه الداهية المجرى « كورنيس » ؟

نجد فرقاً شاسعاً بين الخلقين الفرنسى والانجليزى . فهما طرفا نقيض . ليس الفرنسيون شعب التطور التاريخى البطىء ، ولكن شعب التغييرات الثورية الفجائية ، شعب شديد التأثر قوى الاندفاع بلا « فرامل » ولا « صواميل » . شعب « المأساة » لا « الرواية » ، وخط تطوره ليس مستقيما ولكنه كثير التعرج والمنعطفات . فى آخر القرن الثامن عشر قلبت الأمة الفرنسية الحكومة الملكية باسم الديمقراطية والحرية ، ومع ذلك لم تمض عشر سنوات حتى عادت فرنسا أمبراطورية مطلقة ! ثم ارتدت فصارت ملكية محافظة ! ثم تحولت إلى ملكية بورجوازية حرة ! ثم كانت ثورة أخرى ردت الجمهورية الثانية ! ثم انقلاب حكومى أعاد للسلطة أمبراطوراً ! ثم سقط هذا الأمبراطور فى ١٨٧٠ وعادت فرنسا إلى ما كانت عليه فى ١٧٣٩ إلى الجمهورية ! فلا توجد على هذا أمة كفرنسا فى اندفاعها وتحولها وانقلابها ... » ثم قال الصاوى : « هل ترانا نفهم الآن بعض الفهم السر فى أن الفرنسيين قد قالوا لهتلر « نعم » وأن الإنجليز قد قالوا « لا » ؟

عبد المنعم مهلوف

ولا شك أن الأنوثة وكل فضائلها تخدش أشنع الخدش من أغنية مثل : « يا حبيبي تمال الحقني شوف اللى جرى لى من نار حبك » أو « إمتى أنول وصلك وأقول : راح المذول مالوش أثر » وأن فضائل الجنسين جميعاً تشمئز من أغنية مثل « تمالى بين أحضانى »

وليست الألفاظ وحدها فى مثل هذه الأغانى هى التى تؤذى فضائل الجنسين وسلامة الفطرة فيهما ، فإن النغمة والأداء قد تكون أشد إيذاء من الألفاظ . وهناك أغنيات تذاع قد لا يكون فى ألفاظها شىء فاحش ، ولكن الميوعة فى التلحين والتخلع والتكسر فى الغناء أخش من الألفاظ، مثل اسطوانات : « ياعرقسوس » و « هممل إيه » و « ياماما » ! وهى لا ترتفع كثيراً عن « والنبي يا عبده » الممنوعة

ولا يقف ضرر مثل هذه الأغانى عند خش اللفظ وتكسر الأداء وما يشيمه هذا فى نفوس أبناء الجيل وبناته من انحلال . ولكنه يتمداه إلى مسخ الفطرة الإنسانية ، وتشويه العواطف الراقية ، والهبوط بالذوق العام ، وهو إحدى الفضائل كما أسلفت

فالحب الذى تهبط به هذه الأغانى ذلك الهبوط الشين عاطفة إنسانية من أجل العواطف ، وهو مثار كل نشاط إنسانى فى هذا الكوكب الأرضى، وهو غير مقصور على الحب الجنسى ، وحتى هذا الحب لا يمكن أن يهبط فى فطرة آدمى سليم إلى هذا المستوى الذى تصوره الأغانى المصرية ويصوره التلحين والأداء، لأنه فى صميمه فورة فى الشمور وفيض فى الضمير وامتلاء بالقوى الحيوية يدفع إلى النشاط والتعمير ، لا إلى الذل والترهل والبكاء والعويل

على أن وراء هذا وذلك شيئاً خفياً مؤذياً فى تصوير العواطف الإنسانية هذا التصوير ، وفى هذه الأساليب من ناحية التأليف والتلحين والأداء، فالذوق الذى يسيطر على هذا كله هو « الذوق البلدي » بأفصح تعبير . فلا يبدو فى هذا الغناء أثر للثقافة الذهنية أو الخلقية أو الاجتماعية، والمستمع الراقى لا يجد ما يرتفع إلى مستواه أو يعبر عن شموره الذى تولده عواطفه المهذبة . والشعب المصرى مهما ظلمناه لا يخلو من المثقفين ولا من الوسط النفسى المهذب ولا من الشعور العالى ، فأين يجد هؤلاء غذاءهم الروحى من الموسيقى والغناء

فليس كل رجل فى مصر يحب فتاة فيناديها بأعلى صوته « تمالى بين أحضانى » وهذا تعبير طبقة معينة من الشعب ؛ فأين تعبير الطبقات المهذبة ؟

وليست كل فتاة تحب شاباً فتهتف من أعماقها : « امتى أنول وصلك وأقول : راح المذول مالوش أثر » فهذا تعبير طبقة خاصة من النساء ؛ فأين تعبير العفيفات من العذارى والسيدات ؟

على أنه لو صح أن الشعب المصرى كله من أمثال هؤلاء السادة والسيدات ، لكان على الموسيقى والغناء أن يرتفعا رويداً رويداً بهذا المستوى ، حتى يصلا به إلى الرفعة اللائقة بالفنون

ولعل منشأ هذا أن طبقة المؤلفين المحترفين والمشتغلين بالغناء فى مصر هم من بيئة اجتماعية خاصة ، لا تؤهلها ثقافتها العقلية ولا تربيتها النفسية ولا وسطها الاجتماعى من الالتفات لغير ما التفتت إليه حتى الآن من ألوان التعبير والموسيقى والغناء . ولكن ما ذنب هذه الأمة يهتفون لها بأحط غرائزها ، وينادون فيها أوحأ إحساساتها ، ويلفتونها عن كل ما هو راق وجميل فى هذه الحياة ؟

ثم ما ذنب الأسر والبيوت تصل إليها أصوات هؤلاء الناس وتكسراتهم الخليمة وتأوهاتهم المريضة آناء الليل وأطراف النهار، وفى مصر وزارة للشئون الاجتماعية ورقابة أدبية فى وزارة الداخلية لا يبلغ من نفوذهما أن تكون لهما السيطرة التامة على كل مايذاع !

إن الرقابة على الموسيقى والغناء سواء فى محطة الإذاعة أو الصالات أو الاسطوانات ينبغى أن تسند إلى هيئة من مثقفى العقول والنفوس ، واسمى الاطلاع على نهضات الفنون ، ذوى أذواق خاصة ممتازة ، وهذه الهيئة تملك أن تمنع إذاعة كل أغنية وإعدام كل فلم أو أسطوانة أو شريط مسجل لا يتفق مع توجيهاتها ، على أن توضع عقوبات لمن يترنم بالأغانى الممنوعة حتى من الجمهور ، عملاً على إسكات هذه الأصوات الغريزية الواطئة ، وترقية للذوق العام والخلق المهدد بالانحلال

ولا يفهم من هذا أننى أريد الغناء المصرى مواعظ خلقية ودعوات اجتماعية ووطنية ؛ فأنا قليل الثقة بجدوى الفنون حين تسلك هذا المسلك الجاف ، وإن لها سبيلاً أقوم من هذا وأنفع ؛ فالفكاهة العالية ، والنقد اللاذع ، وتصوير العواطف الإنسانية الراقية المهذبة ، وتفتيح الإحساس على مباهج الكون وخفايا النفس وجمال الطبيعة — كل أولئك من خصائص الموسيقى والغناء ، وخصائص الفنون جميعاً ، وهى أولى بها من الدعوات

على هامش الحرب

الطابور الخامس في القرآن

المنافقون

للأستاذ عبد الرزاق إبراهيم حميدة

— ٤ —

لم ظهر النفاق بالمدينة ؟ — رأس المنافقين — أعمالهم وصفاتهم زمن السلم — إظهار الاسلام وإخفاء الكفر — الطعن في النبي وآله — السعي في التفريق بين المسلمين

قدمنا في المقال الثاني والثالث أن الجماعة الأولى من الطابور الخامس في القرآن هم اليهود، وذكرنا بتفصيل مقدار خطرهم وضررهم على النبي ودينه وأصحابه، والنوع الثاني أو الجماعة الثانية هم المنافقون:

كان بجانب اليهود جماعة من أهل المدينة وممن حولها من الأعراب تعمل جهدها سراً وجهراً على إضعاف الإسلام وتود أن يفنى المسلمون وتذهب ريحهم. أولئك هم المنافقون الذين لم يكن لهم وجود وعمل إلا بعد الهجرة، ويقول اللغويون إن النفاق كلمة لم توجد في الجاهلية، وإن القرآن قد جاء بها وصفاً لطائفة تُبْطِنُ الكفر وتُظْهِرُ الإيمان رغبة في الاستفادة من مغانم المسلمين، وفراراً من أثر الهزيمة إذا دارت على المؤمنين دائرة الحرب، وأملاً في استئصال النبي ودينه بطريقة مستورة

أما سبب ظهورهم بالمدينة دون مكة، فهو أن النبي قام يدعو إلى دين الله بمكة وهو وحيد، فعارضه أكثر أهلها وبخاصة الأشراف منهم حتى أشراف عشيرته الأقربين، فلم تكن بالذين تخلفوا عنه — وهم أهل الشرف والعزة بمكة — حاجة أن ينافقوا؛ وباعد بينهم وبين الدخول في الإسلام سراعاً خوفهم من ضياع مركزهم الأدبي وسلطانهم القَبَلِيّ وتمسكهم بما كان عليه آباؤهم من دين وعادات

وكان الأمر على العكس من ذلك بالمدينة، فقد أسلم الكثيرون من سادتها وكبرائها وتبعهم أكثر أهلها، وزاد الإسلام فيها قوة بمن هاجر إليها من السابقين الأولين من المهاجرين، وربا عدد المسلمين فيها على من عداهم، فشعر المتخلفون عن الدين الجديد بضعفهم وعدم استطاعتهم المجاهرة بما في قلوبهم، ورأوا أن النفاق أسلم عاقبة وأشد خطراً وأعظم أثراً، ورأوا من الحكمة أن يقولوا: « آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم »، وأن ينتظروا الفرص السانحة لطعن المسلمين كلما كان ذلك ممكناً

الاجتماعية والخلقيـة والوطنية المباشرة، التي لا تتفق وطبيعة الفنون الحرة

وعلى ذكر الدعوات الوطنية ألاحظ أن أغانينا وأناشيدنا الوطنية التي تذاع جميعاً وبدون استثناء تدل على فقرنا في الروح الوطنية العالية من حيث يريد مؤلفوها وملحنوها ومغنوها إظهار هذه الوطنية. فهي في ألفاظها ومعانيها وتلحينها ضجيج أجوف يدل على وطنية « قشرة » ليست مطمئنة إلى عمقها وهدوئها و « طبيعتها ». والوطنية الرشيدة العميقة المطمئنة لا تحتاج إلى كل هذا الضجيج في اللفظ والمعنى، ولا تستمد القوة من الصياح والزعيق، إنما هذه أشبه الأشياء بقوة الضعيف الذي الذي يحس ضعفه فيملأ الدنيا صياحاً، وينفخ أشداقه، ويطوح ذراعيه في الفضاء لإرهاب خصمه قبل أن يشتبك معه في نضال يشعر بضعفه عنه. وهي لا تزيد على قول « فتوة الحارة »: « والله ما تقرب لي لأخرشمك ».

والرجل القوي حقاً لا يحتاج إلى هذا التهديد!

ولم ألمس في أغنية واحدة مما أذيع حقيقة الوطنية التي لا يحسها صاحبها لفرط تغلغلها في نفسه، وعمق جذورها في شعوره، حتى لكأنها طبيعة كامنة فيه. إنما هي ألفاظ محشودة، كما يجمع الخائف جميع أسلحته ويكومها أمامه، بدل أن يدعها في مكامنها ويأخذ منها ما يحتاج إليه في اللحظة المناسبة

وإن أغنية واحدة يحدث فيها الترنم بها نفسه عن ملاعب صباه في وطنه، ومطارح أمانيه، وذكريات أجداده، ويتغنى بطبيعة بلاده الجميلة وشمسها وخضرتها، لأفعل في غرس بذور الوطنية وإنمائها في نفسه وإحساسه بمعنى الوطن من السيوف والبنود واللهيب... إلى آخر هذا الضجيج!

ولن يفهم مثل هذا التوجيه إلا القليلون، وإنما كل رجائنا متعلق بهؤلاء القليلين!

(حلوان) سيد قطب

وكان رأس المنافقين بالمدينة عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ، وكان شريفاً من أشراف يثرب ، يطمع فى أن تكون له السيادة والحكم فيها ؛ فلما جاء النبي إليها وخضع أهلها لسلطانه ودانوا بعبادته وعقيدته ، ضاعت الفرصة من ابن أُبَيّ ، وأحزنه أن يكون ضياع سلطانه المنتظر ، وخيبة أمله فى السيادة ، آتياً من رجل غريب عن يثرب ، أخرجه قومه ، وشردوا أصحابه فى الآفاق . ورأى من الحكمة أن يُدارى ، وأن يدخل فيما دخل فيه الأكثرون ظاهراً ، وإن لم يستطع أن ينزع من قلبه المرض الخفى الذى ملأه نفاقاً ، وسَالَمَ الرسولَ ، وآمن بلسانه وفى نفسه ما فيها ، حتى إذا حدث ما يدعو إلى إظهار الكفر سارع فيه ونال من المسلمين بلسانه ومكايده ، وخذلهم فى الحرب ووقت الشدائد .

وقد بين القرآن صفات المنافقين عامة ، وهى صفات تدل على أنهم كانوا من أشد أنواع الطابور الخامس أذى ، وكان منهجهم فى السلم أن يظهروا الإيمان ، وأن يطعنوا فى النبي وآله ويفروا من حكومته ، ويرفضوها ، وأن يفرقوا بين المؤمنين

أما الأمر الأول ، وهو حقيقة نفاقهم فمذكور بتفصيل فى الآيات الكريمة : « ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر، وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا . وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً . ولهم عذاب أليم بما كانوا يكسبون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ؛ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون »

وكانوا إذا جاءوا رسول الله أقسموا أنهم يشهدون أنه مُرْسَل من ربه ليستروا نفاقهم بهذا القسم . وكان ابن أُبَيّ رجلاً جسيما صبيحاً فصيحاً ذلق اللسان ، وكان قوم من المنافقين فى مثل صفته ، يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيستندون فيه ، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن ، فكان النبي ومن حضر يعجبون بهيا كلهم ويسمعون إلى كلامهم، فنزل قوله تعالى فى السورة المسماة باسمهم : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسولُ الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . اتخذوا أيمانهم جُنَّة فصدُّوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون . ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يفقهون . وإذا رأيتهم تعجبُك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمعْ لقولهم كأنهم خشب مسنَّدة ، يحسبون كلَّ صيحة عليهم ، هم العدوُّ فاحذرْهم قاتلهم اللهُ أنى يؤفكون »

وأما طعنهم فى النبي فكان كثيراً ، وكان من الطعن الذى لو ثبت لكان هادماً للرسالة ، وقاضياً على صاحبه ، فكانوا يتهمونه بأنه يأخذ بعض المغانم خفية ويستأثر به على غير علم من أصحابه . روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أُصيبَ من المشركين ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله أخذها ، فنزل قوله تعالى : « وما كان لنبي أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »

ولم يسلم آل البيت من مطاعنهم ، فقد اشتركوا فى حديث الإفك ، وادعوا على عائشة أنها خانت النبي ، وكان الذى تولى كبر هذا الإفك من المنافقين ، وهو ابن أُبَي

أما حديث الإفك فهو أن الرسول الكريم كان يأخذ معه بعض نسائه فى الغزوات ، وكانت عائشة معه فى غزوة بنى المصطلق ، وكانت صغيرة السن ، خفيفة الجسم ، فنزل الجيش ذات ليلة ، ثم ارتحل ، وحمل هودج عائشة على جملها ، ولم يدر حاملوه إن كانت فيه أم لا .

وكان يجيء وراء جيش المؤمنين صفوان بن المعطل يحمل ما يكون قد تخلف من الجيش ، فلما رآها غض بصره ، وأركبها ناقته ، وعاد بها إلى المدينة . فلما مر بابن أبي قال : من هذه ؟ قالوا عائشة . فقال : والله ما نجت منه ولا نجا منها ، ثم قال : امرأة النبي باتت مع رجل ثم جاء يقودها ! وانتشرت مقالته ، وسمع النبي الخبر ، فأحزنه ذلك أشد الحزن ، لأنها كانت أحب نسائه إليه ، فهى بنت الصديق صاحبه فى الغار ، ورفيقه فى الهجرة ، وهى التى اختارها الله لنبيه ، وزوجها له بوحيه . فما هذا ؟ سبحانك ! هذا بهتان عظيم !

استشار النبي أصحابه فى الأمر ، فأشار بعضهم بطلاقها ، وظن بعضهم خيراً ، ولم يشك فى طهارة بيت النبوة ، ومرضت عائشة زمناً وهى لا تدرى من أمر هذا الإفك شيئاً . وحزن أبو بكر أشد الحزن ، وحزن المسلمون حزناً عظيما ، وتطرق الشك إلى نفوس بعض الناس . فكيف يكون الموقف إذا تطرق الشك إلى بيت النبوة ؟ وما يكون مركز المسلمين ، وهم عرب ، للعرض عندهم شأن أى شأن ؟ وهل يبقى ضعاف الإيمان أتباعاً

لمحمد إذا ثبت على زوجته ما رُميَتْ به من زور وبهتان ؟ لا بد من وحي يبرئها ، ويثبت طهارتها ، ويلعن من افترى عليها ، وبخاصة رئيس العصبة التي جاءت بالإفك ، وهو رأس المنافقين ، ونزل قوله تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عُصبةٌ منكم ، لا تحسبُوهُ شراً لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولّى كِبْرَهُ منهم له عذابٌ عظيم » فثبتت عفة عائشة وطهرها ، وحدّ الرسول من جاءوا بالإفك حد القذف ، ولعنهم الله في الدنيا والآخرة ، إلا الذين تابوا . ورد الله كيد ابن أبي في نحره ، ونجا الإسلام من الفتنة التي أرادها بالطعن في الصديقة بنت الصديق .

وكانوا يأبون الاحتكام إلى النبي وإلى كتابه إلا إذا كان على وفق هواهم . وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرسول ، رأيتَ المنافقين يَصدّونَ عنك صدوداً » . وأبى الله أن يقبل منهم إيماناً إلا إذا قبلوا حكومة الرسول عن طيب خاطر . فقال : « فلا وَرَبِّكَ لا يؤمنون حتى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بينهم ، ثم لا يَجِدُوا في أنفسِهم حَرَجاً مما قَضَيْتَ ، ويُسَلِّموا تسليماً »

وكانوا يستمعون من المؤمنين ويعرفون أسرارهم وخططهم الحربية ، وما في نفوسهم من ثقة بالفوز أو خوف واستشعار ، ويذيعون ذلك ويتحدثون به ، فيبلغ الأعداء ، فيكون في ذلك مفسدة ؛ قال الله سبحانه : « وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولِي الأمر منهم لَعَلِمَهُ الذين يَسْتنبِطونه منهم »

وكان من أسباب نفاقهم أنهم كانوا يودون الربح من وراء هذا النفاق ؛ فإن انتصر المؤمنون قاسموهم في المغانم ، وإن انتصر المشركون انحازوا إليهم ، وبينوا أن ذلك كان بفضل نفاقهم ، وأولئك هم الذين وصفهم الله للنبي الكريم في سورة النساء فقال : « الذين يتربصون بكم ، فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ؟ وإن كان للكافرين نصيبٌ قالوا ألم نستحوذْ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ؟ »

وكانوا « يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة ؟ فإن العزة لله جميعاً » ويعدون الذين كفروا من أهل الكتاب أن يكونوا معهم على النبي وأن يخرجوا معهم من المدينة إذا أخرجهم المؤمنون منها ، كما بين الله سبحانه ذلك في سورة الحشر ، قال سبحانه « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب » وهم بنو النضير « لئن أُخرجتم لنَخرُجَنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم . والله يشهد إنهم لكاذبون » فقد أُخرج بنو النضير من المدينة ولم ينصرهم المنافقون ولم يخرجوا معهم بل بقوا في المدينة يخذلون المؤمنين في الحرب كما خذلوا بني النضير ، ويلتمسون المعاذير لقعودهم عن الجهاد في سبيل الله كما سيأتي بيانه

وكانوا « لا يأتون الصلاة إلا وهم كُسالَى ، ولا يُنفقون إلا وهم كارهون »

ولم يَسْلَم النبي من سخطهم عليه في توزيع الصدقات . فكانوا يتهمونه بعدم العدالة في تفريقها إذا لم ينلهم منها شيء « ومنهم من يَلْمِزُكَ في الصدقات . فإن أُعطوا منها رَضُوا وإن لم يُعطَوْا منها إذا هم يسخطون »

وكانوا يتهمون النبي بالغفلة ، وأنه يصدق كل ما يسمع ، ويقبل قول كل أحد ، وهم الذين قال الله فيهم : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذنٌ ، قل أُذنُ خيرٍ لكم ، يؤمنُ بالله ويؤمنُ للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم »

وكانوا يسمعون آيات الله ويهزءون بها ، كما كان يفعل أهل مكة من المشركين . وكانوا يفعلون ذلك على مسمع من المؤمنين وفي مجالسهم ، فنهى الله المؤمنين عن مجالستهم ما داموا على هذا الاستهزاء ، وأوعد الكافرين والمنافقين أن يجمعهم في جهنم ، وقال للمؤمنين : « وقد نَزَّلَ عليكم في الكتاب أنْ إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذاً مثلهم — في الإثم لا في الكفر — إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً »

وكان منهم قوم ماهرون في إخفاء النفاق وستر الكفر إلى درجة عظيمة ، تخفى أمرهم حتى على النبي ، وهو اللبق الفطن ، الذي لا يعدله أحد ذكاء وقوة فراسة ، وشدة فطنة ، وخاطبه الله فيهم قائلاً : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، لا تعلمهم نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم »

وفي غزوة بني المصطلق أرادوا أن يفرقوا بين المهاجرين والأنصار ، وأوعد عبد الله ابن أبي المهاجرين أن يخرجهم من

المدينة . وتفصيل ذلك أنه بعد انهزام بني المصطلق بقيادة رئيسهم الحارث بن ضرار عند ماء يقال له « المريسيع » في السنة السادسة من الهجرة ، تزاحم مهاجرٌ وأنصاري على ماء ، فلطم المهاجرُ الأنصاري ، وكان هذا حليفاً لابن أبي ، فلما سمع ابن أبي الخبر أخذته حَميَّة الجاهلية ، وأراد أن يغري الأنصار بالمهاجرين ، وقال : والله ما صحبْنا محمداً إلا لنُلطمْ ؛ والله ما مثلُنا ومثلُهم إلا كما قيل : سَمِّن كلبك يأكلْك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ . وعنى بالأعز نفسه ، وبالأذل رسول الله . ثم قال لقومه : ماذا فعلتم بأنفسكم ؟ أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ، ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد . فسمع بذلك زيد ابن أرقم وهو حدَث ، فقال له : أنت والله الذليل القليل في قومك ، ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين . فخاف ابن أبي العاقبة . وأخبر زيدٌ رسول الله الخبر ، فأراد عمر أن يضرب عنق ابن أبي ، فقال رسول الله : إذن ترعد أنف كثيرة بالمدينة . أليست هذه النتيجة التي تحاشاها الرسول هي ما يسعى إليه المنافقون ؟ فاقترح عمر أن يقتله رجل من الأنصار . فقال النبي الكريم : فكيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ ثم قال الرسول لعبد الله : أأنت صاحب هذا الكلام ؟ فحلف بالله ما قال ، وإن زيداً لكاذب . ولكن الله كذبه وصدق زيداً بقوله : «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفَضُّوا ولله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلَّ . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون»

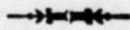
هذه أعمال المنافقين ومكايدهم ، وغايتهم منها استئصال الإسلام وطرد النبي من المدينة ، وتنفير الناس من دينه بإشاعة السوء عنه وعن أهله ، وإنشاء ذلك المسجد آخر الأمر ليدبروا فيه دسائسهم ، ولكن الله كان لهم بالمرصاد ، وانكشفت حقائقهم ونجا المسلمون من شرهم ؛ ثم نُهُوا عن مصافاتهم والانخداع بأقوالهم . أما أعمالهم التي رغبوا أن تجر الويلات على المسلمين في الحرب فوعدنا بها للعدد القادم .

عبد الرزاق ابراهيم حميدة

نجوى !

عاصفُ مَلال . . . !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

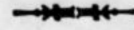


سَئِمْتُ مُقامِيَ فَوْقَ الذُّرا . . .
فَأَيَّانَ أَمْضِي غَدًا يا تُرَى ؟!
سَئِمْتُ وَدَوَّى بِقَلْبِي الْمَلالُ
كَمَا عَاصِفٌ في الدُّجَى زَمْجَرَا
أَمَامِي ضَبَابٌ ، وَخَلْفِي ضَبَابٌ
وَأُفْقِيَ غَشَّى عَلَيْهِ الْكَرَى
فَلاَ في السَّمَاءِ أَرَى وَمْضَةً
تُعَزِّي أَسَايَ ، وَلاَ في الثَّرَى
وَحَوْلِي حَضِيضٌ ، بِأَوْحَالِهِ
تَخَبَّطَ في الإِثْمِ رَكْبُ الْوَرَى
وَحَتَّى ضِفَافُ الرُّؤَى عِفْتُهَا
فَمَا في حِمَاهَا لِرُوحِي مُرَى
وَحَتَّى الْخَيَالُ الَّذِي هَزَّنِي
وَأَرْعَشَ لِي سِحْرُهُ الْمِزْهَرَا ؛
تَبَرَّمْتُ يا جِنُّ ، فَامْضِي بِهِ
رُفَاتًا مِنَ الصَّمْتِ لَنْ يُنْشَرَا !
وَمَا عَالَمُ الشِّعْرِ هٰذَا الْفَسِيحُ
سِوَى طَيْفِ حُزْنٍ بِعُمْرِي سَرَى
سَئِمْتُ ! وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ سَنَا
عَلَى ظُلْمَةِ الرُّوحِ قَدْ نَوَّرَا
مِنَ الْحُبِّ ! أَوْ مِنْ فَنَائِي الَّذِي
يُغَمْغِمُ لِي في سُفُوحِ الذُّرَا . . .

من عجائب الفهم أيضا !

للأستاذ زكى طليمات

مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف



كتب « الناقد الأديب » مقاله الأول فى العدد (٣٦٨) فساق القول من أطرافه، ولم يعرج على المذاهب الفلسفية ألبتة، حتى بما يصح أن يدعم به اتهاماته ويقوم دعواه، فلم يفطن إلى أن قصيدة الأستاذ العقاد عرض وتحليل لنظرية (كانت) فى المعرفة، ولم يرد توطئة « مفرق الطريق » إلى فلسفة ما. ولكن ما إن تحدثنا فى الفلسفة، وذلك فى الرد على ذلك المقال الأول، وتحدثنا فيها بالقدر الذى لا يثقل على القارئ لننزل الأمور منازلها الصحيحة ونوجه القارئ إلى الحق، حتى أخذ « الناقد الأديب » بأسباب الفلسفة، وحديث الفلسفة متمعج لزج، وله أرض رخوة تنزلج القدم عليها، أو هى تسوخ فيها، فلا تقتلع إلا لتزداد بعد ذلك سوخاً، ما لم يضرب السائر فى الدرب الأمين. فساق فى مقاله الثانى فى العدد (٣٧٢) أقوالاً وأصدر أحكاماً يغلفها التعسف الواضح، والنقد المتعسف، كما هو معلوم من أسوأ النقد، وهو مطية للخطأ.

***

زعم « الناقد الأديب » فى مقاله الأول أن مسرحية « مفرق الطريق » إنما تقوم على الفكرة الفلسفية التى أنشأ عليها الأستاذ العقاد قصيدته « النعمة الباردة »؛ فكان أن قررنا فى الرد على هذا الزعم ـ وذلك فى مقالنا السابق ـ أن الأمر غير ذلك، لأن قصيدة « النعمة الباردة » تقديماً وشعراً، ما هى إلا عرض وتحليل لمذهب الفيلسوف « كانت » فى مسألة المعرفة، والمعرفة هى الفحص عن الصلة بين الذات والموضوع، هذا فى حين أن « مفرق الطريق » تعالج حالة نفسية غامضة، معالجة تمت بوسائلها إلى المذهب الباطنى الذى أحكم أمره الفيلسوف « برجسون ». وهو مذهب يعتمد على البصيرة والإحساس الدفين ـ لا الدقيق ـ والإدراك الصرف مع إهمال ظواهر العالم وطلب خفاياه وبواطنه، وأيدت ذلك بالبرهان القاطع

فاذا كان رد « الناقد الأديب » على ذلك الإيضاح؟ لم يدحض ما أيدناه بالبرهان، بل إنه لم يتصد له وجهاً لوجه بل راوغ وداور ليعبر عنه عبراً

فإذا هو يومئ إلى أن قصيدة العقاد فى « النعمة الباردة » ترجع إلى أصول من فلسفة « كانت »، يصنع ذلك فى نفس الوقت الذى يصرح فيه بأن « مفرق الطريق » إنما تقوم على خليط فلسفى، خليط فيه من « كانت » ومن « برجسون » وفيه أيضاً من « إبسن » ومن أشياء أخرى

إذن « فالناقد الأديب » يعترف مكرهاً بأن مفرق الطريق ليست من « كانت » وحده، أى ليست من المعين الفلسفى الذى اغترف منه دون غيره الأستاذ العقاد فى قصيدته « النعمة الباردة » وهو يعترف بهذا ولكن يتوارى فى اعترافه وراء أقوال أخرى — هى من الدخان الذى يطلق لينشئ ستراً يمهد لنقلة عاجلة من وضع إلى آخر فى غفلة من العين — فيزعم أن « مفرق الطريق » فيها أيضاً من « برجسون » وفيها من « أبسن » يزعم هذا وهو لا يدرى أن أقواله هذه تناقض ما قاله فى مقاله الأول، وأنه ينزل مكرهاً على ما قررناه من أن « مفرق الطريق » تمت إلى فلسفة « برجسون » بل هو يتورط فى خطأ جديد، أو يدس اسم « إبسن » فى معرض حديثه عن الفلسفات مع « كانت » و « برجسون » فى حين أن ليست « لإبسن » مدرسة فلسفية قائمة بمعالمها وحدودها، إذ أن كل ما لهذا المؤلف النرويجى العظيم أسلوبه الخاص فى التفكير ومعالجة الشئون الاجتماعية!

كيف تأتى إذن أن تكون مسرحية « مفرق الطريق » فى زعم « الناقد الأديب » من « كانت » مقتبسة من قصيدة العقاد — وهو ما صرح به فى مقاله الأول — ثم كيف تأتى أن تكون المسرحية نفسها من « كانت وبرجسون وأبسن » — وذلك فى مقاله الثانى — ولما تلبس المسرحية لبوساً غير لبوسها الأول!!

ويمتد بنا التساؤل فنقول: كيف يتأتى أن يجتمع « كانت » و « برجسون » فى صعيد واحد، ولكل من الفيلسوفين مذهبه الخاص، ولكل وسائله، وهى لدى كل منهما متنافرة متباينة؟؟

***

وما دمنا فى صدد الفلسفة نرى لزاماً علينا أن ننبه « الناقد الأديب » إلى أن إقحامه اسم الأستاذ Le Roy[1] فى رده، تهويل محض، لا يؤخذ به من فقه « برجسون » . وأغلب الظن أن « الناقد الأديب » ركب هذا الحرج ليوهم بأن مذهب « برجسون » لا صلة له بالمذهب التصوفى من حيث المنهج، وقد اعتمد فى هذه النقطة على « بحوث الأستاذ لوروا الأخيرة عن برجسون » .

وفى هذه الدعوى انحراف عن الصحة، فقد ورد فى الجزء الأول من بحوث الأستاذ لوروا[2] أن البصيرة عند « برجسون » إنما هى انطواء النفس على ذاتها وتوحيد الروح كلها، توّاقة إلى المعرفة التأملية[3] . كذلك قرر لوروا « أنه لا يرى شيئاً أشبه بطريقة « برجسون » القائمة على البصيرة والتأمل من طريقة المتصوفة[4] من غير اتحاد تام » وعلل ذلك بقوله : « إن مصدر الشبه كائن فى توافق المقصد، وهو الرجوع إلى الأمر المباشر »[5]

***

ولا يسعنا مع ذلك إلا أن نقرر أن هناك قصداً مرسوماً من جانب « الناقد الأديب » فى أن يورد معارض من القول التى يمت إلى حديث الفلسفة، فيه كثير من الخلط واللبس، أو الخلط المتعمد واللبس المقصود، إرادة صرف الأذهان عن جوهر الموضوع

إذن فنلخص الدعوى فى مرحلتها الأولى لنطالعها فى مراحلها التالية :

حاول « الناقد الأديب » فى مقاله الأول أن يتهم بشر فارس بأنه اقتبس الفكرة الفلسفية التى تقوم عليها مسرحيته من قصيدة العقاد، فلما رددنا عليه اتهامه قام يناشد الفلسفة أن تمده فلم توآته الفلسفة بشىء . ولما أيقن أنه لم يوفق فى إقامة دعوى الاقتباس، خرج علينا بتهويل جديد، مجمله أن ليس فى مسرحية « مفرق الطريق » شىء يستحق النظر، وأن المذهب الرمزى فى الأدب، وهو المذهب الذى تمت إليه المسرحية، ليس إلا ضباباً كثيفاً من « الإيهام والإبهام » يضفى على الكائنات مسحة من الروعة والهول، ولكن كلما اقترب منها الإنسان تضاءلت هذه الكائنات

أما أن هذه المسرحية ليس فيها ما يستحق النظر فأمر مرده إلى أحد شيئين : إما أن « الناقد الأديب » ينظر إلى المسرحية بعين واحدة ويسمعها بأذن واحدة فهو يصدف عن كل مكمن للحس فيها، وإما أن الفهم لم يواته بما يجب أن يواتيه لعلة لا نعرفها

وأما أن الرمزية لا تروق الناقد الأديب؟ فهذا شىء يخصه، ولا شأن له بالجودة الذاتية للمسرحية

***

وختاماً نهمس فى أذن الأستاذ « الناقد الأديب » :

إلى متى يطول أمر هـذا التستر فيما ينشره، ولماذا لا يذيّل ما يكتبه باسمه الصريح، وقد نزلنا إليه سافرين غير مقنعين، وتبادلنا أنخاب الرأى فى شئون تبعث الرغبة فى نفس القارىء على أن يعرف حقيقة الطرف الثانى؟

لهذا نقول للأستاذ « الناقد الأديب »، إننا له فى كل ما يريد على شريطة أن يكشف عن وجهه، وإلا فإننا لن ننزل إلى ميدان الرد عليه بعد ذلك .

زكى طليمات

(١) وليس Leroy كما وهم (الناقد الأديب) فى رسم الاسم .

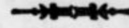
(٢) اسم الكتاب La Pensée intuitive ، ويقع فى جزأين ، وطبع بباريس ١٩٢٩ — ١٩٣٠

(٣) ص ١٨٩ الجزء الأول (٤) ص ١٩٤ الجزء الأول

(٥) ص ١٩٧ الجزء الأول

٧ – إلى أرض النبوة !

للأستاذ على الطنطاوى



كان أجدادنا الشاميون المتمسكون بالسنة ، إذا دخلوا تبوك أخذوا (كما يزعم ابن بطوطة) أسلحتهم ، وجردوا سيوفهم ، وحملوا على المنزل ، وضربوا النخيل بسيوفهم ... يقولون هكذا دخلها رسول الله[1]

ولو كان أجدادنا (أعقل) من ذلك ، لضربوا بسيوف كسيوف خطباء المنابر فى مصر ، التى وصفها الإمام الرافعى رحمه الله فى تلك المقالة (الشمّاعة) ، لتكون آية أخرى على أنهم يفهمون (السنة ...) كفهم الشيخ الدمشقى الذى خرج مرة من باب الجامع يمشى فى الأسواق حافياً ومن ورائه تلامذته يحملون نعالهم بأيديهم، نشراً للسنة ... وكفهم كثير من المسلمين اليوم!

أما نحن فلم نكن قد تعلمنا هـذه البطولة (الدنكشوتية) ، فدخلنا تبوك كما يدخل عامة إخواننا من بنى آدم بلداً من البلدان ولم نضرب النخل البرىء بسيف أبى حية النميرى الذى أخذه من وزارة أوقاف مصر لما ولى الخطابة فى مساجدها ، وإنما ضربنا بأكفنا فى قصاع الرز واللحم التى كان يكرمنا بها أمير البلد .

ولبثنا فى تبوك يومين أنسنا فى اليوم الأول واطمأننا وتفيّأنا ظلال الأمن والدعة ، بعد ما صلينا بشمس الصحراء أياماً اكتوينا فيها بنار الجوع والعطش والخوف والتعب فأحببنا تبوك، وتمنينا لو أقمنا فيها الدهر فما فارقناها ، وعشنا فى كنف أميرها المهذب الكريم العمر كله ... ننعم بيمن نقيبته ، ونور طلعته ، وخصب مائدته ... ولكنه لم يأت اليوم الثانى حتى مللناها ، ورأيناها من ضيقها آخذة بمخانقنا . وقال قائلنا : أهذه هى تبوك التى طالما شوقنا إليها الدليل ، وطالما منانا الوصول إليها ، وحط الرحال بفنائها ؟ أمن أجل هذه القرية ذات الستين بيتاً حملنا ما حملنا من الأين والعناء ... ؟

لقد جلنا أنحاء (البلدة ...) ورأينا نخيلها الذى كان يقطعه أجدادنا الأبطال بأسيافهم ! ! فلم يفوقوا منه إلا بمقدار بستان صغير من بساتين البصرة ! وزرنا قصر الأمير المبنى بالآجر المطلى بالطين ، ودخلنا المسجد الذى فرش بالرمل ، حتى ليغوص فيه أنف الساجد ويدخل فى خياشيمه ، ووقفنا على المحطة الخالية الخاوية ، فبكينا فيها (السكة) التى أنشأناها بأموالنا ، ثم خربناها بأيدينا وأيدى القوم الذين أثاروها بيننا جاهلية جهلاء ، فكان لهم ثمارها، وكان أن حرقتنا نارها ... رأينا ذلك كله فما ثواؤنا فى تبوك ، وعلام نقيم فيها ؟ ألنأكل على مائدة الأمير ، ونثقل عليه ؟

وتهيأنا للرحيل ، لنقطع النصف الثانى من الطريق ، وهو النصف الصعب المتعب ، الذى وصف ابن بطوطة ومن كان قبله ومن جاء بعده صعوبته وهوله ... وسرنا متوكلين على الله .



قال ابن بطوطة :

« يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلاً ونهاراً خوفاً من هـذه البرية وفى وسطها الوادى الأخيضر كأنه وادى جهنم أعاذنا الله منها ، وأصاب الحجاج به فى بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التى تهب ، فانتشفت المياه وانتهت شربة الماء إلى ألف دينار ومات مشتريها وبائعها . وكتب ذلك فى بعض صخر الوادى ومن هناك ينزلون بركة المعظم وهى ضخمة نسبتها إلى الملك المعظم من أولاد أيوب، ويجتمع بها ماء المطر وربما جف فى بعض السنين »

أما نحن فلم نخش هذه البرية خشية البطوطي ، بل وجدناها هينة بالنسبة لما مر علينا قبل تبوك ، ولم نعرف شدتها وقسوتها حتى ضربنا فيها أياماً ؛ فأدركنا أن ابن بطوطة كان صادقاً

ولقد كنا خرجنا من دمشق بشىء عظيم من الزاد ، وبمائتى صفيحة من البنزين ، فنفد كله قبل تبوك فجددناه فيها ، وحملنا ما استطعنا حمله من الماء ، وصحبنا دليلاً جديداً (اسمه محمد الأعرج) طويلاً نحيفاً شيطاناً من شياطين البادية ، خبرونا أن له عند الإمام عبد العزيز منزلة دانية ، وودعنا دليلنا الثانى صلبى الذى حدثتك عنه من قبل

ومن أغرب ما شاهدت فى هذه الرحلة ، أنه لما اجتمع الدليلان ، وكلاهما شيخ قبيلته ، طفقا يذكران الماضى ،

(١) لا أصل لذلك فى السنة .

ويستعيدا أخباره . ففهمنا أنهما كانا عدوين يتقاتلان ويتنازيان؛ فلما تدينا (أي تبع الشيخ ابن عبد الوهاب مصلح الجزيرة) نبذا ذلك كله ، وتمسكا بالأخوة الإسلامية ، وألّف الله بين قلوبهم بالإسلام كما ألف بين أجدادهم عرب الجاهلية ، فرحم الله ابن عبد الوهاب ورضي عنه وعن كل قائم لله بحجة ، داع إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ، آمر بالمعروف ناه عن المنكر ، ناصر للسنة قامع للبدعة

ومشينا نخرجنا من تبوك سبعين كيلاً لم نجد فيها ما نتحدث عنه ، أو نشكو منه ، فقد كانت الأرض متماسكة شديدة درجت عليها السيارة بسهولة ، وكل ما وجدنا فيها من الصعاب ثلاثة شعاب رملية لا يتجاوز عرض الواحد منها كيلاً ونصف كيل ، ورياح شديدة خبرنا الدليل أنها لا تكاد تنقطع من ذلك المكان ، ثم بلغنا أوائل الجبال ، فدخلنا وادياً متسماً فيه تلال من الرمال ، فلم نسر فيه إلا قليلاً حتى كثرت فيه الصخور ، وازداد ارتفاع الجبال من حولنا ، وكانت الصخور هرمة بالية مؤلفة من صحائف رقيقة كصحائف الكتاب ، تتفتت من مس الأيدي ، والوادي ممتلئ بفتاتها ، ثم ظهرت في الوادي تلال من الرمل الأحمر الناعم المتموج ، لها منظر أخاذ . واستمرت هذه المشاهد من حولنا مسيرة ثلاثين كيلاً ، ثم عرضت لنا جبال فيها الصخر الأسود تخالطه بقع حمراء ، وصلنا بعدها إلى أرض مستوية تشبه (بسيطة) التي مررنا عليها قبل أن نصل إلى جبال الطبيق في طريقنا إلى تبوك ، ثم أمسى علينا المساء في بقعة اسمها (ساح الغزوان) فبتنا فيها ، وبينها وبين تبوك (١٤٤) كيلاً ، سجلها راقم السيارة (الكيلو متراج) ومعنى (ساح الغزوان) عندهم ميدان المعركة

نزلنا نشهد الشمس وهي تجر ذيلها الذهبي على الوهاد والنجاد ثم تتوارى وراء الأفق البعيد ، فجلسنا نمتع الطرف بمحاسن المساء في الصحراء ونريح النفس إلى سكونها وصفائها حتى إذا لف الكون الظلام أوقدنا النار وأشعلنا المصابيح وفرشنا الفرش ، وكنا في أول الرحلة ننصب سرادقاً نبيت فيه فصرنا ننام تحت السماء بين أحدنا والآخر أكثر من عشرين متراً لا نخاف وحشاً ولا نخشى لصاً ، فقد أمّن الله الجزيرة بابن السعود حتى صار أمنها حديث الناس ، وانعقد عليه إجماع من أمّ الحجاز أو جال في بواديها ، ولقد ترك أصحابنا التجار (وقد كانوا يسيرون على أثرنا بيننا وبينهم مسيرة ثلاث) سيارة مترعة بالثياب والطعام وكل ما يرغب فيه البدوي ، ويسيل لتصوره لعابه ، ورجعوا إليها بعد شهر فما وجدوا شعرة منها أزيحت عن مكانها على كثرة من مرّ بها من الأعراب !

وما أذكر أننا خفنا أو ارتعنا إلا ليلة واحدة نزلنا فيها على طرف واد ، وكانت ليلة حالكة السواد فما شعرت إلا الدليل محمداً الأعرج يجر بيدي ، فتبعته حتى ابتعدنا عن الرفقة ، فأشار إلى جهة رأيت فيها كمثل المصباحين ، فارتعت ودنوت منه فقلت : ما هذا ؟ فقال وهو غير مكترث ولا مبال : هذا نمر ! فنظرت إليه فإذا هو ساكن الطائر ، هادئ الجوارح كأنه حين يقول نمر يقول كلب أو قط ، ولم أكن رأيت نمراً من قبل إلا في حديقة الجيزة بالقاهرة . نخفت والله وشمرت من الفزع كأن المقال طار عن رأسي ورجع ، وما أنا بالجبان ولا الرعديد ، ولقد عرضت لي الضبع مرة ، فما رأيت فيها كبير شيء ، ولكن النمر في البادية في الليل لا يرى منه إلا عينان كأنهما جمرتان ؛ لا ، إن هذا مخيف !

أما الأعرج فما كان منه إلا أن مدّ بندقيته وأطلق رصاصها على عيني النمر فأخطأهما وانتقل ضوؤهما المرعب إلى جهة أخرى ، فعاد فأطلق ناره فأخطأه ، وابتعد النمر ... فالتفت الأعرج ليعود فقلت : ويلك ماذا تصنع ؟ فقال : وماذا تريد أن أصنع ؟ لقد ذهب ! قلت : أفلا أوقظ الركب ؟ قال : لا ، بل نم أنت أيضاً . وتركني الخبيث وذهب فنام وأنا أسمع غطيطه ؛ ومرت علي ليلة وأين منها ليلة النابغة ؟ كاد يقتلني النعاس ، وكلما غفوت توهمت النمر يحملني بين أسنانه كما تحمل الهرة الفأرة ، فأفيق مضطرباً أنظر حوالي وأنا أتعوذ حتى طلع الفجر وما أدري كيف طلع !

هذه هي ليلة الخوف عندي ، فمن سخر من خوفي فأنا أسأل الله أن يريه نمراً في المنام لا في اليقظة لينظر ماذا يكون من أمره .

قمنا — على عادتنا — في الغلس فشهدنا طلوع الفجر ونحن نعد الطعام ونتهيأ للرحيل ، ولقد كنا نسمع بالفجر سماعاً ونقرأ صفته في الكتب ، ونعلم أن في الدنيا فجراً كاذباً وفجراً صادقاً ، ولكنا لم نره عياناً ونعرف صادقه وكاذبه إلا في الصحراء ؛ وتركنا ساح

النزوان قبل أن تطل الشمس على الدنيا متوجهين إلى الجنوب. فلم نسر إلا قليلاً حتى كثرت من حولنا الهضاب، فكنا نوالى الصعود والهبوط، واستمر ذلك نحو تسعة أكيال، ثم انقطعت الهضاب وابتدأت القور وهى كالأكم ولكنها مؤلفة من الصخر الأسود، وربما كانت القارة صخرة واحدة عظيمة أشبه شىء بالمخروط الناقص (عند أهل الهندسة)، وكانت هذه القور صخوراً مطبقة هرمة كالتى وصفنا آنفاً، فكنا ندور بالسيارات فيما بينها ونمشى خلالها، وامتدت بنا ستة أكيال، ثم انتهينا إلى سهل مبسوط كالكف سرنا فيه كيلين، ثم عادت الهضاب والقور تتخللها أراض منبسطة وامتد بنا ذلك عشرة أكيال، ثم عرضت لنا حجارة كبيرة ملأت الأرض ولقيت منها السيارات شدة وبلاء، ثم أخذنا بالصعود، نرتقى سفوحاً وعرة صعبة، إلى أن غبنا بين جبلين عاليين صخرهما من ذلك الصخر المطبّق الهرم الذى يتفتت، فسرنا خمسة أكيال فانتهينا إلى بقعة قال الدليل إنها ملتقى طريق الجوف (أى دومة الجندل) بطريق المدينة

خلفنا طريق الدومة عن شمائلنا ووالينا الصعود خمسة وثلاثين كيلاً أخرى، التقينا بعدها بالخط الحديدى، ووقفنا قبالة محطة صنعاء، وهى قائمة وحدها فى البادية، قد نزعت منها أبوابها وشبابيكها ولم يبق منها إلا جدرانها ماثلة تستبكى من كان له قلب، وكان فى قلبه إيمان ... وماذا لعمرى يجدى البكاء؟

(لها بقايا) على الطنطاوى

إلى معالى وزير المعارف

التعليم الزراعى

دعوتك لما برانى البلاء وأوهن رجلى ثقل الحديد
وقد كان مشيهما فى النعال فقد صار مشيهما فى القيود
وكنت من الناس فى محفل فها أنا فى محفل من قرود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بمحك اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد
(المتنبى)

مضى ربع قرن والتعليم الزراعى فى مصر - عدا الجامعى منه - واقف فى مكانه لا يتحرك ولا يتزحزح ، ولا يشعر بأن الحوادث حواليه تنطلق إلى غايتها فى عنفوان وتشتد إلى غرضها فى عزم . أما هو فقد تخلف فى سبات عميق لا يخضع لسنة الطبيعة ولا ينزل على حكم التطور . ولشدّ ما آلمنى — حين قُدّر لى أن أغتمر فى غمار هذا النوع من التعليم — أن أجده متفككا يتداعى من هوان ومن ضعف ؛ ولبثت ما لبثت أسوق النفس سوقاً إلى غاية ، وأنا أرى وأحمل النفس على الصمت ، ثم أنشر رأيى على صحابتى - بين الحين والحين - فلا أجد إلا الجمود الذى نفثه الاستسلام ، والجمود الذى ولدته سخرية الرئيس من آراء مرءوسيه والتهكم بها والامتهان لها ، نتيجة التزمت والكبرياء . والآن هبت الوزارة ، أو بالأحرى مراقبة التعليم الزراعى ، تسعى إلى تهذيب هذا النوع من التعليم وتريد إصلاحه ، فأردت أن أتغلغل إلى قراره عَلّى أستطيع أن أبدى سوءاته أو أن أنفى عنه خبثه ، وما لى بعد ذلك إلا أجر العامل المجد أو جزاء الناصح الأمين

والتعليم الزراعى فى مصر — عدا الجامعى منه — يتكون من المكاتب الزراعية ومن المدارس المتوسطة ، وسأحاول جهدى أن ألم شعث الموضوع فى نظرة فاحصة سريعة .

أولا: المكتب الزراعى

فكرة الإنشاء

نشأت فكرة المكتب الزراعى - أول مانشأت - سنة ١٩٣٥ ، وابتدأ تنفيذ هذه التجربة فى سنة ١٩٣٦ . وفى الحق لقد كانت الفكرة جميلة تختلب النظر والقلب معاً وتستحق الثناء والشكر ، لأنها تحقق غرضاً سامياً ، وتملأ فراغاً استشعرته مصر الزراعية منذ زمان . وهى فى لبّها ترمى إلى أن تنشّئ طائفة من أبناء صغار الزراع تنشئة تتفق والنهضة الحديثة التى قطعت البلاد فيها شوطاً غير قريب ، ثم تدس بهم بين آبائهم وأهليهم لينهضوا بهم وليكونوا نواة للعمل العظيم الذى ينتظرهم بعد ، وهو اطّراح الطرق الزراعية العتيقة والأخذ بالحديث منها . غير أن شيئاً عدل بالغرض عن وجهته الأولى فأصبح يرمى إلى تخريج فئة من أشباه الموظفين والعمال يقومون على إدارة الدوائر والضياع والبساتين . واتخذت التجربة سبيلها فى مكتبين ملحقين بمدرستى الزراعة المتوسطة بالمنيا ودمنهور ، والتحق بالمكتبين صبيان أتموا التعليم الإلزامى ليتخرجوا بعد سنوات ثلاث

وارتطم المشروع بالصدمة الأولى ، بقلة عدد التلاميذ ، فكاد يهوى ، لولا أن حكمة القائمين على العمل تداركته ففتحت أبواب المكتبين على مصاريعها لأبناء الفعلة والعمال والصناع والزراع على السواء ، فتم عدد التلاميذ عشرة فى كل من المكتبين وسار دولاب العمل ...

نظام الدراسة ومدتها

الآن حقّ لابن الصانع والعامل و ... أن يلتحق بالمكتب الزراعى ليخرج بعد ثلاث سنوات عاطلاً لا يستطيع أن يجد عملاً أو أن يعين أباه أو أن يفيد وطنه أو يحقق الغرض الذى من أجله أنشئ المكتب . وماذا يفيد الصانع أو العامل أو الزارع نفسه أن يأتى ابنه — وقد شب وترعرع — يغدو إلى المكتب ويروح إلى الدار وهو فى حاجة شديدة إليه ، فراح كل منهم يحول بين ابنه وبين المكتب ؛ فأوشك هذا العمل — وهو جليل — أن يتوارى عن الأنظار لولا أن أدركته حكمة الرؤساء مرة أخرى ، فخولوا للتلاميذ أن يحضروا متى شاءوا وأن يمتنعوا عن الدراسة متى أرادوا ، دون أن يبدى الواحد منهم عذراً ، أو أن يحتمل لوماً وتأنيباً ، أو أن يؤاخذ أبوه ؛ فانطلق التلميذ إلى غَيّه يهرب حين يلذ له الهرب ، ويسكن إلى أمه أو أبيه حين يطيب له ذلك . وهكذا تداعت أبسط مبادئ الأنظمة ، واختل نظام العمل ،

وانهد الركن الركين فى سير الدراسة ، ولست أدرى ، ماذا عسى أن يكون هذا الطفل بعد حين وهو قد درج على ألا يأبه لنظام ولا أن يهتم بميعاد ! واندفع الصبى وأبوه يتناليان — وقد نام الرقيب — فينطوى العام الدراسى كله ولمّا يحضر التلميذ غير شهر أو بعض شهر، ثم هو لا يحمل مئونة الاختبار ولا نصب الاستذكار والمطالعة ولا يصبر على قسوة العمل ، فهو منقول إلى السنة التالية بدون شرط ولا قيد ، وتنقضى السنوات الثلاث فإذا الصبى المتخرج فى المكتب جاهل يرتدغ فى جهله

وتساهل القانون مرة أخرى وأغضى ، فصرح للتلاميذ أن يحضروا دروسهم فى أسمال بالية ، حفاة عراة الرءوس ، تأكلهم الوساخة و ... على حين أن الصوت قد بُحّ من طول ما نادى بوجوب تنظيف الفلاح وترتيب حياته على نسق ، أما هنا فأصبح الإهمال والقذارة قانوناً ...

وانطوت السنون فإذا المكتب كله ينضم على أحد عشر بينهم الناظر وليس بينهم أى مدرس، فدرسو المكتب هم بعض مدرسى مدرسة الزراعة المتوسطة

ومن غريب ما يروى أن ناظر هذا المكتب كان يقضى يومه لا عمل له إلا أن يكتب الرسائل إلى الوزارة ويستقبل الرسائل منها . ولِمَ ؟ لأن الصبية يقضون يومهم فى الحقل أو فى مدرسة الزراعة المتوسطة ، فهناك يشهدون التجارب العملية ويعملون بأيديهم ، وهنا يتلقون دروسهم على أساتذتهم

عجيب أن نخلىُ فنقول إن التلميذ فى هذه السن الصغيرة يستطيع أن يدرك التجارب الزراعية الحديثة ، أو أن يطبقها ويقارن بينها وبين القديمة ليعرف الغث من السمين ، وعجيب أن نخلىُ — مرة أخرى — فنقول إننا نستطيع أن نهيئ هذا الصبى فى ثلاث سنوات ليكون زارعاً من الطراز الأول !

وإذن يتراءى لنا — لأول وهلة — قصر مدة الدراسة ، فما التلميذ بمستطيع أن يستوعب شيئاً ، ولا المدرس بمستطيع أن يحشو ذهنه النض

منهاج الدراسة

هذا الصبى الصغير قد تثقف ثقافة أولية بحتة لم يلمس فيها رهقاً ولا عنتاً ، وهو حين التحق بالمكتب الزراعى لم يقدر أن يحمل ما لا طاقة له به

هنا ، فى هذا المكتب ، يرزح الصبى تحت ثقل ينوء به ، فالعلوم كثيرة متراكبة ومتشابكة ، ومواد العلم الواحد أو فرع العلم طويلة مملة ، فماذا وراء أن يدرس التلميذ فى المكتب — مثلاً — منهجاً طويلاً فى مسك الدفتر فيه : اليومية ، واليومية الزفرة ، والأستاذ ، وحساب الأرباح والخسائر ، والميزانية ، والأوراق المالية و ... مما يبهظ عقل التلميذ ويتركه فى حيرة من أمره ويقضى على وقته ؟ وماذا وراء أن يتلقن الصبى فى مكتبه ما يتلقاه طالب الزراعة المتوسطة سواء بسواء؟ وهكذا نرى المنهاج فى كل فروع الدراسة طويلاً ومعقداً ومملاً ، حتى منهاج الزراعة نفسها ؛ وقد لا يرتبط فى كثير من الأحايين بالناحية العملية ، وهو إن مَتَّ إليها بسبب فلكى يرى التلميذ التجربة مرة واحدة ثم لا يعود ؛ فى حين أن ما نبتغى هو أن يشهد التجربة ويعملها بيده مرة ومرة ثم لا يبتعد عنها ، وأن يعرف أشياء كثيرة عن منتجات الألبان وتربية الماشية ودودة القز والنحل ثم الصناعات الزراعية مما يجهله الزارع أو يهمله أو لا يعترف بفائدته الحيوية والمادية

ثم كيف يأخذ المدرس على عاتقه تدريس مادة لهؤلاء التلاميذ الصغار إن لم يكن بين أيديهم مراجع يرجعون إليها إن أعوزهم الأمر أو خانتهم الذاكرة؟ لا ريب أن التلميذ لا يستطيع أن يحفظ كل ما يلقى عليه وهو كُثر ؛ والمدرس لا يستطيع أن يرهق التلاميذ بالشراء أو الطبع وهو يعلم أنهم فقراء يجدون مس العوز، وأن المكتب يقوم على تربيتهم مجاناً ، بل ويحبوهم بالمأكل والملبس . إذن لا بد أن يجد أسهل سبيل يبلغ به غايته ، وهو الإملاء

وهنا ... هنا فقط شغلت الإملاء — دون الشرح — كل وقت الصبى ، وانمحى كل مبدأ أو مذهب يرتكن إليه التدريس الفنى ؛ وإذن ذهب التلميذ يكد ذهنه ليحفظ تجارب وعمليات وأسماء وموضوعات سطرت على القرطاس وعمى بصره عن أن يراها فى الحقل . وانتهت الحياة به إلى ما ينتهى إليه كل طالب حين يخرج من مدرسته ، لا يتعلم إلاّ أنه فوق مستوى الفلاح ، فهو يأبى أن ينزل إليه وهو لا يعرف أن يسمو عنه .

« للموضوع تكملة » (*)

بمناسبة الأربعين

الفكر الهامد

مرثية المرحوم الدكتور أدهم



عَجِلْتَ رَحلَكَ دونَ أَنْ تلقاني ... يا أطيبَ الإخوانِ والخُلّانِ
ما كنتُ أحسبُ أنّ وعدكَ باللقى ... وعدُ الرُّؤى خُدِعَتْ به العينانِ
نبأٌ فُجِعتُ بهِ، وأيُّ فجيعةٍ! ... أَلقى عليَّ كَلاكِلَ الأحزانِ
ما زلتُ أقرأُهُ وأَخدعُ ناظري ... حتّى تحطّمَ في الشجونِ كياني
أنا مَن فقدتُ بكَ الوفاءَ مُجَسَّماً ... وفقدتُ بعدكَ راحةَ السُّلوانِ
عُمُرٌ كلَمْعِ الشهابِ طوي الدُّنى ... حتى تعثّرَ في دُجى الأشجانِ
لو مُدَّ فيهِ أتى بأروعِ آيةٍ ... لكنّهُ قدرٌ منَ الرحمنِ ...
لي فيكَ أخلاقٌ كسِيماءِ الضُّحى ... وشمائلٌ وَرْدِيَّةُ الأَرْدانِ
وإباءُ نفسٍ لم يُطأطئْ هامَهُ ... عَنَتُ السَّقامِ وغارةُ الحدثانِ
وذكاءُ ذِهنٍ كالأشعّةِ نافذٌ ... فيما وراءَ دقائقِ العرفانِ
وطُموحُ نفسٍ في توقُّدِ خاطرٍ ... وصفاءُ فكرٍ في اتّقادِ جَنانِ
وصراحةٌ كالشمسِ تلقي رأيَها ... حُرّاً بغيرِ تملّقٍ ودِهانِ
ما قلتَ في السرِّ الحصينِ مقالةً ... غيرَ الذي تُبديهِ في الإعلانِ
مجدٌ بنيتَ وما انتظرتَ تمامَهُ ... هذا البناءُ .. فأينَ أينَ الباني؟
لي فيكَ هاتيكَ المواهبُ كلُّها ... أمّا العقائدُ فهيَ للديّانِ ...
في ذِمّةِ القدرِ المعجّلِ همّةٌ ... جبّارةٌ في هيكلٍ متفاني
السُّقمُ ناوأَهُ فما استخذى لهُ ... والسُّقمُ جبّارٌ على الأبدانِ
ضاقتْ بهِ الدنيا وضاقَ خِضَمُّها ... عن ضَمِّ بحرٍ دائمِ الفيضانِ
لمّا اقتحمتَ على العقائدِ بابَها ... وبسطتَ رأيَ الباحثِ الحيرانِ
قامتْ عليكَ قيامةُ الدنيا لهُ ... والدِّينُ أثمنُ ثروةِ الإنسانِ
رأيٌ رأيتَ وللورى هفواتُهمْ ... والمرءُ مهما اشتدَّ في النَّزَوانِ
فهو الضعيفُ أمامَ قدرةِ خالقٍ ... وسِعَتْ جلالتُهُ مدى الأكوانِ
وهو الفقيرُ إلى مراحمِ ربّهِ ... ما أحوجَ الإنسانَ للغفرانِ!
لو ناقشوكَ وجادلوكَ بحكمةٍ ... وهوادةٍ، وترفّقٍ، ولَيانِ
لرجعتَ عن رأيٍ تبيّنَ خطؤُهُ ... ونزلتَ عن دعواكَ بالإذعانِ
لكنّهم شنّوا عليكَ حروبَهم ... ولقوكَ بالإيذاءِ والعدوانِ
ما الشكُّ شكُّكَ إنما هي نزعةٌ ... من عالمٍ باغٍ على الأديانِ
وجدتْ إلى النفسِ الطريّةِ منفذاً ... فتسلّلتْ منه إلى الوجدانِ
والشكُّ سلطانٌ إذا ماشيتَهُ ... سُدّتْ عليكَ منافذُ الإيمانِ
والنفسُ في فجرِ الشبابِ صنيعةٌ ... لجديدِ رأيٍ أو لسحرِ بيانِ
سابقتَ حينَكَ يا ضحيّةَ فِرْيةٍ ... وأدتْ شبابَكَ وهو في الريعانِ
هاجتْ شعورَكَ واستثارتْ حرّةً ... ثارتْ على القضبانِ والسجّانِ
ما ضاقَ صدرُكَ والسقامُ يهدُّهُ ... إلّا بقولِ منافقٍ أو شاني
قومٌ أثاروها عليكَ نكايةً ... لشفاءِ ما في النفسِ من أضغانِ
زعموكَ داعيةً ... وأنتَ مبرّأٌ ... عن كلِّ ما زعموا منَ البهتانِ
الحقدُ داءُ الشرقِ أعيا برؤُهُ ... طبَّ الأُساةِ وحكمةَ الكهّانِ
العبقريةُ من أذاهُ جريحةٌ ... في كلِّ مرحلةٍ، وكلِّ زمانِ
منسيّةُ الآثارِ، ضائعةُ الصدى ... مخذولةُ الأنصارِ والأعوانِ ...
جحدوا نبوغَكَ وادّعوهُ خديعةً ... والسنُّ بعضُ وسائلِ النكرانِ

ما السِّنُّ ميزانُ النُّبُوغِ وَإنما   هو نغمةٌ تسمو عَلَى الأَوْزَانِ
كم فى الشيوخ المعرِقينَ سَذَاجَةٌ   وَرَجَاحَةٌ فى الفِتْيَةِ الشُّبَّان !
خذلوكَ والدنيا إذا لم تُسْقِها   كأسَ الرِّياءِ جزَتْكَ بالخِذلان
مَنْ لى بلَيلاتِ المَصيفِ وأُنْسِها   وظِلالِ أيامٍ خلوْنَ حِسَان
ومَجالِسِ اللَّهْوِ البرىءِ يزَينُها   عَقْلُ الحكيمِ وَرَوْعَةُ الفنَّان
وَمَطارِحِ الحُلْمِ البعيدِ تَرُودُها   مِنَّا رَغائِبُ فى غَدٍ وأمانى !
كأْسانِ من صَفْوِ المُنَى سُقِيَاهُما   قَلْبَانِ فى الإحساس مُؤتَلِفَانِ
مَرَّتْ ليالى الصيفِ وهى سريعةٌ   ومضى ربيعُ العُمْرِ دون توَان
وَتَفرَّقَ الأحبابُ عن أحبابهم   فاذا الذى كانوا رُؤًى وَسَنَان
طُوِىَ البساطُ وغُيِّبَتْ أحلامُهُ   فاليَوْمَ لا كأسى ولا ندمانى !

حسين كامل الصيرفى

أُحِبُّ الجَديبَ وَرَعْىَ الجَدِيـ   ـبِ فأنزِلُ قَلْبِيَ بالمُجْدِبِ
فَيَا أنتِ ! أيأسْتِ بى شاعِرِى   وَحيَّرْتِ لِى فى الدُّجَى كَوْكَبِى
وَهَبْتُكِ لِلْبِيـدِ أُنشُودَةً   فَمَا كانَ لَحْنُكِ بالمُطرِبِ !
وَأنتِ تَنَكَّرْتِ لِى بَعْدَ مَا   تفرَّدْتُ فى قَفْرِكِ المُلْهِبِ !
تَعِيشِينَ لِلْجَدْبِ لَكِنَّنِى   أُرِيدُكِ لِلْوَحْىِ فِى مَوْكِبِى !
هَنِيئاً لِىَ القُرْبُ لاَ يُرْتجَى !   فَبُعْدُكِ إنْ طَالَ مِنْ مَكْسَبِى
وَيَا أنتِ ! إنِّى مَلَلْتُ الضَّلاَ   لَ وَحُبُّكِ هَذَا الذى ضَلَّ بى !
أسيرُ بهِ فِى ضِيَاءِ الحيَا   ةِ فَيُلْقِى بِقَلْبى إلى غَيْهَبِ
وَأشْدُو لهُ فِى سَمَاءِ المُنَى   فَيَمْزُجُ باليَأسِ لِى مَشْرَبى
بَرِئْتُ مِنَ الحُبِّ يا توْبَتِى   فَهَيَّا بِرَبِّكِ عَنِّى اذهَبِى

(القاهرة)   محمود السيد شعبان

من كبرياء الحب !

ويا أنْت . . . !

« . . . وهذه يا أنت تحية على الفراق الذى لا لقاء بعده ؛ فقد وضعت بينى وبينك سداً ما ينفك قائما حتى أموت . . . . . . وهنيئاً لى !! »   « هو »

سَئِمْتُ الهناءَ فلا تَعْجَبِى !   فَإنَّ شَقَاءَ الهوَى مَطْلَبِى !
وَأحبَبْتُ فيكِ جَفافَ الحيَا   ةِ وَبطْشَ القَضَاءِ فلا تَغْضَبِى
وَمَا حاجَتِى لِلنَّعِيـمِ المُقِيـ   ـمِ إذا لم أكُنْ فيهِ بالمُتْعَبِ ؟
خُلِقْتُ لِأعشَقَ فيكِ البَغِيـ   ـضَ وَأتْرُكَ ما فيكِ مِنْ طَيِّبِ
وَكُلٌّ لهُ مَذْهَبٌ فِي الغَرَا   مِ فلا تَسْخَرِى أنتِ مِنْ مَذْهَبِي
أخَذْتُ لِنَفْسِيَ ما تَكرَهِيـ   ـنَ وَمَالِىَ بالفَاتِنِ المُعْجِبِ ؟
وَخَلَّفْتُ لِلنَّاسِ ما يَشْتَهُو   نَ وكم فيكِ لِلنَّاسِ مِنْ مَأرَبِ
شَقِيتُ لِأُسْعِدَهُمْ بالجَمَا   لِ وَلَكِنْ سَعِدْتُ فلا تَعْجَبِى
فَقُلْتُ : وَدَاعًا زَمَانَ الرَّخا   ءِ فما هِمْتُ فى العَيْشِ بالخِصْبِ

هُنا . . .

هُنا يا روض أحلامى   أذاب العطر أنفاسِى
هنا يا نبع إلهامى   شربتُ صُبابة الكاسِ

هنا قابلتُ حوائى   على أعشابك الخضر
وعند الظل والماء   وبين خمائل الزهرِ

هنا كانت أمانينا   ترفُّ كنفحة الوردِ
هنا كانت تغنينا   طيورٌ من ربى الخلدِ

ولكن . . . آهِ من دهرى   هوَى بالسوسن الغضّ
وأذوى زهرة العمرِ   وأخرس بلبل الروض

فوا لهفى على صوتٍ   شجىٍّ كان يشجينى
أصابته يد الموت   فكاد الحزن يبلينى

سأبكى والربى تبكى   معى بفؤادٍ مفطور
أبعد الزهر والأيكِ   يضم القبر عصفورى

(محلة مرحوم)   حامد الشريف



قصة الفيتامين

تجربة غذائية عرضية

في ربيع عام ١٩١٥ قبيل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب الماضية ألقت الباخرة البرنس ولهلم الألمانية مرساها أمام الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية. وكانت تعمل هذه الباخرة قبل الحرب في خدمة المسافرين والنقل، فأصبحت بعده تؤدي واجبها في البحرية الألمانية كطراد تجاري وأجري تعديلها تبعاً لذلك فحوّلت ردهاتها وأبهاؤها الفاخرة إلى مستودعات للذخيرة والوقود ونُصبت فوق ظهرها المدافع الضخمة

تغلبت البرنس ولهلم على الكثير من البواخر المعادية واستولت منها بحكم الغلبة على وافر من المواد الغذائية من دقيق وزبد وخبز جاف ولحوم وخضر جافة ومحفوظة. وبهذا أصبح الذين على ظهرها في سعة ومتعة غارقين فيما استولوا عليه من غذاء

ظهرت بعدئذ على رجالها حال مرضية لم تكن منتظرة لمثلهم في هذه السعة والوفرة الغذائية، وطرأت على الكثير منهم أعراض مرضية غريبة كنوبات عصبية تصيب البعض، واضطرابات في القلب والتنفس، وتضخم في المفاصل عند البعض الآخر، ووقفت إصابتا كسر في العظام بلا شفاء يرجى رغم العناية والمحاولات التي بذلت في هذا السبيل. وذكرت صورة المرض هذه بالأقصوصة الشائعة حينذاك عن مرض البري بري الذي أصاب رجال المركب الشراعي الذين كان قوام غذائهم المواد المحفوظة. ولكن شتان بين وجهي الشبه في الحالتين ولا سيما أن رجال البرنس ولهلم يتمتعون بغذاء منوع وعلى حساب العدو هاتئين بوافر من الدقيق والبسكويت والبطاطس والزبدة وأنواع الجبن حتى اللبن والشاي كان في متناولهم بلا حساب

ذهبت محاولات طبيب الباخرة وقائدها في علاج المرضى أدراج الرياح حتى امتلأت بهم عيادة الباخرة التي تحولت إلى مستشفى عائم في أمد وجيز. وعند ما طوّح المرض بمائة وعشرة من ملاحي الباخرة البالغ عددهم خمسمائة لم يجد طبيب الباخرة ولا قائدها بداً من اللجوء إلى أقرب ميناء محايد. وفي ١١ إبريل من نفس العام ألقت الباخرة مرساها أمام ميناء نيوبورت نيوز الأمريكي

سرى خبر هذا المرض العجيب في الأوساط العلمية الأمريكية مسرى البرق وتقلب على ظهر السفين الكثير من العلماء والأطباء كي يشاهدوا هذه الحالة الشاذة عن قرب ويتبادلوا الآراء والتعليلات الممكنة، وجاء على لسان بعضهم مرض البري بري الذي سبق ذكره وتعليل أثره في السطو على الأعصاب بكائنات صغيرة حية، وهكذا تضاربت الآراء واختلفت الأفكار حول إمكان انتشار هذا المرض بالعدوى أو غيرها. ولم يهتد طبيب أو مفكر إلى أية نتيجة تفيد الموقف، لأنه ما من أحد حتى هذه السنة كان ليهديه التفكير إلى أنه قد ينقص الغذاء الكثير المتنوع تلك المركبات الدقيقة اللازمة لإتمام عمليات التفاعل الكيميائي في الجسم

كان أسبق الناس في التفكير والتطلع إلى هذا النحو الجديد الفسيولوجي الإنجليزي هوبكنز Hopkins إذ ذكر في محاضرة له في مؤتمر الطب العالمي الذي عقد في لندن في عام ١٩١٣ نتائج تجارب غذائية قام بها في كمبردج على الفيران، وكان قد قدم لها غذاء خاصاً يحتوي على جميع المواد اللازمة التي يُقرها علم التغذية من مواد زلالية ودهنية ونشوية ومعدنية بنسب مضبوطة وفي شكل واحد، وبالرغم من هذا نفقت الحيوانات في وقت قصير

ولقد جاءت آراء هوبكنز هذه سابقة لأوانها لأن الأذهان لم تكن لتفقه وتعي بعد ارتباط نتائج تلك التجارب الغذائية بتلكم المواد التي ما زالت مجهولة. ولم تُجد زيارات الأطباء والعلماء المرضى نفعاً، وعجز الجميع عن تقديم أية مساعدة فمالة تقي هؤلاء البحارة مصرعهم البطيء المؤلم

وفق بعدئذ الكيميائي النيويوركي ألفرد ماك كان Alfred W. McCann في تتبع آثار النكبة التي حلت برجال الباخرة.

وساعده على ذلك قراءة ما تركه هوبكنز عن اختباراته ، وبفضل اختباراته الشخصية ودراساته لسلم التغذية ظهر له ما قد ينقصه غذاء هؤلاء المرضى ويفض مضاجعهم . وبجهود أمكنه الاتصال بطبيب الباخرة، ودعا طاهيها إلى الحديث، فظهر له بالتحرى والسؤال أنه برغم توفر اللحوم المحفوظة والدقيق ولبن العلب والخضروات الجافة لم يحصل البحارة المنكودون على فواكه طازجة ولم يتذوقوا خضراً نيئة، عندئذ صاح مظفراً وقال مخاطباً طبيب الباخرة الذى وقف مشدوهاً : لقد سلبت القوة الحيوية الطبيعية من جميع أنواع الغذاء الذى قدّم لهؤلاء البحارة التعساء، فاللحوم المجففة والبطاطس قد فقدت أملاحها الفوسفورية عند تحضيرها للتعبئة ومعالجتها بماء الأملاح الحمضية لحفظها ، كما فقدت الخضروات قوتها الحيوية بمعالجتها بالقواعد ، كما فصل الدقيق من أغلفته ونزع من الأرز قشوره ، وبهذا لم تكن التغذية على ظهر السفين طبيعية مستوفاة متنوعة ، ونصح بتغيير قائمة الطعام وإضافة الخضر الطازجة والفواكه الطازجة وعصيرها واللبن الكامل واللحوم غير المحفوظة . تبادل طبيب الباخرة وطاهيها النظرات مستبعدين صحة ما يدلى به هذا الشاب ولكن ما يمنعهم من تجربة ما يقول وقد أعيتهم الحيل ، ولتكن محاولة أخيرة علّ فيها الشفاء

وباتباع قائمة الغذاء الجديدة تبدل الحال وسرى فى المرضى تيار الصحة وظهرت عليهم أعراض الإبلال فهبطت أورام المفاصل وخف ضغط الأعصاب وزحف الذين أقعدهم المرض . وبانقضاء أسبوع واحد على نظام التغذية الجديد الذى أشار به ماك كان غادر مستشفى الباخرة الفوج الأول من المرض، وبمضى أسبوعين وقف المقعدون ومن حل بهم المرض ودب فى الجميع دبيب الحياة

***

لقد كان فى المأساة التى حلت برجال الطراد وأودت بأرواح مائة وعشرة من الأنفس الخاطرة للقوية أسى وعبرة ومثل واضح لقوم لم تمنعهم وفرة الغذاء ولا ترف العيش من التعرض لأصناف الهلاك والضعف إذا ما سلب من هذا الغذاء القوة الحيوية الغامضة التى أودعتها الطبيعة إياه، وكم كان جيلاً وطبيعياً من الإنسان الأول الذى عاش على الفطرة ونما مع الطبيعة أن كان يحصن نفسه ضد هذه الدوارض إذا أقبلت عليه بمضغ الخضروات وتبلغ الأعشاب كى يقاسمها بعض ما أودعتها الطبيعة من قوى حية كامنة

أما بعد ذلك وبدافع التطور والمدنية فقلما يفعل الإنسان ما كان يفعله السلف الغابر ، بل قد ادعى الأفضلية على الطبيعة فعمل على تهذيب ما تهبنا من غذاء عالجه للحفظ تارة بالتسخين وأخرى بالغلى أو التعقيم أو التمليح أو الغسل بالحوامض والقلويات حتى التكرير والتبييض والتلميع . وبهذه العمليات القاسية أبعد الإنسان من غذائه هذه المواد التابعة التى لم يعرها أى انتباه ما دام يرضى بالغذاء الذى يستسيغه ويروقه ، والذى يعتقد احتواءه على النسب اللازمة من المواد الغذائية والوحدات الحرارية (السكالورى)

(يتبع)



ما أسعد الأشقياء فى الحب !

لا أعرف من هو الأستاذ صلاح الدين المنجد الذى يكتب إلى « الرسالة » من دمشق ، ولا أعرف كيف فاتنى التعرف إليه وقد زرت دمشق أربع مرات وشربت فيها أكواب الرحيق

وهل يهمنى من أمره أكثر من العرفان بأنه استجاب لدعوة الوجود فهتف بالحب ؟

تلك وثيقة روحية تصل بينى وبينه على بُعد ما بين القاهرة ودمشق ، فإن كنت لم أره بعينى فقد رأيته بقلبى . وإن أخطأ القلب فى وزن مزاياه فلا ندم ولا أسف ، لأنه على كل حال قد نشأ فى رحاب « جَيْرُون » وإن كان فى روحه وقلبه أعظم مما قدّرت فما ذلك أول حظ يفوتنى فى دنياى ، فقد فاتنى الأنس بملاعب الأسكندرية فى هذا الصيف ، وفاتنى النعيم برؤية اللؤلؤ المنثور فوق مرابع دمياط ، وحرَمتنى المقاديرُ نِعمةَ العتْب على « عيون المها وراء السواد »

وماذا يريد هذا الأديب من توجيه القول إلىّ وهو يتحدث عن ظلال هواه ؟

لعله سمع أن فى مصر كاتباً فضحه الحب فلم يَعُد يبالى أكاذيب اللائمين ، وأقاويل العاذلين ، فحدثته النفس بأن يوجه إليه القول ، والعاشقون رفاق

هو ذلك ، يا رفيقى ، ولكن دنيا القاهرة غير دنيا دمشق ، ورحم الله الشاعر عبد الحليم المصرى إذ يقول :

مصرُ بنا ضاقت فما حالكم … فى قطركم يا شعراء الشآمْ

فأنت فى بلدك يهتف بك الشوق فتذكر بلواك بالحب ثم لا تجد من يعذلك فيقول : هذا كاتب يمزح فى أوقات الجد فيتحدث عن الصبابة والوجد فى أيام الحرب

وحالى غير حالك ، يا رفيق ، فدنيانا فى مصر تخضع لخطوب وصروف خلقها الحقد على البلابل والعنادل ، ليخلو الجوّ لنعيب البُوم ، مع أن البُوم قد انعدم فى مصر منذ أجيال طوال ، كما انعدمت الثعالب والذئاب ، ولم يبق فى بلدنا ما يلهو به الصائد غير تعقّب أسراب الظباء فى طريق الهرم أو طريق السويس

وقد أردت أن أتغنّى بأزهار الصباحة فى وطنى ، الوطن الذى لا تقع فيه العيون على غير ما يُزيغ البصائر ويُضلّ العقول ، فلم أظفر مع طهارة القلب بغير الاصطباح باللوم والاغتباق بالتثريب ، مع أن وطنى هو الذى ابتدع النشيد المحبوب :

«صيد العصارى يا سَمَك» ، ومع أن الجمال فى مصر لا يقاس إليه الجمال فى أى أرض إلا حين تذكر مسارح الغزلان فى الشام وفلسطين ولبنان والعراق

فإن باركتم « الجبل القائم كالفارس الأسمر الجميل » فهى عُلالة تنسون بها أن مصر لها فى دولة الحسن سلطان لن يزول ، لأنه المِحور الذى ترتكز إليه « وحدة الوجود »

كل ما فى مصر جميل ، ولكن أين الشعراء ؟

كان للشعر الوجدانى دولة أيام الوزير محمود سامى البارودى بطل القلم والسيف ، ثم صار الحديث عن الحب بدعة لا تليق برجل من الوزراء ، فأين من يُبلغ أهل مصر أن الحديث عن الحب لم ينضّ من قدر وزير المعارف الأسبق فى العراق وهو معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى ، على أيامى فى صحبته أطيب التحيات ؟

لا بدّ لى من يوم أغرّ فى خدمة وطنى ، وهو اليوم الذى أهتف فيه بأن مصر هى الوطن الأول للشعر والجمال والفُتُون

بأى حق يهتف الهاتفون بالحُسن فى دمشق على حين يخرس الشعراء عن الهتاف بالحُسن فى القاهرة ، وهى بلا جدال عاصمة الشرق ؟

أيكون بلدك أجمل من بلدى يا صلاح الدين حتى يصح لى أن أسكت ويجب عليك أن تنطق ؟

نهركم هو بَرَدَى الذى يُصفّق بالرحيق السَّلسَل

وأين بردى من النيل ؟ وهل فى الدنيا كلها نهر سبق النيل إلى المدنية وإلى الحديث عن أوطار القلوب فى الغسَق والشّفق ؟

وهل يكون الفرات فى الطغيان أعظم من النيل فى الوفاء ؟

وهل ترى جمال العراق ينسينى جمال وطنى ، الوطن الذى أجد الظلم فيه أعذب مذاقاً من العدل ، مع الاعتراف بأن شعراء

العراق سبقونا إلى وصف النشوة برحيق الوجود ؟

وأين الأرض التي تخرج الثمرات أربع مرات في العام الواحد كما تصنع أرض مصر ، مصر التي وُلد فيها موسى ونشأ بها عيسى وصاهرها محمد ، عليهم أفضل الصلوات ؟ !

هي مصر التي تجهل عذابي في هواها ، وهي غادرٌ ظلوم فلا تحسبوا هنداً لها الغدر وحدها
سجيَّةَ نفسٍ كلُّ غانيةٍ هنــدُ

وإن عشت فسأنتقم للوطن الذي يظلمني من الذين يجورون عليه فيزعمون أن للحسن دولة في غير شارع فؤاد بالقاهرة أو طريق فاروق بالأسكندرية أو شارع عباس بمصر الجديدة أو طريق البحر في شبين الكوم أو شارع الحمراء في أسيوط

زكي مبارك

١ — حول كتاب « الديارات » للشابشتي

ذكرت في تضاعيف الشروح التي علقت بها على مقالتي « يوم من أيام المتوكل » في العدد ٣٦٩ من « الرسالة » ، أن « الشاذ كلاه » معناها « مهرجان التاج » وذلك نقلاً عمن يفقه اللغة الفارسية عندنا . على أنني عثرت في مجلة المجمع العلمي العربي (ص ١٣٧ من الجزء الخامس من المجلد الثالث) على مقالة لأحمد تيمور باشا عن الألفاظ العباسية التي ذكرها صاحب « نشوار المحاضرة » ، ذهب فيها إلى أن معنى « شاد » بالفارسية « الفرح المسرور » وأن معنى « كل » ، وأصلها « جل » الورد . فيكون معنى « الشاذ كلى » : « نوع من أنواع اللهو كان يعمل سروراً بالورد » وضبطها « شاذ كلى » بألف مقصورة ، وما أدري ما الفرق بين « شاذ كلى » و « شاذ كلاه » من حيث انتهاؤها

وما ذهب إليه العلامة تيمور باشا هو أصوب وأقرب ... مما ذهبت إليه فأثبته إقراراً للصواب

٢ — « أجهل من الكناني »

قرأت في « ثنايا » مقالات الأستاذ علي الطنطاوي — التي يصف بها رحلته إلى الحجاز وصفاً سهلاً رائعاً — مثلاً استشهد به وما أدري من أين جاء به . فقد قال : « إن دليلهم كان أجهل من الكناني وأصحابه في اللغة العربية ... » . فهل للأستاذ أن يبيّن لنا سيرة هذا الكناني ، ويدلنا على مصدر هذا المثل ، ويجلو لنا الوقائع التي دفعت العرب إلى القول « أجهل من الكناني » فأنا لم أجد فيما بين يديّ من كتب من يذكر مثل هذا الاسم وهذا المثل . وله مني الشكر والإعجاب

(دمشق) صلاح الدين المنجد

إلى الأستاذ صلاح الدين المنجد

سلام الله عليك ورحمته . وبعد فإني الآن مهاجر من القاهرة إلى المنصورة . ولو كنت في القاهرة لما استطعت أن ألخص شيئاً من « كتاب الشمور بالعور » للصلاح الصفدي لأنه من نفائس دار الكتب المصرية وذخائرها التي حفظتها الدار الآن في مكان حصين صيانة لها من « الغارات الجوية » .

وموعدنا إن شاء الله زوال الحالة الحاضرة

محمود حسني زناتي
أمين الخزانة الزكية

هي كنية الإمام الصادق

جاء في كتاب (نقد النثر) لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي في الصفحة السادسة : (وروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لهشام : يا هشام إن لله حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل ، وأما الباطنة فالعقل) . غير أن الشارحين الدكتورين أو الأستاذين — على التغليب فيهما — طه والعبادي علقا في أسفل الصحيفة المذكورة على كنية (أبي عبد الله) بأنها كنية الحسين بن علي عليهما السلام ، والحق أنها هنا كنية الإمام جعفر بن محمد الصادق ، إذ نجد الخطاب في هذه الرواية لهشام ، وهشام هذا هو ابن الحكم أحد متكلمي الشيعة ، وكان معاصراً وتلميذاً للامام الصادق

على أن ما تحمله الرواية من أسلوب ومن تقسيم للحجة إلى ظاهرة وباطنة ومن بيان حجية العقل ، كل هذا مما يلائم العصر الذي عاش فيه الصادق لا العصر الذي عاش فيه الحسين عليه السلام

(بغداد) « ع »

كتاب قصص القرآن

ظهرت الطبعة الثانية من كتاب « قصص القرآن » لبعض الأفاضل من المدرسين بقيادة الأستاذ الأكرم محمد أحمد جاد المولى بك . وقد أُهْدِيَ إلى فقرأته فأعجبت به إعجاباً شديداً وحمدت لهؤلاء الإخوان عاطفتهم النبيلة التي حدت بهم إلى إبراز مثل هذا السفر . وأى عمل أنبل من تحبيب القراء — والناشئين منهم خاصة — فى قصص الرسل الكرام . وقصص غيرهم ممن ذكرهم القرآن للعبرة والموعظة ؟

لقد وفق الكرام الكاتبون فى عرض كل قصة مستقلة غير مفرقة ، وحالفهم النجاح فى معظم القصص من حيث طريقة العرض ومن حيث الأسلوب العربى الخالى من شوائب العجمة ، والدقة فى العبارات ، وتحرى الصواب والمعقول من آراء المفسرين وذلك جدير بمن كان مثل الأساتذة علماً وفضلاً وخلقاً

غير أنى أرى فى الكتاب مآخذ لا تؤثر كثيراً فى قيمته وأثره . من ذلك أنه خال من مصور تبين فيه الأماكن التى وردت فى القصص ، ومقدمته خالية من آراء المستشرقين فى قصص القرآن ، مع أن جاد المولى بك عليم بمـا فى هذه الآراء الغربية من مغالطات ، فلِمَ لم يرد عليها وهو خير من يستطيع ذلك ؟ وقد خلت المقدمة من ذكر الغاية التى من أجلها وردت فى القرآن أنباء الرسل ، وهى تثبيت فؤاد النبي ، ولتكون له أسوة حسنة فى إخوانه من رسل الله : « وكلاً نقص عليه من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » . ومما بدا لى فيه أن القصة قد تذكر فى أكثر من سورة فيكتفى من ذلك بسورة واحدة فى الذيل ، مثل قصة سيدنا صالح

هذه بعض هفوات قد لا يراها غيرى كذلك وأرى تلافيها أولى من تركها ، وكفى هذا السفر جودة أن تعد عيوبه

وليقرأ القارئ قصة طالوت مثلاً أو قصة موسى أو عيسى أو شعيب ، فسيجد لساناً عربياً مبيناً ، وقصصاً مرسلاً محبوباً شائقاً سائغاً وحكمة عالية بالغة ، وعبرة لأولى الألباب

(القاهرة) عبد الرازق ابراهيم حميدة

حول مقال

سيدى وأستاذى :

جاء فى مقالة الدكتور زكى مبارك التى نشرت « بالرسالة » فى العدد ٣٧٠ تحت عنوان « الحديث ذو شجون » ، أنه حين عرض على الدكتور مشرّفة بك عميد كلية العلوم الخطاب الضائع قال له هـذا العميد : العواطف من القوى الأساسية فى حياة الإنسان ، ولا بد لتلك القوى من غذاء

فقال الدكتور المبارك :

العواطف تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول ؟ هذه فلسفة لم أسمع بها من قبل ، وأوحى إلى القراء بما يأتى :

الدنيا فى حرب فلا تصدقوا الدكتور مشرفة وإن كان عميد كلية العلوم ، واقضوا أوقاتكم كلها فى متابعة أخبار الحرب بين الإنجليز والألمان ، فأخبار الحرب هى زاد العواطف والعقول فى هذه الأيام العجاف

ففهمت من هذا القول أن العواطف تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول ، وهذا ما صرّح به الدكتور مشرفة وأنكره عليه الدكتور مبارك وحث القراء على عدم تصديقه . وكل ما هنالك أن الغذاء فى الأول لم يعين ولم يقصر على نوع ، وفى الثانى بينه الدكتور زكى بأنه أخبار الحرب فى هذه الأيام

فما هذا الإشكال ؟ آمل أن يفسره لنا أستاذنا صاحب الفكرة تفسيراً يطل بنا على مقصده السامى ، ويهدينا سواء السبيل ، ولا زلت عند حسن ظنه بى ، والسلام عليكم ورحمة الله

« الزيتون » فرنسيس كامل

كتاب الشعور بالعور

قرأت فى الرسالة عدد (٣٦٧) كلمة للأستاذ صلاح الدين المنجد من دمشق بعنوان « أصحاب العاهات ونوادرهم » يقول فيها إن نخبة من الأدباء تجمع الآن أخبـار أصحاب العاهات ونكاتهم وإنها لم تعثر إلا على القليل من أخبار العوران وملحهم . ويسرنى أن أنقل إلى حضرة الأديب المنجد أن فى المكتبة الخالدية فى بيت المقدس مخطوطاً فريداً اسمه « كتاب الشعور بالعور » تأليف صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى

الشافعي وهو صاحب كتاب نكت العميان الذي نشره المغفور له العلامة أحمد زكي باشا في مصر سنة ١٩١٠

أما المخطوط الذي نحن بصدده فعدد صفحاته ١٩٠ وقد كتب سنة ٨٤١ للهجرة ونسخ بخط الرقعة بالحبر الأسود وهو يشتمل على ست مقدمات ونتيجة ويقول المؤلف « إنني سميته كتاب الشعور بالعور ورتبته على مقدمات ونتيجة، المقدمة الأولى فيما يتعلق بذلك من اللغة ، المقدمة الثانية فيما يتعلق بذلك من حيث التصريف والإعراب، المقدمة الثالثة فيما يتعلق بحديث الدجال وكونه أعور، المقدمة الرابعة فيما له بالأعور علاقة من الفقه ، المقدمة الخامسة فيما جاء من الأمثال والنوادر في حق الأعور وغير ذلك ، المقدمة السادسة فيما جاء من الشعر في العور والعوران ، النتيجة في سرد من كان أعور على حروف المعجم » انتهى . هذا وقد ترجم المؤلف في هذا الباب سيرة سبعة وسبعين أعور

ولد المؤلف سنة ٦٩٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٦٤ هـ وقد ترجمه السبكي في الجزء السادس صفحة ٩٤ وجاء ذكره في الدرر الكامنة لابن حجر الجزء الثاني في حرف الخاء صفحة ٨٧ . وللمؤلف تآليف كثيرة بعضها مطبوع وبعضها مخطوط ومن أهمها كتاب الوافي بالوفيات وهو لم يطبع بعد .

(بيت المقدس) احمد سامح الخالدي

***

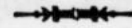
(حاشية) : وبهذه المناسبة أرجو أن أجد من القراء الأدباء من يتكرم بإفادتي عن مؤلف الكتب الآتية :

١ — القلائد في أخبار مستظرفات الولائد
٢ — الابتهاج في الصبر المؤدي إلى الانفراج
٣ — حسن عفو الأدباء عن هفوات الأخلاء
٤ — أخبار بني هاشم
٥ — بلاغة العجم



همام

للأستاذ محمد سعيد العريان



[أشكر للآنسة الأديبة « قدرية ف » رأيها في قصة « البعث » المنشورة بالعدد ٣٦٢ من الرسالة ، وأرجو ألا يقع في وهمها أنني أصف بها أحداً بذاته من أدبائنا ، وإن كان موضوعها يتصل بحياة كثير من أدباء العربية يعرفهم القراء بآثارهم ويجهلون كثيراً من شئون حياتهم]

عند ما يهم قطار الصعيد أن يجتاز النيل من شاطئ إلى شاطئ عند قناطر نجع حمادي في طريقه إلى القاهرة — يرى الراكب عن يمينه قرية صغيرة يطيف بها الجبل الشرقي من ثلاث جهات ثم ينفرج عن سكة متعرجة تصل بين القرية والنهر ، وتقوم على جوانبها باسقات النخل حدًّا فاصلاً بينها وبين الصحراء الشاسعة الممتدة بين النيل والبحر الأحمر

في هذه القرية كان يعيش « همَّام » يكدح لنفسه ولزوجه عاملاً في مزرعة العمدة ، كما يعيش عشرات مثله قانعين من العيش بالكفاف ، راضين من متاع الحياة بنعمة الحياة نفسها !

ولكن همَّام لم يكن من القناعة بحيث يرضى من الحياة بما يرضى سواد الفلاحين الذين يعملون معه أُجَراءَ في مزرعة العمدة ؛ فقد كانت له نفس مُطَّلِعة تتسامى بها أمانيُّ جسام ؛ وكان من المنزلة عند سيده بحيث يتهيأ له أن يكون أقرب إليه ؛ فرأى ألواناً من العيش وفنوناً من اللذة خَيَّلتْ له ما خيَّلت من الأوهام وأنشأتْ في نفسه ما أنشأت من المنى

ولم يكن قد مضى على زواجه « بمسعدة » غير بضعة أشهر حين جلس إليها ذات مساء يحدثها وتستمع إليه :

« مسعدة ! ... وسيكون لنا دارٌ ونخيل ، ومزرعة على الساحل إلى جانب مزرعة العمدة ، وسأكون وتكونين ... ! »

واستمعت إليه زوجته فرحانة ، وحلَّقتْ بجناحيه في وادي المنى ، وراحت تمدُّ له عدة الرحيل إلى القاهرة حيث يهاجر ليلتمس الغنى ثم يعود ...

***

وخرج همام من القرية يحمل على كتفه خُرْجاً فيه زاده

ومتاعه حتى بلغ شاطىء النهر ، وخلف زوجته فى القرية تنتظر . وكان ثمة رَمَث من جرارٍ مشدودة عُنقاً إلى عنق يتأهب لرحلة نهرية إلى القاهرة ، فوضع همام متاعه عن كاهله واتخذه مركباً إلى حيث ينشد أمانيه

وأرسى المركبُ بعد أيام على ساحل « الفسطاط » ، فنزل همام يضرب فى شوارع القاهرة ومتاعه على ظهره ، حتى انتهى إلى مستقرٍّ فى غرفة من دار فى حىّ « بولاق » يساكنه فيها بضعة نفر قدموا لمثل غايته من بلاد متفرقة فى الصعيد الأعلى فألّفت بينهم الغربة وجمعتهم وحدة الأمل .

ومضى يلتمس الرزق بساعدٍ قوى وعزم صليب ، فلم يلبث أن انضم إلى جماعة من الفَعَلة فى أعمال البناء، يمضى شطر نهاره يحمل مِكتل الآجُر ّ صاعداً هابطاً على خشب مشدود من أسفل البناء إلى أعلاه ومن أعلاه إلى أسفله ، ينضح العرق جبينه ولسانه لا يفتر عن الغناء ، يصف أشجان الغريب النازح إلى أمل يرجوه ومن خلفه حبيب ينتظر ؛ فإذا حميت الظهيرة فاء إلى ظل جدار قائم يتناول طعامه لقمة من خبز قديد وملح جريش وماء ؛ ثم يستأنف عمله ...

لم يكن العمل الذى يزاوله همام مما أَلِفَ حين كان يعيش بين أهله فى القرية المطمئنة فى أحضان الجبل الشرقى ، ولكنه كان أحبّ إليه لأنه كان أكثر جَدْوى عليه . واستطاع أن يجمع من فضل أجرته بعد شهرين جنيهاً وبعض جنيه ، أرسل منه ما أرسل إلى زوجته وادّخر الباقى لنفسه ، ودأب على ذلك من بعد ؛ فكان لزوجته من فضل أجرته كل شهر نصيب معلوم ، ولصندوق الادخار ما بقى ... ولما جاءه النبأ أن زوجته قد وضعتْ ، أرسل إليها بهدية وعلاوة تشترى بها كسوة للصبى ، ولكنه لم يُغفل أن يضع فى صندوق الادخار ما يضع فى كل شهر ، رجاء أن يكون له يوماً دار ونخيل ، ومزرعة على الساحل إلى جانب مزرعة العمدة ، هناك ، حيث تنتظر زوجته وأمُّ ولدِه ...!

لقد مضى عام منذ هجر همام القرية يسعى إلى الغنى ، وإنه هنا وزوجته هناك ، وولده ؛ أما هو فكان له شأن يشغله عن الفكر والحنين ، وأما هى فكان لها أمل تأمله فى يوم قريب — يربط على قلبها ويزيل وحشتها ، وأما الصبيّ .. وماذا يدرى الصبى بعدُ ؟

... وتتابعت الأعوام وشب الغلام ، لم يرَ أباه ولم يره أبوه ؛ وماذا يهم الفتى من ذلك وليس بدعاً هناك ، وفى كل قرية من قرى الصعيد عشرات من مثل همام نزحوا عن أهليهم وولدانهم يلتمسون مثل ما يسعى له ، لا يتواعدون على لقاء ولا يتراءون منذ الشباب إلا على هرم ... !

ومضت بضع سنين ، قبل أن يفكر همام فى زيارة زوجته وولده ؛ وراحت « مسعدة » تستقبله على شط النيل حيث ترسى به السفينة ؛ وقال الفتى لأمه وهو يشير إلى رجال على ظهر المركب: أيهم هو ؟ ونظر همام إلى غِلمان وقوف على الشاطئ وقال لنفسه : أيهم هو ؟ ... ثم التقيا فتعارفا وحنّ الدم إلى الدم ...

... وعاد الزوجان إلى حديثهما ، وعاد همام يقول : « بَلَى ، وسيكون لنا دار ونخيل ... وسأكون ... »

وهمّتْ المرأة أن تقول شيئاً ثم أمسكتْ ، ورفعت إليه عينين فيهما ظمأٌ وشوق ، وفيهما إعجاب وزهو ، وأنْسَتْها حلاوة اللقاء مرارة الفراق ، وعادت الأمانىّ تخيّل لها ، وحلّقتْ بجناحيه فى واديه ، وقالت لنفسها هامسة : « سيكون لنا دار ونخيل ومزرعة ، وسيكون وأكون ... » ثم قامت تنظر إليه وفى عينيها لهفة وحنين !

... وقضى همام فى القرية أياماً ، ثم استأنف رحلته يسعى إلى أمله ، وخلّفها وخلف ولدين : أما أحدهما فغلام لم يكد يرى أباه حتى فقده ، وأما الثانى فإنه لم يره قط ، لأنه لا يزال بينه وبين الحياة تسعة أشهر ... !

* * *

لم يكن عبثاً ما تحمل همام من مشقة البعد سنين وما لقى من جهد الحياة ؛ فلم يكد يمضى عليه فى القاهرة بضع عشرة سنة حتى تغير من حال إلى حال ؛ فلم يَعد العاملَ الذى يمضى بياض نهاره حاملاً مكتل الآجر ، صاعداً هابطاً على خشب مشدود بين السماء والأرض، ليس له إلا وجبة واحدة من طعام ؛ إنه اليوم رجلٌ غيرُ مَن كان ؛ لقد عاد ذلك الثوب الخلق جديداً على جسد ناعم ، وعاد البطن الخاوى شبعانَ ريّانَ من طيّب الطعام والشراب ، وعادت الغرفة المشتركة بين بضعة نفر يفترشون الأرض شقة

ذات أثاث ورياش ؛ وعاد الأجير الفقير سيّداً يُجرِي النفقة على أُجَرائه وخوَله ؛ وتلاحقتْ دراهمُه فنتجتْ وأصبح ذا مال !

وتصرَّمتْ بضع سنين لم تره زوجته ولم يرها ، أما هي فعاشت هناك صابرة قانعة بما يرسل إليها كل شهر من نفقة ، تمسي وتصبح حالمة بالدار والنخيل والمزرعة ، ويوم تكون ويكون ؛ وأما هو ، فتبدلت حياته بما تبدّل من حاله ، وأجدّتْ له النعماء أمانيّ فأنسته أمانيّ ، وعاش لنفسه ولماله !

وشب الغلام واخضر شاربه ، ونهدت البنت وكعب ثدياها ، وشابت الأم وتخدّد لحمُها ، وما زال شبابُ قلبها يجدّ لها أملاً بعد أمل ، وينشئُ لها في كل مشرق شمس ومغربها حنيناً ولهفة ؛ والرجل هناك يبيع ويشتري ويتعوّض ويراوح بين جنبيه من فراش إلى فراش !

وفجأةً ، أظلمت القاهرة بعد نور ، وهمدت بعد نشاط ، وسكنت بعد حركة ، ونعب النذيرُ يوقظ النائم ويحرك الساكن ويبدّد الشمل المجتمع ليجمع الشملَ المتفرق ؛ وكسدت سوق همام بعد نفاق ، فأزمع الغريب الإياب !

لم يعد همام في هذه المرة إلى القرية على رَمَث في البحر تدفعه الريح ، ولم يكن على كتفه خرج فيه زاده ومتاعه ، ولم تكن رحلته طويلة موحشة تقاس بالليالي والأيام ؛ ولكنه عاد في القطار السريع يؤنسه أنيس غير مملول ؛ في يمناه حقيبة سفره وفي يسراه زوجته الحضرية المصقولة !

وكانت « مسعدة » وولداها ينتظرونه لميعاده ، ... ونظرتْ امرأةٌ إلى امرأة ثم أغضَتا ؛ أما واحدةٌ فصبرتْ وشكرتْ ؛ لقد سلختْ شبابها متزوجة ولا زوج لها ، فإنها لنعمةٌ أن تظفر اليوم بنصف زوج ! ... وأما الأخرى فحنقت وسخطت ؛ لقد كان لها زوج يؤثرها ففقدت نصفه !

وأغلق الباب على رجل وامرأتين ؛ وعرفت كل واحدة منهما مكانها من صاحبتها ومن صاحبها ؛ أما مسعدة فراحت تتحبب إلى صاحبتها وتتعبّد لها لتنال رضاها ورضا همام ، وأما صاحبتها فراحت تشمخ وتتأمر لتتسلّط وتحظى ؛ واقتسمت المرأتان الدار فواحدة لها الفراش وواحدة للمهنة والعمل ؛ وقالت المرأة لكل منهما : لقد عرفتِ مكانك ! ... ولكن أحظاهما كانت أسخط لحظها وأشقى ؛ لأنها لم تألف الحياة في القرية ولم ترض الشركة في رجل ...

وأصبح همام ذات صباح فإذا امرأةٌ واحدةٌ في الدار وقد فرّت الأخرى ... وثارت نخوةُ الرجل وغضب لِعِرضه غضبة أهله ، فأزمع أمراً ؛ وغضب الولد لأبيه وأقسم ليغسلن العار بالدم ...

... وعاد « حمدان » بن همام من القاهرة بعد أيام وسكينُه يقطر دماً ... واستقبله أبوه مزهوّاً فخوراً فضمه إليه وقبل جبينه ، واستقبلته أمُّه وأختُه ...

وجلست الأسرة الأربعة مجلسهم لأول مرة، مجلساً لم يجمعهم مثلُه منذ كانوا على صفاء ومودة ، وقالت مسعدة : « همّام ! » وكان في عينيها عتاب وفيهما رضاً واطمئنان

وقال همام : « مسعدة ! معذرة إليك ؛ إنك أنت وحدك ... وكانت غلطة ... ! »

وابتسمت مسعدة وعاد الشباب يتألق في جبينها بشراً ومسرة ، وانبعثت الأماني تحدثها حديثها ، وحلقت بجناحين في وادي المنى، وقالت : « ... ويكون لنا دار ونخيل ، ومزرعة ! »

وافترت شفتاه وقال : « ذلك أولى لك يا مسعدة وأنت له أهل ؛ وهذا المال ... »

ودق الباب فانقطع الحديث ، ودخل الداخل ثم خرج ، وخرج وراءه همام وزوجته وابنته يشيعون حمدان وفي يديه الحديد مسوقاً إلى السجن !

***

لم يشتر همام داراً ولا نخيلاً ، ولا مزرعة على الساحل ؛ ولم يبق له من ماله باق ، وأنفق ذخيرة العمر ليفتدي ولده من زلة ساعة فلم يُجْدِ عليه !

وعاد همام كما بدا ، أجيراً يكدح لنفسه ولزوجته وابنته عاملاً في مزرعة العمدة ، قانعاً من العيش بالكفاف ، راضياً من متاع الحياة بنعمة الحياة نفسها ...

وخرج حمدان من السجن بعد عشر سنين لتستقبله أمُّه الأيّم العجوز وحيدة فتصحبه إلى قبر أبيه يترحّم عليه ، أبوه الذي لم يره إلا مرةً ثم مضى كل منهما لوجهه ، كما يلتقي اثنان اتفاقاً في طريق ثم يتدابران فلا لقاء !

محمد سعيد العريان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)



8me Année No. 375

Lundi - 9-9-1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٣٧٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٧ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

تصحيحاً لتاريخ الزعيم

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت نخبة من المقالات التي نشرتها مجلة « الثقافة » الغراء إحياء لذكرى سعد — رحمه الله — في هذه السنة

ولي عناية خاصة بأمثال هذه المقالات ، لأنها تتصل بترجمة رجل عظيم أجللته وانعقدت الآصرة بيني وبينه في الجهاد الوطني بضع سنوات فضلاً عن سنين عدة كنا ننظر إليه فيها قبل ذلك نظرة الوثوق والإعجاب ، ولأن هذه المقالات تتصل من جهة أخرى بموضوع كتاب ألفته في تاريخ ذلك الرجل العظيم ، فيعنيني أن أراجع فيه كل ما عسى أن يصحح رأياً أو واقعة أو خبراً مما ورد في الكتاب لاستدراكه في أوان الاستدراك

ومن المقالات التي اتجه إليها نظري أول ما اتجه مقال العالم الفاضل الأستاذ أحمد أمين لأنه كتب عن مدرسة القضاء الشرعي وهو أحد الأعلام الذين أنجبتهم تلك المدرسة القصيرة الأجل ، الطويلة النفع والذكرى

ولكني عجبت لأنني رأيت الأستاذ ينساق إلى خطأ شائع من الأخطاء الشائعة الكثيرة التي ذاعت عن مدرسة القضاء في بعض الفترات .

وذلك إذ يقول : « ... لم يرض الخديوي ولا الأزهر عن

المشروع ، ولـكن سعداً أصر و عرض الأمر على مجلس النظار برياسة الخديوى ، وعارض فى الجلسة من النظار من أوعز إليهم أن يعارضوا ، فاتخذ سعد المسألة قضية يترافع فيها كما كان يترافع أيام عهده بالمحاماة ، ونسى المجلس ونسى الخديوى وضرب بيده على المائدة كما كان يضرب أمام القضاة ، وتخاذل المعارضون ووافق على المشروع الذى كان يحلم بمعضه الشيخ محمد عبده ، وتم وفى نفس الخديوى منه شيء بل أشـياء ، وهمس الخديوى فى أذن مصطفى باشا فهمى رئيس مجلس النظار : يظهر أن نسيبك لم ينس المحاماة ... »

فهذه القضية قد راجت زمناً لأنها تحمل عنصراً من عناصر الرواج بين الجمهور ، وسمعتها من مصادر عدة قبل التقائى بسعد وبعد التقائى به فى أيام الحركة الوطنية ، وهى مع ذلك « مؤلفة » أو مخترعة سمعنا نفيها من سعد نفسه وذكرنا ذلك فى مقالنا الذى نشرناه بمجلة « الهلال » الغراء على أثر وفاته ،وذكرناه بعد ذلك فى كتابنا عن سعد حيث نقول فى الصفحة العشرين بعد المائة :

« . . . كان الخديو حريصاً على استبقاء الأزهر فى قبضته لإطلاق يديه فى اختيار القضاة الشرعيين والإشراف على المجالس الحسبية وما يمهد إليها من محاسبة الأوصياء على التركات والنظار على الأوقاف ، ولكنه كان يعارض فى إصلاح الأزهر وتمكينه من إعداد القضاة والمعلمين والمحامين على الوجه المطلوب . وقد تعب الشيخ محمد عبده فى علاج هذا الإصلاح العسير حتى نفض يديه آخر الأمر واضطر إلى اعتزال منصبـه فى مجلس الأزهر الأعلى . فلما تصدى سعد لهذه المعضلة العصيبة هاجته الاغراض والسعايات والعراقيل من كل جانب ، فعزم عزمته ونكب عن ذكر العواقب جانباً كعادته حين يتصدى لأمر هو على يقين من صلاحه ومن وجه الحق فيه ، وجاء إلى مجلس الوزراء وهو معول على أمر من أمرين : إما مدرسة القضاء ، وإما الاسـتقالة وهو غير آسف

« قال سعد فى بعض أحاديثه عما جرى فى تلك الجلسة بينه وبين الخديو : إن الأقاويل اختلفت فى المناقشة التى دارت بينى وبين الخديو فى ذلك اليوم . فقال أناس : إننى ضربت على المنضدة بيدى وقلت فى وجه الخديو : دعنى أدافع عن مشروعى ! وأن الخديو أجابنى حينذاك ساخراً : يظهر أن الباشا لم ينس بعد صناعته القديمة ... يعنى المحاماة ، وقال أناس غير ذلك مما يجرى مجراه ، والصحيح أننى لم أضرب على المنضدة بيدى ولم يعرِّض الخديو بسابق عملى فى المحاماة ، وإنما شاهدت فى سموه ميلاً ظاهراً إلى رفض المشروع بعد ما شجعنى على المضى فيه ، ورأيته يأبى علىَّ المناقشة والشرح أمام زملائى الوزراء ...

« قال رحمه الله بفكاهته المعهودة : وكنت قد انتقلت من القضاء إلى الوزارة « بميلى » فعدأبت على الشرح والاستدلال وقلت : إننى أفهم أن المناقشة حرة ، وأود أن أعرف المانع من تنفيذ المشروع . ولا أدرى أن هذا الكلام يغضب الخديو ويثقل وقعه على سمعه . فاحمر وجهه كلون طربوشه ، وسمع أصحابنا الوزراء منى هذه اللهجة فأيقنوا أننى لا أقدم عليها إلا وأنا مؤيد بقوة خفية ، ووهموا أن لورد كروس يريد إنشاء المدرسة على الرغم من جميع العقبات ، فأجازوا المشروع بالإجماع وبقى الخديو وحده معارضاً فيه ! والحقيقة أن لورد كروس لم يفاتحنى فى المسألة إلا بعد أن سمع بما دار بينى وبين الخديو من المستشار المالى ، وقد كان يحضر جلسات مجلس الوزراء »

هذه رواية سعد كما سمعناها منه ، وثبت لنا مرة أخرى أن أصلح الإشاعات للرواج هى أولاها بحذر المؤرخين

ومن الذين علموا بتصحيح هـذه الإشاعة فيما أذكر كاتب سعد وملازمه فى وزارتى المعارف والحقانية فؤاد كمال بك رحمه الله ، ولعله أشار إلى ذلك فى مذكراته

***

وقرأت فى مقال الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف « أن سعداً وهو فى وزارة المعارف قد اضطر فى بعض الظروف لمصانعة السياسة التى كانت متحكمة فى ذلك الوقت ، ومن ذلك ما كان من رأيه الذى دافع عنه خاصاً بالتعليم باللغة العربية ، ولـكنه فى هذا إنما جرى على المثل المأثور : لا تكن صلباً فتكسر ولا ليناً فتعصر »

والذى نعلمه أن سعداً لم ينكر أن التعليم باللغة العربية واجب مطلوب ، ولـكنه كان يرى أن التعليم باللغة العربية لا يتم ولا يعم قبل تحضير كتبه وإعداد مدرسيه ، وهذا رأى متفق عليه لا ضرورة فيه لمصانعة الأقوياء أو لاجتناب الصلابة ، وفى وسعنا أن نقول إن قوة الاحتلال كانت تصانع سعداً أضعاف ما كان يصانعها ، وكانت تحتمل منه أضعاف ما كان يحتمل منها ، وهذا غاية مايطلب من وزير مصرى لم يؤيده فى ذلك الوقت برلمان ولم يكن

الخديو من الراغبين فى بقائه ، ولا سند له إلا ما وقر فى نفسه من القوة وصلابة الشكيمة

***

وقرأت من مقال مكرم عبيد باشا « ... إن سعداً العظيم كان كسعد الرجل ، إذا ما أحس إحساساً فلا توسط فى حساسيته المرهفة . إذا ما بكى أو ضحك تشاركه عيناه بالدمع المنسجم - يبكى فيتطاير الدمع كالشرر المستعر ، ويضحك فيتساقط الدمع كالماء المنهمر ... ولا يهولنك أن يبكى سعد العظيم أو سعد الرجل فلمل أجل آية فى الإنجيل هى تلك الآية الحلوة القصيرة : بكى يسوع »

والواقع أن البكاء كان « تعبيراً » قوياً فى نفس سعد زغلول لا يدل على ضعف ولا استكانة ، ولكنه لم يكن من الانطلاق والمعاودة بحيث يفهم من هذه العبارة . فملى طول رؤيتى له لا أذكر أن عينيه فاضتا بالدمع الغزير غير مرتين ، أما تناثر الدمع من عينيه حين يطيل الضحك فأمر طبيعى فى تركيب العيون يزيده فى سعد أنه احتفظ - على خلاف كثير من الشيوخ - بنعمة الضحك القلبى إلى ما قبل وفاته بأيام . وكان رحمه الله يجتنب البكاء ما استطاع ويشيح بنظره عن رؤية الضعفاء الباكين ، وقلنا من الكتاب فى هذا المعنى : « إن هذا المناضل المكافح طول الحياة لم يكن أبغض إليه من رؤية العنف ولا مشاهدة الحزن والمحزونين . ذهب بعد الإفراج عنه فى جبل طارق ليشهد صراع الثيران على الأرض الإسبانية ، فلم يطق ما رآه من تعذيب هذه الحيوانات وانصرف بعد فترة وجيزة وهو يتأفف من هذا اللعب الممقوت . وعرف عنه ذووه أنه لا يطيق أن يرى البكاء لأنه يؤذيه ويستبكيه فكان يقول لهم : لا تبكوا أحداً أمامى ، وإذا مت فخذوا ثأركم منى ولا تبكونى . ومن عادته ألا يظهر أمام الناس فى موقف يخشى فيه من جيشان نفسه وغلبة دموعه ، ولهذا لم يستقبل أم المصريين على الرصيف فى جبل طارق واكتفى بأن ينتظرها فى حجرة الاستقبال ... »

فبكاء سعد كان فى تعبيرات نفسه فى أمثال تلك المواقف المعدودة ، وكان مع هذا يجتنبها ما استطاع

***

وجاء فى مقال صاحب العزة « فخرى عبد النور بك » : « ثم ركبنا البحر وعدنا أدراجنا إلى القاهرة ، وكان الزعيم الخالد يبدى جلداً وصبراً ، وكثيراً ما كان يردد هذا الشطر : لو بغير الماء حلقى شَرِقٌ . حتى وصلنا إلى بيت الأمة »

والذى أذكره أن سعداً رحمه الله تمثل بذلك الشطر وهو فى حجرة مرضه بمسجد وصيف بعد أن روى لى أشياء عن أناس من أنصاره كتموا عنه أموراً كان يود أن يطلعوه عليها ، وهذه المناسبة ظاهرة من معنى الشطر المفهوم

***

وفى عدد الثقافة مثل على اتفاق الرواية إذا اتفقت الملاحظة الطبيعية كما يلحظها الرواة خالصة من الحواشى والأغراض

فقد كتب الكاتب الأمين الأستاذ « كامل سليم بك » عن « حالة الزعيم النفسية » عقب مقتل السردار . فقال مما وعاه فى مذكراته : « وقد مرت بسعد وهو زعيم أزمات حادة أقضت مضجعه . ولأذكر على سبيل المثال ما حدث له أيام وزارة زيور باشا التى ألفت عقب مقتل السردار ، فقد ساد البلاد جوٌّ خانق لجو الأحكام العرفية ، وقبض على الأبرياء وزجوا فى السجون لأتفه الشبهات ، وفى طليعتهم الدكتور ماهر والأستاذ النقراشى ، وكان سعد يحبهما ويثق بهما أخلص حب وأكمل ثقة ، وحزن لسجنهما أشد الحزن وأخذ كثيرون من أنصاره ينفضون من حوله أو ينقطعون عن زيارته ؛ فدخلت على سعد يوم ٣٠ يوليه سنة ١٩٢٥ وهو فى هذه الحالة النفسية التعسة ووجدته وحده فى مكتبه الداخلى فى بيت الأمة يطالع كتاباً ؛ ولن أنسى ما حييت ما لاحظت عليه من الحزن الأسود والألم الأليم . سألنى عن الحالة العامة فحدثته بما أعرف وتعمدت أن أضمن حديثى ما يدعو إلى الأمل والتفاؤل حتى أدخل على قلبه الكبير شيئاً من الطمأنينة والسكينة ، فابتسم ابتسامة فاترة كانت على الألم أدل منها على أى شىء آخر ، وقال : « اسمع يا كامل ! لقد ألم بالناس هزال شديد ، وهو أشد لدى من كانوا أكثر الناس حماسة وأشدهم غيرة ، ومن بقى منى منهم موجودون إما حياء أو تورطاً وإما لعدم وجود وسيلة أخرى ، وهى مصيبة ليس لها إلا ربك »

والواقع أننى لم أجد سعداً فى حالة من الغم كالحالة التى وجدته عليها فى تلك الفترة ، ولاحظت ذلك فى كتابة تاريخه فقلت : « ما أعرف وقتاً تسرب فيه السأم والتعب إلى بنيته وإلى نفسه كما كان يتسرب أحياناً خلال الفترة من مقتل السردار إلى عودة الحياة النيابية ... وذات ليلة كان يسأل : ما الذى يبعث القوة فى الشعب ؟ وكنا ثلاثة على مائدته : محامياً معروفاً والأستاذ

عبد القادر حمزة وكاتب هذه السطور ، فقال المحامي وظن أنه يرضيه بما قال : يا باشا كلمة منك تبث فيه الحياة الفنية . واسترسل في مثل هذا الكلام ، فنظر إليه سعد هنيهة ثم قال : ما هذا ؟ أتريد أن تخطب ؟ أتريد أن تتحمس ؟ طيب ... تفضل اخطب وتحمس وانتظر من يسمع

وكانت نفسه برمة جداً بمن يعبثون بهذا الموضوع لأنه كان مهموماً به لا يطيق الهزل فيه . بل كثيراً ما سمعته يتضجر في تلك الأيام من حب النكتة في الطبيعة المصرية ويقول : لولا أن المصريين يضحكون من زيور وغرائبه لما احتملوه هذا الزمن الطويل »

* * *

وبعد فإني أسجل هذه التعقيبات على ما قرأت في فصول الثقافة وفي اعتقادي أن إخواننا الذين احتفلوا بذكرى الزعيم العظيم يرحبون بما فيها من تصحيح لبعض الوقائع والأخبار ، إذ كانوا ولا ريب إنما يقصدون إلى تمحيص الحقائق عن ذكراه .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

سعد زغلول خطيباً — الخطابة والحديث عند جماعة من رجال هذا العصر : طه حسين ، عبد اللطيف الصوفاني ، على فهمي كامل ، عبد العزيز جاويش ، مكرم عبيد ، مصطفى النحاس ، محمد حسين هيكل ، محمود فهمي النقراشي ، محمد محمود ، عبد الخالق ثروت ، حافظ عفيفي ، طلعت حرب ، حلمي عيسى ، عبد الحميد بدوي ، على ابراهيم ، نجيب الهلالي ، ابراهيم عبد الهادي ، أحمد لطفي السيد .

عجب فريق من القراء من حكمنا على الزعيم (سعد زغلول) خطيباً ، وهددنا أحد الرفاق الأعزاء بكتابة فصل ينقض به حكمنا من الأساس ، وعاتبني بعضهم على ذلك الحكم الصريح فقلت : إنما سجلتُ إحساساتي بصدق ، ولا موجب للمواربة في الحكم على خطيب لم تكن الخطابة إلا عنصراً واحداً من عناصر كثيرة تألفت منها قوته الذاتية ، فجده لا يقف عند القول بأنه كان أخطب الخطباء .

وأواجه الموضوع مرة ثانية خدمة للتاريخ الأدبي فأقول :

كان يهمني من عهد بعيد أن أدرس العصر الذي أعيش فيه دراسة صحيحة ، وأن أزن المواهب عند من ألاقيهم من أهل الفكر والرأي والبيان، وقد يتفق أحياناً أن أشغل نفسي بدراسة الوجوه والملامح ، وربما توغلت فدرست الصلات المجهولة بين ما يُظهر الناس وما يُضمرون ، فإن رأى بعض القراء خطأً في بعض ما أصدر من الأحكام الأدبية على أهل هـذا الجيل ، فلا يرجع ذلك الخطأ إلى المسارعة في الحكم بلا روية ، وإنما يرجع إلى أني قد لا أوفق إلى الصواب مع الحرص الشديد على النظر والتدقيق

والحق أني مفتون بنفسي من هذه الناحية ، ولا أعترف بأني قد أخطئ إلا تجنباً للوقوع في اللجاجة مع بعض القراء ، مع أني أومن بأن الكِبْر المطبوع أخف روحاً من التواضع المصنوع . وأقول بعبارة صريحة إن التعبير اللساني له فنون ، وقد تدِقّ الفروق بين تلك الفنون ، ثم تدِقّ حتى يصبح من العسير أن نضع لها الموازين ، ومن هنا ينشأ الخلاف في الحكم على طبقات المتحدثين والخطباء

وأضرب المثل بالفرق بين المحاضر والخطيب ، فالمفهوم أن المحاضرة والخطابة فنّان يقتربان أشد الاقتراب ، لأنهما في ظاهر الأمر يرجعان إلى أصل واحد ، ومع ذلك نرى القدرة على المحاضرة والخطابة تتفاوت أشد التفاوت عند الرجل الواحد في بعض الأحيان

فالدكتور طه حسين محاضراً يُعدّ في الطبقة الأولى بين المحاضرين ، ولو راعينا أن الدكتور طه لا يستطيع أن يهيئ كلاماً يأخذ بعضه برقاب بعض في دقائق تقارب الستين لجاز الحكم بلا مجاملة بأن الدكتور طه هو المحاضر الأول في هذا الجيل

ومالي لا أقول الحق كل الحق فأصرح بأني لم أشهد في مصر محاضراً يماثل الدكتور طه في جهارة الصوت ونصاعة الأداء ؟

ولكن طه حسين خطيباً مخلوق آخر : فهو في الطبقة الحادية والعشرين بين خطباء هذا الزمان ، وما سمعت الدكتور طه يخطب إلا أشفقت عليه ، فمن العجيب أن الرجل الذي لا يتحبّس ولا يتوقف وهو يحاضر قد يتعرض لأبشع ضروب العيّ وهو

يخطب ، فمن أين جاءت هذه الفروق بين الموقفين مع قرب الصلة بين موقف المحاضر وموقف الخطيب ؟

أيرجع السبب إلى أن الدكتور طه محدّث بارع ، والمحاضرة فنٌ من الحديث ؟

أم يرجع السبب إلى أن الدكتور طه يجرى على فطرته وهو يحاضر فيتسلّس له القول ، ويتكلف وهو يخطب فيتمتّع « بمزايا » المتكلفين من الفضلاء ؟

هذا موضوع يصلح للدرس ، وهو من الدقة بمكان . وأذكر شاهداً آخر يوضح هذه القضية بعض التوضيح

كانت صحبتى طالت لفقيد الوطنية والدين عبد اللطيف الصوفاني ، وكنت أراه أفصح الناس حين يدور الحديث حول المطالب القومية ، ثم سنحت فرصة وجب فيها أن يقف ليخطب ، فرأيت البَون شاسعاً جدًّا بين الصوفاني المحدّث والصوفاني الخطيب ، ولعل شاعرنا شوقى راعى هذا المعنى حين قال وهو يرثيه :

ما كان قُسًّا ولا زيادًا ولا بسحر البيان جاء
لكن إذا قام قال صدقاً وجانبَ الزُّور والرياء

وعرفت خطباء لا يجيدون إلا حين يحفظون خطبهم عن ظهر قلب ، ومن هؤلاء المرحوم على فهمى كامل الذى مات فى رثاء شهيد الوطنية محمد فريد

وإنما قضيت بهذا لأنى سمعته مرة يخطب نحو ساعتين بلا تلعثم ولا تردد ، وكان ذلك فى كلية مصطفى كامل فى إحدى ذكريات الزعيم الأول ، وبعد انفضاض الاحتفال بوقت قصير ظهرت جريدة اللواء وفيها خطبة على فهمى كامل ، فرأيت النصّ المكتوب عينَ النص المسموع ، بلا تقديم ولا تأخير ، وبلا زيادة ولا نقصان

ويؤكد من عرفوا الزعيم الخالد مصطفى كامل أنه كان يحفظ خُطبه عن ظهر قلب ، ويؤيد هذا خطبته التاريخية على مسرح زيزينيا بالاسكندرية ، وهى أعظم خطبه ، وبها ختم حياته الخطابية ، وأسلوبها يشهد بأنه نظمها نظماً ثم حفظها قبل أن يلقيها على الناس

فكيف كان على فهمى كامل وهو يتحدث ؟

كان أعجوبة الأعاجيب فى قوة الأداء ، وكان يطابق أسنانه بعنف فى المواطن التى تحتاج إلى تأكيد ، وكان يحفظ الأرقام مهما بعد عهدها فى التاريخ ، فلم يكن من الصعب عليه أن يذكر اليوم الذى وقع فيه حادثٌ مأثور فى أى عهد من العهود

وقد حملته الثقة بالنفس على أن يتقدم للانتخابات فى دائرة السيدة زينب منافساً للزعيم سعد زغلول ؛ فلما راجعته فى ذلك غضب وثار وأعلن أن انتصار سعد عليه أبعد تصوراً من المستحيل !

والمهم هو النص على أن على فهمى كامل المحدّث غير على فهمى كامل الخطيب ، لبعد ما بين الحالتين من العنف واللطف ، والفطرة والطبع . ولم أشهد على كامل يرتجل الخطابة إلا مرة واحدة فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ وقد وقف يخطب على قبر محمد فريد وهتف هاتف : يحيا سعد ! فاغتاظ الرجل واندفع فى تجريح سعد بقوة قهارة فرضت على السامعين أن يلوذوا بالصمت والخشوع ، فى وقت لم يكن يجرؤ فيه أحد على أن يذكر سعداً بغير الجميل

أما الشيخ عبد العزيز جاويش فكان يلقى خطبه بأسلوب الدرّس المتمكّن ، وكان يعاب عليه أن يرد يده إلى أذنه بصورة من يدعو فكره إلى التجمُّع ، وكان يهتف بكلمة « وَىْ ! » حين يرى المعانى تَشرُدُ أمام فكره القنّاص فترجع إليه وهى أوانس خواضع !

وكان الشيخ جاويش حين يتحدث فى لحظات الصفاء أحيا من الفتاة البتول ، وكان لصوته فى أوقات اللطف نبرات عذاب ، وكانت له ابتسامة حلوة إلى حد يفوق الوصف ، وكان لعينيه بريق جذاب ، فإذا غضب لحديثه ونظراته رعد وبرق وصواعق

كنت أدخل عليه فى وزارة المعارف بلا استئذان ، وكانت الفرص كثيرة لمقابلته ، لأنه كان يمكث فى مكتبه كل يوم نحو عشر ساعات ، فيتغدى فى الوزارة كيفما اتفق ، ويصلى فيها الظهر والعصر والمغرب ، وقد يحلو له الأنس بالواجب فيبقى فى الوزارة إلى أن يصلى العشاء

دخلت عليه مرة فوجدت عنده إنساناً منزوياً فى إحدى نواحى المكتب ورأيت الشيخ غضبان والشرر يتطاير من عينيه ، فسلمت تسليماً مختصراً وجلست

وما هى إلا لحظات حتى انفجر الشيخ كالبركان فى وجه ذلك الجليس ، فقد صرخ :

« من يتزوّج بناتنا إذا جاز لكل شاب مأفون ألا يزور أوربا إلا عاد ومعه زوجة فرنسية أو انجليزية أو ألمانية ؟

إن الأتراك لا يتزوجون بناتنا غطرسة منهم وكبرياء ، والمغاربة وهم فى مثل حالنا لا يتزوجون بناتنا إلا فى قليل من الأحوال

فكيف يجوز لشابٍّ أن يترك بنات وطنه للبوار ، وهو يعرف فى سريرة نفسه أن الفتاة المصرية معدومة النظائرِ فى الجمال وأدب النفس ؟ وما الذى يبهرك من الفتاة الأوربية حتى تنسى بها بنت وطنك ؟ ومتى يصير أمثالك رجالاً يعتمد عليهم الوطن وقد حرمكم الله نعمة الوطنية ؟ »

وخرج الشاب وهو آسف . وكانت لحظة صمت توهمتُ فيها عَيني الشيخ جاويش مغرورقتين بالدمع ، فطلب فنجان قهوة ، ثم تكلف الابتسام ، وقال : « لا تؤاخذنى ، فذاك فتًى كان أبوه من أعز أصدقائى ، وما كنت أحب أن ينسلخ من وطنه بالزواج من امرأة أجنبية »

ومع أن المسألة فيها نظر ، ومع أنى كنت أراجع الشيخ فى كثير من الشؤون ، فقد تخوفت عواقب غضبه إن راجعته فى ذلك الشأن الدقيق ، ثم انصرفت وقد عرفتُ أن الشيخ لا يَرِقّ ولا يلطف إلا فى ساعات الصفاء ، وأنه أخطب ما يكون وهو غضبان

أما مكرم باشا عبيد فلم أسمعه يخطب إلا فى الحفلات ، وهو يحفظ خطبه عن ظهر قلب

وقف يخطب فى ذكرى ١٣ نوفبر أيام الائتلاف ، وبعد مدة تزيد على عشر دقائق دخل عدلى باشا يكن ومعه جماعة من الوزراء ، فرجع مكرم باشا إلى مطلع الخطبة من جديد فأعادها حرفاً حرفاً بلا تغيير ولا تبديل

أما مكرم باشا محدِّثاً فلم أعرفه إلا فى لحظات قضيتها معه بشارع ريفولى فى باريس سنة ١٩٢٩ ، وهو يُقبل عليك حين يحدثك إقبال من يهمه أن يظفر بثقتك ، فيترفق ويتلطف ، وينتقل من فن إلى فنون ، وهو فى جميع أحواله خفيف الظل والروح

ولم أسمع مكرم باشا وهو يرتجل لأعرف الفرق بين حاليْه فى الأداء ، ولكن من المؤكد أن حاليْه يختلفان بسبب غرامه بالزخرف والتنميق ، ومن كان كذلك فأمرُه فى الروية غير أمره فى الارتجال

ولم أسمع النقراشى باشا خطيباً ، ويقول القرين سمعوه إنه ليس من الخطباء

أما النقراشى المحدِّث فهو آية فى حلاوة التعبير وسلامة النطق ، على شرط أن يكون الحديث فى داره لا فى وزارة المعارف أو وزارة الداخلية

وهو مرهف العقل حين يتحدث ، ولكلامه مَذَاقٌ خاصٌّ لأنه لا يتكلم إلا وهو مبتسم ، وقد تعجب حين يحادثك بأن يكون لمثله أعداء ، لأنه ينقل أحاديثه عن قلب يفيض بالشهامة والصدق والإخلاص ، وإن كَثُر القول بأنه مفطور على العنف والاعتساف

والنحاس باشا خطيباً لا يرضينى ، وإن كنت أول من تنبأ بأنه سيكون خليفة سعد ، يوم رأيته يساول زغلول باشا فى مجلس النواب ، وكنت مضيت مع الأستاذ محمد الهمياوى لشهود بعض المواقف المهمة قبل أن يموت سعد بيامين

والعيب فى خطابة النحاس باشا يرجع إلى الأداء ، لأنه يؤدى المعانى بأسلوب رتيب ، ولا يفرق بين مقامات الكلام إلا فى قليل من الأحايين ، ولو جاز أن نقدم نصيحة لرجل فى مثل مركز النحاس باشا لرجوناه أن يرجع إلى باب من أبواب العربية اسمه الوقف !

أما النحاس باشا متحدثاً فهو على جانب عظيم من الجاذبية فى أوقات الصفاء ، فهو يرسل النكتة المستعذَبة بلا تكلف ، وهو لكرم طبعه يُنسيك أنه من الزعماء ، وهو أولاً وآخراً رجلٌ له قلب ، على قلة أرباب القلوب فى هذا الزمان

فإن تحدث النحاس باشا وهو غضبان فلا تعجب حين يقع منه ما لا يرضيك ، لأن الغضب يحوِّله إلى رجل يُنكر أن فى الدنيا كلاماً يقال وكلاماً لا يقال !

أما موهبة هيكل باشا خطيباً فليست بشىء بالإضافة إلى موهبته فى الحديث

يحدثك هيكل باشا وهو « ابن بلد » فتستظرفه إلى أبعد الحدود ، لأنه من هذه الناحية موهوب . فإذا خطب وأراد أن

يكون « ابن بلد » ضاقت به نفسك ، لأن الخطابة لها وقار لا يسمح بالعبارات البلدية ، وقد يعدّها من الابتذال

ويروعك من هيكل باشا صفاء عينيه حين يتحدث ، حتى لتكاد تجزم بأنه الشاب الذى ترفق فأشار فى كتابه عن « جان جاك روسّو » إلى أنه كان من أهل الفتون يوم كان طالباً فى باريس . أما مقام هيكل باشا فى الصحافة والتأليف فهو أوضح من أن يحتاج إلى بيان ، لأنه فى هاتين الناحيتين من أقطاب هذا الجيل

أما زعيم الدستوريين محمد باشا محمود ، فلم أشهده خطيباً إلا مرة واحدة فى الخطبة التى قال فيها وهو غضبان :

« نريد أن نعرف لمن الأمر اليوم : ألسعد أم للأمة ؟ »

وكنت سمعت أنها عرضت قبل إلقائها على الدكتور طه حسين والعُهدة على الشخص الذى صحب الدكتور طه أيام سكناه بحى قصر النيل ، فهو الذى زعم فى جريدة « الإنذار » أن الدكتور طه هو الذى أنشأ تلك الخطبة التاريخية

والذى يرى محمد باشا محمود وهو يتحدث يؤمن بأنه من أفراد الأدباء فى اللغة العربية ، وكيف لا يكون كذلك وهو من أسلم الناس ذوقاً فى الحكم على الأدب القديم والحديث ؟

ولم يكن صوت ثروت باشا فى الخطابة بالصوت المقبول ، كان صوته لوناً من (الصرصعة) ، وكان يقرأ خطبه فى أوراق مكتوبة بطريقة تشهد بأنه يخشى عادية اللحن والتصحيف

وأعظم خطب ثروت باشا هى خطبته فى الرد على معارضيه سنة ١٩٢٢ ، وقد صححها المرحوم محمد المرصفى ، فشهد التصحيح بأنها استهدفت لطغيان قلمه البليغ

أما ثروت باشا المحدّث ، فكان من الآيات فى عذوبة الروح وقد استطاع بلباقته أن يسيطر سيطرة روحية على الزعيم سعد زغلول قبل رحيله عن هذا الوجود، فلما وقف يرثى سعداً بعد ذلك ، قهره القلب الطيب على أن يضيف إلى خطبته سطوراً من الدمع المسكوب

ولم أسمع حافظ باشا عفيفى وهو يخطب ، أما أسلوبه فى الحديث فقد بهر قلبى وعقلى

وطلعت باشا حرب ليس بخطيب ولم يخلق للخطابة ، وهو مع ذلك محدّث جذاب ، وحاله فى ذلك يشبه حال الدكتور على باشا ابراهيم ، أو حال عبد الحميد باشا بدوى

ولا أعرف أين يقع مكان نجيب بك الهلالى بين الخطباء ، ولكنى أعرف أنه محدّث ظريف

أما حلمى باشا عيسى ، فهو فيض من القوة والفتوّة حين يتحدث ، وإن كنت لم أرض عن أسلوبه الخطابى حين سمعته فى مجلس النواب ، ولعل ذلك لأن موقفه كان موقف القرد لا موقف الخطيب ؛ والأستاذ ابراهيم عبد الهادى كان من خطباء الثورة المصرية ، وكان يومئذ فصيح اللسان ، وكان صدرى ينشرح حين أراه على حداثة سنه يتسامى إلى منازل الخطباء القدماء فى تخيّر اللفظ الفخم والمعنى الوهّاج ، ثم ضاق به صدرى حين سمعته يخطب فى مسرح الأزبكية بعد الثورة بأعوام ، فقد سلك فى التحريض على أعضاء الحزب الوطنى مسلكا غير مقبول ، ومع ذلك كان يستنفر الجمهور بشواهد من القرآن والحديث ! !

وكذلك انصرفت عنه وانصرف عنى فلم نكن نتبادل التحيات إذا التقينا مصادفة فى الطريق ، ثم تعارفنا بعد طول التغاضى حين تلاقينا فى المفوضية العراقية منذ أكثر من شهرين فكيف صار إبراهيم عبد الهادى الخطيب ؟ أهو كعهدى به قبل عشرين عاماً حين كان يرصّع خطبه بالحكم والأمثال والآيات والأحاديث ؟ أم تكون الدنيا راضته على فنون من سرعة القول وبديهة الارتجال ؟

يشهد ما أقرأ من خطبه المنشورة أنه لا يفرق كثيراً بين مقامات الكلام : فهو يخطب فى مجلس النواب كما يخطب فى الحفلات ، مع أن الفرق بين المقامين بعيد . فإن سنحت فرصة لشهوده خطيباً ومتحدثاً فقد أرجع إلى هذا الرأى بشىء من التعديل ، ولكن ما أهمية الخطابة والحديث فى حيوات الرجال ؟

لذلك أهمية عظيمة جداً ، فأستاذنا أحمد لطفى السيد باشا مَدِينٌ لمواهبه فى الحديث أولاً وفى الخطابة ثانياً ، وأكاد أجزم بأنه يراعى التعبير كلما تحدث ، ولو كان الحديث أمراً بتقديم القهوة للضيوف ، وللحديث عنده ألوان : فهو تارة بالعامية الشرقاوية ، وتارة بالفصحى البدوية ، تبعاً لاختلاف المقامات ، ولهجته البلدية عذبة حلوة تقع من آذان السامعين أجمل موقع ، فإذا بدا له أن يُغرب فهو أعرابىّ من مجاهيل البيداء ، وهو فى حاليه يتكلم بصوت رنان يذكّر بألحان يوسف المنيلاوى ، إن رضى عن هذا الوصف

أخـــلاق القرآن

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

أعرض فى مقالات قليلة أمهات الأخلاق فى القرآن ، كيف بينها الكتاب الكريم وكيف دعا إليها بعد أن أقدّم مقدمة وجيزة تبين المقصد الآخر الذى قصد إليه القرآن من تربيته وتعليمه :

سئلت عائشة رضى الله عنها عن الرسول صلوات الله عليه ، فقالت : كان خُلقه القرآن . فأخلاق القرآن هى التى تجلت فى محمد خاتم النبيين وأصحابه ومن تبعهم وسار على نهجهم من بعد . وإنما يظهر صلاح القانون حين إنفاذه ، ويتبين سداد الرأى حين يختبره العمل ، ويُعرف رشاد الطريقة حينما تهدى السائرين عليها إلى الغاية المثلى . فإذا أردنا أن نقدر أخلاق القرآن فإنما نتبينها فى سيرة من عملوا بالقرآن

كل ما يزدان به تاريخ الإسلام من سير الملوك والولاة والقواد والقضاة والعلماء والصالحين وغيرهم ، فهو أخلاق القرآن تتجلى فى صور مختلفة . فإن رأيت ملكا من المسلمين ملك الدنيا ولم تملكه ، وسيطر على الأرض ولم تسيطر عليه ، فساس عباد الله بعدل الله ، وأنصب نفسه ليريح رعيته ، وراقب فيهم ربه ليله ونهاره ، فهذا من أخلاق القرآن . وإن رأيت واليا دخلت الدنيا يده ولم تدخل قلبه وكفّ يده عن المحارم ولم يأل جهداً فى العمل لخير الناس، فهذا من خلق القرآن كذلك . وإن رأيت قائداً يحتقر المهالك ، ويقذف بنفسه فى المعارك ، يفتح البلاد ولا يُعنت العباد، قد ملكت القناعة قلبه ويده ، وكفّه العدلُ عن العدوان، فهذا خلق القرآن فى أحد مظاهره . وإن رأيت قاضياً كدّ عقله فى معرفة الحق والتثبت ، وآثر العدل وجانب الجور وأخلص لله فكره وحكمه ، وأقضّ مضجعه عظمُ التبعة ، فذلك من قضاة القرآن . وإن رأيت عالماً توجه إلى الله بفكره ، وأدام النظر فى ملكوت السموات والأرض ، ودأب فى البحث ابتغاء الحق لا يميل مع الهوى ولا يرجو إلا وجه الله فهو من علماء القرآن

عدلُ أصحاب السلطان ، وجهاد المجاهدين بالحق ، وإحسان المحسنين فى كل عمل ، وطلب الحق والصبر عليه ، ودفع الظلم والنفور منه ، والاضطلاع بأعباء الحياة ، والصبر على المكاره والثبات فى الشدائد ، كل ذلك من أخلاق القرآن . والخلاصة أن الحيـاة فى أقوى مظاهرها ، وأحسن وجوهها ، وأعدل سيرها ، وأرحم قوانينها ، وأجل أعمالها ، كل أولئك تقصد إليه أخلاق القرآن

من يتدبر القرآن يعرف أن المقصد الآخر الذى ترى إليـه تربية القرآن هو أن يُحرّر الإنسان من أهوائه وشهواته ، وأن تقوى نفسه بالأخلاق القوية القويمة ، وأن يزوّد عقله بالمعرفة ، ثم أن يعمل بهذه النفس المحررة القوية وهـذا العقل القويم فى معترك الحياة مبتغياً الخير لنفسه وللناس كافة . ذلكم مقصد القرآن فيما يعلّم من الأخلاق

يريد القرآن نفساً محررة من الأهواء والشهوات ، وسأبين هذا من بعـد ، ولكنى أسارع فأقول هنا : ليس معنى التحرر من الشهوات الحرمان منها ؛ فإن القرآن يريد للناس أن يستمتعوا بهذه الحياة ، ولا يزوروّا عنها ويتجنبوها : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب

ولطفى باشا له تاريخ فى الدعوة إلى العامية ، ولكنه مع ذلك يكره التبذل والإسفاف فى الخطب والمحاضرات ، ولو سمعته وهو يخطب لعرفت أن دعوته إلى العامية لم تكن إلا دعاية أراد بها أن يشغل الجمهور عن المناوشات التى كانت تقع بين أرباب الأقلام أيام الصيال بين الجريدة والمؤيد واللواء ، فلما جدّ الجِد وصار مديراً للجامعة المصرية أعلن أن اللغة العامية لغة العوام وأنها لا تملك القدرة على التعبير عن أفكار الخواص ، فى حديث أذيع باسمه فى مجلة الهلال

أما بعد فإنى أنا مما ابتدأت به هذا الحديث

كنت أريد أن أشرح كيف اختلفت الآراء فى سعد زغلول خطيباً ثم اندفعت إلى شجون من الأحاديث شغلتنى عن الموضوع الأصيل ، وإن كانت تتصل بى أوثق اتصال . فإن استطاب القراء هذا الفن من التشريح فسأرجع إليه بعد حين

زكى مبارك

المسرفين » . « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين »

القرآن لا يدعو إلى الرهبانيـة ولا يرضاها ، وإنما يدعو الإنسان إلى أن يرمى بنفسه فى معارك الحياة مزوداً بالأخلاق القوية الفاضلة ، مريداً الخير لنفسه وللناس حتى يعيش راضياً مرضياً . فمن اعتزل معارك الحياة فقد فرّ من الواجب ، وجنح إلى الراحة ، وآثر البطالة . وليس تمسكه بالأخلاق الفاضلة بعد هذا إلا كما يتسلح الجندى ثم يترهب فى دير . العبادة الحق فى شرعة الإسلام هى الجهاد فى هذه الحياة . كل عمران فى الأرض ، وكل إحسان إلى النفس أو الأقرباء أو الأصدقاء أو عامة الناس أو إلى الحيوان الأعجم ؛ كل هذا عبادة يأمر بها الإسلام بل يعدها أفضل العبادات . وقد قال أحد صوفية المسلمين : « ليست الولاية أن يمشى الإنسان على الماء أو يطير فى الهواء ، ولكنها أن يعمل الإنسان فى الأرض فيزرع أو يتجر وينعم بالعيش وهو لا يغفل عن الله طرفة عين » ومن أجل هذا كانت المرابطة فى الثغور ، أى حماية حدود البلاد ، من أفضل العبادات عند المسلمين . وكم يحدثنا التاريخ عن علماء أتقياء أقاموا فى الثغور ورابطوا العدو ، يرون أن عبادتهم وورعهم لا يغنيان عن هذه المرابطة شيئاً . ولأن المرابطة عبادة سمى الصالحون فى بعض البلاد الإسلامية مرابطين وسمى رباطا المكان الذى يعتكف فيه المتعبدون

إنما يريد القرآن من التحرر من الشهوات أن يسيطر الإنسان على نزعاته فيلائم بينها وبين الحق والخير ويفعل أو يكف حرًّا بعقله لا عبداً بهواه

مقصد الإسـلام الأخير هو تحرير النفس من الأهواء والشهوات وتقويتها بالأخلاق الفاضلة وتحرير العقل من الأهواء كذلك ، وتقويته بالمعرفة ، ثم العمل بنفس محررة قوية ، وعقل حر واسع ، فى أرجاء هذه الأرض لخير الناس . فأما التحرر من الهوى فقد أمر به القرآن فى آيات كثيرة وافتنّ فى الدعوة إليه بأساليب مختلفة . يقول القرآن الكريم : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . » ويقول : « أفرأيت من اتخذ إلاهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؟ » ويقول : « أفمن كان على بيّنة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم . » ويقول : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى . »

أرأيت كيف ينهى القرآن عن الهوى ويعده معطلاً لمعارف الإنسان وعقله وسمعه وبصره ووراء رأس كل ضلالة ؟

اشتد القرآن فى النهى عن اتباع الأهواء ، حتى نهى عن الأخذ بالظن ، لأن الإنسان إذا لم يسر على بينة مال به الهوى الخفى وأوحى إليه الظنون المختلفة : فيظن الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، والخير شراً ، والشر خيراً ، كما ينزع هواه وتميل نفسه . وما أكثر ما نهى القرآن عن الظن ، قال : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » ، وقال : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » ، وقال : « وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » . بل بيّن القرآن أن ضلال الناس ناشئ عن اتباع الظن فقال : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن »

هكذا يشتد القرآن الكريم فى الدعوة إلى تحرير النفس والعقل من الأهواء وتبرئتهما من الظنون ، ليقارب الإنسان الصواب جهده ، وتستقيم له طريقة الفكر فطريقة العمل

وأما تقوية النفس وتهذيبها بالأخلاق الفاضلة ، فسيأتى بيانه حين نفصل الكلام فى الأخلاق التى دعا إليها القرآن . وأما تقوية العقل وتقويمه وتزويده بالمعرفة ، فقد دعا القرآن إلى الانتفاع بالعقل والنظر فى ملكوت السموات والأرض وجعل الذين لا ينتفعون بعقولهم كالأنعام أو أضل ، وقال : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض — أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء — قل سيروا فى الأرض فانظروا » ولفت القرآن الناس إلى مظاهر الكون ودعاهم إلى التفكير فيها ليتعرفوا أسرارها « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر

بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » وكثير في القرآن مثل هذا ، وما هذا النظر إلا وسيلة المعرفة ، وهل أنتج معارف البشر إلا النظر في ملكوت السموات والأرض ؟ وقد أمر القرآن بالاستزادة من العلم فقال : « وقل ربي زدني علما »

وأما العمل فهو المقصد الذي يقصد إليه القرآن من تعليم الأخلاق الفاضلة ، فالقرآن كما قدمنا لا يريد رهبانية ولا فراراً من الجهاد ولا خوراً وإشفاقاً من الاضطلاع بأعباء الحياة ، وإنما يريد العمل والدأب والجهاد . أمر القرآن بالعمل وأشاد بذكر العاملين في آيات كثيرة ، وبين أن تدافع الناس سبب لعمران الأرض ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وبين أن الخير لا يدوم إلا بالدفاع عنه والاجتهاد في حمايته « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره »

ولم يقبل القرآن عذر الأذلاء الذين يعتذرون بالعجز عن العمل أو بتغلب الأقوياء عليهم ، وصدهم إياهم عن الخير فقال : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ » . فهو يدعو إلى الهجرة حيث يستطيع الإنسان العمل « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة »

ذلكم إجمال الكلام فيما يقصد إليه القرآن من تهذيب النفس وإصلاح الخلق والجهاد في الأرض . وهو الذي بينته أعمال الرسول وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ، فقد خلق القرآن الجماعة الفاضلة ، وخلقت الجماعة الدولة ، وأيدت الدولة الحق والعدل ، وسيطرت على الأمم تسوسها بعدل الله طوعاً أو كرهاً . ولا تزال دعوة القرآن مسموعة ، ولا يزال المثل للناس مضروباً ، ولا يزال الأمل معقوداً بأن تحيي هذه الدعوة الأخلاقية الأمم مرة أخرى . لا يزال في هذه الأرض خصب وبركة ، ولا يزال في هذا السحاب برق ورعد ومطر ، لا تزال في هذه النفوس حياة وفي هذه القلوب خير . وإن مع اليوم غداً

وسأبين في المقالات الآتية أمهات الأخلاق في القرآن إن شاء الله .

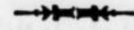
عبد الوهاب عزام



من الأدب الوجداني

« نفثة » . . . أخرى !

للأستاذ على الطنطاوى



توالت علىّ الذكريات ، فألقيت كتابى ، وأقبلت على ماضىّ أفتش فى حدائقه القاحلة عن وردة أخطأتها رياح الشتاء العاتية ، وثلوجه وأمطاره ، فتوارت فى كنف صخرة ، أو فى حمى جدار ، تكون صورة من الربيع الغابر ، فلم أجد إلا رفات الأوراق التى كانت مخضرة زاهية ، وهيا كل الأشجار العارية التى كانت تلبس من حلل الربيع سندساً وحريراً ، قد خيّم عليها الموت ، وشملها برده القارس ؛ فحولت وجهى شطر المستقبل ، فلم ألق إلا ظلاماً فوقه ظلام ، ووجدت حاضرى راكداً ركود الفناء ، ساكناً سكون العدم ، فضاق صدرى ، وأغرقتنى فى بحرها الهموم ، فجعلت أفتش عن رفيق يأخذ بيدى ، وصديق أبثه همى ، وأشكو إليه بثى ، فلم أجد لى صديقاً إلا القراء ، أولئك هم أصدقائى الذين لا أعرفهم ، ولا أنتفع منهم بشىء ، وما لى منهم إلا اعتقادى بأنهم يعطفون علىّ ، ولا يشاركون الحاسدين المؤذين حسدهم إياى وإيذاءهم لى ، فكتبت إليهم أحدثهم بشكاتى ، وأروى لهم ذكرياتى . ولعل هؤلاء القراء يضيقون بحديثى صدراً ، ويعرضون عنه ويستثقلونه ، ولعل اعتقادى بصداقتهم وهم من الأوهام ، غير أنى لا أحب أن أرزأ هذا الوهم ، ولا أن أتيقن فساده ، لأنى أعيش به فى دنيا الحقائق المرة . . .

ومن كان مثلى غريباً فى بلدته التى يعرف نصف أهلها ويعرفه نلثاهم ، يمشى فى المدينة الحافلة بالناس مستوحشاً منفرداً كأنه فى صحراء ، لا يلقى إلا رجالاً ، لا يثنى تعدادهم أصابع اليدين ، يجول فى هذه الحلقة المفرغة ، لا منفذ له منها ولا مخرج ، قد خلت حياته من الفرح والألم ، وغدت كالماء الآسن ، لا تموج فيه موجة ولا تحركه ريح ؛ ومن كان يتمنى أن يجد ما يشغله ، ويحرك سواكن نفسه ، وما يدفعه إلى الفكر والعمل ، ولو كان البلاء النازل ، أو الحريق المشبوب ، أو النفى أو السجن . . . ومن كان يصبح فلا يدرى ماذا يعمل فى يومه ، وكيف يدفع هذا اليوم ، ويمسى فلا يعرف ماذا يصنع فى مسائه ، وكيف ينام ذلك الليل ، ومن يحس بثقل الأفكار على عاتقه ، ولكنه لا يجد إلى بثها سبيلاً ، ويرى الوقت طويلاً والقوة حاضرة ، ولكنه لا يعلم فيم ينفق وقته ويصرف قوته ؛ ومن كان متعزلاً مثلى ، لا زهداً فى الحياة ، ولا هرباً من معاركها ، ولكن يأساً من مقبل أيامها ، وقنوطاً من خيرها ، فهو يخلو إلى ذكرياته يتملل بها ويتمززها ، ويحادثها ويناجيها ، ويحيا فى خيالات ماضيه حين عجز عن الحياة فى حقيقة حاضره ؛ ومن كان مثلى لا يشكو الفقر فى اليد ولا فى النفس ، ولكن الفقر فى العمل ؛ ومن كان يجد بحمد الله من المال ما يكفيه فى يومه ويفضل عن حاجته ، ولكنه لا يدرى ما يكون فى غده ؛ ومن كانت شكواه فرط الحس ، وحدة الشعور ، وجحود الناس وكان يشكو دنيا يتقدم فيها الهجين ، ويتأخر الجواد الكريم ، دنيا فسد فيها كل شىء حتى غدا عقلاؤها ينتظرون الساعة

من كان كذلك ، أدرك حقيقة حالى ، وفهم مغزى مقالى ، ولم يلمنى مع اللائمين ، ولا كان على مع العداة الحاسدين

* * *

وكم قائل لى : ألا تنسى هذا الماضى وتستريح من ذكراه ؟ ألا تدع المستقبل وتطرّح التأميل فيه ؟ ألا تعلم أن ما مضى فات والمؤمل غيب ، ولك الساعة التى أنت فيها ؟فأقول : بلى ، إنى لأعلم ذلك ، ولكن أين السبيل إلى النسيان ؟

وإذا أنا نسيت كل شىء ، فكيف أنسى أياماً عشتها لم أكن فيها الطائر المقصوص الجناح ، ولا الغصن الذى قصفته الرياح ، بل كنت أواجه العاصفة أستند إلى الجذع المتين ، جذع السنديانة الراسخة ، وأطير فوقها بجناحين قويين ، فهاض الدهر جناحى ، وكسر جذعى ، حين أفقدنى أبى ، وصيرنى عرضة للعواصف ، وجعلنى معها كالريشة لا تستقر على حال من القلق والذعر والاضطراب . . .

وكيف أنسى أنه لو عاش أبى العالم الوجيه ذو المرتب الضخم ولم تخترمه المنية شاباً ، لاحتمينا به من كيد الحياة ، ولنشأنا فى ظله كما ينشأ الفرع اللين وسط الدوحة القوية الممتدة الأفنان ، ولما اضطررنا إلى مواجهة الدنيا ، والتمرس بنكباتها ،

ومعرفة لؤم أهلها ، ونحن فتية صغار ، أطهار القلوب ، مبرؤون من الذنوب ، لا نلبث حتى نتلوث بأوضار الكيد والمكر ، ونتلقف مبادئ (علم الحياة ...) كما يتلقف الصبي المخطيء مبادئ (فن الجريمة) في السجن الأول ، فلا يخرج منه حتى يحمل شهادة البكالوريا في الإجرام

وكيف أنسى ما نثرت من قطع قلبي ، وفلذات كبدي ، في أرض الله الواسعة التي لا ترعى حق العواطف ، ولا تحفظ عهد القلوب ، في سفح قاسيون الحبيب ، وفي الغوطة الغناء...

وفي حرش بيروت الذي يميس صنوبره ميسان الغيد الحسان ، وقد خرجن متبرجات ، ينظرن إلى مياه البحر بعيون لها زرقة مائه ، وله سرارها بعد قراره ... ذلك الحرش ... لي تحت كل شجرة منه ذكرى لا يدريها إلا الله وقلبي وذلك القلب الذي سلا وقلى ... وما سلوت ولا قليت ، وما أذعت له سراً ولا أفشيت

وفي طريق صيدا ، كم صببت من العواطف ، واستودعت من الذكر ؟ سلوا تلاميذي طلاب الكلية الشرعية في بيروت ، ألم يشهد لنا هـذا الطريق أنا كنا خير من مر به من إخوان متوادين ، قد جمعت صداقتهم قلوبهم فزجتها كلها ، ثم قسمتها ، ثم أعادتها إليهم ، فماشوا جميعاً بقلب واحد ، والأصدقاء يعيشون بقلوب شتى

هؤلاء الإخوان الذين وفيت لهم فوفوا لي ، وأحببتهم فأحبوني ، ورأيت منهم لما مرضت فيهم ما لو تخيله القصصي الأديب لاستكثر وعدّ مبالغة من المبالغات

وفي العراق كم خلفت من حياتي ، وما الحياة إلا خفقات القلوب ، وتردد الأنفاس ، ومظاهر العواطف

على طريق الأعظمية ، وفي الكرخ الأقصى في حي الجعيفر ، وعلى الجسر وفي الأعظمية ، وفي البصرة ، وفي كركوك ، بقع أعزة علي ، وقوم أحبة إلي ، لولا خوفي من ألا يصدقوني لحلفت لهم أنه لم يطب لي بعدهم عيش ، فهل يكتب الله عودة لتلك الليالي ، فيجتمع الشمل ، ويلتئم الصدع ، وتلتقي الذكريات بالآمال ؟

إني أسأل الله ، فنبئوني ، هل مد يديه أديب بغداد الأستاذ الأثري ، فقال : آمين ؟

يقولون لي : انس ، ولكن كيف السبيل إلى النسيان ؟

وكيف أنسى أيامي في مصر ، مصر التي محت صورها السنون من نفسي ، فلم يبق منها (ويا أسفي !) إلا صورة ميدان باب الخلق مجازي في غدوي ورواحي ، وحديقة الاستئناف التي كنت أتأملها وأنا في المطبعة (السلفية) عند خالي ، والتي استودعتها من العواطف عداد أوراقها وأزهارها وحبات ترابها ، ودار الكتب التي كان بها الشاعر الكبير حافظ رحمه الله ، وشارع محمد علي ، والعتبة الخضراء (الضيقة) التي لم تكن تخلو يوماً واحداً من ميت مدعوس ، وصورة زقاق حوله أنقاض مهدمة ومنازل حقيرة بالية ، كنت أمر به كل يوم في ترام السيدة ، في ذهابي إلى دار العلوم وعودتي منها ، يسمى شارع الخليج ، زعموا أنه صار اليوم شارعاً عظيماً ، وصار فيه بنيان ... وجسر الزمالك حيث كان يطيب لي الوقوف بإزائه كل مساء ، أتبع ببصري الشمس الغاربة ، علّي أرى فيها صورة بلدي دمشق ، فلا أرى إلا بريق الشعاع الحاد يتكسر خلال الدموع التي تملأ عيني ، دموع ابن العشرين ، وقد هاج في نفسه الشوق الذي يسميه لامرتين «مرض السماء» لو كان في السماء أمراض

وصورة حديقة الجيزة ، التي كنت أقضي فيها الساعات الطوال ، آنس بوحوشها وهوامها ، وصورة بستان إلى جانبها فيه عمال يبنون ، قالوا : وقد تم البناء ، وصار شيئاً عظيماً يدعى جامعة فؤاد الأول ، والله أعلم بصحة ما قالوا

صدقوني إذا قلت لكم إني لم آسف على شيء مما صنعت في حياتي أو تركت أسفي على ترك مصر ، ولا أطمع في شيء طمعي في العودة إليها والحياة فيها ، فهي التي سددت خطواتي في طريق الأدب ، وهي التي علمتني ، وهي بلد أسرتي ، وهي التي جعلتني قبل اثنتي عشرة سنة أكتب وأنشر الفصول في أكرم المجلات ، حين كان هؤلاء المحترمون من تلاميذ الشيخ مارسيه على مقاعد المدرسة الابتدائية

أفليس عجيباً أني على حبي لمصر كنت في نظر بعض زملائنا المدرسين المصريين في العراق ، عدو المصريين رقم (١) ؟ سامح الله زملاءنا هؤلاء ، وغفر لهم ما كادوا لي ومكروا بي ، وغفر لي ما آذيتهم بلساني السليط !

وكيف أنسى ما أضعت على نفسي من خير ، وما عرض لي من فرص فما افترصتها ؟

إن من رفاقي في كلية الحقوق من هو اليوم من كبار المحامين الذين يشار إليهم ، ومن ينال على وقفة واحدة في المحكمة مائة جنيه في دمشق الفقيرة ، فلماذا أعرضت عن المحاماة لم أشتغل بها ، وأقبلت على مهنة آخذ فيها خمسة جنيهات على مائة درس ألقيها على أربعين طالباً ، يحتاج إسكاتهم وضبطهم إلى شرطيين مسلحين بالبنادق الرشاشة ...

وإن من رفاقي في الثانوية من هو اليوم ناظر ثانوية كبيرة ، وأنا أستاذ معاون ، فلماذا درست الحقوق إذا كانت الوزارة لا تعرف أقدار الرجال إلا بما يحملون من شهادات الاختصاص ، وكان صاحب اللسانس في الحقوق لا يعد أديباً في نظرها ولو كان شوقي زمانه ، أو رافعي أوانه ، وترى صاحب اللسانس في الأدب أديباً ولو كان أعيا من باقل ، وأجهل من جاهل ؟ ...

وكيف أنسى أني كنت من عشر سنين أقود طلاب دمشق كلهم ، وأغامر بهم في ميادين السياسة ، وأني لو شئت لكنت نائباً من زمن طويل . إن الناس لم ينسوا ذلك فكيف أنساه أنا ؟ إنهم يعلمون أن في قميصي خطيباً ما يقوم له أحد في باب الارتجال والإثارة ، وإيقاظ الهمم وصب الحمم ، ولكن من الناس من يعقل الحسد ألسنتهم عن شهادة الحق

أستغفر الله فما أحب الفخر ، ولكني اضطررت فقلت ، وهل أسكت إذا سكت الناس عن بيان حق ؟

إن للمظلوم كلة وهذه إحدى كلماتي ، فإن كانت فخراً فقديماً كان الفخر من فنون الأدب العربي ، وإلا فهي ذكرى وتأريخ لأخلاق الناس وأطوار المجتمع

وكيف أنسى أني بين ماض أضعت فرصه ونسيت ذكرياته وفقدت فيه ذخراً من العواطف الجياشة والشعور المضطرم ، وحاضر بددت أيامه بالرجوع إلى الماضي ، وصرفت بكره وعشاياه في نبش الذكريات والبحث في أطلالها عن الجواهر والكنوز ... فما كان إلا أن دفنت فيها كنز حياتي وجوهر عمري — ومستقبلاً لم أعد أرجو منه شيئاً ، لأني يئست من أن يأتيني منه خير

ومن يصدق أني أتمنى لو كنت غبياً جاهلاً عيياً لأستريح وأهنأ ، لأني وجدت الذكاء يدفع إلى الألم ويؤدي إلى الشقاء ؛ وأني لأهمل القراءة عمداً كي أنسى ما علمت فأغدو جاهلاً فلا آلم إن تقدمني الجهال من أمثالي ، ولا ألوم الحياة على ظلمها إياي ، فلا أستطيع ، وأراني مدفوعاً إلى الازدياد من هذا العلم ... كأن القدر يسوقني بعصاه إلى الاستكثار من القراءة فأزداد بذلك علماً فأزداد بالعلم ألماً حين أرى علمي وبالاً علي وأرى الجهال يسبقونني ويسرقون منزلتي ؛ ولو أني استبدلت بإحياء الليالي في المطالعة والدرس وثني الركب بين أيدي العلماء رحلة واحدة إلى (تلك) الديار أعود منها بعد شهرين بشهادة في اللغة العربية لم تكتب سطورها بالعربية لكان ذلك خيراً لي وأجدى علي من علوم الأرض كلها لو حصلتها

ولكني كرهت أن أتوكأ في سيري إلى غايتي على غير أدبي ، ونزهت نفسي عن أن أجعل عمادي ورقة صار يحملها الغبي والدعي والجاهل واللص الذي يسرق مباحث الناس ويسطو على آثارهم

إن عمادي هذا القلم ، وإنه لغصن من أغصان الجنة لمن يستحقها ، وإنه لحطبة مشتعلة من حطب جهنم لمن كان من أهل جهنم ...

ولكن ما الفائدة من هذا الكلام ؟

ما الفائدة وقد ولى ربيع حياتي ، وأدبرت أيامي ، واستبدل قلبي بالأصيل المذهب ليلاً حالك السواد ؟ لقد شخت حقاً ، وصرت كالعجوز الذي حطمه الدهر ، وفجعه في أولاده فسيّره في مواكب وداعهم الباكية ، وما أولادي إلا أماني ، وما قبور الأماني إلا القلوب اليائسة

فيا رحمة الله على تلك الأماني !

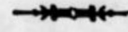
يا رحمة الله على الأيام التي كنت فيها غراً مغفلاً أصدق كل خداع كذاب يزعم أن في الدنيا فضيلة وخلقاً وأن قيمة الإنسان بما يملكه منهما ... لقد خدعني المعلمون والأدباء ، فلماذا أخدع تلاميذي ؟ لماذا لا أقول لهم : إن المكر والكذب والنفاق هي في شرع الحياة فضائل ، فأعدوا قواكم لإصلاح المعوج من شرائعها ، أو فانزلوا على حكمها ، فخاطبوها بلسانها ، وادخلوها من بابها ؟

إن المربين والمعلمين سينكرون ذلك ويكبرونه ويرونه إفساداً لعقول الناشئة ، فليكن إذن ما يريد المربون والمعلمون !

كلمة أخيرة

من عجائب الاجتهاد

« لنـاقد أديب »



كتبت عن عجائب التحصيل والروية والاجتهاد فى مسرحية مفرق الطريق ، فكان من عجائب الفهم الذود عنها بمثل ما كتبه الأستاذ طليمات . وهو يعتذر عن المؤلف بقوله : إن المعانى والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس ، وإنما العبرة بطرائق معالجتها ، إلى آخر ما كتبه فى هذا المعنى

وقد حمدنا للأستاذ هذا الرأى لأنه اعتراف مهذب بما كتبناه عن هذه المسرحية المصنوعة من قصائد الشعراء ، لولا حديث عن المذاهب الفلسفية موسوم بطريقة المؤلف وأسلوبه فى اللف والدوران ، رأيت أن من حق القراء علىَّ ألا أخدعهم به عن الموضوع ، وألا أخدع نفسى به عما سفت الدليل القاطع عليه من كلام المؤلف نفسه ، وكيف أن مسرحيته (تخريجة) فى الفلسفات وحشو من عفو التأليف

فلما تحدث الأستاذ الكاتب عن « كانت » و « برجسن » قلت : إن غاية هذين المذهبين فى الفلسفة هى الوصول إلى المعرفة وحقائق الأشياء وما وراء الطبيعة ، وإن الخلاف بينهما فى الأداة أو الوسيلة ، فإذا كانت بصيرة « برجسن » قد عملت عملها فى المسرحية كما يقول الأستاذ طليمات ، فإن القمة الباردة التى تدور حول فلسفة « كانت » قد عملت عملها الواضح فى هذا السبيل ، وأبرزت أثرها الملموس حتى طمرت المسرحية بثلوجها . وقلت أيضاً إن بصيرة برجسن تستعين بالعقل وليست ضرباً من الهذيان الذى يضطرب فى جوانب المسرحية ، ودللت على هذا الخلط فعرضت للمؤلف كلاماً بنصه ، فإذا هو مذهب فلسفى آخر ، وإذا هذه المذاهب الثلاثة تتلاقى على غير هدى وإتقان ، ويقوم إلى جانبه رأى آخر يعتذر فيه الكاتب عن المؤلف فى اقتباسه صورة الصراع بين العقل والشعور فيشير إلى ذلك وإلى الصراع بين المادة والروح ، ويعرض أسماء بيراندللو وإبسن وشكسبير وراسين ؛ فرأينا أن نكتفى بواحد من أولئك الأعلام نضمه إلى كانت وبرجسن والسولبزم إرضاء للأستاذ طليمات وتخريجاً لمنطقه ؛ فإذا هذا الخليط العجيب مصدر إزعاج للكاتب ، وإذا به يتهمنا بما لم نقله إلا إرضاء له وإعجاباً به وهو يتشبث بما يظن فيه النجاة من هذا المضطرب

وجاء الكاتب فى مقاله الأول يقول : إننا حاولنا أن نقرب المسرحية من قصيدة العقاد فنسبنا تصميم غلاف المسرحية إلى بشر فارس وهو من صنع فنانة باريسية ؛ فقلنا : إن فى هذا الرأى المعتذِر الدليل كل الدليل على صحة ما ذهبنا إليه ، لأن الفنانة الباريزية بعد أن قرأت هذه المسرحية العجيبة وهضمتها وتأثرت

يا رحمة الله على تلك الأيام ومن يعيدها إلى ؟ من يرجع إلى ثقتى بالحب واطمئنانى إلى الكتب وسكونى إلى الناس ؟

كنت أرى الحب أساس الحياة ، عليه قام الكون ، وبه استمر الوجود ، وكنت أومن به فغدوت لا أومن إلا بالبغض ، وصرت أحب أن أبغض ، وأبغض أن أحب

فمن يدلنى على مصنَّف فى أساليب البغض حتى أتقنها وأفهمها فأبغض الناس كلهم ؟ أبلغ الجفاف فى القرائح والجدب فى العقول ألا يصنف كتاب واحد فى (البغضاء) ، وقد ألف السخفاء ألف ألف كتاب فى الحب ؟

لا ، بل من يرشدنى إلى الفرار من مهنة الأدب والتخلص من الحب والبغض والعواطف كلها ؟ من يحسن إلىَّ فيدعو لى بظهر الغيب أن يصحح الله عزيمتى على ترك الأدب ، أو ينقص من شقائى به ؟ لقد أعطيت عدة الأديب ، ولكن الناس آذونى حتى أحملت عدتى فأسلمتها إلى الصدأ ، فأكلها ، ففنيت غير مأسوف عليها ، لا يأسف الناس لأنهم هم الألى أفنوها ، ولا آسف أنا لأنى لم أنل منها خيراً

فلا يغضب القراء إذا أنا ودعت الأدب بالتحدث عن نفسى ، فإنما أرثيها قبل موتها ، أرثى مواهبى المعطلة ، لقد مت ، فدعونى لا تؤذونى بالانتقاد البارد ، أذكروا محاسن موتاكم ، وإذا لم تكن لهم محاسن فعفوا عن ذكر مساويهم

ولا تنفسوا على أخيكم « نفثة » يزيح بها عن صدره هماً ثقيلاً !

علي الطنطاوى

بها وأرادت إبراز فكرتها مصورة ، لم تجد غير قمة باردة منارة ، وطريق صاعد بين الصخور ومنحدر إلى غور ؛ وإذا قصيدة العقاد مصورة على غلاف المسرحية، وإذا المؤلف فى ختام مسرحيته يقول بمثل ما قال به الأستاذ العقاد فى ختام قصيدته ، وهو يدعو إلى النزول والانحدار وترك هذه الثلوج

وقد يلذ لحامى المسرحية أن يسوق دعواه بأنه يقرر مذهباً فلسفياً فأنكرنا عليه هذه الدعوى ، لأن المسرحية جاءت خليطاً من فلسفات شتى كما أسلفنا القول على ذلك ؛ وهكذا اطّرد سياق المسرحية فى أسلوب من التعسف إلى غير هدف صميم من المذاهب الفلسفية التى اقتحم عليها فظلها وإن كانت قد تأبت عليه فلم تنزل إلى مستوى القضية البسيطة التى يعالجها ، وهى إحدى قضايا النفس البشرية المشتركة بين جميع الأحياء ، ولا يستعصى فهمها على الدهماء

هذا من حيث الفكرة ! فماذا من ناحية الأسلوب ؟

لقد نهج المؤلف نهجاً ساذجاً فى الاقتباس : فهو من الجهة الواحدة قد اقتطع طريقة الأستاذ العقاد فى إيراد فكرته بقصيدة القمة الباردة، فعالج موضوعه على نفس الأسلوب صاعداً إلى القمة المثلوجة وهابطاً إلى الغور المظلم ، ولو أنه كان مبدعاً فى نهجه لاتخذ سبيلاً آخر وراح يناوح جنبات فكرته بين الشاطئ المؤنس وبين مضارب الصحراء مثلاً ! بل إنه أمعن فى هذا الاقتباس الغريب المريب فراح يعرض فكرة الصراع بين العقل والقلب على النمط الذى نهجه الشاعر على محمود طه فى قصيدة قلبي إذ صب معانيه فى قالب ألفاظها دون أن يصوغها فى قالب آخر ؛ فهو يعمد إلى قوالب النار والظلمة والاحتراق دون أن يلجأ إلى صيغ جديدة تضفى على فكرته مسحة الأصالة شأن من يمتازون بشخصيتهم الأدبية المستقلة ، وفضلاً عن ذلك كله فقد أثقل المؤلف بأسلوبه على مذهب الرمزية ، وطغى عليه حتى مسخ طبيعته وشوه فضيلته وأفسد غايته . ذلك أنه تطاول على هذا المذهب إلى حد المواءمة بين المطبوع والمصنوع ، ولقد وضحنا أن الأصل فى الرمزية أن تنشأ مع النفس وفى التفكير ، لأنها التعبير عما وراء الطبيعة ، أو ما وراء أفق الشعور بما تعجز الألفاظ عن إبانته والإفصاح عنه، بينما تعالج المسرحية قضية بسيطة ومعانى عادية يجب أن تلتزم مكانها من التعبير المباشر الصريح دون إبهام أو إيهام ، وضربنا لذلك المثل بالمقبرة البحرية

ويمعن الكاتب فى التطبيق الأعرج ، فيعكس على نفسه النابية إذ يصعد إلى الثلج مريداً خلاص النفس من ألم الإحساس البشري قياساً على الفكرة التى رمز العقاد إليها بالثلج مريداً « الإدراك المجرد » فأخذنا عليه اعتسافه فى التطبيق على « النفس » هكذا إذ يحرمها بطريقة « استبدادية عرفية » حظها المقسوم المحتوم من الشعور باللذة أو الشعور بالحياة

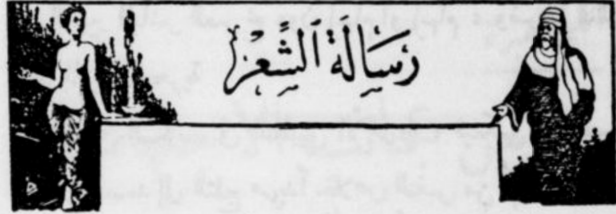
ذلك شأن المسرحية وشأن الدافع عنها ، وقد عز علينا أن يخونه التوفيق فى محاولاته العجيبة فى نواحيها الأخرى ، من ذلك أنه انتهج طريقة المداورة فأسرف على نفسه حين تكلم عن حظ الأدباء من الفلسفة وما يجب أن يأخذوا به أنفسهم ، وتلك بديهة لا خلاف عليها ، وإن كنا نعجب له بعد ذلك حين أخذ نفسه بالاعتذار عن الأستاذ العقاد قائلاً : « لا لوم ولا تثريب على أستاذنا العقاد أن يورد قصيدة من شعره تحمل فى طياتها نزعات فلسفية لمدرسة معروفة » كأنما العقاد قد أتى بهذا ما يعاب، ولكنه الخلط وبجرد الكلام بما لا يجدى فى دفع الإفحام

ويزعم الأستاذ طليمات أننا قلنا إن المذهب الرمزى فى الأدب ليس إلا ضباباً كثيفاً من الإبهام والإيهام ، وتلك دعوى باطلة مردودة لم نقل بها وإنما هى من بدائع مخيلته ، وهو يعود فى مقاله الأخير إلى بصيرة برجسن بكلام لا يخفى مغزاه على المشتغلين بالأدب والفلسفة . ولقد عجبت له وايم الحق وهو يشفق « أن تسوخ قدمه » فينكر الفلسفة على « إبسن » بحجة جريئة هى أنه « ليست له مدرسة فلسفية بمعالمها وحدودها » ورحم الله فلسفة الاجتماع !

ولسنا من أصحاب الدعوة السياسية نريد أن نؤلب بها الجماهير أو نقود الدهماء، وإنما نتحدث إلى العقول والقلوب ونسوق الدليل ونأتى بالبرهان ، وإنما هو حديث الأدب الخالص الذى يتناول الدرس والاستقراء بالبينات دون الشبهات ويعرض لآثار الأدباء دون ذواتهم

فالذاتية لا اعتبار لها فى هذا المجال ، وهى لا ترفع من قدر الكاتب إلا بمقدار ما يصيبه القراء فى بحثه من الأدب الخالص والفكر الناضج والعلم الصحيح

ناقد أديب



ثلاث عشرة حجة

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

مرّت بنا الأيامُ وثْبَا … سِلماً كما شاءت وحرْبا
لا أحسنَتْ حرباً ، ولا … فى السِّلم ، طاب السلمُ غِبّا
ضَمِنَتْ لجيشيها معاً … غضبا كما اشتهيا ، وغَلْبا
فإذا الحوادثُ أقبلت … أو أدبرت ، فالخلقُ نُهْبَى
ألعامُ من أعوامنا … يحوى ـ جزاه الله ـ حُقُبا
وثلاثَ عَشْرَةَ حِجّةً … قلبتْ طِباقَ الأرض قلْبا
سَلْها عن الدنيا وما … صنعتْ بها شرقاً وغربا
سَلْها عن الوادى وما … صنعتْ به دفعاً وجَذْبا
لا ضَيْرَ بالماضى إذا … دارَ الزمانُ فطاب عُقْبَى

***

فألاً من الذكرى ، وكم … فألٍ طوَى فى الغيب حُجْبا
وهدايةً منها وقد … تَهديك فى الظلماء قُطْبا

***

يا سعدُ يومك ، فاستجب … قلباً لمن يدعوك قلبا
جرّد عزيمتك التى … أغنت عن الصمصام غَرْبا
وابعث نصيحتك التى … أغنت عن التِّرياق طِبّا
وانشر فرائدك التى … أغنت عن العِقيان كَسْبا
هذا نذير الشر هَبّا … وإلى حِمَى مصرَ اشرأبّا
وسَرَتْ إلى إفريقيا … عَدْوَى الجهالة من أُرُبّا
طمعوا بحوزة أمةٍ … ظنوا لها الغفلاتِ دأْبا
إن قيل لا خطرٌ غفت … عيناً ، وتاهت عنه لُبّا
أو قيل لا طمعٌ فلا … طمع ، وقرّت مصر سِربا
أو قيل يا أم انهضى … نهضت وراحت مصر تأبى
تجرى المخاوف حولها … وتخاله الأمن استتبّا

***

يا سعدُ أنت إمامُها … فاهتِف بها مَلأً وشَعبا
صدَّعَ الشقاقُ صفوفَها … وجمعتَها بالأمس حِزبا
فاجمع جوانبَ رأيها … شِعَبًا على الحُسنى فشِعْبا
قل أنتمو أعلى يداً … من عابِدِى الإنسان رُهْبَى
ذَلّوا فلما استرسلوا … تاهوا بقيد الذل عُجْبا
وإذا أتوا عددَ الحصى … فرمالُكم أوفَى وأرْبَى
جَدْبٌ من الصحراء أغ … لى من جَحيم الرَّوض تُرْبا
ظمآنُ يشرب كلٌّ من … يُغرى بكم أكلا وشربا
وقل استعدوا واسلكوا … فى مفرق الحدين دَرْبا
لا تُصْغِروا هَوْلاً ولا … تستكبروا الأهوال رُعْبا
وتبينوا أين الفرو … قُ الحرُّ فاتخذوه صَحْبا
دارُ الذين سَبَتْهُمُ … حريةٌ — هيهات تُسْبَى
ضَنوا بمصر على العدى … وعلى الذى يحتال خِبّا
وحَذَارِ دعوى معشرٍ … لم يؤمنوا بالحق رَبّا
لا رحمةً عرفوا ولا … عرفوا لغير الشر حُبا
القدوةُ العُلْيا لهم … وحشٌ على العُدوان شَبّا
عقدوا على البغى العُرَى … تَبّتْ يَدُ الباغى ، وتَبّا

***

يا آل مصرَ تذكروا … سعداً ففى التذكار قُرْبَى
إني استعرت بيانه … فعلىَّ إن قصّرْتُ عُتْبَى
إلا اللبابَ ، فإننى … فى الرأى ما أخطأت لُبّا
سعدٌ إذا أمضى مضى … وإذا دعاه الهول لَبّى

عباس محمود العقاد

نجوى !

مرثية زهرة !!

« عثر الشاعر فى رسائلها الحزينة على زهرة ذابلة عادت بها سنين الفراق وهى هامدة مفطورة بنفح رقتها عطر الفناء !! »

يا ابنةَ الماضِي وما الماضي سِوَى ... نَعْشِ أحلامِي إلى القَبْرِ يَسِيرُ !
إنْ يَكُنْ ماتَ بِدُنياكِ الهوى ... فهْوَ فى دُنيايَ لَفْحٌ وَسَعِيرُ
فى دَمِى منهُ عذابٌ وَجَوًى ... وَعَلَى الأنفاسِ وَجْدٌ مُسْتَطِيرُ
وَعَلَى أيّامِيَ السُّودِ فُتُورُ ... كالّذِى نَفّضَهُ المَوْتُ عَلَيْكِ
فاسْألى عَنْهُ تُناجِيكِ العُطورُ ... إنْ يَكُنْ فيها بَقِيّاتٌ لَدَيْكِ

ما لأوراقِكِ فى الصَّمْتِ حَزانى ... ثاكِلاتِ العِطرِ شَلاّءَ الرّفيفِ
غارقاتٍ فى الضّنَى تَبْكِى حنانا ... وَبكاءُ الصّمْتِ سُلْوَانُ الضّعيفِ
أتُراها نَقَلَتْ عَنّى الهَوانا ؟ ... واسْتَعارَتْ شَجَنَ القلبِ اللّهيفِ
أمْ تُراها شَرِبَتْ كأسَ الخريفِ ... حينما طافَ بها ساقى الرّياحِ ؟
حَشْرَجَتْ منها وذابتْ فى شُفوفِ ... خَضَبَتْ أسْتارَها كَفُّ الجِراحِ

اذكُرى يا زَهْرةَ الذِّكْرى غرامِي ... وَهْوَ دُنْيايَ وَدِينى فى الحياةْ
يومَ فَتّحْتِ لِصَفْوِى وَابتسامِي ... وَتَطَهّرْتِ بِنارِ القُبُلاتِ
وَانْتَشَى عِطرُكِ مِنْ سِحْرِ الهُيامِ ... فغدا أحْلامَ نُسْكٍ فى صَلاةْ
طاهِرَ الأنفاسِ عَفَّ النّفَحاتِ ... أيْنَ منهُ رَشْفَةٌ لِلظّامِئِينْ ؟
أنا وَالشِّعْرُ وَحُبّى وَفَتاتى ... قَدْ حُرِمْنا كأْسَهُ خَمْسَ سِنِينْ

قد حُرِمْناها ! ولم يَبْقَ لَدَيْنا ... غيرُ طَيْفٍ مِنْ رُفاتِ الذّكرياتِ
كلَّما أوْمَا إلى الماضِي بَكَيْنا ... وَدَفَنّا حَظَّنا فى العَبَرَاتِ
ثم عُدْنا والهوى بين يَدَيْنا ... كجِنازِ الصّمْتِ بين الفلواتِ
عودةَ العِطْرِ لتلكَ الورقاتِ ... هُوَ حَيٌّ وهى فى الأكفانِ غَرْقَى
فازْرُفِى يا زَهْرَةَ الذِّكْرى مَماتى ... نَضَبَتْ روحى وذابَ العُمْرُ شَوْقَا !

محمود حسن اسماعيل

خواطر فى الحرب

للأستاذ محمد عرفة

ذكرنا فى كلمة سالفة أن الترف مفسد للأمم ، وأن التقشف مقوٍّ لها ، وأن الترف نتيجة طبيعية للغنى ، وأن التقشف نتيجة طبيعية للفقر . ونريد الآن أن نعلم لماذا كان الترف مضعفاً للأمة كاسراً لحدها ، ولماذا كان التقشف مقوياً لها . لعل ذلك يرجع إلى ما يأتى :

١ — إن المترفين لا يباشرون حاجاتهم بأنفسهم بل يتولاها لهم غيرهم ، والعضو الذى لا يعمل يفقد قوته ، وربما مات . لذلك تضعف أعضاؤهم وتفتر قوتهم ؛ وقد قال بعض العرب : ما وددت أنى مكفى المؤونة . قيل له : ولم ذاك ؟ قال : أخاف عادة العجز . أما الفقراء فهم لحاجتهم يتولون الأعمال الجالبة للرزق فتقوى بذلك أجسامهم وعقولهم ، فحيث ترى قوماً يعملون رأيت السواعد القوية ، والصحة والعافية والعقول الخصبة والأفكار المنتجة . وحيث رأيت قوماً مكفيي المؤونة رأيت الأجسام الضعيفة والفتور العقلى

٢ — إن المترفين ينغمسون فى الشهوات ، ويكرهون المشقة ، ويخافون الخروج من عيشة الدعة ؛ فهم دائماً مخلدون إلى الأرض ، لا يرفعون رأساً ، ولا يسمون إلى مكرمة ؛ فإذا رأوا طريقين : أحدهما شاق وعلى رأسه العزة ، والثانى سهل وعلى رأسه الذلة ، اختاروا أسهل الطريقين ونفوسهم دائماً تكذبهم وتختار الأسهل ، وتزعم أنها اختارت ما فيه الخير ؛ فإذا توقفت حياتهم وعزتهم على حرب يخوضونها عللوا نفوسهم بالأمانى وسوفوا ، فإذا اضطروا إلى خوضها ورأوا طريقاً للنجاة منها ولو بوعود كاذبة يبذلها العدو ، صدقوا هذه الوعود وخدعوا أنفسهم . أما غير المترفين فهم لا يبالون الشدائد لأنهم أبناؤها ، فإذا رأوا طريقاً للمعالى سلكوه ولو كان فيه الموت جاثماً ، وإذا رأوا طريقاً للمخازى نبذوه ولو غرست فيه الورود والرياحين

من أجل ذلك ترى الذين يخافون عاقبة الترف يكلفون أنفسهم أعمالا جسدية شاقة لتقوى أبدانهم

روى أن عمر بن الخطاب قدم إليه فرسه وعليه الركاب فنحاه عن فرسه وكان يقفز من الأرض ، فإذا هو على ظهر فرسه ، فكأنما خلق عليه .

محمد عرفة



في الفنون والتربية

مدرس الرسم

للأســتاذ عزيز أحمد فهمي

لي صديق زرته ، فرأيت ابنه يرسم باذنجانة ؛ فسألته لماذا يرسمها فقال لي :

— أستعد لامتحان الملحق

— وهل وقعت في الرسم ؟

— نعم

— وحده ؟

— وحده

— مسكين . على أي حال الرسم هين ، وتستطيع بالمثابرة الخفيفة أن تتقنه بالقدر المطلوب منك

— إني أرسم كل يوم مائة باذنجانة ، ومائة قلة ، ومائة طربوش ، ومائة صندوق مفتوح ، ومائة صندوق مقفل ؛ ومع هذا فإن أبي لم يرض عن رسم واحد مما أرسم ، فاصنع فيّ أنت معروفاً ، وقل لي كيف أرسم وكيف أتقن الرسم

— ألم يقل لك معلمك الذي كان يعلمك الرسم في المدرسة كيف ترسم

— قال كثيراً ، ولا زلت أحفظ ما قال حتى إني لأضمن النجاح في الرسم لو أنهم امتحنوني فيه امتحاناً شفوياً

— أسمعني ما قال لك معلمك ...

— قال لي يا سيدي : إن الشكل إما أن يكون في مستوى النظر وإما أن يكون فوق مستوى النظر وإما أن يكون تحت مستوى النظر ، فإذا كان في مستوى النظر رسمناه مستقيماً ، وإذا كان فوق مستوى النظر جعلنا جزءه الأسفل هو القاعدة واتجهنا بخطوطه بعد ذلك إلى نقطة تقع فوق هذه القاعدة وتلتقي فيها هذه الخطوط ، وإذا كان الشكل تحت مستوى النظر جعلنا جزءه الأعلى قاعدته واتجهنا بخطوطه بعد ذلك إلى نقطة تقع أسفل هذه القاعدة وتلتقي فيها هذه الخطوط...

أرأيت الآن أني أحفظ الرسم عن ظهر قلب . . . وليس هذا فقط . . . وإنما قال لنا أيضاً : إن الضوء إذا كان آتياً من اليمين فإن الظل يكون في الشمال ، وإنه إذا كان آتياً من الشمال فإن الظل يكون في اليمين ... فماذا تريد أكثر من ذلك ...

— لا شيء ... وإن معلمك لم يقصر ، وكان عليك أن تطبق في رسمك هذه القواعد فتنجح ...

— صدقني أني أطبقها ، ولكني لا أدري لماذا لا أنجح في الرسم ... لقد كرهته حتى لم أعد أطيق دروسه

— لماذا ؟

— أليس في الدنيا شيء نرسمه غير الباذنجانة والطربوش والقلة والصندوق المفتوح والصندوق المقفل ... كل هذه أشياء ثقيلة الظل مثل صاحبها

— ومن صاحبها ؟

— الأفندي الذي يعلمنا الرسم . يدخل الفصل ومعه المنظور ويضعه أمامنا ، ويقول لنا : هو الآن فوق مستوى النظر أو تحت مستوى النظر ، والضوء آت من اليمين أو الشمال ، فارسموه ، ثم يبدأ يطوف بنا ليصحح لنا الأشكال السابقة ، وليلقي نظرة على الشكل الجديد ، وليس عنده غير الضوء والظل ومستوى النظر ...

— وماذا كنت تريد منه أكثر من ذلك ؟

— أنا ؟ ... لا أدري ، ولكن ابن خالي يقص لي قصصاً لذيذة عن معلم الرسم الذي يعلمهم ، يقول لي إنه رجل خفيف العقل ، وإنه يضحكهم كثيراً ، وإنه يخرج لهم من جيبه لعباً غريبة ؛ ويقول لهم : أنظروا إليها قليلاً . ثم يقول لهم : أغمضوا أعينكم قليلاً وارسموها بأصابعكم في الهواء وأنتم مغمضون ، ثم يقول لهم : افتحوا أعينكم وارسموها بالأقلام على الورق . وقد أصبح ابن خالي الآن يستطيع أن يرسم رسماً حسناً أحسده عليه

— ولماذا لا تتبع أنت هذه الطريقة ...

— إنني لم أر هذه اللعب ؟

— ليست هذه اللعب ضرورية ، فأنت تستطيع أن تستبدل بها أى شىء ... وتستطيع أن تبدأ منذ الآن ... أنظر إلى هذه الشجرة قليلاً . . ثم أغمض عينيك ... ارسمها فى الهواء بأصبعك ... هذا حسن ... والآن ارسمها على الورقة بالقلم ... عال ، عال ... تكاد تكون هى ، أما كان يصح أن تقتبس هذه الطريقة من تلقاء نفسك ...

— كنت أظنها لا تنفع إلا فى اللعب ...

— لا ... إنها تنفع فى كل شىء ، وهى وحدها مفتاح الرسم ... وانطلق الولد مسروراً لأنه اهتدى إلى مفتاح الرسم ، وبقى أبوه معى وقال لى :

— أنا أيضاً كنت أرسب فى الرسم لما كنت تلميذاً

— وأنا أيضاً

— ولنا وللولد العذر ، فالرسم موهبـة من الله ولا يصح أن نطالب به كل إنسان ، ولست أدرى لماذا تصر وزارة المعارف على أن تجعله مادة إجبارية ...

— صحيح أن الرسم موهبة ، ولكن ليس معنى هذا أن تتغفل وزارة المعارف تعليمه تلاميذها ، وإنما الواجب أن تعلمهم إياه ، فالموهوب منهم تنكشف بالتعليم موهبته وتنصقل ، وغيره يتمكن بالإرشاد والممارسة من الإقبال عليه فى غير كراهية ولا تذمر ، وليس هناك شك فى أن الرسم يربى الذوق البصرى ، وليس هناك شك فى أن كل مبصر محتاج إلى تربية هذا الذوق فى عينيه إن لم يكن للرسم فللملاحظة والإدراك ، وتمييز الأشياء ، وإدراك المنظورات ... وهذا هو الذى يحمل وزارة المعارف فى الدنيا كلها على الاهتمام بالرسم والعناية به . وكل ما فى الأمر أننا هنا لا نزال فى حاجة إلى معلم الرسم الصحيح ، كما أننا لا نزال فى حاجة إلى المعلمين الحقيقيين فى غير الرسم ... وقد يؤلمنى أن أقول لك إن قليلين جداً من المعلمين هم المولعون بما يعلمون ، وإن أكثر المعلمين فى مصر يؤدون عملهم على أنه عمل يرتزقون منه لا أكثر ولا أقل ... وإلا فقل لى كم من معلمى الأدب فى مصر أدباء ، وكم من معلمى الجغرافيا فى مصر غادروا القطر أو المدن التى يعملون فيها ، وكم من معلمى الكيمياء فى مصر انشغل بتركيب أو بتحليل خارج المدرسة ، وكم من معلمى الرسم فى مصر له عمل يعرفه الجمهور أو لا يعرفه ...

— إن لمعلمى الرسم اتحاداً ، وقد أقام اتحادهم معرضاً زاره وزير المعارف منذ شهور وأثنى عليه ...

— لم يكن فى هـذا المعرض إلا أشكال بعضها تحت النظر وبعضها فوق النظر وبعضها فى مستواه . ولم يكن المقصود من هذا المعرض إلا أن يلتفت وزير المعارف إلى معلمى الرسم فيرعاهم قليلاً لأنهم فى الحقيقة مغبونون ومظلومون أكثر من غيرهم من المعلمين

— إذن فقد أعجبتك طريقة المعلم الخفيف العقل

— من غير شك ، لأنها التدريب الطبيعى للتصور ، والتصور هو أول ما يتطلبه الرسم

— ولـكنى لا أزال أطمع فى أن يرتقى تعليم الرسم عندنا إلى أكثر من هذا ، حتى نرى من تلاميذنا اهتماماً بالجمال وإدراكاً له كما نرى ذلك فى أبناء غيرنا من الأمم

— أنا لا أشك فى أن الاهتمام بالجمال موجود عندنا كما أنه موجود عند كل الناس ، ولـكن شعبنا لا يزال ينطلق إلى الجمال فى مطارحه الطبيعية كلما حن إليه ... والذى ينقصنا حقاً هو التفكير فى اختزان صور من الجمال نفزع إليها كلما اشتقنا لها ... وقد يكون السبب فى امتناعنا عن هذا هو فقرنا وعدم ظهور الفنان المصرى الذى يخلد فى صورة من الصور منظراً يشتاق المصريون إلى النظر فيه باستمرار ... وأنا لا أزال أجهل هـذا المنظر ...

— لا أظنه منظراً واحداً هو الذى يجذب المصريين ، فـكل منظر يصح أن يجذبهم

— ولم لا ؟ ولـكنى أظنهم لا يزالون فى حاجة إلى من يلفتهم إلا مواطن الحسن فى المناظر الطبيعية وفى المناظر المرسومة ... وهذا من عمل معلم الرسم ، وهو لا يستطيع أن يؤديه إلا إذا كان فناناً حساساً يتذوق هو نفسه الجمال ، ويستطيع هو نفسه أن يعبر عنه ، وهذا المعلم هو الذى يجب على وزارة المعارف أن تبحث عنه أو أن تكونه ... وأظنها قد بدأت تبحث عنه كما أنها قد بدأت

تكونه ... فقد بدأت تأخذ معلمي الرسم لمدارسها من خريجي مدرسة الفنون الجميلة العليا بعد أن تعلمهم أصول التربية في معهد التربية ...

— وهل تحسن الظن أنت بمدرسة الفنون الجميلة العليا وبمعهد التربية ؟

— المدرسة والمعهد فيما أرى يتبعان أضمن الطرق لتخريج الفنانين والمعلمين ، غير أنهما يسمحان لكثيرين من غير الفنانين والمعلمين الموهوبين بالانخراط في سلكهما ، ويظهر أنهما لا يستطيعان أن يفعلا غير ذلك ، لأنهما لو دققا التدقيق المطلوب في الاختيار ، فإنهما قد لا يقبلان في العام الواحد أكثر من طالب أو طالبين ، وعندئذ تواجه البلاد أزمة فنانين ومعلمين لا قبل لها بها ...

— قد يكون التساهل معقولاً في قبول المعلمين غير الموهوبين لأن البلاد في حاجة إلى عدد كبير منهم ، وهذه الحاجة تتجدد وتزيد كل عام ، ولكن ما هو العذر في أن تقبل مدرسة الفنون الجميلة العليا شباناً استعدادهم الفني فقير ، أو عادي ؟

— ذلك لأنها مفتوحة الأبواب ، وأنها مادامت كذلك فهي تنفق على نفسها ميزانيتها المربوطة لها ، فسواء كثر الطلبة فيها أم انفضوا عنها فهي مضطرة إلى المضي في عملها ، وما دام الأمر كذلك فهي تقبل كل عام عدداً ممن يتقدمون إليها حتى لا تغلق أبوابها ...

— ولما كان مستقبل هذه المدرسة مبهماً وغامضاً فإنه لا يقبل عليها إلا من يئس من غيرها سواء أكان موهوباً أم كان غير موهوب ، وهذه طريقة لا تؤدي إلى الخير بأي حال من الأحوال

— من غير شك ...

— أو ليست هناك طريقة يمكن أن تؤدي إلى الخير ...

— إن لم تكن هناك طريقة فمن الممكن استحداثها ... نحن الآن في المدرسة الابتدائية ، ولكل تلميذ من تلامذة المدرسة ملف ، هذا الملف لا تجد فيه شيئاً عن التلميذ إلا أنه غاب في يوم كذا ، وحبس في يوم كذا ، وتندى خبزاً قفاراً في يوم كذا . أما أخلاقه ، وأما عقله ، وأما مواهبه فهذه جميعاً أشياء لا تجد لها أثراً في ملفه ، بينما لو اهتمت كل مدرسة بكل تلميذ من تلاميذها ودرست أخلاقه وعقله ونفسه ، وسجلت من حوادثه وأخباره ما يدل على روحه شهراً فشهراً أو عاماً فعاماً ، فإن التلميذ ما يكاد يفرغ من مرحلة التعليم الابتدائي حتى يكون في ملفه صورة ولو غامضة محدد اتجاهه في الحياة الذي هيأته له طبيعته ، فإذا اتبعت هذه الطريقة في المدرسة الثانوية فإنه ما يكاد يفرغ من التعليم الثانوي حتى يكون ملفه ناطقاً بصراحة ووضوح بالعمل الذي لا يصح أن يختار لنفسه غيره . فهذا يثبت الملف أنه سريع الخاطر سليم المنطق ، قوي الفراسة ، صبور ، جذاب يرتاح إلى الناس والناس يرتاحون إليه ، مرشد بطبيعته إلى ما يراه لا يخفي شيئاً مما يعلم فهو إذن يصلح لأن يكون معلماً ، والثاني ذرب اللسان جريء على المغالطة ، لبق في إظهار الحق متى يشاء وكتمانه متى يشاء ، قوي الحجة ... فهو إذن يصلح لأن يكون محامياً ...

وهكذا ... لو اتبعت مدارسنا هذه الطريقة فإنها من غير شك تفلح في تعليم تلاميذنا وتوجيههم ، ولكن مدارسنا لا تهتم بشيء أكثر من الامتحانات المتوالية ونتائجها ، ونسبتها المئوية ... فقط لا غير

عزيز أحمد فهمي



قصـــــة الفيتـــــامين

تجربة غذائية عرضية

– ٢ –

لقد أثبت قديماً أفذاذ علماء التغذية مثل ليبج Liebig وفويت Voit بناء على تجارب صحيحة أن المواد الثلاث الزلالية والدهنية والنشوية ، زد عليها الأملاح المعدنية والماء هي مقومات الحياة . فالمواد الزلالية تقوم ببناء الجسم وما يتطلبه من النمو ، بينما المواد الدهنية والنشوية تبعث القوة وتدعو للحركة والإنتاج الحيوى عند احتراقها . ونشير في هـذه العجالة إلى المجهودات العظيمة الدقيقة التي قام بها فويت في هذا السبيل ، والتي أثبت فيها بالوزن مقدار الـكميات اللازمة من المواد الغذائية لحفظ الجسم ودولاب الحياة بلا اضطراب ، فقدر للشخص العادى الذى يزن ٦٥ كيلو جراما ويقوم بمجهود متوسط مقدار ١١٨ جرام من المواد الزلالية ، و ٥٠ جراماً من المواد الدهنية ، و ٥٠٠ جرام من النشويات كـكميات يومية ضرورية لحفظ حياته .

بهذا القدر قد يكتفي علم التغذية في تأدية رسالته ولا يبقى بعدئذ إلا التفكير في جمع هذه المواد الغذائية بالنسب المعينة وإمداد الجسم بها بطريقة ملائمة ، ولكن لم يَرُق هذا بعض المفكرين والمشتغلين بفن التغذية في هذا الوقت ، كما استبعدوا حل المشكلة الغذائية بهذه الطريقة الكيميائية السهلة . وكان جوستاف بونج Gustav Bunge الفسيولوجى الكيميائى أول من حاول تطبيق هـذه النظرية ، فارتأى أن الحيوانات التي تعيش على المواد الغذائية الطبيعية أكثر صحة وأوفر نشاطاً من مثيلاتها التي يُقدم لها الـكميات من المواد الغذائية التي أقرّها العلماء . ففى سنة ١٩٠٥ قام بتجارب غذائية على فيران هيأ لها أسباب الغذاء من مواد زلالية ونشوية ودهنية وأملاح معدنية بنسب ثابتة لا ينقصها شيء . فبدا على الحيوانات الضعف والهزال وتساقط شعرها ، واتسخت عيونها اللامعة ، وما لبثت طويلاً حتى نفقت

لم يساور أحداً شك في النتائج التي وصل إليها بونج ، بل اتجهت الشكوك نحو طريقة التغذية وإجرائها

أوشك أن يُسدل على هـذه النتائج ستار النسيان ، وحاول الإنسان أن يُدخل في روعه وقتذاك أن لا بد هناك من سر عويص الفهم ، ولكنه بمضى أربع سنوات على هذه النتائج أى عام ١٩٠٩ أقدم العالم ستيب Stepp على تجارب غذائية لها قيمتها ، فهيأ لمجموعة من الفيران غذاء طبيعياً – غير صناعى – عادياً يحتوى على جميع المواد الغذائية اللازمة ، قد نُقِع قبل تقديمه لها في الـكحول والإثير ، وانتهت هذه التجربة أيضاً بهلاك الحيوانات

استنتج ستيب من هذا أن وجود جميع المواد الغذائية الأساسية وحدها لا يكفى لحفظ حياة الحيوان عند غياب مواد أخرى ربما تكون تلك التي تأثرت في تجربته عند معالجة الطعام بنقعه في الـكحول . لم تتحسن الحال عن ذى قبل حتى بظهور نتائج ستيب في الميدان بجوار نتائج بونج ، وخالج الإنسان الشك حتى امتعض من هذا الاهتمام الزائد الذى يقوم حول تغذية الفيران

اتجه الاهتمام بعد ذلك إلى إجراء هذه التجارب على الحيوانات المنزلية النافعة فقام بابكوك الأمريكى Stephan Babcock (الذى تتلمذ على يدى العالم الجليل ليبج الألمانى) بدوره في هذا المضمار . ففى إحدى محطات التجارب الزراعية التابعة لجامعة ماديسون Madisson أتى بمجموعتين من الأبقار أطعم أولاها القمح الخالص والثانية الذرة . ففى بحر السنة الأولى ظهر على نتاج المجموعة الأولى الضعف وعدم تهيئها لأسباب الحياة بينما لم تظهر على أمهاتها أعراض مرضية ذات بال . أما نتاج المجموعة الثانية فلم يلاحظ عليها شيء ، وكانت صحيحة قوية ، فحمل هذا على الاعتقاد بأن الذرة لا بد تحتوى على مواد مجهولة تلزم للحياة

وقد لا تتهيأ لـكل عالم هذه الظروف الحسنة التي هُيئت لبابكوك الأمريكى في إجراء تجاربه الكثيرة التـكاليف ، فاكتفى الـكثير من علماء التغذية بتجارب أقل نفقة في البلاد الأخرى ، فقام في النرويج البحاثة آرل هولف Arl Holst بإجراء تجاربه على الخنازير ، فقدم لها غذاء واحداً لا يتغير من الحبوب النباتية فتأثرت به وظهرت عليها عوارض تضخم المفاصل وإدماء اللثة

وسقوط لحمها ، ولكنه أضاف بعد ذلك إلى الطعام نفسه بعض الدرنات كالبنجر ، فزالت تماماً هذه الأعراض وانعدم ظهورها فى الحيوان

جاءت هذه النتائج مدعمة لبيانات الفسيولوجى هوبكنز الذى سبق ذكره والذى أعد لفيرانه غذاء خاصاً مكوناً من النسب المعروفة اللازمة من المواد الزلالية والدهنية والنشوية النقية مع الأملاح فظهرت عليها الأعراض المرضية التى ما لبثت أن زالت تماماً وبسرعة عند ما أضيفت بعض نقط من اللبن إلى غذائها

فتقت هذه النتائج المتعددة الأذهان وشحذت العزائم وضاعفت من الجهود لكشف القناع عن هذا السر الذى بدأ يتهتك حجابه، وذكر فضل السابقين فى البحث الذين كاد يسدل عليهم ستار النسيان . وأثبت بعض الباحثين الهولنديين أن بعض الطيور المنزلية كالحمام والدجاج ظهرت عليها أعراض مرضية غريبة عند ما كان غذاؤها مقتصراً على حبات الأرز الأبيض وزالت هذه الأعراض بإضافة ردة الأرز

يمكننا أن نتصور دهشة العالم حينذاك حول هذا « الشىء » الذى صادفه العلماء تارة فى الذرة وأخرى فى الأعشاب الخضراء أو فى الدرنات وحيناً فى اللبن وحيناً آخر فى ردة الأرز - ولكن شيئاً واحداً بقى راسخاً فى الأذهان ، وهو أن دولاب الحياة لا يلزمه فقط ليدور ما عرف للآن من المواد الزلالية والدهنية والنشوية بل يلزمه أيضاً لحفظ دورانه منتظما وبلا اضطراب مواد غذائية أخرى خاصة ذهبت فى التعرف عليها جهود العلماء والبحاثين السابقين هباء

وفى عام ١٩٣١ أطلق عالم بولونى يدعى كازمير فونك Casimir Funk على هـذا الشىء العجيب الذى شخصه بجسم أو بمادة كيميائية أو بمجموعة مشابهة للزلال أو الدهن أو النشا لفظ (فيتامين) بدون أن يفكر جدياً فيما سيكون لهذه التسمية بعدئذ من أهمية قصوى ؛ وحتى هذه التسمية الخاطئة — من الناحية الكيميائية — لهذا الشىء العجيب لم تفد الموقف كثيراً

وينقسم لفظ فيتامين إلى شطرين : الأول (فيتا) ومعناه الحياة ، ومما لا يختلف عليه اثنان أن هذه المواد هى من أسباب الحياة . أما الشطر الثانى وهو (أمين) فهو يدل على مجموعة من الكربونات العضوية تتركب من الآزوت والإيدروجين ، أى مجموعة الأمينات (زيدم) ولم يثبت إلى الآن انتماء هذه الفيتامينات إلى مجموعة الأمينات

وبرغم التخبط فى التسمية ومحاولات الاستدلال على هذا الشىء فقد وضع له الحجر الأساسى، وقامت بعدئذ مجهودات عنيفة وعديدة فى المعامل المختلفة فى شتى البلاد لكشف سر هذه الفيتامينات ، فهوبكنز الإنجليزى قد رسم طريق البحث عنها فى سنة ١٩١٣ فى مؤتمر الطب بلندن . وخط ستيب الألمانى اتجاه الكشف عنها بالاستدلال بنتائج تجاربه ، واستمر البحث وراء الفيتامينات حتى قبيل نشوب الحرب الماضية . وكان من الصعب فى البلاد المتحاربة أن يستمر علماؤها وراء الفيتامينات باحثين ، وكان أمام علماء الألمان مشكلة نقص الطعام ، غير أن الإنجليز والأمريكيين استمروا فى أبحاثهم فسبقوا الألمان ، ولكن الأخيرين لحقوا بهم ، وكان لعلمائهم البارزين فضل كبير فى بعض نواحى الأبحاث وراء الفيتامينات . (يتبع)

الحيوان يتخاطب ويغازل ويحلم

للأستاذ أحمد على الشحات

لو أنك سرت فى مجالى الطبيعة تتأمل ودلفت إلى مجموعة من الأشجار الباسقة لراعتك الطيور وهى أزواجاً أزواجاً تغنى ألحان غرامها، وينصت بعضها لبعض على أفنانها . ولو أنك انتقلت من عالم الفكر وسألت أحداً من أهل الذكر : هل للطيور لغة تتخاطب بها وإن لم ندرك كنهها، وإن كانت لها لغة فهل ما نسمعه منها من شدو مروّى ورجع محكى هو الغزل، وإن كان هناك غزل فى الطيور فهل عند سائر الحيوانات غزل؟ لأجابك عالم ممن درسوا طبائع الحيوانات أن لها لغة تتعارف بها ، وأن بين الجنسين غزلاً .

فأما لغة الحيوانات فقد نسمع بعضها وقد لا نسمع ، وتتمثل لك لغة الحيوان بالأصوات المتباينة التى تصدر من الحيوانات حين تعبر عن شعور خاص كرغبتها فى الأكل أو خوفها من عدو يهاجمها أو حين تغضب ، ويتمثل لك ذلك فى الكلاب والقط مثلاً ، كما يتمثل لك استدعاء الجنس للجنس الآخر فى نقيق الضفادع الذى لا يصدر منها إلا فى موسم التناسل وحين الرغبة فى الإخصاب ، وقد أثبت العالم ج . أرثر طومسون من علماء الحيوان أن عنـد

بعض الحيوانات لغة للتفاهم وإن لم تكن بالنطق فهي بالحركات، فقد استنتج أن العناكب تتخاطب باهتزاز الخيوط التي تفرزها والتي تكون منها بيوتها، كما أن النحلة إذا عثرت على رحيق شهي في بعض الأزهار ذهبت تبشر زميلاتها في الخلية بذلك برقصات مخصوصة فتسرع إليها تأخذ نصيبها .

وهناك بعض الطيور كالببغاء والزرزور، وهو طائر يعيش في مصر والشام على شجر التوت، تستطيع أن تنطق ببعض الألفاظ التي نلقنها إياها، ولكن هل تنطقها عن إدراك، وهل تستطيع أن تنطق بجملة بمحض تفكيرها ؟ هذا ما نشك فيه، وأغلب الظن أن هذه الطيور « عقلها في أذنيها » ، ولكن لما كان في استطاعة مثل هذين الطائرين النطق بألفاظنا فلقد حدا هـذا بالعالم يركس أن يحاول تجربة ما إذا كان في استطاعة الحيوانات التي في الرتبة العليا بعد الإنسان أن تتعلم النطق ، بألفاظنا، فأجرى تجاربه على الشمبانزي لأنه أيضاً قد حبته الطبيعة جهازاً صوتياً يماثل جهاز الإنسان من حيث الحنجرة والأحبال الصوتية ، وكذلك لقدرته المشهود بها على التفكير ؛ فكان إذا أراد أن يطعمه نطق بلفظ بسيط مثل « با » أو « كو » ، ثم يقدم له موزاً

واستمر يلقنه الدرس أسابيع متتالية ، فكان القرد يطير فرحاً حين ينطق أستاذه أمامه ، لأنه عرف أن هذا معناه الفوز بالأكل ، ولكنه للأسف لم يحاول أن يتعلم النطق ولو استطاع القرد أن يقلد الأصوات كالببغاء أوكما يقلد هو أفعالنا لسمعنا منه العجب نظراً لقدرته على التفكير

وخلاصة ما تقدم أنه ولو أننا لا نستطيع أن نجعل الحيوانات تنطق بلغاتنا إلا أن لها لغة تتعارف بهـا فيما بينها سواء بالنطق أو بالحركات .

الغزل عند الحيوان

يتجلى الغزل عند الحيوانات بأظرف المعاني وأسماها في الطيور على الأخص حيث الوداعة والحنان ورقة العاطفة ، وفي الغالب يبدأ الذكر بالمغازلة إلا في حالات خاصة كما في طائر phalarope الذي يعيش في القطب الشمالي حيث الأنثى هي التي تبدأ المغازلة والذكر هو الذي يتدلل

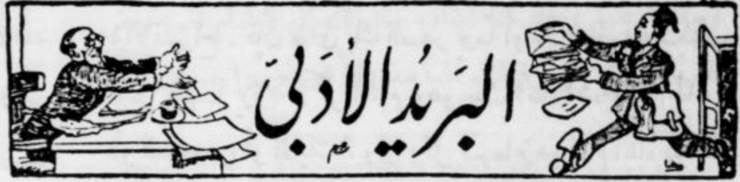
ومظاهر الغزل عند الطيور عديدة تبعث في مشاهدها البهجة والانشراح . فإن ضاق بك الصدر يوماً أو عافت نفسك الكتاب فسر عنها برؤية ذكر الحمام وهو يبث أنثاه أشجانه وألحانه . أو الطاووس أو الديك الرومي وكل منهما يزهو أمام أنثاه فيبسط ريشه وتنتفخ أوداجه ، وكذا في ذكر الغواص وأنثاه حين يسبحان في المـاء معا ويرفعان الرأس ويخفضانه ثم يدفع أحدهما الآخر تحت الماء حيث يسمع لهما صوت أجش صادر منهما . وتقيم بعض الطيور حفلات رقص وتؤدي الذكور والإناث رقصات جنونية تفعل فعلها في الجنسين وتصرخ صرخات عالية ثم ينفرد كل ذكر بأنثاه

ومن الطيور ما يألف أحد جنسيها الآخر بحيث يقيمان على عهد الوفاء حتى إذا مات أحدهما فقد يموت الرفيق الآخر كمداً عليه

وتخفت حرارة الألفة بين الجنسين إذا انتقلنا من الطيور إلى الحيوانات الأخرى كالثدييات ولو أن لبعضها مظاهر غزل كما في القطط إلا أنها لا تذكر بجانب الطيور التي قد لا يكون الغرض من غزلها إلا التسامر وازدياد الألفة . وفي الحيوانات ذوات الدم البارد كالتمساح يتلوى الذكر ويقفز في حركات بهلوانية أمام الأنثى ويصيح وينفخ في الماء ويعطره بإفراز ذي رائحة طيبة من غدد جلدية في فكه الأسفل وذيله حتى يجذب الأنثى إليه

وسام أبرص يبدي ارتياحه للأنثى بأن يفتح فمه بأعظم ما يمكنه، وأما في الضفادع فنقيقها هو استدعاء للجنس الآخر . وفي الأسماك ذوات الأشواك الظهرية كثيراً ما تلتحم الذكور بعضها مع بعض أمام الإناث ، حتى إذا انتصر أحدها دفع إحدى الأناث أمامه إلى عشه لتضع فيـه بيضاً ، فتسبح السمكة وخلفها زميلاتها متخذة لنفسها مركز القيادة ، ثم تقف فجأة وتقلب نفسها رأسياً بحيث يكون الرأس إلى أسفل فتحاكيها الزميلات ثم تدفع مع المـاء فتتفرق الأفراد الأخرى لحظة ثم تجتمع ثانية وتعيد السيرة الأولى إلى أن تصل إلى العش ، وهذا معناه في نظر العلماء الغزل عند الأسماك

وفي النحل تطير الملكة في الجو فيتبعها جميع ذكور الخلية كل يحاول أن يفوز بها ، والمنتصر هو أسرع الذكور في اللحاق بها ويلقحها في الجو ثم ترجع الملكة إلى خليتها ، حتى إذا رأت الشغالة وهي التي تقوم بأعباء الخلية أن عملية تلقيح الأنثى قد تمت أخذت تلاطفها وتحتفي بها كأنها عروس، وأما الذكور



إلى ممثل فرنسا في سورية ولبنان

بعد تقديم واجب التحية أذكر أني علمت أنكم أصدرتم أمراً بمنع مجلة (الرسالة) من دخول البلاد السورية واللبنانية لعبارات ظننتموها تثير البغض على فرنسا في تلك البلاد

ولو كانت مجلة (الرسالة) صحيفة سياسية يهمها أن تصول في المعترَك السياسي لعددنا هـذا المنع وسيلة تصان بها المصالح الفرنسية في البلاد السورية واللبنانية واتخذنا منه فرصة للهجوم على فرنسا من جديد

ولـكن الأمر يختلف عما تظنون كل الاختلاف ، فمجلة الرسالة صحيفة أسبوعية لخدمة الآداب والعلوم والفنون ، وقد حزنتْ لمحنة فرنسا بست صفحات في عدد واحد : صفحتين بقلم الأستاذ الزيات وأربع صفحات بقلمي، وما خطر في بالنا يومئذ أننا نحزن لفرنسا الاستعمارية ، وإنما تصوّرنا فرنسا التي أنجبت باستير صاحب الفضل على الإنسانية ، والتي أنجبت شامبوليون صاحب الفضل على الدنية المصرية ، والتي دانت الأدب والعلم بحياة السوربون

ولم يكن بدٌ لمجلة تعلن حزنها لمحنة فرنسا بست صفحات من السماح لبعض معارضيها بنشر فقرات كانت على خشونتها مما تبيحه المجادلات الأدبية، وقد تولينا الرد على تلك الفقرات بما يبيّن غرضنا من العطف على فرنسا ، ثم نشرت « الرسالة » بعد ذلك مقالاً يفيض بالعطف من أديب عرف بلادكم وهو الأستاذ البهبيتي

فأرجو - حين تطلعون على خطابي هذا - أن تتلوا الأمر الذي أصدرتموه بمنع « الرسالة » من دخول البلاد السورية واللبنانية ، وأن تذكروا أن لنا مبادئٌ إنسانية تصرفنا عن الشواغل المحلية لأن لنا ساسة ينوبون عنا في تدبير تلك الشؤون ، وإليهم يرجع الأمر في الاهتمام السياسي بمركز مصر في الشرق

وأرجو أن تذكروا أيضاً أن بلادكم لم تستوجب العطف من أمثالنا إلا بفضل ما يؤثَر من تشجيعها للحرية ، ومن أجل ذلك استباحت الرسالة أن تنشر عن بلادكم رأيين مختلفين ، وفقاً لما تعلمناه في السوربون من عرض ما للرأي وما عليه

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل

زكي مبارك
خريج السربون
وصاحب « ذكريات باريس »

فلم يعد لها فائدة في الخلية، عندئذ تقوم الشغالة بقتلها وإلقائها خارج الخلية ، وأما الذكر الذي فاز فإنه في مقابل انتصاره يسقط ميتاً من الجو بمجرد إتمام تلقيح الملكة، ويسمى طيران الملكة والذكور في الجو « طيرة العروس » nuptial flight ولكنها حفلة عرس ثمنها أرواح جميع الذكور ، وهكذا الدنيا تدور !

الحلم عند الحيوانات

قد ينشط العقل والجسم نائم فيوحي بمختلف الأفكار وتمر عليه مختلف الصور، وهذا ما يعبر عنه بالحلم. ولقد شوهدت هذه الظاهرة في الحيوانات العليا كالحصان والـكلب والقط وهي في سباتها ، فقد يصهل الحصان، وقد يقوم الـكلب بحركات تشبه التي يقوم بها في الصيد وهو في اليقظة ، بل قد تستطيع أن تجعله يسبح في الأحلام إذا قدمت لـكلب صيد وهو نائم قطعاً من الأخشاب أو أعشاب ذات رائحة اعتادها في أحراج الصيد فسرعان ما يخيل إليه أنه في تلك الأحراج فيقوم ببعض حركات الصيد وهو نائم

أحمد علي الشحات

نعم هي كنية الإمام الصادق

إن الأديب البغدادي « ع » لعلى حق فيما كتبه في ص ١٤٠٠ من العدد ٣٧٤ من الرسالة الغراء خاصاً بكنية أبي عبد الله المذكورة في الصفحة السادسة من كتاب « نقد النثر » وبأنها للامام جعفر الصادق وليست للحسين بن علي عليهما السلام كما ذكر سهواً في هامش الصفحة المذكورة

ولا شك أن حضرته اطلع على طبعة متقدمة من كتاب « نقد النثر » وقع فيها مع الأسف السهو المذكور ، ولو رجع إلى الطبعة الحديثة الصادرة عن مطبعة مصر في عام ١٩٣٩ لوجد ناشري الكتاب قد تداركا هذا السهو فكتبا في هامش الصفحة السادسة تعليقاً على تلك الكنية ما نصه بالحرف الواحد :

« هي هنا كنيـة جعفر الصادق ، وهو الإمام السادس

من أئمة الشيعة الإمامية ، المتوفى عام ١٤٧ هـ . وهشام المذكور بعد في المتن هو هشام بن سالم ، وكان من وجوه أصحاب الإمام جعفر الصادق - كتاب (فرق الشيعة) للنوبختي ص ٦٦ »

(القاهرة) عبد الحميد العبادى

إلى الأخ الدكتور زكى مبارك

السلام عليكم :

اطلعت اليوم على الكلمة التى كتبت عنى فى مجلة الرسالة فشكرت لك مرتين : شكرت حسن ظنك وثناءك علىّ ابتغاء مرضاة الله ، وشكرت لك المسارعة إلى إعلان ما يجول فى سريرتك إيثاراً للحق ، وحرصاً على مجازاة من أحسن فى رأيك

وقد تبينت فى كلمتك خلقاً من أخلاق القرآن الذى يقول : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله . »

ثم رأيت أن آداب القرآن تأمرنا أن نشكر من أحسن إلينا بالقول أو الفعل فكتبت هذه الكلمة شاكراً داعياً الله أن يرزقنا السداد والإخلاص فى الرأى والقول والعمل والسلام

عبد الوهاب عزام

ديوان مجنون ليلى

اطلعت أمس على هذا الديوان وقد طبع فى مصر سنة ١٩٣٩ ، وكتب على غلافه أنه جمع وترتيب عالم زمانه وفريد عصره وأوانه أبى بكر الوالبى وأنه بتحقيق وشرح جلال الدين الحلبى ، وفى آخره إمضاء أحمد سعد على من علماء الأزهر تحت اعترافه بأنه صحح بمعرفته

والديوان فى ٩٢ صفحة من القطع الصغير ، أكثر ما فيه من الشعر المنسوب إلى المجنون هو لغيره ، ومن ذلك ما هو مشهور معروف صاحبه ، كقطعة (ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد) وهى ليزيد بن الطثرية ؛ وقطعة (عجبت لسعى الدهر بينى وبينها) وهى لأبى صخر الهذلى ؛ وقطعة (تمتع من شميم عرار نجد) وهى للصمة بن عبد الله القشيرى

ومن ذلك قطعة (ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة) وهى ليحيى بن طالب الحنفى ؛ وقطعة (اقرأ على الوشل السلام وقل له) وهى لأبى القمقام الأسدى ؛ وقطعة (بينا نحن بالبلاكث بالقاع) وهى لكثير عزّة ؛ وقصة بيت (ألا أيها النوام ويحكم هبوا) نسبت إلى جرير وليست له ، وروى البيت للمجنون وهو لجميل بثينة

ومن ذلك شعر ضعيف لبعض المتأخرين ، ومنه ما تبدو حقيقته لكل ذى عينين ، كالقصيدة التى يقول صاحبها :

لعمري ما لاقى جميل بن معمر كوجدى بليلى لا ولم يلق مسلم
ولم يلق قابوس وقيس وعروة ولم يلقه قبلى فصيح وأعجم

أفيكون قيس هو قائل هذا عن نفسه ؟ ومن القطع المنسوبة فى الديوان إلى المجنون ما أقطع بأنه ليس له ، ولكنى لا أذكر الآن صاحبه ، كالقصيدة التى يصف فيها أعضاء المحبوبة عضواً فعضواً (ص ٣٢) ومثلها فى (ص ٢٦) والقصيدة التى ذكرت فيها قصة الذئب والحمل (وكنت كذئب السوء إذ قال مرة) — (ص ٤٣) ، والتى يذكر صاحبها جبل الثلج (؟) ويتغزل باثنتين يسمى إحداهما أم عمرو (ص ٤٧)

أما التحقيق فليس منه فى الديوان شيء ألبتة ... أما الشرح فلا يتجاوز جيده بضعة عشر سطراً أكثرها تفسير كلمة عويصة أو مقابلة بعض الأبيات على الأغانى ، أما الضبط « الشكل » فأغلاطه أكثر من أن تحصى وليس يعتدّ به أصلاً

والعجيب فى الأمر أن تكون مقدمة الديوان بقلم الدكتور زكى مبارك ، وأن يكون فيها ثناء على الأستاذ جلال الدين الحلبى وشهادة له بالمقدرة على فهم أغراض المجنون !

على الطنطاوى

الشعرى اليمانية Sirius

نقرأ دائماً المقال الذى تدبجه براعة الدكتور النابغة محمد محمود غالى بلذة وإعجاب ، فهو يسبغ على الآراء العلمية الجافة حلة من السهولة والطلاوة والطرافة تسمو بها إلى مرتبة الموضوعات الأدبية الشائقة

وعلى عادتنا قرأنا له بحثه الأخير « الأحياء فى غير الأرض » فوقفنا على العبارة التالية : « ثم جل بنظرك بعد ذلك بعيداً عن النجم القطبى وجهة اليمين تر (دينب Deneb) العظيم ويسمونه بالعربية « الشعرى اليمانية » فى مجموعة ذنب الدجاجة تصطدم فوتوناته بشبكة العين بعد تسع سنوات ضوئية ... »

فى هذه العبارة خطأ لا ننكر أن الدكتور وقع فيه على سبيل السهو أو عدم التأكد من المصادر المسئولة ؛ فإنه ليخيل للقارئ لأول وهلة أن الكلام يقصد به حقيقة (دنيب Deneb) فهو

قريب من النجم القطبي يقع تقريباً على امتداد الخط الواصل بين صدر النعش فى كوكبة بنات نعش الكبرى والنجم القطبي ، (وليس من ضرورة - كما أرى - اذكر اليمين أو الشمال) إلا أن هذا النجم لا يسمى بالعربية الشعرى اليمانية كما ذكر الدكتور ، وإنما هو الردف أو ذنب الدجاجة ، إذ هو فى مجموعة (الدجاجة أو الأوز العراقى Cygnus) وبعده عنا أضعاف البعد الذى ذكره الدكتور فلا يصل إلينا منه النور إلا بعد ستمائة واثنتين وخمسين سنة من وقت مغادرته مصدره

أما الشعرى اليمانية ويقال لها العبور أيضاً فهى نجم Sirius فى مجموعة (الكلب الأكبر Canis Major) وهذا النجم أقرب إلى القطب الجنوبى منه إلى القطب الشمالى ، وهو أسطع النجوم نوراً ، ولذا كان من أكثر النجوم شهرة ؛ و « تصطدم فوتوناته - حقيقة - بشبكة العين بعد تسع سنوات ضوئية - تقريباً - » . ومن هنا يظن القارئ أن الكلام خاص بالشعرى اليمانية وليس بالردف ...

على أن مثل هذه الهينات لا تغض من قيمة البحث ، ولا تقلل من إعجابنا الكثير بالدكتور الكبير .

(الحصن) خليل السالم

السجع فى كتاب النثر الفنى

عزيزى الدكتور زكى مبارك

كنت أقرأ كتابك (النثر الفنى فى القرن الرابع) فوقفت منه فى صفحة ٢٥ على العبارة الآتية :

وقد أذكر أننى كنت أحاور المسيو مرسيه فى تطور السجع فأخرج رسائل الجاحظ وفيها العبارة : « إن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتاباً إلى رجل فقال فيه : لهو أهون علىّ من ذرة ، أو كلب من كلاب الحرة . ثم قال . امح (من كلاب الحرة) واكتب (من الكلاب) كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع ، ورأى أنه ليس فى موضعه »

وكان المسيو مرسيه يظن فى هذه العبارة دلالة على أنهم كانوا إذ ذاك لا يستحبون الكلام المسجوع ، فوجهت نظره إلى أن لهذه العبارة معنى آخر : ذلك أن السجع فن رقيق ، لا يصلح فى ذلك المقام وهو مقام تهديد ووعيد . (اه كلام الدكتور مبارك)

لم أرتح لهذا التعليل - يا دكتور - من عدم ملاءمة السجع لمقام التهديد ، لأن رقة السجع لا تنسجم مع شدة التهديد . وإنى أرى فى هذا الموضوع خلاف هذا الرأى لأدلة عقلية ، وأخرى نقلية :

أما العقلية فلأنا إذا سلمنا برقة السجع لأنه الكلام الفنى ، والتقفية نوع من الترديد الموسيقى الذى يخف به الكلام على السمع فالشعر أولى بالرقة من الكلام المسجوع لما فى الشعر من الوزن والتقفية . فإذا جعلت السجع غير لائق فى مقام التهديد والوعيد كان الشعر أولى بعدم اللياقة فى هذا المقام . وهى نتيجة لا يثبتها الأدب العربى المملوء بشعر الحروب وأيام العرب

وأيضاً فالحماس الذى يكون فى مقام الفخر والتحدى هو نوع من الشدة شبيه بتلك الشدة التى تكون فى حال التهديد والوعيد . وأنت جد عليم بما تحويه خطب الثورات السياسية التى تشعل نار الحمية ، وتوقظ الغيرة الوطنية ، من السجع والمزاوجة

أما الأدلة النقلية ففى طليعتها كتاب الله الكريم وما يحويه من آيات التهديد والإنذار ذات السجع المعجز . كالآيات : (ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين) والآيات (كلا سوف تعلمون . ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) . والقرآن مملوء بشبيه هذه الآيات

وقد ورد فى كلام المتقدمين من الكتاب والخطباء كثير من العبارات المسجوعة فى مقام الشدة والتهديد . مثال ذلك خطبة زياد بالبصرة حيث قال :

« إن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم »

وقد كتب سيدنا على إلى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فى مقام التحذير والتهديد فقال : « إنك إذ تحاولنى الأمور وتراجعنى السطور ، كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه ، والمتحير

للقائم بيهظه مقامه، لا يدرى أله ما يأتى أم عليه، ولست به غير أنه بك شبيه

ويقول الحجاج بن يوسف فى خطبته لأهل العراق: «ألستم أصحابى بالأهواز حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر. ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم، ونكوص وليكم عليكم، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلوى الشيخ على بنيه، حتى عضكم السلاح، وقصمتكم الرماح. ثم يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم، بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله» والخطبة مملوءة بالتهديد والوعيد والسجع المقبول

فما رأيك فى هذا؟

(بخت الرضا. السودان) عبد العزيز عبد المجيد

مولد الدكتور إسماعيل أدهم ونسبه

اطلعتُ على ملاحظتكم المنشورة فى العدد رقم ٣٧٣ من «الرسالة»، وقد يتصل بها وبسيرة الفقيد ما نشرته جريدة «البصير» اليومية التى تصدر عن مدينة الأسكندرية بتواريخ ٢ أغسطس و ٩ أغسطس و ١٦ أغسطس و ٢٤ أغسطس الجارى للأستاذ صديق شيبوب ولكاتب هذه السطور وللأستاذ البحيرى عبد الرحيم

والنبذةُ التى أشرتم إليها مستمدةٌ من بيان للفقيد نفسه، (وقد أشرتُ إلى ذلك من قبل)، ويعززها ما ذكره فى توطئة رسالته التاسعة الموسومة «لماذا أنا ملحد؟» فليُرجعْ إليها جميعاً

«الأسكندرية» أحمد زكى أبو شادى

عدد خاص من «الحديث» عن الدكتور أدهم

كتب إلىّ الأديب السورى المعروف الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة «الحديث» الحلبية بأنه قرر إصدار عدد خاص من مجلته فى منتصف سبتمبر عن أخى فقيد العلم والأدب المرحوم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم، وفاءً له وتخليداً لذكراه

هذا، وسيشير الأستاذ الكيالى فى هذا العدد إلى كافة كتب الفقيد، وإلى دراساته الأدبية، وآثاره العلمية، وسينوه بمواهبه ومزاياه

وسيشترك معه فى تحرير هذا العدد نخبة من كبار الأدباء فى الشرق العربى، وسيكون العدد حافلاً بالصور الشمسية للفقيد فى مختلف أطوار حياته

والمرجو ممن يحب المساهمة فى هذا العدد بكتابة شىء عن الفقيد من أصدقائه ومريديه ومحبى أدبه، أن يبعث ما يكتبه إلى الأستاذ الكيالى (بحلب سورية)، أو يرسله إلىّ بعنوانى: ٢ موطش باشا

«الأسكندرية» ابراهيم أحمد أدهم

جواب سؤال

كتب إلىّ أديب فاضل من اليمن يسألنى عن اسم قائل بيتين من الشعر ذكرهما ولم يكتب إلىّ بعنوانه لأبعث إليه بالجواب، فرأيت أن أجيبه على صفحات الرسالة الغراء. سألنى عن قائل هذين البيتين:

بذكر الله تزداد الذنوبُ وتحتجبُ البصائرُ والقلوبُ
وترك الذكر أفضل منه حالاً فإن الشمس ليس لها غروبُ

ففتشت عنهما كثيراً إلى أن عثرت عليهما فى ديوان محيي الدين ابن عربى الصفحة الرابعة.

(دمشق) ناجى الطنطاوى

حول مقال «فى سبيل الإصلاح»

حضرة المحترم الأديب الأستاذ الكبير صاحب (الرسالة)

اطلعت فى عدد الرسالة (٣٧٣) على هذه المقالة للأستاذ العبقرى العقاد؛ وإنه ليسرنى أن أذكر أنه بحث فى هذا الموضوع بحثاً طريفاً شائقاً يستحق التقدير والإعجاب. غير أنه كان الأجدر به ومداد قلمه من بحور الأدب ألا يسوق إلينا فكرة صاحب الأفندة التى ترمى إلى إصلاح المعلم الإلزامى، لأنه إذا سئل عن العيب الذى يراه لا يجد ما يقوله سوى أنه يعلم النشء التبطل والحذلقة وكيفية وضع حمالة الجورب وإحسان رباط الرقبة، وهلم جرا. فياليت شعرى ماذا جنى هذا الجندى المجهول حتى يصمه نائب محترم بهذه الوصمات؟

أما كفى المعلم الإلزامى فخراً أن لا عيب فيه سوى عنايته بحسن هندامه وأنه الأساس الأول للثقافة؟

(منفيس) عبد الله عبد التواب



المقامر ...

للكاتب الروسى ألكسندر بوشكين

ترجمة الأستاذ حلمى مراد

— ١ —

كانت إحدى ليالى الشتاء الطويلة ... وقد تراجعت فلول الظلام كسيرة ، وأقبلت طلائع الفجر الباسم ... حين التف المدعوون إلى مأدبة ناروموف — اللازم فى فرقة الحرس — حول مائدة القمار يلعبون الورق ويتبادلون شتى الأحاديث ، فقال المضيف وهو يعطى ورقة اللعب لأحد مدعويه :

— كيف حالك هذا المساء يا سورين ؟

فرد هذا : « لقد خسرت كالعادة منذ بدأ الحظ يدبر عنى ، ولكن ... ماذا ترون فى « هرمان » الذى لم يشترك معنا قط فى اللعب ؟ حقاً ، إن أمره لعجيب ، فهو يسهر معنا طوال الليل يرقب عجلة الحظ تدور وتدور بيننا مع أنه ما من داع يدفعه لذلك »

وهنا تدخل هرمان فى الحديث فقال : « الأمر بسيط أيها السادة فاللعبة تعجبنى ، ولكنى لا أود المغامرة فى سبيل الكسب ، فقد أخسر بعض مالى » . وأردف شخص ثالث :

— لا تعجبوا ! فهرمان ألمانى وقومه معروفون بالميل إلى الاقتصاد ، ولكن . . . ألم تلحظوا أن الكونتس أنا فيدروفنا لا تلعب قط ... هذا هو الذى يستحق دهشتنا حقاً ، فإن عجوزاً فى الثمانين لا تلمس الورق لهى شاذة بالتأكيد

ثم أطرق تومسكى — وكان هو المتحدث — قليلاً واستطرد: « ألم تدركوا السبب ؟ » فأجاب اثنان بصوت واحد :

— كلا ، فهل هناك سبب خاص يدعوها لذلك ؟

فرد تومسكى بقوله : نعم ... فأصغوا إلى :

منذ نحو ستين عاماً كانت جدتى (الكونتس أنا فيدروفنا) معبودة باريس وموضع إعجاب قاطنيها ، حتى أطلق عليها لقب (فينوس الروسية) فأخذ ريشيليو يتودد إليها ، ولما يئس من مبادلتها له حباً بحب حاول الانتحار أكثر من مرة ، وذات ليلة لعبت الورق مع الدوق دورليان وخسرت مبلغاً كبيراً ، ولما لم يكن معها المبلغ كله فى ذلك الحين فقد حاولت عند عودتها إلى المنزل إقناع زوجها بدفع المبلغ ولكنه أصر على الرفض متخذاً من إسرافها مبرراً لقراره هذا . وإذ ضاقت بها الدنيا طرقت باب الكونت دى سان جرمان الذى قيل إنه ذو موهبة خارقة فى كسب المال ، ولما جاءها الكونت وحدثته بالمأزق الذى لم تستطع الخلاص منه قال : « سيدتى : إنى على تمام الاستعداد لإعطائك أى مبلغ تطلبين ، ولكنى لما كنت أعلم عن يقين أنه لن يهدأ لك بال حتى أسترد ما أقرضت ، فقد رأيت أنه يحسن بك أن تعاودى اللعب لتربحى ما خسرت »

وما إن وصل تومسكى إلى هذا الحد من الحديث حتى كان الجميع متلهفين إلى سماع بقية القصة ، فتوقف قليلاً ريثما أشعل غليونه ، ثم استطرد قائلاً : « وأسر الكونت إلى جدتى بضع كلمات يتمنى كل منكم لو سمعها ... وفى تلك الليلة بعينها عاودت جدتى اللعب على مائدة الدوق دورليان معتذرة عن عدم دفع المبلغ بما اعتورها من النسيان ، وأخذت ثلاث ورقات ، راهنت على الأولى فكسبت ثم ضاعفت الرهان على الثانية فكسبت ، وكذلك كان حظها حين لعبت الورقة الثالثة ... »

وهنا صاح أحد الضباط مقاطعاً : مجرد حظ ! وقال هرمان : يا لها من قصة . بينما سأل ثالث : وهل كانت الورقات مرقومة ؟ فأجاب تومسكى :

— كلا ، ولكن استمعوا للبقية ، فقد كان لجدتى ثلاثة أبناء أحدهم والدى ، ومع هذا لم يتمكن أحدهم من استخلاص سر الثلاث الورقات منها حتى الآن ... والأعجب من ذلك أنها قابلت ذات يوم فيما بعد صديقاً لها خسر كل ثروته فى ليلة واحدة ؛ وحين علمت بالأمر ووجدته غارقاً فى اليأس أعطته وريقات ثلاثاً كى يلعب بها بعد أن أخذت منه وعداً قاطعاً بألا يجلس إلى مائدة القمار بعد أن يستعيد ثروته . وفى اليوم التالى عرض الشاب على غريمه أن يلاعبه فقبل ، وإذ ذاك بدأت المقامرة بأن راهن الأول على إحدى الورقات بخمسين ألف روبل ، فكسب ... وعندما ترك المائدة الخضراء كان قد استعاد ضعف ثروته

وتوقف تومسكى عند هذا الحد من حديثه ثم قال :
— هيا بنا إلى النوم أيها الأصدقاء فقد حانت الساعة السادسة

— ٢ —

فى الوقت الذى كان تومسكى يقص فيه حديث جدته كانت هذه تجلس أمام المرآة لتصلح من هندامها وتستكمل زينتها ، فإنها رغم كبر سنها كانت تحرص على حضور جميع المراقص والحفلات باذلة عناية فائقة فى اختيار ملابسها حتى أصبح منزلها كعبة الزوار يؤمه أناس من أرق الطبقات لقضاء بعض الوقت فى تسلية ومرح ولكن رغم هذا كانت الكونتس عصبية المزاج شاذة الأطوار ، لا تهتم إلا بملذاتها ولا تغفر لوصيفتها (ليزابيتا إيفانوفنا) أصغر هفوة ، بل إنها كانت إذا أمرتها بإعداد الشاى انتهرتها على تبذيرها فى السكر ، وإذا طلبت منها قراءة فصل من كتاب عدتها مسؤولة عن السخف الذى يجرى به قلم المؤلف ، وإذا خرجت معها فى نزهة لامتها على سقوط المطر أو هبوب العواصف ، وإذا اصطحبتها لمرقص أقصتها عن مجلسها إلى ركن تظل المسكينة منفردة فيه ، لا يشاركها أحد حديثاً أو يدعوها لرقصة

ورغم ما امتازت به ليزابيتا من جمال فاقت به سيدتها ، بل وكثيرات من النبيلات لم يكن أحد ليلقى إليها نظرة أو يعيرها أى التفات ، فثارت كرامتها لذاك الوضع المزرى الذى اكتنف حياتها وصارت إذا اشتد بها الألم وعصفت بين جوانحها ريح الهموم ، أسلمت عينيها للدمع تذرفه وقلبها للزفرات يرسلها ...

جلست ليزابيتا بعد يومين من مأدبة ناروموف بجوار النافذة تطرز ، فحانت منها التفاتة إلى الطريق دون قصد ، وإذ ذاك وقع بصرها على ضابط وقف بلا حراك مثبتاً عينيه تجاهها ، فغضت من نظرها وعادت إلى التطريز . . . وما مرت بضع دقائق ، حتى أطلت من النافذة بحركة آلية ، فإذا الضابط لم يبرح مكانه ... وكان ردها على هذا أن ابتعدت قليلاً وعادت إلى التطريز إذ لم يكن من عادتها مبادلة الشبان النظرات والبسمات ... وبعد ساعتين قامت للعناية بشؤون سيدتها فلمحت على الرغم منها ذاك الضابط فى مكانه

بدا لها كل ذلك غريباً فلم تدر كيف تعلله إلى أن عادت بعد الغداء إلى عملها ، ولكن الضابط كان قد ذهب فلم تنشغل بالتفكير فى أمره ... ومر يومان غادرت الكونتس بعدهما قصرها بصحبة وصيفتها ، وما كادت الأولى تتخذ لها مقعداً فى العربة حتى أبصرت ليزابيتا الضابط عينه واقفاً عن بعد ، وقد التف بمعطف حجب نصف وجهه ولكنه لم يحجب عينيه المتقدتين ، فاضطربت الفتاة دون أن تدرى لذاك الاضطراب سبباً

وواظب الضابط على الحضور إلى نفس المكان كل يوم يسدد إليها بصره ، فكانت إذا مارأته انسحبت على الفور والفضول يقتلها وشعور غريب يضطرم فى أعماقها بشكل لم يسبق لها أن أحست بمثله . ولم يمض وقت طويل حتى نشأت بين الاثنين صداقة جعلت الفتاة تحس بوجوده حين تجلس إلى النافذة فتحدق فيه بضع لحظات ثم تعود لعملها وقد كست الحمرة وجنتيها ، بينما ينصرف الشاب مغتبطاً بتلك اللحظات التى تفضلت بها عليه

. . . ومر أسبوع تبادلت فيه ليزابيتا مع الضابط البسمات البريئة الساذجة ، وكان قلبها يخفق كلما رأته وخاصة عند ما دخل تومسكى يلتمس من جدته الإذن بأن يقدم لها أحد أصدقائه إذ ظنت الفتاة أن صديقها الضابط هو المعنى بالكلام .

* * *

كان هرمان من أسرة ألمانية أقامت فى روسيا فلما مات والده ورث عنه بعض المال ولم يشأ أن يقامر به خوف فقدانه فظل قنوعاً بما يدر عليه من ريع كان يكفيه ، بل ويسمح له أحياناً بالإنفاق على أصدقائه إذا خرجوا يتنزهون ، ولكنه رغم إحجامه عن المقامرة لم يجد بأساً من قضاء السهرات مع خلانه يراقبهم وهم يلعبون ... وحين انتهى تومسكى من قصة الوريقات الثلاث كان الفضول قد تملكه والدهشة قد عقدت لسانه ، فلم يكف عن التفكير فى محيطها طوال تلك الليلة ... وفى الليلة التالية خرج يتريض فى شارع سانت بطرسبرج وهو يمنى نفسه بالتقرب من الكونتس كى تبوح له بسرها ، ولا سيما أنها فى الثامنة والسبعين من عمرها فوتها متوقع من يوم لآخر ...

ولم يكن يقطع على هرمان حبل أفكاره أحياناً إلا الشك الذى نسج خيوطه فى مخيلته فبات يخشى أن تكون قصة تومسكى دعابة جادت بها قريحته ولكنه ما لبث أن سمع هامساً يهتف فى أعماق قلبه مذكراً إياه بأن وريقاته الرابحة هى الاقتصاد والعمل والمثابرة فليقصر جهوده عليها ليتضاعف دخله ويغدو من ذوى اليسار

مرت هذه الخواطر بذهنه وهو يتنزه إلى أن استرعى نظره قصر تجلت فيه آيات الفن وازدحمت أمامه العربات بعد أن قذفت

إليه بمن فيها من رجال وسيدات وضباط وآنسات فرقوا جيماً من بابه وسرعان ما احتوتهم قاعاته ...

اقترب هرمان من الحارس سائلاً عن رب القصر ، وما أن رد هـذا ناطقاً باسم الـكونتس أنافيدروفنا حتى اشتمل هرمان الذهول فهتف فى نفسه : « تا الله ! ؟ إنها جدة تومسكى ... إنها صاحبة الوريقات الثلاث » ووقف لحظة مشدوهاً ثم خط طريقه إلى المنزل حيث تملـكه القلق ففارقه النعاس ، ولـكنه حين قهره بعد طول عناء أخذت الأشباح تتراقص أمام عينيه ... رأى المائدة الخضراء تملوها أوراق النقد وأكوام من (الروبلات) ... ورأى نفسه جالساً إليها وقد غمره فيض من الربح زخرت به جيوبه ثم استيقظ متنهداً فإذا بكنوزه ليست إلا نمرة كابوس مضطرب

خرج إلى الطريق ليزيح تلك الخيالات التى أقضت مضجعه ، ولـكنه وجد قدميه تقودانه ناحية القصر ... كان يبدو أن قوة خارقة قد اجتذبته إلى هناك ، فوقف يتطلع إلى النافذة وما لبث أن رأى فتاة يزين رأسها شعر أسود متهدل قد أكبّت على كتاب تقرؤه أو حرير تطرزه ... وتحركت الفتاة تجاهه فأخذت عيناه وجهاً جميلاً وعينين نجلاوين يشع منهما بريق خاطف

... وفى تلك اللحظة تحدد مصيره وكتب القدر نهايته

— ٣ —

كانت ليزابيتا قد أنهت عملها حين نادتها الكونتس لتؤنس وحدتها فى نزهة قصيرة ؛ وبينما كانت تساعد سيدتها على ارتقاء العربة رأت الفتاة ذاك الضابط ... رأته بجانبها يدس ورقة بين يديها فأخفتها بين طيات قفازها وبدأت تفكر ، فلم تر أو تع شيئاً مما مرّ حولها . وزادتها حيرة وارتباكا أسئلة الـكونتس المتوالية التى اكتفت فى الرد عليها بأجوبة مقتضبة مما دعا سـيدتها إلى القول :

« ماذا بك اليوم ؟ فيم تفكرين ؟ ألا تسمعيننى ؟ ... إننى لا زلت أتكلم بوضوح . أليس كذلك ؟ »

... ومرة أخرى لم تصغ ليزابيتا إلى كلامها ، وحين عادت إلى حجرتها أقفلت بابها وشرعت تقرأ فى الورقة المطوية أرق عبارات الحب التى صيغت فى قالب عاطفى ، فتملـكها شعور من الفرح ... ولكنها وقفت بعد حين تحدق فى الفضاء . لقد كانت هذه أول مرة يحس فيها أحد بوجودها بل ويظل ساعات طويلة فى انتظار ابتسامة عذبة يفتر عنها ثغرها ، أو نظرة تتجلى بها عيناها ... فكيف لا ترتبك ... وأخيراً وبعد لأى كتبت له هذه الـكلمات بيد مرتعشة : « أؤمل أن تكون نواياك طيبة نبيلة ... وإنما يجدر بك أن تعرف أن علاقتنا لا يمكن أن تبدأ عن هذا الطريق ، وها أنا ذى أعيد إليك خطابك راجية ألا تلجئنى للندم على تسرعى »

ثم قذفت بالرسالة من النافذة فالتقطها الضابط وما أن أتم قراءتها حتى شاع البشر فى قسمات وجهـه فبدا قانعاً بأولى خطوات مناصرته ...

مضت أيام وأسابيع كان هرمان خلالها يتوسل بمختلف الطرق لإيصال رسائله لمحبوبته ... كان يكتب تلك الرسائل بعبارات أخاذة لم تستطع الفتاة مقاومة إغرائها فاضطرت للرد عليها ومبادلة الشاب وداً بود ؛ وكان الرد يطول يوماً بعد يوم إلى أن احتوى ذات يوم هذه الـكلمات :

« سيقام مرقص الليلة فى دار السفارة وستحضره الكونتس فتمكث هنالك حتى الثانية صباحاً ، فعليك — إذا أردت مقابلتى — أن تقبع فى مكانك حتى تطفأ الأنوار فى الساعة الحادية عشرة وإذ ذاك وجه خطواتك نحو باب القصر وادخله بلا تردد لأن الحارس سيكون غارقاً فى غطيطه ؛ ثم ارتق الدرج بسرعة حتى غرفة الـكونتس حيث تجد خلف الأستار بابين يقود الأيمن منهما إلى حجرتى وانتظرنى هناك ... »

وحوالى الساعة العاشرة من ذاك المساء كان هرمان واقفاً أمام القصر ينتظر ... كانت الليلة رهيبة ، والريح تعصف بشدة ، والثلج يتساقط بفيض زاخر بينما انبعث من المصابيح نور خافت ، فخلا الطريق من المارة وعم السكون ... مرت لحظات سمع بعدها صوت عجلات العربة ردده الفضاء وهى تبتعد بالكونتس ووصيفتها فى طريقهما إلى المرقص . ثم كرت الدقائق وأطفئت الأنوار ، فانتظر هرمان بعض الوقت ، ومن ثم يمم شطر القصر فعبر بابه وصعد السلم بخفة النمر حتى وصل إلى غرفة الـكونتس حيث رأى على ضوء مصباح صغير قطع الأثاث الفاخر منثرة فى أرجائها وبضع صور زيتية تزين جدرانها فوقف يتأملها فى صمت وسكون وما لبث أن عبر الغرفة إلى الممر الذى تقع فى نهايته غرفة الفتاة فولجها وأقفل خلفه الباب فعمها الظلام ... وجلس ينتظر

مر الوقت بطيئاً وكان الهدوء ناشراً ظله على القصر ثم دقت الساعة اثنتى عشرة دقة وعاد السكون الذى لم يعكره سوى ضربات

قلب الشاب تطرق أذنيه ... وبعد وقت سمع دقة واحدة ... ثم دقتين . ولم تمض لحظات حتى عادت العربة ترسل صوتها فيشتد خفقان قلبه ويزداد اضطرابه . ولما شعر بخطوات على السلم ركز بصره فى ثقب الباب فرأى الكونتس تخلع ملابسها وترفع عن رأسها إكليل الورد والشعر المستعار ثم تجلس إلى مقعد بجوار النافذة تناضل الأرق دون جدوى

رفعت الكونتس رأسها حين سمعت حركة خلفها فرأت رجلاً منتصباً أمامها . وما لبث هرمان أن قال : « لا تنزعجى يا سيدتى بحق السماء . إنى لا أود لك ضرراً وإنما جئت أنشد منك مطلباً هيناً » .

نظرت إليه المرأة العجوز وهى صامتة كأنها لا تعى ، فأعاد قوله بصوت عال إذ ظنها صماء . ولكنها لم تتحرك فاستطرد يقول : « إنك تملكين أن تسعدينى طوال حياتى دون أن يكلفك الأمر شيئاً سوى ثلاث ورقات »

وهنا فهمت الكونتس كل شيء فأجابت على الفور : « أوه . إنها مزحة ... أقسم لك على ذلك » . ولكن صوت هرمان قاطعها بقوله : « كلا يا سيدتى ، ألا تذكرين الرجل الذى أعطيتها له فضاعف ثروته »

بدا الاضطراب على وجهها . ولكن هرمان عاود القول : « هلا ذكرت لى ذاك السر ... لِمَ تحفظينه لأحفادك ؟ إنهم فى غنى عن مزيد من المال ... أما أنا فلن تأسفين على إسعادى لأنى كفيل بالإنفاق على خير الوجوه ... هيا بربك تكلمى ... أفصحى ! »

وقف ينتظر الرد وقد عيل صبره ، ولما لم تجب انحنى متوسلاً وهو يقول : « ألا تعرفين الرحمة والحب ... إذا كنت تذكرينهما فإنى أستحلفك باسم الأبوة والأمومة وبكل ما تقدسين ألا تخيبى أملى ... اذكرى أنك كبيرة السن وأن أبنائى وأحفادى سيباركون ذكراك »

ولكن الكونتس لم تجب ، وحينئذ نهض هرمان واقفاً وسدد غدارة نحوها ثم أردف : « إذاً سأضطرك إلى الكلام ! »

اشتد اضطراب المرأة فاهتز رأسها بقوة ، ومدت يديها كأنها تبغى أن تبعد شراً يوشك أن ينقض عليها ، ثم تراجعت إلى الوراء بلا حراك

« هيا لا تكونى كالأطفال ... إنى أمهلك لآخر مرة ... ما هى الورقات الثلاث ؟ ... »

ولما لم يسمع رداً أو حركة أمسك هرمان يدها فوجدها قد فارقت الحياة حاملة سرها معها

— ٤ —

حينما دخلت ليزابيتا إلى حجرتها سرها أن لم تجد فيها صديقها الضابط ، إذ أن شعوراً من الندم غمرها فأخذت تلوم نفسها على تسرعها فى استدعائه . وبينما هى سابحة فى بحار الفكر فتح الباب فإذا بهرمان واقفاً تجاهها . فارتعدت الفتاة وقالت : « أين ... كنت ؟ »

فرد مطرقاً : « فى غرفة الكونتس ... لقد تركتها منذ لحظة ... ميتة »

« يا للسماء ! ! ماذا تقول ؟ » فاستطرد هرمان : « وأخشى أن أكون سبب موتها » . ثم جلس بجوار النافذة وشرع يقص عليها أنباء مغامرته ، فأدركت أن عبارات الوجد والهيام التى كتبها والساعات الطويلة التى قضاها واقفاً أمام نافذتها لم يُمْلِها الحب الصادق بل حب المال ... المال الذى سيطر على قطب تفكيره فجعله يستخدمها أداة طيعة فى يده ... المال الذى صيره مجرماً أثيما

ولم تتمالك الفتاة نفسها من البكاء فى مرارة وألم ، ولكنه أخذ يراقبها فى سكون دون أن تلين قلبه دموعها التى ذرفتها ولا جمالها الذى زاده الحزن سحراً وفتنة ، ولم يُلق بالاً إلى موت الكونتس فى ذاته ، وإنما أحزنه أنها دفنت سرها معها

وعاد إلى الصمت فلم يتبادلا كلمة ولا نظرة حتى بدت طلائع الفجر فانسحب الضابط من حيث أتى وما لبث أن احتواه الطريق

— ٥ —

مضت أيام ثلاثة دخل هرمان بعدها الدير الذى رقدت فيه الكونتس ليؤدى لها واجب الاحترام الأخير ... ولكن هذا لم يكن قصده الحقيقى ، وإنما كان – ككل رجل لم يتسرب إلى قلبه شعاع من الإيمان – شديد التشاؤم والتطير ، فخيل إليه أنه لو قصّر فى أداء هذا الواجب لحلّت عليه لعنة روحها واستحق غضبها ، وإذ ذاك رأى أن يرضيها من هذا الطريق

دخل هرمان القاعة فوجد جسدها مسجى على فراش من المخمل الأسود وقد احتاطه خدمها حاملين الشموع ... وبدا المكان رهيباً . ولما حان دور الضابط تقدم منها فانحنى قليلاً ، وفجأة صور له الوهم أن عينى المرأة تتطلعان إليه وأنهما فتحتا

فتطاير منهما الشرر ... ارتعد هرمان واختلج جسمه ثم ارتمى على من خلفه وقد غمر وجهه الشحوب ، وفى نفس اللحظة كانت ليزابيتا فى أقصى المكان قد أغمى عليها

خرج هرمان وقد تملكه الرعب والفزع فتوجه إلى حانة حيث جلس يحتسى كؤوس النبيذ ليرفه عن نفسه المكروبة . ولما حان المساء عاد إلى بيته فاستلق على الفراش وغرق فى نوم عميق لم يصح منه إلا والليل يغمر الكون فلا يبدد ظلمته سوى نور القمر المنبعث من النافذة ...

ولم يكد ينفسل الكرى عن عينيه حتى اعتدل جالساً ومكث بعض الوقت على تلك الحال ، وما لبث أن سمع خطوات شخص يمر بنافذته ويتطلع إلى داخل الغرفة ثم يواصل سيره ... لم يلحظ الأمر فى البداية باهتمام ولكنه ارتعد حين سمع باب منزله يفتح ، والممر يردد صوت تلك الخطوات ، وأوشكت صرخة أن تفلت منه حين رأى امرأة فى ملابس بيضاء منتصبة أمامه ... عرف فيها الكونتس أنّا فازداد اضطرابه وازدرد لعابه بصعوبة إذ سمعها تقول: « لقد جئتك رغم إرادتى لأشكر لك احترامك لذكراى ولأكافئك بذكر الوريقات الرابحة ، إنها : الثلاثة والسبعة والآس . ولكن احذر أن تعاود اللعب بعد أن تجمع لنفسك ثروة معقولة . وإذا تزوجت وصيفتى ليزابيتا غفرت لك كل ما بدر منك »

نطقت بهذه الكلمات بين دهشته وذهوله ، ثم خرجت من حيث أتت وردد الطريق وقع أقدامها ...

لبث هرمان مشدوهاً بعض الوقت ، ثم اجتاز الغرفة وأيقظ خادمه ولكنه عبثاً حاول أن يعرف منه شيئاً عن الأمر ؛ فقد كان هذا مستغرقاً فى النوم لحظة أن دخلت الكونتس

* * *

لم يغمض للرجل جفن طوال تلك الليلة ، إذ أخذت الأفكار تطارده والأحلام تذكره بالثلاثة والسبعة والآس ؛ فحصر مخيلته فى البحث عن مكان للمقامرة، وحين علم بنبأ عزم فريق من الأثرياء على الالتفاف حول مائدة القمار بأحد الأندية يمم شطره وريح الأمل تدوى بين جنبيه ، وهناك وجد علية القوم وكبار الضباط يلعبون

جلس هرمان يشاركهم، وما لبث حين مر به الدور أن أخذ ورقة وراهن عليها بمبلغ ٤٧ ألف روبل فتركزت حوله الأبصار وأخذ الجميع يتطلعون إليه ثم قال ناروموف وهو يتمتم « لقد فقد الرجل عقله » وتلاه أحد اللاعبين بقوله :

« أتسمح لى يا سيدى أن أحذرك مغبة المراهنة على مثل هذا المبلغ الجسيم .. إنها مغامرة مميتة فنحن لا نراهن عادة على أكثر من مائتى روبل »

ولكن هرمان قال فى إصرار : « إنى أعلم ذلك فهل تقبلون لعبى أم لا ؟ » وإذ ذاك قال صاحب النادى : « لا بأس فقد أردنا تنبيهك فقط »

وأخرج هرمان من حافظته عدداً من أوراق البنكوت سلمها لمحدثه ثم بدأ اللعب فكشف الورقة التى بيده وكانت الرابحة

سرت موجة من الدهشة بين الحاضرين وتسلم هرمان ما ربح ثم انصرف تاركا الخاسرين فريسة للذهول ، وفى الليلة التالية عاد إلى اللعب والتأم الجمع حول المائدة الخضراء فقامر الضابط كالليلة السابقة وما أن كشف الورقة التى بيده وكانت السبعة حتى تبين أنها الرابحة ... ومرة أخرى جمع أرباحه ولم ينس أن يحيي الحاضرين عند خروجه بانحناءة وابتسامة

ظهر هرمان فى الليلة الثالثة والأخيرة ، وازدحم حول المائدة أفواج من المتفرجين واللاعبين وقد اشتد بهم الحماس والتشوق ثم بدأ اللعب ... فأخذ هرمان (الآس) واستعد الكل للحظة الفاصلة فخيم الصمت على أرجاء القاعة ... ثم أخذ الرئيس الورق بيد مضطربة ودار اللعب برهة ثم تبين أن الورقة الرابحة هى الآس وإذ ذاك كشف هرمان ورقته وهو يكاد يفقد عقله من الفرح والغبطة ... ولكنه وجدها (دام) Dame (سباتى) ... اشتد به الذهول وزاغت عيناه وتصلبت أطرافه وهو يحدق فى الورقة إذ خيل إليه أن (الدام) تفتح عينيها وتغمضهما بينما ارتسمت على شفتيها ابتسامة هازئة ... شعر بالرعب يلجم لسانه ، فقد كانت (الدام) شديدة الشبه بالكونتس

— ٦ —

وبعد يومين كان زائر مستشفى أبو كوف يقع نظره فى إحدى الحجرات على رجل فاقد العقل والشعور ، لا يجيب عما يوجه إليه من أسئلة وإنما يظل يتمتم بصوت خافت :

« ثلاثة ... سبعة ... آس »

حلمى مراد
المحامى

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾



8me Année No. 376

Lundi - 16 - 9 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٧٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

درس ينفع أبناء هذا الجيل

للدكتور زكى مبـــارك

يختلف الناس اختلافاً شديداً فى قوة الحس ويقظة الروح . والحس والروح جارحتان من أعظم الجوارح الإنسانية ، وهما السناد الأعظم للكاتب والشاعر والمفكر والفيلسوف ، وبقدر اختلاف هؤلاء فى النصيب الموهوب أو المكسوب من هاتين الجارحتين تختلف حظوظهم فى السيطرة على أهواء السامعين والقارئين . والذى يقرأ تراجم الأكابر من الكتاب والشعراء والوزراء يرى أنهم كانوا فى الأغلب أصحاب شهوات . وهنا يشتبه الأمر على القارئ المبتدئ فيسأل : كيف تجتمع العظمة والشهوة ؟ وهل تكون الشهوة من وسائل العظمة ؟ ونجيب بأن الخضوع للشهوة عيبٌ نهى عنه الحكماء ، والذى يقترف الفجور تشبهاً بما وقع فيه عظماء الرجال هو مخلوقٌ سخيف ، ومَثَلُه مَثَل « فلان » وهو شخصٌ جيِّد الخطّ ، وقد شهد له بذلك أساتذته يوم كان تلميذاً فى المدارس الثانوية ، فلما سمح له الدهر بأن يكون أستاذاً فى أحد المعاهد العالية ، صار يقبِّح خطه عامداً متعمداً ليندرج فى زُمرة العلماء ، فقد كان سمع أن خطوط العلماء مَضرِب المثَل فى القبح والغموض والاعوجاج !

ولا مؤاخذة يا فلان ، فأنت تعرف مبلغ حرصى على الجهر

بكلمة الحق . ومن هنا أشفق أشد الإشفاق على الشبان الذين يستهينون بالآداب والتقاليد ، لأنهم سمعوا أن عظماء الرجال لم يكونوا يقيمون وزناً لمأثور الآداب والتقاليد . والفرق بين الحالين كالفرق بين إناء تملأه فيفيض وإناء يَبلى فيفيض . فالرجل العظيم لا يقع — حين يقع — في الخضوع لإحدى الشهوات إلا وهو مغلوب على أمره بقوة الإحساس ، وهو لذلك يظل سليم الشخصية الخُلُقية ، ولا كذلك الشاب السخيف الذي يخضع للشهوات تشبُّهاً بالعظماء ، فإن شخصيته الخُلُقية تنحلّ أبشع انحلال، لأنه لم يخضع لهواه طاعةً لقوّة قهارة من الحس المشبوب ، وإنما يخضع لهواه طاعةً لنزعة مرذولة من نزعات التقليد الممقوت

يضاف إلى ذلك أن الشهوات المنسوبة إلى العظماء يغلب عليها التزوير والاختلاق ، لأن واضعيها يرجعون إلى فريقين : فريق الفَجَرة الذين يهمهم أن يشاع أن الخُلق السليم ليس حجراً أساسياً في بناء العظمة الذاتية ، وفريق الحاقدين الذين لا يتورعون عن خَلْق التُّهم في التشهير بمن يعادون من العظماء . ولو صح أن الشهوات المنسوبة إلى بعض أكابر الرجال حقيقية لوجب القول بأن الأخلاق ليست إلا كلاماً في كلام ، وأن الشهرة والجاه يُنالان بالتحكم والسيطرة كما تُنال بعض الثروات بالغش والتدليس ، وذلك قولٌ مردود . والذي يقف في التعرف إلى شخصيات العظماء عند ظواهر الهنَوات محكومٌ عليه بالخذلان ، لأن العظماء لهم قوًى خُلُقية لا يفطن إليها عوامّ الناس ، وتلك القُوَى الخفية هي السرّ في نجاح أولئك العظماء ، وهي ليست قُوًى عادية مِن التي يتمدح بمثلها مَن لا يملكون من المواهب غير الاستقامة وضبط النفس في حدود المبتذَل من الشهوات ، وإنما هي قوًى عارمة تمكِّن أصحابها من الجهاد بأمن وعافية في مكافحة الضغائن والحقود ، والشدائد والخطوب

وأذكر في هذا المقام ثورة بعض الناس على السيد جمال الدين الأفغاني وقد عابوا عليه أن يجلس في القهوات يوم كان ذلك من العيوب ، فأولئك القوم لم يكونوا يرون قوة الخُلُق في غير البعد عن مواطن الشبهات ، وفاتهم أن الجلوس على القهوة بالرغم من استهجانه في ذلك الوقت لم يكن في نظر السيد جمال الدين الأفغاني إلا حسنةً من الحسنات ، لأنه كان فرصة لدرس أحوال الجمهور والوقوف على ما اختلف وائتلف من نوازع الناس

وأين الجلوس على القهوة من الشمائل الحقيقية لجمال الدين الأفغاني ؟ وهل عرف المتألبون عليه لذلك السبب الحقير كيف استطاع بقوته الذاتية أن يكون حديث الوزراء والملوك في الشرق والغرب ؟ وكيف استطاع بعظمته الروحية أن يتغلب على مصاعب الفقر والاغتراب ؟ وكيف فرض عليه روحه العظيم أن يرفض معونة رفيقيه العظيمين محمد عبده وسعد زغلول وهو خارج خروج الطريد من الديار المصرية ؟؟؟

وأذكر أيضاً شيخ الشيوخ محمد عبده فقد ألحّ حاقدوه في اتهامه بترك الصلاة ليجوز لهم الرجم بأنه لا يصلح لتولى الإفتاء ، ولو فطن الجمهور إلى أن قالة السوء هي التي منعت الشيخ محمد عبده من الصلاة في العلانية لأدركوا أنه كان يخشى الوقوع في هُوّة الرياء ، ولعله كان يريد أن يعرف كيف ينصره علام الغيوب على من يغتابونه ظالمين

ومن هم أعداء محمد عبده ؟ هل كانوا حقيقة من أحلاس المساجد؟ وهل كانوا غاية في الحرص على الصلاة والزكاة والصيام والقيام ؟ إنما كانوا طلاب صيد ، وكانوا بتجريحه يتقربون إلى إحدى الجهات ، فحل عليهم غضب الله ، ولم يبق لهم من الغنيمة إلا الإشارة من وقت إلى وقت بأنهم قالوا في ذلك الإمام كيت وكيت . وبعض الناس ينحصر مجده في الشهرة باتهام الأبرياء !

ولو سلَّمنا جدلاً بأن الشيخ محمد عبده كان تارك الصلاة — ورحمة الله على العهد الذي كان فيه ترك الصلاة من العيوب ، فقد خفتُ أن تصبح فريضة الصلاة من المجهولات عند أبناء هذا الجيل — لو سلمنا بذلك لكان الأمر عجيباً كل العجب ، لأن الشيخ محمد عبده كان يملك من القدرة على أهواء النفس ما يمكنه من أن يجود بثلاثة أرباع مرتبه على المعوزين والبائسين من الذين يمنعهم الحياء من إعلان الاحتياج ، ولولا شهامة الشاعر عبد المحسن الكاظمي لما تعرضت مكارم الشيخ محمد عبده إلى الافتضاح ، فكيف يجوز لرجل يُذلّ ماله هذا الإذلال أن يضعف عن أداء الصلاة وهي من وسائل المرائين في كسب ثقة الجماهير ، إلا أن تكون صلته بربه أعظم من أن تحتاج إلى إعلان ؟

لقد كان المصلون من الأزهريين يعدون بالألوف في عصر

الشيخ محمد عبده ، ومع ذلك لم نسمع بأنهم تنازلوا عن شيء من أرغفتهم في مواساة المحتاجين ، وإنما سمعنا أن الشيخ محمد عبده مات فقيراً وأن منافسيه ماتوا وهم أغنياء

وهل فكر أحد في القيمة الصحيحة لرجل يتقلب على الجدْب والإمحال في الحياة الأزهرية لعهد مضى عليه أكثر من نصف قرن فيكون الفيصل بين الهمجية والمدنية ، ويكون صلة الوصل بين القديم والحديث ، ويفسّر جزأين من القرآن وهو في رياض سويسرا حيث يطيب لسواه أن يأنس بحياة اللهو والفتون ؟

هل فكر أحد كيف جاز أن يسيطر محمد عبده على تلاميذه تلك السيطرة العاتية ، فيقضي السيد رشيد رضا عمره في شرح آرائه العلمية ، وينفق الشيخ مصطفى عبد الرازق أطيب أوقاته في توضيح مذاهبه الاجتماعية ، ويتأثر الشيخ محمد المراغي خطواته في الإصلاح الديني وفي سائر الشؤون حتى صار من العجب أن يكون خط الشيخ المراغي صورة من خط الشيخ محمد عبده مع صعوبة التشابه في الخطوط ؟ ... كيف أمكن ذلك أيها الناس ؟

ألا يكون ذلك دليلاً على أن الشيخ محمد عبده كان يعيش في حماية حصانة خلقية لم يدرك أسرارها المتألبون عليه من الزملاء الأغبياء ؟

وقد أشرت في الطبعة الثانية من كتاب « عبقرية الشريف الرضي » إلى ما صنع الشيخ المراغي مع علماء الأزهر الشريف ، فقد كان شاع أن الشيخ المراغي نسي علوم الأزهر لبعد عهده بالحياة الأزهرية ، فرأى الرجل أن يلقي دروساً علنية في علم الأصول ليريهم أن الذهن الثاقب كالسيف لا يضرّه طول العهد بالإضمار في غياهب القراب

وما قيمة العلوم النقلية بجانب العلوم المكتسبة من فهم سرائر المجتمع ؟ ... وأين الأزهري الذي يملك القدرة على محاورة مدير الجامعة المصرية في الحفلات كما يقدر الشيخ المراغي على ذلك بسهولة لا تعرف التكلف والافتعال ؟

كنا مرة في المفوضية العراقية بالقاهرة ، والتقى لطفي باشا بالشيخ المراغي ، وأقبل الشيخ رشيد رضا يقول : هذا لطفي باشا مدير الجامعة المدنية ، وهذا الشيخ المراغي مدير الجامعة الدينية ، والدين فوق المدنية . فابتسم لطفي باشا وقال : هذا حق ما دام الشيخ هنالك . وأجاب الشيخ المراغي : مادام لطفي باشا في الجامعة المصرية فهي الشقيقة الرءوم للجامعة الأزهرية ، وما كان الدين إلا رسول الحضارة والفهم والعقل . ثم تواتر الحديث بين الرجلين في غاية من التلطف والترفق والعطف

ومن مزايا هذا العصر في مصر أن تكون الجامعة الأزهرية — وهي على الضفة الشرقية للنيل — تحت رياسة رجل يتجه أحياناً نحو الغرب ، وأن تكون الجامعة المصرية — وهي على الضفة الغربية للنيل — تحت رياسة رجل يتجه أحياناً إلى الشرق

وبذلك لا يكون من الشر أن يقال إن مصر بلد الغرائب ، لأن الغرائب لا تجتمع في مصر إلا وهي صورة من الانسجام المقبول في شرعة الأدب والذوق

ماذا أريد أن أقول ؟ أنا أريد القول بأن الأخلاق الحقيقية للعظماء هي أجلّ وأدقّ من أن يفهمها عوام الناس ، وما تملّق متملقٌ بهفوة صورية لرجل من الأكابر إلا وهو غافلٌ جهول ، فما تسمح قوانين الحياة بأن يسود رجل إلا وهو على جانب من متانة الخُلُق ، وسجاحة النفس ، ورصانة الطبع ، وطهارة القلب ، ولو كره المتزلفون إلى المجد بالوصولية والضعة والاستخذاء

دلوني على عظيمٍ واحد أُثِر عنه الانقياد لهواه في صباه

ما نبغ في الدنيا نابغٌ إلا بعد أن قدم شبابه قُرباناً للمجد . وكان أشياخنا يقولون : « أعط العلم كلك يعطك بعضه » . فما بالُ بعض الشبان في مصر أو في غير مصر يعرفون مراتع اللهو قبل الأوان فتزدان بوجوههم مقاصير الملاعب والمراقص ، ويكون لصباهم تاريخ في حياة الفتون ؟ وما بال بعض الشبان يعرفون سُكْر الخمر وهم على خطر من سكر الشباب ؟

أنتم لا تعرفون نعمة الله عليكم ، أيها الجهلاء ، والجهل هو الشباب في لغة أهل العراق

من ألفاظ مصر كلمة « الفَنْدَرة » والفندرة الحقيقية للشاب هي أن يكون بين الأوائل في الدراسة الابتدائية والثانوية والعالية . الفندرة الحقيقية للشاب هي أن يكون قرة عين لوطنه ولأبويه ، ولن يكون كذلك إلا إذا تفوق في جميع الشؤون . الفندرة الحقيقية للشابّ هي أن يفوز فوزاً مطلقاً بثقة أساتذته وزملائه بحيث يتقدم إلى معترك الحياة وهو مرفوع الرأس وضّاح الجبين

ما بال بعض الشبان يسابقوننا إلى المشارب والملاعب ؟

نحن نغشى تلك الأماكن من حين إلى حين لندرس أخلاق الجيل ، فلا تكونوا موضوع الدرس ، ولا تعرّضوا سمعتكم لسهام الأقلام ، فما يبقى على نوشها أديم صحيح

إن كان غرّكم أن يتظرف رجل مثلي فيقول إنه دخل الملعب الفلاني أو الحانة الفلانية ، فأنا أتحداكم أن تثبتوا أني شربت فنجان قهوة في غير داري قبل أن أظفر بإجازة الدكتوراه أو قبل أن أبلغ الثلاثين

وما أقوله عن نفسي أقوله عن الأدباء الذين يسيطرون على عقولكم وأفهامكم في هذا العهد . فالدكتور طه حسين في صباه لم يعرف من النعيم غير كرْع ماء التين . والأستاذ عباس العقاد لم يعرف في شبابه غير مقارعة الأحاديث في سهرات أسوان ، وقد زرته قبل عشرين سنة في دار تواجه المقابر بحيث لا يجد الماء إلا بفضل السقّاء . والأستاذ ابراهيم المازني قضى طلائع شبابه في دار جافية لا تعرف الأنس بغير سحالي الصحراء . والأستاذ عبدالعزيز البشري شهد على نفسه بأنه كان يتغدى بخمسة ملاليم مع أن أباه كان عمدة حيّ البغّالة وكانت إليه مشيخة الأزهر الشريف

لا تخدعوا ، أيها الشبان ، بالأدباء الذين يتحدثون عن هوامهم الآثم في باريس ، أو غير باريس ، فلن يكونوا ألأم مني ، ونحن لا نسمح لأحد بأن يكون أحرص منا على الواجب ، ولو خطر في البال أن في الشبان من يحاول سبقنا إلى المجد بقوة الكفاح لقطعنا رأسه بلا ترفق ، ولو كنت أتوهم أن في أبناء هذا الجيل من يسدّ المسالك في وجهي بالسباق في ميادين الدرس والبحث والتنقيب لطويت عنه هذا النصح ، فما أحب أن يكون لي في هذه الميادين خصم أو قريع

في سنة ١٩٢٧ خطر للدكتور طه أن يغمز أساتذة اللغة العربية في أحد دروسه بالجامعة المصرية فقال : كيف يجوز لهؤلاء أن يتولوا تدريس الأدب في المدارس الثانوية أو العالية وليس فيهم من تصفح ديوانين اثنين من دواوين الأدب العربي ؟ ! فنهضتُ وقلت : « أرجو استثنائي من هؤلاء ، فأنا أحفظ ثلاثين ألف بيت من الشعر العربي وأستطيع إنشادها جميعاً في أي وقت »

فابتسم الدكتور طه وقال : أنا لا أقصد أساتذة الجامعة المصرية . ولم يكن كلامي ضرباً من التحدي المؤقت ، وإنما كان حقاً من الحق . وما اكتفيت بالثلاثين ألفاً إلا إشفاقاً على طلبة الجامعة ، فقد كانت مختارات البارودي من بعض محفوظاتي ، وكنت أحفظ دواوين برمتها من الشعر الفرنسي ، وقد حفظت معظم كتاب تلماك عن ظهر قلب في سنة ١٩١٩ وكان المسيو كليمان حدثني أن أسلوب فنلون هو المطمع الممتنع . ولم أكن أعرف نظام الجذاذات عند الشروع في تأليف كتاب « الأخلاق عند الغزالي » فكنت أرجع إلى الشواهد في مؤلفات الغزالي بغير احتياج إلى دليل ، فقد كانت مؤلفاته مسطورة في ذهني بأبوابها وفصولها وصفحاتها بحيث أجد الشاهد حين أشاء ، بلا عناء

وما استطعت ذلك كله لأن ذاكرتي أقوى من سائر الذاكرات ، أو لأني أذكى من سائر الناس ، وإنما استطعت ذلك لأني لا أعرف المسامحات في صيف أو شتاء . وما أذكر أبداً أني انقطعت عن الدرس في يوم من أيام المواسم والأعياد ، حتى أيام البواخر قرأت فيها أشياء وكتبت أشياء . وهذا بالتأكيد حال كثير من الأدباء في هذا العهد ، وقد يكون فيهم من يفوقني في الصبر على مكاره الدرس والتأليف ، فليست الحظوظ أو الظروف هي التي جعلت بعض أدبائنا أئمة مرموقين في الأقطار العربية والإسلامية ، وإنما هو الكدح الدائم والكفاح الموصول

أما بعد فبأي حق يجوز لطالب العلم أن يجلس في أحد المشارب وفي يده كأس ؟

وبأي حق يتسامى الشبان الظرفاء إلى السيطرة الأدبية والعلمية وهم يدفعون مهرها من الكسل والخمود والاعتماد على وساطة الشفعاء ؟

من حق كل إنسان أن يتخير مصيره كيف شاء ، فلن يكون الناس جميعاً نوابغ وعبقريين . أما طالب العلم فلا يملك هذا الحق ، لأن الأمة تفرض عليه أن يكون مضرب المثل في الحرص على الفهم والاجتهاد والتحصيل ، وهي لن ترضى منه بالقيمة الصغيرة في مغانمه العلمية ، لأن مصر في هذا العهد لم يبق فيها مكان لغير المتفوقين ، ولكن أين من يفهم هذه الحقيقة من أبناء هذا الجيل ؟

لقد كثرت الشكاية من وقف صفحات الجرائد والمجلات على طائفة معروفة من الباحثين ، وكثر تضجّر الشباب من طغيان الكهول . وهذا حق ، ولكنه سُنّة طبيعية ، والأحمق هو الذي يطمع في تبديل نواميس الوجود بالتوسل والرجاء

وأنا أكشف الستار عن بعض الدسائس الأدبية فأقول : في مصر اليوم إصرار عنيف على الاستبداد بغنائم الحياة

الفكرية ، وأولئك المستبدون يَصِـلُون النهار بالليـل فى تزويد عقولهم وأفهامهم بما يجدّ فى عالم الآداب والفنون ، ولا يمكن زحزحة هؤلاء المستبدين بالتشكى والتوجع ، وإنما يزحزَحون بمناكب أضخم من مناكبهم ، وتلك المناكب هى العقول العاتية التى تأنف من الاكتفاء بالزاد القليـل ، وترى القناعة من صور الفناء . وقد علّل أحد الشبان نفسه فقال : سيأتى يوم يموت فيه هؤلاء الكهول ويخلو الميدان

وهذا أيضاً حق ، ولـكن خيبة مصر فى أبنائها ستكون فظيعة حين يصح أن موت المتفوقين هو الفرصة لتقدم المتخلفين

إن مصر تنتظر شباناً أقوياء لا يطيف بأذهانهم مثل ذلك الخيال السقيم . مصر تنتظر شباناً يعيشون عيش التبتل والتنسك والاعتكاف فى زوايا المدارس والمكاتب . مصر تنتظر شباناً لا يعرفون من أدوات الزينة غير القلم والكتاب . مصر تنتظر شباناً يؤمنون بأن المجد الأدبى لا ينال بالتشهى والتمنى ، وإنمـا ينال بالصبر على إقذاء العيون تحت أضواء المصابيح

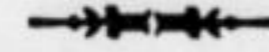
زكى مبارك

في الاجتماع اللغوى

تطور اللغة وارتقاؤها

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



تتأثر اللغة أيمـا تأثر بحضارة الأمة ، ونظمها وتقاليدها ، وعقائدها ، واتجاهاتها العقلية ، ودرجة ثقافتها ، ونظرها إلى الحياة ، وأحوال بيئتها الجغرافية ، وشئونها الاجتماعية العامة وما إلى ذلك . فـكل تطور يحدث فى ناحية من هذه النواحى يتردد صداه فى أداة التعبير . ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب : فبالوقوف على المراحل التى اجتازتها لغة ما ، وعلى ضوء خصائصها فى كل مرحلة منها ، يمكن استخلاص الأدوار التى مرّ بها أهلها فى مختلف مظاهر حياتهم

فكلما اتسعت حضارة الأمة وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها ورق تفكيرها ، وتهذبت اتجاهاتها النفسية ، نهضت لغتها ، وسمت أساليبها ، وتعددت فيها فنون القول ، ودقت معانى مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة ، وهلم جرا . واللغة العربية أصدق شاهد على ما نقول ، فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام ، ومن النطاق العربى الضيق الذى امتازت به مدنيتهم فى عصر بنى أمية إلى الأفق العالمى الواسع الذى تحولوا إليه فى عصر بنى العباس ، كان لهذين الانتقالين أجلّ أثر فى نهضة لغتهم ورقى أساليبها ، واتساعها لمختلف فنون الأدب ، وشتى مسائل العلوم

وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ، ويسمو بأساليبها ، ويوسع نطاقها ، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ، ويكسبها مرونة فى التعبير والدلالة . وإن موازنة بين حالة اللغة العربية فى عهد بداوة العرب قبل الإسلام وحالتها فى عهد حضارتهم الإسلامية ، أو بين ما كانت عليه عند أهل البادية فى عصر ما وما كانت عليه فى الحضر فى نفس هذا العصر لأصدق برهان على ذلك . وإن البدوى الذى لم يلهمه شيطانه فى مدحه للأمير أحسن من قوله :

أنت كالـكلب فى حفاظك للعهـ ـد وكالتيس فى قراع الخطوب

قد استطاعت قريحته بعـد أن هذبتها حضارة بغداد أن تجود بمثل قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وما يحدث بين حضارة الأمة ولغتها من توافق وانسجام ، يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها الجغرافية . فجميع خصائص الإقليم الطبيعية تنطبع فى لغة سكانه . ومن أجل ذلك نشأت فروق كبيرة فى مختلف مظاهر اللغـة بين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية ؛ وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية . ومن ثم كذلك نشأت فروق غير يسيرة بين أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة ، بل بين لهجات اللغة الواحدة

ففى كل لغة من لغات الفصيلة السامية مثلاً ، تتمثل حالة البيئة التى سكنها الناطقون بها . فالآرامية التى نشأت فى الشمال

جافة الألفاظ ، قليلة المفردات، ثقيلة التراكيب، مضطربة القواعد، لا تكاد تواتي الأساليب الشعرية الراقية . والعربية التي نشأت في الجنوب أعذب اللغات السامية ألفاظاً ، وأغناها مفردات ، وأدقها قواعد ، وأكثرها مرونة واتساعاً لمختلف فنون القول . والعبرية التي نشأت في منطقة متوسطة بين هاتين المنطقتين تمثل في رقيها منزلة بين منزلتي الآرامية والعربية ؛ فقد فاقت الأولى ولكنها قصرت عن أن تدرك شأو الثانية ، فألفاظها وأساليبها تتسع لكثير من مناحي القول ؛ ولكن العربية تفوقها في مرونة التعبير والترف اللغوي وسعة الثروة في المفردات ، وقواعدها سهلة مضبوطة ، ولكنها لا تبلغ في دقتها وتنوعها مبلغ قواعد اللغة العربية . وتظهر هذه الفروق حتى في ناحية الأصوات ، فالآرامية حوشية الأصوات ، صعبة النطق ، تلتقي في كلماتها المقاطع المتنافرة والحروف الساكنة ؛ والعربية عذبة الأصوات سهلة النطق خفيفة الوقع على السمع ، تقل في كلماتها الحروف غير المتحركة[1] ، ولا يكاد يجتمع في مفرداتها ولا في تراكيبها مقاطع متنافرة ، ولا يلتقي في ألفاظها ساكنان . والعبرية وسط بين هذه وتلك : فهي لم تصل في سهولة اللفظ إلى درجة العربية ولا في صعوبته إلى درجة الآرامية ؛ يتخلل كلماتها حروف المد في نطاق أوسع من الآرامية ، وبدرجة تذلل كثيراً من ظواهر الصعوبة في النطق ، ولكن بدون أن تصل في هذه الناحية إلى الشأو الذي وصلت إليه لغة القرآن[2]

ولهذا السبب نفسه اختلفت اللهجات الإغريقية القديمة . فعلى الرغم من أن بلاد الإغريق كانت تشغل منطقة ضيقة فإن الاختلاف اليسير الذي كان بين أجزاء هذه المنطقة في طبيعتها الجغرافية قد أحدث بين لهجات سكانها فروقاً ذات بال . فاللهجة الدورية مثلاً خشنة الألفاظ ، حوشية المخارج ، صعبة النطق ، ثقيلة الأصوات ، على حين أن اللهجة اليونانية رخوة الكلمات ، سهلة النطق ، عذبة الأصوات ، يتخلل كلماتها كثير من حروف المد وأصوات اللين

ومظاهر النشاط الاقتصادي تطبع اللغة كذلك بطابع خاص في مفرداتها ومعانيها وأساليبها وتراكيبها . ومن ثم اختلفت مظاهر اللغة في الأمم والمناطق تبعاً لاختلافها في نوع الإنتاج ، ونظم الاقتصاد ، وشئون الحياة المادية ، والمهنة السائدة (الزراعة ، الصناعة ، التجارة ، الصيد ، رعي الأنعام ... الخ) . وقد تؤثر هذه المظاهر في أصوات اللغة نفسها . فقد يؤدي نوع العمل الذي يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم في صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتي

واللغة مرآة ينعكس فيها كذلك ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم الاجتماعية العامة ، فعقائد الأمة ، وتقاليدها ، وما تخضع له من مبادىء في نواحي السياسة والتشريع والقضاء ، والأخلاق والتربية وحياة الأسرة ، وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم ، وما تعتنقه من نظم بصدد الموسيقى والنحت والرسم والتصوير والعمارة وسائر أنواع الفنون الجميلة ... كل ذلك وما إليه يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها في الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب ... وهلم جرا[1]

وتتشكل اللغة كذلك بالشكل الذي يتفق مع اتجاهات الأمة العامة ومطامحها ونظرها إلى الحياة . فاتجاه الإنجليز مثلاً إلى الناحية العملية قد صبغ لغتهم بصبغة مادية في مفرداتها وتراكيبها ؛ حتى إنه ليقال فيها : « دفع زيارة أو تحية أو انتباها » و « أنفق وقته في كيت وكيت » "to pay visit, compliments, attention... etc" "He spent his time in...". بدلاً من « أدى زيارة » و « قدم تحية » و « أبدى انتباها » و « قضى وقته في عمل ما »

وما يكون عليه الأفراد من حشمة وأدب في شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث صداه في لغتهم ألفاظها وتراكيبها ، فاللغة اللاتينية لا تستحي أن تعبر عن العورات والأمور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة ، ولا أن تسميها بأسمائها الصريحة . على حين أن اللغة العربية بعد الإسلام تلتمس أحسن الحيل وأدناها إلى الحشمة والأدب في التعبير

(١) تكثر في الكلمات العربية أصوات المد الطويلة (الألف والياء والواو) والقصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) ، حتى أنه ليقل وجود حرف غير متبوع بواحد منها .

(٢) V. Renan : L'Origine du Langage, p.p. 188,189.

(١) من أجل البحوث في هذا الموضوع وما يتصل به ما كتبه العلامة « فانييه » في المجلد الثاني من مجلة « التربية » سنه ١٩٠٧ صفحات ٤٣٤ — ٤٦٣ تحت عنوان : « روح الأمة وطباعها ممثلة في لغتها » V. Vannier : « *L'Esprit et les Mœurs d'une nation* d'après sa langue; » Revue Pédagogique 1907 - T. II. P.P. 434 — 463.

عن هذه الشئون ، فتلجأ إلى المجاز فى اللفظ وتستبدل الكناية بصريح القول : القبل ، الدبر ، قارب النساء ، لمس امرأته ، قضى حاجته ... الخ ، ولقد كان لها بهذا الصدد فى ألفاظ القرآن الكريم وعباراته أسوة حسنة : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ؛ « واهجروهن فى المضاجع » ؛ « لمستم النساء » ؛ « وقد أفضى بعضكم إلى بعض » ؛ « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » ؛ « فاعتزلوا النساء فى المحيض » ؛ « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة من قبل أن يتماسا » ... وما إلى ذلك من كريم العبارات ونبيل الألفاظ . وما يبدو فى اللغة العربية بهذا الصدد يبدو مثله فى اللغات الأوربية الحديثة وخاصة الشمالية منها ، وأكثرها تحرجاً فى هذه الناحية اللغة الإنجليزية ، فالبطن مثلاً لا يعبر عنه باسمه الصريح بل يطلق عليه فى الغالب Stomach (أى المعدة) وسراويل الرجل يطلق عليها Inexpressible (أى ما لا يمكن التعبير عنه) ؛ وسراويل المرأة تطلق عليها كلمة معناها الأصلى « الجمع أو التركيب » Combination ... وهلم جرا

وخصائص الأمة العقلية ومميزاتها فى الإدراك والوجدان والنزوع ، ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجه ، وتفسيرها لظواهر الكون، وفهمها لما وراء الطبيعة ـ كل ذلك وما إليه ينبعث كذلك صداه فى لغتها[1] . ففى الأمم الأولية الضعيفة التفكير ، المنحطة المدارك، تغزر الكلمات الدالة على المحسات والأمور الجزئية، وتنعدم أو تقل الألفاظ الدالة على المعانى الكلية ، وتخلو دلالة المفردات من الدقة والضبط ، فيكثر فيها الخلط واللبس والإبهام ، وتعرو القواعد أو تكاد تعرو من ظواهر التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة والعبارة بعضها ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة . ومن هذا القبيل الشعوب الصينية : فلغاتها أولية ساذجة فى نواحى الألفاظ والدلالة والقواعد ، تكفى للتعبير عن ضروريات الحياة ، وشئون الصناعة اليدوية ، والأدب السهل ، والتأمل الضحل ؛ ولكنها لا تتسع لعلم ولا لفلسفة ولا لدين بالمعنى الصحيح لهذه الكلمات ، حتى إنه لا يوجد فيها اسم للإله ؛ ويعبر فيها عن مسائل ما وراء الطبيعة بعبارات ملتوية مبهمة مضطربة الدلالة فى أذهان أهلها أنفسهم

(1) V. Vannier op. cit

وفى الشعوب السامية القديمة ، إذ كان يسود التفكير الدينى ، وتفسر شئون الحياة تفسيراً سهلاً ، وتنسب جميع الظواهر الطبيعية إلى تدخل الأرواح والآلهة ، ويسيطر على المدارك الكسل والخمول ، وتنفر الأفكار من البحث العلمى ، وترغب عن التأمل الفلسفى — فى مثل هذه الشعوب نرى اللغات سهلة المأخذ ، ساذجة الدلالة ، ضحلة المعانى ، قصيرة الجمل ، قليلة الروابط : تضع أجزاء الجملة وفقرات العبارة بعضها بجانب بعض ، معتمدة فى بيان وظيفة الألفاظ والجمل وعلاقة كل منها بما عداه على ذكاء المخاطب وسياق الحديث وترتيب المفردات . . . وما إلى ذلك ؛ والروابط التى تشتمل عليها قليلة العدد ، غير متنوعة المعنى ، يرجع معظمها إلى علامات تدل على العطف وما شاكله . وفى الشعوب الهندية الأوربية حيث ينشط التفكير ، ويعمق الإدراك ، ويدق البحث ، وتتجه العقول إلى التأمل الفلسفى ، وتميل إلى تفسير ظواهر الكون والمجتمع الإنسانى تفسيراً علمياً يربطها بأسبابها وقوانينها العامة — فى مثل هذه الشعوب تكثر فى اللغات الألفاظ الدالة على المعانى الكلية ، والتراكيب المعبرة عن الحقائق العامة ، وتغزر أزمنة الأفعال[1] ، وتطول الجمل وتتعدد أجزاؤها ، وتتنوع الروابط وتختلف دلالاتها فتتسع للتعبير عن دقيق الوجدان ، وعميق الإدراك ، وحقائق الفلسفة والعلوم

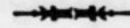
على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(1) ليس الفعل فى معظم اللغات السامية إلا زمنان : فعل انتهى زمنه (ماض) وفعل لم ينته زمنه (أمر ومضارع للحال أو للاستقبال) ، على حين أن له فى اللغات الهندية الأوربية أزمنة كثيرة لكل منها صيغة خاصة وقد بلغت هذه الأزمنة فى اللغة الفرنسية أحد عشر زمناً فى الجمل الاخبارية وحدها .

نحن وفرنسا

بين جنات الأرواح
وجحيم الأجساد

للأستاذ نجيب محمد البهبيتي



الصبح ينبلج فى صمت عميق ، وأعقاب الظلمة تذيبها تلك الأطياف المتهامسة من ضياء شمس لا تزال مختفية تحت الآفاق ؛ والبحر من بعيد يهدر هدراً لا ينقطع ، ويرغى إرغاء لا يلبث أن يزول بعد أن تزول العاصفة ، وبعد أن يسكن اضطرابها ... وهى لا بد أن تسكن . والنيل عن أيماننا يجرى زاخراً عارماً فى هدوء ووقار ، موكب الدهر الجبار قد أثقلته السنون ، وملأته الحكمة والتجربة . هـذا النيل لا يزال يجرى فى انتظام كأنه فى فيضانه وانقباضه بقدر ، أغنية خالدة منسقة قدسية تتجاوب فيها الفواصل ، وتتردد فى مقاطعها أنغام الحياة والبشر

ما أشبه هذين بأسلوبين من أساليب التفكير والنظر إلى الأشياء . قوم يثورون وينفعلون وتصطخب نفوسهم بالحلو والمر ، وتتأجج صدورهم بالعاطفة ، وتفيض الكلمات على ألسنتهم تعبر عن قوة الثورة ، وحدة الصخب ... ولكن الانفعال لا يبقى ، ولا يخلد ، وهو لابد زائل بزوال علته ، وقد يتجدد مرة أخرى وغيرها كما تتجدد ثورة البحر حين تهتاجه العاصفة ، ولكنه لا بد أن يخمد . وأصحاب هذا الضرب من التفكير أشبه بالشعراء ؛ ولكن الشعراء حين يفعلون ذلك يبينون عن خفية من خفايا النفس ، ويكشفون عن صورة من صورها التى لا تتناهى ، فهم يضيفون هذا إلى تراث النفس البشرية . ولا يجب أن نتناول قضاياهم على أنها حقائق ، وإنما يجب أن ننظر فيها على أنها مرايا لحالات تمر بالنفس عابرة ؛ فهى إنما تؤخذ ليستخرج منها علم ، ولتوضع على مقتضاها الكليات كما يقول المناطقة

وقوم آخرون يجرون فى وزن الأشياء على قياس ، يزنون الصغيرة والكبيرة ، ويعرفون أن فى الوجود حقائق باقية خالدة ، وأنها جديرة بالكشف ، قمينة بالتنقيب والبحث ، ينظرون إلى الأشياء من حيث قيمتها فى الوجود ، ومن حيث بقاؤها الحقيقى ، ومن حيث خيرها الأبعد لا من حيث خيرها القريب . وهؤلاء لا يأخذ بخناقهم الهوى ، ولا يجيبون لداعى الانفعال ، وقد يكونون أشد من الطائفة الأولى انفعالاً ، وقد تكون نفوسهم أعرق فى تأججها وثورتها ، وقد يذوبون إشفاقاً وألماً ، لما عسى أن يمر به الآخرون مرور العابرين . ولكنهم يعلمون أن الحقائق تطلب لذواتها فى غير طويل وقوف عند الآلام والمسرات ، ينظرون إلى الأشياء فى وقار النيل وانتظام فيضه وانحساره ، وفى سكون الصبح واستنارته ، قد خلصوا نفوسهم من شوائب الحقد وأدران الشماتة ، ونسوا ما لقيت أجسادهم ، فسموا بنفوسهم إلى مسالك النجم ، وترفعوا عن أوغار الضعة

كل كائن يستطيع أن يفرح حين يرى عدوه صريعاً تحت أقدامه ، فهذه أقرب العواطف وأرخص الأحاسيس ، ولكن ليس كل إنسان يستطيع هنا أن يسد بقلبه تلك الثغرة من الفرح وأن يضع يده على موقع ذلك السهم ليخفيه فيه ، ثم ينظر إلى عدوه فى ألم حقيقى لأن إنساناً قد سقط ، ولأن روحاً قد فاضت ، ولأن نفساً قد تخلصت من سجون الجسد المغرى شيطانه المهلكة شهواته

هذان أسلوبان من التفكير البشرى ، ولم أشأ أن أصطنع أولهما ، ولكنى أصطنع ثانيهما ، ولست بهذا متصوفاً ، ولست بهذا مرتفعاً فوق الحياة أعيش فى برج من العاج ، وأحيا فى فردوس الأحلام ، وأكبر نفسى عن دنيا الواقع بأفراحها وآلامها ، فإنما أحسست هذا كله ، وعانيت من مره وزقومه أشد ما يعانى بشر ، ولكنى أدع دائماً فى جانب من نفسى بقية من الاتزان والشرف ، أضع فيه دائماً مثالاً من مدنيتنا الروحية التى حملها الشرق إلى الوجود أمانة تنوء تحتها نفوس أولى القوة . أضع دائماً نصب عينى ما بشرت به نفوس كرام من آبائنا فى كل أطوار التاريخ ، وأنا به وفى لأهلى وبنى جلدتى ، آخذ بيدهم إلى المحافظة على أعز ما ورثوه عن ماضيهم ، وأقوم ما بشرت به كل الديانات التى نبعت فى الشرق ، وفاضت على الدنيا خيراً ونعيماً وسعادة . ليس فى دين من الديانات التى انبعثت فى الشرق دين يطالب بالثأر وإن أمرت كل هذه الأديان بالقصاص ، وأجازت إلى جانبه العفو ، ونهت

عن التمثيل ، وكان الغرض من هذا الإصلاح ، ولم يكن الانتقام وإلا لما أجازت العفو. ولنا من أخلاقنا، بعد هذا، التي ورثناها عن هؤلاء الأمجاد ما يجعلنا نكبر فوق الضغينة ، ونتناول الأشياء تناولاً رحيما ، فيه إباء العفو وكبرياء المتألم الكريم

فى هذا ذلك المعنى الخلقى السامى ، وفيه أيضاً محاولة للوصول إلى الحقيقة عن طريق العدل ، على طريقة الفلاسفة التي لم ترضك ؛ وفيه بعد هذا تطهير للنفس من آلام تخلفها الأحقاد ، لا يصلى نارها الجيل الحاضر وحده ، ولكن يتلظى بها بعد أجيال تأتى ، وتقوم بها فى النفس قياماً دائماً مثارات الخلاف ، ولا يتحقق بها أبداً بين الشرق والغرب وفاق أو لقاء

تضرب لى يا عبد المنعم مثلاً بمـا فى أوربا اليوم من صراع تتداعى فيه أركان أقدس ما وقر فى النفس الإنسانية من مُثُل وأخلاق حاسباً أن من الخير لنا أن نتبعه فتقول : « إننا نشاهد أمماً حرة مثقفة تحطم حياة أمم أخرى عالمة مثقفة حرة فى سبيل إرضاء ما تعتقده كرامتها » ... إلى آخر ما قلت

إن هذا تام حقاً يا عبد المنعم ، ولكن هل تعتقد أن ما تفعله أوربا الآن يجب أن نفعله ، وأن ندعو إليه ، وأن نعمل فى سبيله ؟ هل تعتقد أن هذه الأجيال تعيش ربع قرن تحمل بين جنباتها بذور الحقد ، وتنميها وتعمل للانتقام من جارتها ، تفكر فى هذا الليل والنهار ، وتقف عليه كل جهودها ونواحى نشاطها ، تصوم لتبنى آلة الخراب ، ثم تدفع بعد هذا بزهرة شبابها ليحطموا غيرهم ولينحطموا ، ولتشقى بهم بعدهم أجيال وأجيال — هل تعتقد أن هذه القطعان البشرية التى تساق إلى الجحيم سوقاً فى غير رحمة قد عاشت المعيشة التى تطمح إليها الدنيا ، وأن هذه النفوس قد نالت من احترام أساتذتها وقادتها ما ترضاه أنت لقومك وبنى جلدتك ؟ وهل يعوض هذه الضحايا التى لا تنتهى أن يستمتع بالحياة من بعدهم قوم آخرون إن صح أن هذا سيكون ؟

إن أمماً كثيرة فى التاريخ قد نالت مكانتها فى الدنيا عن طريق تحقيق المثل العليا، وهذه قد احتفظ لها التاريخ بأمجد الذكر؛ وأمماً أخرى قد أقامت نفسها على حد تعبيرك — على بركان من نوازع الفطرة الأولى فلم تلبث أن انهارت كما ينهار القصر يبنى على الرمل . ذلك أن تلك المثل الأخلاقية لم تأخذ مكانتها فى وجودنا إلى الآن إلا لأن التجربة قد خلصتها واصطفتها ، وأثبتت أنها كالحجر الكريم انكشف للباحث بعد طويل العناء ، ومكابدة الآلام ، من بين أكداس ضخمة لا تحصى من سقطات الناس وإصاباتهم

فإن أردنا أن نأخذ صفوف الدعاة فلندع إلى الخير ، ولننس الانتقام ، أما أن تكون فينا الوحشية اللازمة لكل حياة كريمة فذلك ما أخالفك فيه إن كنت تريد بالوحشية امتلاء النفس بالحقد على عدوك ، والتهليل إذا سقط أو أصيب لأن هذه ليست من شيمنا ، وأما إن كانت الرجولة والقوة الجسدية ، والابتعاد عن النعومة الناشئة عن الترف ، ورد المعتدى فذلك ما أوافقك فيه ولا أوافقك على غيره . ذلك أن رد الباغى شىء ، والدعوة إلى الحقد عليه والشماتة به شىء آخر ، كما أن تقدير سيئات عدوك لا يجب أن يجور مطلقاً على وزنك حسناته ، فإن خير استعداد لحربه أن تعرف مواضع قواه كما تعرف مواضع ضعفه؛ أما تصورك إياه كما يحلو لك ، وكما تتمناه ، وكما يزينه لك هواك ورغبات نفسك فأمور لم نكن فى يوم من الأيام سنة من سنن الشرق ، ولا تقليداً من تقاليده

وإذا كنا الآن نقف نفوسنا موقف المؤرخين من هذه الأمة الجليلة فيجب أن ننتحل صفة الإنصاف ، ويجب ألا ننسى أولاً أن الناس إخوان ، ويجب ألا ننسى المبدأ الذى سبقنا إلى وضعه الغربيين : وهو أن العقاب ليس معناه الانتقام ولكن غايته الإصلاح ؛ وسيكون من هذا لأعدائنا درس إن صح وصفهم بهذا الوصف

إن لمدنية أوربا وجهين ككل مدنية : وجه مادى ووجه معنوى . أما المادى فهو تلك الصور الظاهرة التى تتكيف فيها سبل العيش ووسائله . وأما الوجه المعنوى فهو الخلاصة المجردة لتلك المبادئ التى تنتظم على مقاييسها العلاقات بين الأمم والأفراد . وهذا الوجه الأخير تجده فى تاريخ كل أمة شاملاً لكل مثلها فى الأخلاق والشرع ولكل ما عسى أن يكون قد استخلصته عقول أبنائها من أصول علومها وفنونها ومختلف صور حضارتها . وتجد هـذا دائماً فى عصور اتزان النفس البشرية ، وفى فترات

المطمئنانها ، وفي الأيام التي لا تهتز فيها لحادث جلل : تجده دائماً بحيث يرمى إلى تحقيق الخير المطلق للناس على السواء ، في غير نظر إلى أمة دون أخرى ؛ أي أنه ينتفي فيه حب الذات والأثرة الفردية أو القومية . فلا تكاد تحس فيه تلك النعرة العنصرية التي إنما تكون دائماً رد فعل لحس الضعف الطارئ على أمة من الأمم لنكبة أصابتها ، ونازلة حلت بها فزعزعت من إيمانها بنفسها فهي تحاول التغلب على هذا الضعف ، وتقوية نفسها بتلك النفخة تصطنعها وتدعو إليها ، وقد تنخدع بصوابها ، فتؤمن بأنها حق ، وتغلو في الإيمان بها حتى لترفع بها نفسها على هام الشموس . وقد يكون الداعون إلى هـذا في الأمة المقهورة الباحثة عن التعويض أتفه الناس فيها ولكنها تستجيب لهم ، وتهتدي بهديهم لأن دعوتهم صـدى لذلك الحس الفطري الذي يدفع إليه قانون الحياة وحماية الذات .

ولذلك يجب إهمال هذا الوجه الشاذ لأنه عابر في حياة الأمم وإن ترك أثراً إيجابياً في حياة بعض الأجيال ، فتبقى الصورة الإنسانية التي تحدثت عنها ، وهذه تكون نظرياً سليمة لا غبار عليها ، ولـكن يأتي دور التطبيق فتتعرض هـذه المثل لنوايات الأفراد ، وتضطرب بها الأهواء ، ويعمل فيها قرب الفرد وبعده من الحيوانية التي لا تزال عنصراً أساسياً في كيانه

ولقد ضربت لهذا مثلاً في كلمتي السابقة باستيقاظ العصبيات في الإسلام مع نهيه عنها ومع ما حاوله من قتلها ولما يكد يمر على بدء الدعوة نصف قرن ، وقلت إن الأمم في هذا سواء ، إلا أنها تفترق في ذلك القدر الباقي في نفوس أبنائها من أثر تهذيب تتركه التعاليم ، أو يسطره عليها قدم عهد بالحضارة المادية . فإذا كان بعض أبناء الأمة الإسلامية قد أثاروا العصبية فتركت هـذه مضاعفاتها في حياة المسلمين وتاريخهم فليس ذلك ذنب الإسلام ، ولا ذنب تلك الطبقات منهم التي دعت إلى أسمى المبادئ ، وحاولت بها أن ترتفع بالإنسان عن مرتبته الحيوانية فأباه عليه طبعه وارتد إلى حيث كان . ولكننا في الحكم على المسلمين ننسى دائماً سيئات الأجيال التي لم تحسن لنذكر ذلك الإرث الخالد في تاريخ الإنسان « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » فالشر عابر والخير باق دائماً ، لأنه حقيقة منتزعة من صميم النفس عن طريق التجربة والامتحان

لهذا قلت لك يا عبد المنعم إننا إن حكمنا على فرنسا فيجب أن نحكم عليها على أساس ما سيبقى من عملها للناس ، وما عسى أن تكون تركته من أثر في خطوات الإنسانية في السير إلى غايتها البعيدة . كما أني قلت لك قولاً أساسه الحق يوم فرقت بين عمل الساسة وعمل الأمة كلها ، وقلت هـذا بناء على تجربتي ، فقد عشت بين هؤلاء الناس في بلادهم وبلوتهم ، فعرفت فيهم سلامة الطوية وحسن المعاملة ، والمساواة في عدل اجتماعي لم يكد يتحقق في أمة من الأمم في كل أدوار التاريخ إلا في هذه الأرض التي نكبت . إن مستوى الفرد في فرنسا من كل نواحي حياته كان أرفع منه في أي أمة أخرى . فالتعليم كان إجبارياً حتى السادسة عشرة ، والتعليم العالي بالمجان بحيث يقدر عليه كل إنسان أراده ، والمحاضرات العلمية في كل مكان وفي كل وقت من أوقات الليل والنهار حتى تصبح ملكا مباحاً لـكل طالب علم أو باحث عن حقيقة ، حتى أصبحت فرنسا كلها متعلمة . وكانت بعد هذا حريصة على كل لون من ألوان الحرية . وأنت تعلم أن العلم مع الحرية يترك السبيل دائماً لوضوح الشخصية وحس الذات . ومن هنا تعددت المذاهب وكثرت الآراء حتى لـكأن في كل فرد أمة ، فكان من طريق الخير نوع من الانفصالية أساسها وضوح النظر واستنارة التفكير . وكان من هـذا انهيار فرنسا لا لشيء إلا لأنها تمسكت بمُثُلها وأبت أن تتخلى عنها

ولست أعرف حتى الآن هل كان الخير في هذا أم أن الخير في ذلك التكتل الحديدي للأمة بحيث لا يحسب فيها حساب لحياة الفرد ولا لحريته ولا لسعادته ولا لعقله . وعندي أنه ما لهذا خلق الناس

ليس انهيار فرنسا يا عبد المنعم لأنها كانت قائمة على « بركان من التفسخ العائلي » الخ ... فإنني كنت أعرف في صميم باريس عائلات من المحافظة ، بحيث لا تستطيع أنت ولا أستطيع أنا إلا أن نرميها بالرجعية . وما كان عليك لتدرك معنى العائلة الفرنسية إلا أن تعرج قليلاً على بلد من ريف هذه البلاد لتفهم

حقاً هل تهدمت العائلة في فرنسا أم لم تهدم. إن بعض الدعاوى القائمة على الجهل تنتشر أحياناً لسوء الحظ حتى لتصبح أشبه بالمسلّمات، لأن الجمهور كما قلت لك لا يستطيع تحقيق كل ما يلقى إليه

إن فرنسا قد هدمت نفسها من حيث أرادت أن تبنيها، فقد أعطت كل ابن من أبنائها حق الحياة كاملا، وحق القول والفكر كاملا، والمسئولية الاجتماعية عبء ثقيل على الأفراد. فأصبح دفع الضرائب عندهم ثقيلاً، وأصبح إنفاق مليم واحد على الحرب ومعداتها أمراً يتشاجر من أجله النواب، ويضج منه الشعب، لأن كارثة الحرب الماضية كانت لا تزال عالقة بالأذهان، ولم يكن أشق على الفرنسي من التفكير في الحرب. كانوا يؤثرون أن تنفق هذه الأموال على التعليم، وعلى رفع مستوى الحياة، على أن تنفق على المدافع. وهذا هو الذي حدا برجال الحرب كبيتان أن يقولوا: « إن الفرنسيين كانوا يطالبون الدولة بأكثر مما يعطونها ». ففرنسا هدمت نفسها مؤقتاً لتبنى مثلها، وأقول مؤقتاً لأني لا أشك في أنها ستهب في القريب العاجل جداً، فإني لا أعرف أمة يكمن فيها من الحياة ما يكمن في هذه الأمة، ولا أعرف فرداً قد ربى فيه الوازع الشخصي بمثل ما ربى في الرجل الفرنسي. ولا أعرف جندياً قد ربى على خشونة العيش فهيئ لتقبل طعم الحياة في خيرها وشرها مثل الفرنسي

إن السير في تربية الأمم على هدى المثل الأعلى قد لا يحقق النصر العاجل، ولكنه من غير شك يخلق الصلاحية الحقيقية التي تكفل السيطرة على المستقبل

أما أن تقول إن بيتان وفيجان قد انقلبا بين عشية وضحاها بوقاً من أبواق هتلر فتلك دعوى قد ينخدع بها البسطاء، ولكن لا ينخدع بها ذوو العقول الذين يدركون أن الكرامة الإنسانية قيمة، وأن الإنسان مهما كان تافهاً لا يسهل عليه أن ينتزع نفسه من ماضيه انتزاعاً، وأن يجرد نفسه من كيانه تجريداً. إن بيتان وفيجان رأيا أن إنقاذ فرنسا وإقالتها من عثرتها سيتحققان عن طريق ما ينتهجان وليس يمنع هذا عمل عامل لإنقاذ فرنسا على طريقته. فبيتان وفيجان يعملان، وديجول يعمل، وكل هذا في سبيل فرنسا

إن فرنسا قد أصابت وأخطأت، شأن كل عمل إنساني، فليس أقل من أن نلومها على الخطأ ونذكر لها بالشكر والرثاء فضلها ونكبتها، ونحن إذ نفعل هذا نرسخ تقاليدنا، ونتخلق بأخلاقنا ونصطنع مثلنا، ولا نتخلى عن ميراثنا الروحي والحضاري، فضلاً عن أننا نحاول به تهذيب تلك الغرائز الأولية التي تدفع بالإنسان عملياً إلى الانتقام، فهي ليست بحاجة إلى إذكاء ولا تأريث. هذه الدعوة — كما ترى — ليست سهلة، لأنها محاولة للحد من اندفاعات الفطرة الحيوانية، وهذا الحد يغضب الجماهير ويضيق صدورها ويرغمها على السخط. أما مسايرة هذه الغرائز فيها ومجاراة التيار، فحاولة هينة لاستغلال براءة الجمهور والضحك من أذقانه. وقد يقوى عليها الساسة الذين يحاولون الفائدة العاجلة ولكن لا يقوى عليها أصحاب الخلق الراسخ والإيمان بالحق وهداة الأمم إلى الخير والمثل المحققة للقوة

أما رثاؤك لمثقفينا الذين لم تقدم إليهم أوربا من العلم إلا ما هو بمثابة السروج واللجم فإني أمر به مرور الضاحك ملء شدقيه وآخذه على أنه جهل بأمر جدير بأن يصحح لمدعى علمه. فنحن يا عبد المنعم لم نذهب إلى هناك فتقدم إلينا أنواع من العلم وتمنع عنا أخرى، وإنما الأمر كان كما قلت لك مورداً مباحاً نختار فيه ما نشاء، فنذهب من الأساتذة إلى من نشاء، ونجتنب منهم من نشاء، تتلقى العلم في مدرستك إلى جانب الفرنسي والبولوني والألماني لا يصدك صاد، ولا يمنعك قيد من القيود. ولذلك عدنا لم نسرج ولم نلجم وإن كنا نوشك أن نحس أن هذه السروج واللجم إنما تلزمنا إياها أمتنا العزيزة، بل الصفوة من أبناء هذه الأمة

* * *

قد يكون هناك ما أريد أن أقوله، ولكني سأتركه لفرصة أخرى؛ وإني ليسرى عنى أننا جميعاً في هذا نبني حقاً، ونتلمس هدى، وأحرى بنا أن نتلمس هذا من نور القلوب، وصفو النفس، وخلوص السريرة.

(رأس البر) نجيب محمد البهبيتي

عراك في غير معترك

للأستاذ محمد متولى

إن هذا الشجار المنيف الذى يؤلف به صديقانا الدكتور بشر فارس والأستاذ زكى طليمات جبهة تتناحر مع جبهة الشاعر المهندس على محمود طه، هو فى نظرنا مما ينطبق عليه المثل المصرى: « خناقة على اللحاف »

كتب بشر عن ديوان الشاعر، فغضب الشاعر لبنات قلبه وراح ينظر فى ماضى الدكتور الأديب حتى وقع على مسرحيته « مفرق الطريق » التى أخرجها منذ ثلاثة أعوام وبعض عام. ثم أخذ يكيل له صاعاً بصاع، ويعدد له من السرقات كما عدد هو له من قبل؛ وحينئذ انبرى رجل المسرح الأستاذ طليمات، ليقوم بنصيبه الملوم، كما قام بأنصبتهم فى هذه المعركة غيره كثيرون

والحق أن بطلينا كليهما شريفان — لم يسرق بشر فارس، ولا سرق على محمود طه، لحكاية السرقة غير معقولة إذا نحن تأملنا ماهية الفن وعرفناها

وقبل أن نبين هذه الماهية، يجب أن نخرج من موضوعنا تلك الفلسفات التى يحكونها عن « كانت » Kant و « برجسون » Bergson ومن إليهما، لأنها هنا لا لزوم لها. وأغلب الظن أنهم يحكونها تفلسفاً على القراء

كأنكم فهمتم يا سادتى أن الفن « فكرة » Ideé؟! والحق أن الفن « صورة » Forme أولاً وأخيراً.

إن الأفكار من الأشياء المجردة التى تكون هى بعينها فى جميع العقول والأفهام. أما الفن فهو « أسلوب » الفنان فى « تصوير » عاطفته « الشخصية » بأدواته الخاصة المختلفة باختلاف الفنون السبعة. الفن هو « الإنسان مضافاً إلى الطبيعة » كما يقول الفيلسوف الإنجليزى بيكون Bacon

وإذن فكيف يأخذ النقاد الكبير عن « كانت » المظيم — مثلاً — ما دمنا نعتبره شاعراً؟! والدكتور بشر، كيف يمكن أن « يسرق » من أحدهما إذا كنا نعتقد أنه قدم لنا أثراً فنياً صحيحاً فى حدوده؟! ثم الشاعر على محمود طه الذى غنى له عبد الوهاب فأطرب الناس جميعاً، كيف يمكن أن « يشعر » لغيره؟!

أخرجوا السرقة من حساب الفن، لأنها « سيكولوجيا » لا يمكن أن تكون. وإذا أردتم أن تقدروا صورة فنية فاقصروا القول على نصيبها من « الصدق أو « التعبير » أو — فى كلمة واحدة — اقصروه على تقدير نصيبها من « الإيحاء »

إن الأستاذ على محمود طه رجل فنان بلا شك، لأنه قال « الجندول » فكان « كذوباً ». إنه يمثل ذلك الفنان الذى يشعر بالشيء ولا يستطيعه فيتغنى به. هو نفسه يعلم أنه لم يركب تلك « الجندول » التى أرانا إياها فى عرض القناة فى ذلك الجو السحرى فى « فينسيا »، ويعلم أنه إن كان رأى تلك السمات الشرقية والشعور الذهبية، فهو لم يذق شيئاً منها، ولم يقل لأحد « خذ » ولا أحد قال له « هات »[(1)]

هكذا نرى شاعرنا واحداً من أصحاب « بولان » Paulhan الفنانين الكذابين الذين يصفهم فى كتابه « كذب الفن » Le Mensonge de l'Art وعلى هذا الأساس يمكن أن ننظر فى أشعاره إذا أردنا أن ننقده ونبين قيمته كفنان

أما صاحبنا الدكتور، فبيننا وبينه حساب قد يكون عليه عسيراً، إذا هو لم يرحبنا وانعطافنا، وبالتالى صدقنا؛ وقد يراه يسيراً، بل ولطيفاً، إذا هو أدرك سعينا للحق الممكن، وكان ممن تهفو فطرهم السليمة إلى جمال هذا الحق، وهو من أولئك فيما يخيل إلينا

وعلى أى حال، فالطريق الصحيح عندنا هو أن نسأل: ما قيمة مسرحية « مفرق الطريق » من الناحية الفنية؟

إن الدكتور بشر يقدمها إلينا صورة صادرة عن « نفسه » ويقدم لها، فيذكر أنه عمد فى تأليفها إلى أسلوب الرمزيين فى الفن، ثم يحاول أن يضمّن تقديمه تفسيراً لمذهب هؤلاء الرمزيين، فهل بلغ فى هذا غاية تستدعى الرضا؟!

---

(١) الذى نعلمه ونؤكده أن صديقنا المهندس الشاعر قد زار البندقية فى سنة ١٩٣٨، وركب الجندول، وعابث الحب، ثم نظم هذه الأغنية الخالدة هناك. (الرسالة)

لقد ندعى أنه لم يبلغ غاية يمكن الوقوف عندها ، بل يبدو لنا أنه أراد أن يفسر الرموز الفنية فطمسها ، وأراد أن يطبق ما « تعلمه » منها فجاءت مسرحيته شيئاً مصنوعاً وناقصاً معاً

انظر يا دكتور !

ألست تحدثنا فى تقديمك عن « استنباط ما وراء الحس من المحسوس وإبراز المضمر وتدوين اللوامع والبواده بإهمال العالم المتناسق المتواضع عليه المختلق اختلاقاً بكد أذهاننا طلباً للعالم الحقيقى ... عالم الوجدان المشرق » ؟ ! ألست تحدثنا بهذا النزوع الصوفىّ ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التى تفيض عن المخيلة والشعور والرمزية الفنية التى تعتمد على المخيّلة مضافاً إليها عنصر عقلى كما يقول « ريبو » Ribot فى كتابه L'Imagination Créatrice ! !

أولم تحدثنا يا دكتور بشىء لا شعورى يطويه الإنسان « فى المكان القصىّ من سريرته ... لا يفصّل ولا يمال ولكنه يعرض خطفاً . فكأن المنشئ يتوجس كيف تجاوب نفسه جرس الأشياء الخارجية من دون أن يتحمل ترتيبها ولا تأويلها فتعدل عن البسط والتبيين إلى إثبات البرق الذى التوى فى السحاب ... » تقول ألم تحدثنا بهذا أيضاً ، مع أنه وصف للتخيل الصوفى الذى يؤلف بين الصور الباطنة المبهجة ويستخرج منها رموزاً يستعملها كما هى ، بعكس الرمز فى الفن الذى يحصل من تحليل الصور والحركات والألوان ؟ !

ثم ما رأيك فى أن « ريبو » يقصد بالرموز فى الفن : « أن يفقد بعض الألفاظ استعماله المعقول المعروف ليدل على معنى جديد » بينما أنت تقرر فى توطئتك أنه بعيد أن يكون الرمز لوناً من التشبيه أو الكناية إلى غير ذلك ؟ ! ما رأيك فى هذا ، وعلى الأخص ، بعد أن خالفت أنت نفسك ، فأشمت الكثير من هذه الرموز فى مسرحيتك ، كقول سميرة « مثلك يحرق ولا يدفىء » وكقولها « بينى وبين الدفء رائحة حريق » ؟ !

الحق أنه ليس يلزم أن يعرف الأديب فلسفة الفن لكى ينفحنا آثاراً جيلة ، بل نحن لا نعرف من الفنانين من كان يعرف هذه الفلسفة غير قليلين من أمثال « تولستوى » ، ولهذا نغفر للأستاذ بشر تلك الكبائر التى ساقها فى مقدمة مسرحيته ، لأننا لم نعرفه فيلسوفاً وإنما عرفناه أديباً

وإذن فكيف نجد « مفرق الطريق » ؟ ما قيمتها الفنية كقطعة رمزية ؟

إن « ريبو » فيلسوفنا نفسه ، يقرر أن الرمزية فى الفن « تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً ... فإذا الناس والأشياء تمرّ دون أن تنطبع بزمان أو مكان ، ولكنها تمضى وما ندرى أين حصلت ولا متى ، فلا هى تمتّ بصلة لأى بلد ، ولا هى تمثل عصراً بذاته ... وقد تمعن فى الإبهام فتقول : هو ـ أو ـ هى ـ أو ـ أحدهم » . هذا ما يقرره « ريبو » فهل هو مستوفى فى مسرحية بشر ؟

« مفرق الطريق » تجرى حوادثها فى مصر ، فى أحد شوارعها « أمام صفّ من المنازل المنخفضة على شكل المنازل التى تصاب الآن فى الأحياء القديمة » . والمؤلف مع أنه يستغرق فى الرمزية بتسمية « الأبله » و « هو » إلا أنه لا يلبث أن يضيع هذا التأثير باستعمال اسم « سميرة » . وما كان عليه لو سماها « هى » رمزاً كصاحبها وإبهاماً ؟ !

أولئك الهنود مثلاً ... تأمل كيف صوروا الذكاء العبقرى والقوة البارعة فى شكل شخص ذى رءوس كثيرة وأذرع وأرجل عديدة ؟ وهؤلاء المصريون أيضاً ، تأمل كيف جعلوا لأبى الهول رأس إنسان رمزاً للحكمة إلى جسم أسد رمزاً للبطش ؟ ! حتى إذا تخيلت سميرة والأبله و « هو » وجدتهم ناساً يمثلون ألواناً محلية محددة بزمان ومكان ! !

* * *

وبعد فيا دكتور ؟ ألا ترى الآن مسرحيتك « مطبوخة ... ولكنها غير ناضجة ... » ؟ وهلا ترى أن المركة كانت على اللحاف فى الواقع ؟

مهما يكن رأيك ، ومهما تكن آراء أصحابنا ، فنحن يسرنا أن نلاقى من يشاء منكم بشرط أن يكون كلامنا « موضوعياً »

محمد متولى
ماجستير فى الفلسفة
ومفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

على هامش النقد :

بمناسبة ذكرى حافظ

للأستاذ سيد قطب

كان مقدراً أن تنشر هذه الكلمة بمجلة الثقافة ، وكنت أعتبر هذا من جانبي مراعاة للياقة ، لأن المقال نقد لبعض آراء الأستاذ الكبير أحمد أمين في الأدب ، فأولى أن ينشر في مجلته ولكن « الثقافة » رأت غير هذا الرأى ، فلعلى لا أكون مسئولا عما في نشر هذه الكلمة هنا من مجانبة للمجاملة الواجبة . سيد قطب

منذ أيام قابلني أحد المتأدبين فبادرني بقوله : « أين قصائدك في الحرب وأهوالها ؟ » فلم أرد أن أجيب الجواب الجدى على هذا السؤال ، واكتفيت أن أقول : إنما يتكلم اليوم المدفع والدبابة ، فلا حاجة إلى ألسنة الشعراء !

ومنذ سنوات ، وأنا أقرأ في الصحف أو أسمع في المجالس ، أن الشعر قد مات بموت شوقي وحافظ ، لأن شعراء مصر الحاليين لا ينظمون في أحداث مصر ولا يسجلون مناسباتها الهامة في قصائدهم ، ولا ينوبون عن الجماهير في تصوير عواطف الجماهير !

وأذكر أنني لم أحفل كثيراً بما قرأته وسمعته من هذا القبيل لأنه — لحسن الحظ — لم يكن يصدر من أناس لهم صفة الإمامة أو سلطة التوجيه ، فلم يكن له من الخطر ما يحفز إلى دفعه أو تصحيح الرأى فيه

وكنت مطمئناً إلى أن المدرسة الحديثة — وعلى رأسها الناقد الكبير الأستاذ العقاد — قد أفلحت في تصحيح الأفكار عن الشعر والشاعر في خلال ثلاثين عاماً لم تفتر فيها عن بذر بذور جديدة لتقدير الأدب والأدباء

ولكني استمعت إلى كلمة الأستاذ الكبير أحمد أمين عميد كلية الآداب مساء الأمس في ذكرى المرحوم حافظ بك إبراهيم ، فأحسست حقيقة بالخطر . وعلى رغم أنني في هذه الأيام مريض مرضاً يقتضى الراحة التامة لم أجد أن خطر المضاعفات المرضية أشد من خطر الفكرة التي بدت في ثنايا كلمة الأستاذ ، والدعوة الضمنية التي دعاها لشعراء الجيل ، فجلت أكتب هذه الكلمة على عجل !

ليست أمامي نصوص خطبة الأستاذ الكبير ، وإنما أنا على ذكر من فحواها بعد السماع ، وهي تتمنى فيما أعتقد أن يقوم بيننا من يخلف شوقي وحافظ في تسجيل أحداث مصر والهتاف بما في نفوس جمهورها ، وبلورة أحاسيسه وصياغتها . ولم ينس الأستاذ أن يكون من هذه الأحداث التي لو رآها حافظ لقال فيها : توزيع البترول بالبطاقات . وبدا في كلام الأستاذ ونبرة الأسى على موت حافظ دون أن يخلفه أحد في منزلته هذه ، أن هذه المزية تقتضى الأفضلية ، وأنها أهم أدوات الشاعر وأفضل اتجاهاته ، ولهذا تمنى أن يخلفه في مصر خلف من الشعراء

وهذه دعوة خطرة . ومنشأ خطرها أن الهاتف بها هو الأستاذ أحمد أمين مؤرخ الأدب وعميد كلية الآداب ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر وصاحب مجلة « الثقافة » وهو بهذه الصفات وبماضيه الأدبي وحاضره يملك سلطة التوجيه وله صفة القدوة .

***

ولا يمنعنا مقام الأستاذ الكبير واحترامنا العميق لشخصه وعلمه ، أن نبدى الرأى الذي يقابل رأيه ، وأن نرسل بهذا الرأى إلى مجلة الثقافة التي يشرف عليها !

ونحن نقول في جملة واحدة ، وفي نفس واحد كذلك : إن هذه دعوة إلى نكسة من نكسات الشعر بعد ما تجاوز مرحلتها في مصر وفي العالم منذ أزمان ، ونتمنى على الله ألا يخلف شوقي ولا يخلف حافظ — مع احترامنا لذكراهما — خلف من الشعراء في خلة التعبير عن شعور الجماهير وبلورة هذا الشعور ، ورصد الشعر للأحداث القوميــة والعالمية على طريقتهما وطريقة من يقلدونهما في هذا الزمان !

وأحب أن أبادر هنا بالتنبيه إلى أن شخص شوقي وشخص حافظ في ذمة التاريخ وبين يدى الله ، أما شعرهما ففي ذمة النقد وبين أيدينا نحن ! فليس من العقوق وليس من عدم اللياقة أن نتناول طريقتهما وشعرهما بالنقد ، لأننا بحمد الله لا نؤمن بلياقة العوام ! ولا بآداب الصالونات !

وعلى وجود الفرق بين حافظ وشوقى فى تسجيلهما للأحداث إذ كان حافظ يسجلها لأنه واحد من الجماهير التى تحس بها ، ولأن شعور الجماهير كان يتبلور فى حسه فينطق به . أما شوقى فكان يسجلها تمشياً مع اتجاه الجماهير ، وتوخياً لهاب الرياح ، وتيقظاً لما تتطلبه الأحاسيس العامة

على وجود الفرق بينهما فى هـذا ، وأفضلية حافظ ولا ريب بالقياس إلى بواعث القول فى نفسيهما ، وإن فضله شوقى فى الأداء واتساع الآفاق فى هذا المجال — على وجود هذا الفرق فإن كليهما كان يمثل شاعر القبيلة على وضع من الأوضاع

وشاعر القبيلة الهاتف بأحاسيسها العامة ، المسجل لأحداثها العامة ، الذى تفزع إليه فى الملمات ليقول ، وتتطلع إلى شفتيه لتتلقف منهما ما تحس به ولا تطيق التعبير عنه

هذا الشاعر على عظم فضله ، وجلال « منفعته » لأمته ليس هو الشاعر المثالى الذى تتطلع إليه الآداب الرفيعة ويحفل به تاريخ الفنون

وإنما هو حلقة بين الشاعر البدائى وشاعر الشخصية المستقلة هذا الذى يرى الكون من خلال نفسه الخاصة ويعرضه علينا فنتلقاه كأنه نموذج منفرد لكون جديد ، ونعرضه فى متحف الفنون مع زملائه ؛ فإذا لدينا أكوان جديدة بعداد الفنانين الذين نستعرضهم ، لا صوراً متشابهة من أحاسيس الجمهور فى فترة من الفترات

وشاعر الشخصية هذا قد يعرض لأحداث أمة أولا يعرض، وقد يتلاقى إحساسه مرة مع إحساس الجماهير أو لا يتلاقى أبداً، ولكنه يبقى مع هذا شاعراً أصيلاً للحياة ، فى شاعريته غرض مقصود ، وللفن فى ديوانه نموذج من النماذج النفسية الموموقة . ويبقى فى أسوأ حالاته أرفع وأخلد من شاعر القبيلة الذى تلتقى فى نفسه وتتبلور أحاسيس الجمهور

وقد لا ينتفع جيل هذا الشاعر به كما ينتفع بشاعر القبيلة ولكن يجب أن نفهم أن نظرية المنفعة ليست هى المحكمة فى أقدار الفنون ، وأن الشاعر ليس مطالباً أن « ينفع » جيلاً بذاته من الناس ، وشاعر الشخصية لا بد نافع ونافع فى دائرة أسمى وأوسع وأبعد أثراً من شاعر القبيلة ، بما يجلوه من نماذج رفيعة قد لا تطرق أى حدث واضح من الأحداث العامة

ويجب ألا ننسى أن شاعراً واحداً من شعراء الشخصية يعلم أمته حب الجمال فى أعاطه العالية ، إنما يعلمها من معانى الحرية والثورة على الاستعباد أضعاف ما يعلمها شاعر من شعراء القبيلة يناديها كل يوم بتحطيم القيود ورفض الاستعباد

فالنفس الإنسانية لا تتسامى لحب الجمال الطليق ، ولا تحس حقيقة هذا الإحساس الرفيع ، ثم يبقى فيها ظل للاستعباد أو صبر على بقاء الأغلال ، وهى وشيكة حينئذ أن تخلص من الاستعباد الخارجى ومن مساوىء الحكم والاجتماع الداخلى فى آن لأنها تسامت بإحساسها وذوقها وكل عنصر داخلى فيها عن مهاوى الذل والفساد

وقصاري ما يقال فى شوقى أو فى حافظ ـ رحمهما الله ـ أنهما شاعران ممتازان بالقياس إلى عصرهما ، وأنهما أديا الواجب عليهما فى حلقات النهضة الأدبيـة لأنهما شاعران ممتازان بالقياس إلى الشعر فى جميع الأزمان

وإنك لتجردهما من زمانهما وظروفهما فتجردهما من خير ميزاتهما الفنيـة ؛ وليس كذلك شعراء كالمتنبى وابن الرومى والمعرى وأضرابهم فى الشرق والغرب ، لأن هؤلاء من شعراء الشخصية النموذجية ، وهذان من شعراء القبيلة العامة

وليس أدل عنـدى من اطراد النهضة الأدبية فى مصر ـ مع قلة الأدلة على هذا مع الأسف ـ من أن أحداً لم يخلف شوقى ولم يخلف حافظ فى طريقتهما ، لأننا بهذا توقينا النكسة إلى شعراء القبيلة ، وإن لم نرتق إلى شعراء الشخصية إلا فى عدد نادر جداً من بين شعراء هذا الجيل

(حلوان) سيد قطب

على هامش الحرب

الطابور الخامس فى القرآن

المنـافقون

للأستاذ عبد الرزاق ابراهيم حميدة

— ٥ —

مواقفهم من حروب الرسول : فى أحد . فى الأحزاب . فى تبوك . إشاعاتهم السيئة عن جيوش المؤمنين . إمهال النبى لهم عسى الله أن يتوب عليهم . عاقبة المصرين .

وقف المنافقون من حروب النبى موقف المُخَذِّل المثبِّط ، الجبان الرعديد ، الناقض لما عاهد الله عليه ، الطامع فى المغنم ، المقصر عن نصرة الدين . ولقد كان شرهم مستطيراً حقاً . لأن المؤمنين كانوا يركنون إليهم ، ويَعُدُّونهم من أنصارهم ، فإذا الشر أبدى ناجذيه للمؤمنين قعد هؤلاء عن نصرتهم ، وشمتوا عند هزيمتهم ، وقبضوا أيديهم عن إعانتهم ، واعتلوا لذلك بعلل سخيفة مزيفة قَصَّ الله على أنها كاذبة ، وبين أنهم دعاة الهزيمة ، وأنصار العدو ، بل زاد على ذلك فاعتبرهم عدواً وقال للرسول فيهم وفى جُبنهم « يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . »

وأى طابور خامس أشد خطراً من المنافقين الذين أحسن المسلمون عشرتهم ، وائتمنوهم على أسرارهم وأخلصوهم الود ، واتخذوهم بطانة ، وأمنوا جانبهم ، ولم يحسبوا حساباً لخيانتهم وغدرهم ، ولم يضعوا خطة لتَوَقِّى شرورهم ، فاستمانوا بذلك على إيذائهم ، وإنزال الضر بهم ، وظنهم وقت الحرج والانتقاض عليهم عند المحن والشدائد ؟

وفى قَصَصهم يوم أحد ، وفى وقعة الأحزاب وتبوك ما يبرهن على أنهم كانوا أضرَّ على المؤمنين من العدو الخارجى ، وأنهم خانوا الله والرسول ، ونقضوا الأيْمانَ ، رغبة فى إبادة المؤمنين ، وطمعاً فى إزاحة الدين الجديد من بلادهم .

لما انهزم المشركون ببدر فكروا فى الثأر من المسلمين ، وفى السنة الثالثة للهجرة خرج أبو سفيان فى ثلاثة آلاف مقاتل يريد غزو المدينة ، فسمع النبى بقدومه ، فاستشار أصحابه ، فأشار عليه عبدالله بن أبىّ – وكان رأساً فى الأنصار إلا أنه كان يضمر نفاقاً – أن يبقى بالمدينة ، وقال له : ما خرجنا على عدو قط إلا أصاب منا وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم . وكان رأى النبى البقاء ، لكن قوماً ممن لم يشهدوا بدراً ودُّوا الخروج لينالوا شرفاً مثل شرف الذين شهدوا بدراً . فنزل النبى عند رأيهم ودخل بيته ولبس لامته . فندم هؤلاء على إلحاحهم ، وقالوا للنبى : إن شئت خرجنا وإن شئت بقينا . فقال : ما كان لنبى لبس لَأْمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . وخرج جيش المسلمين ، وعلى مقربة من أحد انخذل ابن أبىّ بثلث الناس ورجع إلى المدينة ، وقال : علام نقتل أنفسنا وأولادنا ؟ وهمَّ بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس أن يفشلوا كذلك تقليداً للعمل السيء الذى قام به ابن أبى ، ولكن الله عصمهم وقال فيهم : إذ همتْ طائفتان منكم أن تَفشلا والله وليُّهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون . والتقى الجمعان بأحد ، ودارت الدائرة على قريش أولاً . فلما شغل المؤمنون بجمع الغنائم ، وخالف بعض الرماة أمر النبى ، وتركوا مكانهم الذى وقفهم فيه ، انكشف ظهر المسلمين للعدوّ ، وكان على فرسان المشركين خالد بن الوليد ، فأتى بفرسانه ، وأعمل السيف فى رقاب المؤمنين ، فاختلط أمرهم ، وفر كثير منهم ، وثبت النبى وصفوة أصحابه ، ونادى فى المنهزمين : إلىَّ عبادَ الله ! فعادوا وكشفوا عنه جيش المشركين ، ثم تحاجز الفريقان ، بعد أن قُتِل من المسلمين سبعون ، منهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب

كان فى الجيش قوم من المنافقين لم ينخذلوا مع ابن أبى ، فلما رأوا ما حل بالمسلمين ظنوا بالله الظنون ، وقالوا : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتِلْنا هٰهُنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم . أما الذين لم يشهدوا الحرب ، فقد شمتوا بالمؤمنين ، وظنوا أن الهزيمة كانت بسبب مخالفة المؤمنين لرأى ابن أبى ، وهم الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا ، لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين . ثم بيّن الله أن سبب الهزيمة هو إرادته أن يَميزَ الخبيث من الطيب ، وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا . ونهى الله المؤمنين عن اتخاذهم بطانة ، وحذرهم أمرهم فقال : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عَنِتُّم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم

أ كبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون

ولما أخرج الرسول يهود بنى النضير من المدينة لم تهدأ لهؤلاء ثائرة حتى جمعوا الأحزاب من قريش ومن أطاعها من الأحابيش ، ومعهم أسد وغطفان ، وساروا إلى المدينة فى عشرة آلاف مقاتل يريدون استئصال المؤمنين ودينهم . واستطاع اليهود أن يضموا إلى جانب الأحزاب بنى قريظة ويحملوهم ينقضون عهدهم للنبى ، واتقى النبى الأحزاب بالخندق الذى حفره ليحجز الغزاة الفاتحين . أما بنو قريظة فقد حفظ الله المؤمنين من شرهم على الرغم من شدة خطرهم فى ذلك الوقت ، وأما المنافقون الذين ظنوا أن هزيمة يوم أحد كانت لخروجهم من المدينة إلى عدوهم ، فقد قالوا هم والذين فى قلوبهم مرض يوم الأحزاب : « ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » وحاولوا أن يصدوا المدافعين ويضعفوا إيمانهم بالنصر لأن العدو كثير العدد ، واعتذروا عن الدفاع ، واستأذن بعضهم النبى فى الانسحاب إلى بيوتهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً ، ولو دخلت عليهم من أقطارها ، ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكان عهدُ الله مسئولاً . قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ، وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً . قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً . قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ، ولا يأتون البأسَ إلا قليلا » . أولئك هم المنافقون الجبناء الذين كانوا يحاولون إضعاف جيش المؤمنين ، وتثبيط الجنـد عن الدفاع والاعتذار بأعذار واهية كاذبة . وهم الذين يقول الله فيهم بعد : « فإذا جاء الخوف رأيتَهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يُغشى عليه من الموت ، فإذا ذهبَ الخوفُ سلَقُوكم بألسنةٍ حدادٍ » من أجل طمعهم فى الغنائم بما لا يتفق مع جبنهم وقعودهم وتثبيطهم غيرهم « أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً »

وكان هنالك المرجفون فى المدينة يؤلفون أخبار السوء عن سرايا رسول الله ، فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت ، فأى خطر أشد من هذا ؟ أليس ذلك قتلاً للروح المعنوية وتنفيراً للناس من الجهاد ، وفضـاً للمستضعفين من حول النبى ؟ من أجل هـذا هددهم الله وخوفهم ، وقال لرسوله الكريم : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ، والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا »

فهل انتهى المنافقون بعد هذا التخويف ؟ وهل انتهى الذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة ؟ سنرى من موقفهم فى تبوك أنهم لم ينتهوا . وإن كثيراً منهم أخلفوا الله ما وعدوه . وزادهم حلم النبى الكريم ومعاملته لهم على حسب ظاهرهم ، وإمهال الله لهم ، إمعاناً فى النفاق ، وكيداً لنبيهم ودينه وأصحابه ، واستمر ذلك حتى فتحت مكة ، ودانت ثقيف وخضعت الجزيرة العربية ، ووجه الرسول جهاده إلى خارجها

فى السنة الثامنة وجه جيشه إلى الروم فى الشمال ، وأمر على الجيش ثلاثة من كبار الصحابة ، وأحس النبى الكريم بأنهم قد يقتلون جميعاً ، فلما التقت جيوش الروم بالمسلمين عند «مؤتة» قتل قواده الثلاثة كما عينهم ، واختار المسلمون بعدهم خالد بن الوليد فأفلح فى الانسحاب ، ولم يتبعه الروم داخل الجزيرة خشية أن يكون انسحابه مكيدة حربية يجر بها الروم إلى داخل الصحراء ثم يضربهم

وفى السنة التاسـعة للهجرة أراد النبى أن يجهز جيشاً للثأر من الروم ، وإتمام ما بدأه فى مؤتة . وكان الوقت الذى اختاره للخروج وقتاً شديد الحر ، والمسلمون فى عسرة من الظهر ، وقد طابت الثمار ، والناس يحبون البقاء فى ثمارهم وظلالهم ، وتجهز الجيش ، وساهم الصحابة بما يستطيعون لتجهيزه وخرج النبى بجيشه وركائبهم قليلة حتى كان يعتقب العشرة منهم على بعير ، وزادهم قليلٌ حتى اقتسم التمرة منهم اثنان . وماؤهم أقل حتى نحروا الإبل وشربوا ما فى كرشها . وكان العدو كثير العدد ، والشـقة بينهم وبينه بعيدة ، والحاجة شديدة إلى كل مساعدة مهما قَلّتْ . فماذا فعل المنافقون لنجاحها ؟

الله يشهد أنهم عملوا جهدهم لإحباطها سواء منهم من خرج فى جيش المؤمنين ، ومن رضى بالقعود والتخلف عن رسول الله؟ أما الذين رضوا بالقعود فقد رغبوا بأنفسهم عن نفس رسول الله

واستبعدوا أن يفلح محمد فى هـذه المغامرة ، وتحدثوا بذلك ، وأغروا غيرهم بالقعود ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، واستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى التخلف معتذرين بأعذار كاذبة ، والحق أنهم جبنوا وبخلوا وكان أملهم ضعيفاً فى انتصار المسلمين والفوز بالغنائم ، وقد بين الله ذلك فى قوله : « لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم . يهلكون أنفسهم ، والله يشهد إنهم لكاذبون » وكان استئذانهم فى القعود لارتيابهم وحرصهم على حياتهم وعدم اهتمامهم بنصرة دين الله : « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم » لعلمه بما فى نفوسهم من غل وما يدبرون من فتن ، وما يحدثون من اضطراب وتفريق فى جيش المؤمنين « فثبطهم ، وقيل اقعدوا مع القاعدين » ، ثم بيّن الله نوع الضرر الذى يصيب المسلمين من خروجهم معهم فقال : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » ولأسرعوا بالوشاية والإفساد بينكم ، ومع ذلك فقد خرج قوم منهم يتجسسون لمن قعد وهم الذين عناهم الله بقوله : « وفيكم سماعون لهم »

سار الركب فى طريقه إلى تبوك (فى منتصف الطريق بين المدينة ودمشق) وفيه بعض المنافقين وصار هؤلاء يسخرون فى الطريق من الفكرة التى خرج النبى من أجل تحقيقها ، وقال بعضهم لبعض : أنظروا إلى هـذا الرجل ! يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها . هيهات هيهات ! أليس فى هذا القول ما يزلزل قلوب المستضعفين من الجند ، ويذهب حرارة الإيمان والثقة بالنصر من قلوب المؤمنين ؟ ومتى شاع مثل هذا الضعف ، وعدم الثقة فى جيش فعليه العفاء . ثم أليس ذلك مصداق قوله تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » ؟

أطلع الله النبى على ما تهامس به أولئك المنافقون الذين خرجوا معه ، فقال : احبسوا علىّ الركب . وأخبرهم بما قالوا ، فحلفوا إنهم ما كانوا فى شىء من أمره ولا من أمر أصحابه ، وإنهم كانوا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصروا على أنفسهم الطريق ، وذلك قول الله تعالى : « ولئن سألتهم ليقولنّ إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين »

وقد فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، ولمزوا الذين تطوعوا من فقراء المؤمنين بما يملكون لقلة ما قدموا ، فتكفل القرآن بالاستهزاء منهم وألحقهم بالنساء ، لأنهم هم الذين وضعوا أنفسهم هذا الوضع ، و « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون »

وكان لا بد بعد هـذا الإمهال وفتح باب التوبة زمناً طويلاً من أن يكشف الله أمرهم ويهتك سترهم ، وأن يعاملهم المؤمنون بما يستحقون ؛ فنهى الله النبى عن قبولهم فى جيشه مرة ثانية . ونهاه عن الصلاة على من يموت منهم والدعاء له فقال : « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبداً ، ولن تقاتلوا معى عدواً ؛ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة ، فاقعدوا مع الخالفين . ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ؛ إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون »

ولم يكن النفاق مقصوراً على المدينة وحدها ، بل كان من الأعراب منافقون هم أشجع وأسلم وجهينة وغفار ، وهم بحكم بيئتهم وغلظة قلوبهم وبعدهم عن متنزل الوحى « أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » وكان منهم من يتخذ ما ينفق فى سبيل الله مغرماً ، ويتربص بالمؤمنين الدوائر ، عليهم دائرة السوء . لم يخرجوا إلى تبوك وجاءوا إلى المدينة ليؤذن لهم ، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ، ولكن منهم من اتخذ « ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته . »

وما ظن القارئ الكريم بالنادى السياسى الذى بناه بنو غنم ابن عوف لخدمة الدين ظاهراً ، ومأوى للخارجين على الرسول ، والمدبرين للفتن ، والمعادين للمسلمين باطناً ، ليقرروهم ويفرقوا بينهم ، وليأوى إليه من حارب الله ورسوله ؟ بئس هذا البناء وبئس بانوه ، إنهم ساء ما كانوا يعملون .

أما هذا البناء فهو مسجد الضرار ، والذين بنوه هم بنو غنم ابن عوف . يروى أن بنى عامر بن عوف لما بنوا مسجد قباء ، وهو مسجد أسس على التقوى من أول يوم — بعثوا إلى

رسول الله أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه ، فحسدهم إخوانهم بنو غنم ابن عوف وقالوا نبنى مسجداً ونرسل إلى رسول الله يصلى فيه ، ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام — وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد : « لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم » فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين — فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء . وقالوا للنبى : بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة ، ونحن نحب أن تصلى لنا فيه . فقال : « إنى على جناح سفر ، وإذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلينا فيه » . فلما قدم من غزوة تبوك سألوه الصلاة فى المسجد ، أو بعبارة حديثة ، سألوه أن يفتتح هذا النادى السياسى المستور الغرض ليكون ذلك أستر لغرضهم وأدعى إلى تقوية مركزهم ، وأكثر جاذبية للمسلمين ، فنزل قوله تعالى فضيحة لهم ، وبياناً لنواياهم الخفية ، إنهم اتخذوا هذا المسجد « ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً . لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » وهـذا هو مسجد قباء ؛ فأمر النبي أن يهدم المسجد الجديد وأن يتخذ مكانه كُناسة تلقى فيها القمامة . ومات أبو عامر الراهب بالشام ، وفسدت الخطة التى دبرها بنو غنم بن عوف « إن الله لا يصلح عمل المفسدين »

وكانت غزوة تبوك حداً فاصلاً بين سياسة المسالمة وسياسة العداوة الصريحة من المسلمين للمنافقين بعد أن هيأ الله لهم الفرصة زمناً طويلاً ليتوبوا ، فمنهم من تاب فعفا الله عنه ، ومنهم من أصر على كفره ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له جهنم وساءت مصيرا وانتهى عملهم بعد ذلك ، واستراح النبى من شرهم وضرهم

ومن كل ما كتبناه فى الموضوع يتبين أن الطابور الخامس فى القرآن هم اليهود والمنافقون ، وكانت سياستهم ترمى إلى التشكيك فى الدين ، والطعن فى النبى وآله ومحاولة صرف الناس عنه بتجريحه ، والأمل فى القضاء على دعوته سراً وجهراً بمعاهدته حتى يأمن لهم ، ثم نقض هذه العهود وقت الشدة ، فكان جزاؤهم ما حل بهم من قتل وتشريد ، وما أنزل الله فيهم من طعن وإهانة ، وما أعده لهم من عذاب أليم ، ثم نصر الله رسوله والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين .

عبد الرازق ابراهيم حميدة

خواطـــر فى الحرب

الأستـــاذ محمد عرفة

لقد لعب قانونا الترف والخشونة أعظم دور فى هذه الحرب . فمن عرف فتك الترف بالشعوب ، وتقويم الخشونة للأخلاق ، وساعدته ظروفه على التخلص من الترف ، والأخذ بالخشونة ، كان له النصر على من لم يوفق لذلك

هذه ألمانيا ألقت سلاحها فى سنة ١٩١٩ ، فشرطت عليها شروط ، وفرضت عليها مغارم ، ظنت فى هذه وتلك أنها مجحفة بها ، فأرادت أن تدفع هذا الإجحاف ، فلم يكن ما يسعفها إلا قانون الخشونة فلجأت إليه وفرضته على الناس فرضاً

كان كل كسبها موجها إلى تعزيز قوتها ، لا إلى رفاهية أبنائها ، حتى شاعت فيهم هذه الكلمة : المدفع قبل الزبدة ، وكان المرء فيهم يعمل ولا يمل العمل . وكان عليه أن يكسب ما يسد منه بمض الغرامة ، وما يعول أسرته ، وما يكون منه شراء السلاح وإنماء قوة ألمانيا

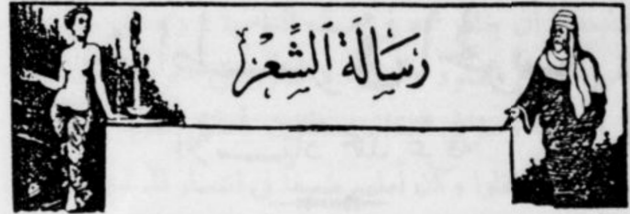
ما كان يستطيع أن يأتى بهذه المعجزات إلا قانون التقشف ، فبه وفرت هذا المال الذى أوجد هـذه الأسلحة التى لا تنفد ، ولو سلط على هذا المال الترف لابتلعه . وبه استطاعت أن تصبر فى ميادين الحرب المختلفة حتى كان الجندى يمكث أياما محاربا لا يذوق فيها النوم ولا الراحة

وهذه فرنسا لم توفق إلى ما وفقت إليه ألمانيا فى الاستعداد لهذه الحرب والأخذ بالخشونة فسلمت فى أول مراحلها

وهذه انجلترا وإن كانت قد تمتعت بثمر انتصارها فى الحرب الماضية ، وتباطأت لذلك فى الاستعداد عن ألمانيا ، ولكنها قد بدأت ، ودعت أخلاقها الوروثة التى ولدتها فيها الروح الرياضية المبنية على التقشف ، فاستجابت إليها ، فلما وقع حمل الحرب على كاهل بريطانيا وحدها لم تنؤ به ، ووجدت فيها ألمانيا خصما يساجلها ثباتاً بثبات ، ومقاومة بمقاومة .

ولم أسرد ما تقدم للمتعة ، ولذة القصص ، فما بى ذلك ، وإنما بى أن أضع يد قومى على موضع العظة ، وأدلهم على موضع العبرة ، وأبين لهم الترف ، وهدمه للأمم ، والخشونة وبناءها للشعوب ، فلعلهم يجديهم الوعظة ، ويكون منهم الاعتبار .

محمد عرفة



من أدب الحرب

محنة فرنسا

للأستاذ محمود غنيم

رحماكَ ربِّ إلامَ نصلى نارَها ؟ فنىَ العباد ولم تضع أوزارَها
غابت ملائكة السلام وأصبحت تذرو أبالسة الجحيم غبارها
قبضت على سكانها يدُ مارد جعل الصبيب من الدماء بحارها
رقطاء حول الكون لفّتْ جسمَها فقضت عليه وما قضت أوطارها
فى كل واد ثورة مشبوبة لا يطفئُ البحرُ الخضم شرارها
حتى كأن الأرض من إعيائها سكنت وأخطأت النجوم مدارها
كتب الفناء على البرية ويحهم ما بالهم يستعجلون دمارها ؟
زمر من الأسماك ناطقة إذا ماجاعت ازدرد الكبار صغارها

***

حرب رأيتُ الجوع بعض سهامها فرضت على المتراشقين حصارها
غدت الجبال الشامخات سفينها والزاحفات من الحديد مهارها
الزيت والبترول من آلاتها والعلم ينفخ إن خبت أكوارَها
قد سيَّرت فوق الثرى دبّابها وإلى الكواكب صعّدت طيارها
ملأت قذائفها المحيط فعكرت زبد البحار وكدرت أغوارها
يا بحر ما فعلت مياهك ويحها برفات قوم يسكنون قرارها ؟
كم لابن آدم فى المحيط عجائبا قلّتْ عجائبه الكثيرة جارها
ضجت بنات الماء منه وأوشكت تجفو الطيور لأجله أوكارها

***

يا رُبَّ شعب فى حماه وادعٍ جرفته لجتها فخاض غمارها
ومحاربين لغيرهم أسلابها لكنهم يتحملون خسارها
وذوى عروش طوحت بعروشهم وتخطفت من حولها أمصارها
تتطاير التيجان عن أربابها كالقدر ترسل فى الفضاء بخارها
عبر على مر القرون تشابهت حتى أجاد العالم استظهارها
ورواية من عهد ذى القرنين ما برح الزمان مرددًا أدوارها
أو كلما كادت تتم فصولها منيت بشيطان يزيح ستارها ؟

***

سائل ضفاف السين كيف استهدفت للغزو واقتحم العدا أسوارها ؟
خط حسبنا الجن لو طافت به ولت أمام حصونه أدبارها
أتُرى فرنسا أطبقت أجفانها من خلفه وتجاهلت أخطارها ؟
هيهات لا الحصن المنيع أقالها كلا ولا الأدب الرفيع أجارَها
لا تعدم المرآة كسر زجاجها يومًا وإن كان الحديد إطارها
إن المعاقل لا تحصن أهلها ما لم تحاكِ طباعُهم أحجارها
قالوا : مهادنة . فقلنا : حبذا لو أن هدنتها تقيل عثارها
هيهات ما أرضت بذاك خصومها كلا ولا استبقت به أنصارها
ماذا تقول إذا الجدود تعثرت وإذا المشيئة أنفذت أقدارها ؟
وإذا قضاء الله أحدق بالشرى لم تلق آساد الشرى أظفارها
كالوا الملام لها فقلت : تريثوا يا قوم والتمسوا لها أعذارها
أو ما كفاها أنها ما سلمت حتى روت بدمائها أنهارها ؟
إن قيل عار أن تسلم أمة نهض الدم المسفوح يغسل عارها
إنى لأشفق أن يكون مصيرها أزرى بجوهرها وشاب نضارها
ومحا محاسنها فعدن مساوئًا وأحال لؤلؤها فصار محارها
من يكبُ لم تعذره عثرتُه ومن ينهضْ تقلده الأعادى غارها
والنفس تُعجب بالقوى وإن يكن جلادَ تلك النفس أو جزارها

***

أسألت باريس الجريحةَ مالها ؟ سل أهلها هل قوموا منهارها ؟
سلها بربك كيف ذل عزيزها وتحملت أسد العرين إسارها ؟
كيف الغوانى والمغانى بعد ما طمس المغير بجيشه آثارها ؟
بالله هل عاث العدو بأرضها وهل استرقَّ بيأسه أحرارها ؟

ماذا أصاب مدينة الأزياء هل أبلى القتال المستحرُّ إزارها ؟
هل أظلمت آرادُها ولطالما حسد النهار وشمسه أسحارها ؟
وهل المخابئُ أصبحت مأوى لمن كانت مقاصير المسارح دارها ؟
راعت أراملها الحروبُ وخلفت في حسرة لا تنقضى أبكارَها
من كل نافرة يدق فؤادها لم ينفر الظبي الغرير نفارها
نفرت من الحرب الضروس ور بما كان النفار من الدلال شعارها
ما للتى ألف المزاهر سمعهــا وزئيرَ آلات الوغى وخُوارها ؟
حملت همومَ الحرب فى باريس مَن كانت يداها تشكوان سُوارها
كم غبّرت بدخانها وجهاً إذا بصرت به شمس السماء أغارها
سائل عن القبلات أهليها أما زالت تمس شفاههم تيارها ؟
كيف القلوب الخافقات صبابة تفشى مواعيد الدجى أسرارها ؟
شهدت خمائلُها مواقع للهوى ما حركت من خيفة أطيارها
شتان بين مواقعٍ ومواقعٍ كلتاهما تشكو الضلوعُ أوارها

***

ما كنت يا باريس إلا روضة منبت بسائمة رعت أزهارها
أصمى الحضارةَ من رماك فإنما قد كان شعبك للبلاد أعارها
وجنت يداه على علوم طالما أجريتِ شرعتها وشدت جدارها
ما ضرنى إن لم أزرها طالباً وقد اقتبست العلم ممن زارها ؟
باريس أين دمشق أم بغداد هل قصّتْ عليك رواتها أخبارها ؟
المدن مثــل الناس فى آجالها تفنى البلاد إذا قضت أعمارها

محمود غنيم
مدرس بمدرسة فؤاد الأول الثانوية

ذكرى الهمشرى

للأستاذ مختار الوكيل

طويتْ بموتكَ صفحةُ الأحلامِ وخبت بفقدكَ شعلة الإلهامِ
لا النهرُ عند الفجرِ يرقصُ عابثاً نَزِقا يُسِرُّ خوافتَ الأنغامِ
كلاّ ولا البدرُ المظيمُ بمسعدٍ فى الليل مهجة حاملِ الآلامِ !

***

مُنذُ انطلقتَ مع الصباحِ مُسارِعًا بجناحِ مشتاقٍ ، صريعِ غرامِ
ونزَعْتَ قَيْدَ الآدميةِ ساخراً من نِيرهِ ، ونأيْتَ دون سلامِ
علَّمْتَنِي أنَّ الحياةَ رخيصةٌ ما دام عُقباها شرابُ حِمامِ
والمجدَ والآمالَ غُــلَّةُ ظامىءٍ فى البيدِ ما يَحْظَى بِبَلِّ أُوامِ !

***

قد أجدبَ الروضُ النضيرُ وصَوَّحتْ أزهارُهُ وذوَتْ على الأكمامِ !
والطيرُ شالَتْ عنهُ إلا بومةً قبعَتْ هناكَ حليفةَ الإظلامِ
تُحْيِي الأماسى بالنعيبِ فيالها من بومةٍ تشدُو بلحنٍ دامِ !
فلَعَلَّها تبكيكَ في غَسَقِ الدُّجى وتصوغُ مرثيةً من الأوهامِ !
ولعلهــا تأتى بلحنٍ صادقٍ وَتَفِي بِدَمْعٍ فى الخُطوبِ سِجَامِ
ولَرُبَّ لحنٍ عاثرٍ مُتَجَهِّمٍ يَذَرُ النهى نشوى بغَيْر مُدَامِ !

***

لبَقِيتَ حتى فى خَفِيِّ سرائرى وخَلَدْتَ حتى فى نُهَى الأيامِ
فإذا هَجَعْتُ فأنْتَ فى أحْلامِي وإذا مَشِيتُ فأنتَ أنتَ أمامِي!
عَجَبِي مِنَ الدُّنْيَا ! أأنْتَ مَعَ البِلَى أمْسَيْتَ كَوْمَةَ أعْظُمٍ وَحُطَامِ ؟
وَيْلُمِّهَا[1] ! مَا إنْ جَلَتْكَ يَتِيمَةً فى النــاس حتى عَاجَلَتْكَ بِحَامِ

***

أسَفِي لِفَقْدِكَ لا يُعَادِلُهُ سِوَى سُخْرِي مِنَ الدُّنيا وَمِنْ آلاَمي !
لا تجزَعَنَّ فَمَنْ قَرِيبٍ نَلْتَقِي فى عالمِ النِّسْيانِ وَالأحْلاَمِ !
وهناكَ أُصْغِي للقريضِ تَصُوغُه فى نَسْجِكَ الحُرِّ الرفيعِ السامى
ونَقَرُّ لاَ هَمٌّ هُنَــاكَ يَؤُمُّنَا مِنْ عَالَمِ الوَيْلاَتِ والإجْرَامِ !

مختار الوكيل

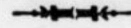
(١) ويلمها : أي ويل أمها . وهي لغة كثيرة الورود فى الشعر القديم



بالفن الى الله :

« هاللويا » كما قال داود !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



روح قوية جارفة ، وجسم قوى حديد . الروح نزاعة إلى لذتها وسمادتها فى أعلى عليين ، والجسم نزاع إلى راحته ومتمته فى أسفل سافلين ، وصاحبهما بهما مسكين ، يرتفع وينخفض ، و (ينشال) وينحط ، ولا يملك أن يستقر ، لا فى الأرض ولا فى السماء ، فهو فى تخبط دائم ما بين مَسْعى روحه وما بين مهبط بدنه كأنه مجنون ، أو هو مجنون ، والجنون فنون ، والفنون جنون . . .

منى على الدنيا السلام

آخر ما غنى فى حياته دور « أنا هويت » ، وآخر بيت فى هذا الدور هو :

ما دمت أنا بهجره ارتضيت   منى على الدنيا السلام

وراج دور الوداع هذا فى الناس ، وسمعه أولئك الذين كان يحبهم سيد درويش ، ومن بينهم تلك التى ظل يغنى لها طول حياته على البعد منها وعلى القرب ، فلم يشعر الناس ولم تشعر هى بشىء وراء هذا الكلام ، لأنه لم يكن أحد يتوقع الموت السريع لهذا المغنى الشاب المملوء صحة والمملوء حياة ...

إلا هو ... فقد كان يتوقع الموت وينتظره ويهيىء له نفسه ...

دعا صديقه الأستاذ بديع خيرى إلى بيته بعد هذا الدور وقبل وفاته بأيام ، وجلس معه فى حجرة علقت على أحد جدرانها صورة من صوره ، وفيما هما يتحادثان سقطت الصورة المعلقة ، فالتفت إليها سيد ، ثم التفت إلى صديقه بديع وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له صديقه بديع : إن هذا حق ، ولكن ما الذى أجرى بهذا الحق لسانك ؟ فقال له سيد : ليس لسقوط هذه الصورة معنى إلا أنى سأموت . فقال له بديع : إنك مجنون، وكان بديع يقصد بقوله هذا أن ما جال فى ذهن سيد ليس إلا وهما خيله له الجنون ، بينما الحق أن الذى جال فى ذهن سيد ليس إلا علماً يكشفه الجنون

آمن سيد بأنه ذاهب ، إيمان الجنون ، نخف من القاهرة إلى الإسكندرية ليودع ليلاه ، وإن كان قد أعلن لنفسه وللناس عزمه على السفر إلى إيطاليا ، فهو لم يكن يعرف عن نفسه أنه يعلم الغيب وما كان أحد ليعلم الغيب ، وإنما هو اضطراب يتلاطم فيه إحساسه بتفكيره ، فهو يقول القول أو يعمل العمل منطلقاً وراء شعور كامن فى نفسه قد يميزه وقد لا يميزه ، فإذا ميزه اطمأن عقله إلى تبريره ، وإلا اضطر عقله إلى السعى وراء تبرير ما يطمئن إن حقاً وإن زورا ...

بينه وبينها

سيموت وسيسافر إلى إيطاليا ...

زارها ، أو استدعاها ، أو التقى بها

— بأى شىء جئت لنا من القاهرة ؟ مانجة ؟

— لا ... بل « بأنا هويت »

— سمعته

— وما رأيك ؟

— « أنا عشقت » أحسن

— أحسن أو غير أحسن ... إنى انتهيت

— وكيف ؟

— سأموت ... قريبا جداً . وبعدها ستدركين أنك قد خسرت شيئاً كان يجب عليك أن تكرميه عند ما كان بين يديك ... أعوذ بالله منك ... كل الناس يهتزون ويرتجون لهذه الأغانى التى أذيعها فيهم إلا إياك ... جامدة كأنك الحجرة ، ومع أنى أعلم أنك حجرة فإنى لا أغنى إلا لك أنت وحدك . حقاً هو قضاء الله وقدره ، وليس لقضاء الله وقدره رد ولا دافع .

— الكوكايين أفقدك عقلك ...

— الكوكايين هجرته ...

— ولكن بعد أن قضى عليك ...

لم يقض عليّ أحد غيرك ... إن مت فدى فى يديك ، وإنه يتساقط من بين شفتيك ... لقد شربت منه حتى ارتويت وحتى جفت الحياة فيّ ...

— مجنون

— ولم أجن إلا بك ... لو أنك أعطيتنى من روحك مثل الذى أخذت من روحى لكنت عشت غير ما عشت ، ولكنت غنيت غير ما غنيت ... ولكن الحمد لله ... فما فى روحك خير ، وما كانت مثلك لتلهمنى شيئاً ...

— ولكنى ألهمتك

— كلا ... وإنما ألهمنى البعد عنك ، والحرمان منك ... قد كنت أستطيع أن أستبدل بك صنما ، قد كنت أستطيع أن أعشق عوضا عنك سلحفاة أو ثعبانا ...

— هل تقول « ثعبانا » يا سيد ... إننى لم أضرك مع أنى كنت أستطيع أن أضرك ، وأنت تعرف أنى أستطيع أن أضرك يا سيد ... فهل هذا جزاء الرحمة منى

— إنك لم تكونى تستطيعين لى ضراً ، كما أنك لم تكونى تستطيعين لى نفعاً ، وربما كنت تستطيعين لى ضراً لو أنك كنت رأيت غيرى أحبك ... ولكن أحداً غيرى لم يحبك ... وإن كان أحد غيرى قد أحبك فكما تعرفين الحب عنـد الناس ... كلام يقولونه هو التغرير والغش ... هو الخداع يرمون من ورائه إلى اللهو بك والعبث بجسدك ... أنت تعرفين هذا ، وأنت تعرفين أنى وحدى الذى تحدى شرك بخيره ، وكذبك بصدقه ، وخيانتك بوفائه ، ودعارتك بطهره : إن حبى لك كان تكفيراً عما أسأت إلى أهلي ونفسي . سأقف به أمام الله وأقول له يارب يامن أودعت هذه الأفعى من فنك سحراً غلفته بالموت والسم ... أنا وحدى من خلقك الذى رأى هذا الحسن وتغنى به ... فاغفر لى يارب كل ما ارتكبت من سوء وشر فما هما إلا آثار السم فى نفسى

— ياسيد ... ياسيد ... ليست هـذه المسرحيات بجائزة عليّ أنا إن جازت على الناس طراً ...

لست « أتمسرح » عليك ، وإنما هذه هى روحى ... هذه هى نفسي .. ولو لم أكن هكذا طلقاً حياً فيضاً لما استطعت أن أجرف من جرفت من أهل الفن العتاة على رسوخ أقدامهم فى الميدان الذى جندلتهم فيه ، وعلى ثبوت أشباحهم فى الحلبة التى صرعتهم فيها ... خبرينى ... من منهم استطاع أن يماسك أمامى ... من منهم قاومنى ولم يفر من طريق ... من منهم ارتفع له صوت منـذ ارتفع بالغناء صوتى ... كلهم ذابوا ... لأنهم هم الذين كانوا يمثلون ويتكلفون ويتصنعون ، أما أنا فإن غنيت فإنما أغنى من قلبى ، وإن تحدثت فإنما أتحدث بروحى ... أنا الأصل الذى يمثله أولئك وغيرهم ... وأنت تقولين عنى إني أمثل... أنا يا هذه سابق جيلى ... أنا يا هذه ستقدريننى بعد موتى ... وإنى لأشعر بأن الغيب يضمر كاتباً صغيراً سيطرق هذا الدرب الذى طرقته ، وسيذوق هذا المر الذى ذقته ، وأنه سينصفنى منك ... أنصفه الله من ثعبانه هو أيضاً ...

— هو ؟ من هو ؟

— لا أدرى !

— مجنون ! ... هل لك فى كأس ؟ !

— هات كأساً وكأساً وهات العود ... وهات ثمة إذا كان عندك ...

— أما قلت إنك هجرته ...

— والآن بفضل عطفك وحنانك رددته ...

... وجاءت له بالعود ، وبالخمر ، وبالكوكايين ... ودعت له أتباعه وأصدقاءه ... وجلست إليه وراح هو يغنى ...

وظل يغنى ... ويغنى ... وليلتها مات !

هاللوبا

فأى شيء غنى ليلتئذ ...

غنى « أنا هويت » ...

ولكن كيف غناها ؟ ...

غناها كما كان داود يرتل مزاميره ... كانت روحه تتقلص من بدنه فى كل شهقة وفى كل زفرة ... كان ينتفض فزعا من دنياه إلى بارئه شكاية ، وتسبيحا ...

كانت نفسه تصغى إلى النداء الآتى من الغيب فى خفوت

لا تسمعه الأذن وإن استجابت له الروح ...

كان يقول لربه : لبيك لبيك يا رب ... قالها معنى وإحساساً ونغماً وإن لم يفصلها لسانه لفظاً وحرفاً ...

لقد بكته

وبعد أن رحل سيد أدركت الظالمة أنها كانت ظالمة ، وأخذت تراجع نفسها وتسائلها : لماذا ظلمته ؟ ولماذا حرمته مما كان يطلبه منها على أنها كانت تعطى غيره ممن هم دونه حلاوة وبهاء وروعة ما كان يسعده بعضه لو أنها أعطته بعضه ...

وأخيراً أدركت السر

عرفت أنها كانت تغار منه

قد كانت هي غانية ، وقد احترفت العبث بالنفوس وأتقنت هذا العبث ، وقد استهوته أول ما استهوته بدمعة ذرفتها من عينها عمداً ، وشكوى مدبرة باحت له بها قصداً ، لما رأته يتردد على مجلسها مغنياً تتعالى روحه عليها ، فما ينظر إليها نظرة الإعجاب المغرضة المتعجلة التي كان يوجهها إليها الناس جميعاً ، وإنما كان يراها كما يرى الإنسان الإنسان ، ويفتح لها نفسه كما يفتح الصديق نفسه لصديقه ... وقد رأت في نفسه صورة قديمة لغرام قديم علمت أنه الذي يشغله عنها ... ورأت هذه الصورة القديمة أحاطها بإطار من الإخلاص والإجلال اشتهت لنفسها مثلهما ...

فزحفت إليه ... ولكنها فشلت معه في كل محاولة حاولتها ...

وأخيراً صرعت هـذا الجبار بالدمع ... والدمع آخر سلاح تلجأ إليه المرأة ، وهي إن لجأت إليه لم تنس فيه مرارة الذل الذي دفعها إلى حمله ... فإن أفلحت به في اقتناص فريستها ، فالويل بعدئذ لهذه الفريسة فلن ترضى المرأة منها إلا بدمع ودمع ودمع ودمع ... ولن تعطى هي بهذا الدمع شيئاً لأنها تذكر دائماً أنها سبقت وسفكت قبله دمعاً ...

هو ثأر !

والجبار يحتمله لأنه يذكر دائماً أن الذي صاده ذل ، وكل جبار شديد العطف على كل ملوع بائس ...

استدرجته إذن بهذا ... ثم راحت تجمع الناس عليه ، فإذا بالناس ينفضون عنها إليه ، مع ما كانت تتفنن في لفت الأنظار أو الأسماع إليها في حضور سيد ، فإن الأنظار والأسماع والأفئدة كانت تنفر منها إليه فقد وجدت فيه غذاء للأرواح ومتعة ...

وهكذا أصبح الثأر ثأرين ...

وبعد موته ... نسيت هي هذين الثأرين ، وحز الأسى في نفسها حزاً إذ فقدت الذي آمنت أخيراً بأنه كان خيراً منها ألف مرة وأنه مع هذا كان يحبها كما قال قضاء وقدراً ...

له الفاتحة

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم . ولا الضالين . آمين ... »

... آية من فن الله الأسمى . هي خير ما يهدى إلى روح اللهم الذي غنى ، فأطرب وأشجى ، وأضحك وأبكى ، وسبح بالهدى فناً ، نغماً ولحناً ، ما أجهده الفن وما أضنى ، وإنما كان وحياً يوحى . تبارك الذي أوحى

عزيز أحمد فهمي



غذاء العواطف والعقول

نشرت الرسالة كلمة للآنسة فوقية كامل فى الاعتراض على ما عقّبنا به على كلمة الدكتور مشرّفة بك : « العواطف من القوى الأساسية فى حياة الإنسانية ، وهى تحتاج إلى غذاء كما تحتاج العقول » فقد نهينا القراء عن تصديق هذا الكلام ، ودعوناهم إلى متابعة أخبار الحرب بين الانجليز والألمان ، فأخبار الحرب هى زاد العواطف والعقول فى هذه الأيام العجاف !

والآنسة فوقية كامل تسأل عن معنى ذلك النهى ومدلول هذه الوصية

وأجيب بأن ذلك متصل بأحاديث مرّت فى الرسالة منذ أسابيع فى الرد على من يتوهمون أن الحوادث العمومية تصرف الناس عن شواغلهم الخصوصية ، ومن تلك الشواغل نوازع القلب والوجدان

وعلى ذلك يكون الكلام ورد مورد السخرية من الذين لا يرضيهم إلا أن تكون أيام الحرب ملاطم ومناحات ، فلا يهفو قلب فى إثر قلب ، ولا يظمأ روح إلى روح

وبهذا يُحَلّ الإشكال ، والسلام ! زكى مبارك

سرقة أدبية قبيحة

لسنوات مضت كتب الأستاذ الجليل خليل جمعة الطوال من مثقفى شرق الأردن بحثاً على صفحات مجلة الشباب التى كان يصدرها الأستاذ محمود عزمى عن « الشاعر الفارسى والفيلسوف الرياضى عمر بن ابراهيم الخيام » — وقد قدم لبحثه « بتوطئة » استعرض فيها تواريخ الآداب العربية تخلص منها إلى « حياته » و « تاريخ ولادته » و « تصانيفه » و « رباعياته ومن قام على ترجمتها » — وختم بحثه بذكر أسانيد البحث ذاكراً أنه استمده من المصنفات الآتية :

١ — موسوعة العلوم البريطانية ج ١٦ ص ٧٨٦ طبعة ١٤

٢ — فيتز جرالد The Quatrian of Omer alkhayam by Fitiz Gerald

٣ — نزهة الأرواح للشهرزورى

٤ — تاريخ الحكماء للقفطى

٥ — جامعة التواريخ لرشيد الدين

٦ — Reinaudo geographie d'abaulfeda

٧ — ديوان عمر الخيام لأحمد صافى النجفى

٨ — ديوان عمر الخيام تعريب أحمد رامى

ومن العجب العاجب أن هـذا البحث الذى عالج فيه كاتبه مصاعب الاطلاع على المصادر السالفة مسنداً كل جملة إلى المصدر الذى استقاها منه يسطو عليه الأستاذ عبد الحميد سامى بيومى كما تنمته مجلة الثقافة فينقله إلى مجلة الثقافة فتنشره له بعددها ٨٦ الصادر فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٠ بعنوان عمر بن ابراهيم الخيام حياته وفلسفته !!! ...

(جرجا) محمود عساف أبو الشباب

الغناء المصرى

سيدى الأستاذ رئيس تحرير الرسالة

بعد التحية . إننى أعتقد أن الأستاذ سيد قطب فى مقاله عن الغناء المصرى قد ظلم المؤلفين خصوصاً بعد أن نزل إلى ميدان التأليف الغنائى كثير من أقطاب الأدب المصرى أمثال شوقى بك والأستاذ رامى وغيرهما . ونظرة واحدة فى أغنية « فى الليل » من شعر شوقى وفيها البكاء والأنين والنوح والشوق الخ ، ترينا أن الذنب فى الضعف ليس ذنب المؤلفين . وما يقال عن شوقى بك يقال عن رامى وغيره . وقد أحصيتُ أكثر من خمسمائة أغنية مصرية قديمة وحديثة ووجدتها إما أنها تحتوى على الضعف الذى ينعيه الأستاذ سيد قطب ، أو على إغراء رخيص للميول الجنسية ، وقد سبق أن تألفت لجنة من أفاضل الأدباء للعمل على ترقية الأغانى المصرية والسمو بها عن هذا الضعف ، وكان من بين أعضائها شاعر اشتهر بمجموعة أغانيه التى تنشرها له الصحف الأسبوعية ، ولم أجد فيمن ألف من اقترب من شكسبير الذى تعتبر أغاريده القياس الحى للأغانى ولو أن من القسوة أن نقارن شعراءنا بشكسبير ، إلا أن النهوض بالأغانى يجعلنا ننظر النظرة السامية لهـذا الشاعر

الذى كان إذا اضطرمت عواطفه لا يلجأ للبكاء والنحيب بل كان يخرج من أزماته النفسانية رجلاً كامل الرجولة ، مما كتب لأغاريده الخلود

إن العلة إذن ليست فى التأليف ولا فى التلحين ، بل هى نتيجة لنفسيتنا الخاصة ، فقد حتمت الظروف الطبيعية أن تتجاوب النفس المصرية بماطفتى الفرح والحزن فى آن واحد لسبب واحد، وتأصلت هذه النفسية فينا من أقدم العصور وورثناها عن أسلافنا فأصبحنا مثلهم نجد اللذة فيما يحزن كما فى أغانينا المريضة ، وقد كشفتُ أثناء إقامتى فى صعيد مصر عن سر هذه النفسية المعقدة ونشرت ملخصاً عنها فى البلاغ يوم ١٥ مايو سنة ١٩٣٣ بعنوان: « ندب النساء فى مصر وما يعرف عندنا بالعديد » ، وقد ذكرت فى هذا البحث أن نغمة الصبا محببة إلى قلوبنا لأنها تميل إلى الحزن ، وقد أيد الأستاذ الكبير العقاد هذا الرأى بعد ذلك بسنوات فى مقال له فى الجهاد عن « أغانى الزفاف والأفراح » وعلى ذلك يجب ألا نلوم التأليف أو التلحين ، لأن هذا الضعف عنصر من عناصر طبيعتنا المصرية ، وأرجو أن أتمكن قريباً من نشر بحثى الخاص بهذا الموضوع كاملاً

« كوم حمادة . بحيرة » كامل يوسف

عضو بالمعهد البريطانى الفلسفى بلندن

المعانى شائعة ، ولا تجوز الملكية فيها

تحت هذا العنوان فى عدد من الرسالة مضى كتب الأستاذ محمد عبد الغنى حسن مقالاً طريفاً ضمنــه دفاعاً حاراً عن طائفة الشاعرين والناثرين ضد غارة جماعة الناقدين الذين يمطلون بتقدم المواهب المتوثبة والاجتهاد المطرد . فعنده أن المعانى شائعة ولا يجوز أن نعد مَنْ يهتدى إلى تسجيل معنى قد سجله مَنْ سبقه ، ناقلاً ، أو سارقاً ، أو لصاً ؛ بل إن المعانى الإنسانية زاخرة تضطرم بها كل نفس ، ويجيش بها كل صدر ، وليست وقفاً على طائفة دون الأخرى . وهذا حق ، فما المعانى إلا وليدة مؤثرات تكاد تتشابه فى كل الأعصر والأزمان ، والناس هم الناس فى كل مكان، فلا مبرر إذن لهذه الغارات إلا إذا كانت السرقات بينات ...

ولكن اقرأ معى هذين البيتين لكبيرين من الشعراء قيلا لغرض واحد ثم انظر ماذا ترى

قال المرحوم أحمد شوقى على لسان « أوبيس » الكاهن فى رواية (كيلوبترا) يخاطب غزاة مصر من الرومان :

قسما ما فتحتمو مصر لكن قد فتحتم بها لرومة قبرا

وقال الأستاذ حسن القاياتى يخاطب حفدة الرومان الذين يبنون فتح لوبيا :

وما ملكوها غير نزلة ساعة وما القبر مملوكا لمن فيه ينزل

ألا ترى معى يا سيدى أن المعنى واحد فى البيتين ، وأوشك أن أقول إن أحدهما مأخوذ من الثانى ؛ فلمن تعطى الأفضلية فى الاهتداء إلى هذا المعنى النبيل ، أم تقول إن المعانى شائعة ولا يجوز فيها الملكية والاختصاص وكفى ؟

محمود المرسى خميس

حول « الجندول »

سمعنا أغنية « الجندول » مرة أخرى مسجلة على اسطوانات بعد ما سمعناها على شريط ماركونى ، وكنا نود من الأستاذ عبد الوهاب أن يتلافى — فى هذه المرة — الأخطاء التى وقعت منه فى المرة الأولى ، حتى يعيد إلى هذه القصيدة الجميلة ما أضاعه من معانيها الرائعة . فها هى ذى الأخطاء تمادعلينا ثانياً كما هى (فُسرى الجندول) كما فى ديوان الشاعر بضم السين ، يقولها (فَسرى) بالفتح ، و (ذهبى الشَّعر) بفتح الشين يقولها (الشِّعر) بالكسر ، والمعنى كما هو مفهوم الشَّعر لا الشِّعر ، (ويوم أن قابلتَــه) بفتح التاء يقولها (قابلتُــه) بالضم . ونحن هنا نريد أن نسأل الأستاذ عبد الوهاب عن السبب فى تكرير هذه الأخطاء مع أنها ظاهرة ، وقد أشار إليها كثير من النقاد ؟

محمد السيد شوشة

غلطة !

أستاذنا « الدكتور مبارك » مولع بتعقب الأخطاء اللغوية التى يقع فيها كبار الأدباء والكتاب ؛ حتى إنه تمنى أن تسجل دروس اللغة العربية التى يلقيها المدرسون المختصون على طلاب المدارس الثانوية بوساطة المذياع ... حتى يتسنى له أن يحاسب هؤلاء المدرسين على ما يقعون فيه من أخطاء محاسبة المفتش المختص . فلعله أن يكفكف من حدته ، ويلتمس لهم العذر

إذا نحن نبهناه إلى غلطة مكشوفة وقع فيها وهو من هو ، أجل ، فقد أورد فى كلمته المنشورة بالعدد الفائت من « الرسالة » الغراء هذا البيت :

فلا تحسبوا هنداً لها الغدر وحدها
سجيةَ نفس ، كلُّ غانية هندُ

بفتح تاء سجية ! ولا شك أن هذا خطأ والصواب ضمها ، وسبب ذلك لا يخفى على مثل الدكتور الفاضل .

ابرهيم محمد نجا

استدراك

سقطت من مقال « من عجائب الفهم أيضاً » للأستاذ زكى طليمات ، وذلك فى العدد ٣٧٤ صفحة ١٣٨٩ فيما بين السطرين السابع والثامن من العمود الثانى ، الفقرة الآتية :

« والمسرحية لا تنهض بناحيتها الفلسفية فحسب ، بل هناك عناصر أخرى تستند إليها وتستمد منها رونقها وبهاءها . وأهم هذه العناصر بلاغة العرض لحوادثها ، وجودة الحبك لمشاهدها ، وبراعة الحوار ، ومبلغ توفيق الكاتب فى تقدير المعلوم واستكناه الغامض مما يجول فى أقطار النفس البشرية ، وذلك عن طريق شخوص مسرحيته . وأعتقد – وأنا رجل مسرح – أن فى مسرحية « مفرق الطريق » لبشر فارس شيئاً كثيراً من هذا »

الى الأستاذ ابراهيم أدهم

كان لوفاة المرحوم شقيقكم الدكتور اسماعيل أدهم وقع شديد فى نفوسنا لما له من اليد الطولى على الأدب العربى

وإنى أرجو من الأخ أن يسمح لى أن أسأله عدة أسئلة إظهاراً لما غمض علينا من حياة الفقيد :

أولاً : هل صحيح أن الدكتور إسماعيل أدهم ذهب إلى روسيا ونال درجة الدكتوراه ؟ وإذا كان قد مكث فى روسيا فكيف أذنت له الحكومة المصرية بدخول الأراضى المصرية ؟ وما هى المدة التى مكثها فى الأراضى الروسية ؟

ثانياً : هل صحيح أن الدكتور أدهم كان ملماً باللغة الألمانية ؟ ولقد أخبرنى من أثق به أنه أثناء التحقيق معه بصدد كتابه (لماذا أنا ملحد) تبين أنه لم يكن يعرف الألمانية بل ولا الروسية أيضاً ، وما هى المدة التى قضاها الفقيد فى تركيا ؟

ثالثاً : هل ألف الفقيد كتاب (لماذا أنا ملحد) أم ترجمه وعن أى لغة ترجمه ؟

هذا ونرجو من الأستاذ الفاضل أن يظهر لنا الحقيقة على صفحات الرسالة الغراء

ابراهيم حسنين البربرى

نوءت بالحمل وناء بى

قرأت ما جاء فى عددى الرسالة الغراء ٣٧١ و ٣٧٣ خاصاً بهذا التركيب « نوءت بالحمل وناء بى » وما أثير حوله . ولقد أحسن الأستاذ أبو الفضل الدباغى حين ساق الآية الكريمة : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » سناداً قويًا يدعم به رأيه فى أرجحية التعبير بالشطر الثانى من التركيب « ناء بى الحمل » ومؤيداً بذلك رأى الأستاذ على الطنطاوى

وقد رأيت خدمة للعربية أن أورد بعد التقرى والجهد ما ذكره (المبرد) خاصاً بهذا التركيب وأمثاله . قال رحمه الله معلقاً على معنى فى بيت الفرزدق :

وأطلس عسال وما كان صاحباً رفعت لنارى موهناً فأتانى

هكذا الرواية . قال : « رفعت لنارى من (المقلوب) ، إنما المراد رفعت له نارى والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار . قال الله عز وجل : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » . ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء بها عجيزتها . والمعنى لتنوء بعجيزتها

وقد سبق إلى هذا القلب كثير من شعراء العرب . أنشد أبو عبيدة للأخطل :

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت نجرانُ أو بلغت سوآتِهم هجرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السعة . وأنشد الفرزدق :

غداة أحلّت لابن أصرمَ طعنةٌ حصين عبيطات السدائف والخمر

بنصب طعنة ورفع عبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب ، غير أن الكسائى أنشده عكس ما أسلفنا ، فرفع طعنة ونصب عبيطات رائياً عدم القلب

وعليه فالرواية بكلا الشطرين صحيحة فى محض العربية

محمود مصطفى بدوى



على هامش التاريخ المصري

لمؤلفه الأستاذ عبد القادر حمزة باشا

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا حكم القارئ على هذا الكتاب من عنوانه ظلمه كما ظلمه مؤلفه الكبير بهذه التسمية

لأنه يتوهمه شذرات عرضية تحوم حول حواشي التاريخ المصري القديم، ولا تنفذ إلى صميمه أو تخلص إلى متنه، وهو على نقيض ذلك أحرى أن يسمى «من عناصر التاريخ» أو من أسسه، لأنه يلخص الأغراض التي من أجلها يدرس تاريخنا في أدواره المختلفة، ولا يمنع ذلك أن الكتاب لم يسلسل الأدوار من بدايتها المجهولة إلى نهايتها المعروفة، ولم يفصل تراجم الملوك والأسر ملكا بعد ملك وأسرة بعد أسرة. فهذه كلها أرقام وأقسام، والعبرة بما وراء تلك الأرقام والأقسام

وفي الكتاب فصول عن نشأة الحضارة المصرية وعلاقة الكلدان واليونان بها، وعقائد المصريين في الآلهة والحساب بعد الموت، وما نسميه اليوم البروتوكول أو الآداب السلطانية عند الملوك الأقدمين، ومقتبسات هومير والأدباء الإغريق من الأساطير الفرعونية، وبحث عن التقويم المصري وعن المعارك الحامية التي نشبت بين رجال العلم ورجال الكنيسة في القرن الثامن عشر من جراء الكشوف والآثار التي دلت على قدم وجود الإنسان في وادي النيل وسبقه للأزمان المقررة في عرف رجال الكنيسة ومفسري التوراة بما سنح لهم من وجوه التفسير؛ وكل بحث من هذه البحوث شاف في موضوعه مغن عن مراجعة الأسفار الكثيرة نافذ إلى اللباب المختار

وللكتاب مزيتان قيمتان بين كتب التاريخ: إحداهما أسلوب رائق بلغ من صفائه وإحكامه وسلاسته أنه يمتع القارئ بالأدب إلى جانب المعرفة التاريخية، وأنه يرسل النضرة في أوراق البردي اليابسة فإذا هو مخضوضر رفاف

والمزية الثانية أن الطريقة التي تناول بها الكاتب القدير موضوعاته طريقة موحية تفتح أمام الفكر أبواب التأمل والنظر ولا تقصره على ما يراه أمامه ماثلاً في الكلمات والسطور

كنت أقرأ فصله عن الخلاف بين رجال العلم ورجال الكنيسة على تاريخ نشأة الإنسان فتحضرني أمثال هذه الخلافات وأسأل هل يعادي هؤلاء الناس العلم أو يعادون الدين وهم يزعمون أنهم نصراؤه والغيورون عليه؟ ففي الحقيقة هم يضيرون الأديان عامة ولا يضيرون العلوم أقل ضير، فلو صدق الناس ما كان رجال الدين يفرضون عليهم تصديقه لشك الناس فيما يفرض عليهم ولم يشكوا في الحقائق العلمية التي لا تقبل الجدل ولا تصبر عليه إلا إلى حين

وكنت أقرأ تارة في هذا الفصل وتارة في ذاك شيئاً عن عادات المصريين في تسجيل المحفوظات أو في التحنيط أو في تدوين المعارف والملاحظات أو في إحصاء السنين والأزمان، فيوحي إليّ ذلك كله معنى جديداً من معاني الفوارق العجيبة بين ثقافة المصريين وثقافة الإغريق

فها هنا حاسة تاريخية تثبت في النقوش مظاهر الحياة لأنها تثبت كل شيء للحفظ والتذكار والبقاء

وها هنا حاسة علمية تثبت المظاهر لتنظمها في سلسلة المعارف والمشاهدات الملحوظة

وما سر هذا الفارق بين الثقافتين؟ هل سره امتياز في عقول اليونان أو عجز في عقول المصريين كما يحب الأوربيون أن يقولوا أو كما قالوا في دراسة الحضارات والأجناس؟

كلا ... بل سره أن المصريين أصحاب تاريخ وولع بالتخليد راجع إلى قدم الكهانة وسيطرتها على المعارف والأفكار، وأن الإغريق لم يشعروا بضرورة التخليد ولا بأعباء الكهانة الموروثة فالتفتوا إلى مظاهر الحياة للعلم، ولم يذهبوا بها مذهب الحفظ والتقديس. ويؤيد هذا أن الأوربيين غلبت فيهم صبغة الكهانة على صبغة المعرفة حين استقر للكهانة بينهم تاريخ طويل

وتقرأ الكلام عن معاملة الأسرى أو عن عروس النيل أو عن دساتير الحكم فإذا أنت مسترسل مع إيحاء الخواطر إلى حوادث هذه الأيام، وإذا بالزمن الدابر قد دبت في عيدانه اليابسة نضرة الحياة

مجلدان آخران من قبيل هذا المجلد الأول كفيلان بنقل الزمن القديم في مصر إلى عالم الحياة الحاضرة، فقد كفانا من التاريخ ما يخرجنا من الحياة الحاضرة إلى الزمن القديم.

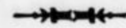
عباس محمود العقاد

من الأدب الفرنسى

قصــائد وأقاصيص

لصاحب الرسالة

بقلم الأستاذ « عابر سبيل »



تفضل المحرر الأدبى بجريدة الدستور فكتب هذه الكلمة الكريمة :

لم يكد ينقطع الحديث بعد عن كتاب « وحى الرسالة » الذى قدمه لقراء العربية الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات ، حتى طلع علينا قلمه الزاخر بفيض جديد من أدبه الرفيع فى كتابه الجديد « من الأدب الفرنسى » ، وهو مجموعة من فرائد الأدب الفرنسى لأمراء الشعر والنثر فى فرنسا الخالدة : « لامرتين ، وهوجو ، وشاتوبريان ، وجى دى موباسان » . نقلها الأستاذ من مكانها فى قمة الأدب الفرنسى إلى نظيره فى قمة الأدب العربى ، بأسلوب عربى لا حاجة به إلى التقريظ والإشادة ، ولا حاجة لصاحبه إلى كلمة ثناء بعد إذ شهدت كل آثاره الأدبية موضوعة ومعربة ، منذ أن عرب « آلام فرتر » إلى اليوم ، بأنه يختص فى عالم البيان بطريقة لا يشركه فيها كاتب ، وطابع لا أثر فيه للتكلف والاجتهاد ، وإنما هو طبع أدبى مستوعب لأسرار البلاغة العربية ، وذوق موهوب فى صياغة الجملة العربية من نثار لفظى متخير بحيث لا تند كلة فى المعنى عن أختها ، ولا ينحرف جرسها عن الوسيقى النسابة فى سائر الجمل والتراكيب ، وبحيث لا يصدم سمعك نبو فى الجرس ، ولا يرهق لسانك جسوء فى المخرج ، ولا يتعب يدك بحث فى القاموس عن معنى نافر غريب لكلمة وحشية جافية . وتتضافر كل هذه القوى البيانية لإبراز معنى من المعانى يتلبس بها جميعاً تلبس العطر النافح لأكمام الزهرة الندية ، من أية ناحية تلمستها بدهك منها العبير المشبوب . ومعانى « الزيات » فى أغلب موضوعاته ومترجماته تهدف دائماً إلى نور الحق والخير ، وجمال الحب والرحمة ، وسحر الآلام الإنسانية الرفيعة التى تتموج بها قلوب الشعراء والعشاق والبائسين من بنى الأرض . ومن يقرأ طرفاً من شجن « رفائيل » وحيرة « فرتر » فى ممربانه لهاتين القصتين العالميتين ، ويجرى وراء قلم الزيات فى فصوله المتعاقبة منذ أنشأ « الرسالة » وأشرف على تحريرها إلى اليوم يدرك مدى هذه الحقيقة فى أدبه سواء فى ذلك الموضوع والمعرب . ويكفى أيضاً لإدراكها أن تطالع فصول الكتاب الجديد وتقف على عظمة اتجاه المعرب فى اختيار الموضوعات الإنسانية الرائعة التى عالجها الشعراء والكتّاب الفرنسيون الذين عرب لهم ؛ فالذى يطالع منها قصيدة « الشاعر المحتضر » للامرتين يتمنى من أعماق روحه أن لو كان هو ذلك الشاعر الفانى الذى يودّع الدنيا وعلى قيثاره آخر نغم من أنغام الحب والجمال ، وعلى فمه عظة السخرية الماثلة بالمجد الذى يغنى العالم جيلاً بعد جيل فى سبيله ، وما هو إلا لفظة جوفاء مجرودة من كل هذه المعانى الزائفة التى خلعها عليه الإنسان . وقصيدة « المستقبل التى وجهها فيكتور هوجو إلى نابليون عقيب انحداره فى (واترلو) حافلة بأخلد المعانى الإنسانية التى تتفجر بها قلوب الأحرار من الشعراء حيال الطغيان البشرى الذى يجره المفترون بالبطولة والعنفوان ، المتحكمون فى رقاب العالم إشباعاً لشهواتهم وأنانيتهم ... إلى آخر ما فى هذه النفحة الجديدة التى يشاء القدر أن تطلع على الناس فى وقت نرى فيه فرنسا مهد الشعر والفن والجمال والحرية أصبحت ميداناً لأكبر صراع فى تاريخ البشرية بين الحرية والاستعباد ، وفى لحظة يعتكر فيها ضباب الطغيان على أعظم منار فى العصر الحديث للفنون والحضارة

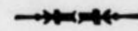
فلا أقل من أن نؤول ظهور هذا القبس الأدبى فى ظلام المحن تحية صامتة لفرنسا وصوتاً جديداً يذكر الشرق بفضلها على الأدب الإنسانى كله وعلى الأدب العربى بوجه خاص ... نسأل الله هداية كتابنا إلى مثل هذا المجهود الأدبى العظيم الذى يضم به الزيات يداً جديدة من أياديه الخالدة على الثقافة المصرية والأدب العربى الحديث

« عابر سبيل »



القديس لا يحار

للأستاذ يحيى حقي



تحلل القديس من قيود الوطن والأهل والأصدقاء ورحل يبلغ رسالته للناس ، يبين لهم باطل الدنيا ودنس المال ، ويدعوهم إلى اللحاق به فى هجرته إلى الله وحده ، لا يملك شيئاً ولا يستقر بمكان

وسار وراءه نفر من أتباعه . رجال جاوزوا سن الثورة والاستهتار ، خشنوا الجلد والملبس ، إذا نزلوا بلداً سهل إيواؤهم وإطعامهم ... وتشييعهم ؛ ولو لم يتبعوه لظلوا أمام بيوتهم يصطلون الشمس طول النهار . ولكن من هذا الشاب الجميل الذى يسير فى مؤخرة الموكب مديد القامة عليه سمة النبل ، متئد الخطوة كأنه متبوع لا تابع . ما أصفى بياض يديه ورخوصة أنامله ، يشد بها حافتى مسوحه فكأنها مشبك من الأحجار الكريمة ... من يكون ؟ ولماذا يسير مطرق الرأس ؟

إنه النبيل « ع » ، الابن الأصغر لسيد مقاطعة نائية ، تربى فى كنف العز وعاشر السعداء ولم تقع عينه على بؤس . ولما مات الأب ، وورث الابن الأكبر لقبه وضياعه ، دعا أخاه المدلل وقال له :

— لا أطيق أن أصبح مميّزاً عنك فأنفرد بالخير كله ، ومقامك فى قلب أبى الكريم كان فوق مقامى ، فإن شئت عشنا سوياً لك مالى ، وإن شئت اقتسمنا التركة بالتساوى

فأطرق النبيل « ع » برأسه ، ولم يجب ؛ ثم غادر القصر واعتكف فى كوخ صغير أياماً طويلة خرج بعدها يعلن لمن حوله أن هاتفاً هتف به بين اليقظة والمنام يدعوه أن التحق بالقديس . فلما ترامى الخبر للناس عدّوها كبرى معجزاته ، وأكبروا فى النبيل نزوله عن الغنى الواسع والعز العريض ، واختياره التكفف وسؤال الناس كسرة الخبز فى سبيل الله

طارت شهرة النبيل بين الناس وتزاحموا حول الموكب لا ليروا القديس ، فهم لا يجهلونه ، بل ليتطلعوا إلى النبيل الوسيم كيف يبدو فى ثياب الراهب . ينصرف الرجال عن الموكب وهم أرضى نفساً وأهنأ بطعامهم وشرابهم . أما الأمهات والجدات فكن يسبحن لله الذى سبقت إرادته فاختار هذا الوُلَيِّد لحياة كلها حرمان وقسوة وما كان أجدر شبابه بالتمتع واللعب . أما الفتيات فكن إذا رأين يده الناعمة الرخصة فوق المسوح الخشن ، وتطلعن إلى وجه الشاب الذى أصبح مناله صعباً بل حراماً ، شعرن بقشعريرة تسرى فى أجسادهن وركعن على الأرض يتمتمن بصلاتهن ، ولكن أحداً لم يفلح فى أن يرى عينيه ... لماذا هو مطرق ، ولماذا يسير فى مؤخرة الموكب ولو شاء لكان فى أول الصفوف ؟ ليس بينه وبين القديس إلا خطوة واحدة

وفى يوم مر القديس وحاشيته على قصر منيف ، فسأل عن صاحبه فقيل له إنه لثرى عظيم لا هم له إلا اكتناز المال ولم يسمع عنه فى يوم أنه أحسن بدرهم . فعدل القديس عن مواصلة سيره ودخل القصر ليهدم منه للشيطان معقلاً ويظفر بتخليص أرواح ساكنيه . فوجد الثرى جالساً أمام مائدته تتكدس عليها الأطباق والأقداح ، عن يمينه زوجه ، وعن يساره ابنته ، وأمامه أولاده ، ومن حواليه أتباع وحشم يتطلعون لشفتيه لعلهما تنبسان بأمر

امتلأت الردهة بالأصوات ، ولكن الضجة لم تمنع النبيل – ولعل إطراقه ساعده على إجادة السمع – من أن ينتبه لضحكة رقيقة تحاول صاحبتها كتمانها فلا تقوى ... هل مبعثها سرور أو دهشة ؟ أم هى سخرية ؟ رفع رأسه فوجد ابنة الثرى تتطلع إليه بعيون ندية كلها أضواء ... ورأى كيف تحتال حتى جاء مقعده إلى جوارها

وتفجر القديس يلوم ، وكأن روحه ترمى بالشرر ، ثم يعظ ، فكأن قلبه يفيض بالغيث المنهمر ، وسحرت بلاغته الحاضرين فتقاربت الوجوه وتشابهت السحن فما يُميز بين السادة والخدم .

واختلت الفتاة بالنبيل وجرى بينهما حديث خافت :

— لو أنك مهرت علينا من قبل لخطت لك هـذا المسوح على قدّك فإننى أشفق عليك وأنت تتعثر فى أذياله ، وتتيه ذراعاك فى أكمامه ، فقل لى بالله عليك كيف تحتمله ؟

— لا يكربك الأمر ؛ فلست دالفاً إلى مرقص ، بل ساعياً إلى رب ينظر إلى القلوب لا إلى الأثواب

— ويلى إذن ! لقد كنت أظن الرقص عبادة ؛ فما رقصت مرة إلا شعرت أننى أقرب إلى الله منى فى أوقات الفراغ والسأم

وهنا وجد الشاب نفسه أسير نظرة فاحصة ماكرة ، هازئة كلها عطف وفهم ، فيهـا بريق عين النهم وهو جائع مقبل على أشهى أطعمة

جرحه نفوذ النظرة إلى قلبه فانقبض ، ولـكنه استراح لعلمه أنه لو شاء لـكان سلطانه على الفتاة أقوى من سلطانها عليه

فأجابها قاصداً هدايتها كأنه لم يغضب ولم يبال :

— وما بعد الرقص ؟ ألا تفكرين أن كل هذا سراب . وأن هناك موسيقى غير موسيقاكم . اللهم إن كلى آذان لسماع أناشيد التسابيح بحمدك ، الصاعدة من الـكون ، المدوية فى الفضاء ، فأسألك اللهم أن تجعل من قسمتى سماعها !

— إن الله قد أغدق نعماءه على الـكون ولم يحرم منها إنساناً له قلب وبصر ، فذهابك الآن تقرع باب الله دليل على أنك عشت إلى اليوم غافلاً عن جماله . وهذا ماضٍ سيقعد لك فى مستقبلك وإن جاهدت . خذها عنى : إن الله لا يحب من عباده السائل اللحوح اللجوج ، ولا من يستعين للوصول إليه بمسبحة طولها أمتار ...

ثم مالت الفتاة على أذنه تقول :

— هل ّ اعترف أنك فهمت أننى أعلم لماذا ارتديت المسوح . أنت طموح ، مهدؤك إما الـكل ّ وإما العدم . تركت الثروة لأنها نصف . والدنيا لأن كل لذة لك فيها تنقضى ، فإذا هى تقصر عن حد تتخيله . وتسير فى مؤخرة الصفوف لأنك لست على رأسها . ولو وقفت بين يدى الله لسألته : ما وراءك ؟ فتواضعك هو الكبرياء . وزهدك هو غاية الطموح . إننى أعلم أنك نشأت يتيم الأم ، ولو عاشت لوجدت فى عطفها ما يرطب قلبك ، وما أشبهه الآن بصخرة فى أعلى الجبل ... ومع ذلك لم يُفقد الأمل فيك . لقد اخترتك لنفسى ، فابق ، أنظر إلى ، وتمتع بجمالى . ستملك قوة حين كيف تؤمن أولاً بإنسانيتك ليصح إيمانك بعدها بالله . إن لأبى جماعة من مهرة الموسيقيين إذا وقعوا على آلاتهم أرقصوا الجماد ، سأجعلهم يعزفون إذا أذن رئيسكم ولا أظنه يرفض وإلا لما كان قديساً — فماذا عليك لو خلعت المسوح وارتديت أبهى الأثواب ؛ فقمت إلىّ وانحنيت أمامى وتناولت يدى ودار ذراعاك حول وسطى وضممتنى إلى صدرك ، ورقصنا فتمثلت النغمة فى حركاتنا ، ثم انفلتُّ عنك وأنا أخبر بك وأنت أدرى بى ... وسترى أنه لا يزال هناك أمل

انهد كل شىء من حوله . لو أنه أطاع وسواسه لمدت يده عليها يشدها من شعرها ، ويجرها على الأرض . ولداسها بقدميه أو لسـال عليها يغمرها بقبلاته . ولكنه خطا خطوة ليس عنها نكوص . ولو نكث لما صدقه من بعد ذلك أحد ، ولا صدق هو نفسه . ولقد بقى فى أذنه من كلام الفتاة لفظ (الأمل) . إنه سيظل حيث هو ، جاهداً فى طريقه متحملاً ما لا تقوى على تحمله الجبال ، آملاً أنه فى النهاية سيرى بارقة الرضا فى وجه ربه الـكريم ... ولكن الآن ! الآن ! الحياة كلها أمامه فى متناول يده . آلاف الأصوات فى تناديه : أقبل ! اشرب ! إننى عطشى

وكان القديس لا يزال يعظ ، ورويداً رويداً طأطأت الرؤوس على الصدور ، وتصاعدت الآهات ، وانفجرت الدموع ، وركع الجميع أمام القديس ، يلثم رداءه من لم يستطع الوصول إلى يديه المرفوعتين نحو السماء

وترك الثرى مائدته ووقف يقول للقديس بصوت يغالبه البكاء:

— أسلمت قيادى إليك . فأنا منذ اليوم من أتباعك ، سأترك القصر وما فيه من متاع وما حوله من ضياع ، سأترك مخازنى ، بعتيق شرابها ، والحقل بعجيج دوابه سأتبعك كظلك ، ولن أكون وحدى ، بل سيتبعنى أيضاً كل هؤلاء : زوجى وأبنائى وزوجاتهم وبناتى وأزواجهن والأصهار وأبناء العمومة والخؤولة وكل من

انتسب إلىّ من خدم وحشم وأتباع . أرنا الطريق ونحن فى أثرك

لم يحر القديس جواباً ، لم يتعقد جبينه ، فهو وضاء منير . ولم يزم شفتيه ؛ فابتسامته الجميلة هى هى ، ولكنه غائب عن الجمع ، نظرته تائهة ، لعله يستمع إلى وحى خفى يقول :

— لو تبعوك لخرب القصر وبارت الأرض ونفقت الدواب ومن أين لك إطعامهم وإيواؤهم وإيجاد عمل لهذا الجيش العرمرم . هل سيتكففون الناس مثلك ؟

لم ينقص إيمان القديس ذرة ، ولم يهتز لحظة ، فكيف يكون قديساً إذا بدت له المسائل كما تبدو لبقية الناس متناقضة مضطربة ، مضحكة مبكية ، لهؤلاء القديسين نظرة تشمل الكون وتفهم الأسرار ، فما يبدو عجيباً هو ذات الحكمة ، وما يبدو متناقضاً هو عين الاتساق

قال القديس بصوت كأنه يخرج من كهف عميق :

— يا بنىّ ! احمد الله أن هداك أنت ومن معك للحق . . . على يدىّ ! إن الطريق الذى تريد أن تسلكه وعر ، لا يقوى عليه إلا القديسون أمثالى . فامكث مكانك وأقبل على عملك ، واسكن إلى زوجك ، وداعب أولادك وبناتك ، وأشرف على شؤون خدمك وحشمك ، وحقولك وضياعك ، وتمتع بأكلك وشربك ، على أن تمدنى أن تفعل الخير وتذكر الله . تمثله لنفسك فى كل لحظة حتى تعلم أن كل ما حولك زائل وأنك ملاق ربك فحاسبك حساباً لا يضيع فيه مثقال ذرة من خير أو شرّ

بدا الوجوم على وجه النبيل وكأنه لم يفهم شيئاً . فاستمر القديس يقول :

— لا تحزن . إنك ستمكث فى القصر — فى نظرك — ولكنك ستكون مع ذلك من أتباعى . ما قيمة التمسك بالذيل واقتفاء الخطوة ، فى حين أن الروح متبلد والذهن غائب ؟ ستتبعنى بروحك . بإيمانك ... ولك علىّ أننى لن أنساك فى يوم . فلن يغيب عنك ندائى بل سأحمل شخصك فى قرار قلبى . سأنشئ لك ولأمثالك طريقة خاصة بكم تلتحقون بها فتربطنى وإياكم

وعادت الردهة إلى هرجها ومرجها ودبت فيها روح البهجة ودارت الأطباق والأكواب ، وسكن الثرى إلى زوجه وداعب أولاده وبناته ، ونادى كلبه الأمين فألقى تحت قدميه

والتفت النبيل (ع) فوجد الفتاة عن يمينه ، والقديس يهم بالانصراف عن يساره ... ولكن هاتفاً هتف به فإذا هو يتمتم لنفسه :

— نعم ! لا تيأس من رحمة الله

فجمع أطراف مسوحه ، وجرى إلى الجمع واتخذ مكانه بينهم ، لا فى آخر الصفوف هذه المرة ، بل وراء القديس كأنه يلوذ به . وتحرك الجمع يرددون وراء القديس قوله :

اتركوا الباطل الزائل واتبعونى !

ووقفت الفتاة صامتة برهة ، ثم همست تقول :

— يا له من غر مسكين لم يفهم الوحى . لما نادته رحمة الله أن ابق ، فإذا به يولى عنها وينصرف

ثم ضربت الأرض بقدمها وصفقت تقول :

— موسيقى ! رقص !

يحيى حقى

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }



8me Année No. 377

Lundi - 23 - 9 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٧٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهــــــرس

القـــــدوة والاصلاح

للأستاذ عباس محمود العقاد

رويت في عدد مضى من « الرسالة » كلمة الفلاح الكبير صاحب الأفدنة الكثيرة في « حمالة الجورب » التي عابها على بعض المعلمين الإلزاميين وقال إنه لم يسمع بها إلا من هؤلاء المعلمين

وقد كتب أديب في « الرسالة » يعقب على تلك الكلمة ، ويرى أنه كان الأجدر بكاتب هذه السطور « ألا يسوق إلينا فكرة صاحب الأفدنة التي ترمي إلى إصلاح المعلم الإلزامي ، لأنه إذا سئل عن العيوب الذي يراه لا يجد ما يقوله سوى أنه يعلم النشء التبطل والحذلقة ، وكيفية وضع « حمالة الجورب » ، وإحسان رباط الرقبة ، وهلم جرا ... »

وجاءتني رسائل شتى في هذا الصدد ينظر بعض كاتبيها إلى ملاحظة الوجيه الريفي نظرة الفكاهة والسهولة ، ويشتد بعضهم في الإنحاء عليها كأنها خطر على التعليم

وعندي أن المعلم الإلزامي هو آخر من يحق له أن يكتم أمثال هذه الملاحظات أو يطلب كتمانها ، لأن التعليم الإلزامي في اعتقادي مشتق من اللزوم قبل أن يشتق من الإلزام ، فلا يضيره أن ينكره كبير أو صغير حنقاً على حمالة الجورب أو حمالة الحطب ! ... ولا يفهم من اختلاف الآراء في برامجه ومواده وأساليبه أن الخلاف

على أصوله وأساسه ، وإنما هو فى نهاية الأمر خلاف على الفروع والتفصيلات

هذا سبب من الأسباب التى تأبى على المعلم الإلزامى خاصة أن يكتم ملاحظة تساق فى معرض الرأى أو فى معرض الفكاهة عن هذا التعليم

وسبب آخر أن المعلم الإلزامى مطالب قبل غيره باستطلاع « الحالة العقلية » أو الحالات العقلية التى تتصل بمعيشة الفلاح وأبناء الريف ، وهو أحرى أن يستطلع ما يخصه ويخص عمله من تلك الحالات العقلية التى يتصدى لها فى تعليمه ، قبل أن يتصدى لتعليم الحروف والأرقام وسائر الدروس

قيل فيما قيل عن التعليم الإلزامى وأشرنا إليه فى مقالنا السابق : « أليس الأجدى على الفلاح أن تطعمه وترفه عنه بهذه الأموال التى تنفقها على تعليمه إلزاماً وهو مفتقر إلى الطعام النافع والماء النظيف ؟ »

وكان من رأينا فى ذلك أنك إذا أعطيت الفلاح ماء نظيفاً وهو جاهل صدف عنه وعافه وآثر عليه الماء العكر لأنه ماء « دسم » يروى الأصلاب كما يروى التراب

وقلنا « إنك إذا أنشأت فلاحاً سليم الذوق مرهف الحس مفتوح العقل مستجيب السليقة ، فسيجرى وراءك لتعطيه الماء النظيف والغذاء الجيد والأدوية النافعة والنصائح القويمة ، ولا يجشمك كما يجشمك اليوم أن تعدو وراءه لتقصيه عن موارد الماء العكر « بدسمه وخيره » وتدنيه من مساق الماء المرشح وموائد الغذاء المفيد »

***

ومقطع الرأى فى كل إصلاح اجتماعى — كما أحسب — أن القدوة فيه خير أنواع التعليم

ولكن ممن تأتى القدوة فى الريف ؟

بعض إخواننا المعنيين بالإصلاح يخيل إليهم أن إقامة الوجهاء الريفيين فى قراهم وسيلة ناجعة لتعميم القدوة الحسنة فى المعيشة ، وتعويد الفلاح الصغير أن يحيا فى كوخه حياة الفلاح الكبير فى القصور

وهذا حق لو كان الفلاح الكبير قدوة صالحة فى جميع الأحوال ، أو لو كان الوجيه فى قريته مثلاً يحتذى فى نظام المعيشة ومناهج السلوك

لكننا نعلم أن الأمر لا يستقيم على هذا التقدير

ونعلم أن كل فلاح كبير يصلح للقدوة ويتخذ مثالاً حسناً للسلوك فإلى جانبه عشرة يضلون من يقتدى بهم ويأبون أن يتمثل بهم المتمثلون من الفقراء والضعفاء فيما هو من مظاهر « الوجاهة » واليسار

قال لى أحد هؤلاء الوجهاء مرة : لقد فسد الزمان وتغير الناس!

قلت : ولم ؟

قال : إنك لا تعرف الآن ابن فلان المعظم من ابن فلان الصعلوك ، ولا تميز الفتاة التى يملك أبوها ألف فدان من الفتاة التى يعمل أبوها فى دكان أو يعمل فى ديوان بين صغار الوظفين الموقوتين ... هذه تلبس كما تلبس تلك ، وهذا يتأنق كما يتأنق ذاك ، و « البركة » فى التقسيط لا بارك الله فيه

قلت : وما يضيرك من ذاك ؟ إن كان فيه ضرر فعلى جيب اللابس لا على جيبك ، وإن لم يكن فيه ضرر فهو جمال ونظافة ورواج للقصارين والخائطين

فتأفف وأبى أن يقتنع ، وظل يقول : إن الأصول أصول ، والمقامات « محفوظة » لا ينبغى أن تزول أو تحول

وسمعنا آخرين من الوجهاء لا يبالون أن يجهروا فى غير خجل ولا حرج قائلين : من يخدمنا إذا لبس الفلاح الطربوش أو اغتر بما حصّل فى المدرسة الإلزامية من دروس الكتابة والحساب ؟ وإذا خدمنا هذا « الأفندى » الجديد فكم يطلب أجراً على الخدمة التى كان يؤديها وهو حاف قانع باللبدة والجلباب الأزرق راض بالخبز القفار

هؤلاء الأغبياء لا يعقلون ما ينفعهم وما يضرهم ولا يدرون عاقبة هذا التفكير الأثيم

والأنكأ من هذا أن الفلاح الفقير قد يحجم عن الاقتداء بنظافة الأغنياء إذا كانوا من النظفاء ، كما يحجم عن شراء السيارة والاستمتاع بالطعام الفاخر واللباس الأنيق

فتمتنع القدوة من ثم لاعتقاد الغنى والفقير معاً أن النظافة والمعيشة الصالحة حق لصاحب المال كحقه فى ركوب السيارة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

شاعر ينبغ فوق سرير المرض — الملك الشبل — وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها — لا خوف من المستقبل مع صحة العزائم والقلوب

شاعر ينبغ فوق سرير المرض

مضت سبعة أعوام والأستاذ صالح جودت يحقد عليَّ أبشع الحقد لسكوتي عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وما هدأت نار الحقد في صدره إلا عرفانه بأني لا أخصه بذلك السكوت وإنما هو مبدأ ارتضيته ودَرَجْتُ عليه ، وذلك المبدأ هو الضنُّ المطلَق بتشجيع الناشئين ، لأني أعتقد أن كل شيء يجوز فيه التشجيع إلا الأدب والبيان ، فالتشجيع هنا مَفْسدة ولا يقع إلا من « الجماعة » الذين يحتاجون إلى أسندة من الهتاف والتصفيق ، والتحدث عنهم بحق وبغير حق في الأندية والقهوات والجرائد والمجلات .

وهذا المبدأ هو الذي فرض على جمهور من شباب هذا الجيل أن ينفضّوا من حولي ، فإيهمهم أن يذكروني بالجميل في مجلة أو جريدة ، لأنهم لا يذكرون أني طوقت أعناقهم بشيء من التشجيع ، وأنا غير آسف على ما فاتني من ذلك الحظ الجزيل !

ولو أني استبحت التفريط في الحرص على هذا المبدأ مرة واحدة لاستبحته في معاملة الأستاذ صالح جودت ، وهو صديقٌ لا أذكر أنه قصَّر في حفظ العهد إلا باتهامي بالسكوت عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وهو اتهام مردود ، لأني لا أذكر أن أشعاره نقلتْ قلبي من مكان إلى مكان حتى أُجشِّم نفسي مشقة الدرس لشعره البليغ !

كان صالح جودت يتقاضاني الكلام عن شعره في كل لقاء ، وكنت أجيب بأن ذلك سيكون يوم يظفر بدرجة من درجات الجامعة المصرية ، لأني أخشى إن شجعته أن ينصرف عن الدرس وينقطع لقرض الشعر ومراسلة الجرائد والمجلات . فلما سمع صالح نصيحتي وظفر بالدرجة المنشودة جاء يذكّرني بما كنت وعدتُ ، فهل وفيت بما وعدت ؟

حملني الزهد في اجتلاب الودّات على وصل السكوت بالسكوت ، كما كنت صنعت في معاملة صاحب « الجندول »

ثم شاءت الأيام أن أسمع أن صالحاً وَقَذه المرض فلم يَعُد يبهجة الأندية الأدبية ، ولم يبق رجاء في التحدث إليه إلا بعد استئذان الطبيب

فإن كنتم سمعتم أن الشعراء وصفوا الدنيا بالخيانة والغدر

الخاصة والإيواء إلى الدار القوراء .

وتقول له كن نظيفاً كفلان بك أو فلان باشا فيستكبر هذا الكلام منك ويقول لك في جد الواثق من صوابه وسداد رأيه : وأين أنا من هذا وذاك ؟ ولو استرسل قليلاً لزعم أن النظافة منه افتيات على حقوق الموسرين وخروج على الأدب الحميد ! . . .

* * *

نعود إذن فنسأل : ممن تأتي القدوة الصالحة إذا علمنا كما أسلفنا أن القدوة « الشخصية » خير وسائل التعليم في الإصلاح الاجتماعي ؟

تأتي من بعض الأغنياء الرحماء العارفين حين يقيمون في الريف إقامة يتصل فيها العطف والود الكريم بينهم وبين الفقراء

وكم عدد هؤلاء الأغنياء الرحماء العارفين ! ؟

قليل ولا ريب ، والرجاء في ارتقاء معيشة الفلاح الصغير أقرب من الرجاء في زيادة هؤلاء

فأفضل القدوة وأنفعها على هذا ما جاء من قبل المتعلمين الذين يشبهون الفلاح في نشأته فيعمد إلى التشبه بهم غير متحرج ولا معتقد في نفسه أنه يعدو طوره ويخرج من أفقه

وهنا يأتي دور المعلم الإلزامي في الإصلاح ، فيجمع بين الإصلاح بالتعليم والإصلاح بالقدوة السائغة في رأي الفلاح ، ويروح في القرية وهو معلم الأبناء والآباء على السواء

كن أيها المعلم الإلزامي قدوة لمن حولك ، وكن على حال ينظر إليها الفلاح فيحب أن يتشبه بها ويرى بعينه دلائل الخير في محاكاتها ، ثم يأنس إلى نصحك بعد ما أنس إلى عملك ، فيسمع منك القول ويحمد منك العمل . فأنت بما تهديه وتلقي في روعه مصلح جيل لا تفلح في إصلاحه المدرسة وحدها ، ولا الكلام الذي يجري به اللسان أو تنطوي عليه الأوراق .

عباس محمود العقاد

والمفوق فاعرفوا أن ذلك الوصف لم يحقّ على الدنيا إلا لبغيها الآثم على مثل هذا الشاعر ، وله قلبٌ أطيب وأطهر من قطرات الندى فوق أزهار الربيع

ومرّت ثوانٍ ودقائق وساعات وأيامٌ وليالٍ وأسابيع وأشهر ولم يخرج صالح من سجن المرض ، فما أطول شقائى بمحنتك القاسية ، أيها الصديق العزيز !

وعلى حين غفلة أسمع أن الفتى الذى لم يُرضنى شعره قد نبغ فجأة فوق سرير المرض ، فهو الذى يقول فى تصوير ما بقِىَ من أوطار هواه فى دنياه :

فليرحم الله آمالى وأهوائى ... إنى قنعت بهذا الخدَع النائى
بقية العمر ايامٌ تدبّ على ... صدرٍ تهدّم إلا بعض أشلاء
أعيشها ناسكاً فى ركن صومعةٍ ... قامت على صخرةٍ كالموت صمّاء
يبدو خيال الأمانى لى فأطرده ... حتى كأن الأمانى بعض أعدائى

ثم يصف عُزلة المستشفى وأحوال ساكنيه فيقول :

أوّاه من عُزلة كالسجن مغلقةٍ ... على جراحٍ وآلام وأرزاء
ما هذه الجُثث الملقاة فى سُرُرٍ ... أنصاف موتى على أنصاف أحياء
صُفر الوجوه كأن السقم عفّرهم ... بحفنةٍ من تراب القبر صفراء
للآه فيهم تراتيــلٌ منغّمةٌ
تنسابُ من قَصَباتٍ نصف خرساء
وما لهم من نهار فيه مرحمةٌ ... ولا لهم ليلةٌ ليست بليلاء

ثم يتلفت إلى الممرضة الحسناء — ومن تقاليد المستشفيات أن تكون الممرضات صِباح الوجوه إلى حدّ الفتون ليغرسن بذور الأمل والحياة فى صدور المكروبين — يتلفت إلى الممرضة فيقول :

مَن يا ممرّضتى الحسناء قدّر لى ... أن ألتقيك بأرضٍ غير حسناء
ماذا أتى بى هنا ؟ ما خَطْبُ عافيتى ؟
وكيف غال شــبابى غائل الداء
قد كان لى موعدٌ فى الصيف مرتقبٌ
على الشواطىء بين « الرمل » والماء
فما لذا الصيف يمضى بى على جبل
جهنّمىّ اللظى فى جوف صحراء
وأنتِ ... هل عطفك الْبِرّ على رمق
عطف المحبين أم عطف الأطباء

إن كان ذاك فيا سعدى ويا فرحى ... أو كان هذا فإنى فى الأذلاء
الحب يشهــد أنى يا ممرّضتى ... ما صدّنى عنك إلا فرط إعيائى

أما بعد فهذه الشاعرية ليست صحوة الموت ، يا صالح ، وإنما هى الفجر الصادق ، وسترجع إلينا بعد أيام وأنت فى غاية من عافية البدن والروح

لم أسأل عنك فى علتك ، يا صالح ، لأنى شغلت بك عنك ، ولو سألت قلبك لشهد بأن عطفى عليك وأنا بعيد كان أرفق من عطف طبيبك وهو قريب ، وأصدق الحديث حديث القلوب

سترجع إلينا يا صالح ، بعد أيام ، وسنعيد سهراتنا فى أندية القاهرة ، وسأسمع لجاجتك فى العتاب ، وسأقول إن البلبل لا يجيد السجع إلا وهو سجين ، لأنى عرفتُ شاعراً لم يُجِد الشعر إلا وهو عليل

الملك الشبل

لم أسمع أن جلالة الملك فيصل الثانى يوصف إلا بعبارة « الملك الطّفل » وهى عبارة جافية ، فأرجو من الشعراء والكتاب أن يصفوه بعبارة « الملك الشبل » فهى بمقامه أنسب وأليق

وأذكر بهذه المناسبة أن صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا تلطف فدعانى إلى مكتبه ليقدم إلىّ « وسام الرافدين » المهدى إلى من حكومة العراق

وقد وثب قلبى من الفرح والانشراح لقيمة الهدية ولقيمة من أتلقى من يده الهدية ، فليس من الميسور فى كل وقت أن تكون وزارة المعارف إلى أديب فى مثل منزلة الدكتور هيكل باشا ، الرجل الذى أفنى شبابه وعافيته فى خدمة الدراسات الأدبية والتاريخية ، والذى يُعَدّ قلبه مثالاً فى الطيبة والصفاء

وقد نظرت فى الوسام فرأيته متوّجاً بكلمة « فيصل الأول » فأهلاً وسهلاً ومرحباً بوسام يُحلّى باسم ملك هو الفيصل بين عهدين من عهود العراق : عهد العجمة وعهد الإفصاح ، فقد كان فيصل الأول بمذاهبه ومسالكه هو التعبير الصحيح لعواطف العراق فى التشوف إلى رجعة المجد العربى فى أيام المنصور والرشيد

ومع أن مكاره الأيام ومتاعب النضال لم تُبق فى صدرى بقية من التأهب للجذل والانشراح فقد سرنى أن تشهد جريدة « الوقائع العراقية » بأنى ذُكِرتُ بالخير فى « إرادة مَلَكية »

يُمضيها صاحب السمو الأمير عبد الإله ومعالى السيد صادق البصام وفخامة السيد رشيد عالى الكيلانى . جعلنا الله ممن يرعون العهد ويحفظون الجميل

وإذا حييتم بتحية . . .

تفضل الزميل الكريم الأستاذ أبو بكر إبراهيم المفتش بوزارة المعارف فأعدّ كلة لمجلة الرسالة فى ردّ التحية الجميلة التى وجّهتها جريدة الهدف البغدادية إلى مصر بإصدار عدد خاص عن أديب مصرى كان له نصيب فى خدمة الحياة الأدبية فى العراق

ولم يكن بدٌّ من تلطف هذا الزميل الكريم بردّ هذه التحية الكريمة ، فليس فى مقدورى أن أرد تحية جريدة الهدف ، فذلك امتحانٌ لا أتقدم إليه وأنا طائع ، لأنى أشعر بالعجز عن وفاء هذا الدّين النفيس

فى ذلك العدد الخاص تحدث الأساتذة عبد الحميد حسن الغزالى ، وحميد مجيد الهلالى ، وعبد المجيد لطفى ، وعبد المحسن القصاب ، وعبد السلام حلمى ، وعبد الله محمد الطائى ، وعبد الرحمن البناء ، وروبين عوبديا ، وصالح البدرى ، وعبد الرزاق الهلالى . تحدث هؤلاء الأماجد عن صديق العراق زكى مبارك حديثاً هو البرهان الساطع على أن الوداد لا يضيع عند أحرار الرجال

وقد فكرت كثيراً فى الأسباب التى جعلت لى هذا الحظ المرموق فى العراق ؛ ثم رأيت أن الأسباب كلها تنتهى إلى سبب واحد : هو الصدق . فما تحدثت عن العراق بالجميل إلا وأنا صادق ولا ذكرته بالملام إلا وأنا صادق

وكيف لا أصدُق فى حب وطنٍ كاد ينسينى وطنى ؟

ولو عبَّرتُ عن نفسى تعبيراً صحيحاً لقلتُ إنى لم أستطع أن أتوهم أن مصر والعراق وطنان مختلفان ، وما صح عندى أبداً أنى كنت غريب الدار فى بغداد . . . وكما كان الشريف الرضى يهدد خصومه فى العراق بأن له فى مصر أصدقاء يستنجد بهم حين يشاء ، فأنا أشعر بأن لى فى العراق أصدقاء أستنصر بهم حين أشاء ، والله سبحانه هو المَفزَع لأبرار القلوب

وفى اللحظة التى أكتب فيها هذه الكلمة يستعدّ فريق من الأساتذة المصريين للتوجه لخدمة العلم والأدب فى العراق ، فأرجو أن يذكروا جميعاً هذه الكلمة الصادقة :

« كما تكون للعراقيين يكونون لك »

فمن أراد أن يظفر بحب أهل العراق فليصدُق فى حب أهل العراق ، وليعرف جيداً أن العلانية قليلة الأهمية ، فالمعوّل عليه هو صدق القلوب ، فقد كنتُ على جانب من جفاء الطبع حين كنت هناك فما ضرنى ذلك بشىء لأن قلبى كان مأهول الجوانب بالصدق فى حب أولئك الرجال الصادقين فى الحب والبغض ، وهم برغم قالة الحجاج أبعد الناس عن الرياء

ما أذكر أنى كلفت نفسى ما لا تطيق فى التودد إلى العراقيين وإنما أرسلت نفسى على سجيتها ، وعشتُ فى بغداد كما كنت أعيش فى القاهرة وفى باريس ، وكنت أصادِق وأعادِى كما أصادِق فى بلدى وأعادِى ، فكانت العاقبة ما عرف إخوانى فى مصر من تواتر العطف علىّ من جميع أهل العراق . والصدق فى النصح يستوجب النص على الحقيقة الآتية :

لم أفكر وأنا فى العراق إلا فى شىء واحد : هو أن أؤدى واجبى تأدية صحيحة لا يؤخذ عليها تقصير أو تفريط ، وكنت أشعر فى كل لحظة أنى مسئول أمام حكومتين : حكومة القاهرة وحكومة بغداد ، وأن التهاون فى تأدية الواجب يضيِّع على مصر مزية عظيمة ، هى الثقة بكفاية أبنائها وقدرتهم على النهوض بما يُنتدَبون له من خدمة العلم والأدب فى البلاد العربية

ويجب أن أسجل أن إخوانى العراقيين قد أعانونى على تحقيق هذا الغرض الشريف ، فهم الذين خلطونى بأنفسهم ، ودعونى إلى الاشتراك فى أنديتهم الأدبية والعلمية ، وحضونى على المشاركة فى توجيه الرأى العام بالمقالات والمحاضرات ، حتى استطعت فى أشهر معدودات أن أدوّن ألوفاً من الصفحات لم يظهر منها غير ستة مجلدات

وأعترف بأنى كنت أشعر بالغيرة تحزّ فى صدرى من أربعة رجال سبقونى إلى كسب ثقة أهل العراق ، وهم الأساتذة : محمد عبد العزيز سعيد وأحمد حسن الزيات وعبد الرزاق السنهورى وعبد الوهاب عزام ، فكان من همى أن أزاحم أولئك الرجال مزاحمة جدية تجعل لى مَقام صدق فى بلاد الرافدَين ، وقد وصلت بحُسن النية ورعاية الله إلى تحقيق ما أردت بلا مشقة ولا عناء

وأواجه الأمر بصراحة فأقول : إننا لم نصنع شيئاً يزيد على وضع الأساس للمودّة الصحيحة بين مصر والعراق ، فلست أنتظر من الأساتذة الذين يخلفوننا هنالك أن يحفظوا ما صنعناه ؛

فذلك مَطلبٌ سهل المنال ، وإنما أرجو أن يمضوا فى رفع قواعد البناء بحيث لا تمرّ أعوام طوال قبل أن يصبح من القضايا المقررة أن لفظة الغربة لم يبق لها مدلول فى ذهن عراقى يعيش فى مصر ، أو فى ذهن مصرى يعيش فى العراق

ولكن ما جزاء من ينتفع بهذا النصح ؟ جزاؤه هو الشعور بأنه رجلٌ نافع ، والاطمئنان إلى أنه على جانب من قوة الأخلاق ، فليس من القليل أن يستطيع الرجل كسب الثقة بوطنه فى بلد مثل الحجاز أو فلسطين أو سورية أو لبنان ، والثقة لا تنال فى أمثال هذه البلاد إلا بالصدق فى الوطنية والصدق فى الجهاد

وقد اتفق لى فى بعض الأحايين أن أناوش فريقاً من السوريين واللبنانيين فما ضرنى ذلك بشىء ، لأن من ناوشتهم يعرفون فى ضمائر قلوبهم أنى سليم القلب ، وأنى لا أريد إلا جَذْبهم إلى الانضمام إلى القافلة العربية بلا تلفُّت إلى دسائس من يهمهم تقسيم الأقطار العربية إلى دُوَيْلات يذوق بعضها بأس بعض بلا موجب معقول

ومن حُسن الحظ أن تكون البلاد الشامية فى طريق من يسافر من العراق إلى مصر ، أو من مصر إلى العراق ، فتلك فرصة ذهبية لتوكيد المودة بين الأقطار العربية ، وبها نستطيع وَأْد الدسائس التى تحاك فى أحلاك الليالى لتمزيق شمل العرب والمسلمين .

وقد شاءت الظروف أن نرى اليمن والمغرب من البلاد البعيدة لقلة رغبتنا فى الهجرة والارتحال ، فمتى يجىء اليوم الذى تقهرنا فيه المبادئ على التضحية بالأنفس والأموال فى سبيل التعرف إلى الأقطار العربية ؟

المصرىّ لا ينتقل من وطنه إلا وهو موظف مطمئن إلى أنه سيجد وظيفته حين يرجع ، فمتى يُخلَق المصرى المجاهد الذى يستهين بجميع المنافع فى سبيل المبدأ والعقيدة والرأى ؟

كنت أتمنى أن أكون ذلك المصرى المنشود ، ولكن ماذا أصنع وحولى « أكباد تمشى على الأرض » وليس فى شريعة الوطنية أو الدين ما يسمح بهجر تلك الأكباد ؟

أنا مقيد بقيود من حرير هى أقسى وأعنف من قيود الحديد ، فإن تلطَّف الله وقَبِل أن يكون الجهاد بالقلم مما تُنصَب له الموازين فلن يكون ذلك أول نعمة يُسديها رجل لم يُشرِّق أو يغرِّب إلا وهو متوكل عليه توكل الواثق بأن الأمر كله إليه وأن له حكمة عالية تجمل الشر على بشاعته لوناً من الخير المستطاب

لا خوف من المستقبل مع صحة العزائم والقلوب

لم يبق ريب فى أن الشرق مقبل على قلقلة تاريخية بسبب عدوان أهل الغرب بعضهم على بعض . وقد شاءت المقادير أن يتأثر الشرق بمصير الغرب لأسباب لا تخفى على اللبيب ، وربما جاز القول بأن العالم كله قد رُبط برباط وثيق يَفرض على من فى أقاصى بحر الهند أن يتأثر بما يقع لمن فى أقاصى بحر الشمال ، فليس من المستغرَب أن يرتجّ الشرق للمجازر التى تقع بين الإنجليز والألمان

فما واجبنا نحن إزاء هـذه الظروف ؟ واجبنا أن نذكر أن مبادئنا فى تحرير الشرق لن ينالها تعديل ولا تبديل . واجبنا أن نذكر أن جهادنا فى سبيل الحرية جهادٌ قديم ، وأننا تسلمنا راية الكفاح من الآباء والأجداد . واجبنا أن نذكر أن الغرب الذى صنع ما صنع لم يفلح فيما تطاوَل إليه من وَأْد اللغة العربية والعقيدة الإسلامية

واجبنا ، واجبنا ، واجبنا

ذلك الواجب لا يحتاج إلى تعريف جديد، فهو مسطور الملامح فى كل قلب ، وله جُذور فى كل نفس ، وله سلطان على كل ضمير ، ولا خوف من غَياهب المستقبل إذا صحت العزائم والقلوب

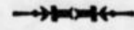
فليُقَلقِل التاريخ كيف شاءت الظروف ، وليكن ما يكون بين الإنجليز والألمان ، فنحنُ نحنُ ، والعاقبة للصابرين فى ميدان الجهاد . وسيعلم المتعدُّون على الشرق كيف تنهزم قوتهم المادية أمام قوته الروحية فى أمد أقرب مما يظنون

زكى مبارك

٢ - أخلاق القرآن

العدل

للدكتور عبد الوهاب عزام



بينت قبلاً أن القرآن يريد بتعليمه الأخلاق تحرير الإنسان من أهوائه وشهواته، وتزويد عقله بالمعرفة، ودفعه إلى العمل في معترك الحياة لخيره وخير الناس؛ ووعدت أن أتحدث عن أمهات الأخلاق في القرآن، فاليوم أبدأ الحديث بالعدل:

العدل القرآني هو العدل المطلق الشامل الذي لا يختلف بين زمان وزمان، ومكان ومكان، وأمة وأمة؛ والذي تستوي فيه نفس الإنسان وغيره، ويستوي فيه القريب والبعيد، والصديق والعدو، ويستوي فيه الرضا والغضب، والحب والبغض، والنفع والضرر. هو أن يعطي الإنسان كل ذي حق حقه في كل حين وفي كل أرض، وعلى كل حال. يقضي على نفسه بالحق ويقضي لغيره بالحق، ويعطي من يكره بالحق، ويحرم من يحب بالحق، ويعمل العمل فيه ضره إيثاراً للعدل، ويكف عن العمل فيه نفعه إيثاراً للعدل. هو أن يعترف بإحسان غيره ولا يبخس الناس أشياءهم، ويعترف بإساءته، ولا يحب أن يحمد بما لم يفعل وأن ينقاد لرأي غيره حين يتبين له أنه الحق، ويسرع الرجوع عن رأيه حين يعرف فيه الباطل

العدل القرآني أن يصرّف الإنسان أمور نفسه وأمور الناس على قانون لا عوج فيه ولا زيغ ولا استثناء ولا ظلم ولا محاباة، أن يسيّر أعماله على قانون إلهي لا تبديل فيه ولا تحويل، كالقوانين التي تسيّر: الشمس والقمر والنجوم والرياح، وتصرّف العالم كله كما يشاء الله

يقول القرآن الكريم: «والسماء رفعها ووضع الميزان، ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان، والأرض وضعها للأنام»، أليس في هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن العدل الذي يأمر الله به هو قانون من قوانين الله بثّه في خليقته. فهو قد رفع السماء ووضع الميزان في خليقته، كل شيء مقدّر بقدره، وكل شيء محدود بحدوده، كما قال في آية أخرى: «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون». وكذلك أمر الله الناس أن تكون أعمالهم في هذه الأرض على هذه الشاكلة لتستقيم أمورهم وتعتدل معايشهم، فليس عدل الله أمراً يسيراً تتصرف فيه الأهواء، وتتلاعب به الشهوات والعصبيات. ليس عدل الله أمراً مما يباع باليسير من متاع الحياة الدنيا، ويهجر للحقير من أهواء النفوس، ولكنه نظام في العالم وفي الاجتماع البشري لا يستقيم شيء فيهما بدونه كما جاء في الحديث الشريف: بالعدل قامت السموات والأرض.

وآية أخرى من القرآن تجعل العدل أول صفات الله التي يقوم بها على خلقه: «شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم، قائماً بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم». فقد شهد الله وشهد أولو العلم من عباده أنه تفرد بالألوهية قائماً بالعدل في خلقه

وآية أخرى تبين أن الله أوحى للناس علمه وشرائعه مع العدل، ليقوموا بالعدل في معايشهم وهو الغاية التي من أجلها أنزلت الشرائع. استمع هذه الآية الكريمة:

«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»

وأخرى من الآيات تبين أن أوامر الله وأحكامه قائمة بالصدق والعدل لا تتحول عنهما: «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته»

بيّن القرآن أن الله جعل العدل نظاماً للعالم، وقياماً للخلق، وأمر به في كثير من آياته، وحث المؤمنين على أن يكون ديدنهم القيام بالعدل بين الناس، والشهادة لله على الناس بالعدل، وأن ينزهوا العدل عن الهوى فلا يميلهم عنه حب ولا كره. قال في سورة النساء: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا. وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً.» وقال في سورة المائدة: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى

واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »

أمر فى الآية الأولى أن يقوموا بالعدل ويشهدوا به لله . ولا يميلوا عنه لمحبة النفس أو الوالدين أو الأقربين . وأمر فى الآية الأخرى ألا يميلوا عن العدل مع من يبغضونهم فقال « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » يعنى لا يحملكم بغض قوم على أن تعاملوهم بغير العدل

وقال فى سورة الأنعام :

« وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون »

والآيات التى تأمر بالعدل كثيرة حسبنا منها الآية الجامعة : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »

ويشتد القرآن فى النهى عن الظلم كما يشتد فى الأمر بالعدل ويبين عاقبة الظلم فى الأمم بأساليب شتى ؛ والظلم فى لغة القرآن وضع الأمر فى غير موضعه أو الخروج عن الحق . فالمجرم ظالم ، والكافر ظالم ، والمشرك ظالم ، والكاذب ظالم . يقول : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته » . ويقول : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنىَّ لا تشركْ بالله إن الشرك لظلمٌ عظيم » . ويحكى القرآن عن آدم وحواء حين تابا : « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . وما هذا الظلم إلا مخالفتهما ما أُمرا به

وعاقبة الظلم هلاك ودمار للفرد والجماعة والأمة . قلّ أن يذكر القرآن هلاك أمة أو بلد إلا بيّن أنها أهلكت بظلمها . يقول فى سورة الأنبياء : « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين » . وفى سورة الحج : « فكأيِّن من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ، وبئر معطلة وقصر مشيد » . « وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلىّ المصير » . وفى سورة هود : « تلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد . وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذُ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد »

هذا العدل المطلق الذى يبنه القرآن وأمر به يقتضى الجزاء الحتم . فكل إنسان مجزىّ بعمله خيراً أو شراً . العدل يقتضى أن يميّز الخير من الشر والمحسن من المسىء . يقول القرآن : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة[1] » ويقول : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون[2] » « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون[3] » بل يقرن القرآن الجزاء بخلق السموات والأرض « وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون[4] »

فالجزاء حتم على كل صغيرة وكبيرة وليس للانسان إلا عمله ، ليس فى الناس مقربون إلى الله ولا مبعدون عنه إلا بالعمل

يقول : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يُجزاه الجزاء الأوفى[5] » ويقول فى الرد على من زعموا أن لهم مكانة عند الله تخرجهم من هذا القانون العام قانون الجزاء : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب ؛ من يعمل سوءاً يُجزَ به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً[6] » . « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره[7] »

ومن هذا العدل المطلق والجزاء الحتم أباح القرآن أن يقابل الشر بمثله من غير بغى . قال : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وقال : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » ويقول : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغى عليه لينصرنه الله » وفى سورة الشورى يوضح هذا أتم إيضاح . يقول فى مدح المؤمنين : « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك

---

(١) سورة فصلت (٢) نون (٣) الجاثية (٤) الجاثية
(٥) النجم (٦) النساء (٧) الزلزال

لهم عذاب أليم » . فمن حق الإنسان أن يردّ البغى عن نفسه فى غير عدوان ، وأن يلقى السيئة بمثلها وينتصر ممن ظلمه ، وله أن يعفو ويصفح إن رأى فى العفو خيراً .

***

ذلكم العدل الذى بثه الله فى خليقته ، وأمر به عباده ، وجعل فيه صلاحهم ، وفى تركه دمارهم . فمن شاء الخير لنفسه وللناس فليلزم العدل فى كل صغيرة وكبيرة ، وليكن كما أمر القرآن قائماً بالقسط شهيداً لله

إن الأمم تتهافت فى النار ، وتعود على ما شيّدت بالخراب والدمار ، بما فقدت العدل وكفرت به ، واتخذت لأنفسها شريعة من الباطل والزور والبغى . يريد المفترون بقوامهم أن يسيطروا على الأرض بالباطل ، زاعمين أنهم يسيطرون عليها بالحق ، لا يرون لغيرهم حقاً ، ولا لأطماعهم حداً ، ولو أنصف الناس فقاموا فى خلق الله بالقسط ، وجعلوا الحق شريعة بين الناس ، ونبذوا العصبية للباطل ، ورفعوا عن أعينهم غشاوة الهوى ما سُخرت عقولهم وعلومهم وصناعاتهم للإهلاك والتدمير ، ولما قذفوا بأنفسهم فى جهنم وهم يستطيعون أن يعيشوا فى جنة على هذه الأرض

داء الأمم الظلم ودواؤها العدل — العدل الشامل المطلق الذى لا يختلف باختلاف الأزمان والأوطان والشعوب والأديان . إنما يأخذ الله الأمم بجرائرها عسى أن تتوب إلى رشدها وتتبين الطريقة المثلى التى حادت عنها ، وإن فى ذلك لعبرة

ويقول القرآن الكريم :

« ولقد مكناهم فيما إن مكنا كم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون » ... صدق الله العظيم

عبد الوهاب عزام

العلاقة بين الجسم والذكاء

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

يقول المثل السائر : « العقل السليم فى الجسم السليم » . والأمثال تقبل عادة من غير محاولة إثبات . ولكن إلى أى حد يطرد هذا المثل ؟ إن الملاحظة تؤيد أن من بين أصحاء الأجسام كثيراً من الأغبياء وضعاف العقول ، كما أن من بين ذوى العاهات والمرضى عددا من العبقريين . وقد عرفت فى انجلترا مصرياً كان قد أقعده المرض منذ سنوات طويلة ، فعطل من وظائف رجليه ويديه وظهره وأسنانه ، ومع هذا كان نشط العقل ، يفكر وينتج . كان يُقرأ له فى الفراش ، وكان يؤلف ويملى ، ويقرض الشعر العربى والإنجليزى ، ويملى مقالاته باللغتين . وكان لبق المنطق ، حاضر الفكرة . وقد لا يكون من الصعب أن نعثر على آخرين أمثال صاحبنا هذا ، ولكن الملاحظة العرضية لا تكفى لتحقيق القضايا العلمية . وسأعرض فى هذا المقال نتيجة أبحاث العلماء فى العلاقة بين الذكاء والجسم

شغل العلماء من القرن الثامن عشر بمعرفة ما إذا كان من الممكن الحكم على صفات الفرد العقلية من صفاته الجسمية . وقد ظهرت عدة نظريات كانت كلها محاولات لكشف العلاقة بين العقل والجسم . وقد تناولت بحوث العلماء فى هذا الصدد الموضوعات الآتية :

١ — شكل الجمجمة وحجمها ، وملامح الوجه ، وعلاقة كل هذا بالعقل

٢ — قدرة الرئة على التنفس وعلاقة هذه القدرة بالذكاء .

٣ — دقة تمييز الحواس المختلفة ، ومقدار سرعة إدراكها وعلاقة ذلك بالذكاء

٤ — زمن الرجع (أو رد الفعل) للمؤثرات الحسية الخارجية

٥ — الإفرازات التى تخرج من الغدد الصماء وأثرها فى الوظائف العقلية

٦ — العلل الجسمية وأثرها فى الإنتاج العقلى والذكاء

— ١ —

كتب لافاتير السويسرى كتاباً عن « الفراسة[1] الوجهية » فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، قال فيه بإمكان الحكم على ذكاء الفرد من تقاطيع وجهه ، وشكل الجبهة والأنف وحجم الفك . ومع أن هذه النظرية لاقت أنصاراً حين ظهور الكتاب ، ولا يزال لها فى العصر الحاضر مؤيدون من عامة القراء ؛ فمن المؤكد علمياً أنها نظرية باطلة ، لأن مقاييس الذكاء الحديثة المعتمدة لم تثبت وجود علاقة بين تقاطيع الوجه والذكاء ، إلا عند البله والمتوهين

وفى سنة ١٨١٠ ظهرت رسالة لعالمين فرنسيين هما جال Gall واسبورتزهيم Spurzheim تشرح نظرية القيافة الجمجمية Phrénologie ، وتشير إلى وجود عدد من الملكات العقلية المختلفة كملكة الإدراك ، وملكة الحفظ ، وملكة التذكر ، وملكة العزم الخ ، وحصرها فى ست وعشرين . ولكل ملكة من هذه الملكات مركز خاص فى الدماغ . ويقابل كل مركز من هذه المراكز الدماغية مساحة خاصة فى الجمجمة . وكل نمو فى مراكز هذه الملكات يقابله نمو فى مساحتها الجمجمية . أى أنه من الممكن معرفة قوى هذه الملكات العقلية بقياس بروز مساحتها الجمجمية . ولم تعمر هذه النظرية طويلاً

وفى أواخر القرن الماضى ظهرت فى إيطاليا مدرسة تقول بوجود تلازم إيجابى مطرد بين الصفات الجسمية التشريحية anatomical وبين ذكاء الفرد وخُلقه ، وزعيم هذه المدرسة هو البروفسور سيزارى لمبروزو Cesare Lombroso ، الإخصائى فى علم الإجرام . وتتلخص نظريته فى أنه من الممكن معرفة ضعاف العقول ، والبلهاء ، وذوى الميول الإجرامية من خلق الرأس وحجمه وتركيبه . فعدم انتظام شكل الجمجمة ، وبروز الجبهة ، وضيقها ، وانخفاضها ، وانفطاح الأنف وعرضه ، وضيق قوس الحنك وارتفاعه ، وعرض الأذنين وكبرهما ، وعدم انتظام شكلهما ؛ كل هذه دلائل على ضعف عقل الفرد . وكان ممن عنوا بكشف العلاقة بين حجم الرأس والعقل جوالتن فى انجلترا وبينيه فى فرنسا ، وقد دلت تجاربهما على أن التلازم الإيجابى بين حجم الرأس وذكاء الفرد من القلة بحيث لا يعتمد عليه فى معرفة الذكاء

كان لنظرية لمبروزو صدى شديد فى المعاهد التى عنيت بدراسة الإجرام وصفات المجرمين ؛ ففى سنة ١٩١٠ و سنة ١٩١١

(١) G. Lavater's Essay on Physiognomy, 1772

أجريت تجارب في السجون الإنجليزية لقياس جماجم المسجونين وبروز جباههم ، وأنوفهم ، وآذانهم الخ . ثم قورنت نتائج هذه المقاييس التي اتبعت فيها طريقة لبروزو بسجلات المسجونين ، ونتائج اختبار ذكائهم ، فانهارت بهذه التجارب نظرية لبروزو ، وامحت من بين النظريات العلمية . وكانت هذه آخر المحاولات التي قصد بها إثبات تلازم بين شكل الجمجمة وحجمها وتقاطيع الوجه وبين الذكاء . وفي هذا يقول الأستاذ « كارل پيرسن » بعد أن أجرى اختبارات على ستة آلاف تلميذ مدرسي وطالب جامعي : « إن التلازم الإيجابي بين مقاييس الجمجمة وبين الذكاء من القلة بحيث لا يعتمد عليه في الحكم على ذكاء الفرد »

— ٢ —

وموضوع العلاقة بين القدرة على الشهيق وبين الذكاء قد يظهر غريباً . ولكن أحد الأطباء بمانشستر Dr. Mumford الدكتور (مامفورد) عني بهذا الموضوع ، فأجرى اختبارات على تلاميذ مدرسة ثانوية Grammer School وعلى طلبة الجامعة ووجد تلازماً إيجابياً مطرداً بين القدرة على الشهيق العميق واتساع الرئتين ، وبين ترتيب التلاميذ في الفصول . فالتلاميذ المتقدمون أقدر على الشهيق العميق والتنفس القوي من التلاميذ المتأخرين[1] . وقد لاحظ الدكتور أيضاً من نتائج الاختبارات أن هذا التلازم الإيجابي يضعف كلما كبر التلاميذ في السن . وقد أيدت نتائج هذه الاختبارات اختبارات شبيهة بها أجريت في كاليفورنيا بواسطة الأستاذ ترمان[2] .

— ٣ —

أما دقة التمييز الحسي ، وإدراك الفروق الحسية — لمسية أو ذوقية أو شمية أو سمعية أو بصرية — وعلاقة ذلك بالذكاء فيرجعان إلى نظرية البروفسور فنت Wundt الألماني ، التي كانت تشير إلى أن الحواس هي منافذ العقل ، والمدركات الحسية هي التي يتألف منها العقل[3] . ومن الممكن إذاً قياس الذكاء بقياس قدرة الحواس ، وقوتها على تمييز المحسوسات المتقاربة . فأجريت تجارب على الحواس استخدمت فيها أجهزة كأجهزة معامل الطبيعة والضوء ، بعضها لقياس قوة قبضة اليد ، وبعضها لقياس مقدار التمييز اللمسي ، وبعضها لقياس القدرة على إدراك الفروق الصغيرة في الأنغام والألوان والظلال . وقد قام بهذه الاختبارات جولتن في انجلترا وكاتل وثورنديك في أمريكا . وكانت نتيجة هذه الاختبارات أن قدرة التمييز الحسي في الملموسات والمذوقات والمشمومات لا تدل على ذكاء الفرد ، وأن لا تلازم بين هذه القدرة والذكاء . فلا فرق في قوة التمييز هذه بين الأطفال والكبار ، ولا بين الأغبياء والأذكياء ، ولا بين المتحضرين وغيرهم

والأستاذ اسپيرمان وآخرون يقولون بأن للقدرة على تمييز النغمات الموسيقية المختلفة أو المتقاربة علاقة بذكاء الفرد ، وأن بينهما تلازماً إيجابياً قوياً ، فكلما كان الفرد أكثر ذكاء كان أقدر على تمييز هذه النغمات . وهو يرى « أن الذكاء له $\frac{4}{5}$ من نجاح الفرد في تمييز الأصوات ذات النغمات المتقاربة »

أما العلاقة بين الذكاء وبين حدة النظر والقدرة على تمييز المرئيات المتشابهة ، فقد أثبت عدد كبير من الاختبارات بين تلاميذ المدارس أن الأغبياء وضعاف العقول يكثر فيهم ضعف البصر ، ولو أن كثيراً ممن يشكون من « قصر النظر » أذكياء ونابغون . وإذا حكمنا بنتيجة الاختبارات التي أجريت قلنا إن بين القدرة على تمييز المرئيات قريبة الشبه وبين الذكاء علاقة قوية وتلازماً إيجابياً . وبهذا يقول أنصار اسپيرمان[1]

— ٤ —

من الملاحظ أن الإنسان إذا كان تعباً جسمياً فإن زمن الرجع للمؤثرات الحسية الخارجية عنده يكون أطول من زمن الرجع حين نشاطه . ونحن في أوقات الصباح أسرع رجعاً منا بعد القيام بعمل عضلي طويل . وقد تنبه علماء النفس لهذه الظاهرة ، وحاولوا أن يعرفوا إلى أي حد يرتبط الذكاء بزمن الرجع الحركي للمؤثرات الحسية . وقد اخترعت آلات خاصة تسجل الفرق بين زمن صدور المؤثر الخارجي — عن طريق اللمس أو البصر أو السمع أو الذوق — وزمن رد الفعل . وأجريت

(١) صفحة ١٠٢ من كتاب Psychological Tests of Educable capocities

(٢) صفحة ٣٢١ من كتاب Individual Differences للأستاذ فريمان

(٣) المثل اللاتيني Nihie est in intellectu quod prius not fuerit in sensa

(١) وقد وضع الأستاذ مقاييس حسية نظرية للذكاء نشرها بالعربية الدكتور القوصي

اختبارات لأفراد كثيرين لمعرفة ما إذا كانت سرعة الرجع دليلاً على شدة الذكاء، والنتائج التى أسفرت عنها الاختبارات متضاربة بحيث لا يصح الجزم بها نهائياً

— ٥ —

اهتم علماء النفس منذ أوائل القرن الحالى بدراسة الشخصية Personality وعناصرها، والعوامل الفيزيولوجية التى تؤثر فى تكوينها. ومن المدارس السيكلوجية التى لها رأي وجيه فى دراسة الشخصية مدرسة أمريكية ترى أن للغدد الصماء Indocrine أثراً هاماً فى تكوين الشخصية بما تفرزه من عصارات تسمى الهرمونات Hormunes، والذكاء عامل من عوامل الشخصية

والهرمونات هذه عصارات ذرية تسير فى الدم وتعمل على تنشيط وظائف الأجهزة العضوية المختلفة أو إضعافها، كالجهاز الهضمى والتنفسى والتناسلى والعصبى؛ وبعض هذه الهرمونات يؤثر فى المخ ونشاطه. ومن الغدد التى تفرز الهرمونات الغدة الدرقية وموضعها الرقبة. وهى تفرز هرموناً يحتوى على كميات من «اليود» ضرورية لنمو الجسم ونشاطه. ويولد بعض الأطفال وعندهم ضعف فى هذه الغدة، ولذلك لا ينمون نمواً طبيعياً، فيظلون أقزام الأجسام، ضعاف نمو المخ، أغبياء، بطيئين فى أعمالهم. ومعنى هذا أن للهرمون الدرقى أثراً فى ذكاء الفرد. وتوجد غدة أخرى اسمها الغدة النخاعية The pituitary gland وموضعها قاعدة الدماغ، وتفرز هرموناً يشبه فى أثره الهرمون الدرقى، أى أن له أثراً فى نمو الجسم ونشاطه وفى نمو العقل ونشاطه

من أجل هذه الصلة بين العقل والجسم وغدده كان من الضرورى لطلبة علم النفس فى الجامعات الأوربية والأمريكية أن يدرسوا علم وظائف الأعضاء، والعلاقة بين الوظائف العقلية والوظائف العضوية، كما أصبح من الضرورى أن يدرس طلبة الطب قدراً من علم النفس، والحقيقة أن علم الطب وعلم النفس يكمل الواحد منهما الآخر، لأن موضوعهما واحد وهو الإنسان

— ٦ —

ولمعرفة علاقة صحة الجسم أو مرضه بالذكاء يجب أن نفرق أولاً بين ما يسمى نسبة الذكاء الثابت عند الفرد وبين نوع الإنتاج وجودته، وقد أجريت عدة تجارب فى هـذا الوضوع، وكلها تقريباً يؤكد أنه ليس للمرض أو الصحة أثر فى نسبة الذكاء الثابت إلا إذا حدثت العلة فى سن مبكرة وأصبحت دائمة. وأما العلل الطارئة كتسويس الأسنان، والتهاب اللوزتين، والعمى، والصمم فإنها تضعف من كية المنتج ونوعه، وإن كانت لا تؤثر فى نسبة الذكاء الثابت. ويقول الأستاذ فريمان: «إنه ولو فرضنا أن مرض الجسم أو ضعف نموه لا يؤثر كثيراً فى نمو العقل فإنه من الممكن أن يؤثر تأثيراً محسوساً فى القدرة الإنتاجية للفرد وفى وظائف مواهبه العقلية، وعلى كل حال يجب أن نذكر دائماً أثر المرض وضعف الجسم كلما حاولنا أن نحكم على ذكاء الفرد من مقدار إنتاجه»

أما صاحبنا الذى أشرت إلى ذكائه فى طليعة هذا المقال فمن يدرينا لعله لو كان سليما لكان إنتاجه أكثر وأكمل من إنتاجه أثناء المرض

(بخت الرضا. السودان) عبد العزيز عبد المجيد

بين مصر والهند

للأستاذ أبي الحسنات محمد محيي الدين

كلما درسنا تاريخ قدماء المصريين وتاريخ الهنود القدماء، لاحظنا وجوه التشابه بينهما ظاهرة وواضحة. لذلك نورد هذا البحث عساه يكون موضع إمعان واهتمام لدى علماء مصر والهند

الديانة المصرية القديمة

تعتمد العقيدة الرسمية عند قدماء المصريين على أسطورة قديمة ترجع إلى ما قبل التاريخ في نسبتها، وهي عقيدة الثالوث المقدس: (١) أوزيريس إله الإنبات والخصوبة أو إله النيل، (٢) إيزيس إلهة الحكمة والتشريع. (٣) توت إله العلم والتدبير

ثم عرتها قوانين التحول والتدرج وانتقلت إلى عقيدة التاسوع المقدس بدل الثالوث المقدس وهي ترجع إلى القوى الطبيعية المؤثرة في الكون وهي: (١) الماء. (٢) رع (الشمس) (٣) سرا (الهواء). (٤) تيفينة (الفراغ). (٥) جيب (الأرض). (٦) توت (السماء). (٧) أوزيريس (النيل). (٨) إيزيس (الأرض الخصبة). (٩) سيت (الأرض القاحلة أو الصحراء (نيفتيس)

وقد أعطى المصريون لهذه الأشياء صفة الألوهية واعتقدوا أيضاً أن هناك ربّاً هو رب الأرباب وأطلقوا عليه اسم (توم)، واستمرت الحال على ذلك حتى جاء عهد (مينا) الأول فأعلن أن الإلهين (حوريس) خليفة (أوزيريس) في الألوهية و (سيت) عمه وخصمه في دعوى الألوهية قد حلاً في جسده وابتدأ تأليه الملوك (الفراعنة). ولم يستمر الفراعنة موضع القداسة لحلول الإلهين فقط، بل ارتقى فرعون وصار يحل فيه (رع) كبير الآلهة

ثم تحولت عقيدة الحلول من الملك إلى الأجسام التي تتصل بالخصب والإنتاج والبذر والأثمار والأحياء التي تمتاز بميزة يعرفها الفلاسفة والكهان، فأحلوا آلهتهم أحياناً في ثور (عجل أبيس) وأحياناً في قط وأحياناً في ثعبان وأحياناً في تمساح

ولقد وصف بعض الكتاب هذه العبادة قال: «على هياكل المعابد سجف منسوجة بالحرير؛ فإذا تقدمت إلى نهاية المعابد لترى التمثال تقدم إليك كاهن في سكينة ووقار وهو يرتل مزاميره فيزيح قليلاً من الستار ليريك الإله، فلا ترى إلا قطاً أو تمساحاً أو ثعباناً أو حيواناً مؤذياً، فكان إله المصريين دابة ملونة على بساط أرجواني»

هذه هي الديانة المصرية القديمة في أدوارها المختلفة وتلك هي أهم عناصر تكوينها. وبجانب هذا نعرض على القارئين الكرام أهم نواحي الديانة الهندية القديمة لنقارن بين الديانتين فنقول:

الديانة الهندية القديمة

تدل الأسفار القديمة والآثار العتيقة التي ترجع نسبتها إلى ما قبل التاريخ على أن قوام الديانة الهندية القديمة هي القوى المؤثرة في الكون وهي الأقانيم الثلاثة المكونة من (١) براهما (الشمس) الإله الخالق للكائنات وهو إله العلم والتدبير، والحكمة والتشريع (٢) سيفا (النار) إله القضاء والسحر والفناء (٣) فشنو (الأرض) إله الرحمة والخصوبة والسقاية (الكنج وجنا وبراهما بوترا وغيره من الأنهار المقدسة)، ثم لم يلبثوا أن جسدوها واعتقدوا حلولها في بعض الأجسام فأقاموا التماثيل وعبدوا الأصنام لحلولها فيها فتعددت آلهتهم حتى بلغت ستة وثلاثين من الماء (الأنهار) والهواء والسماء والشمس والأرض الخصبة والقاحلة والأشجار والأثمار وغيرها من الأجرام الأرضية والسماوية فأحلوا آلهتهم في الأحياء التي تتصل بالخصب والإنتاج والبذور والأثمار والأجسام التي لاحظوا فيها ميزة فعبدوا الحيوانات المخيفة المؤذية كتنين مفزع وتمساح هائل مخيف وعبدوا البقر والفيل وهلم جرا

كل هذه الأشياء قد بلغت إلى درجة الألوهية في نظرهم، لهذا أقاموا لعبادتها معابد وصوامع وزينوها على النمط المبين في وصف الكاتب المؤرخ للمعابد المصرية وهياكلها. واستمرت الحال على ذلك حتى اعتقدوا أن بعض آلهتهم حلت في جسم الإنسان وهو الملك، ومن ثم ابتدأت عقيدة تقديس الملوك أو حلول اللاهوت في الناسوت، ولا تزال هذه العقيدة باقية في كثير من نواحي الهند كبلاد الأراكن وجزيرة برما وتيبارا في شرق البنغال وآسام وغيرها من المناطق التي يدين سكانها بتأليه الملوك. واعتقدوا أيضاً أن هناك إله الآلهة وسموه (آتما)، أي الإله الأكبر

هذه إلمامة موجزة لما فى الديانتين القديمتين من التشابه ، وهو من الوجهة الدينية ، وكذلك الحال من الوجهة الاجتماعية العامة من الأخلاق والآداب والعادات والتقاليد ، كما لا يخفى على الباحث الدقق والدارس المحقق

يتساءل الباحث ما هو وجه التشابه بين الديانتين القديمتين ؟ وهل كانت هناك بين الأمتين علاقة دينية أو ثقافية أو اجتماعية ؟ وهل كانت أسباب المواصلات بينهما متوافرة ؟ أم كانت هناك جماعة رحالة طاب لها المقام فاستقرت أم ضاق بها المعاش فانتشرت؟ أم طردها العدو فالتجأت ؟ وحلت معها الديانة والمدنية والحضارة والثقافة والتقاليد والعادات وغيرها من المقومات الضرورية للحياة، فعلى هذا أين كان موطنها الأصلى ؟ مصر ، أم الهند ؟ وما الذى دفعها للنزوح إلى ما وراء البحار ؟

كل هذه الأسئلة تمر بخاطر الدارس من غير شك ، ومفتاحها تصفح التواريخ السيكولوجية للأمتين للبحث عن نفسيتهما وعقليتهما وميزاتهما التى تمثل أصل حضارتهما ، وتتبع النقوش فى المعابد التى لم يؤثر فيها كر الغداة ومر العشى ، وكل ذلك يشير إلى أن فى طيات ذلك الدفين الذى لم ينشر بعد من قبره حضارة زاهية اشتركت فى تكوينها جميع أفراد هاتين الأمتين[1] بيد أن أكثر تلك الآثار لا تزال مبهمة ولم يبين كنهها ، ولا يزال البحث جارياً لكشف ذلك ، وقد أخذت الأسباب تتوافر ومادة الاستقراء تتكون بفضل الأجهزة العلمية الحديثة . وها نحن أولاء ندعو علماء مصر والهند للتعاون على هذا الموضوع التاريخى . فهل من مجيب ؟

أبو الحسنات محمد يحيى الندوى
« طاغور » الهندى

(١) أخبر ثقة جليل القدر أنه قرأ أن جماعة من أهل صعيد مصر رحلت إلى الهند واستوطنت جنوب الدكن بمملكة حيدر أباد فى حين أن جماعة أخرى من الوجه البحرى اقتدت بهم ونزلت فى الشمال الغربى والشمال الشرقى للهند ، واستدل كاتب ذلك بأن الآثار التى اكتشفت حديثاً فى بلاد الدكن على جانب كبير من الشبه بآثار الصعيد المصرى ، وكذلك نفسيتهم وعوائدهم . وكذلك أهل الوجه البحرى أيضاً الذين اختاروا لهم البلاد الواقعة بالشمال الغربى والشمال الشرقى ، والملوءة بالأنهار والمحيطة بالبحار الكثيرة ، إلا أن الغزاة الفاتحين من التتار والمغول قد تغلبوا على الكثير من عوائدهم على مر الزمان

خـــــواطر فى الحرب

للأســـتاذ محمد عرفة

أخير هذه الحرب القائمة أم شر ؟ إن هذا السؤال يبدو غريباً ، إذ كيف يمترى أحد فى أن هذه الحرب جمعت من الرزايا والنكبات ما تقشعر من هوله الأبدان ؟ هذه دماء سفكت ، وبيوت دمرت ، ومئات الآلاف من السكان أصبحوا لا يجدون مأوى يأوون إليه ، وهذه أقوات وأرزاق قد سلطت عليها النيران فالتهمتها ، وأصبح فريق عظيم لا يجد الطعام . هذه شعوب كانت حرة فاستعبدت ، ومن هذه الشعوب شعوب كان فى إطلاقها وحريتها مجال فسيح لابتكار ما يفيد المدنية ، وفى استعبادها وقيودها الفكرية ما يعطل هذا الانتاج

هذه أمور ظاهرة لا تجعل مجالاً للشك فى أن الحرب نكبة عالية ، ولكن على الرغم من ذلك أتساءل أخير هى أم شر ؟ وأزيد فأقول إنها ربما تكون خيراً ، وربما تكون شراً : تكون خيراً إذا رأى المتحاربون ويلات ما صنعت الحرب ، وأنه يمكن التخلص منها ، إذا علم أسبابها واجتنبت ، وأن سببها هو إحلال قانون القوة فى الأمم محل قانون العدل

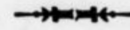
إذا علم المتحاربون ما فى قانون القوة من قدرة على إضرام الحرب وسعوا للتخلص منه، كانت هذه الحرب التى أثمرت هذه الثمرة بركة على الناس . إن من الشعوب التى غلبت على أمرها فى هذه الحرب شعوباً كانت تعامل شعوباً أخرى بهذا القانون ، فكانت تغزوها ، فإذا تغلبت عليها فرضت عليها إرادتها ، ثم تمنعها أسباب الرقى العقلى والخلقى ، لأنها تخاف إذا هى ترقت فى هاتين استثارت وطلبت الخلاص ، وربما نالته ، وكانت لا تشعر بجرم ما تعمل ، لأنها تعمل ذلك فى غيرها . وقد دار دولاب الأيام ، ووقعت هذه الأمم فى قبضة غيرها ، وعوملت بقانون القوة ، وسقيت بالكأس التى كانت تسقى بها ، فوجدت لذلك ألمه ، وعندها ربما تدرك سوء ما كانت تفعل مع الأمم الأخرى وتستنكره ، فتنكر قانون القوة ، وتعرف قانون العدل فيخسر قانون القوة بعض الأنصار ، ويكسب قانون العدل ناصراً جديداً . وفى هـذا الاحتمال أيضاً خير عظيم ، لأنه خطوة واسعة فى سبيل السلام

محمد عرفة

مطالعات عابرة

العقل عند المعتزلة

للأستاذ صلاح الدين الشريف



المعتزلة فرقة من أعلى الفرق الإسلامية تفكيراً وأخصبها إنتاجاً وأبعدها أثراً في فسح آماد الفقه وتقعيده على قواعد من المنطق لم تكن لجدتها مألوفة ولا مقبولة من جمهور فقهاء الإسلام. وهي إلى التزامها جانب الطرافة في التفكير وأخذها النفس بتحكيم العقل الإنساني في تفسير ما تَبْهَم من معميات الوجود وألاغيز النفس وأسرار العمران البشري، ليست تنجو من إغراق وتطرّف لعلهما كانا لازمة من لوازم النفاح عن العقيدة والوثوق بما يرتئيه العقل من رأي، وما يتأدى إليه التفكير العميق من مبدأ، وما يرتصد له من فكرة. وليس بعجيب ألبتة أن يسبق رجالها إلى استنباط فكرة « القانون الطبيعي » الذي يستلهم دستوره في التشريع واستنباط الأحكام من وحي العقل الخالص من لوثة الهوى، المصون من نزوة النزيرة؛ وهم الذين تطلّقوا في النظر والبحث من قيود التقليد وتحرروا من اندفاع المجاراة، فلا جَرَم تتبدّى ثمرات قرائحهم في مسوح من الغرابة، ولا يقبل على تناولها جمهور الأمة الإسلامية وقتئذ إلا في كثير من الحذر والشك والتحرج والارتياب!

كانت الحركة الفقهية في مطالع النهضة العامة للمجتمع الإسلامي وفي أواخر عهد الراشدين وطيلة خلافة الأمويين فالعصر الأول من دولة العباسيين، قد اتخذت أسلوباً من النشاط ولوناً من النماء لم يعهده هذا المجتمع من قبل، فكان طبيعياً أن يتأدى بالفقهاء نشاطهم إلى ولوج أحرج مشاكل الفقه، وأكثر موضوعاته جفافاً وعمقاً. وكان حتماً أن تقودهم عقولهم المتلهفة المتعطشة إلى النظر في فلسفة التشريع والبحث في حقيقة المبادئ والقواعد التي تسير عليها أحكام الله وأحكام الإنسان، ليتخذوا من هذه وتلك دستوراً لا يخطئ في فهم المشيئة الإلهية والحكم على حُسن أو قُبح ما يهدي إليه تفكير الإنسان، وما يطوّعه له كسبه الاختياري المركوز في طبيعته من أقوال وأفعال

فلما اتفق جمهور الأمة الإسلامية على أن مُعرِّف حكم الله بعد مجيء الرسل هو الرسول نفسه الذي يتلقى عن طريق الوحي شرع السماء، ويبلغه إلى من بعث إليهم ليؤدي رسالته، ظهر فريقان كبيران من المسلمين حاول كل منهما أن ينفذ بالنظر العميق والذوق السليم إلى مظهر الوحي الإلهي من أمر أو نهي ليرده إلى أصله الذي صدر عنه ومبدئه الذي درج منه. فقال فريق « الأشاعرة »: إن الله تعالى في أمره ونهيه وجماع تعاليمه التي يلقنها الأنبياء بالوحي، ليس يفعل سبحانه إلا ما يشاء ولا يشرع إلا ما يريد، فهو تعالى رب العالمين ومالك الملك كله لا يسأل عما يفعل؛ وينبني على هذا دستور الأشاعرة في التشريع السماوي، وهو أن ما يأمر به الله العلي القدير حسن جميل، وما ينهى عنه هو القبيح الردئ

وأما المعتزلة فال فقهاؤهم إلى النظر في صفات الله تعالى من لطف وحكمة ورحمة وعلم، وفضلوا أن يجعلوا منها مصدراً بدهياً لما يوحى به الله إلى رسله من نهج ومن شرعة. فهو على قدرته تعالى في تحريم ما شاء والأمر بما شاء، لا يخالف منطق العقل فيما نهى أو أمر؛ أي أنه تعالى لا يأمر إلا بما يراه العقل حسناً من قبل، ولا ينهى إلا عما يراه العقل قبيحاً من قبل

والعقل أيضاً عند هذه الطائفة، هو المنظم لأحوال المجتمع الاسلامي قبل مجيء الرسل وبعث الأنبياء، فهو الذي يهدي الأفراد والجماعات إلى فعل ما يدركون أنه حسن بالفطرة، وهو دافعهم إلى أن ينتهوا عما بان قبحه وظهر ضلاله وخبثه وخالف حكم العقل مخالفة صريحة. وإذا كانت الجنة مثوى من أطاع شرع الله ونفذ أحكامه وانتهى بنواهيه، وإذا كانت النار قراراً لمن عصوا ربهم فارتكبوا محارمه وقارفوا مناكر ما نهوا عنه وصدوا عن سبيله، فإن العقل أيضاً هو المجيز المثيب وهو المعاقب المؤاخذ. فقدرة العقل على أن يستقل بإدراك الحسن والقبح في الأفعال، وعلى تقدير ما يترتب على فعل الحسن من استحقاق الثواب وما ينجم عن فعل القبيح من استحقاق العقاب، يصح أن يعد مصدراً لتعريف حكم الله تعالى ودستوراً، من باب أولى، لتشريع السماء، بله أحكام الفقهاء

فالتشريع ، سواء أكان من وحى السماء أم من وضع البشر فى عصور ما قبل الرسل ، يراه فقهاء المعتزلة كاشفاً ومقرراً لما أدركه العقل من قبل . فهو كما ذكرنا لا يستنكر إلا ما يراه قبيحاً ، ولا يرضى إلا بما يراه حسناً . وفى كلا الحكمين يعتمد على فطرته المادية وذوقه المرهف وإدراكه السليم . ولما كانت أحكام الله عند تشريعها قد قصد بها أن تحكم مصالح العباد وتنظم الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، وبالجملة تهدى الناس إلى التى هى أقوم ، ولما اقتضت حكمته تعالى ورحمته بعباده أن تجىء شرائعه معقولة مفهومة من أولئك المطالبين بالأخذ بها والتسليم لها ، كان « واجباً » على الله سبحانه أن يشترع لعباده الأصلح الذى ينفى والأقوم الذى يهدى ، وكان « حراماً » عليه أن يترك هذا الأمر لا ضابط له ! ...

ولعلنا لا يتداخلنا العجب بعد هذا الذى قدمناه ، إذا رأينا المعتزلة يؤمنون بمبدأ « القدرية » حتى يغلب عليهم اسمه ويصير كنية لطائفتهم تمتاز به عن غيرها من الطوائف المتفرعة عنها . فهى ما دامت تقول بالعقل حاكما مطلقاً للحسن والقبيح من الأفعال ، وما دامت تجعل منه دستوراً لا يخطىء فى تفسير شرائع الله ، وتنظيم مصالح العباد ، واستنباط الأحكام للناس فى دائرة المعاملة ومحيط المعاش ، فإنها لن ينقطع بها تفكيرها عن درك هذه النتيجة المنطقية ، وهى أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً فى الدار الآخرة ، وأن الله تعالى منزه عن أن يضاف إليه شر أو ينسب إليه سبحانه ظلم ، لأنه لو خلق الظلم لكان ظالماً ، وبالتالى لو خلق العدل كان عادلاً . فالحكيم عند المعتزلة هو من يفعل الخير لأنه الخير ، ويتنكب سبيل الشر لأن شره واضح له ، أو بمعنى آخر تتقاضاه الحكمة الراشدة والمعرفة المادية أن يعتنق الحسن ليثاب عليه ، ويصدف عن القبح خشية أن يجازى به ، لأنه يحفظ بالأول أمر دينه ودنياه ، ويخرج بالثانى على أمر عقله فيصف بحياته ويكون خاسراً لدينه ودنياه

ومن ثم كانت تكاليف الله التى أمر رسله أن يأخذوا بها العباد ، هى بمثابة ابتلاء صادق للصالح والطالح من عباده . فمن هلك فى الدنيا أو الآخرة لأنه صدعنها ، فإنما يهلك عن « بينة » أى عن تعقل وتدبر ، ومن صلح وزكا وحقق له مرافقه العيش الدنيوى ومناعم الآخرة ، فإنما كان ذلك عن بينة أيضاً ، لأن أصول المعرفة وإن كانت مستمدة من العالم الخارجى الذى يكتنفنا وتقع عليه حواسنا ، إلا أن إدراك مدلولاتها الحسنة أو القبيحة وشكران النعمة على هذا الإدراك إنما مصدرها العقل ، فالإدراك الصحيح والشكران الحق واجبان على كل مكلف لأنه رزق العقل ووهب الاختيار فى الكسب

وبعد فهل أصاب المعتزلة فى فلسفتهم هذه ، وهل هى تصلح بذاتها لتعريف حكم الله وتقعيد التشريع والفقه على العقل الذى يستقل بالقدرة على تنظيم العباد تنظيما معقولاً مفهوماً يقربون به من الحسن ويبعدون به عن القبيح ؟

قلنا إن الأشعرية يرون أن الحاكم على الأفعال بالحسن والقبح هو الله الذى لا سبيل للعقل فى الحكم عليه لأنه سبحانه متعال عن أن يحكم عليه أحد من العباد فهو خالق أفعالهم وجاعل بعضها حسناً وبعضها قبيحاً ، ويلاحظ أن فى هذا أخذاً — إلى حد ما — بمذهب الجبرية الذى يقول إن الله قدر الأفعال حسنها وقبيحها ، على الناس أزلاً ، فلا مجال لهم فى كسب أو اختيار ما دام أن العبد لم يقدّر فعله ، فضلاً عن أن الثواب والعقاب هما لله وحده وليس فى طوق العبد أن يعلم بهما إلا منه تعالى

والواقع أن الحسن والقبح إذا تأملنا فيهما تأملاً تجريديًا حكمنا بحق أنهما ليسا صفة ذاتية فى الفعل وليسا أمراً ثابتاً مستقراً فيه حتى يصح حكم العقل على حسن الفعل أو قبحه . والعقول بجانب هذا مختلفة متفاوتة لا تتفق فى حكمها ، بل إن عقل الشخص الواحد لا يثبت فى حكمه على شىء من الأشياء على حالة واحدة ، تبعاً لاختلاف المؤثرات الزمانية والمكانية وتفاوت التفكير قوة وضعفاً

ونخلص من هذا إلى أن المعتزلة قالت بنظرية القانون الطبيعى قبل الغربيين بزمن مديد ، وهى النظرية التى تجعل العقل البشرى مصدراً للقانون يعلو على التشريع سواء كان صادراً من سلطة غير منظورة كالله ، أو من سلطة منظورة كالسلطان (الإمام) . فالعقل — كما يقولون — هو الذى يستقل بكشف قواعد هذا القانون ومبادئه الخالدة معتمداً فى هذا على الإدراك الصحيح والذوق السليم

صلاح الدين الشريف
المحامى

إلى معالي وزير المعارف

التعـــليم الزراعي

– ٢ –

دعوتك لما براني البـلاء   وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال   فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في محفل   فها أنا في محفل من قرود
فلا تسمعن من الكاشحين   ولا تعبأن بمحك اليهود
وكن فارقاً بين دعوى أردت   ودعوى فعلت بشأو بعيد
(المتنبي)

المستقبل:

وهكذا تتكبد الدولة ستين وخمسمائة جنيه في السنة للمكتب الزراعي الواحد، أي حوالى خمسين جنيهاً للتلميذ الواحد في السنة، أي خمسين ومائة في السنوات الثلاث لينتهي بعدها إلى جهل مسطور في شهادة يسمونها (الدبلوم)، ثم يُلفظ إلى الشوارع والطرقات يتسكع بطلب الوظيفة كدأب أي طالب تخرج في مدرسته ليزداد به عدد العاطلين عاطلاً آخر

وقد تنفرج شفتا الحياة لواحد منهم عن ابتسامة فيجد عملاً فما يلبث أن يبدو جهله، وكثير منهم طردوا من الدوائر والضياع وشرّدوا ولم يبق منهم إلا من أصاب عملاً في مدارس الزراعة المتوسطة.

والآن حين أسفرت التجربة عن إخفاق يندى له الجبين، قام ناس يتناخون عنها، ويريدون أن ينشروا الفكرة وينشئوا مكاتب أخر إشفاقاً على أنفسهم أن تجتاحهم العاصفة.

مشروع جديد:

إلى هنا هوى المشروع بين يدي النقد الصريح، وما كان لي أن أهدم مشروعاً دون أن ألتمس له طريقاً يسلكه صوب النجاح. وبينا أنا أفتش عن طريق الإصلاح إذا بالجرائد تطلع علينا تقول:

« أشرنا من قبل إلى رغبة وزارة المعارف في تيسير التعليم الزراعي لتلاميذ المدارس الإلزامية وقد انتهت إلى وضع النظام التالي على أن يعمل به ابتداء من السنة الدراسية القادمة

أولاً: يلحق تلاميذ المدارس الإلزامية بالمدارس الزراعية المتوسطة ليتمرنوا تمريناً عملياً في أقسامها المختلفة كالحقل ومعامل الصناعات الزراعية ومعامل اللبن.

ثانياً: أن تكون مدة الدراسة خمس سنوات: اثنتان إعداديتان والسنوات الثلاث الباقية يوزع فيها التلاميذ للتخصص بأحد القسمين وهما: قسم الحقل ويشمل معمل الألبان وتربية الحيوانات. وقسم البساتين ويشمل الصناعات الزراعية وتربية النحل ودودة القز

ثالثاً: ألا تقل سن التلميذ عند الدخول عن ١٣ سنة ولا تزيد على ١٥ سنة وبشرط أن ينجح في كشف الهيئة والكشف الطبي » (الأهرام، ٣/٨/١٩٤٠)

فقلت: لاجرم، فقد تكسر المكتب الزراعي القديم ليكون هذا المشروع مكتباً زراعياً آخراً من نوع جديد، وهالني أن « يلحق تلاميذ المدارس الإلزامية بالمدارس الزراعية المتوسطة » لأمور أفصلها فيما يأتي:

أولاً: لأن التعليم الإلزامي يعم القطر المصري كله، والمدارس الزراعية المتوسطة في دمنهور وشبين الكوم ومشتهر والمنيا فحسب؛ فكيف يستطيع التلميذ الإلزامي في قنا أو جرجا أو كفر الشيخ أو كوم حماده – مثلاً – أن يأخذ قسطه من التعليم الزراعي الجديد ونحن نعلم أن تلامذة الإلزام فقراء لا يستطيع الواحد منهم أن ينأى عن أهله، وإن استطاع هو فلن يرضى أبوه وهو في حاجة إليه شديدة، وإذن لا يمكن أن ينتشر هذا التعليم بين تلامذة الإلزام في سهولة وبتكاليف قليلة. وإذا قيل إن هـذا المشروع ستنتفع به فئة قليلة ممن يستطيعون... فقد ضاعت الفائدة المرجوة؛ وانمحى مبدأ (التيسير) الذي تنشده الوزارة

ثانياً: لأن أجازات التعليم الإلزامي – ولا سيما في القرى – مرتبطة بمواسم الزراعة فالتلميذ هو عضد أبيه... ولقـد جاء في أهرام ٢٧/٧/١٩٤٠ ما يأتي: « وافق معالي وزير المعارف على تعديل نظام الأجازات بمدارس الزراعة المتوسطة ابتداء من أول السنة القادمة بحيث لا تقع هذه الأجازات أثناء المواسم الزراعية الهمة فيفوت على الطلبة ما يمكن أن يفيدوه من خبرة

ودربة على الزراعة العملية تحت إشراف أساتذتهم » . ولا ريب فهذا قانون يسرى على كل طالب وتلميذ فى المدارس الزراعية ومن بينهم تلميذ الإلزام ، فهل يا ترى ، يضحى الأب بقوته ، أم تضحى الوزارة بالفائدة ؟

ثالثاً : لأن تلاميذ التعليم الإلزامى سيخلقون فى المدارس الزراعية فوضى يحق لى أن أسميها « فوضى الاضطراب » أو « فوضى التوسع » . ذلك لأنهم لا يستطيعون أن يقوموا بما يقوم به الطالب الزراعى فى حين أنهم يقفون معاً جنباً إلى جنب فالطالب الزراعى يستطيع أن ينهض بأعباء الدراسة فى سهولة لأنه نال حظاً من الثقافة المتوسطة ، وأن ينتظم فى الدراسة فى غير عنت لأنه كرس حياته لهذا النوع من التعليم ، وأن يدفع المصروفات لأنه غنى . أشياء تمضل كلها على التلميذ الإلزامى

ولعل إنساناً يقول : إن التلميذ الإلزامى سيتعلم مجاناً . لا بأس وإذن يجب أن يتعلم الطالب الزراعى بالمجان أيضاً ، وإلا فعلى أى أساس تكون التفرقة بين هذين التلميذين . فإن اعترض إنسان بقوله إن لكل منهما عملاً . قلت : وكيف يضمهما بناء واحد يشعر أحدهما بالكبرياء والترفع ويشعر الآخر بالضعة والذلة ؟ وكيف يضم بناء واحد فئتين من التلاميذ يدرسان فناً واحداً غير أن إحداهما دون الأخرى . لا مرية ، فهذا عمل تأباه الإنسانية وإذن لا بد أن ينفصل أحدهما عن الآخر

وهنا يتهد هذا المشروع الجديد قبل أن يبدأ

رابعاً — لأن « فوضى الاضطراب » أو « فوضى التوسع » تبدو للعين واضحة جلية حين نرى أن ناظر مدرسة الزراعة المتوسطة سيشرف على المدرسة الجديدة والمدرسة القديمة وتلامذة الإلزام ولكل فئة من هؤلاء منهج ونظام ، ثم الحقل والعمال والمخازن والآلات و ... مما ينوء بالعصبة أولى القوة . ولكن الشغف بالشىء يعمى عن الحقيقة البينة

الإصلاح :

إن نشر التعليم الزراعى بأقل التكاليف وأبسط الطرق هو المبدأ الذى وضعته أمام عينى حين أخذت نفسى — بادئ ذى بدء — بنقد هذا التعليم . وهذا المبدأ يستطاع تحقيقه بتنفيذ عملين معاً

العمل الأول : أن تصير سنوات الدراسة فى المدارس الإلزامية خمساً وتلحق بكل مدرسة قطعة أرض صغيرة تقسم إلى خمسة أقسام لكل فصل قسم يزرعه نوعاً أو أنواعاً من المحاصيل الزراعية أو الخضروات حسب تقسيم المنهاج . وهذه القطعة يزرعها التلاميذ بأنفسهم لا يساعدهم أحد إلا أن يكون للتدريب والتوجيه ليشهدوا ويعملوا بأيديهم تحت إشراف مدرس من خريجى المدارس المتوسطة . أما الماشية التى يحتاجون إليها فيستطيعون الحصول عليها من أحد أعيان الناحية أو من عمدة البلدة . ويقوم التلاميذ على حساب الإيرادات والمصروفات ، ويكلفون بجمع الحشرات المختلفة ويتعلمون (سورة الفدان) . وهكذا يستطيع التلميذ أن يتعلم فن الزراعة وفلاحة البساتين ومبادىء الكيمياء الزراعية وعلوم الحيوان والنبات والحشرات ومساحة الأراضى فى صورة بسيطة . ولا ريب عندى أن التلاميذ يستطيعون بجدهم أن يسددوا إيجار قطعة الأرض الملحقة بالمدرسة، وبذلك لا تخسر الوزارة شيئاً فى حين قد كسب الوطن أشياء كثيرة

وهذا عمل تقوم به مراقبة التعليم الإلزامى فى سهولة ، وفى غير إرهاق

ولتمام فائدة هذا العمل ينشأ فى كل مركز معمل ألبان وآخر للصناعات الزراعية يقوم عليه طائفة ممن أتموا مرحلة التعليم الإلزامى ويبتغون الزيادة : يشترون المواد الخام ، ويبيعون المنتجات ، ويحسبون الأرباح والخسائر بأنفسهم

العمل الثانى : أن ينشأ فى كل قرية أو عدد من القرى المتجاورة مكتب إرشاد يشرف عليه أحد خريجى كلية الزراعة

ويكون رئيس هذا المكتب هو رئيس مدرس الزراعة بالمدرسة الإلزامية ، وحلقة الاتصال بينه وبين المباحث الحديثة ، فهو يبلغه النشرات الجديدة ، وما يطرأ على فن الزراعة من تجديد وتغيير ، ويفتش على عمله بالمدرسة وبالحقل ، ويكتب التقارير إلى جهة الاختصاص و ...

وهذا العمل تقوم به وزارة الزراعة أو وزارة الشئون الاجتماعية

* * *

هذا ... وللمدارس المتوسطة جولة أخرى إن شاء الله

« للموضوع تكلة » (*)

وداع الشاطئ

من الفردوس الى الجحيم

للأستاذ سيد قطب

أحلُ يا شطُّ ما تشاء فإنّي   رغم سحرِ الجمالِ والموج راحلْ
راحلٌ حشدُ نفسِه لفتاتٍ   ليس عن فتنة الجمالِ بغافلْ
قد دعتهُ إلى الرّحيلِ ديارٌ   في صميم الجحيم تُدعى الشواغلْ
هي قبرُ الآمالِ والفنِّ والحبْ   بِ وقيدٌ عن كلّ ماشاق شاغلْ
وهي داري التي درجْتُ عليها   وإليها المآبُ مهما أحاولْ !

أحلُ يا شطُّ بالجمالِ طليقاً   من قيودِ الزمانِ نشوانَ واهلْ
أسكرتْهُ الأمواجُ وهي تزجّي   دفعاتِ الحياةِ في كلّ نازلْ
فيرى نفسَهُ خفيفاً غريراً   قاهراً قادراً يجوزُ الحوائلْ
دفعاتُ الحياةِ في الموجِ أسنى   من بريقِ الآمالِ في نفس آملْ

أحلُ يا شطُّ بالعرائسِ حوراً   سابحاتٍ والموجُ ظمآنُ ناهلْ
كانفتالِ الحيتانِ في البحرِ وثباً   وانثناءِ الغزلانِ والشطُّ ذاهلْ
فتنةٌ تسكبُ الحياةُ عليها   سِحرَها والعيونُ حورٌ قواتلْ
واندفاعُ الأمواجِ يوقظُ في النفْـ   ـسِ ظماءً مرفرفاً في الدّخائلْ
وانطلاقاً من التزمّتِ والعُرْ   فِ وشوقاً إلى المباهجِ واغلْ
أحلُ يا شطُّ لن نُطيقَ انفلاتاً   من رحيلٍ إلى جحيمِ الشواغلْ

القُبلة

للأستاذ خليل شيبوب

يا حبيبي قدْ أموتُ غدَا   ذائبًا في حسْرتي كمَدَا
آهِ لوْ تشْفي غليلِيَ في   قُبلةٍ ما تنتهي أبدَا
أتملّاهَا فمَا لفمٍ   لِتُذيبَ الرُّوحَ والجسدَا
ناهلاً أنفاسَها عبقًا   نشرُهُ يستزوي الخُلدَا
شارِبًا مِن طيبِ رشفتِها   خمرَةَ الموْتِ الذي عهِدَا
حافظاً مِنْ طعْمِها بِفمِي   لهبًا يشْتدُّ متّقدَا
علْقمًا تحلو مرارتُهُ   وتشقُّ القلبَ والكبِدَا
سكْرةٌ مخمورُها تعِسٌ   لنْ يُلاقي بعْدَها رشَدَا

إيهِ يا شمْسَ حيَاتي التي   نورُها قدْ شعَّ منفرِدَا
أنتِ رُوحي ليْسَ عنْكِ غنًى   أوْ تُضحّي الرُّوحُ عنكِ فدَى
أنتِ آمالي مُجسّمةٌ   تزْدهي ألوانُها جُدُدَا
وحَياتي أنتِ زينتُها   جُزْتِ فيهَا المالَ والولَدَا
أنتِ سِرُّ العُمرِ أفهمُهُ   أنتِ معْناهُ يفيضُ هُدَى
إنّهُ قدْ صارَ لحْنَ هوَى   وغدَا قلْبي بِهِ غرِدَا
كانَ لِي عقلٌ يُدبّرُني   وهْوَ في حُبّيكِ قدْ شرَدَا
كانَ لِي عزمٌ أعيشُ بهِ   وهْوَ منّي اليومَ قدْ فقِدَا
كلُّ ما في العيْشِ مِنْ فتنٍ   ذهبتْ غيرَ الغرامِ سُدَى
أنا مُستغنٍ بحبّيَ عنْ   كلِّ ما في الكائناتِ بدَا
آهِ يا شمْسَ حيَاتي ألاَ   قُبلةٌ أحيا بها أبدَا
أتملّاهَا فمَا لفمٍ   لِتُذيبَ الرُّوحَ والجسَدَا

عيد ميلاد سعيد

للأستاذ العوضي الوكيل

يومُكِ يومي ، وعيدُكِ العيدُ   وفيهِ تحلُو ليَ الأناشيدُ
يا روْضةً قدْ زهتْ مطالعُها   هأنذا في رُباكِ غرّيدُ
أشدُو بأحلامِ مُهجتي أبداً   شِعراً تعي سِحرَهُ الجلاميدُ
تألّقَ الحُبُّ في جوانبِهِ   وازدانَ بالفنِّ وهو منضُودُ
وسلْسلتْهُ عواطفٌ سلستْ   فما بشعرِ الجمالِ تعقيدُ

يا زوْجتي ، يا هوايَ ، يا أملي   قلبي بمغنى سناكِ محشودُ
بقيّتي أنتِ في الحياةِ وما   تخيّلي إلاّ إليكِ مردُودُ
منْ مُنذ عشرينَ غيرَ واحدةٍ   ومعدنُ الفنِّ فيكِ موجُودُ

نـــداء ...

للأديب عبد الرحمن الخميسي

[يا حمامتي في محاجئ الصخر ، في ستر المعاقل ، أريني وجهك ، أسمعيني صوتك ، لأن صوتك لطيف ، ووجهك جميل] « التوراة * »

وجهها

سَوّاهُ رَبّي فِتنةَ الأحياءِ … مِنْ سَرمَديّ الحُسْنِ واللألاءِ
ما وَجْهُ أفْرُوديت إلاّ صُورة … منه ، كَظِلّ الوَرْدِ فوقَ الماءِ
خطَّ الإلهُ السحرَ في قَسَماتِهِ … وَنَماهُ في جَنَّـاتِهِ الفيحاءِ
وَسَقاهُ أرْواحَ الجمالِ فكله … كلُّ الجمال مُفَصَّلُ الآلاءِ
فيه الربيعُ وفيه طيرٌ ماشدتْ … لكنّها تشدو بغيرِ غِناءِ
فِيهِ مِنَ اللّيلِ الوَديعِ قَداسَةٌ … تُلْقي بُذورَ الخيرِ في أطوائي
فيه مِنَ الألَقِ المُصَفّى لُمْعَةٌ … خمريةٌ مَشْبُوبَةُ الإغْراءِ
فيه خُفُوتٌ شاعِريٌّ ، تحتَهُ … نارُ الشبابِ تسيرُ في استِخذاءِ
فيه النَّقاوَةُ وَالبَراءَةُ جُمِعتْ … وَتحَدَّرتْ مِنْهُ إلى البُرآءِ
هُوَ مَعْبَدٌ تَعْتاشُ في مِحْرابِهِ … صَلَوَاتُ عُشّاقٍ ، وَنُسْكُ سَماءِ
ضَحّيْتُ فِيهِ تقَرُّباً مِنْ خالِقي … بزهورِ عُمْري والتِياعِ هَنائي
وَنفضتُ عَنّي المجدَ ، مَجْدًا زائفاً … وَنَشَدْتُ فِيهِ رِفعتي وَعلائي
وَعَبَدْتُ فِيهِ اللهَ لا مَحْبُوبَتي … فاللهُ مُبْدِعُ تِلكُمُ العَذْراءِ
وَنَسَجْتُ مِنْ أنوارِهِ غَيْبُوبَتي … فَوَجَدْتُها أنقى مِنَ الأضْواءِ

يا شَعْرَها الغِرْبيبَ لَيْتَ أنا الذي … أهتَزُّ فَوقَ جَبينِها الوَضّاءِ
فأمُدُّ مِنْ ذاتي قِناعاً حالِكاً … يخفي ابْتِسامَتَها عَنِ الأحْياءِ
فأنا أغارُ ، وَغيرَتي مجنُونةٌ … هَدّتْ بنائي ، آهِ أينَ بنائي ؟

ما حَرّكَتْ أجفانَها إلاّ وَقَدْ … لَطَمَتْ فؤادي غمرةُ الإعياءِ
وَالسهدُ في العينين كَبّلَ مَنطِقي … وَأصابني بالرعْشَةِ الخَمْقاءِ

صوتها

ينسابُ كالصهباءِ في حسّي إلى … أنْ تحتويه نشوةُ الصهباءِ
فتميد بي الدنيا وأنسى صرفها … وتفُكُّ روحي من إسار بقائي
وأهيمُ في أفقِ الذهول معانقاً … وَهمي إلى عُشٍّ مِنَ الأضواءِ
تختالُ فيه القُشْبُ من أحلامنا … وترِفُّ حولي عَذْبَةَ اللألاءِ

هو ذُخْرُ وجداني إذاما فرّقتْ … بيني وبينكِ رَجْفَةُ الأنواءِ
فيرنّ في غوري صداهُ مرقرقاً … شوقَ الحبيبِ إلى الحبيبِ النائي
ويُفيحُ حرَّ الوجدِ من أنغامِهِ … في حبّتي وعلى هدير دمائي
فيَلُفّني الإعصارُ إعصارُ الجوى … وتُذيبُ نفسي غُرْبَةُ الشعراءِ

إني أحسُّ لِرَجْعِ صوتكِ في دمي … لهباً وبرداً يُترِعانِ ذِمائي
وأودّ لو أني هـواءٌ عاطراً … ثَمِلاً بموسيقاه في أحنائي
أطوي عليه النفسَ خشيةَ سامعٍ … وأغارُ يا دنيايَ من أحشائي
يا ليتَ أني في لهاتِكِ غُنوةٌ … علويةُ التلحينِ والإلقاءِ
لسَكَنْتُ في الألبابِ أخلدَ منزلٍ … ما دمتِ أنتِ ترنّمتْ بغنائي

إني الشحيحُ وجَرْسُ صَوْتُكِ في دَمي … وَسْوَاسُ تِبرٍ نافذُ الأصْداءِ
حول الرنينِ يطوفُ عُمري مثلما … يَتطوّفُ الحرّانُ بالأفياءِ
وَلسانُكِ الذّهَبيُّ قيثارٌ سَرَتْ … مِنْ قلبِهِ أغْرودَةُ الجوزاءِ
وكأنها فجرٌ ، أنا في نُورِهِ … جِسْمُ الدجُنّةِ ذائبُ الأعضاءِ
وكأنها عِطرٌ يُضَمِّخُ مهجتي … وَأنا النسيمُ مُعَطَّرُ الأرجاءِ
وكأنها طَلٌّ يغيثُ حَشاشَتي … وَأنا البَنَفْسَجُ في الربى القَحْلاءِ
وكأنها جمرٌ يحرّقُ مَعدني … وَيحيلني رُوحاً مِنَ العلياءِ
وكأنها كلُّ الحَياةِ تَدِبُّ في … جَسَدي دَبيبَ النورِ في الظلماءِ

(*) نشيد الانشاد . الاصحاح الثاني

وَقَدْ سَخَا الكونُ حينَ أخرَجَهُ … وهو شحيحُ اليَدَيْنِ مَنْكودُ !

خُذي ، خُذي الشعرَ من مَصادِرِهِ … وَرَدِّديهِ إنْ لَذّ تَرْديدُ
وَرَجِّعي لحنَهُ عَلى خَلَدي … فإنّ هـذا لِلحُسنِ تَمجيدُ
إن حَدّدتْه الحروفُ في كلمٍ … فما لَهُ في الضميرِ تحديدُ

يوْمُكِ يومي ، وتلكَ تهنئتي … تزفّها نحوكِ الأغاريدُ
تَبَلْبَلَ القَلْبُ في مَقاطِعِها … يهتفُ : عُمرٌ كالدّهرِ ممدودُ



لا بد من حل

الفن . الخبز . الروح

[والرجاء فى معالى وزير المعارف الفنان الكبير « الدكتور هيكل باشا »]

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يذكر القراء أن مدرسة الفنون الجميلة العليا تورطت فى العام الماضى مع نفسها تورطاً عجيباً إذ حكمت على طلبة قسم النحت فيها بأن يرسبوا جميعاً وأن يعيد كل منهم دراسته فى سنته نفسها

ويذكر القراء أن إشاعات كثيرة راجت حول هذا التورط العجيب ، كما يذكر القراء أن الرسالة تناولت هذا الحادث الخارق للمادة بكلمة حدث على أثرها — ولا نقول بتأثيرها — أن نقل الدكتور ناجى مدير المدرسة السابق منها ، وأن عهد بإدارة المدرسة للأستاذ محمد حسن المراقب المساعد للفنون الجميلة بوزارة المعارف

والأستاذ محمد حسن رجل له خطط يرسمها وينفذها مستعيناً عليها بجماعة من أساتذة الفنون فى مدرستى الفنون الجميلة العليا والفنون التطبيقية . وهم كلهم من الشبان المتطلعين إلى فوق ، والذين يؤمنون بأنه قد آن للمصرى الفنان — كما آن لكل مصرى — أن يزيح عن مناصب الحكومة وعن ميادين الأعمال الحرة أيضاً كل أجنبى دخيل جاء إلى مصر ليربح المال ، وليجمع المال ، وليكسب المال

وأنا وإن كنت بعيداً عن كل تعصب ، وإن كنت أكره التفريق بين الناس لأى سبب من الأسباب ، فإنى لا أملك أن أصد الأستاذ محمد حسن عن المضى فى اتجاهه ، لأنه قد تم له فعلاً التخلص من كل الأساتذة الأجانب فى مدرسة الفنون الجميلة ، وقد أحل بدلاً منهم فعلاً فريقاً من الأساتذة الشبان المصريين ، وهؤلاء هم الذين نرجو اليوم على أيديهم الخير للمدرسة ، والله الموفق .

وكما دبر الأستاذ محمد حسن مسألة الأساتذة على هذا النحو الذى ارتآه ، فقد فكر أيضاً فى مسألة الطلبة والمتخرجين ، ورسم لهم هم أيضاً خطة قال لى إنه عرضها على معالى الدكتور هيكل باشا فى وزارته السابقة ، كما قال لى إن معاليه وافق عليها ، ورصد لها مبلغاً من المال ليبدأ تنفيذها به ، ثم حلت الظروف القاسية التى نعانيها اليوم فبطل الإنفاق وبطل التنفيذ .

وهذه الخطة هى موضوع حديثنا اليوم ، لأننا لا نزال نرى أن هذه الظروف القاسية لا يمكن أن تكون حائلاً دون تنفيذها ، بل إننا نرى أن هذه الظروف القاسية نفسها دافع قوى يحفزنا إلى التعجيل بها

تخرج مدرسة الفنون الجميلة العليا كل عام جماعة من الشبان الفنانين ، بعضهم يلتحق بوظائف الحكومة ، وبعضهم يظل يسعى وراء وظائف الحكومة إلى أن يلتحق بها ، لأنه لا سوق للفن فى مصر

فإذا كانت الحكومة تنوى أن تستبقى مدرسة الفنون الجميلة العليا مفتوحة للطلاب تستقبلهم وتخرجهم ، فإن عليها أن تفكر فى أمرهم ، فهى المسئولة عنهم ، كما أنها المسئولة عن كل عبد من عباد الله الذين تتولى أمورهم

ونحن لا نجرؤ على مطالبة الحكومة بتوظيف كل متخرج من هذه المدرسة ، فنحن نعرف أن وظائف الحكومة محدودة ، وأن الحكومة متخمة بالموظفين ، كما أننا نعرف أن الفن لا يحيا مرتاحاً ، ولا ينمو مزدهراً فى الدواوين والمصالح

فالباقى على الحكومة أن تفكر فيه إذن ، هو أن تنشئ للفن فى مصر سوقاً ، أو أسواقاً ؛ فإذا هى فعلت ذلك ، تفتحت أبواب الحياة أمام الفنانين ، وتفتحت عيون الناس على الفنون ، وتابع الجمهور الحكومة فى الاهتمام بالفن وفى الإقبال عليه

وإذا كانت الحكومة قد آمنت بأن التمثيل فن جدير بالرعاية والتشجيع لما يهذب النفوس ويرقيها ، فأنشأت الفرقة القومية ، وفتحت بها للممثلين باباً مطمئناً من أبواب الرزق ، وإذا كانت الحكومة قد آمنت بأن الغناء والموسيقى فنان جديران بالرعاية والتشجيع لما يصقلان النفوس ويرفهان عنها ، فرعت محطة الإذاعة ، ورصدت لها إعانة سنوية تنفق على المغنين والمطربين ،

وتضمن لهم باباً مطمئناً من أبواب الرزق أيضاً ، فإن على الحكومة كذلك أن تؤمن بأن النحت والتصوير فنان لهما أثرهما فى النفوس كغيرهما من الفنون ، وعليها بعد ذلك أن تفتح للنحاتين والمصورين الذين تربيهم باباً مطمئناً من أبواب الرزق كما فعلت ذلك مع غيرهم

فما هى هذه السوق التى تستطيع الحكومة أن تنشئها للنحاتين والمصورين ؟

« المتاحف » ، فهى أول ما يرد إلى الذهن ، ولكن التجربة أثبتت أن الجمهور المصرى منصرف عن المتاحف انصرافاً تاماً ، وأن كل ما ينفق عليها عبث لا يجدى ولا يعود بالنفع ، فهى بعيدة عن الجمهور ، لا يقصد إليها أحد ، ولا يستمتع بها أحد ، ولا يتأثر بها أحد . والذى نريده نحن أن نضع الفن تحت أعين الناس حتى يروه ويتأثروا به ، ثم يحبوه ، ويقبلوا عليه

وقد ألهم الله الأستاذ محمد حسن فكرة ضمنها تقريره الذى رفعه لمعالى الدكتور هيكل باشا فوافق عليه ولكنه توقف عنه للأزمة الطارئة ...

وتلك الفكرة هى أن تقرر الحكومة تزيين معاهدها ودورها العامة ، وحدائقها ومتنزهاتها ، وشوارعها وميادينها بالصور والتماثيل ...

وتستطيع الحكومة أن توفر آلاف الجنيهات من ثمن السجاجيد التى تفرشها على الأرض فى دورها ومعاهدها ، وأن تعطى هذه الآلاف للفنانين المصريين الذين يشكون اليوم أزمة البوار بينما اليوم هو يومهم الذى تلطب البلاد فيه نفثات أرواحهم

ومعالى الدكتور هيكل باشا أول من يعرف أن نفوس الجماهير لا يؤثر فيها شىء مثلما يؤثر فيها الفن ، وأنه لا يملؤها عزماً وحباً للحياة إلا الفن ، وإنى أخجل من التحدث إليه فى هذا الموضوع لأنى واحد من أبنائه فيه ، فقد تعلمت من كتابته كما تعلم غيرى أن تباشير النهضات دائماً لا تكون إلا فنوناً يتلوها العلم ، ثم يتلوه العمل

فإذا قيل لنا إن الظروف القاسية التى نعانيها اليوم تمنعنا من التبذير ومن الإنفاق على الفنون الجميلة فى الوقت الذى تحتاج فيه إلى الإنفاق على ما هو أهم منها وأكثر ضرورة ووجوباً فى هذه الظروف ، قلنا إنه لا شىء أهم من الفن فى هذه الظروف ولا شىء أكثر منه ضرورة ولا شىء أكثر منه وجوباً

وإن نظرة واحدة نلقيها على الدول المتصارعة فى العالم اليوم تثبت هذا الذى ندعيه ، فألمانيا وإيطاليا استمانتا بالفنون على تهييج شعبيهما ، فما فى برلين ولا فى روما ميدان إلا وفيه تمثال ، وما فى برلين ولا فى روما شارع إلا وفيه صور وخرائط ورموز تشعل الحقد والغرور فى نفوس الناظرين إليها من أهلها ، وإن بريطانيا العظمى اليوم لتستعين بالأدباء والخطباء على إثبات حقها فى الدفاع عن الديمقراطية التى تتحدى بها الديكتاتورية وتناصرها عليها . وكل من ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا العظمى تنفق على التصوير والنحت والأدب والخطابة ملايين الجنيهات غير آسفة ، لأنها تعرف أن هذه الفنون غذاء لازم للأرواح لا تستطيع الأرواح الإقبال على الكفاح أو الثبوت فيه إلا إذا شبعت وارتوت منها . وإذا كانت هذه الدول تؤمن بفوائد الفنون هذه الإيمان ، وإذا كانت هذه الفنون قد أحدثت فى هذه الدول هذه الآثار التى نراها من احتمال المقل فى الألمان والطليان والصبر الجبار عند البريطان ، فإنه جدير بنا أن نهرع إلى هذه الفنون لنشبع أنفسنا ونرويها منها ، فلسنا نعيش فى دنيا غير الدنيا التى تعيش فيها هذه الدول ، وإنما نحن فى مركز الدائرة ، وإذا نحن فوتنا هذه الفرصة وقعدنا فيها عن استغلال الفنون فى إثارة الروح الوطنية فى نفوس المصريين ، فإننا قد لا نحتاج بعد اليوم إلى الفن يحيينا ، لأننا قد نحتاج بعد اليوم إلى أدوية وضروب أخرى من العلاج

هذه الظروف القاسية إذن هى أنسب الظروف لإنعاش الفنون الجميلة وإحيائها وتفتيح الأسواق للفنانين ، وتستطيع الحكومة أن تبدأ منذ اليوم بإنشاء مكتب جديد فى وزارة المعارف لشراء الصور والتماثيل من الفنانين لتوزيعها على الدور العامة والمعاهد الحكومية والميادين والمتنزهات والشوارع ، وأظن أن تاريخنا الطويل مملوء بالموضوعات الوطنية الجبارة التى تفعل فى النفوس فعل السحر ، كما أظن أنه كان من آبائنا وأجدادنا أبطال من حقهم علينا ، ومن حقنا على أنفسنا أن نخلد صورهم أمام أعيننا لننظر إليها دائماً ولنستقى من معانيها آيات المجد والحرية والإيمان

ولعله مما يضيق به صدر الحق والفن أن تكون كليات الأزهر خالية من تماثيل أبطال الأزهر وصورهم ، وأن تكون الكلية الحربية خالية من صور زيتية تخلد البطولات المصرية

والانتصارات المصرية فى تاريخنا القديم وفى تاريخنا الجديد ، وأن تكون كليات الجامعة خالية من تماثيل رجال العلم ورجال الأدب المصريين والأجانب الذين لا نزال نتتلمذ عليهم ونأخذ عنهم ، وأن تكون دار البرلمان المصرى مزدانة بصور فوتغرافية ملونة صنعتها آلات جامدة فهى لا تجسد للعين ولا للقلب المزايا التى استحق أصحاب هذه الصور أن يحتفظ البرلمان المصرى بصورهم لها وأن يزين جدرانها بها من أجلها . ولعله مما يزور عنه الذوق أن تكون دور الأوبرا المصرية خالية من صورة أو تمثال لسيد درويش وسلامة حجازى ، وعبده الحامولى ، ومحمد عثمان وغيرهم من الفنانين المصريين ... ولعل ... ولعل ... ولست أريد أن أمضى فى تعداد نواحى النقص هذه البارزة فى حياتنا فنحن نعرفها ، وليس فينا من يجهلها ... والذى يهمنا اليوم هو أن نبدأ بعلاجها لأننا قد شبعنا كلاماً فيها

بقيت بعد ذلك فكرة طريفة ، قال لى الأستاذ محمد حسن : إن بعض الدول فى أوربا تنفذها بالفعل ، وهى أنها تلزم أصحاب العمارات والبنايات الكبيرة بأن يخصصوا اثنين فى المائة على الأقل من تكاليف بناياتهم وعماراتهم لزخرفة هذه العمارات والبنايات وتزيينها بالرسوم والتماثيل والصور . ولا شك أن تنفيذ هذه الفكرة يفتح الميدان واسعاً جداً أمام الفنانين ، وهو فى الوقت نفسه لا يضر أصحاب العمارات والبنايات فى شىء

* * *

والآن : الطريق أمامنا ممهدة معبدة . ونحن إذا آمنا بفائدة الفن وفعله فى النفوس وأردنا أن نستغله لترقية أنفسنا فإننا من غير شك سنجد أنفسنا حيال أزمة هى عكس الأزمة التى نشكو منها اليوم ... فنحن اليوم نبحث عن عمل للفنانين . ولكننا عند ما نبدأ بتنفيذ هذه الفكرة سنجد أنفسنا مشغولين بالبحث عن الفنانين لكثرة العمل

وعلينا أن نذكر أخيراً أن الحكومة إذا بدأت بتقدير الفن والفنانين المصريين ، فإن كثيرين من عظائنا وأغنيائنا وفقرائنا سيتبعونها فى هذا التقدير ، لأننا شعب تعود أن يتأثر « الميرى » دائماً . ويا حبذا أن نتأثر « الميرى » فى الخير

عزيز أحمد فهمى



قصة الفيتامين

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامي

- ٣ -

عاد البحث ثانياً عن « الفيتامينات » عقب سنى الحرب فى سنة ١٩١٩ ، بعد ما انطفأت شعلة الحرب واتجهت الإنسانية نحو وجهة علمية مدنية، وعاد شغف البحاثين وولع العلماء فى جميع المعامل بمتابعة التوسع فى دراسة مبهمات هذه المادة الغذائية اللازمة للحياة ، والتى دلت عن طريق التجارب الغذائية على وجودها فى كثير من الأطعمة مثل الخميرة والزبدة وكبد الحوت والبيض والقشدة وبذور الحبوب والكرنب والكرنبيت والخس والطماطم وغيرها ، كما اتضح أنه يستحيل نسبتها جميعاً إلى أصل مادة واحدة ، فهى إذن تنتمى إلى مجموعات عضوية مركبة مختلفة التركيب .

ومن المشاهد أنه فى حالة غياب أى نوع واحد من الطعام يحمل الفيتامين تظهر أعراض مرضية تختلف عن تلك التى تظهر عادة عند نقصان نوع ما من الغذاء . فالحالة الأخيرة تتلاشى فيها الأعراض عند إكمال النقص بعكس الحالة الأولى التى تستدعى لزوال أعراضها مصادر عديدة مختلفة من الفيتامينات

وبتوالى استنباط وتجديد تراكيب غذائية مختلفة لا توجد فيها الفيتامينات إما من الأصل أو سُلبت منها قسراً ، وإجراء هذه التراكيب على الحيوانات كالفيران ، وملاحظة ما يطرأ من الأعراض ويجد ، ثم معالجة هذه الأعراض بالدقة والترتيب اللازمين ، وذلك باجتناب المواد المسببة لتلك الأعراض . من تلك المشاهدات ، ومع ما تستوجبه من الحرص والكفاية أمكن العثور بادئ ذى بدء على أربعة أنواع من الفيتامينات . ومع ضياع كل الجهود التى ذهبت حينذاك هباء للتدليل على الفيتامينات من الناحية الكيميائية ، أو لتكييفها طبيعياً ، فقد وضحت طريقها ووضعت لهذه المواد الحيوية المبهمة غير المحدودة المعالم الرموز : A, B, C, D.

لم يثن هذا من عزم الباحثين ولم يقف الجمود أمام سر تركيب الفيتامينات حجر عثرة فى طريق البحث والتطلع من الستار الحاجبة أخذت تنهتك وتشف ، وأخذ فى تطبيق النتائج التى وُصل إليها عن طريق تغذية الحيوان — على الإنسان . وقد أدى هذا إلى معرفة وتشخيص كثير من الأمراض كانت مجهولة الأسباب حينذاك مثل : البرى برى والاسخربوط والبلاجرا (الطفح الجلدى اللومباردى — نسبة إلى لومبارديا فى إيطاليا) والراخيتيس فعُرّفت بعدئذ بأمراض نقص الفيتامين أو الفيتامينوزات

وكان من أثر هذه النتائج وشيوعها ، واستغلال بعض الصناعيين لها فى ترويج مستحضراتهم بعد ما عرف أن الأمراض سابقة الذكر غيرُ مستعصية العلاج — أن ظهر ما سُمّى حينذاك « بشبح الفيتامين » أو « حمى الفيتامينات » الذى يُذكر من جديد « بشبح البكتريا » لعشرين سنة خالية قبل هذا التاريخ إذ قيل عند اكتشافها بأن كائنات دقيقة حية هى التى تنقل المرض وتسبب العدوى ، لذا وجب الإغلاء والتعقيم كي تموت هذه المسببات ، بينما قيل العكس فى الحالة الجديدة التى يشار فيها بعدم الإغلاء أو الطهى إن أمكن حتى لا تؤذى الفيتامينات أو تتعرض حيويتها للهلاك

وقد أدى هذا إلى كثير من الخلط والالتباس ، تعرضت له حالة الفيتامين الجديدة إبان نشوئها إلى كثير من الشبهة ، وليس فقط فى مستهلها بل وفى أثناء إتمام بحثها مما سنراه

ولقد أسيء كثيراً إلى كلمة الفيتامين نظراً لاستعمالها فى أوضاع خاطئة ولتشعب النواحى والأفكار بخصوص ما ينتظر منها ومن أثرها ومدى عملها فى منع أو شفاء كثير من الأمراض، ومع هذا فقد بلغ علم دراسة الفيتامينات شوطاً كبيراً فى السنين الأخيرة حتى يومنا هذا — شوطاً ذا أهمية عملية بالنسبة لحياة الإنسان اليومية ، مما لا يمكن أبداً الإقلال من قيمته بل على العكس إكباره وتقديره . وليس هذا فقط لما جدّ من اكتشاف أنواع أخرى من الفيتامين ولا لما عرف من عديد

الأمراض التى كانت مجهولة الأسباب فأضحت أسبابها بيّنة ممكنة العلاج ولا لما أمكن تحضيره من هذه الفيتامينات صناعياً وما يجرى العمل لإتمام تحضيره ، بل لقد تهيأت الأسباب حديثاً لمعرفة طبيعة الفيتامين ومهمتها وعملها فى الجسم وتصرُ ما بين حجابها وبين الإنسان

وإذا ما أردنا بكلمات قليلة أن نحصر أو نعرف أهم ما عرف عنها إلى اليوم وجدنا أن الفيتامينات عبارة عن مجموعات أو مخلوطات عضوية مختلفة التركيب هى نتيجة تطورات (تعقيد) لعوامل مساعدة فى التمثيل (التحول الغذائى) وعليه تكون الحاجة إلى وجود الفيتامين فى الخلية الحية من أوجب الضرورات. وبما أن الفيتامينات قد وجدت فى أصل البحث فى النبات فيغلب على الظن أنها تقوم فيها مقام المواد الفعالة (الهرمونات) فى جسم الإنسان والحيوان ، كما وجد أن بعض النباتات قد تصيبها بعض أمراض نقص الفيتامين وهذا ما وصل إليه حديثاً العالم النباتى بورجيف Burgeff إذا أثبت أن نبات Orchidecnsamen يموت تدريجياً إذا لم يحصل أثناء نموه على الفيتامين (ب) عن طريق نبات فطرى يعيش عليه معيشة اتحادية، وذلك لأن النبات نفسه غير قادر ولا مهيأ لعمل الفيتامين . وكما أن الفيتامينات ضرورية جداً فى جسم الإنسان والحيوان ولا معدى عن وجودها فيه فهى كذلك (ضرورية) حتى عند الحيوانات الدنيئة — فقد تصيب الحشرات مثل الصراصير (صراصير المطبخ) والنحل وبرقة السوس أمراض نقص الفيتامينات

يجب إذن تموين جسم الإنسان والحيوان دائماً بتلك المواد الحيوية ، إما بفيتامينات كاملة أو أولية التركيب « بروفيتامين » وذلك لتسهيل عمل الخلية الحية أو مجموعة الخلايا وبالتالى لتنظيم سير الجهاز الحيوى (دورة الحياة) ، وتكفى منها كميات صغيرة جداً وتعتبر كمصادر قوة أو كمواد البناء أو التشغيل فى عملية التمثيل الغذائى وقد تعمل بين بعضها وبعض بطريق التبادل أو يحتل جزئيًا بعضها أماكن بعض كمساعدة أو مدبية للأدوار المعقدة التى تقوم بها الخلية فى عملية التمثيل

فكما أن أى رئيس لأية فرقة موسيقية لا يشترك كباقى الأفراد فى إدماج أو إدخال أى صوت آلى من عنده له أثر ما فى النغم أو اللحن النهائى ولكنه كمشجع أو مهدىء أو ضابط للايقاع أو موجه للعمل الآلى لبقية الموسيقيين فكذلك يمكن تشبيه الفيتامينات بضابط للايقاع فى فرقة متنوعة الأصوات، هى تشبه فى مجموعها وعملها التداخل بعضه فى بعض التفاعلات الكيميائية فى الجسم ؛ فإذا انعدمت هذه القوة الدافعة المشجعة تداعت بالتالى القوات الأخرى أو تبطت همتها أو تراخت ثم يقف التعاون بينها ويضطرب التجانس ، ثم لا يلبث أن يظهر هنا وهناك أمراض تسترعى الانتباه

وفى سبيل معرفة ميكانيكية أو تاكتيك المهام الدقيقة التى تقوم بها الفيتامينات بدأ العلم يجنى أول ثمار بحثه وجهوده لاسيما بعد أن أصبح من المحقق الثابت أن عمل الفيتامين فى الصميم يستقر هناك وراء كل دور أو عمل حيوى ، فهو بهذا هناك حيث تجرى عملية تحويل المواد فى الخلية أى حيث يكمن سر الحياة

ويقوم عمل الفيتامين فى الخليـة على ثلاثة أمور : أولها تأثير تلك المواد الحيوية فى شكل وصفات الخلية — فى نموها وفى بنائها وتكاثرها وتجددها . وثانياً تأثيرها فى قوة أسطح وجدر الخلية مما يفرق مسامية وشمرية (نفاذية) بعض الخلايا عن بعضها كالحال فى خلايا الأمعاء اللاصة . وأخيراً وأهم أمر — هو قيادة وتوجيه التحليل الغذائى فى الخلية ، كما تعمل على ترتيب تنفس الخلية ومباشرة تحويل المواد نتيجة الاحتراق إلى حامض كربونيك وماء فى الخلية مستخدمة فى ذلك ذرات دقيقة من المعادن الثقيلة كالحديد والنحاس والمنجان وغيرها كوقود لتدفئة وتسخين أفران الاحتراق — ويتمين على كل نوع من الفيتامين بدوره تقديم مساعدته الخاصة به فى الجهة الخاصة من الخلية للمساهمة فى ناتج العمل الحيوى الكبير ، ولكنه لم يتهيأ للآن إكمال هذه النقطة الأخيرة بحثاً وقد يقف بعض الفيتامينات والهرمونات قريباً من بعض فى التعاون والعمل لدرجة يصعب معها أحياناً تمييز بعض أمراض نقص الفيتامين عن الاضطرابات الهرمونية

وكما تعمل المواد البوتينية فى الغدد الفارزة كذلك لا يعدو عمل الفيتامين أن يدير أو ينظم التحويلات الغذائية المعقدة التى يرتكز عليها سير ونظام الحياة ؛ ولبلوغ مهمتها هذه حد الضبط والإعجاز هيأت الطبيعة ترتيبات ومعدات عظيمة ما زال الإنسان يتخيلها ويضرب فى التعرف عليها .

وليس للفيتامينات ككميات مجتمعة (متكورة) أى تأثير ، ولكنه — لكى تقوم بعملها — يجب أن تكون دقائق منتشرة فى كل تيارات العصارة ؛ ولكن إذا بلغت هذه الدقائق مبلغاً متناهياً



سؤال وجواب !

توهم أحد القراء أنى وقعت فى غلطة إعرابية مكشوفة بنصب كلمة « سجية » فى هذا البيت :

فلا تحسبوا هندًا لها الغدر وحدها

سجية نفس ، كل غانيةٍ هنـدُ

ولو كان هذا القارئُ يعرف أنى فى الإنشاء أسرع من أقدر الناسخين ، لفهم أن من الجائز أن يندّ القلم فيرسم الضمة فتحة أو بالعكس ، على فرض أن ما وقع لم يكن غلطة مطبعية

وإنى أوجّه الأسئلة الآتية إلى ذلك القارئ المُتحذلق :

أولاً : مَن قائل هذا البيت ؟

ثانياً : مِن أى شاعر سُرق هذا البيت ؟

ثالثاً : من هم النقاد الذين نصوا على أن هذا البيت مسروق ؟

رابعاً : ورد هذا البيت فى رسالة لأحد كتّاب الأندلس ، فن هو ذلك الكاتب ؟

خامساً : فى هذا البيت دقيقة نحوية ودقيقة بلاغية ، فما هاتان الدقيقتان ؟

سادساً : فى هذا البيت كلمةٌ اختلفت فيها الروايات ، فما هى تلك الكلمة ؟ وما هو الكتاب الذى نص على ذلك الاختلاف ؟

سابعاً : أخطأ أحد الخطباء المشاهير فى هذا البيت، فجعل « الصدّ » مكان « الغدر » ، فن هو ذلك الخطيب ؟ ومن هو الناقد الذى استدرك عليه ؟ وفى أى مجلة نشر ذلك الاستدراك ؟

ثامناً : نقل أحد الصوفية هذا البيت إلى معنًى من المعانى الروحية ، فن هو ذلك الصوفى ؟ وفى أى بلد طُبع كتابه أول مرة ؟ وما اسم ذلك الكتاب ؟

تاسعاً : لو قال قائل : إن نصب « سجية » هو الصواب ، فما وجهه عندك ؟ وما نظائره فى كتب العربية ؟ وما وجه الإشكال فيه على التدقيق ؟

عاشراً : هل تعرف الشاعر الذى يقول :

وابنُ اللَّبون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس

هذه عشرة أسئلة ، فيها ما تعرف ، وفيها ما تجهل ، وفيها ما تذُوق . فإن أجبت فلك الحق فى أن أشير إلى اسمك بعبارة كريمة ، وإن سكتّ فعذرُك مقبول ، لأنك بالتأكيد من أبناء الجيل الجديد، وهم مَن أعرف وتعرف فى قلة الصبر على متاعب الجهاد

وإليك التحية من الباحث الذى يرجو ألا تضطره إلى التكبر والازدهاء ، والذى يودّ أن تذكره بالخير حين تخرج بعافية من هذه الرياضة الذهنية

زكى مبارك

فى الدقة والصغر تراجع تأثيرها . ولتشبيه هذا العمل نتمثل لعبة من لعب الأطفال تتكون من كور ذات أحجام مختلفة تقابلها حفر (فتحات) معينة ذات اتساع كاتساع الكرات ولكن تضيق عنها قليلاً ، ثم زد على الكرات الأصلية كرات أخرى أكبر منها وأخرى أصغر منها ، فالكور الكبيرة لا تدخل الفتحات ولا تستقر فيها ، والصغيرة تنفذ فيها ولا تستقر كذلك، والكور ذات الحجم الخاص هى التى تستقر وتملأ مواضعها . ولهذا قامت الطبيعة تبعاً لاختلاف انقسام جزئيات الكلوريد بعمل طريقة فذة لتنظيم سرعة الوظائف والأدوار الحيوية، وهذا من أهم ما تم معرفته للآن عن التأثير الميكانيكى الدقيق للفيتامينات

وتبعاً لنداء فيتامين ما — سرعان ما تلبى النداء الخلايا التى فى انتظار تغييرات هامة يجب حدوثها فيها . وهكذا يتعين بحضور الفيتامين فى خلايا الجسم قيام الوظائف الحيوية التى منها : اطراد النمو، المناعة ضد الأمراض الناقلة وغيرها، بناء العظام، منع النزيف الدموى ، حفظ نشاط مركز الجهاز العصبى ، قوة التوالد والنسل

ويبلغ عدد الفيتامينات التى عرفت للآن أو على الأقل عرفت مصادرها ومدى عملها وتأثيرها أربعة عشر فيتامينا، وهذا فى مدى ربع قرن من الزمان ، وسنكتفى هنا بالفيتامينات الهامة ذات الأثر الفعال فى حياة الإنسان وهى المواد الحيوية A, B, C, D, E. ، ونبدأ أولاً بالفيتامين الذى كان سبباً فى البحث وراء المواد الشافية الموجودة فى الغذاء ، وبه بُدىء درس هـذه المواد الحيوية ، ألا وهو الفيتامين B.

« يتبع »

عبد اللطيف حسن الشامى
مهندس

وفاة أمين الريحاني

نعت أخبار « بيروت » الكاتب الفيلسوف الأستاذ « أمين الريحاني » . قضى أجله بالفريكة ، بعد أن طوّف في بلاد الشرق والغرب ، واستخدم قلميه العربي والإنجليزي في التعريف بملوك العرب وآدابهم ، وله في ذلك آثار باقية . وهو أحد ثلاثة أقاموا الأدب اللبناني المعاصر على أسس جديدة من الفن الحديث : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وهو . ومن أشهر مؤلفاته «ملوك العرب» في ثلاثة مجلدات بالعربية والإنجليزية ، و «تاريخ نجد الحديث» ، و « كتاب المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية » ، و « كتاب الريحانيات» في أربعة أجزاء ، ضمنه مقالاته وخطبه ، ورسالته عن الثورة الفرنسية ، و « المكاري والكاهن » وديوان شعر سماه «سبيل الرؤيا» وليس من شك في أن رجلاً كأمين الريحاني لا يستطيع الموت أن يحجب عن الناس منه غير وجهه ، ولكن آثاره الخالدة ستنشره في الوجود كتاباً تقرأه الأجيال ، فترى فيه مثلاً رائعاً للجهاد الصادق ، والفكر السليم ، والأدب اللباب .

ثقافة الدكتور أدهم

إنّ نوع الأسئلة التي طرحها الأديب ابراهيم حسنين البريدي مما يُباح في حياة الأفراد ليدافعوا عن أنفسهم بأنفسهم ، ولكنه مما لا يُباح إطلاقاً في أي أمة راقية بعد وفاتهم وقد عجزوا عن البيان والدفاع . ولا أدرى أين كان صاحبنا الفاضل هذه السنوات التي ملأت فيها بحوثُ أدهم ونقداته ونقاشه أشهرَ الصحف والمجلات؟!

وواضحٌ مما ذكره أحد الأدباء المعروفين الدكتور أبو شادي وردّدته « الرسالة » الغراء أنه لم يفته في حياة أدهم تبليغ القنصلية التركية في الأسكندرية عنه ، بل تبليغ النيابة كذلك ، فكان ردّ الفعل الوحيد لذلك زيادة تقديره وحمايته

والأسئلة التي ردّدها أديبنا « البريدي » ، أجاب عليها سلفاً في كتاباته المرحوم الدكتور أدهم نفسه ، فهو أولى بالرجوع إليه والاعتماد عليه ، إلاّ إذا كان الغرض إثارة الغبار حول الميت ودعوة أخي الفقيد للمساهمة عن غير وعي في ذلك !

وإنّ لمن العجيب أن يقال : إنّ الفقيد لم يكن يعرف الألمانية ولا الروسية ، وقد كانتا بين وسائل مراجعه كما يعلم كل من اختلط به وعرفه من أصدقائه الأدباء ؛ ولو قيل : إنه لم يكن واسع التضلع في الأخيرة ، لكان هذا معقولاً . كذلك من العجائب أن يقال: إن كتاب « لماذا أنا ملحدٌ ؟ » مترجمٌ . مع أن ثلاثة أرباعه ذات صلات شخصية ، وقد انتقده بشدة الدكتور أبو شادي في كتاب عنوانه « لماذا أنا مؤمن ؟ » ، فردّ عليه الفقيد ردّاً مطوّلاً بليغاً . فهل كان ناقلاً ذلك الردّ عن لغة أجنبية أيضاً ؟ ! يا سبحانَ الله ! أمحارَبُ العبقرية في بلادنا إلى هذه الدرجة ؟ !

ليقلْ الشانئون والحاسدون في هذا الألمعي الفذّ ما طاب لهم أن يقولوا ، فإنّ العبقرية غريبةٌ دائماً في هذا الشرق ، وقد اعتدنا جميعاً ذلك ، ولكنّ العديدين الذين حضروا مجالس أدهم ومحاضراته شهودٌ أحياء على ذكائه النادر وثقافته المدهشة البعيدة عن كل ادعاء ، وآثاره التي ستُطبع ـ بالرغم مما ضاع منها ـ شهودٌ عدولٌ . (مؤرخ)

حول مقال « أضرار التشجيع »

قرأت في عدد مضى من الرسالة الغراء للسيد سعيد الأفغاني مقالة عنوانها « أضرار التشجيع » حمل فيها حملة طائشة على ملأها كلمات كان ينبغي أن ينزه لسانه عنها ، وما كنت أبيح لنفسي أن أهبط للرد عليه لولا أنه تعرض لكتاب « سر الصناعة » الذي أريد نشره والذي يشهد أستاذي الجليل ابراهيم مصطفى أنني كنت عاكفاً على دراسته وتصحيحه عن نسخة دار الكتب المصرية منذ عام ١٩٣٢ حينما كنت أقرأ عليه العربية في كلية الآداب . ولما أتممت دراستي في مصر ورجعت إلى الشام ظفرت في المكتبة الظاهرية بنسخة ناقصة الجزء الثالث ولكنها جيدة الخط مضبوطة فاستنسختها ، ثم أردت مقابلتها على الأصل فاستعنت بالأفغاني في ثلاث أو أربع جلسات في الغرفة التي كان يجلس فيها الأستاذ فوزي العاني أحد موظفي المكتبة، فكنت أقرأ عليه من المستنسخة وهو يقابل ذلك على الأصل، ولما اعتذر عن العمل طلبت من الأستاذ العاني أن يتم العمل في أوقات فراغه ففعل وله الشكر . ثم ذهبت إلى باريس فقابلت نسختي على نسخة المكتبة الوطنية فيها ، وكان يعينني في ذلك الأستاذ الأديب عبد الوهاب حومد ، ثم عدت إلى الشام وفي نيتي الذهاب إلى استنبول للمقابلة أيضاً، ولكن الظروف الحاضرة منعتني من السفر وأنا أرجو الله أن تزول هذه العقبات حتى أذهب فأتم الكتاب الذي عاهدت الله أن أخرجه خير إخراج ممكن

هذا تاريخ قصة «سر الصناعة» ، فما هي دعوى السيد سعيد؟ إنه يزعم أنني قرأت الكتاب كله أو أكثره عليه ، وأنه أملى عليّ تعليقات وشروحاً من فيض خاطره فتبنيتها ... الخ ما جاء في مقال الأديب الأفغاني . وردي على ذلك منحصر في النقاط الآتية :

١ — ليس فى النسخة المراد نشرها تعليقات ولا شروح ، وإنما فيها ذكر لما فى النسخ (نسخ باريس ومصر ودمشق واستنبول) من اختلاف ليس غير

٢ — شهادة الأستاذ العانى التى أداها بمحضر من الأساتذة يوسف العش محافظ المكتبة ، ويس الخانجى أمين سر المجمع العلمى ، والمحامى طاهر خياط . وهى تؤيد ما قلت من أن اجتماعى بالسيد سعيد لم يتجاوز ثلاث أو أربع جلسات ، وأنه هو ـ أى العانى ـ الذى أتم المقابلة

٣ — تخلفه عن الحضور إلى الاجتماع الذى دعانا إليه الأستاذ الكبير خليل بك مردم لبحث القضية والتحقيق فيها

هذا ما أقوله وهذا ما أريد أن يطلع الناس عليه ليروا ضرباً من خلقنا العلمى والاجتماعى . وأنا أسأل الله أن يلهمنا الأدب ويوفقنى إلى نشر الكتاب

أسعد طلس

خريج الجامعة المصرية ودكتور فى الآداب

إكمال بيت فى المخصص وتصحيح إحدى حواشيه

إن من شرائط نشر المخطوطات اقتناء الناشر لما يستطيع جمعه من نسخ الكتاب مخطوطة ومصورة واتخاذ أصح نسخة منها قطباً يرجع بسائر النسخ إليه ويديرها عليه بالعرض والمقابلة وقد لا يوجد من هذا الكتاب إلا مخطوطة واحدة . فإن كانت صحيحة مضبوطة بقراءة العلماء ومعارضتها بالأصل ، وكان الخط جلياً متقناً ، عدّ ذلك من بركة النسخة ويمن طائر الناشر ، وقد تكون بذلك أصح من المنشورة بعد المعارضة على كثير من المخطوطات غير المضبوطات ، ومن أشباه هذه النسخ الوحيدة المخدومة كتاب (المثنى والإبدال) لأبى الطيب اللغوى صاحب مراتب النحويين ، وصديق أبى الطيب المتنبى ، وتلميذ الإمام المطرزى غلام ثعلب ؛ فإنى قد ظفرت بدمشق فى مكتبة العلامة أبى اليسر عابدين (حفيد صاحب حاشية ابن عابدين المشهورة) بنسخة تغلب عليها الصحة ، وعلمت بعد طول البحث والتنقيب أنها يتيمة فى العالم فلم أتمكن من مقابلتها على مخطوطات أخرى ، وإنما هوّن علىّ خطب نشرها غلبة الصحة كما ذكرت عليها ، وسأصفها وصفاً علمياً ببحث خاص فى مجلتنا هذه الممتعة قريباً

أما مخطوطة المخصص لابن سيده المعروف بصاحب المحكم فإنها تشبه مخطوطة المثنى بكونها وحيدة يتيمة ، ولكنها « قد ركض فيها البلى ولعب ، وأكل منها الزمان وشرب ، حتى أبلى ثوبها القشيب وأذوى غصنها الرطيب » — كما ذكر ذلك الأستاذ طه محمود رئيس التصحيح بدار الطباعة الأميرية فى خاتمة المخصص ؛ وبذا كثر فى المطبوعة البياض والنقص والتصحيف ، ولولا مرجع اللغة والأدب فى عصره محمد محمود التركزى الشنقيطى وجيل عنايته بالمخطوطة لكثرت أغلاطها واستشرى فسادها ، ولكنها مع ذلك لم تخل من نقص ، والكمال الربانى معوز ، فوقعت فى المتن والحواشى الشنقيطية أغلاط لا يحسن السكوت عليها ولا سيما فى أصول اللغة، مثال ذلك ما جاء فى السفر العاشر من المخصص (ص ١٦٧س ٤) ، وما نصه ورسمه :

(١) وكنا ما اعتفت طلاب الترات مطلب

فقد علّق عليه إمامنا الشنقيطىّ رحمه الله التعليقة التالية بنصها :

(١) قوله : (وكنا ما اعتفت) هكذا وقع فى الأصل ، وهى عبارة لا يدرى أهى شعر أم نثر ، وليس لها معنى ، وقوله (طلاب الترات مطلب) هو بعض بيت من الطويل ورد فى قول الخنساء :

تطير حوالىّ البلادُ براقشاً بأروع َطلابِ الترات مطلّب

والشاهد فى (براقش) ، لأن من معانيه الأرض المجدبة الخلاء ، ولكنه ضاع من الأصل مع ما ضاع منه هنا ، وكتبه محرره محمد محمود لطف الله تعالى به آمين . اهـ »

بعد التأمل فى هذا التعليق وجدنا مصحّح المخصص ومحرره لم تنكشف له عبارة الأصل فجعلها قولين ، وهى قول أو بيت من الشعر واحد ، ولذا لم يدر هل القول الأول (وكنا ما اعتفت) شعر أم نثر مع أن ابن سيده ذكر قبله كلمة (وأنشد) ، ثم جعل القول الثانى (طلاب الترات مطلب) بعض بيت للخنساء ، مع أنها خاتمة أبيات جاهلية كثيرة ، وأخطأ فى الشاهد إذ جعله (براقش) وهو (الاعتفاف) أى تناول الغُفّة من العلف ، وهى الشىء اليسير منه ؛ والعبارة الأصلية الواردة قبل البيت لا يوقف عليها إلا بنسخة ثانية كاملة من المخصص ، ولعل التعبير التالى لا يبعد عنها كثيراً ، وقد ألّفته بعد مراجعة نصوص اللسان والتاج وهو : [وإذا كان الربيع[1] (مقارباً قيل اغتفّ المالُ اغتفافاً أى أصاب غفة منه) أى شيئاً يسيراً وأنشد :

وكنا إذا ما اغتفّتِ الخيل غُفّةً

تجرّدَ طَلابُ التراتِ مُطَلَّبُ]

وهذا هو البيت عينه الذى استشهد به ابن سيده ، وهو

(١) ما بين القوسين تمام العبارة النثرية ، أما بيت الشعر فبمراجعة نصه فى المخصص تعلم الزيادة

لطفيل الغنوى لا للخنساء ، وإنما استشهد به للاغتفاف لا لبراقش كما فعل مثل ذلك صاحبا اللسان والتاج في مادتى (غفف وأغتف) ؛ وهو في ديوان طفيل الغنوى ص ٢٦ ، ونسبه إليه صاحب الأمالى (٢ / ٣٤) ، وذكره الزمخشرى في أساسه (غفف) وعزاه إلى طفيل أيضاً ، وآخره (يُطلَّب) بدل (مطلَّبُ) ولعله تصحيف أو رواية أخرى ، واستشهد به صاحب تهذيب إصلاح المنطق (ص ٧١) وغيره من أئمة اللغة ، فليست القضية إذن من الشكائك الجدلية[1] ، ولولا ما في مخطوطة المخصص من التصحيف والنقص لما وقع كما بيّنت إمامنا الشنقيطى في مثل هذا السهو اللغوىّ ، وسجدة السهو واجبة في العلم والدين معاً ، وقد سجدتها بهذا التصحيح عنه ، وعسى أن يسجدها مني أيضاً من يصحح من المخصص نسخته ، ويغتفر الانسان الضعيف زلته .

(دمشق) التنوخى

الى الدكتور زكى

بدا لى أن ألفت نظرك إلى خطأ لا أشك في أنك وقعت فيه في كلمتك التى جعلتها افتتاحية للرسالة في العدد الماضى ، وهو قولك : (والحس والروح جارحتان من أعظم الجوارح الإنسانية) ! وأنا وأنت والناس جميعاً يعرفون أن الحس والروح ليسا من الجوارح كما تقول ! ! فهل تتفضل بأن تدلنا من أين جئت بهذا ؟ (ع . ع)

كلمة منصفة

كتب الأستاذ محمد متولى مقالاً في العدد ٣٧٦ من الرسالة الغراء عرض فيه لحديث السرقات الذى جرى على قلم كل من الأستاذين على محمود طه وزكى طليمات . فسماه عراكا في غير معترك ، أو « خناقة على اللحاف » ، لأن الفن كما يقول « صورة » وليس « فكرة » . والحق أن الفن ليس فكرة فحسب ولا صورة فقط ، ولكنه مجموع الأمرين ، أو هو « فكرة مصورة » ؛ وليست الفكرة من الأشياء المجردة التى تكون بعينها في جميع العقول والأفهام ؛ لأنها قد تكون فكرة خاصة لنفس خاصة ممتازة ، وقد تكون شائعة في بعض النفوس ، ولكنها حتى في هذه الحالة لا يمكن أن تكون على درجة واحدة من القوة أو العمق أو الاتساع ، وهل يمكن أن تتشابه النفوس جميعاً إلى هذا الحد الذى تصبح فيه قوالب مصبوبة على هيئة واحدة من مادة واحدة ؟ وهل يمكن أن تكون الأفكار التى جالت في ذهن شكسبير ، مثلاً ، هى بعينها الأفكار التى جالت في ذهن رجل الشارع ، ولكن هذا الأخير لم يتح له أن يعبر عنها كما أتيح لشكسبير ؟ على أن هذه النظرية ليست من المستحدثات كما يخيل إلينا الأستاذ متولى ؛ وإنما هى في لبابها لا تخرج عن قول بعض الأقدمين : إن الشعر هو الأسلوب ، وإن المعانى على « قوارع الطريق » وهى نظرية كانت منذ بعيد

ويقول الأستاذ متولى بعد ذلك : « إن الأستاذ على محمود طه رجل فنان بلا شك ، لأنه قال « الجندول » فكان « كذوباً » ! إنه يمثل ذلك الفنان الذى يشعر بالشيء ولا يستطيعه ، فيتغنى به وهو نفسه يعلم أنه لم يركب تلك « الجندول » التى أرانا إياها في عرض القناة في ذلك الجو الساحر في فينيسيا » فهل يكون الأستاذ على محمود (كذوباً) إذا صح أنه مثل ذلك الفنان الذى يشعر بالشيء ولا يستطيعه فيتغنى به ؟ كلا ! إنه يكون صادقاً كل الصدق ، لأنه يصور لنا حالة نفسية من حالات نفسه الممتازة التى تحلم وتتمنى ، وهل يكون الذى يحلم في نومه برغبات نفسه المكبوتة كاذباً ، على أن أستاذنا « الزيات » قد قال كلمته النبيلة ، وإذن فقد « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . نعرض بعد ذلك لزعم الأستاذ متولى في أول مقاله إن الناقد الأديب هو نفس الأستاذ على محمود طه وأنه إنما نقد مسرحية بشر فارس تشفياً منه . فنقول له كيف اكتشف هـذا الاكتشاف ؟ إننا نعرف أن اسم « الناقد الأديب » لا يعرفه إلا الناقد الأديب نفسه ، والأستاذ الزيات ، فمن أيهما عرف الأستاذ اسم الناقد الأديب ؟ أمن الناقد الأديب نفسه ، أم من الأستاذ الزيات — وهذا مستحيل — الحق أنه لا هذا ولا ذاك ، ولكن الأستاذ متولى أراد أن « يمثل دور » البوليس السرى في هذه القضية الأدبية

أما بعد فقد قرأنا حديث السرقة في شعر الأستاذ على محمود فابتسمنا لصاحبه ابتسامة الرثاء والإشفاق ، ثم قرأنا المقال الذى ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه من قبله العذاب ، فابتسمنا لصاحبه ابتسامة الرثاء والإشفاق أيضاً ، وأنا أنصح لهؤلاء السادة أن يحاولوا بلوغ شأو الأستاذ على محمود طه من طريق غير هذا الطريق . أما هـذه المناورات التى يقومون بها على اختلاف أساليبها ، وتعدد صورها ، فقد انتهت — والحمد لله — إلى الفشل والإخفاق ، وبقى الأستاذ على محمود طه عند جمهرة الأدباء « شاعر الحب والجمال » ، بلا جدال

ابراهيم محمد نجا

(١) من تعابير ابن سيده .



ثمن الأمومـــة

للأستاذ محمد سعيد العريان

في الطابَق الرابع من الدار القائمة على حدود الصحراء من ضاحية حلوان، كانت تعيش «سنية» وحيدة: لا أم ولا أب، ولا زوج ولا ولد. لقد فارقها أبوها ولم تَزَل طفلةً بعد، إلى حيث لا يرجع مَن يمضي؛ وفارقتْ هي أمَّها العجوز وأخاها، إلى حيث فرضتْ عليها «الوظيفةُ» أن تعيش غريبة منقطعة لتجد ما تعيش به. وما كان المرتب المحدود الذي تمنحها «وزارة المعارف» في كل شهر ليُسعدَ فتاة في مثل سنها، ولكنها كانت به راضية سعيدة. وقد استطاعت على امتداد الزمن أن تزيد دخلَها بضعة جنيهات في كل شهر، مما تحصل عليه من أجرة الإشراف على بعض تلميذاتها في دراستهن المنزلية؛ فتهيأ لها بذلك أن تنظم ميزانيتها الصغيرة تنظيما يكفل لها أن تستمر على إعانة أمها العجوز بما ترسل إليها في كل شهر، وأن تدّخر لنفسها شيئاً إلى شيء، ارتقاباً ليوم تأمله ...

***

منذ بضع سنوات لم تغيِّر سنيةُ شيئاً من نظام حياتها ولم تحاول؛ هذا منزلها الذي تسكنه منذ هبطت المدينة، لم يتبدّل شيء منه ولم يتبدّل شيء منها؛ هنا الغرفة التي تأوي إليها إذا جنّ الليل؛ وهنا الشُّوريْ الذي أعدته لاستقبال من يزورها فلم يطرقه زائر قط منذ كان؛ وهنا الشرفة التي ترتفق إليها بذراعها كل مساء ساعة أو ساعات قبل أن تنام، تسرّح النظر في الفضاء الغارق في ضوء القمر، أو تنقّل الطَّرف بين النوافذ المضيئة قائمة في وحدتها الوحشة من سعادة الاجتماع بأنس النظر! ... وهناك، على مد البصر، طفلٌ يقفز ويثب؛ هـذا هو حيث تراه كل مساء في مجلسها من الشرفة، جالساً بين أبويه أو عابثاً لاهياً يتوثب؛ إن بينها وبينه لسبباً قوياً؛ إنها لتحبه كأنها ولدته، وإنها لتفتقده إذا غاب كأنها بعض أهله، وإنها لتتحدث إليه على البعد كأنه منها بمرأى ومسمع ... ذلك صديقها الوحيد في بلد لم تأنس فيه إلى صديق؛ أتراه يعرفها ويعرف أين هو من نفسها؟ ... أما هي فتعرفه عرفانَ الأخ والولد؛ وتعرف تاريخه وماضيه منذ كان وقبل أن يكون ... ...

من هذه الشرفة العالية التي يكتنفها الظلام، أبصرتْ أمَّه عروساً في جَلوتها، وأبصرت أباه؛ ومن هذه الشرفة نفسها رأته جنيناً في بطن أمِّه تخيط له قُمُصه ولفائفه؛ ومن هذه الشرفة جاءها البشير بمولده والناس نيام؛ ثم أبصرته ذات صباح طفلاً يحبو؛ ورأته من بعدُ غلاماً يقفز ويثب ... ولكنه هو لم يعرفها بعد ...

***

هذه حياة سنية: أما نهارها فجهاد ودأب بلا ونى، تغادر بيتها في الصباح الباكر إلى مدرستها، وتغادر مدرستها إلى بيوت تلميذاتها، فإذا جن الليل عادت؛ وأما ليلها فهذه الشرفة وهذا الفضاء وهذا الظلام؛ فإذا أوى الغلام إلى فراشه، واختفى القمر وراء السحاب، وأسدلت الستائر على النوافذ المضيئة - نهضت سنية من مجلسها في الشرفة، فتفتح صندوقها وتحصي ما فيه ثم تأوي إلى أحلامها

ومضت بضع سنين قبل أن يجتمع في صندوق سنية ما كانت تؤمِّل أن يجتمع؛ وأيقنت — بعد صبر طويل — أنها من اليوم الذي كانت ترقب على مقربة ...

***

... وغربت الشمس ذات مساء ولم تعد سنية إلى دارها؛ ثم عادت بعد العشية، واتخذت مجلسها من الشرفة وسرحت النظر، ولم يكن الطفل ثمة ولكنها لم تفتقده في غيبته؛ وأوت إلى فراشها ولكنها لم تنم حتى انتصف الليل؛ وتراءى لها الطفل في منامها وكان معه أبوه، ثم أصبحت ...

وراحت تُعد عدة السفر إلى أمها تطلب مشورتها في أمر ذي بال ...

وابتسمت أمها فرحانة ، ثم غشيتها كآبة وهتف بها هاتف ؛ ثم عادت فابتسمت ونهضت إلى مصلاها تناجي ربها وتدعوه لابنتها العزيزة أن يتم لها ما تأمل ...

* * *

وتغيّرت سنية منذ اليوم وتبدّلت وحشتها أنساً ومسرة ، وهجرت الشرفة فلم تكن تغشاها إلا حين تكون على موعد ترقب له الطريق ؛ وأنِست غرفةُ الاستقبال بعد وحشة وطرقها الزائر المنتظَر منذ سنين ، وتعددت زيارته ؛ وقالت له سنية ذات مساء وقد جلسا جنباً إلى جنب في الشرفة العالية التي يكتنفها الظلام وأشارتْ إلى بعيد — : أنظر يا رشاد ؛ إنه طفل ظريف !

ونظر « رشاد » حيث أشارت سنية ، وقال : نعم ، وأظرف منه أن تكوني أمّه !

وطأطأت الفتاة رأسها وتضرّجتْ وجنتاها وسبحت في حلم لذيذ ، وتراءى لها غلام يقفز ويثب بين أبيه وأمه ، في مثل مجلسهما من هذه الشرفة العالية التي يكتنفها الظلام !

* * *

وجلست سنية ورشاد يتبادلان الرأى ذات مساء ؛ وقال لها : . . . وإنى لأتمنى ألا توافق الحكومة على بقائك في العمل بعد الزواج ؛ لتكوني لى وحدى !

وقالت : ولكن أمي يا رشاد ... !

وأجابها : وعلىّ أن تكون أمك راضية سعيدة !

واطمأنت سنية وسُرّى عنها ما كان يقلقها منذ أيام ؛ وجلست إلى مكتبها تكتب إلى الحكومة تلتمس الإذن في الزواج

ولم يطل بهما الانتظار ، ولم يقلقهما جواب الحكومة ؛ فقد كانت سنية متوقعة من قبل ألا يؤذَن لها ؛ وكانت مطمئنة إلى وعد خطيبها بأن يرضى أمها !

وراح الفتى والفتاة يعدان العدة ليوم قريب

* * *

وانتقلت سنية إلى بيت زوجها ، وشهدها صواحبها عروساً في جلوتها ، وشهدت نفسها ؛ وكانت النوافذ الضيئة ترى أشمتها إلى بعيد ؛ وكان في الشرفات العالية التي يكتنفها الظلام عيون تنظر ... ...

... ومضت أشهر ، ونظر الجيران فإذا سنية جالسة إلى جانب النافذة تخيط قمصاناً ولفائف ؛ وفي هدأة الليل والناس نيام حل على الأسرة ضيف جديد ، وارتفع صوته يعلن البشرى بمقدمه ...
... ...

* * *

ثم استيقظت سنية من الحلم الذى ضرب على آذانها عاماً وبعض عام ؛ ونظرت ، فإذا هي وطفلها وحطامٌ من الذكريات ؛ ولم يكن الرجل ثمة ولم يكن الصندوق ... !

وقبّلتْ فتاها في جبينه وقالت وفي عينيها دموع : لا عليك يا بنىّ ؛ لقد خسرتُ الرجلَ ولكنى كسبتكَ ؛ فليذهب أبوك حيث يشاء ، ولتبق لى أنت !

وخرجت تلتمس الرزق ، واتخذت طريقها إلى المدرسة ، ولكن المدرسة كانت قد أغلقت أبوابها !

وَسَعَت إلى رئيس الديوان تلتمس الشفعاء إليه ليردّها إلى عملها ، فأغلق دونها بابه ؛ ووقفت في مفترق الطريقين تنظر ، ثم سلكت إحداهما ...

* * *

وعاد الرئيس من الديوان إلى داره ، وانفتح باب السيارة ونزل ، وسبقته إلى الباب امرأة ؛ وهَمّ حاجبه أن يمنعها ثم كف

وهتفت المرأة في ضراعة : سيدى بحقّ ولدك ... !

قال : ولكنك خُيِّرْتِ من قبل فاخترتِ أن تكوني أمّا ؛ فهيهات ...

وبرّقت المرأة وصرخت في غيظ : ولكنك أنت رضيتَ أن تكون أباً ... فلِمَ لا خُيِّرْتَ أنت ؟ ... كن أباً ، أو كن رئيساً في الديوان ، إن صحّ ألا يجتمعا ... !

وسكت الرجل وهتف هاتفٌ من وراء حجاب : « ولكن ثمن الأمومة أغلى ... ! »

* * *

... ودخل (الرجل) داره وأغلق بابه ليجلس بين زوجه وولده فيقص قصته ؛ ومضت (المرأة) على وجهها يائسة ذليلة ، لتدفع وحدها ثمن الأمومة الغالى !

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾



8me Année No. 378

Lundi - 30 - 9 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٧٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

خواطـــــر مهاجر

— ٣ —

أخذت نوافح الخريف الأولى تتنفس منذ أسبوع على وجه المنصورة رخيَّةً نديَّة؛ وللخريف على شُطئان النيل الشرقى وهو فى عنفوان الفيضان سحر لا يبلغ كُنهه الشعور ولا تعبر عن تأثيره اللغة. فللسماء اللازوردية على صفحاته ألوان وأحوال، وللسحب الرقاق البيض على حواشيه أطياف وأظلال، ولشمس الأصيل على مويجاته المرتمشات الحمر انكسارٌ يخطف البصر، كأنما ذاب قرص الشمس فهو يتدفق من السماء على الماء، أو انبجست على النهر من الأفق الغربى عين من ذائب الماس لم يدخل علمها فى الكيمياء. وللأبكار والعشايا أنسام طيبة الشميم كأنما تنقل عن رياض الفردوس؛ والطبيعة الريفية عطار حاذق يعرف كيف يفتق الطيبَ من سنابل الرز وأمطار الذرة وأفناء النخيل ونوار النيل ولوز القطن ومما ينبت على حفاف الترع والطرق من أشتات الريحان والبقل. وللمنصوريين والدقهليين على الجملة صباحة ووداعة يزيدها الخريف حلاوة وشاعرية. وإن بينهم وبين طبيعتهم المشرقة الجميلة من التآلف والتجاوب ما لا تجده بين الناس والطبيعة فى مكان آخر. والناظر فى أخلاق هذا الإقليم ومزاياه يرى أن مثله بين أقاليم مصر كمثل أوربا بين

قارات الأرض : تميز كما تميزت بالنبوغ والمدنية والجمال ، وتألف تاريخه القديم والحديث من فصول وضاءة فى الوطنية والعبقرية والبطولة

ففى الحروب الصليبية كان للمنصورة وإقليمها شرف القضاء على حملتها الأخيرة ؛ وكان الجيش المصرى قد ارتد إليها مهزوماً ؛ وامتحنه القدر القاسى فمات ملكه الصالح وقتل قائده فخر الدين ، فانتشر الأمر على جنوده ، واستبهم الرأى على قواده ؛ وكاد الرجاء من نجاة مصر ينقطع لولا أن نهض الظاهر بيبرس بالماليك ونهض معه أهل المنصورة ، فأقاموا المتاريس فى الطرق وجعلوا من دورهم قلاعاً يرمون من نوافذها الفرنسيين بالأحجار والقذائف ، حتى قتلوا الكنت القائد أرتوا ، واستأصلوا فرقته ومزقوا الفرق الأخرى ؛ ثم كانت الهزيمة الحاسمة فى فارسكور حيث أبيد الجيش للعدو وأسر الملك القديس سجين بيت ابن لقمان ومضروب للطواشى صبيح

وفى الغزوة النابوليونية كان للمنصورة وإقليمها فضل الجهاد السابق الصادق ، فقد ثاروا يوم السوق على جنود القائد (دوجا) ، وأعملوا فيهم السلاح حتى أفنوهم . وسجل التاريخ فى ثبت الخلود من أسماء القادة فى هذه الثورة : الأمير مصطفى كبير محلة دمنة ، وعلى المديسى شيخ القباب ، وحسن طوبار زعيم المنزلة

وفى الثورة المصرية على الاحتلال كان للمنصورة وإقليمها فى البطولة الوطنية مواقف سارت مُثلاً مضروبة فى الإيثار والتضحية ولا تزال أسماء الشناوى والجيار وعبد النبى والألفى عناوين لفصول خالدة من كتاب الجهاد الوطنى المقدس

***

على أن المزية الظاهرة للدقهلية هى انطباع أهلها على الأدب والفن حتى العامة والسوقة . وإنك لتتبين أثر ذلك فى كل ما يصدر عنهم من ثمار العقل والقلب حتى فى القانون والسياسة . وحسبك أن يكون من نوابغها فى الأدب : على مبارك ، ولطفى السيد ، وحسين هيكل ، وعوض إبراهيم ، ومحمد المشماوى ، ومحمد عوض محمد ، وإبراهيم رمزى ، وعبد الله عنان ، وصالح جودت الكبير . وفى الشعر : إسماعيل صبرى ، وعلى محمود طه ، والهمشرى ، وكامل الشناوى ، وصالح جودت الصغير ، وعبد الغنى حسن ، والوكيل . وفى الغناء والموسيقى : أم كلثوم ، ورياض السنباطى ، ونجاة على ، وسعاد زكى ، والدكتور الحفنى . وما اقتصرت على من ذكرت إلا لأنهم عُرفوا بالأسماع فى أقطار العروبة فلا يضعف بهم المثل . والواقع أن فى كل بلد من بلاد هذا الإقليم الفنان هيكلاً لمطارد تناديه نفثات الأولمب ، وتراوحه نفحات عبقر !

أقامت جريدة الإصلاح فى السنبلاوين لمجلة الرسالة حفلة تكريم وترحيب ؛ وشاء زميلنا الكريم صاحب الجريدة أن تكون حفلته مظهراً من مظاهر الأدب الإقليمى فى صورة من صور العطف الجميل ؛ فدعا إليها جمهرة من أدباء البلد المختلفين فى الجنس والزى والثقافة ، فأسمعونا على موائد الشاى الحافلة أفانين من النثر المشرق الأسلوب ، والشعر المحكم الأداء ، والزجل البارع النكتة ، فعجبنا أن تجتمع هذه الجملة المختارة فى هذا البلد المغمور ؛ ثم علمنا أن فى كل بلد من بلاد الدقهلية عكاظاً يتبارى فيها صاغة القوافى وحاكة الفِقَر !

يا لله للريف المسكين ! لقد غبنته المدينة فى كل ما ينتج من مادة وأدب : ففلاحه يكد ولا ينال القوت ، وشاعره يغنى ولا يجد السامع ، وصحفيه يجاهد ولا يلقى الجزاء !

***

سحرتنى مفاتن الخريف والريف فى المنصورة فما ينفك ناظرى وخاطرى يسبحان فى جو مشرق عبِق من حاضرها الجميل وماضيها المجيد . وكنت الساعة أتتبع بالخيال كتائب الصليبيين وهم يسيرون على ساحل النيل الأيمن من دمياط إلى المنصورة ، يقود الحملة الأولى (جان دى بريين) ، ويقود الحملة الأخرى (لويس التاسع) ، حتى رأيتهم على الثرى الخصيب الحبيب جَزراً للسيوف وطعاماً للوحش . وسرعان ما انتقل ذهنى إلى ساحل البحر الأبيض ، فرأيت أحفاد أولئك الصليبيين يزحفون من السلوم إلى الإسكندرية فى زى غير الزى وسلاح غير السلاح وعدد كأرجال الجراد ! فقلت لنفسى وهى تضطرب بين الرجاء والخوف : إن رب الكنانة يا نفس عَسِى أن يبعث (صلاح الدين) فى هذا العصر ، وأن يجعل فى (السلوم) السلامة كما جعل فى (المنصورة) النصر !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

جناية الجمال — ألفاظ صحيحة : الانسجام ، الصنائع ، النسائم ، مريز ، البديه ، الهناء ، الساهمة ، أبحاث — إلى المنصورة ، إلى المنصورة ومن الشعر والخيال

جناية الجمال

أكتب هذه الكلمة في مساء اليوم الرابع عشر من شعبان بعد إذ نقل المذياع دعاء شيخ الأزهر الشريف بأن يكشف الله الغُمّة عن الأمم الإسلامية ، وهو دعاء أمّن عليه جمهور كبير بدعوة صاحب الجلالة الملك « ملك مصر بعون الله » أيّد الله مُلكه ، واستجاب دعاءه ، فدفع السوء عن بلاد العرب والمسلمين

وفي هذا المساء يتحدث الناس عن المخاوف التي تساور مصر في الحدود الغربية وفي بعض أقاليم السودان ... وتلك أحاديث تَقبِض الصدور ، وتَحزُن القلوب ، ثم تقهر النفس على التفكير في جناية الجمال على الجيل ، فما تلقى مصرُ المكاره إلا بفضل ما تَميد من خيرات وثمرات ، وما تُمكّن للظاهرين عليها من السيطرة على الغرب والشرق ، لأنها منذ الأزل إقليم الغرب والشرق ، وإلا فكيف جاز أن تكون هدَفاً أبديًّا لكل مَن جُنّ له الدهر في التاريخ القديم والتاريخ الحديث ، بحيث يُمكن الحكم بأن جمالها لم يفارق خيال الطامعين في زمن من الأزمان ؟

وهل مرّ على مصر عامٌ واحد بلا ابتلاء بمكايد الطغاة والمسيطرين ؟

مَن يصدّق أن مصر جشّمت الناس المتاعب في التاريخ القديم يوم كانت صعوبة المواصلات لا تسمح بأن يصل إليها المغيرون إلا بعد التعرض للمخاطر والمعاطب في الشهور الطوال ؟

وهل يعرف أحدٌ كيف جاز أن تكون المعضلات الأخلاقية والاجتماعية في مصر هي أهمّ ما شُغِلَتْ به الكتب السماوية ؟

ومَن نحنُ حتى تكون بلادنا أخطر البلاد التي تحدّث عنها القرآن المجيد ؟

مَن نحنُ ؟ نحن الصابرون على مصاعب الإتقان والتجويد في العلوم والفنون منذ العهد الذي سبق التاريخ بأجيال وأجيال

وهل لبلادٍ في الدنيا ماضٍ يشبه ماضي هذه البلاد في العناية بالعلوم والفنون ؟ فإن سألتم عن الحاضر فإليكم أسوق الحديث بلا تزيّد ولا إسراف :

كانت بلادنا الغالية هي الهدف الأول للحروب الصليبية ، وكانت تلك الحروب مبدأ اليقظة في الغرب ، وبفضل اصطدام الصليبيين بمصر عرفوا أول مرة كيف تكون الحضارة والمدنية

ومن أين عرف الصليبيون معنى الاستشهاد في سبيل النصرانية ؟

إنما نقلوا ذلك عن مصر ، فهي أول بلد تعصب لدين عيسى في القرون الخوالي ، كما كانت أول بلد أذاع نظرية التوحيد ، يوم كان العالم كله لا يعرف غير الارتطام في أوحال الوثنية ، وذلك هو السر في حرصها على إعزاز الإسلام ، لأن الإسلام هو التعبير الصحيح عن نزعتها القديمة في إيثار التوحيد

وجوّ مصر له فضلٌ عظيم على الإنسانية . وأين من يعرف أن جو مصر هو الذي هدى الناس إلى الطّيران ؟

فوق جبل المقطّم شرقيّ القاهرة وقف رجلٌ فرنسيٌّ فقير يكسب قوته من العمل بأحد متاجر القاهرة ، وقف يرقب حركات الطير فوق ذلك الجبل قُبيْل الشروق وبُعَيد الغروب ، وما زال يصوّب ويصعّد حتى اهتدى إلى سر الطيران

فهل يَذكر الألمان المغيرون بطائراتهم على لندن أو الإنجليز المغيرون بطائراتهم على برلين أن « جوّ مصر » هو الذي أمدّهم بذلك السلاح ؟ وهل يذكر الطليان الذين يهددون « مصر الجديدة » بغاراتهم الجوية أن « مصر الجديدة » فيها تمثال « مُويَار » الذي نَقَل عن « جوّ مصر » سرّ الطيران ؟

ما سمعتُ صَفَّارات الإنذار بالغارات الجوية وأنا قارٌّ بداري في « مصر الجديدة » إلا عجبتُ من إمعان بني آدم في العقوق ، فكل بلد يجوز الهجوم عليه بقاذفات القنابل إلا البلد الذي يقوم فيه تمثال الرجل الذي هداه « جو مصر » إلى سر الطيران

ولكن أين من يحفظ لمصر الجميل ؟

وجو مصر صنع ما صنع فى تقدم الطب الحديث ، فأهل الصين على بعد الدار ، وشط المَزار ، يعرفون أنهم أصبحوا فى أمان من أمراض لم تكتشف جراثيمها إلا فى البلاد التى أنجبت البارودى وشوقى وحافظ ومحمد عبده وعبد العزيز جاويش ومصطفى كامل وسعد زغلول ، كما أنجبت الفلكى والبقلى وعثمان غالب

وما استوطن أجنبيٌّ مصر إلا خلعتْ عليه أثواب القوة والبهاء ، وما دخل غريب مصر إلا نسى بلده الأصيل أبد الآبدين

فإن قيل إن بلدنا موطن الأخياف فهذا حقّ ، لأن حوض الزهر هو الوطن لجميع أمم النَّحل

وهنا أذكر أن النحل المصريّ تفرَّد بالشراسة والُحق ، لأنه يعرف أنه مَعْدُوٌّ عليه ، ويعرف أن أسراب النحل تأتى لمنافسته من جميع بقاع الأرض ، وكذلك يُتَّهَمُ المصريُّ بالثورة على « الأجانب » من حين إلى حين

وطنى ! إن جمالك هو الذى يجنى عليك

أمَا رأيت كيف تباح حرية الإضاءة فى جميع الشواطئ ولا تُقيَّد إلا فى الإسكندرية وبور سعيد ؟ وهل كان ذلك إلا لأن هذين البلدين هما أجمل ما تملك فوق شواطئ البحر المحيط ؟

وطنى ! لهذا اليوم ما بَعدَه ، وسوف تلقانى وألقاك ، وإن أرجف المرجفون بأن لا لقاء بعد اليوم المخُوف

وطنى ! إن لم أحمل السيف فى حمايتك فقد حملتُ قلمى فى الدفاع عنك ، والقلمُ أبقى من السيف ، وفضلُك فى الدنيا هو فضل القلم قبل فضل السيف ، وقد أقسم الله بالقلم لا بالسيف ، فعِش إلى الأبد حجة العالمَ وبرهان الزمان

وطنى ! أنت تَذكُر أنه ما استطاع أميرٌ ولا وزير أن يَأجُرَنى فى العصبية لك ، لأنك وطنى وحدى ، ولأنى لا أسمح لأحد بأن يسبقنى فى الوصول إلى مواقع هواك

وطنى ! وطنى ! إن عشتُ لك فسأحمل رايتك فى المشرقين والمغربين ، وسأكون سفيرك فى كل أرض يصل إلى أسماع أهلها قلمى ، فإن مت قبل أن أدرك فى خدمتك ما أريد فسأكون برغم الحوادث بطل الوطنية والإخلاص

وسلامُ الله على أبرار الشهداء !

ألفاظ صحيحة

قلت فى بعض المناسبات إنى سريع الإنشاء ، فظن كثير من الناس أن هذه السرعة قد تعطِّل العناية بالأسلوب ، وقد تفوّت الفرصة فى تخيُّر الألفاظ الصِّحاح

وأقول إن السرعة فى الكتابة لا ترجع إلى التحرر من قيود الألفاظ والأساليب ، وإنما السرعة فى الكتابة مَلَكة من الملكات النفسية يُكسب منها ما يكسب ، ويُوهب منها ما يوهب ، وقد ترجع إلى ما يتصف به الفكر فى بعض الأحيان من القوة والمَضاء ... فإن رأى أحد القراء فى مقالاتى أو مؤلفاتى كلمات أنكرها النقاد فليعرف جيداً أن وجه الصواب لم يغب عنى ، وإنما أثبت تلك الكلمات وأنا أعرف ما وُجه إليها من التجريح والتزييف ، لأنى أدرك من أحوالها ما لم يدرك أولئك الناقدون الفضلاء . وإليكم بعض الشواهد :

تلطَّف كاتب كبير فأوصى أحد الأصدقاء أن يبلغنى أنى أخطأت فى استعمال كلمة انسجام بمعنى Harmonie وأقول إنها وردت بهذا المعنى فى رسائل إخوان الصفاء

وأنكر أديب آخر أن أجمع صناعة على صنائع ، وأقول إنه جمع صحيح وله نظائر مثل رسالة ورسائل وبضاعة وبضائع

وأخطأ المتحذلقون بوزارة المعارف حين غيروا اسم « مدرسة الفنون والصنائع » ليصيروها « مدرسة الفنون والصناعات » ، ولو نظروا لعرفوا أن الناس يقولون : « فلان رجل صنايعى » بالنسبة إلى الجمع وهو صحيح ، ولو كان فى أولئك المتحذلقين من ساير كتب العرب فى أبواب الاقتصاد لعرف أن العرب فى مؤلفاتهم لا يجمعون صناعة إلا على صنائع . والقول بأن « صنائع » ليس إلا جمع صنيعة لا يخلو من التحكم البغيض

وأنكروا أن ترد « النسائم » فى كلامى جمعاً للنسيم ، وأقول إنها وردت كذلك فى نثر الشريف الرضى . وأنا راض بأن أخطئ مع الشريف !

وأنكروا أن أقول المساهمة بمعنى المقاسمة ، وقد طربت أشد الطرب حين وجدت لها شاهداً فى نثر الشريف ، ثم عجبت كل العجب من غفلة بعض النقاد حين رأيت الزمخشرى نص عليها

فى الأساس فقال : وتساهموا الشىء ، تقاسموه ، ثم أنشد :

تساهم ثوباها ففى الدرع رأدةٌ وفى المرط لفاوان ردفهما عبْلُ

وأنكروا أن أقول المرير بمعنى المر ، وقد استأنست بقول الشريف :

وما كلُّ أيام الشباب مريرةٌ ولا كل أيام الشباب عِذابُ

ثم عجبت أيضاً من غفلة بعض النقاد حين رأيت الزمخشرى ينص عليها فى الأساس فيقول : وشىء مُرٌّ ومَرِير ومُمِرّ ، ثم أنشد :

إنى إذا حذّرتنى حَذُورُ حُلْوٌ على حلاوتى مَرِيرُ

وأنكر الشاعر حسن بك حمدى أن يقول الأستاذ العقاد « البديه » فى مكان « البديهة » أو البديهى ، وأقول إن المعاجم نصت على البديهة لغرض واضح هو القول بوجود المؤنث ، وكذلك الحال فى « الهَناء » وهى كلمة يمحوها أساتذة اللغة العربية كل يوم من دفاتر التلاميذ بحجة أن القاموس المحيط لم يذكر غير « الهناءة » وهم ينسون أن النصّ على المؤنث مقصود ... والشريف الرضى يقول :

وما أوفتْ على العشرين سنى وقد أوفى على الدنيا عزيمى

والعزيم مذكَّر العزيمة وإن لم تنص عليه المعاجم

فإن قيل إن كلمة الشريف هى « غريمى » بالغين المعجمة فأنا أجيب بأن ذلك تحريف لا يخفى على أهل الذوق . وأنكر قوم أن أجمع بحثاً على أبحاث فأقول فى صدر كتاب « الموازنة بين الشعراء » إنه « أبحاث فى أصول النقد وأسرار البيان » وأقول إن البحث يُجمع على أبحاث كما يُجمع على بُحوث ، وقد نص على ذلك بعض اللغويين

الى المنصورة ، الى المنصورة

بعد ساعة واحدة من الشروع فى كتابة هذه السطور آخذ طريقى إلى المنصورة وطن الشعر والخيال ، فهل تلقانى المنصورة بالضم والعناق وهى كِناس الُحور العِين ؟

ما أذكر أبداً أن المنصورة دانتْ قلبى بشىء ، فما سر ذلك ؟

ما سر ذلك وما كنت أغلف القلب ولا أصمَّ الفؤاد ؟

يرجع السرّ إلى أنى قضيتُ دهرى مُشْغَلاً بفوادح الأعباء فما دخلتُ بلداً شرقياً أو غربياً إلا وفوقَ كاهلى واجب مفروض وما ظهرت بمظاهر التاهى والتفرّج إلا لأكايد خصومى فأزعم أنى أعاقر من صهباء الحياة ما يعاقرون

فإن كنت زرت المنصورة قبل اليوم مرة أو مرتين أو مرات فما كان ذلك إلا تأدية لواجب أسأل عنه مرة أو مرتين أو مرات ، لأن قلبى يحدثنى فى كل وقت بأنى مضطهَد ، وبأن خصومى يسرهم أن يعلموا ولو من طريق الوهم أنى قصّرت فى أحد الواجبات ... وإذا كان الدكتور طه حسين لم ينس كلمة جافية سمعها من أبيه منذ أكثر من أربعين سنة فأنا لم أنس أن أحد الرؤساء بوزارة المعارف واجهنى بالكلمة الآتية :

« فى كل موسم لك كتاب جديد ، ولك فى أكثر الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية مقالات وبحوث ، فمتى تشتغل لنا ؟ »

وكذلك كان الأمر فى زيارة المنصورة فلم أدخلها إلا مُشْغَلاً بواجب تأبى فداحتُه أن ألتفتَ إلى ما فى رياض المنصورة من غرائب الأزهار والرياحين

إلى المنصورة ، إلى المنصورة

ولكن كيف ؟

كان فى مقدورى أن أسير إليها على نفقة الدولة لتأدية بعض الواجبات هناك ، ولكنى رأيت أن تكون الزيارة على جيبى الخاصّ ليعرف القلب أن له حقوقاً تُذال من أجلها نفائس الأحوال

وما حق القلب هناك ؟ أيكون هو الشوق إلى الصديق أحمد حسن الزيات الذى اتهمه أحد كتاب جريدة الهدف بالفزَع إلى المنصورة خوفاً من المعاطب ؟

هو ذلك ، مع إضافة واجب بسيط سأؤدّيه للدولة بالمجان

ولكن هل يخفّ الزيات لاستقبالى بالمنصورة النّجلاء ؟

سألقاه مشغولاً بتصحيح تجارب « الرسالة » وسيدعونى إلى معاونته على تصحيح تلك التجارب ، وسيرى حضورى فرصة ترفع بها عن عينيه متاعب الإجهاد

فإن كان فى بلاد الشرق أو بلاد الغرب من يحسُدَ أدباء مصر على ما وصلوا إليه من نعمة السيطرة الأدبية فليذكر أننا وصلنا إلى تلك النعمة بجهاد شاق لم نقدّم له من ناضج الوقود

غير أقباس العزائم وألفاف القلوب ، ونحن مع ذلك نؤمن بأننا لم نصنع غير حفر الأساس ، فتى نرى بأعيننا طلائع الجيل الجديد؟

ومتى نطمئن إلى أن كتّاب اللغة العربية لا يُعَدُّون بالعشرات وإنما يعدون بالمئات والألوف؟ متى؟ متى؟ الجواب عند أبناء اللغة العربية وهم يزيدون على مئة مليون

وقد رجعتُ من المنصورة بعافية ، لأنى لم أبت فيها غير ليلة واحدة ، فلم يتسع الوقت لمقابيل الوجد حتى تجرّب حظها فى القدرة على تجريح قلب تكسَّرت فيه النصال على النصال

لم ألق أحداً فى انتظارى على محطة المنصورة ، فأين الزيات؟ وهل يشقّ عليه أن يُغبّر قدميه بخطوات قصار لاستقبال صديق قضى فى الطريق ثلاث ساعات ، وإن مرت كومضة البرق فى صحبة الأستاذ عبد العزيز صقر شاهين؟

وأتلفتُ فأرى الأستاذ محمود البشبيشى ، الصديق العزيز الذي لم أر منه غير كرم الأخوّة وصدق الوداد ، ثم أنظر فأرى الأستاذ عبد اللطيف على ، وهو مدرسٌ فاضل قد مكّنه التنقل من التعرف إلى ملامح البلاد المصرية

هذه القهوة المنشودة ، وتلك الكافورة الغيناء ، وذلك الأستاذ محمود زناتى ، فأين الزيات؟

لقد ذهب الشقىُّ إلى « رأس البر » وخلاّنى ، فهل أعود إلى القاهرة قبل أن أنفض عن ثيابى غبار الطريق؟

وما هى إلا لحظة حتى طاب المجلس وحلاَ الحديث ، وأقبل المنصوريون فأحاطونى بوداد يذكّر بوداد أهل بغداد ، حتى كدت أتوهم أنى بين الرُّصافة والجسر ، أو فوق الجَزْرة فى مواجهة الكِلْواذ . على ليلتى بالجَزْرة أطيب التحية ، وأزكى السلام!

وأنظر فى الساعة من ثانية إلى ثانية ومن دقيقة إلى دقيقة لأرى كيف أفرّ إلى دار تعودت الفىء إليها بلا دليل غير وحى القلب ، ولكن شيطانَين منصوريّين يصدّان عن سبيل القلب ويأبيان إلا مرافقتى حيثما توجهت ، ونعوذ بالله من كيد الشياطين

فإن كان حظى فى تقبيل تلك الجدران قد ضاع فحسبى من العزاء أن أطمئن إلى أن هواى لم يزل من السرّ المصون

أنا فى المنصورة فى صحبة القمر والنيل والنسيم ، وفى ضيافة الأستاذ محمود زناتى وبرفقة جماعة من أفاضل الأدباء والمدرسين ، فإن كان فى الدنيا من يصدّق أن الحديث الجذّاب قد يكون أطيب الطيبات وقد يُنسى القلب لواعج هواه فليعرف أن سهرتنا كانت من تلك الطيبات العِذاب . ألم أسهر حتى يبلل الندى ثيابى على نحو ما كان يصنع مى فى سهرات بيروت؟

ثم أستيقظ على صفير القطار ، وهو يزفر زفرة الشوق إلى القاهرة فأهبّ لأداء بعض الواجبات ، ثم أتجه إلى القاهرة قبل أن تصل الشمس إلى كبد السماء

فإن بدا للزيات أن يعَضّ بنان الندم على ضياع حظه من لقائى بالمنصورة فليفعل ، فقد كانت مى أطايب من الحديث لا تذاع إلا هناك ، وكان فى نيتى أن أدله على أشياء وأشياء من أسرار المنصورة الفيحاء ، وكان وكان ، ولكنه قليل الحظ من الطيبات

كان الزيات يهدِّد ويهدِّد : كان يقول إن زيارة المنصورة قد تكفّ شر المنصوريين فى التزيد على « ليلى المريضة فى العراق »

وذلك والله هو السرّ فى زيارة المنصورة بعد موسم الصيد : صيد الأسماك

أما بعد فللمنصورة حقوق تعرفها القلوب ، فإن قضى الدهر بألا أبيت فيها غير ليلة واحدة فقديماً صنع الدهر ما صنع فى حرمان أرباب القلوب

رباه! متى تعود أيامى؟

متى أرجع إلى تدوين الملاحة فى البلاد التى يسقيها النيلُ الوفىُّ الأمين؟

متى يتسع الوقت لدرس ما فى مرابع الوطن الغالى من غرائب السِّحرِ والفُتُون؟

ما هلّ بلدٌ فى وجه القطار إلا وثب القلب ، فما فى وادينا بلدٌ خلَتْ أرباضه من آثار الحروب بين العيون والقلوب ، حتى كدت أومن بأن كل بلدٍ فى مصر هو صورة من صُوَرِ سِنتريس أو بغداد أو باريس

وطنى! أنا أحبك ، أنا أحبك

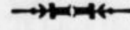
ولو أننى أستغفر الله كلما ذكرتك لم تُكتَبْ علىّ ذُنوبُ

زكى مبارك

٣ ـ أخلاق القرآن

الوفاء بالعهد

للدكتور عبد الوهاب عزام



الوفاء بالعهد خُلق يقتضيه الإنصاف والصدق، وتوجبه المروءة وكرم النفس، وتحتمه الرجولة والنبل. ما أصغر وما أذل وما أخس النفس التي تتخذ عهدها وسيلة إلى التغرير بمن تعاهده، وتجعل يمينها سبيلاً إلى أن تفجئه وهو آمن مطمئن. الغادر كاذب حانث خادع، قد جعل كلامه وعهده حبالة لمآربه، حبالة واهية ذليلة كحبالة العنكبوت يصيد بها الذباب، ودبّ من وراء الأمن إلى خصمه كما تدب الثعالب والذئاب. أين هذا من الإنسانية في أخلاقها العالية، والرجولة في سجاياها الحرة؟ وأين هذا من أخلاق القرآن كتاب الإنسانية الكاملة؟

القرآن الكريم يأمر بالوفاء بالعهد، ويؤكد الأمر به، ويعظم شأنه، ويكبر الموفين، وينهى عن الغدر، ويشتد في النهي عنه، ويقبحه، ويلعن الغادرين

ومن يتدبّر آيات القرآن يجد العهد فيها ضربين: العهد العام، والعهد الخاص؛ فأما العهد العام فهو أداء الواجب الذي يقتضيه عمل الإنسان، فمن تولى عملاً فقد عاهد أن يفي به على الوجه الأكمل. فإذا لم يفعل فقد خالف العهد، ومن آمن بدين فقد عاهد أن يأتمر بأوامره وينتهيَ بنواهيه فإن لم يفعل فقد نقض العهد. ومن دخل في جماعة فقد عاهدها على أن ينفعها ولا يضرها، فإن ضرّها أو قصّر في نفعها فقد غدر. ومن تصدى للدفاع عن أرض أو جماعة أو عقيدة فقد عاهد ألا يألو جهداً في الدفاع. فإن نكص فقد خان. ومن أوتي علماً أو عرف حقاً فكأنه عاهد أن يبيّنه للناس ليهتدوا به، فإن كتمه فقد خاس بعهده. وهكذا

نقرأ في الكتاب الكريم: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون» «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنُنّ به ولتنصرنه. قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري؟ قالوا أقررنا. قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين.»

«وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم. وأخذنا منكم ميثاقاً غليظاً. ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً.»

فهذه مواثيق عامة تضمنتها رسالة الأنبياء وعلم الذين أوتوا الكتاب، كأن النبوة عهد على الوفاء بما تقتضيه الرسالة من الدعوة والإصلاح والنصب واحتمال الأذى والصبر وكأنها عهد على أن ينصر النبيون الحق وينصروا من جاء به

وكذلك العلم الذي حَمل أهل الكتاب أمانته. هو عهد عليهم أن يعلّموه الناس ويظهروه غير مبالين ما ينفعهم وما يضرهم في إظهاره، وكذلك كل من عرف حقاً وهُدى إلى معرفة، وكل من ولي ولاية للناس، وكل من وكل إليه عمل، كل هؤلاء كأنهم عاهدوا الله والناس على أن يُعرّفوا الناس ما عرفوا وأن يؤدوا أعمالهم على الوجه الأحسن

ومن ذلك قول القرآن الكريم في وقعة الأحزاب:

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً. ليجزي الله الصادقين بصدقهم.»

فهذا العهد هو ما التزمه المسلمون حين قبلوا الإسلام من القيام بفروضه ونصرته والدفاع عنه والاستماتة في تأييده

والقسم الثاني من العهد الخاص: معاهدة رجلين أو فريقين على أن يسالم بعضهم بعضاً وأن يجتنبوا الغدر فيما بينهم، أو تحالف فريقين على أن يتعاونوا على عمل، وهكذا؛ وهذه العهود شائعة بين الناس منذ اجتمعوا واحتاج بعضهم إلى بعض وخشي بعضهم بعضا

وقد حث القرآن على الوفاء بالعهد كله وبالغ في الأمر به. يقول في سورة الأنعام: «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى. وبعهد الله أوفوا. ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون». وفي سورة الإسراء: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً».

وفى سورة النحل : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به ، ولَيُبَيِّنَنَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون . ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً ، إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون »

يأمر الله سبحانه فى هذه الآيات الجامعة بالعدل والإحسان وصلة الأرحام ، وينهى عن الفحشاء وكل منكر ، وعن البغى على الناس . وهذا أمر بكل خير ونهى عن كل شر

ثم يخص الوفاء بالعهد فيأمر به ويسميه عهد الله ، وكل عهد بين اثنين يسمى عهد الله ، لأن الله رقيب على أعمال الناس ، وقد أمرهم بأن يصدقوا ويحسنوا ويفوا بالعهود ، ولأن العهد قسم بالله وشهادة لله على الوفاء . وأكد الأمر بقوله : ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً . فالإنسان حين يعاهد يشهد الله على عهده ويجعل الله كفيلاً عليه بالوفاء ، فكيف تنقض صفقة تكفّل بها الله ؟ إن الإنسان ليتخذ كفيلاً من وجهاء الناس فيحرص على الوفاء بعهده إكراماً لهذا الكفيل وحياء منه ، فكيف بمن جعل كفيله الله ؟ ثم نهاهم أن تكون أمورهم لعباً وعبثاً ، يبذلون وعودهم وعهودهم وأيمانهم ثم ينقضونها ، كالمرأة الحمقاء التى غزلت ثم نقضت غزلها ؛ ذلك عبث وصغار لا ترضى به النفوس الكريمة الكبيرة الحرة . نهاهم أن يفعلوا ذلك وأن يتخذوا أيمانهم غشاً وفساداً إذا لاح لهم نفع فى نقض العهد ، إذا وجدوا أن جماعة عاهدوها هى أقل عدداً وقوة من جماعة لم يعاهدوها ، فهم يريدون أن ينقضوا عهد الضعيف ليرضوا القوى أو يحالفوه . وهذا معنى قوله : « أن تكون أمة هى أربى من أمة » . ثم قال : « ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً » . يعنى : لا يحملكم على نقض العهد نفع تنالونه من وراء نقضه ، فإن كل ما تنالون بنقض العهود هو ثمن قليل فى جانب هذا الأمر العظيم . وكل ربح تتوهمونه فى ذلك خسران كبير

وقد أثنى القرآن كثيراً على الموفين بالعهد ، قال فى وصف المؤمنين المفلحين : « والذينَ همْ لأماناتهم وعهدهم راعون » . وقال فى وصف الخيرين البررة : « والموفون بعدهم إذا عاهدوا » . وقال : « إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » . وقال : « بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين »

هذه إشادة القرآن بالموفين بالعهد ، وثناؤه عليهم بكل خير تعظيما لهذا الأمر العظيم

وأما الذين لا يوفون بعهودهم فقد ذمهم القرآن وشنع عليهم فقال : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون » . وقال فى موضع آخر : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » . وقال فى جماعة من أهل الكتاب نقضوا العهد : « فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية » . واستمع إلى هذه الآية الهائلة التى تبين غضب الله على من ينقض العهد ابتغاء منفعة : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . »

وقد أخرج القرآن ناقضى العهود من الإنسانية وجعلهم من الدواب بل جعلهم شر الدواب فى قوله :

« إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون »

ألا ترى أنه جعل الذين كفروا شر الدواب ثم وصفهم وصفاً يلائم هذه الحال فأخبر أنهم لا يثبتون على عهد كلما عاهدوا نقضوا عهدهم . كما قال فى آية أخرى : « أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ؟ »

راعى القرآن العهود وأعظم شأنها حتى أوجب الدية فى قتل

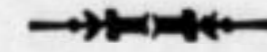
في الاجتماع اللغوي

تطور اللغـــة وارتقاؤها

أثر العوامل الأدبية المقصودة : الرسم

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



تشمل هـذه الطائفة من العوامل جميع ما يبذله الأفراد والهيئات من جهود مقصودة في سبيل حفظ اللغة وتعليمها، وتوسيع نطاقها، وتكملة نقصها، وتهذيبها من نواحي المفردات والقواعد والأساليب، وتدوين آثارها، واستخدامها في الترجمة والتأليف الأدبي والعلمي ... وهلم جرا

وتمتاز هذه الطائفة من العوامل عن الطوائف الثلاث التي تكلمنا عنها في المقالات السابقة بأنها أمور مقصودة، تسيرها الإرادة الإنسانية؛ على حين أن الطوائف السابقة تتمثل مظاهرها في أمور غير مقصودة تحدث من تلقاء نفسها، وتبدو آثارها في صورة جبرية لا اختيار للانسان فيها ولا يد له على وقفها أو تغيير ما تؤدي إليه، وتمتاز عنها كذلك بأن هدفها الأصلي هو لغة الكتابة، بينما تتجه آثار الطوائف السابقة بشكل مباشر إلى لغات المحادثة

ولهذه الطائفة مظاهر كثيرة من أهمها : الرسم، والتجديد في اللغة، والبحوث اللغوية، وحركة التأليف والترجمة، ووسائل تعليم اللغة . وسنعرض في هـذا المقال لبعض نواحي الرسم، مرجئين التكلم عن نواحيه الأخرى وعن بقية العوامل الأدبية إلى المقالات التالية .



لم يتح الرسم إلا لعدد قليل من اللغات الإنسانية، أما معظمها فقد اعتمدت حياته على مجرد التناقل الشفوي، فالشرط الأساسي في حياة اللغة هو التكلم بها لا رسمها، فكثيراً ما تعيش اللغة بدون أن يكون لها سند تحريري، ولكن من المستحيل أن تنشأ لغة أو تبقى بدون أن يكون لها مظهر صوتي . ويصدق هذا حتى على اللغات الصناعية نفسها كالإسبرنتو Espéranto وما إليها، فمن المتعذر أن تتاح الحياة للغة من هـذا النوع ما لم تتداولها الألسنة وتصبح أداة للكلام، ولذلك كان أول ما يتجه إليه المفكرون في هذا النوع من اللغات هو وضع أصواته وأسلوب نطقه والبحث في وسائل انتشار التحدث به

وعلى الرغم من ذلك، فللرسم في حياة اللغة ونهضتها آثار

غير المسلم من قوم معاهدين، ولم يوجبها في قتل المسلم من قوم غير معاهدين .

تلـكم شرعة الإسلام في رعاية العهود، وهي التي سار عليها المسلمون في سلمهم وحربهم فكانوا أوفى ذمة وأثبت عهداً . . . تنطق بذلك سيرهم منذ جاءهم الإسلام حتى اليوم . كان للعهد عندهم حرمة لا تمتهن، في السراء والضراء، والشدة والرخاء . كان العهد الذي يعطيه أقل رجل من المسلمين ولو عبداً — نافذاً على المسلمين جميعاً لا يقبل تأويلاً ولا تبديلاً .

إن حفظ العهود ليلقي الأمن والطمأنينة في نفوس الأفراد والأمم ويقيم أمور الناس على شريعـة من المودة والإنصاف والتعاون . وإن العالم ليزلزل اليوم بما استخف بالعهود واتخذها وسيلة إلى المطامع؛ فلم يركن الناس إلى معاهدة، ولم يأمنوا الغدر والمفاجأة، فصاروا في ريبة وحيرة، وزال ما كان يثبت الأمم من مواثيق تؤمن بها وتركن إليها وتسير في تدبيرها عليها . صار الوعد لا يدل على الوفاء، والعهد لا يؤمن من الغدر، فاضطرب الناس فهم في أمر مريج

وقد حدثنا القرآن عن بلاد أهلكت وأخبرنا أن مما أهلكوا به استخفافهم بالعهد فقال : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعـد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون . تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل، كذلك نطبع على قلوب الكافرين . وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » ... صدق الله العظيم

عبد الوهاب عزام

تجل عن الحصر . فبفضله تضبط الأمة ، وتدون آثارها ، ويسجل ما يصل إليه الذهن الإنسانى ، وتنتشر المعارف ، وتنتقل الحقائق فى الزمان والمكان . وهو قوام اللغات الفصحى أو لغات الكتابة ودعامة بقائها . وبفضله كذلك أمكننا الوقوف على كثير من اللغات الميتة كالسنسكريتية ، والمصرية القديمة ، والإغريقية ، واللاتينية ، والقوطية ؛ فلولا ما وصلنا من الآثار المكتوبة بهذه اللغات ما عرفنا منها شيئاً ولضاعت منا مراحل كثيرة من مراحل التطور اللغوى

وترجع أساليب الرسم التى استخدمت فى مختلف اللغات إلى أسلوبين اثنين :

(أحدهما) أسلوب الرسم المعنوى Idéographie, écriture idéographique وهو الذى يضع لكل معنى صورة خطية خاصة وقد استخدم هذا الأسلوب فى لغات كثيرة ، منها الصينية والمصرية القديمة[1] ولا نعلم على وجه اليقين أول أمة استخدمته ولكن يظهر من شواهد كثيرة أنه أقدم أساليب الرسم الإنسانى

وترجع الصور الخطية التى تستخدم فى هذا الأسلوب إلى نوعين ، فأحياناً تكون صوراً حقيقية للأشياء التى يراد التعبير عنها ، أو لأجزاء من هذه الأشياء ؛ كما يشير الرسم الهيروغليفى إلى الشمس بدائرة فى وسطها نقطة ، وإلى القمر بقوس فى وسطه نتوء ، وإلى الزنبق بثلاثة فروع من شجرته فى طرف كل منها ثلاث زنبقات ، وإلى الصقر بصورته واقفاً ... وهلم جرا . وأحياناً تكون مجرد رموز مصطلح عليها للتعبير عن الأشياء والمعانى Symbolisme ، كما يشير الرسم الهيروغليفى إلى الشهر بصورة هلال فى وسطه نجمة ، وإلى اليوم بدائرة فى وسطها نقطة ؛ وكما يشير الرسم الصينى لمعنى الإنسانية بخطين يتكون منهما شكل يشبه رقم ٨

ولهذا الأسلوب من الرسم عيوب كثيرة . فهو أسلوب بطىء يقتضى الكاتب إسرافاً كبيراً فى الوقت والجهود . ولكثرة صوره ورموزه تبعاً لكثرة المعانى والأشياء ، يقتضى تعلمه وتعليمه جهوداً شاقة وزمناً طويلاً . ولذلك يقضى كثير من الصينيين زهرة شبابهم فى المدارس بدون أن يتموا تعلم الرسم الصينى ، وهو لا يقوى على تأدية وظيفته إلا فى صورة ناقصة مبتورة ؛ إذ من المستحيل ، مهما كثرت صوره وتعددت رموزه ، أن ينتظم جميع ما يخطر بالذهن الإنسانى من معان وأفكار وجميع ما ينطق به اللسان من ألفاظ وعبارات . هذا إلى أنه بمقتضاه لا يوجد للمعنى الواحد أكثر من صورة واحدة ، مع أنه فى معظم اللغات الإنسانية كثيراً ما يوجد للمعنى الواحد عدة ألفاظ مترادفة . فاستخدامه فى حالات كهذه يوقع فى اللبس ويؤدى إلى الاضطراب

(وثانيهما) أسلوب الرسم الصوتى Ecriture phonétique, ou, phonétisme الذى يضع لكل صوت صورة خاصة . وقد استخدم هذا الأسلوب من الرسم فى كثير من اللغات القديمة ، ويستخدم الآن فى معظم الشعوب المتمدينة

وترجع الصور الخطية التى استخدمت فى هذا الرسم إلى طائفتين : إحداهما الصور المقطعية Syllabique وهى التى ترمز إلى مقاطع كاملة كما يرمز فى الهيروغليفى بشكل الشفتين إلى مقطع را ra والأخرى الصور الهجائية Alphabetique وهى التى ترمز إلى أصوات ساكنة ، كما يرمز فى الرسم العربى بهذا الحرف «ل» إلى صوت اللام مجرداً من جميع الحركات

ويظهر أن قدماء المصريين كانوا أول من استخدم هذا الأسلوب بنوعيه (المقطعى والهجائى) منذ أكثر من ثلاثين قرناً قبل الميلاد . فمن بين صور الخط الهيروغليفى ما يرمز إلى مقاطع صوتية (صورة الشفتين مثلاً التى تعبر عن مقطع «را») بل من بينها ما يرمز إلى مجرد أصوات ساكنة (صورة الشفتين

(١) يرتكز الرسم الصينى على ٢١٤ رمزاً أصلياً (تسمى بالمفاتيح clefs أو الأصول radieaux) ، يعبر كل رمز منها عن معنى عام ، ويبين المقصود منه عدد الخطوط التى تضاف إلى هذا الرمز ونوعها

أما الرسم المصرى القديم فيسمى بالهيروغليفى Hiérogliphe . وقد اجتاز هذا الرسم أربع مراحل . فقد كان فى المبدأ تصويراً للأشياء ، فيعبر عن الشمس مثلا بدائرة فى وسطها نقطة ، وعن القمر بقوس فى وسطه نتوء ... وهلم جرا . ثم دخل فيه بعد ذلك طريقة الرموز البسيطة والمركبة فيعبر مثلا عن اليوم بصورة الشمس (دائرة فى وسطها نقطة) ، وعن الشهر بصورة نجمة تعلوها صورة قمر مستعرضة (قوس فى وسطه نتوء) . وفى المرحلة الثالثة دخلت فيه الطريقة الصوتية المقطعية ؛ فاستخدمت مثلا الصورة التى كان يعبر بها قديما عن الفم (وهى صورة الشفتين) للتعبير عن مقطع « را ra » . وفى المرحلة الأخيرة دخلت فيه الطريقة الهجائية فاستخدمت مثلا الصورة السابقة لا للتعبير عن مقطع « را » بل للتعبير عن صوت الراء الساكنة غير المتبوعة بحركة كما هو شأن الراء فى الحروف الهجائية العربية . والمظهران الأولان فقط (الصورى والرمزى) هما اللذان يعدان من النوع الذى نحن بصدد الكلام عنه . أما المظهران الأخيران (المقطعى والهجائى) فمن النوع الثانى الذى سنتكلم عنه وهو الرسم الصوتى .

مثلاً التي أصبحت ترمز فيما بعد إلى صوت الراء غير المتبوع بأي حركة ، كما هو شأن الراء في الحروف الهجائية العربية) . غير أن قدماء المصريين لم يستخدموا هـذا الأسلوب وحده ، بل مزجوه بالأسلوب الأول . فالرسم الهيروغليفي خليط من الرسم الصوتي والرسم المعنوي ؛ يستخدم بجانب الصور المقطعية والهجائية صوراً حقيقية ورمزية

ومن الراجح أن الفينيقيين هم أول من استخدم الأسلوب الهجائي وحده . وقد اضطرهم إلى ذلك نشاطهم التجاري وكثرة تنقلهم وتعدد علاقاتهم بمختلف الشعوب . فقد كانت هذه الشئون تقتضيهم في جميع أعمالهم السرعة في الحركة ، والاقتصاد في الجهود ، وتحري وجوه الدقة . والأسلوب الهجائي هو أسرع أساليب الرسم ، وأيسرها وأدناها إلى الكمال . وليس من شك في أنهم حاكوا في أسلوبهم هذا ما كان يشتمل عليه الخط الهيروغليفي من صور هجائية . على أنه قد ثبت أنهم أخذوا أخذاً عن هذا الخط نحو ثلاثة عشر حرفاً من حروفهم

وقد انتشرت حروف الهجاء الفينيقية في معظم أنحاء العالم القديم واستخدمها كثير من شعوبه ؛ ومنها تفرعت بشكل مباشر أو غير مباشر جميع حروف الهجاء التي استخدمت فيما بعد في مختلف اللغات الإنسانية

فمن الحروف الفينيقية اشتقت الحروف العبرية القديمة ، ومن هـذه اشتق الرسم العبري الحديث (الحروف العبرية المربعة l'hebreu carré) الذي استخدم بعد رجوع بني إسرائيل من نفي بابل ، وظل مستخدماً إلى الآن بدون أن يناله تغيير ذو بال

ومن الحروف الفينيقية اشتق كذلك نوعان من الرسم قريبا الشبه بالعبرية الحديثة (الحروف العبرية المربعة) : أحدهما الخط التدمري[1] (أو البالميريني Palmyrénien[2]) ؛ والآخر الخط النبطي Nabatéen . ومن التدمري اشتقت الحروف السريانية التي أخذت منها الخطوط المغولية والمنشورية . ومن الخط النبطي والخط السرياني اشتقت حروف الهجاء العربية .

(١) نسبة إلى تدمر وهي مملكة قديمة كانت تشمل جزءا كبيراً من سوريا الحالية . ومعنى تدمر في العبرية بلاد النخيل

(٢) نسبة إلى بالميرن Palmyrène وهو اسم فرنسي لبلاد تدمر . ومعناه في الفرنسية هو نفس معنى تدمر في العبرية ، أي بلاد النخيل

ومن الرسم الفينيقي أخذ كذلك الرسم الآرامي ، بل إن الرسم الآرامي في أقدم أشكاله لا يكاد يختلف عن الرسم الفينيقي . وعن الآرامية أخذت الحروف الهندية الباكترية (Indo-Bacterien[1]) التي كانت مستخدمة في شمال الهند ؛ ومن هذه الحروف اشتقت جميع الحروف المستخدمة الآن في مختلف لغات الهند وسيام Siam وكمبدج Cambodge (بالهند الصينية) وماليزيا Malaisie .

ومن الحروف الفينيقية اشتق كذلك الرسم الإغريقي ؛ ومن الرسم الإغريقي أخذت الحروف اللاتينية ، ومن الرسمين اللاتيني والإغريقي تفرعت جميع أنواع الرسم المستخدمة في مختلف اللغات الأوربية في العصر الحاضر .

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

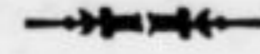
(١) نسبة إلى باكتريان Bactrian ، وهي منطقة قديمة كان يسكنها الايرانيون وتشمل بعض مناطق تركستان وفارس

أوليفر جوزيف لودج

OLIVER JOSEPH LODGE

يونيو سنة ١٨٥١ — أغسطس سنة ١٩٤٠

للدكتور أحمد موسى



ليس بين المثقفين من لا يعتبر أوليڤر لودج من أئمة علماء العصر، كما لا يوجد من بين هؤلاء من لم يقرأ شيئاً له أو عنه. وإذا أراد أحد المؤرخين أن يسجل في قائمة أعظم علماء التاريخ من الناحية العلمية، فإنه يضع اسم أوليڤر لودج بين هذه الأسماء إن لم يضعه في مقدمتهم

أنظر إلى حقل من الحقول وسر بنظرك إلى شجيراته التي غرست في وقت واحد وتعهدها الفلاح بالري في فترة واحدة، تر من بينها شجيرة تبز غيرها وترتفع عنها، مع أن البذور واحدة والعوامل الباقية مشتركة. وكذلك كان الحال منذ بدأ القرن العشرون، فظهر في الأفق العلمي كثيرون كان من أبرزهم أوليڤر لودج الذي حلق في سماء الفكر تحليقاً عجيباً ووصل إلى نتائج من أبهر وأسمى ما يمكن الوصول إليه

لم يكن أوليڤر لودج موسيقياً، ولكنه كان يستمع إلى موسيقى الخلود؛ فيتخذ من هرمونيتها قواعد وأصولاً يجعلها أساس بحوثه في اللانهاية وفي علاقة الشموس والسيارات والكواكب بعضها ببعض، وكما يحافظ الموسيقي العبقري من أمثال بيتهوفن وفاجنر على الانسجام والاتزان والارتباط الفائق في مقطوعاته، كان أوليڤر لودج يتخذ القاعدة البسيطة إلى المبادئ المركبة، وينتهي بالنتائج المحدودة إلى ما هو غير محدود

وإذا كان العلم رهيناً بالبيئة والاستعداد المولود مع الموهوبين فإن المصادفة قد لعبت دوراً هاماً في توجيه أوليفر لودج إلى العلم كان الفضل في توجيهه لمجلة قديمة اسمها: « الميكانيكي القديم » تناولها صدفة فأثارت كامن استعداده، ولم يكن فقر أبيه ليحول بينه وبين العلم؛ فدرس وحفظ وأتقن وتفنن وتعلم وعلّم من أجل الاستمرار في الدرس.

ولد أوليفر لودج يوم ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ في بيكنهال بمقاطعة ستافورد بانجلترا من أبوين متوسطي الحال، وكان أبوه مشتغلاً بصناعة الخزف، وقد تعلم الابن في المدرسة الابتدائية في بيوبورت إلى أن بلغ الرابعة عشرة، واستمر مع أبيه سبع سنوات جمع خلالها بين العلم والعمل، بحيث لم يكن اتجاهه العلمي متصلاً أقل صلة بحرفته التي كلفه بها واختارها أبوه، وقد صادف يوماً تلك المجلة التي سبقت الإشارة إليها؛ فانكب على الدرس والبحث والاستقصاء، فما كان من أبيه إلا أن أرسله إلى لندن ليستمع إلى ما يروقه من المحاضرات

رأى الفتى أنه لا بد له من الدراسة الجامعية المنظمة، ولا بد له من مال ينفقه في هذه السبيل؛ فاستعان بإعطاء الدروس الخصوصية للحصول على النفقات الضرورية، وأمكنه بعد الجهد أن يحصل على أسمى شهادة تمنحها جامعة لندن وهي إجازة الدكتوراه بعد خمس سنوات قضاها في الدرس المرهق

وعين في سنة ١٨٧٩ مساعداً للرياضة التطبيقية بجامعة لندن، وانتخب عضواً في الجمعية الملوكية سنة ١٨٨٧، وانتقل أستاذاً للعلوم الطبيعية في جامعة ليفربول سنة ١٨٨١ وظل فيها إلى سنة ١٩٠٠ حيث انتقل عميداً لجامعة برمنجهام

ومنحه الملك إدوارد السابع لقب فارس سنة ١٩٠٢ وحصل على لقب « سير » فيما بعد

ومن أوائل مؤلفاته « نظرات جديدة في الكهربائية » وهو المؤلف الذي ترجم إلى الألمانية العلامة هلمهولتس سنة ١٨٩٦[1] وله كتاب ألفه سنة ١٩٠٨ أسماه « الحياة والمادة[2] » تناول فيه بالنقد آراء الفيلسوف الألماني هيكل صاحب كتاب « لغز الكون[3] ».

وألف بعد ذلك الكثير من الكتب، وله مقالات ومحاضرات لا يتناولها الحصر، منها ما ألقاه في الجامعات ومنها ما ألقاه في مجمع

(1) Helmholz u. Du Bois-Reymond, Leipzig 1896.

(2) Lodge, Leben und Materie, Berlin 1908.

(3) Haeckel, Die Weltraetsel, Bonn 1899

تقدم العلوم البريطاني . أما مقالاته فقد نشرت عنها نبذة جيدة في مجلة الطبيعة Nature ومجلة الاكتشافات Discovery وغيرهما من المجلات الأمريكية والألمانية والفرنسية والإيطالية

أما الجرائد اليومية التي نشرت له ، فأهمها التيمس التي بدأت منذ فجر القرن العشرين تنشر مقالاته وخلاصة محاضراته عن : « الكهرباء » و « الأتوم » و « المغناطيسية » و « المادة والروح » وغير ذلك

ولم يقف نشاطه عند حد التدريس والتأليف ، بل تمداه إلى الاشتغال العملي كمستشار لإحدى الشركات الكهربائية الكبرى ؛ فقام لديها بتطبيق أبحاثه النظرية في الوقت الذي فيه استفادت الشركة فائدة عظمى

وقد ظل عميداً لجامعة برمنجهام حتى سنة ١٩١٩ ، أي أنه ظل في هذا المنصب عشرين عاماً لا يتوانى عن العمل والإنتاج والسعي وراء ما هو جديد في العلم .

وقد انتخب رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩٣٣ ، ورئيساً للجمعية الطبيعية وجمعية الأبحاث النفسية وجمعية الأشعة المجهولة .

بهذا الوضع ترى أن لودج جمع بين العلم التجريبي والفلسفة ، وكان وسيطه الأثير ، وظل يتفلسف حتى حلّق بفكره الصافي وخياله السامي إلى عالم الروح !

ما هو الفضاء ؟ وما حدوده ؟ وماذا يشغله ؟ وما هذه الكواكب المنثورة في رحابه ؟ وما الذي يربط بينها ؟ وما هي المادة ، ومم تتكون ؟ وماذا يربط بين الذرات ؟

صراع عنيف هذا الذي بين العالم وبين ظواهر الكون ! شجار هائل بين العقل البشري وظاهرة اللانهاية . ينظر العالم البصير إلى الوجود نظرة التأمل ؛ فيرتد منه البصر خاسئاً وهو حسير ! لقد قال « كانت » في كتابه « نقد العقل الخالص[1] » :

إن العقل البشري محدود لا يستطيع اختراق الآفاق للوصول إلى ما يشق غلته ، وهذه حكمة الخالق !

ولعل ما وصل إليه أوليفر لودج كان من نوع الانبثاقات المشابهة لتلك التي فاز بها أينشتاين دون مقارنة . ومهما يكن من شيء فإن العقل الخصب لا يقف في البحث عند حد ؛ ولذلك ترى لون التفكير الحديث عند لودج بمعناه الكامل

يتجه التفكير الحديث إلى تحقيق تأليف كل مادة من جزيئات منفصلة هي ذرات العناصر المركبة من كهارب وبروتونات وهذه هي الشحنات الكهربائية الدقيقة إلى أقصى ما يمكن للعقل أن يتصوره

أخذ هذا المبدع في التفكير على هذا النمط ، واتخذ من البسيط قاعدة للمركّب ، واستطاع إدراك الموسيقى الكونية المعبرة عن الكمال المطلق في الهارموني الأزلية الأبدية !

كان لودج مؤمناً وكان ينبذ مذهب المادية كنتيجة لإيمانه . فتراه يقول : إن العالم لا يمكن أن يكون مادة خالصة ، فهناك رابط وضابط يربط بين الكائنات ويضبط علاقاتها ، وليس هو بالذات ماديًا

وما هو الأثير يا ترى ؟ أهو مادة ترى أم تلمس ؟ يقول لودج في تعريف صفاته : إنه لا يرى ولا يلمس ولا يسمع ولا يشم ! بل هو ناقل الضوء وهو الرابط بين جزئيات المادة ، كما أنه الوسيط لنقل الأشعة الكونية إلى الأشعة اللاسلكية ، والأشعة الكونية تبلغ حدا قصيراً جدا بينما اللاسلكية قد تصل موجتها إلى اثني عشر ميلاً أو أزيد

أما جولاته وصولاته في عالم الروح فهي مشهورة وعظيمة فاعتقاده في بقاء الروح بعد الموت نتيجة لتجاربه التي يقرر في إحداها أنه استطاع التحدث إلى ابنه المتوفى ، ويعلل ذلك بقوله : إن الحياة والعقل يبدوان في مجال لا يشترط أن يكون مادياً دائماً ، وعلى ذلك فبقاؤهما بعد انحلال الجسم المادي محتمل .

ولم يصل لودج إلى التحقيق العلمي في هذا الشأن ، ولذلك فتعاليمه الروحية مثار كثير من الجدل ، ولكن هذا لا يمنع من اعتباره واضع النواة لاتجاه لا يبعد أن يميط البحث عنه لثام

(1) Kant, Kritik der reinen Vernunft.

النموض ، لا سيما وأن الكثير من المبادئ العلمية كانت فى أول أمرها مثار الشكوك ثم ثبت صدقها ونفعها فيما بعد

تذكر « لامارك » واذكر أبحاثه التى ظلت أعواماً طويلة فى عالم النسيان بعد طول الجدل والمناقشة ، وبعد أن كانت مثار الحقد والكراهية له من معاصريه العاملين معه فى معهد واحد ، وتذكر ما قاله « دارون » عن هذه الأبحاث تر أنه لا يبعد أن يجود الزمان بمن يواصل البحث فى عالم الروح على ضوء ما تركه لودج من تراث عظيم فى هذا المجال

جمع لودج بين عالم الروح وعالم المادة ، وله أبحاث هامة عظيمة قد أيدت ، وأبرزها النتائج التى وصل إليها فى ظواهر البرق والصواعق ، والمسلك الذى سلكه للوقاية منها

وله فضل عظيم على نظريات اللاسلكى والأمواج القصيرة والطويلة ، فلا غرابة إذا اعتبره البعض إمام الابتكارات اللاسلكية الحديثة قبل ماركونى

لقد وهب الله هـذا الرجل صدق النظر وعلو الهمة والرغبة فى العلم والإنتاج ، كما منحه إلى جانب ذلك عمراً مديداً ، فهو فى هـذا كله قد وفق تمام التوفيق وأدى رسالته على أحسن وجه

فإذا سجلنا اليوم بعض مآثره وتناولنا حياته ببيان قصير ، فإن هذا إلى جانب مكانته لا يعد شيئاً مذكوراً

* * *

ولعلنا نعود إلى أبحاثه الروحية فى وقت أكثر رحابة وأوسع مجالاً من هذا الذى اكفهر فيه الجو وخيم الظلام على عقول الناس ؟

أحمد مرسى

في النقد الأدبي

أســـلوب أدهم
في كتبه ومباحثه

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

كان المرحوم إسماعيل أدهم شخصية في الأدب النقدي الحديث ، تستحق الدراسة من نواح متعددة . وإذا كان عرف عنه دائماً زيغ في العقيدة ، أو تعصب للترك على العرب والإسلام فقد عرف عنه بجانب ذلك كثير من دقة البحث واستقصاء الدرس واستكمال عدة النقد اللازمة للناقد الحديث . وامتازت كتاباته ومباحثه الواسعة المنتشرة هنا وهناك بطريقة جرى عليها علماء الشرقيات في مباحثهم . وهي طريقة غير هينة ولا ممهدة لأنها تستلزم صبراً كثيراً وقراءة كثيرة وربطاً محكما لكل ما يقرأ وإدرا كا واسعاً يستطيع به صاحبه الحكم في صحة ، غير جانح إلى خطأ ، أو مائل إلى انحراف عن الجادة

ولقد أثار موت أدهم — بالطريقة التي اختارها — أموراً كثيرة ، تعرض فيهـا كثير من الناس لأمور ما كان يليق التعرض لها ، لأنها تمس شخصه هو ، وتلمس جزءاً خصوصياً من حياته . وكان الأولى بهم لو وقفوا أمام أدبه وتراثه الفكري فاستعرضوه وبحثوه وأشبعوه درساً وتناولوه تناول الناقد ـ في رفق أو في غير رفق ـ لأنه تراث لم يعد من ملك اسماعيل أدهم ، بل عاد من ملك الزمن ومن حق التاريخ

ولا نعرض هنا لمـا قيل في أدهم وما قيل عنه ، فليس ذلك وارداً على بحثنا اليوم ولا داخلاً فيه . ولا شك أن المناحي التي أثيرت حوله ستمضي ، وسيبقى الكلام في عقيدته مسألة حسابها بينه وبين ربه .

***

والكلام عن أدهم في أي ناحية من نواحيه قد يكون شائكا ، وقد يكون دقيقاً ، وقد يكون فيه غير قليل من الحرج ، فليس من أسهل المواقف — في بيئة شرقيـة محافظة — أن يطيب الكلام عن أدهم المعروف بنزعاته الحرة غير المبالية بتقليد أو سنة[1]

وليس من أهون المواقف أن يكتب عربي عن شاب تركي الأب ألماني الأم أو صقليها كان يرى ويؤمن باحتقار الترك للعرب[2]

وليس من أحب المواقف إلى النفس أن يكتب كاتب يريد الإنصاف عن أديب تعددت فيه مذاهب الرأي ، وأحيط علمه وعرفانه الألمانية والروسية وقيم شهاداته العلمية بكثير من الشك[3]

نعم ، ليس الكلام عن أدهم سهلاً ولا ليناً ، ولا مما يرتاح إليه بعض الناس ممن يرون فيه رأياً خاصاً ، ويذهبون في الحكم عليه مذهباً معيناً

على أن الناقد لا يتقيد بما يتقيد به سائر الناس ، ولا يخضع نفسه لعاطفة ثائرة قد يكون لها أثر سيء في الحكم على المنقود . فلقد كان في أبي العلاء المعري شك وسخرية وجرأة على الأديان، إلا أن ذلك لا يمنع من وضعه في المنزل الخليق به في أدب العرب. أما المتزمتون الذين يتحرجون حتى من حفظ شعر لأبي العلاء لرميه بالزندقة ، فأولئك قوم لا نكتب لهم ، ولا نود أن يقع حديثنا في أيديهم ... ...

على أن أدهم — كما قلنا — قد مات وراح في الطريق الذي نروح ونغدو له في الحياة ... وراح معه شكه وإلحاده ليلاقي بهما وجه الله الذي سـيري عنده اليقين . فمن السخف أن نغضب ونسخط على أدهم ، لأن الله لم يهده كما هدى غيره . ومن الرحمة أن نرثي لأدهم بسبب هذه الحيرة السوداء التي سودت عليه آفاق الطريق . وقد يكون من المفيد أن يتفضل أحد الباحثين بمعالجة هذا الموضوع — موضوع إلحاد أدهم — والكشف عن بواعثه والظروف التي هيأت له، مستعيناً في ذلك بما كتبه هو عن نفسه في كتابه « لماذا أنا ملحد ؟ »

***

يجد المتتبع لأسـلوب أدهم أنه لم يسلم من وقوع الأخطاء

(١) أنظر (لماذا أنا ملحد) لأسماعيل أدهم

(٢) أنظر (الزهاوي الشاعر) له ص ١٧

(٣) راجع أعداد الرسالة من يوم وفاة أدهم إلى اليوم

النحوية فيه . وكان أصحاب الصحف والمجلات التى ينشر فيها يعانون كثيراً فى سبيل إصلاح هذه الأخطاء وردها إلى وجه الصحة . على أن أدهم فى مباحثه الأخيرة قلت عنده هذه الأخطاء ولكنها لم تنعدم انعداماً تاماً

وكان خصوم أدهم يجدون فى هذه المآخذ وفى غيرها فرصة للتعريض بقيمة ما يكتبه . على أن ذلك عند المنصف لا يحط من القيمة العلمية لمباحثه

وضعف إسماعيل أدهم فى قواعد العربية من السهل رده إلى نشأته فى بيت غريب عن العربيـة . وكان للسنوات التى قضاها فى تركيا كما نعرف ـ وفى روسيا كما يقال ـ أثر فى زيادة هذا الضعف . إلا أنه بدأ منذ النصف الأول من عام سنة ١٩٤٠ يفطن إلى أخطائه . ولعله اكتسب ذلك من نشر مقالاته مصححة من قلم التحرير فلا يقع خطأ فى مقالاته المقبلة

وكان بجانب ذلك لا يحرص على استعمال الألفاظ العربية العريقة ، بل كان يعدل عنها إلى الألفاظ الدخيلة أو غير الصحيحة أو الألفاظ الأفرنجية نفسها مكتوبة بحروف عربية

وقد لاحظت عليه كثرة استعماله للفظة « رومانتيكية » بدلاً من « ابتداعية » ويقول عن ترجمة البستانى للألياذة إنها « ملحمة شعرية زحمة بمثولوجيتها » بدلاً من أساطيرها ، وأكثر ما نلاحظ عليه هذه الطريقة فى الكتابات الأولى التى كتبها بين سنتى ١٩٣٥ ، ١٩٣٨ . وكتابه الموسوم « الزهاوى الشاعر » مشحون بأمثال هذه الألفاظ الأفرنجية المنبثة فى خلال كتاباته العربية

إلا إنه فى السنتين الأخيرتين قبل وفاته عدل عن هذه الطريقة إلى الطريقة الأخرى المقبولة ، وهى ذكر الكلمة العربية الأصيلة مع ذكر ما يقابلها فى الإنجليزية والفرنسية بين قوسين بحروف لاتينية . وهذه الطريقة تظهر بشكل واضح فى أبحاثه العميقة عن شاعر الأقطار العربية خليل مطران التى نشرت تباعاً فى مجلة (المقتطف) فى عام ١٩٣٩ وبعض شهور من عام ١٩٤٠ . وعلى سبيل التمثيل نذكر ما يأتى : يقول فى أحد هذه المباحث [1] : « إن الخيال الشعرى عند مطران إضافى Relative » . ويقول أيضاً فى الصفحة نفسها : « وهذه أشياء يمكنك أن تخلص بها كقاعدة Regle من إمعانك فى مطالعة شعر ديوان الخليل » .

ويقول فى موضع آخر [1] : « وهى عناصر العاطفة Emotion والخيال والفكرة » . ويقول فى موضع آخر عن صناعة مطران الفنية [2] : « فإن الكمال Perfection فى الشعر يقوم على أساس الاتزان بين الروح الشعرية والتعبير الشعرى من جهة من جهاته »

وهكذا تجد الأمثلة كثيرة على ميله أخيراً إلى استعمال اللفظ العربى والعدول به عن اللفظ الإفرنجى الذى كان يشيع فى أوليات مقالاته ...

وقد لا أكون مخطئاً فى الظن أن السر فى هذا العدول هو كثرة ما تعرض له من النقد من ناحية — فقد كانت طريقة حشد الألفاظ الإفرنجية على اللغة العربية لا ترضى كثيراً من القراء — ومن ناحية أخرى أراد أن يظهر لبعض الغامزين عليه تمكنه من اللغتين الفرنسية والإنجليزية

وبالرغم من ذلك كله فإن أسلوب اسماعيل أدهم يتميز من غيره من الباحثين المعاصرين بطابع خاص انفرد به وحده ، وهذا الطابع تظهر فيه شخصية أدهم ظهوراً مستقلاً

وقد بلغ من استقلال هذه الشخصية الأسلوبية وتفردها أنها كانت تنم عن صاحبها حتى ولو لم يعرف القارئ اسم كاتب المقال . وهو فى ذلك يمتاز من كثير من الباحثين أو الكاتبين المعاصرين الذين يكادون يذوبون فى غيرهم كما يذوب الثلج فى الوهج ... وهـذه الميزة الفريدة لأدهم هى التى أعطته مكاناً طيباً فى عالم النقد ، فقد كان يُنظر إليه نظرة اعتبار من صاحب « الحديث » فى حلب ، وأصحاب « المقتطف » فى مصر ، وصاحب « الرسالة » الذى أفسح له صدرها غير عابئ بما كان ينسج حول أدهم وما يحاك له ...

على أن هذه الشخصية الأسلوبية لأدهم لا تعنى أنها استقلت بمقوّمات أو حسنات فقط ، فقد كان فيها بعض العيب ـ وسبحان الكامل ـ فقد كان فيها شىء من لكنة الأعاجم . إلا أنه لحسن الحظ أن هذه اللكنة المورونة فيه لم تفسد معانى

(١) ص ١٣٢ من الكتاب

(١) ص ١٣٨ من الكتاب نفسه

(٢) ص ١٦٨ من الكتاب نفسه

كتابته ، وإن كانت تضيع من عربيتها

ويظهر أنه كان فقير المادة اللغوية العربية . وهو معذور في ذلك كل العذر لعجمته أولاً ولصغر سنه ثانياً . فلم يتح له عمره القصير أن يحيط بثروة لغوية واسعة ، وإن كنا نلاحظ عليه ازدياد محصوله اللغوي من عام إلى عام

ويؤيد ما نقول أنه كان له كثير من الألفاظ والتعبيرات والتراكيب الخاصة به يديرها في كل مبحث من مباحثه ، ويكررها في كل كتاب من كتبه ، وقد ينسى فيكررها في الصفحة أو الصفحتين المتقاربتين ثلاث مرات أو أكثر ، ولسنا نلقي الكلام هنا من غير دليل ، فهو يقول في أحد كتبه[1] « تقطعت نتيجة له أوصال عقليته التقليدية » ويقول في الصفحة المقابلة من الكتاب نفسه « تقطعت أوصال عقليته التقليدية تحت محراث العلم والثقافة الغربية » ، ويقول في صفحة ١٨ من الكتاب نفسه « فتقطعت عند الكثيرين من أبناء الشرق العربي أوصال العقلية القديمة »

وقد يكون العلة في هذا التكرير الواضح في كتابته ضعفُ محصول اللغة عنده كما أسلفت ، وقد يكون له سبب آخر غير ذلك ولكن الذي لا شك فيه أن هذه الظاهرةَ في أسلوبه تدل دلالة قاطعة على عدم مواتاة الفيض التعبيري عند الكاتب

ومن أساليبه الخاصة المتكررة عنده والغالبة فيما يكتب ما يأتي « تموج الإحساس . طفت موجة وسط هذه الموجات . استفوت على عجلة الزمن »

***

وفي كتابته فيض غزير من الألفاظ العلمية الخاصة التي تستعمل في العلوم الطبيعية أو الرياضية ، ولا شأن لها مطلقاً بمباحث الأدب والنقد ، وعلة ذلك أنه كان علمي العقل ، علمي الدراسة ، ثم اتخذ الاشتغال بالمباحث الأدبية غاية له بعد ذلك ، فانساب إلى كتابته الأدبية سيل عريض من ألفاظ كانت تشغل ذهنه في علم الرياضة والطبيعة وغيرها

ومقالاته وكتبه مملوءة بهذه الألفاظ ، ونذكر هنا على سبيل المثال بعضاً منها . فهو يقول في كتابه عن مطران (ص ١٠٨) « لأن الأصل في التعصب انطلاق الشحنات المفرغة من الأعصاب »

ويقول في الكتاب نفسه ص ١١٢ « وهذا الجو يفعل فعله في النفوس فعل مجال مغناطيسي في برادة الحديد » . ويذكر كثيراً « التعادل » « والتقبض » « والتمدد » « والطيوف » « وعالم الجزئيات » « والدقائق » « والذرات » ويسمي قوى الحب (جاذبية)

أما التحقيق العلمي في مباحثه واتباعه وسائل علماء المشرقيات في بحوثهم ، واهتمامه بالمصادر وذكرها ، والتمويل عليها دائماً للاستشهاد، فذلك كله معروف عن كتابته . وهي وسائل تحتاج بغير شك إلى كثير من المأناة والصبر والزمن

وقد انتفع رحمة الله بكثير من الأبحاث التي كانت دائرة في السنوات العشر الأخيرة في الصحف العربية : « كالمقتطف » ، و « أبولو » ، و « الهلال » ، و « السياسة الأسبوعية » ، و « الرسالة » . وكان يرجع إلى هذه الأبحاث مستشهداً على ما يعالجه هو نفسه من المباحث . ونظرة واحدة إلى هوامش مقالاته وكتبه تؤيد هذا الكلام

***

لقد أصبح أدب أدهم الآن في ذمة التاريخ ، فليكتب عنه المنصفون ليكشفوا النواحي الغامضة من أديب عاش عيشة الغموض ومات ميتة الغموض ، بعد أن ترك خلفه آثاراً جليلة جريئة في عالم النقد الحديث

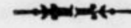
(القاهرة) محمد عبد الغني حسن

[1] كتاب الزهاوي الشاعر ص ٢٢

عراك فى معترك ...

أى معـــــترك !

للأستاذ زكى طليمات



« نحن هنا عند استهلال تطور يستطيع أن يحدث تجديداً فى الحياة الأدبية ، أو قل يجلب ثروة إليها ، ولا يكون هذا الجلب وذلك التجديد إلا بعد نضال عنيف » .

هكذا ختم الأستاذ المستشرق « بروكلن » دراسته لمسرحية « مفرق الطريق » للدكتور بشر فارس . وذلك فى الجزء الثالث من الكتاب الثالث لتاريخ الآداب العربية ، وهو الكتاب الذى وقفه المستشرق السابق الذكر للأدب العربى المستحدث .

وبهذا الحكم نفتتح ردنا على مقال الأستاذ محمد متولى الذى نشرته « الرسالة » فى عددها ٣٧٦ ، لنسكب فى واعيته أن « مفرق الطريق » عمل أدبى إذا جرى النزاع عليه ، فإنما هو يجرى فى معترك ... أى معترك !

وآية ما نقرره أن الحديث حول هـذه المسرحية يمتد من جديد بعد أن طوينا مكرهين صفحة منه مع « ناقد أديب »[1] وأن المسرحية لا تبرح تشغل أذهان الأدباء ، إمّا عن إعجاب وتقدير ، وإمّا عن استغراب وبطء فهم

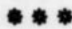


الأستاذ متولى فى مقاله المذكور يهدف إلى غرضين رئيسيين :

أولهما : أنه يريد أن يزيل الخصومة القائمة بين الدكتور بشر فارس والأستاذ الشاعر على محمود طه ، وهى خصومة أساسها — كما كتب عنها الأستاذ متولى نفسه فى مطلع مقاله المذكور — أن بشر فارس نقد شعر الثانى فاتهمه بالإغارة والسلخ من المتقدمين والمتأخرين ، فغضب الشاعر وانبرى يكيل له صاعاً بصاع ، فاتهمه بأنه أخذ فى كتابة مسرحيته « مفرق الطريق » من آراء وردت فى قصيدة « القمة الباردة » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . فكان أن نصّب الأستاذ متولى نفسه قاضياً بين الخصمين ، على ما بين التهمتين من اختلاف فى الجوهر وملابسات الأحوال ، ليقضى بأن الخصمين شريفان ، وأن السرقة لم تقع من جانب واحد منهما ، ودعم رأيه هذا بأن الفن ليس « فكرة » ، وإنما هو « صورة » أولاً وأخيراً

والموقف كريم مهما كانت بواعثه ، ومهما بعدت أسبابه عن الموضوع الذى نحن فى صدده ، وهو تحديد قيمة هذه المسرحية من الناحيتين الفلسفية والفنية .

بيد أننا نبرر بالكرم لنقول إن بشر فارس ما كان فى حاجة إلى الحكم الذى قضى به الأستاذ متولى فيما له علاقة بالمسرحية ، لأن أحداً — حتى ولا « الناقد الأديب » — لم يزعم أن بشراً سرقها من كاتب مسرحى متقدم أو متأخر ، وإنما المسألة محصورة فيما إذا كان بشر قد استلهم فى كتابة مسرحيته هـذه من الفيلسوف (كانت) التى تمت إليه قصيدة الأستاذ العقاد ، أو هو استوحى فلسفة (بيرجسون) .



وأما ما أورده الأستاذ متولى دعامة لحكمه هذا من أن الفن (صورة) وليس (فكرة) فأمر لم يغب عن ذهننا فيما سبق أن أجريناه فى حديثنا السابق ، بل سجلناه فى أسلوب أوضح وأدنى إلى الثقافة العربية[1] ، إذ قررنا « أن المعانى والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس ، فهى دوّارة فى نفس الجاهل والسوق ، والمتعلم والأديب ، وإنمـا العبرة بطرائق معالجتها ، وبالكسى التى تضفى عليها ، من حيث حسن التأليف ، وجودة

(١) « الرسالة » رقم : ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(١) الرسالة رقم ٣٧٠ صفحة ١٢٥٩ سطر ٢٦ العمود الثانى

التركيب والابتداع والنفس المبتكر الخلاق ، وهنا مجال التفاوت بإبراز الشخصية الكاملة المستقلة » .

ولم ندل بهـذا في معرض الدفاع عن بشر فارس لأنه أغار على قصيدة الأستاذ العقاد فانتحل مذهبها الفلسفي لمسرحيته ، ولكننا أوردناه لندفع زعماً آخر لا يدور حول المذاهب الفلسفية المرسومة وإنما يدور حول حقيقة من حقائق النفس البشرية التي هي عامة ومبذولة لكل كاتب ، ألا وهي (الصراع بين العقل والشعور)

قررنا هذا المبدأ الذي له أصل عنـد نقاد العرب[1] والذي عليه نقاد الغرب ، محاولين أن نضع له قيوداً خشية أن يصبح الأمر فوضى فتنتحل المعاني وتنتصب الصور

واقتصار الفن على (الصورة) أو (الشكل) كما يرى الأستاذ متولى ، لا يمنع أن يكون هناك فن رفيع وفن رخيص ، وفن أصيل مبتكر وفن متبع مقلد ، وشاعر يسرق وكاتب يستمد .

فالتسليم بأن المعاني والفكر المتداولة أشياء يشترك فيها الكتاب ، وبأن المتقدمين لم يتركوا شيئاً للمتأخرين ، كل هـذا وما يدخل في معناه ، لم يحجز النقد عن أن يقيم الحدود بين الإغارة على المعاني وسلخها ونسخها وبين الاستلهام والتوليد والاستيحاء والتخريج .

* * *

أما الغرض الثاني من مقال الأستاذ متولى ، فنقد مسرحية (مفرق الطريق) . وفي هذا المجال وثب الأستاذ متولى وثبة نقول إن التوفيق لم يحالفه فيها كما سنبين :

أراد الأستاذ متولى أن يحدد (الناحية الفنية) للمسرحية ، فإذا به يتحدث في غير ذلك ، ذلك أن المعنى المباشر (للناحية الفنية) لمسرحية ما ، هو خضوعها لشرائط الفن المقطوع بها ، من حيث مراعاة بلاغة العرض لحوادثها وجودة الحبك لمشاهدها،

وبراعة الحوار ولطفه ، وعمق التفكير وانسيابه إلى أعماق النفس يكشف عن خفاياها . . . الخ . ولكننا لم نطالع شيئاً من هذا في مقال الأستاذ متولى ، بل طالعنا آراء تتطوح بين علم النفس وعلم الجمال ، والعلمان من صميم الفلسفة ، وإذا بالأستاذ متولى الذي نعت حديثنا عن الفيلسوفين (كانت) و (بيرجسون) « بالتفلسف » يكتب فصلاً في الفلسفة — ونأبى أن نقول على غراره : في « التفلسف » — وإذا بأسماء (ريبو) و (بيكون) وغيرهما تجرى مجنحة مطلقة العنان ، مما يدل على أن الأستاذ متولى أراد « بفنية المسرحية » أمراً غير ما يدل عليه المعنى المتداول المصطلح عليه لدى رجال المسرح ، إذ هو يريد بها ، ولا شك ، « الناحية الرمزية الفنية » للرواية ، يأتي بهذا اللبس في فصل من القول يجب أن يكون قائماً على الدقة والإحكام .

* * *

والنقد الذي أراده الأستاذ متولى لمسرحية (مفرق الطريق) ، هو للمقدمة أكثر منه للمسرحية ، هذا في حين أن « المقدمة » أمر عارض ، لأنه غير المسرحية التي هي مناط القول في الجدل . وما أحسب أن بشراً كان يتجشم كتابتها متبسطاً لولا حرصه على أن يقرب المسرحية إلى أذهان القراء وييسر لهم أمر استيعابها وهي حدث جديد في التأليف المسرحي المصري

وعلى اعتبار أن « المقدمة » هي العنصر الأول ، كما يتعمد أن يراها متولى ، لينتقصها ثم ينفذ من هـذا إلى انتقاص قدر المسرحية نفسها ، فأين الأخطاء التي وقع فيها كاتبها ، وما هي مزالق الكلام فيها ؟

لا أخطاء ولا مزالق كلام ، وإنما هو تعسف وعنت من جانب الأستاذ متولى ، ومرد هـذا كله أن فكرته عن الرمزية محدودة ضيقة ، إذ هو يريد أن يخضع كل ما يؤلف في الرمزية لما وجده عند (ريبو Ribot) فقط ، و (ريبو) هو واحد ممن كتبوا في الرمزية وعلم النفس ، وواحد ممن

---

(١) كتاب (العمدة) لابن رشيق ، و (المثل السائر) لابن الأثير (والصناعتين) لأبي هلال العسكري

أسقطت الآراء الفلسفية الحديثة أكثر ما ذهب إليه فيهما ، كما سنشرح هذا

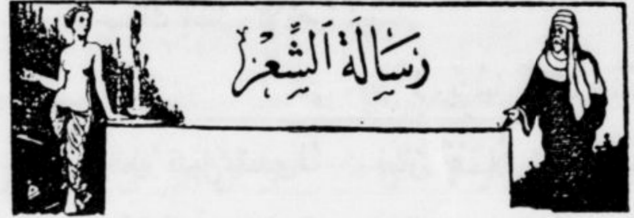
ويؤسفنا أن نقرر، لو أن الأستاذ متولى ، وهو الذي يحمل شهادة ماجستير للفلسفة ، تعقب المراحل الحديثة التي مر بها علم النفس بعد العهد الذي ألف فيه (ريبو) كتابه (المخيلة الخلاقة imagination créatrice) الذي هو عمدته في النقد ، أي بعد عام ١٩٠٠ ، لعرف أن علم النفس الذي أفادت منه الرمزية كثيراً قد دخل في طور جديد تبدلت على أثره أوضاع في الأدب عامة ، وفي الرمزية خاصة ، كما تشهد بذلك مسرحيات (بيراندللو) ، (جيرودو) ، (جانتيوم) ، وأن الرمزية المستحدثة أصبح مدارها خفايا النفس وبواطن الأشياء ، وهو ما عبر عنه بشر فارس في مقدمته : « استنباط ما وراء الحس من المحسوس . . . الخ »

وقبل أن ننتقل من هذا نود أن يقف القارىء على آراء علماء اليوم[1] فيما كتبه (ريبو) خاصاً بالمخيلة التي هي أساس في كتابه المذكور ، وذلك كما وردت في مؤلف كبير يدرس اليوم في جامعة السربون بباريس ، وضعه جمهرة من علماء فرنسا :

« يلوح لنا أن علم النفس عند (ريبو) في مسائل المخيلة والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة » ، ومن ذلك نرى أن حديث (ريبو) عن المخيلة في جميع العناصر المختلفة ، قد أصبح موضع نظر ، بعد أن بيّن الفيلسوف الأمريكي المعاصر (وليم جيمس) وغيره ، أن مجرى الضمير متصل متلاحق من حيث إنه حقيقة متحركة ، ومن حيث إن الفكر في تطور دائم . وكذلك قرر (بيرجسون) الفيلسوف الفرنسي المعاصر ، أن الحياة النفسانية اندفاع وابتداع في زمن متصل الحركات .

(البقية في العدد القادم) زكي طليمات

(١) كما جاء في كتاب مطول من علم النفس Traité de Psychologie لجورج دوماس ، طبعة مارس ١٩٢٤ . الجزء الثاني ص ٤٤١



في رياض نيسابور

أسطورة الخيّـــام

للأستاذ إبراهيم العريض

— ١ —

في أرضِ إيرانَ حيثُ الهُضْبُ لابسةٌ
زنارهـــا
من الثُّلوجْ
كالخُـــوزْ
تستقبلُ الشمسَ ... والأنهارُ هامسةٌ
أسرارَهـــا
بينَ المُروجْ
للنُّـــوزْ

جلا الربيعُ بنَيسابورَ موكبَه فزادَ عيداً إلى أعيادِها الأُخَرِ
يا ناعمًا في رُبوعِ الخـــلدِ ليلتَه
مستْ خُطاكَ ثرى الوادي مع السحر
فلم تزلْ خُفراءُ العابرِ تهتفُ في أفنانِها لجفوم الأرضِ بالخبر
حتى تلألأنَ في ضوءِ النهارِ ثنًى وفُزْنَ منكَ فُرادى بالشذى العِطر
فالزهرُ في قاعِها يفترُّ مبسَمُه يا ليلُ! هل صبغَتْ فاهُ يدُ القمر
والعشبُ مِن حولِها يزهو بخُضرتِه يا أفقُ! هل هو مَيْدانٌ إلى النظر
والطيرُ من فوقِها في ظلٍّ وارفةٍ يا غصنُ! هل أخذتْهُ رشةُ المطر
والنهرُ من تحتِها في موجِهِ ألقٌ يا شمسُ! هل هو مِرآةٌ إلى الشجر
إني لأسمعُ في أرجائها ضَحِكًا كنغمةٍ بعثتْها هزةُ الوتر

يا مَنْ يؤمِّلُ في الفِردَوسِ بُغيتَهُ قرَّتْ عينًا بها في هذه الصُّوَر
لبَّ الحيـــاةَ فقد عمَّتْ بدعوتِها
وما الربيعُ سوى تجديدِ ذِكراها

— ٢ —

أتى الربيعُ إلى الدُّنيـــا كعادتِهِ
بمـا اجتناهُ
منَ الجِنانْ
مِلءَ اليـدِ
فكادَ يُشغلُ عنهـــا في عبادتِه
بمـا رآهُ
منَ الحِسانْ
في المعبَـدِ

وأقبلَتْ تتهادى في غلائلِها بنتُ الجِنانِ تُحيِّيها حَوّاءُ
لو حاولَ الليلُ أن يغزُو غدائرَها لماجَ يسألُ أينَ الكوكبُ النائي
تضاحَكَ الوردُ لما قيلَ وجنتُها! أكنتَ (يا وردُ) مشغوفًا بإطراء
فأسفرتْ عن مُحيًّا في بشاشتِهِ يكادُ يقطرُ منهُ الحسنُ كالماء
شفَّ الحريرُ الذي وارَى ترائبَها عن فاتنَينِ ... فهل هَمَّا بأشياء
لم تسحَبِ الذيلَ فوقَ الزهرِ سائرةً إلا ومالَ يُزكّيها بإيمـــاء
حتى أتتْ مَحفِلًا في الروضِ منزوِيًا قد لاذَ في السُّكرِ أهلوهُ بأفياء
هذا أخو شَيْبَةٍ ألقَى اليَراعَ على ما خطَّه وانثنى في شبهِ إغفاء
فهيّأتْ كأسَه حتى إذا نظرتْ ما في الصحيفةِ غنّتْ للاحبّاء
والشوقُ في دمِها والعودُ في يدِها يُعيدُ نغمتَها الأولى بأصداء
يا نائمًا في ظِلالِ الكرْمِ وابنتِه
في الحُلمِ تؤنسهُ قُمْ وارتشِفْ فاها

— ٣ —

هذا الجمـــالُ الذي كمْ ودَّ ناظرُه

في منيعةِ
من صباهْ
نوّ نالَهْ
يا وردُ ! مثلكَ إن حيّاه شاعرُه
بنغمةِ
من هواهْ
أصغى لهْ

شيرينُ غنّيتِ صوتاً كانَ يطربُني … ليتَ الأحبّاء عادوا لي مع النغمِ
ناموا وهدهدتِ الأزهارَ بعدهمُ … يدُ الربيعِ على عيني فلم تنمِ
ذكّرتِني بشبابي إذ تطوفُ بهِ … في باحةِ الخُلدِ آمالٌ مدى الحُلُمِ
إذ كنتُ أُطلقُ نفسي في سجيّتها … فاتني السبقَ من جرى على قدمِ
أشكو مواقعَ عينيْ كلّ فاتنةٍ … مفتونةٍ بالذي أجلو من الشّمَمِ
باحت بسرّ شكاةِ القلبِ رائعةٌ … تلوحُ كالبرقِ في داجٍ من الظُّلَمِ
ما للبياضِ أحالَ اللهُ جِدّتَه … يُفضي إلى الهمّ لا يُفضي إلى الهممِ
نعدُّ للصبرِ أنفاساً محرّقةً … حتى تحولَ رماداً فحمةُ اللِّمَمِ
لأقطعنّ نياطَ القلبِ إن وجدتْ … نفسي سبيلاً إلى غرسٍ أُني بدمي
فلو سفرتُ عن الآمالِ كانَ بها … ما بي من الزمنِ الموفي على الهرمِ
فجدّدي لِيَ باللحنِ الجميلِ رؤىً
لا زلتُ تحتَ ظلالِ الكرمِ أرعاها

— ٤ —

يا طرفَها ! إنّه قضى الحياةَ إلى
مشيبِهِ
في اكتنانِهِ
الشُّهُبْ
وظلّ مجمرُه في الأرضِ مشتعلا
بطيبِهِ
لإلهِهِ
الحُبْ

شيرينُ حسنُكِ أعطى الأرضَ زينتَها
حتى ولو لم يزنْها كفُّ نيسانه

فكيفَ والطيرُ قد بلّ الندى فمَهُ … فطارَ يملأُ مغناها بألحانه
هذا الربيعُ قد استلقى بحاشيةٍ … من الزهورِ على الوادي وشطآنه
يُصيخُ للبلبلِ الغريدِ وَهْوَ على … أرجوحةٍ من نسيمِ الروضِ أو بانِهِ
يهُزُّ أرجاءها هزّاً بنغمتِهِ … ولا يُفيقُ كأنّ السُّكرَ من شانه
فلقّنيهِ من الألحانِ أطربَها … إلى النفوسِ وجازيه بإحسانه
وبادِلي الروضَ أنفاساً معطّرةً … فما أرقّ الصبا في ظلّ أفنانه
وضاحكي الوردَ في إبّانِ حمرتِهِ … فربّما عادَ مطويّاً لأشجانه
ودونكِ النهرَ فانسَيْ في تدفّقِهِ … هذا القميصَ الذي يزري بإنسانه
أما كفى الحسنَ أنّ الموتَ يرصدُهُ … فماله في الصبا يسعى بأكفانه
وقبّلي الكأسَ ما دامتْ مُشعشعةً
ولا تشحّي على ثغرٍ ببقياها

— ٥ —

يا ربّةَ الحسنِ ! إنّ السكرَ منبعُهُ
عيناكِ
وخدّهما
لا الكاسْ
وأينَ من شفتيكِ السحرُ ينفثُهُ
صرعاكِ
باسمِهما
في الناسْ

طافتْ عليهمْ بها كالشمسِ ساطعةً … يُري على الخدّ من لألائها شفقُ
فعبّ فيها ثلاثاً وهي تنشدُهُ … حتى تماسكَ في أحشائه الرمق
وعاودَ العودَ شيءٌ من تملّلِهِ … لما غدا العودُ بين الجمرِ يحترق
فظلّ يبعثُ في الأسماعِ أنّتَهُ … موصولةً دونَ أن ينتابَها قلق

ثم استمرت تغنيهم ـ بما حملت   يدُ الربيع لهم ـ والعودُ يصطفق

«ياعاشقَ الوَرْدِ! ماجاء الربيعُ لكى   يحيا حبيبُكَ محفوفاً به الودق»

وصوتُها ماج بحراً لا هُدُوءَ له   من كلِّ نجمٍ على أمواجِهِ ألق

يعلو، فتحسبُه شقَّ القلوبَ إلى   حبَّاتِها، وطوى آلامَها الفرق

حتى إذا خفَّ ـ مغموراً بموجتِه ـ   شيئاً فشيئاً، تراءى حولها الأفق

قال كلُّ نديمٍ فى ترنُّحِه   على سواه من الصوتِ الذى عشقوا

فاقطِفْهُ فى زَهْوِهِ ... وانظرْ إلى دَمِهِ

هل مازجَ الكاسَ إذْ نُسقى ونُسقاها

ـ ٦ ـ

باتَ الهزارُ بقربِ الوردِ يعبُدُه

يا طَلُّ

كُنْ كالخمرِ

رقراقا

وقُلْ إلى النجمِ إنَّ الفجرَ موعِدُه

بظلٍّ

حتى الفجرِ

بَرَّاقا

وتمَّ للشمسِ فى الأفلاكِ جولتُها   فجاوزتْ بخطاها الغربَ فى خفرِ

وظلَّ من بعدها ما احمرَّ من شفقٍ   يسائلُ الأرضَ هل غابت عن النظرِ

فانفضَّ فى الرَّوضِ حفلٌ كان مُنشِدُه   من الطيورِ وساقيه من الزهرِ

وأقبلَ الليلُ يحذوه تطلُّعُه   إلى الذى خلَّفَ الندمانُ من أثرِ

ياليلُ! أنفرطَ العقدُ الذى امتلأتْ   به يداكَ ففاض الكونُ بالدُّررِ

لولا سناها لما عاينتَ شاعرَهم   وقد توسَّد كفَّيْه على النهرِ

بجنبِ شيرينَ مأخوذاً بروعتِها   تُدليه(١) فى مائه الجارى من الشَّعرِ

ووجهُها باسمٌ يُغنى بطلعتِه   عن الشموعِ ويُمناها على الوترِ

قال: انظرى كيف يبدو فى الظلام لنا   سرُّ الجمالِ الذى يخفى مع السحرِ

شيرينُ! لو كان لى بعدَ البِلَى أملٌ   لما تمنيتُ إلا ثانياً عمرى

فعشتُ فى هذه الدنيا كعهدِكِ بى

الحُسنِ ... يُشعِلُ لى ناراً فأغشاها

ـ ٧ ـ

لِلحُسنِ فينا ـ كما فيه لنا ـ وطرٌ

مَنْ لم يَحُمْ

بينَ يدَيْ

نُورِهْ ؟

عاشَ الندامَى ... وحلَّى كأسَهم قمرٌ

على النغَمْ

مِنْ عرشِ ذِى

جُورِهْ !

عادَ الربيعُ لنيسابورَ ثانيةً   وقدْ تبدلَ زاهى أمسِها بغدِ

فكانَ فى الموكبِ التالى كسابِقِه   يمشى مع الحُسنِ مختالاً يداً بيدِ

كم ذابَ قلبُ هزارٍ فى ترنُّمِهِ   حتى تضوعَ هذا الزهرُ وهْوَ ندِ

عادَ الربيعُ وقد حفَّ الحِسانُ به   إلا الذى كانَ يهوَى الحُسنَ لم يعُدِ

سلِ الوُرودَ وقد وارتْ بكلِّتها   ضريحَهُ لِمَ لمْ تُكثِرْ من العَدَدِ

هُناكَ حيثُ قديماً طابَ محفِلُهُمْ   حلَّ الندامَى على أنماطِها الجُدُدِ

عادَ الربيعُ ... فلا ردُّوا تحيتَه   إلا بأحسَنَ منها ـ دائمَ الأبدِ

بشُعلَةٍ فى يدَيْها رُوحُ شاعِرِهِمْ   مثلَ الفراشِ حوالَيْها مع الحشدِ

حتى إذا تمَّ دوْرُ الكاسِ بينَهُمُ   مالتْ إلى القبرِ بالباقى ولم تكدِ

فرددتْ قولَه ـ والعودُ فى قلقٍ   تهتزُّ أوتارُه من صوتِها الغردِ ـ

« واضيْعَةَ الكاسِ يوماً إن عثرْتِ بها

على رفاقى ... فلمْ أنعَمْ برؤياها »

(١) الضمير يرجع إلى « الليل »

(البحرين)   ابراهيم العريض



قصة الفيتامين

ظهور مرض البرى برى

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

– ٤ –

لقد كان من عادة الأطباء الهولنديين الذين قاموا بخدمات خارج بلادهم فى المستعمرات الأسيوية الشرقية ألا يركنوا إلى الدعة والاستقرار إذا ما اطمأنوا إلى العيش — كيلا تبلد فيهم حاسة التفكير أو تصدأ روح الاستطلاع — بل كانوا فى أوقات فراغهم يعملون ما يعود عليهم بالتسلية والنفع — فحوالى عام ١٨٩٠ وُكل إلى الطبيب الهولندى كريستيان إيكمان Christiaan Eykman إدارة مستشفى حكومى فى جاوه Java وكان مولعاً باقتناء الطيور المنزلية ويُعيرها بعض عنايته ويخص منها الدجاج والحمام. ولم يطل به الانتظار حتى تسنّى له مشاهدة بعض الملاحظات. إذ رأى أثناء نظره إلى طيوره نظرة الفاحص وهى تمرح فى الحديقة — بعضها تغدو ثقيلة الحركة بطيئة الخطى وبعضها الآخر قد فقد توازنه. ولكن لم تدم هذه الحال طويلاً فقد أصابها تصلب فى عضلات الرقبة لاقت بعده حتفها

بهذه المشاهدات الأوليـة وُضع الحجر الأساسى لدراسة مرض البرى برى فى الهند الهولندية، وهو المرض ذو الأثر السيء فى حياة الشرق الأقصى والذى لم يكتف بخطف ضحاياه من الكبار بل كان يهدد الصغار فى مطلع حياتهم بشكل مخيف ويحمل هذا المرض اسمه من شكل الحركة المتصلّبة فى مشية الخروف والتى تبدو على المصابين، وتدل كلمة (برى برى) فى اللغة الهندوستانية على الخروف، وهنا نرى نجـاح الدكتور إيكمان فى اختيار هذا اللفظ للدلالة على هذا المرض نظراً للتشابه التام العجيب بين أعراض هذا المرض فى الإنسان وفى مشية الخروف سرى مفعول هذا المرض خاضعاً مماثلاً للوصف الذى أشار إليه إيكمان بناء على ملاحظاته على دجاجة، وحمامة ولم يقتصر هذا المرض الذى ذهب ضحيته قديماً مئات الآلاف على موطنه الأصلى فى آسيا الشرقية بل تعداه إلى جنوب أمريكا وإفريقية وأزهق فى اليابان فى مدى سنين قلائل خمسين ألفاً من الأنفس وفى الحرب الروسية اليابانية خمسة وسبعين ألفاً من الروس ذهبوا جميعاً بطريقة مماثلة للطريقة التي لاقت بها طيور إيكمان حتفها

تبعاً لالتهاب عصبي عام يقف عمل الأرجل وتضرب عن حركتها الحرة، وتذهب حساسية الجلد، وتشل العضلات نظراً لعدم استعمالها أو القدرة على تحريكها، وتضمحل وتضمر الأطراف السفلى حتى العجز، وأخيراً يهبط القلب ويتجمع الماء فى الأنسجة ويعقب ذلك النهاية المحتومة

ومذ اكتشف حوالى عام ١٨٨٠ أن الأمراض الناقلة ترجع إلى وجود دقائق حية – عُزِى كذلك انتشار مرض البرى برى إلى تلك الكائنات الدقيقة – ولقد ذهبت عبثاً جهود الوفود الطبية التى أرسلتها الدول إلى البلاد الموبوءة للكشف والبحث عن مسببات مرض البرى برى

ولا عجب إذا سلّم الدكتور إيكمان بهذا المبدأ السائد وعمل على فصل الدجاج الجديد الذى اشتراه عوضاً عن الفاقد وأبعده عن بقية الدجاج المصاب منعاً لانتقال عدوى الالتهاب العصبي – ومع هذا لم تمنع هذه الاحتياطات الجدية من إصابة الدجاج والحمام الجديد – ولـكنه عند ما بدأ يغير لها أصناف أكلها لم يقف تقدم المرض فى الحيوانات الجديدة فقط بل تحسنت كذلك حالة الطيور القديمة المريضة ولما تبيّن الدكتور إيكمان هذه الحقيقة فطن إلى أن بقايا الأرز التى ترسلها مطابخ المستشفى بسبب ما – لا تصلح لغذاء طيوره فأحب شراء ما يلزمها من حبوب الأرز من خارج المستشفى ومن هذا اليوم وقفت تماماً تطورات أعراض مرض البرى برى.

ولـكنه فى كلتا الحالتين – حالة المرض السابقة وحالة زواله – استمر إطعام الطيور بحبات الأُرز. فما سر هذا الانقلاب إذن؟ يبحث الطبيب وتقصيه تبـيّن له اختلاف نوعى الأرز الذى أطعمه طيوره، فالأرز الذى قدمه للطيور من مخلفات مطابخ المستشفى حتى

يوم الانقلاب كان مقشوراً أبيض . أما الآخر الذى اشتراه من السوق فكان حافظاً لقشوره وما زال بأغلفته . لم يبق شك لدى الطبيب إيكمان فى الصلة بين قشرة الأرز وهـذا المرض بعد أن أوضحتها التجربة وأبانتها الخبرة ، ولما تأكد من نتيجته هذه أراد أن يعبر عليها إلى مرض البرى برى فى الإنسان كى يحصل على نتيجة أخرى أهم وأجدى ، ويصل إلى معرفة سبب إصابة بلاد الأرز بهذا المرض العضال

وكان للياباني تاكاكى Takaki فضل السبق ببضع سنين فى الوصول إلى أن مرض البرى برى لا صلة له أصلاً بنظريات العدوى والانتقال ، وصرح بأن هناك صلة بين البرى برى ونوع الغذاء العام

فهل يا ترى لم يتم بعد — حتى مع الاكتشاف العرضى للبرى برى فى الطيور — فتح ثغرة ما تلقى شعاعاً من نور يبدد هذه الظلمات والتخمينات ؟

بحماس أكيد ورغبة صادقة تقدم الدكتور إيكمان لترتيب تجاربه السابقة العرضية ، فبدأ بمجموعتين صحيحتين من الدجاج والحمام ، أطعم أولاها أرزاً مقشوراً ، فما لبثت طويلاً حتى استشرى بينها المرض وتفشى فيها الداء ولم تقو أرجلها على حملها وذهبت سريعاً صرعى . أما المجموعة الثانية فأطعمها أرزاً غير مقشور ، فلم تظهر عليها أعراض ما ، وظلت صحيحة سليمة . ولما أبدل الغذاء لكلتا المجموعتين (بأن قدم لكل واحدة ما كان يقدمه للأخرى) . انعكست الصورة فبرئت الطيور السقيمة ، وظهر على الصحيحة أعراض الإصابة بالبرى برى

طار بعـدئذ إيكمان ظفراً وفرحاً لوصوله إلى النتيجة وإن لم تكن كلها ، لأن تعليله فى شرحه للظواهر التى فطن إليها كان مستقيما وكافياً إذ ذاك — ولو أنه غير متمش مع الحقائق الثابتة — واعتقد إيكمان باحتواء حبات الأرز على نوع من السم سارى المفعول فى الإنسان والحيوان ، ويكون مرض البرى برى نتيجة أو أعراضاً لفعله فى الجسم وسريانه فيه ، كما اعتقد بأن الترياق المضاد لهـذا السم والذى يفسد مفعوله كامن فى قشور الأرز . فأكل الأرز إذن مع قشوره ضمان لمصاحبة الترياق الشافى . وبهذا قضى البحاثة الهولندى على النظرية الخاطئة السائدة حينذاك عن انتشار البرى برى أو الإصابة به عن طريق العدوى . وللايضاح يجب التنويه بأنه ليس هناك شىء فى حبوب الأرز ، ولكن هناك شيئاً ينقصها ، وتبعاً لنقص هذا الشىء أو غيابه فى الطعام العام يستسلم الإنسان والحيوان للمرض ؛ ولمعرفة هذا الشىء احتاج العلم لأكثر من عشر سنين لاحقة لهذا التاريخ

ولقد كاد النسيان يطوى هذه النتائج الباهرة للبحاثة الجليل الشأن إيكمان ، ولم ينل من جهوده أى غنم أو مكسب إلا بعد مضى ثلاثين عاماً إذ حصل مع زميله الإنجليزى الكيميائى هوبكنز على جائزة نوبل فى عام ١٩٢٩

واعترض طريق إيكمان كثير من العقبات عنـد ما جاهر بنتائجه التى قلبت كل قديم وكل مسلمة رأساً على عقب ، ولم تسلم هذه النتائج من الطعن والتجريح ، ولم تدعم وتثبت إلا فى عام ١٩١٠ عند ما رحل الطبيب الألمانى ماكس موسكفسكى Max Moszkowski إلى غينا الجديدة فى وسط أفريقية للبحث والتنقيب عن البرى برى ، وكان قد مهد لبحثه بقراءة ودرس ما كتب حتى ذلك الوقت ومطالعة المذكرات الصحيحة والمطبوعات عن مرض البرى برى ورأى ما صرح به إيكمان الهولندى عن نتائجه واتخذ كل هذا دليلاً ومرشداً ، وأخذ يجمع المعلومات من الوطنيين سكان البلاد . وكان من ضمن ما حصل عليه من أقوال هؤلاء المواطنين أن المرء يستطيع تحصين نفسه ضد البرى برى أو الشفاء من أعراضه عند سقوطه فريسة له إذا ما تناول بجانب وجباته نوعاً من الفاصوليا يسمى (الفاصوليا الشمعة) Phaseolus radiatus ، وفى لغة أهل الهند الهولندية : « كاتيانج إيدجو » Katjang-idjoe ، وقد يكفى حتى منقوع هذا البقل فى الماء بعد غليه فيه ، فاستنتج موسكفسكى من هذا أن هناك شيئاً فى قشور الأرز والبقل المذكور (الفاصوليا) ضرورياً جداً لحفظ الصحة وعند غياب هذا الشىء ينشط التهاب الأعصاب وأن هذا الشىء ليس بالبكتوريا ولا بالسم

وفرض على نفسه ورجال بعثته ألا يأكلوا سوى الأرز المطبوخ فى ماء من منقوع الفاصوليا — وبدلاً من انتظار ظهور أعراض المرض التى لا تسلم منها أبداً أمثال هذه البعثات — تمتع هو ورفاقه بصحة موفورة طوال عام عاد بعده إلى وطنه ألمانيا يفاخر بتغلبه على هذا المرض

وكما يقول المثل (زامر الحى لا يطرب) أو (لا يُسمع النبى



مجاملة أدبية نبيلة

تفضل الأستاذ عبد الفتاح محمد قنصوه صاحب جريدة (الإصلاح) بالسنبلاوين فدعانا إلى زيارتها لنتاقى التحية التكريمية لأسرة الرسالة من رجال الصحافة وشباب الأدب؛ وشاء للأستاذ فضله أن يجعل هذه الدعوة مظهراً فخماً من مظاهر الحفاوة والعطف فأقام لها سرادقاً وحشد إليها وجوه القوم وأعيان الفضل يتصدرهم صاحب العزة الأستاذ محمد عوض إبرهيم بك وكيل وزارة المعارف السابق، والعالم الفاضل الأستاذ أبو الفتوح سليط بك وصاحبا الفضيلة الأستاذ مصطفى الصاوى المدرس بالأزهر، والشيخ أحمد حافظ سليط المحامى، والوجيهان الفاضلان محمود سيد احمد سليط بك، وحامد طلبة صقر بك؛ ثم حفلت موائد الشاى بجمهرة مختارة من أهل المدينة، وتعاقب الكلام عليها صفوة من البرزين فى الخطابة والشعر والزجل. ثم خصصت (الإصلاح) لوصف الحفلة ونشر ما قيل فيها عدداً وبعض العدد

ولا يسعنا إزاء هذا التكريم الخالص لفكرة الجهاد المشترك فى سبيل الله والوطن والأدب إلا أن نسجل فى هذه الأسطر القليلة معنى من الشكر القلبى الدائم الذى لا يتقيد بالألفاظ ولا يتحدد بالمناسبة، لأسرة (الإصلاح) ولحضرات الأفاضل الذين شاركوا فى هذا الترحيب بالقول أو بالفعل. ونسأل الله أن يديم على (الرسالة) التوفيق لاستحقاق مثل هذا التكريم من مثل هذا البلد العظيم.

الشاعر صالح جودت

أكتب إليكم هذه السطور من سرير المرض وقد ضاعف آلامى ما قرأته للصديق الدكتور زكى مبارك عن مرض صديق الشاعر الموهوب الأستاذ صالح جودت، فقد شغلتنى الهموم والأوصاب عن مكاتبته زمناً كما أقصته عنى، ولكنى ما كنتُ أقدر له إلا العافية والأنس فإنه مرآتهما المتألقة لكل من عرفه وخالطه، وليس فى وسعى أن أتخيل صالح جودت إلاّ مثال الشاعرية الرقيقة السليمة المرحة خُلقاً وكياناً

وقد بالغ بل أخطأ صديق الدكتور زكى مبارك فى قوله إن صالح جودت يحقد عليه أبشع الحقد لسكوته عن التنويه بمواهبه الشعرية، وإنه كان يتقاضاه الكلام على شعره فى كل لقاء. أجل، أخطأ فى تفسيره هذا لعبث ودى ولمداعبة بريئة، فما عرفتُ عن صالح جودت هذا الُخلقَ المنقودَ فى أىّ حال، وإن عرفتُ منه أنه لم يكن فى أى وقت يحترم موازين النقد الأدبى لدى صديق الدكتور زكى مبارك، وكلاهما لا يحسن الظن بشعر صاحبه!

وإنى أوافق الصديق الدكتور زكى مبارك على قوله الحكيم إن كل شىء يجوز فيه التشجيع إلا الأدب والبيان فالتشجيع هنا مفسدة، بيد أن ما احتاج إليه الأدب والبيان فى مصر زمناً طويلاً إنما كان «الإنصاف» وهذا ما أباه الأدباء الشيوخ على الأدباء الناشئين، ولكن الأحوال تبدلتْ الآن وتعددت المنابر الحرة لأدباء الشباب وانتفت دواعى شكاواهم

ولا أعد قصيدة صالح جودت (شاعر العيون الزرق والشعر الذهب) إلا مثالاً لشاعريته الأصيلة التى فات صديق الدكتور زكى مبارك الالتفات إليها من قبل حتى وجد الجو الباطنى الملائم

فى بلده) كذلك شهر الناس بمسكفسكى وسفهوا رأيه، ولكنه لكى يبرهن على صحة أقواله ويدلل على أن مرض البرى برى ليس من الأمراض المعدية التى تنتقل بالعدوى وأنه مرض يتصل اتصالاً كلياً بغذاء الإنسان وما يعده لطعامه ـ قام بإجراء التجربة على نفسه معرضاً حياته النافعة للخطر المحقق، وفى سبيل العلم ومنفعة بنى الإنسان امتنع عن جميع ألوان الطعام العادية غير الأرز مدة أربعة شهور ونصف شهر. وكانت النتيجة الحتمية طبعاً أن وقع صريعاً يرزح وينوء بمرض البرى برى فى أشد أعراضه وصوره. وعند ما بلغ به المرض مبلغاً كبيراً وأصبح خطراً يهدد حياته أخذ يعمل على دفع الداء ولكن ليس بالامتناع أصلاً عن أكل الأرز بل بالاستمرار عليه مع إضافة صنف آخر من الطعام هو حساء من قشر الأرز، ولا عجب أن اختفت تماماً أعراض المرض بعد أسبوعين اثنين

(يتبع) عبد اللطيف حسن الشامى

لعقله الباطن فبدأ يستجيدها الآن وإن علل ذلك تعليلاً جديداً . ولعل كلمته النبيلة رسول الشفاء القريب إلى صديقى الشاعر الفريد الذى أعده نسيج وحده فى فنه

(الاسكندرية) أحمد زكى أبو شادى

أهذا توارد خواطر ؟

سيدى الأستاذ رئيس التحرير

بعد التحية : قرأت فى عدد مضى من الرسالة مقالاً للأستاذ محمد عبد الغنى حسن بعنوان « المعانى شائعة ولا تجوز الملكية فيها » وقرأت فى العدد ٣٧٦ من الرسالة تعليقاً على هذا المقال للأستاذ محمود المرسى خميس . وقد تذكرت عند قراءة كلمة الأستاذ محمود المرسى أننى قرأت قصيدة لشاعر عباسى يقول فيها :

أغار على أعطافها من ثيابها إذا لبستها فوق جسم مُنَعَّم
وأحسد كاسات يقبلن ثغرها إذا وضعتها موضع اللثم فى الفم

ثم قرأت بعد ذلك فى الجزء الأول من ديوان الأستاذ على الجارم قصيدة بعنوان الحب والحرب جاء فيها البيت التالى :

إنى أغار من الكؤوس تَجُنّنى كأس المدامة أن تقبّل فاكِ

وأنا أقول إن المعنى منقول وإن هذا ليس بتوارد خواطر

والأستاذ محمد عبد الغنى حسن محق فى قوله إن المعانى شائعة ولا تجوز الملكية فيها ولكن لا ننكر أن الشاعر الذى يبتكر المعنى ويكتبه لأول مرة لا يمكن أن يساويه من ينقل عنه هذا المعنى ويصوغه فى قالب آخر . والسلام .

(كوم حماده) فؤاد كامل

بين الأستاذ مختار الوكيل والبارودى

جاء فى مرثية الأستاذ مختار الوكيل التى رثى بها الهمشرى البيت الآتى :

فإذا هجعت فأنتَ فى أحلامى وإذا مشيت فأنتَ أنتَ أمامى

ولقد سبقه إلى هذا المعنى البارودى إذ قال فى الرثية التى رثى بها زوجته :

فإذا انتبهت فأنتِ أول ذكرتى وإذا أويت فأنتِ آخر زادى

فما رأى حضرته فى ذلك ؟

«بيا» محمود عبد المطلب حسين

(الرسالة) الحق أن الشاعرين قد نظرا إلى قول التهامى فى رثاء ولده:
فإذا نطقت فأنت أول منطقى وإذا سكت فأنت فى إضمارى

الطابور الخامس فى القرآن

فى الحق أنى مفتون بما تطالعنا به عبقرية صاحب هذا العنوان الجيل ... ذلك أن الأستاذ الباحث يكشف لنا عن أن أسرار القرآن ما تزال تبرق جلواؤها على دولاب الزمن كلما تواترت الأجيال ، وتزايلت الحضارات ، والأستاذ مصور بارع ، إذ نقل عالم قائد العروبة إلى دنيا زعيم النازية ، واستطاع بعد ذلك أن يصور لنا بالدقة كيف كانت الشابهات والملابسات بينهما — مع ملاحظة الفروق بين الزعيمين — وتباعد الشُّقة بين عصريهما . وهو ضرب من التوفيق والتطبيق لم يتح إلا لفنان أديب

وحرصى على استبقاء توفيقه فى مجرى البحث — يدفع بى إلى أن أشعره بما فاته من التوفيق فى الحلقة الثالثة من نظيم مقالاته — ذكر فى العدد ٣٧٢ من الرسالة الغراء تحت شرحه لغزوة الأحزاب « ثم ساروا – أى (جماعة من يهود بنى النضير بعد إجلائهم عنها) إلى غطفان . فأعدوها لحرب النبى – وخرجت قريش وغطفان يريدون المدينة »

وحقيقة التاريخ أن بنى النضير بعد ما أجلوا عن المدينة مرغمين لم تهدأ لهم ثائرة ، بل عملوا طاقتهم ليثأروا من الرسول وأصحابه . قام سيدهم حُيَىُّ بن أخطب ومعه سلام بن أبى الحقيق النضيرى وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليّان بدعاية واسعة النطاق ليؤلبو العرب جميعاً على غزو المدينة وحرب المسلمين حتى يستأصلوهم

ولقد جعلوا نصب أعينهم تلك القبائل التى بينها وبين المسلمين شر . فعمدوا أول ما عمدوا إلى قريش وهى صاحبة المواقف الجلىّ مع الرسول ، وأبرموا معهم أمراً . ثم خرج أولئك الدُّعاة إلى غطفان وحدثوهم بما حدّثوا به قريشاً وبيتوا عليه . وفى النهاية جعلوا لغطفان نصف ثمار خيبر سنة كاملة إن هم نصروهم حتى يتم لهم الفوز . ومضوا إلى بقية الأحياء المادية فطافوا على بنى أسد وسليم وهذيل ، وبعد أشهر كانت هذه الأحزاب قد أتمت جهازها للغزو . ففى شوال من السنة الخامسة خرج أبو سفيان ابن حرب على رأس أربعة آلاف مقاتل من قريش وأحابيشها يحمل لواءهم عثمان بن طلحة العبدرى الذى قُتل أبوه على لواء المشركين يوم أحد ، ولاقتهم بنو سليم بمرّ الظهران فى سبعمائة ، يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية ، وخرج معهم

بنو أسد بن خزيمة يقودهم طليحة بن خويلد ، وجاءت فزارة فى ألف رجل يقودهم عيينة بن حصن الفزارى ، وبنو مرة (من ذبيان) فى أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف المُرّىّ ، وبنو أشجع فى أربعمائة كذلك يقودهم مسْعر بن رخيْلة ، ولحق بهم بنو سعد (من ذبيان) وانضمت إليهم اليهود حتى تكامل عددهم عشرة آلاف جندى مقاتل

من هـذا يتبين أن كتائب المتحزبين لم تكن من قريش وغطفان فحسب ، ولـكن كانت قوة هائلة تكونت من مجموع هذه القبائل والبطون التى فى قلبها من الرسول دخن

هذا ما أردت أن أذكر به الأستاذ صاحب البحث . وآمل أن يكون على ذكر منه لكن نكّب عنه مخافة الإسهاب ، لكنى مع هذا الأمل لا تطاوعنى نفسى أن أجامل أستاذنا إلى هذا الحد الذى قد يتهمنى فيه خاطرى وضميرى بالمالقة والمداخلة ما دام المقام مقام تشريح وإطناب . ولأنه إذا تحتم علينا أن نصحح تاريخاً لزعيم فأجدرُ شىء بنا أول ما نعنى أن نصحّح تاريخ الزعيم الأول، تاريخ الرسول الأعظم .

عبد الحميد اسماعيل

حول سؤال وجواب

حضرة الأستاذ الـكبير صاحب الرسالة

نسب أحد القراء إلى الأستاذ القدير زكى مبارك غلطة إعرابية فى بيت شعر أورده فى مقال له

وقد اطلعت على عدد الرسالة ٣٧٧ فراعنى ما كتبه الدكتور رداً على من لفت نظره إلى خطأ أصابه ، إذ قال : (لو كان هذا القارئ يعرف أنى فى الإنشاء أسرع من أقدر الناسخين لفهم أن من الجائز أن يندّ القلم فيرسم الضمة فتحة) وهذا تعبير له شأنه ، فالمرء لا يشكر على السرعة ، وفى المراجعة تصحيح لندود القلم

ماذا يضير الأستاذ لو اعترف بالزلة ولـكل عالم هفوة ! وأى غبار يلحق قلمه الفياض إذا صرح بأن الخطأ مطبعى لا ذنب له فيه؟

أظن أن الدكتور استعظم الأمر فوجه امتحاناً على صفحات الرسالة إلى ناقده والناقد بصير قال : « هذه عشرة أسئلة فيها ما تعرف وفيها ما تجهل وفيها ما تذوق » هل اطلع على الغيب أم فحص مواهب صاحبه بمجهر بلاغته ، أم نسى نتيجة البحث والاطلاع وقت تحرير أسئلته ؟

ليت الأستاذ يتذكر أنه وصم الجيل الجديد وهو فيه بقلة الصبر على متاعب الجهاد فى مقالته . وبعد فيا حبذا لو عامل الأدباء بالحسنى دكتورنا المبارك ليكثر رواد سوق الأدب .

عبد الله عبد التواب

تفسير بيتين

أفاد الأستاذ ناجى الطنطاوى على صفحات مجلة الرسالة سائله من اليمن عن قائل هذين البيتين :

بذكر الله تزداد الذنوب ... وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً ... فإن الشمس ليس لها غروب

فقال إنه وجدهما فى ديوان محيى الدين بن عربى . غير أن هذه الإفادة قد أوجدت إشكالاً آخر وهو أن الناظر إلى هذين البيتين يجدهما غامضى المعنى أو هما على الأصح على طريقة الصوفية التى تشير إلى الباطن أكثر مما تشير إلى الظاهر كقول أحد الصوفية ولعله ابن عربى نفسه « معبودكم تحت قدمى » . فهل للأستاذ ناجى أن يتفضل مرة أخرى فيحل هذا الإشكال ؟

الأبيض — سودان ع . ا . سعد

اتهام

طالعت فى عدد (الرسالة ٣٧٦) كلمة « اتهام » بالرجوع إلى مجلة الشباب فى كتابة « عمر الخيام » وهو الموضوع الذى نشرته لى مجلة (الثقافة) بعددها ٨٦ الصادر فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٠ ولقد استأنست ببحث الأستاذ « خليل جمعة الطوال » ورجعت إلى المصنفات التى استقى منها بحثه عن الفيلسوف الخيام هذا وإننى حللت شخصية الخيام من الناحية العلمية

وتحت يدى أعداد مجلة الشباب التى رجعت إليها فى البحث فليرجع إليها من يشاء ، ليعلم أن اتهام الأستاذ « محمود عساف أبو الشباب » لا موضع له ، وقد كان الأجدر بالأستاذ انتقادنا علمياً لا اتهامنا تهمة هو مسئول فيها أمام ضميره .

وشكراً للأستاذ « خليل الطوال » فقد كان لنا فى بحث الخيام مرشداً . ولم تأخذه حماسة صديقه أبو الشباب فى قذف التهم من غير دليل .

عبد الحميد سامى بيومى



الهارب من الجيش

للكاتب الفرنسى ألفونس دوديه

ترجمة الأستاذ حلمى مراد

يعد ألفونس دوديه (١٨٤٠ — ١٨٩٧) أبرع أدباء فرنسا فى كتابة القصة القصيرة التى تدور وقائعها في جو الحرب المظلم الرهيب ، وقد يرجع ذلك إلى معاصرته للحروب الطويلة التى نشبت بين فرنسا وألمانيا ... وهو فى تعبيره من أرق وأعمق المشاعر وعطفه على الفقراء والمظلومين يشبه الأديب الانجليزى المعروف تشارلس ديكنز وينحو منحاه . ومن مؤلفات دوديه الخالدة : (سافو) ثم (فرومون وريزلر) و (تارتاران) و (جاك) .

... وقصة (الهارب) هى إحدى قصصه القصيرة التى نشرت فى مجلد عنوانه (وسط غمار باريس) ...

رفع الرجل كأس البيرة إلى شفتيه وهو جالس أمام حانوته يرقب العمال ، وقد تسربوا إلى الطريق ميممين شطر بيوتهم ... حيث تنتظر كلا منهم زوجته وأولاده

تلك هى الصورة التى اعتاد الناس أن يروها كلما مروا بحانوت مسيو جورج لورى الحداد ... فى مساء كل يوم

... إلى أن جاءت ليلة خالف فيها مألوف عادته ، إذ ظل إلى جوار النار المشتعلة فى أتون حانوته ، إلى ساعة متأخرة بعد غروب الشمس ... ظل ساهما شارد الفكر ، يبدو عليه الهم وتعلو وجهه مسحة من الكآبة ، غير عابىء بزوجته التى اشتد بها القلق لتأخره فانساقت إلى مخيلتها مخاوف وأوهام صورت لها صنوفاً من البلايا والأرزاء ، فهى آناً ترى ابنها الذى اختطفته الحرب يروح ضحية مقذوف طائش ، وآونة تخاله صريع المرض أو الجوع ، تمتص الحمى دماءه فى نهم وشره

وأخيراً ، حين عاد الزوج ... عقد الخوف لسانها ، فلم تجرؤ على تقصى جلية الأمر منه خشية أن يجىء جوابه معززاً لمخاوفها ومبيناً للحزن والألم ... فسكتت على مضض والقلق يعتصر قلبها فتعلو خفقاته ويشتد به الأنين

أما هو فلم يسكت ... بل قذف بالصحاف التى وضعتها أمامه حين جلس إلى المائدة ... قذف بها إلى الأرض ، فتحطمت محدثة ضجة أفزعت الأطفال فأجفلوا وجفت حلوقهم عن ازدراد ما فى أفواههم من طعام ... وكأن لم يكفه ذلك ، فصاح على الفور :

— يا للأنذال المجرمين

فقالت هى فى لهجة تساؤل لينة : من تعنى يا عزيزى ، وماذا أغضبك ؟ ... ولم تكد تتم قولها حتى زجرها بصياحه :

« من أعنى ؟ أتسأليننى لم أنا غاضب ؟ حسن ، إذاً فاعلمى أنى حاقد على نفر من الجبناء رأيتهم منذ حين ، خمسة أو ستة حسبما أذكر — ما لذا كرتى تخوننى كأنها تأبى أن تذكرنى بمن أهاجوا الدم فى عروق — ومع هـذا فإنى أذكر أنهم أخذوا يذرعون طرقات المدينة محتمين بالجند الألمان الذين ساروا إلى جانبهم دون أن يعرف الخجل إليهم سبيلاً ... يا للحسرة ويا للألم ، لقد هربوا من الميدان وفروا من واجبهم المقدس ... لعمرى إنى لا أدرى أى شراب هذا الذى سلبهم كل نخوة وإدراك ... يا للعار ! »

وهنا عادت الزوجة إلى لهجتها الوادعة فقالت : « خفف عن نفسك يا عزيزى ولا تتعجل فى الحكم ، فلربما عاودهم الحنين إلى بلادهم فآثروا التحرر من خدمة الجيش ... أو ربما »

ولكنه لم يدعها تتم قولها إذ بادرها بالصياح :

« أو تجرؤين يا خائنة على تبرير فعلتهم ؟ »

قالها وهو يلوح بقبضته الغليظة فى الهواء ، ثم ما لبث أن أهوى بها على المائدة واستأنف القول « ولكنك ـ كسائر النساء ـ تعجزين عن فهم شىء من أمور الدنيا ، فلقد تأثرت عقلياتكن بسذاجة الأطفال وغطت غشاوة من الجهل على أبصاركن ، فباتت الواحدة منكن لا تحسن التمييز بين الضعف والخيانة ... أفلا تدركن ما قد فعل أولئك الأوغاد ؟ إنهم المارقون يجب أن تتبرأ منهم فرنسا بل وتلقى بهم إلى الموت . . . وإلا فإنى ـ وقد أمضيت فى الجيش سبعة أعوام كاملة ـ لن أتردد

فى الازواء مبتعداً عن الأرض التى يطأون بأقدامهم الدنسة » تناثرت هذه الكلمات من فم الرجل بل من قلبه – مصدر إيمانه وموطن عقيدته – قوية دافقة فاهتزت لها أركان الغرفة وردد البيت صداها مدوياً مزمجراً

وكأنى بها قد استنفدت كل جهده وهدت من كيانه ، فخرج إلى الفضاء كى يسرى عن نفسه بعض ما عانت وينعم بقسط من الهواء الذى تركه الله مباحاً حتى لأمثاله من البسطاء البائسين غير مفرق بينهم وبين من يشمخون بأنوفهم نحو السماء وهم من التراب وإليه مصيرهم المحتوم

... فانطوت الزوجة على نفسها حتى أوى أطفالها الثلاثة إلى مضاجعهم بعد أن اخترقت آذانهم الصغيرة المرهفة تلك الصيحات الجامحة ... ثم وقفت ومشت إلى النافذة فى خطوات وئيدة ، وحين بلغتها استندت إلى حافتها بالمرفقين وراحت تتطلع فى شوق ولهفة ممزوجين بالقلق ، إلى الحديقة التى ترامت الخضرة بين جنباتها ؛ وبين التنهدات والزفرات جال فكرها المرهق فى شتى المناحى وعاد حاملاً إليها خليطاً من الخطرات :

... إنه محق ، ويجدر بى أن أوافقه فهم حقاً جبناء أذلاء ... ولكن مالى وشأنهم ، ولِمَ لا يكون الحق فى جانبهم ... أفليست أمهاتهم لم يسعدن بلقائهم بعد فرقة طال عليها الأمد ... ألسن سيستقبلنهم بشغف وسرور وقلوبهن تقطر ضحكات عذبة رقيقة ، وإذاً فما الذى نبغى من الدنيا سوى ذاك ؟ »

واستمرت الخواطر المبعثرة تتجاذب ذهنها المكدود الذى ما لبث أن نبذها جميعاً ليتمثل ابنها الحبيب فى صور سريعة متتابعة : ها هو ذا قبل رحيله إلى الميدان ... ثم وهو فى الحديقة قرب البئر التى اعتاد أن يملأ منها الدلاء ليسقى الزهور والشجيرات

وانتفضت فجأة ... على صوت باب الحديقة يفتح ثم يغلق بعد أن ولجه شخص فى حذر ، كلص متسلل ... ولكن الكلاب لم تنبح ، فماذا دهاها ؟

ومن خلفها انبعث صوت متهدج : «أماه» ... يا إلهى إنه هو ابنها الأكبر فى سترة الجندية التى كساها الغبار . ولكن ما باله يهمس هكذا ... صه ، إنه أحد الجبناء الهاربين من الجيش . وإلا لنطق صائحاً كعادته ... نعم فلم يلجمه سوى العار الذى يكتنف أوبته ...

وارتمى الابن بين ذراعى أمه معانقاً مستعطفاً فلمس منها صدراً حنوناً وقلباً رقيقاً يصفح عن زلته ، كيف لا وقد طغت على حواسها عاطفة جامحة من الحنين والشفقة ... بل والاغتباط بعودته إلى أبيه ... وأمه ... والمصنع . إنه لم يطق البعد عن هذا الجو الذى ألف ، ليستعيض عن بر الأسرة وعطفها بالأصوات الآمرة الزاجرة والحياة الجافة المضنية

... واكتفت الأم بدفاع الابن فصدقته وغسلت بدموعها آلامه ... وهل كانت تملك غير ذلك وعيونهما متواصلة القطرات وفاها يفيضان بالبسمات

وصحا الأطفال على صوت الإخوة فهرولوا إلى الأخ الأكبر ، حفاة الأقدام ، ليتبادلو وإياه العناق والقبلات

وقدمت الأم إلى ابنها طعاماً ولكنه لم يقربه وإنما أقبل على الماء يروى ظمأه منه بأقداح متتالية اختلطت فى جوفه بما سبقها من الجعة والنبيذ

وبعد لحظات لم تطل ردد الممر أصوات خطى متزنة تقترب ... إنه الأب الحانق

واندفعت الأم تهمس لولدها : « أسرع يا ولدى بالاختفاء حتى أوضح له الأمر على مهل » . وهكذا حثته على الازواء بدل أن تفخر بالظهور إلى جانبه لو كان قد عاد ... رجلاً

وحين دخل الأب وجدها تطرز ويدها ترتعد ، فقد نسى الابن قبعته فوق المائدة ... وأبصر الرجل كل شىء فأدرك ووعى ، فلم يعد ينفع الإنكار ! وبقبضته الغليظة أطاح بالقبعة إلى الأرض وركلها بقدمه صائحاً :

« أين هو ... كريستيان ... كريستيان ... »

تقدم الابن ذاهلاً يكسو وجهه الاصفرار ، لا يكاد يقوى على السير . . . ثم لم يلبث أن تراجع متخاذلاً بينما ارتمت الأم على زوجها تستعطفه :

« بالله لا تقتله ... فأنا المذنبة ... لقد استدعيته حين لم أقو على الفراق ... اعف عنه ولا تكن قاسياً » . واسترسلت فى نحيب

جاراها فيه الأطفال وهم كالأصنام ... لا تفهم ولا تعي

ورمى الحداد ببصره إليها وقد ارتسمت على وجهه تجاعيد الصرامة، فالتقطت نظرته القاسية ... وقد فقدت الجرأة على البكاء

رفعت الشمس عن وجهها حجاب الظلام بعد إغفاءة طويلة، والأم المعذبة يقظى لم تنف ولم تغمض لها أجفان ... بعد أن قضت الليل تنتفض وجلاً من نزوة قد تزين للرجل القضاء على فلذة كبده — ابنها الحبيب — بدافع من الوطنية أو الشرف والكرامة ... تلك الأشباح التي تهددها في أعز من لها ... وتوشك أن تفرض عليها ضريبة باهظة

أما الابن التعس فقد أمضى ليلة لم يكن يخلص منها من حلم مزعج رهيب إلا ليواجه حلماً آخر أكثر إزعاجاً ورهبة ... حتى فاض الضياء فغمر الكون كله خلا ذلك البيت الذي اكتنفته ظلمة قاسية ... موحشة

ومر الليل على الحداد العجوز ... طويلاً مخيفاً، وهو يبكي وينتحب باحثاً بين غرف البيت عن شيء، لا يدرك كنهه، فقده قبل ساعات ... ولم يكد الفجر يرسل نوره في عروق الظلام حتى قام الرجل يخطو نحو غرفة ولده حتى ولجها وتقدم إلى الفراش بخطى ثابتة صائحاً بالابن في صرامة: «انهض» ورفع هذا عينيه المخضلتين بالدموع فرأى أباه بثياب السفر وفي يده عصاه المثقلة بالحديد ... فلم يتمالك نفسه من الوثوب من فراشه، وأمسك برداء الجندية ليلبسه، ولكن الأب صرخ قائلا: «كلا ... عليك بغيرها»

وحين اعترضت الأم بأنه لا يملك سواها، صاح مزمجراً: «إذاً فليأخذ من ملابسي ... إنها لن تلزمني بعد الآن».

قالها وهو يتناول من ابنه رداءه العسكري ثم عاود الكلام بعد حين: «هيا بنا ...»

... وحين ضمهما الطريق تتابعت في ذهن الابن صور الطفولة في سرعة خاطفة فذكر تلك الأيام السعيدة حين لم تكن السنون قد أثقلت كاهله بعد بأعباء الدنيا ... ولم يلبث أن أطلق من صدره آهة عميقة قال الأب على أثرها بصوت خفيض: «كريستيان ... إليك مصنعي، فهو كل ما أملك، فخذه ما دمت قد ابتعته بدماء مواطنيك وسلامة بلادك ... خذه ولتنعم في ظله بما تشاء، مجرداً من الشرف الذي لم تعرفه ... أما أنا، فذاهب إلى غير رجعة ... نعم سأوفي عنك الدين لفرنسا فبت قرير العين وعش بلا كرامة»

... تساقطت دموع الابن في لحظة الوداع وانبثت إلى حلقه غصة أوشكت أن تخمد أنفاسه فنادى أباه بصوت مبحوح: «أبـ ... تاه»

... وخرجت الأم إلى الطريق صائحة: «لوري ... لوري إلى أين ...»

ولكنهما لم يسمعا سوى صدى صوتيهما، فقد مضى الأب في طريقه ... ليلحق بالجيش

مضى ليكفر عن خطيئة الابن ... الهارب

(حمامات القبة) حلمي مراد
المحامي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين)



8me Année No. 379

Lundi - 7 - 10 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٣٧٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٥ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٠» السنة الثامنة

الفـــــهرس

صـفحة

تحيـــة إلى تاجور

للأستاذ عباس محمود العقاد

حيا الله تاجور وأبقاه!

إنه من ضيوف هذه الأرض المؤنسين، ينظر إليه الناس بينهم فيستحضرون الرضوان والأمان، كما تنظر الأسرة إلى الأب الوقور بينها فتطمئن ولا تخشى، وإن لم يكن في يديه سلاح، ولم يكن للسلاح غنى إن كان في يديه

أنبأنا البرق أمس أن تاجور يعاني شدة المرض في شيخوخته المباركة، فرجونا أن تظهر تحيتنا هذه عند ظهور الرسالة، وقد جاءت الأنباء بشفائه، وشفاء تاجور بشرى تعلنها في الهند أكبر جماعاتها وهيئاتها. كذلك أدركته الوعكة من قبل فلما شفي علمنا بشفائه من خطاب رئيس المؤتمر الهندي وهو يفتتح لجنته العليا، ويبدأ بإعلان بشرى الشفاء قبل البدء بأمر من الأمور الجسام التي كانت اللجنة العليا مجتمعة لها في تلك الجلسة

قال جوهرلال نهرو: «إن هذه اللجنة تهنئ الأمة بعناية الله التي شفت لها الدكتور رابندرانات تاجور: رجل من أعظم أبناء الأمة الهندية»

ورجاؤنا أن نسمع مثل هذه البشرى في يوم قريب

***

نقل البرق نبأ اشتداد المرض عليه صباح يوم الأحد ، فخطر لنا أن نرجع إلى السنوية التاجورية لنستخرج منها الفأل فيما كتب فيها من أقوال تاجور بإزاء اليوم التاسع والعشرين من شهر سبتمبر ، ولكل يوم من أيام هذه السنوية كلمة أو بيت أو خاطرة من مأثورات الشاعر العظيم

رجعنا إلى صفحة اليوم فإذا بها تقول : « إن العقل يتركنا بمعزل عن الشيء الذي يعرفنا إياه ؛ ولكن الحب يعرفنا ما يعرفه بالامتزاج به والنفاذ إليه »

وإذا بها تقول : « إن العالم الإنسانى هو عالم المرأة ، سواء كان من شئون البيت ، أو من الشئون التى تمتلئ بجهود الحياة التى تسمى جهود الإنسان »

وإذا بها تقول : « إن ظلال المساء تهبط كثيفة عميقة ... افتح نافذتك إلى الغرب ، وانغمر فى سماء المحبة »

ثم رجعنا إلى صفحة اليوم الثلاثين ، وهو اليوم الذى نكتب فيه مقالنا هذا ، فإذا بها تقول : « هنا يموج البحر ، وهنا أيضاً يستقر الشاطئ الآخر فى انتظار الوصول إليه ... نعم هنا الحاضر السرمدى ، لا على مسافة منك ولا فى مكان غير هذا المكان »

وإذا بها تقول : « إن نفَس موسيقاك الحيى يسرى من سماء إلى سماء »

وإذا بها تقول : « على جفنيك حياء عذب كأنه قطرة الندى على طرف الورقة الرفافة »

***

ومن عجب أن خطرات تاجور فى هذين اليومين تلخص كل ما كتب تاجور ، بل تلخص روح تاجور فى أعماقها وحواشيها أجمل تلخيص

صفاء وصوفية ، وجمال وحنان كحنان الأم العطوف ، وتفاؤل ورجاء وشدو رفيق

ذلك هو تاجور كله ، سرمدى لا تقول هو الماضى ولا تقول هو الحاضر ، وتهم بأن تقول : هو الهنـد فتسمع على البعد هامساً يقول : كلا ، بل هو النفس الإنسانية فى براءة الطفولة وحكمة الأجيال

تاجور لا تروعه ضجة العصر الحديث فينسى الماضى الأزلى ، ولا يستغرقه الماضى الأزلى فينسى ضجة العصر الحديث . هو كطائر الشفق الذى يرفرف بين النهار المولِّى والليل المقبل . لحظة هنا ولحظة هناك ، ثم يغيب فى القمراء لأنها ظل الصباح وغشاء المساء

أو كما يقول هو إن الماضى يحتوى الحاضر ، والحاضر يفسر الماضى ... أو كما يقول : وقّر الماضى ولكن لا تمش فيه

أهو رجل إنسانى ؟

نعم ، ولكنه لا ينسى الهند . فلما دعته جامعات كندا للمحاضرة فيها أبى أن يلبى الدعوة لأن الكنديين فى ذلك الحين لم يعطفوا على القضية الهندية . ولما اضطرمت نار الخلاف بين بلاده والحكومة البريطانية رد ألقابه وشاراته إلى تلك الحكومة

أهو رجل هندى ؟

نعم ولكنه لا يتعصب ولا ينسى سماحة الروح ، فقضى ما قضى من أيامه يدعو إلى اللغة البنغالية ليكتب بها الأدباء ويتعلم بها المتعلمون ، ولكنه لم يتقيد بأصولها العتيقة التى لا موجب للتقيد بها ... حتى كان الأساتذة الجامدون فى الجامعات يمتحنون الطلاب بشذرات من كتب تاجور يفرضون عليهم أن يردوها إلى اللهجة البنغالية الصحيحة

كذلك قضى ما قضى من أيامه يؤمن بالصوفية الهندية ويدعو إلى الإيمان بها ، ولكنه سئل أن يختار نشيداً وطنياً فاختار نشيداً من الشعر الهندى القديم ، فلما أبى المسلمون أن ينشدوه لأنه يذكر الآلهة العديدة قال تاجور : لقد أصابوا ، فإنى أنا أيضاً من الموحدين لخالق الكون العظيم . ثم أوصى بحذف الأبيات التى أباها المسلمون

أهو شيخ فى تفكيره ؟

نعم هو يفكر تفكير الشيوخ ولم يتمرد قط تمرد الشباب . ونذكر فى مصر أن شاباً متفقاً لقيه مستأذناً فى ترجمة بعض كتبه ، فقال له ما معناه : لم العجلة يا بنى ؟ عند ما تبلغ سن تاجور تترجم معانى تاجور !

لكنه ربح جائزة نوبل وجاءه منها ثمانية آلاف جنيه ، فبنى بها مدرسة جامعة لتعليم الشبان الحديث والقديم من العلوم ، ولإنشاء جيل جديد غير الجيل الذى نشأ عليه ونشأ عليه آباؤه

إذا شبهته فخير ما تشبهه به أنه نسيم لطيف لا يجمد فى مكان

ولا ينطلق انطلاق الرياح لتزعزع ما يقف فى طريقه ؛ ولكنه أبداً يحمل عطر الأزاهير فى مروج البنغال

* * *

يرى بعض الناقدين أن شعر تاجور يفقد كثيراً بالترجمة من البنغالية إلى الإنجليزية أو الفرنسية

ويبدو لى أن هؤلاء الناقدين على صواب ، لأننى سمعت تاجور يغنى شعره البنغالى فأحسست لنغماته لطافة ووسوسة لا تنتقل بانتقال المعانى والكلمات

إلا أن الخسارة الكبرى هى فى نقل تاجور من البنغالية إلى الإنجليزية أو الفرنسية ثم فى نقله من إحدى هاتين اللغتين إلى العربية

وأخشى أن أقول إن هذه الترجمة قلما « تمسك » تاجور إلا كما تمسك الماء الغرابيل

على أنه لو نقل إلى العربية كما نقل إلى الإنجليزية لما أمسكه من القراء إلا القليل ، لأنه شماع لا يوزن بميزان الشعر الذى يسيغه الأكثرون من أولئك القراء ، وأدق موازينهم ميزان جواهر ودنانير

قال لى أديب كبير كان من أوائل المحتفلين بشاعر الهند يوم عبوره بالديار المصرية : أنا لا أدرى سر هذه الشهرة العالمية ، وما أحسب إلا أن الدولة البريطانية بسلطانها وجاهها أرادت أن تظهر للعالم مبلغ آلائها على الهند فأبرزت هذا الشاعر مثلاً لما أفادت به أهل الهند من أدب وثقافة

وكتب أديب آخر يعقب على التحية التى حييت بها تاجور فى تلك الأيام فقال : أولا نحسن نحن أن ننظم مثل هذا القصيد ونبدع مثل هذه الخواطر ؟ فما بال العقاد لا يكبرنا كما يكبر هنديه تاجور ؟ . . . أم زامر الحي لا يحظى بإطراب !

وكل جواب لهذين القولين عبث ، لأنه كجوابك من يقيس الجمال بميون كميون الغزلان ، وفم كأنه خاتم سليمان ، وبطن كأنه العجين الخمران ، إذ أنت تنظر إلى عين تناجيك بمعناها وفم يجتمع فيه شعور روح ، ويبدوان على « خلاف الشروط » أقرب إلى الدمامة منهما إلى الجمال !

* * *

إننى أقرأ تاجور فلا أقول أصاب أو أخطأ وأبدع أو جاء بالكلم المطروق

وإنما أقرأه وألتمس عنده « نفحة نفس لطيفة » وأنا على ثقة أننى واجدها فى كل ما ينظم وكل ما ينثر وكل ما يتخلل عباراته من صمت بعيد الغور مشبع بالهداية والإيحاء

خذ لذلك مثلاً قوله : « كل طفل يولد فى العالم هو آية على أن خالق الكون سبحانه لم ييأس من الإنسان »

هذه نفحة نفس محبة لا شك فيها ، وإذا كان الشرط الأول من شروط الشعر أنه تعبير عن نفس إنسانية فقد وفى تاجور الشروط كلها فى كلماته تلك ، لأنك تعرف نفس تاجور بتلك الكلمات معرفة لا يضيرك بعدها أن تقيسها بالبرهان فلا تثبت على القياس ، ولا تجيبك إذا سألت : وما القول فى كل بيضة جديدة تلدها الحية الرقطاء ؟

* * *

بيد أنك تقرأ لتاجور مع هذا حكمة إلهية لا ينقضها ناقض ولا تزال مطردة أتم اطراد مع نفحاته اللطاف

سأله تلميذ من تلاميذ مدرسته : ما هذا النظام الكونى الذى نعظمه ونمجده ولا فرق فيه بين الإنسان والجماد ؟ إن الريح العاتية لتعاملنى حين تلقانى كما تعامل صخرة أو شجرة ، فأين النظام الذى يزن كل شىء بميزانه ؟

فكان جواب تاجور : أتود أن تكون لك روح ولا تنفصل مما حولك كأنك القطرة فى الغمار ؟ إنك إذن تفقد روحك وتزول من حيث أنت إنسان منفصل عن عالم الجماد ... أم تود أن تنفصل عن عالم الجماد ولا تشعر به نافعاً وضاراً على اختلاف كما ينبغى الشعور بجميع المختلفات ؟ إنك إذن تقضى على الكون بزوال الحركة وقانون النظام

وما أرى أن حجة الشر فى الدنيا قوبلت بحجة أصدق من هذه الحجة على ما فيها من لطافة وشاعرية

ومن الذى ينقض حجة الشر بهذا الكلام ؟ تاجور الذى أصيب من الشرور بالشىء الكثير ، فماتت أمه وهو صغير ، وماتت زوجه وبنته وابنه وهو كهل ، وذاق من كيد الناس ما ينغص الحياة

حياه الله وأطال حياته ، فإنه من زينة الدنيا التى لا تعوض فى هذا الزمان .

عباس محمود العقاد

بمناسبة العودة المدرسية

اللغـــة العربية

فى المدارس الأجنبية

« توجيهات لأحد المشتغلين بشئون التعليم »

تمهيد

الغرض من تقوية اللغـة العربية بالمدارس الأجنبية هو الوصول بتلاميذ تلك المدارس إلى منزلة من المعارف اللغوية والأدبية والقومية تمكنهم من الحياة فى المجتمع المصرى حياةً لا يشعرون معها بأنهم أعاجم فى أمة عربية ، كالذى كان يقع لتلاميذ تلك المدارس من عهد بعيد إلى اليوم ، وهى حال ضجَّ منها آباء التلاميذ ، وفكر فى تغييرها نظار المدارس الأجنبية مرات كثيرة ، ومن المأمول أن تتغيَّر تلك الحال بعد أن اهتمت وزارة المعارف بتقديم المعاونة الجِدية لنظار تلك المدارس ، وبعد أن أعلنت رغبتها فى تشجيعهم على الوصول بمدارسهم إلى مكانة تسمح لأولئك التلاميذ بالقدرة على مسايرة الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية بهذه البلاد

ومن الواضح أن الوصول إلى تحقيق هذا الغرض يستوجب النظر فى مناهج اللغة العربية بتلك المدارس نظراً جديداً يمكن به نقلها من حال إلى حال ، ويستوجب أيضاً أن يقوى الروح المصرى بتلك المدارس فيكون للغة العربية مكان ظاهر فى النشاط المدرسى ويكون للرحلات الخاصة بدرس الآثار المصرية مقامٌ ملحوظ ، بحيث يشعر أولئك التلاميذ أن مدارسهم تدعوهم إلى تذوق الروح المصرى فى عهده القديم وعهده الحديث

وخلاصة القول أنه يجب أن يزوَّد تلاميذ تلك المـدارس بنصيب وافر من اللغة العربية ، ومن تاريخ مصر وجغرافية مصر وأنظمة مصر فى الحدود الآتية :

اللغة العربية

تنقسم الحياة المدرسية فى أكثر المدارس الأجنبية إلى ثلاث مراحل : مرحلة التعليم الأولى الممثَّل فى رياض الأطفال ، ومرحلة التعليم الابتدائى ، ومرحلة التعليم الثانوى

وفى المرحلة الأولى يحسن أن تعتمد هذه المدارس على المعلمين المتخرجين فى مدارس المعلمين الأولية ، لأنهم أُعدُّوا لهذا الغرض ولأن مرتباتهم بسيطة ، وذلك يساعد على الإكثار من دروس اللغة العربية فى رياض الأطفال

أما فى مرحلة التعليم الابتـدائى ومرحلة التعليم الثانوى ، فيجب أن يكون المعوَّل على المدرسين الفنيين الذين أعدَّتهم الوزارة لهذين النوعين من التعليم

ونفهم من هذا أن الطفل فى المدرسة الأجنبية يرى مدرس اللغة العربية منذ اليوم الأول لعهده بالحياة المدرسية فيأنس سمعه ولسانه للغة العربية بحيث يمكن أن تكون هى اللغة الأولى ويحيث يُرجَى أن تقوى على منافسة ما يدرس معها من اللغات الأجنبية

فى رياض الأطفال

المنهج فى رياض الأطفال يقوم على توجيه الأطفال إلى التعبير عن أغراضهم بعبارات عربية مقبولة ، ولا مانع من أن تكون لغة التخاطب هى الأساس لتذهب الوحشة التى تقع من شعور الطفل بغرابة اللغة الفصيحة ، ثم يتدرج المعلم رويداً رويداً فينقل لغة الطفل برفق من العامىّ إلى الفصيح ليشعر بعد عام أو عامين بشخصية جديدة هى شخصية من يتكلم بلغة أقوم وأرفع من لغة العوام ويستعد للانخراط فى سلك الخواص

وفى هذه المرحلة تكثر المحادثات كثرة ملحوظة ، ثم تلقَّن المحفوظات السهلة والأناشيد القصيرة ويترنم بها الأطفال بطريقة جمعية تزيد أنسهم بالدرس وتشوقهم إلى طلب المزيد . وفى هذه المرحلة يترفَّق المعلِّم فى تعليم القراءة والكتابة وفقاً للخطط المرسومة لرياض الأطفال

وإذا استطاع المعلم فى هذه المرحلة أن يفوق زملاءه من معلمى اللغات الأجنبية ، وأن يكون أقرب منهم إلى أنفس أولئك الناشئين كان ذلك خطوة محمودة فى خدمة اللغة العربية بالمدارس الأجنبية .

ولن يصعب على الوزارة أن تجد المعلمين الصالحين لتأدية هذا

الواجب تأدية صحيحة ، فهؤلاء المعلمون سيأخذون من المدارس الأجنبية مرتبات أكبر من مرتبات المدارس الأولية ، وذلك يمكن الوزارة من التخير ، وقد تستطيع عقد المسابقات لتحقيق هذا الغرض الشريف

في التعليم الابتدائي

يصل الطفل إلى مرحلة التعليم الابتدائي وقد استعد لمتابعة دروس اللغة العربية وقدر على قراءة بعض الفقرات المفيدة مما يقع تحت بصره من الجرائد والمجلات . وقدَر أيضاً على فهم بعض ما يذيع الراديو من أناشيد ومحاورات ، وهو لا يصل إلى ذلك إلا بعد أن يعنى به عناية وافية في مرحلة التعليم الأولى بحيث لا يقل ما يتلقاه في الأسبوع عن عشرة دروس

وفي التعليم الابتدائي يجيء الدور الجدي في تعليم اللغة العربية فيقسم التلاميذ إلى فريقين : فريق يستعد للأقسام الثانوية المصرية وفريق يستعد للأقسام الثانوية الأجنبية

وإنما فرضنا هذا التقسيم لأن تلاميذ المدارس الأجنبية يدخلون الأقسام الثانوية المصرية بتلك المدارس بدون أن يؤدوا امتحان الشهادة الابتدائية المصرية . ويكون في أثر ذلك أن يدخلوا تلك الأقسام وهم ضعاف في اللغة العربية ضعفاً يجعلهم من الذيول في الامتحانات العمومية ، وقد يلازمهم هذا الضعف طول حياتهم فلا يكون منهم كتّاب ولا شعراء ولا خطباء باللغة العربية

ومنهج اللغة العربية في الأقسام الابتدائية التي تعد للأقسام الثانوية المصرية يجب أن يكون مماثلاً تمام المماثلة لمنهج اللغة العربية في المدارس الابتدائية المصرية مع زيادة عدد الدروس زيادة تعوّض على التلاميذ ما يفوتهم من درس أكثر المواد باللغة العربية

أما منهج اللغة العربية في الأقسام الابتدائية التي تعد للأقسام الثانوية الأجنبية فيكون أخفّ ويُكتفى فيه بسبعة دروس في الأسبوع توزّع على موادّ اللغة العربية توزيعاً يضمن تمكن أولئك التلاميذ من القواعد والإملاء والمطالعة والإنشاء

ومن السهل وضع هذا المنهج الخفيف ، والمهمّ هو أن يشمل العناصر الأساسية من القواعد بحيث يستطيع التلميذ أن يُلقي خطبة أو يكتب رسالة بدون أن يقع في أغلاط تشهد عليه بالتخرج في مدرسة أجنبية !

وإذا تجاوزنا اللغة العربية إلى الجغرافيا والتاريخ رأينا من الواجب على تلاميذ الأقسام الابتدائية التي تُعدّ للأقسام الثانوية المصرية أن يدرسوا المقرر من هاتين المادتين في المدارس الابتدائية المصرية

أما الأقسام الابتدائية التي تعدّ للأقسام الثانوية الأجنبية فتدرس جغرافية مصر بالتفصيل ، ثم تدرس التاريخ المصري بإيجاز مع الاهتمام بتاريخ مصر الحديث وعلاقته بالأمم الغربية والشرقية

وما دام الغرض هو التعاون فمن حق وزارة المعارف أن تشير على المدارس الأجنبية بدعوة فريق من تلاميذها إلى اجتياز امتحان الشهادة الابتدائية ، فإن لم يسهل ذلك كان من الواجب على تلك المدارس أن تدقق في نقل التلاميذ من الأقسام الابتدائية إلى الأقسام المصرية الثانوية ، فقد يساعد ذلك على تحسين النتائج في امتحانات النقل والامتحانات العمومية

وبهذه المناسبة نذكر أن الليسيه فرانسيه بالاسكندرية رأت من المصلحة ألا تقبل في القسم الثانوي المصري إلا تلاميذ جازوا امتحان الشهادة الابتدائية المصرية ، وسيكون لذلك تأثير حسن في نتائج الامتحان

في التعليم الثانوي

وفي التعليم الثانوي نجد المدارس الأجنبية قد استغنت عن معونتنا في توجيه الأقسام المصرية ، فهي تسير على مناهجنا خطوة خطوة ، وتزيد عدد الدروس لتضمن نجاح تلاميذها في امتحانات النقل والامتحانات العمومية . ولا يبقى إلا اهتمام التفتيش بدروس التاريخ والجغرافيا والأخلاق والتربية الوطنية ، ولا موجب للنص على اهتمام التفتيش باللغة العربية ، لأن أقل تقصير في ذلك يجعل اللغة العربية من المهملات في تلك المدارس ، لأنها تملك وضع أسئلة امتحان النقل ، وذلك قد يغري بعض المدرسين من الحرص على تدريس جميع المقررات !

وأعتقد أن مبالغة التفتيش في تعقب دروس اللغة العربية لا يغضّ من كرامة تلك المدارس ، فذلك أفضل من تعريضها لإلغاء الامتحان كما وقع في بعض الأعوام الماضية

والموضوع المهمّ هو موضوع الأقسام الثانوية الأجنبية ،

والشبان فى تلك الأقسام معرّضون لأصعب الأخطار من الوجهة القومية إن لم يُحرَسوا حراسة أمينة من طغيان الدعايات المذهبية ، ولا يعصمهم من تلك الدعايات إلا تزويدهم باللغة العربية تزويداً يمكنهم من مسايرة التيارات الأدبية والفكرية والاجتماعية بهذه البلاد ، ولا يتم هذا التزويد الواقى من الأخطار إلا إذا ضمنّا أن يدرسوا تاريخ مصر دراسة عميقة تصل بهم إلى الثقة بأنهم نشأوا فى وطن له ماض فى خدمة العلوم والآداب والفنون . وفى هذه الحال يكون من الذوق أن يعتمد الأجانب على المصريين فى درس التاريخ المصرى ، وهم قد قبلوا فى أكثر مدارسهم أن يُدرس ذلك التاريخ باللغة العربية

وما يقال فى التاريخ يقال فى الأخلاق والتربية الوطنية ، فهذه المواد الثلاث لها اتصال وثيق بشؤون عربية وإسلامية لا يفقهها المدرسون الأجانب إلا فى قليل من الأحايين ، وهم حين يفقهونها لا يؤدونها بالروح الذى يؤديها به المدرسون المصريون

وأعتقد أن الأجانب لا يمانعون فى أن يتغلب العنصر المصرى فى مدارسهم ، لأن ذلك يحقق التضامن بين المصريين والأجانب ، وهو أيضاً يساعد على خلق جوّ من التعاطف كان انعدامه سبباً فى قلة التفاهم بين أولئك وهؤلاء

والواقع أن الأجانب الذين عرفتهم يتمنون لو ظفروا بالثقة المصرية ، فمن واجبنا أن ندلهم على السبيل لكسب هذه الثقة ، وهى سبيل واضحة يسير فيها بأمان كل من يؤمن فى سريرة نفسه بأن من واجبه أن يُعين من يؤتمن عليهم من الشبان المصريين على التزود بأصول التثقيف الصحيح الذى يجعلهم من الوطنيين الصادقين .

الأدب العربى

وبعد ما سلف من الإشارات إلى العناصر التى يجب أن توجد فى منهج الدراسة فى الأقسام الأجنبية نضع الأساس لدراسة الأدب العربى هنالك ، ونرى أن تكون المحفوظات كلها من الشعر السهل المقبول الذى يقل فيه المهجور والغريب من الألفاظ

أما مواد التاريخ الأدبى فتقتصر على العصر الحديث مع الاهتمام بالفنون الأدبية الجديدة التى نشأت عن اتصال مصر بالثقافات الأوربية والأمريكية فيكون للشعر التمثيلى وللقصص مكان ظاهر فى درس التاريخ الأدبى ، ويُعنَى عناية خاصة بدرس الخطابة البرلمانية ودرس القضايا الشهيرة التى برزت فيها براعة المحامين ، ويضاف إلى ذلك درس الصلات بين الأدب والمجتمع ، بحيث يشعر التلميذ أن اللغة العربية لا تقل قدرة عن اللغات الأجنبية فى الطب لأدواء المجتمع وتعقب أهواء النفوس وأوطار العقول

ومن البيّن أنه يجب الاهتمام بدرس تراجم الكتاب والخطباء والشعراء الذين كان لهم تأثير فى خلق التطور الحديث من الوجهة الاجتماعية والقومية والذوقية ، لأن ذلك يساعد على الأنس بالأدب ويُشعر أولئك التلاميذ بقيمة الحرص على المنافع الوطنية عساهم يصيرون فى المستقبل من أقطاب المصلحين ، وذلك هو المأمول من شبان تمترك فى صدورهم جذوات الثقافة الشرقية والثقافة الغربية .

التعاون بين المصريين والأجانب

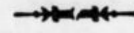
وحين تحقق هذه المقترحات يكون من الواجب أن نخطو خطوة جديدة فى التقريب بين المدارس المصرية والمدارس الأجنبية فنراهم ويروننا فى الحفلات وفى الرّحلات ، ويُرفَع الحجاب الكثيف الذى يجعل منا ومنهم أمتين مختلفتين ، مع أننا نعيش جميعاً فى ضيافة النيل

والله عز شأنه هو ولى التوفيق

« باحث »

بين مصر والعـــــراق

للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم



مما استرعى نظرى فى نسخة من جريدة الهدف العراقية صورة شمسية تهول وتروع للدكتور زكى مبارك ، وما كدت أقرأ بضعة أسطر فيها حتى بان لى أن العدد كله قد خصص لتكريم الدكتور والاحتفاء به والإشادة بفلسفته وعلمه ، فانطلقت ألسنة الأدباء العراقيين بالثناء عليه ، وانبرت أقلامهم لتسجيل أدبه ، وحفظ أثره ، ووصف براعته فى الكتابة التى تساوق براعته فى الشعر

وإنها لمدحة حقة صادفت أهلها ، وحلّت محلّها ، وجاءت تخليداً للمحمدة الباقية التى تفضلت الحكومة العراقية فأسبغتها عليه ، إذ أكرمته بوسام الرافدين تقديراً لجهوده ، ومعرفة لمعروفه

وإن عرفان الجميل ، وتقدير أعمال العاملين ، وإعطاء الحقّ لمستحقيه ، لهى فضائل طيبة عزّ وجودها فى هذا الزمان الذى ابيضت عينه ، وغاض معينه ، وقل خيره ، وكثر شره وضيره ، وأغمطت فيه الحقوق ، واشتد به بلاء المقعوق ، ولكن إخواننا العراقيين قد رفعوا فيه لواء هذه الفضائل ، وتحلوا بحللها وحلاها وتلك بعض مناقبهم الغراء ، وشيمهم الشماء

وليس بمستغرب أن يشغف الدكتور بالعراق حبًّا ؛ وأن يولع بالعراقيين وآثارهم وأخبارهم وأيامهم وتواريخهم وسائر أحوالهم فإن ميله إليهم قد خالط منه اللحم والدم ، وأصبح جزءاً من عاطفته وضرباً من تعصّبه وشطراً من فطرته ولوناً من غذائه الروحانى ومقومه النفسانى

فهو حينما يخطر بباله خاطر عنهم — وما أكثر توارد هذه الخواطر الملحّة على ذهنه — تراه يتهلّل بشراً ، ويسترسل فى الحديث عن مفاخرهم ومآثرهم استرسالاً يأسر انتباه السامعين ويملك لبّهم ، لحلاوة الأسلوب وحسن الأداء ولطف القول ؛ ويجذب نفوسهم بما فى حديثه من الطرائف والطرف ، والروائع والتحف وكل ما يستهوى ويستميل

وما أكثر المصغين من المعجبين ببلاد العراق الذين يشعرون بمثل ما يشعر به الدكتور من تقدير لها وميل نحوها . ويحسّون مثل ما يحسّه قبلها من عواطف نبيلة واتجاهات شريفة

ولا ريب أن المودّة والمحبة والرغبة الصادقة المتبادلة بين الأقطار الشرقية لتزداد قوة على ممرّ الأيام وكرّ الأعوام ، فتصل بين أطرافها ، وتربط بين أنحائها ، وتوثق العلاقة بينها من أقصاها إلى أقصاها ، إلى أن تجمل منها وحدة متماسكة الأجزاء لا انفصام لها ولا انفصال . فإن روابط الجنس واللغة والدين قد صيّرت الممالك الشرقية توائم ، بل وطناً واحداً محبباً إلى كل النفوس هنا وهناك . وقد تنبهت أممنا إلى هذا الترابط ، فأخذت تفكر فيما كان عليه السلف من علوم وثقافة ومعارف لإحيائها وبعثها من جديد فى صورة شرقية عربية سليمة . وإن تعاون الأدباء فى العصر الحاضر على نشر هذه الثقافات ليبشر بمستقبل جديد باهر تصفو فيه الحياة الروحية من شوائب الغربيين ولوثات المحدثين المارقين

فإن التخلص من البدع الزائفة التى دخلت فى عقائدنا وأعمالنا وتصرفاتنا وتقاليدنا وسائر أحوالنا لمن أهم ما يجب البدء به فى هذا الإصلاح الذى ينشدونه الأمم الشرقية ، إذ يرجع بنا — نحن الشرقيين — إلى الأصول الأولى الحقة المبرّأة من كل زيف ، ومن كل مستحدث من البدع والتقاليد الضارة . وبذلك تتحد وجهات الأنظار وتتفق مسارح الأفكار ؛ وتقوى أممنا بالاتحاد فى الحق والائتلاف فى الفضيلة ، وتخرج من التطور الفاسد إلى التطور الصالح المؤسس على الفضيلة والحق ؛ فتجتمع القلوب بحكم الطبيعة ، وتتوحد الغايات ، وتتبين المثل العالية ، والأهداف البعيدة الرفيعة

وما أحوجنا إلى من ينهض بالشرق نهضات أدبية وخلقية واجتماعية ، بعد أن تناثرت أجزاؤه ، واضمحلت هيئته ، وضعف التئامه وقد كاد يتداعى للانحلال

أدرك هذه الحال رجال من العلماء المثقفين والأدباء المخلصين فأخذوا فى هذه الأيام يجاهدون بأقلامهم وقلوبهم ونفوسهم فى سبيل الدعوة إلى اتحاد الشرق ليكون جسما واحداً هائلاً كبيراً ، قوى البنية ، سليم الهيئة ، تتعاون أعضاؤه ، وتلتحم أجزاؤه .

وكم بذلوا من وقت ومال ، وعلم مذخور ، في صون حقوقه وحفظ ملته وحياته من الضياع ، فصوبوا معاولهم إلى الأصول الفاسدة لهدمها وتقويضها ، وأكثروا من الكتابة في المجلات والصحف لتأسيس الأصول الصالحة للمدنية القوية النافعة ، وتمهدوها بآرائهم وفلسفتهم وجهادهم حتى تكون كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

وكم أنحوا على المقلدين للغربيين تقليداً طائشاً لا نفع فيه ، وعابوا عليهم انتحالهم أطوار الأوربيين التي لا تتلاءم مع الأوضاع الشرقية ، ولا تتناسب مع الحياة الإسلامية ، حتى كادت تجعل حياة الشرقيين وعاداتهم ومعايشهم خليطاً من القشور ومزيجاً من المظاهر الخلابة التي لم تخلق لنا ولم نخلق لها . وما كانت لتوائم طبيعتنا ، أو توافق أذواقنا ؛ لأنها إنما نقلت إلينا نقلاً فيه تعسف كما ينقل النبات قسراً من بيئة يجود فيها ويترعرع ، إلى بيئة أخرى لا تلائمه ولا تعينه على النمو والنضارة ، فلا يلبث أن يكون حطاماً لا خير فيه ، وحطباً لا حياة به ، وهشيما تذروه الرياح

فأهابوا بالشرقيين أن يأخذوا بأسباب النهضات القديمة ، وأن يقتدوا بالسلف في صدر الإسلام وفي العصور الأولى الزاهرة ، وأن يستمدوا من أدبهم ومعارفهم وثقافتهم ما يقربهم إلى الخير ، ويبعدهم عن الضير . فكان لهذا الجهاد شيء من الأثر الطيب في إزالة بعض الحواجز القائمة بين شعوب الشرق ، والقضاء على بعض الحجب الكثيفة الحائلة بين أممه والحق ، والتي خلقها خلفاً أولئك الذين يمجدون حضارة الغرب ، وينتقصون أعمال الشرق فكانوا نكبة على بلادهم ، ومنافذ فيها يدخل منها الأعداء إليها ؛ لأنهم وأمثالهم شؤم على أبناء أمتهم يمهدون السبيل ويفتحون الأبواب لأرباب الغايات والمطامع والحضارات الفاسدة . ومن آيات الجهاد تلك النزعة الجديدة القوية التي ترمي إلى إظهار الحضارة الشرقية – وهي أصل الحضارات كلها – لتبرز للوجود ، وتحل في الميدان ، فلا تلبث الفوارق أن تضمحل ، والفواصل أن تتلاشى قليلاً قليلاً . وإن تقلبات الحوادث ، وتتابع الكوارث ، ونزول المصائب والأهوال ، هي التي أوجدت في الشرق يقظة ظاهرة ، وربطت أفراده بوشائج متينة لا تقل في قوتها عما بينهم من روابط النسب والجنس والدين واللغة والإنسانية ، وبعثت فيهم روح المقاومة لدفع ما هو باطل ، ومحو ما هو فاسد . وجعلتهم لا يغفلون عن مصيرهم ولا يستسلمون لإرادة سواهم . ودفعت نفوسهم إلى اتخاذ الوسائل للنهوض فيما أحبته ، والتخلص مما كرهته

وإن هذه المقاومة الروحية والعملية لتبق عنيفة شديدة في الأمم الشرقية الناهضة ما بقي فيها رُمقة من عيش ، ومسكة من ضمير ؛ وما دامت تسترشد بنور إيمانها ، وتعمل بقوة عقيدتها وما بقي فيها رجال مخلصون ، وعلماء ناهضون ، وأدباء مثقفون ، يقومون برسالة الحضارة العربية الشرقية ، ويسمون لها سعيها ، وهم مؤمنون بها . وأولئك كان سعيهم مشكوراً

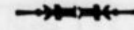
فإن الله إذا أراد بقوم خيراً جمع كلمتهم على الحق والهدى ، وألف بين قلوبهم بصلات المودة والمحبة وإن بعدوا وتناءت ديارهم وشط مزارهم ، فينالون شرفاً رفيعاً ، ومقاماً محموداً .

محمد أبو بكر إبراهيم
المفتش بوزارة المعارف

كلمة فى القرآن

[إلى كبار العلماء ، ومشيخة القراء ، وجامعة الأزهر المعمور]

للأستاذ على الطنطاوى



قال لى صديق عالم فى بعض حديث كان بينى وبينه : ما بال أحدنا يأخذ ديوان المتنبى مثلاً ، فما يدع قصيدة منه واحدة حتى يقتلها فهماً ، ويحيط بأسرارها علماً ، ويغوص على جواهر معانيها ، ويتبع خفيف إشاراتها ، وبعيد كناياتها ، حتى ينتهى إلى مراد الشاعر منها ، وقد تنطبع على صفحة قلبه آراء الشاعر فيؤمن بها إيماناً ، ويتخذها قدوة وإماماً ، وربما بدل ذلك من خلائقه ، وعدل من سلائقه . مع أن ديوان المتنبى ، وإن علت فى الكلام مرتبته ، وسمت فى البلاغة منزلته ، لا يعدُو أن يكون كلام مخلوق يخطئ ويصيب ، وليس من شأنه أن يكون كتاب هدى ولا إرشاد ... ثم نتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار ، فلا يأمرنا ولا ينهانا ، ولا يكون له أثر فى حياتنا ، والقرآن كلام الله رب العالمين ، أنزله رحمة وهدى للناس أجمعين ؟

تأملت فوجدت كلامه حقاً ، فأطلت التفكير فيه ، فرأيت النقص إنما دخل علينا من أنفسنا لا من القرآن ، والقرآن لم يزل على ما كان عليه يوم أخرج من الأمة البدوية الجاهلة خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأعطاها مقاليد الأرض ، ففتحت بها ما بين مشرقها والمغرب ... فما له اليوم وما لنا ؟ وكيف غدونا وأمورنا فى يد كل واغل علينا ، يغلبنا كل متغلب ، ويستنسر فى أرضنا البغاث ، ومن إذا استغاث لا يغاث ، وإن أتى فى عقر بيته لم يملك دفعاً ولا منعاً ؟

النقص منا لا من القرآن ، ذلو أنـا أخذنا القرآن على وجهه ولم نعدل به عما أنزل له ، لم نذل ، والقرآن بين أيدينا ، وبالقرآن عز من عز من أسلافنا

نزل القرآن آمراً وناهياً ، ومذكراً وواعظاً ، وكان للمسلمين دستوراً وقانوناً ، فلم نفهم منه إلا أنه كتاب تبرُّك ، نتخذه تمائم ورق ، أو نتلوه تلاوة تطريب وتلحين ، وتطربة وتليين ، نؤخذ بحلاوة صوت القارئ ، وبراعة إلقائه ، وحسن تصرفه فى ألحانه ، ولا ننتبه الانتباه المطلوب إلى المعانى ، ولا نخشع الخشوع اللائق بمن يسمع كلام الخالق ، وإن كنتم فى شك من الأمر فاسألوا من يفتح (الرادّ) ليسمع قراءة الشيخ محمد رفعت ، أكان يسمع لو قرأ غيره ممن لم يؤت الجرس الحلو ولا اللحن المطرب ؟ واسألوهم ألا تهزهم (سحبة) صبا ، أو (حطّة) على الرصد ، أكثر مما تهزهم معانى كلام جبار السموات والأرضين ؟

أما إنه لا جدال فى وجوب ترتيل القرآن وتجويده ، وضبط مخارجه وأحكامه وأدائه ، أما أن يكون القصد من الإصغاء إليه الطرب ، والغاية من تلاوته الإطراب ، فلا ، ثم لا ... وما مثل من يفعل ذلك إلا مثل ضابط فى الجيش بعث إليه القائد برسالة فيها بعض أمره ونهيه ، فلا هو ائتمر ولا انتهى ولا فهم معناها ولا حاول ، وإنما قبلها ووضعها من التعظيم على جبينه ثم تلاها خمسين مرة ، يتغنى بها ويرتلها ، ثم جعلها تميمة تعلق على الصدر . . . ولله المثل الأعلى !

وقد حدثنى الصديق الفاضل الأستاذ عبد المنعم خلاف أن فى مصر قارئاً (سمّاه ونسيته) إذا قرأ أعطى المعانى حقها ففخّم وهوّل عند وصف العذاب ، ورقق وجمّل عند ذكر النعيم ، وحكى رنة صوت المستفهم والمتعجب عند الاستفهام والتعجب ، فإذا صار إلى آخر الآية ختمها بلحن قليل ، فلماذا لا يدعى هذا القارئ إلى المذياع ليسمعه الناس فيكون قدوة للقارئين صالحة ؟ إن القائمين على أمر الإذاعة يحسنون صنعاً إذا سألوا الأستاذ خلافاً عن اسمه ودعوه ... وأنا واثق أنهم لن يفعلوا !

هذه هى حال القراء ، جعلوا القرآن كالغناء ، بل ربما عدوه سلماً إلى الغناء ! ألا ترى إلى بعض المطربات المصريات المشهورات ، كيف ابتدأن قارئات ، فارتقين حتى صرن مغنيات ؟ أو لا ترى أن من كتاب الرسالة من ذكر المغنين مرة فعدَّ الشيخ محمد رفعت فى أهل الغناء ؟

ثم إن فى القراء خصلة أخرى

ذلك أن منهم من أولع بالقراءة على السبع ، فى المساجد والمجامع ، يكرر الآية الواحدة على الأوجه المختلفة ، فلا يأتى من ذلك إلا فتنة العامة ، وتشكيك الجهلاء ، وما يخالط القارئ من العجب والزهو ، وذلك ما لا يستحبه الشرع . ولقد ثبت فى الحديث أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، تسهيلاً على العرب المختلفة لغاتهم ، وكانوا يقرؤون عليها جميعاً ، حتى إذا كان زمان

عثمان رضى الله عنه ، وسيطرت لغة قريش أو كادت ، وتوحدت اللغات ولم يبق للسبعة الأحرف من فائدة إلا اختلاف الناس ، أمر عثمان بالاقتصار على واحد منها ومنع ما عداه ، وكتب المصحف الإمام وبعث به إلى الأمصار ، واقتصر الناس على الحرف الواحد حتى نشأ النحاة وأهل اللغة والقراء ، فوقع بينهم اختلاف يسير فى حركة أو إمالة أو مد أو همز فكان من ذلك القراءات السبع ، وهى على حرف واحد وليست على الأحرف السبعة كما يظن بعض من لا علم له ...

فإذا كان عثمان قد أمر بالاقتصار على حرف واحد من الحروف السبعة المنزلة ضماناً للمصلحة ، فلم لا نقتصر على قراءة أو قراءتين فقط من القراءات السبع نقرأ بها فى المساجد والجامع ، وندع لمن شاء من المتخصصين أن يحفظها ويرويها كلها من غير أن يذيعها على العامة الذين لا يعرفون إلا قراءة حفص فى الشرق كله وورش عند المغاربة ؟

هذا رأى فيه المصلحة ، وهو من روح الشريعة التى تكره الاختلاف والفتنة أرجو من سادتنا العلماء الفادين المقدسين لكل ما درجوا عليه الثائرين على كل رأى جديد ، أن يفكروا ويتثبتوا قبل أن تقوم قيامتهم علىّ !

أما العامة وأشباههم فإن أكبر همهم أن يستكثروا من المتلوّ ولو أهملوا قواعد التجويد ، ويتسابقون إلى الختمة ، ولو قرءوا شاردة أذهانهم ؛ حتى أن لى عمة عجوزاً تقرأ كل يوم ختمة وتفخر بذلك ، مع أن عمر بن الخطاب وهو أعلم من عمتى - ولو لم تقر بذلك - أنفق دهراً فى البقرة حتى قرأها قراءة فقيه متدبر ... وسبب هذا التسابق على الاستكثار من المقروء اعتقادهم أن للتالى بكل حرف عشر حسنات ولو قرأ قراءة ببغاوية ...

ولندع هؤلاء ولنعرج على العلماء فنسألهم إذا لم يكونوا ممن يحرم الاجتهاد ، ويرى أن الأئمة قد استنبطوا من القرآن كل شىء ، ولم يبق إليه حاجة إلا استنباط ... البركة !

نسألهم : كيف يتدبر القارئ الآيات التدبر المطلوب ، وليس عند المسلمين إلى اليوم تفسير لمعانى القرآن مختصر ، حاوٍ لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، وبيان المحكم والمتشابه ، خالٍ من فروع النحو والبلاغة ومسائل الفلسفة ، مبرأ من الأكاذيب والإسرائيليات وتضارب الروايات فى وضوح عبارة وبيان إشارة يفهمه الغبى قبل الذكى ، وطالب العلم قبل العالم ؟ ومتى يظهر التفسير الذى انتهى إلينا من سنوات عزم إدارة الأزهر على إخراجه للناس ، وأنها ألفت له لجنة وسمّت لها رجالاً ؛ فما صنع الله بلجنته ورجالها ؟

وإذا لم تكن لجنة أفليس فى العلماء من يستطيع أن يؤلف هذا التفسير لمعانى القرآن ، لا كتفسير الجلالين المخل باختصاره ولا كالنسفى المقصور على النحو ، ولا كالكشاف المعنىّ بالبلاغة ، ولا كالفخر الرازى المترع بالفلسفة والعلوم والإشكالات والردود ، ولا كالخازن الفياض بالاسرائيليات المكذوبة ، ولا كالطبرى الذى يشتمل على الروايات الكثيرة المختلفة ، ولا كتفسير طنطاوى جوهرى الذى حشد فيه من قضايا العلم الطبيعى التى لم يكن من أهلها مالم يدع مكاناً للتفسير ، ولا كتفسير المنار المطول الذى يشبه دائرة معارف محتاج إلى عمر كامل ، بل يأخذ من كلٍ مزاياه ويجتنب عيوبه ، ويضم على ذلك مالم يكن يدركه المتقدمون

هذا ولم نزل نسمع بالإعجاز ، ونعرف عجز العرب وهم شياطين البلاغة ومَرَدة القول ، عن أن يأتوا بمثل سورة من القرآن رغم التحدى الموجع ، والاستفزاز البيّن ، وقد قرأنا ما كتب فى بيان الإعجاز وأسراره من لدن عبد القاهر والباقلانى إلى الرافعى ولكنا لا نزال نجهل أسرار الإعجاز ، ولا نجد فى كل ما كتب ما يبرئ من علة ، أو يشفى الغلة ، على طول البحث ، وامتداد الزمان ، حتى كدت أقول بالصرفة كما قال المعتزلة ، فتى يؤلف فى الإعجاز الكتاب الذى يضع أيدينا على سره حتى نلمسه لمساً ؟

إن كتاب الرافعى فى حسن عرضه ، وبلاغة عبارته ، وصفاء ديباجته ، يكاد يكون معجزاً لكتاب العصر عن تأليف مثله ، ولكن اقرأه ، ثم أطبق الدفتين ولخص لى رأيه فى الإعجاز ، وقل لى ما هى (نظريته) فيه ؟ وهل تشبع الباحث ، وتروى ظمأ الحيران ؟

* * *

هذا وإن ما تقدم من تصحيح التلاوة ، والتفسير والبحث فى الإعجاز ، إنما هى مقدمات ، وجوهر الموضوع فى دعوة العلماء إلى العودة إلى القرآن والسنة ، ودرسهما دراسة المجتهد الفقيه المتبصر ، واستنباط الأحكام منهما ، وتنقية عقائد المسلمين مما يخالفهما ، والفتوى بهما لا بالمدر وحواشيه ، ولا بأقوال أئمة المذاهب ، فإنهم على ما بذلوا رحمهم الله وما أحسنوا ، إنما راعوا

مصلحة الناس فى زمانهم ، واعتمدوا العرف المعروف فى أيامهم ، والقرآن لكل زمان ومكان . وليس القصد أن ندع المذاهب جملة ، ونأمر الناس جميعاً بالاجتهاد ، فهذا ما لا يقوله ذو مسكة من عقل ، ولكن القصد النظر فى أدلة الأحكام الفقهية ، فما كان دليله النص فلا مساغ للكلام فيه ، وما بنى على العرف يتغير بتغيره ، وهذا معنى القاعدة المعروفة : « لا ينكر تبدل الأحكام بتبدل الأزمان »

فأفهموا الناس أن القرآن لم ينزل ليكون تمائم ورق ، ولا ليتخذ منه غناء وطرب ، ولكنه (كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم .

على الطنطاوى

دولة الأدب فى حلب

سيف الدولة بن حمدان

للدكتور محمد أسعد طلس

ما نعرف أن حلبا أو الشام كله قد أصاب عهداً أحفل بالعلماء والأدباء والشعراء والحكماء والأطباء من عهد سيف الدولة أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان عظيم الدولة الحمدانية ؛ فقد كان بنو حمدان «ملوكاً أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ؛ وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم . وكان رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه غرة الزمان وعماد الإسلام ومد به سداد الثغور وسداد الأمور ، وكانت وقائعه فى عصاة العرب تكف بأسها ، وتنزع لباسها ، وتفل أنيابها وتذل صعابها وتكفى الرعية سوء آدابها . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء . ويقال إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ المصر ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها ، وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به[1] » وكان على عالماً وفقيهاً يناقش العلماء ويطرب لمحادثاتهم ومناظراتهم كما كان شاعراً له الشعر الجيد والتشبيه الملكى ، ولم يبق لنا الدهر من شعره إلا نحو خمسين بيتاً ذكرها من ترجم له وأكثرها مذكور فى اليتيمة ، ومن أجود شعره قوله :

أقبله على جزع ... كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فأطمعه ... وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصة فدنا ... ولم يلتذ بالجرع[2]

وهو كما ترى شعر لطيف يدل على خفة روح ورشاقة خاطر لما تضمنه من صور سريعة وجميلة. ومن أجمل شعره أيضاً بل من أجمل الشعر العربى فى موضوعه قوله فى وصف ساعة من ساعات اللذة زانها ساق صبيح وقوس قزح رائع :

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفاً ... على الجو دكناً والحواشى على الأرض[3]
يطرزها قوس الغمام بأصفر ... على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض[4]

هذا والله الشعر المرقص لما فيه من صور حية ومعان جميلة ، ولا سيما تلك الصورة الفنية الرائعة للقوس بألوانه الجذابة واستدارته الرائعة . وقد كنت أود أن أجمع هنا ما انتثر من شعر أبى الحسن فى بطون كتب الأدب ولكنى أرجئ هذا إلى أن أظفر بشىء أكثر مما جمعت

أما عناية أبى الحسن بالعلم فما كانت أقل من عنايته بالأدب ورجاله فقد كان مغرماً بنفائس الكتب وجياد الآثار العلمية . قال الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام : « كان بجامع حلب خزانة كتب

(١) يتيمة الدهر للثعالبى ج ١ ص ١١ طبعة الصاوى
(٢) المصدر السابق ص ٢٤ — ٢٥
(٣) هذا البيت فى رواية الثعالبى هو ثانى أبيات المقطوعة ، وفى رواية ابن خلكان ثالثها وقد فضلنا الرواية الأخيرة لأنها أكثر ارتباطاً وتساوقا
(٤) أنظر اليتيمة ج ١ ص ٢٤ ووفيات الأعيان طبع الميمنية ج ١ ص ٣٦٥

كان فيها عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة وغيره» . وكان معنياً أيضاً بجمع الأطالس والآلات الفلكية، فقد ذكر الأستاذ أحمد تيمور باشا أن فى دار الكتب المصرية نسخة مصورة من أطلس قيم ينتظم أشكال الكواكب وأطوالها وهى مما ألف للأمير العالم سيف الدولة بن حمدان(١) . وكان يستكثر من الحكماء والأطباء والفلاسفة ويقربهم من مجلسه ويشجعهم على التأليف والترجمة ونشر العلم . . . قالوا : وكان إذا أكل الطعام وقف على مائدته أربعة وعشرون طبيباً ، وكان فيهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين ، ومنهم من يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم . وفى دائرة المعارف الإسلامية : « أن الفضل الذى ناله سيف الدولة بنشر العلم والأدب واللغة لهو مجد عظيم لا يقل عن مجده فى أعمال السياسة والحروب(٢) »

وأما عطاياه التى كان يغدق على أهل العلم والأدب فحدث عنها ما شئت . وقالوا : إنه صنع دنانير خاصة للهبات والعطايا زنة كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وكان على هذه الدنانير اسمه وصورته(٣)

وقد عقد الثعالبى فصلاً فى انفجار ينابيع جوده على الشعراء . قال أبو الحسن الهمدانى : كنت واقفاً فى السماطين بين يدى سيف الدولة بحلب والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابى رث الهيئة فاستأذن الحجاب فى الإنشاد فأذنوا له فأنشد :

أنت علىٌّ وهـــذه حلب قد نفد الزاد وانتهى الطلبُ
بهذه تفخر البـــلاد وبالأ مير تزهى على الورى العربُ
وعبدُك الدهرُ قد أضرَّ بنا إليك من جور عبدك الهربُ

فقال سيف الدولة : أحسنت ، ولله أنت ، وأمر له بمائتى دينار(٤) . ومن هذا الإسراف والعطاء بلا حساب مارواه صاحب اليتيمة من أن أبا فراس كان يوماً بين يدى سيف الدولة فى نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة : أيكم يجيز قولى وليس له إلا سيدى (يعنى أبا فراس)

لك جسمى تعُله فدَمِى لِمْ تحِله
لك من قلبى المكا نُ فَلِمْ لاَ تحُله

فارتجل أبو فراس

أنا إن كنت مالكا فلى الأمر كله

فاستحسنه سيف الدولة وأعطاه ضيعة بمنبج تغل ألفى دينار(١) وقصص ينابيع جوده على الشعر أكثر من أن تحصر فقد كان يغدق على من يقصدونه المال الجسيم ويبعث إليهم بالثياب والماشية والوصفاء(٢) .

كان من نتيجة هذا العطاء الراجح واليد الطولى أن اجتمع لدى أمير حلب جمهرة من العلماء الفحول أمثال : ابن نباتة ، وابن خالويه ، والفارابى ، وأبى على الفارسى ، وكشاجم ، والخالديين أبى بكر وأبى عثمان ، والصنوبرى ، والمتنبى ، والوأواء ، والببغاء ، والناشئ ، والنامى أبى الحسن المصيصى ، وأبى الطيب اللغوى ، والسرى الرفاء ، وأحمد البازيار ، وأبى فراس ، وعلى بن عبد الملك القاضى ، وأبى سلامة القاضى ، والطبيب عيسى الرق ... وغيرهم من رجال الأدب والعلم الذين سنقف عند كل منهم وقفة نبين فيها آثاره من علم وأدب إن شاء الله

لم تقف حركة سيف الدولة الأدبية والعلمية على الشام فحسب بل تمدته إلى العراق وفارس ، فهذا أبو الفرج الأصفهانى يأتيه من العراق ، فيستظل بظله الوارف ، ويفيد من عطاياه حين يقدم إليه أول نسخة من كتابه الفريد . وهذا أبو الفرج عبد الواحد الببغاء يأتيه من نصيبين فيصيب عنده مالاً وجاهاً(٣)

وممن أفادوا من رعايته من شعراء بغداد ابن نباتة السعدى ، وله فى سيف الدولة شعر رائق جزاه عليه أفضل الجزاء(٤) . ومن أدباء فارس أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى(٥) . وكان يقول : « ما فتق قلبى ، وصقل ذهنى ، وأرهف حد لسانى ، وبلغ بى هذا المبلغ إلا تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية التى علقت بحفظى وامتزجت بأجزاء نفسى ، وغصن الشباب رطيب ورداء الحداثة قشيب(٦) » ونحن إذا رحنا نتتبع الفضلاء الذين أموا حلب وأفادوا من سيدها وأميرها وعالمها فى القرن الرابع للهجرة ذكرنا العدد الجم مما لا مجال لسرد طرف منه فى مقال كهذا

ظلت بقايا هذه الحركة الحمدانية فى حلب بعد أن انقرضت دولة بنى حمدان ؛ فنحن نجد فى القرن الخامس للهجرة

---

(١) مجلة الهلال سنة ٢٨ جـ ٤
(٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة سيف الدولة جـ ٢ ص ٣٦٥
(٣) اليتيمة جـ ١ ، ص ١٥
(٤) اليتيمة جـ ١ ص ١٥ — ١٦ وابن خلكان جـ ١ ص ٣٦٥

(١) اليتيمة جـ ١ ص ١٥
(٢) أنظر نبذاً من هذا فى اليتيمة من ص ١٤ إلى ص ١٨
(٣) اليتيمة ج ١ ص ٢٠٠
(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٣٥٧ فما بعدها
(٥) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٩٢ (٦) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٠

سيجموند فرويد

العالم النفسانى الكبير

للأستاذ صديق شيبوب

— ١ —

كانت هذه الحرب القائمة فى شهرها الأول عندما حملت أنباء البرق نبى العالم النفسانى الكبير « سيجموند فرويد » الذى أثار فى حياته حرباً كلامية وقلمية لا تقل عنفاً عن حروب المدافع والقنابل ، وأحدث فى علمى الطب والنفس ثورة وانقلاباً لا يقل مداها عما تحدثه المدافع والقنابل فى طبيعة الأرض وما تخلفه الحروب من تغيير فى أحوال البلدان وطبيعة العمران ونفس الإنسان

ذلك هو « فرويد » الذى توفى فى ليلة الأحد الرابع والعشرين من شهر سبتمبر من السنة الماضية ، أى منذ عام تقريباً ، فى منزله بهامستيد بانكلترا عن ثلاثه وثمانين عاماً قضاها فى خدمة العلم باحثاً منقباً ، خالقاً مبدعاً ، لا تثنيه عن عمله هجمات مناوئيه ، ولا تشغله عن أغراضه أمور الدنيا ومشاكل العالم ، مخلصاً لفكرته ، معالجاً لأبحاثه ، ساعياً وراء غاياته ، حتى ركز علماً قائماً على التحليل النفسى وعلاقته بالغريزة الجنسية ، وأحدث حدثاً لم يقتصر أثره على الطب ومعالجة الأمراض العصبية وعلى علم النفس وتداخل الغريزة الجنسية فيه ، بل تعداهما إلى الفنون والأدب .

ولد « سيجموند فرويد » بمدينة « فريبرج » الصغيرة بالنمسا فى ٦ أغسطس سنة ١٨٥٦ وتلقى فيها التعلم الابتدائى ثم انتقل إلى فينا ودخل جامعتها ودرس الطب فيها ، بينما كان يشعر فى قرارة نفسه بزهد فى هذا العلم . وقد كان صريحاً حين كتب متحدثاً عن نفسه : « لم أشعر فى طور الشباب وبعده بميل خاص لمهنة الطبيب أو مركز الطبيب من المجتمع . » ثم أضاف إلى هذا قوله : « على أنه كان يحركنى نوع من الظمأ للمعرفة يتجه خاصة إلى الصلات الإنسانية أكثر منه إلى الأشياء

ـ على اضطرابه السياسى والاجتماعى ـ حركة علمية قوية أفاد منها أبناء الشام كافة . وليس أدل على ذلك مما حفظه لنا أبو عبد الله الكاتب الأصبهانى فى « خريدة القصر وجريدة أهل العصر[1] » من الشعراء والأدباء الحلبيين والشاميين فى القرن الخامس ممن لم نسمع بذكرهم ولا يعرف عنهم الأدباء المعاصرون شيئاً[2] ، فإن نظرة واحدة إلى ما احتواه هذا السفر القيم من تراجم الأدباء الشاميين تؤيد ما نريد الذهاب إليه من أن الحركة الأدبية التى قام بها سيف الدولة ظلت تنتج حتى أواخر القرن الخامس . وممن أفاد من هذه الحركة أبو العلاء المعرى ، فقد ذكر ابن العديم المؤرخ الحلبى فى رسالته (الإنصاف والتحرى[3]) أن أبا العلاء بعد أن تلقى العلم واللغة والنحو بمعرة النعمان على والده ... دخل وهو صبى إلى حلب ، فقرأ بها على محمد بن عبد الله بن سعد النحوى راوية أبى الطيب المتنبى وعلى أبى بكر محمد بن مسعود النحوى . . . وممن أفاد من هذه الحركة أيضاً ثابت بن أسلم الشيعى قيم خزانة حلب وكان من كبار النحاة والقراء[1] ، ومنهم على بن منصور بن طالب المعروف بابن القارح وهو الذى كتب إلى أبى العلاء رسالته المشهورة فأجابه أبو العلاء برسالة الغفران[2]

أما بعد فهذه صفحة من صفحات تاريخ حلب الأدبية الخالدة التى خلفها ابن حمدان فرفع اسم حلب عالياً وخلده فى سجل الأدب العربى ، وما يضير ابن حمدان أن يأخذ عليه بعض المؤرخين أنه كان جائراً على رعيته فإنه ما كان يجور عليها إلا ليحارب العدو بأموالها أو لينفقها فى سبيل تعليمها وتأديبها .

محمد أسعد طلس

(١) من هذا الكتاب بضعة أجزاء فى المكتبة الوطنية بباريس

(٢) كنت عزمت وأنا فى باريس على تصوير القطعة الخاصة من الخريدة بشعراء حلب ودمشق بمشاركة شاعر الشام الصديق العلامة خليل مردم بك ولكن الظروف الحاضرة حالت دون ذلك ، والله المسئول أن يسهل لنا هذا بعد أن تزول السحابة السوداء الحالية

(٣) هذه الرسالة فى ٤٦ صحيفة نشرها بكاملها محمد راغب الطباخ فى الجزء ٤ ج ٧٨ من تاريخ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء والرسالة مملوءة بالتحريف حرية بأن يعاد نشرها مضبوطة مصححة

(١) أنظر أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٩٨

(٢) أنظر المصدر السابق ج ٤ ص ١٩٨ فما بعدها

الطبيعية . » وإذا عرفنا أنه ليس في علم الطب مادة تمرف بالصلات الإنسانية فهمنا كيف وصف نفسه بأنه كان يؤدى واجباته في الأبحاث الجامعية « في كثير من الإهمال » وكيف وجه دروسه في الوقت نفسه إلى اتجاهات أخرى . على أنه بالرغم من هذا التقصير وذلك الزهد فاز بشهادة الطب سنة ١٨٨١ ، وكان في مؤخرة الناجحين

لم تكن مهنة الطب لتغرى ذلك الطبيب الشاب بالرغم من فقره وحاجته إلى دخل يعيش به . فدفعه ميله إلى علم النفس إلى التخصص في مادة تتصل بهذا العلم وهى تشريح المخ والتحليل النفسي عامة ، لأن الطب لم يكن قد قرر أن لكل فرد حالة نفسية يجب فحصها ودرسها على حدة ، وهو ما استحدثه فيه « فرويد »

وقد تتلمذ فيما تخصص له على أستاذين اشتهرا بعلم التشريح وهما « بروك » و « مينير » فلم يلبثا أن لمسا في الطالب ميلاً طبيعياً إلى الاستكشاف المبدع

نال « فرويد » سنة ١٨٨٥ درجة (أجريجاسيون) في علم الأعصاب ، وهى درجة يحسد عليها لأنها تدر عليه المال الوفير ، ولكنه عندما أخذ يعالج مرضاه برزت فيه ميزة خاصة لازمته طول حياته وهى طول المراقبة وإنعام الفكر في الأسباب والنتائج

كان يعرف أن الأساليب التى كان أطباء (فينا) يتبعونها في معالجة المصابين بالأمراض العصبية غير ناجعة ولا شافية ، وكان قد بلغه كيف طرد شر طردة من عاصمة بلاد النمسا « فرانز أنطون ميسمر » حين شاء أن يدخل التنويم المناطيسى على الطب ، فضاق فرويد ذرعاً بحالته ولم يجد له وسيلة ليتخلص بها من سيطرة أساتذة الجامعة على الأطباء عامة

في تلك الحقبة من عمره بلغه أن بباريس طبيباً يعالج الأمراض العصبية والنفسية على طريقة تختلف تمام الاختلاف عن طريقة الأطباء النمساويين ، وهو « شاركو » المتخصص في علم تشريح الدماغ ، وأنه يقوم بتجاريب عجيبة بوساطة ذلك الفن المستحدث الممقوت في بلاده ، وهو التنويم المناطيسى . فسعى « فرويد » حتى حصل على إعانة من الحكومة تساعده على السفر إلى باريس . وقد سافر فعلاً في سنة ١٨٨٦ فوجد فيها جواً غير الجو الذى ألفه من قبل ؛ وطالع كتاب الطبيب الفرنسى الكبير المسمى « الإيمان الشافى » فعرف الوسائل التى يدرس مؤلفه بواسطتها الحالات النفسية التى أحاطت بالعجائب التى دونها كتب الدين والتى كان الطب ينفيها إلى ذلك العهد

شهد « فرويد » لأول مرة في حياته طبيباً يأبى أن يرى في (الهستريا) مرضاً يصطنعه العليل أو يتظاهر به ، كما كان يقرر أطباء النمسا ، ويعترف بأنها مرض نفسى ، بل لعله أجدر أنواع هذا المرض بالعناية والاهتمام ، ويدلل على أنه نتيجة اضطرابات داخلية يجب أن تكون لها أسباب نفسية . وقد برهن « شاركو » في محاضراته على أنه يستطاع شفاء هؤلاء المرضى بالإيحاء في حالات تنويمهم مناطيسياً لأن علتهم خاضعة للارادة وليست ظاهرة جسمية

تأثر « فرويد » بما طالع وسمع وشاهد ، وعرف أن بباريس من يعترف بأنه في معالجة الأمراض العصبية ، لا يجب أن يحسب حساب الأسباب الناتجة عن الطبيعة فقط ، بل الناتجة عن النفس وما وراء النفس أيضاً

وعرف « شاركو » قدر تلميذه كما عرفه من قبل أساطين الطب النمساوى فقربه إليه ، وصيره من أخصائه ، ورغب إليه في نقل كتبه إلى الألمانية

أقام «فرويد» بباريس شهوراً معدودة ، ثم عاد إلى وطنه ؛ وكان يشعر أن « شاركو » يسلك في علمه طريقاً غير الطريق السوى الذى يحلم به ، لأن «شاركو» كان لا يزال يعنى بالجسم ولا يتوجه تماماً إلى ما يجب أن يتوجه إليه من الناحية النفسية . على أن هذه الشهور التى قضاها بباريس أذكت في نفس الطبيب الشاب إرادة حملته على التحرر من الماضى ، وشجاعة دفعت به إلى السير في النهج العلمى الذى اختطه لنفسه

قدم « فرويد » إلى الجامعة ، بعد عودته من باريس ، تقريره عن الدروس التى شهدها والعلوم التى استفادها والنتائج التى انتهى إليها . فابتسم أساتذتها عندما طالعوا فيه أن في الإمكان استحداث عوارض الهستيريا في الجسم العليل ، وضحكوا عندما انتهوا إلى أن هذا الداء يصيب الرجال أيضاً . وكان هؤلاء الأساتذة يعطفون عليه في أول أمره ، ولكنهم أخذوا يزدرونه عندما رأوه يمعن في آرائه ولا يحيد عنها . فأقفلوا في وجهه باب الجامعة ، ومحوه

عن جمعية الأطباء ، فلم يفز بكرسى مدرس فوق العادة إلا بعد لأى ، وبعد أن توسطت له مريضة سرية من اللواتى عالجهن ، وكانت ذات نفوذ فعال . وقد ظل طيلة حياته أستاذاً ملحقاً غير أصيل . وعندما احتفل ببلوغ السبعين من عمره لم تمن جمعية الأطباء بتهنئته

على أن هذا جميعه لم يفل من عزيمة « فرويد » ولم يحط من جهوده ، فقد أكب على العمل منذ صباه جاداً مجتهداً وعاش حياته كلها على وتيرة واحدة

أقام «فرويد» أكثر من سبعين سنة بمدينة فينا لا يغادرها؛ وقد رحل عنها بعد أن اضطر إلى ذلك اضطراراً عندما ضمت ألمانيا النمسا إليها وفرض النازيون فى هذه البلاد قوانينهم الجائرة على اليهود ، وقد كان يهودياً ، فكان من الأفراد القلائل الذين أجيز لهم مهاجرة النمسا وأخذ ما يكفيهم حاجتهم فى الحياة

وقد سكن ، أثناء إقامته بفينا ، أربعين سنة فى منزل واحد لم ينتقل منه إلى غيره ولم يبدل فى أقسامه وأثاثه ؛ فهنا مكتبته وهناك عيادته التى يستقبل فيها مرضاه ، وهذا مجلسه للمطالعة ، وذاك مكتبه للكتابة والتأليف

وبالرغم من أنه رب عائلة ، ووالد ستة أولاد ، فقد كان يقوم بعمله بنفسه لا يحتاج فيه إلى مساعد ، ولا يعرف شهوة غير شهوة العمل والمهنة

لم يضيع لحظة من وقته الثمين سعياً وراء مظاهر باطلة وطلباً لألقاب زائلة . وقد كانت آلاف الأسابيع التى تألفت منها حياته تتتابع متشابهة مماثلة فى دائرة العمل والاجتهاد ، ولا يستثنى منها غير المحاضرات التى كان يلقيها بالجامعة فى كل أسبوع من شهور التعليم ، وغير مأدبة ثقافية على الطريقة السقراطية كانت تجمع طلبته حوله فى مساء كل يوم أربعاء ، وغير اشتراكه فى لعب الورق بعد ظهر كل يوم سبت

أما فيما عدا هذه الساعات القلائل فقد كانت كل دقيقة محسوبة عليه يستعملها فى معالجة المرضى أو المطالعة أو الكتابة أو الأبحاث العلمية . وكان هـذا الرجل الجبار يكتفى بساعات معدودة للراحة والاستجمام ينام فيها نوماً عميقاً ثم يقبل بعدها على العمل بكل ما فيه من حيوية هائلة وإرادة قوية

كان « فرويد » يعمل نهاراً فى عيادته فيستقبل عشرة مرضى أو أكثر ، ويدرس حالة كل واحد منهم فاحصاً مدققاً مكتنزاً فى ذاكرته كل مظهر من مظاهر عللهم، فإذا أقبل الليل انقطع إلى عمله الخالق المبدع القائم على تدوين النتائج التى انتهى إليها مما شاهده فى النهار

ولا شك أن هذا النشاط العجيب يحتاج صاحبه إلى صحة قوية وجسم سليم . وقد كان « فرويد » كذلك . فهو لم يعرف المرض فى سنى حياته الطويلة ، ولم يشعر بتعب أوونى ، ولم تفتر همته ولا ضعفت أعصابه أو تلاشت قدرته على العمل

وقد أخذ نفسه فى حياته العقلية بالصرامة التى أخذها بها فى حياته العادية حتى صار مبدأه الوضوح فى أعمال الرأى والتفكير والعمل ، وصار التحليل غريزة فى نفسه لا يستطيع الانفكاك منها

كان لا يهتدى فى تفكيره بغير آرائه الخاصة؛ لذلك كان إذا عرض له أمر ولم يتبين له تفسير يرضى به عقله أبى أن يتخذ من رأى غيره تُكأة للوصول إلى غايته ، وظل يبحث ويدقق ويفكر حتى يبلغ قصده

كان قاسياً فى تصرفاته ، عنيفاً فى جدله ، صارماً فى أوامره ، دقيقاً فى تحليله ، جلداً فى البحث عن الحقيقة ، حـذراً من أن يخطئ فى هذا البحث ، لذلك لم تكن آراؤه مرتجلة وليدة الحدس أو الصدفة . فقد كان يدير الفكرة فى نفسه سنين حتى إذا ثبت له أنها صحيحة أبرزها فى جرأة وحرية . وقد صدق من وصفه بأنه كان بطيئاً فى الوصول إلى الحقيقة، ولـكنه إذا استقر على رأى صار من الصعب نقضه .

(البحث صلة)

صديق شيبوب

عراك في معترك ...

أي معـــترك !

للأستاذ زكي طليمات

(بقية المنشور في العدد ٣٧٨)

بعد هذا التمهيد ننزل إلى مناقشة الأستاذ متولي ، وإن كنا في غنى عن ذلك

يدعي الأستاذ، حفظه الله، أن بشر فارس في مقدمة مسرحيته « أراد أن يفسر الفنون الرمزية فطمسها » . وحجته في ذلك كما يقول : « أن بشر فارس يحدثنا في مقدمته بالنزوع الصوفي ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التي تفيض عن المخيلة والشعور ، والرمزية الفنية التي تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلي ، كما يقول (ريبو) في كتابه (المخيلة الخلاقة) » وهكذا يقرر متولي أن بشر يخلط بين ألوان الرمزية !

وقد رجعنا إلى هـذا الكتاب وتتبعنا ما ذهب إليه متولي فوجدنا — ويا للعجب — أن كلام (ريبو) لا ينطبق على ما عناه متولي بالرمزية الفنية ، بل هو كلام ينطبق على الرمزية الصوفية إذا اتجهت نحو ما وراء الطبيعة. وإلى القارئ نص (ريبو) كما ورد في كتابه المذكور المطبوع في باريس صفحة ١٩٦ :

"Orienté dans le sens religieux, le symbolisme mystique suppose deux éléments principaux; l'imagination et le sentiment. Orienté dans le sens métaphysique (ou philosophique), il suppose l'imagination et un élément rationnel assez faible."

وترجمة هذا : « إن الرمزية الصوفية في اتجاهها إلى الدين تعتمد على عنصرين أساسيين ، هما المخيلة والشعور . فإذا ما اتجهت إلى الفلسفة أو ما وراء الطبيعة ، فإنها تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلي واهن »

وعليه فالأستاذ متولي هو الذي يخلط خلطاً صريحاً بين (الرمزية الفنية) وبين (رمزية ما وراء الطبيعة) ، على ما في كلام (ريبو) من الوضوح !

وقد تحدث (ريبو) عن هذه (الرمزية الفنية) في غير هذا المقام[1] ، وذلك عند معالجته الرمزية في الأدب ، أو بعبارة أخرى ، عند حديثه عن المخيلة الخاصة بطريقة الأدباء الرمزيين في أواخر القرن التاسع عشر ، وهي مخيلة تقوم على قوة العاطفة والانفعال .

***

ونعت تعسف آخر : يقول الأستاذ متولي ، مستنداً إلى (ريبو) أيضاً : « إن الرمز في الفن هو أن يفقد بعض الألفاظ استعماله المعقول المعروف ليدل على معنى جديد » ، وعلى ذلك فتولي يخطئ بشر فارس إذ يقول في مقدمة مسرحيته: إن الرمز الذي بنيت عليه المسرحية « بعيد أن يكون لوناً من التشبيه أو الكناية إلى غير ذلك من ضروب المجاز بل هو صورة ، أو قل سرب صور ينتزعها النشئ من المبذول »

ونحن لا نعرف وجهاً لهذه التخطئة إلا أن يكون كلام بشر خارجاً عما يفهمه متولي من الرمزية . ويؤسفنا أن نذكر متولي بحقيقة كان يجب ألا تغيب عن ذهنه ، وهي أن بشر فارس حر في أن ينحو النحو الذي يوافق هوى نفسه من ألوان الرمزية المستحدثة ، وأن يعرض عن (ريبو) . ويؤسفنا أيضاً أن نقول لمتولي ، إن الرمز عند (ريبو) ـ وذلك في حدود الجملة السابقة لا يخرج عن (المجاز) ، إذ المجاز عندنا (هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة) ، ومن ذلك ما يعرف في باب (الكناية) بالرمز ، وهو الكناية التي قلّت الوسائط فيها وخفيت

وغريب ألا يفطن متولي إلى هـذا ، لا سيما بعد أن نبه بشر فارس إلى ابتعاد طريقته عن مثل هذا الرمز ، فأورد في (مقدمته) : « إن مسرحيته مجراة على الطريقة الرمزية إذا شئت » ، ثم وضع بشر بعد ذلك فصلاً في هذه المجلة شرح فيه لم قال « إذا شئت » ، فدلّ على أن الرمزية التي انساق إليها وارتاح ، هي شيء بين (التأثرية) و (التعبيرية) ، وقوامها الحياة الباطنة ، واعتمادها الاضطراب الدفين ! ...

***

من هذه المآخذ المتسقة في نقد مقدمة المسرحية ، انساب الأستاذ بقلمه إلى المسرحية نفسها متسائلاً « ما قيمتها كقطعة رمزية ؟ » وسرعان ما أفتى بعد ذلك ، وبلسان (ريبو) ، فقال « إن ريبو فيلسوفنا نفسه يقرر أن الرمزية تستخف بتمثيل العالم الخارجي تمثيلاً صادقاً ... فإذا الناس والأشياء لا تنطبع بزمان أو مكان ... وقد تمعن في الإبهام فتقول هو ـ أو ـ هي ـ أو ـ

(١) نفس الكتاب ص ١٦٩ — ١٧١

أحدهم » ، فهل هذا مستوفى فى مسرحية بشر فارس بعد أن أسمى بطلة مسرحيته (سميرة) ، وبعد أن حدد المكان الذى جرت فيه حوادث المسرحية وهو مصر ؟

وجوابنا على هذا :

١ — أن (ريبو) قال « وقد تمن » ، و« قد » هنا للتقليل ، وكان أن رجعنا بدورنا إلى النص الفرنسى فوجدنا أن « قد » هذه تساوى كلمة « Quelquefois » أى أن الإمعان فى الإبهام ليس أمراً لازماً

٢ — لو أحسن الأستاذ متولى استيعاب التبيين الذى عمله بشر عن شخوص مسرحيته فى النسخة المطبوعة لأحجم عن هذا المأخذ ؛ فقد جاء فى ذلك التبيين أن (هو) — أى بطل المسرحية — عنوان الإنسان العادى المنشأ فى حلقة المواضعات الاجتماعية » أما (سميرة) ، فقد بيّن المؤلف فى نفس التبيين أنها امرأة معينة . فمن المعقول أن يكون البطل (هو) لأنه عنوان لفئة غالبة من الرجال فى مصر ، وأن تكون (سميرة) ـ سميرة ـ لا (هى) ، لأنها ليست عنواناً لفئة خاصة

٣ — أن الأستاذ متولى أشكل عليه الأمر بين لون الرمزية عند (ريبو) وبين لونها عند بشر فارس ، وأنه يعتبر رمزية (ريبو) هى ما انتهت إليه الرمزية المستحدثة . والأمر غير ذلك، فإن (ريبو) لم يفرض لونه فى الرمزية إلا على بعض الكتاب الرمزيين فى أواخر القرن الماضى ، وفى مقدمتهم المؤلف المسرحى (ماتيرنيك) الذى وضع أكثر رواياته قبل عام ١٩٠٠ . فهل يريد الأستاذ متولى ، وقد قطعت الرمزية مراحل بعد (ريبو) ألا يؤلف المعاصرون الذين يعيشون فى عام ١٩٤٠ إلا بحسب نظرية عمرها نصف قرن تقريباً ؟

بعد هذا نقول إنه ليس للأستاذ متولى أن يفرض على مؤلف معاصر وضع مسرحية رمزية وفاقاً لحرجات نظرية فلسفية سجلت عام ١٩٠٠ ، وهو العهد الذى كان الأدب الرمزى فيه لم يتخط طوره الأول . وإنه لا يجمل بالأستاذ متولى — وهو ماجستير فى الفلسفة — أن يقف علمه بالرمزية وعلم النفس عند ما كتبه العلماء فى القرن الماضى ، فالعلم يتقدم ، والنظريات تتحور ، وإلا فما قيمة ما كتبه (بيرجسون) و (وليم جيمس) ، وهما العلمان البارزان فى عالم الفلسفة المعاصرة ، وما نفع مسايرة الأدب للعلم فى تقدمه وفى مستحدثاته ؟

زكى طليمات

قداســة النقــد

لبرنارد شو

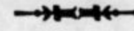
لا يمكن للحضارة أن تتقدم بلا نقد ، ولذلك يجب أن تنقذ نفسها من الركود والتعفن بأن تملن براءة النقد، ولكن هذه البراءة لا تكون للآراء الطريفة اللذيذة ، أو الحكيمة المحترمة فقط ، بل أيضاً للآراء التى تصدم من لم يألفوا النقد وتبدو لهم كأنها داعرة أو ثورية أو تدعو إلى الزندقة والكفر ؛ ولمن يدافع عن إبليس فى حق البقاء إذ لعله يكون بشيراً للمستقبل . وهناك صعوبة فى التمييز بين الناقد والمتوه والمجرم، وكذلك بين حرية القول وحرية العمل . فقد يكون من الضرورات الحيوية اللازمة للأمة أن تجيز لأحد الأشخاص الدفاع عن العرى ، ولكن قد لا يكون من الصواب أن تترك هذا الشخص يسير وهو عريان فى شارع كبير فى لندن. وكذلك الحال فى كارل ماركس ، فإنه كان مقدساً حين كان يكتب ويؤلف فى الاشتراكية فى قاعة التحف البريطانى. ولكن لو أن كارل ماركس هذا رفض أن يؤدى أجرة منزله لصاحبه، وأرسلها بدلاً من ذلك إلى وزير المالية ، وقتل وكلاء المالك الذين جاءوا لتحصيل الأجرة، أو أطلق الرصاص على المحضرين الذين جاءوا التوقيع الحجز على أثاثه أو إخراجه من المنزل ، لما استطاع أن يدفع عن نفسه حكم الإعدام بالشنق بدعوى حرية النقد . ومعنى هذا أنه لا يمكن للقاضى أن يأذن للناقد بالعمل وفق نقده إلا إذا غير القانون . ونحن ناقصون فى التربية الدينية نقصاً خطراً حتى إن كثيراً منا يحسبون أن لهم الحق المطلق فى تغيير أخلاق الأمة لمجرد أنهم هم غيروا آراءهم. ومن الناس من لا يفهمون غير المعنى الغامض للاشتراكية ويعتقدون أنها تعنى حالاً من الاجتماع ينزل فيه كل إنسان عن كل ما يملك لكل إنسان آخر . ويسألوننى من وقت لآخر لماذا لا أنزل عن ممتلكاتى وأعيش فى فقر ما دمت اشتراكياً ؟ ومن الناس من يتخيلون أن الاشتراكيين يجب ألا يقتنوا السيارات. وقد أوشك بعض هؤلاء أن ينجحوا فى أن يجعلوا اقتناء رئيس الوزارة لسيارة خاصة من المسائل العامة التى تستدعى البحث والمناقشة ، وذلك حين كان المستر مكدونالد اشتراكياً . ولو أن هؤلاء المتوهون أدركوا حق الإدراك ما يقولونه لعرفوا أنهم مخطئون حين يفرضون أن الناقد الذى يكره النظام القائم يمكنه أو يجب عليه أن يعيش كما لو كان يعيش فى طوباه ، أى فى النظام الخيالى الذى يتخيله . وذلك أن كل ما يمكنه أن يحسب شاذاً فى بعض سلوكه الذى تتسامح فيه الهيئة الاجتماعية .

اسكندر البطرسى

الليـــل ...

[مهداة إلى الأستاذ الزيات ...]

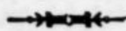
للأستاذ أنور العطار



هَذَا هُوَ اللَّيْلُ الدَّجِيُّ الإِطَارْ … قد احتوى الشمس وضمّ النهارْ
أَلْقَى وِشَاحاً حَافِلاً بِالرُّؤَى … عَلَيْهِ مِنْ سِحْرِ الدَّرَارِي نِثَارْ
طَفَتْ عَلَيْهِ صُوَرٌ حُلْوَةٌ … مَنْسُوجَةٌ مِنْ أَلَقٍ وَافْتِرَارْ
تَلأْلأَتْ أَنْجُمُهُ بِالسَّنَا … وَرُصِّعَتْ أَفْلاَكُهُ بِالنُّضَارْ
وَهَبَّ مَلْكُ اللَّيْلِ يُغْرِي الرُّبَا … وَيَفْتِنُ النَّهْرَ وَيُصْبِي الدِّيَارْ
وَزَوْرَقُ الأَحْلاَمِ فِي زَهْوِهِ … حَامَ عَلَى عَذْبِ مُنَاهُ وَدَارْ
تَحْمِلُهُ الْمَوْجَةُ ثَرْثَارَةً … مُنْشِدَةً فِي صُعُدٍ وَانْحِدَارْ
وَالشَّطُّ مَغْمُورٌ بِأَصْدَائِهَا … مَشَّى عَلَيْهِ خَشْيَةٌ وَانْكِسَارْ
وَالنَّخْلُ مَفْتُونٌ بِلَحْنِ الْهَوَى … مَاجَ بِهِ الشَّوْقُ طَوِيلاً وَمَارْ
يُصْغِي إِلَى الأَنْغَامِ عُلْوِيَّةً … وَمَا غِنَاهُ الْحُبُّ إِلاَّ ابْتِكَارْ
تَوَهَّجَتْ فَحْمَةُ هَذَا الدُّجَى … فَشَاعَ فِي الآفَاقِ مِنْهَا شَرَارْ
يَا حُسْنَهُ مِنْ عَالَمٍ سَاحِرٍ … يُكَتِّمُ النَّجْوَى وَيُخْفِي السِّرَارْ
بَاحَ لَهُ الْقَلْبُ بِأَشْجَانِهِ … وَمَا يُعَانِي مِنْ رَسِيسِ الأُوَارْ
وَالْمُقْلَةُ الْحَمْرَاءُ مِنْ سُهْدِهَا … نَاجَتْهُ لَهْفَى بِدُمُوعٍ غِزَارْ
الأَمَلُ الرَّفَّافُ عَنْهَا انْطَوَى … وَبُلْبُلُ الْحُبِّ تَغَنَّى وَطَارْ
السَّامِرُ انْفَضَّ بِآلاَفِهِ … وَغَابَ فِي حُلْمٍ شَهِيِّ الْقَرَارْ
وَالرَّكْبُ أَغْفَى بَعْدَ طُولِ السُّرَى … وَلَمْ يَعُدْ يُلْمَحُ فِي الأَرْضِ سَارْ
وَنَامَتِ الأَدْوُرُ حَتَّى الْكَرَى … جَلَّلَهَا النَّوْمُ بِضَافِي الدِّثَارْ
يَا هَاجِرِي لَمْ تَكْتَحِلْ مُقْلَتِي … بِالْغُمْضِ مُذْ غِبْتَ وَشَطَّ الْمَزَارْ
الْقَلْبُ مِنْ بَعْدِكَ مِلْكُ الْجَوَى … مُعَذَّبٌ مُخْتَطَفٌ مُسْتَطَارْ
حَذِرْتُ أَنْ نُرْمَى بِسَهْمِ النَّوَى … فَلَمْ يُفِدْ إِلاَّ الرَّزَايَا الْحِذَارْ
وَحَظُّنَا الْعَاثِرُ أَوْدَى بِنَا … وَمَا يُرَجَّى أَنْ يُقَالَ الْعِثَارْ
هَلْ غَشِيَتْنَا عَادِيَاتُ الرَّدَى … أَمْ هَلْ بَغَى الدَّهْرُ عَلَيْنَا وَجَارْ
أَظَلُّ حَيْرَانَ أُنَاجِي الْمُنَى … كَأَنَّنِي فِي غَمَرَاتِ الْعُقَارْ
أَذْكُرُ الْعَهْدَ فَأَبْكِي أَسًى … وَمَا حَيَاةُ الْقَلْبِ إِلاَّ ادِّكَارْ
اللَّيْلُ ذُو الأَنْجُمِ أَفْنَيْتُهُ … مِنْ شِقْوَتِي فِي رِقْبَةٍ وَانْتِظَارْ
وَالسُّهْدُ أَضْنَانِي وَلَوْلاَ الْهَوَى … مَا بِتُّ نَهْبَ الشَّجْوِ رَهْنَ التَّبَارْ
أَقْتَاتُ بِالْوَهْمِ الَّذِي مَضَّنِي … وَلَمْ يَدَعْ لِلرُّوحِ إِلاَّ الْبَوَارْ
يَا هَاجِرِي أَوْسَعْتَنِي حَسْرَةً … قَلْبِي مُعَنًّى وَالْجَوَى مُسْتَثَارْ
أَعِيشُ لِلْبَلْوَى وَمُرِّ الضَّنَى … فِي نَاظِرِي جَمْرٌ وَفِي الصَّدْرِ نَارْ
يَشُوقُنِي الْحُبُّ وَأَوْجَاعُهُ … وَمَا حَوَى مِنْ قَلَقٍ أَوْ إِسَارْ
وَأَنْتَشِي مِنْ ذِكْرَيَاتِ الْهَوَى … كَأَنَّمَا تِلْكَ الأَمَانِي خُمَارْ
يَا هَاجِرِي لَمْ تَرْعَ عَهْدَ الْهَوَى … أَسْرَفْتَ فِي الصَّدِّ وَزِدْتَ النِّفَارْ
أَفِقْ تَجِدْنِي سَاهِماً سَاهِداً … لَيْسَ لِهَذِي الرُّوحِ عَنْكَ اصْطِبَارْ
وَتَلْمِسِ الشَّوْقَ الَّذِي شَفَّنِي … مُحْتَدِماً فِي لَهَبٍ وَاسْتِعَارْ
أَوْجَعَ قَلْبِي وَأَثَارَ الْجَوَى … وَهَاجَ مِنِّي الْحَسَرَاتِ الْحِرَارْ
... ...
الأُفْقُ مَحْجُوبٌ بِسُحْبِ الدُّجَى … وَالْكَوْنُ مَسْدُولٌ عَلَيْهِ سِتَارْ

عينـــاك ...

للأستاذ خليل شيبوب



أَسْكَرَتْنِي عَيْنَاكِ إِذْ سَقَتَانِي … خَمْرَةَ اللَّحْظِ أَيْنَ مِنْهَا الْحُمَيَّا
نَبَتَتْ فِي عَيْنَيَّ عَيْنَاكِ حَتَّى … أَصْبَحَ اللَّحْظُ مِنْهُمَا لِي رَئِيَّا(١)
وَهُمَا زَهْرَتَا حَيَاتِي وَنَجْمَا … عُمُرِي وَالْهَوَى مَلِيًّا مَلِيَّا
وَهُمَا لِي مِرْآةُ عَيْنَيَّ يَبْدُو … فِيهِمَا لِي مَرْأَى الْحَيَاةِ جَلِيَّا
أَيْنَمَا سِرْتُ قَابَلَتْنِيَ عَيْنَاكِ … هُدًى لِي وَاسْتَهْوَتَا عَيْنَيَّا
فِي غُدُوِّي وَفِي رَوَاحِي وَفِي الْيَقْـ … ـظَةِ وَالْحُلْمِ إِنْ أَنَا نِمْتُ شَيَّا
وَإِذَا مَا قَرَأْتُ طَالَعَتَانِي … فِي كِتَابِي وَاسْتَنْعَصَتَاهُ عَلَيَّا
وَإِذَا مَا شَرِبْتُ كَأْسِي أَرَى فِي الْكَأْ … سِ عَيْنَيْكِ تَنْظُرَانِ إِلَيَّا

(١) الرئى: التابع من الجن

إلى النشيد الهارب!

[مهداة إلى الأخ الحبيب الشاعر النابغة الأستاذ « صالح جودت » عجل الله بشفائه ورده إلينا معافى سالما]

للأستاذ مختار الوكيل

أين أزمعتَ هاربًا يا نشيدى؟ … كيف خلفتنى رهين قيودى
كيف راودتنى بحلمٍ سعيد؟ … ثم أرّقتنى بهمّ شديد؟
كنتَ مَنَّيْتَنِي بِعُشٍّ فريدٍ … مشمسٍ باسمٍ نضير الورود!
أتغنّى فيــه بلحن الخلودِ … فتطيبُ الحياةُ بالتغريد!

أين ما كان بيننا يا نشيدى … من عهودٍ مرعيةٍ ووعود؟
من وفاقٍ وصحبةٍ ووفاء … وصفاء مُنَزَّه ممــدود؟

كنتَ علمتنى صراع الليالى … كنت زوّدتنى بقلبٍ جديد
كنتَ أعليتني على النجمِ غِرِّيــداً، وألهمتني قصيدَ الخلود!
كنت أسلمتَنِي قلوبَ الغوانى … كنت أمتعتني بكل فريد!
كيف خلَّفتنى رهينَ ظلامى؟ … كيف بالله خنتنى يا نشيدى؟

آدميًّا أصبحتُ أمشى ثقيلاً … في قيودٍ خليقةٍ بالعبيــد
سادرًا، أخرسَ الشفاه، حزيناً … غارقاً فى كآبتى وشرودى!
تملأ البسمةُ الشقيّةُ وجهى … وينمُّ الذبول عن تسهيدى!

عُدْ كما كنتَ مُلهِمِي يانشيدى … لا تَدَعْنِي مُكَبَّلاً بقيودى!
عُدْ فما أرتجِي سِوَاكَ صديقاً … ومُعِيناً على الحظوظ السُّودِ!
عُدْ تَعُدْ لى الحياة بعد أفولٍ … وأُغنِّ الأنامَ لحنَ الخلود!

الى الملاح التـــائه

[مهداة إلى الأستاذ على محمود طه]

للسيد أحمد عبد الجبار

أيها التائه فى بحر الحياه … تضرب المجداف يمنى ويسار
خذ بأيدينا إلى شط النجاه … واشدنا لحن كنار وهزار

أترك القارب بين اللج يطفو … وأدر حيزومه نحو النجوم
عله يترك هـذا البحر يغفو … ويُغِذُّ السير فى بحر الغيوم

طفْ بنا فوق البرارى نتملى … حسن هذا الكون من برج السماء
واشــدد الأوتار كيما نتولى … ساحة الأحلام فى صحن الفضاء

خلّ لى التجذيف واشرع بالغنـاء
واسكب الألحان فى صدر النسم
علها تحمـل عنا ذا العناء … وتذيب العطر فى ثغر النعم

أيها الملاح ما هـذى الدُّنا … حل فى أرجائها سم الظلامْ
ململت فيها تراتيـل السنا … وطفت فيها أحابيل الحرام

دع شراع الفلك يحمينا الخنا … واترك المزهر فى أيدى القصيد
لجميل الشعر دارات المنـــا
ينعش السكرى ويحيى من جديد

مر بنا يا فلك نحو المستحيل … وامش ياقارب صوب اللانهايه
فسكون الليل براق جميل … وعيون الله تومى بالهدايه

يا لطير الليل ما هذا المزيج … يا لقلب النجم ما هذا القلق
كل ما فى الكون يسرى فى ضجيج … وضجيج الروح أحلى وأرق

آهة الأقدار فى كاس هوانا … ونعيم الخلد فى بحر الغيوم
غننا يا خل واطرب من غنانا … واشرب الراح على رقص النجوم

ها هو الشاطئ قد طل علينا … وبدا وجه الروابى والفنار
واقفٌ جبريل مشتاق إلينا … وعلى أيكتنا رضوان خار

هذه الحور بأثواب الحبور … شفها الوجد وأضناها الغرام
قادمات نحونا تبدى السرور … فاغضض الطرف وبادر بالسلام

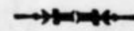
ها هنا جنتنا فارخ الشراعْ … واطوِ هذا القلع فوق الساريه
ودّع البحر فقد آن الوداع … وابق يا ملاح رب القافيه...



تأملات:

بين الكواليس . . .

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



بدأوا يستعدون للموسم التمثيلى الجديد ، وسيكون موسماً حياً بإذن الله ، وستكون بدايته حافلة ببعض الروائع التى طال اشتياقنا إلى أمثالها . فأم كلثوم تعرض فى هـذا الأسبوع « دنانير » ، وهى أوبريت موسيقية ساهم فى تلحينها كل من : زكريا أحمد ، ومحمد القصبجى ، ورياض السنباطى . والفرقة القومية تعرض فى هذا الأسبوع أيضاً « يوم القيامة » ، وهى أوبريت كذلك ، انفرد بتلحينها زكريا أحمد ، ووضع أزجالها بيرم التونسى ، وأخرجها عمر جميعى . وملك تعرض هى أيضاً فى هذا الأسبوع مسرحية بدوية زجلية لبيرم التونسى ، لحنت هى أغانيها وأناشيدها . ونجيب الريحانى مشغول فى هذه الأيام بإعداد روايته الجديدة التى يظن أنه سيستطيع أن يفرغ منها فى هذه الأيام ليبدأ العمل بها فى رمضان ، والتى أظن أنا أنها ستتمطل بين يديه قليلاً أو كثيراً حتى يتم له إخراجها على النحو الذى يرضيه هو تدقيقاً وتنميقاً . ويوسف وهبى قد أعلن عن المسرح الجديد الذى سيحتله هذا العام ، وإن لم يكن قد أعلن عن روايته الجديدة ؛ ولكن يوسف مضمون من حيث محافظته على المواعيد ، فهو يستطيع أن يؤلف رواية فى يوم وأن يخرجها فى يوم ، وأن يطالع بها الجمهور فى اليوم الثالث ، وهو واثق من أن الجمهور سيرضى بها وسيرضى عنه . . .

وقد خطر لى أن أقوم فى هـذا الأسبوع بجولة « بين الكواليس » ، لأرى كيف يهيئ هؤلاء الفنانون عملهم ، فرأيت ، وكما رأيت تذكرت حوادث قد يلذ للقراء أن يطالعوها :

اضربنى يا علام . . .

كان على الأستاذ جورج أبيض أن ينطلق إلى المسرح ساخطاً هائجاً فى موقف من مواقف « عطيل » أو « لويس » لا أذكر . . . وراح الأستاذ جورج يهيج نفسه ويثير فيها ألواناً من الغضب الصناعى يستعين به على الاندماج فى الدور ، ولكن نفسه كانت فى هذه الساعة مملوءة حلماً ووداعة ، فلم تتح له شيئاً من الهياج والغضب اللذين كان يطلبهما . . . فحزن ، وتبادر اليأس إلى نفسه ، وتراخت أعصابه ، وكاد يتسرب من المسرح ويدع الجمهور ويهرب ، لأنه كره أن يخرج إلى الناس بارداً فى موقف يجب أن يكون فيه كالإعصار أو أشد ثورة . . . وبينا هو فى هذا اليأس المتم أبصر بالأستاذ أحمد علام يتبختر بين الأستار منتظراً أن يحين موقفه وأن يناديه مدير المسرح . . . فأسرع الأستاذ جورج إلى الأستاذ علام وقال له بهذه الطفولة الضخمة المتجسدة فيه :

— هيجنى يا علام . . . أغضبنى !

— العفو يا أستاذ !

— لا عفو ، ولا يحزنون ، أريد أن أغضب وأن أثور . . . اضربنى . . .

— لا يصح يا أستاذ . . .

— أرجوك يا علام . . .

— ولكن كيف أضربك يا أستاذ . . .

— هكذا . . .

. . . وهوى الأستاذ جورج بكفه على وجه الأستاذ علام بضربة كاد علام يفقد فيها أضراسه وأسنانه ، وكانت هذه الضربة مفتاح الغضب الذى نشده جورج ، فهاجت عندها أعصابه ، وكانت دخلته إلى المسرح أزفت ، فناداه مدير المسرح فدخل ، ورآه الجمهور هائجاً مائجاً ساخطاً كما يجب أن يكون السخط والغضب فرضى عنه . . .

ولكنهم لم يروا هلاما الصريع الذي كان يتلوى بين الكواليس من الوجع والألم ...

يا حبيبتي يا بنتي

وكان على الأستاذ عزيز عيد أن يخرج على الناس باكياً في مشهد من رواية لا أذكرها هي أيضاً ... والأستاذ عزيز في طبعه صبر متأصل ، ورضى متمكن ؛ ورجل هذا شأنه ، لا يستطيع أن يبكي بسهولة . ولذلك ، فإنه حاول البكاء قبيل مثوله بين أيدي الناس ، فلم يجبه من عينيه دمعة واحدة

فماذا صنع ؟

رأى ابنته عزيزة الصغيرة تلعب مع الممثلين والممثلات ، وتطفر في أرجاء المسرح من هنا إلى هناك ، فجاءته فكرة عجيبة ...

نادى ابنته ... ونادى اثنين من عمال المسرح ، وطلب منهما أن يسرعا فيحضرا له نعشاً كانوا يستعملونه في إحدى الروايات ، فأحضر العاملان النعش ، وطلب عزيز من ابنته أن تنام فيه ، وأن تغمض عينيها وقال لها :

... موتي قليلاً يا ماما ...

وابنته ، أبوها هو ، وأمها فاطمة رشدي ، فالتمثيل يجرى في دمها وأعصابها ... نامت في النعش ، وتماوتت ، بل إنها استطاعت أن تكتم أنفاسها وأن تبعث إلى وجهها صفرة وبرودة ، وأخذ عزيز ينظر إليها وهو يقول لها :

— يا حبيبتي يا بنتي ... الله يرحمك يا بنتي ... أنا مسكين بعدك يا زوزو ...

... انطلق لسانه بهذا ، فسمعته أذناه ، فصدقه عقله ، فأحسه قلبه ، فذرفت الدموع له عيناه ... بكى ، ولم يكن يريد إلا أن يبكي ، ودخل إلى المسرح باكياً كما أراد ...

الرقم القياسي

معروف عند أهل الفن أن الأستاذ نجيب الريحاني هو أشد المخرجين إتعاباً لممثليه ، فهو يكثر من البروفات إكثاراً مضنياً حتى ليحفظ ممثلوه أدوارهم حفظاً عن وجه قلب لا عن ظهر قلب . فالممثل منهم بعد أن تتم بروفات الرواية يجد نفسه قد لبس في حياته الخارجية الدور الجديد الذي عهد إليه به ، ويجد نفسه يحادث أهله وأصدقاءه في البيت والشارع بالجمل والعبارات التي تضمنها دوره ... هذا هو المعروف عند أهل الفن ، ولكن الأستاذ عمر جميعي قد وصل إلى رقم قياسي عال جداً في اهتمامه ببروفات « يوم القيامة » فقد حمل ممثليها من أفراد الفرقة القومية على أن يقوموا بها أكثر من ثلثمائة مرة بدون مبالغة ، وليس ذلك لعجز فيه ولا ضعف ، فقد شهد كثير من الفنانين الذين يعتد برأيهم وعلى رأسهم الأستاذ منسى فهمى بأن كل الروايات التي أخرجها الأستاذ عمر للفرقة القومية كانت أكثر روايات الفرقة القومية نجاحاً وتوفيقاً ... وإنما يفعل عمر ذلك « بيوم القيامة » لأنها فتح جديد في عمل الفرقة القومية، فهي الأوبريت الأولى التي تقدمها الفرقة للجمهور، وقد أنفقت الفرقة على إعدادها أكثر مما أنفقت على أي رواية أخرى ، وهو يشعر بخطورة هذه الأمانة الملقاة على عاتقه ، وهو لذلك يريد ألا تخرج هذه الرواية من بين يديه إلا على أكمل وجه يستطيع تحقيقه ...

ولا ريب أن الله سيكافئه على أمانته وجده هذين

أبو العلاء المعري

أعلن الأستاذ على الكسار يوماً عن رواية البخيل لموليير ، وذكر في الإعلانات أنه ترجمها إلى العربية بنفسه . والأستاذ على الكسار ممثل موهوب من غير شك وإن كان التعليم ينقصه ، فقد فاته حتى أن يلم بالقراءة والكتابة ، وهذا شيء لا يحط من موهبته الفنية

فسأله سائل : كيف جرؤت يا أستاذ « على » على أن تدعى أنك مترجم « البخيل » مع أن الناس يعلمون أنك لا تقرأ ولا تكتب ؟

فأجابه الأستاذ الكسار مسرعاً : وهل كان أبو العلاء المعرى يقرأ وهل كان يكتب ؟

وكان جواباً مسكتاً من غير شك

رهان

يسبق إحساس الأستاذ يوسف وهبي عقله ولسانه وهو على المسرح أحياناً ، وفي هذه الأحيان لا يرضى الأستاذ يوسف وهبي بأن يتريث وأن يتثاقل بإحساسه حتى يواتيه عقله ويواتيه لسانه بالألفاظ العربية التي يجب أن ينطق بها حتى يفهم الجمهور ماذا يريد أن يقول ، وإنما يترك الأستاذ يوسف في هذه الأحيان نفسه ويدع لسانه ينطلق بأي ألفاظ مفيدة كانت أو غير مفيدة ، عربية كانت أو غير عربية ، ويكتفي الأستاذ يوسف في هذه المواقف بأن يعبر بصوته المنغم وإشاراته المحكمة عما يريد أن ينقله من نفسه إلى الجمهور على شرط أن يختم هذه الانطلاقة بكلمة واحدة أو كلمتين فيهما تلخيص أو تركيز للمعنى الذي يريد أن يعبر عنه ... فإذا كان في حالة سخط مثلاً ، وحدث له هذا الذي يحدث له من مس الجن أو مما لا أدري ، قال مثلاً : «أنت يا من جهنم والحديد شرر من أبالسة النار ينهار فوق رؤوس الشياطين حمم ونار وكبريت» يقول هذا ، أو يقول ما يشبهه ، والجمهور مأخوذ به ، قد استولت عليه الكهرباء النبعثة من أعصاب يوسف الذي يحرق نفسه على المسرح ؛ فلا يستطيع الجمهور إلا أن يقبل هذا الكلام على أنه معقول ومفهوم ، وعلى أن معناه متصل بالمتميز من ألفاظه ، وألفاظه المدركة المتميزة هي : نار ، وجهنم ، وأبالسة ، وشياطين وحمم وكبريت ... والجمهور لا يعنى في مثل هذه الحال بتحديد المعنى على وجه الدقة ، وإنما هو يرضى بعموم المعنى وعموم الحال ...

وقد حدث أن زار الأستاذان بديع خيري وزكريا أحمد الأستاذ يوسف وهبي في مسرحه يوماً ، ودار بينهم الحديث عن هذه المسألة واتهم الأستاذ بديع خيري الأستاذ يوسف وهبي بأنه «يهوش» الجمهور بها ... فقال له يوسف :

— إنني لا أهوش ... وها أنت ذا تعرف أنني أفعل هذا ، ولست أطلب منك إلا أن تنزل إلى القاعة ، وأن تشاهدني الليلة وأنا أمثل ، وهأنذا أحيطك علماً منذ الآن بأني سأختم الفصل الأول بشيء من هذا ، وكل ما أرجوه منك هو أنك تصدقني القول بعده ، وأن تقول لي هل اهتززت لي نفسك أو لم تهتز ، وهل صفقت لي أنت وصاحبك زكريا هذا أو لم تصفقا ... وأطلب قبل ذلك من الله أن يسهل لي الانطلاق الذي أريده ...

وتراهنوا ..

ونزل بديع وزكريا إلى القاعة ، وتابعا يوسف وهو يمثل ، ولم يشعرا بنفسيهما إلا والستار يسدل عن الفصل الأول وهما يصفقان مع المصفقين ليوسف .

ولم يدرك أحدهما أن يوسف فعل فعلته إلا بعد نزول الستار ، عندئذ ضحكا حتى كادا يختنقان من الضحك . ويقول الأستاذ زكريا أحمد إن الأستاذ بديع خيري صعد بعدها إلى حجرة يوسف وقال له :

— إنني آمنت بك ...

... أما أنا فأعوذ بالله من يوسف وهبي فهو جن وإن كان من المسلمين .

عزيز أحمد فهمي



الكرم الجارمي

الأستاذ على الجارم بك شهرة عريضة بالكرم والجود، وهذه الشهرة هي التي قضت بأن تكل إليه وزارة المعارف تحقيق كتاب «البخلاء» فما كان يمكن الوصول إلى أسرار ذلك الكتاب إلا إذا اضطلع بتحقيقه رجلٌ خبير بمعاني العرب في العطاء والمنع، والسخاء والشح، وبضدها تتميز الأشياء

والكرم المأثور عن الجارم هو السبب فيما يقع من تغاضيَّ عن السؤال عنه حين يصطاف بالأسكندرية، فقد كنت أكتفي في تحيته بالسلام على الجدران فراراً من التعرض لكرمه المعجاج، وهو كرمٌ قد يطغى فيتلف أسماء المواهب، وأنا أزهد الناس في هذا الصنف من الجود!

وأخطأ من قال إني كنت أتقرب إلى الجارم بترك السلام عليه، وهو قول يُقبل لمعنًى واحد هو توشيته بالبراعة والذكاء

ماذا أريد أن أقول؟

أنا أمشي على الشوك في سبيل الوصول إلى عرض القصة الآتية:

منذ آماد طوال دخل الأستاذ سامي عاشور مكتب تفتيش اللغة العربية بوجه مشرق بسام وهو يقول: مبارك يا جارم بك! مبارك يا جارم بك!

فتهلل وجه الجارم وقال:

— خير، خير!!

— خير جزيل، ولكن هات «الحلاوة»

— يا حلاوة عليك يا سامي بك يا حبيبي يا نور عيني، هات ما عندك هات!

— سيصدر قرار وزير المعارف بعد ثلاثة أيام بترقيتك إلى الدرجة الثانية

— الدرجة الثانية؟ الله يبشرك بالخير، ما يجيء من الجميل إلا الجميل

وبعد تروٍّ لم يطل أكثر من عشر دقائق توكل الجارم على الله وأعلن أن الحلاوة هي وليمة فيها «صيادية» مطبوخة على أسلوب أهل رشيد!

ثم توكل على الله مرة ثانية وقال: وسيكون معنا الدكتور مبارك ليعرف البيت وليحدّث «أميرة» عن سميّتها في بغداد

فالتفت إليّ الأستاذ سامي عاشور وقال: ما رأيك؟

فقلت: أفلح إن صدق!

فقال الجارم: سأصدُق لأكفّ شرَّك عني!

ومرّ يوم وأيام وأسبوع وأسابيع وشهر وشهور، ولم يف الجارم بما وعد، وطال التسويف حتى نسيتُ، وهل كنت أصدّق أن الجارم يسره أن يعرف أحد أين يقيم؟

ولكن الأيام تصنع الأعاجيب، فقد لقيت الأستاذ سامي عاشور ونحن نراقب الامتحانات في إحدى المدارس، وبلغ مني العجب كل مبلغ حين رأيته لا يزال يذكر «حكاية الوليمة الجارمية»!

— ماذا نصنع في قهر الجارم على الوفاء بالوعد؟

— لا أعرف ماذا نصنع!

— نخوّفه بالشعر

— ولكني لا أُجيد الهجاء

— وكيف تكون شاعراً إذا كان «الكرم الجارى» لا يوحى إليك معاني الهجاء؟

وخِفتُ أن يقال: إني لا أجيد الشعر إلا في باب واحد هو النسيب، فصخختُ الجارم بهذه الأبيات:

وما بالجارم الصنّاج بُخلٌ ... بزادٍ من طعامٍ أو شرابِ
ولكنّ المكارم أتعبتْهُ ... ففرَّ من السخاء إلى الدَّعابِ
فإن يُطمِعكَ في «نيسان» يوماً ... بوعدٍ مثل رقراق السَّرابِ
فصدّقه ولكنْ لا تؤمّلْ ... نداه ولو صبرتَ لشهر «آب»
فليس بمنجزٍ في الجود وعداً ... ولو طاردتَه يومَ الحساب

ثم مضيتُ فأمليتُ هذه الأبيات على جماعة من الموظفين والمدرسين، وترفّق الأستاذ سامي عاشور فأنفذها إلى الجارم بك على يد رسول بارع في إصلاح ذات البَيْن!

ثم ماذا؟ ثم هرب الجارم إلى رشيد، وهو يزعم أن الإقامة

فى القاهرة أصبحت لا تطاق بسبب « الغارات الشّعرية » !

ولكن الجارم سيرجع ، وقد رجع بالفعل ، فما عسى أن نصنع لنروضه على الوفاء بالوعد

يرى الأستاذ محمود المزَّب أن نشر هذه الأبيات فى الأهرام بعد نشرها فى الرسالة قد ينفع بعض النفع فى إثارة النخوة الجارمية وإلا فسيدعو الأدباء إلى اكتتاب يُعين الجارم على إعداد الصيادية الرشيدية

أما أنا فأعرف أن الجارم سينكر القصة بحذافيرها ، وسيقول : إنها « سمكة رمضان » ، لا « سمكة نيسان » ؛ وهل يجتمع أهوال الحرب وأهوال الوليمة على رجل فى مثل رقة الجارم الصنّاج ؟

زكى مبارك

حول كلمة « تبان »

جاء فى عدد « الثقافة » رقم ٨٨٠ فى مقال للدكتور بشر فارس عنوانه « الزاد المهمل » ما نصه : (أخذت مى لباس استحمام أحمر وقميصاً أصفر وتُبَّاناً أزرق ثم سلكت فى مطاويها ثلاثة كتب) . ثم علق على كلمة تبان فى الحاشية بقوله : (أعرض لفظة التبان للتعبير بها عن كلمة Short) . ويفهم من كلام الدكتور بشر هذا أنه أول من اختار هـذه الكلمة للتعبير بها عن كلمة « شورت » غير أننا قد قرأنا فى كتاب « وحى القلم » للمرحوم الرافعى ج أول ص ٢٠٠ ما نصه : (وها نحن أولاء قد انتهينا إلى زمن العرى وأصبحنا نجد لفيفاً من الأوربيين المتعلمين رجالهم ونسائهم إذا رأوا فى جزيرتهم أو محلتهم أو ناديهم رجلاً يلبس فى حقويه تُبَّاناً قصيراً كأنه ورق الشجر على موضعه ذاك من آدم وحواء — إذا رأوا هذا المتعفف بخرقة أنكروا عليه وتساءلوا : من ... من هذا الراهب)

وواضح من هذا أن الدكتور بشر فارس ليس أول من تقدم بهـذه الكلمة معبراً بها عن كلمة « شورت » وإنما للرافعى فضل الأسبقية

ع . ا . سعد

(الأبيض ـ سودان)

اعادة الحياة الى خلايا الجسم البشرى

أذيع فى نيويورك أن عالماً ألمانياً كان يقوم باختباراته فى مستوصف فى قرطبة ، استطاع ـ وهو يحاول درس أنسجة خلايا جسم الإنسان ليعرف هل تموت فعلاً أو لا تموت ـ أن يرد الحياة إلى أنسجة خلايا جثث المصريين المحنطة منذ ٥٣٠٠ سنة

وقد بدأ هذا العالم ـ واسمه الدكتور بوزى جراوتز ـ تجاريبه من عدة سنوات ، فتبين له أن الأنسجة البشرية بعد أن حفظت فى الكحول منذ ٣٨ سنة أخذت تنمو نمواً كاملاً عند ما وضعت فى مادة مقوية خاصة

كذلك يقال إنه أخذت من المتحف الوطنى فى « لابلاتا » عينات من أنسجة ١٢ مومياء متوسط عمرها ٥٣٠٠ سنة ، وأن هذه الأنسجة وضعت فى مواد مقوية فأخذت الحياة تدب فى ذلك اللحم البشرى

ويقال أخيراً إن آلة تكبير الصور قد سجلت حركة دبيب الحياة فى الخلايا ، وأن هذا العالم يقول : إنه حينما يموت الإنسان لا يحدث له سوى انحطاط فى الخلايا يبلغ حالة السبات ، ولكن هذه الخلايا تكون مستعدة للعودة إلى الحياة فى حالات ملائمة

الى الدكتور زكى مبارك

قرأت كلمتك النبيلة التى وجهتها إلى فى مقالكم السابق بالرسالة الغراء : قرأتها بعينى ، وأدركتها بقلبى ، فكأنما كانت لمشاعرى نشوة ذكرى ، ولخواطرى انتباهاً ويقظة ... وفهمت منها ممنيين ! فقد أدركت بل أدرك قلبى أن وراء هذه الألفاظ ألفاظاً أخرى من الشعور لا تقرأ بالعين ولكن يدركها القلب ، رأيت فيها تحية نبيلة من أخ عزيز نبيل ، وأحسها قلبى عتاباً نبيلاً !

فيا أخى العزيز الكريم ... لئن تك قد تلفت فرأيت صديقك العزيز محمود البشبيشى ، وقد أسعده الحظ بلحظات كلحظات الحلم مرت بخيال مشرّد معذّب ... فإن قلبى هو الذى تلفت وسمع ورأى ! سمع أخاً وفياً ، ورأى شقيقاً كريماً

يا دكتور إن القلوب لتسمع وترى وتتلفت !

علم الله أن الذى منعنى من العودة إليك تلك الليلة السعيدة هو مرض ابنتى ... علم الله أيضاً ... وتعلم شجرة الكافورة السعيدة (بما كساها الأستاذ الكبير الزيات من النباهة والخلود) ... أننى عدت ثم عدت فلم أجدك

أخى الفاضل ... لعل من غريب المصادفات أن أحس قبل مقابلتى لك بأيام رغبة غريبة وإحساساً قوياً وميلاً جامحاً للتمتع بهديتكم الكريمة « النثر الفنى » ... ترى هل كانت رغبة فى الاطلاع والمعرفة بعد غفوة طالت !!؟ أم هو الشوق إليك

جملتى أتصوّرك فى أسلوبك !! وكم يتجسم الفنان البارع فى أسلوبه !! ... إنها القلوب ... قلوب الإخوان تتلفت وتشعر وترى ... وإنه الشعور الحى لنة القلوب !!

والسلام عليك من أخ طالت غربته عن رياض القلم . ولكن لم تزل أوتار نفسه تهتز لكل رائع من الأساليب وفاتن من القول. إنها لا تزال تهتز لأنها تعودت ذلك عن طبع وخلق

أخوك المخلص

(المنصورة) محمود البشبيشى

أجوبة عن أسئلة

وجه إلينا الدكتور زكى مبارك عدة أسئلة ، يطالب منا الإجابة عليها ، وكان ذلك رده على كلمتنا التى نبهنا فيها على المغلطة التى وقع فيها الدكتور الفاضل ؛ والذين يعرفون قوانين البحث والمناظرة يدركون خروج الدكتور عليها ، فى رده علينا ؛ والدكتور معذور ، لأنه لم يجد ما يقوله ، فكان من الطبيعى أن ينتقل إلى ميدان آخر يصول فيه صولة « البازل القناعس » وقد كنا نريد ألا نعرض لهذه الأسئلة لأنها ليست مما نحن بسبيله ولكننا خشينا أن يؤول سكوتنا تأويلاً سيئاً ، فنجيب بعون الله :

أولاً : قائل هذا البيت هو الشاعر الذى يقول :

أتيت فؤادها أشكو إليــه   فلم أخلص إليه من الزحام

والذى يقول أيضاً :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت ، أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

ثانياً : نظر هذا الشاعر إلى قول علقمة الفحل :

فإن تسألونى بالنساء فإننى   خبير بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله   فليس له فى ودهن نصيب

والمتنبى نظر إلى أبى تمام حين قال :

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها   ومن عهدها ألا يدوم لها عهد

وكان أبو الطيب يتوكأ على حبيب ، كما كان امرؤ القيس ، يتوكأ على أوس

ثالثاً : لم يلتفت إلى ذلك ابن رشيق فى باب السرقات من العمدة ، ولا العسكرى فى الصناعتين ، ولا الآمدى فى الموازنة على تحامله المكشوف على أبى تمام

رابعاً : إذا كان هذا الكاتب جديراً بالالتفات ، فلم لم يترجم له الدكتور فى « النثر الفنى » بين من ترجم لهم من كتاب الأندلس ؟ ولم لم يثبت هذه الرسالة بين النصوص الكثيرة التى أثبتها فى مؤلفه ، على أننا راجعنا مجلدين من نفح الطيب فلم نجد أثراً لهذه الرسالة ، فلعلها أن تكون فى صبح الأعشى للقلقشندى

خامساً : الدقيقة التى فى هذا البيت هى ورود « وحدها » حالاً من الضمير فى لها مع تعرفها ، ولكنها تؤول بنكرة فتصير « منفردة » ومثل ذلك قول الشاعر :

فأرسلها العــراك ولم يذدها   ولم يشفق على نَغَص الدِّخال

أى أرسلها معتركة . والدقيقة البلاغية هى : فصل الشاعر بين جملة « كل غانية هند » وبين الجملة السابقة ، والفصل هنا واجب لأن بين الجملتين شبه كمال الانقطاع ، إذ لو وصل بينهما لتُوُهِّم أن الجملة الأخيرة داخلة فى ضمن الجملة التى قبلها ، فتكون داخلة فى ضمن المفعول الثانى لتحسبوا ، وهذا غير مراد للشاعر

سادساً : اختلفت الروايات فى « تحسبوا » فرُوى أيضاً هكذا : « فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها[1] »

سابعاً : متى كان ذلك ياسيدى ؟ لعله كان إذ كنت صبياً مرضعاً !

ثامناً : لعل الحلاج التفت إلى هذا البيت حين قال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا

تاسعاً : وجهه : أن تعرب « لها » خبراً مقدماً و « الغدر » مبتدأ مؤخراً ، وتكون « سجيةً » حالاً من المبتدأ ، ويشكل على ذلك أن الحال لا تأتى من المبتدأ إلا على رأى سيبويه ، ويشهد له قول طرفة :

لمية موحشاً طللُ   يلوحُ كأنه خللُ

وهذا البيت يشهد أيضاً لصحة مجىء صاحب الحال نكرة إذا تأخر

عاشراً : أجل يا سيدى الفاضل أعرف قائل هذا البيت فهو الذى قال :

إنى انصببت من السماء عليكمو   حتى اختطفتك يافرزدق من عل

أما بعد : فلا نحب أن نشير إلى اسمنا بعبارة كريمة يا سيدى الدكتور « مع الشكر على هذه السنية الكريمة ! » ولا يضيرنا أن تتجاهلنا هذا التجاهل ، لأنك لست مهما عظمت إلا واحداً من الأدباء . وإليك التحية من أحد أبناء الجيل الجديد .

ابرهيم محمد نجا

(١) هكذا رواه الأستاذ عبد الرحمن شكرى فى مقالاته فى الرسالة « أبو تمام شيخ البيان » والأستاذ عبد العزيز البشرى فى « الطرائف الأدبية »



جناية رجل

للأستاذ محمد سعيد العريان

... أجابنى صاحبى :

نعم ، لقد كان ذلك عملاً لا ينبغى ، على أنه قد أودَى بشرف امرأة ، وهناءة رجل ، وضَيْعةِ طفل يَتِمَ فى حياة أبويه ، وصيَّرنى فى عين نفسى وفى عيون الناس إلى ما ترى ... وما أحاول أن أبرِّئ نفسى ؛ بل إننى لأشعر أحياناً أن علىَّ وحدى إثمَ هذه الجناية التى لم أقترفها ولم يكن لى يدٌ فيها !

وصمت صاحبى برهة وهو يحدِّق فى وجهى بعينين فيهما حيرة وارتياب ؛ ثم استأنف الحديث :

بلى ، وأقسم لك يا صاحبى ، ولكننى كنتُ رجلاً كما تعرف ؛ فلم يكن لى أملٌ فى امرأة ولم يكن لامرأة حظٌّ منى ؛ وأين تجد المرأة عندى ما يُغريها بى وأين أجد من نفسى ؟ ... لقد كنتُ أعرف نفسى عرفاناً حقاً ، ولم يكن يخفى علىَّ ما يتحدَّث به الرجالُ والنساء عنى ، وماتتحدث به إلىَّ مرآتى ؛ لقد كنت وما يطيب لى أن أنظر إلى المرآة ، كأنى حين أنظر إلى صورتى بإزائى أرى شخصاً غريباً عنى بغيضاً إلىَّ لا أطيق أن أراه أو أنظر إلى صورته ؛ وحين يتفق لى أن أرى شخصاً فى وجهه بعضُ ما أعرف لنفسى من الدمامة ، أزوى عنه وجهى ، كأنما يذكِّرنى مرآه بشخص أكرهه ! ...

أراك تنكر علىَّ ما أقول يا صديق ، ولكن ذلك كان هو رأيى فى نفسى على حقيقته ؛ وقد يكون رأياً غريباً ، فما أعرف فيما قرأتُ أو سمعت أن أحداً كان له فى نفسه مثلُ رأيى فى نفسى وإن بلغت دمامته الحد الذى يوشك أن يبعده من حقيقة الآدمية !

... وكنت مؤمناً بأن القدر الذى تكتنفنى صروفه منذ الطفولة قد هيأنى لشىء غير ما يتهيأ له الرجال فى عالم المرأة ، من الحب والزواج والأبوَّة ؛ كأنما كانت تلك العلة التى شوَّهتْ وجهى صغيراً ، وتلك الحادثة التى أصابتنى بالعرج صبياً – تحوُّلاً فى إنسانيتى ، وحجازاً بينى وبين أحلام الطبيعة التى تهمس فى الدم وتوسوس فى القلب . وشعرت منذ فقدتُ أمى ولم أتجاوز السابعة بعد ، أن آخر سبب كان يربطنى بالمرأة قد انقطع ، فليستْ من دنياى ولستُ من دنياها ؛ وعشت عمرى فى هذه الحقيقة من بعد ، لا تنظر عيناى إلى امرأة ولا أحس وقع نظرة امرأة ، ولو قد أحسستها مرة لخجلتُ ، لعلمى أنها لا تنظر حين تنظر إلىَّ – رجلاً مما يقع فى عالمها ، ولكنها تنظر مسخاً مشوَّهاً يشير إلى آية من آيات القدرة الخالقة !

... كذلك كنتُ عند نفسى حتى لقيتُها ، فأرتنى من نفسى صورة غير ما كنت أعرف لنفسى ؛ وكشفتْ لى عن صورتى فى مرآتها ! ...

... كنتُ يومذاك جالساً إلى مكتبى أعالج عملاً دقيقاً لا يصلح أن يتولاه غيرى ، حين دخل علىَّ حاجبى يؤذننى أن سيدة تريد لقائى ؛ ونهرتُ حاجبى إذ قطعنى عن عملى من أجل امرأة ؛ وما لى وللنساء ؟ ما شأنهن وشأنى ؟

ودعوتُ شاباً من مساعدىَّ ليلقاها ويتقصَّى أمرها فيخبرنى ؛ وكثيراً ما كنتُ أندبه لمثل ذلك فيكفينى ويجزىء عنى ؛ ولكنه فى هذه المرة لم يُغنِ عنى شيئاً ، وعاد إلىَّ ينبئنى أن السيدة لا تريد لقاء أحد غيرى ؛ وابتسمتُ على غيظ حين أنبأنى ذلك ؛ فقد كنت أعلم من طول خبرتى فى هذا العمل الذى أتولاه ، ما تدعونى له مثل هذه الزائرة ؛ فما هو إلا لاعتقادها أننى – وأنا رئيس المكتب – أقدَرُ على قضاء حاجتها من غيرى ، وإن كانت حاجتها من التفاهة بحيث يستطيع ساعى المكتب أن يقطع فيها برأي !... ذلك رأى النساء جميعاً ؛ وإن إحداهن ليبلغ منها الإلحاح فى طلب لقائى أن تضجرنى وتحرج صدرى ، فلا أجد عقاباً لها على ذلك إلا أن أخرج إليها فترانى ...

... ولم أكن فى ذلك اليوم متهيئاً لاستقبال أحد ، ولم تكن بى رغبة إلى عقاب امرأة ؛ فطلبت إلى حاجبى أن يعتذر إليها . وخرجت السيدة ولكنها لم تلبث أن عادت ، وعاد حاجبى يُؤذننى برغبتها فى لقائى ؛ وتكرر بيننا الرجاء والاعتذار ، ثم لم أجد بُدًّا فى النهاية من الخروج إليها ...

ورأيتُها ورأتنى ، ولكنى لم أر فى وجهها ذلك المعنى الذى طالما رأيته فى وجوه النساء حين أجلس إلى امرأة منهن . ولأول مرة منذ ماتت أمى ، جلستُ إلى امرأة أتحدث إليها وأستمع

لما تقول ، وإنى لأحس فى نفسى بَرْدَ الراحة وَرَوْح الاطمئنان. لا أعنى أنها ذكَّرتنى أمى ، فقد كانت أصغر كثيراً مما ظننت وأشبَّ شباباً ؛ ولكنى شعرتُ إذ جلستُ إليها شعوراً لم أحسّ مثله منذ بضع عشرة سنة ، منذ ماتت المرأة الوحيدة التى منحتْنى حبَّها واستحقت حبى !

كان فى وجهها سماحةٌ وطهر ، وفى عينيها نظرة طفل يرى كل شىء جديداً على عينيه ، وقد افترَّت شفتاها عن ابتسامةٍ حزينة تكتم معنى وتفصح عن معنى

لم أشك حين رأيتها أنها عذراء ، فتاة على طبيعتها الطاهرة لم تطبعها الحياة بعدُ بذلك الطابع المصنوع الذى يجعل لكل شىء لونين فى ظاهره وباطنه . وأقبلت علىَّ تحدثنى حديثها . لم يكن فى صوتها ولا فى نظراتها شىء يدل على أنها ترانى رأىَ الناس وتنظر إلىَّ

... أخشى أن أقول لك يا صديقى إنها كانت تحدثنى كأنما تناجى حبيباً عزيزاً لقاؤه ؛ ولكنى كذلك شعرتُ وقتئذ !

ومضتْ فى حديثها ، ولم أسمع حرفاً واحداً مما قالت ؛ إذ كنتُ وقتئذ فى حديث مع نفسى ؛ فلما أوشكتْ أن تنتهى من عَرْض أمرها وراحت تسألنى رأيى ، بدأت أصغى إليها ... وكان لها مشكلة معقدة تقتضى تدبيراً وأناة وحسن احتيال ؛ وعنيت بأمرها

أتراني يا صديقى فى حاجة إلى التأكيد بأن عنايتى بأمرها لم تكن شيئاً على خلاف عادتى فى مثل مشكلتها ؛ ولكنك مُصدق ولا شك ، فقد كنت إلى تلك اللحظة مَن كنت ؛ ليس لى همٌّ إلا عملى وواجبى !

وزارتنى بعدها فى مكتبى مرة ومرة ومرات ؛ وتوثقت بيننا أواصر المودة ، وألِفَتْ أن ترانى وأن تتحدث إلى ، وألِفْتُ أن أستمع إليها ، وكأنما كنت فى نومة ثقيلة ثم استيقظت ، وانجاب عنى غشاء صفيق كان يلقى على كل شىء من أشياء الحياة ظلاًّ يبغِّضه إلى ، وتزيّنت لى الحياة ؛ وكأنما كانت مرآتى صدئة جَلَتها بأنفاسها فعادت مصقولة لامعة !

ليس يعنيك كثيراً يا صديقى أن تعرف كل شىء ؛ ولكن الذى يعنينى أن تعرفه عرفان اليقين ، أننى لم أتودد إليها ولم أحاول اجتذابها ؛ فقد كانت أسرع إلى من خطرة الأمل ؛ فما هى إلا مرات التقيناها حتى كان كل شىء منها يتحدث إلىَّ حديثاً أجد صداه فى نفسى ؛ ومن غير مؤامرة ولا تدبير ، رأيتنى أمشى معها ذراعاً إلى ذراع فى الطريق ! ...

لم أنم تلك الليلة ولم أذق طعم الغمض ، لعلك تحسب ذلك يا صديقى فرحاً بتلك النعمة التى سيقت إلىَّ من حيث لا أدرى ! كلا ، ولا بعض هذا ، لقد سهرت تلك الليلة إلى الصباح فى قلق وهم ؛ وفى حديث بينى وبين نفسى كله تأنيب وملامة ؛ لقد كنت موقناً أننى لست الرجل الذى تؤهله صفاته ليكون حبيباً يلم طيفه بخيال امرأة ؛ ولم أكن من الغفلة بحيث أنسى بسهولة حقيقتى التى عشت بها ما فات من أيامى ؛ وكنت خائفاً أن يكون قد بَدَر منى شىء على هوى أشْعَرَها أملاً وأخفى عنها حقيقة ، فانقادت إلىَّ مخدوعة وعلى عينيها غشاوة

بلى ، لقد كنت سعيداً بحبها ، ولكننى لم أحاول قط أن أشعرها معنى يدنيها إلى ويزيدنى حباً إليها ؛ وكان ضميرى يخادعنى حين كنت أستمع إلى نجواه فى نفسى قائلاً : « لا عليك ملامة إذ كانت تحبك دون أن تطلب إليها ! » ويا لها خدعة ! وهل زادها حباً لى إلا شعورُها بأنها تجد لعواطفها فى نفسى استجابة ؟ ... وفى مرات كثيرة ، كان يثوب إلىَّ رشادى ويغيب عنى هواى ، فأهمّ أن أقول لها وإنها لَجَالسةٌ بإزائى : « أنظرى إلىَّ ! هل ترينني أصلح للحب ؟ » ، ولكنى لم أجرؤ فى مرة واحدة من هذه المرات أن أقولها ؛ لأن هواى كان يغلبنى على رأيى ؛ فتقول لى نفسى : « أو ليستْ تراك دون أن تطلب إليها أن تنظر ؟ »

وحتى يوم أسلمتْ لى شفتيها وأغمضت عينيها فى مثل غشية الوحى ، لم يقع فى نفسى إلا أنه عمل منها لا منى ، والقبلة المسولة ما زال يرن صداها فى قلبى !

ولكننى مع كل ذلك يا صديقى لم يغبْ عنى قط ، أن ذلك عمل لا ينبغى ؛ كانت هذه الحقيقة قارة فى أعماق ، على الرغم من هوى النفس وخداع الضمير؛ ولم أكن يومئذ أعرف . فكيف لو عرفت؟

... ومَضَت بنا الأيام على ما قُدِّر لى ولها ، لم أحاول أن أسألها شيئاً ولم تحاول أن تخفى علىَّ ؛ ومع ذلك فقد ظللتُ دهراً لا أعرف ، على غير إرادة منى ولا إرادة منها ، ولم تكن فى يقينى إلا فتاةً على طبيعتها الطاهرة ، لم يزل بينها وبين الحياة باب مغلق ... وأغنانى يقينى عن سؤالها ، وحال بينى وبين التماس أسباب المعرفة أننى لم أكن أريد أن يكون منى عملٌ إيجابى يُشعرها أن لى بأمرها عناية فأمد لها أسبابَ التى !

ثم كان يوم وكانت الصلة بيننا قد توثقت حتى لا سرَّ بيني وبينها ، وجلست تتحدث إليَّ ، وعرفت ...

يا لله ! ... ليتني كنت أدري ! وهل كان يدور بخاطري يوماً أن هذه الفتاة التي بيمني هي امرأة ، هي زوجٌ قد انفتح البابُ المغلقُ بينها وبين الحياة ... !

لم تكن خادعةً فيما أعلم حين كتمتْ عني حديثَها طوال هذه الأشهر ، ولكنها لم تجد سبيلاً إلى أن تقول ، فصمتتْ ، فلما أمكنتها الفرصةُ جاء الحديثُ لوقته فراحت تقص عليَّ ...

وشعرتُ بالغيرة تلذع قلبي لأول مرة ، غيرة رجلٍ يحاول أن يستأثر بما لا يملك دون الذي يملك ؛ ولكني لم ألبث أن فئتُ إلى رشادي واستيقظ ضميري ، فرحت أوبخ نفسي على ما كان وأشبعها تعنيفاً وملامة ، ولكني لم أجرؤ أن أقول

لم يكن لها خيارٌ فيما فعلتْ . هكذا حكمتُ حين قصت عليَّ خبرها ؛ فقد ماتت أختها عن بنين وبنات وزوجٍ في سن أبيها له مالٌ وجاهٌ وشفاعةٌ ويد مبسوطة ؛ وكانت هي يومئذ تلميذة في السادسة عشرة ، دنياها معلم وكتاب ومسطرة ... وعادت يوماً من مدرستها فإذا في غرفة الاستقبال كاتب وشهود ، وباتت مُسماة على زوج أختها ، ثم أصبحتْ زوجاً وأماً لبنين وبنات وما حملتْ ولا ولدتْ !

لم تفهم شيئاً مما مرَّ بها إلا كما تفهم كل فتاة في بيت أبيها أن يقال لها قومي فتقوم ، واجلسي فتجلس !

وانتقلت من دار إلى دار ولكن قلبها لم يزل على نقاوته وطهره ، في عينيها نظرة الطفل ، يرى كل شيء جديداً على عينيه ، وعلى شفتيها ابتسامتها الصامتة المبينة ، وفي رأسها أحلامها ، ثم التقينا

... هذا ما قالت لي ؛ وقال لي ضميري : ويحك يا شقي ! إنك تحاول إفسادَ امرأة على رَجلها !

وقال لي هواي : وماذا فعلت ؟ أيكون الاستماع إلى شقية بائسة تشكو بثها محاولةً لإفساد امرأة ؟ وزدتُ من يومئذ آلاماً إلى آلامي ، وزدتُ إلى ذلك إيماناً بنفسي وأيقنت من يومئذ أنني شيء ، وأيقنت إلى ذلك أنني في عمل لا ينبغي !

وحاولت منذ عرفت أن أبتعد عنها وإن قلبي لينازعني إليها ، فلا أنا صممتُ فيما حاولت ولا هدأ قلبي ؛ وعدت بين نزاع القلب وتأنيب الضمير في شقاوة وألم ؛ ولكنني كنت بشقاوتي سعيداً !

ويلي ! ليتني عرفتُ يومئذ كل شيء ! أم ليتني مضيتُ فيما صممت ولو كان فيه تدميري وهلاكي ؛ إذن لاحتفظت لنفسي براحة الضمير إذ فقدت راحة القلب ! ولكنني لم أكن أعرف ؛ وكان الدهر يدخر لي البقية ...

... ولقيت صديقي «فلاناً» على غير ميعاد ؛ وجلس يتحدث إلي ... وأرهفت أذني للسمع ، وخيل إلي وهو على مقربة مني وأنا أستمع إليه أن بيني وبينه من البعد مسافة تسافر فيها الأحلام وتثوب ؛ وجثم على صدري كابوس مفزع لا يخف ولا يتحلحل ؛ وهممت أن أتكلم فما أطقت الكلام ؛ ودار رأسي مثل خذروف الوليد بين قوتين تتجاذبانه ، وتناثرتُ أشلاءً على مكاني ...

ولما أفقت بعد برهة لم يكن بجانبي أحد غيره ، ورن صوته في مسمعي : « رفقاً بنفسك يا صديقي ! إنك تتعب نفسك أكثر مما تطيق ! »

ثم خلفني وآلامي ، ومضى ! إذن فهو ذاك ؟ إنها زوجته !

وهجرتُ المدينة يا صديقي إلى حيث أحاول التكفير عن خطيئتي والفرار بنفسي ؛ وهجرتها بلا وداع ، ولكنها لم تتركني وشأني؛ لقد أصابها من ذلك مثلُ سُعار الجوع في الكلب الضالّ

وكان زوجها يتحدث إليها حديثاً من حديثه ، فحسبته يعرّض بها ، فثارت به ، ثم اندفعتْ في ثورتها ؛ وابتسم الرجل وتمتم بكلمات ، وألقى الشيطانُ في أذنها كلمات غيرَ ما قال ؛ فزادت ثورةً وهياجاً ، وقالت : « بلى ، إنني أحبه ، وسأتبعه إلى آخر الدنيا ! »

وعَلا بكاء طفل ، طفلٌ رضيع لم يفتح عينيه على الحياة إلا منذ أيام معدودات ؛ وقلب الرجل عينيه بين الطفل وأمه ، وقال في همس : « إذن فهو ولده ؟ . . . » . وفتحت الأم فمها مدهوشة وبرّقت ، وسألتْ : « أتُراه يظن ... ! ويلي ! »

ونالني رشاشها على مبعدة يا صديقي وما جنيتُ جناية . . .

. . . ذلك كل ما كان من أمري وأمرها ؛ أم تراني جنيتُ إذ أحببتُ امرأةً أحبّتني ، أنا الذي عاش ما عاش من عمره لم يؤمل أن تعطف عليه امرأة ؟ . . . نعم ، لقد كان ذلك عملاً لا ينبغي ، ولكن ...

قلت : « ولكنه أودى بشرف امرأة ، وهناءة رجل ، وضَيْعةِ طفل يَتيم في حياة أبويه ، وصيَّرك في أعين الناس إلى ما ترى . . . أنتَ ما جنيتَ يا صديقي ، ولكن ثمة جنايةَ رجل ؛ فمن جناها ؟ »

محمد سعيد العريان

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }



8me Année No. 380

Lundi - 14 - 10 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٨٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

خواطر مهـــــاجر

— ٤ —

سار (موكب الرؤية) من (مركز البندر) فى صفين طويلين من الجنود المشاة تتقدمهم فرقة الموسيقى فى شتى آلاتها وشاراتها، وتتلوهم طوائف الصوفية فى مختلف هيئاتها وإشاراتها، وعشاق رمضان محتشدون على جوانب الطرق وفى طنوف المنازل يجتلون الموكب المهيب ووجوههم يشرق فيها السرور كأنما يستقبلون وافداً من الملأ الأعلى سيغمرهم بالسرور ويطهرهم بالنور ويزكيهم بالبركة. فلما أتم الموكب خطاه الوئيدة الموزونة تفرق، واجتمع الناس على شاطئ النيل يرتقبون بشرى المحكمة بطلعة الهلال الوليد! ولرمضان فى رأى الريفيين هلال غير أهلة الشهور، يولد من نور الجنة، ثم يدرج فى رياض الشفق دروج الطفل المدلل الموموق، حتى إذا أبدر واستحار شبابه تردد كل يوم بين المشرق والمغرب فى موكب ذاكر من كرام الملائكة، يختلط فيه تسبيح القائمين بذكر الصائمين، ويمتزج به سليل النور بسليل الطين؛ وتلك هى الأيام المباركة التى تتصل فيها السماء بالأرض من كل سنة

وهلال رمضان فى لغة الريفيين هو رمضان نفسه. لذلك يتخيلونه رجلاً له حياته وعمره وأجله. فإذا لم يبق منه إلا ربعه

الأخير تمثلوه فى محفته السماوية محتضراً يعالج غصص الموت بين أناشيد الحور وصلوات الملائكة ، فيندبونه فى البيوت والمساجد ، ويرثونه على السطوح والمآذن ، ويبكونه يوم الجمعة اليتيمة أحر بكاء !

* * *

قصفت المدافع المصرية فى كل محافظة وفى كل مديرية فى لحظة واحدة وعلى فترات محددة ، فافتر البشر على الشفاه ، وجرت التهنئات على الألسن ، واستولى على المنصورة شعور تقى هادئ خاشع لا يصدر عنه إلا الكلم الطيب والعمل الصالح . ورمضان يُرجع المسلم الصادق نقياً كفطرة المزن ، طاهراً كفطرة الوليد ، لا ينغمس فى منكر ، ولا يخف إلى شر ، ولا يلغو فى حديث ، ولا يبغى فى خصومة . ومن ذلك كان كل حى سعيداً فى رمضان ، ماعدا الروى والشيطان !

كان فى كل طلقة من طلقات المدفع البشر تنبيه إلى فضيلة من فضائل الصوم . فالمؤمن حين دوّى فى سمعه صوت البارود تيقظت فى نفسه نوازع الخير ففكر فى توثيق ما وهن بين القلب والدين ، وتقريب ما بعد بين الغنى والمسكين ، وتأليف ما نفر من القلوب المطمئنة ، ووصل ما انقطع من الأرحام الشابكة . ولكنه وا أسفا لم ير فى هذا العام المآذن تتلألأ فى أجيادها قلائد النور ، ولا فوانيس الأطفال تخفق شموعها فى الشوارع والدور ، فتذكر أن هناك على سواحل البحر الأبيض وشواطئ بحر المانش مدافع غير هذه المدافع ، تنطلق لتعانق كل نور وتظلم كل قلب وتخرب كل عامر وتقتل كل حى وتقطع كل سبب وتنشى أجواء السماء بدخان من البوار والدمار لا يقوم تحته قائم ولا يتنسم فيه حى !

ليت الذى حوّل لوثر هتلر ، ومسخ فى هتلر الإنسانية نازية ، جعل فى كل ركن من هذا الجحيم الأوربى رمضانَ بحكمته وطيبته وعقيدته ! إذن لكان كل مدفع للسلام ، وكل مصنع للخير ، وكل مخترع للحياة ، وكل مورد للناس ! « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ! »

إن الفرق بين مدافع رمضان ومدافع هتلر ، كالفرق بين القرآن و (كفاحى) . كتاب الله دستور الخالق لجميع خلقه ، فهو خير مطلق وأمن شامل ؛ وكتاب هتلر نزغ من الشيطان للألمان ، فهو شر محض وفزع دائم . فأنا حين أسمع مدافع رمضان فى الغروب أو فى السحر ، أعتقد أن جياعاً سينالون القوت ، وضُلالاً سيجدون المثوى ، وجوارح ستكف عن اجتراح الإثم ، ونفوساً سترتاض على مكاره الفضيلة ، وأنما فى جميع بقاع الأرض سيغمرهم الشعور السامى الجميل بأنهم يسيرون إلى غاية الوجود قافلة واحدة ، ممتزجة الروح متحدة العقيدة متفقة الفكرة ، متشابهة النظام ، متماثلة المعيشة

وأنا حين أتصور مدافع هتلر أعتقد أن كتائب من الشباب الغريض قد صهرتهم النار فهم حمم على وجه الماء ، أو مزقتهم الشظايا فهم مِزَقٌ على أديم الثرى ؛ وأن آلافاً من الدور الأنيسة قد نبت مرافدها فهى حبوس ، وخمدت مواقدها فهى رموس ، ثم دكتها القنابل فهى أنقاض على أشلاء ، أو أحرقتها الصواعق فهى غسلين على فحم ؛ وأن ملايين من الأطفال قد حرموا عطف الأب وحنان الأم ، فهم يعانون فى مطارح الغربة غصص الحرمان ومرارة اليتم ؛ وأن ألوفاً من الأيامى والثكالى أصبحن بغير عائل ولا مأوى ولا أمل ، فهن يمشين فى ثيابهن السود بين الأطلال والخرائب كأنهن الأطياف الحزينة تجوس فى الليل خلال المقابر ؛ وأن ملايين من العمال والصناع أدركتهم العطلة وقمد بهم الكساد فظلوا يكابدون حسرة الحاجة فى أنفسهم ولوعة الهم فى أهليهم ، وباتوا يضطربون بين البؤس واليأس اضطراب القنيص لا يجدون مخلصاً للحياة ولا للموت

إن الحرب فى تاريخ الديمقراطية الإسلامية لم توقد نارها إلا دعاء إلى سبيل الله ، أو ابتغاء لخير الناس ، أو ذياداً عن سلامة الوطن ؛ أما أن تنهب الممالك لأنك تريد أن تأكل ، وتسحق الشعوب لأنك تريد أن تنتقم ، وتخضع الدول لأنك تريد أن تسود ، فذلك ماضى البربرية الحمراء ، وحاضر الطغيان الأسود !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

اللغة العربية في المدارس الأجنبية — كلمة صريحة إلى مدرسي اللغة العربية بتلك المدارس — إلى الوكيل المساعد لوزارة المعارف — أسئلة وأجوبة — القلب الذي تلفت فرأى وسمع

اللغة العربية في المدارس الأجنبية

تحت هذا العنوان نشرت « الرسالة » بحثاً سمّته « توجيهات لأحد المشتغلين بشئون التعليم » فهل أستطيع التعقيب على ذلك البحث أداء لحق الواجب في أمثال تلك الشؤون ؟

اهتم ذلك الباحث بتصوير حال اللغة العربية في المدارس الأجنبية وشغل نفسه وشغل القراء بالنص على ما يجب من حرص وزارة المعارف على الاهتمام بالتفتيش والاهتمام بالموادّ التي تكوّن الثقافة المصرية رعاية لمصاير التلاميذ المصريين بالمدارس الأجنبية

وأقول إن ذلك الباحث لم يأت بجديد : فوزارة المعارف لا تحتاج إلى من ينبهها إلى التدقيق في التفتيش على المدارس الأجنبية ، ولا تحتاج إلى من يدلها على أهمية الحرص على تدريس المواد التي تكوّن الثقافة المصرية بالمدارس الأجنبية ، فمن المعروف أن معالي الدكتور هيكل باشا معنيٌّ بهذه الشؤون عناية جدية ، ونظار تلك المدارس يعرفون عنه هذه العناية ، وهم يبذلون جهوداً محمودة في تحقيق هذه المطالب

ولكن المهم هو النظر في الوسيلة التي تمكّن وزارة المعارف من المعاونة على تحقيق تلك الأغراض ، وهي وسيلة معروفة ، ولكن معالي وزير المعارف يتجاهلها مراعاةً للظروف الاقتصادية ، وليست هذه أول مرة يكون فيها « تجاهل العارف » من صور الكلام البليغ ؟ !

الحق أن معالي هيكل باشا يعاني صعوبات كثيرة في تدبير المال المطلوب لتحقيق ما يسمو إليه من كرائم الأغراض ، وهو يتلطف ويترفق في كل وقت ليقنع وزارة المالية بأن للتعليم شؤوناً هي من أوائل الضروريات ، وأن الاقتصاد فيما يمس شؤون التعليم قد يكون من الشُّح البغيض

وهنا أجد الفرصة لإقناع معاليه بأن تقوية اللغة العربية في للمدارس الأجنبية لن تضطره إلى الوقوع في نزاع مع وزارة المالية ، فهو يستطيع بكل سهولة أن يدبر لهذا العام أربعة آلاف جنيه للشروع في تحقيق ذلك الغرض النبيل ، ومن هذا المبلغ تقدم الإعانات لعدد كبير من المدرسين الفنيين في المدارس التي تتطلع إلى إعانة وزارة المعارف ... ولمعاليه أن يتصور كيف يكون فرح اللغة العربية بهذه الأربعة الآلاف وهي مبلغ ضئيل بالقياس إلى ما تجرّه من النفع الحق في تقوية اللغة العربية بالمدارس الأجنبية

بأربعة آلاف فقط ، وهي مبلغ يقدّم لمدرسة واحدة من المدارس المصرية ، بأربعة آلاف فقط يشهد التاريخ بأن معالي الدكتور هيكل باشا قدّم يداً كريمة للمدارس الأجنبية ، وبأربعة آلاف فقط يشهد الأجانب بأن المصريين يعرفون معنى الحرص على إعزاز اللغة القومية

وقد أمضي إلى نهاية الشوط فأقول : إن معالي الدكتور هيكل باشا يستطيع أن يُصدر قراراً باعتبار مدرسي اللغة العربية بالمدارس الأجنبية مدرسين منتدبين من وزارة المعارف كالمدرسين الذين يُنتَدبون للتدريس في الحجاز والشام ولبنان والعراق ، وعندئذ يعرف هؤلاء المدرسون أن لهم حقوقاً محفوظة في الأقدمية والترقية فتقل رغبتهم في التطلع إلى الالتحاق بالوظائف الحكومية ، ويشعرون بأنهم في رعاية الدولة ، وبأنهم ليسوا من المنسيين ، وبأن من الهوان أن يُردُّوا إلى مدارس الحكومة ، لأن ذلك معناه أنهم عجزوا عن الظفر بثقة المدارس الأجنبية ، وهي ثقة لها معنًى دقيق

فما رأيُ معالي هيكل باشا في هذين الاقتراحين ؟ وما رأيه إذا صارحتُه بأن اهتمامه بمصاير اللغة العربية في المدارس الأجنبية لن يُؤتي الثمرات المرجوّة إلا بتحقيق هذين الاقتراحين ؟

يجب أن يَذكر معالي هيكل باشا أن المدارس الأجنبية في طريق التمصُّر والاستعراب ، وهي خطوات تستأهل التشجيع ، فإلى مَن نتوجه إذا بخل بهذا التشجيع ، وله أبناء يتعلمون بالمدارس الأجنبية ، ولهم عليه حقوق ؟

ولو كنت أعرف أني أحرج معالي وزير المعارف بهذين الاقتراحين لما استبحتُ نشرهما بطريقة علنية ، وإنما أعرف أنه اهتم بهذه المسألة مرات كثيرة ، ولم يعد من الأسرار أن يقال إنه يبالغ في الحرص على إنهاض التعليم الحر ، وفي نفسه أن ذلك

طريق لجذب المدارس الأجنبية إلى تقوية مواد اللغة العربية والثقافة المصرية عساها تستطيع الظفر المطلق بثقة آباء التلاميذ في زمن لم يبق فيه مجال للحياة في مصر أمام الشبان العاجزين عن مسايرة المجتمع المصري، وهو مجتمع يعبر عن مطامعه في المجد والحياة باللغة العربية.

كلمة صريحة

هي كلمة أوجهها إلى مدرسي اللغة العربية بالمدارس الأجنبية، فأغلب أولئك المدرسين ينسون أو يتناسون أن وجودهم بتلك المدارس فرصة ثمينة لتعلم اللغات الأجنبية، والتعرف إلى ما عند الأجانب من آداب ومذاهب في الميادين الاجتماعية والاقتصادية

كنت أرجو أن يفهم من يشتغل بالتدريس في مدرسة فرنسية أو انجليزية أو إيطالية أو ألمانية أنه انتقل إلى جوّ من أجواء باريس أو لندن أو روما أو برلين

ولكن أولئك المدرسين يعيشون بمعزل عن الجوّ الروحي لتلك المدارس، وتظلّ صِلاتهم بها صلات منافع تُحَدُّ بحدود المرتّب ولا تجاوزه إلا في قليل من الأحايين، وتكون النتيجة أن ينعدم التآلف والتعاطف، ولذلك تأثير في سير الأعمال المدرسية، لأن التجاوب الروحي بين النظار والمدرسين يعاون على تخفيف ما في مهنة التدريس من أعباء ثقال

أنا أحب لمن يشتغل بتدريس اللغة العربية في مدرسة أجنبية أن يُضمر في قرارة نفسه أنه لن يفارق مدرسته أبداً وأنه سيجعلها داره إلى أن يفكر في الراحة من عناء التدريس

وقد اتفق لي فيما سلف أن أقضي أعواماً كثيرة في التدريس بالمدارس الأجنبية، وما أذكر أبداً أني لقيتُ من أصحابها ما أكره، وما زلت أذكر بالخير والعطف والحب أيامي بالليسيه فرانسيه والجامعة الأمريكية، وإن كنت أذكر بالحسرة واللوعة أنه فاتني أن أنتفع من صحبة أولئك القوم أكثر مما انتفعت، فقد كانت قلوبهم مفتوحة أمامي، وكنت أستطيع الانتفاع بمعارفهم وتجاربهم في كل وقت

وخلاصة القول أنه يجب على مدرسي اللغة العربية بالمدارس الأجنبية أن يعتبروا أنفسهم في دُورهم، وأن ينسوا أنهم «أجانب في دُور الأجانب»، فما كانوا ولا كان رؤساءهم بتلك المدارس إلا جنوداً في الميدان العلمي، وهو ميدان تظهر فيه المواهب وتختفي الأجناس

إلى الوكيل المساعد لوزارة المعارف

لم يتفضل سعادة الأستاذ شفيق غربال بدعوتي إلى الاشتراك في اللجنة التي ألفها لوضع القواعد الأساسية لاختيار المدرسين الذين يُنتدَبون للتدريس بمدارس العراق، ولم أتطفل فأتشرف بعرض آرائي عليه في هذا الموضوع الدقيق، وليتني فعلتُ فقد يجب التطفل في بعض الأحيان!

فماذا صنع وماذا صنعت اللجنة البصيرة بالعواقب؟!

أعلنوا في الجرائد عن موضوع يضرّ فيه الإعلان أكثر مما ينفع، فاستجاب لهم مئات المدرسين، إن صحّ ما أذيع!

فهل من الحق أن عندنا مئات تسمح لهم المواهب والكفايات بأن يكونوا أساتذة بالمدارس الثانوية والعالية بالعراق؟ ولنفرض أننا نملك هؤلاء المئات من المدرسين الأكفاء، فهل نراهم جميعاً صالحين للتمرس بأعباء مهنة التدريس في ديار الرافدَين؟

لم يبق إلا أن نتخيَّر، ولكن كيف نتخيَّر عشرات من أولئك المئات؟ وقد تخيَّرنا بالفعل، فماذا وقع؟

وقع أن بعض من تخيرناهم عادوا فآثروا التخلف، فهل فكرت الوزارة في معاقبة أولئك الجنود الفارّين، وقد اكتفوا من التشريف بخطورهم في بال وزارة المعارف؟

يجب أن تكون للوزارة سياسة ثابتة في هذه الشؤون، ويجب أن تكون عندها إحصائية دقيقة بالمدرسين الذين يصلحون لأمثال هذه الواجبات وعندئذ يكون من حق الوزارة أن تنقل المدرس المنشود من القاهرة إلى بغداد أو البصرة أو الحلة أو الموصل كما تنقله من القاهرة إلى دمنهور أو المنصورة أو أسيوط أو أسوان، ثم لا يكون من حق ذلك المدرس أن يتخلف لأنه جنديٌّ يُنقَل من ميدان إلى ميدان

أكتب هذا وأنا أعرف أن وزارة المعارف العراقية في انتظار جواب وزارة المعارف المصرية عن هذا السؤال: «ما الرأيُ في المدرس الذي يتخلف عن موعد افتتاح الدراسة أسبوعاً أو أسبوعين أو أسابيع، وإلى من يحتكم التلاميذ الذين تضيع منافعهم بتخلف المدرسين؟»

ولكن لا بأس، فالمصريون والعراقيون أشقاء، ومن واجب الشقيق أن ينسى تقصير الشقيق، فهو على كل حال أخٌ «شفيق»!

أسئلة وأجوبة

استطاع الأديب الذى وجهنا إليه عشرة أسئلة حول بيت من الشعر وقعت فيه غلطة مطبعية لا تحتاج إلى عناء فى التصحيح ، لأنها لا تزيد عن التنبيه إلى أن خبر المبتدأ واجب الرفع ، استطاع ذلك الأديب أن يجيب إجابة صحيحة عن ثلاثة أسئلة ، وأن يشرع فى الإجابة عن سؤال رابع ، ثم حاول الإجابة عن سائر الأسئلة فلم يوفّق ، فأرجوه أن ينظر من جديد فى الأجوبة التى ظنها تخرجه من ذلك الموقف الحرج ، إن كان يهمه أن يقال إنه سُئل فأجاب

وليعرف إن لم يكن يعرف أنى لا أعادى قرائى ، وإنما أهتمّ من وقت إلى وقت بجذبهم إلى المراجعة والاستقصاء ، فإن كان تأذى من هجوى عليه فليذكر أنى أتحت له فرصة ثمينة للنظر والتعقيب . وقد كنت هممتُ بشرح الأخطاء التى وقعت فى أجوبته « السديدة » ثم رأيت أن أَكِل ذلك إليه ، فتلك فرصة لمحاورة نفسه فى الخطأ والصواب

القلب الذى تلفت

جاء فى الكلمة الروحية التى نشرتها « الرسالة » للأستاذ محمود البشبيشى أن قلبه تلفّت فرأى وسمع ، ثم أكّد المعنى فقال « يا دكتور ، إن القلوب لتسمع وترى وتتلفّت »

هو ذلك ، يا صديقى ، منذ الفِطرة الأزلية ، أو منذ اليوم الذى « تلفّت القلبُ » فيه عند وقفة الشريف الرضى على ديار بعض الأحباب

ولكن أين حظى من حظك ، يا صديقى ؟

ما كاد قلبك يتلفّت إلى صاحب « النثر الفنى » حتى رأيت وجهه وسمعت صوته فى مدينة جميلة هى المنصورة الغصباء

وقلبى يتلفت ويتلفت ويتلفت منذ شهور طِوال طِوال طِوال إلى رُوحٍ غالية كانت خلائقها الروحانية هى الشاهد على أن فى دنيانا نسائم من فراديس الجنان

وعلى طول التلفت والتسمّع « تلفّت القلب وتسمع القلب » لم أظفر من أخبارها بشيء ؛ ولعل الشريف كان فى مثل حالى يوم قال :

ومن حذَرٍ لا أسأل الركب عنكم ... وأعلاقُ وجدى باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب ... فلا بدّ أن يلقى بشيراً وناعيا

فماذا تُضمر الدنيا فى أيامها المقبِلات ؟

وماذا عند القَدَر من مكنون النعيم أو الجحيم للقلب الذى صيّر الحديث عن الحب شريعة من شرائع الوجود ؟

أين بائع النسيان ، يا صديقى ، وأين بائع السُّلوان ؟

وأين من يوهمنى بأن تلك الزهرة لم تكن نفحة سماوية وإنما كانت نفحة أرضية لا نصيب لأرجها العَطِر من روح الخلود ؟

لقد بدأ قلبى يخمُد من لفح اليأس ، وإن دام هـذا الحال فلن ترى فى أحاديثى إليك غير التوجع للقلب الذى أضاعه تقلُّب القلوب

وما ذنبى عند تلك الروح ؟

ذنبى وذنوبى وعيبى وعيوبى أن لم أطمها بالافتضاح فى الحب ولم أسطِّر فى هواها مئات الصفحات كما صنعتُ مع « ليلى المريضة فى العراق » كأنما كان مكتوباً على أن أقضى الدهر فى الهيام بالعيون المَكْحلية والعيون السود ، عيون أهل القاهرة وعيون أهل بغداد ، والله وحده هو الذى يعلم مواقع هواى ، فلن أطيع تلك اللئيمة فى الترحيب بمآثم الافتضاح

وما الموجب لقتل الوقت والعافية فى تذكر القلوب النوادر ، وفى دنيانا تكاليف تميد من أثقالها الجبال ؟ ما الموجب ؟! ... المُوجب معروف وهو الوثاق المسطور فى اللوح المحفوظ بألا تعيش روح إلا مجذوبة إلى روح

أما بعد فإن قال قومٌ إنى كاذبٌ فى الحب فقد صدقوا ، وإن قال قوم إنى صادق فى الحبّ فقد صدقو ، فأنا كاذبٌ فى تصوير ما أعانى من شقاء : لأن الواقع يشهد أن الحب لم يشغلنى عما أضطلع به فى حياتى الخصوصية والعمومية من أعباء ثقال ؛ وأنا صادق فى تصوير ما أقاسى من لواعج وأشجان : لأن الواقع يشهد أيضاً أن حياتى لم تخلُ من التأثر بمكايد السحر والفتون

كم تمنيت أن أكون فى الحب من الكاذبين ! وكم تمنيت أن أكون فى الحب من الصادقين ، لو كان فى المقدور أن ينال الرجل ما يتمناه ! وأنا على كل حال أحكمت أحبولة الرياء فقلت ما قلت وأنا فى أمان من كيد الوشاة والعذّال ... وكيف يعظم علىّ الرياء وأنا أول من تقرب إلى الله بالرياء ؟

إنى أرائى من أحب ، ولكنى لا أرائى من أبغض ، فللأعداءِ الويل إن توهموا أنى سأجزيهم رياء برياء . كتب الله لى فى تأريق جفونهم المواجد أجر المجاهدين

زكى مبارك

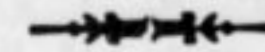
فى الاجتماع اللغوى

تطور اللغـــــة وارتقاؤها

أثر العوامل الأدبية المقصودة : الرسم

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



تكلمنا فى المقال السابق عن أنواع الرسم وتاريخه ، وسنعرض فى هذا المقال لوضوع مطابقته للنطق ولأثره فى حياة اللغة وتطورها

الأصل فى الرسم الهجائى أن يكون معبراً تعبيراً دقيقاً عن أصوات الكلمة بدون زيادة ولا نقص ولا خلل فى الترتيب ؛ فيرسم فى موضع كل صوت من أصواتها الحرف الذى يرمز إليه، ولا يوضع فيها حرف زائد لا يكون له مقابل صوتى . وقد حوفظ على هذا الأصل إلى حد كبير فى بعض اللغات الإنسانية ، وخاصة القديم منها . فرسم الكلمة فى السنسكريتية مثلاً لا يكاد يختلف فى شىء عن صوتها[1] ، ولكن معظم أنواع الرسم ، وخاصة الحديث منها ، لا تتوافر فيه هذه المطابقة . فكثيراً ما يرسم فى الكلمة حرف زائد أو حروف زائدة ليس لها مقابل صوتى فى النطق (« مائة » فى العربية ؛ "loup" فى الفرنسية ؛ "thamb" فى الإنجليزية ... الخ) . ـ وكثيراً ما تشتمل الكلمة على أصوات لا تمثلها حروف فى الرسم (« هـذا » فى العربية ؛ "picture" فى الإنجليزية ... الخ . ـ وكثيراً ما يرسم فى الكلمة حرف أو أكثر للتعبير عن صوت غير الصوت الذى وضع له ("dompter" فى الفرنسية ؛ "enough" ، "ocean" ، "of" فى الإنجليزية ... الخ) ـ وكثيراً ما ينطق بالحرف الواحد أو بالمقطع الواحد فى صور صوتية مختلفة تبعاً لاختلاف الكلمات أو اختلاف أزمنتها ، أو اختلاف موقعه فيها ، أو اختلاف ما يسبقه أو يلحقه من حروف ... ؛ فيرقق فى بعض الكلمات ويفخم فى بعضها الآخر، أو يمد فى بعضها ويقصر فى بعضها الآخر، أو يضغط عليه فى بعضها ويرسل فى بعضها الآخر . . . وهلم جرا (اللام) فى « والله » « بالله » "law, low", "a piece of lead, I lead some men"; "I will read this book, I have just read this book"; "The lines that separate ..., this book contains separate sciences"; "I object against this way, the object of our book is..."; "a piece of bread, in time of peace" وكثيراً ما تختلف الحروف فى كلمتين ويتحد النطق بهما

ويرجع السبب فى هذه الظواهر وما إليها إلى عوامل كثيرة من أهمها عاملان :

أحدهما : أن حروف الهجاء فى معظم أنواع الرسم لا تمثل جميع أصوات اللغـة التى تكتب بها . فقد جرت العادة مثلاً فى معظم أنواع الرسم ألا يوضع لكل صوت عام أكثر من حرف هجائى واحد ، مع أن الصوت العام كثيراً ما يندرج تحته أصوات مختلفة فى مخرجها ونبرتها وقوتها ومدة النطق بها وما إلى ذلك . فالصوت العام للام مثلاً ليس له فى معظم أنواع الرسم الحديثة إلا حرف واحد (ل l ...) ؛ مع أن هذا الصوت يختلف نطقه باختلاف الكلمات والمواقع . فأحياناً ينطق به مرققاً (بالله low, hole) ، وأحياناً مفخماً (والله ، law) ؛ وتارة ينطق به مضغوطاً عليه (أقسم بالله) وأخرى ينطق به مرسلاً (نستعين بالله) . . . وهلم جرا ؛ ورسمه واحد فى جميع هذه الحالات . والصوت العام للألف اللينة ليس له فى العربية إلا حرف واحد ؛ مع أنه أحياناً ينطق به مستقيما وأحياناً ينطق به ممالاً . والصوت العام للجيم ليس له فى العربية إلا حرف واحد ؛ مع أنه فى بعض اللهجات ينطق به مجرداً من التعطيش ، وفى بعضها ينطق به معطشاً كل التعطيش ، وفى بعضها ينطق به بين هذا وذاك .

وثانيهما : أن أصوات اللغة فى تطور مطرد وتغير دائم . فالأصوات التى تتألف منها كلمة ما لا تجمد على حالتها القديمة ، بل تتغير بتغير الأزمنة والمناطق ، وتتأثر بطائفة كبيرة من العوامل الطبيعية والاجتماعية واللغوية : فأحياناً يسقط منها بعض أصواتها

(١) وقد ساعد على ذلك أن الرسم السنسكريتى لم يكد يغادر صوتا من أصوات اللغة إلا وضع له حرفا يرمز إليه . ولذلك كثرت حروف الهجاء فى هـذا الرسم ، وقويت على التعبير عن مختلف الأصوات ، فقد بلغت ٤٦ حرفا ساكنا و١٣ حرفا لينا ، هذا إلى ثلاث علامات الشكل .

القديمة ، وأحياناً تضاف إليها أصوات جديدة ، وتارة يستبدل ببعض أصواتها أصوات أخرى ، وتارة تحرف أصــواتها عن مواضعها فيختل ترتيبها القديم ... ؛ وقد ينالها أكثر من تغير واحد من هذه التغيرات . على حين أن الرسم لا يساير النطق في هــذا التطور ، بل يميل غالباً إلى الجمود على حالته القديمة أو ما يقرب منها ؛ فلا يدون الكلمة على الصورة التي انتهت إليها أصواتها ، بل على الصورة التي كانت عليها من قبل ؛ وهذا هو منشأ الخلاف في معظم اللغات الأوربية الحديثة بين النطق الحالي لكثير من الكلمات وصورتها في الرسم . فمعظم وجوه هذا الخلاف ترجع إلى جمود الرسم وتمثيله لصور صوتية قديمة نالها مع الزمن كثير من التغير في ألسنة الناطقين باللغة

* * *

هذا ، وللرسم في حياة اللغة ونهضتها آثار تجل عن الحصر ، فبفضله تضبط اللغة وتدون آثارها ، ويسجل ما يصل إليه الذهن الإنساني ، وتنتشر المعارف وتنتقل الحقائق في الزمان والمكان . وهو قوام اللغات الفصحى أو لغات الكتابة ودعامة بقائها . وبفضله كذلك أمكننا الوقوف على كثير من اللغات الميتــة كالسنسكريتية والمصرية القديمة والإغريقية واللاتينية والقوطية . فلولا ما وصلنا من الآثار المكتوبة بهذه اللغات ما عرفنا منها شيئاً ولضاعت منا مراحل كثيرة من مراحل التطور اللغوي . غير أن عدم مطابقة الرسم للنطق يجمل له بجانب المحاسن السابقة بعض آثار ضارة ، فهو يعرض الناس للخطأ في رسم الكلمات ، ويجعل تعلم القراءة والكتابة لأهل اللغة أنفسهم من الأمور الشاقة المرهقة ، ويطيل مدة الدراسة ، فيسبب إسرافاً كبيراً في الوقت والمجهود ، وما يلاقيه أهل اللغة من صعوبات بهذا الصدد يلاقي أضعافه الأجانب الراغبون في تعلمها ، ومن الواضح أن هذا يعوق انتشارها في الخارج ، ويضيق سبل الانتفاع بآدابها وعلومها ، فيصعب التفاهم بين الشعوب وتضعف بينها حركة التبادل العلمي والثقافي . هذا إلى أن تمثيل الرسم لصور صوتية قديمة يعمل على رجع اللغة إلى الوراء وردها إلى أشكالها العتيقة . فكثيراً ما يتأثر الفرد في نطقه للكلمة بشكلها الكتابي ، فلا يلفظها بالصورة التي انتهى إليها تطورها الصوتي ، بل ينطق بها وفق رسمها فتنحرف إلى الوضع الذي كانت عليه في العهود القديمة . وليس الأجانب وحدهم

هم المعرضين لهذا الخطر ، بل إنه كثيراً ما يصيب أهل اللغة أنفسهم . وإليك مثلاً الحرف المضعف في اللغة الفرنسية في مثل savamment, évidemment ... الخ فقد كان ينطق به وفق رسمه في العصور الأولى لهذه اللغة . ثم انقرضت هذه الطريقة منذ خمسة عشر قرناً تقريباً ، وأخذ الفرنسيون ينطقون به مخففاً كما ينطقون بحرف واحد savaman, évidaman ولكن منذ عهد قريب أخذت عادة النطق به مشدداً تظهر في ألسنة كثير منهم تحت تأثير صورته الخطية . فمن جراء الرسم نكصت اللغة على عقبيها في هذه الناحية خمسة عشر قرناً إلى الوراء[1]

ومن أجل ذلك كان العمل على إصلاح الرسم وتضييق مسافة الخلف بينه وبين النطق موضع عناية كثير من الأمم في مختلف العصور . فقد ظهر في هذا السبيل بعض حركات إصلاحية عند اليونان والرومان في العصور السابقة للميلاد . وفي أواخر القرن التاسع عشر عالج الألمان أساليب رسمهم القديم وأصلحوا كثيراً من نواحيه . ومثل هذا حدث منذ عهد قريب في مملكة النرويج ثم في جمهورية البرازيل . وقد بدت بهذا الصدد محاولات إصلاحية كثيرة في البلاد الواطئة (هولاندا) وانجلترا والولايات المتحدة ؛ ولكن معظم هذه المحاولات لم يؤد إلى نتائج ذات بال

وأدخلت الأكاديمية الفرنسية - يشد أزرها ويعاونها طائفة من ساسة فرنسا وعلمائها - إصلاحات كثيرة على الرسم الفرنسي . وقد جانبت في إصلاحاتها هذه مناهج الطفرة ، واتبعت سبل التدرج البطيء . فكانت تدخل في كل طبعة جديدة لمعجمها — بجانب التنقيحات اللغوية والعلمية — طائفة من الإصلاحات الإملائية . وقد أقرت عام ١٩٠٦ مجموعة هامة من القواعد الجديدة في الرسم الفرنسي . هذا إلى إصلاحات العلامة جريار Grèard التي تناولت كثيراً من نواحي الرسم وأقرتها الأكاديمية الفرنسية . وكانت كل مجموعة من هذه الإصلاحات تلقى مقاومة عنيفة من جانب غلاة المحافظين . وعلى الرغم من ذلك ، فقد عم الأخذ بها ، وكان لهــا أكبر فضل في تيسير الرسم الفرنسي

---

(١) ومن ذلك أيضاً الحروف الساكنة (غير المينة) في آخر الكلمات فقد حذفت في النطق الفرنسي في معظم المفردات منذ عهد بعيد ، ولكن أخذ كثير من الفرنسيين في العهد الحاضر ينطقون ببعضها تحت تأثير صورته الخطية but (نطقها الصحيح bu) وقد تحولت الآن في ألسنة كثير من الفرنسيين إلى « bute »

وتضييق مدى الخلاف بينه وبين النطق الحديث

والرسم العربى نفسه قد تناولته يد الإصلاح أكثر من مرة من قبل الإسلام ومن بعده . ومع ذلك لا يزال عدد كبير من المفكرين فى عصرنا الحاضر يأخذون عليه كثيراً من وجوه النقص والإبهام ، وينادون بإصلاحه من عدة نواح وخاصة فيما يتعلق برسم الهمزة والألف اللينة ، وابتداع طريقة لإحلال علامات ظاهرة ترسم فى صلب الكلمة محل الفتحة والكسرة والضمة حتى يتقى اللبس فى نطق الكلمات : (عَلِم ، عُلِم ، عِلْم ، عَلَمَ ... الخ) . ولكن الرسم العربى ليس فى حاجة إلى كثير من الإصلاح ، فهو من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطاً فى القواعد ومطابقة للنطق

* * *

هذا ، وعلى الرغم من المساوئ السابق ذكرها ، فإن لجمود الرسم على حالته القديمة أو ما يقرب منها بعض فوائد جديرة بالتنويه ، فهو يوحد شكل الكتابة فى مختلف العصور ، ويسهل تناقل اللغة ، ويمكن الناس فى كل عصر من الانتفاع بمؤلفات سلفهم وآثارهم . فلو كان الرسم يتغير تبعاً لتطور أصوات الكلمات لأصبحت كتابة كل جيل غريبة على الأجيال اللاحقة له ، ولا احتاج الناس فى كل عصر إلى تعلم طرق النطق والإلمام بحالة اللغة فى العصور السابقة لهم حتى يستطيعوا الانتفاع بمخلفات آبائهم . هذا إلى أن جمود الرسم على حالته القديمة يفيد الباحث فى اللغات أكبر فائدة . فهو يعرض له صورة صحيحة لأصول الكلمات ، ويقفه على ما كانت عليه أصواتها فى أقدم عصور اللغة فالرسم للألفاظ أشبه شيء فى هذه الناحية بالمتحف للآثار .

* * *

وقد كان للرسم فى اللغات الأوربية فضل كبير فى تيسير النطق بكثير من الأسماء المتداولة المركبة من عدة كلمات ، فقد جرت العادة أن يكتفى فى التعبير عن هذه الأسماء بذكر الحروف الأولى للكلمات التى تتألف منها : "t. s. f. = télégraphe sans fil; "M. A." = Master of arts . وشاع هذا الاستعمال فى أسماء المخترعات ، والشركات ، والأحزاب ، والفرق الحربية ، والنظريات ، والشهادات العلمية ... وما إلى ذلك . وقد أنزلت هذه الرموز منزلة الكلمات ، وأخذ الناس يصرفونها وينسبون إليها ويشتقون منها أفعالاً وصفات . وللاقتصار عليها وكثرة استخدامها فى الحديث والكتابة تنوسى أصلها عند عامة الناس ، وأصبح كثير منهم يعتقد أنها كلمات كاملة (النازى ، الأنزاك ... الخ)

وللرسم أثر كبير فى تحريف النطق بالكلمات التى يقتبسها الكتاب والصحفيون عن اللغات الأجنبية . وذلك أن اختلاف اللغات فى الأصوات وحروف الهجاء والنطق بها وأساليب الرسم ، كل ذلك يجعل من المتعذر أن ترسم كلمة أجنبية فى صورة تمثل نطقها الصحيح فى اللغة التى اقتبست منها . فينشأ من جراء ذلك أن ينطق بها معظم الناس بالشكل الذى يتفق مع رسمها فى لغتهم ، ويشيع هذا الأسلوب من النطق ، فتصبح الكلمة غريبة كل الغرابة أو بعض الغرابة عن الأصل الذى أخذت عنه . وليس هذا مقصوراً على اللغات المختلفة فى حروف هجائها كالعربية واللغات الأوربية ، بل يصدق كذلك على اللغات المتفقة فى حروف الهجاء كالفرنسية والإنجليزية . فجميع الكلمات الإنجليزية التى انتشرت فى الفرنسية مثلاً عن طريق رسمها فى الصحف والمؤلفات ينطق بها الفرنسيون فى صورة لا تتفق مع أصلها الإنجليزى ; boy-scout; foot-ball; rugby; hockey; sterling, standard of living..etc. حتى إن كثيراً منها لا يكاد يتبينها الإنجليزى إذا سمعها من فرنسى

على عبد الواحد وافى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

القبر التائه !

الأستاذ على الطنطاوى



كم ذا يقاسى العاشقون ويألمون ، ولا يدرى بهم أحد ، ولا يبلغ وهمَ إنسان تصوُّر ما يعانون

كم للحب من شهداء عاشوا بائسين ، وقضوا صامتين ، فما حازوا مجداً ولا فخاراً ، ولا اشتروا جنة ولا أمنوا ناراً ... مساكين ... يعيشون فى دنيا الناس وليسوا فيها ، يرون بغير العيون ، فلا يرى الناس ما يرون ، ولا يبصرون ما يرى الناس ، يموت عندهم كل حى ما لم يتصل بالحبيب ، ويحيا كل ذى صلة به حتى الجماد ...

إن فكروا ففى المحبوب ، أو تكلموا فمنهُ ، أو اشتاقوا فاليه ، أو تألموا فعليه ...

فإن تكلمت لم أنطق بغيركم وإن سكتُّ فشغلى عنكم بكم

وإن منحوا الدنيا باعوها كلها بقبلة منه أو شمّة أو ضمّة ، ثم لم يأملوا إلا دوامها ، أو الموت بعدها لئلا يجدوا فقدها ، لا يألمون إن قال الناس مجانين ، ولا يحزنون إن نالهم الأذى ، بل ربما سرهم ما يسوء ، إن كان فيه رضا المحبوب ...

وياويلهم من العذال ، يا ويل الشجىّ من الخلى !

يلومون قيساً ، لأنهم لا يرون ليلاه إلا امرأة كسائر النساء ، ففى كل امرأة عوضٌ عنها وبديل منها ، ولو استعاروا عينى قيس فنظروا بها ساعة لرأوا ليلى هى الدنيا ، وهى الأخرى ، وهى الروح ، لولاها ما كانت الحياة ، ولا أضاءت الشمس ، ولا أنار القمر ، ولا بسم الروض ، ولا ضحك الينبوع ، ولا همس النسيم ، ولا غنى الطائر ، ولا كان فى الدنيا جيل ...

قصة الحب هى القصة الأزلية التى تكرر دائماً ، وتعاد أبداً ، لا تمل ولا تسأم . وهل يمل حديث الحب ويحكم ! نقرؤها كل يوم فلا نراها تبدل فيها إلا الاسم ، فهى آناً قصة ليلى أو لبنى أو عفراء أو سلمى كرامة ، وهى آناً قصة هلوئز أو ماجدولين أو فرجينى أو شارلوت ، ولا تتغيّر إلا المنازل ؛ فمن بطاح نجد إلى ضفة البحيرة ، إلى ساحل الدنيا الجديدة ، إلى ظلال الزيزفون ... أما القصة فهى هى ما تبدلت ولا تغيرت ... ولا يمكن أن تتبدل حتى تبدل الأرض غير الأرض ...

على أن للحب مواسم ، وله منازل ، ينبت فيها كما ينبت النخيل فى البصرة ، والكرم فى الشام . فمن منازله لبنان ...

لبنان (شرقيه والغربى) الذى برأه الله على مثال الجنة : روح وريحان ، وحور وولدان ، فمن حل فيه مؤمناً ذاق نعيم الخلود فى دار الفناء ، وأحس فى الدنيا بسعادة الأخرى ؛ ومن حلّه غير مؤمن أذهب طيباته فى حياته الدنيا واستمتع بها ، وما له فى الآخرة من خلاق !

لبنان الذى كان دار الأولياء والشعراء والسياح والزهاد ، من كل عابد متبتل ، ومحب هائم ، وتائب أواب !

لبنان الذى جعل الله ماءه خمراً ، وجماله سحراً ، فلا تدرى أهو السحر قد خيّل لك أنك فى جنة الخلد ، أم هو السكْر قد جملك تحس التخلص من هذا العالم ، الغارق فى الدم ، المتحف بالهم ، وتشعر أنك تعيش فى الأفق الأعلى عيشة اللذة الدائمة ، والذهول الناعم الهنىء ، وسط عوالم من النور تدرك ولا ترى

لبنان الذى لا تدرى أى شىء فيه هو أجمل : أذراه التى تبرقعت ببراقع الثلج فلم تبصرها عين حى من يوم خلق الله العالم ، فمز بالحجاب جمالها حين ذل بالسفور الجمال ، أم سفوحه الحالية بالصنوبر ، أم القرى المنثورة على تلك السفوح ، أم صخوره الرهيبة الهائلة ، أم ينابيعه المتفجرة تفجر الحكمة على لسان نبى ، أم أوديته الملتوية التواء الفكرة فى رأس أديب لا يملك البيان عنها ؟ وأيُّه هو أبهى : أصباح (بلودان) ، أم ظهيرة (الشاغور) من (حمّانا) ، أم الأصيل الفاتن فى ربى (صوفر) ، أم المساء الوادع فى خليج (جونيه) ، أم مناجاة الملائكة فى قمة (جبل الشيخ) ، أم مسامرة الزمان عند (الأرز) ، أو فى (بعلبك) ؟

أم أنت تؤثر هذا كله ، وتتمنى لو شملته بنظرة منك واحدة ، ثم ضممته إليك ، ثم شددت عليه ، حتى أفنيته فيك ، أو فنيت أنت فيه ؟

تعالوا سائلوا سفوحه وذراه ووديانه ورباه ، كم شهد من فصول هذه القصة الخالدة ، قصة الحب ... وكم أريق على صخوره

من الحيوات والعواطف . . يطل جوابكم لو ملك الكلام ... ولكنه أبكم لا ينطق والناس بكم لا يروون إلا تاريخ الوحشية المدمرة الماتية ويحفظونه أبناءهم ليكون لهم منه أظفار كأظفار الوحش ، ومخالب كمخالب النسور ، أما تاريخ الإنسانية العاشقة فإنهم يزدرونه ويترفعون عن حفظه ، ويرون من الخطر على الأخلاق أن يدرس فى المدارس !

وكذلك أرى أنا ... وهل أنا إلا من غزية ؟...

وإلا فمن يروى لى قصة هـذا القبر التائه ، الذى نأى عن موطنه ، وفارق إخوانه ، وطوّف حتى استقر عند قدم صخرة هائلة من صخور (رأس بيروت) ، يلطمه الموج صباح مساء ، فيستغيث استغاثة غريق عاين الموت ، ولا من مغيث !

***

قبر منفرد ضائع بين الصخور ليس ما يدل عليه إلا حجر منحوت نحتاً غير متقن ، عليه كتابة قد براها الماء فلم يبق منها إلا أنقاض هذه الأبيات :

الشمس تطلع تارة وتغيب والليـل يجمع شمل ... ...
وأنا محب لم أجد إلا الشقا أحيي الليالى ... ...
أفيجمع القبر الأحبة إن نمت ويكون ... ...

فمن (يا أهل بيروت) يعرف تلك القصة التى لم يبق منها إلا هذه الخاتمة الأليمة : قبر تائه ، عليه شعر إن لم يحفل به علماء اللسان ، كان حسبه أن يحفل به علماء القلوب ؟

هل فى هذا القبر عاشق من لبنان يوم لم يكن قد فسد لبنان ولا عاثت فيه يد الحضارة ، عرف فتاته فى الطفولة الحلوة البرأة التى تتهدى بين البيت السعيد ، والحقل الخصيب ، والمرعى الجميل ، والكرم البهى ، فكانا يلحقان الأفراخ (الصيصان) وهنّ بنات يوم واحد ، قد خرجن من البيض كرات ذهبية من الريش الأصفر الناعم ، تطير لخفتها مع النسيم ، وتحلّ حلاوتها فى الفؤاد ، فإذا رأتهما الدجاجة الأم ، فأقبلت عليهما نافشة ريشها مستنسرة ، خافا فارتدا إلى الجدى يلاعبانه ، والجحش يركبانه . وكان عالمهما صغيراً كله ، والصغير من كل شىء فاتن محبوب . ومن منا لا يحب الصبى ، والبنيّة ، وفرخ الطائر ، والهريرة ، والكليب ، وغصين الشجرة ، وزر الورد ، والكتيّب ، والقليم ، وكل لطيف من التحف والطرف[1] ، ودقيق من الأشياء ؟ من لا تنجذب إلى ذلك نفسه ، ويحنو عليه قلبه ؟

ثم كبرا ، فكانا يصحبان القطيع إلى القمم القريبة وإلى الوادى . ثم أبعدا المرعى ، فكانا يرافقان الشمس فى غدوها ورواحها ويطوّفان تطوافها . ثم اكتمل جمالها وتمت رجولته ، وكذلك تؤتى الفضيلة أكلها إذا عاشت تحت عين الشمس فى الأعالى التى لا ترق إليها جراثيم المرض وأمهاته ، فصارا يقاسمان الكبار السمر على (المصطبة) فى ليالى الصيف ، وفى (العلّية) فى الشتاء . ومرت الأيام ، فإذا هى فاتنة القرية وحسناؤها ، وإذا هو بطل الديرة ورجلها ، ومقدم الشباب فى المصارعة ، وحمل الأثقال ، والعدو ، والسباحة ، وتلك كانت مفاخر الشاب الجبلى فى تلك الأيام . وكان رقصهم الدبكة على (اليادل) أو على (دلعونه) وكان هو شيخ الدبكة

وكان الحب قد ولد فى نفسيهما ، فكانا يجلسان على قلة على شفير الوادى ، يرعيان هذا الحب الوليد ، ويدعان القطيع يرعى بنفسه ، وكان لها عنده مثل الذى له عندها ، فما الذى فرق بينهما ؟ أهو المال أم الدسائس أم قد زوجوها من غيره . أم ماذا ، من يحفظ قصتهما يا أهل بيروت ؟

وكيف عاشت من بعده ، وكيف عاش من بعدها ؟

***

أم كان متكئاً فى زورقه ، يرقب الشمس وهى فى موقف الوداع صفراء شاحبة ، لا يحفل بها أحد ممن كان فى الميناء ، لأن هموم العمل لم تدع فى قلوبهم مكاناً للشعر . فأيقظه من غفوة التأمل أسرة تريد أن تجول فى البحر جولة فى الزورق ... هنالك رآها ، واستقر حبها فى قلبه ، ولم يكن بذى صاحبة ولا ولد ، فهام بها هياماً وقلب الأرض يفتش عنها علّه يحظى منها بنظرة فلم يلقها . فعاش بقية عمره يتجرع غصص الألم المكتوم ، حتى مات حيث لقيها ، ودفن حيث مات

وهذا الحب هو النار التى تأكل القلب ... وما قرأت مرة قصة القاضى ابن خلكان إلا رحمته مما يقاسى . كان يبيت وحده

(١) الطرف أو الطرائف هي ما يسمى فى لسان التجارة وفى لغة العامة (نوفوتيه nouveautés فياحبذا لو استبدلوها بها

فى المدرسة العادلية الـكبرى (دار المجمع العلمى بدمشق) فإذا أراد أن ينام تمثلت له صورة المحبوب ، فنلى دمه فى عروقه وفار ، فأقبل يدور حول البركة ويقول :

أنا واللّه هالك آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى

حتى يؤذن الفجر ، وكان يحب من ليس فوقه إلا السلطان

قلت : ومن هنا ما تجدون من الذوق فى ترتيب كتابه (وفيات الأعيان) وما يختار فيه من الشعر !

* * *

أم أن هذا قبرها هى ، يقوم على الشاطئ ، على مسرح المأساة التى طالما مثلت عليه وأعيدت

هنا كانت تقوم ترقب عودته من المهجر من أمريكا ، تذكر أبداً كيف ودعته بالدموع الغزار ، وودعها بزفرة وعناق ، ومنّاها الغنى والجاه والعودة القريبة ؛ وانقضت الأيام وكرت الشهور ولا حس ولا خبر . . . والفتاة ترقب وتنظر وقد عافت عيشها ، وجفت أهلها ، واختصرت دنياها كلها ، فكانت هذه الصخرة الصلعاء التى شهدت مبدأ آلامها وتأمل أن تشهد نهايتها ، تظن من حبها وتذكرها أن السفينة لا تزال قريبة منها ، وأن الحبيب يلوح لها بمنديله ... وبينها وبين الحبيب بحار ولجج ، وأيام وليال ، والحبيب قد سلاها ونسيها ، وطمست صورتها فى نفسه أمواج الثروة واللذة والدنيا العظيمة فى نيويورك حتى محتها ...

فماتت شوقاً إليه ، وأسفاً عليه

أم هى لم تمت وإنما شهدت عودته ، فإذا هو قد عاد رجلاً غير الذى ذهب ، لم يبق فيه من ابن القرية إلا كما يبقى من ندى الصباح تحت شمس الهاجرة ، لا زيه زيه ، ولا لسانه لسانه ، فأعرض عنها وازدراها . ورأت إلى جانبه فتاة من بنات (باى باى) . فخولطت وعادت إلى صخرتها تنتظر عودة من ليس يعود ، حتى وافاها الأجل ، فدفنت مكانها ؟

أم هو قبر عاشق ماتت حبيبته كما ماتت ليلى ، فعاش بعدها كما يعيش كل حبيب يائس

أم كانت قصة هذا القبر شيئاً آخر ، فمن يعرف هذا الشيء ؟

من يهتم بشهيد من شهداء الغرام ؟ من يعنى بضحية من ضحايا العواطف ؟ من يبكى للمحب المجهول ، ويقف على قبره وقوف الناس على قبر الجندى المجهول ؟

يا رحمتا للعاشقين ! حيهم بائس ، وميتهم منسى ، وحديثهم ضائع ...

يا رحمتا للعاشقين ! لا يقام لشهيدهم قبر ، وإن أقيم له لم يقف عليه أحد ، ولم يحفظ تاريخه

ويا ضيعة هذا الكنز الأدبى العظيم ، هذه الدنيا من العواطف لم يبق منها إلا ما أودع ديوان (العتابا) فمن يعنى بجمع هذا الديوان ونشره فى كتاب ؟

ألم تعلموا بعد أن فى هذه العتابا من الصور والمعانى ما لا يملك بعضه غزل شعراء العرب كلهم مجتمعاً ؟ فمن يهتم به ؟ ومتى يأخذ الشعراء هذه الصور والمعانى فيودعونها الشعر الفصيح ؟

* * *

وبعد فيا أهل بيروت

إذا جزتم بهذا القبر التائه ، فقفوا عليه كما تقفون على قبر الجندى المجهول ؛ وقدسوا فيه المحبة كما تقدسون هنالك البغض ، وكرموا فيه الحياة ، فالحياة الحب والحب الحياة ، واجعلوه تمثال العاطفة ، فالعاطفة فوق العقل ، والإنسان إنسان بالعواطف لا بالتفكير ...

لا تحقروا العاطفة ، ولا تزدروا القلوب ، فإن القلب منزل أقدس شيئين فى الوجود : الإيمان والحب . وحسب العقل جوداً وعجزاً أنه لا يستطيع أن يفهم الحب ولا يدرك الإيمان . وحسب العاطفة كرماً ونبلاً ، أن من ضروبها حب الوطن والوفاء ، والإحسان والرحمة ، وذلك ما يميز الإنسان من سائر الحيوان ... ونحن اليوم فى حاجة إلى الإيمان بالعاطفة الخيّرة ، فلنجعل الحب العفيف وسيلة إليها ، ولنتخذ منه سلاحاً نحارب به الفسوق والدعارة ، والغلظة والوحشية ، ولنستكمل به إنسانيتنا فمن لم يعرف الحب لم يكن له قلب

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً

علي الطنطاوي

إلى الدكتور زكى مبارك

للأستاذ محمود غنيم

سيدى الدكتور :

طالما ترددت فى الكتابة إليك لتهيبى من قلمك ، وأخيراً وجدتنى مدفوعاً إلى ما أتوق بعامل خفى ذى مصدر مجهول

ولست من أولئك المكلفين بالمصاولة والمجادلة ولا ممن يرغبون فى مهاجمتك حباً فى ثورتك أو إرضاء لغريزتك التى حار فى مرادها — على ما أعتقد — الكثير من زملائك : فمن حاول منهم الارتقاء بك أحجم عن ذلك مخافة وصفك له بالملق والمصانعة ، ومن حدثه نفسه بنقد خطوة من خطواتك لدغته فى غير ما هوادة ولا رفق ، ومن سكت عن ذكرك بخير أو بشرّ وصفته بالجمود والخمول والنوم

وقد استخلصت من تتبعى لك واقتفائى لأثرك : أنك أخطر مخلوق فى المحيط الأدبى ؛ فلم ينج من سنان قلمك ـ على ما أظن إلا نسبة ضئيلة من أدباء هذا العصر سواء فى ذلك من يضمر لك الخير ومن يتمنى لك المكروه ، كما تساوى أمامك من تدين له بصقل لسانك وسلامة تفكيرك ، ومن شرب من منهلك واستظل بظل ثقافتك

رأيتك يا دكتور تطل على ذلك الجمع الزاخر من علو شاهق غير عابئ ولا مكترث بما قد يكون مخبأ لك من سقطة أو سقطات تهوى بك من ذلك العلو إلى هوة تجر عليك شماتة الشامتين، وكلهم بالمرصاد . ولست بصدد مناقشة آرائك ومعتقداتك وموقعها من آراء ومعتقدات من تتصدى لهم أو يتصدون لك، أو حيال الحكم لك أو عليهم، فقد تكون عادلاً فى كل ما قلت، وقد يكونون محقين فى ذكر ما يدعون، وبالعكس ؛ ولكنى أمام موقفك من أعصابك التى تطالبك فى إلحاح بإعطائها برنامجاً منظماً يخدم نواحى لا يناقض بعضها بعضاً ، وتطالبك كذلك بالترفق حين الزج بها فى تيارات مضطربة الاتجاهات

وعلى هامش نقدى لأعصابك يا دكتور أقرر أن الأدب مدين لثورة تلك الأعصاب بالشىء الكثير وبدرر غاليات تزن ثقل ما لك من خصوم فى هذا البلد . وإذا كانت تلك الثورات واحدة من اثنتين من تجاربك فى ازدهار أدبك فأنا أهنئك مغتبطاً بنجاح تلك التجربة وأطالبك فى رفق بإجراء التجربة الأخرى : نريد أن نقرأك يا دكتور هادئاً كالنيل فى غير إبان الفيضان ، وكالغصن عند سكون الريح ، وكالوردة قبل أن تهاجمها أشعة الشمس وأعين الرقباء

لو كنت يا دكتور من أشرار الأدباء — إن كان بين الأدباء شرير — أو كنت من أدباء الشرور (إن وجد بين ذخائر الأدب شر) لما ترددنا لحظة من يوم أن ظهرت على المسرح الأدبى فى الحكم عليك بما فيك ، وقدمنا لك حسابك وأسلمناك لما تقوم به من صراع ، ووقفنا فى صفوف المتفرجين ، أو قبعنا فى زاوية بمنأى عنك بعيدين عما يصب عليك . ولكنك رغم إقلاقك النائمين من مضاجعهم بصوتك المدوى نلمس إخلاصك ونؤمن برقة إحساسك

نريد أن نحكم عليك يا دكتور بعد أن تجرى التجربة الباقية وبعد أن اجتزت التجربة الأولى بكل نجاح

وإلا فاجعل لنا يوماً من نفسك على صفحات « الرسالة » تحدثنا فيه بالصراحة التى نعدها من أهم مقوماتك — عن زكى مبارك كما يعرفه زكى مبارك ، شارحاً لنا وجهتك فى الحياة الأدبية التى نعتقد أنك تعيش فيها منفرداً ، فأنت أجدر من يتحدث عن نوايا النفوس

(إدكو) المخلص

محمود غنيم

سيجموند فرويد
العالم النفساني الكبير
للأستاذ صديق شيبوب

– ٢ –

زاول « فرويد » بعد عودته من فرنسا مهنة الطب بمدينة فينا وانصرف إليها يمارسها بالعناية التي انطبعت عليها نفسه والتي وصفناها في المقال الماضي

وكان قد عرف قبل رحلته إلى باريس طبيباً يدعى « جوزيف بروير » فانضم إليه بعد أوبته واشتركا في مزاولة مهنتهما

تحدث هذا الطبيب إلى « فرويد » قبيل سفره عن فتاة هستيرية أصيبت بالشلل وغموض القوى الواعية ، وروى له أنه لاحظ أن حالة الفتاة تتحسن كلما استطاعت التحدث ملياً عن نفسها . وكان لهذا السبب يصغي في صبر لحديثها عندما تترك فيه المجال لواعجها الشعورية ، وأنه لاحظ أن اعترافات الفتاة متقطعة ، وأنها تخفي عن قصد أشياء يظهر أنها لعبت في حياتها دوراً هاماً ، وكانت من مسببات علتها . فخطر له أن يستعمل التنويم المغناطيسي على أمل أنها ، وهي معدومة الإرادة في حالة السبات ، تبوح بما تخفيه في يقظتها . وهكذا استطاع أن يعرف من الفتاة أنها بينما كانت تعني بوالدها المريض أحست في نفسها بمشاعر كبتتها لأسباب أخلاقية فاتخذت هذه المشاعر شكلاً آخر برز في أعراض مرضها . وكانت أعراض الهستيريا تزول كلما باحت بحقيقة الأمر

لم يجد « بروير » في هذه الفتاة غير حادث مرضي استطاع كشف الستار عنه ومعالجته . أما « فرويد » فشعر بفطرته العميقة أن الأمر أشد خطراً مما توهمه صاحبه ، وانتهى من ذلك إلى هذه الحقيقة وهي أن « قوى النفس تتحول عن مراكزها » وأنه يجب أن يوجد في العقل غير الواعي قوة عاملة تحول الشعور عن مجراه الطبيعي وتقذف به إلى مظاهر نفسية أو طبيعية

ولما كان هذا العارض الذي كشف عنه « بروير » يؤيد الاختبارات التي شاهدها « فرويد » بباريس ويبرزها في صورة جديدة ، استقر رأي الزميلين على متابعة أبحاثهما التي قصدا إليها في طريق مظلمة وعرة . وهكذا وضعا كتاب « العمل النفسي في عوارض الهستيريا » الذي ظهر سنة ١٨٩٣ و « رسالة في الهستيريا » ظهرت سنة ١٨٩٥ فكشفا عن حقيقة هذا الداء في كتابيهما وأبرزاه تحت ضوء جديد

قررا للمرة الأولى في علم الطب أن الهستيريا ليست من علل الجسم الأصيلة ولكنها اضطراب ناتج عن صراع داخلي لا يشعر به العليل نفسه وأن تحت ضغط هذا الصراع تظهر عوارض هذا الداء ، وهو انحراف مرضي

تنتج إذن الاضطرابات النفسية عن كبت العواطف كما تنتج الحمى عن التهاب داخلي ، وكما تهبط درجة حرارة المحموم عندما يجد الالتهاب منفذاً ، كذلك تزول أعراض الهستيريا عندما يستطاع التفريج عن العواطف المكبوتة « والسير بها في السبل الطبيعية حيث تتركز القوى الشعورية منبسطة في حرية بعد أن كانت ملتوية أو بعبارة أخرى مخنوقة ، وكان هذا الخنق سبباً لاستمرار عوارض الداء »

على أن الزميلين ، « فرويد » و « بروير » انفصلا بعد لأي لأنهما كانا قد وصلا إلى نقطة لم يتفقا عليها . كان « بروير » طبيباً يخشى خطر الاعتماد المطلق على علم النفس ويصرف همه إلى وسائل معالجة الهستيريا والشفاء من أعراضها ، بينما صار « فرويد » الذي اكتشف في مواهبه ميلاً إلى علم النفس مأخوذاً بالعوارض النفسية وبالأسرار التي يكشف عنها تبدل العواطف ، وقد أثار فضوله أن هذه العواطف تكبت فتقوم مقامها عوارض جسمية فاستمر في البحث حتى بدا له أن هذه الظواهر تصح أساساً للتحليل النفسي ، وأنها تفتح أبواب عالم جديد قائم على العقل غير الواعي ، فوقف حياته منذ ذلك العهد على « درس المناطق غير الواعية في الحياة والنفس » ، وكان ذلك أساساً لمذهبه الجديد الذي نفصله فيما يلي :

كان علماء النفس قبل « فرويد » يعرفون أن الطاقة النفسية لا تتلاشى كلها فى عمل العقل الواعى ، وأن هناك قوة أخرى خفية تؤثر فى حياتنا وتفكيرنا ، ولـكنهم كانوا يجهلون هذه القوة ولا يحاولون إدخال العقل غير الواعى فى محيط العلم والتجربة

كان علم النفس أيامئذ ، أى قبل سنة ١٩٠٠ ، وهو العهد الذى قرر فيه « فرويد » نظرياته ، لا يهتم بالأعراض النفسية إلا بقدر ما تدخل فى دائرة الوعى الواضحة ، فلا تدرس العاطفة إلا إذا ظهرت تماماً ، ولا يعنى بالإرادة إلا إذا أملت مشيئتها فعلاً؛ وهكذا كان علم النفس يستبعد كل الظواهر النفسية التى لا تطفو على سطح الحياة الواعية فى شكل بارز

رأى « فرويد » أن العقل الواعى لا يعد مصدراً لـكل عمل نفسى ، وأن العقل غير الواعى ليس طبقة سفلى يختلف عن الأول ويخضع له ؛ وقرر أن كل الأعمال النفسية ناتجة أولاً عن العقل غير الواعى ، أو ما دعوه بالعربية العقل الباطن ، وأن الأعمال التى نعيها لا تختلف عن الأولى ولا تتفوق عليها ، لأن وعيها نتيجة عمل خارجى . ومثل هذا كمثل النور حين يضىء بعض الأشياء ، فهذه الأشياء موجودة وجوداً مادياً ، ولـكن النور يجعلنا نراها فليس النور الذى أوجدها لأنها عالقة بالعالم الطبيعى سواء أكانت ظاهرة لتسليط النور عليها ، أم مختفية تحت ستار الظلام حيث نستطيع أن نتعرف باللمس شكلها وحجمها

وهكذا يجد « فرويد » أن « غير الواعى » لا يعنى المجهول أو « غير المستطاع الوصول إليه » ، كما كان يظن العلماء من قبل وقد اعتقدوا أن فى النفس خزاناً مظلماً راكداً أو مستودعاً يحوى المنسيات والمختلفات ، فتستمد الذاكرة منه بين وقت وآخر أشياء بمعاونة العقل الواعى . وكانوا يعتقدون كذلك أن عالم غير الواعى عاطل فى نفسه لا عمل له ولا شأن كأنه حياة انصرم عهدها وماض مدفون لا أثر له فى عواطفنا الحاضرة

أما فرويد ، فقد رأى أن غير الواعى ليس من رواسب النفس بل هو مادتها الأولى ولـكنه لا يصل إلى سطحها المستنار بالوعى غير جزء يسير منه . ولا يعنى طى بعض أجزائه أنه عقل ميت أو أن لا قوة له ، لأنه فى الحقيقة حى عامل يؤثر فى تفكيرنا وعواطفنا ، ولدله أقوى العوامل فى حياتنا النفسية . وعليه فإنه يخطئ من لا يحسب حساب الإرادة غير الواعية فى كل ما تعمله وتمليه ، لأنه ينفى العنصر الأصيل فى قوانا الداخلية

ليست حياتنا مظهراً حراً للعقل الواعى يسيرها كما يشاء ، وليس عالمنا ملكا لإرادة واعية تسيطر عليه . إن من ظلمات العقل الباطن تنبع الأنوار التى تلقى ضوءها القوى على أعمالنا ، وفى أعماق عالم الغرائز تتألف العواصف التى تسيطر علينا وتغير المجرى الطبيعى للحياة التى كان مقدراً لنا أن نعيشها

تلتقى فى هذه الأعماق المظلمة من طبقات النفس البشرية العواطف التى مرت بالوعى فى حين من الزمان ، ورغبات الطفولة المنسية التى يظن أنها دفنت إلى الأبد ، والمخاوف والأهوال التى قيل إنهـا زالت ومحى أثرها ، وهى جميعها تضطرب حيرى قلقة عطشى إلى الظهور بواسطة الأعصاب

لا يعيش هـذا جميعه فى أعماق النفس فحسب ، بل هناك أيضاً شهوات الأجيال التى انقرضت واحداً بعد واحد صعداً إلى عهد الهمجية ، فتلتقى فيها الذاتية الهمجية بالذاتية المتحضرة وفجأة تتحرك الغرائز الأولية الجامحة فتمزق سجوف المدنيـة الشفافة وتبرز قوية عنيفة من العالم غير الواعى إلى العالم الواعى وتحاول أن تنال قسطها من العمل الحر ، فيتولد صراع عنيف بين عاطفتنا الأخلاقية المتمدينة وبين غريزة اللذة الهمجية الدفينة فينا . ولا شك أن كل كلمة نتفوه بها ، وكل حركة نأتيها ، مظاهر لهذا الصراع الذى تحاول فيه العاطفة المتمدينة التغلب على غريزة اللذة ، بل إن حياتنا النفسية كلها صراع دائم مؤثر بين الإرادة الواعية وغير الواعية ، وبين العقل المسؤول والغريزة غير المسؤولة

وقد شاء « فرويد » من هـذا جميعه أن يفهم كل إنسان معنى اندفاعاته غير الواعية ، لأنه ليس من المستطاع معرفة عواطف الإنسان إلا إذا أنيرت طبقات نفسه المظلمة ، ولا يعرف أسباب اضطراباته إلا إذا انحدر إلى أعمـاق نفسه ، وليست مهمة العالم

ولـــز فى كلمة موجزة

للأديب محمد جمال الدين أبو رية

حياته :

فى مقاطعه كنت بانجلترا سنة ١٨٦٦ ، خرج ذلك الأديب النابغ ، ذلك العقل الجبار ، ليظهر للعالم أنموذجاً صحيحاً للأدب الفنى ، للقريحة الممتازة القليلة النظير

حصل ولز الأديب على شهادة B. Sc. فى العلم فى سن مبكرة ، ولكن أبى القدر إلا أن يذوق ذلك الأديب من تجاربه القاسية ، فساءت حال ولز المادية ، فاضطر أن يشتغل فى محل للأقمشة ، ثم اشتغل بالصيدلة ، ثم اشتغل بالتدريس . فكادت كل هذه التجارب تودى بحياته ، إلا أنه اشتغل أخيراً بالتأليف والصحافة محافظة على حياته . وما من فنان أو عظيم بلغ أوج عظمته إلا وقد ذاق الأمرين .

لم يكن ولز كغيره من الأدباء ، إذ كانت له نظرية فريدة ، رفعته إلى المرتبة الأولى من الأدباء ، فهو يصل الماضى بالحاضر متغلغلاً فى أعماق المستقبل

كانت قصص ولز الأدبية ، قصيرة وطويلة ، موضوعاتها منوعة، فقد عالج أساليب الحياة التى وصفها وصفاً دقيقاً ، وكتب فى الحب والحياة والموت والموضوعات العلمية

ولقد كانت تتخلل كتابات ولز قطع فنية ، يكتبها بمداد من خياله الرائع الجميل مثل قوله :

« لقد كانت الزهرات تتدفق وتتعانق كألحان الموسيقى المذبة ، وترفع إلىَّ عيوناً كعيون الأطفال، وسرى إلى أذنى غناء سحرى من فم الزهر والأغصان والأوراق ، وفجأة سمعت من أعماقها أغرودة طائر وخفق جناح مرتاع ... الخ »

كان من أهم مميزات ذلك الأديب الفذ . . . صدق حدسه عن المستقبل ، حتى وصفه أدباء فرنسا فى ذلك الحين بأنه « رجل الأحلام » ووصفوا أحاديثه بأنها « أضواء تخطف الأبصار »

أغراضه :

١ — اهتم ولز بالفرد ، وأراد أن ينزهه عن التحبب إلى من يعلو عنه مرتبة وينزهه عن التسخير فيقول : « وما الأهرام ، وما تلك المشيدات الرومانية العظيمة إلا بيد الفرد المستعبد المسكين » .

٢ — ترى أن ويلز غاضب من الحكومات ، غاضب من الزعماء ، غاضب من الساسة ، لأنه يرى أن الزعيم لا يصل إلى المراتب العالية إلا بواسطة الفرد وإرضائه (رشوته) . فهم يجتمعون ويتكلمون ويأدبون المآدب ، كل ذلك لغرض واحد هو الوصول إلى الحكم ثم الاستبداد وحب الذات

٣ — يريد ولز أن تنتهى تلك الحروب وتخلق وحدة اقتصادية كبرى تشمل الدنيا ، ووحدة مالية تحفظ العالم من الخراب والدمار ثم يرجع ولز فيبشرنا بالرخاء والرغد فى المستقبل فيصيح قائلاً :

(إذن فاعلموا أنى متفائل أرى الفجر يقترب ، وأرى البشائر فى حواشى الأفق)

ألا ترى بعد ذلك أن ولز ذلك الأديب يستحق بعض وقتك فى قراءة تاريخه وكتبه .

(المنصورة) محمد جمال الدين أبو رية

النفسانى أن يكشف للانسان عما يعيبه ، كما أن الطبيب لا يستطيع أن يعالج المريض إذا جهل حقيقة عقله الباطن

ولكن كيف السبيل إلى الوصول إلى أعماق النفس المجهولة ؟ يعتقد « فرويد » أن العقل الباطن يعبر عن نفسه بإشارات ورموز ، وأن على من يريد الكشف عن أسراره أن يتعلم لغته . وقد وضع « فرويد » أصول هذه اللغة على الطريقة التى جرى عليها علماء الآثار المصرية حين كشفوا عن اللغة الهيروغليفية . فقد أخذ يبحث إشارة بعد إشارة ورمزاً بعد رمز حتى انتهى إلى تدوين لغة العقل الباطن ووضع قواعدها . وهكذا استطاع أن يقيم لعلم النفس أسساً جديدة على طريقة علمية ، وأن يكشف عن عالم مجهول .

(البحث صلة) صديق شيبوب

الى معالى وزير المعارف

التعليم الزراعى

– ٣ –

« هذا الفلاح المزيف لا يصلحه تنظيم قريته ولا تجميل داره ؛ إنما يصلحه تربية ذوقه وإرهاف حسه . فان صاحب الذوق يبنى الدار الجميلة ويخط الحديقة البهيجة ؛ أما فاقده فخليق به أن يجعل القصر زريبة والبستان مزبلة »

(الزيات)

ثانيا : المدارس المتوسطة

الآن أطوى صفحة المكتب الزراعى وإنه ليروعنى أن يعيش هذا الفرع من التعليم الزراعى خمس سنوات لا يحس به جُل مَنْ يعنّون أنفسهم بالبحث فى فروع التعليم ، وإن كثيراً من اشتغلوا بالتعليم الزراعى لا يعرفون عن المكتب الزراعى إلا قطرات لا تبل غلة . ولقد سألنى صديق من ذوى الرأى والمكانة فى دهشة : « وماذا عسى أن يكون المكتب الزراعى ؟ » قلت : « هذا نوع من التعليم أسدلت عليه سجف كثيفة خشية الفضيحة »

وبعد فلا عجب إن امتد الزمن بالتعليم الزراعى خمساً وعشرين سنة لا يفيق من غفوته ولا يتخفف من ثقله ، فهو لُقًى فى ناحية من الوزارة لا يستشعر وجوده أحد ، ولا يجد هو من يهتك عنه أستاره ليتكشف أمام الملأ فى غير تمويه ولا زَيْف . وأنا حين أجرّد القلم ليرفع صوت التعليم الزراعى وينشر شكاته على أعين أولى الأمر لا أبتغى سوى كلمة الإنصاف أول قول الحق

النظام و « فوضى النظام »

لا ريب فالطالب الزراعى خُلِقَ شاء هو ، أو شاء له القدر ، أن يتحلل من أثقال المدرسة ليقضى سنوات فى مدرسة ليست هى فى رأيه مدرسة ولكنها بعض مُتع الحياة ؛ وفى خاطره أنه سيطرح نصب الاستذكار وكدّ المطالعة وعناء الدرس ... سيطرحها جميعاً من وراء ظهره ، لأنه سيكون فلاحاً نظيفاً يغدو إلى الحقل ويروح إلى المدرسة ينعم بالهواء الطلق ويمرح فى الفضاء المنفسح ، وينشق الحرية اللانهائية ؛ يأكل وينام ويلعب ويهدأ متى شاء وأنى أراد ؛ ثم هو بعد ذلك لا يستشعر بأساء الاختبار ، ولا شدة الامتحان ، ولا غلاظة الدرس ، ولا جفاء المدرس ... ثلاث سنوات تمر مرّ السحاب ، فإذا هو رجل يحمل بين يديه (دبلوماً) فتنفتح أمامه مغاليق الحياة ، وتهش له مصالح الحكومة!

يا ما أحلى هذه الأحلام حين تطيف بخيال الفتى وهو غِرٌّ قد وقفت به همته عن أن يبلغ مبلغ الرجال ، أو أعجزته الوسيلة عن أن يسمو إلى مراتب التعليم العليا ، أو ضاقت به فرج التفكير عن أن يصل إلى الغاية !

هـذا هو الطالب الزراعى ، وإن نزوات الشباب لتتوثب فى رأسه توحى إليه بأنه يوشك أن يكون رجلاً يعرف كل شىء فى حين أنه يخرج من مدرسته لا يعى شيئاً ، وهو أجهل ما يكون فى الزراعة التى وقف عليها ثلاث سنوات من عمره

ويغتمر الطالب فى خضم هذه اللاجة فتصفعه الحقيقة المرة صفعة تطير لها هذه الرؤى الجميلة بعد أن يكون قد استشعر لذتها حيناً من الزمان ؛ فتعود إليه نكسة اليأس حين يرى أن المدرسة التى فزع منها هى المدرسة التى زَجّ بنفسه فيها ؛ فهو هنا سيقرأ ويكتب ويطالع ويجلس على مقعد فى فصل يسيطر عليه مدرس ، ثم يتذوق مرارة الدرس ولذع الامتحان ونكد الرسوب و ... فإذا هو هو الطالب الذى أخفق ويخفق مرات ومرات ، الطالب الذى حطمته السنون العجاف ، الطالب الذى جاء ليموت فى التعليم الزراعى أو يموت به التعليم الزراعى

وليت كل طلاب المدرسة من بيئة واحدة وثقافة واحدة ووسط واحد ، إذن لاستطاع المدرس أن يوائم بين نوازعهم ورغباتهم ، أو أن يجد الحيلة فينفذ إلى عقولهم وأخلاقهم . ولكن هذا الجمع — وا أسفا — خليط لا يمت الأول إلى الآخر بسبب ؛ فالفصل الواحد يضم بين جدرانه أشتاتاً من الطلبة تضطرب فى غير ترابط ولا وفاق : فالحجرة الواحدة تجمع بين الطالب فى الخامسة عشرة والطالب فى الخامسة والعشرين ، وتؤلف بين من نال شهادة إتمام الدراسة الابتدائية هذا العام وبين من قضى سنوات ثلاثاً فى السنة الرابعة الثانوية ، وتربط بين من هو ما يزال فى فتوة العقل ومن نخر اليأس حشاشة قلبه ؛ وتلقى فى ركن الفتى الريفى الذى رأى الغيط وجلس إلى الفلاح ، وفى الركن الآخر الشاب الذى درج فى المدينة وشب وترعرع ونما واشتد فى حضن الحضارة الرفيق لا تربطه بالريف آصرة ... وهكذا يصطدم المرء

— أول ما يتغلغل فى المدارس الزراعية المتوسطة — بهذا الخلل الذى أسميه فى غير تحرج « فوضى النظام »

و « فوضى النظام » تتسلل إلى المدرسة منذ أول يوم من أيام السنة الدراسية ، حين تفتح المدرسة أبوابها على مصاريعها ، لا تدفع طالباً ولا ترفض طلباً ؛ ولقد تظرف مى صديق فقال : « لعل كل هم مدارس الزراعة أن تستنفد ما عندها من استمارات الدخول طلباً للربح ، كدأبها فى منتجاتها ومحاصيلها ، ولا عليها بعد ذلك ! » وقال آخر : « وإنه ليتراءى لى لو أن (عربجياً) تقدم إلى مدرسة زراعية لقبلته بين طلبتها فى غير غضاضة ، ولا أنفة ! » هذه عبارات كانت تحز فى نفسى وتؤج فى صدرى ، لأن فيها التهكم اللاذع والسخرية المرة . وليت شعرى أى مدرسة فى العالم تفتح أبوابها لكل من كان (أفندياً) يتأنق فى البذلة والطربوش ؟

وتدخل « فوضى النظام » المدرسة فتتشعب لتغمر القسم الداخلى والقسم الخارجى ، والصلة بين المدرس والطالب ، وبين المدرس والناظر ، وبين المدرسة وأولياء أمور الطلبة ، و ... ثم إلى بيت المدرسين

إن الاضطراب الذى رأينا — من قبل — بين جدران الفصل نشعر به أيضاً فى أركان (العنبر) فى القسم الداخلى ، فهناك مهزلة العلم يمثلها المدرس وتلامذته على مسرح الفصل حين يجهد نفسه ليتغلغل إلى عقول التلاميذ ، فلا يجد السبيل ، وقد ضرب بينه وبينهم بسور لا يستطيع أن يظهره إلا لماماً ؛ وهنا مهزلة الأخلاق يمثلها التلاميذ وحدهم على مسرح (العنبر) ، وإدارة المدرسة إما لاهية وإما عاجزة ، ولها عذر ؛ فهى لا تستطيع أن تسدل حجاباً بين الطالب الكبير والطالب الصغير وهما يقضيان عمر اليوم جنباً إلى جنب ، صديقين فى الفصل وفى الحقل ، ثم ... ثم فى (العنبر) ، والكبير يوسوس للصغير ويزين له فيندفع فتنفرط أخلاقه فيهوى ، وينفض السامر عن أشياء تصم جبين العلم ، لأن كلا منهما ينطلق يريد أن يشبع رغباته الشريرة على حين قد غفا الرقيب ...

وهكذا نجد أثر التباين فى السن والثقافة واضحاً فى هذه المدارس ، ولا سيما فى القسم الداخلى . ومن الغريب أن النظام الداخلى يوشك أن يعم التعليم الزراعى المتوسط ، فى حين أنه قد ثبت فساده فى التعليم العام

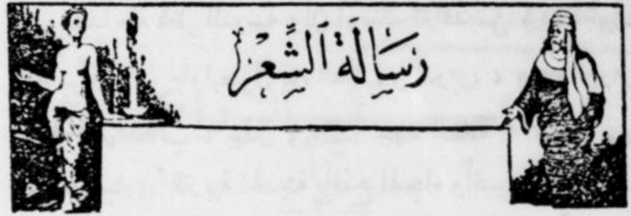
لهذا جاء ناظر المدرسة وإن أوصاله لترعد من شدة الخوف والفَـرَق ... جاء ليحول بين الطالب والمدرس ، وبين المدرس وولى أمر الطالب ، يبذل فى ذلك جهد الطاقة ؛ ثم هو يرى أشرف مبادئ التربية الحديثة بأقذع الهجاء وأقسى الألفاظ

هذا الداء ... داء اختلاط الشر بالخير ، حرى به أن يدفع أولى الأمر إلى أن يجتثوا أصول الشر ليذروا الخير وحده ينمو ويسمو فى هذا الوسط . غير أن شيئاً فى المدارس المتوسطة يقوى الشر وحده فيضوى له الخير ، هـذا هو داء (إعادة القيد) وهو أيضاً أثر من آثار (فوضى النظام)

وداء (إعادة القيد) هذا هو نظام احتال به الرئيس مرة ليعيد طالباً إلى مكانه من مدرسته بعد أن رسب سنتين فى فرقته فرفت ؛ فأصبح قانوناً . وهذا الضرب من الطلبة هم الشر المحض الذى يتخلل أثناء المدرسة ، وهم الفئة الباغية التى يجب أن تستأصل من هذه المدارس ليجد الخير سبيله فيها

وانسربت (فوضى النظام) إلى (بيت المدرسين) ، وهو بيت خلقته يد الإصلاح ليسكنه جماعة من المدرسين ليكونوا إلى جانب تلاميذهم ، يراقبونهم ويهيئون لهم وسطاً علمياً أدبياً يستروحون من خلاله نسمات الهداية والرشاد ؛ غير أن الانكماش الذى أرادهم عليه الرئيس نفث فى هذا البيت معنى آخر ، فأصبح خلوة للمدرس ، وحاجزاً بينه وبين تلامذته ؛ أو هو كبعض (تكايا) العهد البائد يسكن فيه المدرس ويأكل ويستمتع بالراحة والهدوء ، لا يشعر بتكاليف الحياة ولا مضض العيش ، دون أن يدفع من ثمن ذلك فى الشهر إلا دريهمات لا تكفى غيره سوى يوم أو بعض يوم ، وهـذا البيت نفسه بث فى المدرس روح الـكسل والتراخى والتواكل والحرص ، فما فيه من نشاط جسمى ولا عقلى ، وما فيه من فرحة للنفس ولا لذة للقلب ؛ وإذا قدر لإنسان أن يرق إلى إلى (بيت المدرسين) ألفى هناك شرازم من المدرسين يزجون الوقت بين الهذر والمزاح والنرد والورق و ... ثم لا يجد سوى بقايا مذكرات قديمة وأوراق متناثرة وجرائد ومجلات هزلية ، أشياء مما تنحط بالعقل والتفكير ، ثم لا يعثر على كتاب أدب ولا رسالة فى علم ولا نشرة زراعية ولا بحث فى موضوع ولا ... ولا ... مما يرق بعقل المدرس ويفيد الطالب

« للموضوع تكملة »



الهوى يغنى

للأستاذ أنور العطار

يا فؤادي لولاك ما هدنى الشجـ ـو ولا ذبت حسرة وشقاء
كنت تشكو وكنت آسى لشكوا
ك واستنفد الدموع بكاء
وأسليك ما وددت التسلى وأعزيك ما حببت العزاء
أرقأ الدمع خير من رقأ الدمـ ـع وأطوي الجوى وأقصى الداء

***

يا فؤادي لولاك ما بت ليلى ساهداً أضجر النجوم اشتكاء
أتنزى أسى وأنت من الوجـ ـد تعب الظلال والأنداء
وترى الليل خيبة للتمنى تلهم الشعر والهوى والغناء
هاهنا يرقد الهيام كئيبا مضه اليأس فارتمى إعياء
هاهنا تستريح دنيا من الأشـ ـواق تغرى الآلاف والشعراء
هاهنا تهدأ المنى غير نجوى تغمر الروح هاجسا ونداء

***

الهوى جدول يظل يغني يتغنـــدى بشاشة ورواء
من يساير ضفافه الخضر يهتـ ـز مراحا ويستعر خيلاء
ويغب في رغادة الفرح السمـ ـح وينشر الحياة والأحياء

***

ذلك الجدول الشهي الموشى حلم يلهب القلوب اشتهاء
رف بين المروج والقلب ظمآ ن يناجي الأمواه والأفياء
نضر العمر في خيالي وهز الـ ـكون بشرا وزين الأشياء

أنور العطار

صفحات من الحب العظيم

الخلوة الأولى

فى أرض الجزيرة على النيل

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى خلوة كان الهوي بيننا وكانت النجوى وكانت دموع
وكانت الشكوي وكان الجوى وخافق يضرب بين الضلوع

***

سقيتنى من روحك الطاهر عذب هوى كنت إليه ظمى
رويت فيــه ظمئى وانتشى قلبى منه وجرى فى دمى

***

شكا كلانا ما به وانثنى يستمع الشكوى إلى جاره
يستمع الشكوى وفى قلبه دنيا من الوجد ومن ناره

***

ومرت الساعات تعدو إلى حيث تهاوى فى قرار سحيق
ونحن فى خلوتنا نشتهى أن ينقضى الدهر وما إن نفيق

***

حتى أتت ساعتنا للوداع ثم وقفنا موقفاً موجعا
مددت يمنــاك وأبقيتها فى قبضتى ثم صحتنا معا

***

وقلت لى : كيف سأبقى إلى أن يصبح الصبح ؟ أما نتقى !
يا حسرتا لى ! نتوالى الليال لا نشتكى فيها ولا نلتقى !

***

بالله قل لى كيف كان الهوى وكنت بعدى يا طويل الغياب
وكيف تقضى ليلة فى الشتاء بغير شكوى فى الهوى أو عتاب

***

وكيف بالليــل تولى ولا تسمع فيه زفرة من شجونى
وكيف بالأيام تمضى ولا تشهد فيها دمعة من عيونى

يا قاسى القلب ، أما تشتهى   أن ترجع الأيام تلك العهود ؟
أين الوفا منك وميثـاقه   وأين منه اليوم هذا الجحود

* * *

أين ليـاليـنا وأيامنـا   مابين شكوى فى الهوى أو عتاب
إذ نتلاقى فى الضحى والمسا   ونشتكى فى الصبح مرّ الغياب

* * *

طال ندائى لك فى خلوتى   وطال حرمانى وطال العذاب
من بعد أنسى منك فى وحدتى   يوحشنى بعدك بين الصحاب

* * *

هلْ نسترجع عهـدًا مضى   كنت لقلبى فيه دنيا المنى
هلْ نسعد بكؤوس الرضى   من بعد ما ذقنا كؤوس الضنى

* * *

هلْ نفرح بعد هذا النوى   ونسدل الستر على ما مضى
أسقيك من روحى صِرف الهوى   ونملأ الـكاس بخمر الرضى

* * *

هيهات ! لا قلبى له مسعد   ولا حبيبٌ قربه يرتجى
بل أمنيات أشتهى أن تكون   أشقيت عمرى وهى ليست تجى

محمود الشرقاوى

نشيد

لك روحى ...

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

لكِ رُوحى فاسلمِى مصرُ وسودِى   وابلُغِى بالجِـدِّ هاماتِ الوُجودِ
من صُعودٍ للسَّما نحو صُعودِ   وَيَقِينٍ بالعُـــلا بعدَ يَقِينِ

* * *

لكِ صَدْرِى فاتَّقِى سَهمَ المنُونِ   وَيَمِينِى إنْ وَنَتْ شُلَّتْ يَمِينِى
إنْ عَدَا العَادِى على الوادِى الأمين   أوْرَدَتهُ القَبرَ أيْدٍ لا تَلِينْ

* * *

إنني نَسْلُ جُـدُودٍ خَالِدِينَا   مَلأُوا الدُّنيا جُنُودًا وسَفِينَا
لاَ تَقُلْ ما كانَ مِنهُمْ لَنْ يَكُونَا   كلُّ ما هَوَّنْتَ من صَعْبٍ يَهُونْ

* * *

صُلْبٌ فى حقِّ أوْطَانى فَإنْ   لاَنَت الأحْجَارُ فيها لَمْ ألِنْ
قَدْ سَقَانى نيلُها ، إن لم أكُنْ   حَامِىَ النيلِ فمَنْ غَيْرِى يَكُونْ ؟

سَلِمَتْ مصرُ وَسَادَتْ فى الحَيَاهْ
فِى عُلاَ « الفَارُوقِ » تعلو وَحِمَاهْ
جَلَّ رَبِّى مَنْ رَعَاهَا وَرَعَاهْ
أنا فى الرَّوْعِ فِدَاهَا وفِدَاهْ

أيُّها الجُنْدِىُّ قُمْ وافْدِ الحِمَى   وابْلُغَنْ بالنيلِ أسبابَ السَّما
لا تقُلْ : أعجزُ عنها ، إنما   خلَقَ العجزَ خيالُ العاجزِينْ
هذه الرايةُ فى أوْجِ العَلاءِ   أنا إن جُدتُ فِدَاها بِدِمائى
خَـلَّدتنى كلُّ حىٍّ لِلْفَناءِ   ليْسَ يبقَى غيرُ ذِكْرَى الخالدين

* * *

يا ثلاثًا هُنَّ خيرُ الأنجُمِ   أنتِ : رُوحِى ، وحياتى ، ودَمِى
خضْرَةُ الجَنَّةِ فى ذا العَـالَمِ   وبياضُ الصُّبحِ والحقِّ المبين

* * *

عشتَ يا فاروقُ والدنيا فِدَاك   وعُلاَ الأنجُمِ بعْضُ من عُلاك
جَنَّةُ النيلِ ما شادتْ يَدَاك   فاعمُروها بسَـلامٍ آمنين

سَلِمَتْ مصرُ وسادتْ فى الحياهْ
فى عُلا « الفاروق » تعلو وحِماهْ
جَلَّ رَبِّى مَنْ رَعاها وَرَعاهْ
أنا فى الرَّوْعِ فِدَاها وفِداهْ

أحمد فتحى مرسى
المحامى



قصة الفيتامين

الفيتامين المضاد للالتهاب العصبي أو فيتامين البرى برى B_1

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

— ٥ —

زال كل شك على التقريب لدى من بقى متردداً فى احتواء قشرة الأرز الرقيقة على هذه المادة الحيوية العجيبة المضادة للالتهاب العصبى ، وخاصة بعد ما عزز اليابانيون هذه النظرية بنتائج قاطعة وقعت فى جيوشهم وبحريتهم إذ كانت هذه تعتمد فى غذائها على الأرز الأبيض المقشور ، وكانت تقدم سنوياً من ضحايا البرى برى من لا حصر لعدده من الرجال حتى بلغت نسبة الضحايا فى بعض السنين أربعين فى المائة من رجال القوات المحاربة مما تأثر به الجيش والبحرية ، ولكن حدث بعد هذا أن أضرب عن طعام الأرز كغذاء رئيسى أساسى وأضيف إليه البطاطس والفواكه والدرنات وخبز الحبوب ، فكانت النتيجة اختفاء مرض البرى برى ، وهذه الخطوة الأخيرة من أهم الخطوات العملية الجديدة التى خطاها البحث وقاوم بها الداء وكسرت بها شوكة المرض ، ولا يلعب الآن هذا المرض إلا دوراً ثانوياً بسيطاً فى تلك البلاد الأسيوية الشرقية التى عرفت الأهمية الصحية لما تحويه قشرة الأرز من المواد الحيوية ، فأحلت الأرز غير المقشور أو نصف المقشور محل الأرز المقشور ، وقد لا يقدر قيمة هذا العمل الأخير أحد مثل الذين رأوا بعيونهم الفعل الوبيل المرض الذى كان يتخطف الناس ذرافات من الوطنيين وآكلى الأرز بعد أن يهلك أبدانهم ويضنيهم

وربما يكتفى الإنسان فى مثل هذه الأحوال فى البلاد التى تعتمد فى غذائها على الأرز اعتماداً كلياً بسن قانون يمنع تبييض الأرز . ولكن مثل هذا العمل لا يحل المسألة ولا يرضى الروح العلمية البحاثة التى تصبو إلى تقرير معرفة وتكييف طبيعة هذه المادة التى تمنع حدوث المرض وعلة وجودها فى القشرة الفضية الرقيقة ضمن الطبقة البروتينية التى تكسو حبة الأرز ؛ وقد توصل بعض الباحثين من اليابانيين ، وكذلك البيولوجى فونك الذى سبق ذكره ، وكان أول من وضع لفظ (الفيتامين) — إلى فصل وتحضير مادة من كساء (الطبقة الكاسية) الأرز كفت كميات منها متناهية فى الصغر للقضاء التام على أعراض مرض الالتهاب العصبى الناتج من تناول الأرز المبيض غذاء أساسياً . وبعدئذ وعند تصنيف وتبويب الفيتامينات أطلق على الجزء الفعال من هذه المادة المحضرة الحرف الهجائى B ولما كان الاسم العلمى للالتهاب العصبى هو Neuritis المأخوذ من الإغريقية Neuron بمعنى أعصاب لقب هذا الفيتامين بالأنتينوريتيك

وتوجد هذه المادة الحيوية فى الأرز الغير المقشور بنسبة جرام واحد فى كل ألف كيلو جرام أو بنسبة جرام ونصف فى كل مائة كيلو جرام من نخالة الأرز (نخالة الأرز هى القشرة الداخلية للأرز التى تنزع عن حبة الأرز وتفصل عنها أثناء تبييضه) وقد استبعد وجود هذه المادة فقط فى قشرة الأرز فدل البحث بعدئذ على وجود الفيتامين B كذلك ضمن الطبقة البروتينية فى الحبوب كالشعير والذرة والقرطم والقمح وفى بذورها كذلك، وقد لا يثير عجبنا غنى بذور تلك الحبوب بهذه المادة ، فالبذرة هى مصدر الحياة، فلا بدع إن حملت كذلك المادة الحيوية اللازمة للبناء والنمو والحفظ، أما فى داخل الثمرة (فى الحبوب) أى النسيج الخلوى النشوى ، حيث المستودع الغذائى للنبت الجديد ، فيندر وجود الفيتامين B أو ينعدم

ولهذه النتيجة أهمية فى حياتنا اليومية ، فتقل إذن أو تكثر نسبة الفيتامين فى الخبز الذى نأكله تبعاً للنسبة المئوية فى طحن الحبوب أى نسبة إنتاج الدقيق من القمح المطحون ، وهذا يعنى كثرة وجود أو قلة النخالة والبذرة فى الدقيق ؛ فكلما قلت نسبة الإنتاج وقل وجود قطيمات النخالة والبذرة فى الدقيق الأبيض الناتج قلت معه نسبة الفيتامينات ؛ أما الدقيق ذو الإنتاج العالى أو الدقيق الكلى الذى يحوى معظم الحبة فنسبة وجود الفيتامين B عالية

وهذا ما أثبتته التجارب الغذائية التي قامت للتدليل على التأثيرات المختلفة للفيتامين في أنواع مختلفة الإنتاج من الدقيق، وإحدى هذه التجارب قامت على تحضير عدة مجموعات من الفيران أطعمت كل واحدة على حدة نوعاً خاصاً من الغذاء من دقيق القمح والذرة والقرطم والشمير، فكانت أولى الضحايا هي مجموعة الفيران التي كان دقيق القمح من نصيبها، أما المجموعة المطعمة دقيق الشمير فقد مكثت أربعين يوماً حية رغم صنف غذائها الواحد. أما الفيران التي أكلت من غذاء القرطم الأسود فلم يصبها أي سوء وذلك لاحتواء الدقيق الأسود على كميات وفيرة من الفيتامين

ولم لا يصاب الإنسان إذن بتلك الأعراض القاسية للالتهاب العصبي إذا ما اعتمد في غذائه على الخبز الأبيض لا سيما وقد أكد هذا القول نتائج تجارب قامت حول تغذية الحيوانات، فالكلاب إذا ما أطعمت بالخبز الأبيض فقط تمرض بالبرى برى بعد أربعين يوماً والدجاج بعد عشرين، أما الفيران فبمضى اثنى عشر يوماً. وفي كل هذه التجارب تلاشت أعراض المرض سريعاً عندما أضيف إلى دقيق القمح نخالة القمح، وإذا ما لاحظنا أننا قد لا نمرض إذا تناولنا الخبز الأبيض فإن لنا في بقية أصناف الطعام المتممة مصادر أخرى للفيتامين B. إذ نجد تلك المادة الأنتينوريتيكية خلاف الدقيق الأسود العالى الإنتاج في الخميرة بكميات كبيرة وفي الخضروات والفواكه الطازجة وفي الدرنات واللوز والبندق وصفار البيض واللبن والكبد واللحم الطازجة، ولا يتأثر الفيتامين كثيراً في هـذه الأطعمة عند طهيها طهياً عادياً ولا يفقد قدرته الفعالة عند سواد الأطعمة فيُموّن الجسم بكميات كافية من الفيتامين B عند ما نتناول ألواناً مختلفة من الطعام العادى. وهنا تضرب الطبيعة مثلاً غريباً في القناعة، إذ يكفيها يومياً من ثلاثة أرباع إلى واحد على الألف من الجرام من فيتامين الأنتينوريتيك ضمن الغذاء اليومى للقيام بمهمتها في حفظ كيان الإنسان وصونه من الأمراض

ومن الثابت المحقق الآن أن مجال عمل الفيتامين الأنتينوريتيكي وموضع تأثيره هو عند تحول المواد في الخلية العصبية، ولذا نرى أنه عند غياب هذه المادة الحيوية تحدث الاضطرابات وأعراض الإصابة في محيط الجهاز العصبي. وزيادة على ذلك يعمل هـذا الفيتامين على تنظيم عمل الغدد الدرقية Schilddrusen وأخيراً وبفضل مجهود العالم إميل أبدرهالدن Emil Abderhalden ثبتت أهمية هذا الفيتامين عنـد تمثيل الكربوهيدرات (المواد النشوية والسكرية) وأثر هذا أنه بغياب هذا الفيتامين تحدث اضطرابات في تحليل الجليكوجين (سكر الـكبد) أو في أية مادة سكرية نشوية تبقى في الجسم كاحتياطى من الكربوهيدرات، ونتيجة ذلك ازدياد كميات سكرية نشوية في الـكبد وفي عضلات وأنسجة القلب ازدياداً غير عادى، وتأخذ هذه الـكميات في الهبوط والنزول عند تموين الجسم ثانياً بالفيتامين B

ومع أن البحث العلمى بذل قديماً جهوداً عظيمة في سبيل التعرف على طبيعة تكوين هذه المواد الحيوية التي تكفى منها كميات ضئيلة لحدوث تأثيرات بيولوجية هامة في جسم الإنسان، ورغم تعاون الـكيمياء مع علم الطب لم تثمر هذه الجهود ولم يتحقق إلا حديثاً بعض الحلم في تحضير الفيتامين B في حالة نقية. إذ توصل الـكيميائى فونك الذى تردد ذكره مرات في هذا المقام إلى تحضير بلورات دقيقة من نخالة القمح استخدمت منها أجزاء ضعيفة من الألف من الجرام الواحد في علاج حمام مصاب بالبرى بالبرى، فكان لها مفعول السحر في شفائه كما حضرت كذلك خلاصة من الخميرة كان لمفعول أربعة أجزاء من الألف من الجرام منها أثر بالغ العجب في إزالة أعراض الالتهاب العصبى في حمام مصاب بالبرى برى، وفي ردهة اجتماع مؤتمر طب المناطق الحارة الذى عُقد في برلين عام ١٩١١ وضع العالم الألمانى شاومان Schaumann في حنجرة حمامة كسيحة مريضة بالبرى برى - حبيبة من الفيتامين الخام كان من أثرها الشافى أن طارت الحمامة في اليوم التالى في جو ردهة المؤتمر. ولم تتضح درجة نقاء هذه المنتجات المحضرة إلا بالمقارنة. وعند ما توصل العالمان الهولنديان، يانسن ودونات Jansen, Donath في سنة ١٩٢٦ بعد تحضير مجهد وتنقية تامة لبلورة محضرة من نخالة الأرز حالت كمية منها لا تزيد على عشرة أجزاء من مليون من الجرام دون إصابة حمامة رغم تقديم غذاء البرى برى لها ورغم هذه الجهود الجبارة المضنية من يانسن ودونات، فلم يثبت أن المادة التي استخلصاها ونقياها ذات تركيب كيميائى واحد، ولم يتوصل أحد إلى معرفة الحجر الأساسي لهذا البناء الـكبير، وكذلك الاحتفاظ بسر تركيبه قبل العالمين الألمانيين: أدولف ونداوس، فريتز لاكور Adolf Windaus & Fritz Laquer، وذلك

في أواخر عام ١٩٣١، إذ تمكنا مع مساعديهما من إزالة الستار عن الفيتامين B وتحضير مادة نقية بلورية من الخميرة يكفي منها جزءان من المليون من الجرام لإظهار أثر حميد في شفاء حمام مصاب بالبري بري. وقد وصلا إلى تحضير كمية هي $\frac{٧٠}{١٠٠٠}$ سبعين على ألف من الجرام من مائة كيلو جرام من الخميرة بينما توصل فريق من الباحثين إلى تحضير نصف جرام فقط من ألفي كيلوجرام من الخميرة مع الفارق العظيم في الإنتاج الصناعي، وللآن لم يذع أي شرح كيميائي تفصيلي لطبيعة هذه المادة

والمعروف عن فيتامين الانتينوريتيك فقط أنه يتركب من الكربون والإيدروجين والآزوت والأكسجين، وأحياناً من الكبريت، وأنه سهل الذوبان في الكحول والماء، وأنه يتأثر بالحرارة الطويلة المدى عند درجة ١٢٠° وأنه لا يتأثر عند الإغلاء القصير المدة. ولو قدر يوماً ما الوصول إلى الإحاطة التامة بالتركيب الكيميائي لفيتامين البري بري والإعلان عنه، فسوف لا يصل العلم إلى هـذا الفتح قبل الاصطدام بنواحي وأبواب كثيرة موصدة، إذ كلما تعمق العلماء في حل لغز الفيتامين B تكشف لهم أنهم ليسوا حيال فيتامين واحد، بل أمام مجموعة من المواد الحيوية، بل المعروف الآن أن ما اعتبره الباحثون قديماً فيتامين B ليس إلا مجموعة تكون من خمسة فيتامينات مختلفة على الأقل والتي منها ما تكلمنا عنه في هذا الباب تحت عنوان فيتامين الأنتينوريتيك (الفيتامين المضاد للالتهاب العصبي) أو فيتامين البري بري B_1. أما الفيتامينات B_3، B_4، B_5 فلا يعرف عنها إلا ما استنتج من التجارب الغذائية التي أجريت على الحيوانات وهي معرفة علمية نظرية بعيدة عن الناحية العملية ـ بينما تأثيرها وصلتها بفسيولوجيا الإنسان فلم تعرف بعد. أما الفيتامين B_2 فصلته القريبة الهامة بالتمثيل عند الإنسان ووجوده في الطبيعة ملازماً للفيتامين B_1 فسنخصص له الكلام في المقال القادم.

عبد اللطيف حسني الشامي



أدهم قال لي

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير الرسالة

تضمنت كلمة الأستاذ عبد الغني حسن دعوة لأصدقاء المغفور له اسماعيل أدهم أن يكتبوا عن مقدار ما وصل إليهم من العلم عن عقيدته . ولقد منعني أن أكتب عنه أنني كنت أتوعده بأن أكتب عنه . فلما مات منتحراً تحرجت من إنفاذ الوعيد !

على أن الذي قدم الانتحار بكتاب إلى النيابة يطالب فيه تشريح جمجمته لم يفته أن يتحداني في يوم انتحاره بمطالبتي أن أكتب عنه بعد موته ، ولم يفته أن يختار للتحدي أقوى وسيلة عرفتها من وسائل الإغراء ، وهي أنه أهداني كتاب ميخائيل نعيمة عن جبران خليل جبران ، وسألني عما إذا كنت أستطيع أن أكتب عن صديق لي مثل هذا الكتاب إن مات

أما أني كنت قد توعدته بالكتابة عنه فلذلك قصة تدل على طريقة تفكيره وعلى مقدار ما عاني من المتاعب التي أفضت إلى الانتحار بسبب هذه الطريقة :

ذلك أنني دخلت منذ أقل من عام إلى مكان اجتماعنا المعتاد في نادي جماعة الفنون الجميلة ومعي كتاب « هتلر قال لي » ، فدار الحديث بين المجتمعين ، وما فيهم إلا مصور أو مثال أو شاعر أو أديب، عن شخصية هتلر . وانفرد أدهم بالثناء عليه وذم الانجليز والمصريين والمسلمين ، وأسرف في كل ذلك أشد الإسراف ، فتوعدته إن لم يكف أن أضع كتاباً أجعل عنوانه «أدهم قال لي» وأدون فيه آراء أدهم كما سمعتها منه

سكت أدهم إلى اليوم الذي انتحر فيه . وفي هذا اليوم طلب إليّ أن أكتب عنه كما قدمت . فهل أكتب ؟

أرجو أن يجيبني مجيب فإني حائر ألتمس النصح .

عبد اللطيف النشار

اضطراب في مقال

حضرة الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

بعد التحية ، كتب الأستاذ الدكتور زكي مبارك في حديثه ذي الشجون بعنوان « إلى المنصورة وطن الشعر والخيال » في عدد الرسالة رقم ٣٧٨ ما يلي :

« بعد ساعة واحدة من الشروع في كتابة هذه السطور آخذ طريقي إلى المنصورة وطن الشعر والخيال ؛ فهل تلقاني المنصورة بالضم والعناق وهي كناس الحور العين ؟ »

واستطرد الدكتور فعرج على بعض ذكرياته إلى أن ذكر الجهود الشاقة التي بذلها أدباء الطليعة في مصر (الستة أو السبعة كما كتب الأستاذ الزيات منذ ثلاث سنين في عدد مضى بالرسالة) حتى وصلوا إلى السيطرة الأدبية ، ثم قال :

« وقد رجعت من المنصورة بعافية لأني لم أبت فيها غير ليلة واحدة ؛ فلم يتسع الوقت لمقابيل الوجد حتى مجرب حظها في القدرة على تجريح قلب تكسرت فيه النصال على النصال »

ثم استطرد الدكتور فذكر ما اتى بالمنصورة وما فعل . والذي يقرأ هذا الكلام يرى بعضه يناقض بعضاً إذ كيف يقول الدكتور في أول المقال إنه سيأخذ طريقه إلى المنصورة بعد ساعة واحدة من الشروع في كتابة تلك السطور ثم يعود بعد كتابة عمود واحد فيقول إنه رجع من المنصورة بعد أن أمضى بها ليلة واحدة . فالمعنى لا يمكن أن يستقيم إلا على فرض كون الدكتور قد كتب بعض مقاله قبل أن يأخذ طريقه إلى المنصورة ثم عاد فأتمه بعد رجوعه منها أي بعد يوم كامل على الأقل . وبفرض حدوث هذا فهلا كان واجباً أن يشير الدكتور إليه ليمنع اللبس وليستقيم المعنى .

لعل الإسراع في الكتابة إلى جانب احتمال أن يند بالقلم — كما يقول الدكتور تعليقاً على من أخذ عليه فتح كلمة « سجية » في بيت الشعر المشار إليه هنالك — يمكن أن يشرد بالذهن مما نود دائماً أن ننزه عنه قلم أديبنا الكبير الدكتور زكي مبارك .

وتفضلوا يا صاحب الرسالة بقبول إجلالي وإكباري .

(المحلة الكبرى) محمود أحمد وصيف

القراءات السبع

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد كتب الأستاذ الباحث علي الطنطاوي في العدد ٣٧٩ من الرسالة الغراء (كلمة في القرآن) جاء فيها :

(واقتصر الناس على الحرف الواحد حتى نشأ النحاة وأهل اللغة والقراء ؛ فوقع بينهم اختلاف يسير فى حركة أو إمالة أو مد أو همز فكان من ذلك القراءات السبع)

وهى عبارة تفهم القارئ أن للنحو واللغة والقراء مدخلا فى اختلاف القراءة . وما أظن الأستاذ — وهو باحث فاضل — يعتقد ذلك أو يميل إليه ؛ فان الحق الذى لا شبهة فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أقرأ أمته على الأحرف السبعة تخفيفاً وتيسيراً ؛ وأن هذه القراءات المشهورة الآن - وإن تكن على الحرف الذى اقتصر عليه عثمان رضى الله عنه حسما لمادة الخلاف - مروية عنه صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر ، وإنما لم يكتب المصحف العثمانى مشكولا منقوطاً تيسيراً لقراءته على الأوجه التى صح سماعها عن صاحب الوحى قطعاً . ولا غرابة فى أن يكون للحرف الواحد أوجه كثيرة ؛ ومن ذلك - مثلا - اختلاف الكلمة بين الاسمية والحرفية فى مثل قوله تعالى « فناداها من تحتها » قرئ بكسر « من » وبفتحها . ومن ذلك اختلافها فى حرف المضارعة فى مثل قوله تعالى «وما ربك بغافل عما يعملون» قرىء بالتاء والياء ومن هذا أيضاً اختلاف حركة الاعراب فى نحو قوله جل ثناؤه « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » بنصب كلمة « الأرحام » وجرها .

فلو كتب المصحف الإمام مشكولا منقوطاً لثبتت به قراءة واحدة فقط ، وفيه من الحرج ما فيه . لكن لما كثر الناس ونشأ اللحن خيف على القرآن الكريم أن يلحن فيه ، وأن يقرأ على غير وجهه ، فطلب زياد بن أبيه - وكان أميراً على العراق - إلى أبى الأسود الدؤلى ، وهو من كبار التابعين المتقنين للقراءة أن يضع للناس علامات تضبط قراءاتهم ففعل ، وكان ذلك مبدأ للشكل ثم النقط

هذا ، وأكبر الظن أن الأستاذ اطلع على تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، وعلى الشفا للقاضي عياض ، فوجد فيهما بغيتيه أو ما يدنو منهما . ولعل علماءنا لا يزالون يرون أنه ما ترك الأول للآخر شيئاً ، أو أنهم ينتظرون من الشباب الناهض همة وإقداماً على أنى أؤيد الأستاذ فيما ذهب إليه ، وأسأل الله للعاملين سداداً وتوفيقاً .

هذه عجالة نمد بها سن القلم ، أو نرفع بها سهو الكاتب ، وامل صدر الرسالة الغراء — وهى رسالة العلم والدين والأدب — ينشرح إن شاء الله لتحقيق معنى الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف ؟

ط محمد الساكت

مدرس التفسير والحديث بمعهد القاهرة

أخلاق القرآن

أورد الدكتور عبد الوهاب عزام الآية الكريمة التى ختم بها بحثه فى أخلاق القرآن هكذا : « تلك القرى نقص من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك نطبع على قلوب الكافرين » وقد نطق بها كذلك فى حديثه فى المذياع وصحتها : « ... كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » الأعراف (١٠١) وأعتقد أنها اختلطت فى ذهنه بالآية الأخرى « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين » يونس (٧٤)

حسين محمد الأنصارى

سؤال

على قمة جبل قاسيون أثران قديمان على شكل قبتين يُعتقد أنهما شيدتا للرصد ، وقد اختلفت أقوال العلماء فيمن بناهما ، فأرجو ممن عنده علم به أن يخبرنى على صفحات هذه المجلة الغراء وله منى الشكر . (سائل)

تعقيب

سيدى المحترم رئيس تحرير الرسالة

سأل الأستاذ محمود المرسى خميس فى عدد الرسالة ٣٧٦ الصادر بتاريخ ١٦/٩/١٩٤٠ « لمن تعطى الأفضلية فى الاهتداء إلى من اشتركوا فى معنى واحد ؟ » ثم سأل : « أنقول إن المعانى شائعة ولا تجوز الملكية والاختصاص ؟ » وأظن أن هذا السؤال جدير بالبحث من الوجهة الأدبية

فالذى يعرفه كل مطلع على الأدب العربى أن الشعراء يتفقون كثيراً فى المعانى بل وفى بعض الألفاظ فى البيت الواحد ، وقد

تعرض لذلك النقاد ووضعوا للأمر قانوناً عادلاً من قوانين النقد ساروا عليه فى كل ما تعرضوا له فى هذا الصدد

ذلك القانون هو أن « من استرق شيئاً واسترقه ، فقد استحقه » أى أن الشاعرين بصرف النظر عن أيهما أسبق للمعنى يَفْضُل أحدهما الآخر إذا اشتركا فى معنى واحد بجودة الصياغة وحسن السبك واختيار الألفاظ إلى غير ذلك من أصول البلاغة . فقد كان الناس ينشدون بإعجاب بيت الأعشى

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

فلما جاء أبو نواس بعد هذه المرحلة الطويلة من الزمن بين الشاعرين ، وأخذ هذا المعنى بعينه وحسن فيه على قدر ما وسعه تملكه من زمام البلاغة ثم قال :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

لما قال أبو نواس هذا نسى الناس بيت شاعرهم الأول وحكموا لأبى نواس بفصل الخطاب ، وأصبح هو صاحب المعنى ومبتكره وعلى ذلك قس كل شاعرين أو أديبين اشتركا فى معنى من المعانى

(الخرطوم — سودان) (ا . ب)

الى علماء النحو فى جميع الأقطار

١ — تقول كتب النحو من صغيرها إلى كبيرها : إن مميز العدد من ثلاثة إلى عشرة حقه أن يكون جمعاً ، مثل : سبع ليالٍ ، وثمانية أيامٍ ، وخمسة آلاف ... فما بالنا نقول (وتسكتون على هذا القول) : ثلثمائة ، وخمسمائة ، وتسعمائة ... بإفراد لفظ مائة الذى هو تمييز للعدد ، ولم نقل ثلثمئات ، وخمسمئات و ... كنص القاعدة ، وكما نقولها فى الألف ، وما وجه العلة فى جمع الألف دون المائة ؟

٢ — وتقولون : إن ألفاظ العدد من ثلاثة إلى عشرة تكون على عكس المعدود فى التذكير والتأنيث ، فما قولكم فى قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ؟ حذف التاء من عشرة مع إضافتها إلى الأمثال وواحدها مذكر ! وما تعليل ذلك ؟

٣ — وقلتم إن « لن » حرف وضع للنفى المؤبد « والعياذ بالله » ! فإذا كان ما زعمتم صحيحاً ، فما لى أقرأ فى كتاب الله تعالى قوله « فلن أكلم اليوم إنسياً » فأرى كلمة اليوم فى الآية جاءت بعد النفى بلن فأفسدت قاعدتكم ، واقتلعتها من أساسها ، ولو كانت (لن) لتأبيد النفى كما وهمتم لما كان هناك موجب لتقييد هذا النفى باليوم ! ...

وكذلك أقرأ قوله تعالى « ولن يتمنوْه أبداً » فأرانى متحيراً فى إيراد لفظ أبداً بعد لن ، ولو صح ما قلتموه من تأبيد النفى بلن لكان لفظ (أبداً) تكراراً لا داعى له ، والأصل عدمه

وحاشا لكلام الله أن يخضع لأحكامكم ! ...

أفتونا فيما جئتم به من علم فى كتبكم ، وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

مصطفى محمد ابراهيم
مدرس لغة عربية



صفحة من حرب الجبابرة

جيوكنـــدا

للأستاذ محمد محمد مصطفى

السماء يومئذ تمطر شهباً تزلزل الأرض وتفتت الصلب ، والمدافع تصم الآذان وتدك البنيان ، والقذائف تشعل الجو ناراً ودخاناً . وانقلبت « بورجيا » قرية فرنسا الجميلة إلى حطام يلتهب وأنقاضاً تنفر منها الشياطين ، وزخرت الطرق والمزارع بالنازحين منها والدبابات فى أثرهم ترسل عليهم الموت ولا عاصم لهم منها إلا العراء

وانتهت « جيوكندا » إلى ظل من ظلال الغابة ، فجلست مكروبة محزونة تنظر من خلال الدمع إلى القرية وقد أضحت يباباً لقد ماتت أمها كمداً لمصرع وحيدها فى الميدان، وكان أبوها مسبوتاً على فراش المرض فبات تحت الأنقاض

ووقفت تنتفض ذعراً وهى ترى جوعاً مائجة ولججاً هائجة من دبابات الألمان تطوى الأرض وترسل ضوضاء وصفيراً يحطم العصب ويوهن القلب ، ومع ذلك فقد كانت مدافع الفرنسيين ترسل عليهم لظى من نار ، فلا يقفون ولا يهزمون كأنما قد بسط لهم أديم الأرض

ودنت منهـا الدبابات متراصة تنفث لهباً وموتاً ، وتترك ما وراءها صعيداً جرزاً ، فجرت هالعة إلى غير هدف ، ولبثت فى عدوها تنظر بين الحين والحين إلى الوراء فترى الدبابات تقترب منها فتواصل العدو ، وأضناها السير فسقطت لاهثة وانية ثم غابت عن رشدها

* * *

— أأنت قائد فرقة باصقات اللهب الخامسة والستين ؟

— نعم

فحول الجنرال نظره وعبث بشاربه الأشهب وتمتم بصوت خافت:

— ولـكنك صغير السن . . .

فأردف القائد الشاب :

— كبير القلب مخلص لألمانيا والزعيم

— حسن . . . ألم يسبق لك الاشتراك فى معارك ؟

— كان لى شرف الاشتراك فى حصار « لييج »

— تقضى أوامر الفوهرر بألا تقف دباباتك ولا تتراجع وسيكون هجومك على جبهة تمتد تسعين ميلاً من « بورجيا » دمرتها لك الطائرات وستسوق أمامك ألوف النازحين ليكونوا لك درعاً وليبوقموا الارتباك فى صفوف الحلفاء

والآن ما اسمك أيها القائد ؟

— جون فريتش

— إلى العمل يا جون فريتش ...

* * *

لما اقتربت الدبابات من « جيوكندا » كانت نفس القائد جون فريتش تنازعه إلى إبعادها من طريق الدبابات

... ولـما حملها بين يديه أفاقت وابتسمت له ابتسامة لو مات على أثرها لما أسف على نعمة تركته فى الحياة

... ولما سألها عن وجهتها لم تدر بم تجيب

... ولما جلست إلى جانبه بالدبابة ألهاها كثرة ما بها من عدد وآلات

قالت بعد ما أدركت أنها بين ألمان :

— أتسوقون المدنيين هكذا كالنعاج ؟

— إنها أوامر الفوهرر ... والحرب لا ترحم

— وتقولون إنكم تنتشلون العالم من ربقة الديمقراطية وتريدون به السلام ؟

— لا شك فى ذلك

— فماذا أفاد حكمكم فيما اكتسحتموه من بلاد ؟

— قضاء على الرأسمالية وأصحاب الثروات

— وتقولون إنكم تناهضون الشيوعية ؟

— ليس فى القضاء على بطالة العمال بلشفة لهم ... فأى عدل ترين يا فتاتى فى رجل يملك الملايين وينام عمال مصانعه على الطوى؟

— ذا نصيبهم فى الدنيا (وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات)

— درجات ... وليس ملايين الدرجات فلا يكون البون بين صاحب المصنع وعامله شاسعاً . والعامل الذى أنتج الربح له

قسم فيه وللدولة مثله لتثقف به أولاد ذلك العامل، فليست العبقرية وقفاً على أولاد الأغنياء

— تالله[1] أنتم أعداء لكل ما يحرص عليه المتمدينون من تقدم اجتماعى وحرية بشرية ، وما من أمة تبيت اليوم فى أمان من ظل الصليب المعقوف . وقهقه القائد حتى بدت نواجذه وقال :

— يا صغيرتى العزيزة . ها أنت ذى ترين جنود الحلفاء يفرون من وجه آلاتنا التى أنتجتها عقولنا ، فهل بين علمائكم من يستطيع أن يصنع شيئاً يقفنا ولو لبضع ساعات ... والعقل الذى يذلل العلم لرغباته والأمة التى تخفف الفوارق المادية بين طبقات الشعب فلا يكون فيها فاحش الثراء ولا من يسمو بالفقراء ، هى أرفع مدنية من أمة تتخم خزائن أفراد قلائل منها بالذهب ولا يجد العامل الذى أنتجه ما يقتات به كفرنسا أو مصر التى يسخر شعبها بأزهد الأجور لخدمة القلة من الأغنياء والتى دل الإحصاء على أن اثنى عشر ألفاً منها يملكون نصف الثروة العقارية للبلاد مما لا أعرف له مثيلاً فى بلاد أخرى

وعملت هذه الكلمات فى نفس الفتاة عملها ، وذكرت أولئك الغارقين فى لذائذ الدنيا من أثرياء قومها ، وما لقيته من شظف العيش فى قريتها فأطرقت وأغرقت فى صمت طويل ، حتى إذا ما شارف سيل الدبابات على « باريس » كانت قد طوت نفسها على أمر .

***

(يبدى الفوهرر خالص ثنائه على المعاونة القيمة التى قدمتها الجاسوسة س ١٠٧ فى الميدان الفرنسى)

وافتر ثغر س ١٠٧ وهى تقرأ الرسالة الشفوية وملكها الزهو فأعادت قراءتها ثم سلطت عليها زفيراً من فمها تلاشت على أثره السطور وألقتها مزقاً فى الطريق

وأخذت سمتها شطر محطة « بوردو » ، تلك المدينة التى كانت مسرحاً لعملها الشاق ، وذكرت ذلك الحان الذى قضت فيه الوقت كله بين جواسيس الحلفاء تبيع لهم الخمور وتستدر الأسرار من الصدور ، وسمعت صوت أقدام تتبعها فالتفتت فى ذعر فلمحت شبحاً يقترب منها ويهمس فى أذنها :

— أأنت س ١٠٧

فلما سمعت صوته هتفت :

— ميجر براون ... لم جئت ؟

— برسالة يا جيو كندا ... وناولها إياها

فهتفت نفسها :

— ترى أتكون من جون ؟

... « تقوم فجر اليوم س ١٠٧ إلى مدينة إيفيل وترحل مع المهاجرات إلى دوفر لتتلقى الأوامر من ل ١٤ الذى سيستقبلها بربطة عنق زرقاء »

وألقت على الورقة زفيرها فابيضت ورمت بها إلى الطريق

***

قال « ل ١٤ » :

— شاء الفوهرر أن يترك قليلاً من قوات الحلفاء التى رحلت عن « دنكرك » لتصف الأهوال التى أذاقها لهم الألمان ، فيكونوا لألمانيا خير دعاة ، فعليك تصويرهم فى أعمالهم لدى نزولهم من البواخر لتزين بها المنشورات الألمانية التي تلقيها الطائرات على انجلترا ... والساحل الإنجليزى يا ...

فأشارت إليه بالسكوت فهمس :

أقول إن الساحل الإنجليزى حاجز من الجحيم ضد القوات التى تحاول اختراقه فعليك مراعاة الدقة فى تنفيذ هذه التعليمات

ومد لها يده بورقة

وأبدت « جيو كندا » من الحذق والمهارة فى الحصول على صور الحصون وأوكار المدافع وحركات الجنود والقوافل البحرية ما ألهج ألسن الجستابو بالثناء

وجد قلم المخابرات البريطانى فى تعقب الجاسوسة س ١٠٧ وضاق بحيلها ذرعاً ، فهى آناً مهاجرة حليفة ، وآناً ممرضة تندس بين الجنود ، أومتطوعة توزع الحلوى فى المعسكرات والمستشفيات ومالأها الحظ فكان يكلل مجهودها بالنجاح

وطلعت عليها الصحف بنبأ الهدنة ، وأخذ المارشال بيتان بنظم ألمانيا الاشتراكية ، فخمدت فيها جذوة النشاط

لقد أدركت غايتها وأصيب الهدف الذى كانت تسعى إليه

ولكنها تعلم أن الجاسوس لا يمكنه التخلى عن عمله لأى حال كان ...

وفرت جيو كندا على باخرة تعيد اللاجئين إلى فرنسا

واستقبلها الجستابو على رصيف ميناء « كاليه » ، وأبلغها الأسف الشديد لصدور الحكم بإعدامها

(١) نشرة الدعاية البريطانية

وشدهت جيوكندا وفرقت وهتفت بصوت خائر :

— ألا يشفع لى ما قدمت يداى لألمانيا من خدمات ؟

***

سقطت « باريس » تحت أقدام الألمان تخيم على مدينة النور الظلام ...

وأخذ حذاء القائد « فرينتس » يدب فى رفق على إفريز « السين » ولم تزل صورة « جيوكندا » تعبر فى فكره وتتسلل إلى قلبه فتثير فيه الألم والشجون ، ومرت بخاطره خيبته فى إقناعها بالعدول عن الالتحاق بالطابور الخامس وإصرارها فى عناد وقولها له فى حزم :

— فلن أهدأ حتى تتحطم الرأسمالية فى فرنسا وأرى بعينى فيها نظام الريخ

وتصور أنهـا الآن تضرب فى أرض الدنيا لا تكاد تستقر فى بلد حتى يأمرها الجستابو بالانتقال إلى آخر

وملكته رغبة ملحة فى رؤيتها والوقوف على حالها

ربما اعتقلت ... ومن يدرى لعلها أعدمت بالرصاص، وأفزعه هذا الخاطر فخفق قلبه الملتاع وتهالك على مقعد قريب وقد تولاه طائف من الوجد والذهول ...

ووثبت صورة جيوكندا أمام ناظره تتهادى على صفحة السين الساكن ترنو إليه بعينين تحكى خضرة البحر ، وشعرها الذهبى المفهاف يداعبه النسيم

وبدا له أن الجاسوسية أنهكتها ، وأن شبح الإعدام أرهف أعصابها ، ورآها بعين الخيال تهرع إليه وتسرد عليه ما خاضته من أهوال ، وهو مع ذلك لاه عن حديثها بضمها وشمها ولثم ثغرها المعطرى كأنفاس الياسمين

ودبت خيوط الفجر فى فحمة الليل فهب القائد من حلمه الجميـل يمشى خفق الفؤاد مبلبل الفكر ، وحينما مر بجريدة « بارى سوار » التى اتخذت مركزاً للجستابو ، طرأ عليه أن يسأل عنها صديقه الميجر « براون » ، فعلم أنه أوصل لها رسالة سرية فى بوردو وأنه رآها تركب عربة . ثم أردف : وأحسب أننى سمعتها تقول للسائق إلى « إيفيل »

وبذل الميجر لصديقه معاونة صادقة حتى علم أنها فى دوفر ولـكن دوفر واسعة ، ووصول الألمانى إليها مستحيل

... وأخذ القائد يفكر ويفكر ...

وانتشله من أفكاره صوت طرق الباب ودخل ضابطه المساعد وبيده الثبت اليومى لمن طلبت القيادة والجستابو إعدامهم بالرصاص، فألقى عليه نظرة عجلى ، ولما أراد التوقيع عليه علق نظره باسم جيوكندا ، فازدلفت تحت ناظره الأرض وانتفض قلبه فى صدره كطائر مذبوح

وكذب عينيه وقام ينهب الأرض إلى ميدان الإعدام

وألفى فاتنته الوموقة معصوبة العين بين طابور المحكوم عليهم تقف مهيضة النفس كاسفة البال

يا لها من لحظة هائلة ... لقد آن موعد إعدامها ... وأى محاولة لإنقاذها تفقده شرفه وحياته ... فكيف السبيل ؟

وشحب لونه شحوباً هائلاً وغلى رأسه كالمرجل واصطرعت فيه أفكار سود

اقترب القائد من جيوكندا وهمس فى أذنها كلمات

وأمر الضابط أن يقف الإعدام لحظة ينهى فيها أمراً عاجلاً ويعود . وعاد بعد دقائق

قال القائد فرينتس لضابط الإعدام :

— أمتأكد أنت من حشو بنادق الجنود ؟

— كل التأكد يا سيدى ... وتفضل بالتفتيش

ومر القائد على الجنود . وفتش بنادقهم واحداً واحداً ليتأكد من حشو جميع البنادق . وسقطت من يد القائد رصاصة أحد الجنود فانحنى الجندى لأخذها ، ولكن القائد كان أسرع منه فى التقاطها ووضعها بيده فى بندقية الجندى ...

وأشار القائد ... فدوى الرصاص

***

— ولكن المعجزة يا جون ... كيف تمت

— كان جنوناً أن أراك تعدمين يا جيوكندا ولا أفعل شيئاً فهمست لك أن تتماوتى لدى إطلاق الرصاص وأتيت بطلقة فشنك[1] وحشوت بها بندقية الجندى المـكلف بإعدامك بدل التى تعمدت إسقاطها عند التفتيش على بنادق الجنود

فطبعت جيوكندا قبلة طويلة على ثغر جون فرينتس .

محمد محمد مصطفى

بادارة مدرسة البوليس

(١) نوع من الرصاص ينفجر ولا يحدث ضرراً .

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾



8me Année No. 381

Lundi - 21 - 10 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

الحـــرب والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

من رأيى الذى شرحته قبل الآن أن الحروب والثورات تشحذ ملكات الخطابة ولا تشحذ ملكات الشعر، بل تلجئها أحياناً إلى الصمت والركود، لأن الشعر « فردى » والخطابة اجتماعية تنشط بنشاط الجماعات، وتؤدى عملاً لا غنى عنه فى أيام الحروب والثورات

وما يروج من الأناشيد والأغانى فى إبان الحرب أو الثورة، فإنما حكمه حكم الخطابة، لأنه يتردد بين الجماهير فى حالات الاجتماع ولا ينظم بداءة كما تنظم القصائد التى يترنم بها الشاعر على انفراد

وقديماً نظمت الملاحم الكبرى عن حروب الأمم البائدة، فخيل إلى بعض الناقدين أن الملاحم تستدعى النظم وتلقح فراغ الشعراء، وهو فى رأينا تخيل خاطئ، لأن اتخاذ الملاحم موضوعاً شعرياً لا يستلزم أن يزدهر الشعر فى أيام الحروب، كما أن وصف إنسان فى قصيدة لا يستلزم أن يكون ذلك الإنسان من عرائس الشعر التى توحى المعانى وتفتق الخواطر، وقد يكون فى حقيقته على نقيض ذلك

ولقد كانت الملاحم فيما مضى تنظم على سبيل التدوين والتخليد

بعد انقضاء عهدها بزمن طويل أو قصير ، وكانت هذه الملاحم المنظومة هي وسيلة التدوين التي لا وسيلة غيرها بين أولئك الأميين من الأقدمين . فلما كثرت وسائل التدوين في العصر الحديث كان ذلك أقمن أن يضعف النزعة إلى تخليد الحروب بالمنظومات المطولة ، وأصبحت القصائد التي تنظم في هذا الغرض أقرب إلى التعليق والاعتبار والإعراب عن فلسفة الشاعر في الحياة وحوادث الأيام منها إلى سجلات الحفظ والتأريخ

فليست أيام الحروب من أيام الشعراء . ولعل الحرب من حروبنا الحديثة تشغل الملايين وألوف الملايين أعواماً ، ثم تنجلي عن بضع قصائد مختارة لا تملأ كراسة واحدة ولا تساوي في عدد سطورها رواية من الروايات التي تمثل في بضع ساعات وموضوعها محصور بين رجل وامرأة ، أو بين شرذمة قليلة من الرجال والنساء

إلا أن النفوس لا تخلو من الشعر في إبان المدامع والمذابح البشرية ، فهي لا تميته ولا تحجر عليه، ولا تمنع الأذهان فينة بعد فينة أن تنصرف إليه ، وكل ما هنالك أنها ليست بالقاح الجيد لقرائح الشعراء

ومن العجيب أن أشيع القصائد التي خلقتها الحرب الماضية كانت لرجل ليس بالشاعر ولكنه طبيب

ولم يكن من عادته أن ينظم الشعر ، ولكنه فتح له في لحظة من اللحظات كما تفتح أبواب الإلهام

ولم تنشرها صحيفة للبنش Punch الإنجليزية التي نشرتها دون غيرها إلا وهي تتردد في استحسان القراء لها بل في التفاتهم إليها

ثم كان من شأنها أنها ملأت العالم الإنجليزي في أيام ، وحاولت أمم أخرى أن تترجمها فلم تفلح في أداء بساطتها وجرسها وما يتخللها من الحزن والتفاؤل الرصين

ثم أصبح من عادة الجماهير الإنجليز كلما تجدد ذكرى الهدنة أن يلبسوا في عروة المعطف صورة أقحوانة مصنوعة تباع وتخصص أثمانها لأعمال الخير التي تقام باسم المارشال هايج ، لأن الأقحوانة كانت موضوع ذلك القصيد

قال الطبيب الشاعر :

« ترف الأقاحي في سهول الفلاندرس

بين صلبان القبور صفوفاً وراء صفوف

معلماً من معالم المكان الذي نحن فيه

والقنابر في الفضاء — يا لشجاعتها — لا تزال تغني غناءها، وندر أن تسمعها الآذان تحتها بين قصف المدافع وانطلاق النيران »

* * *

« نحن الموتى !

قبل أيام قليلة كنا أحياء

وكنا نحيا ونحس الفجر الطالع وننظر إلى الشفق الوهاج ،

وكنا نحب وكنا محبوبين

ونحن اليوم في سهول الفلاندرس نيام »

* * *

« خذوا بأيديكم عنان النضال مع الأعداء ،

أيدينا المتخاذلة ألقت إليكم بذلك العنان .

وارفعوا الشعلة عالية ... ارفعوها ولو بقيت في أيديكم سنوات

فإن نقضتم عهدكم لنا نحن الذين مضينا

فلن ننام في مضاجعنا

ولو ظلت الأقاحي رفافة في السهول »

* * *

نظمت هذه الأبيات قبل نيف وعشرين سنة ، وعادت الأقاحي ترف في سهول الفلاندرس ، وعادت الأجساد تهوي هنالك ألوفاً وراء ألوف ، وتناول شاعر انجليزي القلم من حيث ألقاه الطبيب الكندي الذي قضى قبل أن تنقضي الحرب الماضية فقال :

« الآن ، ومن تلك الأرض التي يطل من قبورها الأقحوان

ينهض موتانا كرة أخرى !

علموا من قبل أنهم لا يهجعون

إذا قيل يوماً إنهم عبثاً ماتوا وعبثاً ضرجوا تلك السهول بالدماء.

لقد غرسوا ولم يحصدوا ... أليس هؤلاء الأعداء يعودون ؟

فالآن ينهضون ليحصدوا ما غرسوه ، ويحصدوا الكيل

ألف كيل

لأن للموتى كلمة يعرفون كيف يحفظونها ، فلا تموت »

والشاعر الذى أضاف هـذه الأبيات هو ألفريد نويس Alfred Noyes صاحب القصائد التى تقرأ اليوم حيث تقرأ اللغة الإنجليزية ، ولـكنه يحسب نفسه من السعداء إذا جرى مع الطبيب الـكندى فى مضمار

* * *

ويجرى مع هذه النغمة فى سهولتها وشجاها أبيات الشاعر المعروف لورنس بنيون التى رثى فيها لضحايا الحرب ويغبطهم لأنهم لا يشيخون حيث يقول :

إنهم لن يشيخوا كما نشيخ نحن المتروكين

إنهم لن يعرفوا سأم العمر ولن تثقل على كواهلهم السنون.

سنذكرهم حين تهبط الشمس وحين تؤب

« سنذكرهم وهم غائبون ! »

* * *

أما فى الحرب الحاضرة فالشعر الذى نشرته المجلات حتى الآن كثير ، والمختار منه قليل

ومن هذا القليل قصيدة للسير روبرت فانسيتارت Vansittart من رجال السلك السياسى النابهين ومن الشعراء الذين يروق فى شعرهم الترصيع الأنيق والإيحاء الموارب ، لأنه يذكرك لغة السياسيين

نظم هذه القصيدة بعد هزيمة فرنسا كأنه يخاطب بها محبوبة ناكثة فقال :

« ألم أكن وفياً لك من البداية ؟

ألم أخلص لك الحب منذ عهد الشباب ؟

ألم أحببك غير مضلل عن عيوبك ولا واهم فيك ؟

أعرف أسوأ ما عنـدك وأعرف أن الأحسن فيك هو الأقرب إلى الحق والصواب !

* * *

وإنك لمثلى كنت صفوحاً وكنت تعلمين ما لم أكن أخفيه من عيوب

فامتزجنا ومشينا جنباً إلى جنب

نواجه عالماً لانقوى على مواجهته منفردين

* * *

أكنت تحفظين ودى والأيام مقبلة ؟

نعم ... ولكنى كنت أحفظ والأيام ليست كذلك ،

وكان الإغراء ينال من حصنك

وبضعفك مرة أخرى تنتصرين

وتنسين ! ...

* * *

تنسين نفسك وتنسين الحرية وتنسين الصديق ،

بل تنسين حتى ما ينفعك وحتى ما تغنمين .

واليوم يعود التورد اللماح من وهج الحب

مسحةً من الخجل ، وتنقضى القصة كما انقضت قصص كثيرة من قديم

ويتم الوداع فى بوردو

* * *

وإياى الآن تكرهين ، ولن ينقص كرهك لى حين أذهب غير واهن ولا مهدود بما أصابك

وحين أقف وحدى فى وجه الدنيا ، وأنظر جنبى فلا أراك»

* * *

ومن قليل الشعر الرائق فى الحرب الحاضرة ولا يقال مثله فى حرب قبلها هذه الأبيات التى نظمها « ولفريد جبسون » وهو يصغى إلى موسيقى « بيتهوفن » من مذياع ألمانى ويستمع إلى دوى القذائف الألمانية على بلاده ... قال :

« من بعض الديار الألمانية يشدو العازفون بالنشيد الخامس العظيم ... كأن لا حرب هناك تميت خلال الديار

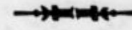
يكرمون الفن والخراب جائح

ونصغى فى أكواخنا فتنسرب إلينا الأصداء العلوية بين أزيز الطائرات ونذير الدمار

لحن خالد يحمله أى فضاء ؟ ... يحمله الفضاء الذى يطير عليه القاذفون ليصطرعوا صراع الموت تحت نجوم باردة العيون

واللحن الخالد من أرض إلى أرض ومن سماء إلى سماء ينفذ فى الأسماع والقلوب

٤٥٠٠ ثانيـــة
فى صحبة أم كلثوم
للدكتور زكى مبـــارك



لم تسمح الظروف بلقاء الآنسة أم كلثوم بعد الذى دوّناه من لحظات التلاقى فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » وهى لحظاتٌ قِصار ولكنها كانت جيّاشة بأقباس المعانى، ولو طالت تلك اللحظات لظفرنا من سِحر الحديث بأطايب وأفانين

ولم يكن ذلك الحرمان عن هجر منها أو صدود، فما يستطيع ذلك الروح أن ينسى أن له مآرب وجدانية من مسامرة أرباب الوجدان، وإنما شاءت المقادير أن تصرفنا بالشواغل القاسية عن التأهب لداعبة الأغاني والصِّلال

وما معنى ذلك ؟

معناه أنى سأتحف أم كلثوم بصورة وصفية تبسم لها فى حين وتَعْبِس لهـا فى أحايين، مع العرفان بأنى لم أقل غير الحق فى وصف ذلك الروح اللطيف

وهل لهذه الحامة الوصلية رُوحٌ لطيف ؟

ما وازنتُ بين غناء أم كلثوم وحديث أم كلثوم إلا تذكرت قول شوقى فى الصوت الحنّان

وتَرٌ فى اللَّهاة ما للمغنّى من يدٍ فى صفائه وليانِهْ

فهذه الحامة تغرّد بلا وَعْى ولا إحساس فى نظر من يحكم بظاهر ما يندّ عن شفتيها الورديتين من أغانٍ وأحاديث

فهل تكون فى حقيقة الأمر كذلك ؟

إن كانت أم كلثوم بلا وَعْى ولا إحساس فعلى الأدب والفنّ العفاء. وكيف نُحرَم أم كلثوم قوة الروح وهى بلا نزاع ريحانة هذا العصر وأغرودة هذا الجيل ؟

وأين من يزعم أن قلبه سَلِم من الشوق لأغانى أم كلثوم، وما مرّت لحظة واحدة فى الشرق أو فى الغرب بدون زفرة أو لوعة تثيرها أغانى أم كلثوم ؟

وهل سمع الناس فى قديم أو حديث صوتاً أندى وأعذب من صوت أم كلثوم ؟

تلك الفتاة هى الشاهد على أن الله يزيد فى الخلق ما يشاء، فتبارك الله أحسنُ الخالقين !

ولـكن كيف نحلّ هذه المشكلة : مشكلة الفرق بين غناء أم كلثوم وحديث أم كلثوم ؟

كأنما يخلق الألفة والانسجام حيث أبناء الفناء لا يعرفون الألفة والانسجام

وكأنما ينفث التوفيق والتنسيق فى قلوب تنحدر إلى قرار سحيق ... »

***

على أننا لا نظلم الشعراء النابهين فنقول إنهم يتخلفون حيث يسبق المصلّون المجهولون . فنى الحرب الحاضرة شعر حسن لبعضهم لا يمنعنا أن ننقله إلا أنه لا يقبل الإيجاز والاقتضاب

أما فى الحرب الماضية فقد ارتفع فيها « كبلنج » بالشعر الحماسى إلى الذروة التى رفعته الشهرة إليها، ونظم تلك القصيدة التى لا يسمعها انجليزى إلا سرت فى عروقه هزة الحمية وصالت نفسه صولة الكبرياء. ومنها :

الشأو هناك ...

لا يبلغنا إليه رجاء خادع ولا وهم كذوب

بل فداء من معدن الحديد

فداء بالأوصال والعزائم والأرواح

إنه لواجب واحد علينا

وإنها لحياة واحدة نعطيها

من ذا الذى تنهض قدماه وقد هوت الحرية

ومن ذا الذى يموت وقد عاش الوطن ! »

***

وموعدنا الحين بعد الحين بما نختار من هذه الشذرات، وهى على قلتها بالقياس إلى غيرها مما تتسع له صفحات وصفحات

عباس محمود العقاد

الحل سهل : لأن العقدة مشتركة بينها وبين محمد عبد الوهاب وإليها وإليها انتهى الإبداع فى عالم الغناء

عبد الوهاب رجل أعمال وأم كلثوم رجل أعمال ، وذلك سر العبقرية عند هذين الروحين ، وهو الدليل على أن الله لا يَهَب المواهب لأهل التخاذل والانحلال ، والزهد فى جمع الثروة هو الآية الحق على التخاذل والانحلال . وغَضبةُ الله على من يحسبنى أمزح فى هذا الحديث !

دعتنى أم كلثوم مرة لتناول العشاء فى أحد مطاعم القاهرة فأجبت الدعوة ، ولكنى رأيت أن أدفع عن نفسى ، فاستظرفتْنى جداً وصرّحتْ بأنى لم أقل غير الحق حين قلت : « إنى أعظم من الجاحظ ولو غضب الدكتور طه حسين »

ولن أنسى أبداً موقف القَصَبْجى الملحّن وقد زعم أنه صائم مع أن العَشاء كان فى جوف الليل ولم نكن فى رمضان ولا شعبان ، ولكنه كان يعرف أن « حمامة الشرق » لا يسرها أن يكون القصبجى رجلاً له أمعاء تظمأ وتجوع كسائر الناس ، وكيف يكون فناناً وهو يحس الظمأ والجوع ؟!

أشهد أن البخل حقّ ، وأنه من خصائص أهل العبقرية ، وإلا فكيف صحبتُ الدكتور طه حسين عشر سنين ولم أتناول الغداء فى داره غير مرة واحدة لظروف قهرية قضتْ بأن نُمضى النهار كله فى درس شواهد الشعر المنحول سنة ١٩٢٦ ؟

وكذلك يكون شقيق الروح محمد عبد الوهاب ، فهو أبخل من الجارم بمراحل طوال ، وهو إلى اليوم لا يدرك أن الدينار قد ينقسم إلى دراهم ، وأن الدرهم قد ينقسم إلى فلوس ، إنما الدينار دينار ، فإذا انقسم فهو هباء ، وإليكم هذا الخبر الطريف :

نشر الموسيقار محمد عبد الوهاب كلمات فى مجلة الاثنين عن ذكرياته فى زيارة العراق ، وقد قرأت تلك الذكريات وأنا فى بغداد فحزنت لأنى عرفت منها أن الأستاذ الصراف خدعه فزيّن له الذهاب من دمشق إلى بغداد فى سيارة عربية لا انجليزية ، وكانت النتيجة أن يقضى ثلاثة أيام بلياليها فى الطريق بين دمشق وبغداد ، فصممت على تأنيب الأستاذ الصراف حين أراه ، ثم عظُمت الدهشة وعظم الاستغراب حين عرفت من الأستاذ الصراف أن الموسيقار عبد الوهاب هو الذى اختار تلك السيارة لأن أجرتها أرخص بمبلغ لا يقل بحال من الأحوال عن دينارين !

ماذا أريد أن أقول ؟

لعلى أريد القول بأن الاهتمام بجمع الثروة يدل على الشغف بحب الدنيا ، وحب الدنيا هو الأصل الأصيل لحيوات النوازع والغرائز والأحاسيس

وحب الدنيا كان السرّ فى عبقرية أحمد شوقى أمير الشعراء ، فقد صحبتُه مرات كثيرة وهو يطوف على أملاكه بالقاهرة وضواحى القاهرة ، وشهدتُ كيف ينظر إلى كل بقعة من أملاكه وقلبُه يهتف : « كلُّ مليحة بمَذاقِ » ورحم الله شوقى ، فما مات إلا وهو حزينٌ حزن على فراق أملاكه الواسعة بأرجاء هذه البلاد

وحب الدنيا هو السرّ فى عبقرية عبد الوهاب وأم كلثوم ، عبد الوهاب ساكن العباسية وأم كلثوم ساكنة الزمالك ، وهل يستطيع مخلوق أن يقول إنه على شىء من الأدب أو الفن وجيوبُه خاوية ؟

آه ، ثم آه ! !

كنتُ غنياً وكانت لى أموالٌ مرصودة فى مصارف مختلفات ، ثم شاء القَدَر أن أترفّق بمرضاى من المِلاح فأنفق عليهم ما أملك ، فأنا اليوم فقير ، فقير ، فقير ، بحيث ترفض أم كلثوم أن تكون « ليلى المريضة فى الزمالك » بحجة أنها صحيحة ، لا بحجة أنى لم أعد أملك البِرّ بمرضاى من ذوات الخد الأسيل والطَّرف الغضيض !

وهجرتى إلى العراق هى سبب هذا البلاء ، فقد أعدانى العراق بالكرم وراضنى على البذل والجود ، فأنا اليوم بلا ذخيرة ولا عتاد

ألم تمموا أنى كنت أتمرد على رؤسائى بالجامعة المصرية وبوزارة المعارف ، فكنت أملك الزهد فى مناصب الحكومة فى كل وقت ؟

فإن صح أنى صبرت أخيراً على خدمة الحكومة أربع سنين فاعلموا أن أخاكم مُكرهٌ لا بطل ، وأنه لم يتمرغ فى تراب « الميرى » إلا وهو فى فاقة وإملاق

وآه ثم آه من الصبر على خدمة الحكومة أربع سنين !

وهل خُلق الشعراء لهذا الاستعباد ؟ وهل كان ذلك هو المصير المنشود لمن يؤمنون بفاطر النخيل والأعناب ؟

ولكن لا بأس فمن واجب الشاعر الذى أخضعه الفن للقوافى والأوزان أن يقبل الخضوع لقيود الوظيفة وقيود المجتمع وما قيمة الفلسفة إن لم تحسن تعليل الصبر على قيود الوظيفة وقيود المجتمع ؟

وما حديث الـ ٤٥٠٠ ثانية فى صحبة أم كلثوم ؟

كانت النفس حدثتنى بوجوب السفر إلى الإسكندرية فى أواخر أيلول لأرى كيف ينحجز الصيف عن الخريف فى تلك الشواطئ الفيح ، فرأيت على المحطة فتى من عُصبة الفن الجيل وهو يهتف : « أما ترى نُومة يا دكتور ؟ »

والتفتُّ فرأيت إنسانةً نحيلة تكبح سحر عينيها بمنظارين سمراوين وهى تحاور المودِّعين حواراً تقع فيه ألفاظ غلاظ على غير ما يُنتظَر من فتاة لها تلك المكانة بين البيض الخفِرات من بُنيّات وادى النيل

وأقبلتُ فسلّمتُ تسليم الشوق بتهيُّب واحتراس ، لتفهم أنى لا أريد نضالها فى ميدان التنكيت ، ولكن الشقية تغابت وتجاهلتْ رغبتى فى البعد عن هذا الميدان ، ولم تكن إلا لحظة حتى اقتنعتُ بأن الزمالك تجاور بولاق !

ما الذى يحمل نُومة على خلع البُرقُع وهى تحاور الرجال وفيهم من لا يتأدب وهو يحاور النساء ؟

لم يبق بين نُومة وبين الفصيلة النسائية أية صلة ، فهى اليوم رجل أعمال ، وهى أبو كلثوم لا أم كلثوم ! !

وقتُ نُومة لا يضيع فى مراجعة الأدب القديم والأدب الحديث ـ كما تسمعون ـ وإنما يضيع وقت نُومة فى تدبير المال لاقتناء النفائس من البيوت والبساتين

ونُومة ليست غبية ، فهى تعرف أن البيئات الفنية يكثر فيها الوباء ، وأنه لا موجب لطاعة الفِطرة التى يتجلى فيها الحنان النسوى ، لئلا يكون من أثر ذلك أن تدور حولها الأقاويل والأراجيف فى زمن الأقاويل والأراجيف

ومن أجل هذا لا تُجيد أم كلثوم ممثلةً إلا فى مواقف الانفراد ، فهى كُتلةٌ من الثلج حين تحاور رجلاً فى مواقفها التمثيلية ، وهى نارٌ تتأجّج حين تخلو إلى نفسها فى موقف من مواقف التذكر والاشتياق

العُزلة هى الفرصة الوحيدة لانفجار العواطف فى صدر أم كلثوم ، لأن هذه الإنسانة تتوهم أن المجتمع لا يُحسن غير التجريح والاغتياب ، فهى تلقاه بلسانٍ حديد لا يُجيد غير السخرية والاستهزاء ، فإذا اعتزلت الناس أو توهمتْ أنها اعتزلت الناس صارت أمُّ كلثوم الحقيقية بشفتيها الورديتين وثناياها اللؤلؤية وأنفها المسنون . ولو استبحتُ منازلة هذه الشقية لقلتُ إن ابتسامها يصدُر عن وادٍ سحيق هو وادى الخلود !

وما أسعدَ من يظفر بابتسامة صفية من أم كلثوم ولو لحظة واحدة من عمر الزمان !

ها نحن أولاء فى محطة القاهرة ، وإنى وإياها لمختلفان ، فهى ذاهبة إلى المنصورة وأنا ذاهب إلى الإسكندرية ، وسنفترق فى طنطا كارهين أو طائعين

وأرفق فأقول : ألا تحتاج الحمامة الوصلية إلى رجل يضايقها لحظات ؟

فتجيب : وأنت ؟ ألا تحتاج إلى من يضايقك ساعات ؟

ثم نأخذ فى الحديث بعنف ولجاجة وصيال ، فهل كان بينى وبين هذه الروح ثأرٌ قديم ؟ وهل سمعتْ أنى اغتبتها فقلت إنها ريحانة هذا العصر وأغرودة هذا الجيل ؟ وهل نقل الوشاة أنى زعمتُ أنها أطيب من العِطر وأرقّ من الزهر المطلول ؟

لا أعرف ما ذنبى عند أم كلثوم ، ولم أخرج على الأدب فأقول إنها خير ما أخرجتْ مصرُ من ثمرات ، وإنها ألطف روح سكن الزمالك وتخطّر فى شارع فؤاد ؟

ما هفوتُ فى حق أم كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت إن حنجرتها مسروقة من الحمائم الوصلية ، وكان الرأى أن أقول إن حمائم الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية

ثم تشتط أم كلثوم فى المزاح الغليظ ، ولكن مع مَنْ ؟ مع الرجل العليم بمواقع أهواء القلوب ولو سُدِل على سرائرها ألف حجاب !

هل تذكرون المصباح المغطَّى بالأوراق الزُّرق ؟

هو قلبُ أم كلثوم ، لو تعلمون !

وبلفظة واحدة نزعت تلك الأوراق لأواجه ذلك القلب الوهاج

فما هي تلك اللفظة السحرية ؟

قلت : إن حمامة الشرق تستر بزاحها الغليظ قلباً يحترق

فالتفتت الفتاة الفنانة رشيقة وهي تستزيد ، فقلت : وقد حدثتني ليلى أن الأفعى تغفو أوقاتاً طويلة ثم تستيقظ حين تجد الفرصة لتخدير الفريسة بالسم الزعاف

وبهذا الكلام تنبهت أم كلثوم من سُباتها المتكلَّف المصنوع ، وابتسمت ابتسامة لن أنساها ما حييت ، فقصصتُ عليها قصة ليلى حين قرأتْ في كتب التاريخ الطبيعي أن الحيات تثور وتهتاج حين ترى إنساناً أخضر العينين ، فزعمت الشقية أنها لم تكن تعرف أني أخضر العينين ، فقلت : وما السرّ في نفرتك مني أيتها الرقطاء ؟

وترفقت أم كلثوم وتلطفت بعد التأبي والتمنع ، وانطلقت تتحدث بلا تكبر ولا ازدهاء ، فمن قال إنه عرفها قبلي فهو كاذب ، لأني أول من نزع الأوراق الزُّرق عن ذلك القلب الوهاج ، وأنا أول من فرض على أم كلثوم أن تعرف أن الدنيا فيها أمانة وصدق وإخلاص

من حق أم كلثوم أن تكون في دنياها رجل أعمال ، فنحن في عصر سخيف لا يقيم وزناً لمواهب أهل الأدب والفن إذا فاتهم سناد الجاه والمال

ولكن ... ولكن دنيا أم كلثوم صدّتها عن الانتفاع بأرباب المواهب ، فلو كان لأم كلثوم مستشار أمين لوصلت إلى الإعجاز في الغناء والتمثيل ، فلا عفا الله عمن صدُّوا هذه الروح عن الاستئناس بأذواق أهل الآداب والفنون !

وهل أنسى بشاعة الاستئثار بتصوير عصر الرشيد ؟

كان يمكن أن يكون فلم « دنانير » أعجوبة الأفلام التاريخية لو كانت أم كلثوم تعرف أن في مصر رجالاً أدقّ ذوقاً وإحساساً من فلان وفلان ، وأن الانتفاع بآراء هؤلاء الرجال قد يعود عليها بالخير الجزيل ، ولكن أم كلثوم امرأة وإن كانت رجل أعمال ، والمرأة لا تفلح حين تتوهم أنها أعقل من الرجال

فلم دنانير جيل جميل ، ولكن تعوزه قوة الروح ، ولأم كلثوم أن تغضب كيف تشاء ، ولفلان أن يقتل نفسه من الغيظ ، فقد أخلف الظن به كل الإخلاف

إن هذا الفلم يلخص رأينا في أم كلثوم : فهي لا تجيد إلا عند العزلة والانفراد

فأين من يجعل أم كلثوم من أزهار المجتمع ؟

أين من يحوّل هذه الفتاة إلى روح لطيف يشيع في المجتمع معاني الأنس والانشراح ؟

إن كانت هذه الفتاة تحب أن تكون « ابن بلد » فقد ظفرتْ بما تريد ، أما إن كانت تحب أن تكون أعظم من أم كلثوم فلذلك حديث غير هذا الحديث

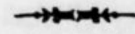
ثم وصل القطار إلى طنطا فانتقلت إلى قطار المنصورة وبقيتُ أتشوف إلى الإسكندرية ، وذلك آخر العهد بتلك الروح ، فإن رضيت عن هذا المقال فقد نلتقي في مصر الجديدة أو في الزمالك ، وإلا ... ...

زكي مبارك

محاورة أفلاطون الخيالية

حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد



يعتبر سقراط أول من وضع الأسلوب الحوارى الاستنباطى أسلوب التهكم الذى يقف فيه نفسه موقف الجاهل ، ثم يسوق أسئلته البريئة اللاذعة التى تصير بالمسئول إلى حال التشكك والحيرة؛ غير أن سقراط لا يلبث أن يستدرج محاوره إلى الغاية الخفية التى يضمرها ، والتى يريد كشفها بأسئلته ونقاشه ، فيتجلى الأمر ويصل إلى النتيجة ، ولا يجد محاوره مفرًا من التسليم له بوجهة نظره من غير أن يقصد إلى ذلك

ولقد نهج أفلاطون فيما كتبه — ولا سيما فى جمهوريته ومحاوراته — منهج أستاذه سقراط : ففى « الجمهورية » مثلاً يعالج مبدأ العدالة فى مدينته الفاضلة بأسلوب استنباطى حوارى على لسان سقراط نفسه . غير أن الحديث يتشعب به فينتقل من موضوع إلى موضوع ، ومن بحث إلى بحث ، حتى يخيل لقارئه أنه يكاد يفقد الفكرة التى بدأ بها موضوعه الأول ، ولكن لا يلبث حتى يعود إليها

ومما عالجه أفلاطون فى « الجمهورية » موضوع التربية . وآراؤه فيها — وإن كانت قد أصبحت قديمة كبعض فلسفته — تستحق إيرادها هنا كتمهيد لتلك المحاورة الخيالية التى سأنقلها للقراء من الإنجليزية ، والتى دارت بين أحد المربين الإنجليز وبينه حين بعث منذ أربع سنوات ، بعد أن مر على وفاته ثلاثة وعشرون قرناً

يرى أفلاطون فى « الجمهورية » أن هناك ثلاثة أنواع من الناس : نوع وهبه الله الحكمة والذكاء ، وهؤلاء يربون إلى أن يصلوا إلى مرتبة الحكام الفلاسفة ، وهم الساسة المفكرون ، ذوو الأمر والنهى والرأى المطاع ؛ ونوع دونهم فى الذكاء والقدرة الفلسفية ، وهؤلاء يربون ليكونوا مساعديهم فى الإدارة والتنفيذ وليكونوا رجال الجيش الذين يحفظون النظام داخل الأمة ويذودون عن حياضها فى الخارج ؛ ونوع فى المرتبة الدنيا غير الموهوبة التى لا تصلح إلا للزراعة والتجارة والصناعة ، وهؤلاء يكونون جمهرة الشعب وعامته

والمحاورة الخيالية التى سأوردها هنا من وضع الأستاذ كرُسمان Crossman بجامعة اكسفورد . وقد أذاعها من محطة لندن ضمن سلسلة أحاديثه التى تشمل أيضاً : أفلاطون والديمقراطية الانجليزية، أفلاطون والأسرة الانجليزية، أفلاطون والاشتراكية، أفلاطون والنظام الفاشستى الخ[1] . وها هى ذى المحاورة :

أفلاطون للمربى : يقال إنكم أنتم معشر الإنجليز مهتمون بالتربية ومعضلاتها ، ومصممون على بنيان نظامها على أسس قوية لأنكم تدركون أن تربية النشء تربية صحيحة ، إنما هى عامل فعال فى إصلاح شؤون الدولة ، وأن سلامة الأمة لا تكون إلا بالتربية الحقة

المربى : نعم ، الأمر كذلك . ولقد خطونا خطوات مباركة فى الخمسين سنة الماضية . ولعلك لا تدرى أننا حتى سنة ١٨٧٠ لم يكن لنا نظام تعليم حكومى موضوع ، ولم يكن عندنا تشريع للتعليم الإجبارى ، ولم تكن عندنا كليات ثانوية للبنات بجانب العدد القليل من مدارس البنين الثانوية الصالحة ، ولم يكن لغير أتباع الكنيسة الإنجليزية حق فى التعليم العالى مهما كانت ثروتهم . أما الفقير فلم يكن له نصيب من التعليم الجامعى ولو كان من النابغين . ولكن كل هذا قد تغير الآن . فالتعليم الإجبارى إلى الرابعة عشرة ، والتعليم الثانوى إلى الثامنة عشرة . وهو نصيب نسبة كبيرة من الناشئة التى هى أهل له . وعندنا عدد لا بأس به من الجامعات التى تمينها الحكومة ماليًا ، والتى يتلقى فيها الشباب التعليم العالى إلى الثانية أو الثالثة والعشرين

أفلاطون : حقاً لقد كنتم نشطين فى ميدان التربية خلال هذه الحقبة الماضية ، وإنى لأهنئكم على أنكم أبيتم أن تدعوا التربية كما كانت فى يد الأسرة فقط ، أو غيرها من الهيئات التى لا تقدر هذه التبعة ، تبعة تنشئة الجيل القادم . ولكنى أود أن أعرف جليًا الأسباب التى من أجلها وجهتم كل طاقتكم لجعل التعليم العام حقاً لكل فرد من أفراد الشعب

المربى : مما لا شك فيه أن من بين الأسباب التى دعتنا لهذا إيماننا بمبدأ العدالة . فنحن شعب ديمقراطى ، ونعتقد أن التربية

(١) نقلا عن كتاب Plato to-Day لمؤلفه R. H. Crossman

يجب ألا تكون وقفاً على طبقة خاصة من الشعب ، بل يجب أن تكون حقاً مشاعاً لكل فرد . وما فائدة أن نخول للفرد حق الانتخاب واختيار من يمثله فى المجالس النيابية إذا كان هذا الناخب جاهلاً لا يحسن اختيار ممثله . وتربية الشعب هى الوسيلة التى بها يكون للانتخاب أو التمثيل النيابى معناه ومغزاه ، فلا يكون له ذلك المظهر الصورى التقليدى . ومن السهل أن يكون للأمة حكومة نيابية ، وهيئة برلمانية ، ومؤسسات ديمقراطية ، هى نتيجة الانتخابات العامة . ولكن كل هذه مظاهر خادعة ما لم يكن الشعب متعلماً . والمؤسسات الديمقراطية لا تجعل الشعب ديمقراطياً ، ما لم يكن أفراده قد عرفوا معنى الديمقراطية واستطاعوا أن يتمتعوا بها ، وأن يستفيدوا منها . ومعرفة معنى الديمقراطية واستغلالها الحكيم ليس شيئاً يسقط من السماء ، بل لا بد لخلقها فى نفوس الشعب من المال والمجهود . ونحن جادون فى هذا السبيل بالتربية التى نقدمها لأبناء الشعب فى مدارسنا . وليست التربية عندنا أن نصُبّ عقول الناشئة فى قوالب منتظمة ، فتخرج قطعاً منتظمة تركب فى عجلات المحرك الحكومى ، فتؤدى وظيفتها دائرة مع هذه العجلات دوراناً آلياً ، حتى إذا عراها الصدأ أو تحطمت ألقينا بها جانباً ، واستبدلنا بها غيرها ، والحقيقة هى أننا لا نريد أن نجعل أبناء الجيل القادم صناعاً مهرة فحسب ، ولكنا نريدهم أن يكونوا مواطنين صالحين فى شعب ديمقراطى ، قادرين أن يقوموا بدورهم بنجاح فيما هم أهل له ، سواء أكان ذلك فى ميدان الكرة ، أم فى نقابة التجار أم فى المجلس المحلى أم فى دار النيابة . نريد أن ننشئهم بحيث يعرفون كيف يحكمون أنفسهم ويساعدون من يحكمهم . فأنت إذاً ترى أن غاية التربية فى مدارسنا ليست إقدار الناشئة على كسب الخبز ونيل الوظائف ، ولكن الغاية من تعليمهم التاريخ والجغرافيا والاقتصاد هى أن يصبحوا فى أمتهم أعضاء يقدرون حقوقهم المدنية ، ويعرفون واجب الأمة عليهم

أفلاطون : صحيح كل هذا ، وهو يطابق تماماً ما قرأته لأحد ساستكم إذ يقول : إن التعليم العام للشعب ما هو إلا تجربة فى الحكم الذاتى. ولقد كان لهذه العبارة أثرها ومعناها فى نفسى لأنى أنا كنت قد حاولت فى مدينتى الفاضلة أن أجعل جميع أفرادها يشتركون فى حكومتها الذاتية . غير أن تجربتى لم تنجح فحدثنى إذاً عن نتائج تجربتكم التربيوية هذه ، وهل توقظ فى الشعب شعوره بضرورة اشتراكه فى أمور السياسة الخارجية والداخلية ؟

المربى : نعم ، أعتقد ذلك ، فالشعب قبل الحرب الماضية مثلاً ما كان ليعنى بالشئون الخارجية ، أما الآن فالشعب جميعه يعنى بالسياسة الخارجية ، ووزير الخارجية فى البرلمان أكثر النواب حديثاً ، وأكثرهم إجابة عن الأسئلة المتنوعة التى توجه إليه من كل حزب ومن كل صوب ، ولا تسمع الآن فى أحاديث الأسرة الإنجليزية إلا أخبار الحرب والسلم

أفلاطون : ولكن هل تظن أن لاهتمام الشعب بالسياسة الخارجية وتدخله فيها كما ذكرت أثراً فى اعتدال هذه السياسة وتحسنها ؟

المربى : من غير ما شك . وآية ذلك أن الحكومة لا تستطيع الآن — كما كانت تستطيع من قبل — أن تقرر فى الخفاء أى شأن من شئون السياسة الخارجية

أفلاطون : إن سؤالى مرة أخرى هو : هل كان لاهتمام الشعب بالسياسة الخارجية أثر فى اعتدال هذه السياسة وتحسنها ؟

المربى : أجل ، لقد جعل اهتمام الشعب بالسياسة الخارجية الحكومة تدرك تبعة تصرفاتها ، وأنها مسئولة عنها أمام هذا الشعب الذى انتخبها ، فهى إذاً لا تستطيع أن تعمل ما تشاء ، ولكن ما يشاؤه الشعب

أفلاطون : ولكن هب الحكومة أرادت أن تفعل شيئاً تراه هى صالحاً ، ولا يراه الشعب كذلك ، فما هو الموقف ؟

المربى : نحن نعتقد أنه من الحكمة أن يفعل الشعب الفعلة الخاطئة بإرادته وحريته متى قرر ذلك بدلاً من أن يكره على عمل الصواب ...

أفلاطون : كأنى بك تعتقد أن الحرية خير من الفضيلة ؟

المربى : لا ، لا أعتقد هذا . ولكن الرأى عندى أن الفضيلة مستحيلة بدون الحرية . إنك لا تستطيع أن تكره الطفل على أن يكون خيِّراً ، بله الكبار من الرجال والنساء

أفلاطون : قد تكون على حق ! وإذاً فلماذا تريدون الحكومة ما دام الشعب يريد أن يعانى التجارب القاسية بأفعاله الخاطئة وتصرفاته الحمقاء ، وهو مطمئن لأنه قام بها بمحض حريته ومجرد رغبته . ألا ترى أن الأصلح إلغاء النظام الحكومى نهائياً !؟

المربى : إن أسئلتك كالحلقة المفرغة لا يدرى لها طرف . وإنك لتلعب بعبارتى وتتهكم حتى ليحسبها السامع جوفاء ...

لا يختلف اثنان فى أنه يجب أن يحال بين الأفراد وبين أى تصرف يتنافى مع حرية غيرهم . وهذه هى الحكمة فى قيام الحكومات ، ولكن يجب أن تترك الحرية لأفراد الشعب بقدر المستطاع ليقرروا بأنفسهم مصير شئونهم . إن الهدف الذى نرى إليه — نحن المربين — فى هذا العصر هو أن نمد مواطنين يحسنون استخدام حقهم الانتخابى ، ويعرفون كيف ولِمَ ينتخبون ، فلا ينتظر منهم أن يكونوا خبراء فى شئون السياسة والاقتصاد ، ولكن يكفى أن يكونوا ذوى بصر وفكر بهما

أفلاطون : ألست تقر أنكم لم تكوّنوا بعدُ هذا النوع من الرجال ؟ فلِمَ إذاً تتعجلون — قبل أن تتم مشروعاتكم التعليمية وتنضج — فتكلون إلى أنصاف المتعلمين من الشعب الفصل فى شئونكم السياسية ؟ إن هذا لقلب للموضوع وللوضع المنطقى ! الواجب أن يكون عندكم أولاً نظام عام للتربية يكوّن هؤلاء المواطنين الذين وصفتهم فى نقاشك ، وحينئذ تكلون إليهم مطمئنين الإشراف على سياسة الدولة داخلية وخارجية ، غير أنى أعتقد أنكم متى كوّنتم هذا النوع من المواطنين كامل التربية لم تعد ثمت حاجة إلى أية حكومة

المربى : لقد عدت بنا من حيث بدأنا . إن العالم لم يصل بعد إلى المثل الأعلى ، ولن يصل إليه ، فلا مفر من مواجهة الواقع كما هو ، ونحن فى بلادنا نعتقد أننا إذا وكلنا إلى المواطنين العاديين الإشراف على أمورهم ومستقبلهم فإنما نعطيهم الحرية التى بدونها نرى الحديث عن الفضيلة والخلق لغواً

أفلاطون : لقد قلت الآن إن الغاية من قيام الحكومة هو منع الأفراد أن يتعدوا فى تصرفاتهم إلى حقوق الآخرين ، وإلزامهم أن ينصرفوا لأمورهم ويدعوا غيرهم وشأنهم ، فإذا كان الأمر كذلك فمن واجب الحكومة ، فى سياستها الخارجية ، أن تحول أيضاً بين أفراد شعبها وبين تعديهم إلى حقوق غيرهم من أفراد الشعوب الأخرى . وأنت الآن تريد مواطنى بلادك أن يوجهوا الحكومة فيما تبحثه من الشئون المالية ، وأن يتدخلوا فيما تقرره منها . ومعنى هذا أن سياستكم الخارجية ستكون طبعاً خاضعة لنفوذ ذوى المصالح الشخصية من المواطنين الذين همهم الوصول إلى منافعهم المادية على حساب الشعوب الأخرى

المربى : كلا ، إننا نتوقع عكس هذا . إن عامة الشعب لا ترغب فى الحرب ، وليس له مطامع مادية أو استعمارية ، إن هذه إلا مطامع تجار السلاح والذخيرة والرأسماليين . أما عامة الشعب فتريد السلم والعدالة المالية

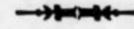
أفلاطون : هذا جميل حقاً ، ولكن هل يعرف أفراد الشعب كيف يحققون هذه المبادئ المالية السامية ؟ دعنى أنبئك وما ينبئك مثل خبير ؛ إن فن السياسة فن دقيق صعب المراس ، وإن علوم الحرب ليست من العلوم التى تدرك فى يوم ؛ فهل ترى أن أفراد الشعب خبيرون بفنون السياسة عليمون بتاريخ العلاقات الدولية ؟ أو هم فقط غيورون متحمسون تدفعهم العواطف النبيلة ، فإذا ما صدمتهم الحقائق الصماء ذهبوا كفقاعات الصابون فى الهواء

المربى : نحن الآن جادون فى تعليمهم فن السياسة والعلاقات الدولية . ولكن الحق هو أن هذا العالم يحتاج إلى قليل من المكر السياسى ، وكثير من الخلق المستقيم

أفلاطون : نحن على وفاق . فإن كل ما يحتاج إليه المواطن هو العواطف الخلقية القوية القويمة . ولكن هذه العواطف وحدها لا تكفى لتكوين من يصلحون للحكم . وأنتم فى تجربتكم التى تقومون بها الآن بتربية الشعب تحاولون أن تُمدّوا جيلاً يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه . وعندى أن هذا الجيل يحتاج إلى شىء آخر بجوار العواطف الخلقية التى أشرت إليها . إن مهنة السياسة تحتاج إلى مهارة ولباقة عقلية . وإذاً فلا بد أن نفرق بين التربية التى يحتاج إليها المواطن العادى والتربية التى يحتاجها الحاكم السياسى . فهذا الأخير يجب أن يعرف شيئين : قواعد السياسة التى يريد أن يتبعها ، والعالم الذى يريد أن يطبق فيه هذه القواعد . فهو باحترافه السياسة يشبه كل صاحب مهنة فقد نجد الرجل المغرم بالصور الجميلة ، الذى يدرك الجمال أنى يكون ويحبه بكل قواه ، ولكن هذا الإغرام أو الحب لا يخلق منه رساماً أو مصوراً . فالمصور لابد له من معرفة قواعد التصوير ، وخواص الألوان ومزجها ونتيجة أخلاطها ، وأنواع الأوراق والمواد التى يستعملها فى تصويره ، وأصناف الفراجين التى يستخدمها وهلم جرا . هذا إلى الهبة الطبيعية التى تكون فيه . والأمر كذلك فى الحكم ؛ فليس يكفى أن يكون الحاكم ذا ميول خلقية نبيلة كحبه للعدل والسلم ، لا ، بل لا بد من أن يعرف أصول السياسة ، وحوادث العالم اليومية ، العالم الذى سيطبق فيه أصول سياسته . فأمر السياسة المالية الخارجية إذاً ليس

عراك في غير معترك
وحكايات أخرى ...

للأستاذ محمد متولى



ذات صيف ، إذ كنت صبياً فى المدرسة الابتدائية ، وكنت فى الريف أقضى عطلتى ، صادفت الليلة الختامية الاحتفال بمولد أحد الأولياء هناك ، وذهبت أجوس خلال حلقات الذكر ليلتئذ ، فإذا (مجذوب) ناحل هزيل ، مأخوذ بشعور ما ، يهذى بما هو أشبه بالدمدمة أو « الملضمة » منه إلى الكلام الواضح المفهوم ، بينما وقف بجانبه فتى شاب يصلح من شأنه وهو يقول له : « وحِّد الله وحد الله ... » ودفعنى فضول المعرفة فرفعت قامتى القصيرة إلى الفتى وسألته : « الراجل دا بيقول إيه ؟ » فأجابنى فى ابتسام وإشفاق أنه يتكلم « اللاوندى »

ولقد كنت أنتظر من صديقى الأستاذ زكى طليات ، بعد أن لفتّه فى مقالى السابق إلى وجوب « موضوعية » كلامنا ، كنت أنتظر من هذا الصديق أن يكون أكثر لباقة فلا يدفعه الدكتور بشر فى الزالق فيندفع وينزلق ويتورط فى مسائل علمية وفنية ، ويشط بعيداً ، ويجيئنا بحكايات متناثرة متنافرة مشحونة بالزيف والبهرج ، حتى لقد غمُض خصبته ، أول الأمر ، يقصد بألفاظه إلى رموز خاصة بنفسه ، كما فى الصوفية ؛ وصحِب نخلته بتكلم ذلك « اللاوندى » الذى سمعت فى حلقة الذكر منذ ربع قرن من الزمان ، وجئت أردد له قول صاحبى الريفى : « وحد الله ... وحد الله ... »

***

كان العراك بين جبهتى بشر فارس والشاعر على محمود طه فى غير معترك ، ولكن الأستاذ زكى لم ير هذا ، لأنه لم يتفق معنا على أن « النقد الفنى » يجب أن يقتصر على تبيين قيمة « الصورة » التى يقدمها الفنان كابداع له وحدته ، بخلاف ما كان بين الجبهتين من خلط وتنابذ واتهام . إنما يتصور الأستاذ أنى قصدت بتقريرى أن « العراك كان فى غير معترك » كون رواية « مفرق الطريق » تافهة ممسوخة ، وأنا لم أردْ غير ما رأيته من ضلال الجماعتين « أصول النقد » فليس ذنبى أن قصر فهمُ صديقى دون إدراك غرضى فى تلك العبارة ، وهو قريب بيِّن

وأحببت أن يكون العراك فى معترك ، فبينت أن رواية بشر ليست من الرمزية فى شىء ، كما دلّلت على أن الدكتور المؤلف لا يفرق بين « رموز الصوفية » و « رموز الفن » ، مع أنهما عمليتان تختلفان « سيكلوجياً » ؛ ولكن بشراً وزكيًا عقدا جلستهما وقررا كتابة الرد على هذا الرأى ، ولعل لذة المعرفة فاتتهما ، أو لعل غريزة « حب الغلبة » غلبتهما فحجبت جمال المعرفة عن بصيرتيهما ، فنسيا موضوع الكلام وراحا يتفلسفان ويتعالمان !

وحدّ الموضوع كما قلنا ـ وكما يقرر « ريبو » ـ هو أن الرمزية فى الفن « تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً ... فإذا الناس والأشياء تمرّ دون أن تنطبع بزمان أو مكان ، ولكنها تمضى وما ندرى أين حصلت ولا متى ؛ فلا هى (تمت) بصلة لأى بلد ، ولا هى تمثل عصراً بذاته » . والدكتور بشر يعرض علينا ، فى مفرق الطريق ، صورة محلية « تجرى حوادثها فى مصر فى أحد شوارعها ، أمام صف من المنازل المنخفضة على

من السهولة بحيث يمكن أن يصير المرء بها وفيها خبيراً . ولهذا لا أفهم كيف يستطيع مواطنوك أن ينقدوا سياسة الحكومة وأن يوجهوها

المربى : إن المواطنين لا يستطيعون طبعاً أن يفهموا دقائق الأمور ، ولا أن يتعدوها أو يغيروها ، ولكنهم يستطيعون أن يقرروا اتجاهات السياسة العامة التى يجب أن تتبعها الحكومة

أفلاطون : أخالفك فى هذا . لأن الاتجاهات العامة من المكان والأهمية بحيث تحتاج إلى فيلسوف لحل معضلاتها التى هى معضلات الحرب والسلم ، والاعتداء والدفاع ، ولكن مهما يكن من الأمر فلنترك بحث السياسة الخارجية ، ولنرجع إلى موضوع إصلاحاتكم فى التربية ونظمها . لقد ذكرت فى حوارك أن غايتكم المثلى فى التربية هى أن تكون عامة لكل أفراد الشعب ، ولعلى لا أكون بعيداً عن الصواب إذا قلت إنك تريد « أن تكون فرص التربية والتعليم للجميع سواء » . فما الذى تريد أن تصل إليه بهذا كله ؟!

(يتبع) عبد العزيز عبد المجيد

شكل المنازل التي تصاب في الأحياء القديمة » . فهل حاول أحد الفارسين أن ينقض هـذا التحديد الذي يجرد مسرحيتهما من صفة الرمزية ؟ !

اللهم لا شيء من ذلك ، ولـكن بشراً يدفع زكياً ليقول أشياء لامعة ، ويذكر أسماء رنانة بينها وبين مسئلتنا من البعد قدر ما بين الدكتور بشر ومفهوم الرمزية في الفن . وهذه الأشياء هي الحكايات التي استنبتها الفارسان على هامش المسئلة ، والتي أتناولها الآن بالتفنيد للتدليل على ما ذهبت إليه من أن صاحبينا يجترئان ويتأملان كتب الفلسفة والفن بالاجتهاد ، ويقرآنها كما يقرآن روايات الجيب ـ مثلاً ـ فيزلان ويقعان فيما يجب ألا يقع فيه المخلصون في طلب المعرفة

وإذن ندور حول الموضوع تمشياً مع منطق الأستاذ طليمات ونعتذر عن هذا اللغو لأستاذنا صاحب الرسالة ، ونعده ألا نعود إلى الكلام « خارج الموضوع » مهما يقل بشر أو زكي أو غيرهما

***

١ — استهل زكي مناقشته بنص للمستشرق « بروكلمن » وساقه برهاناً على أن مسرحية بشر عمل أدبي ، وترجمة ذلك النص الدقيقة هي « نحن هنا في بداية تطور هو تجديد يمكن أن يؤثر في الحياة الأدبية ، بعد نضال عنيف » وهذا النص بذاته برهان على أن الرواية « محاولة » فجة ، إذا صدقنا أن « بروكلمن » يمكن أن يقدم « دراسة » لعمل أدبي في بعض صفحة من القطع المتوسط ، ولـكن الواقع أن هذا المستشرق يعرض المسائل عرضاً تاريخياً بسيطاً ، ثم هو كالأستاذ زكي لا يحسن النظر في الأشياء ويتورط في أحكامه ، لأن بشراً قدم روايته عملاً مطبوخاً وغير ناضج عام ١٩٣٨ فيما أذكر ، بعد أن قدم توفيق الحكيم «شهرزاد» عام ١٩٣٤ مثلاً رفيعاً للأدب الرمزي ، ليس في أدبنا وحده ، ولـكن في جميع الآداب ، فكيف لا نصف « بروكلمن » بالغفلة إذا اعتبر مفرق الطريق « بداية تطور » مع أننا قبل ذلك وصلنا إلى غاية الغاية برواية توفيق الحـكيم ؟ !

٢ — والمسألة عند زكي « محصورة فيما إذا كان بشر قد استلهم في كتابة مسرحيته... من (كذا) الفيلسوف « كانت » . أو هو استوحى فلسفة برجسون، وهذا الحصر مرفوض لأنه لا معنى له عند من «يشعر» بمعنى الإيحاء أو الإلهام و «يعرف» طريق النظر في أية فلسفة ، وكذلك هذا الحصر ليس إلا لفاً حول الموضوع ورجوعاً إلى « الخذاقة على اللحاف »

٣ — والأسـتاذ زكي يصف أسلوبه بأنه « أوضح وأدنى إلى الثقافة العربية » وأنا لم أعرف أني « مستشرق » وإذا كانت المصطلحات الفلسفية غريبة على ثقافته ، فليس هذا من خطئي ولا هو ممـا يدعوني إلى أن أسوق له عبارات مبتذلة كي يفقه قولي . وعلى أي حال ، كنا نحب أن نحمد الله لأنه « لم يغب عن ذهن زكي » التفريق بين « الصورة » و « الفكرة » في الفن ، لولا أنه عاد فقال إن « اقتصار الفن على الصورة أو الشكل لا يعني أن يكون هناك فن رفيع وفن رخيص ، وفن أصيل مبتكر وفن متبع مقلد ، وشاعر يسرق وكاتب يستمد » قال هذا فبدا لنا عقله كصندوق حروف ، ورأيناه هو كأنه « مطبعجي » يرص الحروف وهو لا يقصد من ورائها إلى معنى في نفسه محسوس ، ذلك أن الفن يجب أن يكون رفيعاً ، وإلا فهو تهريج لا نسميه فناً ، ويجب أن يفيض عن الروح طريفاً لطيفاً ، وإلا فهو شيء صناعي Technique لا حياة فيه ؛ أما عبارة الشاعر الذي يسرق والـكاتب الذي يستمد ، فقد نرجو إعادة حروفها إلى «الصندوق» إذا كان ممكنا ، فلا يقرؤها الناس فيسيئوا الظن بصديقي المعروف من أهل الفن

٤ — ويحدثنا الأستاذ طليمات عن (شرائط الفن المقطوع بها) في المسرحية ، ويحددها بأنها (مراعاة بلاغة العرض لحوادثها وجودة الحبك لمشاهدها ، وبراعة الحوار ولطفه ، وعمق التفكير وانسيابه إلى أعماق النفس يكشف عن خفاياها) ؛ وهذا الحديث يذكرنا بذلك الطراز من نقاد المدرسة القديمة الذين يحتفظون بعدد من (الـكليشيهات) يضيفونها إلى أسماء الشعراء والأدباء ، من غير نظر ولا تأمل ، فإذا الفرق بين شاعر وشاعر أن هذا (جزل الألفاظ) ، وأن ذاك (سلس الأسلوب) ، وأن الآخر (حسن الديباجة) . وزكي معذور في هذا ، لأنه يتصور الفن تصوراً (ميكانيكياً) لا أثر فيه للعاطفة ، فيبتدع تلك « الشرائط » ويقطع بها وحده ، ويحاول أن يفرضها علينا قبل أن يطبقها ، ولو استطاع تطبيقها لـما انطبقت إلا على الرواية الفاسدة التي لا يمكن أن تصدر عن روح فنان ، وإنما يخرجها (مصنع تزييف)

٥ — ولقد كان الأستاذ زكي يستطيع أن يصفني بالتفلسف لو أنني أخذته إلى مجاهل ما وراء الطبيعة ، ورحت أحدثه في نظرية المعرفة عند « كانت » أو « برجسون » ، بينما نحن نتكلم في

مسألة فنية ، ولكني أردت أن أهديه سواء السبيل ، فأخذت بيده إلى علم الجمال الذي موضوعه الفن ، وبدلاً من أن يبهره هذا النور الجديد رأيته ، كالتلميذ الكسلان ، يركب رأسه ، ويأبى متابعتي ؛ بل رأيته أكثر من هذا يطالبني بأن أترك مصطلحات علم الجمال إلى ما يدعى أن رجال المسرح اصطلحوا عليه حتى يكون قولي قائماً على الدقة والإحكام في نظره . يطالبني بهذا الكفر ، وليته كان صادقاً ، فرجال المسرح لم يصطلحوا على شيء اسمه « الرمزية الفنية » ، وهذا الشيء لا وجود له إلا في « صندوق حروف » الأستاذ المخرج الممثل

٦ — وفي هذه الحُزُون ، يصل الأستاذ زكي إلى الهاوية السحيقة ، ويدفعه بشر ، ويسقط ، فإذا هو مبقور البطن مجدوع الأنف مصلوم الأذن ، ثم هو ، مع ذلك كله ، يأسف من أجلي رائياً لأني لم أتعقب « المراحل الحديثة التي مرّ بها علم النفس بعد المهد الذي ألف فيه « ريبو » ... » ولأني لم أعرف « أن علم النفس الذي أفادت منه الرمزية كثيراً قد دخل في طور جديد تبدلت على أثره أوضاع في الأدب عامة وفي الرمزية خاصة » وبعد الأسف والرثاء « يود » الأستاذ العالم أن نقف « على آراء علماء اليوم فيما كتبه « ريبو » خاصاً بالمخيلة ... وذلك كما وردت (كذا) في مؤلف كبير يدرس اليوم في جامعة السوربون بباريس » وزيّف علينا أن « وليم جيمس » يقول في هذا الكتاب : « يلوح لنا أن علم النفس عند ريبو في مسائل المخيلة والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة » وأخيراً لا ينسى حضرته أن يصف وليم جيمس بأنه « الفيلسوف الأميركي المعاصر »

ولو أمكن إيجاد محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المستهترين بقدسيته وتعاقبهم على جناياتهم ، لو أمكن إيجاد هذه المحكمة وقدمنا لها هذا الكلام الذي يرسله صديقي زكي إرسالاً ، إذن لحكمت عليه بالحرمان الأبدي من القراءة والكتابة ، ولحكمت على الدكتور بشر بسحب شهادته بتهمة التحريض والإفساد

أما أنا فأؤكد للأستاذ زكي أني أعرف موضوعي لدرجة تسمح لي أن أصحح له ولشريكه تلك الأوهام التي يعيشان فيها ؛ فليسمع ، أو ليسمعا

(ا) « وليم جيمس » ليس معاصراً ، بل هو متوفى عام ١٩١٠ ، أي منذ ثلاثين عاماً ، بينما « ريبو » متوفى عام ١٩١٦

(ب) ال Traité de Psychologie (طبعة ١٩٢٣ — ٢٤ ذات الثلاثة الأجزاء) التي يعتمد عليها زكي وبشر أصبحت منسوخة لأنها تطبع الآن في تسعة أجزاء بزيادات وتفصيلات ، وقد ظهر الجزء الخامس منها عام ١٩٣٦ ، وظهرت قبيل الحرب أجزاء لا علم لي بها

(ج) لو أن الأستاذ زكي ذو عهد بالدراسة الجامعية لما قال إن كتاباً يدرس بجامعة السوربون ، كما تقرر الكتب في المدارس الابتدائية والثانوية ، ولعرف أن أي كتاب يمكن أن يدخل الجامعة إنما ليقلب ويجرح ، حتى ولو كان مؤلفه زكي طليمات

(د) « ريبو » الذي لا يرضى زكي طليمات ، هو الذي عرف Dumas قدره فاختاره ليكتب مقدمة ال Traité ، واعترف بفضله فأهدى السفر إلى ذكراه بعد موته

(ه) لا وجود لكلمة « المخيلة » ، ولا وجود لكلمة « الاختراع » في النص الذي ينقله زكي عن « وليم جيمس » . وإذا كان هذا النص مذكوراً في باب « الاختراع » فقد جاء في عرض « جيمس » لوصف العملية الفسيولوجية لتداعي الخواطر l'Association des Ideés عند « ريبو » (راجع ص ٢٠ في كتاب l'Imagination Créatrice) ، ولكن زكي يفتي فيما لا يدري فيضطر إلى تزييف هذا النص الذي يتعلق بمسألة « بسيكوفيزيولوجية » ولا يتعرض للظاهرة النفسية ذاتها ، والذي يدل على مكان فيلسوفنا العظيم ولكن من يقرأ ؟! قال « وليم جيمس »

La psychologie de Ribot à ce sujet nous semble encore très dominée par la conception automatique et simpliste de l'atomisme mental, bien qu'il ait insisté — ce qui le rangait parmi les novateurs à l'époque — sur ce fait que les etats associés ne sont pas juxtaposés, mais qu'ils « se modifient par le fait même de leur connextion »

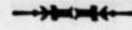
(و) مفهوم علم النفس عند الأستاذ زكي شعبي خاطئ لا يزيد على ما نسمعه من بعض زبائن « قهوة بيرون » لأنه يفهم أن الرمزية « أفادت من علم النفس » والأمر بالعكس ، فهذا العلم الذي موضوعه ظواهر النفس هو الذي أفاد من وجود الرمزية .

٦ — وأنا لم أستنكر أن يحاول صديقي زكي أن يناقشني في مسائل الفن والفلسفة ، فهل هو يستكبر إذا فسرت له نصاً فلسفياً لم يفهمه فأفسد ترجمته ؟ (راجع النص الفرنسي وترجمة زكي ص ١٥٤٨ — العدد ٣٧٩ من الرسالة) رضي أو لم يرض

نفثات

أمَّــاه...

للأستاذ سيد قطب



من نحن اليوم يا أمّاه ؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا ؟ ما عنواننا الذى نحمله فى الحياة ونعرف به ؟

إننا لم نعد بعد أسرة ، ولم يعد الناس حين يتحدثون عنا يقولون : هذه أسرة فلان ؛ بل أصبحوا يقولون : هذا فلان وهذا أخوه ، وهاتان أختاه !

اليوم فقط مات أبى ؛ واليوم فقط أصبحنا شتيتاً منثوراً ، وإنى لأضم اليوم إلى صدرى ابنتيك وابنتيك ، أضمهم بشدة لأستوثق من الوحدة ، وأشعرهم بالرعاية . ولكن هيهات هيهات . فأنا وهم بعدك أيتام يا أماه !

لقد شعرت اليوم فقط بثقل العبء ، وعلمت أننى لم أكن أنهض به وحدى ، وأننى كنت أرعاهم وأرعاك معهم ، لأننى قوىّ بك . أما اليوم فالعبء فادح ، والحمل ثقيل ، وأنا وحدى ضعيف هزيل !

إن الشوط لطويل ، وإنى لوحدى فى الطريق ، وأخى وحده كذلك ، وأختاى وحدهما أيضاً ، وإن كنا نقطعه جميعاً !

والعش الذى خلفتِه ستظل فراخه زُغباً مهما امتد بها الزمن ، لأن يدك الرفيقة لا تمسح ريشها وتباركه ، وكفك الناعمة لا تدرب أجنحتها على التحليق ، وروحك الحنون لا تكلؤها فى أجواز الفضاء

نحن اليوم غرباء يا أماه

لقد كنا — وأنت معنا — نستشعر فى القاهرة معنى الغربة فى بعض اللحظات ؛ وكنا نشبّه أنفسنا بالشجرة التى نقلت من تربتها ، والتى ينبغى لها أن تكثّر من فروعها ، لتتقى الاندثار فى غربتها

أما نحن اليوم فغرباء فى الحياة كلها . نحن الأفرع القليلة ذوى أصلها ، بعد اغترابها من تربتها ، وهيهات أن تثبت أغصان

فواجبنا يحتم أن نعلمه أن الرمزية الميتافيزيقية (الفلسفية عند « ريبو » هى الرمزية الفنية التى يتكلم عنها الفيلسوف نفسه فى صفحتى ١٦٩ ــ ١٧٠ من كتابه l'Imagination Créatrice ، ولو أدرك زكى أنه لا وجود لغير نوعين من الرمزية ، لعرف أن الرمزية الميتافيزقية ، أو الفلسفية ، هى بعينها الفنية ، ولا استطاع أن يفهم «ريبو» ويترجمه فى أمانة ؛ وإلا فهل وجد هو «ريبو» يذكر اصطلاح Le Symbolisme Artistique فى أى فصل من فصول كتابه ؟!

إن زكى فى حيرته ودورانه يدعى أنى (أخلط خلطاً صريحاً) بين الرمزية الفنية وبين ما يسميه (رمزية ما وراء الطبيعة) ؛ فهل يتفضل الزميل بأن يفسر لنا هذه الرمزية الثالثة التى يضيفها إلى النفس الإنسانية وكأنه يريد أن نتصور إنساناً بثلاث أرجل أو عيون مثلاً ؟ !

٧ — بقى أن نهمس فى أذن الصديق زكى أن تاريخ الرمزية الفنية ، هو تاريخ تطور العقل البشرى ، وأن هذه الرمزية إذا كانت قد بلغت بهذه الصور المركبة ، فهى قد بدأت بالأساطير فى أحضان الدين ، بل يرجع تاريخها إلى ابتداع الحروف الأبجدية كرموز تدل على أصوات ، وهى فى جميع مراحلها تقوم على أساس « سيكلوجى » واحد . والفرق بين هذه الرمزية وبين الرمزية الصوفية هو أن الأخيرة تعتمد على رموز شخصية ينتزعها الصوفى من نفسه انتزاعاً ليس فيه أى عنصر عقلى ، ولهذا السبب لا يفهمها أحد غيره ، بينما الرمزية الفنية تقوم على رموز تنتزع من الحياة العامة ، فتكون عند جميع العقول

ولقد أكتفى بهذا القدر لأن الأستاذين زكيا وبشرا يذهبان فى مناقشتى على غير أساس من العلم الوضعى ، مما أشاع الغلط والسفسطة فى كل سطر كتبه زكى ، ومما جعل المناقشة معهما سقيمة عقيمة ؛ فإلى أن يجدا ما يقولانه فى « الموضوع » سيجدانني فى كل لحظة مستعداً لتقديم كل ما يحتاجانه لدراسة الرمزية وفهمها ، على أن يعاهدنى الدكتور بشر ألا يحاول التأليف ، فليس الفن قواعد وتطبيقات ، إنما الفن فيض من عند الله ، يؤتيه من يشاء

محمد متولى
ماجستير فى الفلسفة
ومفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

فى التربة الغريبة . . . بلا أم ! . . .

***

أماه ...

لقد امتلأ حسى إرهاصاً بالكارثة قبيل وقوعها ، يوم لم يكن يبدو فى الأفق نذير بها . ولقد حدثت بهـذا الإحساس بعض الإخوان فعجبوا من أمرى ، وحسبوها وسوسة الشعراء . وقد ناديتها مراراً : « أقبلى أقبلى لطال انتظارى ! » . ولكننى لم أكن أتخيل الكارثة فجيعة فيك . لقد دعوتها لتقبل وأنا قوى بك ، فكم من كوارث صمدت لها وأنا معتصم بركنك الركين !

لقد تمنيت قبل الكارثة بليلتين اثنتين أقول : كم أنا فى حاجة لمن يربت على كتفى ويضمنى إلى أحضانه ! ولقد دعوتنى مرة — فى دعابة من دعاباتك الحلوة — أن آوى إلى حضنك كما كنت طفلاً . وكم كنت مشوقاً لتلبية دعوتك ، لولا الكبرياء، الكبرياء التى أودعتِها نفسى منـذ الطفولة ، فجعلتنى أهرب من كل مظاهر الطفولة . ولو علمت ساعتها يا أماه أنك راحلة لنسيت كل تعاليمك لأرتمى لحظة واحدة فى حضنك الرفيق . . . كما كنت طفلاً !

***

أماه ...

من ذا الذى يقص على أقاصيص طفولتى كأنها حادث الأمس القريب ، ويصور لى أيامى الأولى فيعيد إليها الحياة ، ويبعثها كرة أخرى فى الوجود ؟

لقد كنت تصورينى لنفسى كأنما أنا نسيج فريد منذ ما كنت فى المهـد صبياً . وكنت تحدثيننى عن آمالك التى شهد مولدها مولدى ، فينسرب فى خاطرى أننى عظيم ، وأننى مطالب بتكاليف هـذه العظمة التى هى من نسج خيالك ووحى جنانك . فمنذا يوسوس إلى بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة ؟ ومنذا يوحى إلى بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة ؟

منذا الذى يصوغ لى الأحلام الذهبية فى الآمال ، ويبنى لى قصور المجد فى الخيال ، فتصبح الأحلام بعد لحظة ، ويتجسم الخيال بعد برهة ، لأنك تنفخين فيها من حرارة القلب ، وتوسوسين لها برُقى الإيمان ، وتسكبين عليها إكسير الوجدان

لمن أصعد درج الحياة بعدك يا أماه ؟ ومن ذا الذى يفرح بى ويفرح لى وأنا أصعد الدرج ، ويمتلئ زهواً وإعجاباً وأنا فى طريق إلى القمة ؟

قد يفرح لى الكثيرون ، وقد يحبنى الكثيرون ... ولكن فرحك أنت فريد ، لأنه فرح الزارع الماهر يرى ثمرة غرسه وجهده ؛ وحبك أنت عجيب ، لأنه حب مزدوج : حبك لى وحب نفسك فى نفسى ... !

أماه ...

عندى لك أنباء كثيرة ، كثيرة جداً ومتزاحمة ، تواكبت جميعها فى خاطرى على قصر المهـد بغيبتك . وإنه ليخيل إلىّ فى لحظات ذاهلة أننى أترقب عودتك لأسمعك هـذه الأنباء ، وأحدّثك بما جدّ فى غيبتك من أحداث ؛ وأنك ستسرين ببعضها وتهتمين ببعضها ... وهى مدخرة لك فى نفسى يا أماه ، ولن تدب فيها الحياة إلا حين أقصها على سمعك... ولكن هيهات، فسيدركها الفناء الأبدى ، وستغدو إلى العدم المطلق ، لأنك لن تنصتى إليها مرة أخرى ... !

أماه ... أماه ... أماه ... ...

ابنك المفجوع

« حلوان » سيد قطب

سيجموند فرويد
العالم النفسانى الكبير

للأستاذ صديق شيبوب

— ٣ —

العقل الباطن سر من أسرار النفس المغلقة التى يصعب الوصول إليها وإماطة اللثام عنها ، وكان الأطباء يلجأون إلى التنويم المغناطيسى فى أول الأمر لشفاء داء الهستيريا ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، ولـكن « فرويد » أبى الأخذ بهذه الطريقة وقرر ثلاث وسائل يستطاع بها معرفة دخائل العقل الباطن . فإما بانتزاع السر عنوة وقوة كما كان يفعل رجال التحقيق فى القرون الغابرة ، وإما بتقريب الأدلة وحل ألغاز العواطف المـكبوتة وتحليل بعض الظواهر ، وإما بالانتظار والصبر حتى تطرأ على المريض حالة ضعف عرضية فيبوح بسره

عند ما ابتدأ فرويد اختباراته اكتشف ظاهرة لم ينتبه إليها أحد من قبله ، وهى ما أسماه (الأفعال الفائتة) . ذلك أن الإنسان كثيراً ما يخطئ التعبير فيقول كلمة وهو يريد ضدها ، أو يدلى برأى وهو يقصد عكسه ، وكان العلماء الأقدمون ، كما كانت عامة الناس ، يعزون هذه الأخطاء للغفلة أو الالتباس أو قلة الانتباه . أما « فرويد » فقد رأى أن الغفلة أو الالتباس معناها أن أفكار الإنسان ليست حيث يريدها أن تكون . ففى (الفعل الفائت) فعل قام مقام آخر ، وهذا الأخير هو الذى كان المراد إتيانه . قد تدخل إذن فجأة بين الإنسان وعمله عنصر ثالث حال دون القيام به وفقاً لإرادته . فإذا عرفنا أن لـكل حادث نفسى معنى مقصوداً كما أن لـكل فعل فاعلاً ، وأن العقل الواعى ليس العامل الصحيح فى (الفعل الفائت) لأن العقل الباطن طاغ عليه فيه ، قدّرنا أن الفعل الفائت ليس نتيجة غفلة أو التباس ولـكنه دليل على ظهور عاطفة مكبوتة ، والخطأ فى الحديث يدل على صميم فكرنا بينما تصحيحه لا يدل إلا على ما يقصده إليه وعينا

وهكذا نستطيع أن نقرر أولاً : أن كل فعل فائت وكل عمل يظهر أنه نتيجة خطأ إنما يعبران عن إرادة خفية ، وثانياً : أنه يوجد فى المنطقة الواعية مقاومة فعالة لمظاهر العقل الباطن

وقد اندفع « فرويد » فى التحليل بعد تقرير هذه الظاهرة ليفسر ظواهر وأعراضاً أخرى كان يظن أنها ضرب من المحال حتى انتهى إلى أشدها إمعاناً فى المحال وهى الأحلام

كان الأقدمون يعتقدون فى إعانهم الخرافى أن الأحلام ضرب من وحى الآلهة ، فاستحدثوا فى أوائل عهد الإنسانية علم تفسير الأحلام ، وشاع فى هيا كل مصر وبلاد اليونان والرومان وفلسطين . ثم زال هذا الاعتقاد وصارت الأحلام أضغاثاً لا معنى لها ولا قصد ، وصار ينظر إليها كسديم ، أو كشىء لا قيمة له ، أو أنها ذبذبة متأخرة خرساء توقع على أوتار الجهاز العصبى ، أو أنها نتيجة عدم انتظام الحركة الدموية واندفاع الدم إلى الدماغ

ولـكن « فرويد » رأى غير ذلك ، فنظر إلى الأحلام نظرة وضعية ، وقرر أنها الوسيط بين عواطفنا المـكبوتة والعواطف الخاضعة للفكر ، وقال إن الحلم ليس كله محالاً ، ولـكن لـكل واحد معناه الخاص به من حيث هو فعل نفسى كامل

صحيح أن الأحلام لا تعبر باللسان الذى تعودنا النطق به فى ساعات اليقظة ، لأن لغتها لغة أعماق الطبيعة غير الواعية ؛ لذلك لا نستطيع أن نفهم فهماً مباشراً معناها ورسالتها ، ويجب أن نتعلم وسائل تفسيرها ، ولغة الأحلام تعبر بوسائل الصور كما كانت تكتب اللغات القديمة

رمى « فرويد » من تفسير الأحلام إلى قصد جديد . كان الأقدمون يحاولون بواسطة هذا التفسير الكشف عن المستقبل ، أما فرويد فقد أراد الكشف عن الماضى النفسى وأسرار الإنسان العميقة ، لأن « الذات » فى الحلم مثلنا شكلا فى حالة اليقظة ، ولكنها تختلف عنا من حيث انعدام الزمان ، فهى فى ساعات الحلم يستوى لديها الماضى والحاضر ، أى أنه يجتمع فى الحلم الطفـل والمراهق ورجل الأمس ورجل اليوم مما تتألف منه (الذات) الـكاملة

كل حياة مزدوجة إذن ، ففى الأعماق غير الواعية تتألف المجموعة الصحيحة من الأمس الدابر إلى اليوم الحاضر ، ومن الرجل الأوّلى إلى الرجل المتحضر ، بينما تطفو على السطح الحياة المستنيرة والذات الواعية القائمة فى الزمان

تلتقى هاتان الحياتان فى حرية كاملة فى عالم الأحلام الذى يعبر تماماً عن أدق عناصر حياتنا ، بحيث لا يستطاع معرفة مجموعة حياتنا الزمنية التى تتألف منها شخصيتنا ، ولا فهم مرامى إرادتنا ، إلا إذا تمعنا جيداً فى مغزى أحلامنا

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ وضع (فرويد) طريقة لحل الأحلام المعقدة ، فابتدأ بالسهلة البسيطة منها ثم قارب بين الشكل الأول والشكل الأخير ؛ والأحلام كالزهرة التي لا تعرف حقيقتها إلا بعد درس أصولها المغروسة

ابتدأ (فرويد) بأحلام الطفل الصغير بدلاً من أن يبتدئ بأحلام المراهق ، لأن الطفل الصغير لا يعي بينما المراهق يعي ويكتب ؛ والطفل الصغير لا يكتنز خياله إلا أشياء قليلة ، ودائرة تفكيره ضيقة ، والتداعي ضئيل لديه ، مما يجعل أحلامه سهلة المنال بالتفسير . يرى الطفل الحلوى فيلح في طلبها ، فإذا رفض والده أو أبت والدته مشتراها ، رآها في الحلم كما هي لأنه لا يفهم الخير من الشر . إنه يظهر رغباته بلا خشية كما يكشف عن جسمه بلا حياء

والأمر عكس ذلك عند المراهق فما فوق ؛ فصور الأحلام الرمزية تخفي في أغلب الأحيان شهوات مكبوتة ورغبات لم تتحقق في النهار فتتخذ سبيلها إلى حياتنا عن طريق عالم الأحلام

هذا ما فهمته العامة من طريقة (فرويد) في تفسير الأحلام ولكنه في الحقيقة لم يقف عند هذا الاكتشاف السهل لأنه يعرف أن الإنسان خاضع للعقل الواعي حتى في أوقات النوم عند ما يستسلم لعالم الأحلام . ففي الأحلام توجد عواطف تحاول أن تظهر ولكنها لا تجرؤ على ذلك في حرية خوفاً من المراقبة فتتحول إلى رموز في شكل دقيق والتواء مقصود وتختلط بضروب من المحال كيلا يظهر معناها الحقيقي ، والحلم كالشاعر كاذب صادق ، لأنه يخفي الحادث النفسي وراء مظاهر رمزية . ومهمة العالم النفساني أن يحل هذه الرموز وأن يفرق بين الصحيح والكاذب منها وأن يبحث عن الحقيقة من وراء مظاهرها الكاذبة

يريد « فرويد » أن يكون البحث علمياً وأن يكون عمل الطبيب كعمل الناقد الأدبي في دراسة ديوان من الشعر . فكما يحاول الناقد الفصل بين خيال الشاعر وبين المعنى المقصود والبحث عن أسباب استعمال الاستعارات والتوريات والتشابيه والوصول إلى نفسية الشاعر الكامنة وراءه ، كذلك يجب أن يفعل الطبيب النفساني لأن عليه أن يبحث في الحلم الخيالي عن دوافع المريض الشعورية . ولما كانت غاية علم التحليل النفسي معرفة الشخصية فإن على العالم أن يستخدم مواهب الإنسان الخيالية ، وأن يدرس العناصر التي تألف منها الحلم ، وأن يمعن تفكيراً وتحليلاً حتى يصل إلى الحقيقة

وهناك نظرية أخرى عرض لها فرويد لتدعيم رأيه

من المقرر أن النوم وسيلة طبيعية للراحة وتجديد القوى التي تستنفدها اليقظة . فيجب أن يكون النوم إذن سباتاً عميقاً في ظلام لا ينقطع . وإذا كان الأمر كذلك فلا معنى إذن للأحلام ، وهذا ما قرره الكثيرون من العلماء . ولكن «فرويد» رأى فيها وسيلة للتفريج عن العواطف والشهوات المكبوتة وتحريرها من حكم العقل وسيطرته عليها . وهكذا تقوم الأحلام مقام الأفعال التي أبينا إتيانها في اليقظة . وقد قال أفلاطون : « يكتفي الرجل الصالح بأن يحلم بما يفعله الرجل الشرير في اليقظة »

هذه هي النظريات الأساسية التي بنى عليها « فرويد » علم تفسير الأحلام . وقد أبينا شرح وسائل هذا العلم وطرق التفسير لأنها كثيرة متشعبة ، وهي في مجملها متروكة لفطنة الطبيب وذكائه على أن الحلم ليس الوسيلة الوحيدة لتعرف شخصية المريض وشهواته المكبوتة . فهناك طريقة أخرى يقول « فرويد » بأن العالم النفساني يستطيع أن يمارسها في كثير من الدقة والصبر ، وهي أن يفسح المجال للمريض ليتحدث بكل ما يمر بخاطره من غير إمعان فكر أو تحكيم عقل

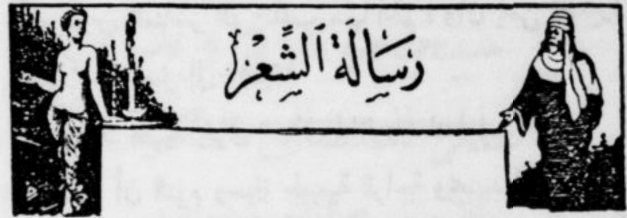
يستلقي المريض على مقعد طويل بينما يجلس الطبيب إلى مكتبه بحيث لا يراه المريض الذي يجب أن ينسى حضوره . ثم يأخذ المريض بالكلام يلقيه على عواهنه فيدلي بكل بادرة تمر بذهنه ، بينما يصغي إليه الطبيب ويلاحظ ما يجد فيه دلالة على حالة مريضه

ولا شك أن هذه الطريقة صعبة وخطرة لأن المريض الذي تعود الكبت قد لا يبوح بكل خلجات ضميره ، ولأن العقل الواعي يسيطر أبداً على اللسان بالرغم من إرادة الإنسان ، ولأن المريض كثيراً ما يكون قد أعد قصته ليرويها للطبيب فلا يستطيع الانفكاك من أثرها

لذلك يجب أن يطول المجلس وأن يتكرر أكثر من مرة ، وأن يتذرع الطبيب بالصبر الطويل حتى ينفد صبر المريض فتجري على لسانه ألفاظ يستطيع الطبيب بواسطتها أن يتعرف إلى حقيقة الداء . والأمر بعد ذلك موكول إلى مهارة الطبيب وذكائه .

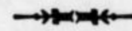
صديق شيبوب

٣٤ ١٥



أصداء الحب

للأستاذ أنور العطار



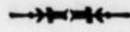
خَاطِرِي جَدْوَلٌ تَرَقْرَقَ أَلْحَا … نًا وَقَلْبِي عُشٌّ يَمُوجُ غِنَاء
وَبِنَفْسِي قَصِيدَةٌ أنا مِنْهَا … ثَمِلٌ ما تُفِيقُ رُوحِي انْتِشَاء
كُلَّمَا رَنَّ هَمْسُهَا فِي ضُلُوعِي … صَفَّقَ القَلْبُ وَاسْتَحَالَ نِدَاء
يَاحَبِيبِي أَرَاكَ فِي نَغْمَةِ الذِّكْ … رَى فَأَصْبُو شَوْقًا وَأَهْفُو لِقَاء
عِشْ بِقَلْبِي لَحْنًا عَلَى الدَّهْرِ حُلْوًا
وَامْشِ فِي حُلْمِيَ الشَّجِيِّ صَفَاء
أَتْرِعِ الرُّوحَ بَهْجَةً وَائْتِلَاقًا … وَامْلَأِ النَّفْسَ فَرْحَةً وَازْدِهَاء
تَتَرَاءَى فَيَعْبَقُ الكَوْنُ بِالعِطْ … رِ وَيَخْتَالُ جَنَّةً غَنَّاء
وَظِلَالًا يُنَغِّمُ الحُبُّ فِيهَا … وَيَذُوبُ السَّنَا بِهَا أَنْدَاء
أَنْتَ لِي عَالَمٌ يَمُوجُ مِنَ الزَّهْ … رِ وَدُنْيَا تَأَلَّقَتْ أَفْيَاء
وَمُنًى تَسْكُبُ الرَّغَادَةَ فِي القَلْ … بِ وَتُحْيِي فِي نَاظِرَيَّ الرَّجَاء
وَتُعِيدُ الحَيَاةَ جَمْرَةَ شَوْقٍ … وَهَجُهَا يَمْلَأُ الوُجُودَ ضِيَاء
يَا حَبِيبِي تَرِنُّ فِي القَلْبِ أَصْدَا … ءٌ وَبِالقَلْبِ أَنْتَدِي الأَصْدَاء
وَدَّتِ العَيْنُ أَنَّهَا تَسْمَعُ الهَمْ … سَ وَتَحْيَا عَلَى المَدَى عَمْيَاء
تَحْسُدُ الأُذْنَ أَنْ يُهَدْهِدَهَا اللَّحْ
نُ وَتَفْنَى فِي سِحْرِهِ إِصْغَاء
يَا هَوَايَ القَدِيمَ جَدَّدْتَ دَائِي
فَتَفَجَّرْتُ مِنْ أَسَايَ بُكَاء

أنور العطار

الشاطئ والحرب

عودة إلى الشاطئ!

للأستاذ مصطفى على عبد الرحمن



عدتُ واللهفةُ تدعونى إليكْ … عودةَ المخذولِ من ساحِ الحروبِ
أذكرُ الأمسَ وأيامى لديكْ … علَّ فى الذكرى شِفاء لذنوبى
زاحفُ الأحداثِ قد أخنى عليك … وخطوبٌ جُنَّ فى إثرِ خطوب
كل سحر قد تولى … وتوارى عن عيونى
لم يعدْ للقلبِ إلا … ذكرياتى وحنيني
هذه الصخرةُ بالأمس جلسنا … فوقها نرعى العهودَ الباسماتْ
وعلى أقدامِنا الموجُ يغنى … باعثاً فى الشط عذب النغماتْ
هاهنا نامت عيونُ الدهر عنا … بعض حين والأمانى راقصاتْ
ها هنا فى كل منحى معهدُ
ترقصُ الذكرى به أو تقعدُ
وأنا الذكرى التى لا تنفد
ياحبيبي كيف تصفو لي الليالى … والذى كان تولى واندثرْ
أترى تهفو لأيامى الخوالى … وعهودٍ هُنَّ فى عمرِ الزهَرْ
نتغنى بالمنى فوق الرمال … ونسيم الود مجلو عِطرْ
ها هو الموجُ عبوسٌ مزبدُ
ها هو الشاطئُ جسمٌ هامد
وأنا وحدى شقى واجد
كل سحر قد تولى … وتوارى عن عيونى
لم يعد للقلب إلا … ذكرياتى وحنينى
عدت واللهفة تدعونى إليك … وبقلبى ما بقلبى من وجيبِ
ذاكراً عهداً قضيناه لديْك … آهِ ما أحلاه من عهدِ حبيب
زاحفُ الأحداث قد أخنى عليك … وخطوبٌ جُنَّ فى إثرِ خطوب

(الاسكندرية) **مصطفى على عبد الرحمن**



عهد جديد:

يوم القيـــامة ـ مايسة

للأستاذ عزيز أحمـــد فهمى

١ ــ يوم القيامة

منذ أنشئت الفرقة القومية وهى تعد الناس بأنها ستقدم لهم فى يوم من الأيام أوبرا أو أوبريت ، ولـكنها لم تبر بوعدها هذا إلا اليوم فقط ، ويقال إنها كانت مترددة إلى حد كبير فى البر بوعدها هذا ؛ ويقال إن عمر جيعى لاقى صعوبات جمة حتى استطاع أن يقنع ولاة الأمور فى الفرقة وفى وزارة المعارف بأن إخراج الأوبرا أو الأوبريت شىء لا خطر فيه ولا خوف منه ؛ ويقال إن هذه الصعوبات لم تزلل إلا بعد أن كتبت تقارير، وألفت لجان، وعرضت أبحاث ، وتبدت وجهات مختلفة للنظر ، وتضاربت وجهات النظر المختلفة هذه تضارباً حكومياً ممتازاً ... ثم انتهى الأمر أخيراً بأن قال ولاة الأمور: لا بأس فى أن نجرب هذا النوع لعله يفتح للفرقة فتحاً جديداً ، ولعله يقربها من الجمهور تقريباً ...

ولقد كان ... وأذن الله سبحانه وتعالى لنا بأن نسمع من الفرقة القومية ألحاناً ...

القصة :

قال الوالى للأهالى : إن يوم القيامة سيقوم يوم الجمعة المقبل فحزن الذين لهم بسمت الدنيا ، وفرح الذين كشرت لهم الدنيا عن أنيابها ، وتصدق كثيرون بأموالهم ، وفزع كثيرون على أرواحهم وارتبكت سوق التجارة ، وانخفضت أسعار الحاجات ، وزهد الناس فى الدنيا ، واستغلها الوالى فرصة لجمع الأموال وا كتناز الذهب . ثم جاء يوم الجمعة الموعود فلم تقم القيامة ولم ينفخ فى الصور ولم تزلزل الأرض زلزالها ، ولم تخرج أثقالها ، ولم يقل الإنسان مالها بل قال الناس : ما للاشاعة المزعجة لم تتحقق ؟ وقال الأغنياء : ما لنا وزعنا أموالنا ؟ وقال الفقراء . يا خيبتنا فى رجائنا ، ويامرارة عودتنا إلى بؤسنا وشقائنا . . . ثم هاج الناس ، وكان فى البلد شيخ مجذوب فضح الوالى وقاد الثورة عليه

هذه هى الناحيـة التاريخية من القصة ، وقد دس المؤلف فيها قصة أخرى غرامية ليحليها بها ويزخرفها ، فابتدع عاشقاً ومعشوقة وزواجاً وزفافاً يشبع به شغف الذين لا يطيقون أن يظلوا الساعات يشاهدون قصة ولا يرون فيها امرأة ...

ولست أريد أن أعرض للرواية من الناحية التاريخية فأبحث وراءها لأخرج من البحث بحكم عن صدقها أو كذبها ، فهذا أمر أدعه للمؤرخين والباحثين والقارئين والمطلعين ، وفى الصف الأول منهم أستاذى الدكتور زكى مبارك الذى قال لى إن فى القصة غلطة تاريخية ، وإنه سيدحضها

فليدحضها أو لا يدحضها ، فأنا لا يعنينى من القصة شىء أكثر من اللذة الفنية التى أستمتع بها حين مشاهدتها ، ولست أنكر أنى ذقت لذة فنية سائغة فى يوم القيامة ، فموضوعها كما رأيت طريف ، وحوادثها كما رأيت شاذة ، وتأليفها لبق ولذيذ . وهذا كله من نعم الله التى لا أحب أن أتلفها على نفسى بمراجعة التاريخ وأسانيده

الإخراج !

قلت فى الأسبوع الماضى إن عمر جيعى أجهد نفسه ، وأجهد الممثلين معه إجهاداً مضنياً فى إخراج هذه القصة ، وأقول اليوم إن هذا الإجهاد قد أثمر ثمرته

وإنى أعتقد أن الأوبريت الثانية ستكون أبهى من هذه بإذن الله ، وأن الثالثة ستكون أبهى من الثانية ، وإن أملى فى عمر أمل كبير ، وقد يكفيه فخراً أنه كان يسأل كل من يتصل به عما يستطيع أن يبديه له من الملحوظات وعما يمكن أن يدلى به إليه من الاقتراحات ، مع أنه يعلم أن هذا السؤال قد يؤول تأويلاً سيئاً ، ولـكنه أعرض عن هذه الأوهام لأنه

أراد أن ينجح ، وقد نجح ، وما دام متلهفاً إلى النجاح هكذا فسينجح أكثر مما نجح وأكثر .

التمثيل

لم يشترك فى تمثيل هذه القصة من فحول الفرقة القومية إلا اثنان أو ثلاثة ومع هـذا فقد مرت فى الرواية من أولها إلى آخرها حيوية ملحوظة كان سببها أن الممثلين والممثلات الناشئين الذين أسند المخرج أدوار الرواية إليهم طاوعوه بقدر ما استطاعوا المطاوعة ، وقد نتج عن هذه المطاوعة أن توحدت روح التمثيل بين الممثلين ، فلم يكن فيهم من أراد أن يبرز على غيره ، ولا من أراد أن يشذ

صحيح أن بعض الحركات والإشارات والجمل كانت تلقى بأسلوب « أفرنجى » . وهذا عيب . ولـكنه ليس عيباً قاصراً على هذه الرواية وتمثيلها ، فأغلب الممثلين المصريين لا يزالون يتتلمذون على الممثلين الغربيين ، ولا يزالون قريبين من أساتذتهم بعيدين عن أنفسهم هم . وهذه حال ستنقضي يوم يكون لنا مسرح قومى يكتب له كتاب مصريون ، حوادث مصرية ، يعرفها الممثلون المصريون ، ويعرفون ذويها ويستخلصون منها ومنهم فنهم عن طريق مباشر ، لا بعد أن يصدر هنا الفن عنا إلى أوربا حيث يصنع صناعة غريبة ثم يعود إلينا وهو منا حقاً ولكن بعد أن لعبت اليد الأجنبية فيه ... كما يحدث لقطننا ...

الأزجال

كتبها بيرم التونسى ، وبيرم التونسى هو بيرم التونسى . يقول فى يوم القيامة :

لا الطفـــل يقول يا باه ولا أم تقـــول ولداه
وملايـكة تقول : الله حاكم قهار يا ويل . . .
يا ويل النـــاس يا ويل
دا ميزان منصوب قسطاس ورصاص مصبوب ونحاس
فوق روس الناس ... الخ

الألحان

أربعة عشر لحناً صاغها كلها زكريا أحمد ، منها ألحان المجموعة ومنها ألحان للأفراد ، وألحان المجموعة أرسلها زكريا إرسالاً سهلاً فى روعة واتساق امتاز بهما على غيره من الملحنين .

وأما ألحان الأفراد فقد أودعها زكريا التطريب الشرقى الذى تتذوقه آذاننا وأرواحنا ، والذى لا يتعثر فى دخوله إلى أنفسنا .

وقد كنت أحب أن أفيق ولو للحن واحد من هذه الألحان حتى أصفه لقرائى ، ولكنى مع كثرة ما سمعت هذه الألحان من زكريا ومن الفرقة لم أملك نفسى إلا أن أنساق لها مذهولاً مأخوذاً ، فلست أملك اليوم أن أقول لقرائى شيئاً أكثر من أن أحيلهم على هذه الألحان ليسمعوها وليسكروا بها كما سكرت

على أنى سأتربص منذ اليوم لزكريا وألحانه فى دنانير ، فقد كرهت أن أظل تحت تأثير سحره ، وقد عزمت على أن أتحفز له ...

الغناء

مع أن نجمة إبراهيم ليست من المطربات المعدودات فإنها مغنية بالطبع . يخيل إلىّ أنها حين تخلو إلى نفسها تغنى ، وأنها تبث فى غنائها لواعجها وهمومها . وهـذا هو ما مكنها من أن تمر فى يوم القيامة مغنية تلفت السمع وتلفت الشعور

وحسن سلامة مع أنه موسيقى أعده ممن يلهمون فى اتجاه خاص هو تصوير نفوس النساء ، فإنه استطاع أن يغنى كثيراً من عواطف الرجال ، وإنى أترك حسن سلامة اليوم عنـد هذا فهو جدير بأن أقدمه إلى الناس على حقيقته فى ظرف آخر على اعتبار أنه موسيقى لا مغن

فرقة الألحان

يتقاضى الفرد فى فرقة الألحان من الفرقة القومية عشرة قروش فى الليلة ، وهو يؤدى بصوته وروحه غناء يساوى القروش العشرة ... فلو أنه أعطى خمسين قرشاً فى الليلة أو جنيهاً فإنه من غير شك يكون شيئاً آخر ...

وماذا أيضاً :

لا أظنه بقى بعد ذلك فى يوم القيامة شىء ، ولـكنه لا يزال بعد يوم القيامة أشياء ، هى روايات الألحان التى ننتظرها والتى لا يمكن أن نشبع منها ولا أن نمل

٢ — مايسة

قصة تصور حياة البدو المصريين الذين يعيشون على حدود مصر، وما يشعرون به من أنهم حماة للسبل المؤدية إليها، كتبها بيرم التونسي زجلاً، ولحنتها ملك، فهي ألحان من النغم في ألحان من الكلام

وقد كنت، إلى أن سمعت ألحان ملك في مايسة، أحسبها مغنية كل ما تستطيعه هو أن تتاقى اللحن من غيرها وأن تؤديه بعد ذلك أداء فيه إتقان يتاح لها من قدرتها على أن تسلس راغبة لمن تريد أن تسلس له

ولكنني بعد أن سمعت ألحان مايسة رأيتني أخاف من ملك، وكأني بها قد نفذت إلى عالم آخر غير هذا العالم استرقت منه هذه الألحان، وإلا فمن أين أتتها هذه الشرارة التي اندلعت في روحها فتوهجت فيها هذه الأنغام اللامعة المصقولة

لقد حرت... وسألت... فقيل لي إن ملك استعانت باثنين موسيقيين أخفت اسميهما، ولكنني قلت إن هذه الألحان مطبوعة كلها بطابع واحد، فلا بد أن يكون صاحبها واحداً ولا أكثر. ثم إنها ألحان ظاهر جداً أنها حريق امرأة اندلعت في نفسها النار اللطيفة ذات السعير اللذيذ...

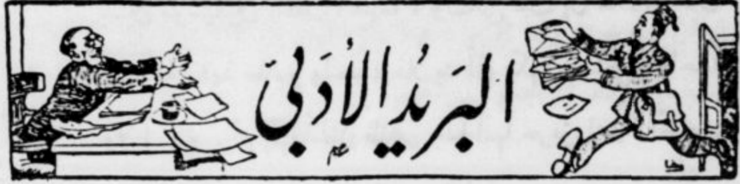
لست أدري. ولكن هذا هو رأيي... وأنا أعلم أن فيه مفاجأة، ولكنه شعوري. ولعل هذه هي المرة الأولى التي يستولي على فيها الخبل من فن امرأة...

إن ملك تتكلف في الغناء أحياناً، وهي تثقل فيه على النفس أحياناً... ولها في هذه الأحيان العذر، فما يستطيع الإنسان أن يستنبع روحه في كل حين... ولكنها كانت في هذه الألحان نبعاً يتدفق...

فهل هذه ألحانها حقاً، وهل ننتظر بعد ذلك منها ألحاناً تشبه هذه...

إذا كان الأمر كذلك فعلى الملحنين أن يأخذوا حذرهم... وعلى بعضهم أن يتعلم وأن يتذوق.

عزيز أحمد فهمي



لا تناقض ولا اضطراب

لم أكتب عن المنصورة مقالاً واحداً ، وإنما كتبت مقالين أحدهما قُبَيْل السفر وثانيهما بُعَيْد الرجوع ، وبين المقالين فاصل هو الإمضاء . وقد نبهتُ مدير مطبعة الرسالة مرتين إلى ذلك الإمضاء ، فقد كنت والله أشعر بأنه لن يُثبته في صُلب الحديث ، وقد وقع ما توقعتُ وصحّ للسيد محمود وصيف أن يحكم بأن المقال وقع فيه تناقض واضطراب

ولعل هذه الملاحظة تذكِّر مدير مطبعة الرسالة بأن ليس من حقه أن يتصرف بالحذف والإيصال في مقالات الكتّاب ، فقد يكون من الذين يخفى عليهم وجه الصواب في بعض الأحايين ، وإلى صاحب الملاحظة أقدم تحيتي وثنائي .

زكي مبارك

غناغراف

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة « الرسالة » الغراء

تعلمون كما يعلم قراء الرسالة أن لدى إدارة البرق (التلغراف) نوعاً من الرسائل أعد للتهنئة وهو يمتاز عن الرسائل البرقية العادية برسوم زخرفية ذات شكل بهيج

ومع أن هـذه الميزة لا تكاد تؤدي مرح المهنئ المخلص وفرحه واغتباطه فقصارى ما أتمناه لكم ولقرائكم أن تتلقوا رسائل من هذا النوع بما يقر أعينكم ويطمئن قلوبكم

ولـكن الذي أرجو أن أعرف وقعه لديكم وأثره فيكم هو نوع رسائل التهنئة الذي ابتكرته الولايات المتحدة ، تلك الأمة الخالية القلب من متاعب العالم القديم

في عدد اليوم من جريدة الاجبشيان غازيت مقال ممتع بقلم المستر جرني وليمز عن ذلك النوع من الرسائل واسمه « الغناغراف » فماذا ترون لو ازدحمت غرفتكم بالرسالة أو بالمنزل العامر بفرقة من سعاة التلغراف تنشدكم برقية تهنئة من شعر رامي وتلحين السنباطي أو من شعر الدكتور زكي مبارك وتلحيني أنا ؟ !

يقول كاتب ذلك المقال إن مكاتب البرق في الولايات المتحدة أعدت نماذج مختارة من التهنئات المختلفة الأغراض وهي شائعة الألحان ، ولـكن للمهنئ أن يبعث بغيرها ، ولدى السعاة مقدرة على الأداء ، ولدى إدارة البرق مقدرة على التلحين

وفي هذا الخبر على قصره بشريات لنا لو أخذنا بهذا النظام فمن لنا بالفرصة التي تتيح حفظ مكتبة في كل مكتب للبرق تحتوي على كل دواوين الشعر العربي ، ومن لنا بفرصة لتوظيف الملحنين وبعض المغنين والمغنيات سعاة للتلغراف ! ! ولقد ينشأ بعد ذلك شعراء عموميون كالـكتبة العموميين لنظم التهنئات البرقية ، فما أسعد البشرى !

ويصف الـكاتب استغلال الماجنين لنظام التهنئة الغنية فهم يبعثون لحفلة مترمتة بفرقة من السعاة تنشدهم ما لا يتفق ونظام الحفلة ، قال وعند ذلك يطرد الساعي المنشد المسكين قبل أن يتم إنشاد البرقية وقبل أن يعلن اسم المرسل

قال : وفي هـذا النوع من الرسائل تكثر مداعبات الغزل بين الشبان والشواب ، وروى قصة فتاة أرسلت أغنية كبعض شعر العباس بن الأحنف إلى صديق لها ، فطرب الشاب وجمل الرد برقية إلى مكتب البرق في حي الفتاة يرجو فيها تقـديم طعام الإفطار لها فقدمه المـكتب على حساب المرسل للظريفة الداعبة في غرفة نومها في ساعة الفجر

سيدي الأستاذ :

لا علينا من طبيعة نظام الغناغراف ولـكن أمة يمكن فيها إنشاؤه واستمراره لهي أمة سعيدة فهل تدعون إلى إنشائه بمصر إدارة المصلحة التي أنشأت قطار الفاجآت وقطار البحر

أحسب ذلك إن شاء الله .

عبد اللطيف النشار

أدهم قال لي

قرأت للأستاذ عبد اللطيف النشار كلمة بمناسبة دعوة أحد الأدباء لأصدقاء المرحوم الدكتور أدهم في أن يكتبوا عن مقدار ما وصل إليهم من العلم عن عقيدته

وفى الواقع كانت دهشتى عظيمة لأمرين : الأول هى تلك الدعوة الغريبة التى لا أجد لها أى داع ، وقد حرت فى فهم ما يرمى إليه الداعى من وراء دعوته ، فإن كان يقصد بالمقيدة « الدين » فإننى أعتقد أنها مسألة شخصية بحتة يجدر بنا أن نبعدها عن نطاق الجدل ؛ ثم إننى لا أفهم كيف يمكننا أن نخدم الأدب بتركنا الكلام عن الناحية الأدبية فى الكاتب إلى مسائل خاصة ، ويجب أن تظل كذلك

وإننى أتساءل : متى يمكن لأفكارنا أن تسمو عن الاهتمام بمثل هذه الفوارق التى يجب أن تتلاشى ما دامت رسالة الأديب نبيلة فى مرماها مجدة فى الرفع من شأن الأدب ؟

والأمر الثانى الذى دهشت له هو رد الأستاذ النشار نفسه وتلبيته دعوة كهذه ، ولم أخرج إلا بنتيجة واحدة من كلمته ، وهى أنه قد انتهز فرصة الكلام عن أدهم ليرميه بمر القدم والتعريض ؛ وإننى أرجو أن تكون نية الأستاذ النشار — وقد كان صديقاً لأدهم — بريئة مما استطعت استنتاجه من كلمته

ليتكلم عن أدهم وأدبه كما يشاء، ليناقش آراءه الأدبية والعلمية إذا أراد ، فهذه رسالة الناقد ؛ أما أن يدخل فى أمور شائكة كهذه ، فهذا ما لا يقره عليه أحد ، وخاصة أنها تتعلق بشخص انتقل إلى جوار ربه ، فللموت حرمة يجب علينا تقديسها

شعبان فهمى

الى الأستاذ النشار

فى عنقك الآن قلادتان : أولاهما للأستاذ اسماعيل أدهم — رحمه الله — وأخراهما للأدب الحديث

أما قلادة أدهم فأرى أن يَوْحك بها (قال لك) قد يحيك له وشياً من الخلود لا يخلق ولا يبلى . أما قلادة الأدب فأعتقد أن أدب الأستاذ — وإن كان جافاً لا يخلب كما قال الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مقاله — إلا أنه جديد فى أفق الآداب ، ورأيه غريب فى سماء الآراء

وعالم الأدب الآن محتاج إلى كل جديد ، ودنيا الآراء عطشى إلى كل غريب

فإن صح ما تقول فهنيئاً لبحر أدهم بغواص يتصيد الدرر الخبيئة، ولعالم الأدب بمرآة تشع نفساً غامضة تاهت (حتى حقائق نسبها) عمّن تعرضوا لموضوعه الشائك فراح أخوه يخطئهم (الرسالة من عدد ٣٦٩ إلى ٣٧٣)

على أنى لا أرى عليك حرجاً من (انفاذ الوعيد) بل إن انفاذه لزام عليك (إن صح إن هذا وعيد) لا شيئاً وقد اختارك لذلك واختار لك أقوى الوسائل المغرية للكتابة عنه فى فلسفة عملية تكشف عن نية مبيتة للانتحار .

أيها الأستاذ : أن فى عنقك للعلم ثقة ، فدع عنك مبضع الجراح ، وانقل مزهرك فى خيال رقيق ، وانفذ إلى الحقائق فى تمحيص وتدقيق ، سدد الله خطاك

حلمى ابراهيم النبوى

الى طلاب النحو فى جميع الأقطار

ما كان أظرف الأستاذ مصطفى ابراهيم حينما وجه (إلى علماء النحو فى جميع الأقطار) معضلاته الآتية :

١ — لِمَ أُفرد لفظ مائة فى ثلثمائة إلى تسعمائة على خلاف القاعدة ؟

٢ — لِمَ حذفت التاء فى قوله تعالى : « فله عشر أمثالها » على خلاف القاعدة أيضاً ؟

٣ — كيف قلتم إن لن لتأبيد النفى ، وقوله تعالى : « فلن أكلم اليوم إنسياً » ، « ولن يتمنوه أبداً » ينافى ذلك ؟

وقد هممنا أن ننزع إلى أستاذنا العلامة صاحب النحو والنحاة ، ولكنا وجدنا الأمر أيسر من ذلك

١ — إنما يكون مميز الثلاثة إلى العشرة جمع قلة ما لم يكن لفظ مائة أو اسم جمع نحو تسعة رهط وخمس ذود ؛ لأن مائة — وهى مفردة فى اللفظ — جمع فى المعنى ، لأنها عشر عشرات وهو عدد قليل اه توضيح وأشمونى . وأقول ربما لوحظ فى إفراد لفظ المائة خفة النطق ؛ والتعداد بالمئات كثير بخلاف الآلاف ، ولذلك وصل الإملائيون المضاف بالمضاف إليه فيها لكثرة الاستعمال وفرقاً بين الجمع والكسر فى مثل رُبُع مائة وثُمن مائة الخ . ثم إن إضافتها إلى الآلاف جمعاً قد جاء على أصل القاعدة ، وعندهم (ما جاء على أصله لا يسأل عنه) وظاهر أن اسم الجمع فى حكم جمع القلة . هذا وشذ قول الفرزدق فى الضرورة :

ثلاث مئين للملوك وَفَى بهـا ردائى وجلت عن وجوه الأهاتم

٢ — يُعتبر فى واحد المعدود — تأنيثاً وتذكيراً — لفظُه إن كان اسماً ؛ وموصوفه المنوىُّ إن كان صفة ؛ فتقول ثلاثة أشخُص قاصدَ نسوة وثلاث أعين قاصدَ رجال ؛ وتقول ثلاثة رَبَعات إن قدرت الموصوف رجالاً ، وتحذف التاء إن قدرت الموصوف نساء ؛ لأن الربعة يوصف بها المذكر والمؤنث . وعلى هذا قوله عز وجل : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، تقديره فله عشر حسنات أمثالها . ويمكن تخريجها على تأنيث المعدود مراعاة للجمع ، ولـكن الصحيح مراعاة واحد المعدود خلافاً للبغداديين . وقد يقال إن المعدود اكتسب التأنيث بإضافته إلى المؤنث . اﻫ أشمونى وتوضيح . واختر ما يحلو

٣ — النحاة جميعاً على أن « لن » لمجرد النفى . والتأكيد أو التأبيد يستفادان من القرائن ؛ ولم يخالفهم فيما نعلم إلا الزمخشرى . وكيف نجعل المرجوح راجحاً ثم نستشكل بناء عليه ؟

على أن من ينصر مذهب الزمخشرى فى إفادتها التأكيد أو التأبيد ، فله أن يجيب عنه بأنها إنما تكون للتأبيد عند الإطلاق . فإذا ذكرت قرينة تمنع منه مثل « اليوم » فى الآية الكريمة فهى للتأكيد فحسب . وبأن التكرار فى مثل : « ولن يتمنوه أبداً » يقع فى بليغ الكلام لزيادة التأكيد

وإذا لم ترتض مذهبه فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب

طه محمد الساكت

مدرس بمعهد القاهرة

شرح بيت ونسبة آخر

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة الغراء المحترم

١ — مررت وأنا أقرأ ديوان « أبى نواس » جمع الأستاذ محمود كامل فريد بقصيدة نسبها الأستاذ للنواسى مطلعها :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصيــــر إلى تراب

على أنى قرأت هذه القصيدة بكتاب آخر منسوبة إلى أبى العتاهية . فهل لى أن أسأل سيدى الأستاذ أى القولين أصوب ؟

٢ — وفى صفحة (٢٤٧) من الديوان نفسه قرأت البيت التالى :

وتبسم عن أغر كأن فيـه مجاج سلافة من بيت راس

يقول الشارح فى الحاشية : إن « بيت رأس » اسم لقريتين فى كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليها الخمر ، إحداهما بيت المقدس والأخرى من نواحى حلب . وأقول إن بيت رأس اسم لقرية صغيرة تقع قريبة من الحدود الأردنية السورية من جهة الشمال ، وهى كما وصف الأستاذ غنية بكرومها ، فلا يبعد أنها كانت مشهورة بخمورها ، وأنها هى التى عناها الشاعر ...

أرجو إفادتى فى أيهما وجـه الصواب خدمة للحقيقة وتعميما للفائدة

(عمان) مصطفى على عزام

(الرسالة) : القصيدة لأبى العتاهية لا لأبى نواس . وقولك فى بيت رأس هو الصحيح

من لصوص المجلات

نشرت « الرسالة » فى العدد (٣٧٩) فصلاً طريفاً عنوانه « قداسة النقد » بتوقيع « اسكندر البطرسى » ، الذى زعم لنفسه فضل ترجمته عن « برنارد شو » وأحب أن أبين أن هذا المقال منقول بنصه من العربية إلى العربية عن عدد شهر نوفبر سنة ١٩٣٤ من « المجلة الجديدة » التى نشرته فى صحيفة ٨٩ و٩٠ مترجماً بقلم صاحبها الأستاذ سلامة موسى ، وقد أردت بهذا البيان أن أضع الأمور فى نصابها وأفضح هـذا الدعى وأمثاله ممن يسرقون آثار الناس ليوهموا أنهم من الناس

أسعد حسنى

حول مقال

أستاذى الـكبير صاحب الرسالة

تابعت باهتمام ما دار على صفحات الرسالة حول مسرحية مفرق الطريق للدكتور بشر فارس ، حتى قرأت فى العدد ٣٧٩ مقالاً للأستاذ زكى طليمات يرد به على مقال سابق للأستاذ محمد متولى وقد عنّت لى عند قراءة هذا المقال الملاحظات الآتية :

أولاً : يقول الأستاذ زكى طليمات إنه لا حرج على الدكتور

بشر فى تسميته بطلة مسرحيته (سميرة) وتحديد المكان الذى وقعت فيه حوادث المسرحية وهو مصر . ولو علم الأستاذ أن القصة الرمزية يجب أن تكون رمزاً لما يحدث فى كل زمان وفى كل مكان بين أشخاص غير معينين ، لعرف أن هذه التسمية وذلك التحديد يتنافيان مع أبسط شروط القصة الرمزية . لذلك يجب أن يحيط الغموض والإبهام أبطال القصة الرمزية وحوادثها .

ثانياً : يذكر الأستاذ أنه « من المعقول أن يكون البطل (هو) لأنه عنوان لفئة خاصة من الرجال فى مصر وأن تكون (سميرة) - سميرة - لا (هى) لأنها ليست عنواناً لفئة خاصة .

ونحن لا نفهم كيف تكون القصة رمزية إذا كانت بطلتها امرأة شاذة لا يوجد على طرازها ، ففى هذه الحالة تفقد القصة صفة الرمزية ، لنفس السبب الذى أوضحناه فى الفقرة الأولى .

ثالثاً : يعتقد الأستاذ زكى طليمات — كما ذكر فى الفقرة الأخيرة من مقاله — أن الأستاذ متولى يقف علمه بالرمزية وعلم النفس عند ما كتبه العلماء فى القرن الماضى . لماذا ؟ لأن الأستاذ متولى أراد أن ينقد المسرحية فأتى بشاهد من فلسفة (ريبو) فالأستاذ زكى طليمات إذن قد أخطأ الفهم لأنه لو طُلِبَ من شاعر أن يأتى ببيت فى غرض من أغراض الشعر كالهجاء مثلاً فأتى ببيت من الشعر الجاهلى ، فليس ذلك دليلاً على أن الشاعر لا يحفظ من الشعر سوى الشعر الجاهلى .

هذا ما أردت أن أنبه إليه الأستاذ زكى طليمات . والسلام

فؤاد كامل

أحوال النساء

كتب الأستاذ ابراهيم محمد نجا فى « أجوبة عن أسئلة » أبيات علقمة الفحل عن « أحوال النساء » على هذه الصورة : عدد ٣٧٩ من « الرسالة » :

فإن تسألونى بالنساء فإننى   خبير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله   فليس له من ودهن نصيب

وأنا لا أريد أن أدخل بين الدكتور زكى مبارك والأستاذ نجا فيما يجرى بينهما من سجال وصيال ، ولكنى أذكر أن الرواية الصحيحة لشعر علقمة هى :

فإن تسألنى بالنساء فإننى   خبير بأحوال النساء طبيب

إذا قل جاه المرء أو قل ماله   فليس له من حظهن نصيب

يردْن ثراء المال حيث وجدنه   وشرخ الشباب عندهن عجيب

وأظن صديقنا الدكتور زكى مبارك يطابق حفظه حفظنا فى هذا الشعر

محمود الشرقاوى

تصويب

ورد فى المقال الافتتاحى لرسالة هذا الأسبوع « خواطر مهاجر » نص الآية القرآنية الكريمة هكذا : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ... » والصواب حذف (لكن)

ولكم فى النهاية واجب التحية والإكبار .

السيد محمد أحمد النفى

تصويب

فى قصيدة (الخلوة الأولى) « عدد ٣٨٠ » من الرسالة نشر هذا البيت :

أين الوفى منك وميثاقه   وأين منه اليوم هذا الجود

وصحته : هذا الجحود

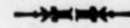
جريدة فتى النيل

دخلت زميلتنا « فتى النيل » فى عامها الثالث وعهدها الجديد حافلة بكل ما يهم القراء الاطلاع عليه . وقد اشترك فى تحريرها نخبة من حملة الأقلام الممتازين . وفى مقدمتهم الأستاذ عبد الحميد المشهدى . وجعلت موعد صدورها صباح الإثنين من كل أسبوع فنتمنى للزميلة كل تقدم ونجاح .



لقـــــاء ! . . .

للأستاذ محمد سعيد العريان



كان النَّـدِيُّ مزدحماً بالسامرين على عادته كل مساء ؛ قد تحلـقوا حول الموائد جماعات جماعات ، فى البهو ، وفى الشرفات ، وعلى الطَّـوار ؛ وكان الميدان الفسيح الذى يشرف عليه الندىّ ، مَرادَ العيون ومُستراح النظر ؛ فما تقع العين منه إلا على منظر أنيق ومَرْأى فاتن ، والسيارات تتهادى ذاهبة آيبة تحمل كل منها قِصةَ حُب أو تُسِرّ حديثَ هوى ، وأسراب اللاح تتواكب فى مطارف الفتنة وعطر الشباب غادية إلى ميعاد أو رائحة إلى أمل ، ونسيم المساء الهادىء ينفح عطره ويهمس فى كل أذن حديثه ...

... وكان ثمة بضعة نفر جُلوساً إلى مائدة مستديرة فى ظلٍّ وارفٍ لَفَّـاء يتجاذبون الحديث ويتبادلون الفكاهات فى أنس ومسرة . أولئك « رفيق » وأصحابه

بضعة نفر لا يشغلهم من هم الحياة ما يشغل الناس ، جمعهم الشباب على هوى مشترك ، وألَّـفتْ بينهم الحياة على رأىٍ جميع ، واجتمع لهم من أسباب النعمة ما أغنى بعضهم عن بعض فقرَّب بعضهم إلى بعض ؛ فهم قَدَمٌ واحدة بكل سبيل ، وقلبٌ واحد فى كل هوى ، ورأىٌ واحد فى كل مغامرة من مغامرات الشباب . ذلك مجلسهم كلَّ مساء حيث يلتقون فيقص بعضهم على بعض من حديث الهوى والشباب ؛ فلـكل فتاة من فتيات المدينة بينهم حديث ؛ ولكل منهم من حديثها خبر ، ولـكل غاديةٍ ورائحة لحظةُ عينٍ وبنتُ شفة

على أن رفيقاً وأصحابه لم يجتمعوا الليلة لمثل ما يجتمعون كل مساء ؛ فإن لهم اليومَ لَشأناً يشغلهم عن لحظات العيون وبنات الشفاه وأقاصيص الهوى والشباب ؛ فقد غدَا عليهم « رفيق » يُؤذنهم بخبر لم يكن لهم فى حساب ؛ لقد اعتزم رفيق أن يتزوج ...

وا أسفا ! لم يكن يحسب هؤلاء الأصحاب أن يصير اجتماعهم بعد تلك السنين إلى شتات ، وأن يكون رفيق أسبقَهم إلى الفراق ! . . . أتراه يكون لهم بعد الزواج ما كان لهم قبله ؟ من يدرى ؟ بل إنهم ليكادون يدرون ؛ فما يتأبى له أن يلقاهم بعدُ ويلقونه ، وإنه لزوجٌ وربُّ دار ...

وتناولوه بألسنتهم وركبوه بالمزاح والدعابة ، وهو يستمع إليهم مبتسماً فى صمت ، ثم مضى ومضوا ...



لقد ذاق رفيق من ألوان اللذات ما ذاق ، وباع فى الحب واشترى ، وربح وخسر ، وتقلّبتْ على عينيه مناظر لعل مثلها لم يجتمع لشاب آخر فى مثل سنه ؛ على أنه قد ملَّ ذلك جميعاً وضاق به نفسه ، وحنَّ إلى حياةٍ هادئة يحياها بين زوجٍ تحنو عليه ، وولد يجدّد أمله ؛ فاعتزم أن يتزوج

وأتاح لرفيق ما لقى من تجارب الحياة ، أن يعرف من شئون المرأة أكثر مما يعرف الشباب ؛ فلم يكن تعجبه فتاة ممن رأى وعرف فيرضاها زوجة يملّكها داره ويأتمنها على سعادته ؛ إذ كان يعرف أكثر من غيره ما وراء هذه القشور التى يتزيَّن بها النساء فى مجالس الرجال تجمُّلاً من غير جمال ؛ فراح إلى أمه العجوز يسألها أن تختار له ويصف لها ما يحب فى المرأة وما يكره .

وكان عجيباً من فتى مثل رفيق ـ رأى مَن رأى وعرف مَن عرف ـ أن يتوسَّل بأمه إلى اختيار زوجته ؛ ولكن ما رأى وما عرف هو الذى دعاه إلى ذلك ؛ فقد كان مما جرَّب لا يثق بواحدةٍ ممن عرف ؛ فراح يتوسل بأمه أن تكون سببَه إلى من لم يعرف

تلك مسألة أخفاها رفيق على صحابته ، ولو عرفوها لنسبوه إلى فساد الرأى وأَفَن التفكير ؛ فما ينبغى لفتًى مثله من أبناء الجيل الجديد أن يخطب فتاةً إلى نفسها من وراء حجاب ، وأن ينظر إلى زوجته بعينى أمِّه ؛ ولـكنه كان موقناً يقيناً لا شبهة فيه ،

أن تلك الوسيلة التي ينسبها أصحابه إلى الرجعية وفساد الرأى وأَفْن التفكير ، هي أسدُّ وأحكم من اختيار فتاةٍ كبعض من يعرف، تقلبتْ على أعين الشبان وتنقلت بينهم من ذراعٍ إلى ذراع كجارية النخَّاس !

لو أن أحداً رأى له هذا الرأىَ منذ سنين ، لسخر منه واستهزأ به ورماه بما يرميه به صحابته اليوم ؛ ولكن تجارب الحياة لا تدع لذى رأىٍ أن يثبت على رأيه إلا أن يكون أحمق ليس له رأى ولا إرادة !

* * *

وراحت أمه العجوز في حاشية من صواحبها تطرق الأبواب وتهتك الأستار لترى وتعرف وتتخير ، لتعود إلى ولدها كل مساء فتقص عليه ما رأت وما عرفت ؛ وكانت تعلم من شئون ولدها ما لا يجهل أحد ؛ فمن ذلك كان حرصها على أن تتخير له فتحسن الاختيار ؛ وعادت إليه ذات مساء تخبره :

لو رأيتها يا رفيق . . . ! لها غُرة الصبح الطالع ، وابتسامة الأمل المشرق ، وحياء الزنبقة البيضاء تحت عيون الزهر ... لله هي يا بنى ! خارَ الله لك !

وقال رفيق : وددت لو رأيتها يا أمى !

ومطَّت أمه شفتيها تنكر عليه ، وقالت : وددتُ يا بنى ، ولو أنك رأيتها ما زادت في عينيك على ما أصف ؛ ولكن ، مِن أين لك ؟ ما أرى أباها يسمح يا رفيق ، ولو سمح أبوها ما أطاقت هي أن تتراءى لك ... إنها ...

وصمت رفيق وعاوده قلق الشباب ، وراح يؤامر نفسه : كيف يطيق أن يقطع برأى في المرأة التي يهم أن يشركها في عمره وما رآها ؟

ثم ثابت نفسه إلى الاطمئنان والرضا رويداً رويداً ، وغلبه عقله على هواه ؛ فقال لنفسه : ذلك أحب إلىَّ ؛ وإن يقيني بطهارتها لأطيبُ لنفسي من اليقين بجمالها ؛ وهل رضيتُ أن أخطبها من وراء حجاب إلا زهادةً في الجمال المبذول لكل ناظر ؟

وذهب رفيق يتقصى خبرها ويسأل مَن يعرف عما لا يعرف، وأتاه جواب ما سأل ؛ ولم يبق إلا أن يراها ليُبرم أمره ؛ وأى حرج في ذلك ؟

وعادت أمه تسعى مسعاتها بينه وبين عروسه ؛ ثم عادت تحمل إليه الإذن في أن يراها يوم يقدم لها هدية الخطبة

* * *

. . . لم ينقطع رفيق عن صحابته ولم يشغله أمرُه عن مجلسه وإياهم كل مساء ؛ فما كانت له طاقة على فراق بائن إلى غير لقاء ؛ وكذلك لم يهجر ما كان من عادته وإياهم حين يتحلقون حول المائدة المستديرة على الطوار ، يتجاذبون الحديث أو يتبادلون الفكاهات ، أو يُتبعون أعينهم كلَّ غادية إلى عمل أو رائحة إلى ميعاد ، أو يتداعون إلى سهرة حمراء في عُش من عشاش الحب المأجور إلى أن تشيب ذؤابة الليل !

كان يعلم أنه عما قليل مفارقٌ هذه الحياة الصاخبة التي عاش فيها عمراً من عمره ؛ فلا عليه أن يتزود لما يأتى من لياليه ، لا يمنعه عن ذلك ما يشغله من أمر يعد له عدته ويهيئ أسبابه ... وتوزَّعته شئونه ، فنهاره تأهُّبٌ واستعداد ، وليله ليلُ الهوى والشباب !

أرأيت إلى الصائم يتأهب لنهارٍ ظامئ جوعانَ بالمائدة الحافلة بأطايب الطعام والشراب ؟ كذلك كان رفيق في إسرافه على نفسه وفي غلبة هواه !

وراح يوماً لموعده فجلس يقص على صحابته من مغامراته :

« . . . وكنتُ وحدى إلى هذه المائدة أنتظر ، وغاظني أننى بكَّرت فلم أجد أحداً منكم آنس إليه ، وتخايلت لعينىَّ فتاةٌ على مبعدة ... ثم تجاوزتني ومضت ؛ ومضيت في أثرها ... ... »

وتقصَّف عليه أصحابه يستمعون إليه ؛ فإنه لفارس هذا الميدان غير منازَع ، ومضى في قصته :

« ... وقلت لها وهي جالسة إلى جانبي على الصخرة الناتئة والأمواج تحت أقدامنا تصفق على الشاطئ الغضبان : « إنك أولُ مَن أحببتُ ... ! » فنظرت إلىَّ ساخرة وقالت : « صحيح ... ؟ » ثم انفجرت ضاحكة . قلت : « وما يمنع ... ؟ » قالت وتكاد تنص بضحكتها : « تلك كلمة ليست جديدة على أذنى ،

كم مرة سمعتها قبل أن تلفظها شفتاك ! » ؛ وحدَّقت في وجهي بعينين فيهما تصميم وإرادة ، كأنما تتحداني لتبلو إرادتي ، وزويت جبيني وحوّلتُ ناحية أنظر إلى رشاش الماء يتواثب تحت أقدامنا وقلت : « ولكنك لن تسمعيها بعد ، ولن أقولها ! » ... ورحت أجمع طائفة من الحصى فأقذف بها الماء وأصابعي ترتعد ؛ إذ لم يكن يعنيني إلا أن أثأر لكبريائي ...

قال رفيق: وتخاذلتُ سريعاً حين رأتْ وجهي مصروفاً عنها ؛ فدنت مني وهي تقول : « أنظر ، أترى هذين الطائرين ؟ » ونظرتُ ونظرتْ ، والتقت عينان بعينين ، وشفتان بشفتين ! ... ثم ...

قال الذي عن يمينه : ثم صحوتَ من النوم !

وعَلَت ضحكاتُ الجماعة ، وسكت رفيق ، ومضى أصحابه يتجاذبون الحديث ...

* * *

... ودنا الموعد الذي حدّده رفيق ليلتقي عروسه فيقدّم لها هدية الخطبة ؛ وكأنما أحب أن يهيئ نفسه لهذا الحدث الجديد ، فانقطع أياماً عن موعد أصحابه ، ومضى يزوّر في نفسه الكلام الذي يَلقى به خطيبته يوم يلقاها ؛ أتراه كان يخشى أن يخونه بإزائها بيانه وخلابتُه وما عجز قبلها في مجلس فتاة قط ؟ تُرى ما ذا يقول الناس في هذا المقام ؟ وتواردت على خاطره كلمات كثيرة ، كلمات طالما جرى بها لسانه في مجالس الفتيات فكان لها في نفوسهن فعل السحر ؛ ولكنها جميعاً على لباقتها في هذا المقام وصدقها في التعبير عن حقيقة موضعها ، لم ترُقْ له ؛ كأنما كان ينزه لسانه في خطابها أن يلقاها بكلمة لم ينطقها قط إلا كاذباً ولم يلقَ بها قط فتاةً تستحق الاحترام !

وأعجزه القول حين وجد الحاجة إليه ، إذ كان كل جديد في لغة الحب الصادق قد حال في لسانه عن معناه الحقيقي إلى معنى وضيع من معاني الخداع والغش والتغرير ؛ فما ثمة إلا كلام بالٍ قد أخلقه التكرار ، أو كلام ساقط قد نسخه الكذب وأحاله عن معناه ... !

وضحك رفيق حين أحس من نفسه العجز عما يريد ، وخطر بباله حديث الناس عن عجز المحبين عن التعبير حين يتراءى العاشقان وجهاً لوجه وتتناجى العيون ! فسأل نفسه : أتراني عشقتُها ؟

* * *

ثم جاء الميعاد ...

وسبق البشيرُ يؤذن بمقدمه ؛ وجلست فتاةٌ تنتظر ، وفي رأسها أخيلة تتراءى وفي قلبها أمل ...

وقال رفيق لنفسه والسيارة تقله إلى هناك : ينبغي أن تكون هي أولَ من أُحبّ ؛ أليس كذلك ... ؟ بلى ، ومن ذا يستحق الحب غير الفتاة التي أهم أن تشركني في عُمري ؟

وقالت الفتاة لنفسها وهي جالسةٌ مجلسها تنتظر : نعم ، ولمن تهب الفتاة قلبها غير الشاب الذي تشركه في عمره ؟

ودق الجرس ، ودخل رفيق تسبقه البشرى . وعلى الكرسي المذهب في صدر غرفة الاستقبال جلس ينتظر ، وكان إلى جانبه كرسيٌّ خالٍ ؛ ثم انفتح الباب ودخلتْ ...

وتراءيا وجهاً لوجه ، وعرفها وعرفته ... وهمّ الفتى أن يقول : « أنتِ أولُ من ... » ثم سكت ؛ وتهيأت الفتاة لتقول ، ثم سكتت ...

ودوّى في أذنيه مثلُ هدير الموج يتواثب رشاشه إلى وجهه ، ودوّى في أذنيها ؛ كمجلسهما هنالك في يومٍ قريب ... وطأطأت الفتاة رأسها في خزي ، وطأطأ الفتى رأسه ؛ وثقل على الفتى والفتاة موقفهما ، وأحسّا مواقع النظرات تأخذهما من كل جانب ، فمشيا صامتين إلى مجلسهما ؛ وتبادلا نظرةً أخيرة أغنتهما عن الكلام .

ولم تتحرك شفتاه بكلمة ، ولكنها سمعته يهمس في أعماقها ساخراً : « أنتِ أول من أحببت ! ! »

ولم تنطق شفتاها ، ولم تجب ؛ ولكن صوتاً من أعماق الماضي كان يهمس في نفسه : « ... تلك كلمة ... كم سمعتْها أذناي قبل أن تلفظها شفتاك ! ! »

وحوّل وجهه إلى ناحية وهو يقول : « ولكنك لن تسمعيها بعدُ ، ولن أقولها ! ! »

وراحت أصابعه تعبث بحبات العقد الغالي فتتناثر على البساط كأنها حصيات من رمل الساحل ؛ وعاد هدير الموج يدوّي في أذنيه ويتواثب رشاشه إلى وجهه ؛ ونهض ، ثم اتخذ طريقه إلى الباب في صمت ! ...

محمد سعيد العريان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾



8me Année No. 382

Lundi - 28 - 10 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــــرس

من ليالى الملاح التائه

فى مخبأ الفيشاوى ...

جلست أنا وصديق شاعر الجندول فى قهوة (الفيشاوى) عشية يوم الأحد الماضى نتحسى أقداح الشاى العنبرى المنىء، بعد إفطار من طهْو رمضان الدسم المرىء؛ وكان الظلام قد هب يتموج لطيفاً بين المصابيح الزرق كأنه ظلال الأجنحة الخفاقة فى جو بنفسجى قاتم؛ والحركات الهامدة والأصوات الخاشعة قد أخذت تتخلص رويداً رويداً من فترة الصيام وسكرة الطعام، فهى تنتعش فى البيوت، وتنتشر فى الشوارع، ويقبل الناس على المقاهى فيلقون ثقل بطونهم على مقاعدها ليعالجوها بالأفاويه المنبهة والأشربة الهاضمة. وكان صديق الشاعر قد طفق بعد شايه يكركر فى شيشته الأعجمية وقد انمحى من خياله السباح جندول البندقية وخمرة الرين وبحيرة كومو، فلم يعد يشعر إلا بعطر الشرق وسحر الشرق ونور الشرق، وتراءت له من خلال ما يجلوه الحى الحسينى على عينيه من مختلف الأجناس والألوان والصور. بقايا الملك الإسلامى العظيم، ودلائل المجد العربى الخالد، فلم يتمالك أن قال فى لهجة تنم على الأسى والأسف:

— يا ضيعة الشعر ويا ضلّة الشاعر إذا لم يُسجِّل هذا الملك فى ديوان، ويُخلِّد هذا المجد فى ملحمة!

وكان شعوري في تلك اللحظة يجري مع شعوره من غير تنبيه ولا توجيه ، فقلت له على الفور :

— لو أن شعراءنا في الماضي والحاضر قد خلصوا كما خلصت أنت الساعة من أنانية الفكر وفردية الشعور لوجدوا في حضارتنا الزاخرة وتاريخنا الحافل أفانين عجيبة من الشعر القصصي توحد شتات الهوى وتكمل نقص الأدب ؛ ولكنهم كانوا وما زالوا ينقلون عن ذاتية غالبة وطبع أثِر . فالقصيدة عواطف الشاعر لا تكاد تخرج عن دخائل نفسه ومدارج حسه ، والأغنية لواعج المغنى فلا تعبر عن المعانى العامة ولا تهتف بالأمانى المشتركة . ولعل ملاحك التائه يُرسيه القدر الهادى على شطئان الشرق الجيلة فيقبس من شمسها نور إيمانه وأمانه ، ويأخذ عن إلهامها سحر أوزانه وألحانه !

* * *

غصت القهوة على عادتها في ليالى رمضان بالسامرين من كل لون ومن كل طبقة ، وكان القمر يضرب بأشعته الباردة الرخية في ضوء المصابيح الداخلية فيشمشمه ويقوبه ، والذياع على جدار القهوة ينقل الأغانى المسئومة في فرقعة وصخب ، والجالسون يتجادلون في السياسة أو يتحدثون في الأدب ، والنُّدُل يذهبون ويجيئون وألسنتهم لا تفتر عن ترديد هذه الجمل : « واحد كشرى مظبوط . . . فلوسك يا محمود . . . أيوه حاضر . . . ولمه لين ؟ . . . واحد ساده ، مستوى زياده . . . »

وعلى حين فجأة سكت الذياع وانطلقت صفارات الإنذار تردد نعيبها المتقطع ، فأطفئ النور ، وأخذت الناسَ زلزلة من الفزع ، فنهضوا وتجمعوا ودخل بعضهم في بعض كما تتداخل خراف القطيع إذا دهمتها العاصفة ؛ ثم تدافعوا متدفقين في داخل القهوة وهي قبو مظلم مسلوك تحت بيت ضخم من البيوت القديمة ؛ وعلى جانبى هذا القبو حجرات ضيقة من غير أبواب للخلوة أو للعب . فدخلت أنا وصديقى إحداها فوجدنا فيها شيخاً هادئاً يكركر ، وشاباً مضطرباً يثرثر ، وآخرين قد ألجمهم الذعر فهم في وجوم ذاهل . ثم أنصت الناس ونظروا ، فلم يسمعوا رعداً يقعقع ولم يروا برقاً يلمع ، فتسابر عنهم الخوف ، وتذكروا أن القدر لا مفر منه ، والقضاء لا حيلة فيه ؛ فأخذوا يتنادرون على الصفارات والنارات ، ويجددون ما أريق من الأكواب وأطفئ من الشيشات . والمصرى أربط الناس جأشاً في الخطوب متى زايلته بوادر الجزع ؛ لأن إذعانه لقضاء الله يكسر حدتها عنه ، وأخذه المكاره بالمزاح يضعف أثرها فيه . وهو في ذلك كالإنجليزى ، إلا أن ثبات المصرى يرجع إلى حرارة يقينه ، وثبات الإنجليزى يرجع إلى برودة طبعه : هذا يبلد ثم يجلد ، وذاك يتفرق ثم يتماسك

* * *

ليت الذى صبغ وجوه المصابيح باللون الأزرق استطاع أن يصبغ به وجه القمر ! لقد كان أجدادنا القرويون يقولون : « لم يبق من ليالى الهناء غير ليالى البدر » فهل يصح هذا القول إذا قلناه اليوم ؟ إن بزوغ القمر أمسى نذيراً بالنارة ، ودليلاً للجارة إلى قتل الجارة . فمن يزعم الآن أن الليل لا يزال لباساً وأن الناس لا يزالون ناساً ، فقد جهل أن العالم الحاضر يسوسه الشياطين ، فهو يرتكس ليسقط ، وينتكس ليموت !

قال لى صاحبى وقد أعلنت الصفارة بصوتها المتصل زوال النارة الأولى : قم بنا نتلمس الطريق إلى مكان آخر نتنفس فيه من كربة الحر والحرب

فقلت له وأنا أحبسه على كرسيه : هنا يا صديقى مخبأ هيأته لنا وقاية الله ؛ فإذا تركناه وأدركتنا غارة أخرى فأين نختبئ ؟ ليس في القاهرة ولا في غير القاهرة مخبأ حصين يعرفه الجالس في بيته أو السائر في طريقه . ولا أدرى أى ضرب من ضروب الغفلة أطبق على مصلحة الوقاية المدنية فلم تقم بإنشاء المخابئ الصالحة على وضعها الصحيح ! هل أخذوا على الدهر عهداً بالأمان ، أم حسبوا أن بضعة أخاديد في أمكنة متباعدة مجهولة تعصم سكان القاهرة وهم في المنازل أو في الطرق من شظايا القنابل ؟

ليس من صالح الرأى يا صديقى أن تجهَّز قصور السراة ودور الحكومة بالمخابئ المسلحة المريحة ؛ ثم يقال للشعب المسكين تبرع بالقروش لنشق لك لحوداً في ظاهرها الحمام المنقض ، وفي باطنها الزحام المهلك !

فقال لى الشاعر وهو يتمكن في مجلسه : إن سياسة الملاح التائه لا تزال هي سياسة الحكومة في كل أمر . فأسأل الله وحده أن يجعل لهذه الأمة مرفأ في كل عاصفة وملجأ من كل غارة !

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبـــارك

الواقفون بالمرصاد — ما بيني وبين نفسي —
طلعت حرب باشا في ميادين الأدب والاقتصاد

الواقفون بالمرصاد

قرأت في «الرسالة» كلمة كريمة للأستاذ محمود غنيم[1] دعا فيها كاتب هذه الأحاديث إلى الحذر من عواقب العنف والجموح، لئلا يقع القلم في سقطة تشمت به الأعداء الواقفين بالمرصاد، وهو يرجو أن تخصص يوماً من أيام «الرسالة» تحدّث فيه القراء بهدوء، على نحو ما يكون النيل في غير أيام الطغيان؛ ثم استطرد فقسّم قراءنا إلى فريقين: فريق عدوّ، وفريق صديق؛ ونصّ على أن الصديق لا يملك أن يقول فينا كلمة الثناء لئلا نتهمه بالتزلف، وأن العدو لا يستطيع مجاهرتنا بالعداوة لئلا نمسّه بسنان القلم مسّاً غير رفيق

والصورة التي قدّمها الأستاذ محمود غنيم صورة صحيحة، ولا تحتمل المناقشة إلا من جانب واحد: هو القول بأننا قد نصم من يُثنون علينا بوصمة التزلف، فما يسمح لنا أدب النفس بأن نتلقى كلمات الإعجاب بغير الحمد والثناء، وإنما ينهانا العقل عن استزادة المعجبين فراراً من أخطار الزهو والخيلاء

وقد ترفق الأستاذ الزيات مرات كثيرة فدعاني إلى النظر فيما يَرد إليه من كلمات الاستحسان لأقدم منها للنشر ما أريد، ثم نهاني الذوق عن الاستجابة لهذا الاقتراح النبيل، واكتفيت بالمرور عليه من وقت إلى وقت لأطلع على عواطف الأصدقاء من القراء، وهم بحمد الله أكثر عدداً من أعدائي، وفيهم أفراد على جانب كبير من شرف النفس وعظمة الروح

وإنما نصصت على هذا الفريق من القراء ليعرف بعض من أسكت عن كلماتهم الطيبات أنهم يخاطبون رجلاً وفيّاً، وأني أحفظ لهم في أعماق القلب أطيب الذكريات، وأن «الرسالة» لم تطو كلماتهم عن استهانة أو بخل، وإنما هو الواجب، الواجب الحازم الذي ينهانا عن الإصاخة لكلمات العطف والتشجيع

ثم ماذا؟ ثم ألتفت إلى الأعداء الواقفين بالمرصاد فأقول:

لم أُرزَق من الغفلة ما أطمئن به إلى أني أعيش بلا خصوم وبلا أعداء، وكيف وحياتي كلها قامت فوق مخازن من البارود لو وقعت عليها شرارة واحدة من الخطأ لحوّلتني في مثل لمح البصر إلى رماد تذروه الرياح؟

فمن كان يريد أن ينتفع من تجارب الرجل الذي اكتوت يداه بنار الحياة الأدبية فليسمع هذا القول:

من الخطأ القبيح أن يعتمد الكاتب على ماضيه الجميل، وأن يتوهم أن القراء قد يذكرون حين يخطئ أن الحسنات يُذهبن السيئات، وأن الذي يُحلّق ألف مرة قد يُغتفر له الإسفاف مرة أو مرتين

هيهات، هيهات، هيهات، فليس للقراء ذاكرة، وليس للقراء ميثاق

إنما يعرف القراء آخر مقال، فإن كان جيداً فالكاتب مجيد، وإن كان وسطاً فالكاتب ضعيف، وربما أضافوه إلى أهل الغثاثة والهزال

الكاتب يواجه ميدان السباق في كل وقت، وهو معرّض في كل شوط للحكم له أو عليه. ولو كان الكاتب كالجواد لخفّ الأمر وهان، لأن السّباق بين الجياد لا يحتاج فيه الحكم إلى ذكاء، فأغبى الناس يدرك بنظرة عابرة مَن السابق ومَن المسبوق، ولا كذلك الحكم بين كاتب وكاتب، فهو يحتاج إلى ذوق وفطنة وذكاء، ولا يظفر الكاتب بقصب السبق إلا حين يكون له من اللوذعية ما يقهر به أهل الغرض واللجاجة والعناد، وهو لا يصل إلى ذلك إلا بقوة قاهرة عاتية لا يفلح في صدها المكابرون إلا كما يفلح نجم الأرض في مسايرة نجم السماء

نحن أشقى الناس يا صديقي، لأن من حق كل مخلوق أن يحكم لنا أو علينا، وإن كان من مواليد العقد الثالث من القرن العشرين!

وحظنا يا صديقي حظٌّ ممسوخ، لأنه مُعرّض لانتقاص الممسوخين

وأعيذك أن تظن خيراً بسماحة الأقطاب من أهل البيان، فأولئك قوم يصعُب عليهم أن تُذكر بالجميل، لأنهم يتوهمون

(١) هو غير الأستاذ محمود غنيم الشاعر

أنك تمتدى عليهم حين تقضى ليلك ونهارك فى تزويد عقلك وذوقك بذخائر الأدب الرفيع

وهل عانى أحدٌ فى دنيا الأدب مثل الذى عانيتُ ؟

لقد انتزعتُ حظى من أنياب الحيات السُّود ، فهو حظٌّ مَدُوف بالسم الزُّعاف ، ولو استطاع قومٌ أن يتجاهلوا وجودى لفعلوا ، ولكن كيف يستطيعون وقد ضيَّقتُ عليهم الخناق وقهرتهم على الاعتراف بأن العاقبة للصابرين على مكاره الجهاد

وهل كانت مُكايدة الأعداء هى أصل النار التى يقذف بها قلمى؟

العدوّ الحق هو المغالطة الطبيعيّة التى وقعتْ فى سِفْر الوجود وهذه المغالطة قد تسمَّى أوهاماً أو عادات أو تقاليد ، ومن واجب القلم أن يصحح تلك المغالطة بلا ترفق ولا استبقاء

وأنا أصنع فى محو تلك المغالطة مثل الذى كان يصنع يأجوج ومأجوج ، فأنا أمحوها فى كل يوم ، وهى ترجع إلى ما كانت عليه فى كل يوم ، ولكنى سأنتصر ولو بعد حين ، لأنى أملك من الصبر واليقين ما لم يملك يأجوج ومأجوج

وهل يغيب عنى أن كتاب « التصوف الإسلامى » سيزعزع أقواماً وخلائق فى آمادٍ قِصار أو طوال ؟

إن وصل كتابى إلى سرائر المجتمع الإسلامى فسيغيِّر ما يغيِّر ويبدِّل ما يبدِّل ، وهو سيعيش لأنه لم يُخلَق ليموت ، وكيف يموت وهو مقدود من صخر الوجود ؟

ما بينى وبين نفسى

ويقترح الأستاذ محمود غنيم أن يُعنَى زكى مبارك بشرح سرائر زكى مبارك . وأجيب بأنى أخاف من ذلك أشد الخوف ، فما رجعت إلى نفسى مرة إلا تهيبتُ اقتحام ما فى شعابها من وعور وصخور وأشواك . وقد وقفت مرة على ساحل النفس فى ظلمات الليل فرأيتنى عندها من الغرباء ، وكيف لا أكون كذلك وأنا منها على بُعدٍ سحيق سحيق يُمدّ بالملايين من الأميال ؟ !

وقد حاولت الاقتراب من نفسى مرات كثيرة ولكن الخوف فى كل مرة كان يشعرنى بصدق الحكمة التى تقول : الرفيق قبل الطريق

فأين الرفيق الذى أعتمد عليه فى مواجهة لجج النفس وحولها عواصف وأنواء؟

الرفيق هو القارىء ، ولكن أين القارىء الذى يفهم عنك ما تريد ؟

كان لأسلافنا قراء ، ولنا قراء ، أما قراء الأسلاف فكانوا فئة قليلة تُمدّ بالآحاد أو العشرات ، وكان يَندُر جداً أن تصل إلى المئات ، وكانت تلك الفئة القليلة هى عُصارة العقلية العربية ، فكان الكاتب أو الشاعر أو المؤلف يلقاها بلا تكلف ولا تصنع كما يلقى إخوانه الأصفياء ، وكذلك كان الحال فى أكثر الأمم الشرقية والغربية ، ولهذا السبب وحده كانت الآداب القديمة أصدق وأروع ، لأنها خلت من الزور والرياء

أما قراؤنا فيعدُّون بالألوف وقد يصلون إلى الملايين ، وفيهم الغبىُّ والذكىّ والعدو والصديق ، وفيهم من يطيب له أن يحمِّل أقوالك غرائب التفاسير والتآويل ، فمن حدَّثك من كتّاب هذا العصر وشعرائه ومؤلفيه أنه يصدُق كل الصدق فيما يكتب وما ينظم وما يؤلف فهو خادع أو مخدوع ، إلا أن يصنع مثل الذى أصنع فى إيثار الرمز والإيماء

وإليك هذا الشاهد الطريف :

فى وزارة . . . موظف أديب هو الأستاذ فلان حفظه الله ، ومن هذا الموظف الأديب علمتُ وعلم جمهور من الأدباء أن مطبعة الرسالة نُقلتْ إلى المنصورة ، ولن تُردّ إلى القاهرة إلا بعد انتهاء الحرب . فهل تعرف كيف استقى ذلك الموظف « الأديب » هذا الخبر « الصحيح » ؟

استقاه من « خواطر مهاجر » التى ينشرها أخونا الزيات فى الرسالة من وقت إلى وقت كلما بدا له أن يسجل مشاهداته عن أهالى الريف وقد انتقل إليهم للترويح عن النفس فى أيام الصيف ، وسيرجع إلى القاهرة مع هلال شوال

ولو كان هذا « الأديب » أديباً لعرف أن نقل مطبعة الرسالة من القاهرة إلى المنصورة عسير لأسباب كثيرة أيسرها تكاليف ذلك النقل ، لأن نقل مطبعة مثل مطبعة الرسالة من مدينة إلى مدينة يتكلف نفقات لا تغيب عن ذهن ذلك الأديب

وما دام الحديث ذا شجون فأنا أذكر ما قصَّه علينا المرحوم « أبو شادى بك » فى إحدى خطبه بالأزهر أيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ، قال الخطيب رحمه الله :

« أردت أن أعرف إلى أى حدّ تجوز الخرافات على الناس

فقلت صباح الأمس وأنا راكب بالترام إن الألمان قد أتوا بالأعاجيب فى عالم الاختراع ، ومن ذلك أنهم حفروا بئراً فى النطاد زبلن لتغنيهم عن حمل الماء فى الأسفار الطوال ، فلما كان المساء رأيت الناس يتحدثون عن ذلك الاختراع فى إحدى القهوات »

ذلك ما قصَّه علينا أبو شادى بك ، فهل أستطيع القول بأنى أعانى من بعض القراء لواعج هى أشد وقماً من ذلك القصص الغريب ؟

تصل إلىّ من يوم إلى يوم رسائل أفهم منها أن فى القراء من يحرّف كلامى أبشع التحريف ، وهم فى الواقع على حق ، لأن مذهبى فى الأدب يقوم على أصول من الرمز والإيماء ، ولكن لا مفرّ من التصريح بجزئى من هذا المصير المخيف ، فقد كنت أتوهم أني فررت من جماهير العوامّ حين تحصنتُ بمجلة الرسالة وقراؤها خواصّ ، لأنهم فى الأغلب من الصفوة المختارة بين أبناء هذا الجيل ، فإلى أين أفرّ إذا كان فى أمثال هؤلاء القراء من ينتظر أن أقدم إليه كلاماً فى وضوح الكلام الذى يقدم إلى قراء الجرائد اليومية ؟

وهل قلّت الرقابات حتى نحسب حساباً لرقابة القراء ، وهم فيما نفترض إخوان أصفياء ؟

حولنا رقابة المنافسين « وهم أكثر من الهمّ على القلب » ؛ وحولنا رقابة المتجاهلين ، ورقابة المتحاملين ؛ وحولنا رقابة عنيفة جدًّا هى رقابة أعداء الأدب الصريح . وليس لنا أصدقاء غير القراء ، فهل نيأس أيضاً من القراء ؟

وإلى من نتوجه إذا يئسنا من قرائنا ، وإليهم نبث نجوانا بعبارات هى نجوى الحبيب إلى الحبيب فى محضر الرقباء ؟

ومن موجبات الأسى أنى لا أستطيع السكوت بحال من الأحوال ، ولا يمرّ يومٌ واحد بدون أن أخلو إلى قلمي ساعةً أو ساعتين ، ولو كان أخونا الزيات ينشر كل ما أقدم إليه لظفر الأدب بألوان كثيرة من الحلم والجهل واليقين والارتياب . ولكن الزيات يرى أنه أعقل منى ، وأنه يعرف من العواقب ما لا أعرف ، وبذلك يستبيح التغافل عن بعض ما أكتب فى بعض الأحايين ، وهو يعرف كيف يوشّى ذلك التغافل بوشى الترفق والتلطف ، كما كان يصنع سعادة عبد القادر حمزة باشا يوم كان يهذب ما أرسل إليه من المقالات الجوامح وأنا فى باريس

وفى ظلال الرقابة التى يفرضها المجتمع ويفرضها القراء الأوفياء يراد منا أن نصدُق كل الصدق فى جميع الظروف ، فهل رأيتم مثل هذا التحكم المنيف ؟ !

وأنا مع ذلك سأنتقم — وقد انتقمت — من أهل زمانى . سأتركهم فى بلبلة فكرية لا تنجيهم من أهوالها سَفارة الأمان . سأتركهم فى حيرة أقسى وأعنف من حيرتى حين أهمّ بمواجهة نفسى ، ولن أموت إلا وقد أوقدت فى صدر كل قارئ جذوة لا تخمد ولا تبيد . وتلك هى رسالتى الأدبية ، فأنا موكَّل بتأريق الجفون وتأريث النفوس ، ولن يرى منى الناس غير ما يَرُوع ويَهُول ، فقد ابتلانى القادر بقلم يتقرب إلى الله بتوزيع الرَّوع والهول على أغنياء الآمنين !

أمِثلى يُجزَى بمِثل الذى أتلقاه من بعض الناس من يوم إلى يوم ، وما كنت فى كل أدوار حياتى إلا نموذجاً من الصدق والأمانة والإخلاص ؟

لبعض الناس الويل ، وما أحب أن أزيد !

طلعت حرب

أخرج الأديب مصطفى كامل الفلكى كتاباً نفيساً عن طلعت حرب باشا ، وهو كتاب يسجل أعمال ذلك الرجل العظيم فى الميادين الاقتصادية بنزاهة وصدق . وهل يكذب الباحث حين يضيف ألوف الصفات الجليلة بلا تحقيق إلى طلعت حرب ؟ إن كلمة « بطل الاستقلال الاقتصادى » هى أصغر كلمة يوصف بها ذلك المصلح الهائل الذى استطاع بالصبر والصدق والمثابرة أن يروض المصريين على الثقة بأنفسهم فى ميادين الجد والكفاح والنضال . ولو أن طلعت حرب ظهر فى ظروف غير هذه الظروف لكتب عنه الباحثون ألف كتاب ، فهو أهل لكل تكريم وإعزاز وإجلال . وقد ينسى الشعب المصرى كثيراً من الأسماء اللوامع ، ولكنه لن ينسى اسم طلعت حرب ، لأن اسم هذا الرجل أعظم وأخطر من أن يجوز عليه النسيان

كتاب الأديب مصطفى كامل الفلكى عن طلعت حرب كتاب نفيس ، وهو يمثّل حرص الشباب على تأثر خطوات ذلك الزعيم الحصيف ، ولكن ذلك الكتاب لا يصوّر من طلعت حرب إلا ناحية واحدة هى الناحية الاقتصادية ، وإلا فأين طلعت حرب الأديب والمفكر والمصلح الذى كانت له مواقف فى مخاصمة قاسم

أمين والاهتمام بمصير قناة السويس ؟

وهل صوّر هـذا الـكتاب جهود طلعت حرب فى إنهاض « الجمعية الخيرية الإسلامية » ؟

هل صوّر هذا الـكتاب جهاد طلعت حرب فى إعزاز الشخصية الأدبية ؟

إن كتاب الأديب مصطفى كامل الفلكى على نفاسته قد أغفل هذه الجوانب ، فهل يعود إلى ترجمة طلعت حرب من جديد لنعرف كيف يصير الأديب رجل عمل واقتصاد ؟

هنا المشكلة الحقيقية وهى درس الصلة بين الأدب والمعاش ، فأين من يفهمنا كيف صار طلعت حرب الأديب طلعت حرب الاقتصادى ؟ وأين من يفهمنا كيف جاز أن ينتقل الرجل من نقد الألفاظ إلى نقد الأموال ؟

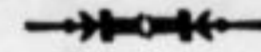
زكى مبارك

فى الاجتماع اللغوى

تطور اللغـــة وارتقاؤها

أثر العوامل الأدبية المقصودة : التجديد فى اللغة

للدكتور على عبد الواحد وافى
مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



تبدو حركة التجديد المقصود فى مظاهر كثيرة من أكبرها أثراً فى التطور اللغوى الأمور الآتية :

١ — تأثر الأدباء والـكتاب بأساليب اللغات الأجنبية ، واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها أو مصطلحاتها ، وانتفاعهم بأفكار أهلها وإنتاجهم الأدبى والعلمى . فلا يخفى ما لهذا كله من أثر بليغ فى نهضة لغة الـكتابة وتهذيبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها . والأمثلة على ذلك كثيرة فى تاريخ الأمم الغابرة وفى العصر الحاضر . فأكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية فى عصر بنى العباس يرجع إلى انتفاع العلماء والأدباء باللغتين : الفارسية والإغريقية . فقد أخذوا فى ذلك العصر يترجمون آثارهما ، ويعقبون عليهما بالشرح والتعليق ، ويستغلونهما فى بحوثهم ، ويحاكون أساليبهما ، ويقتبسون منهما عدداً كبيراً من المفردات العلمية وغيرها ، ويمزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها تارة وعن طريق ترجمتها تارة أخرى ؛ فاتسع بذلك متن اللغة العربية ، وازدادت مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلوم . ويرجع كذلك أكبر قسط من الفضل فى نهضة اللغة العربية فى العصر الحاضر إلى انتفاع الصحفيين والأدباء والعلماء باللغات الأوربية الحديثة ، ومحاكاتهم لأساليبها وتعريبهم أو ترجمتهم لألفاظها ومصطلحاتها ، واستغلالهم فى مؤلفاتهم ومترجماتهم لمنتجات أهلها فى شتى ميادين الحركة الفكرية . ولغة الـكتابة بفرنسا فى العصر الحاضر مدينة بأهم نواحى رقيها إلى تأثرها باللغتين الإغريقية واللاتينية من جهة، وباللغات الأوربية الحديثة من جهة أخرى . فمنذ « عصر النهضة » لم ينفك أدباء فرنسا وعلماؤها دائبين على اقتباس المفردات اللاتينية واليونانية القديمة ، ومحاكاة أساليب هاتين اللغتين ، وترسم قواعدهما ومناهجهما فى البحث[1] . وقد أخذوا منذ عهد غير بعيد يقتبسون كثيراً من المفردات والأساليب عن اللغات الأوربية الحديثة وخاصة الإنجليزية والألمانية ؛ ولولا آلاف المفردات التى اقتبسها المحدثون من أدباء ألمانيا وعلمائها من اللغـة اللاتينية وما تفرع عنها ومن اللغات الأوربية الحديثة ، وبخاصة الفرنسية والانجليزية ، ما قويت لغة الكتابة بألمانيا على أن تصل إلى الشأو الذى بلغته الآن . . . ومثل هـذا يقال فى معظم لغات الـكتابة فى العصر الحاضر

وكثيراً ما تقتبس لغة الكتابة عن اللغات الأخرى مفردات لها نظير فى متنها الأصلى . وكثيراً ما تقتبس مفرداً من لغة ، وتقتبس نظيره فى الدلالة عن لغة أخرى . وإلى هذه الظواهر وما إليها يرجع السبب فى كثرة الألفاظ المترادفة (المشترك المعنوى) فى لغات الكتابة . فما يذهب إليه بعضهم من أن الترادف بالمعنى الـكامل لهذه الـكلمة لا وجود له فى اللغات ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق ببعض لغات المحادثة التى تظل بمأمن من الاحتكاك باللغات الأخرى . أما لغات الـكتابة التى يستحيل بقاؤها بمعزل عن غيرها ، ولغات المحادثة التى يتاح لها هذا الاحتكاك ، فلا تخلو من الترادف بالمعنى الصحيح للسبب الذى ذكرناه

٢ — إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة

---

(١) انتشرت بفرنسا حركة المحاكاة للقواعـد والأساليب اللاتينية بفضل كتاب القرن السابع عشر ، وعلى الأخص بلزاك وديكارت وبوسويه

فكثيراً ما يلجأون إلى ذلك للتعبير عن معان لا يجدون فى المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو لمجرد الرغبة فى استخدام كلمات غريبة أوفى الترفع عن المفردات التى لاكتها الألسنة كثيراً

وبكثرة الاستعمال تبعث هذه المفردات خلقاً جديداً ، ويزول ما فيها من غرابة ، وتندمج فى التداول المألوف . ولا يخفى ما لذلك من أثر فى نهضة لغة الكتابة واتساع متنها وزيادة قدرتها على التعبير . وقد سار على هذه الوتيرة بعصر فى العصر الحاضر كثير من الأدباء والعلماء والصحفيين ، فردوا بذلك إلى اللغة العربية جزءاً كبيراً من ثروتها المفقودة ، وكشفوا عن عدة نواح من كنوزها المدفونة فى أجداث المعجمات[1]

٣ — خلق الأدباء والعلماء لألفاظ جديدة . فكثيراً ما يلجأون إلى ذلك للتعبير عن أمور لا يجدون فى مفردات اللغة المستعملة ، ولا فى مفرداتها الدائرة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً . وقد لا يضطرهم إلى ذلك إلا مجرد الرغبة فى الابتداع أو مجانبة الألفاظ المتداولة المألوفة ، أو إبراز المعنى فى صورة رائعة وتثبيته فى الأذهان وتذليل سبل انتشاره بالإغراب فى تسميته . وقد عم استخدام هذه الطريقة فى الأمم الأوربية منذ القرن التاسع عشر ، وكثر التجاء الأدباء والعلماء إليها بنوع خاص فى تسمية المستحدث من المخترعات الصناعية ، والمصطلحات العلمية والأحزاب والمبادئ السياسية والاجتماعية ، وفى التعبير عن بعض معان دقيقة فى عالم الأدب والفلسفة ، فناءت مؤلفاتهم بهذه الكلمات المصنوعة وتألف منها معظم المصطلحات فى الفلسفة وعلم النفس والعلوم الطبيعية والطب والصيدلة . . . وما إلى ذلك ، وصبغ معظم هذه المصطلحات بصبغة دولية ، فأقرته المؤتمرات والهيئات العلمية الممثلة لمختلف الأمم الأوربية وعم استخدامها فى لغاتها (تلغراف ، تليفون ، سوسيولوجيا ، جيولوجيا ... الخ) ، وقد أجاز المجمع اللغوى بعصر الالتجاء إلى هذه الطريقة حيث تدعو إلى ذلك ضرورة ، بألا يوجد فى مفردات اللغة متداولها ومهجورها ما يعبر تعبيراً دقيقاً عن الاصطلاح المراد التعبير عنه

ولا يخفى ما لهذه الوسيلة من أثر فى نهضة لغة الكتابة ، واتساع متنها ودقة مصطلحاتها وزيادة مرونتها وقدرتها على التعبير

وقد ارتضى الأدباء والعلماء بعض قواعد عامة فى وضع هذه الألفاظ ، ويستعينون عادة فى تكوينها بالنحت والاشتقاق الأكبر ومزج كلمتين أو أكثر فى كلمة واحدة . ويستمدون أصولها من اللغات الحية أو الميتة ، وخاصة اللاتينية واليونانية القديمة . وكثيراً ما يستعان فى تكوينها بأكثر من لغة واحدة . فمن هذه المفردات ما هو مؤلف من لغتين « سوسيولوجيا » أى علم الاجتماع : فصدر الكلمة « سوسيو » من أصل لاتينى معناه الجمعية ، وعجزها « لوجيا » من أصل يونانى معناه المقال أو البحث أو الخطبة (" Sociologie " : du latin " societas " = société, et du grec " logos " = discours) بل منها ما هو مؤلف من ثلاث لغات « بيسيكلت » أى الدراجة ، فإن « بى » من أصل لاتينى يدل على التثنية ، و « سيكل » من أصل يونانى معناه الدائرة ، وعجز الكلمة علامة فرنسية للتصغير (Bicyclette : du latin "bi" = deux fois, et du grec "kuklos" = cercle, dt du suffixe diminutif français).

وقوام هذه المفردات هو التواضع والاصطلاح . ولذلك كثيراً ما تختلف معانيها اختلافاً يسيراً أو كبيراً عن معانى الأصول التى استمدت منها

ولا تبقى هذه الألفاظ جامدة على الحالة التى وضعت عليها ، بل ينالها ما ينال غيرها من المفردات ، وتخضع فى تطورها الصوتى والدلالى لنفس القوانين العامة التى تخضع لها الألفاظ الأصيلة ؛ فبمجرد أن يقذف بها فى التداول اللغوى ، وتتناقلها الألسنة ، تفلت من إرادة مخترعيها وتخضع لنواميس الارتقاء العامة المسيطرة على ظواهر الصوت والدلالة . فاللفظ الموضوع أشبه شىء بحجر يقذف به القاذف فى جهة معينة بقوة خاصة ؛ فإنه بمجرد أن يفارق يده يخضع فى سيره لقوانين ثابتة صارمة لا يد للقاذف ولا لغيره فى تعطيلها أو وقف آثارها . ولذلك يختلف الآن النطق بالألفاظ الموضوعة ، ويختلف رسمها باختلاف الأمم واللغات . والأسلوب الصوتى الذى كانت تلفظ به منذ قرن أو قرنين مثلاً غير الأسلوب الصوتى الذى تلفظ به الآن . وقد أخذ كثير منها عند جميع الكتاب أو عند بعضهم ينحرف فى دلالته نفسها عن المعنى الذى وضع له فى الأصل

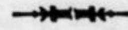
على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) لصديقنا الأستاذ أحمد حسن الزيات القدح المعلى فى هذا المضمار

من رسائل الصيف

النيــــل المنتصر

للأستاذ عبد الحميد يونس



أخى إبراهيم :

.. وشاءت الأقدار أن تحول بيننا وبين اللقاء فوق تلك الصخرة الناتئة فى البحر عند سيدى بشر ، التى يعرفها الناس باسم صخرة « بئر مسعود » ... وكنا قد تعودنا اللقاء عندها كل صيف ، ولعلك لم تنس بعد ما كان لنا هناك من مجلس ، وما دار بيننا من حديث

ألم يكن يهولنا البحر الذى رأيناه كائناً حياً يفيض بالمشاعر ويزخر بالأحاسيس ؟ أما عجبنا من بغضه للقراءة وعداوته للأوراق مما يحجب الإنسان عن الاتصال به والفناء فيه ؟ وكم من مرة اختطفت نسائمه ، وما عرف عنها من فضول ، الصحف من أيدينا ، فما رددنا ذلك — لفرط افتتاننا به وتقذاك — إلى الجهل ، وإنما رددناه إلى اختلافنا وهذا البحر فى النظرة والاتجاه ، فنحن قد عكفنا على القراءة عكوفنا على لفائف التبغ إنفاقاً لجهد محتبس وتزجية لفراغ طويل ، وفراراً من العقل والقلب جميعاً !

ألم نكن نأخذ على هذا البحر ولوعه بالجمال وكلفه بالحسن ، لا يبالى فى ذلك احتشاماً ولا يحفل بتقليد ؟ ألم ننتقد فيــه تلك الإباحية التى تدفعه إلى إيثار العرى أو ما يشبه العرى ، ولا نأبه لدفاعه على ألسنة أمواجه الدمدمة ورياحه المصفقة ، بأن التخفى والتستر ضرب من النفاق يجب أن يزول ؟

ألم نكن نلمح فيه بنوع خاص عزوفه عن تكلف الزينة التى أصبح الناس يحذقونها إلى حد جعل السواد الأعظم منهم لا يفرق بين الطبيعة والصناعة فى قليل أو كثير ، بل وحتى أصبح الفن لوناً من التزييف المحكم الدقيق ؟

ألم نلاحظ فى ذوق هذا الهمجى توحيده بين الجمال والقوة ، أو على الأقل تقريبه بينهما ، ثم تفرقته بين الجمال والجنس حتى لكأنه يونانى النزعة فى تفضيل الذكور على الإناث فى النوع الإنسانى ... ؟

لقد سرنا أيهــا الصديق شوطاً بعيداً فى محاولة الكشف عن شخصية هذا الكائن الموهوب ودراسة نوازعه ومعرفة أهوائه .

ومن يدرى فربما كنا نسكب عليه شعاعاً من نفوسنا نحن ، ونلقى عليه قبساً من نوازعنا نحن ، وأهوائنا نحن ؛ والإنسان يُضفى من مشاعره على كل ما يحيط به ، ينطق الصخور الصم الجلاميد بالشعر ، ويرسل الحكمة على ألسنة الرياح المختلطة الأصداء والنغم ... وإلا فكيف غاب عنا ما فى هــذا البحر من غدر وبطش وفتون ؟ ...

واليوم لا مجلس لنا عند تلك الصخرة المائية ، ولا سمر ولا حديث ! أين المظلة المنعزلة عن أخواتها لأن أصحابها زعموا لأنفسهم أنهم أكثر اتصالاً بالطبيعة وأقوى شعوراً بالجمال ؟ وأين جنيات البحر اللاتى لم يكن يراهن سوانا وهن ينشرن أجنحتهن على صفحة الماء بالألوان السبعة التى تتفرق وتتداخل حتى يرتد عنها البصر وهو حسير ؟ أين بنات (ليليت) وهن يرقصن فى نشوة وجنون على موسيقى الأمواج والرياح الزاعقة ؟ أين . . . أين ؟

***

ولست أدرى ماذا فعلت أنت فى هــذا الصيف . أما أنا فقد استعضت عن البحر بالنيل ، ولم يكن مجلسى منه على صخرة ناتئة صلبة اسفنجية السطح كصخرة بئر مسعود ، وإنما كان حيثما يلذ لى أن أجلس على شاطئه السخى الحنون . وما من مرة خلوتُ إليه إلا ذكرتك . ترى لو كنت معى فى هذه اللحظات التى لا تقاس بالأعمار ، أكنت تشاركنى فى الإعجاب به ؟.. إنه أسمر الطلعة ، ولـكنه وضاح الجبين ، تلتقى فيه الحكمة والشعر . إنه لا يحس الجمال فحسب ، ولـكنه يخلقه خلقاً ويبدعه إبداعاً ؛ ثم هو لفرط شعوره بالقدرة يعبد خالق القدرة وينفق جانباً كبيراً من وقته فى التسبيح والترتيل والصلاة !

فى كل بقعة من واديه حياة ، وفى كل ناحية من أنحائه حب ، وفى كل ركن من أركانه معبد للجميل الذى يحب الجمال ...

ولا عيب فيه إلا حلاوة فى طبعه ، ودماثة فى خلقه ، ورحابة فى صدره ، يراها الأغرار مظهراً من مظاهر ضعفه مع أنها سمة من سمــات قوته ، وشارة من شارات اعتزازه بنفسه صيانة لها عن ادعاء القوة فى معترك لا شبيه له فيه ولا قريب ...

النيل يبذل فى غير تبذير ، ويأخذ فى غير اغتصاب ، دائم الصدقة ، دائم الإحسان ، معتدل فى حالتيه بين البسط والقبض ، لا تهاون فيه ولا غفلة ولا طيش ...

النيل خلاق ولود فيه من الأبوة ميل إلى البناء والتعمير واختزان التجاريب على الأيام والعصور ...

* * *

أتذكر أيها الصديق كتاب طبقات الأرض الذى شقينا بدراسته أيام الحداثة، والذي كنا نعتبره إذ ذاك أنجع دواء للأرق؟ أنت تذكره ولا شك، ولكنك لن تصدق أنني مشوق إلى قراءته من جديد! إنه الكتاب الذى فتح عينىّ على سر العظمة فى هذا الملك العظيم ... ألم تقرأ فيه أن البحر كان يبسط سلطانه القاهر إلى الصعيد؟ فمن الذى رده إلى حيث هو اليوم، ومن الذى سيرده إلى أبعد من هذا غداً؟

قل لهؤلاء الذين ظنوا به الهرم: لقد جهلتم طبيعته واستخفكم هدوؤه ... إنه يحتمل ويحتمل، ولكنه لا يصبر طويلاً على الأذى. إنه يأخذ من الجبل الأشم ويبسط جناحيه على الصحراء الجافية ويطأ البحر بقدميه الثابتتين فى أناة وبطء وعزم!

قد يستعدى البحر قبضات من رمال الصحراء عليه تستدرجها أمواجه ثم تقذفها عليه، وقد يرسل البحر رياحه تدفع الكثبان للاغارة عليه، ولكنه يهضمها فيما يهضم ويحيلها مادة من مواده وكتيبة من كتائبه، وما أندر ما عسر هضمه على معدته القوية الجبارة، إنه يلفظه إلى حيث لا يمكن أن يعود

تعال أيها الصديق انظر إلى عرائس حقوله بعيونهن المسبلة التى تفيض بالوداعة والبشر والإيناس. إنهن يتحدثن فى همس، ويتحركن فى لين وخفة، يزيد شغفك بهن كلما استترن محاسنهن تحت الشفوف ذوات الألوان الثابتة، وإذا رقصن أعدن عليك مشاهد الصلاة القديمة التى كان يمتزج فيها الفن بالعبادة

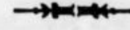
فتننا البحر كما فتن غيرنا لأن الإنسان يكلف بما ليس فى طبيعته. إننا ذرات صغيرة من هذا النيل، وأنا فى هذه الأيام السود أشعر بقوة هذا الامتزاج حتى لكأن هذا النيل يسعى على قدمين

إنه يتأهب لوقعة حاسمة سينتصر فيها كما انتصر دائماً، ولن يبذل فى سبيل ذلك إلا ذرات صغيرة، وإن تكن عزيزة عليه، وما أسعدنى يوم يضمنى إليها حين يدعو إلى التضحية والفداء

(طبق الأصل) «حمدى»

تاريخ مصر ونهضتها القومية

للأستاذ عبد المجيد نافع



فى نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين أثارت طائفة من فلاسفة الغرب وعلمائه وكتابه، حملة شعواء ظالمة على التاريخ كعلم من العلوم الإنسانية، وبلغت تلك الحملة أشدها حين طغت موجة العلوم العملية على العلوم النظرية، وجرف تيار الروح المادى كافة المثل العليا التى تغنت بها الإنسانية طوال السنين أو كاد، وأسرف بعض الفلاسفة فى توجيه النقد فنادى بأن التاريخ لا يعدو أن يكون « مجموعة أكاذيب » لا ينبغى للشعوب أن تشغل أذهانها بها، ولا يحل فى شريعة التربية الوطنية أن نسمم عقول النشء بحشوها فى ثناياها؛ وأبى بعض أولئك الفلاسفة أن يسمو بالتاريخ إلى مرتبة العلم الجدير باسم علم، إذ لم تكن له المبادئ الثابتة والمقاييس والضوابط والحقائق التى تنطوى عليها علوم الرياضة والهندسة والفلك وما إليها من العلوم المضبوطة، وإن من ضياع الوقت الضرب فى مجاهل التاريخ بدل الإلمام بالكيمياء والميكانيكا والجيولوجيا والبيلوجيا والفزيولوجيا وغيرها من العلوم العملية. وذهب بعضهم إلى حد القول بأن الذى جنى على الحضارة الإنسانية شر الجنايات إنما هو التعلق بالخيالات، واطراح الحقائق العملية ظهرياً، ونعى أحدهم على التربية فى عصره العناية بالنظريات، والتنكر للحقائق العملية إلى حد أن يجهل الناشئ جهلاً مطبقاً وظائف أعضاء جسمه، على حين أنه يلقى عن ظهر غيب تاريخ ميلاد الملوك ووفياتهم، وحروبهم، ولو لم يكن لأولئك الملوك أثر بارز فى التاريخ، ولو لم تغير معاركهم الحربية مجراه فى كثير أو قليل، كأنما التاريخ بات ثبتاً بمواليد الملوك ووفياتهم، وقائمة حمراء بالمعارك الدموية! وعلى الجملة فقد قام أولئك العلماء ينشدون «الإنسان الآلى»، ويضلون عن الإنسان المركب من جسم وروح وعقل!

كان يمكن أن ترجح وجهة نظر دعاة المذهب المادى لو أن التربية إنما تعنى بالجسم والعقل دون الروح، ولكن التربية الحقة فى ضوء العلوم النفسية، وعلى هدى التجارب التى تمليها نهضات الشعوب، ينبغى لها أن تعنى بالجسم ثم بالروح ثم بالعقل، بحيث يحصل التوازن فلا تطغى قوة على أخرى. والإنسان تسوقه العاطفة أكثر مما يسوقه العقل. والعواطف الملتهبة الجياشة التى تبلغ حرارة اليقين وغليان الإيمان، وتترفع إلى الرضا بالاستشهاد فى سبيل ما يعتقد المجاهدون أنه الحق، هى التى غيرت وتغير وجه التاريخ، لا برودة العقل والبحث العلمى المجرد. والأمم فى جريها وراء تحقيق المثل العليا تشعر فى أعماق نفسها بقوة تحفزها للنهضة والتقدم إلى الأمام. وما كان لحفنة من العرب أن يخرجوا من جزيرتهم الجرداء القاحلة غير مزودين بعدة أو عدد، أن يهدموا امبراطوريتى الرومان والفرس ويقيموا على أنقاضهما الامبراطورية العربية الضخمة، وينشئوا الحضارة الإسلامية، وهى أبقى على الزمن الباقى من الزمن، لولا الإيمان الذى يغمر قلوبهم، واليقين الذى يدفعهم إلى تحقيق مثلهم الأعلى

وفى الحروب ألا تراهم يتحدثون عن الروح المعنوية، وأنها هى التى ترجح كفة النصر. ثم ألا ترى أن الدعاية القوية هى التى تقود خطوات الشعوب. ولعله لا يكون من الإسراف أن نحمل طائفة من مؤرخى الألمان وفلاسفتهم وعلمائهم النصيب الأكبر فى تبعات الدماء التى سالت والأرواح التى أزهقت فى حربين لم تكد تخبو نار إحداهما حتى تأججت نيران الأخرى أشد ماتكون ضراماً فى فترة واحد وعشرين عاماً، ولا يعلم إلا الله ماذا تلتهم ومتى تخمد! ومن ذا يستطيع أن ينكر أن ترتشكه ونيتشه يساهمان بنصيب كبير فى الروح الحربية الروسية، وأن عقول وأقلام راتينا وكيزرلنج وتوماس مان وشبنجلر ومولر فان دن بروك وفيدر وروزنبرج وغيرهم من غلاة المذاهب الفلسفية المتطرفة هى التى صاغت ألمانيا النازية التى تتحدى اليوم العالم بمن فيه وما فيه! لقد نفخ هؤلاء وأولئك فى روح الألمان أنهم من طينة غير طينة كثير من الأمم، وأنهم خلقوا للتسلط والسيادة، وأن الحرب إنما هى صدام بين إرادتين، وإنما يعقد النصر بلواء الأقوى فيهما وأنه لا بد لألمانيا من أن تصفى حسابها مع الغرب، إن لم يكن اليوم فغداً، ليتسع لها المجال الحيوى، ولتأخذ مكانها فى الشمس،

ولتأخذ مكانها من سيادة العالم ، وتطالع الدنيا بنظام جديد ينهض على القوة والرق بدل النظام الذى كان يقوم على الضعف والانحلال!

إنما تنكر بعض الفلاسفة والعلماء للتاريخ وأكبروا أن يرتفعوا به إلى مرتبة العلم ، لأنه كان قائماً على مجرد سرد الوقائع وذكر الأرقام ، وليس هذا من التاريخ فى شىء . فإذا اصطبغ بصبغة الأدب فهو أدنى إلى القصص التاريخي منه إلى التاريخ الحق . إنما المؤرخ ، الجدير بهذا اللقب ، هو الذى يعتبر المجتمع الإنسانى مثل الجسم الإنسانى يجوز على أحدهما مايجوز على الآخر من عوامل التطور ، ودواعى الصحة والمرض ، والقوة والضعف ؛ ويساير الأمة منذ نشأتها ، ويدرس البيئة وما يحيط بها من عوامل مؤثرة ، ويحلل المؤثرات التى تنتاب الشعوب ، ويعلل الظواهر الاجتماعية ، ويلقى شيئاً من الضوء على ما أبهم فى حياة الأمم ويضىء الجوانب المظلمة فى التاريخ الإنسانى ، ويجلو الغامض فى المسائل التاريخية التى أحدثت الانقلابات أو جرت إلى التحول والانتقال ، ويطالعنا كيف ارتفعت بعض الأمم إلى الذروة ، ثم هوت إلى الحضيض ، وعلى الجملة يكون فى تحليله وتعليله مثل العالم فى معمله ، والفلكى فى مرصده

توفرت على دراسة كتاب « مصر القديمة » للعالم الأثرى الكبير الدكتور سليم بك حسن ، فأوحى إلى فيما أوحى بتلك الخواطر جميعاً . والحق أنه جعل من التاريخ المصرى القديم مادة حية تغذى نهضتنا الحديثة الغذاء الروحى والعلمى والعقلى الصالح ، ووصل ما انقطع بين مصر المصرية ومصر القديمة

لقد ظل تاريخنا القديم السنين الطوال حرماً مقدساً لا يغشاه إلا الغربيون ، وكنا إذا شئنا أن نجيل الطرف فى مجدنا التليد عمدنا إلى مصنفات الفرنج نقلب صفحاتها ، ومن لم يكن ملماً بلغة أجنبية ضرب بينه وبين تاريخ بلاده حجاب ، وكنا إذا أردنا أن نرتوى من عظات الماضى نهلنا من موارد الإنجليز والفرنسيين والأمريكان والألمان ، فأكبر عالمنا الجليل أن تظل تلك الوصمة عالقة بنهضتنا ، وهذه الشائبة تشوب صحيفة ثقافتنا ، وذلك النقص يعتور حضارتنا ، فأقبل يستلهم الآثار والنقوش ، ويستهدى المحاجر والمقابر ، ويبحث وينقب ، ويبوب ويرتب ، ويتابع ويراجع ما كتبه الفرنج وغير الفرنج ، ويساير البيئة المصرية منذ نشأتها ويرقب تطورها وتحولها ، ويراقب العوامل التى أثرت فيها والملابسات التى أحاطت بها ، ويرتب النتائج على المقدمات ، ويفصل بين أصدق الآراء فى معترك الآراء ، ويجلو الغامض والمبهم ، ويمزج علم التاريخ بعلم الاجتماع ، ويقدم من مجد الماضى مادة لتغذية الوطنية المصرية المتوثبة ، ويكشف عن مواطن الأدواء التى انحدرت إلينا من الماضى السحيق ، ويضع مشرطه على مكمن العلة فى غير تهريج علمى ، ولا نعرة وطنية كاذبة ، بل فى تواضع العلماء ، فوفق إلى إبراز التاريخ المصرى فى حلة قشيبة يجدر بكل من شرب ماء النيل وأظلته سماء مصر أن يرجع البصر فى ذلك التاريخ الحى كرتين

لقد ساهم العالم الفرنسى الكبير شمبليون بقسط كبير فى خدمة قضية المدنية والعلم حين كشف عن الكتابة الهيروغليفية المنقوشة على حجر رشيد ؛ وما أحسبنى مسرفاً أو مغالياً حين أقرر أن الدكتور سليم حسن قد خدم النهضة المصرية بمؤلفه الجديد أجل الخدمات

ولعلى لا أعد محلقاً فى أجواء الخيال إذ أجاهر بأن لفنجستون وستانلى قد كشفا عن مجاهل أفريقيا لخدما العلم والحضارة، وأن عالمنا المصرى قد كشف عن مجاهل التاريخ المصرى للقديم فتوج النهضة الحديثة بأبهى التيجان وأغلاها

لم يكن التاريخ المصرى غامضاً فحسب، بل كان لفرط تشابهه يبعث السأم فى النفوس ، فانصرف عنه الشبان الذين يؤثرون تغذية الروح على تغذية العقل . ولكن عالمنا قد نفخ فيه من روحه وأسبغ عليه من فيض حماسه ، وأضفى عليه من وافر إخلاصه ما جعل النفوس التى على ظمأ تتشربه تشرباً

على أنه قد عف عن التهويش العلمى ، وتورع عن أن يجعل كتابه مصطبغاً بالصبغة الأدبية البحتة ليكون سائغاً للنفوس ، بل جمله بين ذلك قواماً فى أسلوب علمى هادئ وبحث أدبى رصين

إلى عهد غير بعيد كانت معرفة التاريخ المصرى القديم تعتبر ضرباً من ضروب الترف العقلى ولوناً من ألوان الزينة العلمية ، ولكن اليوم ونحن أمة تبتغى أن تأخذ مكانها بين الأمم الناهضة وتطمح لأن تساهم بنصيب فى خدمة قضية الحضارة ، ينبغى لنا أن نعد الإلمام بتاريخ وطننا ضرورة قومية

الكبرياء رذيلة للأفراد ، ولكن الكبرياء القومى فضيلة اجتماعية للشعوب ، والكبرياء القومى والعزة الوطنية لا يتوافران لشعب إلا إذا شعر شعوراً صادقاً وعميقاً بمكانة وطنه فى الماضى والحاضر ، وإذن فليس يكفى للقومية المصرية أن تشهد نهضة حقة فى الحاضر ، وإنما ينبغى لها أن تعرف أن الأمة التى بلغت ذروة الحضارة فى الماضى البعيد بينا كانت أمم الغرب لا تزال تأوى إلى المناور والكهوف لهى أمة خليقة بأن تكون فى طليعة الأمم المتحضرة

ما أحسب الذين يدينون بمبدأ العنصرية القائل بجعل الأجناس بعضها فوق بعض درجات إلا مريدين به أن يكون حافزاً لشعوبهم لتحقيق غاية التسلط والسيادة ، ولنا أن نسأل : إذا كان المصرى قد بلغ ذاك الشأو من الحضارة فى الماضى فما الذى يقعد به عن أن يكون فى مقدمة المتحضرين اليوم

ذهب بعض علماء الاجتماع إلى أن المدنيات نشأت أول ما نشأت فى الأمم التى تتوافر فيها وسائل العيش وتسهل ، فى الأمم التى لا تكون الطبيعة فيها قاسية لا تعرف الرحمة ، ولهذه الاعتبارات نشأت المدنيات فى مصر وآشور والهند والصين ، فلما اشتد ساعد الإنسان فوق الأرض ، واستطاع مكافحة عوامل الطبيعة ومغالبتها انتقل مركز المدنية . ولكن الرد على تلك النظرية هين ميسر ، فالذين بنوا الأهرام ونحتوا أبا الهول فى الصخر ، وضربوا فى العلوم بسهم وافر ، وأنشأوا النظم على اختلاف أنواعها ، خليق بأبنائهم أن يأتوا فى هذا العصر بالمعجزات

لقد كانت مصر القديمة مهبط وحى الأديان جميعاً . فالله ، والروح ، والبعث ، والثواب ، والعقاب ، كل أولئك قد اهتدى إليه آباؤنا المصريون . وأين نبتت فكرة الخلود إلا فى الأرض المصرية ؟ ولعله ليس من العجيب أن يؤلهوا ملوكهم ، فعبادة البطولة كانت ولا تزال متأصلة فى أعماق النفس البشرية

كان لأجدادنا المصريين حكومة منظمة بكل ما تحمل هذه اللفظة من معنى ، يوم كان الغربيون يهيمون على وجوههم فى الآجام ، ويسكنون المغاور والكهوف ، وكانت إدارة مصالح الحكومة تسير على أحسن وجه ، وأكمل صورة ، يوم كان الأوربيون لا يدركون حتى مدلول تلك الكلمة ، وكانت لهم علوم وفنون ، يوم كان غيرهم يعيشون على الفطرة

وآمن المصريون القدماء بأن العدل أساس الملك ، فوضعوا التشريع المدنى والجنائى ، ونظموا الهيئات التى توزع العدالة بين النـاس

وفطنوا إلى أن الثروة عنصر من عناصر قوة الأمم فاستغلوها على خير وجوه الاستغلال

وأدركوا أن عزة الشعوب ومنعتها فى قوة جيوشها التى تحمى استقلالها وتصد المغيرين عن كيانها ، وأن الحروب هى القانون القاسى الذى فرض على تلك الانسانية البائسة ، وأن السلام ليس إلا هدنة بين حربين ، وأن الجار المتوثب لا يكبح جماحه إلا السلاح ، أدرك المصريون كل أولئك فجيشوا الجيوش وغزوا البلاد وقلموا أظافر المعتدين

وضعوا نظاماً صالحاً للأسرة إذ آمنوا بأنها الأساس الذى يقوم عليه النظام الاجتماعى

وأحاطوا بكل عناصر المدنية ، فأوغلوا فى العلوم والفنون والآداب ، وما زالت آثارهم تنادى بالتقدم الذى بلغوه يوم كان العالم لا يزال يضرب فى ظلمات الجهالة

إذا كانت السياسة هى فن حكم الشعوب ، فلا مندوحة لمن يطمح لحكم شعب أن يلم بعلم التاريخ عامة وتاريخه خاصة

وسط ضجيج الحرب عمل الدكتور سليم فى صمت ، فطالع الأمة بذاك الأثر الخالد ، فما أجدر المصريين أن يجعلوه مصباحاً يضىء لهم طريق المجد والمدنية .

عبد المجيد نافع

بعد الفاجعة:

أمـــاه . . .

للآنسة أمينة قطب

الثلاثاء ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠ . . .

أماه . . .

أتراني أقوى الآن على أن أكتب شيئاً ؟ يخيل إلى أنى لا أستطيع ، وإن استطعت فبضع كلمات لا تعبر عما فى نفسى

لقد كنتِ القوة المغرية التى تُشيع الحياة فى عقولنا ونفوسنا ، فنفكر ونحس ، ونقوى على العمل . كنت الأمل الباسم الذى ينير لنا الحياة . كنت المصباح الهادى نسير على ضوئه غير مبالين ما يعترض طريقنا من صعاب

والآن ماذا فقدنا بفقدك يا أماه ؟ لقد فقدنا كل شىء . فكفت عقولنا عن التفكير ، وأظلمت نفوسنا ، وخمدت فيها جذوة الحياة

كل هذا ولما يمض أسبوع على غيبتك . فكيف تمر بنا الأيام والسنون ؟

ها هو ذا القمر الذى كنت أجلس إليه الساعات الطوال أتأمل فى جماله وما يسبغه على الكون من جمال وسحر . ها هو ذا الآن يسطع أمامى ويملأ الكون نوراً ، فماذا أرى فيه ؟ إنه رقعة صفراء أو بيضاء لست أدرى ! لا توحى إلى النفس بشىء ، بل تشوه الفضاء الواسع بلونها الباهت المريض . . . أى تبدل هذا الذى تم فى نفسى خلال أسبوع ؟ . . . ويحى ماذا أقول ؟ أسبوع فقط ؟ إننى لأحس به سنين وأجيالاً

آه ما أقسى الحياة ، حين تموت فى النفس الحياة !

أماه . . .

بربك تعالى وأعيدى إلينا الحياة . إن هـذه الوحدة قاسية ومؤلمة . ولن نستطيع احتمالها أكثر من هذا الأسبوع ! تعالى فلن نستطيع احتمالها السنين الطوال

أماه . . .

هل أطمع فى تلبية ندائى ؟ هل أطمع فى عودتك يوماً من الأيام ؟

***

الجمعة ١٨ أكتوبر . . .

أمى . . .

أصحيح أن ما مضى على رحيلك عنا هو تسعة أيام ؟ إذن كيف تمر الشهور والسنون ؟ تسعة أيام فقط تتبدل فيها نفسى هـذا التبدل ؟ أين نفسى الأولى المرحة المشرقة المتفتحة للحياة الخالقة للآمال ؟ أين هى من هذه النفس الميتة الغائبة عن العالم وما فيه من آمال وأحلام ، البعيدة عن كل ما فى الكون من مباهج وجمال ؟ إن هاتين النفسين لتفصل إحداهما عن الأخرى سنون وأجيال !

لقد طرق سمعى من بعيد منذ لحظات صوت « أم كلثوم » فى تلك الأغنية الحبيبة إلى نفسك التى كنت تطربين لها حين أغنيها لك . . . تنبهت فجأة وكأننى أحلم : أو ما زال صوت « أم كلثوم » يردد فى الآفاق ويسمعه الناس ويطربون له ؟ أو ما زال فى الدنيا غناء ؟ !

أين أنا إذن وأين نفسى التى كانت تطرب للغناء ؟ لقد جمعت شتات فكرى على نغمات هذا الصوت ، وأخذت أبحث عن نفسى التى كانت تسمع وتطرب ، فوجدت أنها كانت هنا قبل تسعة أيام !

أمى . . .

يخيل إلىّ عند ما أسمع صوتاً كنت أسمعه أو أرى شيئاً كنت أراه هناك فى المنزل الآخر قبل أن نرحل إلى هـذا البيت . . . يخيل إلىّ أننى لو ذهبت إلى المنزل الأول لوجدتك هناك ! وعندئذ أجلس إليك وأحدثك وأغنى لك تلك الأغانى التى كنت تحبينها !

أجل ، يخيل إلىّ هذا فأصدقه وأعتزم الذهاب . ويومض فى نفسى شعاع من الماضى الحبيب ، ولكن سرعان ما يطفئه صوت الحقيقة المؤلم الحزين ، وتعود نفسى إلى ظلامها وموتها

أمى . . .

هل أطيع ذلك الخيال مرة وأذهب إلى المنزل الآخر ؟ من يدرى يا أماه ، ربما أجدك وأجلس إليك ولو بضع لحظات ؟ !

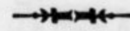
ابنتك الحزينة

آنسة أمينة قطب

محاورة أفلاطون الخيالية
حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

— ٢ —



المحاورة بين أفلاطون وأحد المربين الانجليز . ولقد أسفرت فى المقالة السابقة من أن التربية الانجليزية إنما تعد الفرد ليشترك فى انتخاب الحكومة الديمقراطية التى يكونها الشعب لخدمة الشعب ، وليساهم فى حكم الأمة ، وتسيير شؤونها الداخلية والخارجية . غير أن أفلاطون يتساءل كيف يتمكن أفراد الشعب ، بما هم عليه من تربية محدودة ، وخبرة فى الحكم والسياسة ناقصة ، أن يوجهوا سياسة الحكومة ، وأن يشرفوا على نظام الحكم ، فهذا التوجيه والاشراف لا يقوى عليه إلا الفيلسوف . وكان آخر سؤال وجهه أفلاطون للمربى هو : لقد قلت إنك تريد أن تكون فرص التربية والتعليم سواء لجميع أفراد الشعب ، فما الذى تريد أن تصل إليه بهذا كله ؟

المربى : المسألة مسألة مبدأ العدالة العامة التى تقضى بأن يتاح لكل أطفال المجتمع على السواء جميع الفرص الممكنة فى التربية ، لا فرق بين غنى وفقير

أفلاطون : أى الفرص تعنى ؟

المربى : الفرص التى تمكن الطفل من تنمية مواهبه وقواه الطبيعية إلى أقصى حد ممكن . الفرص التى تفسح له طريق التعليم الجامعى إن كان عنده الاستعداد العقلى لذلك

أفلاطون : واضح كل هـذا . أنت تريد أن تعطى كل فرد فى المجتمع مجالاً ليتعلم ، وليتخذ المهنة التى يصلح لها بمواهبه الفطرية ، وتقصر التعليم الجامعى على ذوى الاستعداد العقلى ، والذين يمكنهم الإفادة منه ؟

المربى : أجل هذه هى غايتنا . وقد استطعنا — بوضع هذه الغاية نصب أعيننا — أن نبنى نظام التربية فى بلادنا على شكل هرَمى ؛ يكوّن التعليم الأولى قاعدته ، وعليهـا يرتكز التعليم الثانوى ، أما التعليم الجامعى العالى فيكوّن القمة

أفلاطون : وهل تَعُدُّون الذين لم ينالوا التعليم الجامعى كاملى التربية ؟

المربى : لا أظن ذلك

أفلاطون : فكيف إذاً يجوز لكم أن تخوّلوا هذا الذى لم يُتمم التعليم الجامعى أن ينتخب الممثل النيابى ، وأن يكون له رأى فى شئون الأمة وسياستها ، على حين أنك أنت تقرر أنه غير قادر على ذلك ؟ فإذا كان السواد الأعظم من النشء لا يعدو مرحلة التعليم الأولى والثانوى ، ولا ينال أى حظٍّ من التعليم الجامعى فإنه من البين أن هذا الشعب الذى يمثله سواده الأعظم يجب ألا يتحمل أمانة الحكم الثقيلة ويجب أن يترك سلطة الحكم والسياسة فى أيدى من ينجحون بتفوق فى الامتحانات الجامعية من الرجال والنساء

المربى : حقاً إن هذا لصحيح من الناحية النظرية ، غير أنا — معشر الإنجليز — لا نعتقد أن الدرجات العلمية والجامعية هى المؤهلات الوحيدة لتحمل أمانة الحكم وتبعة السياسة . والواقع أننا نجد معظم الجامعيين من الأساتذة والعلماء على نصيب قليل من الدربة السياسية ، والدراية بطرق الحكم ، إذا قسناهم بهؤلاء الذين تخرجوا فى جامعة الحياة اليومية

أفلاطون : إذا كنتم تعتقدون فى جامعة الحياة اليومية وإعدادها ، فلماذا إذاً أسستم الجامعات ، ولم تتركوا الأمر للعناية السماوية أو لظروف الحياة (أيهما تختار) لإعداد حكامكم وتكوينهم ؟ وإذا كنتم لا تعتقدون أن التربية تستطيع أن تنشّئ الفرد وتسويه وتخلق منه شخصاً آخر أصلح من ذى قبل لمهنته فى الحياة ، سواء أكانت الصّرافة Banking أم التجارة أم الحكم ، إذا كنتم لا تعتقدون هـذا فنصيحتى لكم أن تضربوا بمشروعات التربية عرض الحائط ، وأن تتركوا الأمر لظروف الحياة والقدر

المربى : يظهر أنه من المستحيل علىّ أن أبحث أمور التربية مع رجل مثلك يضحى بأية فكرة فى سبيل صحة القضايا المنطقية . إن نظام التربية عندنا فى انجلترا ليس منطقياً ، لأنه نما نمواً تاريخياً على أسس رسخ أصلها فى الماضى . فهو مملوء بالمتناقضات

والنموض ، لا لسبب إلا لأنه نشأ وتطور بحسب الحاجة والمناسبات المختلفة المعقدة . فليس نظام التربية عندنا من صنع أفراد مستبدين

أفلاطون : إن ما تقول لجائز . ولكن يجب أن تكون ثمت مبادئ ثابتة تسيرون عليها فى إصلاحاتكم التعليمية ، ومناهجكم التربيوية، وحين تقررون خطوات الإصلاح الاجتماعى . هذه المبادئ الثابتة هى التى أحاول استيضاحها الآن فى محاورتنا هذه . إن صحة المنطق واستقامته ليستا عيباً حتى ولو كان محاورى إنجليزياً ! وإنى أعتقد أن عدم استطاعتك أن تجيب عن أسئلتى البسيطة دليل على عدم وضوح غايات التربية عندكم . فبالرغم من أنكم لم تقرروا بعدُ لِمَ تربِّى الشعب ولِمَ تُعلِّم ، أراكم دائبين على افتتاح مدارس جديدة ، ومطالبين البرلمان بمد أجل التعليم الإجبارى إلى الخامسة عشرة بدلاً من الرابعة عشرة

دعنى إذاً أشرح لك الأمر بوضوح أكثر . هناك نوع من التربية يسمى التربية المهنية أو الفنية ، أليس كذلك ؟ ونعنى بهذه التربية إعداد الفرد لمهنة خاصة أو حرفة

المربى : نعم

أفلاطون : وكنتيجة لهذه القدمة المنطقية أعتقد أنه من الممكن أن تحكم على كل أنواع التربية بأنها فنية مهنية ، لأن كل إنسان لا يخلو من أن يكون صالحاً بطبيعته لمهنة من المهن التى يمكن أن يتعلمها ويحذقها بالتربية ؛ فالمزارع يمكن أن يتعلم الزراعة ، والبناء يمكن أن يتعلم البناية وهكذا . وقد اعترفت أنت فى حديثك أن الحكم مهنة من المهن ، أفلا يكون من المعقول أن يوجد نوع من التربية يمكن الفرد من التمرن على فن الحكم وإجادته ؟ فما رأيك ؟

المربى : ربما

أفلاطون : إننى أعتبر « ربما » هذه دليلاً على أن ناحية التعقل عندك — لو لم يشبها التحيز والتعصب للرأى — تميل إلى قبول وجهة نظرى . وما دمت توافق على أن هناك نوعاً من التربية ، أو بعبارة أخرى أضبط يمكن أن يوجد نوع من التربية يعد طبقة الحكام ويكونهم ، فدعنا نشرع الآن فى بحث ما إذا كانت التربية الجامعية قادرة على إعداد هذه الطبقة من الحكام ، أموافق ؟

المربى : أظن أنك تتوقع منى الإجابة (بنعم) ما دامت نظريتك هذه مبنية على المبادئ التى فى (الجمهورية)

أفلاطون : لقد سررت كثيراً حينما عرفت أن التعليم الجامعى عندكم يشمل ناحيتين : ناحية البحث العلمى الحر ، وناحية الثقافة العامة ، وحينما وجدت أنكم فى الجامعات تمنون بالمسائل المعنوية النظرية كجزء ضرورى فى التعليم الصحيح ، ولكنى أسفت حينما سمعتك تقول : إن خريجى الجامعات لا يعتبرون عندنا ساسة قديرين ، ولعل السبب فى هذا هو أن معظم الشبان الذين يدرسون فى جامعاتكم لا يهمهم أن يعدوا أنفسهم لمهنة السياسة والحكم ، ولكنهم يعدون أنفسهم لمهنة تجارية أو صناعية أو كتابية ، يستطيعون بها كسب قوتهم ومعاشهم . فإذا كان الأمر كذلك فإن جامعاتكم لا تحتفظ بتلك المبادىء التى قررتها أنا فى أكاديمى ولكنها قد أصبحت مدارس فنية عليا لإنتاج الصناع وذوى المهن المهرة ، الذين يظلون دائماً بعيدين عن ميدان السياسة والحكم ، ذوى المهن الذين همهم محصور فى الطاحونة أو دواوين أعمالهم ، ولا يعنيهم من أمر السياسة الدولية العليا وشئونها شيء

المربى : ربما يكون صحيحاً أن جامعاتنا قد أصبحت مدارس فنية عليا ، لأننا لا نعتبرها مجرد معاهد لتخريج الساسة ورجال الحكم . كما أننا لا نحظر الالتحاق بها على أى فرد ــ رجلاً كان أو امرأة ــ عنده الاستعداد للبحث العلمى ، أو يريد ثقافة عامة . إننا نريد أن يكون لكل فرد يلتحق بالجامعة حرية اختيار المادة التى يتعلمها والمنهاج الذى يتخذه ، لا أن نزج بهم جميعاً فى حلبة السياسة

أفلاطون : أفهم من حديثك هذا أنكم واثقون بساستكم الحاليين مطمئنون إلى خططهم ، وإلا لما كنتم تتركون أبناءكم يختار كل منهم منهاج الدراسة الذى يريده . ونتيجة هذا هى أن خيرة أبنائكم ذكاء قد أقبلوا على دراسة ما يميلون إليه ، وانصرفوا عن تحمل تبعات الحياة التى يفرضها عليهم ذكاؤهم ، فتراهم مغرمين بمزاولة أشياء لا أثر لها فى تقدم مصلحة الشعب العامة

المربى : يخيل إلى أن فكرتك عن أهمية رجال السياسة ضخمة

ضخامة الطبل . إن الدولة لا يقبض على زمام شئونها ويسيرها رجال السياسة وإنما أمور الدولة فى أيدى الموظفين ورجال الدواوين والإدارة، وأصحاب الصناعات والتجارة . هؤلاء هم ذوو الخطر والشأن فى أمور الدولة . أما رجال السياسة فمظمهم كخطباء المسارح يقولون مالا يفعلون

أفلاطون : الحقيقة أن الأمر تشابه على ، ولست أدرى أين أنا من رأيك . إنكم لا تنتخبون رجال الإدارة أو الموظفين ورجال الدواوين ، ولا تنتخبون الصناع والتجار ورجال الأعمال ، أتنتخبونهم ! ؟

المربي : كلا ، لا يحدث هذا

أفلاطون : ومع هذا تقول لى إن هؤلاء الرجال هم ذوو الشأن والخطر فى نظام حكمكم الديمقراطى ، وإن السياسيين ما هم إلا خطباء مسارح ! فإذا كان الأمر كما تقول فكيف تزعمون أنكم تتمتعون بالحرية السياسية ، وأن لكم إشرافاً على شئون الدولة وأمور السياسة ؟ يجب أن أعترف بعجزى عن فهم هذا الموضوع ! كأنى بك تقرر أن مؤسساتكم الديمقراطية ، ومجالسكم النيابية ما هى إلا صورة ومظهر فقط ، ولكن من ورائها يعمل رجال الدواوين والإدارة بحكمة وجد . إننى أعتقد بوجاهة هذا النظام ، وأرى الآن كيف أن التربية عندكم لا ترى لإعداد الساسة والحكام ، ولكن لتخريج الكفايات – من الرجال والنساء – القادرة على أداء مهمتها ووظيفتها بإخلاص يحدوها المصلحة العامة ، مصلحة الشعب . فإذا كان الأمر هكذا فلتعلنه بصراحة ، ولتُلغِ ما ذكرته من أن التربية عندكم إن هى إلا تجربة فى الحكم الذاتى للشعب ، لأن من الواضح أنه ما دامت التربية هى إعداد الأفراد للمهن المختلفة والوظائف التى يصلحون لها ، فأنواع التربية تختلف حتماً باختلاف الإعداد

المربي : نعم ، الأمر كذلك .

(يتبع – بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

سيجموند فرويد
العالم النفساني الكبير
للأستاذ صديق شيبوب

— ٤ —

تعتبر الغريزة الجنسية أساساً لنظريات « فرويد » فى علم النفس وقد كان أول من تجرأ على القول بأنها أهم القوى الفعالة فى النفس

كانت الأجيال السابقة تعرف مدى انفعالات النفس بتأثير الغريزة ، ولكنها كانت تضرب صفحاً عن ذكرها أو الإشارة إليها مراعاة للقوانين والأخلاق . وقد ساعدت الديانات والحكومات ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، على ضبط جماح الغرائز الأولية فلم يشذ عن هذا الإجماع إلا القليل

حاربت النصرانية شهوات الجسم بشهوات العقل والروح ، وجعلت من تحقيق رغبات هذه الشهوات الأخيرة مثلاً أعلى فى الحياة ، وأوجدت وسائل تختلف قسوة وليناً للتغلب على الغريزة الجنسية ، وكان بعض هذه الوسائل جسمياً وبعضها الآخر عقلياً ، وهو حل قائم على العقل والمنطق ، لأن الأخلاق برزت فى شكل مادى قائم على فكرة تتصل بما وراء المادة . على أن هذا الحل ظهر غير فعال تماماً لأنه لم يشف الإنسانية من الغريزة الجنسية ولم يحل دون بروزها مسيطرة على الجسم والنفس معاً

أما الشرائع الوضعية فقد اختلفت عن الشرائع السماوية بأنها لم تحتم على الفرد أن يخضع للأخلاق فى نفسه وضميره بل أقرت المجتمع على مظاهر أخلاقية متواضع عليها ولم تطالب الفرد بمراعاة الأخلاق إلا فى المظهر فقط

أما القرن التاسع عشر ، وهو عصر الاكتشافات الخطيرة والاختراعات الهامة والمذاهب المستحدثة التى غيرت مجرى العقل والذوق فى شتى أنواع الفنون ومختلف أساليب الفلسفة والعلم ، فقد حارب الغريزة الجنسية بطريقة سلبية لأن كبار مفكريه تواطأوا على إهمالها وإغفال ذكرها أو الإشارة إليها ، فلم يؤيدوا وجودها ولم ينفوه ولم يبحثوا فى أثرها

لم يقتصر هذا الإجماع على العلماء المفكرين بل تناول الأطباء الذين أبوا توجيه بحوثهم شطرها فى معالجة مرضاهم واكتفوا بمعالجة الأمراض العصبية بالوسائل الطبية المعروفة لديهم أو بإرسال مرضاهم إلى مستشفى الأمراض العقلية

على أنه عند ما أشرف القرن التاسع عشر على الزوال قام الطبيب الشاب « فرويد » يتحدث عن كبت الغريزة الجنسية وإمكان شفاء الأمراض العصبية ، معتمداً فى ذلك على الأبحاث التى أجراها فى داء الهستيريا ؛ وأخذ يقرر أن أكثر الأمراض العصبية — إن لم يكن كلها — ناتج عن ذلك الكبت . فثار به أساتذة الجامعة ، ونصحه أصدقاؤه بأن يتحول عن هذه الأبحاث التى لا ترجى فائدة منها والتى تتناول مسألة دقيقة من الخير أن تظل طى الكتمان

على أن « فرويد » تجاوز عن هذا النصح وسار فى أبحاثه إلى أقصى حد ؛ فاصطدم بمعارضيه واحتدم الجدل بين الفريقين الذين تتمثل فيهما طريقتان متباينتان لا سبيل إلى التوفيق بينهما ؛ يتمثل فى إحداهما علم النفس فى أسلوبه القديم يحده مثل أعلى قائم على تغلب العقل على الغريزة فى الفرد المتمدين المثقف ، ويتمثل فى الفريق الآخر فكرة مستحدثة تقرر أن للغرائز لا تقهر ، وأنه من العبث أن نفرض أنها إذا كبح جماحها اندحرت واختفت إلى غير رجعة ، لأن أقصى ما نستطيعه إزالتها من العقل الواعى وكبتها فى غير الواعى ؛ فإذا تجمعت فى أعماق النفس اختمرت وأحدثت قلقاً واضطراباً فى الأعصاب لا يلبث أن يتحول إلى داء عضال !

***

يقول فرويد : إن الشهوة بمعناها العام أول نسمة يتنفسها الفرد فى حياته النفسية ، فهى للنفس كالطعام للجسم ، والنفس تصبو أبداً للوصول إلى اللذة ، وهو ما يسميه « ليبيدو » الذى أطلق عليه بعض كتابنا لفظة « اللبيد » ، ومعناها الطموح إلى اللذة رغم كل العقبات ، وهو طموح يملى على الإنسان كل أعماله ولم تكن غاية (اللبيد) واضحة حتى اكتشف فرويد أن معناه

التفريج عن الغريزة الجنسية . على أنه قرر بعد ذلك أن القوى النفسية تتحول عن مراكزها ، وأن اللبيد لا يقتصر على الصلات الجنسية ، لأنه يمثل قوة هوجاء تطلب الظهور والبروز ، كوتر القوس المشدود المستعد أبداً لإنفاذ السهم ، أو السيل الجارف الذى لا يدرى أين مصبه . فقد يظهر اللبيد فى الصلات الطبيعية، وقد يتحرر من قيود الجسم فيسمو إلى النفس ويظهر فى مناطق رفيعة كالفنون الرفيعة أو الدين أو الفلسفة . وقد يصدف عن هذه الغاية أو تلك فيتيه فى مجاهل العالم أو يتمركز فى أشياء غريبة أثرت فى غريزة الفرد منذ صباه ، وقد ينحط إلى أسفل دركات البهيمة وقد يرق إلى أسمى الغايات . وهكذا تختلف أشكال اللبيد ومظاهره ، ولكن غايته تظل واحدة ترمى إلى رى صدا النفس الطموحة إلى اللذة ، وهى غاية أصيلة فيه عالقة به

هنا يظهر التجديد فى الآراء التى أقرها فرويد

كان علم النفس من قبله يجهل أن قوى النفس تتبدل وأن مراكزها تتحول ، وكان يخلط بين المسائل الجنسية وبين أعضاء جسم الإنسان ، ففصل فرويد بين هذه وتلك ودلل على تحول مراكز قوى النفس

وكان علماء التحليل النفسى يقررون أن المسائل الجنسية التى تسبب اضطراباً فى الأعصاب ترجع إلى عهد قديم ، وقد كان من الطبيعى أن يبحث عن هذه المسائل صعداً فى حياة الإنسان إلى سن المراهقة ، ولكن فرويد اهتدى إلى أن من الخير ألا يقف البحث عند هذا الطور من حياة الإنسان ، بل يتعداه إلى الطفولة

وقد برهن فرويد على أن اللبيد أصيل فى نفس الطفل بالرغم من أنه يجهل الحياة التناسلية ، ثم ذهب إلى أبعد من ذلك فقرر أنه إذا كان للطفل حياة تناسلية فإن هذه الحياة لا تستطيع أن تكون قويمة ، بل إنها خبيثة ، ولكنها تعمل فى الذات غير الواعية بحيث يرضع الطفل كل اللذة من أثداء العالم

ثم تدرج فرويد فى دراسة الفرد من الطفولة إلى المراهقة إلى الرجولة ، فلاحظ أن حفظ الجنس يدفع الأفراد إلى مجرى طبيعى إذا سارت حياتهم على وتيرة متساوقة . أما إذا اعتورتها حالات خاصة ظهر الشذوذ الخلقى والتناسلى

وقد درس بعض هذا الشذوذ فى حياة مشاهير الرجال فانتهى من دراساته إلى أن الاضطراب النفسى ينتج عامة عن تجارب شخصية تناسلية ، وأن ما نسميه طبيعة ووراثة ليس سوى حوادث جرت فى الأجيال السابقة وأثرت فى الأعصاب . وهكذا وجد أن كل حادث — فى نظر علم تحليل النفس — عامل حاسم فى تكوين النفس ، وقرر أنه يجب بحث ماضى كل فرد للوصول إلى فهم حياته ، وأن العلل النفسية والعصبية فردية لا وجه للشبه بينها وبين أمثالها فى شخص آخر غير المصاب بها

وقد تفرعت عن هذه الأبحاث نظريات عدة فى شذوذ الأخلاق وتفصيله إلى مراتب ودرجات يضيق مجال البحث دون استيعابها

وجملة القول أنه يتضح من مذهب « فرويد » أن كل شهوات النفس الأمارة بالسوء ، ونوازعها التى حاربتها الإنسانية بشتى الأسلحة الأخلاقية والثقافية لا تزال أصيلة فى النفس ، وأننا نحمل فى دمنا غرائز عصور الهمجية الأولى حين لم يكن للقوانين والأخلاق وجود ، وأننا مهما بذلنا من جهد فى سبيل إبعاد الغرائز عن ميدان عمل العقل الواعى ، فإن هذا العقل لا يستطيع أن يتخلص منها تماماً

ولا غرابة إذا كثر نقاد هذه النظرية « المادية المدنية » كما قالوا ، لأنها أقامت الغريزة الجنسية أساساً لسائر نواحى الحياة ، وجعلت اللبيد قوة لا تقهر

يقول « ستيفان زويج » فى كتابه القيم عن « فرويد » وهو الكتاب الذى اعتمدنا عليه فى أكثر فصول هذا البحث : إن « فرويد » لم يقل إن نظريته عامة وإن اللبيد أو الغريزة الجنسية هما العاملان الوحيدان اللذان يحركان الفرد ويمليان عليه أعماله ومآتيه بل إنه قرر أن هناك غرائز أخرى تستولى على الفرد وتعمل فى عقله الباطن مثل غريزة الموت وغريزة الذات ولكنه يؤخذ على « فرويد » أنه لم يسهب فى شرح نظرية الغرائز الأخرى كما فعل فى شرح غريزة اللذة ، فجاءت مبهمة قلقة

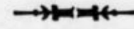
ولا شك أن النقد الذى وجه إلى « فرويد » صحيح من حيث أنه بوأ غريزة اللذة مقاماً أسمى مما يجب وأبرزها كقوة لا تقهر وحط من قدر الدنية والشرائع ومقدرتهما على محاربتها

(للبحث صلة)

صديق شيبوب

ليـــالى الملاح التائه

[أهـدى الشاعر التائه الأستاذ على محمود طه نسخة من ديوانه إلى صديقه الأستاذ فؤاد بليبل فأوحت إليه هذه الهـدية الأبيات التالية]

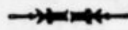


شاعرٌ تاهَ فى بِحارِ خيالِهْ   واهتَدَى كلُّ تائِهٍ بِضَلالِهْ
طافَ بالكونِ ينشدُ الحسنَ فيهِ   ضارِباً فى وِهادِهِ وجِبالِه
كلّما شامَ بارِقاً من جمالٍ   راحَ يَشْدُو بسِحْرِهِ وَدَلاله
يَتَغَنَّى مُصَوِّرًا كلَّ ما يَبْـــدو لِعَيْنَيْهِ أوْ يمرُّ ببَاله
بارعُ الرَّسْمِ بالبليغِ مِنَ اللَّفْـــظِ خَبيرٌ بمَوْضعِ اسْتِعماله
تلكَ أَلْوَاحُ شِعْرِهِ ماثلاتٌ   حافِلاتٌ بالعَذْبِ من أقْوَاله
قَدْ أرَانا بِبَدْرِهِ الصَبَّ لَوْحًا   يَقِفُ المرء حائراً بِحيَاله
قمرٌ عاشقٌ قد اقتَحَمَ الحِصْـــنَ على شَمْسِ مَخْدَعٍ لم تُبَاله
وَتَدَلَّى عَلَى النَّوَافذِ وَلْهَـا   نَ إليها وَلَفَّها بحبَاله
واحْتَوَاها بنُورِهِ وَهْيَ وَسْنَى   يا لبَدْرٍ مُتَيَّمٍ بمِثَاله !
وَهْوَ رَانٍ يغَارُ من قُبَلِ البَدْ   رِ المُعَنَّى عَلَى شِفَاهِ غَزَاله
وَأرَانَا بِهِ وَقَدْ غادَرَ الخِدْ   رَ عَشِيقاً يَبْكِي عَلَى آماله
قَدْ سَبَانَا مِنْ كلِّ فَنٍّ بِسابٍ   مِنْ أغارِيدِهِ وَرِقَّةِ قاله
وَبِمَا عايَنَتْ مِنَ الْحُسْنِ عَيْنَا   هُ وما قَدْ رآهُ فى تجْوَاله
أيْنَ مِنْهُ (فِينِيسيا) الآنَ و(الريـــنُ) وَأَيَّامُ حِـلِّهِ وَارْتحاله ؟
أينَ ذَاكَ (الْجُنْدُولُ) يُرْقِصُهُ المَوْ   جُ فَيَنْسَابُ مُمْعِناً فى اختِياله
بُحَّ صَوْتُ القيثَارِ فِي كفِّ حادِيـــهِ وَطافَ السّاقِي عَلَى آمَاله
مَوْكِبٌ يترُكُ العقولَ حَيَارَى   ليتَ لِي أنْ أرَى سَنَا (كرنفاله)
أيْنَ تِلكَ الآرامُ مِنْ فتيَةِ (الآ   رِ) وَهَلْ حالَ عَهْدُهَا عن حاله؟
شاعِرٌ هامَ بالجمـــالِ فغنَّا   هُ بشعرٍ أيْنَ الطِّلا مِنْ زُلاله ؟
عَبْقَرِيُّ الإيقَاعِ عَذْبُ القوافى   تَتَمَشَّى الحياة في أوْصَاله
مَا ليالِيهِ غيرُ فجرٍ مِنَ الوَحْـ   ـيِ عَلَيْهِ رَفَّتْ بَنَاتُ خَيالِهْ
فاتِكَاتُ اللِّحاظِ مِنْ كلِّ بكرٍ   سَلَّحَ السحرُ جفنَهَا بنِبَالِهْ
خاشِعَاتٌ، مُعْرَبِدَاتٌ، شَوَاجٍ   عَابِثَاتٌ بكلِّ قَلْبٍ وَالِهْ
أينَ (بودليرُ) مِنْ رَقيقِ مَعَانيـــهِ وَإبْدَاعِ نَظْمِهِ وَجَلالِهْ ؟
أعْتَقَ الشِّعْرَ مِنْ عَتيقِ مَحَارِيـــهِ وَمِنْ عِيسه وَمِنْ أطلالِهْ
وَتمشَّى مَعَ الحديثِ جَرِيئاً   لاَ يُبَالِي الرَّجْعِيَّ مِنْ عُذّالِهْ
مُعْجِزَاتٌ مِنَ الْبَيَانِ تجَلَّتْ   فِي قريضٍ يسبى النُّهى بجمالِهْ

(دار الأهرام)   فؤاد بليبل

موعـــد الشروق

[يا حبيبي ! إن الشامة الذهبية التى تلهم الهزار حب الانشاد عند مولد النور قمينة بأن تسعد قلوب العاشقين]



زَقْزَقَ الطَّيْرُ فِي الجَزِيرةِ يُذْكِى   وَقْدَةَ السِّحْرِ فِي القلوبِ الرِّقَاقِ
هُوَ ذَا الصُّبْحُ يا حَبِيبِى تَهَادَى   مَائِسَ النورِ، أبْيَضَ الأطوَاق
حَامَتِ الوُرْقُ حَوْلَ زَهْرِ الرَّوَابِى   تَرْشُفُ الطَّلَّ مِنْ حَشَا الأوْرَاق
وَالنَّسِيمُ الوَئِيدُ يَنفَحُ عِطْرًا   ذَوَّبَتْـهُ السَّمَاء لِلعُشّاق
لَيْتَنِى فِي جناحه خَفَقَاتٌ   سَابِحَاتٌ لِوَجْهِكَ الألأَق
نَشَرَ الصُّبْحُ فِي الفَضَاءِ جنَاحًا   قُرْمُزِيًّا مِنْ مَوْكِبِ الإشْرَاق
فَوْقَ قَلْبٍ مِنَ الغُيُومِ وَضِيء   مُطْفَإِ الماسِ، نَاصِعِ الأطبَاق
وَبُرُوجُ العِقيَانِ مُرْتَجَّةٌ لَمْ   يَعْصِمِ اللهُ شَمْلَهَا بِوِثَاق
فَضَحَ النُّورُ جَبْهَةَ السُّحْبِ فَابْيَضْ (م) تْ أسَارِيرُهَا عَلَى الآفَاق
وَأطَلَّتْ ذُكَاء مِنْ شُرْفَةِ الغَيْـ   ـبِ تُزِيلُ الكَرَى عَنِ الآمَاق
لَيْتَهَا تُوقِظِين يَاشَمْسُ حُبِّى   فَيَبُلَّ الأوَامَ فِي أعْمَاقِى
أشْكِى فِى عَيْنَيْهِ ضَوْءًا رَفِيقاً   ذِكْرِيهِ بِمَوْعِدِى وَاشْتِيَاقِى

عبد الرحمن الخميسى



قصـــة الفيتامين

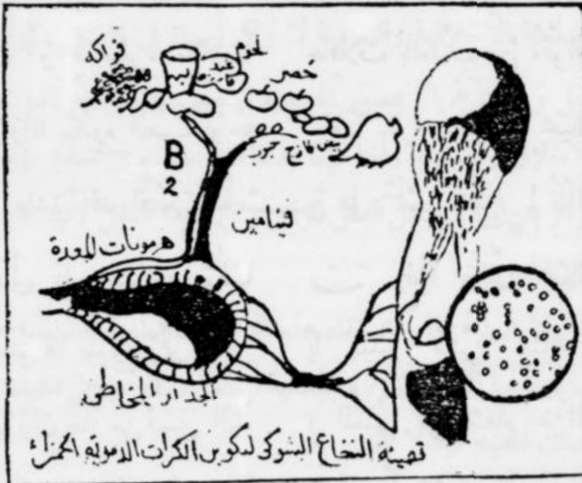
الفيتامين B_2 المانع لمرض البلاجرا

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

— ٦ —

يفشو المرض المعروف بالبلاجرا فى الطبقات الفقيرة فى البلاد التى تقوم فيها الذرة القام الأساسى فى التغذية . وأعراض الإصابة بهذا المرض ظهور قروح وطفح جلدى على الأجزاء والأطراف من الجسم المعرضة للشمس (العارية) وتسميته الإيطالية بالبلاجرا pella agra يقابلها بالعربية الجلد الخشن . ويوجد هـذا المرض كذلك فى أوربا الوسطى والجنوبية وفى بلاد البترول ، ويكثر انتشاره فى شمال إيطاليا وجنوب فرنسا وإسبانيا والبرتغال وفى بلاد البلقان وشمال أفريقية وظهر أخيراً فى الأمريكتين . ويشهد على خطورة الإصابة به أن ١٥٣٥ شخصاً ماتوا بالبلاجرا فى سنة ١٩١٥ بأمريكا الشمالية فى ولاية مسيسبى . وفى السنوات الأخيرة أصيب به فى أمريكا الشمالية ما يقرب من نصف مليون من السكان مات منهم ما يزيد على خمسين ألفاً . وتبدأ الإصابة به غالباً فى فصل الربيع بأعراض مرضية عامة يتبعها اضطراب جلدى فوق الأعضاء الجسمية العارية . فعلى الوجه والرقبة واليدين يظهر على شكل طفح دميم قد يكسو اليدين تماماً كما يكسوها القفاز . ويصحب هذا آلام حادة فى الرأس والأطراف والظهر وضعف عام وخمول ثم اختلال فى الجهاز الهضمى يعقبه اضطراب عصبى يكون نذيراً بالاضمحلال الجسمانى والهلاك . وقد يقدر الجسم عند الإصابة على المقاومة ردحاً طويلاً من الزمن يمتد إلى عشر أو خمس عشرة سنة ، كما أنه قد لا يقاوم أكثر من أسابيع قليلة يضنى ويهلك بعدها سريعاً

ولقد كثرت الأقاويل قديماً حول أسباب البلاجرا . فكما اعتُقِد خطأً زمناً طويلاً عزو مرض البرى برى إلى العدوى عن طريق مُسببات دقيقة حية ـ ظُنّ ثانياً بالبلاجرا . بيد أنه ظهر بعدئذ ما ينقض هذا الزعم الخاطئ . إذ كيف لا ينتقل المرض وتقع العدوى مثلاً من الرضع المريضة بالبلاجرا إلى رضيعها . زدْ حقيقة ثابتة أخرى وهى انتشار مرض البلاجرا فى الأوساط الفقيرة فقط فى البلدان التى تعتمد فى غذائها على الذرة اعتماداً كلياً فاستنتج من هذا ارتباط مرض البرى برى بالتغذية . وذهب بعض الباحثين فى استنتاجهم إلى وجود مواد سامة فى حبوب الذرة التى تكون قد أصابها الفساد والعطب من جراء التخزين . واكتسب هذا الاستنتاج بعض الأهمية والسند من الحالة الاقتصادية الرديئة التى عليها الطبقات الزارعة الفقيرة التى ترغمها هذه الحالة إلى حصاد الذرة مبكرة قبل تمام نضجها ثم تخزينها رطبة تخزيناً غير صالح يضر الحبوب ويفسدها



العمل المزدوج بين الفيتامين B_2 وهرمونات جدار المعدة المخاطى

ومما قوى الزعم فى اتصال البلاجرا بالذرة أنه فى مدينة ترنتينو بإيطاليا حيث تنتشر البلاجرا ، أخذت الإصابة فى نقص تدريجى أثناء حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ بسبب هبوط عام فى محصول الذرة؛ مما اضطر القوم إلى الاتجاه لأنواع أخرى من الغذاء غير الذرة ولكن الحقيقة التى لا جدال فيها ، والتى يؤيدها العلم الحديث — كما ثبت كذلك فى حالة البرى برى — هى أن مرض البلاجرا لا يرجع إلى وجود مادة ما فى الذرة ، ولكن يرجع إلى شىء ينقصها ولا يوجد فيها، وينشأ عند غيابه ظهور أعراض البلاجرا. وتعليلاً لهذه الصلة الوثيقة التى تربط مرض البلاجرا كنتيجة للتغذية بالذرة ، نجد الذرة نفسها لا تحتوى على كميات ملحوظة من الفيتامين B_2 زد على ذلك افتقارها إلى المواد الزلالية . عاملان

أو مادتان لا بد عند نقصهما فى الغذاء العام من رضوخ الجسم إلى تجارب واضطرابات غذائية قاسية ، ولكنه يجب ، مع ذلك أن تظهر البلاجرا فى حالة أية تغذية أخرى لا تحتوى على الفيتامين B_2 ولا تدخلها الذرة بتاتاً ، وهذا ما حصل وشوهد أخيراً فى المناطق الصناعية الأوربية التى يسودها عدم كمال التغذية ووفرتها، فنى بعض البلاد السويسرية وفى برلين وفينا وبرسلاو وهامبورج أصيب بعض ساكنيها بالبلاجرا ، ولو لم يقربوا الذرة بتاتاً إلى ما كلهم وأفواههم

ومما دعم القول بأن مرض البلاجرا هو نتيجة لنقص الفيتامين B_2 وبدون سابق أية تغذية بالذرة — النتائج الأكيدة التى حصل عليها عند إجراء تجارب غذائية على القردة والكلاب والفيران ، فهذه أصيبت بأعراض مرضية شديدة الشبه بأعراض البلاجرا لدى الإنسان وذلك بإطعامها غذاء نزع منه الفيتامين B_2 كلية . ولقد توصل العلم إلى الكشف عن الفيتامين B_2 إلى درجة مرضية كما أمكن تحضير بلورات صغيرة منه من الخميرة . وهو فيتامين يقاوم الحرارة ويذوب فى الماء ويتأثر بالأشعة فوق البنفسجية ، وفى حالته النقية الدقيقة يمثل مادة ملونة صفراء تشبه المادة المعروفة باللاكتوفلافين Lactoflavin التى تحضر من اللبن (لبن Lac, Lat) أصفر Flavus ولقد حضر هذا الفيتامين على هيئة بلورات فى مجمع القيصر ولهم الطبى فى مدينة هايدلبرج فى ألمانيا باستخدام خمسين ألف لتر من اللبن . وكانت كميات ضئيلة من بلوراته لا تزيد على ثلاثة أجزاء من المليون من الجرام كافية لانتظام واطراد النمو فى الفيران ، ولكن حدث بعد أن انتزعت المادة الملونة الصفراء منه أن قل ووقف تأثيره فى اطراد نمو الفيران ، وبهذا أخذ قديماً فى تسمية الفيتامين B_2 بفيتامين النمو، ولكن نسخت هذه التسمية فيما بعد عند ما ثبت أن كل نقص فى أى فيتامين يكون مدعاة لتأخير النمو الجسمانى العام

والمهام الملقاة على عاتقه عديدة وذات أهمية كبيرة . فبتعاون هذه المادة الملونة الصفراء مع مركبات عضوية أخرى عويصة هى الأنزيمات تكسبه تأثيراً ومفعولاً فى دورة الأكسيجين عند عملية الاحتراق فى الخلية أى فى التنفس الخلوى وكذلك فى حالة تحليل الكربوهيدرات التى يساهم فيها بقسط وافر . ويلعب الفيتامين B_2 كذلك دوراً هاماً فى تكوين الكرات الدموية الحمراء، تساعده فى إتمام هذه العملية مواد يفرزها الجسم هى الهرمونات الموجودة فى العصير المعدى التى تساهم بدورها فى تكوين الدم ، ولذا يعزى فقر الدم أو عدم القدرة على تكوين كرات حمراء جديدة لسببين أولهما نقص الفيتامين B_2 والثانى غياب الهرمونات فى العصير المعدى . ويأخذ العلم الحديث اليوم بأن فقر الدم البسيط يرجع إلى عدم وجود الفيتامين B_2 فى حين أن الأنيميا الخبيثة أى الضعف الدموى الحاد الذى كان يعتبر إلى زمن غير بعيد من الأمور المستعصية للعلاج ، ترجع إلى غياب الهرمونات المكونة للدم عن العصير المعدى ، وكم أفادت هذه المعلومات الحديثة الطب العلاجى فائدة جليلة الشأن

ولقد كشف لنا ظهور الفيتامين B_2 فى هذا الميدان عن تأثيرات متداخلة جليلة الشأن والأثر لقوى عاملة . مادتان مؤثرتان يفرزهما الجسم تستأثران بمهام حيوية خطيرة لا تقومان بواجبهما على الوجه الأكمل حتى تظهر دعامة ثالثة لهما تكسبان بظهورها وحلولها قوة ذات حول وطول كما تكسب المواد القابلة للاشتعال زيادة قوة على الاشتعال بحلول الأكسيجين مثلاً ولا يقدر الجسم وحده على تكوين هذه القوة الثالثة حتى مع ضآلة جرمها وصغر الكمية التى يحتاج إليها ، ولا بد له من الحصول عليها إما من النبات والخضروات أو من لحم الحيوانات الآكلة للخضر والعشب وذلك فى صورة مادة ملونة صفراء مُشِعَّة . فإذا تم الحصول على هذه القوة الثالثة اتحدت هذه الأخيرة مع الأخرى الموجودة فى بطن الإنسان ، تارة للمساهمة فى عملية الاحتراق والتنفس الخلوى وتارة أخرى تتعاونان معا على تنبيه النخاع الشوكى ودفعه إلى تكوين الكرات الحمراء الوسيطة فى تبادل الغاز

وقد قامت الطبيعة بتخزين كميات وفيرة من هذه المادة الحيوية التى بدونها لا تقوى الخلية الحيوانية على القيام بعملها . وكما سبق القول بأن الفيتامين المضاد للبلاجرا يوجد غالباً بصحبة الفيتامين B_1 المضاد للبرى برى ؛ فالمصادر الرئيسية التى يوجدان بها هى : الخميرة ، واللحم الطازج ، والكبد ، والأعضاء الفارزة الأخرى ، والحبوب ، وفى كثير من الخضر والفواكه ، وفى اللبن وفى زلال البيض . ويكونان فى أغلب الأحايين بنسب متساوية، مع ملاحظة أرجحية وجود الفيتامين B_1 فى الخضر والحبوب ومنتجاتها ، وأغلبية وجود الفيتامين B_2 فى المواد اللحمية (اللحوم) ؛ ومن الصعب جداً فصل تأثيرهما مع ضرورة وجودهما لحفظ الإنسان ، وتبعاً لتلازمهما فقد صح حصرهما تحت التسمية الجامعة فيتامين B

(يتبع) عبد اللطيف حسين الشامى



ديوان الطيران

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

يقول الشاعر العربي القديم في وصف الناقة :

فلو إنما تمشي على الأرض أدركت ولكنما تهفو بتمثال طائر

وإني لأتمثل بهذا البيت كلما أطلقت صفارة الإنذار بالأسكندرية وشاهدت إحدى الطائرات المغيرة ، وإني لأحس أن البيت كأنما قيل لينشد اليوم في مثل هذه المناسبة ؛ ولقد أتمنى أن أطير لألحق بتلك التي لا يمكن إدراكها لأنها لا تمشي على الأرض ، فأتمثل بقول الشاعر العربي القديم :

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلي إلى من (لا أحب) أطير

***

أستشهد بهذين البيتين بمناسبة كتاب أقرؤه الآن عنوانه « ديوان الطيران » جمعته الكاتبة الإنكليزية ستيلا واف موري ووضع مقدمته السير صمويل هور وزير الطيران البريطاني الآن ، والذي كان وزيراً للطيران أيضاً في سنة ١٩٢٥ ، وهي السنة التي طبع فيها هذا الديوان

والكتاب يختلف عن غيره من كتب أدب الحرب في الجزء الأول منه على الأقل لأنه مقسم إلى ثلاثة أجزاء أولها لم يوضع في زمن الحرب ولا بمناسبة الحرب وإنما جمع من الشعر القديم (ليدل على أن الطيران كان أمنية من أماني النفس الإنسانية أحسها الشعراء قبل الأوان الذي يمكن فيه تحقيقها فأعربوا عنها) وغرض الكاتبة من جمعه التنويه بفضل الفنون التي يرى أصحابها بأعين الخيال ما لا يستطيع الكافة أن يروه إلا بعد تجسيده حين تتحول الفكرة إلى عمل

ويشير السير صمويل هور في المقدمة إلى قصة حبشية قديمة تشبه قصة بساط سليمان المعروفة ولكن القصة الحبشية تذكر سفينة سليمان الطائرة في الموضع الذي نذكر فيه نحن كلمة بساط ، كما يشير إلى أجزاء من شعر هوميروس فيها وصف لسباق في الجو بين مركبات تقصف مثل قصف الرعد . ويشير أيضاً إلى خيول مجنحة ذكرت في أدب أهل الشمال في عصوره الأولى ، وإلى البساط المسحور في الآداب الشرقية ؛ ويعد السير صمويل هور كل ذلك نبوءات بالطيران

وفي هذا الجزء شعر كثير للمتقدمين لم يقصد به أن يكون من شعر الحرب ولكنه صار من شعرها لما أفادته المناسبة معنى جديداً - مثله في ذلك كمثل البيت الذي بدأت به هذه الكلمة .

أذكر هذا بمناسبة المقال الممتع الذي دبجته يراعة العقاد في صدر العدد الأخير من الرسالة والذي تحدث فيه عن نوعين من شعر الحرب نوع يكتب بعدها ليؤرخها وهو شعر الملاحم ، ونوع يكتب في عهدها ليصفها

ولكن هذا النوع الثالث الذي لم يشر إليه العقاد لندرته هو الذي كتب قبل الحروب ولم يقصد به إلى وصف معنى من معانيها ولكنه تضمن من الشاعر أو الأخيلة ما أسفرت الحرب عن خروجه من حيز المعاني التي يراها الشعراء إلى عالم الحس الذي يراه الجميع

ولعلي أستطيع ترجمة بعض هذه المختارات فهي من غير النوع الذي ينشأ مع الحرب ويموت معها .

(الأسكندرية) عبد اللطيف النشار

الحرب والشعر العربي

كتب الكاتب الكبير الأستاذ العقاد بالعدد الماضي من الرسالة في (الحرب والشعر) يقول بأن الحروب والثورات تشحذ ملكات الخطابة ولا تشحذ ملكات الشعر ، بل تلجئها أحياناً إلى الصمت والركود ، وفند القول بأن الملاحم الكبرى التي نظمت عن حروب الأمم البائدة تستدعي النظم وتلقح فراغ الشعراء إلى أن قال : « إلا أن النفوس لا تخلو من الشعر في إبان المامع والمذابح البشرية ، فهي لا تميته ولا تحجر عليه ، ولا تمنع الأذهان فينة بعد فينة أن تنصرف إليه ، وكل ما هنالك أنها ليست باللقاح الجيد لقرائح الشعراء » وعرض بعض ما قاله شعراء الغرب من الشعر القليل في الحرب الماضية والحرب الحاضرة

ساق الأستاذ الكبير كل ذلك ببيانه الرائع ومنطقه السديد . وكتابة الأستاذ العقاد تبعث على التأمل والنقاش . فلما رأيته يسير

فى بحثه على ضوء الشعر الغربى والحوادث الغربية فيرى الحروب لا تشحذ ملكة الشعر – جعلت أستفىء بالشعر العربى والحروب العربية فرأيت الحرب كانت لدى العرب من أفعل مثيرات الشعر كما يقولون : الشعر يوحيه الحب والحرب والموت

لقد هاجت الحروب شعراء العرب فقالوا فى التحريض على القتال ، ووصف المامع ، والصبر والإقدام فيها ، والجبن والفرار ، والنوح على القتلى ، والتغنى بالانتصار ؛ ووصفوا الخيل والسلاح ، وأكثروا فى كل ذلك وأتوا بالعجيب

وإننا لو نظرنا فيما بين أيدينا من شعر العصر الجاهلى لوجدنا نحو نصفه مقولاً فى الحروب وما يتعلق بها ، وكان كثير من الشعراء يستوحون الحرب أكثر ما ينشدون مثل عنترة الفوارس وعمرو بن معد يكرب

وقد اختار أبو تمام مجموعة من شعر العرب فكان نصيب الحروب منها أكثر من الثلث ، على تنوع الأغراض الأخرى ، وسماها (الحماسة) تغليباً للشعر الحماسى

وقد اطرد قول الشعراء فى الحروب ، فى العصور الإسلامية المختلفة ، فكان الشعراء يصفون المعارك الحربية فى صدد مديحهم للخلفاء والأمراء ويشيدون بشجاعتهم وبلائهم فيها . وقد صحب الثورات والانقلابات فى الدول الإسلامية قيام كثير من الشعراء مناصرين ومعارضين ، وهذا ابن هانئ الأندلسى – مثلاً – يجد متصفح ديوانه أغلب قصائده فى مدح الفاطميين ووصف حروبهم وشجاعتهم .

وقد كان من كل ذلك نتاج شعرى عظيم تزخر به كتب الأدب العربى

ومن أحسن ما قيل فى وصف الحروب قولُ عمرو ابن معد يكرب :

الحرب أول ما تكون فتية		تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها		عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت		مكروهة للشم والتقبيل

ألا ليت شعرى ، ألم يشعر جبابرة الحرب الحاضرة الذين يحيلون خيرات العالم إلى حمم – أن الحرب قد صارت عجوزاً شمطاء لا تطاق عشرتها ... ؟

وللأستاذ العقاد تحيتى وإكبارى		عباس حسان خضر

وفاة الأستاذ فخرى أبو السعود

تنعى الرسالة إلى قرائها أديباً من صفوة أدباء الشباب هو الأستاذ فخرى أبو السعود الشاعر الكاتب والمترجم المعلم

برم – رحمه الله – بالحياة فى ساعة من ساعات الضيق الكاربة فأطلق على رأسه المسدس وهو جالس على كرسيه الطويل فى حديقة داره برمل الإسكندرية ، وقد كان يعيش وحده فى المدة الأخيرة لأن الحرب فصلت بينه وبين زوجته الإنجليزية وولده الوحيد . وقد شاء القدر القاسى أن يغرق ولده مع السفينة التى كانت تحمل الأطفال الإنجليز إلى كندا وأن تنقطع عنه أخبار زوجه . ولعل فى هذه الحادثة الأليمة تفسيراً للدوافع الخفية التى دفعت هذا الشاب القوى الفتى إلى الانتحار وهو فى سن الثلاثين . رحمه الله رحمة واسعة وعوض مصر عن أدبه وشبابه خير العوض .

الديوان التائه بالبريد

أهدى الأستاذ الشاعر على محمود طه نسخة من ديوانه إلى صديقه الأستاذ محمود غنيم فتاهت فى البريد، ولما علم صاحب الديوان بذلك بعث إليه بأخرى فكان مصيرها كأختها فكتب إليه الأستاذ غنيم يقول :

بَعَثْتَ بِعِلاَّكَ التائهِ		وطَوَّقْتَ جيدى بإهدائهِ
ولكنَّه تاهَ فى ظلمات المحيطِ		وَضَلَّ بأحشائه
ألاَ ما لشعركَ فى البحرِ تاهَ		وشعرُك أعمقُ من مائه ؟
كأنى به ضَلَّ بين اللآلى		فلألاؤها مثلُ لألائه
له الله كيف اهتدى للجميع		وأخطأ أشوقَ قرائه ؟
ترى هل ألحَّ عليه الحياهُ		فأعرضَ خشيةَ إطرائه ؟
لعمرك ما تاهَ تِيهَ الضلالِ !		متى ضَلَّ نجمٌ بعليائه ؟
ولكنَّهُ تاهَ تِيهَ الدلالِ		وتاهَ الجمال بإغرائه .

(مدرسة فؤاد الأول الثانوية)		محمود غنيم

تفسير بيتين

طلب الأديب «ع . ا . سعد» إلى الأستاذ ناجى الطنطاوى أن يفسر له البيتين :

«بذكر الله تزداد الذنوب		وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه «حالاً»		فإن الشمس ليس لها غروب»

وقد مضى على طلب الأديب السودانى أسابيع ولم يستجب الأستاذ له، فكان لزاماً علىّ أن أتقدم لشرح معناها :

الشاعر يقول : بذكر الله تزداد الذنوب الخ . ويعنى بذلك أن ذكر الله يوسع أفق المعرفة ويظهر عظمة الله وسطوته وفضله على أتم ما تكون، فيرى المرء ما كان بعده هيناً حقيراً من الذنوب حدثاً جللاً وأمراً عظيما ... وهذا يطرد مع قاعدتهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين ... ثم أراد أن يعرج فى الشطر الأخير على الذين يذكرون الله بألسنتهم، تاركين قلوبهم مغلقة وبصائرهم مطموسة ...

وفى البيت الثانى أراد الشاعر أن يشير إلى صفة معروفة عند الصوفية تسمى (الحال) . قال الدكتور زكى فى (التصوف) نقلاً عن (ابن عربى فى اصطلاحاته)

الحال : هو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب ا ه

فهو يقول :

إن المرء إذا ترك الذكر المجتلب والحديث المصطنع عن الذات العلية، وأمعن فى الهيام الحقيقى، والحب الربانى، كان ذلك خيراً له وأجدى عليه . (فإن الحال إذا تمكنت لم تفترق الروحان ص ٢٣٢ — التصوف)

ثم جاء الشطر الأخير تذييلاً لما قبله فقال : إن الشمس ليس لها غروب . وكذلك ذات الله تعالى لا تغيب ولا تحتجب ولا تفنى ولا تحول، فلماذا إذن نذكرها ؟ الواجب علينا أن نعبدها حق العبادة، ونقدسها كل التقديس

وأدباء الصوفية هاموا باللغز والرمز . وما قول القائل : « معبودكم تحت قدمى » إلا من نوع « ما فى الجبة غير الله » . وهم يشيرون بمثل هذه الكلمات إلى مذهبهم فى الحلول، وهو مذهب تحدث عنه المبارك فى الصفحات ١٨٠ إلى الصفحات ٢١٠ وهو يتلخص فى أن الله روح، والعالم جسمه

السعيد جمعة

تاريخ الإنسانية العاشقة

جاء فى مقال الأستاذ على الطنطاوى « القبر التائه » للفقرة « أما تاريخ الإنسانية العاشقة فإنهم « الناس » يزدرونه ويترفعون عن حفظه ويرون من الخطر على الأخلاق أن يدرس فى المدارس — وكذلك أرى أنا — »

من ذلك عرفنا أن الأستاذ يتفق رأيه مع الناس فى خطر دراسة تاريخ الإنسانية العاشقة على الأخلاق، غير أن الأستاذ عاد وقال : « ولنتخذ منه (الحب) سلاحاً نحارب به الفسوق والدعارة والغلظة والوحشية ولنستكمل به إنسانيتنا »

فالأستاذ بقوله هـذا يدعو إلى إصلاح الأخلاق واستكمال الإنسانية عن طريق الحب . فكيف يدعونا إلى هذا وقد رأى معنا أن فى مجرد دراسة تاريخ الإنسانية العاشقة خطراً على الأخلاق ؟ وكيف تكون أخلاقنا لو سلكنا هذا الطريق ؟

هذا ما نسأل الأستاذ عنه وإنا فى انتظار ما به يجيب وله منى أعظم شكر وأطيب تحية

عبد العظيم حسن زيد

فى فلم دنانير

ابتدأ عرض (فلم دنانير) فى سينما ستديو مصر، وانتقلت بنا الشاشة البيضاء إلى بغداد وإلى عصر الرشيد، فرأينا بيئة عربية وسمعنا حواراً عربياً، وغنت أم كلثوم (دنانير) فى أول الأمر غناء عربياً، وكان كل ما نرى ونسمع عربياً صريحاً، ثم إذا بنا نسمع دنانير تغنى أمام الرشيد ووزيره جعفر باللهجة العامية الخالصة :

هلالك هـل لعنينا فرحنـا له وغنينا
وقلنا السـعد حيجينا على قدومك يا ليلة العيد

فيتبدد الخيال المحبوب وتصدمنا الحقيقة الواقعة، وهى أن أغانى الرواية الواقعة حوادثها فى عصر الرشيد، وذات الحوار العربى — معظمها عامى ... ولعمرى لقد أبدعت أم كلثوم فى القصائد العربية التى غنتها أيما إبداع، فما الداعى لأن يتردد هذا الصوت الحنون فى جنبات قصر جعفر بعاميتنا الحاضرة، فنسمع أمثال :

بكره السفر وبروق بالنا وافرح بقربك وأتهنى

أم كلثوم تغنى فى عصرنا هذا كلاماً عربياً فصيحاً، أفلا تغنى

للرشيد غناء عربياً ؟ وكيف يكون حوار القصة بلغة والغناء بلغة أخرى ؟

وشيء آخر يجب التنبيه إليه في هذا الفلم وهو أن المعروف في العصور الإسلامية ـ أن الجوارى مغنيات وغير مغنيات ـ كن رقيقات يأسرهن المسلمون في حروبهم مع الأعداء. ولكن دنانير فتاة عربية من قلب البادية وليست أخيذة حرب، فكيف تعيش في قصر جعفر وتعاشره ـ على حبها ـ كجارية من جواريه ... ؟ ثم كيف يطلب الرشيد ضمها إلى جواريه وهى تلك العربية الحرة ... ؟

ع . ح . خ

رأيان يتناقضان

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

تحيتى وإجلالى وبعد فقد قرأت بعدد « الرسالة » ٣٨١ مقالاً بعنوان « ٤٥٠٠ ثانية في صحبة أم كلثوم » للدكتور زكى مبارك .

ولكنى عدت من جولتى مع الدكتور أتراوح بين الشك واليقين في روح أم كلثوم التى وعدنا الدكتور أن يتحفه بصورة وصفية .

فهو يقول في افتتاحية مقاله « مع العرفان بأنى لم أقل غير الحق في ذلك الروح اللطيف » ثم يقول في ختاميته « فأين من يحول هذه الفتاة إلى روح لطيف يشيع في المجتمع معانى الأنس والانشراح ؟ »

فكيف يجوز لرجل أن يطلب خفة الروح لروح خفيف ؟ اللهم إلا إذا طلب لذلك الروح المزيد من تلك الخفة .

يا دكتور هل أخذتك فتنة من إحدى (ذوات الخد الأسيل والطرف الغضيض) فاضطربت في مخيلتك الأفكار ؟ ورحت تأخذ وتعطى من صفاتها ؟

أم كانت خفيفة الروح حين أرضتك ، عديمة الخفة حين أغضبتك ؟

لعل الفلم لم يتد في هذه المرة ، ولعل مدير المطبعة لم يصل مقالاً بمقال ، ولعلنى لا أهاجم من دكتورنا بامتحان ذى عشرة أسئلة . . .

وإليك تحية أحد أبناء الجيل الجديد

(المحلة الكبرى) حلمى ابراهيم النبوى



التطوع للعـــذاب

للأستاذ نجيب محفوظ

انتهى الأستاذ حسان جلال — وهو محام تحت التمرين — من كتابة المذكرة القضائية — التي شرع بنشئها منذ الصباح الباكر — فى تمام الساعة الثانية عشرة. وكان الجهد قد نال منه كل منال فاستند إلى ظهر كرسيه فى إعياء ونصب. ومدّ يده إلى فنجال قهوة وارتشفه وهو ينظر إلى الأمام بعينين يوشك أن يلتقى جفناهما. ودخل الخادم عند ذاك فأقبل على سيده وبصّره بخطاب كان تركه على المكتب قبل ساعة والشاب مستغرق فى عمله. فألقى عليه نظرة فاترة، وتناوله بغير اكتراث، ولكنه حين وقع بصره على الخط المكتوب به العنوان حدثت فى وجدانه صدمة عنيفة مباغتة أرهفت حواسه وأثارت انفعاله وأقلقت باله، فالتمعت عيناه بنور خاطف وبدا شخصاً جديداً. عرف الخط من أول نظرة فتأمله بدهشة وكأنما ينظر إلى وجه كاتبه فى ضوء النهار، فلم ير خطاً ولكن رأى وجهاً مستديراً كالبدر، خمرى اللون، تدل قسماته الدقيقة على الأناقة والملاحة. وغشيه الانفعال ساعة لا يدرى من أمره شيئاً. ثم جذبه الخطاب من العالم الداخلى النارق فيه، ولكنه لم يطع لأول وهلة الدواعى الدفينة التى تهتف به أن يفض الغلاف، وأبقاه على يده وجعل يديم النظر إليه فى شغف ولذة وارتباك وخوف. وقد فرح به وحزن، ورضي عنه وغضب. وتساءل فى حيرة أيصح أن يطلع على ما فيه أم الأولى له أن يطرحه فى سلة المهملات؟... على أنه كان يتساءل ويداه تفضان الغلاف بسرعة وتبسطان الخطاب. وما لبث أن قرأ مطلع الكتاب، وهو «عزيزى حسان» فلم يستطع أن يستمر فى القراءة واستولت عليه خواطر وشجون، وأحس بخيبة لم يهون من شأنها أنه كان يتوقعها. كانت إذا كتبت إليه فيما مضى تبدأ خطابها فتقول: «حبيبى حسان» أما اليوم فإنها تتجنب هذه الكلمة الساحرة، ولعله دار بخاطرها ما يدور بخاطره الآن حين همت بالكتابة إليه فليس إبدال حبيبى بعزيزى بالشىء الهين، وإنما هو حدث من الاحداث وفجيعة من الفواجع. رباه... لماذا تراسله وتجذب أفكاره إلى واديها فتنكأ جرحاً فى فؤاده أوشك أن يلتئم وتثير بركاناً كاد يخمد بين جوانحه؟ وتنهد من أعماق صدره وكر بعينيه الحالمتين إلى صفحة الخطاب، وألقى عليها نظرة عامة، فأدرك إيجازها (التلغرافى) وأحس لذلك بكآبة خفية وانقباض صدر، وكأنه كان يرجو لو أنها أطالت وأسهبت. ثم قرأ ما يلى: «راودت نفسى مراراً على الكتابة إليك فكانت تتمتع وتتأبى حتى كدت أسلم لليأس بعد أن تقادم الفراق، وبعد أن نالنى من تغاضبك ما نالنى، لولا سؤال حيرنى إدراكه فرأيت أن ألقيه عليك عسى أن يكون لديك الجواب عليه. إنى أسأل لماذا هذا الجفاء؟ ولماذا هذا الهجران؟ هل دعت إليهما دواع معقولة؟... فإنى أخشى أن يظل كلانا يتعذب لغير سبب...»

ورفع رأسه عن الخطاب وقد ثقل تنفسه ويبس حلقه. وحملق إلى لا شىء بعينين مظلمتين. ياله من سؤال! أليس يحق لها أن تسأل كما يحق له أن يسأل: لماذا هذا الجفاء؟... لماذا يتباعدان؟ لماذا يعانيان الألم والعذاب فى صمت وعناد قرابة عام طويل ثقيل؟ أواه! كم كان يحبها وكم كانت تحبه! وإن آى ذاك الحب لتبدو لعينيه خلل الذكريات كما تبدو المشاهد النارقة فى الظلماء على ضوء المنفسيوم فإنه ليذكر إخلاصها ومودتها وشدة وفائها، وكأنه كان يرى تألق عينيها حين تراه، أو يسمع تنهدها لدى قربه وعطفه. كانا يعيشان فى غمرة الحب ذاهلين عن كل شىء سوى آمالها الناضرة، ومع ذلك قضى أن يتباعدا ويتفارقا ويذوقا مرارة الهجران وألم الجفاء؛ وكان هو البادئ ولعله كان الظالم. وعلى أى حال فقد استسلم للأوهام فلم تجد هى سبيلاً إلا أن تلوذ بالصمت والصبر. لماذا هذا كله؟... على أنه كان فى تساؤله متجاهلاً متباهلاً. وكان بذلك عليما. فذكريات الأمس من القوة والعمق بحيث لا يمحوها اليوم ولا الغد. وقد دعت أشجانه إلى ذاكرته صورة أخرى عزيزة حبيبة طالما سكنت قلبه محوطة

بالعطف والإجلال حتى انتزعها القبر بقساوة ولم يترك له منها إلا طيفاً رقيقاً يجفل من ضوء النهار ومشاغل الدنيا ويتسلل فى رفق إلى الذاكرة فى فترات الأحلام والحنين . جاءته بوجهها الذابل المكلل بالمشيب ونظرة عينيها الحنونة ، فتنهد حزيناً كئيباً وتمتم قائلاً : « أماه » ... نعم هى أمه العزيزة التى قضى حبه إياها على سعادته وآماله ، وفرق بينه وبين حبيبته ، وترك كلا لوحدته وآلامه ...

وارتدت عيناه إلى صفحة الخطاب تقلقان بين أسطرها التى اقتضبها الحياء ؛ واختزلها الحذر والكبرياء ، فلم يجد سوى هذه الكلمات : « سأنتظرك أصيل اليوم فى مكاننا المعهود بالحديقة الأندلسية ؛ فإن أنت أتيت لكى نصفى الحساب — أى حساب يا ترى ؟ — رحبت بك ؛ وإن أنت أصررت على الجفاء فسيكون هذا آخر ما بيننا إلى الأبد »

ويلى ذلك الإمضاء المحبوب : حسان . ج . وكان أول مافاه به بعد تلاوة هذه الكلمات أن قال باضطراب : « أصيل اليوم فى مكاننا المعهود » وأحس بدنو الموعد فاهتاج شعوره واضطرم صدره ، ثم استقر بصره على هذه العبارة : « فسيكون هذا آخر ما بيننا إلى الأبد . فجفل منها وذعر ، وانقبض صدره ؛ ألم يجعل فراق سنة هذه العبارة حقيقة واقعة ! ؟ أولم يكن يظن أنه نفض منها يديه إلى الأبد ! ؟ ... بلى ، ولكن ذاك الخطاب رده إلى ماضيه بسرعة ، فانبعثت فيه حرارة كما تنبعث الكهرباء فى المصباح بعد سريان التيار إليه . وضاق عند ذاك بمقعده وبالمكان ، فاعتزم مغادرة المكتب الذى يتمرن فيه وطوى الخطاب وارتدى طربوشه ومشى إلى الخارج . وفى الطريق ارتد خياله إلى الماضى يتعقب حوادث الأمس المنطوى ... لا يدرى بالضبط متى تعرف بإحسان وإن كان يشعر أنها تملأ ماضيه جميعاً ، ذلك أنه لم يعتد مطلقاً عادة كتابة المذكرات ، فسجلت ذاكرته الحادثات بنسبة تأثرها بها لا على حقيقة وقوعها ، ولكنه يذكر بغير ريب أنه فى صيف العام الماضى سكنت أسرة إحسان فى عمارة رقم ١٠ بشارع البستان بالسكاكينى ، وأنه تعرف بالفتاة قبل أن يمضى شهر على نزولها بالحى الجديد . وقد جعلت المقادير حجرة نومها تجاه حجرة نومه ، فهيأت لكل منهما الفرص لتذوق صاحبه وتقدير مزاياه . وجذبته بادئ الأمر ملاحتها وأناقة قسماتها ، فانجذب إليها ينشد الحب واللهو والعبث ، وما يدرى إلا وقد بهره ذكاؤها ورقة روحها وأنوثتها الناضجة ، فأحبها الحب الصادق ، وتعاهدا مخلصين أن يكون لها وأن تكون له ما امتد بهما العمر . وشاركا المحبين حياتهم الهنيئة التى تطرد فى هدوء بين المناجاة واللقاءات والوعود والآمال كأنها جدول صاف يشق حقلاً من بدائع الورود والرياحين إلى أن كان يوم عادت أمه فيه من إحدى الزيارات تكيل الذم لفتاة التقت بها لأول مرة فى بيت جارتها . فدفعه حب الاستطلاع إلى السؤال والتحرى فإذا بالفتاة فتاته دون غيرها ، وإذا بأسباب غضب أمه عليها أنه دار حديث بين السيدات عن أعمارهن . ولما سئلت أمه عن سنها قالت : « كنت ابنة عشرين أيام الحرب » وكانت تعنى الحرب الكبرى . ولكن إحسان تساءلت بخبث تعقب على قول السيدة — وهى تجهل أنها أم حبيبها — : « حرب عرابى يا تيزة » وضحك السيدات طويلاً وضحكت إحسان كذلك ولم تكن قالت ما قالت إلا بدافع الميل إلى الفكاهة ، ولكن أمه لم تحتمل هذر الفتاة ، وأحست بطعنة أليمة نغصت عليها صفوها

واستمع حسان إلى قصة والدته باستياء وغيظ وأسف وكان ينوى قبيل ذلك أن يعلن خطبته فاضطر إلى التريث مغلوباً على أمره ، وعهد بإسكات ذاك الغضب إلى الزمن ، ولما ظن أن ما كان من الأمر قد نسى وعفا أثره تقدم إلى والدته يحادثها فى أعز أمانى قلبه ، ولكنه وجد منها ازوراراً وإباء ، وكبر عليها جداً أن تستأثر بابنها غداً التي أهانتها بالأمس ، فرفضت الإصغاء إليه وأصرت على أن مثل تلك الفتاة غير جديرة به ولا كفء له وذهبت كل محاولاته وتوسلاته لاسترضائها أدراج الرياح ، وعجب حسان لغضب أمه أكان حقاً لتلك الدعابة المرة ، أم لإشفاقها من احتمال تحول قلب ابنها الوحيد عنها إلى امرأة أخرى ؟ أم كان لهذين معاً ؟ ... ومهما يكن من الأمر فقد أسقط فى يده وتوزع قلبه ألماً وحزناً بين أمه وحبيبته ، وكابد فترة من الحياة مليئة بالقلق والعذاب ، موزعة بين الألم والضجر واليأس والحنق . ثم أعلن ما كان سراً وافتضح ما كان خافياً ، فصار عداوة صريحة بين أمه وخطيبته تحدثت بها ألسنة الحى جميعاً . وإنها لعلى شدتها وقوتها إذ أحست أمه بالمرض فجأة فلزمت الفراش ثلاثة أيام ثم انتقلت إلى جوار ربها فى اليوم الرابع ، ووقع عليه الخبر بعنف وشدة ؛ ففزع وهلع وتقطع قلبه ألماً . كان يحب أمه حباً كبيراً ؛ وقد هاج الفراق الأبدى الحب المتغلغل فاختنق بالعبرات وأظلمت الدنيا فى عينيه ...

ووسوس له قلبه بخاطر زاد من ألمه ، قال عسى أن تفرح إحسان لموت أمه وقد كانت تعدها عثرة فى سبيل سعادتها ؛ فما من شك فى أنها سعيدة مغتبطة وإن تظاهرت بمشاركته حزنه . وآلمه هذا الخاطر ألماً عميقاً وزاد من وقعه أن سمع من حوله يتهامسون به فانطوى على الحزن والغضب ورأى قبر أمه العزيزة يقوم حائلاً منيعاً بينه وبين الفتاة ...

فهجرها فجأة وامتنع عن الرد على رسائلها وانغمس فى الكآبة والأحزان ومكابدة الآلام والأشواق زائغ البصر بين ذكرى أمه وذكرى سعادته حتى تعود على الألم وألف التصبر والتجلد وظن أنه يتناسى الماضى بهمومه وآلامه أو أنه نساه بالفعل

ازدحمت هذه الذكريات برأسه فى طريق العودة إلى البيت . ولكنها لم تصحب بعواطف فى مثل مرارتها وحزنها إذ كانت الذكريات تمر برأسه أخيلة مجردة عن عواطفها وإحساساتها . أما وجدانه فكان كله مستغرقاً فى أثر الخطاب والوعد . لذلك انصرفت نفسه عن النداء ، وعز النوم على جفنيه وحامت أفكاره حول فتاته فتمثلها أمامه بقدها المشوق ووجهها البدرى وكأنه كان يسمع رنة صوتها ، ويشم رائحة « سوار دى بارى » التى تتعطر بها ، فانفعل انفعالا شديداً نبا به عن الطمأنينة . ولم يكن قر رأيه على شىء ولا بت فى المسألة برأى ، بل كان يحاذر من مواجهتها مواجهة حتى لا يقطع فيها برأى ينتقص عليه أحلامه أو يميل بها إلى حل يثير كوامن أحزانه . حتى إذا وافى الأصيل وجد نفسه يغادر البيت ويقصد إلى قصر النيل مستسلماً لتيار عنيف لا يتنكب عن طريقه ويأبى أن يقر بالاستسلام . ولكنه ألفى نفسه أمام ما يحاذره حين عبر الجسر ، وطالعته الحديقة الأندلسية بخمائلها المشوشبة ومدرجاتها السندسية، هنالك أحجم عن التقدم وانعطف إلى يمينه يسار النيل مضطرباً حتى حجبه سورها الحجرى ثم استند إليه متريثاً وقد لفته الحيرة والاضطراب ولبث فى جمود تام ، وكانت أفكاره تنجذب بشدة نحو تلك التى لا يفصلها عنه سوى السور الحجرى . وسرى فى ملمسه من الحجر البارد تيار حار متدفق ، فخفق قلبه بعنف وكاد يتحول إلى الباب مندفعاً ، وفى تلك اللحظة الفاصلة ارتد خياله — فجأة — إلى بعض حقائق الماضى الأليمة ، فبردت حماسته وهبطت حرارته وانتكس انتكاساً غريباً أحس من جرائه بخجل واستحياء وألم فجعل يتساءل منيظاً محنقاً : كيف حملتنى قدماى إلى هنا ! ولم يلبث أن احتدم بقلبه الغضب وخال أن إقدامه على الذهاب إلى هناك عيب حقيق بأن يجعله ضحكة للضاحكين والشامتين

وهز منكبيه باستهانة وانحدر فى الطريق الضيق مبتعداً عن الحديقة ، ولم يعتوره التردد سوى مرة واحدة وقف عندها قليلاً والتفت وراءه ثم استأنف السير بعزم وبأس ، ولم يكن يملأ فراغ خياله حينذاك سوى صورة أمه ... وهكذا خان عهد سعادته ليكون وفياً لذكرى أمه ، وكثيرون هم الذين يعانون الآلام والمتاعب فى سبيل ما يتمثل فى نفوسهم من الأوهام

نجيب محفوظ

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾



8me Année No. 383 — Lundi - 4 - 11 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٨٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ٤ نوفبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

السنويات الأدبية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلىّ أكثر من مستفهم يسألون عن « السنوية التاجورية » التى أشرت إليها فى تحيتى إلى تاجور من مقال بالرسالة قلت فيه : « خطر لنا أن نرجع إلى السنوية التاجورية لنستخرج الفأل مما كتب فيها من أقوال تاجور بإزاء اليوم التاسع والعشرين من شهر سبتمبر ، ولكل يوم من أيام هذه السنوية كلمة أو بيت أو خاطرة من مأثورات الشاعر العظيم ... »

وهم يطلبون بياناً عن هذه السنوية ، هل هى من صنع الشاعر؟ وهل للشعراء والأدباء المشهورين غير تاجور سنويات على هذه الوتيرة ؟ وهل تتجدد فى كل سنة أو تصدر فى سنة واحدة ، ثم تتكرر على نمط واحد ؟ إلى أشباه ذلك من أسئلة وتعقيبات

وسنويات الأدباء والشعراء هى نوع من السنويات الكثيرة التى افتن فيها الطابعون والناشرون فى الأمم الغربية

فهناك سنويات لمحبي الأزهار ينشرونها للفن والجمال ، أو ينشرونها للعلم والخبرة العملية . فما كان منها للفن والجمال زخرفوه بنقوش الأزهار الملونة ونثروا خلالها شذرات من أقوال الأدباء والشعراء فى الرياض والرياحين ، وجعلوا بعض حروفها البارزة على مثال الورود والأوراق ، وجلوها بما استطاعوا من

جمال الشعر والتصوير . وما كان منها للعلم والخبرة العملية رتبوا فيه مواسم الغرس والنقل وبثوا فيه الوصايا والنصائح عن السقاية والتظليل أو التعريض للنور مما له نفع فى إنماء النبات وإنماء الزهر على الخصوص

وهناك سنويات لمحبى الكتب يذكرون فيها المعلومات المتفرقة عن المكتبات التاريخية والكتب النادرة ونشأة الكتاب فى أطواره المتعاقبة ، وقوانين الطبع والنشر وحقوق المؤلفين والمترجمين وما إلى ذلك من الحقائق والأنباء التى يعنى بها الكتاب والقراء ، وقد يصدرون السنوية بمقدمة نفيسة تختلف كما تختلف المعلومات الأخرى عاماً بعد عام

وهكذا السنويات التى ينشرونهـا لمحبى العصافير أو محبى الرحلات أو محبى الصيد أو محبى الرياضة وما إلى ذلك من ضروب اللهو والمتع النفسية والذوقية . فمن جمعها عنده فليس من الضرورى أن يملأ فراغها ويشتغل بما يشتغل به طلابها وهواتها ، بل لعله يجمع منها مكتبة للمعرفة : كل سنوية منها بكتاب جامع لأشتات الطوائف والمقتبسات والأخبار

أما سنويات الأدباء والشعراء فهي المفكرات السنوية المألوفة التى تخصص منها صفحة أو أقل من صفحة لـكل يوم من أيام العام ، ولـكنهم يجعلون للأديب أو الشاعر المشهور مفكرة باسمه يصدرونها بترجمته وفصل قيم لـكاتب من كبار الكتاب فى نقده والتعريف بخصائصه ومزايا شعره ونثره ، ويقرنون كل صفحة ليوم من أيام السنة بصفحة من مختاراته تناسب الوعد أو تمت إليه بسبب ، وربما اشتملت الصفحة على فقرة واحدة أو بيت واحد ، وربما اشتملت على أكثر من ذلك ، حسب التفاوت فى الحجم والموضوع

وقلما تتغير هذه المفكرات سنة بعد سنة ، ولكن الطابعين المتعددين قد يصدرون مفكرات متعددة لشاعر واحد ، وقد تكون المفكرة المفردة أو المفكرات المتعددة أوفى من أحسن المختارات التى تختار لذلك الشاعر ، وأحظى بالقراءة والنظر من الكتب التى توضع على رفوفها ولا تحمل بالليل والنهار حيثما مضى صاحبها وكلما احتاج إلى النظر فى مفكراته اليومية

وهنا معرض للعجب لا يفرغ منه التعجب !

فنى الغرب حيث يستغنى القراء عن التشويق والإغراء يوجد التشويق على أبرعه والإغراء على أشده

وفى الشرق حيث يحتاجون إلى جميع المشوقات والمغريات لا يوجد من يُغرِي ولا من يُغرَى ، ولا يزالون على ما بهم من الجهل كأنهم أزهد الناس فى الدرس والاطلاع

وليس هذا وحده بمعرض العجب فى شؤون الكتابة والقراءة عندهم وعندنا

فنى الغرب حيث يظفر الكاتب بأحسن الجزاء من قرائه يعطيهم ما يملى من ثمراته ، ولا ترهقه الشروط ، ولا تثقل عليه القيود ، ولا يتمحلون له أسباب العيب والتجنى والانتقاص .

فليس فى انجلترا من يشترط على برنارد شو مثلاً أن يحلق لحيته ، أو يقلع عن بدعة النباتية فى طعامه ، أو يدين فى السياسة والاجتماع بمثل ما يدين به ، أو ينهج فى معيشته أو اعتقاده نهجاً غير الذى ارتضاه لنفسه

وفى الشرق حيث لا يغنى الجزاء ، ولو وفر القراء ، ترى العالم القارئ أو جمهرة القراء كأنهم الطفل الممود ، لا أكثر من شروطه ، ولا أقل من زاده ، ولا أعجب من مطالبه ومقترحاته : تعطيه الحلوى فيطلب الفاكهة ، وتعطيه الفاكهة فيطلب الخبز واللحم ، وتعطيه الخبز واللحم فيطلب المطبوخ إذا أعطيته الشواء ، ويطلب الشواء إذا أعطيته المطبوخ ، ويتحكم وهو فى مطعم الصدقة ، أو شبيه بمطعم الصدقة ! ! ثم لا هو بالآكل ، ولا هو بالشارى ، ولا هو بالملتمس العلاج لما عنده من ضعف القابلية قبل أن يلتمس العلاج للطاهى وأصناف الطعام

واسمع غرائب ما يطرق الآذان ويصك الأذهان : فهـذا الـكاتب لماذا لا يكتب فى القصة ، ولماذا لا يكتب فى الدين ، ولماذا لا يكتب فى الفـكاهة ، ولماذا لا يكتب فى هذه الصحيفة أو تلك المجلة ؟ . . . وهذا الـكاتب لماذا لا يطلق لحيته ، أو لماذا لا يقصها ؟ ... وهذا الـكاتب لماذا لا يعجب بفلان ولا يقلع عن الإعجاب بفلان ؟ وهذا الـكاتب لماذا لا يتوجه إلى جمهرة القراء قارئاً قارئاً ليعفر وجهه بتراب الاعتذار والاستغفار ، ويعترف بما يسومونه من اعتراف أو ينكر ما يسومونه من إنكار ؟

وخذها قاعدة لا ريب فيها أن الشروط عندنا تزيد بمقدار

ما يقل الجزاء ، وأن الجزاء عندهم يزيد بمقدار ما تقل الشروط

أليس هذا بعجيب ؟

بلى . ولكنه عجب فى الظاهر دون الحقيقة ، وما من عجب صحيح فى كثرة الطهاة حيث يكثر الآكلون ، ولا من عجب صحيح فى كثرة الافتنان والتسابق إلى الإتقان حيث يكثر الطهاة فى مكان

فالغربيون يفتنون فى الطبع والنشر والتشويق والترغيب لأن طهاة الأدب كثيرون ، وآكلى الأدب كثيرون

وكذلك تقل الشروط عندهم لأن الطعام مطلوب هنا إن لم يطلب هناك ، وسائغ فى بعض الأذواق إن لم يسغ فى غيرها من الأذواق

أما الطفل الممعود فكيف يعيش الطاهى إلى جانبه ؟ وكيف يقلع عن الاقتراح والاشتراط وهو لا يأكل ولا يشتهى ؟

لو أنه أكل لما اشترط واقترح

ثم إنه ليجد شروطه كاملة وافية دون أن يطلبها ويلح فى تقاضيها ، لأن الطهاة يكثرون حيث يكثر الآكلون ، ثم يتنافس الطهاة فيجيدون ويبدعون .

* * *

لقد أخذنا المفكرات السنوية من الطباعة الغربية ، ولكننا لم نأخذ بعد افتنانهم فى أوضاعها ولا فى موضوعاتها . فقلما تختلف مفكراتنا السنوية بغير الحجم وصنف الورق ولون الغلاف ، وقد يزيدون عليها بعض الحكم والأمثال على غير قصد مرسوم أو تفرقة منوعة

وإنى لأكتب هذا المقال وأود أن يصل إلى طائفة من الناشرين والطابعين فيتخذوا من المفكرات مروجاً للأدب ومن الأدب مروجاً للمفكرات ، ويخرجوا لنا مفكرة للمتنبى ومفكرة للبحترى ومفكرة لابن الرومى ، ومفكرات للجاحظ وابن المقفع ومحمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وسائر العظماء من الكتاب والمصلحين والقادة فى عصورنا الغابرة والحاضرة . وإذا خيفت قلة الإقبال على مفكرة مقصورة على أديب واحد فلتطبع منها طبعات متفرقة لأدباء متعددين . فيجتمع من المفكرة كلها ديوان منتخب لأدباء العربية، ويقتنى القارئ الواحد أكثر من مفكرة واحدة إذا حسن الاختيار والتنويع

ومهما يكن من الإعراض عن القراءة فلا إخال أن الكتيب الصغير الذى يباع بدريهمات ويحتوى ثلثمائة وستين معنى للمتنبى أو المعرى يعدم مئات القراء إذا استكثرنا عليه الألوف ، وقد يقبل عليه من لا ينشط لقراءة الدواوين والكتب ، ولكنه يتسلى بالبيت بعد البيت والمعنى بعد المعنى كلما قلب صفحة لإثبات موعد أو تقييد حساب

* * *

ونعود إلى تاجور الذى بدأناه بالتحية وذكرنا من أجله هذه المفكرات السنوية

فنحمد الله أنه بات بمنجاة من الخطر وأن النبأ الذى انتظرناه مبشراً بسلامته قد سرى بين أرجاء العالم فى هذا العهد الذى ندرت فيه أنباء السلامة ، فكان له جمال الندرة الموموقة وغبطة الترفيه المنشود فى أوانه

ونفتح السنوية التاجورية على شهر أكتوبر فنقرأ له تحية الخريف التى يقول فيها : « السماء يومئ . وبودى أن أتبع السفْر[1] الذين أقلعوا فى الزورق الأخير لعبور الظلام : منهم من هو راجع إلى مقره ، ومنهم من يذهب إلى الشاطئ البعيد ، وكلهم قد اجترأ على الرحيل ، وأنا على الورد وحدى قد تركت مقرى وأخطأت الزورق وذهب منى الصيف وليس لى فى الشتاء حصاد . وهأنذا أنتظر الحب الذى يجمع العثرات والخيبات ليبذرها دموعاً فى الظلام ، عسى أن تنبت الثمر حين يطلع النهار الجديد »

ثم نقرأ له فى الصفحة التالية : « تقبّلنى يارب . . . تقبلنى فى هذه السويعة ، واغمر بالنسيان تلك الأيام اليتيمة التى انقضت فى البعد عنك . وانشر هذه السويعة موسّمة فسيحة على حجرك وتحت ضيائك ، فكم ذا أقتنى الأصوات التى تجذبنى إليها ثم لا تهدينى إلى مكان . فاليوم هبنى يا رب أن أجلس فى سلام حيث أصغى إلى كلماتك من خلال هذه السكينة »

ذلك وحى الشاعر الذى له رسالة من الغيب وإلى الغيب فى صفحة كل يوم .

عباس محمود العقاد

(١) السفر أى المسافرون

إلى ...

للدكتور زكي مبارك

مولاتي

إليك أقدّم نجوى القلب وحنين الروح، ثم أعتذر عنك إن سمحتِ، ففي رسالتك الكريمة ألفاظ تحتاج إلى اعتذار، فليس من الصحيح أني أصانع فلاناً وأتوسل إلى فلان، كما تتوهمين، وإنما أنا رجلٌ مُرُّ العداوة حُلو الوداد، ومن كان كذلك فهو خليقٌ بأن يوغل في مخاشنة أعدائه حتى يوصَم بالإفراط في القسوة والعُنف، وأن يُكثر من محاسنة أصدقائه حتى يُتهم بالإسراف في الرفق واللين

ومع أني أنزه نفسي عن اختلاق المعايب لأعدائي فأنا أترفق في ابتداع المحاسن لأصدقائي، ولست من الذين يستبيحون إيذاء أصدقائهم باسم الحرص على منفعة المجتمع، أو المصالح القومية، لأن الصداقة عندي مبدأ من المبادئ ورأي من الآراء وعقيدة من العقائد، وأنا أعدّ الاستهانة بحقوق الأصدقاء جريمة روحية تعرّض القلب لعقاب الله ذي العزة والجبروت

أنا يا مولاتي أومن بأني مسئول أمام الله عن واجب التلطف مع أصدقائي، بل أنا مسئول عن وجوب الاعتقاد بأنهم منزّهون عن المآثم والعيوب، فاحترسي من اتهامي بالتقرب والتزلف، فلله غضَبات تنصبُّ على رءوس من يَتّهمون الأبرياء، حماكِ الله من التعرض لغضَبات السماء!

وقد يقع أن أصوّب سنان القلم إلى زميل أو صديق، ثم أظلّ مع ذلك سليم القلب، أمين الروح، لأن لي رأياً في البِرّ بأصدقائي، وذلك الرأي يحتّم الاهتمام بآثارهم الأدبية والعقلية من حين إلى حين، لأني أومن بأن النقد البريء من الغرض صورة جميلة من صور العطف والرفق والإعزاز، وأصدقائي يرون في هذا المسلك ما أراه، إلا أن ينحرفوا عن القصد فيروه من مذاهب الاستطالة والكبرياء، كالذي وقع من فلان وفلان وفلان. على أيامي في صحبتهم ومودتهم سلام الروح وتحية الفؤاد!

أما بعد فما هذا الذي تقولين؟

كنتِ مريضة منذ شهور طوال؟؟؟

لله الحمد وعليه الثناء، فما كان المرض أهول ما أخاف، وإنما كنت أخاف عليك بَني الغدر وعُدوان العقوق!

كان قلبي في تلك الشهور يهتف بالشوق إلى الروح اللطيف الذي كان يتصدق عليّ بالسؤال من وقت إلى وقت، ثم انقطع عني مع قدوم الصيف، كأن لم يَكفِ ما حلّ بنا من المخاوف مع قدوم الصيف! كان قلبي يقول ويقول ويقول، لقد قال كل شيء، ولم يقل إنك مريضة، ولو أنه قال لقدمته فداء لأظرف فتاة فهمت أسرار قلبي وسرائر روحي

كنتُ يا مولاتي أرجو دائماً أن أصل من الهتاف بالحب إلى محصول نفيس من فهم ما في الوجود من تيارات خفية تصنع ما تصنع في وصل القلوب بالقلوب، والأرواح بالأرواح، بلا جهد ولا مشقة ولا عناء

فهل أستطيع القول بأن قلبك الغالي كان من نفائس ذلك المحصول؟

وأعيذك أن تظني ـ وبعض الظن حق ـ أني أستهدي لمحة جديدة من لمحات العطف، فأنا راض بأن تظلي محجوبة عني، ما دام لك هوًى في ذلك الحجاب، فهو على كل حال فرصة ثمينة لمن يزدهيها أن تقول: أتحداك أن تعرف من هي «ليلى من الليالي»

وأنا يا مولاتي أعرف، فلقلبي أرصاد وعيون يطّلع بها على الذخائر التي تفرّد بها وطني، الوطن العظيم الذي ينجب عرائس لها أرواح في مثل روحك المذهّب الجميل

وهل خَفِي عني منك شيء؟

في كل لفظة من رسائلك الكريمة عروسٌ تتخطّر وتميس في دلال وكبرياء، وفي كل نبرة من صوتك الرنّان — ولم أسمعه إلا عن طريق التليفون — في كل نبرة من صوتك لحنٌ ينقل قلبي برفق ولطف إلى أجواز الخلود

فإن كنتِ فتاة حقيقية، فأنت البشير بأملٍ معسول، وإن كنتِ فتاةً خيالية، فأنت المطلَع الجميل لأنشودة رائعة من وحي الخيال ...

ولي غرضٌ من هذا التشكيك، فما أحب أن تكوني أنتِ أنت، لئلا يعرف السفهاء باب التطاول على نجم السماء

إن الغرض الأصيل من نجوانا هو خَلق روح جديد في الأدب الحديث، ولا بدّ من أن نقول مثل هذا القول دفعاً

لمكايد الرقباء ، وهل يكون السياسيون أعقل منا وهم يستبيحون تسمية الأشياء بغير أسمائها لغرض مدفون ؟

المهمُّ هو أن تعرفي بالرغم من هذا الرياء المصنوع أن قلبي أبرُّ وأعطف من جميع القلوب ، ألم أقل ألف مرة إنى أوّل من تقرّب إلى الله بالرياء ؟

وأنا مع ذلك أشهد بأنى لم أكن أصدّق أن فى مصر فتاةً ترجع إلى مقالات صدّها عنها المرض فى شهور طوال ، ثم تفكر فى تقسيمها إلى لوحات فنية مختلفة الظلال والألوان

ولكن ما السبب فى أن أطرب لرأيكِ الجميل كل هذا الطرب ؟

أيرجع السبب إلى أنه يزدهينى أن أشعر بأن هنالك قلوباً يسرُّها أن أكون فى دنيا الصبابة آمراً يطاع ؟

أم يرجع السبب إلى أنها أول مرة أشعر فيها بقسوة الحرمان من نشوة الافتضاح ؟

لو تعرفين أيتها الروح بعض ما أعرف لسرّك أن أكون فى الحب من أبطال الرياء ! !

ولو فهمتِ بعض الفهم لما آذاك أن أكون فيما تحدثت عن زيارة المنصورة من المرائين

اسمعى ، أيتها الروح الطروب

قيل وقيل : إن طيارات الأعداء قد تنتفع من النور الضئيل إذا أضيف بعضه إلى بعض ، لأنه عندئذ يكوّن هالة نورانية تدلّ على المستور من المنازل والقصور

وأنا كذلك أبخل بالكتابة عن الحب فى جميع الأحاديث ، كما تقترحين ، لأن ذلك لو وقع سينتفع به الحاقدون من أعداء الأدب الرفيع

ومن هذا الحديث تفهمين أنى أعرف هويّتك الصحيحة ، فأنت طفلة بالتأكيد ، لأنك تجهلين عواقب الافتضاح

أنا افتضحتُ وسلمتُ — إن كنت سلمتُ — لأنى أقدت أذنى على أصول من الرمز والإيماء ، فما هواكِ فى أن أدلّ عليك بلا ترفق ولا استبقاء ؟ ؟

ومن يستُرنا إذا افتضحنا ، يا ظَلوم ؟

ومن يستر الشمس إذا أطلّت بوجهها على الوجود ؟

الحب هو الشمس ، والرياء هو السحاب ، وللشمس قدرة سحّارة على تمزيق أردية السحاب ، فإن زعمتِ أنكِ مستورة بسحاب من فوقه ظلمات ، فاعرفى يا شقية أن ظلام الحب يعقُبه

صباح ، وسنلتقى ولو بعد حين ، وسنذوق أذى الناس ولو بعد أزمان ! !

نحن أيتها الروح غرباء فى هذا الوجود ، وآية ذلك أنى لا أستطيع التسليم عليك فى صبيحة العيد ، لأنى ـ وفقاً للعُرف ـ لا أمتّ إليك بغير الوشيجة الروحية ، وهى وشيجة مجحودة الأصول والفروع عند أكثر الناس

فمن يعزّى المحروم من طلعتك البهية وصوتك الرخيم فى صبيحة العيد ؟

ومن يواسى الهائم الحيران وهو من الهُيام والحيرة فى شقاء وعناء ؟

أَمَا والله لو تَجدين وجدى جمحتِ إلىّ خالعةَ العذارِ

وهل كانت الحياة إلا فى الشعور بألا تعيش روح إلا مجذوبة إلى روح ؟

ما هذا الذى أقول ؟ وما الذى أجترح بهذا القول ؟

أمن الصحيح أننا لا نجد السعادة الحق إلا إذا تلاقينا فى صبيحة العيد وجهاً لوجه ، وتصافحنا يداً بيد ، وآذنّا الناس بما نحن عليه من وداد وصفاء ؟

أشعر يا مولاتى بأن موازين الأحكام الروحية قد اختلت بعض الاختلال ، وإلا فما بالُنا لا نصدّق بالتصافى التام إلا إذا تصافحت الأيدى وتلاقت الوجوه ؟

وماذا يصنع مثلى إذا ابتُلِىَ بهوى فتاة روحانية ترى الأنس فى أن تلقانى فى مقالاتى ومؤلفاتى ، وأن ألقاها فيما تكتب إلىّ من رسائل معطَّرة بعَبير الرفق والحنان ؟

إننا غلبنا أسلافنا بكثرة الإنتاج الأدبى ، ولكننا لم نصل بعدُ إلى مسابقتهم فى ميدان الخلود ، لأن أدبهم على قلته مطبوع بطابع الصدق ؛ فقد كان فيهم من يقضى العمر وهو مجذوب إلى صورة لا تطمع فى رؤيتها العيون ؛ أما نحن فنيأس وننصرف لأول بادرة من بوادر المنع ، ويكون من أثر ذلك أن تُحرَم أكبادنا قسوة اللوعة والاحتراق ، وهى قسوة لطيفة محبوبة لا يتذوق عُذُوبتها غير الأديب والفنان

ومن يدرى ؟ فلعل لى غرضاً فى العزلة يشبه غرضك فى الاحتجاب ، والإنسان حيوانٌ لئيم . وهل أجد نفسى إلا حين أخلو إلى قلبى ؟

وما سرّ تلك الخلوة ؟ وما أخبارها ؟

هى خلوة أقترب فيها من نفسى بعض الاقتراب ، وأسعد بمواجهة الحب المقدّس الذى يمنّ به الله على أحد الأرواح فى إحدى الأحايين ، وأسمع صرير القلم بلهفة وشوق ، لأن كتاباتى لها فى أذنى وَقْع ، وفى قلبي وَقْع ، وما خططتُ حرفاً إلا وأنا مشغوف بتعرف ما يتسامى إليه من ألحان وأغاريد ، ولو شئتُ لقلت إن طاعة القلم هى التى تجذبنى إليه ، فهو لا يَصدُر إلا عن أمرى ولا يَصدَح إلا بما أشاء ، وهو لا يخطئ حين يخطئ إلا وهو مؤمن بأن أخطائى أصدق وأجمل من الحق ومن الصواب

فمن كان فى صدره عتاب أو ملام لانصرافى عن محضَره الأنيس فليذكر هذا القول ، فأنا لا أصادق من يتوهم أنى رجلٌ يخطئ كما يصيب ، وإنما أصادق من يعتقد اعتقاداً جازماً بأن العيب حين يقع منى هو الغُرّة فى هلال شوال . وهل كانت لى عيوب إلا فى أوهام الذين أبنيهم ليهدمونى ؟ جزى الله بعض الزملاء « خير » الجزاء !

وماذا نصنع إذا التقينا يا شقية ، يا شقية ؟

سيهمُّك أن تعرف الفرق بين زكى مبارك المؤلِّف وزكى مبارك المحدّث (؟!)

وسيهمنى أن أعرف الفرق بين الفتاة التى تكتب إلىّ من بُعد والفتاة التى أراها من قُرب (؟!)

وعندئذ آثَمُ وتأثمين ، لأن شريعة الحب تبغض هذا الفضول ألم تقولى فى إحدى رسائلك إنى أصانع فلاناً وأتوسل إلى فلان ؟

وأين كان التوسل والتصنع وقد صبرت على الحرمان من وجهك الجميل أكثر من عامين ؟

وهل حُرِمت منك عامين أو شهرين أو يومين أو ساعتين ؟

الجواب عند ليلى ، فاسألى ليلى ، ليلى المريضة فى العراق ، اسأليها تخبرك أن صدها عنى لم يكن إلا فنًّا من فنون الوصل ، والصدّ المقصود ليس قطيعة ، وإنما هو آية من آيات العطف ، لا حَرَمنى الله تعقُّب ليلاى هنا وليلاى هناك !

أين أنا مما أريد ؟ وهل ترينى أفصحتُ بما أريد ؟

ما نظرت فى رسائلك إلىّ إلا زاغ بصرى وطار صوابى ؟

فهل من الحق أنك تخافين عواقب التصريح باسمك المكنون ؟

أنا لم أجترح معك غير هفوة واحدة يوم استبحت تسجيل صورة من خطك البديع فى الكتاب الذى تعرفين ، وقد نهيتنى فانتهيتُ ، فما تحجُّبُكِ عن الحب الذى « أدّبْتهُ عقوبة الإفشاء » فتاب وأناب ؟

على أننى راضٍ عمّا صرنا إليه من الاكتفاء بمصافحة القلوب ، أدام الله عليك نعمة العافية ، وجملك مصباحاً وهّاجاً لبيتك الرفيع ، ولا أرانى فيك إلا ما أحب ، يا زهرة الشباب فى الوطن المحبوب ، ويا أصدق شاهد على صحة ما قال قاسم أمين وهو يُهدى كتاب « المرأة الجديدة » إلى سعد زغلول

***

ثم ماذا ؟ ثم كان العطف النبيل فى منحى لقب « أمير البيان » فهل ترين هذا اللقب على سموّه يستوجب الدخول فى خصومات كالتى عاناها شوقى « أمير الشعراء » ؟

إن لقب « أمير البيان » أضيف إلىّ أول مرة على سبيل السخرية فى إحدى مجلات لبنان ، ثم أضيف إلى مرات على سبيل الإنصاف فى بعض جرائد مصر والعراق ، فماذا ترين أن أصنع فى حراسة هذا اللقب الرفيع ؟

أنا أومن يا مولاتى بأنه لا يمكن لأحد أن يكون أكتب منى ، إلا إذا استطاع أن يكون أصدق منى ، ومن المستحيل أن يكون فى الدنيا أحد أصدق منى ، وهل هان الصدق حتى يكون لى فيه منافسون من أبناء الزمان ؟

الصدق يحتاج إلى تضحيات عظيمة جدا ، ومن تلك التضحيات ما تعرفين وما تجهلين ، ولو علمت الغيب يا شقية لعرفت أن الصدق جرّنى إلى معاطب ومهالك لا يصبر على محرجاتها ومُؤذياتها إلا من كان فى مثل إيمانى ، وقد صبرتُ وصبرتُ حتى اتهمنى الغافلون بالبلادة والجمود ، لأنهم لم يعرفوا أن دنيا الأدب فيها مبادئٌ تروض أهلها على الترحيب بمكاره الظمأ والجوع ، إن جاز القول بأن الله رضى لحظة واحدة بأن أحس مكاره الظمأ والجوع ، ولن أموت إلا مقتولاً بنعمة الترف فى الطعام والشراب ، فليغفر الله ما أدّعيه زوراً من الترحيب بمكاره الظمأ والجوع ، وهو الغفور التواب

وهل أنسى يا شقية أن الصدق حرمنى نشوة الاستصباح بوجهك الوهاج ؟

سيجموند فرويد

العالم النفساني الكبير

للأستاذ صديق شيبوب

— ٥ —

حين أربى « فرويد » على السبعين كانت نظرياته فى علم النفس قد استحكمت حلقاتها وقامت كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً بعد أن عمل على تشييدها جزءاً فجزءاً ، وكان (الجزء يلد من الجزء تباعاً) كما يقول : « ليوناردو فينتشى ، وأخذت هـذه النظريات تؤثر فى كل علم وفن . فهل استراح هذا الشيخ مطمئناً إلى ما قدم من خدمات وما أحرز من نصر ؟ »

لا شك أنه رأى مجال العمل ذا سعة ولـكن أزعجه أنه سوف لا يجد فسحة من الأجل لإتمام ما يبتدئه من بناء للمستقبل . لذلك صار يلتى من الذروة التى تسنم قمتها نظرة شاملة على المـاضى على طريقته التحليلية المعهودة ، ولـكنه بدلاً من أن يعالج الأعصاب والنفس فى الفرد ، أخذ يعالج العالم ويبحث التاريخ كمجموعة إنسانية فريدة ، وبدلاً من أن يوجه أبحاثه شطر المـادة أخذ يسوقها ناحية المسائل النظرية بالرغم من أنه كان يأبى هذا التوجيه فى شبابه ، وهو القائل من قبل : « إنى لا أرضى عن تركيب النظريات العامة » فكأنه أراد أن ينتحل لنفسه الأعذار حين قال :

« لقد طرأ على أساليبى فى العمل تغيير لا أنكر نتائجه . كنت من قبل لا أعرف كيف أحتفظ فى نفسى بنظرية أعتقد أنها جديدة وكنت أفضى بها بالرغم من أنه لم تجتمع لدى الأدلة على صحتها ... لأن الزمان كان منفسحاً أمامى ، كان الزمان خضماً واسعاً كما يقول شاعر ظريف . وكانت مواد البحث تتدفق عديدة بحيث أجد من الصعوبة اختيار كل ما بين يدى . أما اليوم فقد تغير وضع الأشياء فالزمان محدود الأجل ، وفيه من الفراغ ما لا يسده العمل بعد أن تضاءلت ظروف الاختبارات الجديدة . فقد أصبحت لا أجرؤ على الإفضاء بما أكتشفه من جديد مخافة ألا أجد متسعاً من العمر للتدليل عليه ... »

سلخ « فرويد » خمسين عاماً من حياته لا يقابل فيها غير مرضاه ، ولا يعرف من الإنسانية غير أفرادها المصابين التاعسين فلا غرو إذا نظر إلى الحياة فى مجملها نظرة مليئة بالتشاؤم فى الكتابين اللذين وضعهما فى طور شيخوخته وهما « مستقبل وهم » و « علة المدنية » ، ولا غرو إذا قرر أن « الحياة عبء ثقيل على الإنسانية جمعاء كما هى على كل فرد »

عرض « فرويد » للانسانية فى عصرنا الحاضر فوجد أنها بلغت من الرقى حداً بعيداً بينما لم يستطع هذا الرقى أن ينيل الفرد السعادة التى يصبو إليها كل إنسان

وللتدليل على هذا استعرض « فرويد » تاريخ العالم منذ الإنسان الأول أى منذ كان الإنسان يجهل القوانين والأخلاق ويعبث كالبهيمة حراً طليقاً من كل قيد . وعندما تألفت الجماعات والقبائل حد هـذا التآلف من أطماع الفرد وأهوائه ، لأن كل حياة اجتماعية مهما كان شكلها أولياً تحد من حرية الفرد فى سبيل إخوانه ، فصار لزاماً عليه أن يمتنع عن أشياء كثيرة ، فاستحدث الحرام والحلال ، ونشأت التقاليد والتواضع والحقوق والواجبات واستتبع هذه جميعها العقاب الذى يقع على من يخالفها

هل أنسى أن الصدق جعل لأعدائى حججاً دوامغ فى مقاومة مؤلفاتى ؟

الصدق فى الدنيا غريب ، وأنا فى الدنيا غريب ، والله هو المسئول عن رعاية الغرباء !

أما بعد ، ثم أما بعد ، فسأظل إلى الأبد عند ظنك الجميل ، وسأغفر لك التطاول علىّ من حين إلى حين ، لأنى آخر من يتذوّق تجاهل المحبوب لأقدار الحبيب

من نِعم الله أن نعيش قلباً إلى قلب ، لا جنباً إلى جنب ، فما كان الهوى العذرىّ إلا الروح المكنون فى قصيدة الوجود

وإلى اللقاء يا شقية فى عالم الفكر والوجدان

ولـكن متى ؟ متى ؟ متى ؟ وأنت تؤمنين بأن البخل أشرف خلائق الملاح !

قالوا عشقتَ فقلت كم من فتنة ... لم تغن فيهـا حكمة الحـكماء
إن الذى خلق الملاحة لم يشأ ... إلا شقائى فى الهوى وبلائى

زكى مبارك

ولم تلبث معرفة الحرام وخوف العقاب ، وكانتا ظاهرتين ماديتين ، أن نفذتا إلى رأس الفرد وقلبه فاستحدثتا فيهما ما هو أبعد من الذات المادية ، أى أنهما أوجدتا فيه الضمير ، ونشأت فى الوقت نفسه الثقافة العقلية والفكرية والدينية ، وأوجدت فكرة الإله القدير العليم يقظة الضمير وكبت الشهوات فتحولت القوى المادية التى كانت تحرك الإنسان الأول إلى قوى عقلية وأخلاقية خالقة وأخذت تسيطر على العالم حتى أخضعت عناصره واستخدمتها فى سبيل غاياتها

ثم قرر « فرويد » أن الاختراعات والاكتشافات التى قربت الإنسان من درجة الألوهية من حيث الخلق لم توفر للانسانية أسباب السعادة ولم تدخل الغبطة والسرور عليها . وسبب ذلك أن الثروة الثقافية التى انتهى إليها الإنسان لم ينلها مجاناً لأن ثمنها الحد من حرية الغرائز . وكل ربح للانسانية خسارة تلحق بالفرد فى أسباب سعادته

تعاودنا فى أحلامنا ورغباتنا الغرائز التى أجبرتنا الدنية والأخلاق على كبتها ، ولا تزال الذات الأخلاقية تصبو إلى الفوضى والحرية والحيوانية التى كان الإنسان الأول يتمتع بها . فكأننا نفقد من حيويتنا كلما تقدمت الدنية . ويحق لنا إذن أن نتساءل : هل الدنية لم تسط على نفس الفرد ، وهل (ذات) المجتمع لم تصب (ذات) الفرد بغبن فاحش ؟

فما هو الدواء الذى يصفه « فرويد » لمعالجة العلة التى وصفها ؟

إن علم تحليل النفس يقرر نظرياً تفوق العقل الباطن والغرائز على العقل الواعى ، ويقرر عملياً أن تغلب العقل الواعى هو الوسيلة الوحيدة لشفاء الإنسان

ترى هل يصف « فرويد » للمجتمع ما قرره من قبل للفرد بعد أن لاحظ ما فى قوله من الاختلاف بين النظريات وبين العمليات ، وهو الذى قرر بشكل حاسم أن الغرائز الهمجية هى التى تسيطر على العقل

كان فرويد قد شهد الحرب الأخيرة ، ولاحظ تغلب الغرائز على العقل ، فلم يقرر علاجه تقريراً باتاً ولكنه رجا أن تصل إليه اليد الإنسانية بعد ردح من الزمان متعللاً بالأمانى فقال : « نستطيع أن نستمر على القول فى حق بأن العقل الإنسانى ضعيف إذا قيس بالغرائز ، ولكن هذا الضعف أمر عجيب . إن صوت العقل خافت ولكنه لا يفتأ يتردد حتى يسمع ، والعقل لا أشك واصل إلى غايته فى النهاية بالرغم من اندحاره أكثر من مرة ، وهى ظاهرة من المسائل النادرة التى تحملنا على التفاؤل فى مصير الإنسانية . إن تفوق العقل قائم فى منطقة نائية ، ولكنها ربما كانت غير بعيدة المنال »

***

وكان آخر مؤلفات « فرويد » كتابه عن موسى وفكرة التوحيد عند اليهود ، وهو الكتاب الذى قرر فيه أن موسى لم يكن من العبريين ، وأنه كان مصرياً مستدلاً على ذلك باسمه . إن كلمة « موسى » فى رأيه مصرية معناها الطفل أو العبد بدليل اسم الملك « تحوتمس » أو « تحوت موسى » أى عبد « تحوت » فيكون اسم موسى اختزالاً كما نقول بالعربية « عبده » لعبد الله . وقد أطلقت ابنة فرعون عليه هذا الاسم المصرى الذى لم يكن معروفاً عند العبرانيين

كان موسى من رجال حاشية الملك أخناتون الذى كان أول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين ، وجرى بعد وفاة هذا الملك أن ثار الكهنة واستردوا سلطانهم فتفرق أشياعه ، ومنهم موسى الذى هرب من مصر وأخذ معه الإسرائيليين لأنهم كانوا مستعبدين مضطهدين

وقد عرض فى كتابه لأدلة عديدة مثل مصرية أسماء اللاويين الذين يقول إنهم كانوا أشياع موسى ، واقتباس العبريين عن المصريين الختان وتابوت العهد وهندسة بيت المقدس إلى غير ذلك مما يطول بنا بيانه .

***

هذه آثار « فرويد » فى العلم والفكر . ولا شك أن اسمه سيظل عالقاً بنظرية العقل الباطن التى اكتشفها والتى جعلته زعيم مذهب تشيع له علماء كثيرون نذكر فى طليعتهم « يونج » و « ادلر » اللذين بنيا أبحاثهما على نظرياته ووصلا إلى نتائج تختلف عن نتائجه خصوصاً فى تفوق الغريزة الجنسية والليبد ، وقد أرادا بهذه الكلمة الأخيرة معنى آخر غير الذى قرره لها « فرويد »

فخرى أبو السعود

للأستاذ أحمد فتحي مرسي

قضى الأستاذ الشاعر فخرى أبو السعود — طيب الله ثراه وخلد ذكراه — فانطوى بموته صديق يعزّ على الأصدقاء فقده، وأديب يشقّ على الأدب رزؤه فيه، وعالم لن ينساه العلم وإن نسى الكثير غيره، فمن حقه علىّ أن أكتب، ومن حقه على الرسالة أن يتسع صدرها لما أكتبه عن أديب طالما طلعت علينا بالكثير من آياته وغرره .

قال البعض إنه مات منتحراً برصاص مسدسه فى لحظة ضيق بعد أن خط هذا البيت على رقعة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثلاثين حولاً - لا أبالك - يسأم

وقيل إنه فقد ولده فى باخرة ترحيل الأطفال الإنجليزية التى أغرقها الألمان، وقيل إنه انقطع اتصاله بأسرته فى انجلترا، وقيل إن فى الأمر جريمة قتل ... إلى غير ذلك مما يذيعه الناس فى مثل هذه المناسبات، إذا عمى عليهم الأمر ووقعوا فى الحيرة، فذهبوا يتقصصون الآثار، وينتحلون العلل، ويضربون فى الأوهام ...

ثم انبرت أسرته تكذب كل ذلك وتقول إنه مات برصاصة طائشة من رصاص مسدسه أثناء إصلاحه ... كل ذلك لا شأن لنا به فلقد مات الرجل — رحمه الله — وانقضى الأمر؛ إلا أن ما عرفته فى فخرى طول صحبتى له من صموده للحياة، وثقته بالله وعدم تطيره من الحادثات، يجعلنى كثير الشك فيما قيل عن الانتحار ... فقد كنت معه مرة فى معرض الحديث عن مقال فى الانتحار لأديب كبير، ثم تطرق بنا الحديث إلى ذكر فلان من أدباء الشباب — وكان فخرى يعجب بأدبه ولا يعرفه — وأنه قد حاول الانتحار فى ذلك الحين، فسخر فخرى منه، فلما عرضت على فخرى أن أعرفه به ابتسم قائلاً: « إننى لا أود أن أعرفه »

* * *

عرفت فخرى أول ما عرفته فى أول عهده بالتدريس فى المدرسة العباسية الثانوية، وكان ناظرها فى ذلك العهد الأستاذ عبد الرحمن شكرى. قدّمنى إليه صديق، فخلت بادئ ذى بدء، أنه أحد الطلبة، فقد كان — رحمه الله — ضئيل الجسم، قصير القامة، قليل الكلام، شديد الخجل، لا تبدو عليه سنه؛ فلما قدمه الصديق إلىّ، خلت أنه هازلٌ لا جاد، أو أنه ربما اشتبه عليه الاسم — فكثيراً ما تتشابه الأسماء —، وساعد على ذلك أن الصورة التى كنت رسمتها لفخرى فى ذهنى - من المطالعة - تتباين مع ما أراه جد التباين، فسلّمت عليه فى فتور ووناء، ثم إنه كان قليل الكلام — كما قدمت — فتوهمت أن ذلك قلة مبالاة، فقابلته بالمثل، فكانت مقابلة جافية أسرّها لى فخرى، وعتب علىّ بعد ذلك بزمن

ثم مضت الأيام فذهبت إليه فى بعض الشأن، وكنت قد نشرت قصيدة بجريدة الأهرام بعنوان « الصباح »، فقابلنى مقابلة طيبة، وجلسنا نتحدث عن القصيدة، ثم عن الشعر فى مصر، ثم قرأ لى قصيدة عنوانها « نجوم السينما » كان يعدّها للرسالة، وأهدى إلىّ كتابه عن الثورة العرابية؛ ... ثم تكررت المقابلات بعد ذلك، واتصلت بيننا أسباب المودة، فكنا نلتقى فى أكثر الأيام

على أن أثره لم يقتصر على علم النفس وطب الأعصاب بل تعداها إلى مختلف العلوم والفنون كالتربية (بداجوجيا) ودرس الميثولوجيا والشعر والنقد والفنون الرفيعة

حين قرر فرويد أن الناس قد يتشابهون فى أجسامهم ولكن نفس كل فرد كائن قائم فى ذاته لا وجه للشبه بينه وبين غيره فتح باباً جديداً، لا فى العلم فحسب، بل فى فن النقد والقصة وكتابة التراجم، وجعل من بعض العلوم التى كان العلم الحديث يعتبرها ضرباً من الوهم كقراءة الطالع بواسطة النجوم أو الكف أو الكتابة علماً يقوم على نظريات جديدة لعلها صحيحة

وخلاصة القول أنه مهما اختلف العلماء فى الحكم على مذهب الفردية من ناحية العلم والأخلاق فلا سبيل إلى إنكار فضله لأنه أفاد الإنسانية فوائد جمة فى مختلف النواحى فسار بها شوطاً بعيداً فى التقدم والرقى وساعد على تخفيف ويلاتها وزاد فى ثروتها العلمية والفنية فاتسعت آفاق البحث وتشعبت أصوله وفروعه .

صديق شيبوب

نقل نخرى بعــد ذلك إلى الرمل الثانوية ، وتركت أنا الأسكندرية ، ثم عدنا فالتقينا فى الأسكندرية بعد ذلك بعام ، وكنت قد اتصلت بالرسالة ، وكان قد بدأ يكتب فيها سلسلة مقالاته عن المقارنة بين الأدبين العربى والانجليزى ، فأثارت اهتمام كثير من الأدباء ، وقد أبدى لى الأستاذ الزيات إعجابه بها أكثر من مرة ، وكتب إلى نخرى يقول فى ختام خطاب له — أطلعنى عليه نخرى — : « فأستزيدك ، ثم أستزيدك ، ثم أستزيدك » . وكان فى نية الأستاذ الزيات طبع هذه المقالات بعد إتمامها ، ولـكن نخرى لم يتمها

ظهرت بعد ذلك مجلة الرواية ، وبعد ظهورها بنحو عام وقعت جفوة بين نخرى وبين الزيات أدت إلى قطع هذه المقالات ، وانقطاع نخرى عن الرسالة ... قابلته بعد ذلك بحين فشكا لى شيئاً من ركود الذهن بعد انقطاعه عن الرسالة ؛ وقال لى إنه شديد الخجل لأن الأستاذ الزيات ما زال يرسل إليـه مجلتى « الرسالة » و « الرواية » فى حين أنه لا يؤدى له أية خدمة نظير ذلك ...

وظهرت فى ذلك الحين مسابقة وزارة المعارف فى التأليف ؛ فعرض علىّ بعض ما كتبه . وكان ـ رحمة الله عليه ـ كثير الشك فى الفوز ، فطمأنته ورجوته أن يتمّ ما بدأ ، فأتمّـه ـ وأظنه فاز بجائزتين ـ ؛ ثم انقطع حيناً عن الـكتابة وانصرف إلى القراءة ، وكنت ألقاه فى ذلك الوقت كل يوم تقريباً ، فنمضى سيراً على الأقدام فى طريق « الـكورنيش » ، ويمتد بنا الحديث فى الأدب والجدل أحياناً حتى نجد أنفسنا فى جهة لم نكن نقصدها ؛ وكثيراً ما كان يشغلنا الحديث حتى نقطع فى السير مسافات بعيدة دون أن ننتبه ؛ فقد كان رحمه الله يؤثر السير على الجلوس ؛ وكان شديد النفور من المجتمعات ولا أذكر أننى رأيته مرة فى مقهى أو منتدىً؛ ولعل ذلك هو السبب ، فى سعة اطلاعه، ووفرة إنتاجه ، فـكان يقسم فراغه بين التريّض والقراءة ، والـكتابة . والظاهر أن ذلك يرجع إلى طبيعته الهادئة ، فقد كان يكره الضجة ، ويتجنب الناس . وكان منزله فى بقعة هادئة من رمل الأسكندرية ، وحتى طفله يبدو لى أنه ورث عنه هــذه الميزة ، فـكان ينفر من الغريب ، ويبتعد عن الناس ، أذكر أنه تركه معى مرة وذهب لبعض شأنه ، فجعل الطفل يصرخ ويبكى ويتملص منى ليجرى ، وعبثاً حاولت تهدئته ولكنه لم يهدأ حتى عاد والده فسار إلى جانبه مبتعداً عنى

* * *

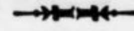
ولا أود أن أختم هذه الإلمامة قبل أن أشير إلى دراسة نخرى واتجاهه فى الأدب ؛ فقد تخرج فى المعلمين العليا واشتغل بعض عام بالصحافة ، ثم اختارته وزارة المعارف فى بعثة لها فتخرج فى جامعة إكستر فى انجلترا ـ وهناك تزوج من زميلة انجليزية له فى الدراسة ـ فلما عاد اشتغل بالتدريس فى المدرسة العباسية الثانوية بالأسكندرية ، وكان نخرى ـ رحمه الله ـ كما علمت منه مكباً على القراءة من صغره ، ولاسيما قراءة القديم ، حتى أوشك أن يستظهر كتباً بأكملها ، ويظهر ذلك جلياً فى أسلوبه ، فتمتاز كتابته بقوة الأسلوب وجزالة الألفاظ . كذلك تبدو فى شعره محاولة تقليد القدماء ، وقد تأثر فى هذا بالبارودى ، وكان يحفظ جل ديوانه ومختاراته . وكان يؤثر من الشعراء القدماء أبا تمام وبعض شعراء الجاهلية لا سيما طرفة بن العبد . كل هذه الدراسات القديمة كان لهـا أثر واضح فى شعره لا يخفى على قارئه ، وكان يختار منها أكثر شواهده فى مقارنته بين الأدبين العربى والإنجليزى . وكان يؤثر العقاد على شوقى وحافظ ، وكثيراً ما قام بيننا جدال طويل فى ذلك . وكان رحمه الله ينظم الشعر فى سيره فتراه يغمغم فى سيره بكلام لا تستبينه لانخفاض صوته ، حتى إذا جلس كتب ما قال ، ولا يزال كذلك حتى يتم القصيدة

وهناك ناحية تجب الإشارة إليها هنا وهى ضيق صدره بالنقد ، وإن كان سلم منه فى الصحف ، وكثيراً ما كنت آخذ عليه ذلك. حدث مرة أن عثرت له على بعض أخطاء فى نسبة الشواهد ، وعلى هنة لغوية فى قصيدة له ، وكان فى ذلك العهد يقضي الصيف بانجلترا ، فانتظرته حتى عاد فنبهته لذلك فغضب منى ، ودعانى فى اليوم التالى وقد جمع لى بعض ما كتبت فى الرسالة وجعل ينتقد لى بعض المعانى حتى يرد على بالمثل

وقد نشر نخرى القسط الأكبر من كتابته بمجلة الرسالة ، واتصل فى أواخر أيامه بمجلة الثقافة وجعل يكتب بها حتى توفاه الله ، وفيما عدا ذلك له متفرقات بجريدة الأهرام والهلال وغيرهما

عودة الى الروض !

للأستاذ محمود البشبيشي



كنت أعلم أن للقلم غفوة كما للقلوب ، ولـكن لم أكن أدرى أن للقلم صحوة كصحوة القلوب

وما كنت أعلم أن القلم يدرك معنى الحنين ، ويحس لوعة الفراق ، وأنه كالقلوب تحس أن الحنين دليل الرغبة ، والرغبة سبيل المودة

لم أكن أعلم هذا ، حتى قرأت كلة الدكتور الفاضل زكى مبارك، فأحسست أن القلم غلبه الحنين والشوق ، وأنه أصبح من مادة القلوب يسيره الشعور ويأمره فيطيع !

... ودبت فيه الحياة من جديد ! وأخذ يمطرنى وابلاً من الخواطر السيالة بالعاطفة ، المتلألئة بالنور ، الفواحة بالزهر ، تخلص من فكرة لفكرة خلوص كلة الحب من قلب المحب ! نقية طاهرة. وللقلم حق عزيز علىّ ... آه من تبعاته ورغباته !

فيا ليتك يا صديقى ما تلفت فهجت أحلاماً كانت هى أيضاً فى حلم ! ويا ليت قلبى ما تلفت وتسمّع ... يا ليته ، يا ليته !

فأيقظ القلم وحرك الطبيعة الكامنة فى النفس كون سر الحياة فيها ... أنت السبب فى كل ذلك يا دكتور ... أنت السبب فى المودة وحنين المودة ، فقد أحسست روحاً غريباً ينشره أريج كلماتك سحراً تتلفت إليه القلوب فيقيدها ! ثم هى رغم ذلك تهنأ بالقيد لأنه قيد روحى نبيل فى ضغطه على النفوس ... فأعجب لقلب ينعم بأن يتعذب ويتعذب بأن ينعم ! إننى هذا القلب الغريب !

فمن الناس من يرق ويرق ، وينبل وينبل ، ويدق شعوره حتى يُصبح كل جزء من جسده البشرى قلباً حياً ... !

وأنت أيها الصديق من هذه القلوب التى تمشى على الأرض ! وتتألم لأنها لا تستطيع إلا أن تتألم ، وتحب لأنها لا تستطيع سوى أن تحب ! هى حرة فى كيانها وليست بحرة ... صريحة فى فعلها وميولها وليست بصريحة ... يقيد حريتها خوف الجور على حرية الغير ! وهذا نبل جميل ... ويمنع صراحتها خوف جرح قلوب الغير ... وهذا نبل آخر ...

أنت من هذه القلوب أيها الصديق وإن احتار فى أمرك الكثير ، وطالبك البعض برفع القناع عن زكى مبارك الأديب . وليتهم قالوا عن القلب المبارك الأديب !

أيها القراء إن أردتم معرفة زكى مبارك الرجل فأنا أقول : إنه الوفاء والشهامة والسهولة فى الطبع ... وإن أردتم معرفة زكى مبارك الأديب أو القلب المبارك الأديب واحترتم فى أمره فعليكم بما كتب وما سوف يكتب فى عالم الحب والجمال وصوفية الحب والجمال

هناك تلمسونه روحاً تتدفق ، وقلباً يعرف كيف يحب وكيف يكره ، كيف يصارح وكيف يرائى ، كيف يتألم فيستر الألم لعزة فى نفسه ، ويفرح فيملأ الدنيا غناء ، لأنه قلب إنسانى كما قلت لا يحب أن ينعم وحده . بل يسعده أن يُطلع قلوب الغير على أطياف السعادة !

أيها الحائرون فى أمر الدكتور ، أنا لا أرى سبيلاً للحيرة فى أمره . وكيف تصح الحيرة فى رجل « يقتل الوقت والعافية فى تذكر القلوب النوادر ، وفى دنياه تكاليف تميد من أثقالها الجبال . لأن الوجب معروف وهو الوثاق المسطور فى اللوح المحفوظ بألا تعيش روح إلا مجذوبة إلى روح »

كيف الحيرة فى رجل يرى من يكذبه صادقاً . لأنه كاذب فى تصوير ما يعانيه !

من الصحف ، هذا غير كتابيه (الثورة العرابية) وقصة (تيس)

***

رحمك الله يا فخرى ، وأجل عزاء الأدب فيك ، ولطف بأصدقائك وعارفيك . فقد كنت نعم الأديب ونعم الصديق ...

هذا بعض حقك علىّ ، أرجو أن تجد لى العذر إن كنت قد قصرت فيه أو أخطأت ، فإن الحزن يغالب خاطرى وذاكرتى كلما أمسكت القلم لأكتب عنك ، أو أنا كما يقول شوقى :

رثيتك لا مالـكا خاطرى | من الحزن إلا قليلاً خطر
سقتك الدموع فإن لم | يدمن كمادتهن سقاك المطر

أحمد فهمى مرسى

تلك يا دكتور فلسفة جميلة، وأجمل منها أنك أحكمت أحبولة الرياء في وجه الوشاة والمذال . إنه رياء نبيل حقاً . . . ولكنى في حيرة من أمر ذلك الرياء الذي تقربت إلى الله به . أما في حيرة فهل لك أن تأخذ بيد صديقك من هذه الظالمة فيطمئن قلبه عليك وعلى نفسه ! أهو رياء المجد كل ما فيه حب ووفاء ! ... ما أصدق حنين القلم وما أجمل العودة إلى الروض !

يا صديقي ... لست أدري أي سحر في ظلال دوحة أفكارك استطاع أن يخرجني من صمت ظننته لا يفارقني ولا أفارقه ... أي سحر يا صديقي أي سحر !

تُرى هل ودعني الأدب يوم ودعته لغير عودة ، وفي نفسه أن يعود ، وأن يكون بعثه على يدك يا دكتور ، وإلا فما هذا الصوت الغريب الذي يناديني من ثنور أزهارك ؟ وما هذه الألوان النفسية الصوفية التي تغمرني من خواطرك الجريحة في الشوق والحب !

تسأل يا دكتور ماذا تضمر الدنيا في أيامها المقبلات ؟ ! أنها تضمر الخير والحب والنور والمجد ، وما كان لها سوى أن تضمر ذلك للقلب الذي صير الحديث عن الوفاء والحب شريعة من شرائع الوجود ! ! للقلب الذي يسأل أين بائع النسيان ؟ وأين بائع السلوان ؟ للقلب الذي علمته صوفية الحب ألا يرائي من يبغض ، ويرائي من يحب ! ! إنها القلوب أيضاً يا دكتور لها من منطق شعورها صراحة لا يعرفها سوى الذين خلقوا وكل ما فيهم قلوب حية ! !

يا طالما أحسست في نفسي شيئاً لم أستطع إدراكه ، ومر على قلبي إحساس لم تفسره دقاته ! ولكنني اليوم واليوم فقط علمت هذا الشيء وعرفت هذا الإحساس . إنها أغنية العودة إلى الروض ، أغنية القلم تذكرني بأيامه ولياليه، بل بأيامنا ولياليناأيام كنا يا دكتور نصل الحديث بالحديث ، نتقابل لنتكلم في النثر والشعر ، ونفترق لنعود للنثر والشعر ... أيام كانت نفس تشعر بالحياة لأن كل شيء في الحياة يشعر بها ... وقبل أن تسود الغمائر وتجحد الأيادي !

... لا يكاد يظهر كتاب حتى نقتله بحثاً أو ننقده نقداً نزيهاً يعلمه الدكتور . تذكرت هذه الأيام والليالي ، وما كان منا في هذه الأيام والليالي ، وهاجت الذكرى في نفسي فأصبحت شعوراً قوياً ، وكبر الشعور القوى فصار رغبة ، وتجسمت الرغبة فكانت عودة إلى الروض ، الروض الحبيب ، روض الأدب ، وكنت أنت باعث هذه الرغبة وصاحب الفضل في تلك العودة

فيا أيها القلم تحية لقاء حبيب مني ! . . . علم الله ما تركتك زاهداً ... إنما عز عليّ أن أشرعك في وجه من يشرع في وجوههم السيف وشيء آخر أحقر من السيف ! ولكنها عودة جميلة ... ومن العيب أن أناديك فلا تلبي النداء ... إن الروض قد ابتسمت أزهاره فلم لا تبتسم ... وإن رفاق الفكر والقلب ينتظرون منك الأغنية ... والعودة إلى الروض ... بعد أن ظن رفاق السوء أنها غفوة لا صحوة بعدها ! أيها القلم ، عزيز عليّ هذه الغيبة الطويلة ... وحبيب إلى هذه العودة الجميلة ... وليعلم الذين جحدوا آياتك . . . أن الدائرة تدور . . . وأنك بالمرصاد ! وأن القلب الكريم إن هو لم يثر في وجه المعتدي يوماً فله عودة وعودة غير عودته إلى الروض !

(المنصورة) محمود البشبيشي

عراك فى معترك أى معترك

للأســتاذ زكى طليمات

هذا التحدى بالسباب من جانب الأستاذ محمد متولى (١) نرده إلى صاحبه

نحن هنا ، على صفحات هذه المجلة للأدب الصرف وللعلم الخالص ، وقد نكون فى غيرها لما يريده الأستاذ الجامى الثقافة . لهذا نقول له إننا نحجم عن ذلك فى هذه الصحيفة ، لا إكراماً لشخصه ولا ترفقاً لحاله ، لأن من يقذف الناس بالحجارة من غير مبرر لا يرده ويحسن تأديبه إلا القذف بما هو دون الحجارة ، ولا لأى اعتبار آخر سوى وقار الموضوع الذى تبادلنا الحديث فيه ، وهو موضوع جدير بالرعاية فى معالجته على الوجه الصحيح. كشف عن لون جديد من ألوان المعرفة ، وتقرير صنف حديث من أصناف التأليف المسرحى ، نقول إنه موضوع طريف ، أثار وسيثير حوله جدلاً طويلاً ستتبارى فيه الأقلام وتختبر المعارف وتسقط الأقنعة الزيفة عن الوجوه ، فيتضح - وليس للمرة الأولى - كيف أن النقد يجب أن يقوم قبل كل شىء على الخلق الرضى المتواضع لا على التعلم المزهو فحسب، لأن التعلم وحده لا يحقق إنتاج الأديب الأصيل الذى يصدر أحكامه عن عقيدة مخلصة فى الحق والعدالة ، وكيف أن الذكاء وهو من صقل التعلم ، مجرداً عن الخلق العادل ، إنما يكون أداة للتضليل ومعولاً للشر ، ثم ينهض البرهان من جديد على أن بعض التعلم « وإن أذهب عن العاقل طيشه ، فإنه يزيد الأحمق طيشاً ، كما أن النهار يزيد كل ذى بصر نظراً ، ويزيد الخفاش سوء النظر »

نحن إذن أمام قضية خطيرة للعلم وللقراء ولهذه المجلة ، قضية يجب أن يقضى فيها بشرعة الحق وبقسطاس العلم ، والعلم أمانة ، وذهن القارئ أيضاً أمانة لدى الكاتب ، ولدى أستاذنا صاحب هذه المجلة

(١) الرسالة رقم ٣٨١ صفحة ١٥٩٩

لهذا ، سنمضى فى أمر الأستاذ متولى مما شاء له أدبه

* * *

وتمهيداً للبراهين التى سنسوقها للتدليل على ما وصفنا به نقد الأستاذ متولى ، نعرض أولاً للباب الموضوع حتى يحسن القارئ تفهمه

الرمزية المستحدثة أوسع نطاقاً من رمزية « ريبو »

مثار الخلاف أننى دفعت رأى الأستاذ متولى فى أن الرمزية التى نحن بصددها فى مسرحية « مفرق الطريق » أوسع نطاقاً من الرمزية التى حددها الأستاذ متولى ، نقلاً عن « ريبو » وحده فى كتابه (المخيلة الخلاقة . باريس سنة ١٩٠٠)

الأستاذ متولى يقول بلسان (ريبو) : « إن الرمزية فى الفن تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً فإذا الناس والأشياء تمر دون أن تنطبع بزمان أو مكان ، ولكنها تمضى وما تدرى أين حصلت ولا متى ، فلا هى تمت بصلة إلى أى بلد ، ولا هى تمثل عصراً بذاته » ، ولما كانت (مفرق الطريق) تعرض صوراً محلية تجرى حوادثها فى مصر ؛ وما دام بشر فارس قد أسمى بطل مسرحيته (هو) وأسمى بطلتها (سميره) ، إذن فالمسرحية لا تمت فى نظر الأستاذ متولى إلى الرمزية فى شىء ، وأنها محاولة مخفقة ، وأن مؤلفها لا يصح له أن يؤلف ، إلى غير ذلك من العبارات التى أصدرها براسيم تحمل اسمه الكبير ! ! !

سجل متولى هذا فى أول مقال له فرددنا عليه فى مقالنا السابق

١ — بأن (ريبو) واحد ممن كتبوا فى علم النفس ، وأن ما أدلى به هذا (الريبو) بصدد الرمزية فى الأدب ، قد فات أوانه بعد أن انبسطت للرمزية أطراف جديدة أخذ بها مؤلفون محدثون فى تأليف المسرحية والقصص والشعر ، وذكرنا أسماء لبعض هؤلاء المؤلفين ، وكلهم من المبرزين فى عالم الأدب الرفيع أمثال (بيراندللو) ، (جيرودو) ، (جانتيون) ؛ وهم مؤلفو مسرحيات رمزية صميمة لم تتقيد بآراء (ريبو) من حيث الاستخفاف بتمثيل العالم الخارجى وغير ذلك ؛ بل هى مسرحيات تنطبع بزمان ومكان ، وشخوصها يحملون أسماء كسائر الناس ، وتجرى حوادثها فى مدن معروفة . وذلك أن الرمزية المستحدثة أصبح مدارها

الأول استكناه خفايا النفس وبواطن الأشياء ، أو بمعنى آخر « استنباط ما وراء الحس من المحسوسات الخ » ، كما أورده بشر فارس فى مقدمته لمسرحيته المذكورة

٢ — ولم نقف من هذه الأقوال عند مجرد الرد فحسب ، وإنما أضفنا إلى هذا النقص عند (ريبو) ذكر نقص آخر ، قرره العالم (أبيل راى Abel Rey) أستاذ تاريخ العلوم وفلسفتها بجامعة السربون . وذلك فى بحث له عن الاختراع بكتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس (صفحة ١٤٤١ السطر ١٤ — ٢٠ الجزء الثانى طبعة باريس ١٩٢٤) هذا نصه :

La psychologie de Ribot à ce sujet nous semble encore trop dominée par la conception automatique et simpliste de l'atomisme mental, bien qu'il ait insisté — ce qui le rangait parmi les novateurs à l'époque — sur ce fait que les états associés ne sont pas simplement juxtaposés, mais qu'ils « se modifient par le fait même de leur connextion »

ومجمل ترجمته : « يلوح لنا أن علم النفس عند (ريبو) فى مسائل « المخيلة » والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة »

٣ — وأيدنا هـذا النقص بذكر تقدم علم النفس فى هذه المسألة بعينها على أيدى الفيلسوفين (وليم جيمس) و (برجسون) !

(وقبل أن أنتقل من هذه النقطة أرجو القارىء أن يقف قليلاً أمام هذا النص الفرنسى ومجمل ترجمته فله قصة طريفة سنوردها بعد قليل !)

٤ — ولم نكتف بكل هذا ، وهو من صميم العلم الذى لا ترقى إليه الشبهات ، بل رجعنا إلى (ريبو) نفسه فى كتابه المذكور (المخيلة الخلاقة) ووقفنا عنـد النص الذى اقتطعه الأسـتاذ متولى ليدعم دعواه فى الرمزية ، فوجدنا ، ويا للعجب ، أن (ريبو) لم يتحرج التحرج الذى أراده متولى ، إذ أنه ، أى (ريبو) لم يحتم التحتيم كله أن تكون الرمزية ممعنة فى الإبهام إذ يقول « إنه كثيراً souvent ما تفلت الرمزية — فى عهده طبعاً — من التحديد الزمانى والمكانى ، وإذ يقول إن الأسماء ، أسماء الأشخاص فى المسرحية يعبر عنها أحياناً quelquefois بهو أو هى ، أو هم !

٥ — ثم تساهلنا مع الأستاذ متولى فقلنا إنه على فرض أن (ريبو) إله فى علم النفس ، وأن آراءه فى الرمزية لم يشحب لونها ، وعلى فرض أن العلماء مثل Abel Rey لم تطعن فى صحة موقف (ريبو) فى كلامه عن « الاختراع » و « المخيلة » كما قدمنا ، على فرض كل هذا ، فإنه من الغريب أن يأتى متولى عام ١٩٤٠ فيفرض على كل كاتب فى الرمزية أن يخضع ما يكتبه فيها لآراء (ريبو) ، فيقول للدكتور بشر فارس إما أن تنشىء على آراء (ريبو) وإما فما تنشئه لا يمت إلى الرمزية بصلة ما ! ثم سألناه ، بعد أن قررنا له أن العلم يتقدم والنظريات تتطور : وما نفع مسايرة الأدب ـ وفيه الرمزية ـ للعلم فى تقدمه وفى مستحدثاته ؟

أين موضوعية النقد يا أستاذ ؟

بهذا المنطق الواضح والبرهان المستقيم دفعنا أقوال الأستاذ متولى ، وهى أقوال اتخذها أساساً لانتقاص مسرحية (مفرق الطريق) ، فلم يدفع ما أدلينا به بحجة علمية واحدة مع أن ما نحن بصدده فى هذا يؤلف جوهر الموضوع !

فهل قرأ متولى هذا فى مقالنا ولم يفهمه ، أو هو قرأه ووعاه ثم أسقطه من حسابه فى رده علينا خشية أن يبدو أمام القراء فى غيبوبة وتباطؤ فى التحصيل لا يصح أن يكون عليهما من هو بإجازة الماجستير !!

لئن كان الأمر الأول فله العذر ولنا العزاء ، ولئن كان الأمر الثانى فيا خيبة الأمل فى نزاهة النقد وصدق النفس !!

الهارب المهزوم !!

بماذا طلع علينا متولى فى مقاله الأخير ؟؟

١ — سبحات فى خيال ، ونطحات فى جدار ، وسباب ساقه إلى وإلى بشر فارس يعزبنى فيه ، كما يعزى ـ على ما أظن ـ بشر فارس ، أنه امتد فى غير حياء إلى المستشرق الكبير الأستاذ

(بركلن)، الحجة فى تاريخ الأدب العربى، هجم متولى، الماجستير فى الفلسفة من الجامعة المصرية على هذا الإمام الكبير فنعته «بالغفلة» لأنه قرر فى تاريخه عن الأدب العربى الحديث عن مسرحية (مفرق الطريق): «نحن هنا عنـد استهلال تطور يستطيع أن يحدث تجديداً فى الحياة الأدبية أو قل يجلب ثروة إليها»

ما رأى أساتذة كلية الآداب فى هذا، وبماذا يعاقبون التلميذ محمد متولى ؟

٢ — عمد إلى المغالطات الصريحة والادعاءات الجريئـة، وإلى القارئ بعضاً منها:

(١) ادعى أننا نسبنا — غفلة وجهلاً وإمعاناً فى تزييف الحقائق العلمية — ما قاله العالم (أبيل راى Abel Rey) خاصاً بنقد (المخيلة) عند (ريبو) — ونص هذا القول سجلناه بالفرنسية مع ملخص ترجمته قبل هذا بسطور ورجونا القارئ أن يقف عنده — ادعى الأستاذ متولى أننا نسبنا هذا إلى (وليم جيمس) الفيلسوف المعاصر، ولا نعرف لهـذه الدعوى وجوداً إلا فى مخيلة متولى المبتدعة، لأننا أوردنا نص ما قال Abel فى مقالنا السابق[1] مع إشارة صريحة إلى أنها واردة فى كتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس، ولم نغفل تاريخ طبع الكتاب وأرقام الجزء والصفحة والسطر! وما على القارئ إلا أن يتفضل بالمراجعة ليحكم هل أنا المزيف أم الأستاذ متولى!

(ب) *يدرس لا يدرس*

قلنا فى مقالنا السابق إن كتاب جورج دوماس هذا يدرس اليوم فى جامعة السربون بباريس، ولم نضع شكلاً على كلمة (يدرس) باعتبار أن المعنى صريح لا يحتاج إلى ضبط لدى كل من له معرفة بدراسة الجامعات، وقد قمت بدراسة فى جامعة السربون لتاريخ الفن Histoire de l'art الأمر الذى يصح أن يعرفه الأستاذ متولى، ولـكن مخيلة الأستاذ شاءت أن ترى فى كلمة (يدرس) بمعنى يقلب ويقرأ، معنى آخر تحدده كلمة (يُدرَّس) أى واجب على الطلبة الأخذ بكل ما جاء فيـه.

(١) الرسالة رقم ٣٧٨ ص ١٥٢٠ العمود الأول ابتداء من السطر ١٤

كبا متولى هذه الكبوة ليقول مزدهياً: إن زكى طليمات لا عهد له بالدراسة الجامعية وعليه فلا يجوز له أن يناقش خريجاً من جامعة

(ج) ولو!!

أراد متولى أن يسجل علينا رذيلة التطاول والتهجم على رجال العلم، وأولهم فى نظره (ريبو)، لأنه عكازه ومنظاره فيما يكتب، فقال: إن (ريبو) هذا الذى لا يرضينا هو الذى عرف (جورج دوماس) فضله فاختاره ليكتب له مقدمة كتابه السابق الذكر. هذا فى حين أننا لم ننتقص قدر (ريبو) هذا ولم نتطاول عليه، وكل ما قلناه عنه أن آراءه فى الرمزية قد فات أوانها، ولم نكن فى هذا أقل برأ من جورج دوماس نفسه الذى اصطفى (ريبو) لكتابة مقدمة كتابه، ثم سجل عليه فى نفس الكتاب ما أخذه عليه العالم A. Rey السابق الذكر!

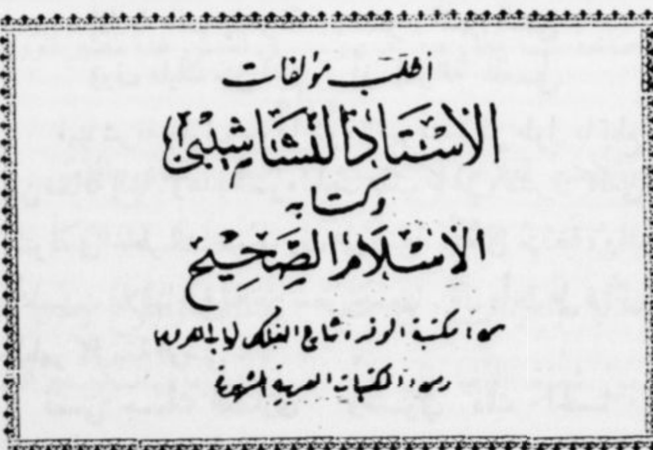
(د) الفيلسوف المعاصر!

قرر الأسـتاذ متولى إرسالى إلى محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المستهترين بقدسيته انتقامهم، قرر هذا تتقدمه عريضة اتهام مُفَـادُها أننى وصفت (وليم جيمس) بالفيلسوف المعاصر، هذا فى حين (وليم) هـذا توفى فى عام ١٩١٠، فهو بذلك غير معاصر!

وهنا أقول إنه يؤسفنى أن أصرح بأنه ما كان يدور بخلدى أن متولى يجهل كل المعنى التى تحت كلمة معاصر (Contemporain) وموعدنا العدد القادم ليحكم القراء فيمن يقدم إلى هذه المحـكمة وإلى محاكم أخرى من نوعها، أنا أم الأستاذ محمد متولى؟

(الحديث بقية)

زكى طليمات



قصة القمر العـــــاشق

للأستاذ على محمود طه

الأديب محمد سيد الكيلانى

هى قصة بارعة فى قصيدة رائعة عدتها اثنان وثلاثون بيتاً ، ومع هذا ، فإنها تقع فى أربعة فصول تمثل لنا العشق فى صورة مستحدثة ، وتعطينا لوناً لا عهد لنا به من ألوان الموسيقى . وهذه القصة واضحة المعانى ، بينة المرامى ، بالرغم مما فيها من رموز وإشارات . وهى مفعمة بالشذوذ ، ولكنها مع هذا كله مما يستقيم به منطق الشعراء الواقعيين

يتحدث الشاعر فى قصيدته عن « قصة قمر عاشق » يهوى الصبايا الحور ، ويقتحم عليهن الخدور . ولقد تواضع الشعراء من قبل على أن يجعلوا من القمر معشوقاً جميلاً رقيقاً فاتن السمات ، بديع القسمات ، فشبهوا به وجه الحبيب ، وفى ذلك يقول قائلهم وهو يخاطب الليل :

لو كان عندى قمر   ما بت أرعى قمرا

ولكن شاعرنا المهندس خرج على هذا الإجماع ، فجعل من هذا المعشوق الوادع الرقيق عاشقاً سابياً وعربيداً فاتكا ، فأسبغ عليه من صفات الرخاوة حيناً ، والضراوة حيناً آخر ، ما جعل قصيدته قمينة بالنظر ، حرية بالاستقراء ، جديرة بتأمل كل حسناء كأنما يوجه إليها الشاعر قصيدته ، كيلا يستخفها هذا الضوء الرطب المنحدر من قمر الليالى الصائفة ، فيلهيها عن نافذتها المفتوحة . قال مخاطباً هذه الغادة :

إذا ما طاف بالشرفة   ضوء القمر المضنى
ورف عليك مثل الحلم   أو إشراقة المعنى

فهنا شرفة يطوف حولها ضوء القمر متعباً من طول ما قطع من مسافة إليها . وهذا الضوء لطيف عذب كالحلم ، مشرق كالمعنى المتوقد فى خاطر الشاعر ، يرف على زنبقة نائمة فى مهدها ، وقد انحسرت غلائلها الرقيقة عن بعض جسمها . قال وأنت على فراش الطهر كالزنبقة الوسنى :

فضمى جسمك العارى   وصونى ذلك الحسنا

وفى هذا النداء الأخير تتجلى عبادة الشاعر للجمال وتقديسه له، فهو يربأ بهذا الجسم الفاتن أن يكون نهب هذا الضوء المفتون ، أو بمعنى آخر نهب الأعين الشرهة الجارحة ، فالشاعر ينصح صاحبته الحسناء أن تضم جسمها العارى وأن تستره حتى يبقى حسنها مصوناً . فنظرة شاعرنا المهندس إلى المرأة وجمالها فى هذين البيتين نظرة فنية روحية فى حين أن شاعراً كاسماعيل صبرى كان ينظر إلى الجمال نظرته إلى المتعة المبذولة . قال :

إن هذا الحسن كالماء الذى   فيه للأنفس رى وشفاء
لا تذودى بعضنا عن ورده   دون بعض واعدلى بين الظماء

فنظرة على محمود طه إلى الجمال أسمى وأنبل . وهى على أنها نظرة شاعرية متخيلة إلا أنهـا واقعية مستمدة من صميم الحياة وطبائع الأشياء . أما نظرة إسماعيل صبرى فهى ساذجة أو قل إنها تنافى منطق الحياة وتجافى طبائع الأشياء . إن هذه المرأة التى يطلب منها اسماعيل صبرى أن تجعل من حسنها مورداً لكل ظمآن ومتعة لكل إنسان وأن تعدل بين الظماء فلا تزيد فى كأس هذا قطرة عما فى كأس ذاك لم تخلق بعد . وهى كما يصورها اسماعيل صبرى ليست من بنى البشر ، إنما هى آلة مصنوعة توزع الطعام والشراب بالدرهم والمثقال . هذا هو التمهيد الذى قدمه الشاعر لقصته

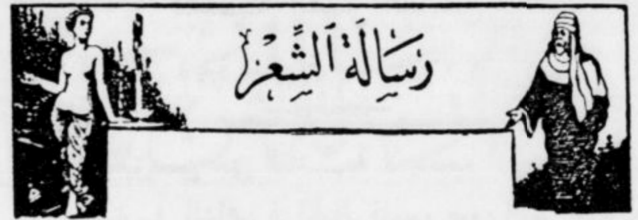
أما الفصل الأول فهو هذا الضوء الذى نظر من خلال السحاب فرأى هذه الفتاة النائمة وقد تعرى بعض جسمها ففتنه جمالها فهبط من عليائه إلى أرض حديقتها ، ثم نظر فإذا هى نائمة فى فراشها تحت نافذتها . وهنا يمثل الضوء دوراً تاريخياً من أدوار العشق والغرام التى قام بها روميو ، فيسترق الضوء الخطا حتى يصل إلى هذه النافذة فيراها عالية فيتسلق إليها الأغصان لا يبالى بأشواكها حتى يصل إلى فاتنته . قال الشاعر :

ومس الأرض فى رفق   يشق رياضها الغنا
عجبت له وما أعجب   كيف استلم الركنا ؟
وكيف تسور الشوك   وكيف تسور الغصنا ؟

والفصل الثانى حين يقف الضوء فى مخدع الحسناء فيرى فى خديها خمر صبابة . ولقد ألفنا الشعراء يصفون خدود الملاح بالتفاح ولكن على محمود طه عمد إلى وصف ما ينبعث من الخدود من سحر وجمال بخمر صبابة لا ينضب معينها . قال :

على خديك خمر صبـــابة   أفرغهـــا دنا

(البقية على صفحة ١٦٦٢)



من أمسيات الخريف

للأستاذ محمود الخفيف

حَتَّامَ تُوحِى شَمْسُهُ الْغَارِبَهْ   لِلنَّفْسِ هَذا الشَّجَنْ ؟
حَتَّامَ تَحْكِى لِيَ الْمُنَى الذاهِبَهْ   وَقَدْ تَرَاخى الزَّمَن ؟
شُحُوبُهُ فى وَجْنَتِي الشَّاحِبَهْ   يَكْشِفُ مِنْ أَسْقَامِهِ ما كَمَنْ
مَنْ مُبْلِغٌ آمِرَتِى الْغَائِبَهْ   أَنِّى غَرِيبٌ هَاهُنا فى الوَطَنْ ؟

* * *

أَمْسُ انْقَضَتْ يا قَلْبُ أَحْلامُهُ   فَفِيمَ هَذا الْعَذابْ ؟
لا تَنْفَعُ الْمَحْزُونَ أَوْهَامُهُ   إِلاَّ كَلَمْحِ السَّرَاب
هَذا الأَسَى النَّوَّاحُ أَنْغَامُهُ   كَالرِّيحِ أَنَّتْ فى شِعَابِ الهِضابْ
وَدَمْعُكَ السَّحَّاحُ تَسْجَامُهُ   كما هَمَى فى الْقَفْرِ دَمْعُ السَّحَاب

* * *

وَا حَزَنَا هَذِي رِيَاحُ الْخَرِيفْ   نَوَّاحَـــةً شاكِيَهْ
أَرْغُولُها غَنَّى بِهَذا الْخَفِيفْ   أَلْحَانُهَا النَّاعِيَـــهْ
حَشْرَجَةٌ فِيها نَشِيجٌ مُخِيفْ   لم تَخْلُ مِنْ أَنَّاتِهَا نَاحِيَه
كَمْ أَسْلَمَتْ لِلسُّقْمِ قَلْبِي اللَّهِيفْ   وَأَيْقَظَتْ آلاَمِيَ الْغَافِيَهْ !

* * *

تَهَيَّأَتْ لِلْمَوْتِ شَمْسُ الأَصِيلْ   رَاجِفَـــةً كاسِفَهْ
مَا زَادَ فى الْعُمْرِ النَّهَارُ الطَّوِيلْ   عَنْ لَمْحَةٍ خاطِفَهْ !
فى مِثْلِ هَذا الوَقْتِ كانَ الرَّحِيلْ   والشَّمْسُ فى كَفِّ الرَّدَى راعِفَه
لم أَنْسَ وَالْقَوْلُ دُمُوعٌ تَسِيلْ   أَفْئِدَةً يَوْمَئِـــذٍ وَاجِفَه

* * *

تَجْهَشُ يا أُمَّاهُ هَـذا السَّفَرْ   تَحْزَنُ رُوحِى لَهُ
أُمَّاهُ مَا أَحْسَسْتُ هَذا الأَثَرْ   فى سَفَرٍ قَبْـــلَهُ !
ولا تُحِيرُ الأُمُّ غَـيْرَ النَّظَرْ   فى شَجَنٍ ما عَرَفَتْ مِثْلَهُ
وَذَاكَ رَبُّ الدَّارِ مَهْمَا صَبَرْ   يَكادُ لا يُبْصِرُ مَا حَوْلَهُ

* * *

وَالْتَفَتَتْ هَامِسَةً بِالسَّلاَمْ   بَاسِمَـــةً دامِعَـــهْ
وَحِرْتُ وَاسْتَعْصَى عَلَيَّ الْكَلاَمْ   وَانطَلَقَتْ جَازِعَـــهْ
تَنَاوَحَتْ حَوْلِى بِهَـذا الْمَقَامْ   رِيحٌ عَلَى أَوْتَارِهَا القَارِعَه
كَمْ نَثَرَتْ حَتَّى احْتَوَانِى الظَّلاَمْ   سِلْسِلَةً مِنْ أَدْمُعِى الهَامِعَهْ

* * *

هَا هِيَ ذِى فِي الْيَأْسِ تُطْوَى السِّنون   وَفِي الْمُنَى الْبَاطِــلَهْ
يُوحِى لِنَفْسِى فِي الْخَرِيفِ الْمَنُونْ   أَطْيَـافُهَا الْمَـــاثِلَهْ
الصَّمْتُ فِي وِدْيَانِهِ وَالسُّكُونْ   وَالْمَوْتُ فِي أَوْرَاقِهِ الذَّابِلَهْ
وَالرِّيحُ غَنَّتْ نَاحِلاَتِ الْغُصُونْ   أَلْحَانَ تِلْكَ الْخُضْرَةِ الزَّائِلَهْ

* * *

فِي الأُفُقِ الْغَرْبِيِّ أَلْقَى الْمَسَاءْ   ظِـلاَلَهُ الحَـــائِمَهْ
وَانطَفَأَتْ فِي لاَزَوَرْدِ السَّمَاءْ   جَمْـــرَتُهَا الْقَاتِمَـــهْ
وَأَقْبَـلَ اللَّيْلُ وَمَاتَ الضِّيَاءْ   وَأَنْذَرَتْنِى الظُّلْمَـــةُ الْعَارِمَهْ
مَعْنًى جَدِيدٌ مِنْ مَعَانِى الْفَنَاءْ   يَلْمَحُ لِي فِي هَذِهِ الْخَاتِمَهْ

* * *

فى كُلِّ شَيْءٍ شَاعَ حَوْلِي الْفُتُورْ   وَدَبَّ طَيْفُ الْكَرَى
فى الدَّوْحِ وَالزَّرْعِ وَهَذِى السُّطُورْ   مِنْ دُورِ أَهْلِ الْقُرَى
تَجَهَّمُ الْوَحْشَةَ تِلْكَ الْقُبُورْ   مَنْظُومَةً فَوْقَ الثَّرَى أَسْطُرَا
صَائِحَةً مَهْمَا يَطُلْ مِنْ غُرُورْ   فِي الْعَيْشِ هذا مَصِيرُ الْوَرَى !

* * *

وَاللاَّغِبُ الْمَلاَّحُ فِي لَحْنِـــهِ   أَشْجَى مَعَانِى الأَسَى
لَحْنٌ قَبَسْتُ الشَّجْوَ مِنْ لَوْنِهِ   وَصُغْتُ هَـــذَا الْبُكَا
الذُّلُّ وَالْحِرْمَانُ فِي فَنِّهِ   وَالْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَطُولُ الْعَنَا
مِنْ شِقْوَةِ الدُّنيا إِلى كِنِّهِ   يَأْوِى وَمَا فِي الْكِنِّ غَيْرُ الضَّنَى

الخفيف

بين الشرق والغرب

آفَةُ الشَّرْقِ اهْتِضَامُ الضُّعَفاءِ وَهوى الظُّلْمِ وَإِزْهَاقُ الْعِبَادِ
وَبَلاءُ الشَّرْقِ خُلْفُ الزُّعَمَاءِ وانْقِسَامُ الرَّأْيِ فِي سَاحِ الْجِهَادِ

وَبَنُو الشَّرْقِ أُنَاسٌ نَبَذُوا خَشْيَةَ اللهِ وَحُبَّ الْوَطَنِ
تَبِعوا الْغَرْبَ عُمَاةً وَحَذَوا حَذْوَهُ فِي الْقُبْحِ لا فِي الْحَسَنِ
تَرَكُوا نَهْجَ التُّقَى وَاتَّخَذُوا سُبُلَ الْكُفْرِ وَطُرُقَ الْفِتَنِ
وَتَبَاهَوْا بِالْمَخَازِي ، بِالرِّيَاءِ بِالْمَعَاصِي ، بِأَفَانِينِ الْفَسَادِ
فَاتَهُمْ أَنَّ الْعُلاَ بِنْتُ الإِبَاءِ وَبُلُوغُ الْمَجْدِ رَهْنُ الاتِّحادِ

غُلِبَ الشَّرْقُ عَلَى نَيْلِ الأَرَبْ وَأَبَى التَّفْرِيقُ أَنْ يَنْصُرَهُ
وَلَوَ انَّ الشَّرْقَ ضَحَّى وَدَأَبْ كَانَ لُطْفُ اللهِ قَدْ أَظْهَرَهُ
إِنَّمَا أَهْلُوهُ زَادُوهُ نَصَبْ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ
لاَ يَمِيلُونَ إِلَى غَيْرِ الْهُرَاءِ أَوْ يَهِيمُونَ بِغَيْرِ الانْتِقَادِ
شَأْنُهُمْ فِي الْعَيْشِ شَأْنُ الْجُبَنَاءِ خَامِلُو الذِّكْرِ قَلِيلُو الاعْتِدَادِ

أَيُّهَذَا الشَّرْقُ يَكْفِيكَ عَمَى فَاتَّقِ الْغَرْبَ وَكُنْ فِي حَذَرِ
لاَ يَغُرَّنَّكَ إِمَّا ابْتَسَمَا بَسْمَةَ الْبَرْقِ قُبَيْلَ الْمَطَرِ
فَهْوَ لَمْ يَعْشَقْكَ إِلاَّ مِثْلَمَا يَعْشَقُ الْجَزَّارُ سِرْبَ الْبَقَرِ
سَائِلِ السِّكِّينَ عَنْ هَذَا الْوَلاَءِ وَسَلِ الْمَسْلَخَ عَنْ ذَاكَ الْوِدَادِ
وَاحْذَرِ السُّمَّ بِمَعْسُولِ الثَّنَاءِ وَاجْتَنِبْ فِي وَرْدِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ

لاَ تَظُنَّ الْغَرْبَ صَبًّا مُفْتَتِنْ بِكَ ، فَالْغَرْبُ وَلُوعٌ بِفَنَاكَا
أَوْ تَخَلْهُ الطَّاعِمَ الْكَاسِيَ الْمَرِنْ فَهْوَ مِنْ جِلْدِكَ يَاشَرْقُ كَسَاكَا
وَهْوَ مِنْ لَحْمِكَ غَذَّاكَ وَمِنْ دَمِكَ الْمَسْفُوكِ عُدْوَانًا سَقَاكَا
مُسْتَبِدًّا جَائِرًا بِاسْمِ الإِخَاءِ شَائِقَ الأَقْوَالِ شِرِّيرَ الْمُرَادِ
قَدَّسَ الْغَدْرَ وَنَادَى بِالْوَفَاءِ وَيْلُ هَذَا الشَّرْقِ مِنْ ذَاكَ الْمُنَادِي

(دار الأهرام) فؤاد بليبل

قصـــة القمر العاشق

(بقية المنشور فى صفحة ١٦٦٠)

رحيق من جنى الفتنـــة لا ينضب أو يفنى

ثم استرسل الشاعر فى الخيال فتصور ضوء القمر غريماً له ومنافساً سبقه إلى هذه الغانية ، ثم ذكر غيرته عليها كلما قبّل ثغرها أو لف نهدها أو ضم جسدها ، قال :

أغار ، أغار إن قبـــل هـذا الثغر أو ثنى
ولف النهـد فى لين وضم الجسد اللـدنا

ثم أخذ ينصح صاحبته بألا تستهين بهذا الضوء وأن تأخذ حذرها منه ، وأن تخشى بأسه . وقد دعم أقواله بحقيقة من الحقائق العلمية ، فذكر أن هذا الضوء يؤثر فى الموجة الكبرى ويرغمها على الخروج من أعماق البحار . وفى هذا إشارة علمية لطيفة إلى المد فإن الأمواج ترتفع تحت جاذبية القمر . وهنا ينتهى الفصل الثانى

أما الفصل الثالث فيبدأ حينما تصور الشاعر هذا الضوء وقد عجز عن أن ينال من هذه الحسناء بعد أن أسبغ عليها كل فنه وجماله .. قال :

أراد فلم ينـل ثغراً ورام فلم يصب حضنا
حوتك ذراعه رسماً وأنت حويتـه فنـا

فى حين أن الفصل الرابع يتمثل فى ثورة هذا الضوء الذى أظهر الرعونة والطيش ومضى يطوى السهول والحزون :

يثـير الليـل أحقاداً وصـدر سحابه ضغنا
وعاد الطفل جبـاراً يهز صراعه الكونا

فهذا الذى كان يجثو أمامها كالطفل ملتمساً العطف عاد جباراً يهز الكون هزاً بصراعه الشديد المتواصل ، يثير الرياح ويرسل العواصف، فيهرع الناس إلى منازلهم كما يهرعون عند سماع صفارة الإنذار من الغارات الجوية ، ويسرع كل منهم إلى لقاء زوجته . وحينئذ يذكر الناس أن القمر لا بد أن يكون مفتوناً بغادة ملكت عليه كل جوارحه . ثم نصحها بأن تتقى شر ذلك الجبار وتقفل النافذة حتى تصون حسنها من ثورة هذا العاشق ، وحتى لا يظن الناس بمخدعها الظنون . وختم هذه الدرة الثمينة بقوله :

فكم أقلقت من ليل ! وكم من قمر جنا !

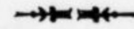
محمد سيد الكيلانى



تأملات:

الفن والاطمئنان

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



منذ سنة شاهدت السيدة ميمى شكيب فى رواية الدلوعة ، فأعجبت بها إعجاباً خفيفاً ، لأنى لم أجدها أكثر من ممثلة درست دورها على يد أستاذها الريحانى ، واتبعت إرشاداته وتعليماته بأمانة وتدقيق .

ومنذ أسبوع شاهدت السيدة ميمى شكيب فى رواية الدلوعة أيضاً ، فإذا بى أراها شيئاً جديداً ، وإذا بشبح الريحانى الذى كان يصاحبها فى السنة الماضية ويقودها على خشبة المسرح خطوة خطوة ، ويلون صوتها فى إلقائها نبرة نبرة ، قد اختفى تماماً ... وإذا بالسيدة ميمى شكيب ممثلة أستاذة تعربد على المسرح عربدة حية توحى بها إليها خواطرها هى ، وتتبع فيها اختيارها هى ، ولا تتقيد فيها بإرشادات موجهة إليها ، ولا تعليمات مدروسة ...

فما الذى حدث للسيدة ميمى شكيب ، حتى استطاعت أن تقفز هذه القفزة ، وأن تخرج فى عام واحد من صفوف التلميذات النجيبات إلى صفوف الأستاذات المجيدات ؟

لا بد أن يكون شىء ما قد حدث لها ، ولا يمكن أن يكون هذا الشىء اجتهاداً فى دراسة المسرح ، أو اهتماماً بالفن زاد عندها عن ذى قبل . فليس شىء من هذا بقادر على أن يخلق الإنسان خلقاً جديداً ، وإن كان قادراً على أن يصقله شيئاً ما ، وأن يهذبه شيئاً ما ، وأن يرفعه شيئاً ما ...

فما الذى حدث للسيدة ميمى شكيب إذن ؟

الذى حدث هو أنها تزوجت !

ولكن ما للزواج والفن ؟ وكيف يمكن أن يكون الزواج سبباً فى النهوض بفنانة نهضة تلفت الناقد هذه اللفتة المحيرة ؟ وإذا كان الزواج هو السبب فى هذه القفزة التى قفزتها السيدة ميمى شكيب ، فإن أستاذها الريحانى نفسه ليس متزوجاً ومع هذا ، فهو أستاذها ، وهو الفنان الذى لا يشق له غبار ...

الواقع أن الزواج يبعث فى النفس اطمئناناً وارتياحاً ، وهو يبثهما فى نفس المرأة أكثر مما يبثهما فى نفس الرجل ، وكل فنان محتاج إلى الاطمئنان والارتياح كى يتفرغ لفنه ويجيد فيه ، وإذا عدم الفنان الاطمئنان والراحة فهو مهدد دائماً بأن ينعكس على فنه ذلك القلق الذى يتردد فى نفسه ، وهو مهدد كذلك بأن يصطبغ فنه بلون معتم مظلم أسود هو لون اليأس والشقاء اللذين يعانيهما من قلقه . وكثيراً ما كان هذا القلق سبباً فى انحدار الفنانين وذبولهم ، وكثيراً ما كان سبباً فى الانزلاق بهم إلى مهاوى الخبل يطلبون الاطمئنان عبثاً فى الخمر ، والمخدرات ، والمواخير .

والخمر والمخدرات والمواخير ، لا شك فى أنها تبعث اطمئناناً عارضاً وارتياحاً وقتياً فى نفس الفنان ، ولكن آثارها عندما تزول أن يصبح للفنان فإذا به يرى نفسه فارغة كما كانت قبل السكرة ، وإذا به يرى نفسه وحيداً هائماً على وجهه لا يدرى له مستقراً ، ولا يعلم له هدفاً ، فيعود إلى ما كان فيه ، ويطلب السم الذى يطمئنه ويقتله فى الوقت نفسه ، ولا يطول به الزمن حتى تتلف صحته ، وتتحطم أعصابه ، ويخمد عقله ، ويتبلد إحساسه ، ويخبو من نفسه ذلك النور الذى يهديه ويلهمه ، فيصبح فى آخر الأمر إنساناً مسكيناً لا حياة له إلا الأوهام ، فهو يحسب نفسه قادراً على الإنتاج لأنه يلمح أطيافاً من الفكر تجول فى رأسه ، ولكنه إذا أراد أن يحصرها ، وأن يجندها ، وأن ينظمها ، وأن يطلقها إلى الدنيا فناً رآها تشق عصا الطاعة عليه ، وتستعصى ، وتفلت منه وتذوب فى رأسه كأنها لم تكن ... وإذا ابتلى فنان بحال كهذه

فمآله الانهيار من غير شك فإما أن يموت كما مات سيد درويش وإما أن ينتحر كما انتحر إيفان مسجوكين ، وإما أن ينطلق فى الدنيا مشرداً مسكيناً إن عطف عليه الناس اليوم فسينبذونه غداً

والفنانون فى الدنيا بأسرها ليسوا غائبين عن هذه الحقيقة ، كما أنه ليس فى الدنيا إنسان غائباً عنها ، فلماذا يعرض كثيرون من الفنانين والفنانات عن الزواج ، ولماذا يجرؤ بعضهم على أن يدعو غيره إلى الإعراض عنه حتى أصبح هناك مذهب فاسد عشش فى رؤوسهم أو فى رؤوس بعضهم ، واجتذب له أنصاراً يقولون بأن الزواج يعرقل الفن ...

هناك سبب خفى لهذا ، وهو أن فى الفنانين كثيراً من طبائع النساء ، فهم أشد إحساساً من غيرهم من الرجال ، ومن شدة إحساسهم هم أشد غيرة من غيرهم ، ومن شدة إحساسهم هم أقل حكمة من غيرهم . ولهذا كان مما يشبه الأمر العسير أن يجمع الرجل بين الفن والمرأة ، لأنه من العسير أو من المستحيل أن تجمع بين المرأة والمرأة

وقد نتج من هذا أن كثيرين من الفنانين شذوا عن الحياة الطبيعية ، وأصبحوا يطلبون الاطمئنان والارتياح فى المغالطات والأوهام . وقد كانت هذه المغالطات وهذه الأوهام مواد لذيذة لكثير من الفنون استمتع بها الناس ، ولكنهم كانوا وهم يستمتعون بها يشفقون على أصحابها ويقولون دائماً : يا لهؤلاء من أشقياء مساكين محرومين ...

والعجب أن هذا لم يكن فى يوم من الأيام محرضاً على نبذ هذه المغالطات وهذه الأوهام ، وإنما كان دائماً محرضاً على الإقبال عليها ، فكلما نشأ فنان صغير وأحس فى نفسه شيئاً من الضعف حيال الحياة الطبيعية ، وأدرك أن ضعفه هذا راجع إلى قوة إحساسه وحدة نفسه ، لم يسرع إلى تنمية عقله التنمية التى تحفظ توازنه ، ولم يسرع إلى توطيد أخلاقه التوطيد الذى يحميه من الوقوع فى اضطراب الشذوذ ، وإنما طلبته صور هذا الشذوذ ، وحسبها نوعاً من الحياة يمكن أن يعيش إلى جانب الحياة الطبيعية التى لا سبيل إلى الخلود إلا بها ...

وهكذا ضعف كثيرون من الفنانين ، وهكذا انهاروا ، وهكذا أعقبوا فنوناً لا أنكر أنها لذيذة وإن كنت أسخط عليها وأمقتها مقتاً جدّ على نفسى ووجدته حقاً

وإلى هؤلاء الفنانين أريد أن أوجه الحديث اليوم

فليتصوروا سلماً يصل ما بين الأرض والسماء ، وأن الناس جميعاً مطالبون بأن يصعدوا هذا السلم ، وليقولوا لى أى الناس أضمن وصولاً إلى قمة هذا السلم !

الإنسان الذى يقبض عليه برجليه ويديه وأسنانه ويصعد درجة درجة فما تفلت منه درجة ، أم الإنسان الذى يقفز عليه برجليه فقط بينما يداه يلوح بهما فى الهواء ، وبينما يزعق بحنجرته مغنياً أو نادباً أو مهللاً ؟ ...

لاشك فى أن الأول أضمن وصولاً من الثانى ، كما أنه لاشك فى أن الثانى كلما قطع مع الأول مرحلة كان ذلك دليلاً على أنه أبرع منه وأقدر ...

فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يكون هذا الثانى البارع القادر إذا استغل قواه جميعاً ، واستخدم جوارحه جميعاً كما يفعل الأول ؟ ...

لابد أنه يسبقه بمراحل ، ولا بد أنه يشعر بعد ذلك بدافع من نفسه يدفعه إلى مساعدة غيره والأخذ بأيديهم ...

وهذا هو ما يفعله الأنبياء وأصحاب الرسالات ، فهم ليسوا إلا بشراً وهم أشبه الناس بالفنانين ، ولكنهم يزيدون على الفنانين قوة العقل وقوة الخلق إلى جانب قوة الإحساس ، ولذلك فإنهم ساروا دائماً نحو المثل الأعلى فى خطى ثابتة ومن غير قلق ، ومن غير يأس ، ومن غير شذوذ ولا خروج على قواعد الطبيعة وسننها

ولعل أقوى حجة من حجج أولئك الأنانيين الذين يمقتون الزواج هو قولهم إن مسئوليات الزواج تثقل على كاهل الفنان وتحرمه من الفن وتحرم الفن منه . وهذا قول سخيف ، لأن الحياة من غير زواج ليست إلا «رهبنة» أو قرصنة ، و «الرهبنة» شىء ليس من اليسير على الإنسان أن يحققه ، ولو حققه الناس جميعاً لتعطلت الحياة التى أرادها الله ، والقرصنة شىء قد يكون من اليسير على كل إنسان أن يحققه ، ولكنه لو حققه كل إنسان

لفسدت الحياة واضمحلت وتخاذلت ودبت إليها الأمراض البدنية والنفسية ، ثم يعاجلها بعد ذلك الموت السريع . ثم إن حياة الأسرة نفسها فيها تلخيص لقصة الخلق لا يمكن أن يتذوقه إلا من يباشرها ؛ والعجيب أنه لا يمكن أن يتذوقها إنسان مثلما يستطيع الفنان الحساس العاقل القويم الخلق أن يتذوقها ، فهي تجعل منه رباً صغيراً لجماعة من الناس الأحياء ، وتمكنه من أن يرزق ، ومن أن يعلم ، ومن أن يصلح ، ومن أن يوجه ، ومن أن يعاقب ، ومن أن يجازى ، ومن أن يحاسب ، ومن أن يرحم ، ومن أن يشفق ، ومن أن يغفر ، ومن أن يضمن الذكر لنفسه بعد موته ، فيكون هو الوصلة بين الماضي والمستقبل ، ومن أن يطلب حقه بلا تفريط ولا تهاون ، ومن أن يعز ويعتز ، ومن أن ينصر وينتصر ، ومن أن يقول لشيء كن فيكون ...

وهذا هو ما يريده الله لنا ، وما يريده منا ، فى هذه الحياة من المعانى ما لو انتبه إليه الفنان واستغله لأخرج منها صوراً وسلاسل لا نهاية لها من الفن الذاخر بالعواطف والفكر والمثل الخلقية العليا التى تفيض بها أنفس الآباء العاديين ويعجزون عن تسجيلها .

وقد يعترض علىّ معترض من غير المجربين ويقول لى : ما لنا نرى كثيرين من أفذاذ الفنانين الذين مجدتهم أنت نفسك واقعين فى ذلك الشذوذ الذى تعيبه وهاربين من الزواج مع أنهم لا تعوزهم الحكمة ولا العقل ومع أن أفعالهم تشهد بأن لهم من الأخلاق الفاضلة ما ليس لغيرهم ، فهم محسنون غير أنانيين ، وهم يربون أولاد غيرهم بأموالهم ويصنعون ويصنعون ...

ولهؤلاء أقول ... إن غلطة واحدة يرتكبها الإنسان فى صغره مختاراً أو مجبراً قد تظل آثارها عالقة بأعصابه وبحياته إلى أن يموت . فإذا لم يلتفت الإنسان إليها التفاتاً خاصاً ، ويقاومها مقاومة خاصة ، فإنه يظل منساقاً وراء نتائجها ، ويظل يعانى الأمرين من آثارها ، وقد يخيل إليه فى ظرف من الظروف أنه مستطيع الانخراط فى طريق الحياة الطبيعية العادية إذا ما اعتزمها واصطنعها ، فيعتزمها ويصطنعها ولكنه لا يلبث أن يرى نفسه بعد حين عاجزاً عن المضى فيها ... كما حدث ذلك للفنان الكبير شارلى شابلن فإنه تزوج أكثر من مرة واحدة ، وأنجب من زوجه الأولى ولداً هو الآن شاب كبير . ومع هذا فإن شارلى لا يزال يتخبط فى حياته وإن كان له عذره فى تخبطه ، وإن كان فنه السامى مما يشفع له ، فنحن إذا طالبناه بإصلاح نفسه الآن بعد فوات الأوان فإن ذلك قد يستنفد منه بقية حياته ، وإن أنانيتنا نحن لتمنعنا من أن نسدى إليه هذه النصيحة ، لخيرنا فى أن نستمتع بفنه ، ولو كان فى ذلك هلاك روحه ...

إذن فمن الذى يستطيع أن يضع حداً لهذا الاضطراب ...

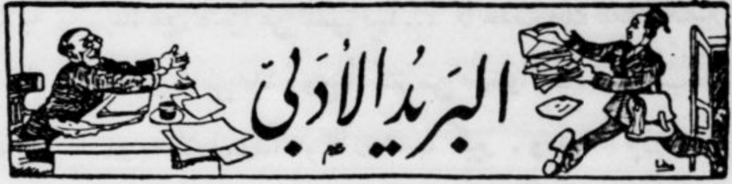
هم الآباء ، والمربون ، والأمهات قبل هؤلاء وهؤلاء . . .

فعلى أولئك تقع التبعة الأولى فى المحافظة على تعادل أبنائهم النفسانى . وإنى لا أشك فى أن حضارة القرن العشرين قد بدأت تحس بأنها فى حاجة إلى تبديل وتغيير ، وعلى الخصوص بعد أن انهارت فرنسا هذا الانهيار السريع الذى لم يكن المعجبون بها يتوقعونه لها ؛ وإنى لا أشك كذلك فى أن أصحاب الرأى والفكر يتربصون اليوم للحرب القائمة يريدون أن تضع أوزارها ليستطيعوا بعد ذلك أن يقولوا كلاماً صريحاً مفهوماً تلخيصه : أن عودوا أيها الناس إلى حياة الطبيعة فلا مفر منها ، ولا مهرب من الشر إلا بها ، وهى سنة الله

عزيز أحمد فهمى

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين. وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد .



١ – الى المفكر الكبير الأستاذ خليل مطران

إليك — وأنت مدير الفِرقة القومية — أوجه القول :

هل ترى أن الأدب اليونانى القديم يقدم غذاء نافعاً للعقل العربى الحديث ؟

لقد شهدتُ تمثيل رواية أوديب على مسرح الأوبرا الملكية فلم أرها إلا حماقة من حماقات الإغريق يوم كانوا يؤمنون بأن الآلهة أقوامٌ مجانين يتصرفون فى شؤون الخلق بلا بصيرة ولا خُلق ولا رفق ولا ميزان

ومع أن المآسى تثير دموعى فقد أحسست قلبى وهو يتحول إلى جلمود عند شهود هذه المأساة ، لأنها لم تكن إلا صورة من سخف الوثنية اليونانية ، وهى وثنية عادت على أصحابها بأجزل النفع ، لأنها مثلت أهواءهم وأوهامهم أصدق تمثيل ، ولكنها لن تنفعنا بشىء ، لأنها بَلبلة خُلُقية وذوقية تُلحق الضرر البليغ بأذواق الجيل الجديد . وهل هناك موجب لرياضة الجمهور على التحزن والتحسر والتفجع لمصاير مجهولة خلقها الروح الإغريقى ليوهم بنى آدم أنْ لا قدرة لهم على الخير أو الشر وأنهم لم يخلقوا إلا ليكونوا ألعوبة فى أيدى المقادير الهوجاء ؟

أنا أفهم أن تترجم أمثال هذه الروايات إلى اللغة العربية لتعين على تصوُّر بعض ما مر بالإنسانية من أوهام وأضاليل ، ولكنى لا أفهم كيف يُتخذ من أمثال هذه الروايات نماذج لروعة الفن ، ونفاذ الفكر ، ورجاحة العقل ؛ وهى قد نشأت فى أحضان الطفولة البشرية يوم كان الملوك والوزراء والحكام عبيداً مسخَّرين لسدَنة الهياكل الوثنية ، ويوم كانت مصاير الأحكام إلى من يحسنون الرجم بالغيب من الكهنة والعرافين

قد يقال إن فى مصر رجلاً اسمه الدكتور طه حسين ، وأن هذا الرجل يُقسم بأبولون أن الفن لفى خُسر إن لم يُلقح بأدب الإغريق القدماء

ولكن هذا الرجل لا يزعم ولا يستطيع أن يزعم أن الرأى ما يرى ، وأن القول ما يقول ، ففى مصر رجال يملكون ردَّجه إلى الصواب بلا مشقة ولا عناء ، وسيرى ما يسره إن همّ بنقض هذا الاعتراض ، ولكنه لن يفعل لأن كهنة دِلْف أنبأوه أن خير ما يجاب به على اعتراضات زكى مبارك هو الصمت البليغ !

للأستاذ خليل مطران أن يتفضل بالإجابة عن هذا السؤال :

هل استطاعت مأساة أوديب أن تصور مشكلة واحدة من مشكلات العدل والعقل والذوق ؟

وكيف ولم تكن تلك المأساة إلا صورة بهلوانية من صور الوثنية اليونانية ؟

كانت هذه المأساة مقبولة يوم كان الناس يتذوقون عبث الأساطير ، وهى قد تقبل فى مدينة مثل روما أو باريس ، حيث يطيب للناس أن يتلهوا بخرافات الوثنية بعد أن شبعوا من أطايب الأدب الحديث ، وهو عندهم يقوم على نقد خلائق المجتمع بنزاهة وصدق

فهل ترى الحال فى القاهرة كالحال فى روما وباريس ؟ وهل تظن أن الفِرقة القومية فرغت من تشجيع الروايات الاجتماعية والتاريخية التى تصور حاضرنا وماضينا ، ولم يبق إلا أن تتحفنا بخرافات اليونان ؟

الآن تذكرت ما كنت نسيت توجيهه إليك ، فقد كنت أحب أن أسأل عما صنعتَ وصنع زملاؤك فى الانتفاع بما فى مصر من مواهب وآراء ؛ وقد صح عندى أنكم ورجال الإذاعة سواء ، فأنتم جميعاً لا تعرفون غير من يتعرف إليكم ، ولا تذكرون إلا من يذكّركم بنفسه ، وليست عندكم طريق مرسومة لاستثمار المواهب المكنونة فى هذه البلاد . أليس من العجيب أن يكون فى زادكم الفنى روايات بالية لا ينتظَر من بعثها غير إعلان الفاقة والإملاق ؟

والآن عرفت ما لم أكن أعرف ، فقد تعب المفكرون فى البحث عن السبب الذى استوجب أن يهتم العرب بنقل ما عند اليونان من فلسفة وأن يزهدوا فى نقل ما عندهم من آداب

اهتم العرب بنقل فلسفة اليونان لأنها وليدة العقل ، وزهدوا فى آداب اليونان لأنها بهلوانية ، تقوم على قواعد واهية من الزخرف والبريق

فهل يظن الأستاذ خليل مطران أنه أعقل من أئمة العقل لعهد ازدهار الحضارة العربية ؟

وخلاصة القول أن الفرقة القومية فى حاجة إلى العلاج ، وهى لن تتلافى من أدوائها المزمنة إلا بعناية أطباء بارعين لا يكون منهم فلان وفلان وفلان ، فللفن والأدب أصول لا يعرفها هؤلاء

فإن لم أكن على حق فحدّثونى كيف جاز أن تنفرد الفرقة القومية بالإخفاق وقد جمعت نوابغ الممثلين والممثلات ؟ يعوزكم شىء واحد : هو التأليف . فابحثوا عن المؤلفين ، لأن التأليف هو الروح ، وكل شىء فى الفن ما خلا التأليف إخراج وتمثيل .

٢ — مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

ذلك مشروع جميل أقرّته وزارة المعارف ودعت إليه ، وهو حين يحقّق على الوجه المنشود يجذب الطلبة إلى مسايرة الأدب الحديث ، ويغرس فيهم الشوق إلى تعقب الآراء الأدبية والمذاهب الاجتماعية

ولكنى لاحظت مع الأسف أن أكثر الطلبة انصرفوا عن الانتفاع بهذا المشروع بعد أن أقبلوا عليه . وقد أخبرنى كثير من المدرسين أن طلبة السنة التوجيهية لم يعرفوا كيف يدرسون المؤلفات المختارة للمسابقة ، وأن المدرسين أنفسهم لا يعرفون على وجه التحقيق كيف يوجّهون تلاميذهم إلى درس تلك المؤلفات ، لأن الوزارة لم تضع منهاجاً واضحاً للاستفادة من هذا المشروع الطريف

وقد دعتنى الرغبة فى معاونة طلبة السنة التوجيهية على الاستفادة من مسابقة الجامعة المصرية إلى درس تلك المؤلفات على صفحات « الرسالة » درساً تحليليًّا يستطيعون به الوصول إلى ما تشتمل عليه من مقاصد وأغراض، بحيث يصبح الانتفاع من المسابقة ميسوراً لكل طالب يُقبل على درس تلك المؤلفات بعناية واهتمام ، وقد وضح أمامه منهج الفهم والاستقصاء

وسنبدأ فى الأسبوع المقبل بتحليل كتاب « فيض الخاطر » للأستاذ أحمد أمين ، والله بالتوفيق كفيل

زكى مبارك

والرسالة تدعو أصدقاءها من الباحثين إلى معاونة الدكتور المبارك على تحقيق هذا الغرض ، فقد بعد العهد بالنقد الذى يراد به توجيه الشبان إلى فهم الأدب الحديث بطريقة موضوعية ينظر فيها إلى المحاسن قبل أن ينظر إلى العيوب . وقد يتضح المراد إذا تذكرنا أن الشبان يحتاجون إلى التعرف الباسم لأطايب الأدب الحديث ، وذلك فيما نعتقد هو غرض وزارة المعارف من الترحيب بمسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

معنى القديد

وفق الأستاذ محمد فخر الدين السبكى فى حديثه عن « زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم » الذى أذيع من محطة الإذاعة مساء ٢١ رمضان — توفيقاً كبيراً

بيد أنه فسّر (القديد) — فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابى حينما دخل عليه فارتاع من هيبته : « خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة تأكل القديد بمكة » — تفسيراً لم أسمعه قط . إذ قال : أى أنا ابن امرأة تأكل التمر الجاف !

والذى أعرفه فى كتب اللغة ، وفى كتب السيرة أن القديد « هو اللحم المشرر المقدد ، أو ما قطع منه طوالاً » ا هـ قاموس

« لحم قديد : مشرح طولاً » ا هـ مصباح « هو اللحم . المجفف ، فعيل بمعنى المفعول تنبيهاً له على أنه مأكول المساكين » ا هـ شرح الشفا ، للفاضل على القارى

لهذا لزم التنبيه على ذلك فى الرسالة الغراء والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الحفيظ أبو السعود

حول تفسير بيتى ابن عربى

كتب إلىّ أديب من القاهرة فى رسالة خاصة يشرح لى معنى بيتى ابن عربى اللذين استفتيت فيهما الأستاذ ناجى الطنطاوى على صفحات مجلة الرسالة وهما :

بذكر الله تزدادُ الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً فإن الشمس ليس لها غروب

فجاء فى رسالته هذه ما نصه (إن ابن العربى يعارض الآية القرآنية « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، ويدعى أن الله ليس حتماً أن يذكر لأنه حالٌ فينا « كشمس ليس لها غروب » فالذكر فى شرع ابن العربى يبعد بنا عن هذه الشمس ، أما الذى يقربنا منها فشىء آخر يسأل عنه هو ومن اتبعه من المتصوفة لا ناجى الطنطاوى)

وقد رأيت فى هذا الشرح ما تطمئن إليه النفس نوعاً ما فأحببت أن تتفضل مجلة الرسالة الكريمة وتسجله على صفحاتها فلعل من قرائها من ينتظره .

(الأبيض — سودان)

وجاءنا من صاحب الامضاء الفاضل هذه الكلمة في هذا الموضوع :

عرفت رجلاً صوفياً وسمعت منه شرح هذين البيتين ، قال : « بذكر الله تزداد الذنوب الخ » . في مذهب القوم ، إنما يُذكر الغائب ، والله تعالى حاضر لا يغيب ، وخاصة في مقام المشاهدة . فكيف يُذكر ؟ إن ذكره حينئذ يدل على بعد عن ذاته وجلاله . والبعد حرمان يدل على كثرة الذنوب والعيوب . والبعد عن الذات طمس في البصائر وظلمات في القلوب

وترك الذكر أفضل كل شيء فشمس الذات ليس لها غروب

هكذا رويت عنه . وهو وجيه في نظري وخاصة لما تضمنه الشطر الثاني من تعليل ظريف . قال : إذا استغرق العبد من مقام الشهود ، وبتّ أسبابه بالعالم وما فيه من مخلوقات بائدة ليس لها وجود . فلا داعي للذكر حينئذ ، لأنه في حال دونها كل ذكر . وكيف يذكر من يراه ومن لا يغيب عنه طرفة عين ؟ لا . إن شمس الذات العلية مشرقة لا تغيب ، وضاءة لا تحتجب ، فذكر الله يدل على غيبته ، وهو سبحانه حاضر مشاهد لا يغنى ، وهو معكم أينما كنتم . اه باختصار .

وحديث القوم لا يفهمه غيرهم لأن لهم رموزاً تدق على الأفهام

محمود محمد بكر هلال

الأدب والانتحار

منذ شهرين انتحر الأستاذ اسماعيل أحمد أدهم بأن ألقى بنفسه في اليم ليذيب فيه أحزانه ويدفن أحلامه . واختار الأستاذ الموت على هذه الصورة ليروى ظمأه ويطفئ حرارته

وفي هذا الأسبوع انتحر الأستاذ فخري أبو السعود بأن أطلق على رأسه الرصاص

والأستاذ أبو السعود ليس غريباً عن قراء الرسالة فقد ساهم في تحريرها عدة أعوام

فهل كان اتفاقاً أن ينتحر أديبان لهما قيمتهما في المحيط الأدبي؟ أم هي مصادفة ألقت بها المقادير في هذه الأيام التي كثرت فيها المجائب وطغى الشر

وأين أثر البحر الذي يشيد به الدكتور زكي مبارك في أعصاب هذين الأديبين

الواقع أن الأديب رجل مرهف الحس شديد التأثر ، له من المنى ما أخفق فيه وما تحقق ، وحتى هؤلاء الذين ظفروا ببعض الأماني يشعرون بالغبن ويحسون بالنقص

فلم تكن مصادفة أن ينتحر أديبان في مدة وجيزة وفي بلد واحد هو الاسكندرية

وإنما هو الألم ... ولعل الأدباء يفكرون في علاج هذه الظاهرة قبل أن تجر عليهم الفناء

رحم الله الأستاذ فخري وأجزل لأدهم الثواب .

عبد العزيز سالم

الحرب والشعر

تفضل الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فأتحف قراء « الرسالة » ببحثه التحليلي الممتع في العدد الماضي ، وقد قرر فيه أن الحروب لا تشحذ ملكات الشعر ، لأن الشعر فردي ، وإن ما يروج في أيام الحروب هو الأغاني والأناشيد ، فإن حكمها حكم الخطابة ، لأنها تتردد بين الجماهير في الاجتماعات ، ثم قال أستاذنا الجليل إن الملاحم في الأمم البائدة ليست هي التي شحذت تلك الأفكار التي نتج عنها تلك المنظومات الشعرية » .

فهل يسمح الأستاذ الجليل أن أقول : كيف لا تكون الحروب شاحذة للملكات الشعرية في حين أن أستاذنا نفسه استشهد في ثنايا مقاله بقطعة شعرية رائعة لشاعر انجليزي ، ولو لم تكن الحرب لظل مغموراً في مهنته الطبية ؟ فإذا كانت الحروب تخلق من الطبيب شاعراً ، فكيف بالشاعر المطبوع ؟

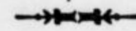
وهل يتفضل أستاذنا الجليل ويزيد الموضوع إيضاحاً في منظومات الملاحم ؟ ولماذا لا تكون دليلاً على أن الحروب تشحذ ملكات الشعر في حين أنه لو لم تكن الحروب لما كانت تلك المنظومات ؟

أجل ، إن الشعر ينزر في أيام الحروب ، ولعل السر في ذلك « ورأى أستاذنا القول الفصل » أن الأمم في أيام ثوراتها وحروبها تكون منهمكة بشئونها ما بين حاضرها ومستقبلها ، مضطربة الخواطر ، جياشة بمختلف الأحاسيس ، ليس لديها الصبر الكافي لقراءة الشعر والتروية فيه ، فالخطيب يستهويها لأنه يستطيع أن يتخذ من الحوادث اليومية مجالاً لقوله وجلجلته ، فهو لا يحتاج



فتـــوة العطوف

للأستاذ نجيب محفوظ



عند هبوط المساء غادر المعلم « بيومى » الفوال نقطة بوليس الحسينية يحمل « إنذار المتشرد » ، يكاد يتصدع صدره من الغضب والغيظ . وكان يرغى ويزبد ويتمتم ويدمدم بأصوات كالخوار ، خشنة مبهمة ، ما زالت تعلو وتميز كلما باعدتْ الخطا بينه وبين نقطة البوليس ، حتى صارت فى ميدان فاروق لعناً وسباباً وقذفاً صريحاً مخيفاً عنيفاً . وجعل يهز قبضة يده الغليظة فى الهواء مهدداً متوعداً ، ويدير فى الفضاء عينين يتطاير منهما الشرر صيرهما الغضب كجمرتين ملتهبتين . فوقع بصره على (تاكسى) واقف بالميدان ، فقصد إليه ، ورآه السائق — وكان يعرفه — ففتح له الباب ، فاندفع إلى الداخل وارتمى إلى جانبه . وأحس السائق بالثورة المضطرمة فى صدر صاحبه ، فسأله عما يقلقه ، ووجد المعلم فى السؤال متنفساً عن صدره ، فرمى إليه بالإنذار وهو يصيح غاضباً : « أنظر كيف تعاملنى الحكومة السنية ! » ، وشبك يديه على صدره وقال بلهجة تدل على السخرية والحنق : « ألا ترى أنه يحتم علىّ أن أجد عملاً فى ظرف عشرين يوماً ، أو يزج بى فى السجن مرة أخرى؟ ما شاء الله ! » . واشتد اكفهرار وجهه ، وأرسل من تحت حاجبيه الكثيفين نظرة شريرة ، وكان صاحبه ساهماً متفكراً يردد ناظريه بين وجه المعلم المكفهر والإنذار المبسوط بين يديه

وكانت هيئة المعلم بيومى من الهيئات التى لا يمكن أن تقتحمها العين ، أو تمر بها دون التفات إليها ، لأن صورته كانت حافلة بآى القوة والجسارة . نعم كان مظهره الرث وملابسه البالية القذرة تنطق بما هو عليه من فقر وبؤس ، ولكن هيكله الصلب وصدره العريض وعضلاته المفتولة دات على القوة والبأس ، ونظرة عينيه وإيماءاته توحى بالكبرياء والعنف ، وتلك الندوب تكتنف وجهه وجبينه ، وآثار من طعن سكين فى صفحة عنقه تثبت أنه خاض معارك عنيفة شديدة الهول ، ولذلك أحاط به فى غضبه صمت رهيب ألزم ألسنة الأقربين من سائق (التاكسى) الجمود الثقيل . وقد التفت إلى صاحبه وقال فى غيظ وحنق : « أنا ... أنا بيومى الفوال . تتنكر لى الدنيا إلى هذا الحد؟ ! » وكبر عليه الأمر فجعل يضرب كفاً بكف ولسانه لا يكف عن القذف والتهديد ، وأكثر من القذف والتهديد . وقليلاً ما كان يحرك لسانه ساعة الغضب فيما مضي من زمانه . فكان إذا غضب انطوى على الغضب حتي ينزل عقابه الصارم بعدوه ، ولكن لم يبق له من ماضيه ذاك إلا ذكريات تطوف بين الحين والحين برأسه الثقل . فتنشر فى ظلماته ضياء منيراً مقتبساً من عز الماضى ومجده وسلطانه

كانت نشأة المعلم بيومى فى العطوف . وقد شهد صباه الأول على جسارته الطبيعية ، فكان من خيرة صبيان الأعور « فتوة » العطوف الذى أرهب السكان وأعجز رجال الأمن . يجلس بين يديه يستمع إلى قصص مغامراته ويشهد مشاجراته ويخرج فى مؤخرة عصابته إذا نفرت لقتال عصابات الدراسة أو الحسينيه عند سفح المقطم ، يحمل فى حجره « الزلط » « وقطع الزجاج » يمد بهما المتعاركين من قومه ويلاحظ فنون قتالهم عن كثب ويغتلى حماسة للقتال وأعمال الجرأة فما شارف الثامنة عشرة حتى اشتد ساعده وانفتلت عضلاته ، ومهر مهارة عجيبة فى الضرب « بالروسية » والعصا والسكين والكرسى ؛ واشترك فى معارك فردية وجماعية

إلى ساعات يزوّر فيها خطبة ، بل تأتيه الجمل عفو الخاطر ، وقد تكون فى أسلوبها عادية ، ولكن موقفه الحماسى يجعل لها شأناً آخر ، أما الشاعر فلا بد له من سويعات يجمع فيها أشتات فكره ، ثم يدبج بيراعته صيحاته ، فإن كان شاعراً حقاً عبقرياً استطاع أن ينتصب منبر الخطيب ويستأثر بالجماهير لترديد شعره وقراءته ، كالشاعر الإنجليزى « كبلنج » ، وإلا فهو بالطبع سيمنى بالفشل ، ولعل هذا هو السر فى أنه لا ينزل إلى ميدان الشعر فى أيام الحروب إلا من وثق من نفسه أنه يستطيع بإلهامه وجودة شعره أن يستأثر بقلوب الجماهير ويحملهم على قراءة شعره

إذاً ، فالحرب تشحذ ملكات الشعر وتجودها ، غير أنها تمتاز بأنه لا يقوى على الظهور فيها والشيوع إلا الشعر العبقرى الحق فحسب ، وأنا فى انتظار رأى الأستاذ الجليل والسلام

يحيى زيارة
عضو البعثة اليمانية

فأبلى فيها أحسن البلاء . وذاع أمره كتمارك شديد المراس ، يقدم على مقاتلة عشرات الرجال بقلب لا يهاب الموت ، ويدمر مقهى كاملاً إذا حدثت النادل نفسه بمطالبته بثمن مشروب ، وأكبر الأعور فيه هذه الصفات فاصطفاه وآخاه وجعله ساعده الأيمن ، وقاسمه الغنائم والأسلاب . ومات الأعور فخلفه على أريكة « الفتونة » دون شريك . وأبى طموحه عليه الهدوء والراحة ؛ فتحدى فتوة الحسينية وظهر عليه ، وقاتل فتوة الدراسة فهزمه ، وخرج بجموعه إلى الوايلية فأذل كبيرها ومزق جموعه شر ممزق ، ودوى اسمه في تلك الأحياء دوى نذير الغارات ، واستكانت له نفوس الفتوات ، وأفاد من سلطانه فائدة رمقتها عيون الحسد جيلاً طويلاً . فجعل مركزه قهوة غزال بالخرنفش حيث يجتمع بأنصاره وصبيانه . وفرض الأتاوة على كبار الأغنياء والتجار والقهوجية وشركة سوارس يؤدونها إليه صاغرين ، ومن يتردد عن دفع ما يطلب منه عرض نفسه وما يملك للهلاك المبين . هذا غير ما كان يؤجر له من أعمال الانتقام والتهديد وحماية بعض النسوة من أهل الهوى ، وتنافس كثيرون في التودد إليه بإهدائه الهدايا الثمينة ، فكان يتقبلها تقبل الزاهد فيها وهو من غير الشاكرين . وعاش المعلم بيومي في ظل سلطانه عيشة راضية في بلهنية ونعيم . يلبس الجلباب الحرير والعباءة من وبر الجمل ، ويتلفع بالشال الكشمير الفاخر ويركب الدوكار تجره الجياد المطهمة . ثم عشق « عالة » فتزوج منها وكان فرحه فرح أهل الجمالية والعطوف والدراسة جميعاً ، وانتظمت «زفته» الفتوات من جميع الأحياء وعدداً عديداً من أصحاب « السوابق » وحاملي الإنذارات والمترددين على السجون . . . وأحيا ليالي العرس الشيخ ندا وعبد اللطيف البنا وعبده كشر . ثم ما زال يعلو نجمه يوماً بعد يوم حتى تسنم ذروة المجد في الانتخابات الأولى عام ١٩٢٤ . فقد أقر بنفوذه كثير من رجالات السياسة في مصر وسعوا إليه يرجون نصرته لهم ويساومون على شراء أصوات أنصاره وأتباعه، وشهدت قهوة غزال محضر باشوات وبيكوات يجلسون إلى المعلم بيومي الفوال متوددين متحادثين . وكان المعلم يصغى لهم ويستولى على نقودهم ، ولكنه في يوم الانتخابات ذهب وصحبه إلى أقسام البوليس يعطون أصواتهم لمرشحي سعد زغلول

ومنذ ذاك العهد وهو يسمى أولئك الباشوات والبيكوات « بالكروديات » على أنه كان يباهي باتصالاته بهم في أحايين كثيرة فيقول في أثناء حديثه « وقال لي الباشا كيت وكيت » وقلت للباشا كيت وكيت

تلك أيام خلت . . . وخلفت وراءها دهراً قاسياً شديد الظلمات . فما يدري أولئك الفتوات إلا والبوليس يضيق بهم ذرعاً ويشمر للقضاء على أعمالهم ، وكان من سياسته أن قذف الحسينية بضابط شاب لم تشهد الداخلية له من قبل نظيراً ، سواء في قوته أم في شجاعته وشدة عناده . وكان يعلم أن هدفه الأول هو المعلم بيومي الفوال ، فلم يحد عنه ، ولم ينتظر الأدلة القانونية لأنه كان يعلم أن أحداً من الناس لن تواتيه شجاعته على الشهادة ضده . فهاجمه بجنوده بغتة وقاده إلى النقطة وأمر الجنود بضربه ضرباً مبرحاً . وأصيب المعلم بذهول شديد لذاك العدوان الجريء . فما كان من الضابط إلا أن أعاد الكرة مرة ومرتين حتى كسر شوكته . ثم جعل يسوقه أمامه محاطاً بجموع الجند الشاكي السلاح يصفعونه في كل منعطف طريق ، ويركلونه أمام كل قهوة وينزلون بمن يظهر لهم من فتيانه أشد العقاب، فأفاق الناس من غشيتهم وانحلت عقدة الذعر المسكة بألسنتهم فهرعوا إلى رجل الأمن يشكون ويستعدون، ووجد الرجل الدليل الذي يطلبه وزج بالمعلم في غيابات السجون يذوق أشد الأهوال والآلام . وهكذا أخذ المعلم بالإرهاب الذي أخذ به الناس جميعاً . وقضى في السجن بضع سنين . ولما فارقه لم يجد أحداً من الفتوات في استقباله يهنئه ويقول له : « السجن للجدعان » فقد لاذ كل منهم بسبيله ، منهم من سجن ، ومنهم من هجر الحسينية ، ومنهم من راض نفسه على العمل كما يعمل الناس جميعاً سعياً وراء الرزق . فألفى المعلم عاله مهجوراً كئيباً ، ومجده ذكرى أليمة لا يترحم عليها إنسان ، حتى زوجه ضاقت بفقره وتسوله فهجرته وعادت إلى بنات فيها في شارع محمد علي . وطحنت الآلام تلك النفس الجبارة العاتية . وترنح صاحبها تحت أثقال الهموم لا يستطيع أن يجأر بصوت الشكوى خشية عيون البوليس المحدقة به من كل جانب، وظل على حزنه وألمه حتى تلقى إنذار التشرد الذي يخيره بين العمل أو السجن

طافت برأسه – في ساعة بؤسه تلك – صور من أيام مجده تراءت راقصة أمام ناظريه خلال أغشية الحزن والألم . وكان صاحبه السائق في تلك الأثناء يراقبه بطرف خفي وأصابعه تعبث بالإنذار الذي أحدث كل ذاك الغضب . وكان يدير أمراً هاماً

فى عقله . فلما قلبه على أوجهه المحتملة التفت إلى المعلم وسأله :

— ماذا تقول يا معلم لو عرض عليك عمل يدفع عنك غائلة البوليس ؟ ...

وحدجه المعلم بنظرة غريبة دون أن يفوه بكلمة . وتشجع السائق بصمته فاستدرك قائلاً :

— سبق أن علمتك قيادة السيارة . وهى صنعة فى اليد تعمر بيوتاً ، وما من شك فى أنك خبير بالطرق والمواصلات . وأستطيع أن أدلك على عمل فى « الجراج » الذى أعمل فيه على شرط أن تتنازل وترضى ... فما رأيك يا معلم ؟

ولم يسارع المعلم إلى الفرح كما ينبغى لأى رجل فى مكانه ، لأن العمل كان التجربة الوحيدة التى لم يعرفها ، وهو لم يكن شيئاً عظيماً قط فى نظر الفتوات المحترفين ، فتوجس منه خيفة ، ولكنه لم يكن فى حالة يستطيع معها رفض ما يعرض عليه ما دام العمل هو المنقذ الوحيد له من السجن . فقال لصاحبه بلهجة لم تخل من الامتعاض : وهل من الممكن أن ألحق بهذا العمل قبل مضى العشرين يوماً ؟

— بغير شك ولا ينقصك إلا شىء واحد . فتساءل المعلم قائلاً :

— وما هو ؟ . . .

— بدلة يا معلم ، لأنه لا يمكن أن تكون « شوفيراً » بغير بدلة . فاشتر بدلة أو أجرها أو استعرها كيفما اتفق . ولكن لا بد من بدلة

ومال إلى التفكير فى الأمر تفكيراً جدياً ووجد نفسه يحاول حل مسألة العثور على بدلة . ولكنه لم يدر له بخلد أن يجد ضالته عند صاحبه السائق أو عند أحد من أقرانه ، لأنه كان يعلم أنهم لا يملكون سوى البذلة التى يلبسونها . على أنه لم ييأس لذلك من العثور على بدلة . فعليه بالأفندية الذين كانوا إلى عهد قريب يتقون أذاه ويرجون خيره ، فلا يمكن أن يضنوا عليه ببذلة قديمة ناطت الأقدار باقتنائها قوام حياته . واعترض على أولئك الأفندية سبلهم وطرق أبوابهم ورجاهم بلهجة غير التى ألفوا أن يسمعوها منه ، أن يتنازلوا له عن بذلة قديمة ، ولكنهم ردوا عليه بأوجه من الأعذار لا تنفد ، فقال فريق إنهم لا يملكون سوى بذلة واحدة غير التى يلبسونها ، واعتذر فريق آخر بسوء الحال وكثرة العيال ووطأة الأزمة . وقال واحد بقحة إن خادمه أحق ببذلته القديمة . وعجب المعلم لأولئك اللؤماء واهتاجه الغضب اهتياجاً شديداً وقال لنفسه بإصرار وعناد « ما دامت البذلة تنقذنى من السجن فسأحصل عليها مهما كلفنى ذلك من العناد » وكان يتخبط فى الطريق على غير هدى حين وجد نفسه اتفاقاً أمام دكان كواء عند مبتدأ شارع السبيل ، فألقى عليها نظرة سريعة لصقت بالبدلة المعلقة ، فتراخت ساقاه عن المشى وأسند ظهره إلى شجرة قريبة ومضى يتفرس فى البدل المتراصة تفرس الجائع النهوم فى فرن الحاتى الملىء بالشواء من اللحوم ، ثم عاين المكان فرأى الدكان قائماً إلى جانب جراج يحدهما من الخلف صحراء العيون . ودارت برأسه خواطر محمومة عنيفة وعزم عزماً أكيداً

وأصبح الصباح وجاء الكواء يفتح دكانه فما راعه إلا أن رأى فى ظهرها ثغرة فانخلع قلبه وهرع إلى ثياب زبائنه . ووجدها كاملة إلا بدلة واحدة ... فكانت دهشته قدر انزعاجه !

وصار المعلم بيومى سائقاً تاكسى ولم يعد لضابط نقطة الحسينية من سلطان عليه ، ولأمر ما اختار الجيزة ميداناً لعمله فاراً بالبذلة التى لم تهده الحيلة إلى صبغها أو قلبها كما كان ينبغى أن يفعل اللص الماهر . وما كان يصبر على نظام العمل لولا أن السجن كان عوده على ما هو أشد إيلاماً ومقتاً ، فرضى كارهاً أن يلبى النداء ويحمل الراكبين ، ويبدى احترامه لمن كان بالأمس ينظر إليهم شزراً ويدعوهم « بالكرديات » ...

ولم تخل حياته فى ذلك المهجر من حوادث ، ففى ذات أصيل وكان مضى عليه ما يقارب الشهر فى عمله . وكان ينتظر فى موقفه، برز رجل وجيه من باب الفانتزيو وناداه ، ولبى المعلم مسرعاً وترك مقعده ليفتح الباب للسيد الوجيه ومضت دقيقة وهو ينتظر والرجل لا يتحرك ، فعجب المعلم للأمر ونظر إلى الرجل فرآه ينظر إليه بإنكار بل رآه يتم النظر فى بذلته . وخفق قلب المعلم واضطرب وأحس كمن وقع فى فخ ، وهمّ بالتحرك ولكن الرجل دنا منه وأمسك بالياقة بسرعة وثناها ليقرأ اسم الطرازى ثم قبض على ذراع المعلم وصاح به بغضب :

— قف يا لص ... من أين لك هذه البدلة ؟

ونادى الشرطى بصوت عال . فحدجه المعلم بنظرة نارية وكان يستطيع بغير شك أن يبطش به لو أراد ، ولكنه استشعر بأساً غريباً خرج به عن وعيه فما يدرى إلا والشرطى يقبض عليه ...

والظاهر أن الحظ الذى حالفه قديماً تخلى عنه إلى الأبد ، وإنه ليعانى الآن آلام السجن ؛ والله وحده يعلم ما هو صانع به بعد ذلك

نجيب محفوظ

الفنـــون أسرار

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كانت غرفة المكتبة فى منزل المسيو « بنديبى » محتوية على (دواليب) قصيرة ذات طبقتين وفوق ظهورها عدد غير قليل من الصور والتماثيل الصغيرة والعاديات والتحف المختلفة الأنواع والأشكال ، وكان « بنديبى » على فقره رجلاً على درجة من الأهمية لاشتغاله بالآداب والفنون ، وكانت التحف الموضوعة فوق دواليبه مجردة عن النظام والترتيب ، وكانت زوجته مدام بنديبى الضعيفة البصر تعانى جهداً فى تنظيف الدواليب وما فوقها بمكنستها الصغيرة المصنوعة من ريش النعام

وفى يوم من الأيام أدت واجبها بالمنزل وجلست مستندة إلى ذراعى مقعد كبير تنتظر عودة زوجها فعاد وعلى وجهه كل علائم الاهتمام وقال : « انظرى إلى هذه القطعة » وأشار بأصبعه إلى شىء فوق الدولاب واستمر يقول : « لقد استكشفت أن هذه القطعة الفنية تساوى مائة ألف فرنك » . فأدارت السيدة نظرها الضعيف إلى حيث يشير أصبعه ورأت طبقاً عادياً من أطباق الحساء (سلطانية) فقالت : « أحقاً إنها تقوم بهذا الثمن ؟ »

قال المسيو بنديبى : « نعم والذى قومها بهذا الثمن من أشهر هواة العاديات ، وقد رفضت بيعها مع إلحاحه فى طلبها . وماذا أفعل بالمال ؟ إننى لست تاجراً ولكننى هاو . وأذكرك أيضاً بأنى كلما اشتريت تحفة من هذه التحف كنت تقولين لى إنها حقيرة لا تساوى شيئاً ، فهل تقدرين الآن أننى كنت مصيباً لما اشتريت هذه القطعة بسبعة فرنكات ؟ »

ومن ذلك اليوم لم تكن الزوجة تجرؤ على أن تمس الطبق خوفاً عليه من الكسر . وكانت تنظر إليه فتتذكر أنه كان فى بيت جدها آنية مثله تماماً . وأنها كسرت فلم يحزن عليها أحد ، فكانت تقول فى نفسها : « حقاً إن الفن كله أسرار . وكان زوجها يقول : « أنظرى إلى بهجة لونها وإلى الرنين الذى تحدثه عند لمسها بالأصبع » . فتنظر ولكنها لا تجد جديداً فى اللون ولا فى الرنين . وكان الأولى بها أن تقول ما تعتقد ؛ فيحاول زوجها إقناعها ، وتنكشف لها الحقيقة فتعرف خطأها .

ولكنها كانت توافق زوجها إذعاناً . وكان ذلك من سوء حظها ، فمات زوجها بعد أمد قصير ولم يبين لها سر الفن الذى يعرفه هو وجامع العاديات الذى عرض عليه مائة ألف فرنك فى القطعة الأثرية . ولم تكن القطعة هى الآنية ، ولكنها تمثال فتاة كان موضوعاً خلف الآنية . وكانت تلك المسكينة لضعف بصرها تحسب زوجها يشير إلى الآنية . وبعد موته رأت مدام بنديبى أن تبيع كل ما تركه زوجها إلا الآنية ؛ واستدعت أحد الهواة فأرته المكتبة وما فوق دواليبها ، وقالت إنها تريد أن تبيع ذلك كله صفقة واحدة . وكان التمثال لسوء الحظ لا يزال موجوداً وراء الآنية ، فنظر المشترى إلى كل الأشياء فأدرك قيمة التمثال وأشار إليه وقال : « وهل تدخل هذه القطعة ضمن الصفقة ؟ » فصاحت الأرملة محتدة « الآنية ! كلا فإننى لا أبيعها ، فهى أنفس شىء عندى . إننى لا أبيع هذه الأشياء لأنى محتاجة إلى الثمن ، ولكن لأنه ليس لها لزوم عندى » . ونظر المشترى إليها وقدر أنها مجنونة فلم يناقشها ، واشترى التمثال بخمسين فرنكا ثم باعه بعد ذلك فى أمريكا بنصف مليون . وباعت السيدة سائر التحف والمنزل وما فيه . وأخذت الآنية معها وذهبت إلى الريف . ولاحظ خدمها الجدد وأقاربها وجيرانها أنها لا تخشى على شىء غير الآنية ، وأنها تحذرهم من المساس بها كل التحذير . وشاع فى القرية أنها تعبد آنيتها هذه ، وأن عقلها غير سليم وأخذوا يناقشونها وهى تجد فى طلب سكوتهم ، وتزيد فى حرصها على آنيتها وإيصاء الخدم بها ، فاستدعى أهلها طبيباً ، وسألها الطبيب عن سر هذه الآنية . فقالت : إنها مستعدة لإطلاعه على الحقيقة على شرط أن يعاهدها على الكتمان فالأمر سر عظيم ؛ وقالت : « لقد اشترى زوجى هذه الآنية بسبعة فرنكات وهى الآن تساوى مائة ألف فرنك كما قرر ذلك أحد الهواة »

قال الطبيب : « أظنك يا سيدتى تمزحين ، فإن هذه الآنية لا تساوى شيئاً وأكثر العائلات تملك نظائرها » . فقالت : « أو بمثل هذه البهجة فى اللون ؟ وهل تحدث مثل هذا الرنين ؟! »

فاضطرب الطبيب ودهش لثقتها بشىء لا وجود له ، فلم يكن للآنية لون مبهج ولا لها أى رنين . ولم يشأ مجادلتها لاعتقاده أن مرضها هو « الجنون بالفكرة الواحدة » وأنها إذا عولجت فقد تشفى . وبناء على قرار الطبيب نقلها أقاربها إلى مستشفى الأمراض العقلية ، فدخلته راضية ومعها الآنية ؛ ولم يهمها هذا الانتقال ما دامت معها هذه الثروة العظيمة ، ولم يضن أهلها عليها بها ولكنها انتقاماً منهم لكيلا يرثوها أوصت بها لمتحف « اللوفر »

ومن يدرى كم بالمتاحف من أمثال هـذا الأثر ؟ أليست الفنون كلها أسراراً ؟ (عن الفرنسية) عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع البدولى — عابدين)



8me Année No. 384

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 11 - 11 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٨٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ١١ نوفبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

بشائر السلام

أمة التوحيد تتحد . . .

قال الأهرام في عدد يوم الجمعة الماضي : « إن هناك بحثاً يدور الآن في بعض الدوائر العربية حول تكوين حلف عربي يواجه به العرب الظروف الحاضرة التي يجتازها العالم اليوم. والمفهوم أنه إذا انتهى هذا البحث التمهيدي فستدعى الحكومة المصرية رسمياً إلى الاشتراك فيه . أما الدول التي يشملها هذا الحلف فهي : مصر وسورية وفلسطين والعراق والحجاز . وقد يتسع نطاقه فيشمل إيران وأفغانستان »

هذا التفكير على أي شكل كان يدل على تيقظ الروح الماجد في الجسم العربي ، ويبشر بتجمع القوى الشتيتة في أعضائه ، ويطمئن قلوب الأحرار الأبرار الذين تتفارطهم الهموم على مستقبل العرب والإسلام والشرق . وكان من أعجب العجب أن يرى العالم العربي الخطوب تتواثب على جوانبه، والنوازل تتفاقم في أحشائه ؛ ثم تظل كل دولة من دوله سادرة في مشاعب هواها تتلهى بالنظر الغرير إلى حركات زعمائها وهم يتصارعون على المناصب ويتنازعون على الحكم ؛ كأن السلامة والسلام أمران يجريان من حياتها مجرى الأمور الطبيعية كالنوم واللذة والضحك ، فهي لا تشغل بهما البال ولا تدير عليهما الفكر

الفهـــــرس

ولقد قلنا منذ عام حين تحلبت أشداق النازية على حدود الدول الصغيرة: إن الدويلات الضعيفة كان لها فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة، فكانت تعيش فى ظلال الخلق الإنسانى العام حرة آمنة، لا تجد من جاراتها الكبرى إلا ما يجده الصغير من عطف الكبير، والفقير من عون الغنى؛ فلما كفر النازيون والفاشيون بشرائع الله وقوانين الناس أخذوا العالم بسياسة السمك، ففسد النظام، واختل التوازن، واضطربت الحياة، وذل الحق، وأفلس المنطق. فليس لها اليوم من عاصم إلا أن تنضوى إلى الديمقراطية التى تجاهد فى سبيل السلام والحرية والمدنية بجانب جهادها فى سبيل نفسها؛ حتى إذا انتصرت على هذا الطغيان المسلح الكافر نظرت هى فى يومها وفى غدها، فتعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل والقرود، وهو التجمع والتعاون، فيكون بين البلاد المتجاورة كشعوب الإسلام الأربعة عشر شبه ما بين الولايات الأمريكية الثمانى والأربعين: من اتحاد السياسة الخارجية، والدفاع العام، والدستور المشرع، والرئيس الحاكم. وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعمارها النزاع ويميل من جرّاها ميزان السلامة

***

إن من يستمع إلى الإذاعة العربية من بلاد المحور يرتمد فرقاً من هذا الإخلاص الإيطالى للإسلام وذلك العطف الألمانى على العرب. ومن شقاء العقل أن تحمله على أن يسيغ هذه الدعاية الغريبة التى اتخذت وا أسفاه ألسنتها من بعض العرب الذين فتنهم المال المغرور لتقول: إن فيالق الدتشي وكتائب الفوهرر لم تحشد فى صحراء مصر وجبال البلقان إلا لتنقذ العرب والمسلمين من عذاب الديمقراطية البريطانية!

ليت شعرى من الذى حملهم هذه الرسالة وأوجب عليهم هذه التضحية؟ لسنا إخوتهم فى الجنس ولا فى العقيدة ولا فى المنفعة حتى يكون لما يبذلون فى سبيلنا من الأموال والأنفس مسوّغ. ولسنا من السذاجة والغفلة بمكان القطيع الذى حالف الذئب الجائع الطامع على الكلب الحارس الأمين. إنما نحن شعب مختار حكم العالم فى ماضيه، وتمرس بالشدائد فى حاضره؛ فله من بصيرته الموروثة نفاذ إلى صميم الخديعة، ومن تجاربه الأليمة سداد فى مزالق الفتنة؛ فلا نجهل أننا نحن الغنيمة التى يحتربون عليها، والطعمة التى يختصمون فيها؛ وكلما أرسلوا الأمواج من مذاييع بارى وبرلين تحمل إلينا منهم الشوق البرح والحدب الشديد، تضاممنا من الفزع ليتقى بعضنا ببعض سهام كيوبيد الأثيرية!

هذا التضام هو التكتل الذى يصير إلى الوحدة. والوحدة التى يقتضيها الدفاع عن النفس ويدعو إليها الخوف، أوثق وأصدق من الوحدة التى يوجبها النزوع إلى الأنس ويبعث عليها الأمن

لقد كان العرب والمسلمون فيما غبر متواكلين متخاذلين، لأنهم كانوا وهم على هذه الحال يستطيعون فى حمى الديمقراطية السمحة أن يعيشوا بوجه من الوجوه. ولكن ماذا عساهم يصنعون وهذه الدكتاتورية الباغية تزحف شعبتاها إلى الشرق عن طريقين مختلفين: شعبة تبغى استغلال البلاد لأنها بطبيعة أرضها فقيرة، وشعبة تريد استعباد الناس لأنها بطبيعة عنصرها على زعمها سيدة. وإذا دهمك من اليمين ومن الشمال الجائع السلاب والمتكبر الغلاب فقدت وجودك المادى والأدبى بين السلب والغلب؛ ثم لا تدرى أى شىء تكون بعد ذلك!

فاتحاد الأمم العربية أمام هذا الخطر الهاجم ضرورة خلقتها غريزة حب الحياة. وفى اعتقادى أن الأمر فى هذا الاتحاد لن يقف عند مناقشة الفكرة ومواضعة الرأى؛ ولكنه سيتعداها إلى إمضاء العزيمة وإنجاز العمل. ذلك لأن كل أمة من هذه الأمم تشعر فى وسط هذه الكوارث الداجية بما تشعر به الشاة الشاردة عن القطيع. وإن أسهل على الطبيعة أن تعيد اتحاداً ألفه الله من صلة الدم ونسب الروح، من أن تبدئ اتحاداً ألفه الشيطان من النازية والفاشية والشيوعية والوثنية؛ فإن هذه النحل المجرمة أضداد تنسجم فى الباطل وتتنافر فى الحق، ولا بد أن يدركها داء البغى فتخر ضارعة صريعة أمام قوى الخير والعدل ولو بعد حين!

احمد حسن الزيات

أخـــلاق القرآن

الاحسان

للدكتور عبد الوهاب عزام



الإحسان الإتيان بالحسن من القول أو الفعل . والإحسان خلق ينزع بصاحبه إلى الحسن من كل شيء ، وينفر به عن القبيح من كل شيء ، ويطمح به إلى الأحسن فالأحسن رُقيًّا في درجات الكمال

فعل الخير إحسان ، وتأدية الواجب إحسان ؛ ولكن أكثر ما يقال الإحسان للتبرع الذي يزيد على أدنى درجات الواجب ، وللتفضل بأكثر مما يطلب . وذلك درجات يعلو بعضها بعضاً حتى تنتهي إلى الكمال

في كل عمل درجات من الإحسان يختلف فيها المتسابقون إلى الخير ، ينال أدناها كثير من الناس ، ثم يقلّون كلما علت الدرجات حتى ينقطع معظم الناس دون الدرجات العُلى فلا يبلغها إلا أفذاذ من الأخيار المحسنين

وفي كل صنعة درجات من الإحسان يتنافس فيها الصناع إلى أن يستأثر النابغون بدرجات يقف دونها الدهماء والأوساط

والأفراد والجماعات والأمم تتفاوت في الضروريات كالطعام والشراب اللذين يمسكان الحياة ، والملبس الذي يقي الجسم عوادي الحر والبرد ، بل يستوي في ذلك الأمم التي لا تزال في درك الهمجية والأمم التي بلغت في الحضارة مكاناً علياً ، وإنما يتفاوت الناس في الحاجيات والكماليات تفاوتاً بعيداً ، يقاس بما بين طعام الهمج وملبسهم ومعاملاتهم وبين نظائر أولئك في الأمم التي توفر نصيبها من الحضارة

وكذلك يعظم تفاوت الناس في الإحسان . الواجبات يحتمها القانون أو العرف ، وفوق الواجبات ضروب من التبرع في المعاملة أو الإتقان في الصناعة يتلاحق فيها الناس إلى درجة الكمال أو ما يقرب منها

وفي الناس من يقنع بأداء الواجب ، وهو الدرجة الدنيا من الإحسان ، وفي الناس من لا يعرف في الإحسان حداً ، ولا في الكمال غاية ؛ طماح كلما بلغ درجة استشرف لما فوقها . والنفوس الكريمة تنزع إلى الملاء نزوعاً دائماً ، وتتطلع إلى الكمال كل حين . تحس في سريرتها دعوة من الله العلي تدعوها إلى الرفعة وتهيب بها إلى الكمال ، وترى النفس في كل درجة فوقها درجة ، لا أعني درجات من الغنى والجاه والسلطان ، ولكن درجات من الخير والمواساة والرحمة ، وتكميل النفس في معارفها وعواطفها ، درجات من النظام والجمال في عقل الإنسان وخلقه وبيئته وكل ما يتصل به . رحم الله أبا الطيب الذي يقول :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

رحم الله النفس الطامعة اللوّامة التي لا تحدّ طموحها غاية ، النزاعة إلى الخير والكمال في غير نهاية . إنما يسيّر الله خلقه إلى الكمال بأمثال هذه النفوس ، ويهديهم إلى المثل العليا بأفعالها وأقوالها

وقد جاء في الحديث أن الرسول صلوات الله عليه سئل : ما الإسلام ؟ فقال : « أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » ثم سئل: ما الإحسان؟ فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . فقد جعل الرسول الإحسان تأدية العبادة على أحسن الوجوه ، وأن يبلغ بها العابد أعلى الدرجات

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا في قوله : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طَعِموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » . جعل الإحسان نهاية التقوى والعمل الصالح

والقرآن الكريم يأمر بالإحسان كله : الإحسان بفعل الحسن واجتناب القبيح ، والإحسان بمجاوزة الحسن إلى الأحسن . وقد أكّد الأمر به وكرره وبيّن مكانة المحسنين من الله سبحانه وجزاءهم عنده

بيّن القرآن أن الله تعالى أحسن خلق الناس وأحسن خلق كل شيء . قال : « ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » . وقال : « الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » . وإذا كان خلق الله كله إحساناً فهذا العالم أولى به الإنسان ، وأقرب إلى سنته وإلى مرضاة خالقه

بل بين القرآن أن الغاية من الحياة والموت والعمران استباق الناس إلى الإحسان وتنافسهم فيه

قال : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً »
وقال : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً »
أمر الكتاب الكريم بالإحسان فى العمل إذ قال : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان . » والإحسان هنا إما أن يكون فعل الحسن وإما أن يكون زيادة على العدل . فالعدل إيتاء كل ذى حق حقه ، والإحسان أن يعطى الإنسان ما لا يلزمه ويفعل أكثر مما يطلب منه . ومهما يكن فهذا وذاك يأمر به القرآن ويدعو إليه ويحث عليه

وأمر بالإحسان فى القول إذ قال : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن . » وقال : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . إن الله كان على كل شىء حسيبا . » فالمسلم مأمور أن يحسن فى فعله وقوله جهد الطاقة ، حتى ينتهى به الإحسان إلى الكمال الذى هو أليق به وأقرب إلى مقاصد دينه

وهذا الإحسان الذى أمر به المسلمون عام لا يخص فريقاً دون فريق إلا من ظلم واعتدى فليس له من إحساننا نصيب . يقول القرآن الكريم : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم . »

الطريقة المثلى والدين الأحسن فى شرعة القرآن أن يؤمن الإنسان بالله ويخلص له ويفعل الحسن . بين هذا القرآن فى قوله: « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » . وفى قوله « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وقوله « من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

هذه هى الطريقة المثلى والخطة التى تكفل للانسان سعادته واجتماع القلوب عليه وتجنبه الشقاء والبغضاء والشحناء مما يجعل الحياة شراً والأرض سعيراً . فى الكتاب المبين : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وهذا مطلب عظيم يحتاج إلى رياضة النفس على الخير وصبرها على المكاره . لذلك يقول القرآن بعد هذه الآية « وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » وقال فى آية أخرى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار »

وبين القرآن أن الإحسان يكون فى كل عمل وفى كل قول.

فالاعتراف بالحق والإيمان به إحسان . حكى القرآن عن جماعة من القسيسين أنهم آمنوا وقالوا فيما قالوا : « وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » وقال عقب هذا : « فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » . فقد عد قولهم النبى عن الإيمان إحساناً . وفى آية أخرى يعد العفو عن المسىء والصفح من الإحسان قال : « فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين » وعدّ استجابة المسلمين لدعوة الرسول إلى تعقب المشركين بعد ما أصاب المسلمين فى أحد — عدّ هذا إحساناً فى قوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » وعد احتمال المشقة فى سبيل الحق إحساناً فقال فى المجاهدين : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ، ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين »

النفس الكريمة الطيبة تنزع إلى كل عمل حسن وتنفر من كل قبيح ولا تقف فى الإحسان عند حد، فهى تواقة إلى الأحسن فالأحسن ؛ تحسن فى كل فعل وفى كل قول وتطمح فى كل درجة إلى ما فوقها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

والمحسنون مقربون إلى الله سعداء بقربه ومحبته ، لا يفارقهم إحسانه ورحمته . يقول القرآن : « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين. ويقول إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . ويقول : إن رحمة الله قريب من المحسنين »

وأما جزاء الإحسان فقد قال فيه القرآن : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» . وقال : «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» جزاء الإحسان أن يحسن الله إلى المحسن فى الدنيا والآخرة . جزاؤه فى الدنيا صلاح النفس وتزكيتها وفتح أبواب المعرفة عليها واستمتاعها بالحياة على أحسن وجه وتمكنها فى الأرض وسيادتها وبلوغ الكمال الذى أراده الله للمحسنين . جاء فى سورة يوسف : « ولما بلغ أشدّه آتيناه حكما وعلما . وكذلك نجزى المحسنين » وقال فى السورة نفسها : « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء . نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » . جزاء الإحسان فى هاتين الآيتين إيتاء الحكمة والعلم والتمكن فى الأرض والرحمة . وأعظم به من جزاء

مسابقة الجامعة المصرية

لطلبة السنة التوجيهية

للدكتور زكي مبارك

- ١ -

تمهيد

كان يراد بالجامعة المصرية ، الجامعة التي أنشأتها الأمة سنة ١٩٠٨ ، والتي تحولت إلى جامعة أميرية سنة ١٩٢٥ ، وقد سميت «جامعة فؤاد الأول» سنة ١٩٣٨ تكريماً لذلك الملك المعظم ، لأنها أنشئت في عهده ، ولأنه كان أول رئيس للجامعة المصرية .

وأنا حين أقول «الجامعة المصرية» ، لا أريد «جامعة فؤاد الأول» بالقاهرة ، ولا «جامعة فاروق الأول» بالأسكندرية ، وإنما أعني «الجامعة المصرية» التي تنتظم هاتين الجامعتين ، وما سيُنشأ من جامعات في مدائن الشمال ومدائن الجنوب: كالمنصورة وأسيوط

والحال كذلك في غير مصر ، فالفرنسيون يقولون «الجامعة الفرنسية» حين يريدون المعنى الجامعي بلا تقييد ، فإذا أرادوا التخصيص قالوا : «جامعة باريس» و «جامعة ليون» إلى آخر ما هنالك من جامعات

والمسابقة الجامعية التي أقرتها وزارة المعارف ، لا تخص جامعة فؤاد الأول ، ولا جامعة فاروق الأول ، وإنما تعمّ جامعة القاهرة وجامعة الأسكندرية ، فهي إذاً مسابقة «الجامعة المصرية»

موضوع هذه الدراسات

ويجب أيضاً أن نحدد الغرض من هذه الدراسات فنقول :

هو أولاً توجيه لطلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية ، وهو ثانياً تلخيص الطائفة من آثار الأدب الحديث

ولكن كيف نجمع بين هاتين الفائدتين ؟ وكيف نسلك مسلك «التحبيب» ، وهو منهج من مناهج أسلافنا الفضلاء ؟

يجب أن يكون مفهوماً أن هذه الدراسات موجهة إلى جميع القراء ، وإن كان الغرض منها توجيه طلبة السنة الخامسة الثانوية إلى الاستفادة من مسابقة الجامعة المصرية ، وذلك يوجب أن ننظر في تلك المؤلفات بترفق وتلطف ، بحيث يمكن جذب الطلبة والجمهور إلى إدراك ما فيها من مقاصد وآراء بدون تزيد وبدون

وأما في الآخرة فحسبك هذه الآية من آيات : «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار»

ذلكم الإحسان الذي يدعو إليه القرآن ، وذلكم جزاؤه في الدنيا والآخرة . على الإنسان أن يحسن ما استطاع ولا جناح عليه بعد إحسانه أن يستمتع بالطيبات من الرزق في هذه الحياة . وأن يبلغ من هذه الدنيا ما يشاء ! وقد تلوت أنت هذه الآية :

«ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين»

وهذه آية أخرى جامعة :

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين»

ذلكم هدى القرآن في الإحسان ، وقد جاء في السنة حديث جامع : «إن الله كتب عليكم الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» يعني إذا لم يكن بد من قتل إنسان قصاصاً فليقتل قتلة حسنة لا مثلة فيها ولا تعذيب؛ وإذا ذبحتم الحيوان فاذبحوه بأحسن وسيلة ، الوسيلة التي تؤدي إلى المقصود دون تعذيب كذلك

وبهذا الهدى سار المسلمون الأولون ، فأحسنوا أقوالهم وأفعالهم وأحسنوا إلى الناس وبالغوا في الإحسان والإنفاق فنالوا جزاء المحسنين من السيطرة على الدنيا بالحق والسعادة بها وحسن الجزاء في الآخرة

وإن فيهم لأسوة حسنة للمتخلفين من بعدهم ، فليجدوا في الإحسان وليتنافسوا فيه . ليحرصوا على الإحسان في العلم والمعرفة والقول والفعل وفي كل صنعة وكل نظام تستقيم به أمور الناس على هذه الأرض، فقد دعا الإسلام إلى الإحسان كاملاً عاماً شاملاً. ومن أخلق من المسلمين بإجابة هذه الدعوة ؟

عبد الوهاب عزام

إسراف ، فما يجوز أن نصف كتاباً بما ليس فيه ، أو أن نحمّل مؤلفاً ما لا يطيق

نقيه بغرضه منهج الدرس

ليس الغرض من هذه الدراسات أن يرجع إليها الطالب قُبيل المسابقة بيوم أو يومين ، وإنما الغرض هو توجيهه إلى الاستفادة من تلك المؤلفات ، فهو مسئول عن مراجعتها فصلاً فصلاً وجملة جملة ليدرك بنفسه أغراض المؤلفين ؛ فإن لم يفعل فهو متوا كلٌ مخذول ، ولن يظفر من المسابقة بشيء ؛ ولو كنتُ أتوهم أن طلبة السنة التوجيهية سيستغنون بهذه الدراسات عن المراجعة والاستقصاء لطويتها عنهم ، فما أحب أن يكون في شباب اليوم من يغنيه الوصف عن تعرف حقيقة الموصوف

قراءة الناقد وقراءة المستفيد

تنقسم القراءة إلى قسمين : قراءة فهم واستفادة ، وقراءة نقد واستقصاء

فما قراءة الطالب لهذه المؤلفات ؟

يجب أن تكون القراءة الأولى — أو القراءات الأولى — قراءة فهم واستفادة ، بحيث يهتم القارئ أولاً وقبل كل شيء بتفهّم أغراض المؤلفين والانتفاع بما يحلّون من مشكلات ، وما يعرضون من آراء ، فإذا انتهى من ذلك وتفهّم الكتابَ تفهماً صحيحاً رجع إليه فقرأه من جديد قراءة النقد والاستقصاء ، والمراد من النقد هو التعرف إلى نفسية المؤلف وإدراك ما في أقواله وآرائه من قوة وضعف ، وصحة وبُطلان ؛ والمراد من الاستقصاء هو ربط أفكار المؤلف بما سبق للقارئ الاطلاع عليه من أفكار الباحثين ، لتصح له الموازنات بين القراءات القديمة والقراءات الجديدة بصورة تقنعه بأنه تحرر من سيطرة المؤلف واطمأن إلى قدرته على المفاضلة بين رأي ورأي وأسلوب وأسلوب

وإذا انتفع الطالب بهذا التوجيه فسيفوز حتما وسيخرج بمحصول نفيس يكون من أنفع ذخائره الأدبية في الحياة الجامعية . والله عزّ شأنه هو الموفق

فيض الخاطر

ونبدأ هذه السلسلة بدراسة كتاب « فيض الخاطر » لحضرة الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب ، والمقرر للمسابقة هو الجزء الأول فقط ، فإذا استطاع الطالب أن ينظر في الجزء الثاني أيضاً وأن يأخذ عنه فكرة مجملة كان ذلك أبلغ في الإحاطة باتجاهات المؤلف ومعرفة ما يعتلج في نفسه من أفكار وآراء

نشر الجزء الأول سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م وهو يقع في ستين وثلثمائة صفحة بالقطع المتوسط (إلى أن نضع تحديداً دقيقاً لما يسميه الفرنسيون Format)

والمؤلف يصوّر محتويات كتابه فيقول إنه « مجموع مقالات أدبيـة واجتماعية » نُشر بعضها في « الرسالة » وبعضها في « الهلال » وبعـضها لم يُنشر في هذه ولا تلك »

ومقالات الكتاب تُعَدّ بالعشرات ، أو هي بالضبط اثنتان وسبعون مقالة ، وقد وُضعت في أماكنها من الكتاب بدون ترتيب ، لأن الترتيب لم يكن ملحوظاً في إنشاء هذه المقالات ، وقد وضعت أيضاً بدون تأريخ ، لأن المناسبات لم تكن ملحوظة ، فهي آراء يتصل بعضها بالعصر الجديد وبعضها بالعصر القديم ، بدون التفات إلى روابط التاريخ

ومع هذا التلطف في الاعتذار عن المؤلف فقد كنا نحبّ أن يؤرخ تلك المقالات ، لأن منهج التأليف يوجب ذلك ، ولأن الباحث قد يحتاج إلى تواريخ تلك المقالات بعد حين

الأسلوب

يتفق الأستاذ أحمد أمين في أحيان كثيرة أن يقول إنه يراعي في أسلوبه ذوق العصر ، كالذي صنع منذ أكثر من عشرين سنة يوم نشر كتاب « الأخلاق » ، وكالذي صنع في مقدمة « فيض الخاطر » حين قال : « وخير أسلوب عندي ما أدى أكثر ما يمكن من أفكار وعواطف في أقل ما يمكن من عُسر وغموض والتواء ، وراعك بجمال معانيه أكثر مما شغلك بزينة لفظه ، وكان كالغانية تستغني بطبيعة جمالها عن كثرة حليها »

وهذا القول يشهد بشعور المؤلف بأن أسلوبه خالٍ من الزُخرف والبريق والرُواء ، وبأنه لا يعوّل على جمال الألفاظ ، وإنما يعوّل على جمال المعاني

والأمر كذلك في أسلوب الأستاذ أحمد أمين ، فهو يكتب كما يتحدث ، بلا عُسر ولا غموض ، ولا يهمه حين يؤدي المعنى تأدية واضحة أن يقال إن أسلوبه ليس بالأسلوب الرشيق ، وقد يتفق له أن ينقل العبارة الواحدة من موضوع إلى موضوع حين يراها تصل به إلى ما يريد ، كعبارة « رُواء في العين ، ولا شيء في اليدين » فقد كررها بلفظها في معرضين مختلفين ،

وقد يأنس بتعابير العوامّ حين يراها تؤدى الغرض المقصود ، كأن يقول : « وراحتْ أيام ، وجاءت أيام » وهو مع ذلك ينقل بعض تعابير القدماء إلى كلامه من حين إلى حين ؛ كأن يقول فى سياق أحد الأحاديث « تجيئك بجماءة وقليل ماء »

أسلوب أحمد أمين ليس بالأسلوب الرشيق ، وأحمد أمين ليس من « دهاقين الكلام » كما كان يعبِّر القدماء ، ولا عبرة باعتذاره بأن المهمّ هو المعانى ، ولا قيمة للغض من الزخرف والبريق والرُّواء ، لأنها عناصر أساسية من الأسلوب الجميل

ولكن يجب الاعتراف بأن أسلوب أحمد أمين له شخصية تتميز بالسهولة والوضوح ، فهو يعبِّر عن ذات نفسه تعبيراً صحيحاً ، وهو يُقْنِع وإن كان لا يَفتن ، لأنه يبنى الإقناع ولا يَنشُد الفُتُون ، وليس ما وصل إليه بالمغنَم القليل

موضوعات الكتاب

فى كتاب « فيض الخاطر » موضوعات أدبية واجتماعية ، وبعض الموضوعات الأدبية تراجم لرجال أُنِس بذكراهم المؤلف ، كترجمة أبى مِحجَن الثقفى ، وفى هذه الترجمة تحدث المؤلف عن « الطائف » فى الجاهلية والإسلام حديثاً طريفاً ، وكان أكبر همه أن يُبيِّن قيمة الشخصية الخُلُقية لشاعر لا ينتهى عن الخمر إلا حين تُصبح له من المباحات بفضل ما أبلَى فى الحروب . والنظر فى هذه الترجمة ينفع ، لأن فيها معارف تاريخية وجغرافية ، ولأنها تصور حرص المؤلف على التنويه بقيمة الاعتزاز بالنفس فى بناء الشخصية الخلقية

وأبو مِحجن هو الشاعر الذى تعقّبه عمر بن الخطاب بالنفى والتشريد لهذين البيتين :

إذا مت فادفنّى إلى جنب كَرمةٍ
تروِّى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننّى فى الفلاة فإننى
أخاف إذا ما مُتّ أن لا أذوقها

وهنا يقول المؤلف : « ويشاء قاصٌّ من الظرفاء فيروى أنه رأى قبره بنواحى أذربيجان أو جرجان وقد نبتت عليه ثلاث كروم قد طالت وأثمرت واعترشت »

ونقول إنه لا موجب لعبارة « قاصٌّ من الظرفاء » التى تفيد الكذب والاختراع ، فليس من المستبعَد أن يحقق العرب مثل هذه الوصية ، وكان من خير المدح عندهم أن يكون الرجل « شِرِّيبَ خمر مِسعَراً لحروب » وقد صُقِلتْ أذواقهم بالانتقال إلى فارس وطن الأعناب والصهباء ، وهل يكثر على العرب أن يصنعوا مع قبر أبى محجن ما صنع الفرنسيون مع قبر ميسّيه وما صنع الفرس مع قبر الخيّام ؟

العرب أظرف مما يتوهم الأستاذ أحمد أمين ، و « القاصّ الظريف » لم يقل ما قال إلا استجابة لما فُطر عليه العرب من الظَّرف فى رعاية حقوق الشعراء

وفى كتاب « فيض الخاطر » ترجمة للأحنف بن قيس ، وهى ترجمة نفيسة جداً ، ويجب على الطالب أن ينظر فيها بعناية ، فقد تفيد فى الإجابات التحريرية أو الشفوية ، لأنها بالفعل من أطايب هذا الكتاب ، والأستاذ أحمد أمين يجيد حين يتعرض لموضوع وُجدتْ عناصره الأصيلة فى كتب القدماء

وفيه ترجمة لسيبويه المصرى ، وفى هذه الترجمة فكاهة وأدب وتاريخ ، وهى جديرة بالالتفات

ويتصل بهذا النوع ترجمته للّون الأصفر فى العصر العباسى وهى نبذة طريفة تصور جانباً من الذوق الاجتماعى فى ذلك العهد والأذواق تُترجَم كما يترجَم الأشخاص !

أما التراجم الحديثة فأهمها ترجمة عاطف بركات وترجمة على فوزى ، وقد أجاد الكاتب فى هاتين الترجمتين ، وإن كان انحرف بعض الانحراف فى الترجمة الثانية ، لأنه صور فرار على فوزى من المجتمع المصرى بصورة العقل ، ولو أراد الحق لعدّ ذلك الفرار من صور الجنون ، وعذر المؤلف أنه أراد الترفق بأستاذه وهو يرثيه ، وإلا فكيف يكون الانصراف عن الزواج رحمة بالمرأة وهى لا ترى الأمان إلا فى رحاب الزواج ؟

إن الكاتب حبَّر هذه المقالة فى لحظة غضب على المجتمع ، وبذلك استجاز أن يرى الانسحاب من ميدان الجهاد دليلاً على رجاحة العقل ، ولو أنه كتب هذه المقالة فى لحظة هدوء لرأى أن تصرف المرحوم على فوزى بك لم يكن إلا تصرف رجل مريض صدّه المرض عن الاضطلاع بأعباء الأسرة ، وصرفه عن المشاركة فى النهوض بالواجبات الوطنية

وعلى ذلك تكون هذه المقالة من الأدب الذاتىّ ، وهو الأدب الذى يصوِّر الكاتب قبل أن يصوِّر المجتمع ، وهى مقالة لها تفاسير فى أدب الأستاذ أحمد أمين ، فقد شهد على نفسه فى كتابه هذا بأنه قليل الضحك كثير البكاء ، وذلك سر نجاحه كاتباً ، لأن

الأمم التي تعاني الاضطهاد ، أو تتوهم أنها تعاني الاضطهاد تميل إلى الكاتب الذي يكثر من شرح معاني الضجر والاكتئاب

وننتهز هذه الفرصة فنشير إلى المقال الذي عنوانه « الضحك » والمقال الذي عنوانه « سيِّدنا » فهما يصوران شقاء الكاتب بالناس والزمان ، فقد ضربه معلّمه في الطفولة ضرباً قاسياً عنيفاً ، ضربه ضرباً قضى بأن يستريح في المنزل نحو أسبوعين ، والذي يواجه بأمثال هذه المكاره وهو في طهارة الطفولة لا يرى الناس إلا قطعاناً من ضاريات الذئاب

ولم يفت الأستاذ أحمد أمين أن يعقّب على ذلك السلوك الفظيع من معلمي الأطفال ، فقد عدّه رياضة على تحمل مكاره الحياة ، ولعله صدق ، فقد قام الدليل على أن الخوف من المجتمع هو أنجع الوسائل في الانتصار على المجتمع

وهذه النظرة تفسّر ما يغلب على كتابات الأستاذ أحمد أمين من الميل إلى الجِدّ الصِّرف ، واستهانته بالأزهار البواسم في رياض الآداب والفنون ، كالذي وقع في مقال « أدب القوة وأدب الضعف » وهو مقالٌ جيِّد من حيث التصوير لنفسيته الذاتية ، وهي نفسية الرجل الذي صرّح في مقالة « الموت والحياة » بأن الأمر في السعادة إلى ما في داخل النفس لا في خارجها ، وأن في الدنيا نفوساً قد تشقى في النعيم ونفوساً قد تسعد في الشقاء

وكذلك نرجو أن يفطن طلبة السنة التوجيهية وهم يقرأون كتاب « فيض الخاطر » إلى أن المؤلف أديب يصوّر لواعج نفسه قبل أن يصور بلايا المجتمع ، وإذا كان أحمد أمين قد نجح نجاحاً ملحوظاً في حياته الأدبية والمعاشية ، فهو نجاح السبّاح الناجي الذي عانى ويلات الخطوب وهو يقارع الأمواج في ليلة داجية مُثقلة الحواشي بالعواصف والأنواء

ونخرج من هذا بأن أحمد أمين لم يكن مرائياً في قَصْر أدبه على الجِدّ الصِّرف ، فهو في حقيقة الأمر رجلٌ حزين ، وإن كان يستريح إلى أحاديث الدعابة والمجون حين يخلو إلى أصدقائه الخواصّ ، وهل يستريح إلى الدعابة إلا الرجل المكروب ؟

إن هذا الرجل أعلن في كتابه أنه يتشهّى ضحكة قوية يمسك منها صدره ، ويفحص منها الأرض برجليه ، ضحكة تملأ شدقيه ، وتُبدي ناجذيه ، وتفرّج كربه الأليم ، وتكشف همه المقيم . ولكن تلك الضحكة القوية لن تتاح لمن كان في مثل حاله من الحرص على الوقار والتزمُّت ، والخضوع لأهواء المجتمع البليد الذي يرى المرح من عيوب الرجال

وهنا أذكر نكتة قصّها رجلٌ سخيف ، رجلٌ لا يؤمن بأن الشيخ محمد عبده كان من العظماء ، لأنه شهده مرة وهو يضحك بقوة وعنف كما يضحك الأطفال

والنكتة هي ضحك الشيخ « محمد عبده » بتلك القوة وبذلك العنف ، والعظيم عظيم في كل شيء حتى في الهزل والمجون ، وكان محمد عبده عظيماً في الجد وعظيماً في المزاح ، ولن تكمُل الشخصية الإنسانية إلا إذا استوفت معاني المرارة والحلاوة والقسوة واللين

قال الراوي : كان محمد عبده يضحك ضحكاً ينافي وقار العلماء

وأقول إن محمد عبده لم يكن واحداً من العلماء ، وإنما كان أوحد العلماء ، وللأوحد مزايا لا يتمتع بها الآحاد

وقد أخبرنا الأستاذ « أحمد أمين » في كتابه أنه سيحاول الضحك . فهل ضحك ؟ كتب الله لي وله نعمة القدرة على الاستهانة بمكايد الناس ومكاره الزمان !

أما بعد ففي كتاب « فيض الخاطر » مقالات نخصها بالحمد بلا تحفظ ، وندعو الطلبة إلى فهمها بعناية وحرص ، كمقالة « عدو الديموقراطية » وهي من أبدع ما كتب أحمد أمين ، ومقالة « الإشعاع » وهي مقالة رفضتُ النظر إليها في الكتاب ، لأني فوجئت بها في مجلة الرسالة وأنا راجع من فرنسا في صيف سنة ١٩٣٣ فكان لها تاريخ في تحديد ما بيني وبين الأستاذ أحمد أمين ، ومع طول العهد ومع النُّفرة من مراجعة هذه المقالة فأنا أعتقد أنها من غُرر الأدب الحديث ، وقد كُتبتْ هذه المقالة في لحظة من « لحظات التجلي » وهو عنوان لمقال طريف وُفِّق الكاتب في فقراته الختامية إلى معانٍ لا تَصدُر إلا عن رجل موهوب ، وأحمد أمين في بعض ما يكتبُ رجلٌ موهوب

وهنالك مقال « الحلقة المفقودة » وهو مقالٌ صادق ، وقد كان له تأثير في بعض البيئات العلمية ، والكاتب الحق هو الذي ينقل الفكر من حال إلى أحوال ، ويعكر صفو الآمنين من حين إلى حين

ثم أما بعد فكتاب « فيض الخاطر » هو صور ذوقية وأدبية واجتماعية لرجل محترم يعاديه قومٌ ويصادقه أقوام ، رجل له أهل وأبناء وأصدقاء وأعداء ، ومن كان كذلك فهو خليق بأن يفهم سرائر المجتمع كل الفهم أو بعض الفهم ، وهو جدير بأن يُنصب لآرائه ميزان

في الاجتماع اللغوي

اللهجات المحلية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تقضي القوانين الخاضع لها تطور اللغات أن تختلف اللهجات في الأمة الواحدة تبعاً لاختلاف أقاليمها وما يحيط بكل إقليم منها من ظروف وما يمتاز به من خصائص. وقد جرت العادة أن يطلق على هذا النوع من اللهجات اسم اللهجات المحلية Dialectes locaux وتختلف هذه اللهجات بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً في المساحة التي يشغلها كل منها: فمنها ما يشغل مقاطعة كاملة من مقاطعات الدولة؛ ومنها ما تضيق منطقته فلا يشمل إلا بضع قرى متقاربة؛ ومنها ما يكون وسطاً بين هـذا وذاك. وكثيراً ما تختلف هذه المناطق اللغوية في حدودها عن المناطق المصطلح عليها في التقسيم الإداري والسياسي. فقد تقسم القرى التي تتألف منها منطقة لغوية واحدة بين مديريتين أو أكثر؛ وقد يجتمع في مديرية واحدة أو مركز واحد عدد كبير من المناطق اللغوية. ولدينا نحن المصريين على ذلك شواهد كثيرة في مختلف أقاليم الصعيد والوجه البحري

وتعمل كل لهجة من اللهجات المحلية على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها، فلا تدخر وسعاً في محاربة عوامل الابتداع والتغيير في داخل منطقتها، ولا تألو جهداً في درء ما يوجه إليها من خارجها من هجمات. فاللغة نظام اجتماعي، وكل نظام اجتماعي يحمل في طيه قوة المقاومة والقهر، على حد تعبير العلامة دوركايم Durkheim

أما محاربة عوامل الابتـداع في داخل منطقتها فتتم بفضل العلاقات الوثيقة التي تربط الناطقين بها بعضهم ببعض وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم. وذلك أنه بقوة هذه العلاقات يقوى الضمير الجمعي، وتتأكد سيطرة النظم الاجتماعية، ويعظم نفوذها، ويشتد بطشها بالمعتدين. فـكل محاولة فردية للخروج على النظام اللغوي تلقى في مجتمع كهذا مقاومة عنيفة تكفل القضاء عليها في مهدها. وبذلك تتقي اللهجة ما عسى أن يوجه إليها في داخل منطقتها من محاولات الابتداع وعوامل التغيير

وأما حمايتها من اللهجات المجاورة لها فيرجع الفضل فيهـا إلى ضعف الصلات التي تربط أهلها بمجاوريهم، وقلة فرص احتكاكهم بهم، وما يبدونه في العادة من نزوع إلى العزلة والاستقلال. ويظهر هذا على الأخص في البيئات الزراعية التي تقل فيها وسائل المواصلات، وتضعف حركة انتقال الأفراد، ويكاد سكان كل منطقة يعيشون في معزل عن سكان المناطق الأخرى. حقاً إن تزوج بعض الرجال في هذه البيئات إلى نساء من غير مناطقهم، وهجرة بعض الأفراد من بلادهم إلى البلاد المجاورة لها، كل ذلك وما إليه يجلب إلى البلد عناصر أجنبية عنه. ولكن قلة عدد من ينفذ من الأجانب عن هذه الطرق وما شاكلها وانتماءهم في الأصل إلى مناطق لغوية مختلفة، ودخولهم البلد فرادى وفي أزمنة متباعدة، وعدم وجود رابطة تربطهم بعضهم ببعض، وإقامة كل منهم بين مجموعة من الناس تختلف لهجة أفرادها عن لهجته، وما يبديه أهل المنطقة حيال لهجاتهم من سخرية وازدراء، وصعوبة فهم حديثهم أحياناً، كل ذلك وما إليه لا يحول دون تأثر لهجة البلد بلهجاتهم فحسب، بل من شأنه كذلك أن يحملهم هم على محاكاة لسان المنطقة التي يقيمون فيها. وأما البيئات التجارية والصناعية والساحلية التي يكثر

أحمد أمين يمثـل صورة الرجل المسئول، والرجل المسئول مسكين مسكين مسكين، هو مسئول أمام أهله وأبنائه وأصدقائه وأعدائه، وهو مسئول أمام تلاميذه بكلية الآداب، وقد كففتُ عنه قلمي منذ اليوم الذي عُيِّن فيه عميداً لـكلية الآداب، لأن النقض من عميد تلك الـكلية خروجٌ على ما لها في عنقي من عهود ومواثيق

ومعنى ذلك أنني أحب أن يقرأ طلبة السنة التوجيهية كتاب «فيض الخاطر» بتدبر وإمعان، لأنه حقاً وصدقاً كتـابٌ نفيس، ولأنه صورة لرجل كريم لم يأخذ عليه خصومه غير هَنَـوات لا تنقص من أقدار الرجال، ومن الدليل على كمال الرجولة أن يكون فيها ما يعاب، لأن الرجولة الحق مزاج من الرشد والغيّ والهدى والضلال

ثم ماذا؟ ثم أنتقل إلى كتاب «وحي الرسالة» يمثل هذا الأسلوب من الصدق في تشريح أغراض المؤلفين، وأنا أرجو أن يُقبل طلبة السنة التوجيهية على هذه المؤلفات بشغف وشوق، ليكونوا برعاية الله أنصاراً أوفياء للأدب الحديث.

زكي مبارك

فى العادة احتكاك أهلها بغيرهم ، فيرجع الفضل فى حماية لهجاتها إلى قلة عدد الأجانب بالنسبة إلى سكانها الأصليين ، وانتمائهم إلى مناطق لغوية مختلفة ، وعدم وجود رابطة تربطهم بعضهم ببعض ، وقصر مدة إقامتهم ، لأن معظمهم يفد إلى البلد فى شئون لا تقتضيه إلا إقامة ساعات أو أيام

غير أنه قد يتاح أحياناً لهجة محلية فرص للاحتكاك الدائم بلهجة أخرى . وحينئذ تشتبك اللهجتان فى صراع أهلى لا يختلف كثيراً فى مظاهره وطرقه عن الصراع الذى ينشب بين لغتين مختلفتين والذى عالجناه فى مقالات سابقة فى الرسالة[1]

وينتهى هذا الصراع إلى إحدى نتيجتين : فأحياناً لا تكاد إحدى اللهجتين تؤثر فى الأخرى ، وذلك إذا تساوى أهل المنطقتين فى الثقافة والقوة والنفوذ . وأحياناً تكون إحداهما عرضة للتأثر بالأخرى ، وذلك إذا كانت أقل منها فى مظهر من المظاهر السابقة . وتختلف درجة التأثر باختلاف الأحوال : فأحياناً يكون يسيراً لا ينال إلا بعض مظاهر ، وأحياناً يكون عميقاً ينتهى بالقضاء على اللهجة المغلوبة

فيكون يسيراً إذا لم تكن الفوارق كبيرة بين أهل المنطقتين فى الثقافة والنفوذ والسلطان . ويبدو هـذا فى تأثر لهجة القرى بلهجة المدينة التى تجاورها أو يكون بها مقر المديرية أو المركز ، أو فى تأثرها بلهجة البلد الذى يتخذ مقراً لنقطة البوليس أو للعمدة أو التى يقام فيها السوق الأسبوعى ... وهلم جرا . فى هذه الحالات وما إليها يقف التأثر عند حد اقتباس الكلمات والتراكيب وطرق استخدام المفردات فى معانيها الحقيقية والمجازية ... وما إلى ذلك . أما الأساليب الصوتية وطريقة النطق بالحروف والكلمات فتظل بمنجاة من التأثر والتحريف . ومن ثم نرى أن القرى المحيطة بقاعدة مديرية من مديريات القطر المصرى قد تقتبس عنها كثيراً من ألفاظها وتراكيبها ومدلولات مفرداتها ... ، ولكن لهجاتها تظل سليمة فيما يتعلق بالأصوات ، وطريقة النطق بالكلمات . فالقرى المصرية التى تقلب فى لهجاتها القاف العربية (جافا) أى جيما غير معطشة (جلنا = قلنا) قد تجاور مثلاً مدينة تختلف عنها فى هذا الأسلوب الصوتى (بأن تقلب فيها القاف العربية همزة: ألنا = قلنا) ، فتقتبس عنها كثيراً من مفرداتها ، ودلالاتها وأساليبها؛ ولكن تظل طريقتها الصوتية حيال القاف العربية بمأمن من التأثر بطريقة المدينة ، اللهم إلا فى الكلمات التى تقتبسها منها

أما إذا كانت الفوارق كبيرة بين أهل المنطقتين فى ناحية من النواحى السابق ذكرها ، فإن التأثر يكون عميقاً لدرجة تصل أحياناً إلى القضاء على اللهجة المغلوبة . ويحدث هذا فى حالتين :

الحالة الأولى : أن تكون إحدى المنطقتين خاضعة لسلطان المنطقة الأخري ، فنى هذه الحالة يكتب النصر لهجة المنطقة ذات السلطان ، على شريطة ألا تقل عن المنطقة الأخرى حضارة وثقافة وآداباً . والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ القديم والحديث . فلهجة باريس حيث كان مقر الحكومة والسلطان ، قد قضت على كثير من لهجات المقاطعات الفرنسية التى خضعت لنفوذ باريس ؛ وكذلك فعلت لهجة لندن مع عدد كبير من اللهجات الإنجليزية الأخرى، ولهجة مدريد مع اللهجات الإسبانية ، ولهجة روما فى العصور القديمة مع أخواتها الإيطالية ؛ ولهجة قريش قبيل الإسلام مع اللهجات المضرية الأخرى ... وهلم جرا ...

الحالة الثانية : أن تفوق إحدى المنطقتين المنطقة الأخرى فى ثقافتها وحضارتها وآداب لغتها ، فنى هذه الحالة يكتب النصر لهجتها وإن لم يكن لهـا سلطان سياسى على المنطقة الأخرى . ولذلك أخذت اللهجة السكسونية بألمانيا تطارد اللهجات الألمانية الأخرى منذ القرن السادس عشر الميلادى ، أى قبل أن تتكون الدولة الألمانية الحديثة وقبل أن تظهر غلبة برلين[1] . وأخذت التوسكانية Toscan بإيطاليا تقهر اللهجات الإيطالية الأخرى منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، أى قبل أن تتكون الدولة الإيطالية الحديثة ، وقبل أن يظهر سلطان روما[2] ؛ وذلك بفضل ما كان لكل من السكسونية والتوسكانية من إنتاج أدبى لا يذكر بجانبه إنتاج أخواتها التى اشتبكت معها فى هذا الصراع

وفى كلتا الحالتين السابقتين يختلف الصراع فى مدته وعنفه تبعاً لمبلغ قرب اللهجتين إحداهما من الأخرى ومبلغ ثقافة المنطقة المغلوبة . فيطول أمده ويشتد عنفه كلما كثرت وجوه الخلاف بين اللهجتين أو قلت ثقافة الناطقين باللهجة المقهورة . فلهجة مدريد لم تقو بعد على التغلب على كثير من اللهجات الأسبانية الأخرى ولا تزال إلى الآن تلقى مقاومة عنيفة من جانبها ، وذلك لتفشى الجهل والأمية بين الناطقين بهذه اللهجات ، ولهذا السبب نفسه

---

(١) أنظر أعداد ٣٤٧ و ٣٤٩ و ٤٠١

(١) على أن برلين لم تكن مهد السكسونية ، بل انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها (٢) على أن روما لم تكن مهـد الايطالية الحديثة ، بل انتقلت إليها كما انتقلت إلى غيرها

الانتحار وعلاقته بالشخصية

للدكتور محمد حسني ولاية

حفزني إلى تناول هذا الموضوع الاجتماعي الهام انتحار عالمين من علمائنا هما الدكتور اسماعيل أدهم ، والأستاذ فخري أبو السعود . وقبل أن أبين العلاقة بين الشخصية والميل إلى الانتحار أقول إن بعض علماء النفس والعقل يميلون إلى تقسيم الشخصيات البشرية « الطبيعية » إلى سبعة أقسام اختيارية على غرار الأمراض العقلية والنفسية الرئيسية

الشخصيات :

١ — الشخصية الهوسية : يمتاز صاحبها بالنشاط والحركة المستمرة والاعتداد بالذات ، وهي تنطوي على كفاح بين الذات والضمير .

٢ — الشخصية اللانخولية : تتصف بالهبوط النفساني ، والكسل واليأس ، واتهام النفس ، واستحواذ الأفكار السوداء على صاحبها . وتمتاز أيضاً بكفاح بين الذات والضمير .

يقول فرويد إن محتويات الهوس النفسانية لا تختلف في شيء عن محتويات اللانخوليا ، وإن الشخص في كلا الحالين يصارع نفس المعقد Complex وإن الذات تستسلم لهذا المعقد في حالة اللانخوليا ولكنها تسيطر عليه أو تطرحه جانباً في حالة الهوس

٣ — الشخصية الوسواسية : يميل صاحبها إلى حسن الهندام والذوق السليم ، ولكنه كثير التردد ضعيف الإرادة . وينطوي الوسواس على كفاح بين الذات ومستقر الغرائز الجنسية في العقل الباطن

٤ — الشخصية الهستيرية : تمتاز بتركيز الاهتمام على الذات egocentricity والأنانية الشديدة ، والاعتماد على معونة الغير . وتنشأ التصرفات الهستيرية من كفاح بين الذات ومستقر الغرائز الجنسية في العقل الباطن

لم يتم بعد لهجة القاهرة التغلب على لهجات المناطق المصرية المجاورة لها ، وفي القسم الفرنسي اللغة من سويسرا لا تزال اللهجات المحلية تقاوم الفرنسية الفصحى في المناطق الكاثوليكية (فاليه ، فريبورج Valais, Fribourg) ؛ على حين أنه قد تم انقراض هذه اللهجات أو كاد في المناطق البروتستانتية (نيوشاتل جنيف) وذلك لأن المناطق البروتستانتية من هذا القسم أرقى ثقافة وعلماً من المناطق الكاثوليكية وأقدم منها عهداً بالمدارس ، ولسان باريس قد تغلب بسهولة على اللهجات التي كانت منتشرة في إقليمي السين واللوار ، لقلة وجوه الخلاف بينه وبينها ؛ على حين أنه لم يقو بعد على التغلب على لهجات جنوب فرنسا ولا يزال يلاقي منها مقاومة عنيفة لكثرة الفروق التي تفصلها عنه

واللهجة التي يتاح لها التغلب في أمة ما على بقية أخواتها ، أو على معظمها تصبح غالباً « لغة الدولة » أو ما يطلق عليه اسم « اللغة القومية » أو « اللغة الفصحى » أو « لغة الكتابة » . فتعلم وحدها في مدارس الدولة ، ويجري بها تدريس المواد المختلفة في معاهدها ، وتؤلف بها الكتب والصحف والمجلات ، وتصدر بها المكاتبات الرسمية وغيرها ، وتستخدم في مختلف مناحي الوعظ والخطابة ، وتلقى بها الأوامر ويجري بها التخاطب في الجيش ، وهلم جرا [1] . فقد ترتب على تغلب لهجة باريس على معظم أخواتها أن أصبحت لغة الدولة بفرنسا ؛ وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغة الفرنسية. وهذا هو ما حدث عقب تغلب لهجة لندن بإنجلترا ولهجة مدريد بأسبانيا ، واللهجة السكسونية بألمانيا والتوسكانية بإيطاليا ؛ فقد أصبحت هذه اللهجات هي اللغات الرسمية ، وعليها وحدها يطلق الآن اسم اللغات الإنجليزية والأسبانية والألمانية والإيطالية

وتسلك لغات الكتابة في تطورها طريقاً خاصة تختلف عن الطريق التي تسلكها لغات المحادثة . ولذلك نرى أن لغة الكتابة مع اتفاقها في المبدأ مع لهجة المحادثة الغالبة ، لا تلبث فيما بعد أن تختلف عنها في كثير من النواحي ، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينهما ، حتى تستقل كل منهما عن الأخرى . فلغة الكتابة بفرنسا مثلاً تختلف الآن عن لهجة المحادثة الباريسية اختلافاً غير يسير .

علي عبد الواحد وافي

---

(١) قد لا يكون للأمة أي لغة قومية مستقلة ، كما هو شأن النمسا ، فإن لغتها هي الألمانية . وقد يكون للدولة أكثر من لغة رسمية واحدة ، كما هو شأن سويسرا ، فإن بها ثلاث لغات رسمية : الألمانية والفرنسية والايطالية . وقد تكون اللغة الرسمية ولغة الكتابة في الأمة هي اللغة القديمة التي انشعبت منها لهجتها ، كما كان شأن اللاتينية بفرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال ورومانيا ، وكما هو شأن العربية الآن بمصر وبلاد العرب وشمال أفريقيا .

٥ — الشخصية القلقة : تتصف بالقلق ، وتوجس الشر ، وبلبلة الفكر ، والخوف من المجهول

يقول فرويد ليس القلق صفة محدودة لعدم تعلقه بموضوع ما. وهو وليد دفاع الذات ضد خطر غريزي غير معروف . وكثيراً ماتصبح الحاجة الغريزية خطراً داخلياً ويؤدى إشباعها إلى التماس خطر خارجي يمثله الخطر الداخلي ، ولكي تتأثر الذات لا بد أن يتحول الخطر الخارجي الموضوعي إلى خطر داخلي غريزي

٦ — الشخصية البارانويائية : تمتاز بإساءة الظن بالناس وتوقع الشر منهم وبهواجس اضطهادية منظمة ، وتنطوى على كفاح إيجابي بين الذات والبيئة

٧ — الشخصية الشبزية Schizoid personality : وتمتاز بالانزواء عن الناس والأنانية وانقطاع التعامل مع البيئة . وينتسب إليها كثيرون من الفلاسفة والأدباء . وتنطوي على كفاح سلبي بين الذات والبيئة

***

تبرز فى كل إنسان « طبعى » ناحية أو أكثر من هذه النواحي الشخصية . والواقع أن شخصياتنا تتكون من خليط متفاوت من هذه الوحدات الشخصية ، وكلما ازداد تعدد جوانب الشخصية ازداد تعقدها وتعددت أمانيها

وأكثر الشخصيات التجاء إلى الانتحار الشخصيات القلقة والبارانويائية؛ أما أكثرها ميلاً إليه فهى الشخصيات اللانخولية والقلقة والبارانويائية وأحياناً الشخصيات الوسواسية

وكثيراً ما يحول الخمول المستحوذ على اللانخوليين وضعف الإرادة المتسلط على الوسوسين دون قتل نفوسهم . وإن أول ما يفكر فيه البارانويائيون هو الانتقام من الناس فيقتلون الزعماء والعظماء بسبب الهواجس الاضطهادية، غير أنهم ينتهون إلى التماس الانتحار إذا غلب عليهم اليأس . ويندر أن يلجأ المستيريون إلى الانتحار ، لأنهم يحبون أنفسهم حباً أنانياً ويحرصون على سلامة أنفسهم

يقول فرويد فى صدد الانتحار « إن السادية Sadism هى التى تحل مشكلة النزعة إلى الانتحار . وقد أظهر التحليل أن الذات تعمد إلى الانتحار عند ما تنصب عليها طاقة موضوعية، وحينئذ تعالج الذات نفسها كموضوع object أى أنها توجه العداء الذى كان موجهاً إلى موضوع ما إلى نفسها »

إن الشخص الذى يميل إلى الانتحار شخص مريض ، وهو فى حاجة إلى العلاج النفسى ككل مريض بمرض عصبي ، فتى ما حلت المعقدات النفسية Complexes وجب إعطاء المريض علاجاً عضوياً كالغدد الصماء والفيتامينات والأملاح المعدنية وغير ذلك لاستعادة النشاط الذهنى

ويتصف الراغب فى الانتحار ككل مريض بمرض عصبي بالمبالغة فى الطموح وشدة الحساسية والتماس الأمانى البعيدة المنال دون جهد ، والعناد والأنانية

والسبب فى أن كثيرين من كبار المفكرين يعمدون إلى الانتحار هو تعدد جوانب شخصياتهم وطموحهم الشديد وتلمسهم أهدافاً بعيدة المنال

ولا بد أن نبين أن إنهاك قوى العقل الواعى يؤدى إلى تقوية الباطن وظهوره على المسرح متحدياً العقل الواعى ، وحينئذ تتحكم فى النفس نزعات دفينة فى العقل الباطن ، قد تكون وجهتها التماس الموت

ولما كان للعقل الباطن علاقة وثيقة باتجاهات النفس ونزعاتها ونزواتها وتصرفاتها فقد رأيت أن أختم كلمتى بتفسير حلم رآه أحد مرضى العالم النفسانى « يونج » قال :

« حلم رجل مثقف فى الخمسين من العمر أنه حاول تسلق جبل عال فكان صعوده فى أول الأمر شاقاً ولكنه كلما أمعن فى الارتقاء كان التسلق أهون ، وبعد أن بلغ القمة مشى فى الفضاء ثم استيقظ

وبالتحرى علمت أنه رجل متمرن على تسلق الجبال بدون مرشد وأنه يشعر بلذة عند ما يرى نفسه فى موقف خطر، وقد كان عاثر الجد فى زواجه مشمئزاً من عمله ، وقد فسرت حلمه بالآتى :

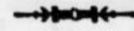
عند ما كان متعلقاً بالحياة كان ارتقاء الجبل شاقاً إذ كانت تتنازعه رغبتان متضادتان : الرغبة الظاهرة فى الحياة والرغبة الدفينة فى الموت، ولكنه كلما أغرق فى استسلامه لهواه صار لديه الصعود أسهل

ولم يكن سيره فى الهواء سوى تعبير عن رغبته فى الموت وقد هوى من قمة جبل ومات بعد مضى نصف عام من هذا »

محمد حسني ولاية
طبيب بصحة بلدية الاسكندرية

شعر الزواج (*)

للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل



لعل « شعر الزواج » على هذا النهج موضوع جديد ، فإذا كان لكل جديد غرابة ، فقد تزول الغرابة بالبيان

يتناول الشاعر ، وسائر أهل الفنون ، حوادث حياتهم بالشعر والتعبير . والزواج من أهم حوادث الحياة . فإذا تزوج شاعر يحسن الشعور بالزواج فكيف لا يكتب القصيد فى حياته الزوجية ؟ ! وإذا اقترن موسيقار فلماذا لا يشدو بقرانه ؟ .

ويباح للشاعر وصاحب الفن الجميل الغزل بالفتاة الصبيحة ، حتى نسب إلى أبى بكر الصديق أنه تغزل فقال [1] :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
أرقت ، أو أمرٌ فى العشيرة حادث ؟

وحتى أنشد كعب بن زهير النبى محمداً عليه الصلاة والسلام شعراً بدأه بالغزل على عادة العرب فقال :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

فهذا الغزل بالفتاة مباح للشعراء فكيف بالزوجة ؟ ! إن الزوجة أحق بالغزل . ومن الغزل لائق وخليع . فللزوجة غزل لائق مهذب

هذا النقص فى شعر الزواج يسترعى النظر . فهل وجد معظم الشعراء وأهل الفنون زوجاتهم تافهات ؟ فإذا فرضنا هذا فإن لكل جديد فرحة ولو كان تافهاً . على أن الزوجة التافهة قد لا تظهر تفاهتها سريعاً . والناس يختلفون فى غنى الشخصية . فقد تفرغ شخصية بعد أيام من الصحبة وتفرغ أخرى بعد أشهر ، على حين تفرغ أخرى بعد أعوام ، وغيرها لا تفرغ أبداً ما عاشت ثم بعد الممات . ففى فجر الحياة الزوجية تحس النفس المعبرة بتحية صادقة لهذى الحياة الجديدة . هذا منطق الشعور ، وتلك طبيعة الإحساس . فإذا ما جاشت النفس وسطر القلم العواطف ثم بدت الزوجة تافهة عز على صاحب الفن وأدفنه .

هنا يجب التفريق بين فن صادق وشىء خادع ألهمه . فهذا (شلى) كتب قصيدة رائعة فى فتاة باهرة السطوح بائرة الدخائل ، ظهر زيفها قبل أن تتم القصيدة ! راحت فرحة الشاعر ، وضاع أمله ، وعراه الخجل ، وشابه الكدر ، ومع ذلك أبقى على القصيدة وعاشت وخلدت وعلى رأسها إهداء تبطنته سخرية الحق من فطنة الإنسان !

فى الحق أن نقص شعر الزواج يسترعى النظر !

لقد آن أن يكون أدب دارى جنب ذاك الأدب الطليق من كل قيد اجتماعى . آن إنصاف الحليلة . آن أن ينصف الشعراء أنفسهم من ظنة حب ما لا يملكون ومقت ما يملكون لأنهم يملكونه كما يكثر بين البلداء والجهلاء والعامة



***

وللزواج نصيب عند شعراء أوربا فى الأساطير والشعر الكلاسيك . غير أنه نصيب غير كاف وغير شامل عند شاعر واحد فيما أعلم

وله نصيب عند المثقفين

فمن الأساطير هذه القصيدة :

« أخيراً أقاما بيتاً كريماً ، ظلة منزلية ، والعرش غير بعيد من الأرض ، مصنوع من القصب والقش معاً . عاش هناك بوسيس وفيليمون [1] ، وهناك عاشا زوجين طويلاً ، وزوجين سعيدين : والآن هما فى الحب قديمان ، مع أن ذخرهما ضئيل ، ... والأمر عدم ، حيث تبودل الحب المتكافئ ، أو الأصح أن كليهما أمر ، وكليهما أطاع ...

« هكذا حينئذ نظر رب الأرباب نظرات هادئة قائلاً : تمن يا واحد الرجال عدلاً ؛ وأنت يامرأة وجدت وحدها جديرة بمثل هذا الرجل فى رباط زواج

« همسا هنيهة ؛ عندئذ كلا (جوف) [2] هكذا يفضل فيليمون دعاء وصالها . ولأن أى عمل فى حياتنا لم يدنسه النزاع الأهلى ، نسأل ساعة موت واحدة : فلا هى تبكينى بدموع

(*) مقدمة لكتاب ظهر حديثا عنوانه « أغاريد زفاف » للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل . وسيكون هذا الكتاب موضع تعليق من الرسالة فى عدد قادم .

(١) هناك من ينكر صحة نسبة هذا الشعر إلى أبى بكر رضى الله عنه . على أن الناظم العربى كان إذا لم يشبب عن صدق شبب عن تقليد

(١) Baucis و Philfmon
(٢) Jove

الأرملة إذا عاشت لتدفننى ، ولا أنا بذراعين واهنتين أحمل بوسيسى الهامدة إلى القبر باكيا

« وأشارت رؤوس الرب موافقة »

إلى أن قال بعد تحولهما معاً إلى شجرتين مورقتين :

« ... سنديانة فارعة قرب زيزفونة تنموان ... »(1)

ومن الكلاسيك :

تزوج لورد تنيسون باميلى شلوود ، و « كان الزواج من كل النواحى ناجحاً ، وكان الشاعر يقول فيما تلا من حياته : حين تزوجتها نزل سلام الله على حياتى »(2)

وقد نظم تنيسون شعراً عنوانه (صباح القران) جاء فيه :

« هنا للحب الختام الذهبى ، كل اختطابى قد فُصل » إلى أن قال :

« لأن هذا للحب الصباح الذهبى ، وأنت نجم صباحه » حتى قال : « قلبى ، أأنت كافى العظمة لحب لا يكل ؟ أيها القلب ، أأنت للحب كافى العظمة ؟ فقد سمت بأوراد وأشواك »

وقد كان لورد تنيسون حيياً شديد الحياء ، وكان من الأرستقراط

اقترن شلى بهريت وستبروك ، وبعد عامين نظم فيها قصيدة عنوانها « مساء . إلى هريت » ختمها قائلاً : « كذلك كان محبك يا هريت . هل استطاع إطارة أفكار كل ما يحمل عاطفته عزيزة ؟ وينشد ثقوباً فى نسيج سعادتنا الموصول عائداً بغير حس من مسك الدافىء ؟ »(3)

وختم قصيدته « إلى أيانب » : « وأنت عزيزة أكثر حين تبدى خصائصك اللطيفة رسم جمال أمك »(4)

ثم اقترن بمارى جدوين ، ومضت سنوات ثلاث فنظم فيها حينئذ يقول بعنوان « إلى مارى شلى » :

« الدنيا موحشة ، وأنا تعب من تطويقى بدونك يا مارى ؛

« كان فى صوتك وبَسْمك من قبل فرح . وقد ذهب ، يا مارى ، حين وجب ذهابى كذاك(5) »

ونظم (إلى مارى شلى) يقول : « مارى العزيزة ، أين ذهبت وخلفتنى وحدى فى هذى الدنيا الموحشة ؟ فى الحق هنا شخصك — شخص جميل — لكنك فررت منحدرة فى الطريق الموحش

Ovid, Metamorphoses Trans. John Dryden (1)

Everyman's Encyc V. 12, p. 90 (2)

Pœms written in 1819 (3) و (4)

Pœms written in 1819 (5)

المؤدى إلى أظلم منازل الشجن ... ... »(1)

وله غير ذلك فى الزواج قصيدة متبوعة ولكنها عامة السياق وليست فى زواجه

وكان شلى « جاداً على العموم ، وكان مع ذلك قديراً على المزاح وكان كامل الأدب الذى هو طابع الأرستقراط الصغير »(2)

وكان على حياء العذارى ، يتورد وجهه من المقابلات أحياناً .

ومن المثقفين :

القائد الكبير الأرستقراطى فون هندنبرج، يقول فى سيرته:

« وجدت فى زوجتى صاحبة محبة قاسمتنى بولاء ودون ملل مسراتى وأحزانى ، ومهامى وأعمالى(3) »

***

كذلك للزواج نصيب فى الموسيقى الأوربية الكلاسيك .

فقد ألف الموسيقار تشرد شتراوس « السيمفونية الأهلية »(4)

و « السيمفونية الأهلية إحدى كبريات قصائد شتراوس السيمفونية . وتمثل يوماً فى حياته هو وقرينته وابنه الطفل(5) »

وألف الموسيقار يوهان شتراوس « فالزاً » سماه « أجراس القران »(6) أيام عرسه

أما نصيبه عند العرب فضئيل ، وهو على ضآلته شتيت

قال الحسين عليه السلام فى امرأته الرباب وابنته سكينة وقد عاتبه أخوه الحسن عليه السلام فى امرأته :

لعمرك إننى لأحب داراً   تحل بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى   وليس للائمى عندى عتاب(7)

وقال الحسن بن هانئ يحكى عن زوجته :

تقول التى من بيتها خف مركبى: عزيز علينا أن نراك تسير
فقلت لها واستعجلتها بوادر   جرت فجرى فى جريهن عبير

وهنا نعرج فنذكر من مراثى الزوجات والأزواج ، فإنه غزل حزين

Pœms written in 1819 (1)

André Mrauois, Ariel, p. 106, Penguin (2)

Hindenburg, Out of my Life, p. 40, Cassell, 1933 (3)

"Sinfonia Domestica„ (4)

Essays in Musical Analysis, Donald Français Tovey, (5) Reid professor of music in The University of Edinburgh, VIII, p. 206, Oxford

Wedding Bells (6)

(7) ج ١ ص ٢٢ ؛ العقد ١٩٣٤ ، ج ١ ص ١٨٤ ، وج ٢ ص ١٢١ ، الحسين

قال الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات في زوجته حين ماتت :

يقول لى الخلان : لو زرت قبرها ... فقلت : وهل غير الفؤاد لها قبر ؟
على حين لم أحدث فأجهل قبرها ... ولم أبلغ السن التى معها الصبر

وقال جرير في قرينته :

لولا الحياء لهاجنى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

وقال الإمام علىّ في عقيلته السيدة فاطمة كريمة النبي وهو على قبرها :

قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى ، ورقّ عنها تجلدى

و « رثت » الرباب بنت امرئ القيس زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت :

إن الذى كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي ، جزاك الله صالحة ... عنا وجنّبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغنى ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغى صهراً بصهركم ... حتى أغيب بين الرمل والطين (١)

والشعر العربي الحديث مقصر في هذا الباب . وها هم أولاء جل أعلامه المتزوجين : البارودى وصبرى وشوقى وحافظ وولى الدين والزهاوى وشكرى والمازنى (٢) قد خلت دواوينهم من شعر الزواج الشخصى

ولا تثريب على كل شاعر عزب

أما البارودى فقد تأهل مرتين فلم يستقبلها بالقريض ولم يترنم بالزوجتين بعد ذلك . ولكنه رثى الأولى رثاء كأنه غزل حزين وكانت الوفاة بمصر والمرثاة بسرنديب . وهذه أبيات مجموعة منها :

لا لوعتى تدع الفؤاد ولا يدى ... تقوى على رد الحبيب النادى
كم بين عادىّ تملى عمره ... حقباً ، وبين حديثة الميلاد ؟
سر يا نسيم فبلغ القبر الذى ... بحمى الإمام تحيتى ووادى
لا تحسبينى ملت عنك مع الهوى ... هيهات ، ما ترك الوفاء بعادى

وأما الأستاذ المازنى فحين كان ينظم لم يكن لقرينته نصيب من نظمه ، فلما هجر الشعر كان لها من نثره أكبر نصيب ؛ وكان النظم والتناول الشعرى أولى بهذا الحديث ! وهو مع هذا يقول عن نفسه : « ... ومن متناقضاتى أنى على حيائى أرانى في كثير من الأحيان ثقيل الصراحة (١) »

أستطرد من هذا إلى علمين من أعلام الأدب هما الدكتور هيكل باشا والدكتور طه بك ، فهما وإن لم يطرقا الموضوع فقد طرقا هامشه طرقاً خفيفاً . ذلك أن الدكتور هيكل تحدث عن قرينته في كتابه « ولدى » ، وأن الدكتور طه قال عن قرينته يخاطب كريمته : « لقد حنا يا بنتى هذا الملك على أبيك فبدله من البؤس نعيماً ، ومن اليأس أملاً ، ومن الفقر غنى . ومن الشقاء سعادة وصفواً (٢) » وذكر كيف تعرف إليها وكيف كان أثر صوتها في نفسه (٣)

ثم أعود إلى حديث الشعر فإنى قرأت قصيدة « ليلة الزفاف » للأستاذ إبراهيم العريض ، وهي قصيدة « من وراء الستار » كما قال ، فإنه فصل فيها تفصيلاً ختمه بقوله : « فضمها شوقاً لأحشائه (٤) »

ثم قرأت قصيدة « عيد ميلاد سعيد » للأستاذ العوضى الوكيل (٥) قال فيها :

يا زوجتى ، يا هواى ، يا أملى ... قلبى بمعنى سناك محشود
من منذ عشرين غير واحدة ... ومعدن الفن فيك موجود

ولكن أين الخطبة وما تلاها إلى « عيد الميلاد » عند الوكيل ؟ وأين ما قبل ليلة الزفاف وما بعدها عند العريض ؟

فإذا جاز لى أن أمازحهما قلت : ألم يعجب الأستاذ العريض من الزواج غير ليلة الزفاف ؟ ... وهل كفى الأستاذ الوكيل نفسه شر غلاء الحرب في هدية العيد فأهدى القصيد ؟ ...

وهكذا لم أجد شاعراً نظم الشعر في حياته الزوجية أو نثره ، فشمل بشعره تلك الحياة . وقد وجدت الشعراء المجيدين الذين لا أثر للزوجية فيما رغوا !

في الحق أن نقص شعر الزواج يسترعى النظر

عبد المجيد مصطفى خليل

(١) الحسين ، طبعة ١٣٤٩ ، ج ٢ ص ٢٣٣

(٢) أما الأستاذ مطران وجبران والأستاذ العقاد ، هكذا على ترتيب مولدهم ، فلم يتزوجوا . والعهدة في مطران وجبران على الشيخ يوسف البستانى صاحب مكتبة العرب

(١) مجلة المزعة ، العدد الثانى سنة ١٩٤٠ (٢) الأيام
(٣) بعض أعداد مجلة الهلال (٤) مجلة الرسالة ، ص ٩٠٧ ، سنة ١٩٤٠
(٥) مجلة الرسالة ، العدد ٣٧٧ ، سنة ١٩٤٠

حكم بتغريم محمد متولى شلبى البقال بباب الشعرية بالقضية ن ٢٣٨ تسعيرة سنة ١٩٤٠ استئناف ن ٩٧٣٧ بجلسة ٣٠ سبتمبر جنيهاً واحداً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة .

من وحى المنصورة

الهـــــروب من النفس

للأستاذ حبيب الزحلاوى

صديقى الدكتور مبارك

سواء خُدِعت فوقعتَ فى الشرك المنصوب، أو سولت لك نفسك صيد السمك فى المنصورة، أو طمعتَ فى سماع أحاديث «الزيات والزناتى» الحلوة وغير الحلوة، أو طاب لك أن تثرثر فى رفاق ظننت أنه لا يستوى عندهم كلامك المقول والمكتوب، سواء أكان هذا أو ذاك، فأكبر الظن عندى أنك فزعت إلى البلد الأمين تنشد الهروب من نفسك!! أليسَ كذلك؟

للهاربين من نفوسهم قصص وحكايات يعرفها ويضمرها السكير والحشاش والمقامر، وأيضاً المتسكع فى الطرق، والضارب فى الفلوات، والقاعد فى المقاهى، وكل هذه أنواع من بواعث، وأشكال من أسباب، يفتعلها المأزوم للخلاص من همه، فيها الظريف المستملح، وفيها المجرِّح المؤلم

ومن أظرف حكايات الهاربين من نفوسهم حكاية فزع ابراهيم ناجى الشاعر إلى ديوان زميلة ونِدّه الشاعر قسطندى داود كلما استحكمت أزمة نفسه أو افتعلها لما من توهماته وظنونه، ومن يقرأ أشعار ناجى ير مسحة من روح «داودية» شفافة تجلى غمامة الصدر وتبعث الضحك؟ ولو كنت يا صديقى ممن قدر «عليهم» أن يكونوا عرضة للأزمات النفسية التى يزنها الشاعر بميزان مزاجه وعاطفته وتصوراته، فعليك بلا توان بواحد من ديوانى شعر الدكتور ناجى أو قسطندى داود فالبرء فى قراءة أشعارهما لا شك مضمون

وحكاية ثانية عن الهاربين من أنفسهم بطلها «العبد لله» فعند ما تنشأنى الناشية وتكون مسببتها الشيطانة (هى) لا أعمد إلى السكر، ولا إلى أى سبب يمت بصلة إلى تنشـية الواقع بالأوهام، أو طلائه بالضحك، بل أتناول كتاباً ضخماً أسميته أنت تجوزاً أو اعتباطاً «ليلى المريضة فى العراق»

وكنت أقلب، يا صاحبي المبارك، صفحات كتابك صفحة فصفحة، وأمعن وأغذ السير معك، متشوقاً متطلعاً إلى رؤية وجه ليلى المرضة يصطفق روحها نفسى المريضة، فكان يجابهنى وجه الحريرى، أى الصفاح من خدك الأعوص، فأضحك وأضحك! ولـكن سرعان ما أطرح الـكتاب جانباً، وأنطوى على نفسى أستجمع قواى المبعثرة وذهنى المرتكز حيال أمر واحد متكتل كخيوط فى الشوك

لسبب لا أذكره ترفعاً وكبرياء، وجدت نفسى فى حومة الأزمة الجائحة تحيط بى الثائرة المجنونة من كل جانب، تسد على المسالك

تعلقت بكل خيوط الفرج من أضراب ناجى وداود ومبارك وأمين فى قصة سارة، أطبقت الأزمة على نفسى وألقتنى فى الأسر والعبودية! وإن من الناس يا صاحبي من يفقدون آخر مزية لهم إذا هم انعتقوا من عبوديتهم

تذكرت الخدعة التى أوقعك فيها أصحابك، ووسيلة «صيد السمك» التى حفزتك إلى السفر إلى المنصورة، فلقيت أنت فيها الوحدة والوحشة وانقباض الصدر فأخذت تصرخ وتئن! أما أنا فقد صفقت لها طرباً، فعمدت فى التو إلى خداع نفسى، فركبت السيارة إلى المنصورة، وصدفت عمداً عن «الزيات» وكافورته، وألقيت بنفسى فى وهاد الوحدة

حقاً إنه لأمر مروع يا مبـارك أن يبقى الإنسان منفرداً فى عتمة الليل عند شاطىء النيل الساجى لا يسمع إلا رشاش الأمواه تقطر من مجاذيف الفلك، مع من أقامه قاضياً على نفسه ومنتقما منها بالشريعة التى اشترعها، ولـكنى لقيت الراحة فى الانفراد ليقين صادق منى بقول نيتشه القائل: «إن فى المنفرد عواطف تطمح إلى القضاء عليه؛ فإن لم تنل منه نالت من نفسها وانتحرت»

لم أستسلم لهذه الأمنيـة بل صممت على الظفر بالعواطف والانتصار عليها

كدت أسقط يا صاحبى فريسة سمكة ليلية حاولت اصطيادى مستغلة وحدتى وانفرادى، والمنفرد كما تدرى، يمد يده مسرعاً بلا وعى لمصافحة من يلتقى بطريقه، ولم يصدنى عن مدها سوى

عراك في معـــترك

أي معـــترك !

للأســتاذ زكي طليمات

– ٢ –

نسف الأستاذ محمد متولي في رده علينا[1] منسقطاً أخطاء لم تقم إلا في وهمه ، وأسف إلى السباب وسقط الحديث في جدل يجب أن يسوده الوقار والحجة العلمية ، كما أوضحنا ذلك في مقالنا الأول ، فانحرف متولي بذلك عن (موضوعية) النقد التي تحدث عنها بطرف لسانه دون طرف سنانه

(١) معاني الفيلسوف المعاصر

والدليل على ما نذهب إليه ــ وهو ليس الأول والأخير ــ أن متولي في غيبوبة ألمه — ومصدر هذا الألم أننا رددنا أقواله بالحجة — أصدر أمراً بإرسالنا إلى « محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المستهترين بقدسيته وتعاقبهم على جناياتهم » لأننا وصفنا في سياق حديثنا الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس) بأنه « الفيلسوف المعاصر » ، هذا في حين أن وليم جيمس هذا توفي عام ١٩١٠ ، وكأننا بالأستاذ متولي يقول إننا تكلمنا عن فيلسوف لا ندري متى انتقل إلى الدار الباقية ، وإن كلمة (معاصر) هذه لا تنطلق وصفاً إلا لفيلسوف ما برح يعيش في عصرنا برئتيه وبقلبه !

وحرصنا على أن يزداد الأستاذ متولي علماً ، وبرنا بذهن القارئ الذي هو أمانة بين أيدينا يدفعاننا إلى التبسط في حديث ما كان أغنانا عنه لو كان الأستاذ متولي يعرف الموضوع الذي يجادل فيه ، أو يعرفه ولم يغالط ويعاند

إن كلمة « معاصر » هــذه تعدل على أقلام الكتاب عندنا كلمة Contemporain الفرنسية ، وهي في اصطلاح مؤرخي الأدب ونقاده تطلق وصفاً للآراء والاتجاهات الأدبية والعلمية والفنية التي يأخذ بها عصر من العصور في نواح من نتاجه الذهني . وقد نص على هذا المعنى المصطلح عليه العلامة Littré في مؤلفه (معجم اللغة الفرنسية) وهو حجة المعجمات الفرنسية بما يأتي :

La raison contemporain : est l'ensemble des *choses qu'une société admet comme vrai à une* époque donnée.

وترجمة هذا النص : « إن الرأي المعاصر هو مجموعة أشياء يعتبرها مجتمع ما حقيقة في عهد معين »

فإذا نحن وصفنا (وليم جيمس) المتوفى عام ١٩١٠ بأنه (معاصر) فمعنى هــذا أن آراءه الفلسفية ما زالت يؤخذ بها في شئون الفلسفة وفي شئون الحياة . (فالبراجماتيزم) أو مذهب (الذرائع[1]) ، وهو المذهب الذي صاغه جيمس نفسه ما برحت له أطراف طويلة تمتد على الفلسفة الحديثة وعلى سلوك الناس . فقد قرر (موسوليني) يوماً[2] أنه « يدين لوليم جيمس بكثير من

(١) الرسالة رقم ٣٨١ . ص ١٥٩٩

(١) تتلخص (البراجماتيزم) في « أن يتخذ الانسان من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ، ثم على السير بالحياة نحو السمو والكمال » (قصة الفلسفة الحديثة للاستاذين أحمد أمين وزكي نجيب محمود الجزء الثاني . صفحة ٦٢٤)

(٢) « قصة الفلسفة الحديثة » ص ٦٢٥ الجزء الثاني

خيال بدا كالشبح أمامي وهمس في أذني : « إن كثيراً من ساميات الأفكار أضراب شيطانتك تعمل عمل الأكرة المتنفخة فلا تكاد تتضخم حتى تضمر » وأردف قائلاً بصوته الأجش وقد شاع شيوع الروح في جوانب نفسي « أأنت عاشق أيها الأديب المنفرد؟ اعشق نفسك أولاً ثم احتقرها ، فلا أديب للعاشق لا يبتدع إذا كان لم يبدأ باحتقار المحبوب !! »

غاب الشبح عن ناظري فلقيت نفسي أسير على غير هدى وبيدي ما يثقلها وهو كتاب لتوماس هاردي ترجمه الأديب نخري أبو السعود . جلست في أول قهوة رمضانية أقرأ روح هذا الشاب المنتحر وقد مزجها بروح المؤلف العبقري

عليك الرحمة أيهــا الأديب المنتحر فقد عرفت كيف تحب وتنجب وتحتقر ، وكيف تتفوق على إنسانيتك ، أما أنا فما زلت أحب ، وأحب الحياة ...

وأنت أيها الدكتور مبارك فسلام عليك من صديق يحبك ولا يحتقرك

حبيب الزهيري

آرائه السياسية ، وأنه بتأثيره لا يحتكم فى سياسته إلى نظريات العقل المجرد ، إنما يسلك من السبل ما يراه أقوم وأدنى إنتاجاً »

ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن (نيتشه) الفيلسوف الألمانى المتوفى سنة ١٩٠٠ ، أى قبل وفاة وليم جيمس بعشر سنوات ، له جانب كبير من فلسفته ما زال (معاصراً) على الرغم من مرور السنين ووفاة صاحبها . فالدكتاتورية اليوم ، ومظهرها النازية والفاشية ، بدعوتها إلى استخلاص العنصر الآرى ورعايته بهدد جانب العناصر الأخرى ، إنما تستمد معينها من فلسفة (نيتشه) ، التى تقوم على عبادة القوة ، إذ القوة فى نظر هذا الفيلسوف ، كما هى فى نظر الألمان والإيطاليين اليوم ، هى الفضيلة السامية ، والضعف هو النقيصة السافلة ، والشر المستطير الذى يجب القضاء عليه ! !

فإذا كان الأستاذ متولى لا يفهم هـذا ، أو هو لا يريد أن يفهمه مكابرة وعناداً فها نحن أولاء نسوق إليه براهين حسية تنهض حجة على ما نذهب إليه فى أن كلمـة (معاصر) يذهب معناها إلى ما قررناه ، وقرره قبلنا كبار الكتاب والنقاد .

(ا) ألف العلامة دانيل مورنيه Daniel Mornet كتاباً فى الأدب الفرنسى أسماه (تاريخ الأدب والفكر الفرنسيين المعاصرين ١٨٧٠ — ١٩٢٧)[1] درس فيه الشعراء والكتاب منذ ١٨٧٠ ، فقدم أبحاثاً عن (زولا) و (دوديه) و (موباسان) و (فلوبير) وغيرهم من الكتاب و (بودلير) و (فيرها رن) و (مالارميه) و (فارلين) من الشعراء ، باعتبار أنهم كتاب وشعراء معاصرون في حين أن جلهم توفوا منذ سنوات بعيدة ، ذكر (مورنيه) هؤلاء وغيرهم إلى جانب المحدثين باعتبار أن مذاهبهم فى الأدب ما برحت تسود نواحى من نتاج الأذهان فى هذا العصر

هذا فى المؤلفات الأدبية ، وفى مؤلف يقرأه طلاب الأدب !

(ب) وفى الفلسفة — والأمثال عديدة — أخذ العلامة Parodi بالمعنى الذى ذكرناه لكلمة (معاصر) وذلك فى كتابه (المشكلة الأخلاقية والفكرة المعاصرة)[1] ، وهو كتاب ظهرت له طبعة باريس سنة ١٩٠٩ ، وفيه أنشأ المؤلف بحثاً فى آراء العالم الأخلاقى الكبير Alfred Fouillée صاحب مذهب (الآراء على أنها قوى) ، وحصل بعد ذلك أن توفى العالم المذكور سنة ١٩١٢ ، وفى عام ١٩٢٠ أعيد طبع هـذا الكتاب بعد الزيادة والتنقيح . فإذا هو لا يزال يحمل اسم (الفريد فوييه) باعتبار أن آراءه فى الأخلاق ما برحت قائمة ، ولم يأت بعدها ما يبطلها أو يضفى عليها مسحة فوات الأوان !

فما رأى الأستاذ متولى فى هذا ؟ وبماذا يحكم القارئ ؟ أنا أم متولى الذى يصح أن يقدم إلى المحكمة التى تحاسب المستهترين المتطاولين على العلم ؟

(٢) الرمزية وعلم النفس وأيهما أفاد من الآخر ؟

وثمت شىء آخر لا أسميه من جانب الأستاذ متولى الذى يحمل من العلم شهادة يزهى بها

ذكرنا عرضاً فى مقالنا[2] الذى صححنا فيه أخطاء متولى أن علم النفس أفادت منه الرمزية ، فرد علينا متولى بأسلوبه الموصوف : « إن علم النفس عندنا شعبى خاطئ لا يزيد على ما نسمعه من بعض زبائن قهوة بيرون »

وودنا التواضع أن نكلف الأستاذ متولى مشقة قراءة كتاب (تاريخ الأدب والفكر الفرنسيين المعاصرين) السابق الذكر (الفصل الرابع الذى عنوانه « فى البحث عن العوالم الخفية » صفحة ٨٩—٩٢) حيث رسم المؤلف العلامة (مورنيه) اتجاهات علم النفس عند الكتاب الانباغيين والرومانيين ، ثم عند الواقعيين والطبعيين ، ليستطرد القول بعد ذلك فى اللاوعية (l'inconscient) ونقتطع فقرة مما ورد فى صفحة ٩٢ خاصاً بما نذهب إليه ليقف القارئ على جلية الأمر ويحكم لنا أو علينا ، وها نحن نترجم هذه الفقرة حرفياً : « وعند الفيلسوف برجيسون وغيره أصبح (اللاوعى) الشكل المادى للحياة الروحية ، كما

(١) اسمه بالفرنسية Histoire de la littérature et de la pensée francaise contemporaines طبعة باريس ١٩٢٢

(١) اسمه Le problème moral et la pensée contemporaine

(٢) الرسالة عدد ٣٧٨ ص ١٥٢٠ . العمود الأول س ٧.

أنه غدا النبع الخفى الواسع العميق الذى تقطر منه حياتنا الواعية المنطقية . وإلى هـذا النبع قصد الرمزيون منذ سنوات عديدة يغترفون من معينه ، وسار على أثرهم القصاصون والمؤلفون المسرحيون »

وإتماماً للفائدة التى نبتغيها للأستاذ متولى من هذا الدرس العابر نحيله إلى (الفصل الخامس) من الكتاب نفسه (ص١٠٧) لنضيف إلى ما تقدم ذكره ، تأثير فلسفة برجيسون فى الرمزية عن طريق تغليب (البصيرة) على الذكاء والمنطق

وعليه فظاهر مما تقدم أن آراء برجيسون فى علم النفس أثرت فى الرمزيين ومن ذهبوا إلى استكناه العوالم الخفية ، بعد أن نفى برجيسون مقدرة الذكاء والمنطق ، وأكد تغليب الحياة الباطنة على الحياة الظاهرة . وكفى هذا دلالة على انبساط أطراف هذه الآراء على الرمزية وما تشعب منها فأفادت منها

(٣) أين هذا النص ؟

وهناك فى مقال الأستاذ متولى مثال ثالث ساقه لى ليقيم الحجة على أنه « يعرف موضوعه لدرجة تسمح له أن يصحح لى وللدكتور بشر فارس أوهاماً علمية نعيش فيها »

يقول متولى إن كتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس (طبعة ١٩٢٣ — ١٩٢٤) ، وهو الكتاب الذى كان اعتمادنا عليه فى التدليل القاطع على أن آراء (ريبو) فى الرمزية فات أوانها ... متولى يقول إن طبعة هذا الكتاب « منسوخة لأنها تطبع الآن فى تسعة أجزاء زيادات وتفصيلات ، وقد ظهر الجزء الخامس منها عام ١٩٣٦ ... الخ »

والذى ندلى به فى هذا أنه من الجائز أن يعاد طبع هـذا الكتاب ، وأن تدخل عليه زيادات وتفصيلات ، ولكن الذى لا نجيزه أن يختلق الأستاذ متولى أن الكتاب قد (نسخ) ولما يمض على الطبعة التى اعتمدنا عليها عشر سنوات ، لأن (النسخ) إنما يأتى عن طريق إحلال آراء مكان آراء ، وما على الأستاذ متولى إلا أن يقدم النص الجديد فى الطبعة الجديدة . وهو النص الذى ينسخ النص الأول الذى سقناه عن كاتبه العلامة (أبيل راى Abel Rey) الذى عقد فصلاً بعنوان (الاختراع) فى الجزء الثانى من الكتاب المذكور ص ٤٢٦ ، وفيه طعن فى نظرية (ريبو) النفسية ...

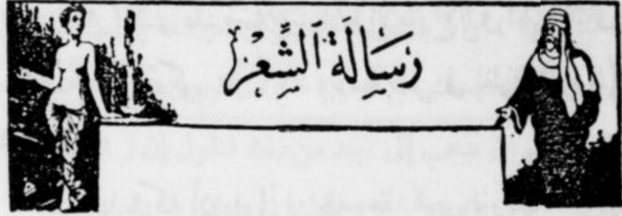
بيد أننا نؤكد أن متولى لن يقدم هذا النص ، وعليه فسيبقى قائماً طعن (أبيل راى) فى (مخيلة) ريبو ، من حيث إنها خاضعة بعض الشيء لمذهب (الذرية الذهنية) وهو مذهب لا يؤخذ به اليوم . سيبقى هذا الطعن قائماً على الرغم من أنف الأستاذ متولى ، ما دام نظر العلماء إلى مذهب (الذرية الذهنية) حتى يومنا هذا يرفض الأخذ به

وقد يتساءل القارئ : لماذا يفتعل متولى هذه الأفاعيل ويفتئت على الآراء الفلسفية متحرجاً راكباً رأسه ؟ والجواب على هـذا لا يخفى على من يعرف حكاية الثعاب الذى يطلق من جوفه ريحاً تعافها الأنف إذا أخذته الأيدى من كل حدب ! !

نقف هنا وقد كفانا تدليلاً على ما تورط فيه متولى بعد أن ركب من غضبته شر الحمر

وفى مقالنا الآتى درس فى الرمزية ، كما نظر إليها (ريبو) نفسه ، وكما أساء فهمها الأستاذ متولى

(الحديث بقية) زكى طليمات



جيرة الحرم النبوى

للأستاذ على الجندى

أتتنى عنكمُ الأنباء تترى فإنْ صحتْ فقد عظمَ البلاء
أحقًا أنكم بِتمُ جياعًا ولولا كمْ لما عُرفَ السخاء
وأنكمُ حيالَ (القبرِ) صرعى أنينكمُ يغصّ به الفضاء
تفيضُ دموعُكم مِلءَ المآقى فيُمسكها التصوّنُ والإباء
فإنْ ناحتْ صِغارُكمُ بكيتمْ لهمْ من رحمةٍ وبكى النساء
ولو كنتمْ (لموسى) أو (لعيسى) من الأتباع عمّكمُ الرخاء
وأمسيتمْ وقفرُكمُ ظلالٌ وأشجارٌ وأزهارٌ وماء
وكانَ لكم (بأمريكا) حُبوسٌ ووافاكم من (الغرب) الحِباء
ولكن ضِعتمُ ما بينَ قومٍ أشِحّاء، وإنّ الشحّ داء
خَبرتُ المسلمين، فما نداهمْ سوى الألفاظ يذرُوها الهواء
يَفوقون الحصى والرملَ عدًا وهمْ - إن نابت البلوى - غُثاء
أيفنَى جيرةُ الحرمَينِ فقرًا ونحن بعصرَ يُفنينا الثّراء؟
وهمْ مِلحُ الأنام وآلُ (طه) عليهم تحسُد الأرضَ السماء

***

أجيرانَ (الرسول) دمى وروحى فِداؤكمُ، وإنْ قلّ الفِداء!
شجانى خطبُكم فبكى قريضى عليكم، والقريضُ له بُكاء
ولو حيزتْ لىَ الدنيا جميعًا لجُدتُ بها وفى وجهى الحياء
وكنتُ كفيتُكم جدوى أناس إذا نودُوا أصمّهمُ النداء
وكان لكم - ولا منٌّ عليكم - ثوابُ الله - دونى - والجزاء
ولكنْ حَسْبُكم - والمالُ يفنى - دُعائى، ربّما نفعَ الدعاء

على الجندى

الفجر

سكبَ الفجرُ بالدُّجى لألاءَ عبّهُ الشرقُ فانتشى وأضاء
فالسّنا زاهرٌ يُقبّلُ آنا رَ الدياجى ويرشفُ الأنداء
زفّت الشمسُ ركبَهُ ثم ألقتْهُ على الأُفقِ صفحةً بيضاء
والجِنانُ الحِسانُ عانقها النورُ مشوقًا فهزها مَرّاء
هتفتْ بينها الطيورُ وصاغتْ وحيَها الحُلوَ نغمةً وغناء
والغصونُ الرّطابُ حليُها الزهرُ عقودًا تتوّجُ الورقاء
أطرقتْ والنسيمُ طارحها الشوقَ فأغضتْ وباعدتْهُ حياء
تنثنى كالقدودِ مالَ بها الدّلُ وتخضلُّ إذ تمسّ الماء
والأزاهيرُ إنْ ترفُّ فسكرى رشفتْ من كؤوسها الصهباء
ألفتْها يدُ الطبيعةِ فالبيضاءُ حبًّا تُعانقُ الحمراء

***

قبسةَ الفجرِ لمحةٌ منكِ فضّتْ سُدفَ الليلِ فانفلقنَ ضياء
ورسولٌ لمجتلاكِ سنِيٌّ بلغَ الشهبَ فانتثرنَ هباء
هلْ لفجرِ الرجاءِ منكِ انبثاقٌ يطعنُ اليأسَ طعنةً نجلاء

(بغداد) مصطفى كامل ياسين

أنا وأنت...

أنا السماءُ وأنتِ البدرُ برعمةُ
كمْ الظلامَ عنِ الإشعاعِ فى صدرى
قد أوحشتْ رحبانى يا حبيبُ وما
أجريتَ أنفاسكَ البيضاءَ فى نحرى
همْ غلفوكَ، فمزّقْ سترَ حلكتهمْ
واسطعْ على أفقِ المهجورِ يا بدرى

***

أنَا الخَمِيلَةُ ، تِيجَانُ الوُرُودِ ذَوَتْ
عَلَى ضَفَائِرِ أَشْجَارِى مِنَ الحَرِّ
والطَّيْرُ أَخْرَسَها عُرْىُ الغُصُونِ فَمَا
عَادَتْ تُسِرُّ أَغَانِيهَا إلى الفَجْرِ
وَأَنْتِ ... أَنْتِ رَبِيعٌ فى ضَمِيرِ غَدِى
وَسَوْفَ يُلْبِسُنِى ثَوْباً مِنَ الزَّهْرِ

***

أنَا الفَيَافِى ، وَأَنْتِ القَطْرُ تَحْبِسُهُ
أَنَامِلُ الغَيْمِ فى العَلْيَاءِ عَنْ قَفْرِى
قَدْ أَخْمَدَتْ زَفَرَاتُ القَيْظِ فى كَبِدِى
رُوحَ الحَيَاةِ وَمِنْكَ البَعْثُ يا قَطْرِى
إنْ يَفْقِدُوكَ فَبِلُّورُ السَّحَابِ غَدًا
تُسِيلُهُ لَفَحَاتُ الشَّمْسِ فى ثَغْرِى

***

أنَا البَنَفْسَجُ لَمْ يُبْقِ الهَجِيرُ عَلَى
عُودِى سِوَى قَبَسٍ مِنْ هَالَةِ العُمْرِ
لَكِنَّمَا أَنْتِ دَمْعُ الطَّلِّ يَنْظِمُهُ
جِيدُ السموات أَسْمَاطاً مِنَ الدُّرِّ
وفى الصَّبَاحِ يَرُدُّ النَّسْمُ فى وَرَقِى
بَعْضَ الدُّمُوعِ فَأَحْيَا صَافِىَ السِّحْرِ

***

أنَا لَكِ العُشُّ يا قُمْرِىُّ ... يُحْزِنُنِى
أَنْ قَدْ نَأَيْتَ وَلَكِنْ أَنْتَ لَا تَدْرِى
اعْشَوْشَبَتْ جَنَبَاتِى وَاللُّجَيْنُ جَرَى
تَحْتِى يُنَادِيكَ يا ظَمْآنُ ! ! لِلنَّهْرِ
إنْ يُسْكِنُوكَ بُرُوجَ المَاسِ سَامِقَةً
سَيَحْتَوِيكَ حَنِينُ الطَّيْرِ لِلْوَكْرِ

(السويس) عبد الرحمن الخميسى

أين يقينى ؟

صحت بين جنبىَّ الهمومُ وأيقظت
دفيناً من الذكرى يثيرُ حنينى
حنينى لأيامِ الهوى وملاعِب ... بهن صَبَاباتى وهنّ جنونى
عليهن قضينا الليالى هنيئةً ... تفيض بدنيا من منى وفتون
مضى الحُلْم البسّام وارفض سامرى
وغُيّبَ عن عينىَّ نورُ عيونى
وماتت أناشيدى وحطم أرغنى ... ويادهرُ هل شُوهدت غير ضنين

***

مضى فى هدوءِ الوادعين وأغرقت
لياليه فى صفو وطيب سكون
وأين الأمانى الزهر والدهر باسمٌ
وهذى يد الأيام قبضُ يمينى ؟
وأين ربيع العمر والعود مورق ... وأين يقينى؟ هل فقدت يقينى
فأصبحت لا ألقى الحياة ونورها ... وأفراحها إلا بعين سجين
سجين أضلته الهمومُ فما رأى ... سوى عصفِ أسقام وغبن سنين

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن



قصـــة الفيتامين

الفيتامين C ومرض الاسخربوط

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

— ٧ —

غالباً ما يكون حلول الربيع مدعاة لبدء الإصابة بمرض الاسخربوط، وذلك عند ما تتم الشكوى من الأمراض الناشئة عن تقلبات الجو كالضعف والنحول وفقد شهية الإقبال على العمل وآلام الرأس والشعور بالثقل فى الحركة وآلام فى الأطراف. ولم يهتد بادىء ذى بدء إلى تعليل هذه الأعراض ومعرفة أسبابها إلا بعد ظهور المعلومات الحديثة عن المواد الحيوية الموجودة ضمن الأغذية والطعام، ولأنه كان غريباً وداعياً إلى الدهشة والتفكير تفشى هذه الأمراض بين الناس فى هذا الوقت من كل سنة، وفى الشهور: مارس، أبريل، مايو، التى ترتفع فيها أثمان الخضر الجديدة (حسب المقتضيات الأوربية)، وصدوف سواد الناس عن شراء الخضروات أو إقلالهم من استهلاكها، وبذا تقل طبعاً كية الفيتامينات اللازمة لحفظ الكيان والصحة

ويعزى «مرض الربيع» هذا إلى نقص فى كية الفيتامين التى تدخل الجسم، يؤيد هـذا القول ظاهرتان هامتان أخذتا من الإحصائيات. وأولى هاتين الظاهرتين هو بطء النمو عند الأطفال فى هذه الشهور، وطبقاً لما تردد ذكره من ارتباط النمو بالفيتامينات، فقد تبين أنه تبعاً للنقص فى تموين الجسم بالفيتامينات فى وقت الربيع ينخفض مستوى النمو الجسمى العام، وثانياً ازدياد نسبة الوفيات فى شهرى مارس وأبريل؛ وهناك مثل ألمانى يشير إلى هذا المعنى ويقول: «إذا أخطأ مارس وولى، كان لأبريل القدح المعلى». وإذا ما علمنا أن وجود الفيتامينات فى الجسم يدرء عنه العدوى من الأمراض المعدية، ويحصنه ضد كثير غيرها، وأن خلو الجسم منها يجعله أكثر قابلية للرضوخ لكثير من الأذى والعلل — قام هذا دليلا آخر على الصلة بين التغذية المفتقرة إلى الفيتامينات، وبين الزيادة الظاهرة فى أرقام الوفيات. فاذا تم بهذا ولو لحد ما حصر الأسباب الرئيسية التى ترجع إليها أعراض مرض الربيع. أى انخفاض مستوى نمو الأطفال وصعود نسبة الوفيات، فقد بقى سؤال آخر بلا جواب ألا وهو: أى نوع يا ترى يكون مرض نقص الفيتامين هـذا الذى يسمى أول أعراضه وأولى صوره بمرض الربيع؟

ضمن أعراض مرض الربيع ظاهرة استعداد لحم الأسنان إلى الإدماء السريع حتى بأقل مجهود يبذل فى تنظيفها، وتزداد هذه الظاهرة شدة وخبثاً وتتداعى عندها اللثة كلها إلى الإدماء. وقد استعمل قديماً اسم الأسخربوط للتدليل على هـذا المرض ولكنه نسخ بعدئذ بالتسمية الصحيحة بمرض نقص الفيتامينات. ويقابل الأسكربوط بالألمانية شاربوك، وهى منقولة عن الهولندية، شار بمعنى فتحة أو ثلمة، بك بمعنى فم، فيكون معنى الكلمتين مجتمعتين الفم الجريح أو الفم الدامى

ولقد كانت صورة المرض قديماً من البشاعة فوق ما يتصوره الإنسان، يدل على هذا البقايا المظيمة للجيوش الرومانية فى عهود قياصرة الرومان وفى جيوش المحاربين الصليبيين. ويُحدِّث المؤرخ السويدى أولاوس ماجنوس Olaus Magnus المولود عام ١٤٩٠ فى كتابه «تاريخ الشعوب الشمالية» بإسهاب عن إصابة رجال السفن الشراعيـة من رائدى القطب الشمالى من البحاثين وتابعيهم ومن صائدى الحيتان والسمك. كذلك كان ينشب المرض أنيابه على اليابسة بين الناس وقت الحروب والأسر والمجاعات، وبلغ من شدة وطأته أحياناً فى العصور الوسطى وفى أزمنة الشدة أن اعتُبر فى المدن الكبيرة بجانب أمراض التدرن من الأمراض المستعصية التى لا يرجى معها شفاء. كما اتخذ فى عام ١٩١١ فى مدينة نوربنرج بألمانيا شكلا وبائياً كارثاً إثر نكبة فى المحاصيل الزراعية

وأعراض المرض فى أواخر الشتاء أو أوائل أيام الربيع على المصابين هى التهاب اللثة وإدماء أغشية الفم المخاطية وإدماء ونزيف من الجلد والأنسجة والعضلات، ثم تثقل حركة الأرجل وتهزل هذه وتصاحبها آلام مبرحة فى العضلات، وتفقد الأسنان تماسكها وارتباطها، وتضعف العظام وتصير هشة غضروفية.

وإذا استمرت التغذية على ما هي عليه رغم هذه الأعراض فصير المريض إلى التهلكة لا محالة . ولكنه إذا تنوع الغذاء وتعددت ألوانه وأضيف إليه الخضر واللحم الطازج ، ولو بمقدار طفيف ، تزول هذه الأعراض كما يزول كيد السحر

لم يبق شك بعد هذا فى أن مرض الأسكربوط هو مرض غذائى . وفى أثناء الحملة الاستطلاعية التى قام بها شارل الثانى عشر ملك السويد على أراضى أوكرانيا فى مستهل القرن الثامن عشر ، عالج أطباء حملته مرضى الجنود بالاسكربوط بالحقن بواسطة إبرة من الخشب بإدة أتت بنتائج طيبة مما جعلها تلقى طريقها إلى مستشفيات برلين للعمل بها فى علاج الاسكربوط . وقاوم الإيطاليون من قديم الزمن مرض الأسكربوط بعصير العنب ، وصرح أحد الأطباء العسكريين النمسويين فى عام ١٧٢٠ بأن عصير البرتقال والليمون أكثر فعلاً فى مقاومة الأسكربوط ، وقد أخذت برأيه حينذاك رياسة البحرية البريطانية واستعملته فى عام ١٨٠٤ فوق سفنها فى علاج رجال بحريتها الذين انتشر بينهم هذا المرض الخبيث

ولقد ساعدت هـذه المعلومات القديمة حتى حرب سنة ١٩١٤ فى مقاومة ودفع مرض الأسكربوط بالرغم من وجود بعض الإصابات الشاذة التى لم تنجح مقاومتها . وانتشر المرض فى بعض الأقاليم الريفية فى روسيا التى تقتات بالحبوب وظهرت أعراض الأسكربوط بانتظام فى بعض جهات ألمانيا والنمسا التى كانت تتناول غذاءها من الأطعمة المحفوظة كاللحوم والبطاطس والخضر المجففة واللبن المكثف Kondense وتفشى كذلك بين الأتراك وأهل رومانيا ووجد مرتعاً خصيباً بين الأسرى الألمانيين والنمسويين الذين وقعوا فى أيدى الروس . أما أثره فى الكتائب الإنجليزية فى العراق فيكفى أن أحصي عدد المرضى بالأسكربوط بأحد عشر ألفاً من الجند . وكذلك انتشر مرض الأسكربوط بين الأطفال فى الجهات التى وقع عليها حصار بحرى أو أرضى فى الحرب الماضية ، إذ تبعا لهذا الخناق وانقطاع الصلات عبر البحر أو الأرض لم يكن هناك غير اللبن المعقم للتداول فى إطعام الأطفال ، واللبن المعقم تقل حتى تنعدم فيه الفيتامينات ، وأخذ المرض فى الأطفال شكلا خاصاً وكان يخطفهم ويلقى بهم فى دور الرعاية والمستوصفات حتى امتلأت بهم . وكانت أعراضه عليهم آلاماً حادة فى العظام ومبرحة فى الأطراف ومضخمة فى المفاصل ومصحوبة بإدماء فى الفم والجلد والأغشية المخاطية . وأما الظاهرة الهامة فهي الخوف الذى استحوذ على الأطفال من لمس أى شىء عفواً

وإذا ما أضيف إلى الغذاء أنواع أخرى منه غنية بالفيتامين كالإسباناخ مثلاً أو عصيدة البنجر فلا بد من أمل فى الشفاء فى أجل قصير . ويجدر بنا أن نورد هنا ما تصنعه كثير من الفلاحات الأوربيات اللائى لا يرضعن أبناءهن بأنفسهن بحكم الضرورة فهن يضعن بعضاً من البنجر المقشور فى زجاجات لبن الأطفال

وحتى مع هذه النتائج والتجارب الـجديدة لم يتوصل أحد آنئذ إلى الكشف الصحيح أو إلى نتيجة حاسمة شافية تميط اللثام عن هذا المرض العضال الذى أخذ أشكالاً متعددة تارة عند الأطفال وأخرى لدى الكبار ، وفى كل يبدأ على هيئة « مرض الربيع » . وبين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٢ توصل بعض العلماء النرويجيين بناء على تجارب غذائيـة دقيقة إلى إثبات حقيقة مرض الأسكربوط بأنه مرض غذائى . فقد حضّروا غذاء خاصا من الشعير واللبن والبرسيم والعلف الجافة خالية من الفيتامين الواقى من الأسكربوط وأطعموا منه عدداً كبيراً من الحيوانات ، فما لبثت أن ظهرت عليها أعراض شديدة الشـبه بأمراض الأسكربوط لدى الإنسان . وفى هذه الآونة فقط أمكن البحث وراء المواد الشافية التى تحتوى على هذا الفيتامين المضاد للأسكربوط ، والذى أطلق عليه فيما بعد الفيتامين C . كما بدأت المحاولات لمعرفة الـكميات اللازمة من هذا الفيتامين التى يجب أن تتوفر فى الغذاء كى تقف وتحول دون ظهور أعراض المرض

وبمـا أن عصيرى البرتقال والليمون يعتبران من المواد الشافية الواقية من الأسكربوط ، فكان طبيعياً أن يبدأ البحث فيها لاستخلاص الفيتامين ، وكان لا بد من التغلب على بعض العقبات التى اعترضت مجرى البحث فى تحضير هذا الفيتامين فى هيئة بلورية نقية ثم الكشف عن تركيبه الكيميائى . ولهذا ابتدأ تاريخ البحث عن الفيتامين C أشبه شىء بالقصة الروائية ، وكان من الأمثلة الحية على تعاون العلماء فى مختلف البلاد تعاوناً جدياً للوصول إلى الحقيقة رغم بعض الاقتراحات الخاطئة المخلصة التى كانت تعرقل البحث وتؤخره .

« يتبع » عبد اللطيف حسن الشامى



اللغة العربية في ورقة رسمية

قال الأستاذ العقاد في مقال له بالدستور :

« وعلى ذكر الكتابة والوزراء والعيد والعيديات نقول إن الحكومة المصرية على ما يظهر قد أرادت أن تعيد على الناس بالورقة الجديدة ورقة ربع الجنيه

فانتشرت هذه الورقة في أيام العيد بعض الانتشار وما أظن أن نقوداً وصلت إلى يدي قد نغصتني كما نغصتني هذه الورقة الخاطئة

ففيها يقرأ القارىء هـذه العبارة : « أتعهد أن أدفع لدى الطلب مبلغ خمسة وعشرون قرش صاغ »

ثلاث غلطات نحويات في سطر واحد ... !

فهل يسمح بمثل هذه الغلطات في عملة حكومة ؟ وأية حكومة ؟

حكومة مصر التي هي زعيمة الأقطار العربية ! !

وحكومة مصر التي تضن على التلميذ الصغير بالانتقال من السنة الثالثة إلى السنة الرابعة الابتدائية إذا أخطأ مثل هذا الخطأ في ورقة الامتحان

لموا هذه الورقة معها يكافئكم لها من الأسواق والبيوت ، وافرضوا على حصتي التي تخصني من هذه التكاليف ، فهي أرحم من هذه الصدمة مع كل خمسة وعشرين قرشاً صاغاً يكسبها الإنسان »

العربية الغريبة في دارها

سيدي الأستاذ الفاضل الجليل محرر الرسالة

تحية الله ورحمته عليك يا محيي العربية ، ومعيد شبابها إليها ، وملبسها قديم حلاها حلة جديدة تواتم العصر وتوافق الزمن ، ولا تخرج — مع ذلك — عن السنون من طرقها ، والمعروف من مناهجها . وبعد :

فلقد قرأتُ يا أخي من سنوات في الأهرام قصيدة عصماء لشاعر عربي ممن رمت به مطارح الغربة إلى العالم الجديد يقول فيها هذا البيت عن اللغة العربية :

لغة يهون على بنيها أن يروا   يوم القيامة قبل يوم مماتها

وقرأت قصيدة المرحوم حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية وهي مشهورة مذكورة لا يخلو منها كتاب من كتب المحفوظات المدرسية التي تختارها وزارة المعارف

وتابعتُ — منذ أن تعلقت من اللغة بسبب — كل ما كتب لها وفي سبيلها أو اقترح لأجلها من إصلاح منهج ، أو إنشاء خطة أو تبسيط قاعدة . ولستُ في ذلك نسيج وحدي وإنما أنا واحد من كثرة كثيرة يقلق جنوبها أن تصبح العربية غريبة في دارها ، أعجمية إلى أهلها ، بغيضة إلى أحبائها

ومن أعجب العجب أن لغة لا يستهين بها أهلها كالعربية ، وأنها على الرغم مما وضع لها من قواعد ، وما عمل لها من ضوابط ، لا تزال تلقى من الكاتبين أو المتكلمين بها إهمالاً كثيراً وقلة مبالاة ، وعدم اكتراث ، وذلك أمر لا تجده في لغة أخرى غيرها . فالانجليزية يكتب بها الانجليز وينطقون بها صحيحة منحّاة ؛ والفرنسية — على كثرة شذوذ الأفعال فيها — يكتب بها الفرنسيون وينطقون بها صحيحة منحاة ؛ والألمانية — على صعوبة نحوها — يكتب بها الألمان وينطقون بها صحيحة منحاة ...

أما العربية فهي مسكينة بين أهلها وبين الغرباء عنها ، وحق للغريب أن ينظر إليها شزراً ما دام ابنها لا يحسنها ولا يبالي أن يحسنها ...

هذا كلام ثار في نفسي بمناسبة ظهور الورقة المالية الجديدة ذات الخمسة والعشرين قرشاً . ففيها غلطة نحوية شنيعة أشار إليها كاتب فاضل في إحدى الصحف اليومية وهي لا تخفى على كل قارئ

ثم يشاء الله لهذه الثورة النفسية ألا تسكن ، فقد ألهبها من جديد في نفسي إعلان غريب عن نوع من الصابون لا نذكره لئلا يؤخذ ذكرنا له على سبيل الإعلان عنه

وإني لمقتبس من هـذا الإعلان (العربي) بعض عبارات وأقدمها هدية متواضعة إلى الأخ الدكتور زكي مبارك مفتش اللغة العربية بالمدارس الأجنبية ! فلعل عنده من الرأي ما يسعف ، أو من العزاء ما يسلي ... وإليك بعض العبارات :

(صابون كذا هو محصول فاخر نتيجة اختبارات (ثلاثون) سنة ... نظراً لكونه (صنف جيد) لتحلية وتنعيم الجلد ويجمله (تجملي) ... والحرابر يمكن غسيلها بهذا الصابون الذي يستطيع بأن (يبيضوا) بدون ما يؤثر عليها . وبالإطلاق جميع الأصواف

يمكن بأن (بييضوا) بصابون (كذا) . ولا تحصل للملابس أى ضيق أو كشش)

ومن الغريب أنه بجانب هـذا (الإعلان العربى) كتب إعلان آخر بلغة فرنسية صحيحة كل الصحة سليمة كل السلامة .

فإلى متى تظل اللغة العربية غريبة فى أهلها ؟ وإلى متى تبقى سقيمة عليلة والمداوون كثير ؟ محمد عبد الغني حسن

(حاشية) : يقول الصديق القديم الدكتور زكى مبارك فى مقاله « إلى ... » « لا يمكن لأحد أن يكون أكتب منى » وصحة الكلام أن يكون هكذا « لا يمكن أحداً أن يكون أكتب منى » . لأن الفعل أمكن متعد لا لازم (عبد الغني)

سكران طينة

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

قرأت أن الدكتور الأديب أحمد عيسى قد نشر معجماً للمفردات العامية ذات الأصل العربى . وكان أحد عمداء الجامعة قد نشر أيضاً فى بعض المجلات الأسبوعية شيئاً غير قليل من هذه المفردات والتعابير؛ وعنى الأستاذ المازنى بالتنبيه إلى أنه يتحرى استعمال العربى الذى شاع أنه عامى فنبذ من أجل ذلك . ومثل الذى فعله المازنى قد فعله الأستاذ محمد سعيد العريان فى أقاصيصه

ويبدو أن أمر الاهتمام باللغة العامية لا يقتصر على أى عدد من الأدباء قل أو كثر وإنما هو ظاهرة من ظواهر النهضة الأدبية ، كأن اللغة العربية تبحث عن حقها المضاع وتبدأ أول ما تبدأ باللهجات العاميَّة فتستردُّ منها ما سلبته ؛ فى غير تنبيه إلى مثل هذا الغرض نشر الأستاذ أحمد رامى وغيره عدة دواوين باللغة العامية ، حرصا على خدمة المحافظة باسم التجديد ، جزاهم الله خيراً عن المحافظين

ومن دواعى الدهشة فى هذا البلد الشديد المحافظة أن تجد لفظاً جديداً فى عاميته ، فكلما سمعت كلمة خلتها جديدة أقنعتنى مصادفة فى كتب الأدب القديم بأنه لا جديد فى اللغة ، . . !

وآخر ما وجدته من ذلك كلمة سكران طينة ؛ ففى شعر كشاجم فى قصيدة مطلعها

متى تنشط للأكل فقد كلت الخونة

يأتى هذا البيت

فما عذرك فى أن لا ترى من سكرة طينة

أم لعل للفظ معنى آخر ، أم لعله من قواقع المطبعة ؟

عبد اللطيف النشار

سكان مصر فى الإحصاء الأخير

نقتطف هنا بعض ما تضمنه كتاب «الإحصاء السنوى العام» لمصلحة الإحصاء ، من بيانات عن أحوال السكان فى مصر

قدر عدد السكان فى عام ١٨٠٠ ، أى فى عهد الحملة الفرنسية بنحو ٢ر٤٦٠ر٢٠٠ نسمة ، وكان عددهم فى عام ١٨٤٦ ـ مقدراً على أساس عدد المساكن ـ ٤ر٤٧٦ر٤٤٠ نسمة

أما فى عام ١٩١٧ ، وهو التاريخ الذى بدأت فيه مصلحة الإحصاء باتباع النظم الحديثة، فكان عدد السكان ١٢ر٧٥٠ر٩١٨ نسمة ، زادوا فى سنة ١٩٣٧ إلى ١٥ر٩٠٤ر٥٢٥ ، ثم بلغوا فى سنة ١٩٣٩ ـ ١٦ر٥٢٢ر٠٠٠ نسمة

وبلغ عدد سكان البحيرة حسب تعداد سنة ١٩٣٧ ، ١ر٠٦٠ر٨٨٢ نسمة ، بزيادة ٩١ر٠٤٣ نسمة عن التعداد السابق وسكان الغربية ١ر٩٦٣ر٦٥٤ نسمة مقابل ١ر٧٩١ر٩٨٥ فى سنة ١٩٢٧ ، والدقهلية: ١ر٢١٥ر٦٦٣ نسمة مقابل ١ر٠٨٠ر٦٩٣ والشرقية: ١ر١١٩ر٤٥٦ نسمة مقابل ١ر٠١٦ر٩١٢ ، والمنوفية: ١ر١٥٧ر٤٣٣ نسمة مقابل ١ر١٠٥ر١٩١ ، والقليوبية : ٦٠٧ر٣٠٤ نسمة مقابل ٥٥٨ر٩٤٨

أما سكان محافظات أقسام الحدود فكان عددهم ١٢١ر٤٩٣ نسمة مقابل ٩٤ر٥٨٨ فى سنة ١٩٢٧

وبين سكان مصر ١ر٦٧٠ر٨٩٥ يلمون بالقراءة والكتابة ، منهم ١ر٣٨٦ر٨٤٣ من الذكور و ٢٨٤ر٠٥٢ من الإناث . أما عدد الأميين فبلغ ١٢ر٥٠٦ر٩٦٩ ، بينهم ٥ر٦٧١ر٢٠٣ من الذكور و ٦ر٨٣٥ر٧٣٩ من الإناث

كلية التاريخ فى أنقرة

من أنباء أنقرة أن الدكتور رفيق سيدام رئيس الوزارة التركية فتح كلية اللغات والتاريخ والجغرافيا بحضور جمهور من الكبراء والعلماء ، وقد ألقى خطبة قال فيها : « يسرنى أن أفتتح كلية اللغات والتاريخ والجغرافيا التى أمر أتاتورك العظيم بتشييدها ، وهى تعد من الأعمال الجيدة التى أنجزت خلال السنوات الأربع الأخيرة . وإنى أشكر زملائى فى العمل الذين وقفوا حياتهم على تلقين الشبيبة التركية مختلف العلوم

وقرأ الرئيس بعد ذلك فقرة من الخطاب الذى ألقاه رئيس الجمهورية التركية فى حفلة افتتاح المجلس الوطنى الكبير جاء فيه :



الملازم ألبير

للأستاذ محمد محمد مصطفى

كان يحمل أملاً بساماً بين جنبيه ، وبشراً طافحاً فى عطفيه وهو ينهب الطريق إلى قريته . لا يحس مسغبة وبطنه طاو ، ولا يشعر بظمأ وحلقه جاف . وبدا الطريق كئيباً موحشاً وسوق القرية خالية وعهده بها غاصة بالوافدين . . . لشد ما غيرت الحرب معالم الطريق فلا ظل وارف ولا طير غرد . وهذه الحفر من فعل الطائرات ، وتلك للغابة أحرقها الألمان فامتد لهيبها إلى الحقول وأهلك ما فيها من زرع وضرع

ورأى قسيس قريته مقبلاً عليه فخيل للفتى أن فاجعة ألمت به فهو يمشى وئيد الخطى أغبر الوجه ، كأنما يحمل على كاهله وقر السنين . وتراه يدنو من الفتى فيعرفه ويسلم عليه ويسأله :

— أحقاً يا بنى سقطت بروكسل وألقيتم السلاح ؟

فسقطت دمعة كبيرة من عين الفتى وقال :

— كان ذلك حقاً يا أبتاه . . . وإلا فكيف ترانى هنا . . . أمرنا الملك بإلقائه فأطعنا وما كان لنا أن نختار وآلات الألمان تفتك بنا فتك الوباء

— ليغفر الله لليوبولد زلته . . . وإلى أين يا بنى ؟

— إلى أمى وخطيبتى يا أبتاه . إلى قريتى الحبيبة (فورنتيه)

— خير لك يا بنى أن تعود . فقد مسحت القرية من خريطة الوجود

— ماذا . . . !

— أقول إن الجيش الألمانى لم يترك حتى ما يدل عليها

— وأمى يا أبتاه !

فربت القسيس على كتف الفتى، فكاد يسقط لفرط ما دهاه، وقال له :

— يا لها من ليلة هائلة يا بنى . تعال ، اجلس هنا على حافة الطريق ، فقد هدنى من يومها الهم وتضافرت على جسمى الأمراض... وسكت قليلاً كأنما يستعيد ماضياً بعيداً ثم أردف :

« إن أهم ما يتضمنه برنامج التربية الوطنية إقامة المعاهد الثقافية الكبيرة فى أنقرة ، لأننا نريد أن نجعل من هذه المدينة مركزاً الأناضول بما فيها من كليات ودور الأوبرا ومسارح ومعاهد، فيجب أن تمد أنقرة نموذجاً روحياً للجامعات الأخرى فى البلاد . وبعد أن يتحقق ذلك لا نحجم عن تشييد مراكز ثقافية أخرى »

إلى علماء التاريخ

يقول الأستاذ الباحث صديق شيبوب فى الرسالة الغراء عدد (٣٨٣) أثناء تحليله للعالم النفسانى الكبير سيجموند فرويد ما نصه : « كان موسى من رجال حاشية الملك أخناتون الذى كان أول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين

ويقول الأستاذ طه الساكت فى مقال ترتيب الأنبياء بمجلة الإسلام عدد(٣٩) أول نوفمبر سنة ١٩٤٠ : « كليم الله موسى عليه السلام ... بعثه الله تعالى رسولاً إلى فرعون وقومه ومنقذاً لبنى إسرائيل من الذل والاستعباد . وكان فرعون موسى — وهو رمسيس الثانى على ما رجحه بعض الباحثين — يضطهد الإسرائيليين ويذبح أبناءهم » . وقص علينا أساتذتنا أثناء دراسة التاريخ القديم أن فرعون موسى — هو الملك منفتاح — فهذه ثلاثة آراء متخالفة ، فإلى أى رأى نتجه ؟ وبأى قول نقول ؟ فإلى علماء التاريخ وأساتذته نوجه الاستفهام والرجاء . وإنا لتحقيقهم لمنتظرون

محمود محمد بكر هلال

وصية أمين الريحانى

روت المكشوف أن السيد ألبير الريحانى عثر بين أوراق شقيقه فيلسوف الفريكة ، على وصية مكتوبة بخط يده ، تحتوى على عشرين بنداً ، ومؤرخة فى سبتمبر ١٩٣١

وتتناول هذه الوصية شؤوناً فى الأدب والسياسة والدين . ولكنه لا ينتظر فى الوقت الحاضر نشرها . وقد حفظت بين آثاره الكثيرة التى يعمل شقيقه ألبير على جمعها ومراجعتها وترتيبها بحسب تواريخها وموضوعاتها

ومما تجدر الإشارة إليه أن أمين الريحانى كان يحتفظ بنسخة من كل رسالة يبعث بها إلى صديق ، ومن كل بحث يرسله إلى صحيفة ، كما أنه كان يحتفظ بكل صحيفة له فيها مقالة .

— كانت فرقة من الجيش البلجيكي تعسكر في غابة القرية حينما هاجمتها الطائرات وأشعلت فيها ناراً امتد لهيبها إلى عنان السماء ، فبدت القرية على وهجها هدفاً ممتازاً دكته الطائرات ...

وضرب الفتى في الطريق إلى بروكسل تنوء بحمله ساقاه وتخذله قوته ، فيسقط في الطريق

* * *

— أماه ... أنظري ! إنه ضابط من فرق القناصة يحتضر

— ماء يا فلورندا من النبع القريب

ويفيق الفتى ليرى رأسه على حجر امرأة فيشكرها ، وتعاونه الأم وابنتها على السير إلى كوخهما القريب

— تفضل فاجلس على هذه الحشية فلم يعد لنا بيت ولا أثاث

وبدا على وجه الفتى آيات من الألم الممض والحزن العميق . ولما قدمت له فلورندا شيئاً من الحساء ، أحس بالدفء والراحة واستطاع أن يتكلم ...

وانتشرت نفس الأم عليه رقة ورحمة، وأحبته الفتاة في صمت. ولم يأبه بذلك الفتى ، ولم يجد له فراغاً بقلبه المعذب المفؤود

وجمعتهم نكبتهم المشتركة في قريتهم وأعزائهم فكان جل حديثهم يدور حول دمار بلادهم . وتصعب معرفة من كان منهم أشد سخطاً على الألمان ، ولكن الفتى كان أكثرهم جنوحاً للصمت والتفكير العميق

... ويوماً قال ألبير :

— ليست فلاحة الأرض صناعة ضباط القناصة ولا يليق بي وقد رزئ وطني باحتلال النازي أن أكون هنا

— فأين يجب أن تكون يا ألبير ؟

— في العاصمة أو حولها . ليشعر الألمان أننا لم نستكن لحكمهم ، وأن في بلجيكا رجالاً

فأدركت الأم مرماه وقالت : إنك تلقي بنفسك في أوار الجحيم

قال : لأشارك أمي ميتتها وقريتي محنتها

وعبثاً حاولت الأم ثني عزمه ...

أما الفتاة فقد بكت قائلة :

— أرجو أن تبقى هنا إلى جانبي أعوضك من حناني ما فقدته من حنان الأم ... ألا تسمع ... ؟ إنني أرجو ...

— أرجو أن تسكتي فقلبي عنك في شغل ...

* * *

صادفت دعوة ألبير هوى في نفوس المنكوبين المغامرين الذين سرحوا من فرقته ، وكان عملهم منظماً شأن رجال الجيش ، فبعضهم لنسف الكباري ، والبعض الآخر لقطع الجسور ، وهؤلاء للسطو ليلاً على المخافر الصغيرة ، والاستيلاء على الأسلحة والذخيرة ، وأولئك لاقتناص البارزين من رجال الحملة الألمانية ، وغير ذلك من الأعمال التي سببت للمحتلين شتى المتاعب

وشاع اسم ألبير في وطنه وأكبره مواطنوه ووضع الألمان جائزة لمن يأتي به حياً أو ميتاً

وكانت فلورندا تتلهف شوقاً لأخباره وقلبها الطاهر النض يذوب إشفاقاً عليه، وكان جل مناها أن تراه فتتبعه رضي أم كره وتمنى به ، فمن يطبخ له ويوقد له النار ويرتق له الصدار ... كانت غارقة في الحب مسبوهة اللب ، وكأنما كان ألبير يضفي على الحقل بهاء والدوح رواء والسماء صفاء، فلما ذهب أضحى الكون موحشاً كئيباً والجو خانقاً والشمس مصفرة حزينة كأنما تشاركها الألم وتقاسمها الشجون

وتأسى الأم لذهول ابنتها وإغراقها في حب رجل أهدر دمه ... ولن يعود، فتقول :

— وهبك ملأت الأرض أنيناً ، أفتظنينه يسمعك يا فلورندا

وتحطمها كلمات الأم فهو حقاً رجل هالك كان في حياتها كل شيء فلما ذهب خسرت كل شيء ولكنها لا تطرف ولا تجيب وتلوي عنانها إلى الحقل تطوف بمجالسه ، وتلثم آثاره، حتى إذا ما ألقى الليل غواشيه قفلت عائدة وفي صدرها سعير من الوجد يذيب الحشا ويرمض الجوانح

ولم يذكرها ألبير فقد ملكت عليه ثورته لوطنه كل جارحة فيه ، وكان ينفث من حميته الهائلة وفكره الجبار ناراً تدفع زملائه إلى أهول الأخطار . فإذا انكفأت إليه ذكرياته وألح عليه ماضيه بدت له فلورندا شبحاً باهتاً يظهر ويختفي كلما سلب من حياته الجديدة ساعة فراغ

وضجت قيادة جيش الاحتلال من فعاله فشددوا الرقابة وبثوا في مظان وجوده العيون

* * *

ويوماً شاع في العاصمة أن قطاراً قادماً يحمل زائراً عظيما فسرى بين الناس أن هتلر هو راكب القطار

وكيفما كان الراكب فقد عزم ألبير على أن يفجع الألمان فيه. وكان بارع التدبير حار الحماسة لتدمير القطار

ووقف على شاطئ خياله ليرى هذا تبعثره الألغام وإذا الدنيا كلها بين يديه تسأله أي جزاء يختار ... حقاً ... ماذا يختار ؟ قال لنفسه : « أأكون ملكا ... ولم لا . وأنا منقذ العالم من الدمار ؟ »

ودخل من خياله إلى قصره الملكي الوشي باليانع من الزهور الملفوف بالباسق من الأشجار تشدو عليها الطيور ، فإذا العرش ممرد منيف والفراش وثير ، وإذا المائدة تزخر بألوان من أشهى الأشربة وأطيب الآكال فيأكل ويروى ويسلم جسده لأريكة من فاخر الرياش

ويطير بأحلامه صفير القطار ... إن نوره القاتم يشق غياهب الظلام وهو يقبل مسرعاً إلى حتفه المحتوم - فتهيأ ألبير للعمل العظيم ... قال : القطار الآن فوق المنطقة الملغومة . فلأشعل الفتيل

وى ... إن الألغام لا تنفجر ... أترى رفعها خائن أم أخطأ في تركيبها زملائي المفاليك

وسمر ألبير في مكانه ليرى بغتة صرح آماله ينهار بينما يجرى القطار على قضبانه متطامناً سلس القياد

وأخذت تنتاب رأسه فورات من اليأس والحزن العميق . فجلس على أنقاض حلمه وقد كست عينيه غشاوة حجبت عن ناظره المرئيات . وسمع قهقهة عالية فريع قلبه ونظر فإذا جنود محيط به كأنما قد تثاءبت عنهم الأرض

— لقد أجهدتنا كثيراً يا ألبير

قالها قائد القوة في تهكم وتشف

وأسقط في يد ألبير ولكن روعه أفرخ حينما ذكر أنه أدى لوطنه رسالته وإن كانت لم تتم ، وكان رافع الرأس شامخ الأنف وهو يمشي بينهم إلى حيث لا يعود

* * *

وطلعت الصحف بنبأ القبض على الثائر ألبير وقرار إعدامه في ساحة عامة ليكون عبرة لمواطنيه

وزلزلت فلورندا ومادت برأسها الدنيا واحلولكت مرائيها

وضربت في الطريق إلى بروكسل تتقصص أثره وتتسقط خبره ، بينما يصهرها الأسى ويفرى أحشاءها العذاب ، وشاطرتها الطبيعة الألم ، فاربد وجه الجو وهطل المطر غزيراً كأنما فتحت ميازيب السماء

وكنت ترى في شوارع بروكسل فتاة ذاهبة العقل تمشي الهوينى متهالكة الأوصال والناس يقتحمونها بأنظارهم مشفقين

ولم يجد قائد حامية بروكسل في مظهر الفتاة القروية ريبة فسمح لها بوداع (شقيقها) ألبير

ومشت فلورندا في ممرات السجن الرهيب تتلمس سبيلها كالعميان، ونزلت إلى قبو رطب تنفذ أشعة ضئيلة من كوة فيه ، وكان ألبير يقبع هادئاً في ركن منه ... وتبينته بعد لأي فرمت نفسها على صدره ، وطوقت عنقه وراحت تقبله :

— أواه يا ألبير ... ألا تنبئني ... أنا الوالهة فلورندا

وأرتج على ألبير ... وشدهته زيارتها الطائرة وفاض صدره بالسعادة التي أقبلت عليه في غمرة همه ... أي مفاجأة هذه ... أو كانت تضمر له هذا الوجد وهو عنها لاه بالفتك بالألمان ؟ قال :

— ولكن ذلك يحببني في الحياة يا فلورندا وقد نفضت يدي منها

وينهض فم الفتاة بالأنين والزفرات ، وتخرج كلماتها كحشرجة المحتضر ؛ وقد بح صوتها فلم يدرك منه ألبير إلا أنها مريضة مدنفة ، وأن نبأ إعدامه دهمها فهي راغبة عن الحياة ... قالت :

— إنني جد ظمأى يا ألبير

ولما قام ليأتي لها بماء أخرجت من ثنية في ذيل ثوبها ورقة بها مسحوق قاتم الزرقة ، وفي غفلته وضعته في الكوب

وداعاً يا ألبير ... وإلى اللقاء ... في أطباق السماء . وبدأت تتسلل روحها وتهمد أنفاسها

وبدت في غفوتها الأبدية كطائر وسنان ، وكأنما أزال الموت ما رسمه الهم على محياها اللاغب الوهنان ؛ فأشرق وجهها وانتشرت عليه علائم الاطمئنان

وحدق فيها ألبير وحدثته نفسه :

— لقد تجرعت سكرة الموت من هذا الكوب ما في ذلك ريب ، وفيه بقية تذهب بي إليها وتنقذني من إصر الألمان ... وصبها في جوفه !

وانبعث من خلال أوهامه شبح فلورندا يناديه :

— تعال ... تعال إليّ يا ألبير

فأجابها وهو يلفظ نفسه الأخير :

— هأنذا قادم على أثرك يا فلورندا . . . ألا ترين جسدي يدب فيه الفناء ؟ !

محمد محمد مصطفى
بإدارة مدرسة البوليس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



8me Année No. 385

Lundi - 18 - 11 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهــــــرس

حول الحرب والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب بعض القراء الأدباء يعقبون على مقالنا فى الحرب والشعر ، وطلب إلينا بعضهم مزيداً من الإيضاح ، فنحن نجمع هذه الملاحظات التى لعلها تلخص جميع الخواطر التى ترد على آرائنا فى ذلك المقال ، ونجيب على ما يحتاج منها إلى جواب فى شىء من الإيجاز

قال الأديب عباس حسان خضر : « لما رأيته يسير فى بحثه على ضوء الشعر الغربى والحوادث الغربية فيرى الحروب لا تشحذ ملكة الشعر جعلت أستفىء بالشعر العربى والحروب العربية فرأيت الحرب كانت لدى العرب من أفعل مثيرات الشعر كما يقولون : الشعر يوحيه الحب والحرب والموت » إلى آخر ما قال الأديب فى هذا المعنى

والذى نراه أن الشعر العربى الذى قيل فى الحرب كان ينبغى أن يبلغ عشرة أضعاف القصائد والمقطوعات التى قيلت فى الأغراض الأخرى ، لأن القبائل البادية قضت أيام الجاهلية فى قتال ، ثم اشتغل العرب بحروب الإسلام وفتوحه ، ثم أصبحت الشجاعة الحربيـة معرضاً لمدائح الشعراء فى الملوك والأمراء .

ومع هذا جميعه لا يبلغ شعر الحرب في اللغة العربية ما بلغه شعر العشاق في جيل واحد سواء نظرنا إلى قيمة الشعر أو مقداره

وقد استغرقت الحروب الصليبية ما استغرقت من الزمن، وشملت ما شملت من الأمم، وتناولت ما تناولت من الأقطار، وليس محصولها الشعرى كله يساوى لقصائد عاشق واحد من المشهورين في معشوقة واحدة. وحسبك هذا دليلاً على مبلغ إيحاء الحروب لقرائح الشعراء حتى في الزمن القديم

ونقول «حتى في الزمن القديم» لأن للزمن القديم في هذا حكما يخالف حكم الزمن الحديث. إذ كان الشاعر يومئذ يؤدى «وظائف شتى» كوظائف الخطيب والداعية والمسجل والشادى على السُّنة المعهودة في اجتماع الوظائف، ثم تفرقتها بالتخصيص والتنويع. وعلى هذا النحو كان الرجل الواحد كاهناً وطبيباً، ثم أصبح طبيباً لجميع الأمراض وبطل عمله في الكهانة، ثم أصبحنا في الزمن الحديث وعندنا خمسون طبيباً لا يعالج أحدهم مرض الآخر، وكلهم أطباء قادرون

وهذا ما أومأنا إليه في مقالنا السابق عن الحرب والشعر فقلنا إن الملاحم المنظومة كانت «هي وسيلة التدوين التي لا وسيلة غيرها بين أولئك الأميين من الأقدمين، فلما كثرت وسائل التدوين في العصر الحديث كان ذلك أقمن أن يضعف النزعة إلى تخليد الحروب بالمنظومات المطولة، وأصبحت القصائد التي تنظم في هذا الغرض أقرب إلى التعليق والاعتبار والإعراب عن فلسفة الشاعر ...»

فإذا تعرض الشعراء لموضوعات الخطباء والمسجلين في الزمن القديم فذلك شأن لا يدوم في زماننا هذا الذي تعددت فيه مطالب الخطابة ووسائل التدوين، فأصبح تضييع الشعر فيها من الفضول، أو من صرف الشيء في غير منصرفه المعقول

* * *

وقال الأديب يحيى زيادة عضو البعثة اليمانية: «أما الشاعر فلا بد له من سويعات يجمع فيها أشتات فكره ثم يدبج بيراعته صيحاته، فإن كان شاعراً حقاً عبقرياً استطاع أن ينتصب منبر الخطيب ويستأثر بالجماهير لترديد شعره وقراءته كالشاعر الإنجليزى كبلنج، وإلا فهو بالطبع سيمنى بالفشل. ولعل هذا هو السر في أنه لا ينزل إلى ميدان الشعر في أيام الحروب إلا من وثق من نفسه أنه يستطيع بإلهامه وجودة شعره أن يستأثر بقلوب الجماهير ويحملهم على قراءة شعره»

وليس الأمر كما قال الأديب لأن ما نظمه كبلنج إنما كان من قبيل الأناشيد التي قلنا إنها اجتماعية وليست فردية، فحكمها في هذا الصدد كحكم الخطب والمقالات

وقد حضر الثورات والحروب شعراء فحول في الذروة العليا بين أقوامهم فلم ينظموا فيها إلا قليلاً جداً بالقياس إلى سائر الأغراض والمعاني

فهذا ملتون كان أشعر أبناء عصره من الإنجليز، وكان في حومة الثورة الإنجليزية، فماذا نظم فيها بالقياس إلى ما نظمه في الأغراض الأخرى؟

وهذا فكتور هوجو كان أشعر أبناء عصره من الفرنسيين وقد حضر الثورة وحرب السبعين فماذا نظم فيهما؟ وماذا نظم في سائر الموضوعات؟ وما يقال عن هوجو يقال عن شاتوبريان ولامرتين وشينيه وجملة الشعراء الذين لابسوا الثورة الفرنسية في عهد من العهود

وكذلك كاردوتشي الإيطالي كان أشهر شعراء قومه وحضر الثورات الإيطالية وكان ثائراً ابن ثائر، ولكنه فضل الإعراب عن آرائه السياسية في نشيد الشيطان على تسجيل الحوادث التي لا تنحصر في الحروب

وكذلك جيتي وشيلر وهيني أعظم شعراء الألمان في زمانهم لم ينظموا في حروب عصرهم وهو عصر نابليون والثورات الوطنية إلا شذرات مهملة من شعرهم القيم المقدم على غيره

ولقد شغلت الحرب الماضية أقطار العالم قاطبة أربع سنوات وفيه مئات الشعراء من غربيين وشرقيين ثم لم يعقبوا جميعاً من الشعر القيم ما يضارع ديوان شاعر واحد. وجاء الشاعر الناقد ييتس الذي عهد إليه في اختيار مجموعة اكسفورد من الشعر الإنجليزي في خمسين سنة فلم يثبت من قصائد الحرب إلا النادر الذي نظم بعد انتهائها، وقال في مقدمة المجموعة إنه أهمل تلك القصائد لأن الموضوع بحذافيره لا يستحق الإثبات

وتلك هي الحقيقة التي تنجلي لنا من مراجعة دواوين الفحول ومن مراجعة أوقات الحروب الكبرى. فمن أين نأتي بزعم من يزعمون أن النظم في الحروب شرط من شروط الشاعرية، وأن

إهماله معيب فى أساطين الشعراء ؟

***

ولكن طالباً أديباً فى الجامعة كتب إلىّ يلفتنى إلى رأى للأستاذ أحمد أمين أذاعه فى يوم ذكرى حافظ رحمه الله وقال فيه عن قراء الصحف إنهم « يقلبونها اليوم فلا يجدون فيها شعراً فى غارة ولا فى هجرة الريف ولا فى بطاقة البترول كما لم يجدوا فيها ما هو أهم من ذلك فى آلام مصر والشرق وآمال مصر والشرق ... قد كان يقول حافظ بذلك كله ثم لم نجد له خلفاً »

ويسألنى الطالب رأيى فيما أفتى به الأستاذ أحمد أمين ، ورأيى أنه كان أولى به أن يسأل أستاذه علام اعتمد فى هذه الفتوى التى قرر بها أن ميزان الشاعرية هو النظم فى الغارات وبطاقات البترول والهجرة إلى الريف ؟

إن مشاكلنا التى من هذا القبيل لتغرق فى نظائرها من مشاكل الأوربيين كما يغرق الجدول فى اليم الزاخر ، فما بالهم لم يفرغوا هممهم للنظم فى تلك الموضوعات التى يقترحها الأستاذ أحمد أمين ؟ أليس فى أوربا كلها شاعر فى طبقة حافظ رحمه الله ؟

نحن لا نحرم على الشاعر النظم فى بطاقات البترول وما إليها ، ولكننا نحرم على الناقد أن يجعل بطاقات البترول ميزان الشاعرية ، ونحسب أن إيمان الأستاذ أحمد أمين بخطئه أحرى به من هذا الجزم العجيب بخطأ الشعراء الذين لا يجارونه فى فهمه للشعر ، وليس هو بشاعر ولا ناقد ولا صاحب سند فيما يرتئيه ، وليست له إحاطة بما نظم الشعراء فى مختلف المقاصد ومختلف المناسبات

***

وورد إلى الرسالة الخطاب التالى من صاحب الإمضاء :

« ... وبعد ، نشرتم للأستاذ عباس محمود العقاد مقالاً افتتاحياً فى العدد ٣٨١ بعنوان (الحرب والشعر) ، اسمحوا لى أن أعلق على هذا المقال الممتع بما يأتى :

١ — ليس صحيحاً أن مجلة البنش الإنجليزية نشرت قصيدة جون ماك كراى التى عنوانها (فى مهول الفلاندرز) ، إلا وهى تتردد فى استحسان القراء لها ، بل فى التفاتهم إليها كما قال الأستاذ العقاد . والحق والواقع كما قال برنهارد راجنر الأمريكى فى مجلة نيويورك تيمس إن محرر المجلة قدر ما فى القصيدة من جمال ونشرها بالحروف الكبيرة التى لا تستعملها البنش إلا فى المناسبات الأدبية العظيمة

٢ — ذكر الأستاذ العقاد فى الترجمة ما يأتى : « كنا أحياء وكنا نحيا » والواقع أن هذا تكرار من الأستاذ المترجم لا معنى له لأن الأصل الإنجليزى هكذا We lived فقط

٣ — ترجم الأستاذ كلمة Torch بالعنان وهذا غريب ، ولو أنه قال شعلة النضال لكان أصدق ، لأن الشاعر يقول على لسان الموتى : إن الشعلة أسلمناها إليكم من أيدينا المتخاذلة

٤ — ويقول المترجم : وارفعوا الشعلة عالية ... ارفعوها ولو بقيت فى أيديكم سنوات . وليس فى كلام الشاعر الكندى مطلقاً ما يشير إلى هذا الشرط الأخير ، أى بقاء الشعلة سنوات . وأظن أن الأستاذ العقاد قرأ years yours وشتان بين الاثنين ... » (محمد عبد الغنى حسن)

فأما أن تردد البنش فى استحسان القراء للقصيدة ليس صحيحاً فهو ليس بصحيح

وقد يفيد صاحب الخطاب أن يرجع إلى الصفحة (٧٢١) من كتاب « بعد عشرين عاماً » فى فصل الشعر والحرب العظمى فيقرأ هناك ما نصه بالإنجليزية :

It is most unlikely that either he or the editor of Punch who first printed it, in any degree foresaw the hold which it was to take on the imagination of the nation

وترجمته : « إنه بعيد جداً أن الناظم أو محرر البنش الذى نشرها أول مرة توقعا أىّ توقع ما سيكون لها من السلطان على خيال الأمة »

وأما أن قولنا « كنا أحياء نحيا » تكرار لا معنى له فهو خطأ يدركه من يدرك أن اللغة العربية لغة المفعول المطلق ولغة التوكيد بتكرار اللفظ والمعنى ، وأن قولنا « كنا أحياء » غير قولنا « كنا أحياء نحيا »

وأما أن ترجمة Torch بالعنان غريب فقد يكون ذلك صحيحاً لو كان هناك عنان حقيق أو شعلة حقيقية ؛ ولكنها حين تكون مجازاً لا غرابة فيها ولا سيما إذا كان المترجم لا يجهل أن Torch معناها الشعلة كما ترجمها فى السطر التالى حين قال : « وارفعوا الشعلة عالية »

مسابقة الجامعة المصرية

لطلبة السنة التوجيهية

للدكتور زكى مبارك

- ٢ -

نحن اليوم أمام كتاب « وحى الرسالة » لحضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وهو مختار من افتتاحيات « الرسالة » فى ست سنين ، ويقع فى ثمانين وأربعمائة صفحة من القِطع المتوسط ، ويشتمل على نحو عشرين ومئة مقالة ، فهو محصول غزير لا يستوعبه طلبة السنة التوجيهية إلا إذا أقبلوا عليه إقبال من يدرك ما فيه من معان وأغراض ، وذلك ما نحاول تيسيره على الطلبة فى هذا المقال الوجيز

الأسلوب

هو أسلوب كاتب يؤمن بأن الكتابة فن من الفنون ، فهو لا يكتفى بشرح الغرض الذى يرمى إليه ، وإنما يتجه عامداً متعمداً إلى تأدية المعنى تأدية جميلة توحى إلى القارئ فكرة العناية بالأسلوب الأنيق

والزيات يُغرِب فى بعض الأحيان ، ومعنى ذلك أنه يوشى كلامه بالألفاظ الغريبة من حين إلى حين ليحوّل تلك الألفاظ إلى الكلام المأنوس ، وذلك منهج مقبول فى إحياء المهجور من المفردات اللغوية ، فلم تُخلَق تلك المفردات مهجورة ، وإنما عاشت دهوراً ثم تناساها الكتّاب والشعراء فأضيفت ظُلماً إلى الغريب

والزيات لم يبتكر هذا المنهج بين أدباء العصر الحديث ، فقد اختطه المرحوم الشيخ حمزة فتح الله والمرحوم السيد توفيق البكري ودعانا إليه أستاذنا الشيخ محمد المهدى ، ولكن مزية الزيات هى القصد فى الإغراب بحيث لا يقع منه فى المقال الواحد غير لفظة أو لفظتين ، وذلك يزيد ثروة القارئ من الوجهة اللغوية بدون أن يوقعه فى العَنَت أو الارتباك

ويستطيع الطالب وهو يراجع « وحى الرسالة » أن يقيد هذا النوع من المفردات ، فقد ينفعه ذلك يوم الامتحان ، لأن إحياء تلك المفردات خصيصة أصيلة من خصائص هذا الكتاب.

ولتوضيح هذه المسألة أذكر كلمة « الرِّيازة » بمعنى العمارة ، ثم أترك للطالب حرية الاستقصاء ليقنع لجنة الامتحان بأنه قرأ واستفاد

ويضاف إلى فكرة الإغراب فكرة الاجتهاد ، ومعنى ذلك أن الزيات يحاول إيجاد ألفاظ عربية لبعض الألفاظ الفنية المنقولة من لغات أعجمية ، كالذى صنع فى إيثار لفظة « التناظر » بمعنى « السيمترية » Symétrie

ولهذه اللفظة نظائر فى كتاب « وحى الرسالة » والطالب مسئول عن تقييد تلك النظائر ، ليقيم الدليل على أنه ساير المؤلف فى ميدان الاجتهاد

الموضوع

قلنا إن هذا الكتاب هو مختار افتتاحيات « الرسالة » فى ست سنين ، والرسالة مجلة أدبية ، ولكنها مع ذلك صحيفة أسبوعية تواجه تطورات الحوادث الاجتماعية والوطنية ، والمجتمع فى نظر الزيات هو المجتمع المصرى والعربى والإسلامى ، ومن هنا جاز أن تكون فى أبحاثه الاجتماعية آراء متصلة بالعرب والمسلمين فى بلاد لا تصلها بمصر غير روابط اللغة والدين . وهذا المذهب يبدو لقصار النظر بعيداً عن « النزعة المصرية » النزعة التى خلقتها أوربا باسم « القوميات » ولكن المصرى الحصيف يدرك جيداً

ونحن نترجم إلى اللغة العربية ، والعرب يعرفون الأخذ بالعنان حين يراد به الاستلام ، ولا يعرفون رفع الشعلة إلا للذكر والذكرى والنظر من بعيد ، كما يتحدثون عن العَلَم الذى فى رأسه نار

وأما ذكر السنين فهو مفهوم بمعناه وإن لم يرد بلفظه ، وإلا فما هو بقاء الشعلة إن لم يقصد بها البقاء طول السنين ؟

ونصيحتى لصاحب الخطاب أن يتعلم قبل أن يتهجم ، فذلك أنفع له وأسلم

* * *

وبعد ، فخلاصة القول فى الحرب والشعر أن نصيب الحادث من الشاعرية لا يقاس بالضخامة ولا يحسب بالمدد . فرب شاعر تناول حياة فرد واحد فصور منها فاجعة خالدة تعيش حين تنسى الحروب التى نشبت فى زمانها ، وربما مات فيها مئات الألوف

وقد تستغرق الحروب ما استغرقته الحروب الصليبية ولا يترك لنا معاصروها أثراً يضارع تلك القصيدة الواحدة التى تدور على حياة فرد واحد .

عباس محمود العقاد

أن هـذا المذهب متصل أوثق الاتصال بالوطنية المصرية ، لأن مصر فى سرائر أبنائها الأحرار تريد أن تكون صلة الوصل بين الشرق والغرب ، ويهمها أن تحيى العواطف التى تربط أمم الشرق بعضها ببعض ، وذلك « الإحياء » لا يتيسر إلا بفهم ما يعتلج فى صدور أمم الشرق من آلام وآمال

فإن استطاع الطالب أن يفهم الموضوعات المتصلة بهذا الغرض كان ذلك شاهداً على أنه قرأ الكتاب بعناية وإدراك

فما تلك الموضوعات ؟ الطالب هو المسئول ، فقد شبعتُ من الابتلاء بمكاره الامتحان فى جامعة القاهرة وجامعة باريس !

وبجانب الموضوعات العربية والإسلامية تنهض الموضوعات المصرية ، الموضوعات التى تمثّل الزيات كاتباً مصريًّا يصوّر ما فى الضمير المصرى من قلق وتوثب وطموح فى ميادين الأدب والسياسة والاقتصاد

فالزيات زار الأقصر وشهد ما خلف المصريون القدماء فى ذلك الوادى الأفْيَح ، فما الذى قال الزيات فى وصف ما رآه ؟ وكيف كانت تلك الزيارة سبباً فى أن يؤمن بأن فكرة « العروبة » لا تَطْمِس فكرة « المصرية » ؟ وكيف اطمأن إلى أن تاريخ مصر له فى أعناقنا حقوق ؟

والزيات شهد نُمُوّ المصانع المصرية ، فما الذى قال فى تشجيع المجاهدين من أقطاب الاقتصاد ؟

والزيات تحدث عن بعض المؤلفات الحديثة ، فما هى تلك المؤلفات ؟ وما رأيه فى الأصول التى يقوم عليها التأليف الموصوف بالجودة والابتكار ؟

هل تكلم عن حافظ عفيفى ؟ هل تكلم عن عباس العقاد ؟ هل تكلم عن مصطفى المنفلوطى ؟ هل تكلم عن الرافعى ؟

والزيات تَرْجم لبعض رجال العصر الحديث ، فما هى آراؤه فى لطفى السيد ، وأحمد زكى ، ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وطلعت حرب ، وأحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ؟ ؟

وتحدث الزيات مرات كثيرة عن المظاهر الإسلامية والقومية ، فما الذى قال عن رمضان والأعياد وشم النسيم ؟ وما هى الأوصاف الأساسية لمواسم هذه البلاد فى مقالات هذا الأديب الفنّان ؟

وتكلم الزيات عن الطيران ، فما هى المناسبة التى استوجبت ذلك؟ وما هو المعنى «القومى» الذى قصد إليه فى مقاله عن الطيران ؟

وتحدث الزيات عن الريف ، فماذا قال عن الريف ؟

وتحدث عن الأوقاف ، فماذا قال عن الأوقاف ؟ ولأى غرض شغل نفسه بالأوقاف ؟

وتحدث عن سعد زغلول مرتين أو مرات ، فما هو رأيه فى سعد زغلول ؟

وفى « وحى الرسالة » صفحات مُوجِعات ، فما موضوع تلك الصفحات ؟

وتكلم عن الأدب المزيّف والأدب الصحيح ، فما الذى أوجب أن يثور هذه الثورة ؟

ونظر إلى الأزهر نظرة لها معان ، فماذا أراد ؟ ولأى سبب شغل نفسه بحاضر الأزهر وماضيه ؟

وتحدث عن « تنظيم الإحسان » فما الذى قال ؟ ومن هو الكاتب الذى شُغِل بهذا الموضوع قبل الزيات ؟

لا يمكن لطلبة السنة التوجيهية أن يقولوا إنهم اطلعوا على كتاب « وحى الرسالة » إلا إن نظروا فى الموضوعات التى أشرت إليها فى هذا المقال بعناية وتدبُّر وإدراك ، لأنها بالفعل أهم أغراض هذا الكتاب ، ولأنها متصلة بشؤون أساسية من معضلات الحياة المصرية فى هذا الجيل

والزيات يحسّ هذه المعانى أصدق إحساس ، لأن قيامه على « الرسالة » قرّبه من المجتمع ، وأخرجه من « العزلة » التى يفرضها ما فُطِر عليه من الاستحياء

بين الإجمال والتفصيل

قال الزيات فى مقدمة « وحى الرسالة » إن مقالاته لم تكن إلا وحى الساعة أو حديث اليوم أو صدى الأسبوع

وتلك دعوى تحتاج إلى بينات !

فليس من المعقول أن يكون الزيات صدق كل الصدق فى هذا القول ، والكاتب يباح له التمويه فى بعض الأحايين ؟!

وإلا فمن الذى يصدّق أن مقال الزيات فى « فنّ الجمال » كان وحى الساعة أو حديث اليوم أو صدى الأسبوع ؟

ومن الذى يصدّق أن ما كتب الزيات عن الفقر والغنى والبؤس والنعيم كان وحى ساعة أو يوم أو أسبوع ؟

هو يخدع نفسه ، أو يخدع قراءه ، ليقول إنه يأتى بالعَجب العُجَاب فى لحظة أو لحظات

والحق أنه رجلٌ مُمتَحَن بنفسه وبالدنيا وبالناس ، فأدبه

الذى ينشره اليوم قد يكون صدًى لتجاريبه منذ أكثر من ثلاثين سنة ، والكاتب لا يعرف أين هو من حاضره وماضيه لأنه مشدود إلى قافلة الوجود

يقول الزيات إنه كان يكتب مقالاته هذه فى أصيل السبت من كل أسبوع ، فهل يذكر أحد أنه كان يستطيع رؤية الزيات ولو بالتليفون فى أصائل تلك السُّبوت ؟

كان الزيات يخلو إلى قلمه خلوة صوفية ، وكان فى لحظات الخلوة إلى قلمه يكره الاتصال بمن فى الوجود من أهل وأبناء وأصدقاء

فما الذى كان يصنع الزيات فى تلك الخلوة ؟

كان ينظر إلى معضلات المجتمع بقلب راضته الأفراح والأتراح على فهم ما للوجود وما عليه من محاسن وعيوب

والمزية الأصيلة للزيات أنه يخلو بنفسه وإن كان محفوفاً بالرفاق فى لحظة صفاء . ولن أنسى أبداً أننا كنا نقضى سهرات كوامل ونحن فى أودية بعيدة ، وإن كنا فى مكان واحد ، فلم أكن منه ولم يكن منى ، لأن عالم الفكر غير عالم الشُّهود ، ولأن الإقامة فى ظرف المكان لا تمنع القلب المتحرك من التجول فى آفاق العقول والقلوب والأحاسيس

وهذه الظاهرة الروحية تفسر المدلول « للظاهر » فى كتاب « وحى الرسالة » . فالكاتبُ يوهم قراءه أن حياته خَلَتْ من الابتلاء بالدنيا والناس ، وأنه يخاطبهم من شُرفة عالية لا تعرف ما يقع فى « الشوارع » من انحطاط وازلاق

والواقع غير ذلك

الواقع أن الزيات « يعيش » فى دنيا العصر الحديث ، فتجاريبه ليست تجاريب من يَعْبُر الطريق بلا وعى ولا إحساس ، وإنما هى تجاريب من له فى كل « شارع » دار وجيران . ويا ويل من كان له فى هذه الدنيا دار وجيران ، ولو اعتزل فى حدود الصحراء !

الزيات أديب له مجلة أسبوعية ، ومعنى هذا أنه يعرف الناس من جميع الأجناس ، ومعناه أيضاً أنه مسئول أمام من يباشرون تلك المجلة من عمّال ومراسلين ومحررين ؛ ثم معناه أنه مسئول أمام العقليات المختلفات فى مصر وفى الأقطار العربية ؛ وذلك يوجب أن يواجه الدنيا بعقل يقظ وقلب حساس

فإن لم تتفق التجارب الصحيحة لمثل هذا الرجل فلمن تتفق ؟

ومن الذى يفهم بلايا المجتمع إذا عزَّ فهمها على مثل هذا الكاتب الأسيف للدنيا والناس ؟

وهل يملك الزيات فى « خلوته الفنية » قدرة الاستهانة بزيارة رفيقة يمنّ بها طفلٌ كريمٌ لا يعرف أن الأديب له خَلَوات ؟

فما معنى ذلك ؟

معناه أن الزيات رجلٌ مسئول ولو أغلق بابه بألوف الأقفال

وفى هذا ما يكفى للحكم بأن موقفه فى فهم المجتمع موقف الأصيل لا موقف الدخيل

فهل يفهم طلبة السنة التوجيهية هذه المعانى ؟

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص على أن الأدباء الذين ظهروا فى هذا العهد لم يكونوا لاعبين ولا مازحين ، وإن توهم من لا يفهم أن فى أدبهم ميلاً إلى اللعب والمزاح فى بعض الأحيان

إن أدب المصريين فى هذا العصر هو الفَيْصَل بين عهدين : عهد الأدب الوادع الذى كان يعيش أهله فى رعاية الوزراء والأمراء والملوك ، وعهد الأدب المكافِح الذى يعيش أربابه فى رعاية مواهبهم الذاتية ، فهم فى الأغلب موظفون أو مدرسون أو صحفيون ، ومن أجل هذا صح القول بأن أكثر أدباء مصر فى هذا العصر رجال أعمال

وهذه الحال أضرتْ من جانب ونفعت من جوانب : أضرتْ حين أيأست الأديب من الأريحية التى كان يعيش فى ظلالها أدباؤنا القدماء ، ونفعت حين قهرت الأديب على الإيمان بأنه لم يُخلَق إلا ليكون قوة فعّالة فى بناء المجتمع الجديد . وكذلك عاش الأديب مرفوع الرأس ، ولو اشترك بقلمه فى خدمة الأحزاب السياسية ، لأنه فى جميع أحواله عضو نافع فى المجتمع ، ولأن موقفه من الأحزاب قد يكون موقف الهداية لا موقف الخدمة . وأضاع الله من ينسى أن رجال السياسة يَدينون لرجال القلم أثقل الدَّين ؛ فبفضل الأقلام صار عندنا سياسة وسياسيون ، ولو كره بعض الجاحدين !

والذى يهمنى هو دعوة الطلبة إلى التعمق فى فهم المؤلفات التى أحدثهم عنها فى هذه المقالات ، فهى مؤلفات متصلة بحياة المجتمع أوثق اتصال . وهى حين تعبِّر عن تألم أصحابها من المجتمع

أو ارتياحهم إلى المجتمع سِجِلّ صادق لما فى الحياة الاجتماعية من قوة وضعف وتحليق وإسفاف

فإن نظر الطلبة إلى « وحى الرسالة » هذه النظرة رأوا فيه غير ما كانوا ينتظرون ؛ فهو ليس روائع لفظية أو بيانية ، وإنما هو تعبير عن آلام وآمال يحسّها أبناء الجيل الجديد ، حين تصحّ لهم مواجهة ما يعتلج فى صدورهم من آلام وآمال

والزيات لا يتكلم وحده عن تلك المعضلات ، وإنما يتمّ تصوير هذا العصر بتعقب ما ظهر فيه من رسائل وقصائد ومؤلفات ، وذلك ما قصد إليه من وضعوا مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

وسننظر كيف ينتفع أولئك الطلبة بهذا المشروع المفيد

اختبار سهل

قال الزيات فى مقدمة « وحى الرسالة » إنه أعقب كل فصل بذكر اليوم الذى كتب فيه ، ولكنه مع ذلك أهمل تأريخ بعض الفصول ، فما هى تلك الفصول ؟ ولأي سبب أغفل التأريخ ؟

وأرخ فصلاً بالتاريخ الهجرى وكان يجب أن يؤرخ بالتاريخ الميلادى ، وأرخ فصولاً بالتاريخ الميلادى ، وكان يجب أن تؤرّخ بالتاريخ الهجرى ، فما ذلك الفصل ، وما تلك الفصول ؟ وفى أى المواضع يكون من الحتم أن ينص على تاريخ الهجرة أو تاريخ الميلاد ؟

وأهم فصل هو ما كتبه المؤلف « فى الجمال » وقد وقع فى هذا الفصل غلطتان مطبعيتان : الأولى تنافى المعنى ، والثانية تنافى السياق ، فما هاتان الغلطتان ؟

أنا أنتظر من أحد طلبة السنة التوجيهية جواباً عن السؤال الأخير لأشير إلى اسمه فى مجلة الرسالة إشارة تزيده ثقة بما فطر عليه من الفهم والعقل

وفى مقال الزيات « فى الجمال » فكرة منحرفة بعض الانحراف ، فما هى تلك الفكرة ؟

والزيات « فى الجمال » تلاقَى فى بعض مناحيه بكاتب معاصر ، فمن هو ذلك الكاتب ؟

وما شواهد الإغراب والاجتهاد فى هذا المقال وقد احتفل الكاتب لخبّره فى أربعة أسابيع ؟

والزيات متأثر فى مناحيه الفنية والذوقية بمؤلف فرنسى مشهور تفرد أحد كتبه بالذيوع حتى طُبع أكثر من مئة مرة ، فمن هو ذلك المؤلف ؟

« يستعلم الطلبة من مدرسى الفلسفة بالسنة التوجيهية »

وذلك الكتاب الذائع قد ظهر أثره فى مقدمة كتاب لأحد أدباء العصر فى مصر ، فمن ذلك الأديب ؟ وما ذلك الكتاب ؟

غرة الكتاب

أهم فصل فى كتاب « وحى الرسالة » هو ما كتب الزيات « فى الجمال » وهو فصل يقع فى ثلاث عشرة صفحة ، وقد ضمّنه ملاحظاته الأساسية على فكرة الجمال وما يحف بها من مشكلات ومعضلات

والزيات لم يبتكر كل هذا الفصل النفيس، وإنما تجرد عن نفسه وأسبغ على الفكرة أثواباً « موضوعية » ليحوّلها إلى موضوع « كلاسيك » له قواعد وأصول ، وهو مع ذلك من المبتكرين فى أكثر نواحى هذا الموضوع الدقيق، فما هو الجمال أو ما هى أهم عناصر الجمال فى نظر هذا الكاتب ؟

لا أريد أن أُحدّ من حرية الطلبة فى البحث والاستقصاء ؛ ولكنى أعتقد أن من الواجب أن أدلهم على أن الكاتب قد استشهد بآراء عربية وأفرنجية ، ولا يمكن للطالب أن يدرك هذا الموضوع بصفة جِدّية إلا إذا رجع إلى مصادر ذلك الاستشهاد ، فما هى تلك المصادر فى مؤلفات العرب واليونان والرومان ؟ وما هى الصور والرسوم التى تشرح الفكرة مع أن ثمنها لا يزيد على بضعة قروش؟

« يستعلم الطلبة من مدرسى الأدب والفلسفة بالسنة التوجيهية »

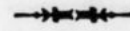
ثم ماذا ؟

ثم أقول إنى أنتظر أن يكون فى طلبة السنة التوجيهية مئات يظفرون بالفوز فى مسابقة الجامعة المصرية

ولو شئت لقلت إنى اطلعت على كثير من أجوبة الطلبة عن أسئلة امتحانات النقل والامتحان العمومية فلم أجد ما يرضينى ، لأن أكثر الطلبة يحفظون ولا يفهمون ، ولا قيمة للحفظ إذا انعدم الفهم ، فنحن نريد أن يكون أبناؤنا رجالاً يسمعون ويعقلون ، لا ببغاوات تحكى ما تسمع بلا إحساس ولا إدراك

جيــــل وجيل !

للأستاذ محمود البشبيشي



من الأجيال ما يطويه الزمن تبعاً لقانون الحياة ، ولكنه يطوى الزمن تبعاً لقانون الفكر ، فلا يذهب الزمن إلا بأهله ، ويذهب فكر أهله فى الزمن كل مذهب ! والذى يطيل فى عمر الأجيال برغم فنائها ، ويُقصر فى عمرها وهى على قيد الحياة ، هو قوة الروح فيها ، وحيوية الفكرة فى مجموع أفرادها

... هذا ما أوحاه إلى حديث بينى وبين ولدى « حسين » وهو شاب له نظرته الخاصة فى نثره وشعره ، لا يعترف بنظرة غيره إلا بمقدار ما فيها من صلات تربطها بفكرته وبصدق المنطق والعقل ...

... تناقشنا ، فكنت أنا وحججى أمثل جيلاً مضى ، أو أوشك أن يمضى ، يحاول أن يُحرج ويقنع ويُصلح جيلاً جديداً تجسم فى نفس ولدى وفكره ... وكان هو مؤمناً كل الإيمان بقوله ، وإذا وجد الإيمان تفتحت أكمام الحياة والثناية عن ثغور النجاح باسمة جميلة ...

... وحاولت أن أفهمه أن البقاء للقوى ، وأن الذى لا يحصن نفسه ، ولا يتخذ الأهبة للقاء الشرور والأفراح معاً لا يستطيع أن يقف على قدميه طويلاً ، واضطرب أمام النسيم العابر قبل العاصفة الشديدة ، وجار عليه كل من اتصف بالقوة وتحصّن بها ... شخص كهذا يقطع مسافة عمره كما يقطعها الحيوان والنبات ، لا يسلم من اعتداء القوى والضعيف !...

حاولت أن أفهمه هـذا فقال : إذن فأنت ترى أن البقاء للقوى ، وأن الذى لا يتصف بالقوة مثله كمثل النبات والحيوان الضعيف ، وظاهر قولك من حكمك على النبات بالضعف أن الإنسان يزرعه ليقلعه ! وهذا ما يحدث ... ولكنى لا أرى ضعف النبات كما تراه أنت ضعفاً بمعناه الذى هو ضد القوة ، بل أراه قوة البقاء فى النبات ! فالقوة عندى ليست تلك التى يقع تحت صفاتها التدمير والجور والشدة ، وإنما هى قوة الروح فقط !

... وهذا الضعف فى النبات هو أسمى درجات قوة الروح ، فأنت لا تقتلع النبات إلا بعد تمام اكتماله ، أى بعد تمام قوة الروح فيه ، فتستفيد منه بعـد ذلك غذاء وبناء للأجسام ، وهذه الفائدة هى قوة الروح فى النبات ، فهو لا يفنى لضعفه ، إنما ليكوّن حياة أخرى ويجدد بناء آخر ، الفضل فيه لقوة روحه الكامنة فى عناصره ...

هكذا النبات ، وفلسفة الطبيعة فى النبات ، يضعف ليخلق قوة ، ويفنى ليجدد حياة ... وليت الإنسان كذلك ...

— لقد أصبت فى ذلك يا بنى ، ولكن الذى يصلح للنبات قد لا يصلح للانسان ، والذى تراه أنت فلسفة فى طبيعة النبات قد لا تعترف به العقول البشرية — لا لضعف فيه — وإنما لأن هذه العقول قد اختلط بها من صفات الحياة القبيحة الكثير ، فامتزج بها الطمع ، ودفعها إلى حب السيطرة على أشياء الغير ، فكانت العداوة ، وكانت البغضاء ، وشعر الإنسان بأن لا أمان من جانب أخيه الإنسان ، وصار كل فرد إذا صادق ونسج ثوب الوفاء ، نسج بجواره ثوب الرياء ؛ وإذا أخذ العدة لحسن اللقاء ، أخذ الأهبة لدواعى الفراق ، فاضطربت الحياة ... لهذه الأسباب يصعب تطبيق فكرتك على حياة الإنسان ، ويصدق منطقها فى حياة النبات ، لأن الطبيعة عادلة فى تصرفاتها ، فلم نر نباتاً اعتدى على نبات ، فظهر فى زمن نبات آخر . كل شىء يسير فى الطبيعة وفى منطقه عدل وحكمة ، فللقمح ميعاد ، وللقطن ميعاد ، ولا يصلح الأول فى زمن الثانى . وهكذا سائر النبات ... فهـل الإنسانية كذلك ؟ لو كانت كذلك ما اشتعلت يا بنى

إذا استطاع طلبة السنة التوجيهية أن ينجحوا جميعاً فى المسابقة بتفوق مرموق ، وأن يقهروا الدولة على قبولهم بكليات الجامعة المصرية بالمجان ، فسيكون هـذا التفوق غرة فى تاريخ مصر الحديث

إن الدولة أمكنتكم من ناصيتها المالية ، يا طلبة السنة التوجيهيـة ، فعلّموها كيف تهرب من التعرض لذكائكم الموروث ، فما كنتم ولن تكونوا إلا أزكى نبات فى أخصب أرض ، وفى رعاية أصفى سماء

أنا معكم والله معنا ، ونحن بالصدق والعزم أقوى من وزارة المعارف ومن الجامعة المصرية

وإلى الأسبوع المقبل فى تشريح كتاب حافظ عفيفى باشا . فلكتابه مَذاقٌ خاصٌ ، لأنه يقدّم صوراً من أفق بعيد هو بلاد الإنجليز .

زكى مبارك

اليوم النيران ، واضطرب ميزان الحياة ، وذهبت الرحمة من القلوب

فقال : ليس معنى هذا أن الفكرة غير صائبة ، وأن فلسفة الطبيعة فيها نقص ، بل لعل ذلك يثبت ضلال الإنسانية وتحكم شهواتها فى ميولها ونزعاتها الفكرية

— هذا حق يا بنى ، ولكن ما فرّط الناس فى أمور دنياهم والإنسانية والروابط الدينية ، إلا منذ أن فرطوا فى شخصيتهم وأخلاقهم ، فأصبحوا لا يحكمهم شعور حى ، ولا يقيد شرورهم رحمة ، وساء تقديرهم للأشياء ، فعبدوا الكم ، وابتعدوا عن الكيف ! ونشأ فيهم اختلاف الطبقات ، فقدروا الغنى بالمال ، والفقر بقلّته ، ما أبعد القوم عن الصواب . . . ما أبعدهم !

ورب فقير له من عزة نفسه ثروة تسجد أمامها جبابرة السنين . . . ورب غنى تمر به الأيام كما تمر على الجماد لا تشعر به لأنه فقير الروح !

— أنت ترى يا والدى أن سبب انحدار الإنسانية هو التفريط فى أمور الدنيا والدين . . . وأنا أرى أن السبب هو فساد التأمل فى أفرادها واختلاطه بحب الذات ، فأصبح الإنسان لا يرى الشىء حسناً إلا إذا كان له نصيب من حسنه ! . . . ولكن هناك تأملات نقية وتأملات ساقطة . . . وأكبر الظن أن سر اضطراب الإنسانية اليوم هو تغلب التأملات الساقطة التى غلب عليها حب الذات . . . ولا بد للحياة من تأمل . . . إما فى غاية الحياة ومثلها العليا الإنسانية ، وإما فى الخلاص من قيود الحياة ومثلها الإنسانية العليا . وفرق بين التأمل الأول والتأمل الثانى

يصل بك الأول إلى الغاية — إذا صدقت فيه — ولم تأخذ فى ظنون الأمور بيقينها . وهذا النوع كان موجوداً فى أيام طفرة الإسلام الأولى ، أيام كان تأمل الرسول الكريم يتغلغل فى المسلمين جميعاً . . . ما أحوج الإنسانية اليوم إلى هذا التأمل ، فإنه إذا وجد فى أمةٍ بثَّ فيها روحاً يجعلها لا تصلُ بين شرّيرها ومجاهدها الصادق إلا بمقدار ما يُصلح الثانى من أمرِ الأول ، ولا تحث على جوار النقائض إلا بمقدار ما يُشعرُ الحسَنُ القبيحَ بأن فيه قبحاً ! !

— إذن أنت ترى يا بنى أن الإنسانية اليوم تأملت ، ولكن فى الخلاص من قيود الحياة وثقل مُثلها الإنسانية وتبعاتها . . . هذا حق يا بنى ، فإن الفضائل اليوم أصبحت قيود الحياة ، لأن الإنسان قد غرق فى الشهوات وحب الذات ، ولأن نفسه قد فسدت فرأى الشرور فضائل ! !

وما هذه الحرب الضروس غير صورة لفساد تأمله . . . لقد صبغت الحرب يا بنى كل شىء فى الحياة بصبغة سوداء ، ظاهرها الخوف وباطنها الموت والدمار ، فدعنا من فلسفة تقودنا إليها ، وعرّج بنا على ناحية أخرى ... فقد عرفت منك أن التأمل أساس الحياة ، وأن هناك تأملاً فى غاية الحياة ومثلها ، وتأملاً فى الخلاص من غاية الحياة ومثلها وتبعاتها ، وأن الجيل يفسد بفساد تأمله ، كما قلت لى إن القوة هى قوة الروح ، وإن الضعف والفناء قد يكونان قوة سامية ما دام الضعف يولد قوة ، والفناء يجدد حياة ... عرفت كل هذا فأحسست أن الجيل الحديث — متجسماً فى روحك وفكرك — يختلف كل الاختلاف عن جيلنا الذى ذهب بعضه وبقى بعضه ! وأدركت أن الأجيال تتأثر بالفكرة التى تتولد فيها وتمتاز بها ، ولكنى لا أزال أشعر بامتياز جيلنا بالقوة والهيبة والشهامة . . . أحس فيه الهيبة الفطرية التى تتجلى فى رهبة الابن لوالده والتلميذ لأستاذه ، وكل الناس أمام رجل الدين . ولا زلت أشعر بامتيازه بسعة المعارف والمدارك وقوة الصبر والمجالدة . ولعل الدكتور زكى مبارك على حق فى ثورته على شباب الأدب اليوم ، وقلة صبرهم واضطلاعهم ...

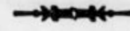
فقال : هذا حديث آخر أحب أن أطلعك على خواطرى فيه ، فهنا خزان ماء صناعى يُزوّد بالماء فى كل وقت ، وهناك نبع سيال له من طبيعته مدد لا ينقطع ، فأيهما تراه أنفع وأفضل ؟ إن الأدباء كذلك : فيهم من استفاد علمه وأدبه من كثرة الاطلاع ، فهو مقيد بألفاظ محفوظة ، وأفكار مسبوقة ، وإذا جاء منه الجديد جاء بعد عناء . وفيهم من فطر على دقة الحس وسهولة الطبع ، فهو يغرف من بحر متماوج بين وجدانه وعقله . كل أفكاره جديدة لأن شعوره الفطرى يتجدد ، ومن هؤلاء الفلاسفة من الشعراء والكتاب ، وقد يكون بعض الشباب اليوم من النوع الثانى

— هذا حق يا والدى ، ولكنك لا تستطيع إنكار فضل الكثير منا ، فقد كشفنا لكم ظلمة الطريق وقدنا القافلة وسط تيارات من الشدة والظلم ، حتى وصلنا بكم إلى النور ، وحتى استطاع الابن منكم أن يجادل الوالد ويناقشه ! واضطر الوالد أن يقبل منه النقد لأنه هو الذى هداه إلى سبيله !

— حقاً أنا وغيرى لا نستطيع إنكار قدرة الأستاذ الزيات على حسن الصياغة ودقة المعنى وعبقرية الفكرة ، وسهولة الدكتور

السنوسيون

للأستاذ حسين جعفر



السنوسيون هم طائفة من الإخوان المسلمين تعتقد بولاية السنوسي . ومؤسس هذه الطائفة هو السيد محمد بن علي ابن السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي المهاجري ، ويسمى عادة الشيخ السنوسي أو السنوسي الكبير . ولد بالقرب من مستاجانم ببلاد الجزائر ، وأطلق عليه اسم السنوسي تيمناً بولي من أولياء الله موجود قبره بالقرب من تلمسان . وتاريخ ميلاده غير معروف بالضبط ، والمصادر المختلفة ذكرت السنين : ١٧٩١ ، ١٧٩٢ ، ١٧٩٦ ، ١٨٠٣ ميلادية

وهو ينتمي إلى قبيلة ولد سيدي عبد الله، ويتصل نسبه بالسيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحينما كان صغيراً قضى بضع سنوات في فاس حيث درس التوحيد والفقه الإسلامي . ولما بلغ الثلاثين غادر مراكش في رحلة إلى المناطق الصحراوية الواقعة في بلاد الجزائر ، داعياً إلى إصلاح العقيدة والإيمان ، ومن الجزائر رحل إلى تونس ومراكش فالتف حوله كثير من المريدين والأتباع .

ثم ذهب إلى القاهرة حيث عارضه علماء الأزهر الشريف وعدوه مبدعاً في أحكام الدين، فغادر مصر إلى مكة وهناك اتصل بسيدي محمد بن إدريس الفاسي زعيم الطريقة القادرية المراكشية .

ولما توفي سيد محمد بن إدريس الفاسي أصبح السنوسي رئيساً لأحد فرعي طريقة القادرية . وقد أسس أولى زواياه في سنة ١٨٣٥ في أبو قبيس قريباً من مكة ، وأثناء إقامته بشبه جزيرة العرب اتصل بالوهابيين ، وكان لهذا الاتصال أثر محسوس في النظر إليه بعين الشك والارتياب من علماء مكة . وفي مكة نفسها اكتسب السنوسي أكبر وأقوى عضد في شخص محمد شريف أمير واداي الذي تولى ملكها في سنة ١٨٣٨ وهي أقوى إمارة إسلامية في وسط السودان . وحينما وجد السنوسي معارضة قوية في مكة غادرها في سنة ١٨٤٣ إلى برقة وهناك بالجبل الأخضر أسس الزاوية البيضاء بالقرب من بلدة درنة . وكان على اتصال دائم ووثيق بجميع المغاربة ، وأيده كثير من الأتباع الطرابلسيين والمراكشيين

وكانت الحكومة العثمانية الحاكمة لطرابلس في ذلك العهد

زكي مبارك وجمال عبارته الفني الذي يخيل إليّ أنه ينسجها من روحه ودمه ، وتسلسل الدكتور طه حسين واختصاصه بأسلوب رائع ، ومنطق الأستاذ أحمد أمين وحرصه على الفكرة ، لا أستطيع أن أنكر هؤلاء جميعاً وغير هؤلاء لأني أبحث عن الحق ، كما أني لا أستطيع أن أنسى الرافعي وسحر الرافعي وشوقي وحافظ والزهاوي ، لا أستطيع أن أنكر فضلهم ، كما أحب ألا ينكر منا النابغ ... فقد كان منا الشابي وشقيق الراحل ؛ ولم يزل فينا صالح جودت ، والعطار ، ومحمود اسماعيل ، ومختار الوكيل ، والعوضي الوكيل . ولم يزل فينا الذي يقول :

قد عصرتُ الفؤاد خمرة وجد … وسكبت المصير في شفتيك
فسكرنا من الغرام وجُنَّت … نشوةُ الحب من سنا عينيك
قبلات الهوى صلاةُ محب … قيَّد الحبُّ أصغريهِ عليك !

والذي يقول :

داعبت ثغرها بثغري وقالت … دائماً أنت في ابتسام وفنّ
قلت لا غرو لو تبسم ثغري … مُذ رأى القلب في الضلوع يغني

ومنا الذي يقول :

لا تهابي الفناء روحي يوماً … إنما المرء لا محالة مودي !
واضحكي واسخري فدهرك يجري … ضاحكا ساخراً لتلك اللحود !

ثم فينا الذي يقول :

فسيري بيَ يا ربة آلامي إلى السدره
فإني ضقت بالإنسان لما أفسد الفطره
ألا يا ليتني همت كما هامت به فكره
ولم ألق إلى الأرض كياناً سجنه بَشره



وأخيراً ما أجمل أن يتناقش جيل وجيل ! وما أروع حديث الأب لولده والولد لوالده ! إن في مثل هذا الحديث صلة روحية تسعد الآباء ، وتشرح صدر الأبناء ، وتخلق في نفوسهم صفة الاعتماد على النفس واستقلال الشخصية .

محمود البشبيشي

حاشية : كل ما جاء على لسان ولدي « حسين حسني محمود البشبيشي » فهو من فكره ويكاد يكون في ألفاظه .

تنظر إلى انتشار نفوذ السنوسية بعين غير عين الاستحسان . ومن الجائز أن انتقال السنوسى فى سنة ١٨٥٥ إلى جنبوب وهى واحة صغيرة فى الشمال الغربى من واحة سيوة على خط عرض ٣٠ كان لرغبته فى تجنب الاحتكاك بالأتراك . وهناك فى جنبوب توفى إلى رحمة الله فى سنة ١٨٥٩ أو سنة ١٨٦٠ وخلف ولدين : الأكبر محمد شريف، سمى كذلك تيمناً باسم سلطان واداى ولد سنة ١٨٤٤، والثانى المهدى ولد سنة ١٨٤٥ . وقد خلفه فى زعامة الإخوان المهدى . ويقال إن الولد الأصغر أظهر ذكاء وكفاية أكثر من أخيه ، ولذلك قرر الوالد أن يختبرهما ؛ وأمام جميع الإخوان فى جنبوب أمر ولديه بتسلق نخلتين عظيمتى الارتفاع وسألهما باسم الله ورسوله أن يقفزا إلى الأرض ، فقفز المهدى فى الحال ولم يصب بسوء فى حين رفض الأكبر . وإلى المهدى الذى لم يخش أن ينفذ إرادة الله انتقلت ولاية العهد التى كانت من نصيب الأكبر . ويظهر أن محمداً قبل مصيره هذا بلا تذمر ، وقد تولى القضاء والتشريع فى زاوية الإخوان تحت رياسة أخيه إلى أن توفى إلى رحمة الله فى سنة ١٨٩٥

السنوسى المهدى

كان عمر السنوسى المهدى حين خلف والده أربعة عشر عاماً ومع ذلك كان يتمتع بجميع ما كان يتصف به والده من الشهرة والحكمة والعلم .وقد فاتنا أن نذكر أن الأمير محمد شريف سلطان واداى توفى سنة ١٨٥٨ ، وخلفه السلطان على الذى حكم حتى سنة ١٨٧٤ والسلطان يوسف وتولى الحكم حتى سنة ١٨٩٨ وكلاهما كان مخلصاً فى اتباع تعاليم السنوسية . وفى عهد السنوسى المهدى انتشرت تعاليم السنوسية من فارس إلى دمشق ومن القسطنطينية حتى الهند . وكان للطريقة فى الحجاز أتباع عديدون ، وفى معظم هذه الأنحاء احتلت السنوسية مركزاً قوياً يفوق كثيراً من الطرق الإسلامية الأخرى . أما فى بلاد النيجر وهى تقع شمال بلاد نيجريا فلم تنل السنوسية نجاحاً ، ذلك لأن مسلمى هذه البلاد ما كانوا يعترفون إلا بسلطة سلطان سوكوتو ، ولكن الحال كان مختلفاً فى الصحراء الشرقية وفى أواسط السودان ، فإنه من حدود مصر الغربية جنوبى دار فور وواداى وبرنو ، وغرباً إلى بيلما ومرزوق، وشمالاً إلى شواطئ طرابلس كان السنوسى المهدى أقوى شخصية وكان له من النفوذ ما يجعله الحاكم الفعلى ، ولذلك كانت الواحات المنتشرة فى صحراء ليبيا تحتل وتزرع بواسطة السنوسيين؛ وازدهرت التجارة مع طرابلس وبنى غازى واستقر النظام والأمن بين البدو الرحل قاطنى الصحراء

وبالرغم من أن والده سماه المهدى فإنه لا يوجد أقل دليل على أنه ادعى أنه المهدى المنتظر ولو أن بعض أتباعه يعتقدون فيه ذلك. وحينما قام محمد أحمد الدنقلاوى بثورته على المصريين فى شرق السودان وادعى أنه المهدى المنتظر قلق السنوسى وأرسل وفداً عن طريق واداى إلى محمد احمد فوصل الوفد إلى معسكره فى سنة ١٨٨٣ بعد سقوط مدينة الأبيض بوقت قليل . ونترك هنا للسير ريجنالد ونجت وصف ما حدث كما جاء بكتابه عن المهدية والسودان المصرى الذى ظهر سنة ١٨٩١

كان وفد السنوسى مشبعاً بتعاليم السنوسية الدينية والأخلاقية فراع الوفد الذابح والخراب البادى حول محمد أحمد أينما حل، وكان الوفد يشعر بأن هداية العالم بواسطة المهدى المنتظر تكون بتأثيره فى الغير كى يحيا الناس حياة صحيحة معتدلة عمادها العمل الشريف والاعتماد على النفس . وقد شاطر السنوسى المهدى وفده هذا الشعور وقرر قطع كل صلة بالمهدى السودانى بالرغم من أن محمد أحمد أرسل إليه مرتين ليقبل أن يكون أحد خلفائه الأربعة ، رامياً بذلك أن يكسب تأييد السنوسى ذى التأثير العظيم على المصريين ، ولكن ظلت رسالتاه بلا رد . وفى الوقت نفسه حذر أهالى واداى وبرنو والبلاد المجاورة بأن ينفضوا أيديهم من كل ما له علاقة بأمور السودان . ويجب ألا يخفى أن الثورة التى حدثت فى سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٨٩ فى دارفور ضد الخليفة عبد الله التعايشى كانت تدار باسم السنوسى

اشتباك السنوسية مع الفرنسيين

قلق الأتراك من ازدياد شهرة الشيخ السنوسى مرة أخرى . وقد لاحظ السلطان عبد الحميد الثانى أن سلطة الشيخ فى كثير من أجزاء طرابلس وبنغازى أعظم من سلطة الحكام العثمانيين . ففى سنة ١٨٨٩ زار الشيخ السنوسى فى جنبوب حاكم بنغازى التركى على رأس بعض قواته . وكان هـذا الحادث سبباً فى ترك الشيخ لجنبوب ونقل مركزه إلى الجوف فى واحة الكفرة ،

وهو مكان بعيد بعداً كافياً يجعله في مأمن من أي هجوم مفاجئ

وحوالي هذا الوقت بدا خطر جديد على السنوسية ، وهو أن الفرنسيين كانوا يزحفون من الكونغو متجهين إلى حدود مملكة واداي الغربية والجنوبية . وقد رأى السنوسي في سنة ١٨٩٨ أن يجمع في اتحاد واحد جميع البلاد المهددة من الزحف الفرنسي ، ولذلك فكر في التحالف مع رابح الزبير وسلطان بجرمي ولم يكونا من أتباع السنوسية ، ولذلك كان سعيه بلا نتيجة

وفي واداي كان خلف السلطان يوسف وهو السلطان إبرهيم الذي تولى الملك سنة ١٨٩٨ يهمل نصائح الشيخ ، مشجعاً في ذلك بهزيمة الخليفة عبد الله التعايشي في أم درمان . وكان رد السنوسي على هذا أن حرم على أهالي واداي تدخين التبغ وشرب المريسة (البيرة الوطنية) فأرسل السلطان إبرهيم إلى السنوسي بأن شعبه يحارب ويموت في سبيل المريسة ، وأنهم قد ينبذون تعاليم السنوسية ليشربوها . وكان السنوسي المهدي حكيماً في تنازله عن رأيه ، معلناً أن الله أجاب على صلاته بأنه جل شأنه قبل أن يستثني أهالي واداي من هذا التحريم . ولما توفي السلطان إبرهيم سنة ١٩٠٠ وقع خلفاؤه تحت سلطان السنوسي المهدي مرة أخرى

وفي سنة ١٩٠٠ غادر السنوسي واحة الكفرة إلى دار جوران على الحدود الغربية من سلطنة واداي، وهناك في جيرو على قمة التل الصخري أنشأ زاوية وحصنها تحصيناً قوياً رامياً بذلك أن يصد أو على الأقل يعوق تقدم الفرنسيين الذين قتلوا - في نفس هذه السنة - رابح الزبير في معركة واحتلوا بلاد بجرمي . ورأى الشيخ أيضاً أن يمنع الفرنسيين من احتلال قانيم وهي بلاد تقع في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد على الحدود الصحراوية . وبذلك للمرة الأولى بدأ احتكاك السنوسية بالقوات الأوربية

وقد كان هناك اعتقاد بين بعض الرحالة الفرنسيين والإنجليز أن السنوسيين ربما يعلنون حرب الجهاد وأنهم بذلك ينالون مساعدة جميع المسلمين في شمال وغرب أفريقيا، وهذا الاعتقاد كان بعضه مؤسساً على تعاليم السنوسية ذاتها والبعض الآخر على التخيلات المبالغ فيها من قوة السنوسيين

وكان عدد محاربي السنوسية الذين يدينون بالطاعة للسنوسي مباشرة عدة آلاف قليلة . ولذلك كان السنوسي يعتمد على سلطته الروحية وتأثيره في هؤلاء الذين قبلوا تعاليمه بأن يأتمروا بما يريد

ويستدل من تاريخ السنوسي الأول والسنوسي الثاني على أنهما كانا دائماً في صف المدافع . والسنوسي المهدي في تعرضه للفرنسيين لم يكن في الحقيقة يقوم بحرب هجومية ، وقد أضعف مركزه أنه لم يجتمع تحت إمرته من القبائل عدد عظيم

فأخذ يحارب في قانيم مع أتباعه من البدو متلقياً مساعدات قليلة كان يقوم بها أهالي هذه المدينة ، وفي أثناء ذلك أنشأ زاوية في بيرعلالي ، وهي ملتقى تجارة طرابلس بالبلاد الموجودة حول بحيرة تشاد ، وحصنها تحصيناً قوياً واستؤنفت الحرب واستمرت ما يزيد على السنة ، وبعد قتال شديد سقطت بيرعلالي في يد الفرنسيين في يناير سنة ١٩٠٢

وقد تأثر السنوسي المهدي بهذه الهزيمة ومات بعدها بقليل في ٣٠ مايو سنة ١٩٠٢ في جيرو ودفن في زاوية التاج ولكن البدو يعتقدون حتى الآن بأنه ما زال حياً وأنه غادرهم في مهمة سرية

وكان أبناء المهدي السنوسي صغاراً قاصرين ، فانتقلت زعامة الإخوان إلى ابن أخيه السيد أحمد الشريف وهو رجل طموح ذو مقدرة فائقة ولكن تعوزه حكمة من سلفوه . واستمر سيدي أحمد في سياسة عمه وهي مقاومة الفرنسيين ، ولكن رغم جهوده وبعد كفاح طويل دام من سنة ١٩٠٤ حتى ١٩١١ سقطت واداي في أيديهم ، وبذلك انهار سلطان السنوسية في أواسط السودان .

وكان السنوسيون يحتفظون لمصر وللسلطات البريطانية فيها بأجل الود . ولما رأى سيدي أحمد نشاط الفرنسيين استحسن الانتقال إلى الجوف في واحة الكفرة . وهناك وعلى واحات أخرى في صحراء ليبيا كان السيد المطلق ، ولم يكن لاعتراف فرنسا بأن الصحراء واقعة في دائرة النفوذ البريطاني أي أهمية لديه

وكان عدد أتباعه في مصر دائماً في ازدياد ، وفي الإسكندرية كان يعيش السيد محمد الإدريسي أكبر أبناء المهدي السنوسي وسط أملاكه مستقبلاً أتباع السنوسية من جميع أنحاء البلاد

(البقية في العدد القادم)

حسين جعفر
المهندس الزراعي

عراك في معترك

أي معترك !

فصل في الرمزية

للأستاذ زكي طليمات

في مقالينا السابقين[1] ، دفعنا تهماً مصنوعة لا تقوم على حجج علمية ، كما كشفنا عن مغالطات صريحة متعمدة لم يجد الأستاذ محمد متولى سواها مطية للرد علينا ، ليوهم نفسه ويوهم القارىء العابر أنه سوّد ثلاث صفحات تلمع ببهرج الجدل الفاسق

فعلنا هذا بعد أن جعلنا دبر آذاننا سباباً ومهاترات لفظية من جانبه تقيم الحجة على أن الأستاذ متولى لم ينزل إلى موضوعية النقد فيما نحن بصدده ، بل انحرف إلى أطراف الموضوع يشدها ويشدها ، متخذاً منها أرجوحة تطوحت به إلى فضاء ما كنا نحب أن نراه يشغل فراغه !

حول الرمزية الفنية

وإذا قلنا إن متولى لا يريد أن يفهم ما نكتب ، أو هو يفهمه ثم يتجاهله ، لما قررنا غير الواقع !! وآية ما نذهب إليه — وقد سقنا قبل ذلك آيات بينات — أننا قررنا ، فيما سبق أن كتبناه[2] رداً على مقاله الأول[3] ، أن متولى يخلط بين ألوان الرمزية ، وأيدنا ذلك بقولة من كلام (ريبو) نفسه ، مرجع متولى الأوحد في كل جدل[4] ، ثم شفعنا ذلك بتعليق آخر وارد في نفس الكتاب (صفحة ١٦٩ — ١٧١) ، وهو تأييد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكان أن طلع علينا متولى بما زاده إمعاناً في خطئه وفي حيرته ، ومرد هذا أن متولى هو أول من أسمى الرمزية الميتافيزيقية ، أو رمزية ما وراء الطبيعة ، أو الرمزية الفلسفية عند (ريبو) ، باسم (الرمزية الفنية)[5] وها نحن أولاء نسجل جملته التي وجهها إلى الدكتور بشر فارس: « ألست تحدثنا بهذا النزوع الصوفي ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التي تفيض عن المخيلة والشعور ، والرمزية الفنية التي تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلي كما يقول ريبو » . أسمى متولى هذه التسمية عن عدم تثبت أو عن قصد مرسوم — أيهما لا أدري — فلما جاريناه تساهلاً في هذه التسمية التي هي وليدة مخيلته المبتدعة وليست وليدة مخيلة (ريبو) ، وناقشناه على هذا الأساس ليفهمنا ويتبعنا ، مدللين على أن متولى يخلط بين ألوان الرمزية لينفي عن مسرحية (مفرق الطريق) طابع الرمزية الأصيل ، قام يتهمنا بما أخذناه عليه ، وكأنه يأبى أن ينزل إلى حق أوحجة أو برهان ...

ولكننا أوتينا الصبر والجلد ، وها نحن أولاء نقدم فصلاً (في الرمزية) كما أرادها (ريبو) في محاولته -Essai sur l'ima gination créatrice)[1] ، وليس كما أرادها الأستاذ متولى في مقاليه السابقين ، وسنسوق في عرض هذا الفصل الأخطاء التي تورط فيها متولى عفواً أو عمداً

المخيلة في رأي ريبو

يقسم (ريبو) المخيلة قسمين رئيسيين عامين كلاهما إزاء الآخر مكان الماء من النار

١ — القسم الأول ، وأسماه (ريبو) المخيلة المصورة Imagination Plastique وخاصيته وضوح الصور الجزئية وتحددها ، وقربها من الإدراك ، وإيهامها بأنها حقائق ، وتداخل بعضها في بعض لصلات بينها موضوعية ، قابلة للتمييز بدقة ، ومن ضروب هذه المخيلة : مخيلة المثال والمهندس والشاعر الوصفي ، وبعض أرباب العلوم والصناعات

٢ — والقسم الثاني ؛ وأطلق عليه ريبو اسم (المخيلة السيالة) Imagination Diffluente وخاصيته التقريب بين صور جزئية غامضة ملتبسة فياضة ، ويكون هذا التقريب على هوى الاستعداد الشعوري من غير قاعدة ولغير سبب منطقي . ومن ضروب هذه المخيلة : أحلام اليقظة ، وجولان الفكر ، وتلفيق القصص ، وبعض التصورات الدينية ، وبعض ألوان الفن ، مثل فن الرمزية ولا سيما « الأدب الرمزي » الذي كان في عصر (ريبو) حين صدور كتابه ، أي قبل عام ١٩٠٠

(١) الرسالة رقم ٣٨٣ ، ٣٨٤

(٢) الرسالة رقم ٣٧٩ ص ١٥٤٨ العمود الأول . س ٢٩

(٣) الرسالة رقم ٣٧٦

(٤) طبعة باريس ١٩٢٦ ص ١٩٦

(٥) راجع مقال الأستاذ متولى . الرسالة رقم ٣٧٦ ص ١٤٤٩ س ١٠ العمود الأول

(١) مرجعنا في هذا البحث الطبعة السابعة من هذا الكتاب التي صدرت في باريس سنة ١٩٢٦

ويذهب (ريبو) بعد ذلك إلى أن للمخيلة أنواعاً أخرى أقل عموماً من القسمين السابقين . منها (المخيلة الصوفية) . وفي رأى (ريبو) أن هذه المخيلة الصوفية تمت بسبب إلى « المخيلة السيالة » ولا سيما في شكلها الشعوري ، وإن كانت لها خصائصها ، وهنا يحلل (ريبو) هـذه المخيلة ، ويميزها عن المخيلة الدينية والمخيلة الفلسفية[1]

ذلك هو مجمل مذهب (ريبو) في المخيلة على أقسامها وضروبها . والآن نرجع إلى ما كتبه الأستاذ متولى في الرمزية ، ونراجع استشهاداته لنتبين مدى فهمه ومقدار أمانته وهو يستند إلى كتاب مطبوع متداول . وفيما سنورده أقوال جديدة وأخرى سبق أن رددنا بها أخطاء الأستاذ متولى في مقالاته السابقة ، وقد آثرنا تكرارها لترد متراصة في صعيد واحد مع هذا الفصل ، بعد إيفائها حقها من الشرح والبيان :

١ — ظن متولى أن الرمزية في توطئة مفرق الطريق محض صوفية ، فخاطب صاحب السرحية قائلا : « ألست تحدثنا بهذا النزوع الصوفي ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التي تفيض عن المخيلة والشعور ، والرمزية الفنية التي تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلي ، كما يقول (ريبو) »[2]

وإلى القارئ نص (ريبو) ص١٩٦ س٨ ـ ١١ عن التفريق بين الرمزية الدينية ، ورمزية ما وراء الطبيعة أو الفلسفية : « إن الرمزية الصوفية إذا اتجهت نحو الدين فإنها تعتمد على عنصرين أساسيين : هما التخيل والشعور ، وإذا اتجهت نحو الفلسفة أو ما وراء الطبيعة فإنها تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلي واهن » فالقارئ يرى من معارضة حديث متولى بنص (ريبو) أن الناقد اعتسف الكلام إذ نسب إلى ما يسميه هو (الرمزية الفنية) ما خص به (ريبو) « الرمزية الصوفية » المتجهة نحو ما وراء الطبيعة أو الفلسفية . هذا ، وأما العنصر الذي خص به (ريبو) « المخيلة السيالة » فهو الاضطراب facteur émotionnel (راجع كتاب (ريبو) المذكور ص ١٧١ س ١٠ ـ ١٢) . وقد تقدم أن « المخيلة السيالة » هي التي تتمثل في فن الرمزيين l'art des symbolistes . وهذا الفن — ومعظم كلام (ريبو)

عليه في ناحية الأدب ، وثمة إشارة إلى ناحية التصوير — يصبح بجرة قلم من الأستاذ متولى يحمل اسم « الرمزية الفنية » !!؟

وللقارئ أن يتأمل كيف خلط متولى الرمزية الصوفية بالرمزية في الأدب والتصوير فجعلهما شيئاً واحداً ، هذا في حين أنهما عند (ريبو) منفصلان أساساً وتقع كل منهما في باب مستقل عن الآخر

هذا والتمعن ذو النظرة العلمية السليمة في توطئة « مفرق الطريق » يلحظ أن « الاضطراب » facteur émotionnel هو من أساس الإنشاء الفني فيما نريد أن نقرره (راجع مثلاً القسم الخاص بالرقص في التوطئة المذكورة)

٢ — يعود الأستاذ متولى إلى الرمزية الصوفية التي في التوطئة الفنية البلينة فيقول مخاطباً صاحب المسرحية : « ألم تحدثنا بهذا أيضاً مع أنه وصف للتخول الصوفي الذي يؤلف بين الصور الباطنة المبهجة ويستخرج منها رموزاً يستعملها كما هي بعكس الرمز في الفن الذي يحصل من (تحليل الصور) والحركات والألوان ؟ »[1]

وإلى القارئ نص (ريبو) (ص ١٨٧ س ١٧ — ٣٠)

« إن مصدر طرافة المخيلة الصوفية أنها تحوّل الصور المبينة Images concrètes إلى صور رمزية فتستعملها على أنها كذلك comme telles لا كما هي ، ونوع تعبير المخيلة الصوفية لا بد له من أن يكون تركيبياً

وتختلف الرمزية الصوفية — بسبب هذا النوع وبالأدوات التي تستخدمها — عن المخيلة الشعورية affective التي وصفتها آنفاً (السيالة) وعن المخيلة الإحساسية sensorielle (يعني المصورة[2]) التي (تستخدم) الصور والحركات والألوان على أنها لها قيم خاصة »

فالقارئ يرى أن متولى عكس الكلام وقلب الحقائق ، إذ نسب إلى (المخيلة السيالة) ما نسبه (ريبو) إلى (المخيلة المصورة) من أن الصور والحركات والألوان « تستخدم » لديها ، (لا تحلل كما توهم متولى في الترجمة !) على أن لها قيما خاصة ، وقد

(١) نفس الكتاب السابق الذكر . القسم الثالث ، الباب الأول والثاني والثالث ، ص ١٤٧ ـ ١٩٧ .

(٢) مقال الأستاذ متولى الرسالة ٣٧٦ ص ١٤٤٩ س ١٠

(١) مقال الأستاذ متولى ـ الرسالة ٣٧٦ العمود الأول ص ١٤٤٩ س ١٨ ـ ٢١ .

(٢) تقدم بنا في عرض مذهب ريبو أن « المخيلة السيالة » قوامها الشعور ، affective في حين أن « المخيلة المصورة » قوامها الاحساس ، sensorielle . راجع كتاب « ريبو » ص١٥٤ س٣ـ٥ ، ص١٨٤ كلها

تقدم بالقارئ أن (المخيلة السيالة) ضد (المخيلة المصورة) وها نحن أولاء نسجل نص (ريبو) فى التفرقة بين هاتين المخيلتين كما هو وارد فى الكتاب المذكور ص ١٦٣ س ١ — ٢ ، ص ١٦٥ س ٤

Ainsi l'imagination dtffluente est, traits pour trais, le contraire de l'imagination plastique.

٣ — ويقول الأستاذ متولى : « ثم ما رأيك فى أن (ريبو) يقصد بالرمز فى الفن أن يفقد بعض الألفاظ استعماله المعقول المعروف ليدل على معنى جديد بينما أنت[1] »

وإلى القارئ نص ريبو « ص ١٧٠ » عند الكلام على أساليب الكتاب الرمزيين الذين يعمدون إلى الإيحاء فى التعبير ويترجمون بالألفاظ عن اضطراباتهم أكثر مما يترجمون عن تمثلاتهم : « الأسلوب الأول أن تُستَعمَل الألفاظ الجارية مع تبديل مدلولاتها المتعارفة ، أو أن يؤلف بينها بحيث تفقد معانيها المحددة ، وأما الأسلوب الثانى فاستعمال ألفاظ جديدة أو ألفاظ مهجورة ، وأما الأسلوب الثالث — وهو الأقطع هنا — فأن تجعل للألفاظ قيمة اضطرابية فحسب »

فأنت ترى أن السيد متولى استشهد بجزء من كلام (ريبو) ليؤيد نظره المغرض ، وإلا فكيف يبرر وقوفه عند الشطر الأول من الأسلوب الأول لكتّاب الرمزيين ، ثم تركه الشطر الثانى من هذا الأسلوب ، ثم الأسلوبين الآخرين ؟ !

سبب هذا الترك المتعمد ، ثم هـذه الترجمة البتراء ، أنه جاء فى توطئة (مفرق الطريق) أن مؤلفها يبعد الرمز عن التشبيه والكناية ومختلف ضروب المجاز — وهو ما قصد إليه (ريبو) فى الشطر الأول من الأسلوب الأول — وعلى ذلك فقد زيّن اعتساف النقد المغرض لمتولى أن يسقط من كلام (ريبو) ما لا يصح أن يكون عكازاً له ! !

٤ — وهناك خلط آخر ، والعجب ممنوع مقدماً ...

وقف القارئ فى عرضنا لمذهب (ريبو) على أن ريبو يدخل تحت (المخيلة السيّالة) بعض التصورات الدينية وبعض ألوان الفن . ويشرح ريبو كيف تدخل هـذه وتلك تحت المخيلة المذكورة . وقد عُنِيَ بأن يفصّل بينهما فى السياق ، فجاء كلامه على كل منهما قائماً بذاته (أنظر صفحة ١٦٦ — ١٧١) .

ثم إنه ضرب مثلاً على التصورات الدينية المخيلة الهندية التى تعمل عن طريق الرمز per symbolisme فتمثل الآلهة بعدة أرؤس وأذرع وأرجل لتدل على الفطنة والعزة اللتين لا حد لهما[1]

وهذا الأسلوب فى التمثيل والتعبير معروف ، وهو الرمز بشىء إلى شىء آخر ، وهو أولى فطرى ، ولا صلة له — من حيث الجوهر — بالرمزية فى الأدب (والتصوير) ، وهى الرمزية التى ضربها ريبو مثلاً على بعض ألوان الفن كما مر بالقارئ . وقد شرح ريبو هـذه الرمزية ، وبيّن أغراضها وطرائقها على حسب مظهرها ومخبرها قبل عام ١٩٠٠ ، فدل على أنها تقصد إلى الإيحاء فتبسط الإبهام على الأشخاص والأشياء حتى إنها تطلقها من قيود الزمان والمكان ، وربما لم يعين الأشخاص بأسماء فيقال : « هو » و « هى » ... (ص ١٦٩)

ذلك مجمل حديث (ريبو) ... أفيدرى القارئ ماذا صنع السيد متولى ؟ خلط رمزية المخيلة الهندية — وهى من باب الرمز بشىء حسى إلى شىء معنوى — بالرمزية فى الأدب التى تطلب الإيحاء من باب بسط الإبهام ! ! ودليل ذلك أنه استشهد بهـذه وبتلك ، وهو يتكلم على ما يسميه « الرمزية فى الفن » عند ريبو فجعل مصدرها واحداً ، أى « فن الرمزيين » ليأخذ على صاحب المسرحية أنه جعل الرمزية فى توطئته تعدل عن الرمز بشىء إلى شىء آخر ، إلى « استنباط ما وراء الحس من المحسوس وإبراز المضمر وتدوين اللوامع والبواده » ! !

والآن ألا يصح أن نقول لمتولى — وقد أخذ علينا مزهواً متطاوساً أننا لا نحمل شهادة ماجستير — إننا نحمد الله على هذا المكروه الجميل ما دام لم يسلمنا إلى ما هو غير جميل ، وأن نهمس فى أذنه بأن الألقاب العلمية ، مهما كبرت ، فإنها لا تخلق الرجل المخلص والأديب الحق ، وأن هذه الألقاب إنما تزهى بحامليها ، وإلا فهى تيجان من ورق على رؤوس من خشب ! !

أعتقد أن هذا تساؤل مشروع ، ما دام (الصديق) محمد متولى لم يتعوذ بالله وبالفن من التكلف لما لا يحسن والعجب بما يحسن ، ولم يتعوذ بالأدب من السلاطة والهذر !

زكى طليمات

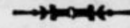
---

(١) مقال الأستاذ متولى . الرسالة رقم ٣٧٦ ص ١٤٤٩ ، العمود الأول س ٢٢ — ٢٣ .

(١) ص ١٦٩ « المخيلة الخلاقة » لريبو



صاحب السلطان



حملني من لا أطيق مخالفته من ذوى قرباى على مصاحبته لزيارة ذلك الذى أنعته بصاحب السلطان ، فبلغنا داره وقد متع النهار أول أيام العيد ...

واستقبلنا صاحب السلطان لدى مدخل حجرته ، ونظرت ـ وهو يمد يده للسلام ـ إلى وجهه المتنفخ المتورد، فإذا الذى يكون ابتساماً على غير وجهه من الوجوه لم يكن على وجهه هو إلا شبه ابتسام . وطاف برأسى خيال : ذلك أنه لا يبتسم قط إلا حين يضطره العيد إلى مثل ذلك النوع من الابتسام الذى بدا على وجهه كما يبدو الشيء فى غير موضعه

وجلسنا فأتممنا حلقة من الزائرين كانوا بين يدى صاحب السلطان قبل مقدمنا ، ودرت بعينى أو على الأصح درت بمنظارى فى نواحى الحجرة الفسيحة فعجبت لأول وهلة أن رأيت كل شيء حولى تشيع فيه الحمرة، فالبسط حمراء لا أثر فيها لنقش، والأرائك حمراء ، والستائر حمراء ، ونقوش الجدر حمراء

واستقرت عيناى على وجه صاحب الدار ونظرت إلى شاربيه الغليظين المرهفين فوق شفته الضخمة وتحت أنفه الذى حرت فيه ، والذى لا أزال منه فى حيرة أهو الذى زاد الشاربين رهبة أم هما اللذان زاداه غلظاً وفخامة ! ولست أدرى لم قرنت وأنا أنظر إليه تلك الحمرة التى شاعت حولى فى كل شيء بلون الدم وكان الأحرى ونحن فى العيد أن أقرنها بلون الورد ! ولكن هيهات أن يتعلق خيالى بالورد وأنا أنظر إلى تلك السحنة والأحاديث التى سمعتها عن صاحبها تتواثب إلى ذاكرتى فى نشاط عجيب وتتداعى صورة إلى صورة كلما بدت منه حركة أو ارتسم على محياه معنى ... ولو أن الورد الجنىّ كان فى تلك الحجرة ساعتئذ لما رأيت فى الورد نفسه إلا لون الدم !

وأسند صاحب السلطان ظهره إلى المقعد فظهر بطنه المتكرش أعظم ضخامة ، ونزل بذقنه حتى مست صدره فبدت لغاديده أعظم هولاً ، وتكلم فإذا صوت كأنه صوت الطبل إذا نقر ينبعث فى الحجرة وفيه على نكره صلف ، فهو يتضخم مرة فى الحنجرة ، ويبدو مرة أخرى كأنه ينبعث من الأنف وتسبقه فى كل مرة غمغمة يربد معها وجهه ويبدو الشر فى عينيه كأنما يتهيأ لما اعتاده فى غير ذلك الوقت من سباب

وينصت من فى الحلقة وكأن أكثرهم من فرط اهتمامهم كأنهم يستمعون إلى من يتلو عليهم حكم الإعدام ، اللهم إلا حين كان يشرق وجهه قليلاً إذ يزهى بما يتلو عليهم من غالى الحكم فيبتسمون ابتسامات عريضة ، ويتنافسون فى عبارات الموافقة والإطراء والإعجاب وإن لم يفقهوا شيئاً من حكمه الغوالى !

وتقاطر الزارعون والفلاحون للسلام على « البك » فكان يخلع الرجل منهم نعليه عند عتبة الحجرة ويسير حافياً على البساط الأحمر كأنما يخطو على نطع ليضرب عنقه: ففى وجهه من معانى الفزع ما لم يخفف منه إلا تذكره أن اليوم يوم عيد ، فإذا بلغ إلى حيث يتكئ البك ، ومد إليه البك أطراف أصابعه تناولها وانكب عليها فلثمها ورجع خطوتين دون أن يدير ظهره ، ومشى إلى الباب فلبس حذاءه وكأنه ألقى عن كاهله عبئاً أى عبء

وكان البك ينظر إلى كثيرين منهم نظرات ذات معنى فكأنما يذكر هذا بما بقى عليه من الإيجار ، وكأنما يتوعد هذا حتى ينتهى العيد ، وكأنما يستنجز غيره ما وعد ، وكأنما يقول بعينيه لآخر إنه لولا العيد لما سمح له بالدخول عليه ؛ إلى غير ذلك من المعانى التى كانت توحيها إلى نظرات هذا المتجبر المتكبر

وازدادت الحلقة واتسعت إذ انضم إليها من يجرؤون على مجالسة البك أو من يستطيعون ذلك فى العيد على الأقل ؛ وكان يسلم على كل قادم بمقدار ما له من مكانة ولو فى عرف الناس ، فهو مقتنع بما تنطوى عليه تحياته من معانى الشرف، ولذلك فهو ضنين بها عن الابتذال فلا يجود منها حتى فى العيد إلا بمقدار

وأدار صاحب السلطان الحديث إلى الحرب ، كأنه وقد رأى فى زائريه بعض المطربشين يريد أن يبرهن للجميع على أنه وإن كان من غير أبناء المدارس إلا أنه يعلم من أمور الدنيا ما يغيب أكثره عن الكاتبين القارئين .

وبدأ بألمانيا وانطلق يتحدث وأنا أعانى فى كتمان الضحك ما أعانى وأتمنى أن يجود البك بنكتة من سخيف نكاته لأفرغ فى جلبة الحلقة ما بنفسى من ضحك مكتوم كم خشيت أن ينطلق

على رغمي فأكون موضع استنكار الجالسين

ومالي حيلة فى أن أصور للقارىء كلامه وحسبك مما أذكره أنه كان يتحدث عن (هلتر) كما يسميه كما لو كان يتحدث عن أبي زيد الهلالي والزناتي خليفة وعنترة بن شداد وأضرابهم من المغاوير

ويحرص البك أشد الحرص ويتوخى الدقة إذا تحدث عن أقطار الأرض وإن كانت سويسرا وسوريا عنده شيئاً واحداً وإن كانت كندا لتتاخم الهند ، وإن كانت دولة البلقان لمن أعظم دول الأرض ، وإن كانت استراليا لتقع جهة السودان ، وإن كان جبل طارق لذات ثروة عظيمة وبخاصة فى القمح والقطن ، وذات خطر يحسب له ألف حساب ، إلى غير ذلك من الأدلة على سعة علمه بجغرافية هذا الكوكب

ولن يقل علمه بالتاريخ عن علمه بالجغرافية، يتجلى ذلك فى سبب تفضيله هتلر على نابليون ، فنابليون كان يحارب منذ أكثر من خمسمائة سنة فكانت أمامه أمم ضعيفة، أما (هلتر) فإنه يحارب انجلترة التى ملكت العالم وسادت البحار

ويحاول البك أن يتكلم العربية كما يفعل المتملون ، فيأتى بضروب من القافات لم يسبقه فيهـا سابق ولن يلحقه لاحق إن شاء الله . فالقسطول الإنجليزى قسطول هائل ، وقيران دولة صديقة لنا ... إلى غيرها مما أخشى إن ذكرته أن يحمل على المبالغة

وينتقل صاحب السلطان إلى المباهاة بجاهه فيما يذهب فيه من ضروب الحديث ؛ فيصف كيف يقف له سعادة المدير إذا دخل عليه ؛ ويذكر من شملهم بعطفه فعينهم فى وظائف مشيراً إلى أنه إنما فعل ذلك لا يقصد غير البر والإحسان ؛ ويفخر بمن يزور داره من الحكام ومن وجوه البلاد . ويقص الأقاصيص عن خوف رجال الشرطة منه ، وآخر ما حدث له معهم أنهم ما كادوا يعلمون أن الحمير « المسلوخة » التى قبضوا عليها منذ يومين ملك له حتى أطلقوا سراحها معتذرين ! ! وأنهم عاجزون عن أن يقبضوا على رجل من رجال عزبته إلا بأمره ؛ وبدهى أنهم متى عجزوا عن الحمير كانوا عن الرجال أعجز

وتكلم عن الفلاحين ، وناهيك بحديثه عن الفلاحين ، فله فى ذلك من جوامع الكلم ومن أصول الاجتماع ما يعجب ويطرب ؛ خذ مثالاً لذلك قوله : « اضرب الفلاح على رأسه تأكل خيره » ؛ وقوله : « الفلاح جنس ما يستهاش النعمة » ، و « الفلاح يخاف ولا يختشى » . ولقد كان يذكر هذه العبارات فى لهجة الخبير الواثق الذى لا يقبل فيها جدلاً ؛ وهل كان فى الجالسين من يجرؤ على جداله ؟ !

وتداعت الصور فى ذهنى وهو يتحدث عن الفلاحين ، فتذكرت منظره وهو بين المزارع تركض به دابته وخلفه فلاح يجرى والعرق يقطر من جبينه وإنه ليلهث كما يلهث الكلب . وتذكرت أنى رأيته يركل رجلاً توسل إليه أن يترك له بضعة قروش بقية إيجار لضيق ذات يده ، ركلة قلبته على ظهره . وتذكرت أنه أمر بجماعة من الفلاحين فطاف بهم أعوانه القرية عراة بعد أن ألقيت ملابسهم فى النار لأنهم اعترضوا سيارة قريب له على غير علم كانت قد دهمت جاموسة لأحدهم . وتذكرت أنه ما من فلاح يستطيع أن يحجز الماء ليصرفه إلى حقله حتى تروى أرض البك كلها وإن تركت أرضه هو قاحلة جرداء

وحمل البك حملة قاسية على ما يسمونه الحرية ورد إليها أسباب جميع الجرائم ولعن العصر وسخافاته وترحم على الأيام الماضية أيام لم يكن يسمع أحد بحرية وانتخاب «ولا كلام فارغ زى ده» ونسى أنه كان نائباً مرتين !

وانصرفنا من لدنه وأنا أقول فى نفسى إذا كان مثل هذا يتصدى للنيابة عن أولئك الفلاحين، وإذا كان يفكر هذا التفكير فى هذا العصر ، فياضيعة العلم ويا خيبة الآمال .

الخفيف

فيض الخاطر

قرأ الاستاذ أحمد الزين كتاب « فيض الخاطر » للأستاذ أحمد أمين فأعجب به وحياه بهذه الأبيات :

قد سحرت النهى بسحر مبين	فاتق الله يا يراع « أمين »
وسلبت القراء أفضل ما أو	دعه الله فى سليل الطين
وعجيبٌ لسارق حَدُّه الشر	عُ فينا تقبيل تلك اليمين
جنة فى يراعك الخصب تُؤتى	أُكلها طيب الجنى كل حين
قلم لم يقده فى الطرس إلا	رفع شك أو اجتلاب يقين
ما جرى مرة بغل ولا تبصر	يوماً بحده من طعين
ويميناً لو أنهم أنصفوه	كتبوا فيضه بماء العيون

الملــــق ...

للأستاذ الشاعر الراوية أحمد الزين

يا لِسانَ الحقِّ لاَ تَنطَلِقِ   فازَ بالْحظوَةِ أهْلُ المَلَق
عَلِّمونَا يا أُولِي الحُظْوَةِ مَا   قَدْ عَلِمْتُمْ مِنْ طِلاءِ الخُلُق
وامْنَحُونَا ذَلِكَ الصِّبْغَ الّذِي   يُظْهِرُ الحُسْنَ وَيُخْفِي مَا بَقِى
أوْ فَدُلُّونَا عَلَى صُنَّاعِـهِ   نَجْتَلِبْهُ بِبَقَـايَا الرَّمَق
أىُّ صِبْغٍ ذَاكَ مَا أعْجَبَهْ   صَادِقُ الغِشِّ وَإنْ لَمْ يَصْدُق
ألْبَسَ الشَّمْسَ ظَلاَمًا دَامِسًا   وَكَسَا الظُّلْمَةَ شَمْسَ المَشْرِق
عَلِّمُونَا نِصفُ المَرْءِ بِمَا   لَيْسَ فِيهِ مَنْ يُنَافِقْ يَنْفُق
يَمْنَحُ الفِطْنَةَ أغبَى خَلقِهِ   وَالذَّكَاءَ المحضَ رَأْسَ الأَحْمَق
إنْ سَمِعْنَا نَاهِمًا قُلْنَا لَهُ   إيهِ يا مَعْبَدُ بالصَّبِّ ارْفُق
لا تَقُلْ أفْنَيْتُ عُمرِى دَائِبًا   وَبَذَلْتُ الجُهْدَ جُهْدَ المُرْهَق
لَيْسَ لِلدَّائِبِ حَظٌّ بَيْنَهُمْ   لاَ وَلاَ الجُهْدَ سَبِيلُ المُرْتَقى
تَزِنُ العُمْرَ وَعُمْرًا مِثْلَهُ   لحظَةٌ تَبْذُلُهـا فى المَلَق
فاسْتَبِقْهَا فُرْصَةً إنْ سَنَحَتْ   إنمـا الفُرْصَةُ لِلمُسْتَبق
لاتقُلْ سُهْدِى وَجُهْدِى عُدَّتى   إنمـا الجُهْد عَتاد الأخرَق
إيهِ يا عِلْمِىَ عُدْ جَهْلاً عَسَى   يَنْهَضُ الجَهْلُ بِحَظٍّ مُوثَق
يا ذَكَائِى عُدْ غَبَاءً أسْتَرِحْ   بِغَبائِى مِنْ شَقَاءٍ مُطْبِق
كَمْ كِفَايَاتٍ نَفَاهَا قَوْمُهَا   وَجُهُودٍ أُلْقِيَتْ فى الطُّرُق
وُضِعَتْ فى مَوْطِىءِ النَّعْلِ وَلَوْ   أنصَفُوهَا وُضِعَتْ فى الحَدَق
فَأْتِ عَلْيَاءَهُمُ مِنْ بَابِهَا   لا تُضِعْ عُمْرَكَ بَيْنَ الوَرَق
لمْ أَكُنْ فى نَعْتِهِمْ مُخْتَلِقًا   لَعْنَـةُ اللهِ عَلَى المُخْتَلِق
عَلِّمُونَا إنَّنَا فى بَـلَدٍ   فِيهِ مَنْ لمْ يَتَمَلَّقْ يُمْلِق
أَوْدَعُونَا فَلَكُمْ دُنْيَا الغِنَى   إنمـا نَحْيَا بِدُنْيَا الخُلُقِ !

أحمد الزين

الحب ...

للأســتاذ فؤاد بليبل

الحُب أسْعَدَنى وَالحُبُّ أشْقَانى   أبكى وَأَضْحَكُ مِنْهُ اليَوْمَ فى آنِ
وَيْلِي عليهِ وَوَيْلِي مِنهُ مِنْ أَلَمٍ   عَذْبٍ وَآسٍ شَفَي نَفْسى فأضنانى
طَغَى عَلَى القَلْبِ عِربيدًا فَقُلْتُ لَهُ
يَا حُب رِفقًا بهذا الخافِقِ العانى
فِيكَ الشِّفَاءُ وَمِنكَ الداءُ أجمَعُهُ   كَفَاكَ أنَّكَ أنتَ الهادِمُ البانى
حَتَّامَ تُخمِدُ من وَجدى وَتُشعِلُهُ   وَتَلتَقِى فيك أفرَاحى بأحزَانى
يا مَنهلاً ظَلَّ يَرْوِيني وَيُعطِشُنى   رحماكَ رِفقًا براوٍ مِنكَ عطشان
قالوا هو البُعدُ قد يُنسِيكَ لَوعَتَهُ   وَكُلَّمَا زَادَ بُعْدِى زادَ تَحنانى
أبغى السُّلُوَّ ولا أبغيهِ وا أسفا   قلبٌ تنازعَهُ فى الحبِّ ضِدّانِ
وللصَّبابةِ أحكامٌ رَضِيتُ بها   ما كانَ أسعدنى فيها وأشقانى
أُحِبُّ لِلحُبِّ لا أبغى به غَرَضًا   لو كانَ يَرْحَمُ أحشائى وأجفانى
أنا الوَفِىُّ وَعَهْدِى لا يُغَيِّرُهُ   بُعْدُ المَزَارِ وَعَذلُ العاذِلِ الشانى
فإنْ أرَدْتِ دَليلاً فاسْألى أرَقى   سُهْدِى دَليلى ودَمعى خيرُ بُرهان
يامن أُحِبُّ وَأخشى أن أُسَمِّيها   لا يُثنِينى عنكِ اليومَ من ثان
فلا تقولِي فتًى لُبنَانُ مَوْطِنُهُ   هَلِ الكِنَانَةُ كانتْ غيرَ لُبنان
إنْ يَنْبُ بى وَطَنٌ نفسى الفِداءُ لهُ   لم يَنْبُ بى فى رُباها مَوْطِنٌ ثان
ياجارَةَ النِّيلِ ما أهْلوكِ لوْ عَلِمُوا   إلا رِفاقى وَإخوانى وأعوانى
يَمَّمْتُهُمْ فإذا بى منهم وإذا   بالرَّبعِ رَبْعي وبالأوطان أوطانى
أنا الغريبُ بآرائى وَرَوْعَتِها   وَصِدقِ قَوْلى وأشعاري وألحانى
أنَا الغَرِيبُ بِرُوحى بَيْنَ منْ جَعَلوا
لِلحُبِّ مَعْنًى وَضيعًا غيرَ رُوحانى
أنا الغريبُ غريبُ الدار فى وَطنى
ما بَيْنَ أهْـلى وأحبابى وأخدانى



بعد دنانير

عودى فاصحى يا أم كلثوم

للأستاذ عزيز أحمـــد فهمى

أم كلثوم . عبد الله أباظة . عبد الحليم محمود . زكريا أحمد . محمد القصبجي . رياض السنباطى . أحمد رامى . أحمد بدرخان . عباس فارس . سليمان نجيب ...

هؤلاء جميعاً ومعهم غيرهم تعاونوا فى إخراج « دنانير » . وهؤلاء وغيرهم الذين معهم ، جميعاً ، من جبابرة الفن فى مصر ، سواء منهم الذين يغذون الفن بالمال ، وسواء منهم الذين يغذون الفن بالفكر والجهد ، وسواء منهم الذين يغذونه بالشعور والحس

ومع يقينى بهذا ، واعترافى به ، فإنى أريد أن أقول إن فلم « دنانير » الذى تعاون فيه هؤلاء كلهم ومعهم غيرهم . . . فلم فاشل ميت ! فكم من القراء يا ترى سيصدق قولى هذا ويعترف لى بالحق فيه؟ وكم منهم سيقول: «أسكت الفتون عن عبدالوهاب فاندار على أم كلثوم ! »

فليقل من يريد ما يشاء أن يقول ، فأنا مرتاح إلى حكمى هذا ، كما أنى أضمن مع صوتى فيه صوتين اثنين على الأقل ، هما الصوتان الصارخان فى انكتام ، المنبعثان من صدرى عبد الله أباظه بك والأستاذ عبدالحليم محمود المنفقين على الفلم والمغذيانه بالمال . فقد كانا من غير شك يؤملان فى ربح كبير يدره عليهما هذا الفلم ليبعث فى نفسيهما بمده التشجع على إخراج غيره وغيره تحقيقاً لما ينزعان إليه من النهوض « بصناعة السينما » على اعتبار أنها صناعة مصرية ناشئة ، وعلى رجاء فيها لو نمت وترعرعت وازدهرت أن تنمو معها الفنون الجميلة جميعاً فى مصر وأن تترعرع وأن تزدهر ، فالسينما هى المرض الحى الباقى المتنقل الحفيظ على إنتاج الروح من أدب ، وتمثيل ، وموسيقى ، وغناء ، وتصوير ، وزخرفة ، وهندسة ، وتزيين ، ورقص ، وإخراج وغير ذلك ... وكلما راج هذا المرض راجت بضائعه ، وكلما راجت بضائعه انتعش تجارها من أصحاب الفنون المختلفة ، وكلما انتعش هؤلاء سرى الانتعاش من أرواحهم إلى أرواح جماهيرهم ، وكلما شمرت أرواح الجماهير بفرحة الفن ونشوته انتفضت أعصابها وارتمشت فيها الحياة ، وعندئذ يرجى من هذه الجماهير الخير ، وعندئذ تراها الدنيا وهى شعوب مقبلة على حياة العمل والحركة والتوثب والسمو

وعندنا المثل على هـذا . . . أمريكا . فأبرز ما فى صناعاتها السينما ، وأبرز ما فى أخلاقها النشاط الذى يكاد يكون جنوناً

... هذه من غير شك آمال كانت تخفق بها نفس عبد الله أباظه بك ونفس الأستاذ عبد الحليم محمود ، ونزوعاً إلى تحقيقها أنفقا ما أنفقا فى إخراج هذا الفلم ، والذى أنفقاه لا بد أن يكون مبلغاً ضخماً جداً من المال ، فمناظر الفلم وأثاثه ورياشه وملابسه كلها مما يقصم الظهر إعداده وتجهيزه ، وأجر المؤلف وأجر المخرج وأجور الممثلين وإن كانت تقل بكثير عن أمثالها مما يدفع لزملائهم فى الخارج فهي من غير شك كانت فى مجموعها مبلغاً لا يستهان به ، وأجور الملحنين هى وحدها لا أستطيع أن أقول إنها كانت شيئاً مذكوراً فهؤلاء وحدهم هم المظلومون الذين يعطون مادة الغناء للأفلام الغنائية التى ترتكز على الغناء أول ما ترتكز

ضحت شركة أفلام الشرق ما ضحت فى سبيل دنانير ، وجمعت لأم كلثوم كل القوى التى حسبتها كفيلة بإبلاغ الفلم إلى درجة الكمال التى تتوق إليها ، فإلى أى حد أدت كل قوة من هذه القوى واجبها ، وحملت أمانة القسط المعهود إليها به ؟

وقبل أن أقول كلمتى المزبلة فى هـذه القوى وفى أم كلثوم من فوقها يجب أن أذكر لشركة أفلام الشرق تضحية أخرى غير

يا مُنْيَةَ الرُّوحِ حَسْبي فى هَوَاكِ ضَنَى
رُدِّى عَلَى الجَفْنِ صَوْبَ المَدْمَعِ القانى

رُدِّى عَلَيَّ شَبابى وارْحَمِى كَبِداً — غَادَرْتِهَا نَهْبَ آلامٍ وأَشْجَانِ
صِلِى مُعَنَّاكِ لا تَخْشَىْ عَوَاذِلَهُ — قَوْلُ العَوَاذِلِ مَوْسُومٌ بِبُهْتَانِ
لا تَحْرِمِينِيهِ عَطْفاً عَزَّ مَطْلَبُهُ — كَفَى بِنَفْسِى شَقَاءً طُولُ حِرْمانى
أنْ يُنكِرِ الأَهْلُ والخِلّانُ مَوْقِفَنا — لا الأَهْلُ أهلى ولا الخِلّانُ خِلّانى

(دار الأهرام) فؤاد بليبل

التضحية المالية ، بذلتها راضية عن حب وكرامة لتوفر لأم كلثوم كل أسباب الراحة والاطمئنان فى العمل ، تلك التضحية هى أنها أخضعت إرادتها لإرادة أم كلثوم فى اختيار هذه القوى التى ساندتها وعاونتها ، اللهم إلا واحداً فقط تشبثت به عبد الله أباظه بك وهو زكريا أحمد فقد كان على خلاف مع أم كلثوم ، وأباظه بك هو الذى ذلل هذا الخلاف وأزاله ...

أم كلثوم أولا

والآن ... ما الذى حدث لأم كلثوم حتى أنها استحالت فى نظرى من فنانة تشبع النفس إشباعاً مريحاً إلى هذه الجديدة التى حين سيطرت على عمل فنى كبير مثل « دنانير » خرج من تحت يدها وهو فاشل ميت مع وفرة المال الذى بذل فيه وطواعية المعاونين الذين عاونوها فيه ... ؟

لا بد أن يكون قد حدث لأم كلثوم شيء أصاب نفسها وقعد على روحها ؟ فما هذا الذى حدث ؟ وما هى دلائله ؟ !

الكاميرا صاحبة العين النافذة تقول لنا ما الذى حدث !

قالت لنا الكاميرا إن أم كلثوم اغترت ، وإن إحساسها ركد ، وإن بدنها طغى على روحها ، وإنها استمرأت التكلف والتصنع حتى نضبت سجيتها وجفت عواطفها ؛ فانحرمت من الفرح تبعاً للذى أرادته من الامتناع على الألم . وقد قالت لنا الكاميرا أيضاً إن أم كلثوم - لها الله - قد تحجرت

أما غرور أم كلثوم فشيء رأيته شائعاً فى الفلم ولكنى لم أستطع أن أطبق على عنقه متلبساً بحادثة ، لأجره وأقفه أمام الأنظار وهو عريان . فللذين يريدون أن يروه أقول إن عليهم أن يشاهدوا الفلم ليتحسسوه فقد يلمسونه

وأما ركود الحس فقد قبضت عليه متلبساً بحادثة ، وقد ظهر على أم كلثوم فى موقفها مع الخليفة حين كانت تستعطفه على جعفر فما بدا فى هذا الاستعطاف إحساس بجعفر ولا بها ولا بالخليفة . وإنما الذى بدا منها فى هذا الموقف اهتزازات وغمزات بالكتفين وهمزات فى الصوت لا يمكن أن تصدر من موجع يستعطف لمنكوب ؛ وإنما هى قد تصدر من جارية تترى مولاها إذا هجرها

وأما طغيان البدن فظاهر فى هذا الموقف أيضاً لأنه مصاحب لركود الحس ؛ فكل من ركد حسه طغى عليه بدنه ، وهو ظاهر كذلك فى مواقف أم كلثوم الغنائية جميعها . فقد كانت تتنى وتحرص كل الحرص على أن تضم شفتيها وتصغر فمها فلا تفتحه مهما تطلب الغناء أن تفتحه ، كأنما كانت تخشى أن يرى الناس فمها واسعاً ؛ وكأنما كانت تخشى أن يرى الناس شفتيها غليظتين ؛ مع أن أهل الفراسة يقولون إن الفم الواسع والشفاه الغليظة من لوازم الغناء ، لأنهما عضوان من الأعضاء التى يتكون منها جهازه البدنى

ولأن أم كلثوم قد فعلت فعلتها هذه ، فقد كانت الألحان تخرج من بين شفتيها مخنوقة مصفاة الدم مجهدة الروح ، ولو كنت أنا زكريا أحمد لطالبت أم كلثوم بتعويض كبير ، لأنها خنقت لى لحن « بكره السفر » - على الأقل - فهو لحن كان من حقه أن يذيع فى مصر من أقصاها إلى أقصاها اليوم لو أن أم كلثوم أرسلته حياً نابضاً كما أعطى لها ...

وليس « بكره السفر » وحده هو اللحن الذى قتلته أم كلثوم ، وإنما هى سامحها الله قد قتلت ألحان الفلم جميعاً ، فبعضها مات موتاً ، وبعضها أغمى عليه ، وبعضها أصيب برضوض وعاهات

أما التكلف والتصنع فقد سجلته الكاميرا على أم كلثوم فى هذا الذى رأيته ، كما سجلته مع هذا فى كل موقف من مواقف الفيلم تبسمت أم كلثوم فيه ... فابتساماتها لم تكن إلا هذه الابتسامة الجامدة التى عرفت بها السيدة بديعة مصابنى

لقد كانت هذه الفتاة من عامين فقط حقيقة كالحلم الذى يطوف بروح القديس ، فأصبحت اليوم حلماً كالحقيقة التى لا تطوف بروح القديس ...

أختاه ... لا تقولى ما لهذا الولد يتصدى لنفسى ؟ فإنى لا أعرف سبيلاً إلى نقد الفن إلا نقد النفس ، لأنى لا أعرف الفن إلا على أنه ثمرة النفس ، ولست أعرف هذا من كتاب قرأته ، ولا من « هبسلتى » ولا من « شرونتسكى » ، وإنما عرفته منك ومن غيرك ممن أتلقى غذاء روحى عنهم

فافهمينى ، واسمعى كلامى ، وعودى واصحى ...

وإلى اللقاء ... إذا شئت

المؤلف

هو الأستاذ أحمد رامى ... والأستاذ أحمد رامى لا يؤلف شيئاً فى هذه الأيام إلا إذا طلب منه هذا الشيء

وأظنه لا يستطيع أن يقول إنه يدخر فى نفسه أفكاراً وأحاسيس يرسلها حين يطلب منه ويؤلف ، وهو لو قال ذلك لما صدقه أحد ، لأن فلم دنانير لا يزال معروضاً على الناس وقصته ها هى ذى أمامنا حوادث هادئة متتابعة ومناقشات متتالية

ليس فيها مفاجأة واحدة تصدم الفكر العادى مما يمكن أن يقال إنها من مدخرات كاتب فنان ...

وقد نبلغ للأستاذ رامى هذا كله إزاء أبيات قليلة من الشعر أفلتت منه حية إلى حد ما ، كما أننا قد نقبل هذا كله لأن الناس اتفقوا فيما بينهم يأساً وقنوطاً على أن هـذه الأفلام الغنائية لا يرجى فيها الموضوع ولا يقصد فيها إلى الاستمتاع بالأدب ... ومع أنى لا أحب أن آخذ بهذا فإنى آخذ به إرضاء للأستاذ رامى

الإخراج

إذا كان الإخراج هو التنسيق والتزيين والترتيب فإن الأستاذ أحمد بدرخان قد وفق فى دنانير إلى إدراك هذا كله

أما إذا كان الإخراج هو نفخ الروح فى التمثيل والممثلين ، فإن الأستاذ أحمد بدرخان لم يوفق إلى شىء منه ، وكان طبيعياً ألا يوفق الأستاذ إلى شىء منه لأنه إنما اختير لإخراج هذا الفلم اعتماداً على أنه رجل هادئ الطبع يرضى من يعمل معهم قبل أن يرضى نفسه . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعتبر كل ممثل فى هذا الفلم مسئولاً عن نفسه وعن تمثيله

التمثيل

عباس فارس ... قلت إنه يجوّد ، وقد جوّد دور الخليفة وإن كان استهله استهلالاً بدا انجليزياً فى المشية والجلسة والإشارات والحركات ، وقد ساعدته على هذا الموسيقى التى وضعها الأستاذ الشجاعى لهذا الاستهلال ، فقد كانت هى أيضاً موسيقى أفرنجية بحتة لو أغمض الإنسان عينيه واستمع إليها لتذكر فرانسوا الأول ، أو فردريك الأكبر ، أو شارلمان ، أو ملك من الملوك إلا هرون الرشيد العربى ...

سليمان نجيب ... قد يؤلمه أن أقول إنى أراه فى التمثيل كما أرى إخواننا من طلبة الجامعة أعضاء فرقتها التمثيلية . ولكن هذا رأيى، ولم يكن لرأيى فى يوم من الأيام قيمة تؤثر على مكانة إنسان ما ...

عمر وصفى ... كان عظيماً فى دوره القصير . دور أبى دنانير

فؤاد شفيق ... كان مكتوفاً فى دور أبى نواس . أراد أن يمثل شيئاً ولـكن المؤلف أقعده .

التلحين

« بكره السفر » هو غرة الألحان فى هـذا الفلم . فهو لحن حى راقص منساب سلس مطرب ثم إنه قبل هذا وذاك لحن شرقى . وهو من ألحان زكريا

« قولى لطيفك ينثنى » غنته أم كلثوم ثلاث مرات بثلاث تلاحين ، وهذا مجد فنى لا يجرؤ عليه إلا زكريا أحمد

« لحن العيد » من ألحان السنباطى الحلوة لولا أنه بعيد عن روح عصر الرشيد

« لحن النبع » من ألحان القصبجى التى اعتاد أن يملأها هندسة وتفكيراً يستعيض بهما عن العاطفه التى اختطفت منه ...

انى أعتذر

وأخيراً ... لا بد لى من أن أعتذر عن هذا النقد القاسى ، فأنا أعلم أن الذى يقرأه من غير أن يشاهد الفلم ، ويكون ممن يصدقوننى ، سيحكم على الفلم ـ بحكمى . . .

ولذلك أبادر فأقول : إن فلم دنانير لا يزال فى طليعة أفلام الدرجة الأولى التى أخرجت فى مصر ، وإنه يستحق أن يشاهد مرتين وثلاثاً وأربعاً ... وإن الذى يشاهده لا ريب سيخرج منه بمتعة ومتعة ومتعة. ولـكننى إذ أقف أمامه هذه الوقفة المنكرة أرجو أن يصادف كلامى آذاناً مصغية، وقلوباً واعية ، فإذا تحقق هذا انتفت من أعمالنا الفنية هذه العيوب التى أعيبها وأحب الخلاص منها .

وقد كنت أستطيع أن أمالئ هذا الفلم بكلام يرضى أصحابه ولكننى أعلم أنهم فى غير حاجة إلى المالقة ، فهم ليسوا صغارا ، وليسوا ضعافاً ، وليسوا فقراء إلى مثلى ... بل ربما كنت أنا الفقير إليهم ، أغنانى الله عنهم ...

وعلى هذا فإنى أهدى إليهم تهنئتى القلبية الصادقة ، كما أؤكد لهم أن « الرسالة » ليست مسئولة منى عن هذه القسوة ، وكما أعيد عليهم قولا قالته « الرسالة » يوماً نقدت فيه « جندول» الأستاذ عبد الوهاب ، وهو أنه فى أغلب الظن ليس كثير من النقاد ينضم إلىّ فى رأيى . . .

عزيز أحمد فهمى



أغلاط نحوية وصرفية

قرأت فى « الرسالة » كلمة للأستاذ محمد عبد الغنى حسن عن استهانة الجمهور بقواعد اللغة العربية ، وقد ضرب الأمثال بما يقع من الأغلاط النحوية والصرفية فى الإعلانات ، وتلطف فقدّم إلىّ تلك الأمثال «هدية متواضعة» لأطِبّ لها ولنظائرها فى المدارس الأجنبية ، كأن إنشاء الإعلانات بالعربية مقصور على المتخرجين فى تلك المدارس !

وأجيب بأن الأستاذ قد اشتط فى تصور لغة الإعلانات ، فمن القبيح حقاً أن يُنصب جمع المذكر السالم وملحقاته بالواو فيقال « ثلاثون » فى مكان « ثلاثين » كالذى وقع فى الإعلان الذى نص عليه ، لكن من الواجب أن نتسامح حين نرى الإعلان يقول :

« نظراً لكونه صنف جيد »

فنصْبُ كلمة «صنف» فى خبر الكون من الدقائق النحوية ، وهى لا تُطلَب من موظف صغير فى مخزن بنزين أو مخزن سمان ، وكيف وهى من الألغاز عند طلبة الأزهر الشريف ؟

ولو أن الأستاذ تأمل لعرف أن الموظف الذى نصب ثلاثين بالواو لم يقصد إلا الإفصاح ، فهو يسمع الناس جميعاً يقولون ثلاثين ، ومن هنا صحّ عنده أنها لا تكون منحّاة إلا إن كانت « ثلاثون » لأنه يتوهم أن العامىّ هو الذى يسير على ألسنة الناس !

ومثل ذلك ما وقع فى الاعلان عن رواية سينمائية اسمها :

« الرجل ذو الوجهان »

وما رسمها الخطاط كذلك إلا لتوهمه أن « الوجهين » عامية لأن الجمهور لا ينطقها فى لغة التخاطب إلا بهذه الصورة فى جميع الأحوال

والحق أننا نسرف فى محاسبة الناس على الأغلاط النحوية والصرفية ، ولو أنصفنا لعرفنا أن التمكن من النحو والصرف لا يتيسّر لجميع الناس . وإلى هذا الصديق أسوق العِبرة الآتية :

كان من عادتى حين يتحدث رجل مسئول فى الاذاعة اللاسلكية أن أستمع وبيدى قلم وأمامى قرطاس لأسجل ما يقع فى الحديث المذاع من الأغلاط النحوية والصرفية ، ثم أطلب المتحدث بالتليفون فأنبهه إلى تلك الأغلاط برفق ، إن كان من الأصدقاء ، أو أشير إليها فى مقالاتى إن كان « أيضاً » من « الأصدقاء »

ثم اتفق أن أذاع الأستاذ الدمرداش مراقب الامتحانات بوزارة المعارف حديثاً عن رحلة فى « وادى دجلة » شرقىّ القطر فاستمعت وبيدى قلم وأمامى قرطاس ، وما زلت أعدّ الأغلاط النحوية والصرفية حتى مللتُ ، مع أنى أصبر الرجال على المكاره وأقدرهم على تحمُّل الأرزاء

فكيف كانت حالى بعد ذلك ؟

هل ترانى نفضت يدى من الثقة بكفاية الأستاذ الدمرداش مراقب الامتحانات بوزارة المعارف ؟

وكيف وهو رجلٌ فاضل بشهادة الجميع ؟

لم يتغير رأيى فى الأستاذ الدمرداش من حيث إنه موظف كبير يؤدى واجبه بنشاط ملحوظ، وإنما اكتفيت بإضافته إلى من تصعب عليهم مراعاة قواعد اللغة العربية فى الخطابة والحديث

وهل ادّعى الأستاذ الدمرداش أنه من أقطاب الأدب العربى حتى نحاسبه على الخطأ فى النحو والصرف ؟

يكفى أن يستطيع مثل هذا الرجل الفاضل أن يؤدى أغراضه بعبارة واضحة جلية ، وإن خلتْ من الدقة فى التعبير ، لأن الدقة فى التعبير لا تُطلَب ولا تُنتظَر إلا من أعيان البيان ، ومن كان فى مثل عقله لا يدّعى ما لا يطيق

قد يقال إن من حق التلامذة أن يطلبوا التغاضى عما يقع فى أجوبتهم من أغلاط يقع فى مثلها مراقب الامتحانات بوزارة المعارف

وأجيب بأن هذا اعتراض مردود ، فالأستاذ الدمرداش بَعُد عهدُه بقواعد النحو والصرف ، ولا يُطلَب فيمن كان فى مثل حاله غير الوصول إلى الغرض بأسلوب مفهوم وإن كان غير دقيق

ولم يكن الأستاذ الدمرداش أول مَن حار بين الخطأ والصواب ، وإنما اتخذتُ الشاهد مما وقع فى حديثه الجميل ،

لأنه رجل تهمه الدقة فى كثير من الشؤون ، ولأنه بحكم وظيفته المالية يسره — أو لا يؤذيه — أن يكون النقد صدقاً فى صدق

أما بعد فهل يكون اعتذارى عن الأستاذ الدمرداش إيذاناً بأنى أبيح حرية الخطأ فى النحو والصرف ؟ هيهات هيهات ، فلن يكون جميع الخطائين فى منزلة هذا الرجل المفضال !

زكى مبارك

الانتحار

سيدى الأستاذ الجليل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء :

يبالغ بعض الكتاب مبالغة غير معقولة فى التنويه بما بين الانتحار وبين المشاعر السامية من صلات ، حتى لقد قال أحد الشعراء المصريين :

وحدثت نفسه عيسى بقتلهما   وكاد أحد يقضى غير مذكور

وفى أعداد الصحف الأخيرة رسائل لكثيرين من الأدباء ينظرون فيها إلى الانتحار كأنه بعض فضائل المنتحر ، وذلك بمناسبة انتحار أديبين من أدباء الإسكندرية شملتهما رحمة الله

ولقد نشرت كبرى الصحف اليومية أن أحدهما لم يمت منتحراً بل كان يجرب مسدسه فانطلق . والقول منسوب إلى رجال من أسرته فى الذروة العليا من المجتمع المصرى الكريم

وسواء أكان ذلك أم كان غيره فإن الفاضل فاضل والنابه نابه بسبب أعماله وأقواله الطيبة لا بسبب انتحاره ، والانتحار إن كان سبباً للاشفاق والرثاء ، فما يصلح أن يكون سبباً للاعجاب ولا يجوز اعتباره عذراً عاذراً

ينسب إلى أحد الحكماء قول أظن الحكمة فى عكسه . وهذا القول هو أن الناس لا يموتون بل ينتحرون ، وهو يعنى أن الموت الطبيعى إنما يكون نتيجة لخطأ

وأحسب القول الصحيح أن المنتحرين لا ينتحرون بل يموتون ، لأن الانتحار لا يقع إلا والمرء مسلوب الحيوية فاقد التدبير فهو فى حكم الميت حين اختار لنفسه الموت

على أن العرف لا يقف عند هذا الحد من تقديره ، وبعض القوانين تنظر إليه نظرة أقسى

ومهما تكن النظرة إليه فإن التغاضى عن استنكاره يوشك أن يكون أذى لطائفة يبلغ بها العجز مبلغ التفكير فى الانتحار

للكاتب فى نجواه أن يجامل أفراداً ولكن عليه ألا ينسى أن المقال المنشور موجه إلى سواد القراء لا إلى نفر من الأصدقاء والأهلين ، وأن المقال المنشور يجب أن يصف شعور الكاتب نفسه نحو الحياة لا شعور من فارقوا الحياة نحوها

فإلى الذين قرأوا كلمة الأديب عبد العزيز سالم فى العدد الأخير من الرسالة بعنوان (الأدب والانتحار) تلك الكلمة التى تعقد الصلة بين الأدب وبين الانتحار وتحذر الأدباء من هذا المصير ، إليهم أقول :

يا شاكياً عنت الدنيا وقسوتها   دع لى الشقاء ودع لى فسحة الأجل

وإليهم أقول :

لو مدّ عمر الكون فى عمرى   لرميت هذا العمر بالقصر

وإليهم أقول :

انشق نسائمها فلم يك راحل   عنها لينتشق النسيم عليلا

أسأل الله أن يطيل أعمارهم وعمرى وأن يهبنا التدبير للخروج من المآزق من غير هذا الطريق ، ولا أسأل الله رد القضاء ولكنى أسأله اللطف فيه

عبد اللطيف النشار

إلى الأستاذ النشار

إن العبارة التى تعود العامة أن يعبروا بها حين يريدون وصف السكران بأنه شديد السكر وهى قولهم « سكران طينة » قد وردت أيضاً فى كتاب « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجى

قال فى الكتاب المذكور ص ١٢٦ ما يأتى :

« سكران طينة » تقوله العامة لمن سكر سكراً شديداً كأنه لوقوعه فى الطين ، ومن ملح المعمار قوله :

وجرة أبرزوها   والروح فيها كمينة
شممت طينة فيها   فرحت سكران طينة

وقد قالوا : الطين غالية السكارى . . . الخ .

آنسة
سناء محمد

بين الكتاب والقراء

أخذ بعض القراء على الدكتور عبد الوهاب عزام أنه حين روى هذا البيت فى مقالة أخلاق القرآن :

ولم أر فى عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

نسبه إلى (أبى الطيب) ويرى أن الصواب أن ينسب إلى (المتنبى)

وأخذ قارئان آخران على صاحب مقال « شعر الزواج » أنه نسب البيتين الآتيين :

تقول التى من بيتها خف محملى عزيز علينا أن نراك تسير . الخ

إلى (الحسن بن هانئ) والصواب أنهما (لأبى نواس)

وتحب (الرسالة) أن تذكر القراء الأفاضل أن (أبا الطيب) هو (المتنبى) . وأن (أبا الحسن بن هانئ) هو (أبو نواس) .

دار الثقافة بالسودان

جاء فى جريدة (المؤتمر) السودانية ما يأتى :

افتتحت أبواب دار الثقافة بالخرطوم ليجتمع بها السودانى والمصرى والبريطانى جنباً لجنب يتناظرون ويبحثون فى العلوم والفنون والآداب ، وينهلون من بحر مكتبة ضافية بالمراجع العلمية فى شتى ما وصل إليه الفكر الإنسانى من المعارف

وحكومة السودان كانت حريصة كل الحرص لنشر الثقافة العامة عن طريق هذه الدار ، وما زال أعضاء هذه الدار يواصلون محاضراتهم — منذ أن أنشئت — فى مختلف الشئون التى تهم الرجل المثقف . والدار فوق ذلك يراد بها أن تكون حلقة اتصال ثلاثى بين انجلترا ومصر والسودان ، أو إن شئت فقل محور ثلاثى ولكن للتعاون الثقافى وخلق التفاهم بين عناصر قد يكون من الخير لها جميعاً أن تتفاهم فكرياً حتى يأتى اليوم الذى تتفاهم فيه على أمور حيوية أخرى ، ونحن نأمل أن يكون قريباً إن شاء الله

وكثيراً ما سمعنا همسات وكلمات لا ينقص بعضها الصراحة نشرت فى الجرائد اليومية عن هذه الدار وعن الأغراض التى أنشئت من أجلها، ولست أرى معنى للتخوف والتردد فى كل أمر جديد إذا اقتنعنا بأننا أفراداً أو جماعة لا يمكن أن يغرر بنا أو نساق سوق البهائم ما دمنا مدفوعين برأى وعقيدة !

لكن هناك مسألة أراها جديرة بالذكر والتعقيب تلك المسألة هى خوف بعض الناس على « ثقافتنا التقليدية » أن تطغى عليها تيارات أخرى غريبة عنا فى وسط لا تتكافأ فيه عناصر المحور الثلاثى ، ومع احترامى لهذا الرأى فلست أرى وجهاً لهذا التخوف للسبب الآتى :

تقوم دعائم الثقافة السودانية على أسس عربية إسلامية وهذا هو الوضع الطبيعى لبناء الثقافة فى قطر كالسودان يدين بالإسلام ويمت إلى العروبة بوشائج الدم والرحم — والإسلام كما يعرف الناس جميعاً هو عقيدة وحضارة معاً ولا يمكن لأى حضارة أخرى مهما بلغ سلطانها واجتمع نفوذها أن تنتفى معالم الحضارة الإسلامية — والثقافة فى رأينا تمثل جوانب عامة من النواحى العقلية والنفسية وأساليب العيش والتفكير التى تفرضها عادة الحضارة على الناس

ولست أريد هنا أن أتعرض لمن يتوهمون بأن السودانيين والشرقيين عامة يمكن أن يتخذوا الثقافة الغربية ثقافة عالية تشمل الشرق والغرب وتقرب أوجه النظر بين الشعوب والأجناس المختلفة، ذلك وهم ساد بعض العقول فظنت أنه حقيقة وأنكرت ميراث الناس واختلاف بيئاتهم ونزعات عقولهم ومناط تفكيرهم وما لهذه العوامل من الأثر الفعال فى خلق الثقافة العامة وتوجيهها فى الطريق الطبيعى الذى تسلكه

إن ثقافة هذا الشعب عربية إسلامية ، وهذه الثقافة قد كتب لها البقاء والتغلب لأن من خصائصها أنها تأخذ وتعطى فى وقت معاً فهى لا تأبى الأساليب الجديدة والأفكار والمبتكرات والاتجاهات بل تأخذ هذه كلها ثم تصهرها فى قوالبها الخاصة وتزيل عنها عوامل الضعف والفساد مما لا يتمشى مع روحها العام ثم تعيدها مرة ثانية وهى حرة خالصة عميمة النفع سليمة الأصل .

لهذا لا خوف على « ثقافتنا التقليدية » من هذا الاختلاط ما دمنا مدفوعين بعقيدة ، وهذه العقيدة هى أننا أبناء أمة ناشئة

تريد أن تبنى مجدها على ميراثها العربى الإسلامى ، وأن لا تتخلى عن مثقال ذرة من هذا الميراث الذى يأخذ ويعطى بطريقته الخاصة ، والذى غالب الزمن فغلبـه ، وما زال حياً باقياً وسيظل كذلك ما دامت فى الدنيا حياة

حول تفسير بيتين

قرأت فى الرسالة الغراء أن الأستاذ السعيد جمعة رأى لزاماً عليه أن يتقدم لتفسير هذين البيتين

بذكر الله تزدادُ الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه (حالاً) فإن الشمس ليس لهـــا غروب

والتفسير الذى تقدم به مقطوع الاتصال بالمعنى المطلوب . والذى أراه أن لرجال التصوف نظرات عكسية تقلب الحقائق المعلومة إلى حقائق أخرى عليا لايدركها غير أهلها . فالشاعر يشير إلى علمه بعيوب بشريته ومساقط نفسه ويرى أن مقام العزة الإلهية أجل وأعلى وأرفع من أن يتلوث بذكر لسان غير منزه عن فحش القول ويرى أن جرأته على ذكر العظمة القدسية وهو فى دائرة عيوبه النفسية ذنب ، وهذا المعنى العكسى ينبعث من مقام تنزيه الألوهية عن الحاجة إلى التنزيه

أما الشطر الثانى فليس المراد به ذكر اللسان الذى يترك القلوب مطموسة والبصائر مغلقة . وإنما المراد به وصف (حال) فى أرفع مقامات الشهود حيث يكون الذكر نفسه حجاباً للذاكر عن مذكوره

وهذا ما يشير إليه فى البيت الثانى بأنه راسخ القدم فى (حال) الشهود الرفيع الشأن كما تشهد الشمس عياناً فتستغنى بشهود ذاتها عن ذكر اسمها . وهو فى مقام شهوده لا يشهد فى ذاته غير أنه عين شمس الوجود فشمسه ليس لها غروب . ويشير الأستاذ السعيد جمعة إلى هيام رجال التصوف باللغز والرمز وأنهم يشيرون بمثل قولهم (معبودكم تحت قدمى) و (ما فى الجبة غير الله) إلى مذهبهم فى الحلول . وما هى حيلتنا مع من يتهمنا بما لا يعلم .

فأهل الحقيقة ليس لهم مذهب يسمى (الحلول) لأن (الحلول) يستلزم الظرفية بقولك (حل فى كذا) وهذه الظرفية باطلة فلا يشهدون فى الوجود غير الله إذ لا غيرية ولا اثنينية، فهو الله الظاهر والباطن إلـه واحد لو كنتم تعلمون .

أحمد فهمى الباجورى

جريدة الواجب فى عامها الخامس عشر

دخلت جريدة الواجب التى تصدر عن المنصورة لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد جاد جمعة فى عامها الخامس عشر ، وبالرغم من تلك الأزمة التى انتابت الصحف بسبب ما وصلت إليه حالة الورق ، ستظهر الواجب على عهدها صباح الاثنين من كل أسبوع فى ثوب قشيب بالألوان والصور مدبجة بأقلام مجموعة من كبار الكتاب والأدباء .



أمنيـــة تحققت ...!

للأستاذ محمد سعيد العريان

كانت « سمية » جالسة إلى مكتبها فى الغرفة العليا من إدارة « شركة البيمات الوطنية » وبين يديها الآلة الكاتبة تنقر عليها بأصابعها وهى تترنح وتهتز فى مرح ونشوة كأنما توقّع لحناً موسيقياً تناجى به أمنية عزيزة من أمنيات الشباب ، وكان على شفتيها ابتسامة راضية كأنها من الأمل الذى تأمله على ميعاد ؛ وإنها لجالسة مجلسها ذلك منذ ساعات لم ترفع رأسها ولم تبرح مقعدها ، ولكن فى وجنتيها حمرة ناضرة كأنما هى عائدة لساعتها من مجلس قصف وشراب ؛ وكان فى السماء برق ورعد ومطر ، ولكن فى قلبها هدوء الثقة وروح الاطمئنان

وفرغت « سمية » من نقش الرسالة التى بين يديها ، فكفّت أصابعها عن الحركة وراحت تخلّص الورقة من بين أضراس الآلة الكاتبة وهى تغنى فى صوت هامس أغنية من أغنيات الهوى والشباب . ثم نظرت فى ساعتها وهمّت أن تنهض لميعاد الغداء ؛ ودق الجرس ، وهبّت سمية واقفة لتردّ تحية المدير الشاب ، ثم استأذنت ومضت معجلة إلى مثواها حيث تتوقع أن يكون أخوها فى انتظارها لموعده على الغداء . . .

* * *

لقد كانت سمية سعيدةً بحياتها على ما فيها من نَصَب وجهد ورزق محدود ؛ إذ كان لها نفسٌ راضيةٌ قنوع ، لا تتطلع إلى ما لا تملك ، ولا تعرف من أيامها غير اليوم الذى تعيش فيه ؛ فلا هى تذكر ماضياً تأسى عليه ، ولا غداً تتشوّف إليه ؛ فوجدت سعادة الرّضا حين فقدت سعادةَ المال ورفاهة الغنى ، وتعوّضت من شىء بشىء

على أنها لم تكن كذلك فى ماضيها ؛ فقد كان أبوها رجلاً من رجال المال ، وكان له جاه وصيت وشفاعة ، ولكنها لم تدركه حين أدركته إلا شيخاً حطَمة قد لبسه الدهر فأخلقه وذهب بماله وجاهه ، فلم يترك لها حين آن أوانه إلا حطاماً من الذكريات ، وخلّفها وأخاها وحيدين فقيرين تتدافع بهما أمواجُ الحياة من شاطئ إلى شاطئ غثاء من غثاء البحر أو زَبَداً طافياً على الماء !

على أن من كرم الله على سمية أنها لم تفتح عينيها للحياة إلا على نور ذبالة توشك أن تنطفئ ؛ وباكرها اليُتْم والفقر قبل أن تذوق سعادة الاجتماع ورفاهة الغنى ؛ فلم تشعر بمرارة لما صارت إليه ، إذ كانت لم تشعر قبلُ بما كانت فيه ؛ وتناولت الحياة كما عرضت لها ...

وراحت سمية وأخوها يسعيان لرزقهما فى رضاً واطمئنان ، كما يسعى كل ساعٍ إلى رزقه فى غير تبرّم ولا سخط ؛ ووجد أخوها عملاً فى مصرف من مصارف المال يضمن له الكفاف ؛ واستخدمتها شركة البيمات الوطنية كاتبة حاسبة لقاء أجرٍ معلومٍ يقوم بحاجتها ويَفضل ؛ وزادها شعورها بأنها كاسبة مأجورة ـ وإنها لفتاة ـ زهواً وسعادة واعتداداً بنفسها . ولم يكن هيناً أن تجد فتاة مثل سمية عملاً فى مثل الشركة التى استخدمتها ؛ لولا أنها ابنة أبيها وأنه كان ، وكانت له على شركة البيمات الوطنية أيادٍ تقتضيها الوفاء ، فاستخدمت سمية عطفاً عليها وعرفاناً بأيادى أبيها ، ولكنها لم تكن تدرى ، وكان أكثر من تعرف عطفاً عليها وتشجيعاً لها المدير الشاب « شفيق »

* * *

... إن غداً يوم العيد ؛ هذه أسراب الفتيات يزحمن الطريق ويملأن السيارات العامة ومراكب الترام ، رائحات غاديات من متجر إلى متجر ينتقين ثياب العيد ؛ وهذه أفواج الشباب يخطرون فى مرح ونشوة على أرصفة الشوارع وعلى أبواب المتاجر يتأهبون لاستقبال العيد ؛ وهؤلاء آباء وأمهات ، وصبيان وبنات ، فى عيونهم نظرات البشر ، وعلى قسماتهم آيات المسرة ؛ وسميةُ بين هؤلاء وأولئك لا تلتفت بالاً إلى أحد منهم ، مُسرعةً تجفلى إلى مثواها حيث تتوقع أن تلقى أخاها فى انتظارها لموعده على الغداء . . .

لقد أوشك شهر أن ينتهى ولم تجلس معه مرة واحدة إلى المائدة ، فإن مواقيتهما لمختلفة ، وإن عملها فى المكتب ليقتضيها أن ترابط هناك كل ليلة إلى المساء ؛ فلا تلقى أخاها إلا رائحاً إلى فراشه ، أو غادياً على عمله فى الصباح وهو عجلان ؛ ولكن غداً يوم العيد ؛ فما أحرى أن تفرغ له قليلاً ويفرغ لها وأن تمدّ له المائدة التى يشتهيها ، وأن يجلس إليها ساعة وتجلس إليه !

وهيأت سمية المائدة وجلست تنتظر ، وأذنها إلى كل خفقة نعل على سُلَّم الدار تترقب مطلعه ... وسرَّحتْ عينيها على المائدة بين ألوان الطعام فاستشمرت الرضا ؛ إنها لمائدةٌ حافلة ؛ ولكن أين أخوها ؟ إنه لم يحضر بعدُ وقد مضى على موعده ساعة ... وسمعتْ طرقاً على الباب نخفَّتْ إليه ؛ وكان الطارق ساعي المصرف يُؤْذنها أن أخاها لن يحضر لموعده ، لأن عمله هناك يشغله اليوم عن مشاركتها فى مائدة العيد !

وأغلقت سمية الباب ودخلت الدار وحيدة ؛ ووقفت فى الشرفة برهة تنظر عيدَها وعيدَ الناس ؛ وكان فى الشرفات المقابلة رجال ونساء ، وبنون وبنات ؛ وهتفت : يا أخى ! الله لك وَلى ...!

* * *

بَلَى ، لم تكن سمية من بنات جيلها ؛ ولكن فى أعراقها من دم أمها حواء ؛ وألقى الشيطانُ فى قلبها أمنيّة ...

وعزَّ عليها أن يكون غداً عيد الناس جميعاً ولا عيدَ لها ، فتمنَّت ، وكانت متواضعة فى أمنيتها ... فلم تبلغ بها المنى أن تكون مثلَ فلانة وفلانة ممن رأت وعرفتْ ، ولم تتسام إلى الأمل بأن تكون من ذوات الغنى والجاه والدلال ، ولم تنس الحقيقة التى تعيش فيها فتأمل أن تتغير حياتها من حال إلى حال ؛ ولكنها تمنَّت ... تمنَّت على الله الذى يهب للناس سعادة العمر أن يذيقها حلاوة هذه السعادة حيناً ثم ... ثم يسلبها ...

ورفعت يديها إلى الله داعية : يارب ! لا أريدها إلا مذاقاً أعرف به كيف يعيش السعداء من خَلقك ... !

وأومضتْ فى حواشى الأفق بارقةٌ من نور ، ثم خَبَتْ ... وسمعت سميةُ طرقاً على الباب ، فأسرعتْ إليه لترى ...

« شفيق ... ! »

وظل المدير الشاب واقفاً بالباب وعلى شفتيه ابتسامة مستحية وفى عينيه رجاء ، وهَمَس : أتأذنين ياسمية !

وأذنتْ له ، فدخل ودخل وراءه ساعيه يحمل إلى سمية هدية العيد ؛ وقال الفتى وقد اطمأنَّ به المجلس : سمية ، لعل زيارتى لا تسوءك يا آنسة ! لقد طالما راودتنى نفسى فنهنهتها ، ثم هأنذا وتضرَّجتْ وجنتاها من حياء ثم أطرقتْ ، واستطرد شفيق : ولعلى إذ اخترتُ هذه الليلة لأزورك هنا ، أن يكون رجائى مقبولاً لديك ... أنظرى إلىَّ ... ولا يَضيقْ صدرُك بى يا آنسة ؛

إن علىَّ لك حقاً ، ولعلى أستطيع أن أصارحك فى يوم قريب ؛ أما اليوم ...

وخفق قلب سمية وترادفتْ أنفاسُها ؛ وأحس الفتى خجلَها فلم يُثقل ، وتهيأ للنهوض ، وتواعدا على اللقاء !

وتمتمت الفتاة شاكرة وفى عينيها دموع التأثر !

* * *

وخَلَت سمية إلى نفسها تفكر ... وخرج الفتى يفكر ...

أما هى فتبدَّلتْ نفسها منذ الساعة واستغرقها حُلم عميق ، فراحت تَعرض ماضيها وحاضرها وما تأمل أن يكون فى غد ، وذاقتْ أولَ ما ذاقت من طعم السعادة معنى القلق ... !

وأما هو فقد خَفَّتْ نفسُه وحلَّقتْ فى سماواتها وأحس شعور الراحة والرِّضا والاطمئنان ، ففى يدبِّر أمره ، أطيبَ ما يكون نفساً بما فعل وبما يريد أن يفعل من أجل الفتاة التى رفعه أبوها وهيَّأ له سبيل الغنى والجاه والرياسة ، فإنه ليحس بأن له عليه ديناً ثقيلاً يقتضيه الوفاء لابنته !

واسترسلت الفتاة فى أحلامها ... !

لقد شعرتْ منذ زارها شفيق وأهدى إليها هديتَه شعوراً لم يكن لها به عهد ، فراحت تذكر ماضيها منذ رأته أول مرة ، ثم كيف كانت تَراه بعد ؛ ومضت تعلِّل وتفسِّر وتستنبط وتستشفُّ حجاب الغد . هذه الابتسامة التى كان يلقاها بها كل صباح ، وتلك النظرة التى يودِّعها بها كل مساء ، وذلك الإحسان فى المعاملة ، وهذا السخاء فى المكافأة ، وهذه الهدية فى ليلة العيد ... إنها آيات بينات ، وإنها لتزعم لنفسها أنها تعرف دلائلها ؛ بل إنها لتحاول الليلةَ أن تقنع نفسها أن ذلك الشعور الذى تشعره منذ قريب ، ليس جديداً عليها ، ولكنه سر يستعلن ، وضمير يتكشف ، وحبٌّ كان يستره الحياء فانكشف عنه حجابه ؛ بلى ، إنها لتحبه حباً صريحاً رسخت جذوره على الأيام فى أعماق قلبها إلى إبَّانه ! هكذا قالت لنفسها قبل أن تأوى إلى فراشها لتتم فى منامها الحلمَ اللذيذ الذى بدأته فى يقظتِها ... !

... وقال شفيق لنفسه وهو فى طريقه إلى داره : حَسَن ! لقد فعلتُ اليوم شيئاً ولكن علىَّ أشياء ؛ إن روح أبيها لتتمثل لى لتذكِّرنى بواجبى أن أكون لها كما كان أبوها لى . زهرة غضة

لفحتْها أعاصيرُ الحياة الهوج فاقتلعتْها من منبتها إلى حيث ألقتها داميةً على الشوك فلم تَشْكُ حظَّها ولم تتسخَّط ، ما أحراها وأحرِ بي أن أذيقها طعمَ السعادة التي حُرِمتْها ، وأن يكون لها عيدٌ مثل عيد الناس ! . . . هؤلاء الفتياتُ اللاتى يَغدُون ويرُحن مع أزواجهن أو آبائهن يحملن هدايا العيد ويرفلن فى مطارف الشباب وأبراد السعادة ، لَسْنَ أولى بمـا يتمتعن من سمية ... ! دَيْنٌ طالما هممتُ بالوفاء به ، ثم نهنهت نفسى حَذَرَ أن أجرح كبرياءها إن مددت إليها بالإحسان يداً ؛ ولـكنه دين الحى للميت، لا حِلٌ منه ولا براءة، وقد استأذنـتُها فأذِنتْ . . .

***

وراح شفيق لموعده صبيحة يوم العيد ؛ وخرجا معاً يرودان مغانى الشباب ومجالى الأنس والمسرة ذراعاً إلى ذراع ، وفى كل قلبٍ حديثُـه ونجواه ...

عاطفتان من أسمى ما غَرَس الله فى قلوب البَشر ؛ أما قلبٌ فيخفق بالحب وسعادة الأمل ؛ وأما قلبٌ آخر فتغمره سعادة الرضا وتعلوه عاطفةٌ أسمَى وأنبل ؛ وإن فى الحياة لَمَا هو أسمى من الحب وأنبل . . .

وشعر كلاهما أن الله يظللهما بجناحى رحمته حين تحققت لـكل منهما أمنيته . . .

ومضت الأيام بها وبه سعيدين لا يكاد يشغلهما عن أمرهما شىء ؛ والشباب يجدّد لسمية كل يوم مُناها ويوقظ أحلامها وهى نائمة ؛ ثم استيقظت فجأة . . .

وغدا عليها شفيق ذات صباح ينبئها . . .

... كانت سمية قد ذاقت فى أيام قلائل من ألوان السعادة مالم تكن تتوقع أن يتهيأ لها فى عمر مديد ، ونالت — بمعونة صديقها — حظوة ورياسة فى العمل الذى تتولاه لا تتسنَّى لمثلها بعد سنين من المثابرة والدأب ، وزاد أجرُها زيادة مرموقة تهيئ لمثلها العيش الرغد فى أمان وثقة بالمستقبل ؛ ولـكن الغد السعيد الذى كان يتخايل لها فى أحلامها ويقظتها ، وتتنوَّره على البعد قريباً قريباً دون مدّ ذراع — كان يشغلها عن الشعور بما هى فيه؛ فلم تكن مَن كانت ، فتاة تعيش ليومها بلا ماض تأسَى عليه ولا أمل تتشوف إليه ؛ وهل يعيش العاشق إلا فى أحد يَوْمَيه: أمسِه وغدِه ؟ ... ولـكن هذا الغد الذى كانت تتوهم أنها تنظر إليه — حين تنظر — من وراء ستر رقيق ، لم يكن إلا صورة فى إطار ليس وراءه إلا الحائط الصلب، على حين كانت تظن أنها بالغة إليه بين صبح ومساء ؛ ومدت يدها تَهتك الستر لترى ، فإذا الإطار الذى يمسك الصورة الخادعة يردُّها إلى حقيقة دنياها فيوقظها من أحلامها ...

... وقال لها شفيق : أنت مدعوة غداً يا صديقتى إلى حفل زفافى ... !

وفغرت الفتاة فاها مدهوشة وهتفت : « حفل زفافك ! »

إذن فهو لم يكن يحبها ، ففيم كانت هذه العناية بها ؟ . . .

وعرفت بعد لأى، فسكتت ؛ ثم خلت إلى نفسها فأرسلتْ عينها أسفاً وندامة !

نعم ، إنها لم تخسر شيئاً ، ولـكنها فقدت الأملَ الذى عاشت له أياماً من حياتها كانت كفيلة بأن تنشئها خلقاً آخر ؛ ولم يخدعْها صديقها أو يزوِّر لها الحقيقة ، ولـكنها هى خدعتْ نفسَها فباءت بالخسران والحسرة !

قلبان كانا يخفقان لمنيين متباعِدَين لم يتكاشفا معنًى لمعنًى ، ألقى الشيطان بينهما أمنية فرّقتْ بينهما على حين كان يُرْجى بقاء الوداد ؛ ما ذنبُها ؟ وما ذنبُه ؟ ذلك حكم القدر !

***

وعادت سمية وحيدة إلى مثواها ، كعادتها يوم كانت ، ولـكنها اليوم فتاةٌ غير من كانت !

لقد نالتْ كثيراً مما كانت تتمنى ، وحظيت من حظ الحياة بما لم تكن تأمل ، ولـكن . . .

وذكرت موقفها ذات ليلة ، يوم رفعت يديها إلى الله داعية : « يا رب ! لا أريدها إلا مذاقاً أعرف به كيف يعيش السعداء من خَلقك . . . ! »

هكذا كانت دعوتُها ، فهل كان شىء غير ما أرادت ؟

لقد استجاب الله دعاءها ، فأذاقها من ألوان السعادة ما لم تكن تتوقع ، وزادها على ما أرادت ؛ ولـكنها لم تكسب شيئاً . . .

لقد باعت الغالى بالخسيس ، يوم باعت سعادة الرضا بسعادة الأمل . . . !

محمد سعيد العريان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين — عابدين)



8me Année No. 386

Lundi - 25 - 11 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٥ نوفبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

انجلترا هى المثـــل

قال شوقى : « وإنمـا الأمم الأخلاق ما بقيت » ... فقال تشرشل : صدق وانجلترا هى المثل ! وكأنه حين قال : « فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا » ... قال بيتان : صدق وفرنسا هى المثل !

ولـكن الذى يضع القاعدة بالقول لا يستوى هو ومَن يطبقها بالفعل ؛ وشتان بين من يطبقها على وجه السلب وبين من يطبقها على وجه الإيجاب !

إن تحريك اللسان فى الفم أسهل على المرء من تقليب اليد فى العمل . وإن رجل التجربة والخبرة ، أصلح للحياة من رجل النظر والفكرة . وإن تنشئة الفرد على حب الفضيلة أدخل فى إمكان المربى من بناء الأمة على أساس الخلق . . . ذلك لأن تهذيب النفس عمل البيئة والقدوة والعـادة ، وتهذيب الجنس أثر الانتخاب الطبيعى والدهر الطويل . ومن الـكثير الغالب أن تجد واحداً تصلح فيه كل غريزة ، ولـكن من القليل النادر أن تجد شعباً يصلح فيه كل واحد . ولعلك لا تجد فى عمر الإنسانية شعباً سـلم جَمْعُه بسلامة آحاده غير الشعب العربى فى الماضى والشعب الإنجليزى فى الحاضر . ومرجع ذلك فيما نظن إلى انعزال العرب فى الصحراء ، وانعزال الإنجليز فى البحر ، والعزلة فى مثل هذه الحال تنفى خَبَثَ الاختلاط عن مزايا العنصر الأصيلة فتنضج وتخلص كما ينضج الدر اليتيم فى قاع البحر، ويخلص

الحجر الكريم فى جوف الأرض . فلما خرج العرب للفتح ، ثم خرج الإنجليز للاستعمار ، ضيع بنو الصحراء خصيصتهم لأنهم انماعوا فى الشعوب الأخرى بالمصاهرة ، وحفظ بنو الماء مزيتهم لأنهم انقبضوا عن الناس وترفعوا عن الأجناس فظلوا فى عزلة

كان الناس يقولون إن إنجلترا أدركتها أعراض الهرم من دوام النعيم وطول السلامة ، ويعجبون مع ذلك أن تملك سدس العالم وتستمكن فيه ، والإنجليز فى كل أرض قلة ، ووسائلهم فى تملق القلوب ومداهنة النفوس قاصرة ، والتمويه والخداع والاستغفال والمصادفة والحظ عوامل قد تساعد على الغَلب ، ولكن فعلها لا يجوز على كل الناس ولا يدوم على طول الزمن . فلم يبق إلا أن يكون فى هذا الشعب العجيب سر من أسرار الطبيعة تنبجس منه حياته الدافقة الخلاقة كما تنبجس الحيوات الدنيوية بمظاهرها وآثارها عن الروح المجهول

فلما أخذت العالمَ هذه الرجفةُ النازية ووقفت انجلترا بقوتها وسطوتها وثروتها ووجودها فى سعير المحنة ، استعلن فى حلك الخطوب ذلك السر فإذا هو الخلق ، ولا شىء غير الخلق . ولم تسفر الأيام عن أصدق من هذا المثل الإنجليزى الحاضر لقدرة الخلق العظيم على حياطة الدولة ووقاية الأمة وخلق المعجزة التى تحيل القنوط أملاً والضعف قوة

كانت أوربا فى العام المنصرم من طول ما هوّلت عليها الهتلرية الباغية قد وقفت صفوفاً متلاصقة متلاحقة من الشباب والحديد والنار ترابط على الحدود لشياطين الصليب الأعقف ؛ وكانت انجلترا من وراء البحر تمدها بالمال والرجال والأسلحة لا تدخر لجزرها شيئاً منها ، ولا تكاد تُخطِر على بالها أن العدو سيجد من بين هذه الصفوف المرصوصة ثغرة يقتحمها ليرميها عنها . ولكن هتلر هجم على أخلاق أوربا قبل أن يهجم على جيوشها ؛ فهتك أستار الدول بالجواسيس ، وبلبل عقائد الناس بالدعاية ، وشرى ضمائر الساسة بالحلى ، وبث فى دخيلة كل أمة دعاة الهزيمة وسماسرة النفاق يزيفون الوطنية فى كل نفس ، ويميتون الحمية فى كل رأس ، حتى تركوا القوم تماثيل من غير خلق ولا روح ؛ ثم أرسلوا على هيا كلهم النخرة الجوفاء الدبابات كما ترسل على هشيم الحنطة آلة الحصاد . فلم تك إلا أيام تضيق عن فناء القطيع بالوباء السريع ، حتى استكان الضعيف ، واستخذى القوى ، وانبسط ظلام النازية على ممالك كانت بالأمس مسارح للسلطان والمجد ، فأصبحت اليوم سجوناً للأحياء وقبوراً للموتى ، ووقفت انجلترا وحدها أمام أوربا الصارعة المصروعة ، وقد فرغ لهما الطاغيتان وسلطا عليها فى الغرب والشرق ، وفى الجو والبحر ، كل ما ادخراه وأرصداه من آلات الدمار والبوار فى بضع سنين

كانت خطتها فى الدفاع قائمة فى أكثر ميادين البر على عاتق فرنسا ؛ فلما وهى هذا العاتق وانحل سقطت هذه الخطة على خلاء . فكان على انجلترا بعد نكبة جيشها فى الشمال وانهيار حليفتها الفاجئ أن تجدد العدة وتسد الخلل وتدفع الموت الهاجم على أرضها وبنيها من الجهات الأربع ؛ وكل ذلك كان يقتضى أن يكون لها فى كل أرض جيش ، وفى كل بحر أسطول ، وفى كل سماء أسراب . فلو أنها استجابت لهذه الجدود العواثر ونكلت نكول فرنسا لما خالف ذلك منطق الحوادث

ولكن هنا ظهرت المعجزة ، وما المعجزة إلا خلق هذا الشعب المختار ! تجرد هذا الشعب عن فرديته ، ونزل عن حريته وثروته ، وجعل مُلكه وجهده وروحه فى يد تشرشل ينفقها حيث يشاء وكيف يشاء ؛ وانكب هو على العمل الدائب ليل نهار ، لا تموّقه الأخطار ولا تضعضعه الكوارث ، حتى رأيناه فى أقل من خمسة أشهر يفسد على الفوهرر خطة الغزو ، ويفوّت على الدتشى فرصة الهجوم ، ويشد على أنفاس أوربا بالحصر ، ويلجئ الطغاة العتاة إلى استجداء المونة من الأقل ، وابتغاء النصرة من الأذل ! ذلك ولم نسمع خلال هذا الصراع الجبار وذلك الخطر المؤئس أن جنديًا عبث ، أو قائداً خان ، أو وزيراً غش ، أو حزباً نفس على حزب ما نسميه نحن نعمة الحكم

إن الله أمدَّ الإنجليز بجيوش لا تقهر من الصدق والصبر والثقة بالنفس والإيمان بالله والحرية والديمقراطية والإمبراطورية

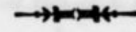
فيا ليتنا حين حالفناهم على السياسة والدفاع ، حالفناهم كذلك على الآداب والخلق ! لقد كنا بأخلاق القرآن قدوة للأقوياء ، فأصبحنا وا أسفاه بضلالات الأذهان عبرة للضعفاء !

احمد حسن الزيات

أخلاق القرآن

الصدق

للدكتور عبد الوهاب عزام



الصدق هو الإبانة عن الحق، والإخبار بالواقع. وبه يستقيم التفاهم بين الناس، ويكون التناصح والتعاون، وتسجل الحقائق والوقائع؛ وبدونه يصير تخاطب الناس غشاً، وتفاهمهم باطلاً، وتعاونهم محالاً

يتخاطب النـاس ليخبر بعضهم بعضاً عن حقائق واقعة فى العالم أو فى أنفسهم، أو ليبين بعضهم لبعض عن أمل يأمله، ورأى فى بلوغ هذا الأمل. فإن كان الكلام غير مبين عن الحق فهو تضليل يسيِّر أعمال الناس على ضلال، وهو غش يؤدى إلى للتفريق بين الناس لا التعاون

ثم الكذب يجر بعضه بعضاً لأنه لا مكان له بين حقائق العالم فيُضطَر الكاذب إلى أن يغير حقائق كثيرة ليَخيل كذبه على السامع وليلائم بين ما أخبر به وبين حقائق تخالفه. فإذا قال قائل: قابلت فلاناً أمس فى مكان كذا، فقيل له إن فلاناً لم يكن أمس فى هذا المكان اضطر إلى أن يقول جاء إليه ثم سافر. وإن قيل إن هذا المكان لم يكن الذهاب إليه أمس ممكناً ادعى من الأباطيل ما يوهم أن الذهاب إليه قد أمكنه، ولم يكن بد من سلسلة من الأكاذيب يربط بها كلامه بالوقائع المعروفة بين الناس

وعلى قدر ما فى كلام الناس من صدق توافق أعمالهم حقائق هذا العالم فتنجح، وعلى قدر الكذب تبعد الأعمال من الحقائق فتخيب ...

وقد أجمعت أخلاق الأمم وشرائعها على الدعوة إلى الصدق، والنهى عن الكذب ووكَّدت تجاربُ الناس ما عرفوا فى الصدق من خير، وما رأوا فى الكذب من شر. وهل كان التخاذل بين الناس والتنافر والتحارب والضلال إلا بضروب من الكذب والغش والخديعة؟ وهل ذهب كثير من أعمال الناس ضياعاً وكثير من أقوالهم هباء إلا بالكذب ونتائجه؟

والقرآن الكريم، وهو ترجمان الدين الحق والدعوة الصادقة، يؤكد الدعوة إلى الصدق ويُشيد بذكر الصادقين، ويشتد فى النهى عن الكذب ويلمز الكاذبين. كررت هذا آياته، ودارت عليه دعواته

والصدق، فيما يتبيّنه قارئُ القرآن، يكون فى القول والفعل؛ فكما يصدق الإنسان بالإنباء عن الحق يصدق بتأدية الواجب المرجوّ منه. فمن أوفى بعهده، ومن ثبت فى نصرة الحق الذى يدعو إليه، ومن قام فى الخير المقام الذى يجدُرُ به، فقد صدقت أفعاله ووافقت ما ينتظر منه فى معترك الحياة

وقد عدد القرآن خلالاً من البر كالصدق والوفاء بالعهد والصبر فى الشدة وختم الآية بقوله: « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون. » فسمى هذه الأعمال صدقاً

ويقول القرآن الكريم: « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » ويقول: « وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً »

مدخل الصدق ومخرج الصدق أن يدخل الله الإنسان فى كل الأمور إدخالاً صادقاً ملابساً للحق والخير، وأن يخرجه من الأمور كلها كذلك إخراجاً مقارناً للحق والخير، فيجعل تصرفه فى الأمور كلها كما يجب عليه ويرجى منه، فى غير رياء ولا تزوير ولا تضليل ولا غش ولا خداع

وقال القرآن فى جزاء المؤمنين والمتقين: « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » وقال: « إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » فقدم الصدق يراد بها السعى الصادق الذى يدّخر عند الله جزاؤه، أو المقام المحمود عند الله تعالى، ومقعد الصدق المنزلة التى تفى بما استحقوا من ثواب

والكذب فيما يفهم من الآيات القرآنية يكون كذب الأقوال وكذب الأفعال كذلك. فمن فعل غير ما يقتضيه حاله فهو كاذب، ومن حشر نفسه فى غير زمرته فقد كذب، ومن اتخذ غير شارته فقد كذب، ومن قعد عن نصرة الحق وهو قادر فهو فى مقام الكاذبين، ومن فرّ عما يلزمه الثبات له أو الدفع عنه فقد كذبت دعواه ومظهره؛ فإن هؤلاء جميعاً قد وعدت أحوالهم وأخلفت أفعالهم، وقد حكى القرآن الكريم عن قوم آمنوا بالرسل ثم دعوا إلى الارتداد، أنهم قالوا:

« قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجّانا الله منها ». فقد سمّوا الرجوع إلى الباطل بعد أن استبانت

دلائل الحق ، كذباً على الله . وقريب من هذا قوله فى قصة يوسف : « وجاءوا على قميصه بدم كذب »

وحسبنا هذا بياناً لوصف القرآن الأفعال بالصدق والكذب كما توصف الأقوال

والقرآن الكريم يأمر بالصدق فى كل صُوَره ، وينهى عن الكذب فى جميع أشكاله ؛ وكفى بقوله : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

واشتد القرآن فى تقبيح الكذب ولعن الكاذبين ؛ وجعل الكاذب أظلم الناس ، ووصفه أشنع الأوصاف

قال : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يُفلح المجرمون[1] » . وقال : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين[2] » . وقال : « فمن أظلم ممن كذَب على الله وكذَّب بالصدق إذ جاءه ؟ أليس فى جهنم مثوى للكافرين . والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون ، لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ، ليكفّر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون[3] » . وقال : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة . أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين[4] » . وقال : « انظر كيف يفترون على الله الكذب . وكفى به إثماً مبيناً[5] »

وبين القرآن أن الكذب يمنع صاحبه الهدى ، ويجور به عن القصد . وكيف يهتدى الكذاب وهو يتعمد طمس الحق ، والعدول عن الرشد ؟ إنما يهدى الله من أخلص قوله وفعله وتحرّى الحق جهده غير مائل مع الهوى ، ولا سائر مع الباطل . قال : « إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار[6] » . وقال : « إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب[7] »

وقد بالغ القرآن فى عقاب بعض الكذبة فجعل كلامهم مظنة الكذب دائماً وأهدر شهادتهم . وتلك عقوبة المفترى على النساء الصالحات . قال : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون[1] » . وقال : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون[2] »

بل أمر القرآن بالتثبت وحذر من الظن الكاذب وجعله إثماً فقال : «اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم»[3] ؛ ونهى عن مظان الكذب والخطأ فقال : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » وكذلك بين القرآن أن عاقبة الكذب أن يعود الإنسان على مخالفة الصدق ومجانبة الحق ، حتى يستقر النفاق فى قلبه قال: « فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون»

وكثيراً ما يقرن القرآن الكريم الصبر بالصدق ، وهما من منبع واحد ، هما من المروءة والكرامة والأنفة والشجاعة التى تقول الحق غير مبالية ، وتصبر على الشدائد غير مستخذية

الصدق فى القول والفعل خلق يبين عن صفاء النفس وخلوصها وصراحتها وحبها الحق ، وميلها عن الباطل ، ونفورها من المداجاة والمراءاة والنفاق والخداع ، خلق يأبى التكلف والتصنع ويربأ عن الذلة والخنوع ، خلق ينطق بالإباء والشجاعة ، وحب الخير للناس ، وتحكيم قوانين الله فيما بينه وبينهم لا يثنى صاحبه عن هذه القوانين حولاً ، ولا يرضى لمنفعة نفسه الاحتيال لإخفاء الحقائق ، والتماس غيرها من الوسائل المخترعة المزورة

وذلكم هدى القرآن وشرعة الإسلام ، وسيرة المسلمين الأولين نطقت به مآثرهم فى الحرب والسلم وفى معاملة العدو والصديق . كانوا فى أقوالهم وأفعالهم حرباً على الباطل والبغى والكذب ، فكانت سيرهم مثلاً من الحق الصريح الذى لا يشوبه رياء ولا مداراة ولا مداجاة ، فجزاهم الله بصدقهم أن مكن لهم فى الأرض وملكهم أزمة الأمم يسوسونها بعدل الله ابتغاء مرضاة الله كما قال : « ليجزى الصادقين بصدقهم »

وتلكم أيها المسلمون الأسوة الحسنة فاجعلوها نصب أعينكم واتخذوها هدياً فى رضاكم وغضبكم ، ومنشطكم ومكرهكم ، وحربكم وسلمكم ، وشدتكم ورخائكم . فإنما هى قانون الله وهدى القرآن وصدق الإسلام وميراث السلف الصالح ، وذخر الخلف الطامح « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » صدق الله العظيم .

عبد الوهاب عزام

(١) يونس (٢) هود (٣) الزمر (٤) الزمر
(٥) النساء (٦) الزمر (٧) غافر

(١) النور (٢) النور (٣) الحجرات

مسابقة الجامعة المصرية

لطلبة السنة التوجيهية

للدكتور زكي مبارك

— ٣ —

الانجليز في بلادهم

كتب إليّ أحد الزملاء يقول إنه كان ينتظر أن أكتب كلمة أنقد بها الطريقة التي اختيرتْ بها كتب المسابقة، وأجيب بأن هذا يمطل المشروع بعض التمطيل، وهو مع ذلك لن يغيِّر الواقع، فلن تعدل الوزارة مشروع المسابقة في هذه السنة، ولن تلتفت إلى انصراف فريق من الطلبة عن بعض تلك المؤلفات، فلم يبق إلا أن نؤجل الكلام عن نقد طريقة الاختيار، وأن نمضي في هذه الدراسات إلى آخر الشوط، تحقيقاً للغرض الذي رمينا إليه وهو توجيه أولئك الطلاب

وحديث اليوم عن كتاب « الإنجليز في بلادهم » لمعالي الأستاذ حافظ عفيفي باشا، فمن المؤلف؟ وما غرضه من تحبير تلك الفصول الطوال؟

نُشِر هذا الكتاب سنة ١٩٣٥ . أما مواده فقد جُمِعتْ بين سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٣٣، وكان هذا الرجل سفيراً لمصر في لندن، فهدته فِطرته السليمة إلى التفكير في تعريف المصريين بالإنجليز، « الإنجليز في بلادهم » لئلا يعترض معترض بما يضاف إلى الإنجليز خارجَ تلك البلاد، وكذلك كان التوفيق حليف المؤلف حتى في العنوان

لا أجد ما أقوله في حافظ عفيفي بعد الذي قلته في كتاب (الأسمار والأحاديث) ولكن يجب النص على أن حافظ عفيفي من الشخصيات الدبلوماسية التي تتجه إليها الأنظار من حين إلى حين، وكتابُه عن « الإنجليز في بلادهم » صورة من صور الدبلوماسية، ولكن بمعناها الحق، لا بمعناها المألوف، فهو يريد أن نعرف الإنجليز في محاسنهم التي خلا وصفها من الترفق والتلطف، وفي مساويهم التي سَلِم وصفها من التزيد والافتراء.

و « دبلوماسية » حافظ عفيفي طرازٌ جديد، لأنها تقوم على أساس التعارف الصحيح، وتنأى عن شوائب المصانعة والدهاء؛ ولهذا الطراز من الدبلوماسية عيوب، لأنه يعوّق صاحبه في كثير من الأحايين، ولكن العواقب الحميدة لن تكون إلا من نصيب الدبلوماسية القائمة على الصارحة فيما جلّ ودقّ من شؤون السياسة وشؤون الاقتصاد، ومن هنا جاز أن تقع في كتاب حافظ عفيفي عبارات لا يقولها رجل كان سفيرنا في انجلترا بالأمس وقد يكون سفيرنا عندها في الغد، كالذي وقع حين نص على « أن انجلترا لم تدخل ميدان الاستعمار لأغراض إنسانية كتمدين الشعوب المتأخرة ولا لفائدة المهاجرين الأوربيين بل سعياً وراء الربح من الاتجار في محاصيل المستعمرات والحصول على ما تحتاج إليه من المواد الأولية، وإيجاد حمولة لأسطولها التجاري وسوق لتصريف محصولاتها ومصنوعاتها » .

وكالذي وقع منه حين أيَّد هذا الحكم بالقوانين التي أصدرتها انجلترا، القوانين القاضية باحتكارها للتجارة الخارجية للمستعمرات بالنسبة لأهم المحاصيل، وتحريم تصدير الدخان والسكر والقطن الخام والأصباغ الطبيعية والنحاس ومواد بناء السفن على المستعمرات، والقوانين القاضية بتحريم نقل ما يَصْدُر عن المستعمرات أو يرِد إليها على السفن الإنجليزية، وبعض القوانين التي كانت تحرّم على المستعمرات إنشاء بعض الصناعات التي قد تنافس الصناعات الإنجليزية، كصناعة الحديد مثلاً؛ وبعض القوانين التي كانت تحرم على المستعمرات تصدير بعض المصنوعات التي تزاحم المصنوعات الإنجليزية

فهذا كلام لا يقوله دبلوماسيٌّ « مصقول » ، وإنما يقوله دبلوماسي « صريح » والصراحة عيب جميل، إن جازت مجاراة الزمن المقلوب في عدها من العيوب!

ما هو الغرض من هذا الكتاب؟

حافظ عفيفي لم يبتكر هذا الفن من التأليف، وإنما سار في طريق مسلوك عبَّده الأوربيون من أجيال طوال، فالأدب الفرنسي مثلاً فيه عشرات من المؤلفات الجياد لتعريف الفرنسيين بحيويات الإنجليز والألمان والطليان والروس، وأهل مصر والشرق العربي يعرفون الكتاب الذي نقله فتحي زغلول عن الفرنسية منذ أكثر من ربع قرن عن « سر تقدم الإنجليز السكسونيين » وهو كتاب له نظائر وأشباه قد تصل إلى المئات إذا راعينا النشرات الطويلة والقصيرة التي أريد بها تعريف

الفرنسيين بأهم أمم الشرق والغرب ... ومؤرخو الأدب الفرنسي لم يفتهم أن ينصوا على التطور الذي صار إليه أدبهم بعد ذيوع كتاب مدام دى ستال عن الألمان

حافظ عفيفى لم يبتكر من الوجهة المالية ، وإنما ابتكر من الوجهة المصرية ، فهو أظهر سفير مصرى تعقب البلد الذى عاش فيه بالاستقراء والاستقصاء

ومن الواضح أن فى أدباء مصر رجالاً قدموا لبلادهم خدمات من هذا النوع ، ولكن السفير يملك ما لا يملك الأديب من نواحى الوثائق والأسانيد ، وله أفق يختلف بعض الاختلاف عن أفق الأديب ، والمسئولية التى يحسها السفير قد تجعله أدق من الأديب فى الحكم على خصائص الممالك والشعوب

فهل يكون حافظ عفيفى قدوة لسفرائنا فى أقطار الشرق والغرب ؟ وهل ننتظر أن تضاف إلى الأدب العربى ثروات من هـذا الفن الطريف ، فنعرف من كل سفير بعض ما عرفنا من حافظ عفيفى ؟

النظرة المصرية

إلى هنا عرف القارئ أن حافظ عفيفى يريد ضرب الأمثال ، فأين نجد النظرة المصرية فى كتاب هذا الباحث الحصيف ؟

فى كلام المؤلف عن الطبقات كلام ينفع أهل مصر ، وهو الكلام الذى ينص على الأزمة الزراعية فى بلاد الإنجليز . وفى كلامه عن الدستور البريطانى أحاديث تنفعنا أجزل النفع ، وهى الأحاديث التى تشهد بقوة « التماسُك الإنجليزى » وأريدُ بالتماسُك القدرة الذاتية على مقاومة أسباب الضعف والانحلال ، فللتقاليد الدستورية فى نظر جميع الساسة البريطانيين احترام القانون « يرعاها الجميع حتى تحلّ محلها حقوق أخرى تكون أوفى منها فى تأييد سلطة الأمة » ، وتلك التقاليد تتغير دائماً مع الزمن ، ولكنها تتغير فى سكينة وهدوء ... وسُلطة البرلمان تستند إلى شخصية النواب ثم إلى التقاليد السياسية والسوابق أكثر مما تستند إلى المسطور من القوانين ... والحركات الشعبية التى قامت فى بريطانيا إنما كانت ترمى فى أكثر الأحيان إلى رغبة الشعب فى التمتع بحقوق الانتخاب أكثر مما كانت ترمى إلى زيادة سلطة البرلمان ... ولم يحصل فى إنجلترا أن يناط بفريق من المشرعين أو بهيئة نيابية منتخبة مهمة تحرير دستور شامل يُرغَم على قبوله حاكم مستبدّ ، ويكون فاصلاً بين عهد الاستبداد وعهـد الحرية ... ومع أنه لا يوجد فى الدستور البريطانى نص يمنع الملك من حق الرفض لإمضاء أى قانون يقرّه البرلمان ولا يوافق عليه الملك ، فإنه لم يستعمل ملك بريطانى هذا الحق من عهد الملكة آن . . . ومع أنه لا يوجد نص مكتوب فى أى قانون دستورى يحدّد مسئولية الوزارة أمام مجلس النواب ويرغمها على الاستقالة إذا لم تنل ثقته ، فمبدأ مسئولية الوزارة محترم كل الاحترام ... ومع أنه لا يوجد نص دستورى يمنع الملك من رياسة مجلس الوزراء فقد روعيت سابقة وقعت فى عهـد جورج الأول وكان ألمانيًا يجهل الإنجليزية ، ولم تُرَ فائدة من رياسته لمجلس الوزراء

وهنا أرجو طلبة السنة التوجيهية أن يقرأوا ما كُتب فى هذا الكتاب عن « الدستور البريطانى » قراءة فهم ونقد واستقصاء ، لأن المجال يضيق عن تشريحه فى هذا الحديث ، والمهمّ هو ربط ما جاء فى هذا الفصل بما درسه الطلبة فى مرحلة الثقافة العامّة عن التربية الوطنية ، فإن فعلوا ـ وسيفعلون ـ كان من السهل أن يدركوا مرامى المؤلف فى هذه الشؤون

وأقول بصراحة إن المؤلف يهمه أن يبيّن قيمة الشخصية الإنجليزية من ناحية التماسك السياسى والاجتماعى ، فأحوال انجلترا تتغير من وضع إلى وضع ، ولكن فى هدوء وطمأنينة وثبات ، ولولا مَلَكة التماسك لاستحال على شعب كان أفراده لا يزيدون على ثلاثة ملايين أن يملك شرف الاستقلال فى آماد ترجع إلى عشرة قرون

وينبغى للطالب أن يقرن ما كُتب عن الدستور البريطانى بما كُتب عن الامبراطورية البريطانية . فأقدم مستعمرة ظفرت بحقوق الاستقلال الذاتى هى المستعمرة التى وُجد فيها سكان بريطانيون ، ومعنى ذلك أن الإنجليزى ينقل مبادئه فى الحرية إلى أى وطن ينتقل إليه ، كما ينقل معه عقيدته الدينية . . .

ومن فصول هـذا الكتاب نعرف أن الإنجليزى حين يغترب لا ينسى خصائصه الذاتية ، ونعرف أنه بطىء فى التطور إلى حد الجمود ، والبطء فى التطور هو ما أسميه التماسك ، لأن التطور السريع لا يخلو من ثورة على الشخصية الذاتية ، وما يقال عن « البُرود » الإنجليزى هو من ذلك ، فالإنجليزى بارد ، أى بطىء التحوّل ، وكذلك كان العرب سادة حين نعموا بمثـل هذا « البُرود » فكانوا فى رياض الأندلس « متطبّعين » بطباع

أرباب الشّيح والقيصوم ، وكانت أخيلة الجزيرة العربية هى المثال فى التشبيهات والاستعارات والكنايات ، حتى صح لبعض الغافلين أن يقول إن العرب لم يتطوروا فى كثير أو قليل ، وإنهم ظلوا مشدودين إلى وطنهم الأصيل

وقد قلت مرة أو مرات « إن العرب كانوا إنجليز زمانهم » ومعنى ذلك أنهم كانوا أوفياء لخصائصهم الذاتيـة ، فكانوا يتكلمون كما كان يتكلم آباؤهم الأقدمون ، وكانوا ينقلون المصحف والمسجد إلى كل أرض ، كما ينقل الإنجليز الكنيسة والإنجيل إلى كل أرض . ولو كان التطور الشامل أداة من أدوات النفع لترك العرب قرآنهم فى الأندلس ، وترك الإنجليز إنجيلهم فى الهند ، فلم يبق إلا الاعتراف بأن التطور الشامل من صور الانحلال ، وإن كان فى نظر الغافلين من صور التحرر والاستقلال !

من كتاب حافظ عفيفى نعرف أن الإنجليز تطوروا تطوراً ملحوظاً ، ومن كتابه نعرف أنهم ظلوا رغم ذلك التطور الملحوظ إنجليزاً أقحاحاً ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الرجل الأصيل يحفظ خصائصه الذاتية وإن قهرته الظروف على التنقل من حال إلى أحوال

ومن كتاب حافظ عفيفى نعرف أن الإنجليز يلوّحون دائماً بفكرة العدل — وما يهمنى فى هذا المقام تحقيق الغرض من هذا التلويح — وطواف الأذهان حول فكرة العدل له مدلول ، فهو يشهد بأن الإنجليز يهمهم دائماً أن تكون سمعتهم بمنجًى من الأقاويل والأراجيف ، فكل مشكلةٍ خليقةٌ بأن تُعقَد لها لجنة أو لجان ، وكل ثورة أهلٌ بأن يُطَبّ لها بالترفق والاستبقاء ، ومن هنا كان الإنجليز أساتذة الأمم فى فن « الدعاية » وعنهم تعلم الطليان والألمان . وفن الدعاية يراد به « تحديد الموقف » وموقف انجلترا فى دعواها هو دائماً موقف المصلح المظلوم ، وهى سياسة تدل على براعة أولئك الناس فى التخلص من مواطن الشبهات . والسياسى الحق هو الذى يهتف فى كل لحظة بأنه من الأبرياء ، براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وإن كان أعرف المخلوقات بمصدر العدوان على ذلك الشهيد !

فإن نظر طلبة السنة التوجيهية إلى كتاب حافظ عفيفى ، كما نظرت إليه ، عرفوا منه أشياء وأشياء ، ولم يفتهم غرض المؤلف فيما طواه بفضل براعته الفائقة من دقائق الشؤون ، والسياسيون يطوون أغراضهم فى بعض الأحيان !

أسلوب المؤلف

هو أسلوب على يخلو خلوًّا تامًّا من التحسين والتجميل ، ويمتاز بالوضوح والجلاء ، وقد تقع فيه ألفاظ تحتاج إلى تعديل ، كأن يقول « الجمعية الإنجليزية » وهو يريد « المجتمع الإنجليزى » وقد يقع فى تعابيره شىء من الغموض ، كأن يقول : « ولم يترتب على عدم وجود نصوص محدودة لسلطة مجلس النواب الإنجليزى تحديد فى الواقع لسلطانه » ، فهذه العبارة تحتاج إلى تأمل قليل ، ومن واجب الكاتب أن يجمل تعبيره أوضح من أن يحوج القارئ إلى تأمل ما يريد

والذى ينظر فى كتاب حافظ عفيفى لا يشعر أنه أجنبى يكتب عن الإنجليز ، فقد ملك المؤلف ناصية الموضوع بحيث يظن القارئ أنه ينظر فى كتاب ألفه أحد أبناء تلك البلاد ، ومع ذلك نلمح فى مواطن قليلة أن المؤلف استأسر للمراجع ، كأن يذكر عدد الجرائد فى انجلترا سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٨٦ وسنة ١٩٠٩ ، وكان المنتظر أن يذكر عدد الجرائد فى الوقت الذى ألف فيه الكتاب ، ولكنه فيما نرجّح وقف عند أحد المراجع التى نشرت من قبل ، ولم يشغل نفسه بتحديد ما جد فى تطور الصحافة بعد ذلك الحين

توجيهات

ينقسم كتاب حافظ عفيفى إلى ستة أبواب ، وتنقسم الأبواب إلى فصول ، فضلاً عما فيه من مقدمات تشتمل على محصول نفيس. ولن يستطيع الطالب أن يقول إنه استفاد من مراجعة هـذا الكتاب إلا إذا جمع لنفسه خلاصة وافية لما كتب المؤلف عن تاريخ الحياة الدستورية ، وما قاله عن السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، وما فصّل من الحديث عن الصحافة والأحزاب ، وحرية التجارة والحماية الجركية ، وما شرح من أحوال الميزانية ونظام البنوك ، وما دوّن من أغراض التعليم وأنظمة الجامعات ، وما قيد من خصائص القضاء وأنواع المحاكم ومجالس التشريع ، وما تعرض له فى سرد أطوار الأمبراطورية البريطانية

تلك ملامح هذا الكتاب ، أما جوهر المحصول فهو ثمين إلى أبعد الحدود ، وهو مع ذلك سهل المنال على الطالب الذى اجتاز مرحلة الثقافة العامة بوعى وإدراك

ولكن كيف يجمع الطالب لنفسه تلك الخلاصة الوافية ؟ لنفرض أنه شرع فى الباب الخاص بتكوين الرأى العام فقرأ

الفصل الأول عن الصحافة الإنجليزية ، فماذا يقيِّد حين يقرأ هذا الفصل ؟

يقيِّد تطور الصحافة الإنجليزية من أول ظهورها إلى اليوم مع ملاحظة ما مرّ بها من تطورات مذهبية واقتصادية ، ثم يقيد انتقالها من أيدى الأفراد إلى أيدى الشركات مع بيان السبب فى هـذا الانتقال ، ثم يقيد عدد تلك الشركات ، ثم يقف وقفة طويلة عند الكلام عن المنافسة بين الجرائد الشعبية وجرائد الآراء ثم يلتفت التفاتة خاصة إلى ما أصيبت به شركة الدبلى هرالد ، ثم يتعقب ما ابتُليت به الصحافة الانجليزية من الانحطاط بسبب الانحدار إلى استغلال أهواء القراء ، ثم يقيد الأخطار التى تعرضت لها السياسة الانجليزية بسبب طغيان الجرائد الشعبية ، ثم يقيد ما صنع فضلاء الإنجليز فى تأمين جريدة « التيمس » وجريدة « الإيكونوميست » من جشع الجماعات التجارية ، ثم يقيد الصلة بين الحكومة والصحافة ومراكز الصحفيين فى تلك البلاد ، ثم يقيد ما مرّ بالصحافة الإنجليزية من متاعب الجهاد فى سبيل الظفر بحرية الرأى ، ثم يقيد ما للصحافة فى انجلترا من أندية ومدارس ، مع الفهم الصحيح لعناصر هـذا الفصل الدقيق »

ولنفرض أيضاً أنه قرأ الفصل الثانى عن الأحزاب الإنجليزية ، فماذا يقيد وهو يقرأ هذا الفصل ؟

من واجب الطالب أن يعرف الغرض الذى أنشئت من أجله الأحزاب فى بلاد الإنجليز ، وأن يعرف الفرق بين دعاية مصلحة الوطن ومنفعة الحزب ، وأن يدرك كيف صارت الأحزاب فى انجلترا من الضرورات ، وأن يقيد التاريخ الذى نشأ فيه النظام الحزبى بتلك البلاد

وهنا سؤال أو أسئلة :

ظهر فى فرنسا كتاب لمؤلف معروف ، فما اسم الكتاب ؟ وما اسم المؤلف ؟ وكيف اختصم الأحرار والمحافظون حول ذلك الكتاب ؟ ومن الباحث الذى اتخذ منه دعامة لنظرية الأحرار؟ومن الباحث الذى اتخذ منه دعامة لنظرية المحافظين ؟ وما جوهر الخلاف حول فكرة ذلك المؤلف ؟ وما السبب فى وصف المحافظين بالجمود ؟ وكيف حُرِموا الظفر بالحكم زمناً غير قليل ؟ ومن المفكر الذى انتشل المحافظين من ذلك الجمود ؟ وكيف ظهر حزب العمال ؟ وما هى الفلسفة التى أوجبت ظهور هذا الحزب ؟ ومن هو المفكر الذى خلق هذه النزعة ؟ ومن أتباعه فى بلاد الإنجليز ؟ وكيف كان حظ العمال حين واجهوا الجمهور الإنجليزى أول مرة ؟ وكيف تخوّف بعض الكتاب من اتساع شقة الخلاف بين تلك الأحزاب ؟ وكيف نجت انجلترا من عُدوان الاشتراكية ؟ وما هى الأسباب التى قضت بأن يكون الاشتراكيون الإنجليز أقرب إلى المحافظة والاعتدال ؟ ومن أشهر الرجال فى حزب العمال وحزب الأحرار وحزب المحافظين ؟ ومن الرجل الذى خرج على حزبه فى إحدى ساعات الحرج فأصابه بضعضعة لم يسلم منها إلى اليوم ؟ وما مسلك الإنجليزى الشريف حين يختلف مع الحزب الذى ينتسب إليه ؟ وما أخلاق الإنجليز فى مصاولاتهم الحزبية ؟

فإذا ألمّ الطالب بهذه المشكلات كان من واجبه أن يدرك كيف يختلف الأحزاب حول السياسة الخارجية ، والسياسة الأمبراطورية ، والسياسة الاقتصادية والاجتماعية ، وأن يعرف كيف تتكون لجان الأحزاب ، وكيف تسيطر على الجمهور للظفر فى ميادين الانتخابات

كلمة ختامية

قرأت كتاب حافظ عفيفى فى ثلاث سهرات ، ولم أجد فى استيعابه أى عناء ، لأنه مفصَّل أجمل تفصيل وبأوضح أسلوب ، ولكن يخيَّل إلىّ أن الطلبة لن يدركوا مراميه فى مثل الوقت الذى راجعته فيه ، لأنى على أرجح الأقوال سبقتهم إلى الدنيا بأعوام قصار أو طوال ، وللتجارب تأثير فى إدراك أمثال هـذه الشؤون

فإلى أساتذة السنة التوجيهية أسوق الاقتراحات الآتية :

أولاً : يجب « إن أمكن » أن يحضروا مع تلاميذهم بعض جلسات مجلس النواب ومجلس الشيوخ ليمكنوهم من تصور الحياة الدستورية ، وإلا فمن واجبهم أن يقرأوا معهم بعض « المضابط » التى تسجلها « الوقائع المصرية »

ثانياً — من السهل جداً أن يحضروا مع تلاميذهم بعض جلسات المحاكم الأهلية والشرعية ليعطوهم فكرة واضحة عن نظام القضاء

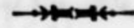
ثالثاً — ليس من الصعب أن يزوروا مع تلاميذهم بعض البنوك ليروضوهم على تصور المعضلات الاقتصادية

رابعاً — من واجب المدرسين أن يُعلّموا تلاميذهم على

في الاجتماع اللغوي

اللهجات الاجتماعية

للدكتور علي عبد الواحد وافي
مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



تنشعب أحياناً لغة المحادثة في البلد الواحد أو المنطقة الواحدة إلى لهجات مختلفة تبعاً لاختلاف طبقات الناس وفئاتهم : فيكون ثمت مثلاً لهجة للطبقة الأرستقراطية ، وأخرى للجنود ، وثالثة للبحارة ، ورابعة للرياضيين ، وخامسة للبرادين ، وسادسة للنجارين ... وهلم جرا . ويطلق علماء الاجتماع اللغوي على هذا النوع من اللهجات اسم اللهجات الاجتماعية Dialectes sociaux تمييزاً لها عن اللهجات المحلية Dialectes locaux التي كانت موضوع حديثنا في المقال السابق

ويؤدي إلى نشأة هذه اللهجات ما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق في الثقافة والتربية ومناحي التفكير والوجدان ، ومستوى المعيشة ، وحياة الأسرة ، والبيئة الاجتماعية ، والتقاليد والعادات ، وما تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف ، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة ومهنة في عقلية المشتغلين بها ، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم ، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم ... وهلم جرا ، فمن الواضح أن هذه الفوارق وما إليها من شأنها أن توجه اللهجة في كل طبقة وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها ؛ فلا تلبث أن تنشعب اللهجة العامة إلى لهجات تختلف كل منها عن أخواتها في المفردات وأساليب التعبير وتكوين الجمل ودلالة الألفاظ ... وما إلى ذلك . وقد تذهب بعض اللهجات الاجتماعية بعيداً في هذا الطريق ، فيشتد انحرافها عن الأصل الذي انشعبت منه ، وتتسع مسافة الخلف بينها وبين أخواتها ، حتى تكاد تصبح لغة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها : كما هو شأن اللهجات الفرنسية المستخدمة بين طبقات اللصوص والمجرمين وبعض طبقات العمال Argots des voleurs, des malfaiteurs et des ouvriers

ويزداد في العادة انحراف اللهجة الاجتماعية عن أخواتها كلما كثرت الفوارق بين الطبقة الناطقة بها وبقية الطبقات ، أو كانت حياة أهلها قائمة على مبدأ العزلة عن المجتمع أو على أساس الخروج على نظمه وقوانينه . ولذلك كانت في فرنسا لهجات الطبقات الدنيا من العمال واللهجات السرية لجماعات المتصوفين والرهبان ، ولهجات المجرمين واللصوص ومن إليهم ، من أكثر اللهجات انحرافاً عن الأصل الذي انشعبت منه ، وبعداً عن المستوى العام لبقية اللهجات الاجتماعية الفرنسية

ولا تظل اللهجات الاجتماعية جامدة على حالة واحدة ، بل تسير في نفس السبيل الارتقائي الذي تسير فيه « اللهجات المحلية » ؛ فيتسع نطاقها باتساع شئون الناطقين بها ، ومبلغ نشاطهم ، واحتكاكهم بالأجانب وبأهل الطبقات الأخرى من مواطنيهم ، وما يخترعونه من مصطلحات ، ويتواضعون عليه من عبارات ، ويقتبسونه عن اللغات الأجنبية من مفردات وأفكار ، وتختلف أساليبها وطرق تركيبها باختلاف العصور وتطور الظروف الاجتماعية المحيطة بالطبقات الناطقة بها ؛ فلهجات العمال والمجرمين بفرنسا تختلف بعد الحرب العظمى اختلافاً بيناً عما كانت عليه

ألوان الصحافة وأنظمة الأحزاب ليعلموهم كيف تساس الجماهير في مختلف البلاد

خامساً — في أسبوع واحد يستطيع المدرسون أن يزوروا مع تلاميذهم معاهد التعليم في مراحله المختلفات ، ليُطلعوهم على الأساليب المعروفة في تكوين الأذواق والعقول

سادساً ، وسابعاً ، وثامناً ، وتاسعاً ... (؟!) إلى آخر الاقتراحات التي يراد بها أن يفهم المدرسون أن سطور الكتاب منقولة عن سطور الوجود ، وأن المدرس الحق هو الذي ينقل تلاميذه إلى آفاق المشاهدة والعيان ، ليهديهم سبيل الفهم الصحيح

وعندئذ لن يكون من الصعب أن يقرأ الطلبة كتاب حافظ عفيفي في حدود طاقتهم الفكرية والعقلية وأن يخرجوا منه بمحصول يرضى عنه أساتذة الجامعة المصرية ، وسبحان مَن لو شاء لجعل أولئك الطلاب طلائع الهداية للجيل الجديد .

زكي مبارك

قبل ذلك ؛ وتختلف فى القرن العشرين اختلافاً كبيراً عما كانت عليه مثلاً فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ولا أدل على ذلك من أن معظم القطع التى كتبها بتلك اللهجات فى القرن الخامس عشر الشاعر الفرنسى فرنسوا فيلون François Villon (١) لم يُستطع بعد فى العصر الحاضر حل جميع رموزها وفهم مدلولاتها

وتؤثر اللهجات الاجتماعية فى لغة المحادثة العادية تأثيراً كبيراً فتستعير منها هذه الأخيرة كثيراً من التراكيب والمفردات ، وبخاصة المفردات التى خصص مدلولها العام واصطلح على إطلاقها على أمور خاصة تتعلق بفن أو حرفة وما إلى ذلك . فلغة المحادثة العادية بباريس فى العصر الحاضر قد دخل فيها عن هذا الطريق كثير من مفردات اللهجات الاجتماعية وبخاصة لهجات العمال والمجرمين

ولا تتميز فى العادة اللهجات الاجتماعية بعضها من بعض تميزاً واضحاً إلا فى المدن الكبيرة حيث يتكاثف السكان ، ويزدحم الناس ، وتنشط الحركة الاقتصادية ، وتتنوع الوظائف ، وتتعدد المهن ، ويشتد النزاع بين الطبقات كنيويورك ولندن وباريس وبرلين فى العصر الحاضر وكبغداد فى العصر العباسى

وأهم أنواع اللهجات الاجتماعية ما يسمونه باللهجات الحرفية (نسبة إلى الحرفة) ، وهى التى يتكلم بها فيما بينهم أهل الحرفة الواحدة كالبرادين والنجارين والبحارة . . . وهلم جرا . وتتميز اللهجات الحرفية بعضها من بعض تميزاً كبيراً فى المناطق التى يسود فيها « نظام الطوائف » Regime des castes فتختص كل طبقة بحرفة أو وظيفة خاصة تكون وقفاً على أفرادها لا يجوز لهم ولا لأعقابهم من بعدهم الاشتغال بغيرها كما لا يجوز لغيرهم الاشتغال بها : كما هو الحال فى كثير من بلاد الهند ، على حين أنه فى الأمم الحديثة التى قضى فيها على نظام الطوائف ، فأصبحت الحرف حظاً مشاعاً بين جميع أفراد السكان ، يزاول كل منهم المهنة التى تروقه ، وينتقل إذا شاء من مهنة إلى أخرى ، وأصبحت الطبقات الاجتماعية غير واضحة الحدود ولا موصدة الأبواب على غير أهلها ، فى هذه الأمم تتداخل اللهجات الحرفية بعضها فى بعض ، ويتأثر بعضها ببعض ، وتقل بينها الفروق ، وتضعف المميزات .

***

هذا ، وقد خيل إلى بعض الباحثين أن « اللهجات الاجتماعية » لا تنشأ من تلقاء نفسها ، بل تخلق خلقاً ، وتبتدع بالتواضع والاتفاق بين أفراد الطبقة الواحدة ، وترتجل ألفاظها ومصطلحاتها ارتجالاً ، وتابعهم فى هذا الرأى بعض القدامى من علماء اللغة ؛ ولذلك لم تنل هذه اللهجات كبير حظ من عنايتهم

وليس لهذه النظرية أى سند عقلى أو تاريخى . بل إن ما تقرره ليتعارض مع النواميس العامة التى تسير عليها النظم الاجتماعية ، فمهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ولا تخلق خلقاً ؛ بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها . هذا إلى أن معظم هذه اللهجات منتشر بين طبقات فقيرة جاهلة منحطة المدارك ضعيفة التفكير ، لا يتاح لمثلها أن تنشئ إنشاء لغة كاملة المفردات متميزة القواعد ، بل لا يتاح لها مجرد التفكير فى مثل هـذا المشروع الخطير : طبقات المتسولين واللصوص والحدادين والصيادين ... وهلم جرا

والحق أن « اللهجات الاجتماعية » لا تختلف فى نشأتها عن « اللهجات المحلية » التى تكلمنا عنها فى المقال السابق . . . كلا النوعين ينشعب عن اللغة الأصلية ويستمد منها أصول مفرداته ووجهة أساليبه وتراكيبه وقواعده ؛ وكلاهما تلقائى النشأة ينبعث من مقتضيات الحياة الاجتماعية وشئون البيئة . وكل ما بينهما من فرق أن السبب الرئيسى فى نشأة « اللهجات المحلية » يرجع إلى اختلاف الأقاليم وما يحيط بكل إقليم من ظروف وما يمتاز به من خصائص ... على حين أن السبب الرئيسى فى نشأة « اللهجات الاجتماعية » يرجع إلى اختلاف طبقات الناس فى الإقليم الواحد وما يكتنف كل طبقة منها من شئون ، وما يفصلها بعضها عن بعض من مميزات فى شتى مظاهر الحياة

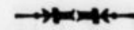
غير أننا قد نعثر أحياناً فى بعض اللهجات الاجتماعية على مفردات لا أصل لها مطلقاً فى لغة البلد ولا فى اللغات الأجنبية . ومفردات كهذه يغلب على الظن أنها قد اخترعت فى الأصل اختراعاً من بعض الأفراد وانتشرت عن طريق التقليد . ولكن

(١) شاعر فرنسى ولد بباريس سنة ١٤٣١ وتوفى سنة ١٤٨٩ . وقد عاش فى وسط اللصوص والمجرمين ، واتهم أكثر من مرة بالسرقة والقتل . ومن أشهر مؤلفاته « العهد الصغير » و « العهد الكبير » Petit Testament; Grand Testament

كتب لم أقرأها

« شتاء في بلاد العرب »

للأستاذ عبد اللطيف النشار



قد يظهر غداً من يترجم هذا الكتاب ، وقد يظهر من يكتب عنه بعد الفراغ من قراءته ، فلك أن تقول : لِمَ يكتب عنه هذا الذي لم يقرأه ؟

والجواب أنه ما من يوم إلا والصحف الإنكليزية تتحدث عن مؤلفات تمد بالمئات وفيها عشرات تهمنا . وقد يمر العام تلو العام ولا تظهر في لغتنا ترجمة لأحدها ، ولا كتابة وافية عن ثلاثة أو أربعة منها . وليس يتسع عمر كاتب لقراءة كل كتاب يقرأ عنه في غير لغته ويتمنى أن تظهر له ترجمة في لغته لما يتوسمه فيما كتب عنه من أهمية عند ذويه

وعن هذا الكتاب « شتاء في بلاد العرب » نشرت مقالتان في عدد ١٨ نوفبر سنة ١٩٤٠ من جريدة الأجبشان غازيت . أما إحداهما فهي افتتاحية الجريدة لمحررها بعنوان (الشرق والغرب) وأما الثانية ففي صحيفة « الكتب » بقلم المستر آرثر بنفولد

أما والكتاب يشغل من جريدة واحدة في عدد واحد خمسة أعمدة طوال ، وأما وهو عن العرب ، وأما وهو واحد من عشرات تهمنا كلها موضوعاتها فلا أرى بداً من اقتراح أقترحه على أدبائنا ، هو تلخيص ما يكتب عن كتب تهمنا ليكون هـذا التلخيص تعريفاً بالجديد في الأدب الغربي مما يهم العرب ، ولمن شاء أن يزيد فضله ؛ وغير مجحود فضل السابق وإن بزه اللاحق ، وغير مغموط فضل المشير وإن لم يأت بالكثير

الكتاب من وضع الآنسة فريا ستارك — طبعة موراي . وهو يصف حياتها واثنتين من زميلاتها في حضرموت في فترة الشتاء الذي وقع بين عامي ١٩٣٧ — ٣٨

أما إحدى الثلاث الأوانس فعالمة في علم الآثار ، وأما الثانية فعالمة في علم طبقات الأرض ، وأما الثالثة وهي المؤلفة فأديبة ذات شهرة خاصة بجمال الأسلوب وروعة البيان ؛ ولها كتب أخرى قبل هذا الكتاب

ويظهر من كتابة الكاتبين أن أداة البيان ضرورية جداً في كتاب مثل هذا يتضمن شطر كبير منه وصف الطبيعة الدائمة التغير في الصحراء ، ووصف الحيـاة بين الرمال وبين الصخور في عزلة عن الناس وفي أجواء وأحوال مغايرة لما ألفه من يكتب هذا الوصف

وقد اقتبس المستر آرثر بنفولد فقرات كثيرات من هذا الكتاب للاستشهاد بها على تمكنها من ناحية اللغة والقـدرة على الوصف

فإذا ما تخطينا هذا إلى ما هو أشبه بأن يهمنا وجدنا محرر الجريدة يقتبس الفقرة الآتية من مقدمة الكتاب بقلم السير كينان كورنواليس :

« والعربي إذا عومل كما ينبغي أن يعامل على أساس المساواة والمودة نِيل منه خير ما يمكن أن ينال . أما إذا أحس بالتعالي عليه أو الانصراف عنه أو الميل إلى التحكم فيه ، فلن ينال منه من يعامله كذلك إلا بما هو أهله . والعربي أكثر حساسية من الرجل العادي ؛ فهو سريع اللمحة للدقيق ، سريع الاستجابة للود والمحبة . وقد زادت وضوحاً أمامنا قيمة الصلات الشخصية والصداقات مع أهل الشرق الأوسط ، كما وضح للجميع أذى الصلف والتعالي . وليس الإنكليزي العادي بالرجل المسرف في إظهار مشاعره نحو أبناء الشعوب الأخرى ؛ ولكن الذي

هذه الظاهرة تكاد تكون مقصورة على لهجات الطبقات الراقية ، ولا تبدو إلا في عدد قليل من الكلمات . أما معظم المفردات فترجع أصولها إلى كلمات منحدرة من لغة البلاد ، أو مقتبسة من بعض لغات أجنبية . غير أن الغالب أن ينالها مع تقادم الزمن كثير من التحريف والتغيير فتبعد بعداً كبيراً عن الأصل الذي أخذت منه . وقد تصل في انحرافها هذا إلى درجة يخيل معها للباحث السطحي أنها ابتدعت بالتواضع والارتجال . ولعل هذا هو ما حدا ببعض العلماء على الظن بأن اللهجات الاجتماعية ناشئة عن تأليف واختراع .

علي عبد الواحد وافي

ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

يقرأ كتاب الآنسة ستارك يتعرف الفوارق بين ما ينبغي وما لا ينبغي فيفيد من ذلك »

ويقتبس المستر بنفولد من صلب الكتاب فقرات يؤخذ منها أن في قبائل حضرموت سيادة دينية لرجال من قريش يقال لأحدهم «منصب» . وهي تصف «المنصب» هذا بأن الناس يقبلون يده ، وأنه مهيب الطلعة ، يضع على رأسه عمامة خضراء ، وأن سلطانه يتجاوز النفوذ الروحي ؛ فهو يفرض ضرائب على الرؤوس ، ويستولي على مواشي الذين يتأخرون عن دفع الضريبة حتى يؤدوها

وتقول المؤلفة إن الخطوة الأولى من خطوات الشرق في سبيل الانحدار والسقوط هي تدنس من عوائده الوروثة ، لأنه لن يستطيع أحد في تلك البلاد أن يشعر بالسعادة إلا إذا حرص على عوائدها واقتنع بها ... إنه متى جنح إلى مثل الذي يجنح إليه الغربي من وسائل الراحة والرفاهية بدت له شدة فقره وصعوبة وسائله في الحياة وتراخى فنقد قوته الروحية ، وفقد اعتداده بأهمية القوة الروحية في هذه الحياة

وتقول الكاتبة في وصف المرأة العربية إنها تحتفظ في شيخوختها بالجمال والهدأة والعذوبة ، ولا تظهر على وجهها تلك التجاعيد التي تظهر على وجه المرأة الغربية ، وأحسب هذا نتيجة لنظام الاحتشام القاسي الذي يمنع اختلاف المشاعر المحدثة لتلك التجاعيد . وإذا كان لدى المرأة الغربية من ضبط النفس ما تقهر به تلك المشاعر ، فلدى العربية مما فطرت عليه من الجد ما يذلل مشاعرها التي تراد في الغرب لتذليلها قوة ضبط النفس . ومثل العربية في ذلك كمثل الراهبات اللواتي قلما تظهر على وجوههن في الشيخوخة تلك التجاعيد ، واللواتي يحتفظن بالوسامة رغم الشيخوخة ، ويحتفظن بملامح الاطمئنان والراحة

وفي الكتاب أقاصيص ونوادر يسرد منها مقرظه قول الكاتبة : إن قاضي المدينة أخبرها بأنه سيفتتح دكاناً ، وإن غرضه من ذلك تمضية الوقت

قالت في دهشة : وماذا تبيع به ؟ فقال : إن رأيه لم يستقر على شيء . ثم أخرج من جيبه أوراقاً وقال إنه لم يعد من مشروعه غير ما تضمنته هذه الأوراق من قصيدة سيعلقها على باب الدكان محية للزبائن

وسواء أكان هذا القول من جانبها جداً أم هو هزل يراد به تجسيم محبة العرب للشعر فإن في الكتاب هزلاً لا شك فيه يراد به لفت نظر الغربيين ، فمن ذلك ما زعمته من اعتياد الرجل في حضرموت أن يتزوج خمسين زوجة . وفيه إغراق في الوهم فمن ذلك زعمها أن حاكماً من حكام حضرموت اشترى ألف جارية من الصومال ، فلما نقلن في سفن إلى البلاد العربية اتضح أنهن حوامل جميعاً وأنهن تركن في مكان ما من الصحراء حتى يضمن فنشأ جيل من الناس بهذا المكان لا يشبهون العرب بل تدل ألوان بشرتهم وشكل شعرهم على أنهم من نسل صومالي

وتصف الكاتبة اعتقاد الأهلين بالجن وبالسحر وتنصف علماء الدين فتقول : إنهم ينكرون هذا كله ، وتقول : إن مهر العروس هناك لا يجوز أن يزيد على أربعة عشر دولاراً ولكن تكاليف حفلة العرس لا تقل عن ستين دولاراً . وتروي عن رجل عرفته اسمه السيد علوي أن نفقات زواجه بلغت ثلاثمائة دولار ، وأنه تزوج بدافع الحب ، وأنه يعتقد أن زواج الحب هو الزواج الصالح وأنه لذلك لن يعدد الزوجات

هذا بعض ما وصف به الكتاب ، ولعل فيه ما يكفي للتعريف به أو للاستزادة من التعريف

وأحسب أن في الكتابة عما لم أقرأه معتمداً على ما قرأت عنه ما لا تقل جدواه عن كتابتي عن كتاب قرأته إلى من لم يقرأوه ، كلا الأمرين تعريف لمن شاء أن يعرف ، وفي مجال البحث متسع للمستزيد

عبد اللطيف النشار

السنوسيون

للأستاذ حسين جعفر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

غزو مصر :

خضع سيدى أحمد الشريف للحركة الإسلامية التى أحياها عبد الحميد الثانى سلطان تركيا واستمر فيها خليفته . و ذلك أدت السنوسية مساعدات مادية قوية للأتراك حينما غزا الطليان طرابلس الغرب فى سنة ١٩١١ ، ولما اضطر الأتراك إلى الاعتراف بالهزيمة استمر سيدي أحمد فى حربه ضد الطليان يساعده بعض الجنود التركية الذين ظلوا فى البلاد - خلافاً لما قضت به معاهدة لوزان - وفى ابتداء الحرب العظمى الماضية لم يكن للايطاليين غير جزء ضيق من الشاطئ ، وكان السنوسيون حكاماً على داخل البلاد ، وقد عرضت شروط للاتفاق بين الإيطاليين وسيدى أحمد فى النصف الأخير من سنة ١٩١٤ وكاد يتم الاتفاق لولا أن السيد أحمد رفض أن يقبل مركز (باى) تحت الحماية . وما جاء ربيع سنة ١٩١٥ إلا وكان السنوسيون يهاجمون الموانى الموجودة تحت يد الطليان

وحوالى هذا الوقت تمكن عدد من الضباط الأتراك والألمان الذين يتكلمون العربية من الهرب إلى داخل البلاد ، وبواسطة العروض المختلفة والتملق أمكنهم أن يؤثروا على سيدى أحمد - على كره منه - فيعلن حرب الجهاد ويغزو حدود مصر الغربية . وكان سيدى أحمد متردداً ، ولم يكن تردده هذا خافياً على الإنجليز فى مصر . ولذلك أرسلوا فى نوفمبر سنة ١٩١٥ ابن عمه السيد محمد بن إدريس من الاسكندرية ليتفق معه على أن يتخلص من مستشاريه الأتراك فى مقابل مبلغ من المال ، ولكن كان الوقت قد فات لأن سيدى أحمد كان مثقلاً بالأموال والأسلحة التركية والألمانية .

وفى نهاية سنة ١٩١٥ غزا سيدى أحمد حدود مصر الغربية بجيش عدده خمسة آلاف مقاتل على أكثر تقدير مع عدد من الجند الأتراك يبلغون الألف عدا . وكان الخطر الحقيقى فى أن أى نجاح يناله السنوسيون قد يدفع البدو المقيمين على حدود مصر الغربية وفى داخل البلاد نفسها إلى الثورة

وبسبب الاستعدادات الاحتياطية التى قام بها الجنرال السير جون مكسويل - قائد الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك - فشل السنوسيون فى إحراز أى انتصار . ولم يأت فبراير سنة ١٩١٧ حتى هزم سيدى أحمد هزيمة تامة فتقهقر إلى واحة جنبوب . ويظهر أن عدم نجاح هذا الغزو أثبت بصورة جلية أن طريقة السنوسية لم تكن ذات قوة سياسية أو روحية كما تصور الناس من قبل

وقد بذل الألمان والأتراك جهدهم فى استخدام قوة السنوسى الروحية لإحداث اضطرابات فى جهات غير مصر . ففى السودان أمكنهم أن يؤثروا على السلطان على دينار سلطان دارفور ليثور ولكنه هزم هزيمة قاطمة بقوة مصرية تحت قيادة الماجور ب . ف كيلى فى مايو سنة ١٩١٦

ولم يكن للسنوسى فى باقى أنحاء السودان المصرى الإنجليزى إلا أتباع قلائل ، فإذا ابتعدنا غرباً متجهين نحو بحيرة تشاد نجد هناك أيضاً بعض الاضطرابات ولكن الفرنسيين فى تقدمهم نحو الشمال من بلدة كانين واحتلالهم الحدود الصحراوية واستيلائهم على عين جالا كا - فى إقليم بوركو وهى قاعدة السنوسى الجنوبية - فى سنة ١٩١٣ ، كل هذا مع بعض المراكز الفرنسية الأخرى كونت حاجزاً دفاعياً ضد غارات السنوسى . أما فى المناطق الداخلية من طرابلس فقد كان سلطان السنوسى قوياً اضطر الطليان معه إلى الانسحاب نحو الشاطئ ، وكان سيدى محمد العبيد وهو شقيق السنوسى يحكم مدينة فزان حتى صيف سنة ١٩١٧

العلاقات مع الطليان

لم يوافق سيدى محمد الإدريس وبعض رؤساء السنوسيين على غزو سيدى أحمد لمصر ، وكان سيدى محمد من طول إقامته بمصر قد اكتسب معلومات عن الأحوال التى كانت تعوز سيدى أحمد ، والإدريس رجل مسالم بطبيعته . وقد عقدت الحكومتان الإيطالية والإنجليزية معه اتفاقاً فى سنة ١٩١٧ ، وأقر شيوخ الطريقة سيدى محمد الإدريس على أن يكون السنوسى الأكبر . وفى أغسطس سنة ١٩١٨ وجد سيدى أحمد المقهور والمخلوع أن من الأفضل له أن يغادر طرابلس ، فغادرها على ظهر غواصة ألمانية من مصراطة إلى تركيا مع استمرار ادعائه أنه رأس الطريقة

وفى سنة ١٩١٩ أرسل الإدريس أخاه رضا فى بعثة إلى روما وبواسطة اتفاق عقد فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ اعترف الإدريس بسيادة

الطليان وأعطى لقب أمير وجمل ورائياً فى ذريته مع استمرار سلطته على واحات الكفرة وجنبوب وجالو وأدجيلة وجديبة . واستمرت العلاقات السلمية مدة من الوقت . ولكن الإيطاليين تحت حكم الفاشيست وجدوا موقفهم هذا متعباً ، وكان لديهم أدلة تثبت أن الإدريس كان يشجع الثوار فى طرابلس الذين عرضوا عليه أن يكون زعيمهم وأميرهم . فنى أوائل سنة ١٩٢٣ أعلنت حكومة الفاشيست أن الاتفاق السابق مع السنوسى يخل بكرامة الحكومة ولذلك فهى تنقضه . ولذلك انسحب الإدريس فى يناير من تلك السنة إلى مصر وظل هناك، والظاهر أنه لم يفقد أى سلطان روحى له على الناس . وأعلن أتباعه أن السلطان الروحى أهم بكثير من السلطان الزمنى . أما فى شمال طرابلس فقد ظلت المقاومة السنوسية للطليان تحت زعامة الشيخ رضا وكانت بطبيعتها حرب عصابات .

وقد حسن الطليان مركزهم فى مقاومة النشاط السنوسى بواسطة اتفاقهم مع مصر فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ وقد منحهم الاتفاق واحة جنبوب على أن تكون الحدود جنوب هذا المكان على خط عرض ٢٥ درجة . وبذلك أدخلت واحة الكفرة ضمن الحدود الطرابلسية . واحتلت جنبوب بواسطة الإيطاليين فى فبراير سنة ١٩٢٦ بلا معارضة — وهى بالنسبة للسنوسيين مدينة مقدسة إذ أنها تضم جثمان مؤسس الطريقة السنوسية وكذلك تحتوى على زاوية لتعليم الإخوان

وفى سنة ١٩٢٧ قام الإيطاليون فى شمال طرابلس بحملة منظمة كانت نتيجتها تسليم سيدى رضا فى ٣ يناير سنة ١٩٢٨ فنفى إلى صقلية . وفى ربيع نفس السنة احتلت واحة جالو وبعض واحات أخرى . واستمرت الأعمال الحربية ضد رجال القبائل بشدة حتى ما جاءت سنة ١٩٢٩ إلا وكانت واحة الكفرة هى الباقية للسنوسيين

تعاليم الطريقة :

من المحتمل أن عدد الإخوان السنوسيين ليس كبيراً . ولكن لهم أتباعاً ومريدين فى كثير من البلاد ، وفى حين نجد كثيراً من طرق الصوفيين بلا أساس وبغير ضابط مع تداخل فى السياسة تداخلاً غير مجد ـ نجد السنوسيين شغلوا مركزاً واضحاً ومؤثراً فى السياسة ، وكل رائدهم فى ذلك إحياء الإيمان وتعاليم الإسلام الأول . ويمكن اعتبار الطريقة مقتبسة من الحركة الوهابية . ويفهم من المصادر التى يمكن الاعتماد عليها أن الطريقة ليست عديمة الأساس ، وأنها كذلك ليست محافظة بل مجددة . وهى قليلة الأسرار بالنسبة إلى غيرها من طرق الإخوان المسلمين، واستعمال التبغ والقهوة محرم ولكن الشاى مسموح به، وكذلك لبس الملابس الرفيعة . وفى حين أنهم يعترفون بأنهم على المذهب المالكى فإن علماء القاهرة كثيراً ما كتبوا عن انحراف السنوسيين عن الإيمان الصحيح ، ومعظم الاتهامات تنحصر فى أنهم فسروا القرآن الكريم والسنة بدون الاعتماد على مصادر معترف بها ، ولذلك يعتبر العلماء المصريون أن السنوسيين ينشئون بذلك مذهباً جديداً لا طريقة جديدة فى العبادة ، وهم فى ذلك يُشبهون الوهابيين خصوصاً فى دقة اتباعهم لنصوص الدين

وبصرف النظر عن التعاليم الدينية نجد أن عملهم الرئيسى ـ وذلك قبل احتكاكهم بنشاط القوات الأوربية الاستعمارية ـ الغرض منه الاستعمار وتشجيع التجارة ، وقد حفروا الآبار وزرعوا الواحات وأنشأوا أماكن للاستراحة على طول طريق القوافل ورحبوا بالتجار من طرابلس وبرنو ووادای ودارفور . كل هذا دوّنه الكتاب الإسلاميون ووكالات الفرنسيين والإنجليز فى تقاريرهم

والسنوسيون كانوا على اتصال دائم بالإدارة المصرية فى واحة سيوه ، ولسنين عديدة خلت كان ممثل السنوسى على وفاق تام مع السلطات المصرية ، وإخلاص السنوسيين لرسالتهم لا شك فيه . وأتباع الطريقة خارج المناطق المجاورة لمركزهم من أوساط عالية على نقيض الطرق الإسلامية الأخرى ، ووكلاء الطريقة فى البلاد أشخاص معروفون أغنياء متعلمون تعلما جيداً وخصوصاً فى فقه الإسلام وهم عادة على وفاق تام مع حكام البلاد التى يعيشون فيها ، وهؤلاء الوكلاء يقومون عادة برحلات سنوية إلى الزوايا المختلفة الموضوعة تحت إشرافهم شارحين لأتباعهم تعاليم السنوسية

حسين جعفر
المهندس الزراعى

المصادر

1. — Wingate "Mahdüsm and the Egyptian Sudan"
2. — Cromer "Modern Egypt"
3. — Count Gleichen "The Anglo Egyptian Sudan"
4. — Berman "The Mahdi of Allah"
5. — Wilfred Scawen Blunt Dairies
6. — Elgood "Egypt and the Army"
7. — Elgood "The Transit of Egypt"
8. — Julien "L-Afrique Française"
9. — Julien "Le Dar Ouadai"
10. — دائرة المعارف البريطانية جزء ٢٠

محاورة أفلاطون الخيالية
حول التربية الانجليزية
للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد
— ٣ —

المحاورة خيالية بين الفيلسوف أفلاطون وبين أحد المربين الانجليز. وقد دارت فى المقالين السابقين حول نظام التربية فى انجلترا والغاية منها، تلك الغاية التى يوضحها المربى بأنها إعداد الفرد ليشترك فى الحكومة الديمقراطية بطريق انتخاب رجال الحكم، وأعضاء المجالس النيابية. وهذه التربية — كما يقول المربى الانجليزي — تجربة فى الحكم الذاتى، أى حكم الشعب نفسه بنفسه. ويرى أفلاطون أن تربية الشعب عامة محدودة ولا تكفى لاقتداره على الاشراف على تصرفات الحكومة، وسياستها الداخلية والخارجية. ولكن المربى يقرر أن نظام التربية فى انجلترا يسمح لكل فرد أن ينال خبرة مهنية فنية، وأن يصيب من الثقافة العامة ما يمكنه من معرفة شئون السياسة العامة للأمة. والفرص متاحة لكل من تؤهله مواهبه الطبيعية لأى نوع من أنواع التعليم أولياً كان أو ثانوياً أو جامعياً. وهنا يقترح أفلاطون أن تترك مقاليد الحكم للجامعيين، وحملة الشهادات العليا، لما هم عليه من ثقافة فلسفية وعلمية. بيد أن المربى لا يشاركه الرأى، ويقول: إن الحياة هى جامعة الجامعات، وأبواب المناصب مفتوحة لكل من تزكيه كفايته وخبرته لأيها، سواء أكان من أبناء الجامعات أم من غيرهم.

أفلاطون: لا شك أنك ستجد ضرورياً أن تفرق بين نوع التربية الملائم للرجال المسئولين، وذوى التبعات الوطنية، وبين نوع التربية الملائم للصناع والعمال. فتربية الأول هى تربية ثقافية عالية، بينما تربية الآخرين تربية فنية مهنية.

المربى: أنا لا أومن بهذا الرأى. إننا نعتقد فى بلادنا أن كل فرد يجب أن ينال نصيباً آخر من التربية غير تلك التربية الآلية التى تعده للمهنة أو الصنعة، لأن كل الأفراد قد مُنحوا صفة البشرية، وصفة التعقل والإدراك، ولهم قوى كامنة يمكن أن تتقبل الثقافة والحكمة. ولهذا يجب أن ينال كل فرد إلى تربيته المهنية تربية ثقافية عامة.

أفلاطون: ولكن أتسمحون بهذه التربية الثقافية العامة للموهوبين وغير الموهوبين على السواء؟

المربى: كلا. هذا مستحيل، أولا لأن السواد الأعظم من تلاميذ المدارس يكتفون بالتعليم إلى نهاية المرحلة الأولية، أعنى إلى سن الرابعة عشرة؛ وثانياً لأنه ليس كل الأفراد صالحين للتعليم الجامعى.

أفلاطون: إننى موافقك على هذا بكل قواى. إن الطبقة قليلة الذكاء من أبناء الشعب والتى أسميها العامة فى «مدينتى الفاضلة»، لا تفهم الفلسفة ولا تتمتع بها. والأفراد القلائل منها الذين يتذوقون طعم الفلسفة يخدعهم أول أفاك يقابلون، أو متطبب، أو متدين محتال يستولى على قلوبهم بعبارات الدين الخلابة. إن ذوق العامة يميل دائماً إلى الدون من كل شىء. ولا يفرق بين التكحل والكحل، ولا بين الحقيقة والخيال. وهذا هو ما دعانى لأن أحظر على العامة دراسة الحقائق والعلوم الفلسفية، وأن أقصرهم على الأساطير، وأحاجى الآلهة، والأقاصيص الخيالية. تلك الأشياء التى أسميها «الأكاذيب النبيلة»، والتى يجب على الحكومة أن تهيئها للعامة لترضى رغبتهم الملحة فى التثقيف والتنوير، ولتمدهم بشىء يتحدثون عنه وتلوكه ألسنتهم، حينما يجلسون ليقتلوا أوقات فراغهم. ولقد سمعت بأمة مجاورة لكم قد عملت وزارة للدعاية وتنوير العامة. وكم أفعم هذا الخبر قلبي سروراً، لأنه يدل على أن من بين أعضاء حكومة هذه الأمة من يقدرون الأخطار التى تنجم عن ترك العامة يطعمون أخلاط الثقافات والآداب والموسيقى لا فرق بين غثها وسمينها، فتؤثر هذه الأخلاط فى نفوسهم، وتحملهم على الثورة وسوء النظام

المربى: أحسب أنك لا تمتاز كثيراً عن الفاشستى! كيف تحل هذا النوع من الدعاية الحكومية التى يقصد بها استرقاق عقول الناس، وحقنهم بالأكاذيب، والأخبار المموهة؟ إن هذا لهو القضاء النهائى على الحرية

أفلاطون: وهل يتمتع حقاً أبناء شعبك بالحرية؟ أليسوا هم أيضاً أرقاء للأكاذيب والأخبار الفجة التى يطالعونها كل يوم فى الصحف، وفى السينما، وفى القصص الروائية، ويسمعونها من الخطباء فى الأندية والنقابات؟

المربى: يجب أن أعترف بكراهيتى لهذا النوع البخس من الصحف اليومية التجارية، ولهذا النوع الدون من إنتاج السينما. ولكن لا تنس أن الإنجليزى حر مهما كانت الحال ليختار لنفسه، فهو ليس مجبراً لأن ينصت لجانب واحد من الدعاية، بل له أن يسمع كل الآراء والقضايا، ويكوّن هو بعد ذلك حكمه الخاص

أفلاطون: لا تتعجل فى نتائجك. أنت تقول: إنه حر الاختيار، فكيف يتسنى له هذا إذا لم يكن عنده مقياس للاختيار، ولم يكن له المحك الذى يميز به الزيف من الصحيح؟ من المؤكد

أنه لا يستطيع الاختيار . ولذلك فهو يقف زائغ الفكر متحيراً ، قد بهرته أسراب الخيالات التى تطن فى أذنيه طنين النحل ، حتى لا يدرى أواقف هو على رأسه أم على قدميه . صحيح إن سماع أخلاط من الأخبار الموهة أكثر إمتاعاً من سماع خلط واحد ، ولكنى لا أستطيع أن أفهم لم تدعى أن الفرد فى الحال الأولى حر ليختار وفى الحال الثانية رقيق يقبل كل ما يسمع . إن حقيقة الأمر هى أنه ما دام الفرد لا يستطيع التمييز بين الزيف والصحيح فليس بحر ، سواء أكان هذا الفرد انجليزياً أم ألمانياً أم آتينياً

ولذلك فإننى حينما أفكر فى نظام التربية القائم عندكم ، والذى تقولون عنه إنه تجربة فى الحكم الذاتى ، لا أجد شيئاً من هذا الحكم الذاتي المزعوم ، لأن هذه التربية التى تبالغ فى حمدها لا تجعل العامة أحراراً ، ولكنها تبعث على الغرور والادعاء فى نفس متلقيها . والنتيجة هى أن هؤلاء العامة الذين تلقوا هذه التربية قد أصبحوا أكثر تعرضاً لخطر تجار الثقافه والمعارف ، وأعنى بهم أولئك الدجالين الذين يخدعون العامة بعقالاتهم الطنانة وإعلاناتهم الثقافية لابتزاز المال ، لا من أيدى الصناع والعمال ، بل من أنصاف المتعلمين . والدليل على قولى هذا بسيط . فلو كانت تربيتكم صحيحة حقاً لما ظل فى بلادكم هذا النوع من تجار الثقافة ، بل لضاقت عليهم الأرض بما رحبت فهاجروا إلى بلاد أخرى . أما وهم لا يزالون بين ظهرانيكم فهذا دليل على أن التربية القائمة عندكم لا تكوّن المناعة الكافية ضد تجار الدين والثقافة والعلوم

وشبيه هذا ما يحصل فى ميدان السياسة . فالجمهور لا يستطيع طبعاً أن يفكر فى شئون السياسة تفكيراً سليما . وهو يظن زعماً أن تربيته قد كونت منه سياسياً مفكراً ، هذا الظن الذى يجعله أكثر خضوعاً لأنواع الدعاية والإعلان السياسى . ويخيل إلى أن كل صانع أو عامل نال شيئاً من التربية العامة الأولية يعتقد أنه قدير على الفصل فى الأمور التى ليس له فيها تجربة أو معرفة

إنك تدرك معى الآن أنه من السهل على أى خطيب من خطباء السياسة ملء الجيب وحاد اللسان ، أن يخرج على الناس بمشروعات ضخمة يخدع بها أنصاف المتعلمين ، فيرضى فيهم الميول الطائشة ، ويستولى على مشاعرهم بإثارة عاطفة الادعاء فيهم ولقد حدثت عن أنواع السفسطائيين الذين يحتالون باسم الثقافة والعرفان ، والذين يعيشون بينكم ناعمى البال . وأعتقد أنك لا تستطيع أن تنكر أن هؤلاء إنما يرتعون فى أموال المتعلمين من أبناء جنسك . على أن هذه الحال إن دلت على شيء فإنما تدل على أن النفس البشرية لا تخضع دائماً للحقائق والمعارف الصحيحة التى تقدم لها فى المدارس والمعاهد ، وإنما تجنح إلى شيء آخر : إلى الخيال والكرامات والمعجزات . وتقبل — كلما سنحت لها الفرصة — الخرافات والخزعبلات ، بدلاً من أن تتقيد بقوانين العلم وأسس المعرفة الصحيحة . وذلك لأن الحقائق ليست حلوة المذاق دائماً ، وليس لها تلك الجاذبية التى للدعاوى الخادعة

من أجل هذا كله أرى لزاماً عليكم أن تكونوا حذرين فيما تعملون لأجل سعادة أمتكم وصلاحها . لأن التربية المحدودة تجعل الفرد يخدع نفسه بنفسه ، ويظن أن المعارف أمر سهل المنال ، وأن أبوابها مفتحة لكل من قرأ كتاباً أو سمع محاضرة

وهذا ينطبق أيضاً على الديمقراطية عندكم . فإننى أخشى أن تكون هى الدكتاتورية التى تكرهونها ، ولكن فى ثوب الديمقراطية ، فيخدع العامة بما يقول مروجوها

وفى ظنى أن قادة الرأى عندكم ليسوا أحراراً أيضاً فيما يقولون ويفعلون فمحررو الصحف، وواضعو الأفلام ، والخطباء، ورجال السياسة ، والناشرون ، كل أولئك ليسوا أحراراً يعملون ما يشاءون ، ولكنهم خاضعون لميول العامة وذوقهم ، حريصون أن يقدموا لهم ما تستسيغ حلوقهم

المربى : لقد تحقق ظنى فيك ، فقد حسبتك فاشستياً من طليعة حديثك . والآن أصبح الحسبان يقيناً ، فأنت لا حرمة عندك للجماعة البشرية ، وليس فى قلبك حدب عليها ولا حب لها. أنت تريد أن تسيطر على كل فرد ، وأن تجعله يعتقد ما تعتقد . وإننى أؤكد لك من الآن أنك لن تجد من يعطف عليك فى بلادنا ولا من يشاركك الرأى

أفلاطون : إن ما تقول لجائر ، ولكن اعلم أنى غير راغب فى إخفاء الحق رغبة منى فى عطف أهل بلادك على ، ومع هذا لا أعتقد أنهم سيكرهوننى كما تفكر ، إنهم أعقل مما تظن

المربى : إن ما أستطيع استنباطه من حديثك هذا هو أنك تريدنا أن نرجع إلى الوراء ، إلى الزمن القديم ، زمن جهالة العامة وحكم طبقة الأقلية الخاصة ، زمن مدارس أولاد الأعيان(١)

أفلاطون : كلا . أنا لا أريدكم أن ترجعوا إلى الوراء ، وإلى

(١) Public Schools

يا عروسي ... في قبرها

[لقد تعجلنا يوم الزفاف .. وتعجل القدر
نزفها إلى قبرها ... ولم تلبس ثوب عرسها]

للأستاذ علي متولي السيد

... منذ أربعة شهور تحقق الحلم الذي أملناه .. ودنت أو كادت - تلك الأماني التي طالما ترقبناها ... ووضعت يد في يد ... وسأل سائل وأجاب مجيب ... وأخذنا الميثاق ... وتعاقدنا أمام الله والناس ... ثم انفض المجلس وارفض السامر وخلا المكان إلا مني وإلا منك ... ونظرات الحياء ترمقينني بها في سحر وفتنة .. والابتسامة البنفسجية الرائعة تحدثينني بها في خجل ومتعة ... رويداً رويداً ترفع الكلفة بيننا ... فتنطلقين تحدثينني وأنطلق ... ونظل زمناً من الزمن بعيدين عن العالم وما فيه ... الدنيا تبكي ونحن نضحك والعالم كله يقف على أسنة الحراب وألسنة اللهب ونحن في نشوة الفرح نرشف عذب الهوى وفي غمرة الحب نسقى بكأس الأمل ونهزج سوياً بأغرودة السعادة ... وطيور السماء فوقنا تبارك بالنشيد الباسم حبنا الموفق ... وهمسات الأهل والصحب حولنا تؤيد بالدعاء الصادق عهدنا المقدس ... ونحن في حلم الهناء نتعجل يوم الهناء ... فننطلق معاً إلى القاهرة نعد معدات العرس ... ونختلف ونتفق... وأوثر اللون الأحمر وتفضلين اللون الأخضر، ونفتن في اختيار الأثاث نقلبه على شتى وجوهه ونطرق من أجله كل معرض نزاوج بين ذوق وذوق . . . ونرسم معاً - في أنفسنا - حجرة النوم وحجرة الاستقبال وموضع هذا في هذه ومكان هذا في تلك، ثم نعود وقد أعددنا كل شيء ولم تبق إلا أيام قليلة نسعد بعدها بالزواج الموفق الهنيء ...

... ثم تدفعني بعض أسباب الحياة لأسافر سفراً قصيراً، وأعودك بعد العودة، وقد حملت لك باقة من زهرات البنفسج التي تحبين وتعشقين... فأجدك طريحة الفراش، وأنظرك فأراك ساهمة واجمة، وأتأمل عينيك فأرى فيهما دمعة حائرة تترجرج ... وأسألك ما بك ؟ فتشكين إلي بذات الجنب ... وأهدئ جزعك، وأهون شكواك، وأكتم في نفسي الألم البالغ، وأتمحل الهدوء لأشعرك بأنها نكسة خفيفة ... ونذهب إلى الطبيب ليفحصك ... فيهون الأمر على نفسك وعلى نفسي. ويعطيك دواء حسبنا فيه الشفاء ... وخلناها جميعاً سحابة صيف سريعاً تنكشف. ولكن المرض يلح، ولكن العلة تزداد ... ولكن اللون الأحمر الطبيعي الجميل الذي يزين وجهك يتحول إلى صفرة باهتة فيها معنى الموت ... ولكن عينيك النجلاوين يشوبهما تلون غريب يشعر الناظر إليه بمعنى الفناء ... وأقضي الليل مسهداً إلى جانبك مؤرق القلب والفكر مفتوح العين أرمق عينيك الساجيتين فأسمع من نظرتهما معنى الذبول، وأرنو إلى فك النائم فيهزني صمته بنشيد الموت. وأجدك تحملين يدك بجهد وتمدينها إلي متثاقلة لأضمها بين يدي كما كنت تفعلين ... وكأنك تطلبين مني اليوم عهداً جديداً على الوفاء ... ثم ... ثم ... ثم ما زالت يدك بين يدي تزلزلني شهقتك الطويلة وتسلمين الروح لبارئها . . . وتنتقلين سريعاً - ونحن معاً - من دار إلى دار ...

يا عروساً لم تلبس ثوب عرسها ...

إنها دارك ... وقد زيناها معاً ... فهي محرمة على غيرك ... وسأقضي ما بقي من العمر فيها وحدي ... أرتل - خاشعاً - في محرابها صلوات الهوى الطاهر العف والحب الملائكي النبيل ها هو ذا رسمك يا عروسي يطالعني صباح مساء وكأنك أنبته

الزمن القديم . لأن الرجوع للوراء مستحيل، ولكني أحب أن أذكرك أنه ليس من الضروري أن يكون القديم فاسداً والجديد صالحاً، فقديماً - وقبل الحكم الديمقراطي، وقبل التعليم العام - كان شعبكم مكوناً من طبقتين: طبقة الأرستقراط، وطبقة العامة. ولم يكن ثمت ضير . وكان العامة صناعاً وعمالاً وزراعاً . وكانوا مسرورين راضين بأعمالهم ومهنهم، قادرين عليها، وكانوا سعداء قانعين بحياتهم، بالرغم من أنهم لم يتمتعوا بنظام التربية العامة الحالي . وقد تركوا شئون الدولة للأعيان والأرستقراط، وكانوا يؤمنون بالتعليم الديني، وكل ما يتعلق بالفضيلة والخطيئة والحياة الآخرة، وهل لي أن أذكرك أيضاً أن ذلك الزمن القديم هو الذي بنت فيه بريطانيا امبراطوريتها، وأنتجت النابغين من رجال الفن ورجال الأدب الذين يحق لها أن تفخر بهم ؟ وكان ولاة الأمور في ذلك الوقت ذوي بصر واتزان وحكمة، عليمين بالتبعات الشاقة الملقاة عليهم، وكان الشعب مطمئناً إلى أن السياسة الحكيمة للأمة لا يحسنها إلا الأرستقراط ورجال الدين

(يتبع - بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد



صاحب السلطان الزائف

ليس لديه من دواعى السلطان غير رتبة البك ، أما المال فحظه الحقيق منه قد لا يسلكه حتى فى أمثالنا من عباد الله القانعين المتواضعين ؛ ومع ذلك فقد تواتى له من البأس والسلطان ما يندر أن يتواتى لغيره من ذوى الثراء العميم والحسب القديم .

واتفق له فى غير مشقة من وسائل جمع المال ما لو اتفق لسواه من أهل الكدح والجد لعد عندهم من أنعم الله التى ينسى معها كل عنت ويهون فى سبيلها كل نصب ... وهو والحق يقال أحد أفراد أسرة فيها من رزق حظاً عظيماً من الثراء وإن لم تكن كغيرها من الأسر الكبيرة القائمة حولها معرقة فى الفضل والحسب

كان يتداخلنى العجب كلما ترامى إلى شىء من أنبائه ، حتى لقد تاقت نفسى آخر الأمر إلى رؤيته كما كانت تتوق وهى غريرة إلى رؤية الغول ولكن على بعد وفى مأمن من أظفاره وأنيابه ، وكما قد تتوق اليوم إلى رؤية الدنشى مثلاً وغيره من غيلان الإنسانية رؤية آمنة فى غير الورق أو السينما ! ولقد تميل النفس إلى رؤية ما تكره كما تميل إلى رؤية ما تحب وهذه من عجائب غرائزها !

وتحققت لى رؤيته أخيراً فى قريتنا وهى ملتقى عدد من القرى بينها قرية ذلك الآمر الناهى . وكان ساعة رأيته يجلس فى حاشية من (محاسيبه) أمام مقهى من المقاهى على الطريق العام ، وهو لا يحلو له الجلوس إلا حيث يراه الغادون والرائحون ، فما يراه أحد من ذوى المكانة إلا أقبل عليه مرحباً مسلماً ، وما من صاحب حاجة إلا ويشكو إليه حاجته ويلتمس عنده طلبته

وجلست غير بعيد أنظر إليه فى جلبابه الفضفاض وقد دفع طربوشه إلى مؤخر رأسه ، واتكأ على عصاه تحت إبطه ، وشمخ بأنفه ، ورفع رأسه إلى آخر ما يسمح به وضع طربوشه الذى ظللت أتوقع من حين إلى حين سقوطه وراء ظهره حتى رأيته يهوى ولكن ليرفعه أحد الجالسين فى أقل من ارتداد الطرف ، وقد تزاحم عليه نفر منهم يطمع كل واحد أن يحظى بشرف إزالة ما علق به من التراب بكم جلبابه

وجاء النُّدُلُ مذ رأوه فأحنوا جباههم ورفعوا أيديهم يحيون « سعادة البك » فى ابتسام واحتشام ، ودارت أقداح الشاى والقهوة على الجالسين ؛ وكان لا ينى البك عن طلبها لكل قادم فى لهجة كريمة حازمة

وشكا البك من غبار الطريق، وسأل محنقاً : ماذا يصنع المجلس القروى إذاً ؟ ووعد أن يتحدث فى ذلك إلى المأمور فسليقاه فى المركز غداً ... وإذ جاء ذكر المأمور تقدم رجل فى يده عريضة وهو يقول : « يا سعادة البك الله يخليك ... » وقطع عليه سعادة البك كلامه متسائلاً : ألم تنته مسألته بعد ؟ ثم تناول منه ورقته ودسها فى جيبه وصرفه طالباً إليه أن يقابله عند باب المركز صباح الغد ، وما لبثت العرائض أن تزاحمت على جيب البك ... فهذا يرجو أن يكون خفيراً ، وذلك يطمع أن يعين فراشاً ،

عنك ليكون شاهداً علىّ إن نكثت بالعهد ولعبت بالميثاق ...

ها هو ذا رسمك يا حبيبتى مى دائماً ... لن أقبّله .. لن أضمه إلى صدرى ... وكيف ؟! وقد تعاهدنا على أن نعيش فى الحرمان حتى يوم الزفاف ، وضننا على أنفسنا حتى بالقبل البريئة ... وكنا يهود الهوى فالخزائن ملأى ... وما بها حلال لنا ، والرقباء غفل ولكننا كنا البخلاء ندخر كل لذة وكل متعة ليوم الزفاف ... يوم نعب كما نشاء فى عش الزوجية الجميل ...

يا عروسى ... فى سمائها !

لقد شئنا ... وشاء الله ... فما نملك من أمرنا شيئاً ، وإن رحلتك إلى هنا ختامها . وأما شوطى فما زال فيه بقية ... سأقطعها وفياً لعهدك صائناً حبك ... مقدساً ذكرك ... ولن أكون فى هذا إلا راداً لك بعض حقك ، مؤدياً لك يسيراً من دينك ...

يا عروساً ... زفت إلى قبرها ... !

لقد كنا نتعجل الزفاف ، نخشى أن يجرفنا تيار الحرب فنذهب فى غباره ... وكم أعددنا الهدايا الرقيقة الضاحكة نفاجئ بها صحبنا تعجلنا يا عزيزتى ... وتعجل القدر ... فاختطفك الحمام وأثواب العرس مازالت تحاك . ووسائد الفراش ما زالت تنجد . وضمك القبر قبل أن يضمك الحبيب ، وأعلام الفرح الخضراء نكسناها فى يومك الرهيب ... والبطاقات الوردية الجميلة التى أعددناها للمدعوين جللناها بالسواد ، ونعيناك بها للمشيعين والمعزين

يا عروسى ... فى جوار ربها ... !

وداعاً ... وداعاً ... إلى لقاء ...

علي متولي السيد

وفلان يرجو نقل ابنه إلى بلد قريب ، وآخر يستعجله ما وعد فى أمره ، وهو يكرر لهم جميعاً وعوده مؤكداً مستمهلاً إلى أمد قريب ...

وتسلل أحد جلسائه إلى هؤلاء فتحدث إلى كل منهم على انفراد برهة ، ثم عاد إلى حيث يجلس سيده وفى جيبه هو أيضاً ورق ولكن من نوع آخر !

ولاح ضابط الشرطة مقبلاً فأفسح الجالسون له مكاناً قبل وصوله ، وأقبل فسلم على البك فى اهتمام عظيم لا تفلته عبارة من عبارات الترحيب ولا يفوته شيء مما يحفظ من التحيات يشفعها جميعاً بألقاب التعظيم والتبجيل ؛ وبدا لى أنه ضابط ذكى إذ كان يزيد فى ترحابه وتحياته كلما رأى أثرها الطيب على قسمات البك ، وقل فى الضباط من لا يتقن هذا التهويل فى مناسبة كهذه ، فهو لا يكلفهم شيئاً ، أما ما يعود عليهم منها فأقل ما يرجونه أن يكف عنهم أمثال صاحب السلطان هذا ألسنتهم عند أولى الأمر إن لم يجودوا عليهم بالثناء والإطراء بل وبالشفاعة والرجاء إذا اقتضى الحال شفاعة أو رجاء

وارتاح البك إلى حضور الضابط فانطلق يتحدث عن مقابلاته التى ضاق بها ذرعاً ، فحسبه أن قابل فلاناً وفلاناً من الوزراء فى أسبوع أكثر من ثلاث مرات ، أما مقابلاته للمدير فأكثر من أن يحصرها عد ؛ ثم يمسك البك قليلاً ويعود فيقسم بحياة أبيه وقد تصنع الغضب أنه لولا ابتغاء وجه الله لما رضى بأن يسود وجهه من أجل الناس على مثل تلك الحال الأليمة

وتعلق منظارى بمرآه فما يكاد يتحول عنه ؛ وذكرت ما تراءى إلىّ قبل من أنبائه وصدقت ما كنت أحمله قبل رؤيته على المبالغة ؛ فهذا الرجل جدير حقاً أن يذهب بنفسه ، كما علمت وقد توسلت به بنى معروفة ، فيرجو لها من بيده الأمر ألا يحول الشرطة بينها وبين ما تأتيه من الفجور فى أحد الموالد ، لا لشئ إلا ليثبت جاهه فى ساحة المولد ... وهذا الرجل جدير بأن يوهم أغرار الناس بأنه قادر حتى على أن يحول بينهم وبين يد العدالة ، وإلا فكيف ذهب يتوسل إليه ، كما قد علمت علماً لا يداخله شك ، من كانت تهمتهم جريمة القتل ؟ وهذا الرجل جدير حقاً بأن يفهم كل من له به صلة بأن جاهه لا يقف عند الخفراء والفراشين وإنما يتعدى هؤلاء إلى العمد وإلى من هم أكبر خطراً من العمد من جماعة الموظفين ... وهذا الرجل جدير بأن يحتجز سيارات النقل عند مدخل قنطرة على حدود قريته فلا تمر إلا أن تدفع قدراً معيناً من المال ، وأخيراً هذا الرجل جدير بأن يصب نقمته على من يشاء وأن يختص بنعمته من يشاء ، وله فى مجال النقم حديث طويل أراه نقمة بالغة أن أوذى به أنفس القراء

أما زرعه إذا حان وقت الزرع وأما حصاده إذا أراد الحصاد فحدث عنهما ولا حرج، فأهل قريته جميعاً لا يسألونه على جهودهم أجراً إلا الرضاء ... على أن حظه من الزرع والحصاد لا يتطلب عظيم مشقة لقلة ما يمتلك من الأرض إلا إذا شاء له جاهه فاستأجر أرضاً من أصحابها وزرعها فى نظير أجر لا يحظى بمثله غيره من الناس

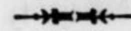
وحمدت الله أن لم تقع علىّ عين البك فلقد كنت منه كالجن أراه من حيث لا يرانى، فما لى طاقة بأن أتلقى منه نظرات الكبرياء والاحتقار التى رأيته يشيع بها كل فرد ممن يسميهم المتملقين سواء من سلم عليه منهم أو من أعرض عنه ، وكان لا يفوته أن يسأل عمن يعرض عنه ثم يذكر آباءهم متسائلاً — وإنه ليعلم — تساؤل الساخر المستطيل ، وهو يرد إلى هذا الصنف ممن يسمون المتملقين فى القرى كل أسباب الفساد والرذيلة ، ولست أدرى ماذا كان عسياً أن يحدث بينى وبينه إذا أخذتنى عيناه فتظر إلى وهو لا يعرفنى هاتيك النظرات ؟ على أنه لم يفطن إلى مكانى وكفى الله المؤمنين القتال !

وأرسل البك فى طلب سيارة فحضرت ، ووقف السائق حتى نهض البك للركوب فخف به جلساؤه ، ونادى أحد النذل ووضع يده فى جيبه ، ولكن النذل أسرع قائلاً : « الحساب خالص يا سعادة البك » ، وأشار إلى أحد الحاضرين وتظاهر هذا بالحياء وشكره البك واتخذ مكانه فى السيارة بعد أن سلم على مودعيه ، وركب معه من يستصحبهم من أهل قريته

وانطلقت السيارة تحمل ذلك الوجيه العظيم ، ومن عجيب أمره أنه على عظمته التى رأيت لا يملك سيارة ولكن كل سيارة فى هذه الجهة ملك له ، فهي جميعاً رهن إشارته ، ولن يعدم أن يجد « الحساب خالص » إذا اتخذ إحداها على يد رجل ممن يصحبونه

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى



هل تنتصر اليونان

هل يتاح للأمة اليونانية النصر فى صراعها الحالى مع إيطاليا؟ أو هل يتاح لها على الأقل أن تحتفظ باستقلالها من العدوان الفاشستى؟ سؤالان لا أكاد أجلس فى مجتمع حتى أسمعهما، فأسمع أحاديث المتشائمين والمتفائلين، وأسمع حججاً تبرر التشاؤم والتفاؤل، وأسمع مقارنات تدل على الحيرة والتردد فى الأخذ برأى قاطع؛ ويرى كثيرون أن مأساة الحرب الروسية الفنلندية تتكرر بين إيطاليا واليونان

ومن الواجب أن يقف الباحث لحظة أمام هذه الأسئلة الدقيقة، فيستعرض موقف الدول الأربع مما يمس الناحية العسكرية بما تضم من استعدادات عسكرية، والقرب أو البعد من البلاد الحليفة والمؤيدة، وسهولة صلتها بها أو صعوبتها، وانشغال الدول المتحدية بالحرب فى ميادين أخرى

فبين إيطاليا والروسيا كثير من وجوه الاتفاق، وبينهما أيضاً كثير من وجوه الاختلاف ولا يسعنا إلا أن نرجح فيها كفة اليونان؛ وبين فنلندا واليونان كثير من وجوه الاتفاق والاختلاف أيضاً؛ ولكن الاختلاف فى مصلحة اليونان أيضاً

فعدد سكان الروسيا ١٨٥ مليون، وعدد سكان فنلندا ثلاثة ملايين؛ وعدد سكان إيطاليا ٤٠ مليوناً وعدد سكان اليونان ثمانية ملايين. كانت الروسيا تحارب فنلندا وحدها، أما إيطاليا فتحارب انجلترا فى مصر وفى شرق أفريقيا، ثم اشتبكت بالحرب مع اليونان.

فنلندا واليونان

حقيقة إن الروح المعنوية فى فنلندا كانت عالية، فباع جنودها أرواحهم بيع السماح، ووفقوا فى أول أمرهم توفيقاً كبيراً، وهو ما نرى مثيله عند اليونان وإن كانت اليونان تمتاز بعدد أوفر من الرجال تستطيع أن تضمه فى ميدان القتال، فلا شك أن عدد المجندين الذين يمكن الانتفاع بهم فى ثمانية ملايين يزيد على ضعفى العدد الذى يستطاع تقديمه من ثلاثة ملايين فقط

وأن اليونان تمتاز — فى وضعها الجغرافى — بميزة عظيمة، فميدانها قريب من الميدان الشرقى؛ ومواصلاتها معه سهلة لا تعترضها صعوبات تمنع من إمدادها بالمساعدات العسكرية السريعة، وتجهيز جيوشها الباسلة بالعتاد الحربى الذى كان نقصه السبب الأساسى فى هزيمة فنلندا التى تعذر إمدادها بالذخائر والجنود لصعوبة مواصلاتها مع انجلترا، ولعدم وجود مرافىء لها على بحر الشمال، ولمعارضة النرويج أثناء الحرب الفنلندية فى السماح للجنود المحالفة بالمرور فى أرضها، فكانت هذه المعارضة وحدها عاملاً كافياً لحبس المساعدة عن فنلندا

أما فى اليونان، فالجزء الشرقى فى البحر الأبيض المتوسط يقع تحت السيطرة الكاملة للأسطول البريطانى، ويقع فى منتصفه تقريباً جزيرة كريت اليونانية التى احتلتها القوات البريطانية، واتخذت منها قواعد حربية لإفساد خطط إيطاليا، ولإمداد اليونان بما يستطاع تقديمه من الرجال والمعدات، وإذا كانت بريطانيا قصرت معونتها لليونان على المعونة البحرية والجوية الآن فالغرض من هذا الاحتفاظ بقوتها البرية فى ميادين أكثر أهمية وهو الميدان المصرى الذى يعتبر تعزيزه تهديداً قوياً يشتت شمل القوات الإيطالية ولا يسمح لها بتوجيه ضربتها الحاسمة إلى اليونان

من ألبانيا

وقع فى إيطاليا صعوبة أخرى فهى تهاجم اليونان من ألبانيا؛

وهو غالباً لا يتخذ سيارة إلا إذا أحضرها له صاحب حاجة يرجو قضاءها على يديه؛ فإن اتخذ سيارة فى أمر خاص به وركبها وحده فهو لا يمسك الأجر عن صاحبها إلا إذا سها، وقليلاً ما يسهو لأنه قل أن يتخذ سيارة وحده

وبعد، فأمثال هذا العظيم فى الريف غير قليلين، ولكنا نقول على رغم ذلك: إننا فى عهد العرفان والنور، وليت شعرى إذا كان هذا عهد النور، فكيف كانت الحال فى عهد الظلام، وكيف تكون حالنا غداً إذا نحن أغمضنا العيون عما يشين، ولم نلتمس السبل للخلاص منه؟

الخفيف

ونظرة واحدة فى خريطة البحر الأبيض تبين الفاصل البحرى بين إيطاليا وألبانيا ، وتبين أن طريق الإمدادات الإيطالية يجب أن يعبر البحر، فيسهل على أسلحة الطيران تهديده من جزيرة كورفو أو من غيرها، فضلاً عما يحتاج إليه النقل البحرى من وقت واستعداد يفوق النقل البرى ؛ أضف إلى ذلك أن ألبانيا من الدول المحتلة التى تسعى للخلاص من الفاشست ، فإذا كان أهلها لا يستطيعون الثورة بضغط الحديد والنار ، فإنهم يكفون يد المساعدة للقوات الإيطالية على الأقل

والحوادث العسكرية فى اليونان تشابه إلى أمد بعيد مثيلتها فى فنلندا ، ففى أول الحرب الفنلندية أحرز الفنلنديون عدة انتصارات حربية ، وأوقعوا بالشيوعيين خسائر فادحة حتى أعجب العالم ببسالة ذلك الشعب الصغير، إلا أن الحظ أو الموقع الجغرافى للمدن السوفياتية لم يسعفهم بقدر ما أسعف زملاءهم اليونان ، فلم يتيسر لهم الإحداق بمراكز الهجوم الروسية كما أتيح لليونان الإحداق بكوريتزا مركز الزحف الإيطالى

فإذا قدر لليونانيين الاستيلاء على هـذه المدينة التى تقع فى الميدان المتوسط للزحف الإيطالى تيسر لهم إحباط جانب كبير من خطط الغزو الإيطالى لبلادهم ، أو وقفوا الزحف الإيطالى مدة طويلة وأنقذوا سالونيك التى تقع على إحدى الطرق المتفرعة من هذه المدينة كما يهددون طرق المواصلات الإيطالية فى الجهتين الشمالية الممتدة إلى فلورينا فى الجبهة الممتدة إلى الشاطئ فى جبال أبيروس

ولو وفق الزحف الإيطالى فى الوصول إلى سالونيك لتيسر له أن يشطر بلاد اليونان إلى قسمين ولأصبحت مقاطعة تراقية اليونانية لقمة سائغة سهلة الهضم ، كما يتاح لإيطاليا الحصول على قواعد بحرية وجوية تعزز مراكزها فى جزر الدوديكانيز فتستطيع منهما أن تهدد القسم الشرقى من البحر الأبيض المتوسط وتسيطر على بحر إيجة بأجمه وعلى منطقة المضايق

الصمت التركى

وأثبت الساسة الترك فى حوادث اليونان الأخيرة مبلغ خبرتهم كرجال عسكريين وساسة حكماء بابتعادهم الحالى عن الاشتراك الفعلى فى الحرب مع ولائهم لقضية الديمقراطية والمدنية . فإن صمتهم الحالى أفعل وأجدى ، وهم بصمتهم يقدمون إلى اليونان مساعدة أجل من مساعدتهم المادية فيكرهون طرف المحور الآخر (ألمانيا) على الوقوف موقف المتفرج

فلو تقـدمت الجيوش التركية فى تراقية لمساعدة اليونان لاستولت ألمانيا على بلغاريا ومنها تهاجم اليونان ومنطقة المضايق فى الدردنيل والبسفور . إلا أن تركيا وفرت قوتها لفترة أكثر مناسبة فأصابت طائرين بحجر واحد ، فصانت مصالحها أولاً ، واضطرت ألمانيا إلى الانتظار وفوتت عليها فترة كانت ترجوها ، حتى يتيسر لها الزحف إلى الشرق حيث منابع البترول فى العراق وإيران ، ثم تهديد قنال السويس

فاحتفاظ الجيوش التركية بمواقعها وانتظارها لخطط المحور الأصلية التى يستبعد — كما يرى بعض الساسة والعسكريين — أن تكون اليونان واحدة أساسية منها ، ينذر بفشل تحقيق هذه الخطط . فالجندى التركى خبير ببلاده متمرن على وعورة أرضها ورداءة جو جبالها بعكس الجندى الألمانى أو الإيطالى . أضف إلى ذلك ما يتكلفه اجتياز منطقة المضايق من أوربا التركية إلى أوربا الأسيوية من ضحايا عسكرية تزيد خطورة كلما زادت القوات الحامية لها فى الاستعداد ، وخصوصاً إن ألمانيا أو إيطاليا لا تملك القوات البحرية التى تستطيع أن تمهد للاستيلاء على هذه المناطق

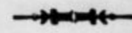
وشعرت إيطاليا فى الأسابيع الماضية بخطورة المقاومة اليونانية فغيرت القيادة هناك ، ورأى القائد الجديد أن يسحب الجنود الإيطالية من مواقعها ليبدأ خطة جديدة تعيد لإيطاليا كرامتها العسكرية ، وهذا يدل على مقدار الخسارة التى منيت بها الجيوش الإيطالية حتى اقتنع القائد بفشل الخطط السابقة وفضل أن يبدأ حركاته من جديد دون أن يسيل لعابه من أجل المواقع التى تحتلها قواته

والخلاصة أن ظروف القتال فى اليونان تختلف عن مثيلتها فى فنلندا وتبعث على التفاؤل أكثر مما تبعث على التشاؤم . وإذا كانت بريطانيا لم تمدها بالرجال فليس معنى هذا ضعف الأمل فى نجاح اليونان بل ربما تجد القيادة البريطانية أنه سابق لأوانه الآن

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة

بين أثينا وبين روما

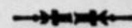
للأستاذ عبد اللطيف النشار



بين «أثينا» وبين «روما» تغوص بالفكر أم تطير ؟
فى ظلمات بقاع بهم ليس بها ذرة تنير
تختنق العين فى دجاها والنفس والروح والضمير
فتلك «روما» التى يباهى بمجدها جيلها الأخير
ضخامة ما لها رواء ينكرها الحس والشعور
يا زهرة ما لها عبير فى ظلك الضيقُ والنفور
يا زمناً لم يزل يدور مبدأ روما هو المصير
شعب ضعيف يسير كرها كما يرى حاكم كبير
هيهات هيهات يا أثينا لن تقبلى الحكم إذ يجور
دنيا من الحسن يا أثينا لا برحت شمسها تنير
يريد إطفاءها غشوم هذا لعمرى هو الغرور
قد عاش حراً ومات حراً ذلكمو الشاكر الصبور
وارث سقراط فى حجاه تعجز عن كيده الدهور
فى الحرب والسلم يا أثينا تشرق فى جوك البدور
فيك بشير بكل ما لم يأت بعصر له بشير
لو لم تكن مصر لى بلاداً لقلت فى أرضك النشور
لبيك لبيك يا أثينا أسمعنى صوتك الجهير
ما جن «بيرون» فى هواها لكنه شاعر بصير

طلع الفجر . . .

للأستاذ أمين عزت الهجين



طلع الفجر يا حبيبى وغنى الطـ ير بين الغصون لحن الصباح
فاصح يا حلو ، قد صحا الور د وطاف النسيم بالأقداح
خمرة هزت الغصون فمالت تتناجى تناجى الأرواح

ها هو الغصن على الغصن يميل
والفراشات جرت بين الحقول
وحلت جلستنا تحت النخيل

ها هى الأزهار حولى ابتسمت ذكرتنى بك فاشتقت إليك
فتعال إن روحى ظمئت والكؤوس امتلأت بين يديك
أيها الساحر ماذا فعلت بفؤادى مقلتاك
صفق القلب وروحى سكرت حينما لاح بهاك
وهموم العيش يابدرى مضت كلها عند لقاك
يا حبيبى كتب الله لنا أن نُقضى فى الهوى أعمارنا
فتعال إنه يوم المنى يا حبيبى . . . . . .
ها هى الأطيار تشدو حولنا وتغنى للروابى حبنا
أنت دنياى ودنياك أنا يا حبيبى . . . . . .
ساعة فى العمر تقضيها معى لا أبالى بعدها ماذا يكون
فإذا ما حان يوماً مصرعى وبدت فى الأفق أطياف المنون
سوف لا أذكر إلا قبلة منك توجتَ بها هذا الجبين

ما أكذب الأحلام

للأستاذ فؤاد بليبل



لاَ الْحُبُّ عَادَ وَلاَ جَمَالُكِ دَائِمَا فَعَلاَمَ أَشْقَى فى هَوَاكِ عَلاَمَا ؟
أَغْرَيْتِنِى بِالْمَالِ حَتَّى خِلْتُنى نِلْتُ الْمَرَامَ وما قَضَيْتُ مَرَاما
خَابَ الرَّجَاءُ فَيَا لَشِقْوَةِ شَاعِرٍ ضَلَّ الْحِسَابَ وَأَخْطَأَ الأَرْقَامَا
وَقَفَ الْحَيَاةَ عَلَى الدُّمَى مُتَجَرِّدًا مِنْ قَلْبِهِ وَتَعَشَّقَ الأَصْنَامَا
وَمَضَى يُخَادِعُ نَفْسَهُ فى وَصْلِهِ مَنْ لا يُحِبُّ وَهَجْرِهِ الآرَامَا
أَغْرَتْكِ مِنْهُ صَبْوَةٌ كَذَّابَةٌ فَحَسِبْتِهِ بِهَوَاكِ جُنَّ هُيَامَا
وَسَبَتْكِ رِقَّتُهُ وَعَذْبُ بَيَانِهِ فَظَنَنْتِهِ أَرْعَى الأَنَامِ ذِمَامَا
هَلْ كَانَ حُبُّكِ غَيْرَ طَيْفٍ عَابِرٍ نَادَى الْغُرُورُ بِهِ فَزَارَ لِمَامَا
حُلْمٌ مِنَ الأَحْلاَمِ مَرَّ بِخَاطِرِى يَوْمًا وَأَجْفَلَ مُعْرِضاً أَعْوَامَا



كتب لم أقرأها

تفضلت الآنسة سناء محمد فأرشدتنى إلى مرجع قيم لموضوع كنت قد ألممت به فى كلمة لى نشرتها الرسالة . أما المرجع فهو شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، وأما موضوعى فيتعلق بالكلمات العامية . وسيرى القارئ أى فضل أسدته إلىّ الآنسة حين نبهتنى فى رفق ولين إلى وجوب البحث فى المراجع قبل تناول ما يتصل بها من الموضوعات

على أنى إن شكرت لها هذا الفضل فإنها قد أوحت إلىّ بخاطر سأظل معترفاً لها بالعجز عن الشكر عليه . وهذا الخاطر هو أن أنشر كتاباً عنوانه « كتب لم أقرأها »

أقسم إنه لعنوان رائع ... ولئن وفق كاتب إلى الإتقان فى وضع كتاب كهذا فهو بالغ به الذروة فى عالم التأليف ! ألا يتاح له بث مشاعره كلها نحو المجهول ؟ « كتب لم أقرأها » ... إنها لملايين وإن لدى الكاتب من الشوق إلى بعضها ومن العلم بشىء عن البعض ، ومن الأوهام والجهالات عن أكثرها ، ما تتسع له طوال الأعمار وطوال الأسفار

وفى غير هذا المكان من الرسالة كلمة عن أحد الكتب التى لم أقرأها ، ويبين منه أسلوبى فى تناول هذا الموضوع فلن أغرب وإن لم أعجب ، ولن أتبع طريقاً غير مألوف بل سأتحدث عن كتب قرأت عنها فى لغة أخرى وهى مكتوبة عنا ونحن أحوج إلى قراءتها

فإلى التى أوحت إلىّ بهذا الخاطر أهدى هذا المقال وما يتبعه تحت عنوانه ـ إن أفسحت الرسالة صدرها لهذى الرسائل وإلى الرسالة وإليها أهدى خالص التحية .

عبد اللطيف النشار

حول الحرب والشعر

يؤسفنى أننى أغضبت الأستاذ العقاد بملاحظات متواضعة على ترجمته لقصيدة سهول الفلاندر المشهورة للشاعر الكندى جون ماك كراى

وإذا كان الأستاذ تفضل فأسعفنى بالنص الإنجليزى من كتاب « بعد عشرين عاماً » الذى اعتمد عليه فى كتابة مقاله ، فإننى أهدى إليه النص الإنجليزى من مقال الأديب الأمريكى المشهور برنهارد راجز وهو فى مجلة نيويورك تيمس يناير سنة ٩٣٨ والنص هكذا

The Editor recognizing its beauty, printed it in heavy-leaded typte, which Punch uses only on great occasions

وترجمته هكذا (ولما أدرك محرر البنش ما فى القصيدة من جمال نشرها فى حروف كبيرة لا تستعملها الصحيفة إلا فى المناسبات العظيمة) وهذا الكلام هو ما قلناه بعينه فى خطابنا المنشور بالرسالة فى صلب مقال الأستاذ العقاد

أما ترجمة كلمة Torch بالعنان فلا زلت أخالف الأستاذ العقاد فيها لأنه كان الأصح أن يقول :

خذوا بأيديكم عنان النضال مع الأعداء
أيدينا المتخاذلة ألقت إليكم (بالشعلة)
فارفعوها أنتم أنفسكم عالية

أما ترجمته We lived بقوله : « كنا أحياء وكنا نحيا » فهو تكرار لا وجود فى الأصل كما قلتُ

وأما ذكر الجملة الشرطية فى ترجمة الأستاذ بقوله (ارفعوها

حُلمٌ ، تَوَسَّمْتُ المسرَّةَ وَالرِّضا ... فيه ، فكانَ كآبةً وَخِصَاما
حُلمٌ ، رَجَوْتُ به الشِّفاءَ وَلمْ أكُنْ ... لِأَظُنَّ أن الدَّاءَ كانَ عقاما
حُلمٌ ، نعم حُلمٌ تصرَّمَ وانقضتْ ... أوْهَامُهُ ، ما أكْذَبَ الأحْلَامَا
أغْنِيَّةُ الحُبِّ الذى ألْهَمْتني ... أسْرَارَه ، فنظَمْتُها أنْغاما
ماتَتْ عَلَى شفَتيَّ حَتَّى أصْبَحَتْ ... أنَاتِ حُزْنٍ تَبْعَثُ الآلاما
ياخَيْبَةَ الآمالِ كيف تَصَرَّمَتْ ... لم تشفِ جُرْحًا ، أو تبلَّ أوَاما
خِلْتُ السَّعادَةَ فِي غِنَاكَ حَقِيقَةً ... وَطلبتُها ، فَوَجَدْتُها أوْهَاما
والمالُ ! ساءَ المالُ ! كَمْ مِنْ شاعِرٍ ... لمَحَ الرَّدَى بِبَرِيقِهِ فَتَعَامَى
ليسَ السَّعادةُ أنْ تعيشَ عَلَى القِلَى ... إنَّ السَّعادَةَ أنْ تموتَ غَرَاما

ولو بقيت فى أيديكم سنوات) فهو شرط لم يرد فى الأصل بقيت نصيحة الأستاذ المخلصة لى بأن (أتعلم قبل أن أتهجم) وهى نصيحة سأعمل بها ، وأجد من الشرف دائماً أن يكون الإنسان محتاجاً إلى العلم فى كل لحظة. وعليه منا ألف تحية وسلام.

محمد عبد الغنى حسن

تقسيم الجيش الحديث

ننشر هذا التقسيم لنساعد القارئ على فهم المصطلحات العسكرية التى ترد فى البرقيات اليومية ، وهى لا تكاد تختلف فى مختلف الجيوش

مجموعة جيوش	Army Group	وهى جيشان فأكثر
الجيش	Army	فيلقان فأكثر
الفيلق	Army Corps	فرقتان فأكثر
الفرقة	Division	جيش صغير كامل العدة (١)
اللواء	Brigade	آلايان أو ثلاثة (٢)
الآلاي	Regiment	كتيبتان أو ثلاث أو أربع
البطارية	Battery	أربعة أو ستة مدافع بعدآتها
الكتيبة (مشاة)	Battalion	٣ أو ٤ أو ٥ سريات
« فرسان	Squadron	« « « «
السرية	Company	٣ أو ٤ فصائل
سرية خيالة	Troop	« « «
الفصيلة	Platoon	٣ أو ٤ جماعات
الجماعة (الصنف)	Section	أصغر وحدة عسكرية

الى الأستاذ الباجورى

١ — شرحنا البيتين يا أخى شرحاً أيدتنا به كتب التصوف التى بأيدينا ووافقنا عليه أديبان فى العدد ٣٨٣ ، وإليك اليوم بعض أقوال الصوفية لتكون الحجة :

قال الشاعر :

(بذكر الله تزداد الذنوب ... وتحتجب البصائر والقلوب)
(وترك الذكر أفضل منه (حالاً) ... فإن الشمس ليس لها غروب)

والشطر الأول من البيت الأول يفسره قول الجنيد : « من قال (الله) عن غير مشاهدة فقد افترى » ، وقول الشاعر :

« وذكر يمزى النفس عنها لأنه ... لها متلف من حيث تدرى ولا يدرى»

ويقول ثالث : « ... معناه أن التقرب إليه بالأعمال تفرقة » . وسخر شاعر من (الذاكرين) فقال :

«هبنى أراعيك بالأذكار ملتمساً ... ما يبتغيه ذوو التلوين بالغير »

ويفسر الشطر الأخير منه ، ويبين كيف الذكر باللسان (يحجب البصائر ويتلف القلوب) قول القائل : « إنما يحجب العبد عن مشاهدة مولاه (أوصافه) »

وفى البيت الثانى انتقل الشاعر من الذكر اللفظى إلى الترغيب فى الحال الذى هو الغيبوبة عن هذا الوجود ، والاتصال بالله تعالى مباشرة ، وإلى هذا يشير (محمد بن إسحاق) فى كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف) قال : « فكأن جمى به فرقنى عنى فيكون حالة الوصل هو أن يكون الله عز وجل مصرفى ، فلا أكون أنا فى أفعالى ، فهو الله لا أنا ، كما قال لنبيه : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) . وهذا لسان الحال ولسان العلم ... الخ » ويشير إليه أيضاً بقوله : « يكون فانياً عن أوصافه باقياً بأوصاف الحق » والحال هذا هو الذى يفسرونه أحياناً بالمعرفة الحقة : « المعرفة إذا وردت على السر ضاق السر عن حملها كالشمس يمنع شعاعها من إدراك نهايتها وجوهرها »

وهنا أحب أن أقول للأديب (الباجورى) إنه ذكر أن (أصحاب البصائر والقلوب حال) ، وليس الأمر كذلك ، وإلا لما اضطر إلى النص فى البيت الثانى على (الحال) ، ولا كتفى بدلاً عنه بالضمير

٢ — نحن لم نتهمكم بما لا تعلمونه يا سيدى، وأنت وإن كنت صوفياً لا تقول (بالحلول) إلا أن غيرك من السادة آمن به وقال عنه بل واستشهد فى سبيله ، وصنف له الكتب . وما (الظرفية) التى تتحدث عنها إلا السلاح الذى يشهره أعداء الصوفية فى وجوههم، ولنقرأ معاً بعض ما نقلوه وقالوه عن مذهبهم فى (الحلول)

نقلوا عن ابن عمر أنه قال : « كنا (نتراءى الله) فى ذلك (المكان) يعنى الطواف » ونقلوا قول محمد بن واسع : « ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه » ، ونقلوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « كنت له سمعاً وبصراً ويداً فبى يسمع وبى يبصر » ، كل هذا

---

(١) تتكون الفرقة من ١٧ قسما وهى تعتبر جيشا كامل المعدات من جميع أنواع الأسلحة وتستطيع تأدية الأعمال العسكرية بمفردها وتعتبر أصغر وحدة فى الجيش وهى تتكون من أربع رياسات : (١) مركز الرياسة العام (ب) رياسة المدفعية (ح) رياسة للمهندسين (د) قسم خدمة الجيش . ويلحق بالفرقة آلاى فرسان ووحدات شئون صحية وبوليس حربى

(٢) لا يوجد فى تنظيم الجيش المصرى الحديث آلايات مشاة ويتألف اللواء من ٣ أو ٤ كتائب من المشاة وعدد من بطاريات المدفعية

نقلوه ليقولوا : « من ادعى شيئاً من ملكه — وهو ما سكن فى الليل والنهار — من خطرة وحركة أنها له ، أو به ، أو إليه ، أو منه فقد جاذب القبضة ، وأوهن العزة » وليقول الجنيد : « هو العارف والمعروف » ، وليقولوا ما تقدم : « فهو الله تعالى لا أنا فيكون (المعبود والعبد) »

وبعد كل هذا أحيل الأديب على الدكتور زكى مبارك الذى دون فى كتابه (التصوف) ما يقرب من نحو سبعين صفحة فى تحليل هـذا المذهب — مذهب الحلول — وهو يفاخر بأنه استطاع أن يحصره

السعيد جمعة

بين الرسالة والكتاب

كَثُر ما يرد على الرسالة مقالات وملاحظات لأسماء مستعارة فلا نستطيع نشرها لأن كتابها الأفاضل ينسون أن يذكروا أسماءهم الحقيقية بجانب أسمائهم الاصطلاحية ثم يلوموننا على إغفال النشر . وقد رجوناهم من قبل ألا يقفونا موقف الحرج بين رغباتهم الأدبية وبين واجباتنا الصحفية ، ولا بأس أن نكرر اليوم هذا الرجاء .

حول كتاب

كنت أتصفح عرضاً كتاب « شرح المحفوظات والنصوص العربية » للمدارس الثانوية (الجزء الثانى — الطبعة الرابعة) ، فاستوقفنى شرح المؤلفين لبيت المتنبى :

ولو أن الحياة تبقى لحى — لعددنا أضلنا الشجعانا

فقد جاء فى شرحه : « لو فرض أن إنساناً يخلد حياً لكان هذا الإنسان من الجبناء الذين يفرون من مواقف الخطر على النفوس دون الشجعان الذين يحافظون على كرامتهم وشرفهم فى أحرج المواقف التى تعرضهم للهلاك . والواقع أن كل نفس ذائقة الموت متى حل أجلها »

ورأيت أن شرح البيت على الصورة المتقدمة لا ينطبق على معناه . والذى يدل عليه البيت هو أنه لو كان هنالك خلود وأن الإنسان يبقى حياً مهما امتد به العمر لا يموت موتة طبيعية لكان بالغ الطيش وعين الحماقة ومنتهى الضلال أن يكون شجاعاً يواجه الموت مختاراً . ولكن لما كان الموت مصير كل حى فإن فى التشبث بالحياة والتنحى عما يمليه الواجب منقصة وهواناً . ويتم هذا المعنى البيت الذى سبق البيت المذكور والبيت الذى تلاه

وقد عنّ لى بعدُ أن أطلع على شرح ديوان المتنبى للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى فرأيته قد أورد شرحاً للبيت ما يلى :

« لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذى يتعرض للقتل أضل الناس ؛ يعنى أن الحياة لا تبقى وإن جبن الإنسان ولزم عقر داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالى

ولعله لا يسوء الأساتذة الشارحين هذا التعليق ودافعى عليه وجه الحق وحده .

محمود أحمد وصيف

أمة التوحيد تتحد

سيدى الأستاذ صاحب الرسالة الغراء

كان لافتتاحيتكم البليغة فى العدد ٣٨٤ تعليقاً على ما نشرته الأهرام عن مشروع تحالف بين الدول العربية رنة استحسان عظيمة فى الأوساط كلها لأنها عبرت عما يتمناه كل مسلم وعربى من لم شمل العربية والمسلمين وجمع كلمهم وتوحيد قوتهم حتى يتألف منهم حلف يستطاع الانتفاع به فى هذه الظروف المدلهمة

وفى الأهرام الصادرة فى ٧ الجارى خلاصة لخطبة العرش التى ألقاها سمو الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق يوم ٥ الجارى وقد جاء فيها : « إن الأحوال العالمية لم تزل تتطور تطوراً خطيراً يدعو إلى أشد اليقظة والانتباه إلا أنه مما يستدعى ارتياحنا أن تكون حكومتنا ساهرة على مصالح البلاد واضعة نصب عينيها صيانة سلامة المملكة باتخاذها كل التدابير الممكنة، كما أنها لا تنفك عن مواصلة الجهود فى سبيل ما تصبو إليه الأقطار العربية المجاورة من الأمانى القومية . أما علاقاتنا الحسنة مع المملكتين الشقيقتين المملكة العربية السعودية واليمن وكذلك مع جارتينا العزيزتين تركيا وإيران فتزداد وثوقاً ولا سيما فى الظروف العصيبة هذه »

وللعراق فضل كبير فى سبيل توحيد كلمة العرب منذ ماتبوأ مقعده بين الدول المستقلة ومنذ بدأ بعقد أواصر الإخاء والمودة مع جاراته وأولاها المملكة العربية السعودية وكان بينهما جفاء شديد فعقد معها محالفة ثم عقد مثلها مع دولة اليمن وشرق الأردن ، ثم دخل العراق فى حلف سعد آباد فعقد أواصر الإخاء مع جاراته كلها ، ولم يقتصر على ذلك بل سعى فى بلاده وفى لندن وباريس وتركيا لخدمة فلسطين وسوريا

إن أول نواة كان لها أفضل الأثر فى كيان العرب هو عمل جلالة الملك فيصل — رحمه الله — مؤسس مملكة العراق إذ



هل كان حلماً

عن الفرنسية

أحببتها إلى حد الجنون ! ولماذا يحب الإنسان ؟ ... لماذا يحب ؟ ما أغرب الحالة التي يصير إليها من لا يريد أن يرى غير امرأة واحدة ولا يفكر إلا في فكرة واحدة ولا يضمر إلا رغبة واحدة ولا ينطق إلا باسم واحد يخرج من أعماق نفسه متدفقاً كالماء من الينبوع ولا يزال يعيده في وحدته كأنه بعض الصلوات والأدعية !

سأخبرك بقصتنا وهي قصة لجميع المحبين ، فإن للحب سيرة واحدة ... قابلتها فأحببتها وبقيت عاماً كاملاً أعيش في حنانها ورحمتها ... بين ذراعيها وثوبها . في كلماتها ونظراتها وكنت مغموراً في كل ما يصدر عنها فلم أعد أعرف الليل من النهار ، ولا الحياة من الموت ، ولا هل كنت في الأرض أم في مكان آخر

ثم ماتت ولكن كيف ؟

لست أدري ، لم أعد أذكر !

جاءت مبتلة الثياب في ليلة ممطرة ، وفي اليوم التالي أصيبت بالسعال ، ثم اشتدت الحالة بعد أسبوع فلزمت الفراش . ولست أدري ماذا حدث في خلال هذه المدة سوى أن الطبيب كان يأتي ويكتب ورقة وينصرف ... وكانت امرأة في المنزل تحضر الدواء وتسقيها . وكانت يداها حارتين وجبينها يكاد يحترق وعيناها تسطعان في حزن . وكنت أكلمها فتجيب ، ولكنني لا أعي ماذا كنا نقول ... لقد نسيت كل شيء ! كل شيء ... كل شيء ! وماتت وأنا لا أزال أتصور شهيقها الخافت الضعيف

وقالت الخادم إنها عرفت كل شيء ... فأما أنا ففقدت إدراكي ؛ ثم رأيت القسيس يوجه الخطاب إليّ ويقول : « خليلتك ... » ؛ فخطر لي أنه يريد إهانتها ، ولأنها قد ماتت فما ينبغي أن يشير أحد إلى ما كان بيني وبينها ، ولذلك طردت القسيس ... وجاء رجل في غاية الشفقة واللطف فكلمني عنها كلاماً أجرى دموعي

واستشاروني في أمر الجنازة ولكني لا أدرك كلمة مما قالوه ، وإن كنت أتذكر شكل الصندوق وصوت الفؤوس ، وحينما فتحوا القبر ، عفوك اللهم ورضاك !

« دفنوها ! نعم دفنوها ! هي في القبر ... وجاء صواحبها وهربت ، ولم أزل أجري من طريق إلى طريق . وفي اليوم التالي بدأت السياحة ...

***

وفي الأمس رجعت إلى باريس ، ولما رأيت غرفتنا القديمة وسريرنا وأثاثنا وكل شيء يبقى من الحياة الإنسانية بعد الموت ، لما رأيت ذلك أصابتني نوبة جديدة من الحزن حتى كدت أفتح النافذة وألقي بنفسي منها

ولما لم يكن في وسعي البقاء بين تلك الجدران التي كانت تضمها فقد حملت قبعتي أريد الخروج ، فلما وصلت إلى الردهة رأيت مرآة طويلة كانت وضعتها هناك لتصلح من هندامها وهي خارجة فوقفت أمام المرآة وكدت أرى صورتها مطبوعة عليها

سعيه المشكور للاجتماع بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ذلك الاجتماع التاريخي على ظهر باخرة بريطانية ، فقد أظهر الرجولة الملك فيصل في كل تضحية في سبيل نسيان العداء ، وتأسيس وحدة عربية قوية فعلت فعلها ، والعمل على ما فيه خير العرب والمسلمين ، وها هو ذا خطاب العرش في عهد جلالة الملك فيصل الثاني حفيد مؤسس العراق يشير إلى خدمة العروبة في هذه الظروف المدلهمة وهو صادق في إشارته

فإذا تحققت الوحدة العربية والإسلامية كان للعراق أفضل الأثر في هذا المضمار العظيم . وسيدي الأستاذ الزيات من أعلم الناس بفضل العراق على البعثات العربية في بلاده وكيف يرسل البعثات العسكرية والعلمية والعملية إلى جاراته مثل اليمن والمملكة العربية السعودية للخدمة الفعالة في الأقطار الشقيقة . وهذه كلها مقدمات لوحدة عربية عملية سريعة .

نسأل الله أن يحقق للعرب والمسلمين وحدة تزيدهم قوة . وأن يتولانا بلطفه وكرمه وينقذنا مما حولنا ، إنه خير مسئول .

(القاهرة) محيي الدين رضا

وقفت أرتعش ونظرى معقود بتلك الصفحة الصقيلة اللميعة المصنوعة من البلور فى تلك المرآة التى كانت تحتويها . وشعرت بأننى أحب هذه المرآة فلمستها ووجدتها باردة . ما أوجع الذكرى أيتها المرآة المحزنة ، المرآة المحرقة ، المرآة المفزعة التى جعلتنى أقاسى كل هذه الآلام !

سعيد من يستطيع أن ينسى كل ما انطبع على صفحة المرآة وكل من مر بها وكل من نظر إلى نفسه فيها . لقد كان الوجه الذى يرتسم عليها هو وجه الحبيبة الراحلة . فما أشد ما أعانى

خرجت من المنزل من غير رغبة ولا مقصد ، وظللت أمشى حتى وجدت نفسى بين المقابر ، وجدت قبرها البسيط وعليه صليب صغير من المرمر قد نقش عليه (أحبت وماتت)

ها هى ذى هناك ولكن جسمها أصبح بالياً ، فيا أكبر المصاب ، بكيت هنالك ورأسى منحن على القبر ، وظللت واقفاً مدة طويلة حتى أظلم الليل ؛ ثم قامت بذهنى رغبة جنونية غريبة رغبة المحب اليائس ؛ أردت أن أقضى الليل كله باكياً لدى القبر وخشيت أن يرونى فيطردونى فماذا أفعل ؟

ابتعدت عن القبر وظللت أمشى فى مدينة الأموات وما أضيقها بالقياس إلى مدن الأحياء ! ثم ما أكثر الموتى وأقل الأحياء بالقياس إليهم ! نحن نحب المنازل العالية والطرق المتسعة ، ونحب أن نشرب الماء من ينابيعه والخمر من كرومها ، ونأكل مما تنبت الأرض ، ولكن ليس للموتى شىء غير أن الأرض تأكلهم كما أكلوا نبتها

وعند نهاية المقابر وجدت أجداثاً قديمة تكاد الأرض تعلوها وقد بلى ما عليها من الصلبان والأحجار وامتنع زوارها ، وعند هذه الأجداث وجدت أشجاراً كثيفة وحديقة صغيرة جميلة تبعث الحزن لأن أعوادها تستمد الغذاء من لحوم الموتى

ولم يكن فى هذا المكان أحد غيرى فاختبأت وراء شجرة كثيفة متشبثاً بالثمامة كما يفعل الغرق

ولما اشتد ظلام الليل تركت مكانى ومشيت بخفة وبطء حريصاً على ألا يسمعنى أحد وإن كان المكان خالياً إلا من الموتى ؛ وظللت أمشى مسافة طويلة ولكننى لم أهتد إلى قبرها فبسطت يدىّ وصرت أتلمس بها كل قبر فلم أهتد إليه . وكنت أمشى كما يمشى العميان فعثرت مراراً بقطع من الصلبان والأحجار والحدائد وبأسلاك معدنية كانت فى وقت من الأوقات تلتف حولها أزاهر الأكاليل ، وصرت أقرأ أسماء الموتى المنقوشة على قبورهم . فما هذه الليلة ؟ ما هذه الليلة الرهيبة ! لقد كادت تنقضى ولم أهتد إلى القبر

ولم يكن فى السماء قمر ولا نجوم وكنت خائفاً فى هذه الممرات الضيقة بين صفوف القبور ... القبور القبور ، ولا شىء غير القبور ... ! عن يمينى وعن يسارى وأمامى وحولى قبور ... جلست على أحدها لأنى لم أعد أستطيع موالاة السير ، وكنت أسمع دقات قلبى ، وكنت أسمع صوتاً آخر يشبه ذلك الصوت ... ما هو ؟ جلبة ضعيفة قد اختلطت فيها الأصوات ، فهل كانت فى رأسى من التعب أم كانت تحت التراب الممتلئ بالرمم ؟

نظرت حولى ولكننى لم أتبين كم ساعة قضيت . وكنت كالمشلول من كثرة الخوف والانزعاج ، وكدت أصرخ ، بل كدت أموت

ثم تخيلت فجأة أن قطعة الرخام التى جلست فوقها قد بدأت تتحرك ، وانتقلت منها إلى التى بجنبها ، ورأيت القبر الذى تركته قد انفتح وظهر الميت الذى كان به ولم يكن غير عظام عارية من اللحم وكان هو الذى يدفع غطاء قبره ليفتحه

نظرت إلى الاسم المنقوش على القبر فرأيت هذه الكتابة :

« هنا جاك أوليفانت الذى مات فى الحادية والخمسين ، وكان محباً لأسرته رحيما شريفاً »

وقرأ الميت أيضاً هذه الجملة ، ثم أخذ من العظم قطعة حديدة الطارف ، وصار يمحو هذا النقش بعناية حتى طمسه ونظر بثقبى عينيه الأجوفين ، وكتب بقطعة العظم الباقية بين أصبعيه :

« هنا جاك أوليفانت الذى مات فى الحادية والخمسين وقد عجل بوفاة أبيه عقوقاً منه وشرهاً إلى الميراث ، وأشقى زوجته وعذب أولاده وخدع جيرانه وسرق كل ما استطاع أن يسرقه ثم مات منكوداً »

لما فرغ الميت من هذه الكتابة وقف بغير حراك ونظر إلى ما كتبه ، ونظرت أنا فرأيت كل من فى المقابر قد فتحوا قبورهم ومحوا الأكاذيب التى كتبها أقاربهم عليها وأثبتوا الحقائق بدلها ووجدت أكثرهم من أهل الحقد والدناءة والرياء والكذب والخداع والحسد ، وقد ارتكبوا أبشع الآثام . وقد كان منقوشاً

المسرح والسينما

فى الفرقة القومية

تسنى لى أن أستمع إلى الألحان التى وضعها الأستاذ عباس يونس لرواية القضاء والقدر فقلت : كيف لم تتح الفرقة القومية من قبل لهذا الشاب أن يبرز هذه الكفاية الموءودة بعد ما انتهى إلىّ أن تاريخه الموسيقى يشهد له بالتفوق

إن العمق فى الموسيقى يحببها إلى ذوى الأفئدة النابضة من الناس، ولسنا نقصد بالعمق عمق المستنقع الراكد العفن، ولكنا نعنى به عمق المحيط وعمق الفجر وعمق الليل، فمن الناس من يعجب بائتلاق فى رأد الضحى، وهو لا يدركُ الجمال الخافت فى اهتزاز السحَر بين جوانح الظلماء

وعباس يونس فنان عميق أعنى أن يستمع إليه الصديق الأستاذ عزيز أحمد فهمى فهو أقدر منى على تحليل فنه وعلى التسرب بإحساسه إلى أغوار موسيقاه. وليس يسعنى هنا إلا أن أحمدَ للأستاذ الشاعر خليل مطران بك الأخذَ بيد هذا المغنى راجياً كل الرجاء وملحاً كل الإلحاح فى إعطائه الفرص الكافية لإظهار مواهبه الغزيرة فقد تجمع له الإلهام والطبيعة الفنية والأداة

السينما المحلية

كثرت فى هـذه الأيام الأفلام المصرية التى فى سبيلها إلى الظهور ، فشركة تلحمى تعد فلم « انتصار الشباب » لفريد الأطرش وأسمهان . وستديو لاما يعمل فى فلم « صلاح الدين الأيوبى » . وآسيا داغر وتوجو مزراحى وكثيرون غيرهما يواصلون العمل فى أفلام عديدة تتراوح بين القوة والضعف . وإنا لنكبر هذه الروح التى تحفز أصحاب الشركات إلى الإنتاج ، وخاصة فى حالة الحرب ؛ ولكننا نأسف كل الأسف حين نصطدم بحقيقة مؤلمة ، وهى أنهم ينتجون لأن السينما صناعة رابحة تدر عليهم من المال ما ينسيهم جلال الفن السينمى ودقته ؛ فتخرج أفلامهم إلى الناس عرجاء مشوهة ، ولو توخوا العناية لخدموا الفن وخدموا أنفسهم ، وإنا لفى انتظار المشاهدة ...

عند بديعة

أقامت السيدة « بديعة مصابنى » حفلة للصحافيين كعادتها السنوية عرضت فيها فرقتها مجهوداً طيباً من تمثيل ورقص وغناء وقد دلت بذلك على مقدار ما بذلته من تضحية لإقامة المسرح الدائر ولاستكمال عناصر فنية قوية يرجع إليها نجاحها الدائم .

أخبار هوليود

* سيظهر الممثل نلسن إيدى فى ثلاثة أفلام موسيقية كبيرة ، وهى : « قرصان النيومون » ، « تزوجت ملاكاً » ، « Bittre Sweet » بعد ما صادف نجاحاً منقطع النظير فى فلم «بالاليكا»

* سيعود الكوكب شارلز وننجر فى فلم « نيلى كيلى الصغيرة » ، وهذا الفلم من إنتاج أرثر فريد منتج فلم « مائة فتاة وميكى واحد » ، ومن إخراج نورمان تورج . وسيشترك فى هذا الفلم جودى جارلاند والكوكب الراقص جورج مارفى الذى سنراه قريباً فى « أنشودة برودواى لعام ١٩٤٠ » ودوجلاس ماكفيل كوكب قصة « مائة فتاة وميكى واحد »

* يسرنا أن نزف إلى رواد السينما نبأ رجوع النجمة هيلين جيروم إيدى إلى حلبة العمل ؛ وهى صاحبة الشهرة الواسعة أيام السينما الصامتة فستظهر فى رواية « Strike Up The Band »

عبد الرحمن الخميسى

على قبورهم أنهم أبرياء بررة وزوجات أمينات وأبناء رحماء وبنات طاهرات وتجار شرفاء.

وظننت أنها قد كتبت شيئاً على قبرها، فجريت غير خائف بين صفوف الموتى حتى عرفتها وإن لم أنظر إلى وجهها بل كانت معرفتى لغطاء القبر الذى كان منقوشاً عليه : « أحبت وماتت » فرأيتها تمحو ذلك وتكتب : « خرجت يوماً لكى تخون حبيبها فأصابها البرد ومرضت فماتت »

ويظهر أنهم وجدونى فى اليوم التالى بجانب القبر فى حالة إغماء .

حكم بتغريم إسماعيل أحمد الدنى البقال بباب الشعرية بالقضية ن ٢٣٦ تسعيرة سنة ١٩٤٠ استئناف ٩٧٣٥ بجلسة ٣٠ سبتمبر جنيهاً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة .

(طبعت بمطبعة الرسالة ... — عابدين)



8me Année No. 387

Lundi - 2 - 12 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

حكمة الأقاصيص

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت فصولاً كثيرة فى التفرقة بين الفلسفات الاجتماعية والسياسية فلا أذكر أننى قرأت فى سطور معدودة تفرقة أظرف وأفكه من التفرقة التى تمثلها لنا قصة البقرتين الأمريكية التى نلخصها فيما يلى :

فالاشتراكية هى أن تكون لك بقرتان فتعطى جارك إحداهما .

والشيوعية أن تكون لك بقرتان فتأخذهما منك الحكومة كلتيهما وتعطيك من اللبن ما تحسب أنك فى حاجة إليه

والفاشية أن تكون لك بقرتان فتبقى البقرتين عندك وترسل اللبن إلى الحكومة

والنازية أن تكون لك بقرتان فتأتى الحكومة فتأخذك أنت وتأخذ معك البقرتين

والإصلاح الأمريكى الجديد على طريقة روزفلت أن تكون لك بقرتان فتصطاد الحكومة إحداهما وتحلب الثانية وتريق لبنها على التراب !

والديمقراطية أن تكون لك بقرتان ملكا فتؤدى ثمنهما مرة أخرى على التقسيط ضرائب وإتاوات

و « الرأسمالية » أن تكون لك بقرتان فتبيع إحداهما

وتشترى بثمنها نوراً وتنتج منهما عجولاً وبقيرات

وفى هذه القصة من المبالغة ما فى معظم الفكاهات والصور الهزلية ، ولكن أين هى السطور القليلة التى تفرق بين الفلسفات السبع تفرقة أقرب إلى الفهم وحسن المقابلة من هذه التفرقة الفكاهية ؟ وأين هو الجد الذى يسلم من المبالغة كل السلامة على إرادة من صاحبه أو على غير إرادة ؟

ويبدو لنا أن المباحث الحديثة أحوج ما تكون إلى كتاب يعالجها على أسلوب القصة الأمريكية ، وإننا نحن الشرقيين أولى بإخراج هذا الكتاب لأننا حذقنا فن القصة الحكمية من عصور بعيدة ، ولأننا قليلو الصبر على دراسة المطولات فى هذه الموضوعات

والظاهر أن بلاد كليلة ودمنة — ونعنى بها الهند — تأبى أن يفوتها نصيبها من هذا الواجب الحديث ، وأن الأستاذ الفاضل عبده الزيات قد اهتدى إلى كتاب من قبيل الكتاب الذى نقترحه على العالم الشرقى ، حين ترجم إلى العربية « حكايات من الهند » يجتمع لها ما نبغيه من حسن التقريب وحسن الفكاهة وحسن الإيجاز

فكتاب « حكايات من الهند » ثروة لا تقل فى جوهرها عن الثروة الغالية التى ربحها العالم من كتاب كليلة ودمنة ، وأنفس ما فيه تلك البساطة التى قد تصغر من شأنه فى نظر السطحيين وهى هى مزيته الكبرى وغايته القصوى ، بل غاية جميع الحكماء من تبسيط المركّبات وتسهيل المعضلات . . . أليس المقصود بهذه الحكمة القصصية أن تمثل لنا الحقائق العويصة فى صورة البدهيات التى لا تحتاج إلى بينة ولا إطالة بيان ؟

إليك مثلاً قصة الرجل الذى ترك لأبنائه الثلاثة بطيخة يحتفظون بها فظن أحدهم أنه يحتفظ بتراث أبيه إذا أبقاها عندهم حتى تفسد وتفسد ما حولها ، وظن الثانى أنه يحتفظ به إذا باعها واشترى غيرها ، وظن الثالث أنه يحتفظ بذلك التراث أجل احتفاظ إذا انتفع ببذور البطيخة ولم يحرص على قشورها وفضولها

أليست هذه معضلة التجديد فى أوضح صورة وأبسطها ؟ أليس المحتفظون بالبطيخة حتى تفسد ويفسد ما حولها هم الجامدين الغافلين ؟ أليس الذين يبيعونها ويشترون غيرها هم المجددين الذين يستبدلون جديداً بقديم ولكنهم يقطعون الصلة بين هذا وذاك ؟ أليس زارعو البذور هم المجددين الصالحين الذين يصونون تراث الآباء ويضاعفونه ولا يخسرون طرافة الجديد فى كل موسم ؟ أليست هذه حكمة يسيرة عسيرة تستدنى النجم البعيد فإذا هو فى متناول اليدين ؟

ولقد حكى المؤلف حكايته ثم عقب عليها بمغزاها فزاد الحكاية الصغيرة توضيحاً على توضيح حين قال : « . . . أما الاحتفاظ بالبطيخة الفاسدة حتى يأتى الدود عليها جميعاً فجلبة للسخرية والأمراض ومضيعة للبطيخة ... وأما رميها برمتها والاعتياض منها بجديدة نبتاعها فتبديد لتراث أبينا وللنقود التى نؤديها فى ثمن هذه وأثمان غيرها ، هذا إلى أن كل ما نشتريه لا بد أن يجرى عليه من الفساد مثل ما جرى على بطيختنا . إن التجديد هو ملاك الحياة والتقدم بيد أن كل جديد ينبغى أن يتولد من بذور الماضى »

وذلك فيما نعتقد فصل الخطاب فى مسألة التجديد

* * *

ولقد رأيت فى حياتى ألف مصداق لـ « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » ، ورأيت مرات أننا لو اطلعنا على الغيب لاخترنا الواقع ، ولكنى لا أحسب أن قصة صغيرة تقرّب هذه الحقيقة البعيدة كما قربتها قصة المؤلف الهندى التى جعل عنوانها « لم كان الصخر صلباً ؟ » وروى فيها أن حجّاراً تعب من صلابة الصخر ، فتمنى على الله لو أصبح هذا الصخر الصلب رخواً كالزبد والعجين ، فلما استجيب دعاؤه قطع فى يوم واحد أضعاف أضعاف ما كان يقطع فى أيامه السابقة ، ولكن الصخر بار وكسد ، لأن الناس استغنوا عن البناء به وأعرضوا عن شرائه ؛ وعاد الحجار يقول : « رب ! إنك لأعلم أين الخير لعبادك ، فاغفر لى دعوتى ورد الصخر صلباً ثقيلاً كما برأته أول مرة »

ويعرض المؤلف مزية الصلابة ومزية الرخاوة فى معرض آخر حين يروى عن الصخر أنه تكبر على الطينة القريبة منه ، فشمخ بأنفه عليها وقال لها : « أنا صلب نظيف جميل حول قوى . أما أنت فرخوة قذرة متداعية قبيحة ضعيفة . . . . »

فلم تنكر الطينة شيئاً من مزاياه ولا شيئاً من عيوبها ، ولكنها أجابته قائلة : « إنى لأنمى الحبوب والخضر التى يعيش عليها كل حى ، فماذا تنمى أنت ؟ إن قوتك عقيمة ، وأما ضعفى فثمر »

وكثيرٌ ما يستفاد من أمثال هذه المقابلات والمساجلات ،

كما عرفنا أن ننقلها من كبار المشكلات وصعاب المعضلات

***

كنت فى سيارة من سيارات الأجرة فخطر للسائق أن يختصر الطريق فينحرف إلى الشمال مقاطعاً فى بعض الميادين الصغيرة بدلاً من الاستقامة على طريقه إلى الأمام

وفرق المسافة مائتا متر على أكبر تقدير

ولكنه حسب فرق المسافة بالمتر وأهمل كل حساب آخر ، لأن السيارات كانت مقبلة تترى من الجهة الأخرى ، فكانت تعبره واحدة بعد واحدة وهو واقف فى مكانه ، وحاول أن يرجع فإذا هو قد سد المجاز على من خلفه واستعصى عليه الرجوع ، ثم تحوّل المرور وهو فى الانتظار حيث كان ، ولو مضى من أول الأمر قُدُماً لوصل من جانب التطويل قبل أن يصل من جانب الاختصار!

هذا السائق لم يخطئ فى مسألة علمية أو مسألة سياسية أو عقدة من عقد البحث والفلسفة ، ولكنه أخطأ فى العمل الذى يعمله كل يوم وينقطع له دون سائر الأعمال

ولكنه مع هذا قد يشكو ظلم الأرزاق ويرشح نفسه لمهام الدولة التى يظفر بها المجدودون ولا يذوده عنها إلا غفلة الحظوظ .

وإنه لمثل واحد من أمثلة خالدة قلما يخلو منها زمن

وما أكثر ما ذكرت من هذه الأمثلة وأنا أقرأ فى الكتاب قصة الوزير والخادم !

خادم سمعه الملك يوماً يقول : « إن هذا العصر عصر ظالم ، فأنا أعمل طول اليوم ثم لا أنقد إلا سبع روبيات فى الشهر ، والوزير الذى يركب السيارات ويضيع وقته فى الكسل يقبض ألفين من الروبيات »

فامتحنه الملك باستطلاع أمر مسافر قادم على بعد ، فذهب مرة ليسأل عن اسم ذلك المسافر ، وثانية ليسأل عن إقليمه ، وثالثة ليسأل عن المكان الذى قدم منه ، ورابعة ليسأل عن الوجهة التى يقصدها ، وخامسة ليسأل عن المرحلة التى يقف فيها ، وسادسة وسابعة وثامنة وتاسعة ليسأل عن غرضه وعمن يلقاه وعن موعد اللقاء إلى غير ذلك من الأسئلة التى لا يذكرها إلا إذا أمليت عليه

ثم بعث بالوزير مستطلعاً فعاد بالخبر كله فى لحظة قصيرة وأجمل ما علم فى مقال وجيز

فاستدار الملك إلى خادمه وقال له : « أرأيت أن ما كلفك تسع رحلات مضنية وخمس ساعات قد كلف الوزير نصف ساعة ورحلة واحدة ؟ لعلك تتعلم الآن لماذا تقبض سبع روبيات فى الشهر ويقبض الوزير ألفين . . . »

ومن السهل أن يقال إن من الوزراء من يخطئ خطأ الخادم ومن الخدم من يصيب إصابة الوزير ، ولكن الحقيقة الباقية بعد هذا أن من الناس من يعمل فى رحلة واحدة ونصف ساعة ما يعمله غيره فى تسع رحلات وخمس ساعات ، وإن الظلم كل الظلم أن يتساوى هذا وذاك

وقد اشتمل الكتاب على نيف ومائة قصة من هذا الطراز ، ما أظنها أهملت مسألة عصرية أو خلت إحداها من عبرة مهملة عصية ، وكلما زاد قراءة سائغ لمن درس تلك المسائل فى مراجعها ولمن يكتفى منها بهذه الأشباه المخيلة والعبر الممثلة ، وهم أكثر من الكفاية فى بلادنا .

عباس محمود العقاد

مسابقة الجامعة المصرية
لطلبة السنة التوجيهية
للدكتور زكى مبارك
— ٤ —

على هامش التاريخ المصرى القديم

كلمة اليوم عن كتاب «على هامش التاريخ المصرى القديم» لسعادة الأستاذ عبد القادر حمزة باشا، وهو كتاب يقع فى أربعين ومائتى صفحة بالقطع المتوسط، وبه كثير من الصور والرسوم التى توضح ملامح ذلك التاريخ

الأسلوب

أسلوب عبد القادر حمزة أسلوبٌ فريد بين أساليب الكتّاب فى هذا العصر، وهو فى غاية من الجمال، وإن لم يذكّرك بأنه جميل، لأن الصنعة فيه أخفى من الخفاء

وعبد القادر حمزة يقيم تعبيره على قواعد المنطق، فالتعبير عنده مقدمات تصل إلى نتائج، ولا تمرّ صفحة مما يكتب بدون أن تلمس فيها وضوح الحجة ونصاعة البرهان

وعبد القادر حرّ الفكر إلى أبعد الحدود، وما صحبه رجلٌ إلا عجب من الشجاعة التى يمتاز بها عقله الوثّاب، مع القدرة الغريبة على ضبط النفس، ومع المهارة فى تقديم الحجج «على أقساط» ليتسع له المجال فى تشريح المعانى والأغراض

ومن هنا كان عبد القادر عدوًّا خطِراً حين يعادِى، لأنه لا يحاول الإجهاز على خصمه بمقال أو مقالين، وإنما ينوشه برفق ودهاء من يوم إلى يوم ومن أسبوع إلى أسبوع، ثم يظل يراوحه ويغاديه إلى أن يأتى على مركزه من الأساس

بين العلم والسياسة

قد يقال إن هذا أسلوب عبد القادر فى مقالاته السياسية، لا فى أبحاثه العلمية

ونجيب بأن عبد القادر هو هو فى جميع الأحوال، فعبد القادر لم يفكر فى درس التاريخ المصرى القديم إلا فى سنة ١٩٢٤، فاذا صنع فى هذه الأعوام القصار ليكون من أقطاب المؤلفين فى ذلك التاريخ؟

عمد الرجل إلى طائفة من المعضلات الأساسية فدرسها بتعمق واستقصاء، ثم خرج من ذلك الدرس بمحصول يحسده عليه الإخصائيون، وقد تمرّ أعوام وأعوام قبل أن تظفر اللغة العربية بكتاب يضارع كتابه فى دقة العبارة ونفاسة الاستطراد

حشو اللوزينج

وحشو اللوزينج فى تعبير كتّاب القرن الرابع يُضرَب مثلاً للشىء يكون حشوه أجود من قِشره، ومن أشهره قول عوف بن محلِّم:

إن الثمانين ـ وبُلِّغتَها !! ـ قد أحوجتْ سمعى إلى ترجمان

فعبارة «وبُلِّغتَها !!» حشوٌ، ولكنها أجمل من المحشوّ، لأنها غاية فى الرفق والحنان

وكذلك ينقسم كتاب عبد القادر حمزة إلى حشو ومحشوّ، فالحشو هو الهامش، والمحشوّ هو الأصل، ولم أجد كتاباً يكون فيه الهامش أغزر من الأصل قبل أن أعرف كتاب عبد القادر الذى أغراهم بحشو اللوزينج بعد التفات النقاد إليه بعشرة قرون

فأرجو الطلبة أن يلتفتوا إلى هامش هذا الكتاب أكثر من التفاتهم إلى الأصل، لأن عبد القادر جرى فى الهوامش على فطرته الأصيلة من التعقب والاستقصاء فأتى بالأعاجيب

وهل برع عبد القادر إلا فى الهوامش؟

إن هذا الرجل يحارب بالأخبار المنثورة أعنف مما يحارب بالمقالات الطوال، وهو قد نقل أسلوبه فى الصحافة إلى أسلوبه فى التأليف، فليراع الطلبة هذا الفن الدقيق

شاهد

قلت إن عبد القادر يصل إلى غرضه بترفق وتلطُّف، فما شواهد ذلك؟

إليكم الشاهد الأول:

قال ابن عبد الحكم: «لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل بَؤُونة. فقالوا: أيها الأمير! إن لنيلنا سُنّة لا يجرى إلا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلىّ والثياب

أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل . فقال لهم عمرو : هذا لا يكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله . فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى وهو لا يجرى قليلاً ولا كثيراً ، حتى هموا بالجلاء ، فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك . فكتب إليه عمر : « أنْ قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى النيل إذا أتاك كتابى » فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر ؛ أما بعد فإن كنت تجرى من قِبَلك فلا تجر ، وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك » . فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً فى ليلة وقطع السوء عن أهل مصر فى تلك السنة »

فماذا صنع عبد القادر حمزة فى تفنيد هذه الأسطورة البلهاء وقد انتقلت من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل حتى احتلت بعض الكتب المدرسية بالمدارس الثانوية ، وحتى دخلت فى منهج الاحتفال بوفاء النيل بصورة رمزية ؟

أخذ عبد القادر يَدُور ويَدُور حتى صيَّر هذه الأسطورة أضعف من وهم الخيال

ولكن كيف ؟

هل فزع إلى المنطق فقرر أن من المستحيل أن يتوقف فيضان النيل على عروس تُلقى إليه ؟ هل سارع فاستغرب قول ابن عبد الحكم إن النيل توقف ثلاثة أشهر عن موعده الموقوت وفى ذلك هلاك لأهل هذه البلاد ؟ هل أنكر أن يكون لبطاقة عمر ابن الخطاب قوة الموهوم من آثار التمائم والتعاويذ ؟

لو أن المؤلف اكتفى بهذه المحاولات لوصل إلى الغاية فى نقض ذلك الحكم السخيف ، ولكنه رأى الرجوع إلى المأثور عن المصريين القدماء فلم يجد لهذه الخرافة سنداً تعتمد عليه ، فلو كان لها أصل لسُجِّلت فى بعض ما سُجِّل من أخبار الفيضان ، ولو كان لها أصل لَعُدَّ فِقدان عروس النيل سبباً فى بعض ما أصاب مصر من مجاعات ، ولو كان لها أصل لذُكِرَتْ فى « نشيد النيل » وهو نشيد قد استوفى خصائص هذا النهر العظيم وتحدث عما أطاف به من أوهام وأضاليل ، ولو كان لها أصل لذكرت عروس النيل بين الهدايا التى كانت تقدم إليه فى الحفلات ، فلم يبق إلا أن تكون خرافة خلقها وَهْمُ القُصَّاص ، ثم تبعهم ابن عبد الحكم بلا تمحيص ولا تحقيق

سؤال

من حق طلبة السنة التوجيهية أن يوجهوا إلى سعادة عبد القادر حمزة باشا هذا السؤال :

كيف نشأت هذه الخرافة وهى من المستحيلات ؟

وأتطوع بالإجابة عن هذا الصديق فأقول :

يشهد كتاب الأستاذ نفسه بأن النيل كان يلقى فيه قرطاس من البَرْدِى يُدْعى فيه النيل إلى أن يفيض ، وكان الكهنة يزعمون أن للكتابة التى فى ذلك القرطاس قوة سحرية

فذلك القرطاس هو الأصل لبطاقة عمر بن الخطاب ، والأساطير يستقى بعضها من بعض

بقيت عروس النيل ، فما أصل تلك العروس ؟

يشهد كتاب الأستاذ نفسه بأنه كان يُتَقرَّب إلى النيل بذبح عجل أبيض ، ومن السهل أن نقول إن الذبيح كان بقرة بيضاء والبقرة البيضاء يعبر عنها مجازاً بالجارية الحسناء ، وفى بعض تعابير الفرنسيين توصف البقرة بأنها Bonne femme

ويؤيد هذا التعليل أن المصريين القدماء لم يعبدوا البقرة إلا لأنهم رأوا فيها مخايل من حنان المرأة المفطورة على الطاعة والسجاحة والصفاء

شاهد ثان

والشاهد الثانى على منطق الأستاذ عبد القادر باشا هو تحديده لمركز هيرودوت ، فهذا المؤرخ اليونانى هو الحجة على مصر فى تاريخها القديم ، وما عُرِفتْ مصر القديمة فى شرق ولا غرب بأكثر مما عُرِفتْ عن طريق هيرودوت

فما الذى قال عبد القادر باشا فى ذلك المؤرخ « الأمين » ؟

لقد قتله بكلمة واحدة حين قرر أنه لم يزر مصر فى عهد إشراقها وإنما زارها فى عهد الأفول ، فكان مثله مثل من يأخذ السيرة النبوية عن سدنة الكعبة فى هذا الجيل ، وهم لا يعرفون من سيرة الرسول غير أطياف تصوَّر عن طريق الزمن الواهم ما كان عليه الرسول من عظمة وجلال

شاهد ثالث

تحدث عبد القادر باشا عن « السذاجة المصرية » فى تقدير ما للشهور والأيام من غرائب وأماثيل

ومن رأى هذا الباحث أن ما قيل عن الأيام والشهور فى عهد رمسيس الثانى لا يزيد عما يقال فى عهد فاروق الأول ، فهى هنا وهناك صور لأوهام العوامّ الجهلاء ، وليست حجة على العقل الصحيح لأهل هذه البلاد ، فما يقال عن يوم ٥ طوبة فى عهد رمسيس الثانى شبيهٌ بما يقال عن يوم ٥ طوبة فى عهد فاروق الأول . ومعنى ذلك أنّ العوامّ لهم آفاق غير آفاق الخواصّ ، وإلا فمن الذى يصدّق أن أهل مصر فى هـذه الأيام يَبْنون أحكامهم الماشية على ما يَرِد فى مِثل تقويم « طوالع الملوك » ؟

شاهد رابع

وفى هذا الشاهد تظهر القوة المنطقية لهذا المؤلف الحصيف ، فالدنية المصرية هى أقدم المدنيات فى التاريخ ، وآثار المصريين هى أقوى وأنفس وأثمن ما أُثِر عن القـدماء فى جميع الممالك والشعوب ؛ وقد دامت المدنية المصرية القديمة أكثر من أربعين قرناً فى وقت لم يكن فيه لغير مصر سلطان ملحوظ فى المشرق أو فى المغرب ، فهل كان يمكن للمصريين أن يتفوقوا على العالم القديم بلا علم وبلا أخلاق ؟

وكيف كان يمكن للمصريين أن يسودوا إذا صح أنهم كانوا جهلاء ؟ ؟

وكيف يجوز عليهم الجهل وقد خلّفوا آثاراً فنية وأدبية هى الغاية فى براعة الأذواق ورجاحة العقول ؟

وهل من الجائز عقلاً أن تقام الأهرام فى بلد لا يعرف أهله قيمة النظام وقيمة التطلع إلى الخلود ؟

وهل يستطيع إنسان موهوب أن ينكر أن آثار الأقصر هى أثمن ما خلّفت الإنسانية فى عهدها القديم ، إن صح أنها استطاعت خلق ما يفوق تلك الآثار فى العهد الحديث ؟

وبأى قوة سحرية جاز لتلك البقعة النائية أن تكون عروش القرون الخوالى ؟

لقد شغلتُ نفسى بأسرار تلك البقعة من الوجهة الطبيعية ، فلم أجدها تنتج غير اللحوم والبقول ، فهل يكون سرّ التفوق فى غزارة اللحوم والبقول ؟

إن كان ذلك ، فكيف انقضى عهد العظمة « الأقصرية » بعد ذلك التاريخ ؟

وكيف انتقل مجد مصر من الجنوب إلى الشمال ؟

تلك أسئلة توجه إلى الأستاذ عبد القادر حمزة ، فهل يجيب ؟

أما أنا ، فأقول : كان المصريون تحصّنوا بالأقصر ليسلموا من عدوان الوافدين من جهة الشمال ، وبذلك حصروا نشاطهم الفنى والاقتصادى فى « كعبة » الأقصر ، كما حصر العرب نشاطهم الفنى والاقتصادى فى « كعبة » الحجاز ، والتاريخ هو التاريخ ، وإن تلونت الأشعة والظلال

عراقة المدنية المصرية

شغل المؤلف نفسه بالتدليل على عراقة المدنية المصرية ، وهى أقدم مدنية عرفها التاريخ ، ولا ينافسها فى القـدم غير حضارة الـكلدان فى وادي الفرات

وعلى الطالب أن يقرأ ما كتب المؤلف فى هذا الموضوع بعناية وتدقيق ، ولكن يجب قبل ذلك أن يعرف الأصل الذى استوجب عراقة المدنية المصرية ، وذلك الأصل هو النيل ، فالنيل هو النهر الثانى فى العالم بعد المسيسبى من حيث القوة ، ولكنه النهر الأول فى العالم من حيث المدنية ، فهو أقدم نهر قامت على شواطئه كبريات المدائن ، وأقدم نهر نُظِّمَتْ فيه الملاحة واتخِذت مياهه مطايا لخدمة الاقتصاد ، وهو كذلك أقدم نهر أوحى إلى أهله عرائس الشعر والخيال

فإذا تمثّل الطالب هذا المعنى كان عليه أن يذكر أن المصريين أسبق الأمم إلى حفر الآبار ، لأن أرض مصر لينة جداً ، ولأن المـاء مخزون فى جميع البقاع بهذه البلاد ، وقد يوجد فى سفوح الجبال ، وهذا وذاك يشرحان السبب فى تعلق المصريين بواديهم أشد التعلق ، حتى صاروا مثلاً فى بغض الهجرة والارتحال

أقول هذا لأؤيد حجة الأستاذ عبد القادر حمزة فى قوله بأن المدنية المصرية بنت مصر لا بنت شعب آخر ، ولو قال إنها نَبْتُ مصر لـكان التعبير أظرف ، لأن المدنية المصرية نشأت فى خصائصها الأصيلة وكأنها من عمل الطبيعة لا من عمل الناس

والمشكلة هى درس مسألة السبق إلى المدنية ، فهل كان السبق للمصريين أم الـكلدانيين ؟

ولكن كيف خُلقت هذه المشكلة ؟ خلقها التشابه بين الدنية المصرية والدنية الكلدانية فى كثير من الشؤون . فهل يدل هذا التشابه على النقل ؟ أم يكون شاهداً على تبادل الصلات الأدبية والاقتصادية بين هذين الشعبين العريقَين ؟

هنا تظهر قوة عبد القادر حمزة فى التعمق والاستقصاء ، فقد وصل بالمنطق وبشواهد التاريخ إلى أن المصريين سبقوا الكلدانيين إلى الحضارة والدنية ولم يترك الموضوع إلا بعد أن صيّره غاية فى الوضوح والجلاء

التقويم المصرى

وفى كتاب عبد القادر قضية من أغرب القضايا الإنسانية ، وهى قضية التقويم ، فقد كان العالم كله يعتمد فى تقسيم الزمن على الدورة القمرية ، وهو تقسيم مقبول ولكنه غير دقيق ، لأنه لا يصلح قاعدة لتعيين مواسم البذر والحصاد

وكذلك كان المصريون أول المتحولين عن التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى ، وقد قسّموا السنة إلى ثلاثة فصول ، كل فصل منها أربعة أشهر ، وهى فصل الفيضان وفصل البذر وفصل الحصاد

والتقويم المصرى هو التقويم الذى حمله يوليوس قيصر من مصر إلى روما ، وهو التقويم الذى عدّله مجمع الكرادلة تعديلاً طفيفاً فى سنة ١٥٨٢ ثم صار تقويم العالم كله إلى اليوم

وإذا تذكرنا أن التقويم المصرى كان موجوداً إلى سنة ٤٢٣٨ قبل الميلاد ، أى قبل حكم الملك مينا بأكثر من ألف سنة ، أدركنا فضل مصر فى السبق إلى دقة الحساب

وفيما كتب عبد القادر عن هذا الموضوع صفحات جديرة بالدرس والتعقيب ، فليس من القليل أن نكون دِنّا أمم الشرق والغرب بذلك التقويم الدقيق .

معركة عقلية

هى المعركة بين الكنيسة وعلم الآثار المصرية ، وهى المعركة التى انتهت بانهزام الكنيسة ورجوعها صاغرة إلى أن تفسّر التوراة تفسيراً جديداً لتسلم من التصادم مع الآثار المصرية

فما سبب تلك المعركة ؟ ومن الرجل الذى درس البروج المصرية ثم انتهى من درسها إلى القول بأن الحضارة المصرية ترجع إلى أبعد من خمسة عشر ألفاً من السنين ؟ وما الذى قال العلماء الموافقون لبونابارت ؟ وما هو البُرج الذى نُقل إلى فرنسا فبَلبَلَ الأفكار الأوربية ؟ ومن هو الشاب الفرنسى الذى أدى لمصر أعظم خدمة تاريخية ثم حله الخوف من سلطان الكنيسة على المواربة فى قضية البروج ؟ ومن هو العالم الذى قرر أن الثقة بالمسيح لا تمنع من مسايرة الحقائق العلمية ؟ وعلى أى أساس برّرت الكنيسة خروجها على حرفيّة العهد القديم لتصح النظرية المصرية فى قدم الوجود ؟

عقيدة الحساب بعد الموت

ذلك بحث نفيس كتبه عبد القادر فى أيام صفاء ، فما تفاصيل هذا البحث ؟

لهذا البحث عناصر كثيرة ، ولكنى أرجو أن يفكر الطلبة فى الموازنة بين الأخيلة المصرية والأخيلة اليونانية ليعرفوا كيف استطاع المؤلف أن يقيم البراهين السواطع على أن المصريين سبقوا اليونان إلى تصور عقيدة الحساب بعد الممات بما يدل على فهمهم لفكرة العدل

ودرس هذا البحث يُعين على فهم البحث الذى يليه وهو تأثير الدنية المصرية فى الدنية اليونانية وتعيين ما اقتبس هوميروس من أساطير المصريين

وهذان البحثان يهمّان كل مصرىّ يحب أن يعرف مركز وطنه فى التاريخ ، فقد استطاعت أرض يونان أن تزعم أنها أنقب فكراً من وطن النيل ، وساعد على تأييد هذا الزعم أن كان العرب سفراء العقل اليونانى فى الممالك الآسيوية والأوربية ، فى أوقات لم يملك فيها المصريون أدوات النقض لمزاعم اليونان

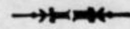
لمحة من التحقيق

المصريون هم أساتذة اليونان القدماء باعتراف الجميع ، ولكن العقل المصرى كان غفا بعد أن تعب من اليقظة التى هدّمت أعصابه فى عشرات الأجيال ؛ ثم كانت صحوة العقل اليونانى بعد ذلك ، وهى الصحوة التى عرفها العرب يوم عزموا على « إحياء » المطمور من آثار القدماء . فمن طاب له أن يزعم أن مصر تعيش بعقلية يونانية فسيقهره المنطق الحق على الاعتراف بأن اليونان لم تؤدّ إلى مصر إلا بعض ما تلقّت من علمها الأصيل فى العصور الخوالى ، ولا بُدّ يوماً أن تردّ الودائع ، ولو كَرِهَ كهنة دِلف وسَدَنة أبوللون !

نفسية المرأة الحديثة

مقتبسة من آراء العلامة «يونج»

للدكتور محمد حسني ولاية



لا شيء يضر طبيعة المرأة نفسياً أكثر من قيامها بأعمال الرجال . ولما كانت طبيعة الإنسان مشتملة على عنصرى الأنوثة والذكورة معاً ، فإن الرجل يستطيع أن يعيش بالمرأة التى فى نفسه ، كما أن المرأة بدورها تستطيع أن تحيا بالرجل الكائن فى طبيعتها ، وفى ذلك ما يقيد ذاتية الشخص الأساسية ويقضى عليها . فلا بد للرجل من أن يعيش كرجل ، ولا بد للمرأة من أن تعيش كامرأة

إن تصرفات المرأة وانفعالاتها لا تتأتى من عقلها الباطن مباشرة ، بل هى من خصائص طبيعتها الأنثوية ، فليست انفعالاتها ساذجة ، ولكنها ترمى إلى غرض لا تصرح به .

إن ما يصدر من الآراء عن عقل المرأة الباطن يسير بها فى طريق شاذة ، فهذه الآراء تنتحل صفة الصدق والواقعية ما دامت لم توضع رهن الانتقاد الواعى . وهى تشبه تصرفات الرجل فى غموضها إلى حد ما ، كما أنها تشبهها فى عدم وصولها إلى العقل الواعى غالباً ، وعلى ذلك يندر أن ندرك ألوانها على حقيقتها إن الافتراضات والأفكار المنتمية إلى العقل الباطن لدى ألد عدو للمرأة ، وذلك لأنها قد تنمو وتكبر فى شكل هوى شيطانى يستقبح الرجال ويخنق جاذبية المرأة وأنوثتها ، وينتهى مثل هذا الاتجاه إلى انفصام عميق فى الذاتية أو بعبارة أخرى إلى عصبية . على أنه ليس من الضرورى أن يصل الأمر إلى هذه الخاتمة ، لأن تلوين عقلية المرأة بالذكورة يؤدى فى حد ذاته إلى نتائج سيئة غير العصبية . فقد تكون مثل هذه المرأة زميلة طيبة للرجل ولكنها لن تشق طريقها إلى مشاعره وعواطفه ، وهذا من قبيل تفاعل دفاعى ضد طابع الجنسية الذكرية .

إن كل ما حرم على المرأة فى العصور الخالية قد تجمع الآن وتمخض عن حدوث عمليات تعويض نفسى ، ورسل هذه العمليات هن كاتمات السر والمخترلات والمشتغلات بالأزياء ، وهن اللاتى يقوضن أركان الزواج باتباعهن ملايين من الطرق الخفية ، وليست رغبة أولئك النساء موجهة إلى مناصبة العلاقات الجنسية والمجازفات الغرامية العداء ، بل محاربة الزواج هى غايتهن ، فهن يرمين إلى مطاردة المرأة المتزوجة ، ولكن بوسائل غامضة هادئة عنيدة تعمل كالسحر مثل عين الثعبان الجامدة

فما هو موقف المرأة المتزوجة من هذا ؟... لا ريب فى أنها تتعلق بالفكرة القديمة التى تلقى اللوم على عاتق الرجل والتى تتضمن استطاعة الإنسان أن يصنع الحب بمحض اختياره ، وأنها على أساس هذه التصورات الجاهدة تنطوى على نفسها فى جو من الغيرة . على أن هناك أثراً أعمق من هذا ، فما من امرأة تستطيع

قصة الغريق

هى قصة أوحت ما أوحت إلى الآداب العربية والآداب الإنجليزية ، فكيف كان ذلك ؟

الطلبة هم المسئولون عن مراجعة هذا الفصل النفيس ، وعما كتب المؤلف فى الاستشهاد بآيات التوراة لتبرير ما جاء فيه من تكرير وترجيع

رسائل مصرية وفلسطينية وسورية

هو بحث شائق لا يحتاج إلى من يدل عليه ، وهو يشرح وسائل قدماء المصريين فى تسجيل الرسائل واللوائح والقوانين

الصور ، الصور ، الصور

بهذا الكتاب صور فنية نقلت عن المعابد والهياكل والقبور ، وهى تحتاج إلى درس خاص ، فهل ينظر إليها الطلبة نظرة فحص وتأمل وتدقيق ؟

لو كنت أملك الوقت لكتبت عن هذه الصور صفحة أو صفحتين أو صفحات ، فهى أروع ما حفظ من آثار القدماء ، ولو كنت أملك المال لدعوت جميع طلبة السنة التوجيهية إلى رحلة فنية نتعرف بها إلى آثار مصر فى الشمال والجنوب

فلم يبق إلا أن أوجه أنظارهم إلى أن هذه الصور ستكون حتماً مما تفكر فيه لجنة الامتحان ، فقد سمعت أن فى أساتذة الجامعة المصرية قوماً يهتمون بالفنون !

ثم أكتفى بهذا القدر فى توجيه الطلبة إلى فهم كتاب «على هامش التاريخ المصرى القديم»

زكى مبارك

أن تتفادى أثر الحافز الذى يعمل فى الخفاء فى ذلك الجو الذى ربما غمرتها به ... أختها مثلاً ... ذلك الجو القاسى الذى لم تمش فيه بعد . وحينئذ يستبد بالمرأة المتزوجة ريب فى أمر الزواج

إن إمكان منع الحمل قد مهد السبيل للمرأة غير المتزوجة لأن تحيا حياة تشبه الزواج ، بل هو قد أصبح ذا أهميـة للنساء المتزوجات . ولـكن التخلص من حوافز نفسية عظيمة متعلقة بإنجاب الأطفال يؤدى إلى حدوث اضطراب فى التوازن العقلى ؛ فالطاقة التى لا تجد هدفاً واعياً تقوى العقل الباطن وتسبب الشك وعدم الاطمئنان

ينطوى الزواج فى عرف المرأة على علاقة مطلقة لا تربطها بالزوج فحسب ، بل بالأطفال والأقارب ، فإذا كان الرجل مستحوذاً على المرأة ضاق بهذا الإطلاق ذرعاً لأنه يجدها موزعة بين أطفالها والأقارب وبين نفسه . ولما كان أكثر الرجال عمياً فى غرامهم بزوجاتهم فإنهم يعتقدون أنهم ملـكوا نواصى زوجاتهم واستحوذوا عليهن كلية

وترى المرأة أن الزواج علاقة روحية ، وأن المسألة الجنسية ليست سوى عامل ثانوى مرتبط بالزواج

وكما ابتدأت المرأة فى نهاية القرن التاسع عشر تنحاز إلى الذكورة فقد انحاز الرجل بدوره فى شىء من التردد إلى الأنوثة

المرأة أغنى نفسية من الرجل، فهو يقتنع فى أكثر نزعاته بالمنطق فقط، ويعاف ما ينضوى نفسياً تحت لواء العقل الباطن لأنه لا يعبأ إلا بالواقع ، ولا يعنى بالبدوات والمشاعر التى لا تنطبق على الواقع .

أما بالنسبة للمرأة فإن أكثر ما يهمها معرفته ماهية شعور الرجل إزاء أمر أكثر من فهمها الأمر نفسه . وكل ما يعده الرجل سفاسف وترهات ينال اهتماماً خاصاً من ناحية المرأة ، وإن كثيراً مما يمكن رؤيته بوضوح فى المرأة لا يمثل فى الرجل إلا عملية ضئيلة غامضة لا يرغب غالباً فى أن يعبر عنها

حملت الظروف المرأة على أن تتحكم فى شىء من الذكورة ، وهذا هو الشىء الوحيد الذى ينقذها من البقاء فى أنوثة عتيقة غريزية . أما الرجل فيضطر لأن ينشىء فى نفسه بعض صفات أنثوية . وهذا واجب عليه نحو نفسه لا قبل له بأن يتفاداه ما لم يفضل أن يتستر خلف المرأة فى شكل طفل بائس لأنه مستهدف لخطر سيطرة المرأة عليه

يرى رجل اليوم أن الزواج الحديث حافل بالمثل كل وترى المرأة الحديثة أن زواج القرون الوسطى لم يعد زواجاً مثالياً ، فالذكورة التى اكتسبتها المرأة تجعلها ترفض أن تقول : « إنه سيكون سيدى » فالذكورة تعنى أنها تعرف هدفها فهى تعمل كل ما هو ضرورى لإصابته

واكتسب الرجل بدوره أنوثة فى نفسه بعد بذل مجهود ليس بالقليل وعلى حساب كثير من الألم الذى عاناه . وهو لن يفرط فيما اكتسب لاقتناعه بأهميته

إذا نظرنا عن بعد إلى الرجل الحديث والمرأة الحديثة تبادر إلى ذهننا أنهما لا شك ناجحان فى زواجهما، ولكننا إذا رأيناهما عن كثب بدا لنا الأمر على النقيض لأن زواجهما إنما ينطوى على كفاح جديد ، فكل ما تريد أن تفعله المرأة كصدى لإرادة وعيها الحديث النشأة لإيلام الرجل، كما أن المشاعر التى يستكشفها الرجل فى نفسه ليست مناسبة للمرأة، فهما يريان أن ما استكشفاه فى نفسيهما حديثاً يمثل الجانب الوضيع من كل منهما ؛ ذلك لأن ذكورة المرأة لا تقل ضعة عن أنوثة الرجل . ولـكننا من ناحية أخرى نرى أن فى المجموعة التى نسميها « الشخصية » ناحية غامضة ، فلا بد أن يكون الرجل القوى ضعيفاً من جانب ما وأن يكون الرجل الذكى غبياً من ناحية ما حتى يمكن للمرأة أن تعيرهما الثقة ، فالمرأة تحب ضعف الرجل القوى أكثر من قوته، وغباوة الرجل الذكى أكثر من ذكائه

إن حب المرأة يلتمس الرجل كله كوحدة ... ليس الجانب الذكرى منه فحسب بل ذلك الشىء الذى ينافى الذكورة فيه أيضاً . وليس حب المرأة بعاطفة مجردة بل هو رغبة حيوية تخلو أحياناً من العاطفة، وقد تدفع المرأة أحياناً إلى التضحية بنفسها . والرجل الذى تغمره المرأة بمثل هذا الحب لا يستطيع أن يتجاهل الشطر الوضيع من نفسه إذ ليس فى مقدوره أن يواجه المرأة إلا به وأن يكون منغموساً فى قرارة نفسه

وليست قرارة الإنسان متشابهة فحسب بل هى متكافئة مع طبيعة الإنسان الأبدية التى تربط كل الإنسانية التى تمثلها صورة الحياة البشرية فى أعاليها وأعماقها المشتركة بيننا جميعاً ، فنحن لن نكون أشخاصاً مختلفين فى قرارة نفوسنا بل ندرك الروابط المشتركة التى تربط الإنسانية جماء . وفى هذه الأعماق نطرح

الفوارق الاجتماعية السطحية من شخصياتنا . ونصل إلى أساس المشاكل التي تعرض لنا في حياة اليوم . وهذه المشاكل تمثل الحقيقة الواقعة ، لأنني هنا أشعر وأعرف أني واحد من كثيرين وأن ما يحدوني يحدو الكثيرين . إننا في ناحية قوتنا مستقلين ومنفردين بحيث يمكننا تشكيل مصيرنا بما نريد ، ولكننا في ناحية ضعفنا بعضنا معتمد على البعض الآخر ومرتبط به ، وهنا يمثل كل منا آلة في يد القضاء ، فليس الفرد هنا هو الذي يحكم بل هي الإرادة البشرية

ينطوي معنى الحياة الحقيقي على اكتساب الشخص قوة التغلب على العزلة الشخصية والابتعاد عن الأنانية في سبيل اشتراك فعّال في حل المعضلات الحديثة

فإذا أرخت امرأة اليوم تماسك الزواج واعية أو غير واعية ومستقلة استقلالاً روحياً أو اقتصادياً فإن هذا لا يأتي بدافع الرغبة الشخصية ولكن بدافع الرغبة الحيوية ذات القوة المسيطرة المستقرة في أعماق البشر التي تتخذ من المرأة الفردية آلة لها

يمثل الزواج قيمة اجتماعية أدبية لا نزاع فيها، وليس الحط من هذه القيمة إلا من قبيل الفوضى . إن عدم تكامل الإنسانية ليس إلا نشوزاً يقطع انسجام نغمات مثلنا ، ومن سوء الحظ أننا لا نعيش في الدنيا التي نريدها بل في دنيا الواقع حيث يتناحر الطيب والخبيث ويهدم أحدهما الآخر ، وحيث لا تستطيع الأيدي البيضاء التي خلقت للابتكار والإنشاء تفادي التلوث بالدنس ... وكلما استجد شيء عرضة للنقد ومحط للريبة فهناك دائماً من يؤكد لنا وسط عاصفة من التصفيق أن لا شيء حدث وأن كل شيء يسير في نظام

وإذا نفذت أبصارنا إلى كثير من الزيجات ألفينا بها كثيراً من أعراض ضعف خفي يتمخض عن مشاكل زوجية تشمل كل تصرفات الزوجة (والزوجة فقط) التي لا يمكن احتمالها كالعصبية والخيانة الزوجية

إن أولئك الذين يرون أنفسهم غير مضطرين إلى مجاراة ميول العهد الحديث يعتقدون في مثال الزوجية ويعتنقونه، وعند ما ينهدم مثال الإنسان دون أن يحل محله شيء أفضل منه فإن الخسارة لا تعوض ، ولذا تظل المرأة مترددة سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة فهي لا تجسر على العصيان بكل قلبها وإنما تظل في حيرة

لقد أصبح الزواج أحسن حل وكل من لم يدخل في حظيرته عليه أن ينحني على أخطائه

لم يعد الزواج سهلاً بالنسبة للمرأة الحديثة . وما دامت هناك فقرات قانونية تشرح ماهية الخيانة الزوجية فإن المرأة لا بد أن تظل متخبطة في شباك الشك

ويصح أن نتساءل « هل تعرف الفقرات التشريعية ما هي الخيانة الزوجية ... وهل تعريفها لها هو الشكل النهائي الأبدي الصادق ؟ » فمن الناحية النفسية — وهي الناحية التي تمس المرأة — نرى في هذه الفقرات تشكيلة هازلة كما هو الحال في كل ما يصطنعه الرجل لوضع قوانين تتعلق بمسائل الحب

وكثيراً ما يتعدى المؤمنون بالقانون حدود قوانينهم بما اتسموا به من غباوة ، أو بالخنوع لإغراء المرأة أو لمجرد الرذيلة المختلطة بنفوسهم . وإن المرأة الحديثة لتتساءل عما إذا كانت تنتمي إلى هذه الفصيلة ... أما من الناحية التقليدية فهي بلا ريب منتمية إليها . وعليها أن تفكر في ذلك لاستجلاء الحقيقة حتى تتهدم أصنام الاحترام التي نصبت في نفسها

فما معنى أن يكون الإنسان محترماً ... أمعنى هذا أن يلبس قناعاً مثالياً يستر به حقيقته عن الناس ... أمعناه أن يكون خادعاً ... إن الطيبة ليست خدعة، ولكن عند ما يحبس الاحترام الروح ... تلك الروح الحقيقية المقدسة لا يصبح الإنسان إلا ذلك الشيء الذي وصفه المسيح بأنه « القبر الأبيض »

لقد أصبحت المرأة الحديثة على بينة من الحقيقة التي لا نزاع فيها ... إنها تستطيع أن تبلغ الأسمى والأحسن في مجال الحب فقط ؛ وإن هذه المعرفة تحدوها للوصول إلى نتيجة أخرى هي أن الحب أبعد وأسمى من القانون . وإن احترامها الشخصي ليضيق حينئذ بنفسه ذرعاً . ولكن هناك ميلاً غريزياً يوفق بين تفاعلها والرأي العام وهذا أهون الشرين . أما أهول الشرين فهو أن يسري هذا الرأي أيضاً في دمها . وهو يبدو لها كصوت داخلي يبعثه الضمير وكقوة كامنة تقفها عند حدها

إنها لم تكن قط واعية للحقيقة المنطوية . على أن أعمق ما تملكه في ذاتها يمكن أن يجعلها تصطدم بالتاريخ ؛ ولا ريب في أن هذا الاصطدام يبدو لها مستهجناً وغير منتظر . ولكن أين هي التي فهمت واستوعبت جيداً هذا التاريخ كحقيقة واقعة

فليس هذا موجوداً فى المجلات الضخمة ولكنه يعيش فى الدماء

وما دامت المرأة تحيا حياة الماضى فهى لن تصطدم بالتاريخ ولكن يندر أن تنحرف المرأة عن ميل ثقافى سيطر على التاريخ . والآن نرى أن ترددها أصبح مفهوماً لأنها إذا خضعت لقانون الحب وقعت فى هاوية الألم والشك والحيرة ، وتدبرت بين عاملين كبيرين : الجمود التاريخى والقوة الإلهية المبتدعة

فنى النهاية لا تجد حلاً سوى أن تنبذ الجمود التاريخى ، وحينئذ يتعين عليها أن تبتدع لنفسها تاريخاً جديداً أو أن تتعلق بالتاريخ وتخضع له . ولكنها لا تستطيع أن تبتدع تاريخاً حديثاً ما لم تجرؤ على المخاطرة بكل شىء لتحقيق غرضها ولو ضحت بنفسها ، لأن موضوع التجربة هو ذاتها التى تنتهى بها إلى نهاية مزيرة . وهى عند هذا الحد لا ترى حياتها خلفاً لسلف بل تبدأ حياتها هنا . وهذا بمثابة تعبير ثقافى موروث يرمى إلى إيجاد شكل إنسانى أتم ، وإلى إيجاد معنى للحياة ، وإلى نبذ اتجاه الإنسان ناحية واحدة من الحياة ، وإلى تطليق حياة غريزية محضة

إن المرأة ترى الآن أن الحب وحده هو الذى يمنحها قوامها ، وأن الرجل الآن يستطيع أن يدرك أن الروح فقط هى التى تمنح حياته أسمى معانيها . وكل من المرأة والرجل يسعى إلى علاقة نفسية تربطه بالجنس الآخر ، فالحب فى حاجة إلى الروح والروح فى حاجة إلى الحب

إنها تشعر الآن بأنه لم يعد فى الزواج طمأنينة ولا استقرار حقيقى ؛ فأى معنى سام يحمله إخلاصها إذا كانت تشعر بأنها مكبلة بأغلال الشهوة التى ترمى إلى اقتنائها اقتناء قانونياً يحبس روحها . هناك إخلاص أهم من هذا يلوح لها ، إخلاص للروح والحب ، إخلاص يقوى على غزو الضعف الإنسانى وعدم نضوجه ليقضى عليه . وربما تستطيع الوقوف على أن ما هو ضعيف وغير ناضج ليس إلا فوضى مؤلمة أو طريقاً محوطاً بالقلق ، وأنه يستطاع تفسير ما استكشفته تفسيراً مزدوجاً تبعاً لطبيعته المشكوك فيها

وهناك فى هذه التطورات طريق يؤدى إلى الإنسانية العتيقة التى تهوى إلى مستنقع العقل الباطن ، طريق تؤدى إلى هدم الشخصية والقضاء عليها

إن الإنسان الذى يستطيع أن يحتفظ بما اكتسبه هو الذى يستطيع أن يختبر لأول مرة معنى الذات ، وحينئذ يستطيع أن ينوص فى نفسه حتى يبلغ الإنسان الفطرى المستقر فيه

فكيف يستطيع أن يحرر الإنسان نفسه من ذلك الإنسان الفطرى المتغلغل فى أعماقه ... كيف يستطيع أن يقيم قنطرة تربط ذاته بالإنسان الناضج ؟

كلما أنكر الإنسان ذاته واكتسب الفضائل العليا ، كان بعيداً عن ذلك الإنسان الفطرى

إن كلمة الإنسان ذات الرنين الجميل لا تعنى فى أساسها شيئاً جميلاً أو فاضلاً أو ذكياً ولكنها تعنى دركات منحطة من هذه الصفات . إن الكفاح والخوف الذى يراودنا عند ما نحاول الانفصال عن الإنسان الفطرى يبين لنا أن قوة جاذبية عالمنا السفلى (أى العقل الباطن) ما زالت هائلة ، هذه القوة التى لا يمكن إنكارها ، وإذا أنكرناها فإن هذا لا يعنى الخلاص منها

لا يستطيع أحد أن يبدأ حياته بالحاضر ولكنه ينمو إليه رويداً رويداً ، ومن لم يكن له ماض فليس له حاضر . فالإنسان الصغير لا يقوى على ابتكار الثقافات، فهو لا يملك شيئاً من المعرفة سوى أنه موجود ، وإن العمر الناضج الذى عبر منتصف الحياة هو الذى يخلق الثقافات

مزقت بربرية الحرب الجهنمية روح أوربا ... وفى الوقت الذى تعكف فيه أيدى الرجال على إصلاح الخراب الخارجى تبدأ المرأة بدافع من سريرتها العمل على التئام جروح البشر الداخلية بتأسيس العلاقات النفسانية البشرية على أساس وطيد ، ولا شىء يحول بينها وبين تحقيق أهدافها أكثر من الزواج التقليدى ... زواج العصور الوسطى ... ولن تتأسس تلك العلاقات على أساس عرفى ما لم تتعطر بشذى الحرية

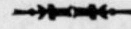
المرأة الحديثة فى حاجة إلى وعى أوسع مدى حتى تتعرف هدفها وحتى لا تكون آلة الطبيعة العمياء . إن وسيلة المرأة هى وسيلة الطبيعة التى تعمل بطرق غير مباشرة بدون أن ترمى إلى هدف ظاهرى ، وأن يكون الهدف موروثاً فى سريرتها . على أن هذه الطرق الملتوية التى تنتهجها المرأة خطرة، فعبثاً تحاول أن تصل بها إلى أهدافها

إن على عاتق المرأة واجباً ثقافياً كبيراً ربما كان مستهل عصر جديد

محمد حسنى ولاية

في مجالس الأدب . . .

بين كاتب وشاعر وخطيب



تثبت هذه الدعابة الأدبية المستطرفة من أسمار ندوة « الأهرام » حيث يجتمع فى بعض الأمسيات فريق من أصحاب الرأى وأهل الأدب فى مكتب الأديب الكبير الأستاذ « أنطون الجميل بك » فيتناولون شتى الأحاديث بروح الجد تارة والتسلية تارة أخرى . وقد تساءل الأستاذ الخطيب « توفيق دياب » عن وحى الشاعر « على محمود طه » وكيف طال اختفاؤه وسكوته فى هذه الأيام وبدأ بنظم قصيدة على لسان الشاعر فى هذا المعنى استهلها بالشطر الأول من مطالعها ، وأتم الجميل بك شطره الثانى ، وأملى الشاعر البيت الثانى ثم ترسل ثلاثتهم فى النظم حتى أتموا صاحب الوحى المفتقد

يا وحىَ شعرى أين أنتْ   فى أيّ زاويةٍ رَكَنْتْ ؟

هل رُحْتَ فى إغماءة   أم بالمخـدِّرِ قد حُقِنْت ؟

أم نمت ، أم نام الزما   نُ ، أم اعتُقِلت أم انسجنت ؟

أم خِفْتَ من قلم الرقيـب   فما أشرتَ وما أبنت ؟

أم هل سقاك (كزوزةً)   أم هل سقاك (البرمننت)[1]

أم قد شربتَ زجاجة   من صنع بار (الكونتننت)[2]

أم فى خزانةِ (صالح)[3]   تركوكَ سهواً فاختُزِنْت

أم فى البنوك لأزمـةٍ   حَلّتْ بأهلكَ قد رُهِنْت

أم ذاكَ جندولُ الحبيـبِ   إلى لياليـه حننت

وإلى عروس البحر هِمْـتَ   وفى شواطئها كمنت

أم زُغْتَ يوم الانتخا   بِ ولستَ عضوَ (البرلمنت)[4]

لم تَدْرِ ما نال الرئيـسُ   أكان صوتاً أم (كَرَنت)[5]

---

(١) غراب اسمه البيرمنت ذكر هكذا للتخفيف

(٢) فندق الكونتننتال

(٣) الأستاذ صالح من سفراء صاحبة الجلالة له خزانة مشهورة داخلها مفقود وخارجها مولود

(٤) البرلمان

(٥) رقم أربعين بالفرنسية وفى هذا إشارة لانتخاب الرئيس سعادة أحمد ماهر باشا

أنكرتَ ضَجَّةَ معشرٍ   لم ينصفوكَ وقد غُبِنْت

أم طِرْتَ فى جوّ الحليـفةِ   منجداً أبطالَ (كِنْت)[1]

يا وحىُ كم من غارةٍ   شعواء فيها قد شننت

أم ثُرْتَ للحقّ الطعـينِ   وبالبطولةِ قد فُتِنْت

فسللتَ سيفَ مدافعٍ   عن (كالماس) أو (كُورِنت)[2]

يا وحىَ شعرى ما سكو   تك فى الخطوب ألا حزنت !

أفقدت رشدك أم شعـورك   بالحياة ؟ إذن جُنِنْتَ !

عشرون يوماً جاوز التقـديرُ   فيها ما ظننت

عشرون يوماً أفق الطليـان   فيها كلّ (سَنْت)[3]

عشرون يومًا والبوا   رجُ مائلات فى (تَرَنْت)[4]

والجيش مرتدٌّ بولـ   ـولُ كلُّ جندى كبنت

يا وحى شـعرى مذ نأ   يتَ وَهَي بيانى أو وهنت

بعد القصائدِ كالقـلا   عِ مُشَيَّدَاتٍ (بالسمنت)

من كلّ بيتٍ مشرق   يُزرى بقصر (اللابرنت)[5]

أمسيتُ بعدك كلّ قا   فيةٍ نطقتُ بها لحنت

يا وحىَ شعرى هل أُسِرْتَ   وأنت تهجم أم طُعِنْت

أم غصتَ فى لجج البحا   ر وفى مجاهلهـا دُفِنْت

أبكى عليك بكاء (لامرتيـن)   قبراً فى (سُرَنت)[6]

يا وحىَ شعرى أين أنت   فى أى زاويةٍ ركنتَ ؟!

---

(١) مقاطعة انجليزية ورد ذكرها كثيراً فى أنباء الغارات الجوية على انجلترا

(٢) كالماس نهر فى شمال اليونان اندحر عنده الايطاليون ، وكورنت شبه الجزيرة اليونانية وقد حاول الايطاليون تخريبها بالطائرات

(٣) جزء من مائة من الليرة

(٤) الحادثة البحرية المشهورة وفيها أصيبت بوارج الأسطول الايطالى بطوربيد الطائرات البريطانية

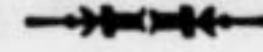
(٥) من قصور الفراعنة لا تزال آثاره بالفيوم

(٦) خليج سورنتى شمال نابلى وفيه قبر جرازيلا التى بكاها الشاعر الفرنسى لامرتين فى قصيدته (الأسى الأول)

محاورة أفلاطون الخيالية
حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

— ٤ —



التربية فى كل الأمم وسيلة لاعداد الحكام والمحكومين . ويساير نظام التربية دائما نظم الحكم القائم . ولما كان نظام الحكم ديمقراطيا فى انجلترا كانت الغاية من التربية فيها هي أن يعرف الفرد كيف يساهم بنصيبه فى الحكم الديمقراطى ، أو الحكم الذاتى ؛ أى حكم الشعب نفسه بنفسه . وقد أظهر أفلاطون — فيا سبق نشره من محاورته — شكه فى أن نوع التعليم الذي يتلقاه الشعب فى المدارس الأولية كاف لامكان الفرد من الاشتراك فى الحكم الديمقراطى باتنخابه ممثله النيابى ، والاشراف على سياسة الحكومة . ويرى أن يترك أمر الحكم نهائيا للجامعيين الذين هم خيرة أبناء الأمة ثقافة . والمربى الانجليزى لا يشاركه هذا الرأى ، لأنه يقصر الحكم على الطبقة المتعلمة من أبناء الأرستقراط . وفى هذا رجوع إلى الوراء بنظام الحكم الى العهد القديم الذى كان رجال الحكم فيه هم أولئك الذين تخرجوا فى مدارس أولاد الأعيان (١). وهنا يبدأ أفلاطون هذا الجزء الأخير من محاورته .

ومدارس أولاد الأعيان هذه أقدم مؤسسات التعليم الانجليزية . وهى طراز من مدارس التعليم الثانوى . ومن أشهرها أيتون وهارو . ولا يدخلها إلا أبناء المثرين لكثرة نفقاتها . وفيها تخرج عدد كبير من قادة الرأى ، والساسة الانجليز ، وأغلب أعضاء حزب المحافظين . وبالرغم من فضلها التاريخى فى نهضة انجلترا نجد الآن من يقول بعدم صلاحيتها فى عصر الديمقراطية .

أفلاطون : لقد ذكرت فى حديثك السابق مدارس أولاد الأعيان ، وإن ما سمعته عنها يجعلنى أوقن أنها كانت يوماً ما ذات آثار جليلة . فقد كانت تأخذ الناشئة من أبناء الأرستقراط ، وتبعدهم عن نفوذ الأسرة ، وتقدم إليهم نوعاً من التربية السليمة فى الأخلاق ، وآداب اللغة ، والتمارين البدنية والألعاب ، من غير أن تحاول تنمية الناحية العقلية الفلسفية عندهم . وبهذا غرست فى نفوسهم حب الطاعة ، والإخلاص لتقاليد البلاد واحترامها ، وصاغت منهم نماذج صالحة لتكون حكاماً أمناء ، وجنوداً أشداء ، عقدوا النية على صيانة دستور البلاد ، وحماية نظام الحكم فيها ، والدفاع عنه ضد أى تغيير . وبإبعاد الناشئة هكذا عن نفوذ الأسرة لم تفسد تكوينهم العواطف الآثمة التى يسرف الآباء فى إحاطة أبنائهم بها ، ولا شواغل المال والفقر التى هى دائماً حديث الأسرة . فعاشوا فى أماكن جميلة ، واكتسبوا بمباشرة بعضهم لبعض واشتراكهم فى الحياة المدرسية صفات الرجولة النبيلة التى خلقت منهم خداماً للوطن مطيعين ، وقضاة أو حكاماً أو إداريين نزيهين ، رائدهم العدل والحق

وهذا النوع من المعاهد وما يليه من الجامعات أحسبه جديراً بالصيانة والبقاء . ولو كنت أعرف أنه من الجدى حث شخص مثلك لنصحتكم أن تجعلوا نظام هذه المعاهد جزءاً من نظام تربيتكم الحديثة ، ولكن يمنعنى من حثى هذا اعتقادى أن هذه المعاهد لم تبلغ فى تطورها درجة الكمال . وذلك لأسباب حيوية ثلاثة : السبب الأول هو أن أبناء مدارس أولاد الأعيان لم يتخرجوا فيها على فلاسفة ، ولكن على أفراد لا يمتازون كثيراً عنهم . ونتيجة هذا أنهم حينما أصبح زمام الحكم بأيديهم لم يستطيعوا توجيه جمهور الشعب من عمال وصناع وتجار التوجيه الصحيح الصالح . ذلك لأن عصر الاختراع العلمى العملى قد أتاح لهذه الطبقة من الشعب أن تجمع القناطير المقنطرة من الثروة بمجهود قليل . ولم يكن عند طبقة الحكام وولاة الأمر من قوة التعقل وفلسفة الحكم ما يجعلهم يتداركون ما حدث من نمو حب المال فى نفوس الشعب ، وروح الطمع والجشع المادى . وسرت هذه العدوى لطبقة الحكام أنفسهم ، بل لرجال الدين فلم يحاربوا هذه الميول ، وأصبحوا خاضعين لها بدلاً من خضوعهم لنداء العقل والحكمة . وإننى أعتقد أن ما اتصف به حكامكم من أخلاق كريمة طاهرة خفف كثيراً من حدة المطامع المادية الاستعمارية . وكثيراً ما قضت أخلاقهم الكريمة على أسوأ ما فى هذه المطامع من آثار . وإننى أصدقك النصح أنه لن يمكنكم أن تعيشوا آمنين ، وأن تبقوا على ثراء شعبكم إلا إذا حرمتم ملكية الأرض والشركات ورءوس الأموال على حكامكم ، وأصبحوا هم عقلاء وذوى عزيمة قوية يلجمون بها غريزة حب المال والكسب . والسبب الثانى هو أن هذه المدارس كانت ولا تزال غير خاضعة لإدارة الحكومة ، ومقصورة على هذه

---

(١) Public Schools

الجماعة الغنية من الشعب التي لها من وفرة المال ما تنفقه بسخاء على تعليم أبنائها . وربما لم تكن هناك فائدة من خضوع هذه المدارس لإدارة الحكومة في الوقت الذي كان فيه رجال الحكومة أنفسهم من الأعيان ورجال المصارف وأغنياء التجار وأضرابهم . أما الآن والحكومة شعبية ، وليس من الضروري أن يكون أفرادها من الأغنياء ، فإن هذه المدارس يجب أن تكون حكومية لا خاصة ، وأن تفتح أبوابها لكل من تؤهله مواهبه للتعلم فيها من أبناء الشعب . والسبب الثالث هو أن جامعاتكم لم تدرك تماما المهمة الإلهية التي نصبها الله من أجلها ، لأنها وهي تخرج الرءوس المفكرة في الدولة لم تصن خريجيها عن المطامع المادية وشهوة المال . والنتيجة هي أن رجال الحكم من أبنائها بدلاً من أن يخضموا المادة لمبادئهم خضعوا هم لها .

من كل ما ذكرته تستطيع أن تعرف أي أنواع الإصلاح أريد إدخاله على نظام التربية . يجب أن تبدءوا من القمة فتصلحوا من الجامعات حتى تنتج نوع الحكام الذي تحتاج إليه بلادكم . ولست أزعم أن هذا سهل التحقيق . إن العلماء ولو أنهم يتشدقون دائماً باسمي ، ويذكرونني بالإعجاب والثناء ، لم يفهموني جيداً ، ولم يفهموا الغاية « من أكاديمي »[1] التي أسستها حتى لقد حرفوا معنى عبارة « التفكير الأكاديمي » ، فأصبحت تدل على كل تفكير عقلي لا يمت للحياة العملية بسبب . وأنا أعرف بالطبع إلى أي حد يكره فلاسفة هذا العصر وعلماؤه الحياة الحالية المحيطة بهم ويحتقرونها ، وهم لا يريدون في الوقت نفسه أن يعترفوا أنهم طلقوا هذا النوع من الحياة لا لسبب إلا لأنهم عجزوا عن إقناع ولاة الأمر والمشرفين على شئون الأمة بمبادئهم الفلسفية السامية . ولا بد أن تتفق معي أنه لا فائدة من هؤلاء الفلاسفة العلماء ، لا لشعبهم ولا للعالم إلا إذا اعتقدوا أن هذا العالم يجب أن يحكم بمبادئ العقل والحكمة التي يدافعون عنها . وأظن أن هذا بعيد الحصول ، لأن العلماء والأساتذة الذين يتمتعون بحياة مريحة ، ورزق مضمون ، وهم مطمئنون لآرائهم وفلسفتهم الشخصية ، ليسوا مستعدين إلا قليلاً أن يخاطروا بكل هذه المزايا في سبيل إعانة غيرهم . لهذا ستظل جامعاتكم في الغالب قانعة بوظيفتها ،

(١) أكاديميا اسم البساتين التي أسس فيها أفلاطون معهده الذي سمي بهذا الاسم ، وكان قد نيف على الأربعين حين تأسيس هذا المعهد ، ومن بين تلاميذه أرسطو

وهي تخريج رجال يخدمون العالم ولا ينتقدونه ، فرحين بالقدر اليسير من المعارف التي ينتجونها والعلم الذي يخدمونه وبالعبارات الشفهية التي يفوهون بها في محاضراتهم وأحاديثهم عن المثل العليا للحرية العلمية والعدالة العالية

وفي هذه الحال يجب عليك أن تفعل كما فعلت أنا ، فتؤسس معاهد تنافس هذه المعاهد العلمية ودور التربية القائمة الآن ، جاعلاً غايتك خدمة الحقيقة ، والحقيقة فقط ، معلناً أن الحقيقة واحدة لا تتغير في كل زمان ومكان ولكل فرد . وسوف تتهم بالتحيز والتعصب ، وأنك تفسد عقول الشباب بتعاليمك ، وتحطم المثل العليا للمبادئ العلمية الصحيحة ، فلا تصغ لهذه التهم واذكر أن الرجل العالم إذا لم يكن أيضاً رجل عمل فليس جديراً أن ينسب إلى أسرة العلماء الأكاديميين ، ولتكن الدراسة في جامعتك شاملة للبحوث العلمية والدربة والمران لمباشرة الإيالة[1] واكتب على باب جامعتك هذا الشعار « يجب أن يكون الحكم للعلم فقط » . ومتى ثبتت هذه العقيدة في قلبك فلن يزعجك ما تتهم به من التحيز أو التعصب ، ومن إفساد عقول الناشئة ، لأنك ستعرف جيداً أن كل حقيقة جديدة يتهمها الناس بالزيف ، وأن اسم العدالة أداة تستخدم لإخضاع المصلحين للنظام القائم . وهناك تغيير آخر يجب أن يدخل على عقائد طلابك ، إنهم في هذه السن كرام النفوس ، بيض القلوب ، يعتقدون بسذاجة أن الحقيقة والحكمة يمكن أن تسودا بطبيعتهما على القوة والحيلة ! وبهذا ينزلون ميدان الحياة غير مسلحين ليغزوا العالم . وسرعان ما يسفر النضال عن رضوخ في الرأس ، وانخداع في التفكير ، وحينئذ يظهر لهم أن الشر الذي يعيش ويترعرع في القوة عدو لا تمكن ملاينته بالكلمة الطيبة والعاطفة النبيلة ، بل يجب أن يضرب ويصفع حتى يخضع ويصفد في الأغلال ، وبهذا لا يستطيع النهوض مرة أخرى . وهذا الدرس يجب أن يتلقاه طلبتك كل يوم في جامعتك الجديدة ، كما يجب أن يكتب فوق مدخل الجامعة شعار آخر وهو « لن يدخل هذه الجامعة محب للسلم » . ثم ذكر طلبتك دائماً أن حكم العقل لم يستطع ولم يفلح أن يسود البشر ولو مرة واحدة في التاريخ باللين والرفق . ولهذا وجب على الفيلسوف أن يكون مستعداً لمواجهة خصومه بقوة وعزيمة أشد من قوتهم

(١) السياسة

وعزيمتهم . وأنا أنصح للفيلسوف أن يدرع بالقوة ، لأنى أعلم أن مبادئه ستكون دائماً عرضة لبعض الناس ، على عكس المبادئ الأخرى التى يروجها أعداء الفلسفة من حقائق مموهة يخدعون بها غيرهم . لهذا يجب أن يسلح الفيلسوف نفسه بكل أنواع القوة والشدة حتى يروض شهوات الشر المادية الجامحة فتخضع لحكم المعرفة . دع طلبتك إذاً يعلموا أنهم إذا أرادوا أن ينقذوا بلادهم من الخراب فعليهم ألا يجعلوا روح السلم تسيطر على نفوسهم ، بل يجب أن يألفوا نظام الجندية ، وأن يدربوا على الروح العسكرية ، تلك الروح التى لا تقشعر من سفك الدماء فى سبيل المصلحة العامة

ومتى ثبتت أركان جامعتك وأصبحت تشرف على شئون الدولة فوجه عنايتك بعد ذلك للمدارس ، وهنا يجب ألا تزعجك أخطار مبادئ الفاشستية أو الاشتراكية الوطنية التى ذكرتها أنت فى حوارك معى . فأنت توافق على أنه حتى الحكومات السيئة لها بعض الحسنات ، وستسر وتعجب حينما تعرف أن ألمانيا وإيطاليا قد اتخذتا كثيراً من تقاليد بلادك وعاداتها ، ولا سيما نظام مدارس أولاد الأعيان عندكم ، ولكن بشىء من التهذيب يناسب حاجات الوقت الحاضر . وأعتقد أن هذا الخبر سيجعلك أكثر تعلقاً بهذه المدارس فتبقيها كركن قوى للتعليم عندكم فى المستقبل ، وستقبل عليها مفتحاً أبوابها ، معلناً أنها أصلح المعاهد لإعداد القادة السياسيين . فاختر لها حينئذ من بين أطفال الشعب أكثرهم قابلية لتحمل تبعة القيادة السياسية . أما البقية من أطفال الشعب فأعد لهم المدارس الفنية ، الصناعية والزراعية والتجارية ، حيث يتعلمون المهن التى يصلحون لها . ولما كانت هذه الطبقة من أطفال الشعب ليست بذات خطر فلا داعى لأن يعيشوا فى المدارس بل اتركهم يعيشوا مع أهليهم ، ويحضروا للدروس بالنهار فقط . أما أولئك الذين اخترتهم لمدارس أولاد الأعيان فخذهم بتربية صارمة ، وامنعهم من رؤية ذويهم إلا فى أيام الأعياد والإجازات العامة ، وصير هذه المدارس فى نظامها الرياضى البدنى وفى بساطتها كمدارس اسبارطة القديمة ، وخل تلاميذ هذه المدارس يخدمون أنفسهم بأنفسهم ، فلا فراشين ولا فراشات ، ولا مشرفين ولا ممرضات ، ولا أى فرد من هؤلاء الذين يحوطون الأولاد بالعناية والعطف ، ويغرسون فى نفوسهم النعومة والرقة التى تضعف من خشونة تكوينهم . واجعل التعليم فى هذه المدارس للبنين والبنات معاً من غير تمييز ، ذاكراً دائماً أن غايتك هى إعداد شعب من الجنود والإداريين ، لا هذا النوع من الجنتلمان ولا من الجنس اللطيف ذى النيد والرقة الذى يتخرج فى مدارسكم الآن . ويجب أن يكون النظام شديداً قاسياً يمرن العقل والجسم معاً على الدقة والطاعة والإتقان ، ويكون فى ذوق التلاميذ الإعجاب بما هو بسيط ومتين من مظاهر الجمال التى لا يشين الجندى التحلى بها . ومن أجل هذا يجب أن يتعلموا مبادئ الحساب والعلوم ، وأن يدرسوا اللغة . هذا إلى معرفة خير منتجات آدابكم وموسيقاكم ، وأنواع الرياضة والألعاب العسكرية

ومتى فعلت هذا وجدت أنه من السهل حل معضلة التربية ، التربية العامة لطبقة الشعب التى من أجلها عقدنا هذه المحاورة . وإذا علمت أن طبقة الشعب هذه غير قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها أدركت أنه من الضرورى أن تنمى فيها روح الخضوع والطاعة للحكام . وما دام من غير الممكن أن تميد نفوذ الكنيسة الذى ربى هذه الروح فى الماضى ، فلا بد إذاً أن تكبت كل الكبت المذاهب الدينية المختلفة السائدة الآن فى بلادك والتى لا يفتأ بعضها يحارب بعضاً ، وأن توجد أنت ديناً سياسياً من عندك يقضى بالإعدام على كل من يؤيد مذهباً غير مذهبك الدينى . ولن تستطيع أن تفعل هذا إلا إذا كان لك الإشراف المطلق على النشر والطباعة وعلى الإذاعة وكل وسائل الإعلان ، وتسن إلى جانب هذا قانوناً يحظر تعليم أى أفكار أو مبادئ - كتابة أو شفهياً - من غير ترخيص من الحكومة ، وإلا فالعقوبة الإعدام . فإذا ما فعلت كل هذا كان لك أن تأخذ الشعب بأى نوع من التربية تشاء ، بشرط أن تتأكد أن هذا النوع الذى تختاره من التربية لا يشمل شيئاً من الحقائق أو العلوم ، ولكنه مجموعة أكاذيب نبيلة تلائم أولئك الذين لا تسمو بهم عقولهم إلى مرتبة إدراك الحكمة الصحيحة ومعرفة الله

المربى : شكراً جزيلاً على اقتراحاتك ، وليس عندى من شك أنها تتفق ومبادئ حزب جديد نشأ عندنا يسمى الحزب الفاشستى فعليك برئيسه

أفلاطون : لم أتشرف بعد بمعرفة رئيس هذا الحزب ، فإذا كانت اقتراحاتى تروقه ، فسأعمل على لقائه

(يتبع — بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

إلى جمهرة أهل الأدب

للأستاذ إسماعيل مظهر



أوجه هذه الكلمة إلى جمهرة أهل الأدب في مصر والأقطار العربية على صفحات الرسالة إقراراً لحق يجب أن يُقَرّ، وَرَدّاً لمادية ينبغي أن ترد، وتأييداً لدستور العرف المرعي بين الأدباء والناشرين وأصحاب الصحف على مختلف أنواعها

فقد نشرت مجلة الثقافة الغراء بحوثاً لحضرة الأب أنستاس ماري الكرملي نقداً على كتاب الذخيرة الذي نشره حضرة الأستاذ الدكتور جورجي صبحي بك الطبيب المصري المعروف، فتناول حضرة الأب ما شاء له علمه وبحثه أن يتناول من تصويبات في الكتاب، وحشا نقده وتصويبه بعبارات نال بها من حضرة الدكتور صبحي بك أشد النيل وأسف فيها شرّ إسفاف، فقد جاء في نقده العبارات الآتية :

١ — وهذا هو الجهل المركب الذي لا تركيب بعده وإن اجتمع جهلة العالم كله (العدد ٨١ ص ٣٧ من الثقافة)

٢ — حقيقة أني لا أفهم كيف أن مثل هذا الطبيب حصل على شهادته وكيف يجاز له أن يكون أستاذاً مساعداً في الطب في الكلية المصرية وطبيباً معالجاً في القصر العيني وأستاذاً للغة القبطية والدهاوية (الديموطيقية) إلى آخر ألقابه العديدة (العدد ٨٢ ص ٤٠ من الثقافة)

٣ — لما اتضح أن هذا التصنيف (يعني كتاب الذخيرة) ليس لثابت بن قرة، وبان بالعكس أن واضعه قليل البضاعة في علم العربية، والكاتب قبطي من أهل المائة السابعة أو الثامنة للهجرة لجهله الألفاظ الطبية وتشويهه لها، وجهله الأحكام اللغوية ومسخه لها مسخاً شنيعاً، لم يبق ذريعة لإصلاح هذه الأضرار المتنوعة إلا جمع النسخ المطبوعة — وتبلغ الألف عداً صادقاً — وإحراقها وإزالتها من عالم الوجود صيانة لشرف ثابت بن قرة، وشرف الجامعة المصرية التي فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمعتها لأنها سمت يمنها في الدنيا، مروجة إفسادِ العربية، وباثّةَ الألفاظ المشوهة، وصيانة أيضاً لشرف الدكتور جورجي صبحي الذي خسر كل ثقة من صدور عارفيه، إذا اشتهر عنه أنه لا يفهم ذرواً في العربية ولا يحسن الإنجليزية، ويسوء النقل من لغة إلى لغة، ومثل هذا الأمر في طبيب طامة عظيمة لا تقدر نتائجها الوخيمة (العدد ٨٤ ص ٤٠ من الثقافة)

٤ — لو كنت وزيراً للمعارف في الديار المصرية لحكمت في أول يوم أتولى فيه الوزارة على الدكتور جورجي صبحي أن يؤدي جنيهاً مصرياً عن كل صفحة من صفحات هذه الذكرة المنسوبة ظلماً وكذباً إلى ثابت بن قرة . ولما كانت هذه الصفحات ١٨٦ في اللغة العربية و٤٢ في اللغة الإنكليزية، فيكون مجموع ما يؤدي ٢٢٨ جنيهاً، ويزاد على ذلك حبسه يوماً واحداً عن كل صفحة أيضاً، فيسجن ٢٢٨ يوماً . فهذا أقل ما يستحقه هذا الرجل حتى لا يدفعه الغرور إلى نشر كتاب طبي آخر على هذا المثال المشوه ضناً بحياة الناس، وصوناً للغة الضاد، وتأديباً لمن يجرؤ على مجاراة هذا الدكتور في نشر الكتب وتشويهها تشويهاً شنيعاً فظيعاً، يكره في عيون الناس اللغة العربية والطب والعلماء على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم، لأن نتائج مثل هذا العمل السيء إهلاك الناس أولاً وإفساد لسانهم ثانياً، ودفعهم إلى الباهاة بأضرار الخلق ثالثاً

صاننا الله من هذه الشرور العظام الجسام، ووفقنا لخير الناس من خواص وعوام (العدد ٨٤ ص ٤٠ من الثقافة)



* * *

هذا طرف مما جاء في نقد الأب أنستاس الذي نشرته مجلة الثقافة الغراء . ولقد اتفق أني كنت عالماً بأن حضرة الأب سينقد الكتاب، وأن لهذا النقد تاريخاً قديماً ووقائع ينبغي أن يعرفها أهل الأدب ليظهروا بنشرها على لون من ألوان الأدب في هذا العصر، وليعرفوا شيئاً من العوامل التي تختفي وراء كثير من النقود التي ينشرها حضرة الأب أنستاس في مختلف المناسبات

فكتبت نقداً لما نشر حضرة الأب أنستاس وخصصت به مجلة الثقافة الغراء كالعرف السائر، وأرسلت النقد مع كتاب إلى حضرة الأستاذ أحمد أمين محررها . ولقد أرسلت النقد في الثامن والعشرين من اكتوبر فَرُدّ إليّ في التاسع من نوفبر مع كتاب من حضرة محرر الثقافة الغراء نصه الآتي :

(جاءنا مقالكم والذي دعانا لنشر مقال الأب أنستاس ما فيه من تصحيح علمي يسوغ لنا نشره . ولكن مقالكم — مع قيمته — معظمه تعريض بالأب أنستاس من غير مناقشة



مصري من الخارج

عرفته قبل أن يسافر ولقيته بعد عودته من الخارج ، وأشهد لقد آمنت إيماناً لن يكون بعده جحود بما للخارج من عظمة ، وتعاظمني ما بيننا نحن الشرقيين من بون في الحضارة وبين سادتنا الغربيين ، حتى لقد أوشك يتملكني اليأس من أي إصلاح لحالنا ، إلا أن نرسل جميعاً عالمنا قبل جاهلنا وكبيرنا قبل صغيرنا — اللهم خلا من سلف له أن سافر — بعثة واحدة في وقت واحد إلى بلاد الغرب لنعود بعدها كأهل تلك البلاد لنا ثقافتهم ولنا ذوقهم ولنا أسلوبهم فيما يأتون من ضروب التفكير والأعمال ما جل منها وما هان

ولا يحملن القارئ كلامي على اللهو والمبالغة ، فالأمر أجل وأخطر من أن يسمح بشيء من هذا ، ولو أنه رأى ذلك الذي أتحدث عنه ، كما رأيته قبل سفره وبعد أوبته ، لأيقن أني جاد كل الجد مقتصد غاية القصد فيما أقول ، وحسبك أنه اغترب زمناً ثم عاد إلى وطنه العزيز وهو شخص آخر قد تغير تغيراً جوهرياً من جميع نواحيه إلا ناحية واحدة ستعلم نبأها بعد حين ؛ وقد تم له ذلك على صورة أرى من الميسور معها على أن أصدق أن لماء التاميز وغيره من أنهار انجلترة فعلاً سحرياً ، فما هو أن ينزل المرء فيه ، أو أن يغترف منه غرفة فحسب ، حتى يصبح مهما كانت جنسيته ، بل إنه ليصبح وإن لم تك له جنسية إلا تلك الحلقة المفقودة التي لفقها خيال العلماء ، إنجليزي المظهر والجوهر والخلق !

ما ذهب صاحبنا هـذا مذهباً في حديث له إلا جعل غايته تلميحاً أو تصريحاً أن يلقى في روع السامع أنه كان في انجلترة ، وأنه بذلك فوق مستوى من لم يتواف له مثل حظه مهما تكن مكانته ؛ وكيف يكون لمن لم يحظ بذلك مكانة في نفسه على أية صورة من الصور ؟ كذلك يعتقد ذلك الأستاذ الذي يتندر تلاميذه فيما أعلم من عبثهم أنهم يحصون عليه إشاراته إلى ذلك الشرف في دروسه ، وإن أحدهم ليراهن صاحبه على درس يأمل أن ينسى فيه الأستاذ ذكر ذلك ، ولكنه يخسر كل مرة ، حتى لتحدثه نفسه أخيراً أن يذهب إلى أستاذه فيتوسل إليه أن ينسى مرة واحدة وله ما شاء بعدها من الإذعان والمودة !

وكيف ينسى الأستاذ ، وإن هذا الأمر ليجرى في نفسه مجرى النفس في رئتيه لا يكاد يستغنى عنه لحظة ؟ وأول ما يستطيل به عليك ـ إذا اغتررت بنفسك فطاولته ، وأول ما يشتكى به إليك إذا اطمأن إليك فأفضى إليك بهمه على الرغم مما يتقلب فيه من

علمية فإذا سمحتم باختيار مقتطفات منه نشرناها وإلا فنحن معتذرون .) أحمد أمين

ولقد توقعت أن نقدي سوف لا ينشر في الثقافة وكان السبب الأول لهذا أني وجهت بعض اللوم لحضرة الأستاذ أحمد أمين لأنه نشر في مجلته ألفاظاً وعبارات كتلك التي وجهها حضرة الأب إلى الدكتور جورجي صبحي وهو له زميل في الجامعة وأستاذ مثله فيها ، ولأنه قبل أن ترمى الجامعة المصرية التي هو أحد أساتذتها وعميد كلية الآداب فيها بأنها فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمعتها ، وأنها تروج إفساد اللغة العربية وأنها تثبت الألفاظ المشبوهة ! !

ولئن كبر على حضرة الأستاذ أحمد أمين أن يوجه إليه هذا النقد من كاتب، وعسر على نفسه أن ينشر هذا اللوم في الثقافة، فقد كان أجدره أن يهذب نقد الأب ويطلب منه أن يرفع منه تلك الأقوال الثقيلة الجارحة ، ولكنه قد أجاز نشر كلمات الأب ورضى بأن يحكم على زميل له في الجامعة أن يدفع غرامة مالية وأن يسجن تلقاء نشره كتاباً قديماً مشوه الأصل ، فكيف لا يرضى لنفسه أن يلام وأن يوخز وخزة واحدة تلقاء ألف وخزة نال بها من أستاذ زميل له في الجامعة؟

وبأي حق يطلب الأستاذ مني ألا أعرض بالأب أنستاس ما دام قد أجاز للأب نفسه أن يعرض برجل من أفذاذ المصريين؟ أحرام علينا أن نعرض بالأب ، حلال للأب وللأستاذ أحمد أمين أن يعرضا بالدكتور صبحي ؟ ومن ذا الذي أعطى حضرتيهما هـذا الحق وجعلهما فوق التعريض واللوم ما داما قد أجازاه لنفسيهما ؟

فإلى جمهرة أهل الأدب عامة وإلى حضرة الأستاذ محرر الرسالة خاصة، أحتكم وأطلب الحكم، وآمل أن أنصف وأن ينصف مني الدكتور صبحي بك فينشر نقدي في الرسالة في العدد الذي يتلو العدد الذي تنشر فيه هذه الكلمة إحقاقاً لحق لا ينكره عليّ وعلى الدكتور صبحي إلا جرئ على حقوق الناس

اسماعيل مظهر

نسمة أنه رجل qualified ، وليعذرنى القارئ إذا ذكرت عبارته كما يوردها ، فإنى لأخشى ألا يؤدى تعريبها ما يريد من معنى ، فيضيف بذلك إلى أدلة جهلى عنده دليلاً آخر ، ولا تنس أن من لم يذهبوا إلى الخارج هم عنده جميعاً جهلاء أدعياء !

وهو لا يسمح أن تكون كفايته موضع شبهة من أحد رئيساً كان أو مرؤوساً ، وإنه ليخطئ الخطأ فى جدله لا يختلف اثنان فى أنه خطأ ، ومع ذلك فإنك لتزحزح الجبل الراسخ من موضعه ولا تزحزحه هو عن موقفه بأية وسيلة من الوسائل ؛ ويظل فى مكانه لا ينحرف قيد شعرة ، ولن تزداد أنت بمحاولتك عنده إلا أنك تمعن فى المكابرة وتسرف فى الحمق وتبالغ فى الغفلة ؛ وإنه لن يؤمن أنه يخطئ إلا إذا كان يجادل أحداً ممن اغتربوا ولو إلى قبرص !

وليته يقف عند هذا الحد ، فإنه ليقحم نفسه فى كل جدال فيستمع لحظة حتى إذا قرر أحد المتكلمين أمراً جابهه بأنه يقرر الخطأ قائلاً : « لا ، هـذا خطأ » يقولها فى غير مراعاة منه لأى وضع من أوضاع الذوق ، ثم يزيدك نكداً بأن يسمعك نصف عباراته بالإنجليزية ونصفها بالعربية ، ولقد يستكثر النصف على العربية أحياناً فلا يأتى منها إلا ببعض ألفاظ ؛ ويمعن فى الكيد لك فيستدل على رأيه بما قرأ من كتب يذكر أسماءها ، والله يعلم نصيب كل منها من الوجود ! ولن يذكر فيما يستدل به من الكتب اسم كتاب عربى . وكيف يفعل هذا وهو لا يتورع أن يقول فى صراحة إنه يضن بريال من ماله على شراء أى كتاب عربى بينما يدفع جنيهاً كاملاً ثمناً لأى كتاب إفرنجى ؟ !

إذا صرفت النظر عن طربوشه وسحنته فأنت منه — إذا تبقى بعد ذلك شىء — حيال انجليزى لا حيال مصرى ؛ فسرواله وحلته وحذاؤه كلها انجليزية اللون والتفصيل ، وغليونه انجليزى الوضع والهيئة والحجم ، وأسلوبه فى تفريغ ذلك الغليون بدقه على كعب حذائه وفى حشوه وإشعاله أسلوب انجليزى على رغمى ورغم غيرى من الذين ينكرون عليه كفايته ، لأن الغيرة تملأ نفوسهم والحقد يوغر صدورهم

وإنه ليدق الأرض دقاً بحذائه الغليظ إذا مشى ، ويومئ برأسه مع كل دقة إيماءة الكبرياء ، فيكون فى ذلك إنجليزيًا أكثر من الإنجليز أنفسهم ؛ وهو يكمل بذلك أدلته على أنه قد صار أحد هؤلاء الإنجليز الذين أخذ عنهم ؛ وإنى لن يسعنى مع هذا إلا أن أسلم له بأنه Qualified حقاً ، وإلا فهل ثمة من فرق بينه وبين من يتشبه بهم ؟

ويسيطر على سلوكه خيال انجليزيته سيطرة عظيمة عند علماء النفس تأويلها ؛ أما أنا فمعلى عمل الصور الخبيث ، فأراه إذا تكلم الإنجليزية مثلاً — وقل أن يتكلم غيرها — يلعب بفكيه لعباً لن أستطيع أن أنكر ما فيه من مهارة ، وإلا كنت مكابراً حقاً . وأراه يلعب دور اللحن أيضاً فهو لا يقنع بالمبالغة فى إمالة ما يتطلب الإمالة من الحروف ، ولا بتفخيم بعض الألفاظ وترقيق البعض ، ولا بمد أواخر كلمات واختطاف أواخر كلمات غيرها ، ولا بالإتيان بغنة هنا وشنشنة هناك ، ولا بقلقلة لسانه فيما يقابل « الراء » عندنا من الحروف ليخرجه بعد حشره بين وسط اللسان وسقف الفم ... لا يقنع بذلك كله وإنما يحاول أن يكون صوته كصوت الإنجليز فلا يتسق له وا أسفاه إلا خليط من اللغط والمواء يحمل أشد المحتشمين على الضحك . ولقد رأيت أحد الإنجليز يستمع إليه وهم أهل كياسة ودماثة ، فلم يتمالك نفسه من الضحك فحجب وجهه بورقة فى يده وضحك ملء نفسه ثم عاد يحاول فى جهد الاحتشام والوقار ...

وإذا اضطره إلى العربية جانب من عمله جاءك بها فى ثوب إنجليزى وتسمعها على لسانه غريبة أكثر عوجا ولكنة فى جرسها وإخراجها مما لو جرت على لسان أحد أساتذة إكستر أولفربول وقد تعلمها منذ أسبوعين !

وهو برم بمجتمعنا وتقاليده ، فكل شىء فيه سخيف عنده ؛ وإنه ليعترف لديك فى غير تحرج أو استحياء أنه لا يزور ذوى قرباه إلا كل عامين أو ثلاثة لأن صدره يضيق بما يرى بينهم من تقاليد وعادات بالية عتيقة . رجا منه مرة أحد أصدقائه ألا ينسى أمراً من الأمور ، فهال الصديق أن يراه يغضب أشد الغضب ثم يصعر خده ويشمخ بأنفه قائلاً : « أنا أنسى ؟ No, it is you who forgets »

وليس للفن المصرى فى رأيه أثر فى الوجود، ولا للموسيقى المصرية وقع فى النفس، ولا للأدب نصيب من الحياة، ولا للحياة المصرية كلها وضع من أوضاع الذوق ...

وبعد فليت هذا الذى يتشبه بالإنجليز هذا التشبه؛ يحا كيهم فى غير الحلة والحذاء والغليون والهجة! ثم ليته ينقل عنهم بعض ما بهروا به العالم من خلائقهم، بل ليته علم أن الإنجليز أبعد الناس عن التقليد السخيف لأنهم لا يرون بينه وبين الصعلكة كبير فرق!

ليته نقل علمهم وأتقن أسلوب تفكيرهم، ثم اقتنع بهذا الجد وحافظ على مظهر قوميته وروح وطنيته، وإن بعض إخوانه ليعود إلى وطنه وما أغناه ماء التاميز عن ماء النيل، وما إن يرضى بأن يقيم من نفسه دليلاً على شعوره بحقارته!

وما لهذا المتكلف والعلم وبيده « رخصة » بأنه كفء على الدوام أحسن أو أساء؛ وما به حاجة إلى أن يعمل فهو سابق غيره إن جد وإن أهمل بحكم هذه الوثيقة بل هذه الحجة الدامغة التى تغنى عن كل شىء! وإن وثيقته هذه لتذكرنى « بصكوك الغفران » التى كانت تبيعها الكنيسة للناس فى العصور الوسطى فتغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، أو بما يكون لصوم يوم عاشوراء عند السذج من عامة المسلمين من جزاء فى الدنيا والآخرة ...

وإن إكبار المجتمع لمثل هذا المصرى الآتى من الخارج ليجرى على أسلوب كأسلوب العوام الذى تراه فى مثل قولهم: « فلان متربى فى بلاد بره » أو كأسلوب بعض جهلاء الذوات فى الجيل المنصرم عند ما كانوا يقولون « فلان جى من استنبول »

لقد ذهب الزمن الذى كان يراد فيه وضع هؤلاء القادمين من الخارج مهما يكن من عجزهم موضع التفوق ومات الغرض من ذلك بتيقظ قوميتنا وانبعاث نهضتنا؛ فحتام نشهد على أنفسنا بالضعة ونقدح فى كفاية معاهدنا وأساتذتنا؟

يا معالى وزير المعارف! لأنت أحد أساطين نهضتنا القومية المباركة، فمن غيرك اليوم يقتلع هذا الداء من أصوله ويقول لمن يعمل: المكافأة على قدر العمل، وقيمة كل امرئ ما يحسن! بذلك تقضى معاليك على عيب من أهم عيوب التعليم فى هذا الجيل الذى يرتقب الخير على يديك.

الخفيف

بواب مصر ...

السنيور « جرزيانى »

بوابَ مصرٍ قف بجنب الباب ... أرأيت فى الصحراء غير سراب
حرب ولا مثل الحروب، عجيبة ... دعوى المودة من عِدَى أوشاب
تركتك مصر بموضع ما اختاره ... من قبلُ أقوامٌ ذوو ألباب
سجن أمرتَ به جنودك طيِّعاً، ... حسناً فعلت بجيشك الغلاب!
فلتبق حيث اخترت فى مهجورةٍ ... واسمع صداك جوابَ غير مجاب
يكفى عقاباً للجهول وقوفُه ... فى موقف يكفيه كل عقاب
البحر عن يسراك فارشف رشفة ... وانعم بأمواه لديك عِذاب
والرمل عن يمناك فاطعم سائغاً ... ماشئت بين رُبى و بين هضاب
بابٌ لمصرٍ لم يجادلك امرؤ ... فالزم مكانك فيه كالبواب

عبد اللطيف النشار

غَنِّ ...

أيها الشاعرُ قمْ وانقُرْ عَلَى ... عودِك الحانِي وَرَدِّدْ أغنياتِكْ
إنما أنتَ شُعَاعْ ... عن قريبٍ يغربُ
وأمانيكَ خداعْ ... وسرابٌ يكذبُ
اركب الزَّوْرقَ واسْبَحْ فغداً ... لا ترَى الزَّوْرقَ يجْرِى ويَهِيم
واجمع الطيرَ حواليْك وكنْ ... أوَّل الشادينَ ألحانَ النعيم
وارْتَشِفْ أكوابك السكرى فنى ... هذه الأكوابِ صفوٌ مستديم
وابتذِلْ دنيا الجياعْ ... فهى هم يَنهبُ!
وهى عنف وصِراعْ ... وضَجيجٌ متعبُ!
موكبُ الدنيا يُغَنِّى لحنَه ... فانتَظِمْ فى موكب الدنيا وغَنِّ
العذارَى يتهادين به ... راقصات فيه فى صفوٍ وأمْنِ
قمْ ترَنَّمْ، قمْ وسَبِّحْ للهوى ... وانْسَ ماتحمِل من همٍ وحزْن
وانهب الحسن المشاعْ ... فقريباً يذهبُ
إنما الدنيا متاعْ ... ونسيمٌ طيبُ

عبد العليم عيسى

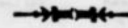


شيء قديم

السلطنة

« مع سلام الله ورحمته وبركاته إلى فضيلة الأستاذ عبد الفتاح خليفة ، مفتش الخط للتصوف بوزارة المعارف العمومية »

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



الذين يسمون الغناء فى هـذه الأيام معذورون إذا كانوا لا يعرفون ما هى السلطنة ، وهم معذورون أيضاً إذا سخروا من ذكرها وحسبوها رقاعة قديمة كان المغنون القدماء يصطنعونها تهريجاً منهم وتحلية لبضاعتهم ، وكان الجمهور القـديم يحتملها صبراً منه ، وتضييعاً لوقته الطويل الرخيص الذى لم يكن ينتفع منه بشىء ...

وهم معذورون فى هذا وذاك لأن السلطنة قد انعدمت من عند المغنين فى هذه الأيام أو كادت تنعدم . والجمهور اليوم يسمع عنها — إن كان يسمع عنها — فلا يتصورها إلا نوعاً من أنواع التحكم الثقيل المقوت يفرضه المغنى فرضاً على جمهوره تيهاً منه ودلالاً واستكباراً ، فقد قيل لهذا الجيل إن المغنى القديم كان لا يرد إلى المكان الذى سيغنى فيه إلا بعد أن تمضى من الليل ساعات ...

وإنه بعد هـذا كان يطلب خمراً أو شيئاً آخر غير الخمر يقلب به دماغه ويغيب به عن وجوده ، وإنه بعد ذلك كان يرجو أن إنساناً حلواً يقرب منه ليشاهده وهو يغنى ، وهو فوق هذا وذاك كان يصر على أن يصحب معه نفراً من الناس لا هم عازفون ولا هم مغنون وإنما هم مستمعون فقط يحبهم ويؤثرهم ويجرهم وراءه من حفلة إلى حفلة ، ويجرون هم وراءه من فرح إلى فرح ، والواحد منهم يعدل عنده ألفاً من وجهاء الناس الذين يدعون إلى سماعه والذين يجاملونه بالتطييب الرقيق والتشجيع الناعم ...

وإنه بعد هذا كله لم يكن حضرته يغنى إلا إذا تسلطن ، وهو لا يتسلطن إلا بعـد أن يقضى أفراد تخته زمناً طويلاً فى تصليح آلاتهم ، وبعد أن يعزفوا بشرفاً ، وبعد أن يغنوا توشيحاً ، وبعد أن يقسم صاحب العود بعوده تقسيمات كثيرة أو قليلة ، وبعـد أن يتلوه صاحب القانون فيقسم هو أيضاً تقسيمات كثيرة أو قليـلة ، وبعد أن يعقبه صاحب الكمان فيقسم كذلك تقسيمات كثيرة أو قليلة ، وربما بعد أن يغنى واحد من أفراد التخت أغنية طويلة أو قصيرة ، هذا كله وبعد طلوع الروح يبدأ حضرة المغنى فيغنى ، فإذا نشط فى غنائه قيل إن حضرته تسلطن

هـذه هى الصورة التى يتصورها أهل هـذا الجيل عن السلطنة ، وهى صورة تنطبق على الحق وعلى الذى كان واقعاً ، وإذا كان أهل هذا الجيل الذى نعيش فيه يكرهونها ويسخرون منها ولا يطيقون أن يرزأوا بها فإنما ذلك يرجع إلى أنه قد فاتهم تعليل كل ظاهرة من ظواهر هذه الصورة ...

ولو أنهم عرفوا لأى سبب كان القدماء يحبون السلطنة من المغنين ويستجدونها منهم استجداء ويتكلفون تهيئتها لهم تكلفاً قد يرهقهم فى أغلب الأحيان ...

لو عرفوا هذا . . . إذن لأسفوا لأنهم قد حرموا اليوم ألذ متعة فنية قضى عليها جيلنا الحديث المتعجل الذى يستمع الناس الغناء فيه وكأنهم راكبون فى قطار ، يعدون على المغنى أغانيه كما يعد ركاب القطار عليه المحطات ؛ ويهرعون إليه قبل موعد الستار كما يهرع الركاب إلى القطار قبل موعد القيام ، وينفضون عنه بعد الوصلة الأخيرة كما ينفض الركاب من القطار فى محطة الوصول ...

فلا تذوق ، ولا استسلام ، ولا واحد من المستمعين هؤلاء يتأخذ بالغناء ، ولا واحد من المغنين هؤلاء ينزو نفساً من نفوس مستمعيه . . . وإنما هو « سلق بيض » كما يقول عامتنا الحكماء . .

كان المغنى القديم لا يحافظ على ساعة محددة يحضر فيها إلى الحفلة ، وإنما كان يجمل موعده ليلة الحفلة بأكلها ، فيحضر إليها وقتما يحضر . قد يبكر وقد يتأخر غير متعمد تبكيراً ولا تأخراً وإنما الذى يتعمده هو أنه لا يذهب إلى هؤلاء الناس الذين جاءوا ليستمعوه إلا بعد أن يستوفى راحة بدنه على الأقل ، بأى صورة ما من صور الاستجمام تريحه هو .

ثم إذا جاء إلى مكان الحفلة طلب الخمر أو غير الخمر من قالبات الدماغ ، لأن الغناء عورة من عورات النفس ، لا يسهل على الإنسان أن يكشفها لغيره وهو يقظ منتبه إلا إذا كان فاجراً ، فإذا كان فاجراً لم يكن مغنياً ، لأن الغناء فن يستلزم فى النفس حناناً ورقة ورحمة وشوقاً وأملاً ولهفة ورجاء وحباً وعطفاً ورضا وتضحية ، وكل هذه عواطف بعيدة عن نفوس الفجار ...

فإذا انقلب دماغه واستخفته الخمر وغاب عن رشده وهان عليه أن يفضح نفسه وأن يكشفها عارية للناس ، لم يرضه أن يكشفها لـكل الناس ، وإنما يرضيه أن يتعرى أمام الذى يعجبه هذا العرى ، والذى يرحم هذا العرى ، والذى يستجيب لهذا العرى ، والذى يكشف بالسماع من نفسه مثلما يكشف المغنى من نفسه بالغناء ...

وهـذا هو الإنسان الحلو الذى كان المغنى القديم يطلبه قريباً منه ليشاهده ويغنى له ، ولينسى به أنه قد تعرى أمام جمهور من الناس

والحلاوة فى الإنسان تختلف ، ولـكل منن ذوق هو ناشئ عن تكوين نفسه ، فـكما كانت حلاوة روحه كانت حلاوة مشهده . . .

والناس أجسام هى صور لأرواح محبيهم وعشاقهم ...

ولا ريب أن هذه حال تشبه أن تكون موقعة بين المغنى ومشهده الحلو ، والمواقع لا بد أن يحضرها شهود ، والشهود هؤلاء ليست مهمتهم الحـكم على المغنى فى آخر الليل بأنه انتصر أو بأنه فشل ، وإنما مهمتهم أن يرقبوه وأن يرقبوا سامعه ، وأن يتابعوهما بالإيحاء والتنبيه والتحريض و « تسجيل النقط » والتحميس والتطييب وغير ذلك من وسائل تفتيح النفس وإرهاف الحس وإشعال الروح . . . وهؤلاء الشهود هم أولئك المستمعون الذين يجرهم المغنى وراءه من حفلة إلى حفلة ، والذين يجرون وراءه من فرح إلى فرح . وهو يحبهم وهم يحبونه . أما هو فيحبهم لأنه يشعر بأنهم يتلقون خفقات نفسه ووثباتها فلا تضيع منها خفقة فى الريح ، ولا تذهب منها وثبة إلى العدم ، فهم مسكن روحه ومأوى نفسه ونصراؤه المستجيبون له . وأما هم فيحبونه لأنهم يرونه كأنما هو قائد لهم ، إذا أنَّ فكما كانوا يريدون أن يئنوا هم لو أن نفوسهم تفتحت تفتح نفسه ، وإذا حنَّ فكما كانوا يريدون أن يحنوا هم لو أن نفوسهم فاضت كما تفيض نفسه ، وإذا هم فـكما كانوا يريدون أن يهموا هم لو أن نفوسهم فزعت وارتمشت كما تفزع نفسه وترتمش . . . هم من لونه وهو من لونهم ولكنه أشدهم تميزاً فى لونه ، وأشدهم تمكناً من لونه ، وأشدهم انطباعاً على هذا اللون ..

هم جمهوره ...

فإذا جاء المغنى إلى مكان الحفلة أو الموقعة ، وتسلح بالخمر ، واستحضر شهوده ، وواجه غريمه الحلو الذى ينتصر له الحاضرون جيماً ، والذى تجندت مع روحه أرواح الثلاث من المستمعين قاصدة تعززه ، أو غير قاصدة وإنما تعززه بطبيعة الفضول المنساب منها إلى روح المغنى يناوشه ويهاجه ويقلقه . . .

إذا ما كان هـذا استنجدت روح المغنى بأرواح أفراد فرقته وهم جيشه ، فما تلبث هذه الأرواح حتى تهب له ملبية ، ولكنها قبل أن تبـدأ الهجوم تستشير فيا بينها إن بالـكلام

وإن بالصمت عن موضع الضعف الذي يمكنها منه أن تبدأ الغزو ، فإذا لمست في الغريم ألماً وشجواً أرسلت إليه الحنين « سيكا » ، وإذا أحست منه استعصاء وصلابة رققته بالحجاز ، حتى إذا ما اتفقت على مدخل روحه من أين هو ، أرسل المغنى وهو القائد أول رائد من رواده يناوش الغريم فإذا هي تقسيمات من الكمان أو القانون ، هـذه التقسيمات ليست إلا ومضات من الروح تمرض على السامعين وعلى رأسهم السامع المقصود بالذات ، وهو كما علمنا من البدء مشوق للمغنى بالفعل أو بالقوة ، فبينه وبين المغنى وأفراد جيشه وشهوده تلاؤم وتعارف مستكنان ، وود متحفز للانطلاق ، فإذا لم يقو على إطلاقه الرائد الأول بالكمان ، استثاره الرائد الثاني بالقانون ، فإذا لم يقو عليه هذا أيضاً نكثه الثالث بالعود ، ثم كان البشرف كالنفير الذي ينفخ فيه نداء وتحفيزاً ، ثم كان التوشيح كالمارش الذي يعزفه الجيش في أول الهجوم ، ثم يبدأ المغنى بعـد ذلك يسدد طعناته طعنة في كل « ليل » يهتف بها ، وفي كل « آهة » ولكل ليل معنى يتضمنه نغمها ، ولكل آهة رجع مبثوث فيها ، وليست هي أشكال صوتية صماء خالية من المعنى والروح كهذه الآهات والليالي التي نسمعها اليوم فلا نعرف إن كان فيها فرح ، أو كان فيها يأس ، أو كان فيها رضا ، أو كان فيها هم ، أو كان فيها غم

ويبدأ الهدف الحلو يضعف وينساق ، ويبدأ المغنى يعلو ويتمكن ، ويجر الهدف الحلو وراءه تابعاً ، ثم تابعاً ، وأفراد الفرقة والشهود يجذبون هم أيضاً الأتباع أفواجاً أفواجاً ... حتى يشعر المغنى بأنه لم يعد يتحرج ولم يعد يخجل من أن يكشف نفسه لأمة لا لفرد، فكل عيوب نفسه الآن فضائل ما دامت لها أصداء في نفوس الناس جميعاً وما دام هو وحده القادر على نثرها مستطابة مشتهاة ... لا يقصد منها قضاء الوقت ، ولا تحصيل الأجر ، فما خلف واحد من هؤلاء ثروة ...

عندئذ ، وعند ما تكمل له السيطرة على هذا النحو . . . يقال إنه تسلطن ، وهو في الحق تسلطن على كل من في حضرته فما ينفذ من سلطنته إنس ولا جان ... إلا لسلطان

وهـذه حال لا يشبهها إلا حال الشيخ أو الإمام مع أتباعه . . .

ولكن أي إمام ؟ . . . إمام من غير المحترفين . . . قلبه يعرف الله . . .

عزيز أحمد فهمي



عراك فى غير معترك

أرسل إلينا الأستاذ محمد متولى كلة بعنوان (صورة) يرد بها على الأستاذ زكى طلبات فرأينا أن نقتصر منها على الجملة الآتية إيثاراً لخطة الرسالة من جهة ، وإبقاء على ما بين الصديقين من جهة أخرى ، والموضوع على كل حال لا يحتمل أكثر مما قيل فيه . قال الأستاذ متولى :

ولقد أقرر أن زكيا يهزل ولا يجد فلا يليق أن نشركه فى المسائل العقلية ، وإلا أضعنا وقتنا هباء دون أن نصل معه إلى نتيجة ، وسأضرب ، مثلاً بمسألة واحدة مما هو شائع فى مناقشاته

١ — قال فى رده الأول « وقبل أن ننتقل من هذا نود أن يقف القارئ على آراء علماء اليوم فيما كتبه ريبو » وبعد سطور قال أيضاً إن كلام ريبو « قد أصبح موضع نظر بعد أن بين الفيلسوف الأمريكى المعاصر وليم جيمس » كيت وزيت

٢ — وأنكرنا عليه أن يصف جيمس بالمعاصر وقد توفى قبل ريبو بست سنين ، فعاد إلى كلة معاصر يحاول أن يفسر معناها ، وأنا شخصياً أعرف هذه الكلمة منذ خمسة عشر عاماً ، وقد طالما سمعتها فى دروس الجامعة المصرية من أستاذىّ أبل راى وأندريه لالاند ، وكثيراً ما استعملتها بين أيديهما فلم أعرف لها غير معنيين وردا فى معجم لاروس ، فى قوله « Contemporain = Qui est du même temps : Voltaire et Franklin furent contemporains — Qui est du temps actuel : nos contemporains » وهذا معناه أن المعاصر هو من يعيش مع غيره فى وقت واحد فنقول إن فولتير وفرانكلين كانا معاصرين . كذلك المعاصر هو من يعيش فى الوقت الحاضر فنقول معاصرونا

ونحن حيثما ذهبنا مع زكى وبشر ، لن نجد أكثر من هذين المعنيين لكلمة معاصر — ولنذهب لتروا ضلال الفارسين

(١) ينقل زكى أن Littré قال « La raison contemporain est l'ensemble des choses qu'une société admet comme vrai à une époque donnée » وهو كلام صحيح ، لا كما فهمه بشر وزكى ، ولكن لأن معناه أن روح العصر هى مجموع الأشياء التى تقبلها جماعة على أنها حقائق فى فترة معينة ، فما دخل هذا فى أن ريبو أحدث من جيمس ؟!

ربما أراد الفارسان أن يضيفا إلى كلة Contemporain معنى لا يعرفه أهل اللغة الفرنسية ، وربما يصدران غداً « أمراً عسكرياً » باعتبار أرسطو أو نتشه أو كانت أو سبنسر أو غيرهم ممن تنفذ تعاليمهم خلال القرون، نقول ربما يصدر الفارسان « أمراً عسكرياً » باعتبار أولئك جميعاً معاصرين برغم ما بيننا وبينهم من مئات السنين

(ب) إميل زولا (المتوفى ١٩٠٣) ، وألفونس دوديه (١٨٤٠ — ١٨٩٧) وفلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) وموباسان (١٨٥٠ — ١٨٩٣) وشارل بودلير (١٨٢١ — ١٨٦٧) ، وفيرهارن (ولد ١٨٥٥) وفرلين (ولد ١٨٤٤) ومالارميه (ولد ١٨٤٢) . كل أولئك عاشوا معاً أياماً بعينها ، كما هو واضح فى تلك التواريخ ، فهم معاصرون بنسبة بعضهم إلى بعض ، ثم هم يمثلون الفكر الفرنسى فى عصر بذاته ، والحال هنا كما لو أردنا أن نؤرخ للفكر المصرى فى هذا العصر ، فتحدثنا عن : شوقى والعقاد وحافظ والزيات ومحمد عبده وطه حسين وقاسم أمين ومن إليهم ، فهؤلاء يمكن أن يمثلوا روح عصر مجتمعين

فى أجرومية اللغة الإنكليزية

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير الرسالة الغراء :

ذكرنى تعليق الأستاذ عبد الغنى حسن على ترجمة الأستاذ العقاد بحادثين لاثنين من الدرسين أحدهما انكليزى يدرس العربية ، والآخر مصرى يدرس الإنكليزية ، وكلا الحادثين يدل على أن الاجتهاد والجدة ينشئان نوعاً من (الحنبلية) قد يسفر عن ظرف محض ، وإن كانت الحنبلية فى أغلب الأحيان لا تسفر عن ذلك

أما المصرى الذى كان يدرس الإنكليزية فهو مجتهد مثابر على حفظ القواعد الجديدة عليه حتى كادت تنسيه قواعد لغته . قيل له أعرب كلة جداً فى قولك أحبك جداً ، فأجاب على الفور : أحب فعل والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به ، وجداً يا أفندم ، وجداً ... جداً is an adverb of condition لأنها ليست وصفاً فهى لا تصف الاسم ولكنها تتمشى مع الفعل

أما الحادث الثانى فهو لمدرس انكليزى كان يؤدى امتحاناً فى وزارة المعارف المصرية وقال له الممتحن أسند فعلاً إلى الضمائر ، فأجاب وهو لاجتهاده قد حفظ الضمائر ونسى الأفعال : « أنا مالكش دعوى . أنت مالكش دعوى . أنتم مالكش دعوى . نحن مالكش دعوى . هم مالكش دعوى . هن مالكش دعوى . هى مالكش دعوى . أنتن مالكش دعوى ... »

عبد اللطيف النشار

المجمع العلمى المصرى وكتاب الأخلاق

عقد المجمع العلمى المصرى جلسته الأولى بعد العطلة الصيفية فألقى حضرة القس بولس سباط أحد أعضائه محاضرة عن كتاب نفيس عنوانه « علل اختلاف الناس فى أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم » لقسطا بن لوقا العالم الكبير والطبيب الشهير فى القرن التاسع

ذكر القس سباط فى هذه المحاضرة أن لقسطا بن لوقا ثلاثة وستين مصنفاً وأن كتابه فى الأخلاق أثر ثمين من الآثار العلمية التى تركها لنا العلماء المسيحيون القدماء ، وختم المحاضرة بقوله : « أنشر هذا الكتاب راجياً أن يستفيد القارئ بمطالعته ويقدر عبقرية المؤلف وعلمه ، فقد وصف قسطا بن لوقا فى هذا الكتاب فوارق البشرية وصفاً بديعاً ورسم لنا بخطوط بارزة صورة للنفس الإنسانية يرى كل واحد منا صورة ميوله وشهواته ويلم بأسبابها فيجتهد فى تهذيبها بما حباه الله به فى القوى العاقلة التى تميز بين الخير والشر والنافع والضار »

عثر القس سباط على مخطوط من هذا الكتاب فى مدينة حلب فاهتم بدرسه والتعليق عليه وترجمته إلى اللغة الفرنسية وسيبادر المجمع العلمى المصرى قريباً إلى طبعه مع الترجمة فيضيف مأثرة جديدة إلى المآثر العديدة التى من بها على العالم العربى .

وفاة السير جوزيف طمسن

توفى السر جوزيف طمسن وهو من كبار علماء الطبيعة فى العقد التاسع من سنه

واشتهر السر جوزيف هذا بإعلانه سنة ١٨٩٧ اكتشاف ما يعرف الآن باسم الألكترون وهو أصغر ما عرف من أجزاء المادة وأصغر مما كان يعرف باسم الجوهر الفرد

ولما أذاع اكتشافه هذا فى المعهد الملكى قوبل بالشك الممزوج بكثير من السخرية . قال يصف مقابلة خطبته التى أذاع بها فى المعهد هذا الاكتشاف :

« فلم يصدق كثيرون وجود هذه الأجسام التى هى أصغر من الجواهر بل إن عالماً طبيعياً مشهوراً قال لى بعد زمان طويل من إلقاء الخطبة إنه ظن أنى أسخر بسامعى . فلم يدهشنى قوله لأنى أنا نفسى كنت أشك فى اكتشافى وتعليله »

هل موسى عليه السلام مصرى أو عبرى ؟

نقلت مجلة « الرسالة » الغراء فى العدد (٣٨٣) عن الأستاذ « فرويد » أنه كان يذهب إلى أن موسى عليه السلام كان مصرياً لا عبرياً ، وقد أيد رأيه فى ذلك بأن موسى كلمة مصرية بمعنى عبد وذلك كما وردت فى كلمة (تحوتمس) بمعنى عبد تحوت ، ولكن هذا لا يمكن أن يؤيد رأى الأستاذ فرويد فى أن موسى عليه السلام كان مصرياً لا عبرياً ، لأنه لا يلزم أن يكون الشخص من أهل لغة من اللغات إذا سمى باسم من أسمائها ، وها نحن أولاء الآن نسمى أولادنا بأسماء غير عربية ، ومع هذا يبقى أولادنا عرباً ولا تؤثر فيهم هذه التسمية

على أن هناك أمراً أهم من هذا فى هذه المسألة ، فقد قرأت فى بعض الكتب القديمة أن اسم موسى سريانى مركب من كلمتين (مو ـ و ـ شا) ومو هو الماء بالقبطية ، وشا هو الشجر ، فعرب وقيل موسى ، وإنما سمى به لأنه وجد بين ماء وشجر ، ولا شك أن هذا النص صريح فى أن كلمة موسى سريانية أو مصرية ، ولكنها ليست بمعنى عبد ، بل بمعنى ماء وشجر ، فبأى الأمرين نأخذ فى هذه الكلمة ؟ ولا شك أن جواب هذا عند علماء الهيرغليفية، وليس عندنا معشر علماء العربية

عبد المتعال الصعيدى

موسى

ذكر الأستاذ صديق شيبوب أن فرويد قال فى كتابه عن « موسى » إنه كان مصرياً مستدلاً على ذلك باسمه لأن كلمة « موسى » مصرية معناها الطفل أو العبد بدليل اسم الملك « تحتمس » أو « تحوت موسى » أى عبد « تحوت » فيكون اسم موسى اختزالاً كما نقول بالعربية عبده أو عبد الله

والصواب أن كلمة موسى ليست مصرية وليست بمعنى

«عبد الله» كما التبس ذلك مرة على الدكتور زكى مبارك عند ما قال إن كلمة شنوده بمعنى عبد الله أيضاً . فكلمة عبد الله عند الفراعنة هى «باك» مثل «باك إن أمون» أى عبد الإله أمون وغير ذلك

ولما كان فرعون هو الشخص المؤله على الأرض أمام شعبه فكان على بعض الفراعنة أن يتخذ لنفسه اسماً يثبت به أنه الوارث الشرعى للعرش وأنه من نسل الآلهة ومن هنا أتت كلمة «تحتمس» أى « تحوت مس » المولود من صلب الإله تحوتى إله العلم والحكمة عند قدماء المصريين والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولذلك أساطير طويلة

أما الرد على الأستاذ بكر هلال فيما يختص بسؤاله عما إذا كان موسى من حاشية الملك الفيلسوف أخناتون أو غيره فلم يهتد إلى ذلك أحد قط ، وكل ما ذكر هو من الحدس والاستنتاج

ولم تذكر الآثار شيئاً عن ذلك ، وكل ما هنالك عن خروج بنى إسرائيل من مصر مكتوب على لوح من الجرانيت موجود بالمتحف المصرى من عهد الملك منفتاح ، ولكن هذا لا يبرر خروجهم فى عهد هذا الملك إذ المفروض أنهم خرجوا من مصر قبل ذلك بكثير .

ونرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى البحث عن حل لهذه المعضلة التاريخية الدينية قريباً .

محمد صابر
مؤلف كتب الفراعنة

معنى سوى

جاء فى كلمة الأستاذ على متولى السيد عدد ٣٨٦ هذه الجملة : « نهزج (سوياً) بأغرودة السعادة » ... فقد استعمل (سوياً) بمعنى (معاً) . والذى ورد فى كتب اللغة أن سوياً بمعنى مستو

جاء فى القاموس فى مادة (سوى) : « ومكان سَوِيٌّ كَغَنِيٍّ وسِيٌّ كَزِيٍّ مستوٍ ، وسواه تسوية جعله سوياً » . وفى القرآن الكريم : « فتمثَّل لها بشراً سويًّا » أى مستوياً تام الخلق .

فخر الدين غزى

ملاحظة على قصيدة طلع الفجر

قرأت فى العدد ٣٨٦ من (الرسالة) قصيدة عنوانها (طلع الفجر) للأستاذ عزت المحجين ، فأعجبنى فيها قوة الأسلوب وبراعة التصوير ... إلا أن لى كلمة أرى من حق الأدب علىَّ أن أبعث بها إلى الرسالة

بدأ الأستاذ قصيدته بلون من الشعر أسبغه على ثلاثة أبيات منها ، ثم تحول فجأة إلى لون آخر ، وإن كان المعنى ما يزال موصولاً . وقد ورد البيت الثانى هكذا :

فاصبح يا حلو قد صحا الورد وطاف النسيم بالأقداح

ولعل صحة البيت :

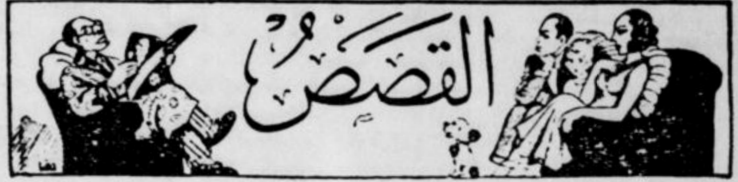
فاصبح ياحلو واستمع قدصحا الورد وطاف النسيم بالأقداح

حتى يستقيم الوزن ولا يختل المعنى . وما عن هذا أتساءل ؛ ولكن أما كان يصح للناظم إذ نظم من بحرين مختلفين أن يجعل للأول نصيباً من باقى أبيات القصيدة حتى لا ينتقل القارئ أو السامع من نغم موسيقى إلى نغم آخر من غير وجود آصرة تربط بينهما حتى النهاية ؟؟

وقد ورد لحضرته أيضاً : فتمالَ إن روحى ظمئت (يخاطب حبيبه) ، ثم عاد فكرر الكلمة ـ فتمال ـ فى قوله : (فتمال إنه يوم المنا) مما يضطر إلى إشباع اللام حتى يستقيم الوزن ، على أن مثل هذا الإشباع لا يجوز إلا فى القوافى من القصائد

وبهذه المناسبة أقول إن الرسالة كانت قد نشرت بالعدد ٢٩٣ قصيدة للأستاذ إيليا أبو ماضى ، عنوانها « ابنة الفجر » وقد ورد فيها مثل هذا الإشباع — غير الجائز — لحرف من الحروف فنبهت إليه وعلقت عليه

على سرور



عبث أرستقراطي

للأستاذ نجيب محفوظ

في ذلك المساء من شهر مارس ازَّين قصر الوجيه حامد بك عرفان بحلة لألاءة من الأنوار المتموجة ذات الألوان ، مدت أسلاكها الكهربائية على سور الحديقة فتعانقت مع الياسمين والبنفسج . وتعلقت بأفرع الأشجار والنخيل ، وتوجت بها شجيرات الورود المنتثرة على هيئة أهلة ونجوم . وكان أعجب ما في القصر هو ذاك البهو المتسع الأنيق الذي فرش بفاخر الأثاث وحليت جدرانه وأركانه بروائع الفن من صور وتحف ، وترك في وسطه مكان رحب للراقصات والراقصين ، أما في صدر المكان فقد امتدت ردهة إلى مقصف حافل ، وإلى يمينها فيما يلي الشرفة المطلة على الحديقة احتلت فرقة الموسيقى الإيطالية مكاناً جميلاً ... وانتشر فيما بين البهو والشرفة والمقصف والحديقة المدعوات والمدعوون الذين لبوا الدعوة للاحتفال بعيد ميلاد كوكو الصغيرة ابنة الوجيه عرفان بك وزوجه أنجى هانم عرفان ... وكانوا يجلسون أزواجاً وجماعات يتجاذبون أطراف الأحاديث حيناً بالعربية وأحياناً بالفرنسية ويتضاحكون بأصوات عالية رقيقة وخشنة . وإذا دعت الأنغام قاموا للرقص والعناق . وقد شاع في الجو عطر وأنس وحرارة كأنها أنفاس المودة نفثتها الأعين والشفاه والصدور والأماني الهامسة

وكانت الأحاديث متنوعة ، ولكنها تدور في الغالب حول موضوع واحد يتجاذبها كما يتجاذب النور الفراشة ، وهو المرأة ، ولا يُستثنى من ذلك الجماعة التي كان محدثها الأول الأستاذ علي الجميل الصحافي المعروف والنائب المحترم ، فما خرج الحديث فيها عن الزواج واختيار المرأة الصالحة ، وكان النقاش يحتدم بين المتجادلين من الجنسين بصورة عنيفة مضحكة . أما الوجيه نور الدين فكان يتوسط حلقة أخرى يروي فيها ما اتفق من قصص مغامراته الغرامية في العواصم العالمية ذوات الشهرة في الحب والجمال ؛ وفي ركن منعزل امتاز بوفرة من حوى من الشابات والشبان أقيمت مسابقة سرية لاختيار أقبح امرأة بين المدعوات واتجهت أبصار المحكمات والمحكمين إلى امرأة اتخذت مكانها تحت صورة الفنانة وابنتها « لفيجيه لوبرن » ، وكانت عجوزاً إلا أنها تتصابى وتستعير من ألوان الجمال ما تظن أنه يغني عما استرده الدهر من حياة شبابها ، فبدت تحت طلاء الأصباغ في هيئة مضحكة ، وكانت تتجنب الناس وتقنع بالجلوس منفردة حتى تعود إلى مجالستها ربة الدار أنجى هانم كلما تاقت نفسها إلى الراحة . أما اسمها فدولت هانم ، وقد راضت نفسها على العزوبة بعد تجربة أربع زيجات غير موفقة ، وكادت تيأس من الرجال والحب . وقنعت من متاع الدنيا بمضغ الأعراض والخوض فيما تعلم وما لا تعلم من أسرار الناس ، فصارت معجماً لتواريخ السوء . وكانت في تلك اللحظة التي اختيرت فيها سراً ملكة للقبح ... تجالس أنجى هانم ، وكانت تلوذ بالصمت قسراً بعد أن لم تبق على أحد من الحاضرات والحاضرين ، حتى أتيحت لها فرصة جديدة للكلام بحضور الوجيه الأستاذ محمد جلال المحامي وزوجه الحسناء صفية هانم جلال . وكانا يلفتان الأبصار حيثما سارا لثراء الزوج المالك لأربعة آلاف فدان في الصعيد ، وجمال الزوجة ورشاقتها ، وقد استقبلتهما أنجى هانم بمودة ظاهرة وباطنة ، ولما عادت إلى جوار دولت هانم مالت هذه على أذنها وقالت بصوتها الخافت المبحوح :

— يالهما من زوجين سعيدين جميلين !

فقالت السيدة بحماس :

— الأستاذ جلال شاب يندر أن يوجد نظيره بين الشباب الناجح الثري ... ألا تعلمين أنه مرشح لكرسي النيابة ؟ ... وأما صفية فهي آية للجمال والصفاء ...

فابتسمت المرأة ابتسامة باهتة وقالت :

— نعم ، نعم ... لا شيء يعيبه إلا أنه يقال إنه قد يتبارز من أجل راقصة ، أما إذا استثيرت غيرته الزوجية فقد ينفي ...

وضاقت أنجى هانم ذرعاً بحديث صاحبتها ، فلم تسألها إيضاحاً

وتشاغلت عنها بمشاهدة بعض الراقصين ، ثم استأذنت لاستقبال بعض صواحبها ...

وسلم الأستاذ محمد جلال وزوجه على عدد عديد من الأصدقاء والصديقات ، ثم اختارا أن يجلسا إلى زوجين جميلين مثلهما هما الوجيه طه بك العارف وزوجه الحسناء هدى هانم العارف ، وكان الأستاذ جلال يبدى إعجاباً خاصاً نحو السيدة هدى . فلما عزفت الموسيقى دعاها إلى الرقص معه وقبلت بسرور ورقصت زوجه مع طه بك ...

وطرب الجميع طويلاً وشربوا كثيراً ، فدارت رؤوس وترنحت ألسنة كتومة ، وفاضت الأحاديث ، وامتلأ الجو برنين الضحكات ووميض الابتسامات وإيماءات الغزل ، والتقت أعين وتماست أنامل وارتعشت شفاه ... حتى جاءت تلك الساعة المختارة من الليل فتوسطت المدعوين السيدة أبجى هانم وقالت بصوتها الرخيم :

— اسمحوا لى سيداتى وسادتى أن أقدم إليكم مفاجأة العيد السعيد

وتطلعت الوجوه إليها من كل صوب وتجمع حولها المبعثرون ما بين الشرفة والمقصف ينتظرون فرحين . وبغتة أطفئت الأنوار بغير نذير وساد المكان ظلام دامس دام خمس دقائق ما كان يسمع خلالها سوى همس خافت أو ضحكات مكتومة ، ثم أضيئت الأنوار مرة أخرى فرأى القوم منظراً بديعاً ... مهداً على قوائم أربع طويلة ، مسقفاً بستار من حرير على هيئة هرمية ، وفيه جلست كوكو متكئة على يديها الصغيرتين فى قميص أبيض كأنها وردة بيضاء يانعة ، وكانت ترمق الناظرين بعينين دهشتين صغيرتين ينعكس النور على زرقتهما الصافية ! فصفق الجميع تصفيقاً رقيقاً وهتفوا باسمها ، وقبل الآنسات يدها الصغيرة ، ثم قدمت الهدايا النفيسة حول مهدها الجميل ، وشمل القوم سرور عظيم فاستأنفوا لهوهم بإرادة أشد نزوعاً للصبا والمسرة . على أن فترة الظلام القصيرة لم تمر بسلام كما توهم الجميع . فقبيلها بدقائق كان الأستاذ محمد جلال يجالس هدى هانم فى المقصف وقد دل عبثهما المرح على أنهما ثملان ، فلما أطفئت الأنوار لم يتردد الشاب فدنا برأسه منها حتى كادت تمس شفتاه أذنها وهمس قائلاً : « هدى » وارتجفت المرأة كالمذعورة ولم ترد عليه ، فقال لها همساً وهى تحس بلمس شفتيه لأذنها : « هذه فرصة طيبة . قومى واتبعينى »

وكان بودها لو تتباله كما يقضى الدلال ولكنها خشيت أن يضاء النور بسرعة ، فقالت همساً :

— إلى أين ؟

— إلى حجرة التدخين فى الطابق العلوى !

— قد يفتقدوننا

— وماذا يهم ! ... سيظنون أننا فى الشرفة أو فى الحديقة أو فى المقصف أوهنا أوهناك ، وسنعود من طريقين متباعدين ...

وأمسك بكفها وقام واقفاً فقامت بدورها ، واتجه نحو السلم وهى تتبعه ، وارتقياه بسرعة ، فوجدا نفسيهما فى ردهة مضاءة بنور بنفسجى هادئ ، تطل عليها أبواب متباعدة ، فسارا إلى هدفهما ودخلا معاً ثم ردا الباب فى سكون ، وكان الجو مظلماً شديد الظلمة ، ولكنه كان يعرف المكان فانعطفا إلى اليمين وتقدما خطوات ، حتى عثرت يده بكنبة كبيرة وثيرة ، فجلس وجلست ، وتنهد من أعماق صدره ، وقبض على كفها فوجدها ترتعش كالمقرورة ، فسرت رعشتها إلى قلبه ووجد به غمزاً لم يبرأ منه حتى ضمها إلى صدره بعنف وانهال على وجهها يقبله بشغف وجنون ، كم لبثا منفردين ؟ إنه لا يدرى ولكن المحقق أن تلك الخلوة السعيدة لم تخل مما ينغصها ، فقد خيل إليهما أن أقداماً خفيفة كالحاذرة تدنو من باب الحجرة ، فتباعدا قلقين وأرهفا السمع واتجهت أعينهما فى الظلام ناحية الباب ، وخالا أكثر من هذا أن يداً تعالج الباب بلطف ... ترى أحق هو أم وهم ؟! ولكن الباب تحرك ونفذ إلى الحجرة شعاع هادئ كروح محتضرة ، فاشتد بهما الرعب وودا لو تبتلعهما الأرض ، وما لبث أن تسلل شبح فى حذر وتبعه آخر ، ثم رد الباب إلى ما كان عليه فساد الظلام مرة أخرى ، وكان الداخلان شديدى الحذر فلم يبديا حركة ، ولم يصدرا أصواتاً ، وكأنهما ذابا معاً فى الظلمة

الجائعة ... فسكن ذعر الآخرين وأحسا بشيء من الارتياح بل والطمأنينة ، وخطرت لهما فكرة مما هي أن الضيفين الجديدين مثلهما وأن لا خطر عليهما منهما ، وتأكد هذا الظن حين شعرا بهزة تصيب الكنبة فعلما أن صاحبيهما اختارا كنبتهما مقعداً لهما أيضاً ، وتريثا في قلق صار بعد حين ضيقاً وكدراً لأنهما لم يستطيعا أن يأتيا حركة خشية أن يتنبه الآخران فيفزعا ، وربما حدث ما لا تحمد عقباه !

أما الجديدان فكانا يظنان نفسيهما في أمان وخلوة فلم يحاذرا إلا بمقدار، واستطاع العاشقان أن يسمعا همساً وهمهمة وأن يسمعا الرجل يهانغ صاحبته وهي تهانئه ولم يكتفيا بذلك ، بل قال الرجل بصوت استطاع الآخران أن يميزاه : « حبيبتي ... صفية ... »

وارتجف محمد بك جلال كأنما قطعة من الثلج ألقيت على ظهره ؛ وأحس بارتجاف يد صاحبته في يده ... كان الصوت صوت طه بك العارف ... ومن هدى ؟ أليست زوجه هو ؟! ... أي كارثة تجمعت في هذه الحجرة المظلمة ! ودق قلبه بعنف وغلى دمه غلياناً كاد يفجر الشرايين في دماغه ، ولكنه لبث ساكناً صامتاً وزوجه على قيد ذراع منه في أحضان خليلها ! ولم يكن يأسف على عجزه عن تحطيم رأس الرجل — فمثل هذا العمل يثير فضيحة حرية بالقضاء على مستقبله السياسي ومعركة الانتخابات على الأبواب — ولكنه كان مغيظاً محنقاً لأن غريمه لا يدرك في تلك اللحظة أن زوجه بين يديه هو أيضاً ...

وانتظر دقائق كالأجيال ، وشعر أخيراً بحركة استدل بها على قيام الرجل وسمعه يقبل زوجه بحرية ويقول لها : « لو تعدل الدنيا ... فزوجك الغبي ليس أهلاً لك وزوجتي ليست أهلاً لي. ولكن ما العمل ؟! » ... ثم تسللا خارجين كما أتيا ...

وكان الغضب قد أفسد على جلال بك مزاجه فقام هائجاً ، وبحث عن سترته حتى عثر عليها وأخذ بيد صاحبته وخرجا في حذر ثم افترقا في الردهة ...

ولبث ضيق الصدر شديد الكدر ساعة طويلة يلعن طه بك ويلعن زوجه المستهترة ، ولم تكن هذه أولى خياناتها ، ولكنها وقعت على كثب منه بحال بشعة لا يمكن أن تمحى من الذاكرة. فسحقاً لها ! ... وقام يتمشى في الحديقة فاراً بوجهه الممتقع من الأعين جميعاً ، ولفحه هواء الليل البارد فرطب جبينه الساخن ، وأنعش فؤاده المضطرم . وصح عزمه في تلك اللحظة على أن يسلم قياده لمغامرات الغرام الجنونية غير مبق على شيء ولو أدى الجنون إلى الظهور مع هدى في المجتمعات العامة وميادين السباق . وتعلقته هذه الخواطر فأحس بارتياح ومضى يفيق من همومه ويتنبه إلى نفسه . فاستطاع عند ذلك أن يشعر بتغير غريب ، فعجب لشأنه وتنامى انشغاله ، وبحث عن أسباب هذا التغير فوجد يديه تجسان السترة وكأنها أوسع مما كانت . . . ماذا حدث لها ؟ يا للعجب . . . إنها أوسع مما يتصور . وخطر له خاطر غريب اضطرب له فؤاده ، ولكي يتحقق من وساوسه وضع يده في جيب السترة وأخرج حافظة ، لم تكن حافظته ، ووجد بها بطاقة مكتوباً عليها « طه بك العارف »

ووضح الأمر ، وعاوده القلق والحنق ، ولم يكن ثمة خوف من الفضيحة ، فسترات بدل السهرة متشابهة ، ولكنه كان يشعر بحيرة شديدة ويسائل نفسه : « كيف يمكن أن تتبادل السترتان ؟! »

نجيب محفوظ

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



8me Année No. 388

Lundi - 9 - 12 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٨٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الأخلاق وهذه الحرب

جلست ساعة إلى المذياع أقلب مفاتحه على أفواه المذيعين المختلفين فى أقطار أوربا المجنونة، فخيل إلىَّ أنى انتقلت إلى عالم آخر من خلق الشيطان تقطعت بينه وبين خلق الله وشائج الآدمية؛ فلا الأيدى تستند فى أفعالها إلى العـدل، ولا الألسن تعتمد فى أقوالها على الحق، ولا النيات تتجه فى غاياتها إلى الخير؛ وإنما هو زِياط وعِياط[1] من الأضاليل السود والأراجيف الحمق والأفاعيل النُّكْر يحملها الأثير إلى النفوس الآمنة الرِخوة فترتاع، وإلى القلوب المؤمنة الساذجة فتشك، وإلى العقول الراجحة الوزينة فتدهش

رباه ماذا جرى لأوربا العالمة العاملة المتمدنة حتى انقلب كل كلامها كذباً لا يستحى، وكل سياستها خداعاً لا يستتر، وكل قتالها تدميراً غاشماً أهوج لا يفرق بين المحارب والمسالم، ولا بين الشاكى والأعزل، ولا بين الرجل والطفل، ولا بين الحصن والكنيسة؟!

كانت الحرب فى العصور الخوالى نظاماً من البطولة الإنسانية له سننه وآدابه وعرفه: لا يقاتل القوى من ضعف أو قل، ولا ينازل الكمىُّ من هان أو ذل، ولا يطعن الفارس خصمه

(١) الزياط: اختلاف الأصوات. والعياط: الجلبة والصياح.

الفهـــــرس

طمنة الغدر، ولا يعطى التمهد من ذمته عهداً إلا جعل من ورائه دمه وماله. ثم دخلت الحروب فى سلطان الدين فنظمها بقيوده وحدوده تنظيمه للشر الذى لا بد منه، حتى غدت سلاحاً من أسلحة الحق يظهر بها على الباطل. ثم انشعب من نظامها المهذب أنظمة أخرى كالفروسية والفتوة والمرابطة والكشف وما يدخل فى بابها مما يقوم على المروءة والشهامة والشجاعة والإيثار والوفاء والعفة. وجرت المدنية الحديثة فى تنظيم الحرب على سَنن الدين والخلق، فكفكفت طغيانها بالقوانين، وفلت عدوانها بالعهود، ووقفتها لدى الحدود التى رسمتها الطبيعة للدفاع المشروع والجهاد المقدس

وفى الوقت الذى طمحت فيه الإنسانية الأوربية إلى قطع أسباب الحرب بالمجالس التحكيمية والمحاكم الدولية والعصبة الأممية، انبعث من ركنين متجاورين من أركان التمدن الحديث مسيخان دجالان فاستوحيا الشيطان دينين جديدين يجعلان الآخرة للدنيا، والأمة للفرد، والعقل للهوى، والعلم للشر، والحضارة للدمار، والحياة للموت. ثم خرجت هاتان النِّحلتان من الكهوف والمواخير وانتشرتا فى أجواء برلين وروما انتشار الظلام المضِل والغاز الخانق؛ فعميت عيون كانت ترى، وغبيت قلوب كانت تفقه، ورمت النازية والفاشية جوانب الأرض وخوافق السماء بالموت الوحىّ فى شتى أشكاله وأهواله، حتى أصبح أكثر أوربا الجميلة خليطاً من الأنقاض والأشلاء، ومزيجاً من الدموع والدماء. وأشد ما أصاب العالم من هـذه الحرب المشئوم ضياع ما ورثته المدنية من حُر الخلال وكريم الأخلاق، فإنها القبس الإلهى فى الإنسان تصدر عنه الألفة والثقة والاطمئنان فيكون لكل كلام معناه ولكل عَقد أثره. ومن المستطاع تجديد ما دُكّ من البيوت وأغرق من السفن، وتعويض ما أزهق من الأنفس وأنفق من الأموال؛ ولكن تجديد ما انهار من البناء الأخلاق وهو عمل الأديان المختلفة والحضارات المتعاقبة على كر الدهور أمر لا تتعلق به طاقة المخلوق

افتح المذياع على أبواق الدعايات الأوربية واصبِرْ نفسَك على مكاره الفجور قليلاً تسمع الأعاجيب من فحش الكذب وسوء البغى: هذا يتبجح بما أحرق وأغرق، وذاك يتمدح بما راع وأجاع، وذلك يفيش بما أسر وقتل؛ وكل أمة إنما تبدأ الكلام وتختمه بلعن أختها ورميها بما تبرأ هى منه من التزيد والافتراء والخور والدس واستغلال الضعف فى الشعوب الصغيرة. وكل شىء تسمعه من المذياع إلا الصدق والحق والرحمة. ومن كلال الحس وبلادة الضمير أن يصك المذيع مسمعيك بأخبار الدمار والبوار فى كل أمة وفى كل مدينة وفى كل أسرة وفى كل نفس، ثم يرسل إليك فى خلال ذلك أفاكيه الغناء وأفانين الموسيقى، كأنما فناء الشباب وثكل الوالدين وحرمان اليتامى وشقاء الأيامى وخراب الأرض أصبحت من توافه الأمور التى لا تنبه الوجدان ولا تمس القلب!

من كان يصدق قبل انهيار الأخلاق فى الأمم الدكتاتورية أن روسيا تحارب بولونيا وفنلندة، وألمانيا تهاجم بلجيكا وهولندة، وإيطاليا تغزو ألبانيا واليونان؛ وكل أمة من هذه الأمم الباغية الثلاث تستطيع أن تحشد من الجنود ما يزيد على عدد السكان فى كل فريستين من فرائسها الست!

* * *

إن الدكتاتورية تدير هذه الحرب على غير قانون ولا خلق. ومن الصعب على العقل السليم أن يفرض القانون والخلق فيما يعقب هذه الحرب من سلم ويقوم عليها من نظام. وإذا كانت الأخطاء لا يتألف من مجموعها صواب، والآثام لا تنشأ من جملتها براءة، والأباطيل لا ينتج من تعددها حق، فإن نَزْوَ النازية وفياش[1] الفاشية لا يمكن أن يؤديا إلى عدل شامل وسلام دائم. ولا يزال فى الديمقراطية المجاهدة رجاء الحق المضاع والخلق الصريع، لأن السلطان القائم على دستور الحق، يساعدك على الانتصاف لنفسك منه بمنطق الحق. والنصر مكفول للديمقراطية لا ريب فيه؛ فإن الديمقراطية هى الصحة التى انتهى إليها جسم الإنسانية العليل؛ أما الطغيان والبربرية فهما نكسة المرض؛ والنكسة خلل عارض لا يلبث بحسن علاج الطبيب وصدق إيمان المريض أن يزول!

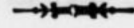
احمد حسن الزيات

(١) النزو: الوثوب. والفياش: كثرة الوعيد فى القتال من غير فعل.

أخلاق القرآن

الصبر

للدكتور عبد الوهاب عزام



الصبر خلق يعصم النفس من اليأس إذا طال بها الطريق إلى غاياتها، ويعنها من الارتداد إذا سدّت العقبات سبيلها، ويكبر بها عن الجزع إذا نزلت بها من أحداث الزمان نازلة.

فى الحياة أعمال شاقة لا يستطيع الاضطلاع بها إلا الصابرون، وفيها غايات بعيدة لا يبلغها إلا من صبر على مشقة الطريق وبعد المدى

والأخلاق الفاضلة تنأى بصاحبها عن شهواته، وتعلو به عن سفاسفه، وتكبر به على الهوان، وتسوم النفس ضروباً من الصدود عن الهوى، والعفاف عن الشهوة، ولا يتخلق بهذه الأخلاق إلا أهل الصبر. وفى الحياة عقائد حق ومذاهب خيّرة ينفر منها الناس أولَ عهدهم بها، وينال الدعاةَ إليها السخرية والأذى والألم فى النفس والنقص فى المال. فلولا الصابرون ما دعا إلى هذه العقائد داع، ولا ذهب هذه المذاهب أحد

الصبر توطين النفس على المشاق والمكاره، والإباء على الخطوب، والاستكبارُ عن الخنوع للمصائب، والثباتُ فى الموقف الضنك، والمقام الهائل، أو المسير إلى الغاية المخوفة حتى يستوفى العملُ أطواره، ويبلغ نهايته، ويُنجح الطلب، ويحمد الدأب

والصابرون رواسى الأمم كلما زلزلتها الخطوب، وسكينتها إذا طارت من الذعر القلوب. إذا طاشت الأحلام فى مآزق الحرب صبروا حتى يتبلج النصر، وإذا خارت العزائم فى معارك الحياة دأبوا حتى يشرق الحق. والصابرون قادة الأمم إلى الحق والخير والظفر يسلكون إليها الأهوال حين ينكص غيرهم فزعاً، ويستقيمون على الطريق حين يحيد غيرهم يأساً، ويواصلون المسير حين يقف مَن سواهم عجزاً، ويحتملون المكاره حين تنوء بكل عاجز، ويبسمون للمصائب حين تزلزل كل رعديد. هم الذين يصلون مبادئُ الأعمال بغاياتها، ومقدماتها بنتائجها وإن شق العمل وطال الطريق. هم الذين ينصرون كل دعوة إلى الحق، وكل مذهب فى الخير وإن عظم ما يلقاه من المحن، وما يعترضهم من المكاره

ومن الكلام المأثور: الصبر على الطلب عنوان الظفر. والصبر فى المحن عنوان الفرج

والصبر هو مجلى النفس الإنسانية فى أكمل صفاتها وأشرف درجاتها، مجلى النفس الإنسانية فى عظمتها تعتز بقواها، وتستكبر على الأحداث، ولا تبالى الغضب والعنت، ولا تخشى الهلاك حتى تبلغ دعوتها واضحة وتؤدى واجبها كاملاً

ولست أعرف فضيلة أكد القرآن الدعوة إليها توكيده الدعوة إلى الصبر، إذ كان عماد كل نجاح، وقوام كل جهاد، ونظام كل عمل صالح، وقرين كل خلق فاضل

الصبر فى القرآن قرين الحق لأن الحق لا ينصر إلا بالصبر. قال: « والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

والصبر قرين العمل الصالح إلا صبر النفس عما زيّن لها من الشهوات، وإقامتها على منهاج الفضيلة الذى يحرمها كثيراً مما تودّ. يقول القرآن: « إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير »

وقد جعل القرآن الكريم الصبر وسيلة إلى الإمامة والهداية فمن لم يصبر لم يقوم نفسه، ولم يستطع الدعوة إلى الحق والمسير إليه والجهاد فى سبيله، قال: « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون »

وقد أعلى درجة الصابرين وأبان فضل الصبر أعظم إبانة إذ قال: « واصبروا إن الله مع الصابرين » وحسبك بمن كان الله تعالى معه يسدد قوله وعمله وينصره، قد ذللت له كل الصعاب وضمن له كل ظفر. إن الله مع الصابرين لأنهم بصبرهم يستجيبون لدعوة الله ويسيرون فى سبيله على قوانينه حتى يبلغوا ما وعدهم به، ومن سار فى سبيل الله إلى دعوة الله فأحرِ به أن يوقن بالنجاح وأحر به أن ينال النجاح غير منقوص

وجعل القرآن الصبر وسيلة إلى إدراك آيات الله فى خلقه. وهل كشف الباحثون عن الحقائق إلا بالصبر على الطلب والدأب فى البحث؟ قال القرآن فى أكثر من آية: « إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »

وبين القرآن أن الصبر عُدّة المؤمنين في جهادهم في هذه الحياة إذ قال : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » أمرهم أن يفزعوا إلى الله فيما ينوبهم من النوائب ، فيتوجهوا إليه بالصلاة ويصبروا به على المكروه . ونِعمَ هذان عوناً على كل خير

كما جعل الصبر في آخر درجات الفضائل حين عددها في آية البر فقال: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

وبين القرآن أن الله سبحانه يحب الصابرين الذين يثبتون على الشدائد ، ولا يهنون لما يحزُبهم من النوائب : « وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » وحسبك بمحبة الله نجحاً وفلاحاً وسعادة

والصبر قوة أعظم من قوة العدد ، تغلب به الفئة القليلة الفئة الكثيرة . قال في قصة طالوت وجالوت : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة اليوم بجالوت وجنوده . قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله » . وكذلك أمر القرآن المسلمين أن يلاقوا عدوهم الأكثر عدداً وهم صابرون، وبشرهم بأن الجماعة منهم تغلب عشر أمثالها بالصبر ، وجعل الصبر أكثر من تسعة أمثال العدو غناء في الحرب . قال في سورة الأنفال :

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال . إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . »

ولما أراد أن يخفف عن المسلمين هذا التكليف أمرهم بأن تلقى الجماعة منهم مثليها فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين . » فأقل مراتب الصابرين أن يغلبوا ضعفهم . والحق أن العدد لا يثبت للصبر ، وأن كثرة العدد فاشلة إذا خذلها الصبر ، وأن قلته ظافرة إذا أيدها الصبر . وربما تغلب الفئة الصابرة مثليها ، وربما تغلب عشر أمثال أو مائة مثل . وحوادث التاريخ على ذلك شاهدة

وأما في غير الحرب فالواحد الصابر يدعو إلى طريقته ، ويصبر على دعوته ، ويحتمل في سبيلها ما يلقى من عنت وأذى وسخرية حتى يغلب بصبره الأمة الكبيرة ويقودها إلى الخطة التي يدعو إليها

وأما جزاء الصابرين فالظفر في الدنيا والطمأنينة التي تلقى الشدائد ثابتة راضية ، ورضا الله تعالى وحسن الثواب في الآخرة. يقول القرآن الكريم: « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » . وقال : « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » . وقال : « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقال في جزاء الآخرة :

« والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم . فنعم عقبى الدار »

وللصوفية من المسلمين تعاليم في الصبر وتربية عليه جديرات بأهل القرآن الذين استمعوا له واهتدوا بهديه ، وقد كانت أقوالهم وأفعالهم أمثلة في الصبر

يقول الجنيد : الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس . وقال ذو النون المصري : الصبر التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة . وقال ابن عطاء الله السكندري : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب . وقال أبو عثمان : الصبار الذي عود نفسه الهجوم على المكاره . وقال عمرو بن عثمان : الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقى بلائه بالرحب والدعة . وقال أبو محمد الجريري : الصبر ألا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما ، والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة . وقالوا :

بجرع الصبر فإن قتلك قتلك شهيداً، وإن أحياك أحياك عزيزاً.

وقد كانت سيرة الرسول صلوات الله عليه وسير أصحابه والمسلمين من بعدهم امتثالاً لأمر القرآن ، وتصديقاً لبشارته ، وإكباراً لتربيته ، فغلبوا العدد الكثير والخطوب المتزاحمة بإيمانهم وصبرهم ، ولم يعسر عليهم مطلب ، ولا أملهم دأب ، ولا فاتت عزائمهم غاية ، ونالوا جزاء الصابرين في الدنيا طمأنينة وظفراً وغلبة ؛ والله ولى جزائهم في الآخرة

وما كان صبرهم استكانة للمصائب ولكن استخفافاً بها ، ولا ذلاً للخطوب ولكن كبراً عليها ، ولا خنوعاً للقوة ولكن ثباتاً لها ، وتصميماً على صدمها ، والظفر عليها . يقول القرآن الكريم : « يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » . صدق الله العظيم

عبد الوهاب عزام

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

المنتخبات للطفى السيد

للدكتور زكى مبارك

— ٥ —

المنتخبات — شخصية لطفى السيد — أسرار المنتخبات — أسلوب لطفى السيد — القول الفصل — وطنية لطفى السيد

حديث اليوم عن الجزء الأول من « المنتخبات » وهو مختار ما نشر فى « الجريدة » من ٢٥ إبريل سنة ١٩٠٨ إلى ٥ سبتمبر سنة ١٩١٢ ، بقلم الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة المصرية

وجامع هذه « المنتخبات » هو الأستاذ إسماعيل مظهر المحرر بالمجمع اللغوى ، وهو باحث معروف بالتعمق والاستقصاء ، وقد بذل جهوداً محمودة فى الصحافة والترجمة والتأليف ، فمن المعقوق أن تمر هذه المناسبة بدون أن نخصه بكلمة ثناء ، وإنه لخليق بكل إعزاز وإجلال ، أسبغ الله عليه ثوب العافية ، وكتب له دوام التوفيق فيما يعالج من الدراسات الأدبية والعلمية !

ثم أقول إن الأستاذ إسماعيل مظهر أشار بكلمات فسار إلى أنه آثر أن يخرج هذه « المنتخبات » بدون مقدمة « ذلك بأن المؤلف يجل عن أن يقدم له كاتب من أبناء هذا الأهل » ولم أفهم المراد من « هذا الأهل » ولعله يريد « هذا الجيل » ، وللعبارة وجه ، ولكنه لا يخرجه عن الإغراب فى غير موجب للإغراب

ويظهر أن هذا الصديق يفهم أن مقدمات المطبوعات لا يراد بها إلا التنويه بأقدار المؤلفين ؛ ومن هنا صح عنده أن لطفى السيد غنىٌّ عن التعريف ، فهو أجلّ من أن يقدم له كاتب من أبناء هذا الجيل

ولو تأمل لعرف أن المقدمات يراد بها أيضاً شرح أغراض المؤلفين ، والنص على مذاهبهم فى فهم الحياة وسياسية المجتمع ، وبذلك يكون من الواجب أن يقدَّم لمنتخبات لطفى السيد ، لأنها تحتاج إلى من يدل على ما فيها من مذاهب وآراء

يضاف إلى ذلك أن هذا الصديق نصّ على أنه « عُنِىَ » بأن يخرج الكتاب مبرءاً من الأوهام » فما تلك « الأوهام » التى يشير إليها بهذا التعبير المريب ؟ أيكون تدخَّل فى عبارات المؤلف بالحذف والإيصال ؟ أيكون طوى بعض الأغراض لأسباب متصلة بتطور أفكار المؤلف ، وتبدل ما كان يحرص عليه من أقوال ؟

إن كان شىء من ذلك فقد كان من الواجب أن يشير إلى ضروب تلك « الأوهام » لأن لطفى السيد له فى الحياة الفكرية تاريخ ، ومن كان فى مثل مركزه الأدبى فهو جديرٌ أن تؤرَّخ تطورات فكره بلا تحسين ولا تجميل

شخصية لطفى السيد

لا أنكر أنى لقيت عنتاً فى قراءة هذه المنتخبات ، لأن المؤلف لا يصل إلى شرح أغراضه إلا بعسر وعُنف ، وإن قيل ما قيل فى قدرته على البيان

ولكن القيمة الصحيحة لأستاذنا لطفى السيد باشا ترجع إلى أنه كان فى جميع أدوار حياته « شخصية » ، ولو أردت الدقة فى وصفه لقلت إنه كان Phénomène فهذه الكلمة الفرنسية تمثله أصدق تمثيل ... ألم يقولوا إنه أول كاتب عربى تحدث عن الديموقراطية والديماجوجية ؟

كان هذا الرجل ولا يزال قوىّ الحواسّ إلى أبعد الحدود ،

وله فى كل مسألة مَلحظٌ خاصٌ ، وهو يجمع بين البداوة والحضارة فيما يتناول من شؤون الفكر والمعاش . وقد استطاع بقوة الذاتية أن يكون رجلاً مرموق المكانة فى آماد طوال ، وربما صح القول بأنه أظهر البقية الباقية من الجيل الذى ظهر فيه ، ولا يمكن ذلك لرجل غير مزوَّد بالزاد الأصيل من عافية البدن والروح

وكتابات هذا الرجل لا تصور ما يملك من المواهب ، لأن قلمه أضعف من روحه ، ولأنه فى سريرة نفسه يتهيب المجتمع ، وإن اشتهر بالثورة على المجتمع ؛ وإنما تظهر قيمة لطفى السيد حين يتحدث إلى أصفيائه بلا تكلف ولا افتعال ، فعندئذ يظهر جيداً أنه خليق بما تسامى إليه من التفرد بين رجال العصر بشرح آراء أرسطاطاليس

لطفى السيد كاتباً رجلٌ هيوب ، ولكن لطفى السيد محدثاً رجلٌ شجاع ، ومن هنا كان تأثيره بالكتابة أضعف من تأثيره بالحديث ...

والحذَر المأثور عن لطفى السيد هو الذى قضى بأن تمرّ ثورته الفكرية بلا صخب ولا ضجيج ، كما مرّت ثورة محمد عبده وثورة قاسم أمين

فكيف أصيب لطفى السيد بمرض الحذَر ، وهو مرض يشلّ عزائم الرجال ؟

يرجع السبب فيما أفترض إلى أن الرجل بدأ جهاده الأدبى والسياسى فى عصر كانت تغلب عليه فورة الأقاويل والأراجيف ، فكان مَثَله فيما يكتب مَثَل من يمشى على الشوك . ثم انتقل من التطبع إلى الطبع ، فكان آية من آيات الحذر والاحتراس

وأضرب المَثَل فأقول : أشرف لطفى السيد على الجامعة المصرية فى عهدها القديم وعهدها الجديد عشرين عاماً أو تزيد ؛ فهل ظهر له فى توجيه سياستها العلمية شأنٌ خاص ، مع أنه فى حقيقة الأمر قد أثّر تأثيراً شديداً فى أكثر ما امتازت به من الشؤون ؟

تاريخ لطفى السيد فى الجامعة المصرية ليس بشىء ، وهو مع ذلك كل شىء ، وتلك هى النقطة ، كما يعبِّر لافونتين !

وقد عرفت بالتجربة أن لطفى السيد من الحكماء ، فقد أراد هذا الرجل فى ظروف كثيرة أن يغيِّر من أسلوبى فى نقد الحياة والمجتمع ، ولكنه لم يفلح ، لأننى أردت غير ما يريد . أنا أردت ما كان يسميه فى شبابه بالحقيقة العارية ، وهو أراد ما هدته إليه التجاريب من مصانعة الناس والزمان

والمهم هو أن أسجل أنك لا ترى لطفى السيد إلا حكيماً فى كل شىء . هو صورة صحيحة من صور العقل الصحيح ، لأنه أقام حياته على « الاعتدال » فلا يسرف فى الحب ولا فى البغض ، ولا يجهل الوسط بين النشاط والخمود ، ولا يغيب عنه أن اليوم له أغداء[1] ، وأن ما توجبه الساعة الحاضرة قد يمتد وقته إلى عام أو عامين ، فمن السخف أن يقتل الرجل نفسه ليقال إنه أنشطُ الرجال

أسرار « المنتخبات »

نحن أمام كتاب ممتع يقع فى اثنين وثلاثين وثلثمائة صفحة بالقِطع المتوسط . وكلمة « ممتع » لها عندى مدلول خاص ، فليس المراد أن هذا الكتاب يجذب القارئ إلى مسايرة المؤلف من الألف إلى الياء ، هيهات هيهات ! فما استطعت استيعاب موادّ هذا الكتاب إلا بمشقة وعناء

وإنما المراد هو وصف هذا الكتاب بجودة المحصول ، فهو شاهد على ما يملك المؤلف من قوة الفكر والعقل ، وهو شاهد على أن المنطق من أقوى خصائص الرجل الذى شغل نفسه بترجمة أرسطاطاليس ، وهو دليلٌ على حصافة الرجل الذى لم ينس العناية بهندامه فى لحظة من اللحظات ، ولو كان فى قرار الخلوة بعقله الدقيق

لطفى السيد فى كتابه هذا مفكر حصيف ، وإن تبذّل فى عرض بعض التوافه من الشؤون : كالحديث عن زينة النساء ، والحديث عن عيوب « الانتخابات » ، والحديث عن أوهام الفلاحين !

ولكن ما نسميه اليوم « توافه » لم يصر كذلك إلا لكثرة ما خاضت فيه أقلام الكتاب ، وقد كان قبل ثلاثين سنة من الأمور ذوات البال

---

(١) الأغداء جمع غد

وبهذا نعرف أن ما نراه اليوم من المبتذل كان قبلاً من الطريف

قد يقال : وما الذى أوجب أن تثبّت بعض الموضوعات البائدة فى « المنتخبات » ؟

ونجيب بأن تلك الموضوعات لا يراد بهـا تعليم أبناء اليوم ما لم يعرفوه ، وإنما يراد بها تسجيل بعض مشكلات المجتمع فى العهد الذى أثيرت فيه ، فهى من أسانيد التاريخ ، وللتاريخ ألوان

ومن هذا الباب ما جاء فى كلام المؤلف عن صلة مصر بالدولة العثمانية ، وما قصّ من أخبار السوريين المقيمين بمصر ، وما تحدث عن رحلاته فى بعض بلاد الغرب والشرق ؛ فكل أولئك لا يهمّ شبان اليوم إلا من جانب واحد هو التاريخ

لطفى السيد فى كثير من آرائه رجل وسط ، ولكنه قد يحلّـق من حين إلى حين تحليق الجوارح ، كالذى صنع وهو يتحدث عن أحمد عرابى باشا ، فقد سجل أن عرابى ليس وحده المسئول عن الثورة التى انتهت بالاحتلال . وحجة لطفى السيد فى هذا الحـكم الطريف أنه لم يثبت أن العرابيين قتلوا رجلاً واحداً لأنه تنبأ بسوء الخاتمة وحذّر من عواقب الثورة . ومعنى ذلك أن الثورة كانت فورة شعبية ، فليس من العدل أن يطوّق بآثامها عرابى حين انتهت بتلك النتيجة السوداء

وفى « المنتخبات » فصل يبدو لأول نظرة من المبتذلات ، لأنه فى موضوع مطروق ، وهو الـكلام عن الثقة بين الناس . ولـكن هذا الفصل هو غرة هذه المنتخبات ، وليته يضاف إلى مطالعات التلاميذ

ومن هـذه المنتخبات نعرف أن لطفى السيد زار « المدينة المنورة » وكتب عنها فصولاً تعد من الروائع ، وكلامه فى توديع ولديه يشهد بأن هذا الرجل من أرباب القلوب

حدّث ولديه بأنه سيغيب « ثلاثين » يوماً فبكيا ، ثم ترفق فأخبرهما أنه سيغيب شهراً واحداً فاستراحا . وتلك دعابة لا تحتاج إلى من يدل على ما فيها من لطف وظرف

ولم يفت لطفى السيد عند زيارة المدينة أن يصور شعوره الدينى تصويراً هو الغاية فى الروعة والجلال

وقد استطرد فتحدث عن المرأة العربية وعن لغـة العرب « فى بلاد العرب » حديثاً يشهد بأنه مفطور على التطلع والاستقراء

وفى المنتخبات فصل عنوانه « أحبوا الجمال تحبوا الحياة » وقد بلغ الغاية فى دقة النظر حين قرر أن تقدمنا فى الأذواق لا يتناسب مع تقدمنا فى العلوم ، وهو يشهد بأن وقار بعض الناس ليس إلا صورة من صور الجمود !

وكلامه عن الصداقة كلام نفيس ، ولعله استوحى هذا المعنى مما كان بين قاسم أمين وسعد زغلول

أما كلامه عن الحب المصوف فهو كلام رجل يخاطب عوامّ الناس فى صحيفة سيارة ، وإن كان صدق حين قرر أن ذلك الحب يفسد الشعوب إذا تخلّق به جميع الرجال

وحديثه عن قاسم أمين يدل على إعزازه لحرية العقل والرأى ، وفيه عبارة تشهد بأن الخطوب هى التى تورث مواهب العبقريين

وأسفُه على حرمان أهل القاهرة من دخول حديقة الأزبكية بالمجان له مدلول

وأحاديثه الصوارخ عن الآباء والأمهات والأبناء والبنات تشهد بأن الفكرة الإصلاحية سيطرت على عقله منذ أعوام طوال

أسلوب لطفى السيد

جاء فى المنشور الذى أذاعته مراقبة الامتحانات بوزارة المعارف على نظار المدارس الثانوية أن الطلبة الذين تقدموا المسابقة الجامعة المصرية سيسألون عن أوصاف الأساليب من قوة وضعف، فما أسلوب لطفى السيد فى الجزء الأول من المنتخبات ؟

هو أسلوب لطفى السيد قبل ثلاثين سنة ، وكان فى مطلع حياته الأدبية ، ولم يكن تمرّس على « بناء الجمل » بناء يعزّ على عوادى التصدع والانحلال

أسلوب لطفى السيد بطىء الحركة إلى حد الجمود ، وهو خال من البشاشة البيانية ، وليس فى كتابه صفحة واحدة تشهد بأن بيانه من وحى الطبع أو فيض الوجدان

لطفى السيد كاتب متمهل متكلف ، وهو يجرجر كلامه بتثاقل وإبطاء ، ولولا البوارق الفكرية التى تلمع فى كلامه من وقت إلى وقت لعد من المتخلفين

ومن المؤكد أن أسلوب لطفى السيد قد مرَن بعد ذلك كثيراً أو قليلاً ، وشاعت فيه الحركة والحياة ، ولـكن من المؤكد أيضاً

أن لطفى السيد قد طبع أسلوبه بطابع نفسه من التهيب والاحتراس ، والتخوّف لا يكاد يبين

أقول هذا وأنا مُشفِق ، فليس من الذوق أن أستبيح الحكم على أسلوب لطفى السيد بكل ما أطمح إليه من الحرية والصدق ، ولكن لطفى السيد أكبر من أن ينتظر كلمات المداهنة والرياء ، ومقامه فى التاريخ الأدبى الحديث فى غنًى عن التلطف المأثور عن بعض تلاميذه الأوفياء

وضعفُ الحركة والحياة فى أسلوب لطفى السيد لا يمنع من الاعتراف بأنه من المشاهير بين أصحاب الأساليب ، فقد يكون مقامه بين كتاب القرن الرابع عشر مقام ابن خلدون بين كتاب القرن التاسع ، ومعنى ذلك أنه تحرر من الزخرف كما تحرر ابن خلدون ، فكان أسلوبه ملحوظ الخصائص بين أساليب معاصريه من أمثال حفنى ناصف وعبد العزيز جاويش

ولطفى السيد له ألفاظ فى المنتخبات تحتاج إلى تعريف :

من ذلك كلمة « الدولة » وهى كلمة لا تُذكر بدون تخصيص إلا حين يريد الدولة العثمانية ، فعلى الطلبة أن يراعوا ذلك

و « التعليم الأدنى » فى كلام لطفى السيد هو التعليم الأولى والجامعة المصرية فى كلامه لا يراد بها الجامعة التى نُقِلتْ ربوعها الأواهل إلى الجيزة الروحاء ، وإنما هى « الرابطة المصرية » أو « الآصرة المصرية »

والمجتمع فى كلامه هو الجمعية ، وعنه نقَل حافظ عفيفى باشا

وهو يكثر من ألفاظ المناطقة من أمثال « المقول » و « المحكومية » و « الماصدقات »

وقد يتسامح فى بعض الألفاظ الأوربية ، فيساير فى نطقها عوامّ الناطقين ؛ كأن يقول « اللورد كرومر » والصواب « لورد كرومر » لأن « كرومر » مضاف إلى « لورد » وليس عطف بيان . وتلك غلطة وقع فيها الأستاذ أحمد أمين وهو يقدم ديوان حافظ ابراهيم

والنعت السببى حيران عند إضافته إلى الموصوف ، فقد يُعرّى من اللام كما وقع فى أمثال عبارة « الرجل الفلاح طويل القامة ، كبير الرأس ، كثيف اللحية » وقد يحلّى باللام فى مثل عبارة « الحديث القليل القيمة »

وقد يغيب وجه الإعراب عن أستاذنا لطفى السيد فى بعض الأحايين ، كأن ينصب « الصفات » بالفتحة كما ينصب « الذات » وهى غلطة غير مطبعية ، وقد يُشكل عليه الرسم الإملائى أحياناً فيرسم ألفاً بعد الواو من « يدعو الرجال » وهو ينسى أن الألف الفارقة لا ترسم إلا بعد واو الجماعة ، وتلك دقيقة إملائية تخفى على بعض الناس ؛ ولعلها لم تخف إلا على مصحح الكتاب

ويقول « ألْفَتَ » والصواب « لَفَتَ »

ويتعرض للغة أحياناً فيخطئ ، كأن يمر بكلمة « التقعر » فيرى استعمالها فى القدم غير صحيح ، وحجته أن الكميت يقول :

البالغون قُعُور الأمر روية والباسطون أكفّاً غير أصفار

والمتأمل يدرك أن التقعّر « تفعُّل » وهو من صور التكلف كالتشدّق والتصنّع

القول الفصل

والقول الفصل أن أسلوب لطفى السيد فى المنتخبات هو أسلوبه قبل ثلاثين سنة ، يوم كان قليل الاحتفال بالأداء ، ويوم كان قليل المحصول من ثروة اللغة العربية ، كما صرح هو نفسه بذلك فى الصفحة ١٦٢

ويجب وفاء للحق والتاريخ أن نسجل أن لطفى السيد اهتم بعد ذلك بالتزود من اللغة العربية ، حتى جاز له أن يشارك فى بعض المحاورات النحوية والبلاغية ، وحتى صار بالفعل من أعرف الناس بخصائص الأساليب

ذكره الله بكل صالحة ، فله علينا فضلٌ لن ننساه ، ولو طال الزمان

أما بعد فهذا لطفى السيد باشا فى أبرز نواحيه ، كاتباً ومفكراً ومديراً للجامعة المصرية ، ولكن بقيت كلمة يفرضها الواجب رعاية لحق التاريخ

كنا نسمع فى عهد الحداثة أن « حزب الأمة » الذى تعبّر عنه « الجريدة » يسالم الاحتلال

فهل فى « المنتخبات » ما يؤيد ذلك ، وكان لطفى السيد رئيس التحرير لتلك « الجريدة » ؟

كان « حزب الأمة » يمثل فكرة الاعتدال ، ولكن مقالات لطفي السيد لا تشهد بأنه كان يسالم الاحتلال

وكيف تجوز مسالمة الاحتلال على من يقول : «الديار محتلة بأجنبي لاهو صريح نقدر لشقائنا معه حداً، ولا نحن معه من الرجاء أو من اليأس في إحدى الراحتين » ؟

كيف تجوز مسالمة الاحتلال على من يرثي مصطفى كامل أصدق الرثاء ، ثم يعلن رأي قاسم أمين في أن وجيعة الشعب لوفاة مصطفى كامل فرصة لإذكاء الروح الوطني ؟

كان لطفي السيد من أنصار الاعتدال ، ولكنه لم يكن أبداً من المفرّطين في حق القومية ، ومقالاته هي الوثائق الباقية لجهاده في سبيل الحرية والاستقلال .

والناس يشهدون اليوم تمثال مصطفى كامل في أحد الميادين الجميلة بالقاهرة ، فمن يبلغهم أن لطفي السيد كان من أوائل الداعين لإقامة ذلك التمثال مع أنه كان من خصوم الرئيس الأول للحزب الوطني ؟

لا يؤخذ على لطفي السيد إلا عيب واحدٌ : هو أنه لم يستهدف لأي خطر في سبيل حرية الفكر والعقل والوجدان، وبذلك خَلَتْ آثاره من اللهب الذي احترق به المبدعون من أقطاب الفكر والبيان ، والسلامة ليست مَغنماً نفيساً في أنظار أكابر الحكماء.

لا يزال لطفي السيد قوة عاتية ، فهل يجرّب الثورة على نفسه مرة واحدة فيخرج من بعض ماله لينشر مجموعة كاملة المختار من آثاره في الأعوام الخوالي ؟

إن أخذ بهذا الرأي فسيحدّد مكانه الصحيح في التاريخ الأدبي الحديث

وإلا فسيصير إلى ما صرت إليه يوم عققت نصائحه الغالية في مصانعة الناس والزمان

وإلى أستاذي وصاحب الفضل عليّ ، إلى أحمد لطفي السيد باشا مترجم أرسطاطاليس ومدير الجامعة المصرية ، أقدم واجب الثناء، راجياً أن يتناسى ما مرّ بهذا المقال من عبارات لم تكن على خشونتها إلا شاهداً على اتصالي الروحي بعقله الخصيب .

زكي مبارك

تعاليم الرجولة

للأستاذ محمد كامل سليم بك

سكرتير مجلس الوزراء

١ — لا تلمْ غيرك على إهمالك، واحتمل بشجاعة نتائج أعمالك

٢ — الاعتذار ضعف ، فلا تعتذرْ لكائنٍ من كان ، ولا سبيلَ إلى تلافي الاعتذار إلا إذا آليتَ ألا ترتكب ما يستدعي الاعتذار منه

٣ — لا تيأس : إذا المرض أصابك ، وإذا الحزن دهمك
وإذا الإخفاق صدمك، وإذا الصديق خدعك
وإذا العدو غلبك ، وإذا الحظ نكبك
إذ مهما اضطربت الأمور وأظلم الجو فإنك بالصبر والعمل والشجاعة منتصر لا محالة

٤ — لا ترْجُ من اللئيم أن يصفح ، ولا من السفيه أن يحلم ، ولا من القويّ أن يستكين . لأنك إن فعلت أرقت ماء وجهك وعدْتَ بخيبة الأمل

٥ — لا تكن متحيزاً لأقربائك ، ولا محابياً لأصدقائك ، ولا باغياً في خصومتك ، ولا طاغياً في رياستك . بل اجعل العدل قائدك ، والحزم رائدك ، والكرم ملاطفاً لشهواتك ، والمصلحة العامة على الدوام قِبلتك

٦ — كن شجاعاً تكن صادقاً . فإذا اعتدت الصدق مشت الفضائل كلها في ركابك

٧ — افعل ما تراه حقاً وعدلاً ، ولا تحاول أن تُرضي الناس جميعاً ، لأنك إن حاولت ذلك أسأت إلى نفسك ولم تُرضِ أحداً

٨ — أذكر دائماً أن قيمة الأعمال بنتائجها ، فحذارِ أن تأتي عملاً تعرف مقدماً أن له نتيجة ضارة، اللهم إلا إذا أيقنت أن كفّة الخير للمصلحة العامة أعلى وأرجح

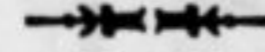
٩ — إذا كنت تحب الحرية حقاً فلا تحتكرها لنفسك وتنكرها على غيرك

١٠ — حذار من لسانك وقلمك إذا كنت غاضباً أو ثائراً بعاطفة قوية فكلاهما يخونك ، واعتمادك عليه يجر عليك الندم أو الألم عند ما تهدأ وتستقر

كتب لم أقرأها

مؤلفات اللورد دنسانى

للأستاذ عبد اللطيف النشار



أما الكتب التى أتحدث عنها اليوم فمشرون كتاباً صفقة واحدة لا أعرف اسم واحد منها ولا عرفت شيئاً عن مؤلفها إلا فى هذا الأسبوع حينما نشرت الصحف له صورة ظريفة مع حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على فى نادى الاتحاد الإنكليزى المصرى

وكانت مناسبة الاحتفاء به فى هذا النادى أنه مر بمصر أثناء سفره إلى أثينا حيث يتقلد منصب الأستاذية فى الأدب الإنكليزى بالجامعة اليونانية . وكرسى الأدب الإنكليزى فى تلك الجامعة يلقب باسم الشاعر الإنكليزى بيرون. فيقال « كرسى بيرون » للأدب الإنكليزى تكريماً لذكرى هذا الشاعر الذى ساهم فى تحرير اليونان بقلمه وبسيفه . وما زالت اليونان تحتفظ له بأطيب الذكرى وله فى عاصمتها أكبر تمثال فيها

ولما مرّ اللورد دنسانى بمصر نظم أبياتاً هذه ترجمتها نثراً :

انتظار طويل

« أيها الملوك الأربعة الجالسون فى ساحة أبى سمبل متجهين نحو مشرق الشمس ، لقد رأيتم الإنسان يطير

قلت لهم ذلك وخلت أنى أسمع جواب ثلاثة منهم أثناء مرورنا أمامهم بالطيارة (أما الرابع فقد كسر عند منتصفه فانشطر شطرين)

« وأحسب جواب الثلاثة :

« نحن لا نلاحظ إلا ما كتب له الخلود . نلحظ نهرنا القديم فى فيضانه ، والشمس فى سطوعها ، والمطر فى إبانه ، وكل خالد فى تغلبه على زمانه . ورأينا ورأى معنا هذا الرابع قبل أن ينكسر شعاعاً ذهبياً ينبثق من صخرة فيوقظ الروح فى بلدنا هذا المقدس وقد أخذ هذا الشعاع الذهبى من زمن فات يتجه نحو الشمال ، ونحن منذ ذلك العهد لم نلحظ ما يستحق أن يلحظ . »

هذه الأبيات فى أصلها ذات جرس ورنين ، وهى كل الذى قرأته له عدا حديثاً له مع محرر الغازيت . أما الذى قرأته عنه فهو أنه أديب أرلندى له مسرحيات ودواوين شعر وأقاصيص وروايات، ويبلغ عدد كتبه العشرين، وأسلوبه من السهل الممتنع. وهو رحالة ومن هواة الصيد ، وقد قضى معظم الشباب فى الجندية وعمره الآن قد تجاوز الستين

اشترك فى حربين : حرب البوير والحرب العظمى . وجاب أقطار العالم فى رحلاته ، وقلما استطاع البقاء أمداً طويلاً فى مكان ومن غريب أمره أنه لا يستطيع مزاولة التأليف راحلاً ، ولا الرحلة ولديه موضوع يشغله بالتأليف . ويقول إن حياتيه : الروحية والجثمانية ليستا على ائتلاف، فهو يطلق لكل منهما العنان، حتى إذا فرغ من رحلة له عاد إلى وطنه فاستجم وترك لخواطره متنفساً من يراعه خلافاً لبعض الكتاب الذين يجمعون الجذاذات فى أثناء الرحلات ، أو يدونون فيها بعض الخواطر أو المعلومات . وهو يقول فى حديثه لمحرر الغازيت : إنه لا يرى فى الكتابة واجباً يفرضه المرء على نفسه وينقطع له ، وأنه لا يرى للكاتب أن يكتب سواء أكان لديه أفكار أم لم تكن لديه

وحاول المحرر أن يستدرجه للحديث عن وطنه إيرلندا فأبى أن يخوض فى ذلك الحديث . ويعرف القراء أن تلك البلاد لم تشترك مع انكلترا فى حربها الحاضرة؛ ولكن هذا اللورد الذى بقى فى إيرلندا حتى شهر أغسطس الماضى قد رحل عنها إلى لندن وتطوع جندياً فى الجيش الإقليمى (الجيش المرابط) وعدده فى انكلترا مليون وسبمائة ألف لعل فيهم الكثير من هذا النوع

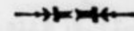
ولما سئل عن رأيه فى الحرب قال إن هتلر قد خسرها ، لأنه أراد تحطيم روح الشعب البريطانى فأخفق ، ولن يستطيع تحطيم تلك الروح بعد ثباتها ستة أسابيع على قنابل الغارات الجوية

وهو يرى أن الحرب ضرورة لا بد منها كتناول الطعام وشرب الماء ما دام بعض الأمم يسبق البعض فى اطراد النمو من ناحيتى الثروة وعدد السكان ، فلا مناص من الحرب ، لأن الذين تضيق بهم بلادهم لا بد لهم من طلب التوسع فتكون النزوات وتكون الحروب ، ولا يرى فى الإمكان تدبير وسيلة للاحتفاظ بالسلام

قال : « بعد الحرب الماضية اجتمع العقلاء من مختلف الدول

حول نقد كتاب الذخيرة
في علم الطب

للأستاذ إسماعيل مظهر



قرأت في مجلة الثقافة الغراء منظومة من النقود وجهها الأب أنستاس ماري الكرملي إلى صديقي الدكتور جورجي صبحي ناشر كتاب الذخيرة المنسوب في بعض المؤلفات القديمة إلى العلامة الكبير ثابت بن قرة .

ولنشر كتاب الذخيرة تاريخ لو أن حضرة الأب المهذب الرقيق قد علم طرفاً منه إذن لا لتمس للدكتور صبحي بعض العذر عن أخطاء وقعت في الكتاب . فقد كان موعد الاحتفال بالعيد المئيني للقصر العيني قد أزف . وحَسُنَ عند صاحب السعادة الدكتور علي إبراهيم باشا أن يُطْبَعَ كتاب « الذخيرة » إحياء لأثر قديم وتعبيراً عن اتصال ثقافتنا بثقافة أوائلنا وتذكيراً بتراثنا المجيد . وبُدِئ بطبع الكتاب من نسخة سقيمة سيئة الخط محشوة بالتصحيفات قبل موعد الاحتفال بشهر واحد .

وما إن حان الوعد حتى كان الكتاب مطبوعاً معداً للنشر . فكان لهذا العامل أثره فيما يكون قد وقع في الكتاب من تصحيفات لا أشك أقل شك في أن أكثرها موجود في النسخة الأصلية ؛ وكان من المتعذر مادياً بحثها وتصويبها في مثل هذا الزمن القصير الذي استغرقه طبع الكتاب . وما قولك في أن حضرة الأب اشترى الكتاب في فبراير من سنة ١٩٣٤ ولم يستطع أن يحقق ماورد في نقوده من الألفاظ إلا في شهر يوليو من سنة ١٩٤٠ إذ بدأ بنشر نقوده التي ألمنا إليها . يدلك هذا على أن تحقيق هذه الألفاظ كان صعباً والرجوعَ إليها في مظانها أمر يستغرق السنين . فللدكتور صبحي على أية حال عذر إن تعذر عليه تحقيق بعض ألفاظ الكتاب وتصحيح عباراته تصحيحاً كاملاً .

ولا أريد أن أتعرض هنا لشيء مما صوب به حضرة الأب بعض أخطاء الكتاب، ولكن أريد أن أنشر حقائق ثابتة لا يتسرب إليها الباطل ، عن الدوافع التي دفعت حضرة الأب المحترم إلى نشر نقوده هذه . فإن وراء هذا النقد ماضياً يجب أن يعرف ، وله بداية كانت هذه النقود نهايتها . فقد أطلعني الدكتور صبحي بك على كتاب بخط يد الأب المحترم يسأله فيه أجراً على تصحيح الكتاب، وكان الدكتور صبحي بك مريضاً فلم يعر الأمر اهتماماً

في مدينة جنيف وحاولوا إيجاد الوسيلة لمنع الحروب في المستقبل . وأحسب أنهم بعد الحرب الحاضرة سيرسلون عقلاءهم إلى مدينة ما لإيجاد وسيلة لمنع الطعام وسيقولون إنه متعب في إعداده ، متعب في هضمه، متعب في تناوله، فلنتدبر في سبيلة تريحنا منه... وسينجح هؤلاء الحكماء في محاولتهم منع الطعام بمثل القدر الذي ناله من النجاح من سبقوهم في محاولة منع الحرب . وهو مع رأيه هذا في الحرب يرى أن أذى الحروب أقل من نفعها ، ومن نفعها أنها تولد الشجاعة والجرأة والنخوة .

وهو متحدث بارع ، وقد يدافع عن قضية خاسرة لمجرد الاغتباط بالحرب الكلامية

ومن رأيه أن حملة الأقلام جميعاً رجال غير عاديين

قال : وإذا نحن أحصينا من يكتبون وجدناهم قلة ضئيلة بالقياس إلى من لا يكتبون ، وهذا وحده سبب كاف لاعتبارهم من طراز غير طراز الرجل العادي

هذه بداية تعرفي على المؤلف الذي أدرجت مؤلفاته العشرين في قائمة « كتب لم أقرأها » وليس كل ما في هذه القائمة مندرجاً بالطبع في قائمة « كتب لن أقرأها » فلعلي حين أزداد تعرفاً عليه أزيد تعريفاً به

أو لعل من سبقوا إلى معرفته أن يشركوا أهل لغتهم فيما أفادوه منه



وبعد كتابة ما تقدم قرأت في جريدة الإجبشيان ميل عدد ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٠ أن اللورد دنساني دعي إلى حفلة تكريمية أخرى بنادي الاتحاد الإنكليزي المصري فأتى بها قصة طريفة له عنوانها « بنت رمسيس »

وأنه سيلقي في الأسبوع القادم محاضرة عن الشعر الإنكليزي بالجمعية الملكية الجغرافية ، وأرجو أن ألخص القصة والمحاضرة لقراء الرسالة .

عبد اللطيف النشار

وشغل بمرضه عن كل ما عداه . واتصل طبيب بالقاهرة بالدكتور صبحى بك يغريه على أن يجيب حضرة الأب إلى طلبه فرفض صبحى بك معتذراً . وإلى هنا تنتهى مقدمات النقد . وكان النشر بمجلة الثقافة نتيجة لهذه المقدمات .

ولعل القراء يعجبون كيف أن رجلاً من رجال الدين المنقطعين عن لهو الحياة الزاهدين فيها ، المترهبين فى سبيل الله والعلم ينزلق فى هذا التزلق ويزل هذه الزلة ولا حاجة له بمال ولا مطمع له فى الدنيا ولا زوجة له ولا ولد ؟ نعم إن هذا لباعث على العجب مفض إلى طول التأمل . ولكن ذلك هو الواقع مع الأسف . وما كنت لأتطوع جاهداً فى كشف هذا السر العجيب لولا أن حضرة الأب المحترم قد تمادى فى الهجوم على رجالات مصر ، ومن قبل هاجم الدكتور شرف بك ثم الدكتور أحمد عيسى بك ثم حضرة صاحب العزة أحمد العوامرى بك ، وغيرهم من كبار رجالنا المشار إليهم بالبنان المكبين على العلم لأجل العلم لا لأجل المال . أولئك الذين أفنوا أعمارهم وأموالهم فى الطلب والفحص والتنقيب غير مترقبين من الناس مالاً ولا مستجدين منهم أجراً ، عالمين أن أجرهم عند الله أبقى .

لئن كان حضرة الأب قد نشر هذا النقد خدمة للعلم حقيقة فما هى الحاجة التى حملته على أن يطعن حضرة الدكتور صبحى بك فى علمه وفى مهنته ؟ وإليك بعض أقواله فى مجلة الثقافة(١) .

إن هذا لمن أعجب العجب . يتساءل راهب لغوى كيف أن طبيباً مصرياً عظيما ، وأستاذاً فى كلية الطب ، ومن أمهر المشتغلين فى القطر المصرى بهذه الصناعة : يتساءل كيف حصل على شهادته ! ألست تجد أيها القارى أن مثل هذا الأمر يدل على حفيظة سببها أن هذا الدكتور لم يجُد عليه ببعض المال ليصحح أخطاء كتاب قديم وقف على طبعه ؟ كان إذن من الواجب على الذين أعطوا الدكتور صبحى إجازة الطب أن يرسلوه لحضرة الأب أولاً ليجيز لهم أن يعطوه شهادته

ومن أعجب العجب أيضاً أن يعترف حضرة الأب بأن كتاب الذخيرة (فى أصله) مشوه وممسوخ . قال فى الثقافة (العدد ٨٤ ص ٤٠) :

« اتضح أن هذا التصنيف ليس لثابت بن قرة ، وبان بالعكس أن واضعه قليل البضاعة بعلم العربية ، والكاتب قبطى من أهل المائة السابعة أو الثامنة للهجرة لجهله الألفاظ الطبية وتشويهه لها وجهله الأحكام اللغوية ومسخه لها مسخاً شنيعاً »

هذا اعتراف حضرة الأب الصريح يدل على أصل الكتاب ، أى الأصل الذى طبع عنه الدكتور صبحى بك . أفلا يصح أن يكون هذا شفيعاً عند حضرة الأب فى بضعة أخطاء اضطر الدكتور لإثباتها كما هى مراعاة للأصل المطبوع عنه التماساً لإصدار الكتاب فى شهر واحد من الزمان ؟

أما أن يخطئ الإنسان فذلك أمر طبيعى ، ولكن من غير الطبيعى ومن غير اللائق بالسداد أن يتمنى حضرة الأب أنستاس أن يصبح وزيراً للمعارف فى مصر فيفتتح عهده بالحكم بغرامة ٢٢٨ جنيهاً ، وبالحبس ٢٢٨ يوماً على الدكتور جورجى صبحى جزاء نشره كتاباً به بعض الأخطاء !

ولقد يدعى حضرة الأب أنه لا يخطئ ، لأنه لو كان يسلم بأن الخطأ واقع من أبناء آدم لما انزلق فى نقده إلى حيث انزلق ، ولكنى أقول له إنه يخطئ خطأ فاحشاً يعتدى فيه على العلم وعلى الثابت فى مظان العلم

فقد حدث فى دورة المجمع اللغوى السادسة أن قام حضرة الأب يدعى دعاوى عريضة فسقط وكبا كما يؤخذ من رد حضرة العلامة الأستاذ فيشر عليه فى محضر الجلسة السادسة عشرة من الدورة السادسة . وأنقل هنا نص رد الأستاذ فيشر عليه لأن به من البيان ما لا محل معه لبيانى . قال :

« قرأت أمس فى محضر الجلسة العاشرة بحث كلة «موسيق» « موسيقا » لحضرة الأب أنستاس مارى الكرملى . وقد أعجبنا جيماً بكثرة معلوماته وذكائه ، ولكن لا معصوم من الخطأ إلا نبى . وعليه فإنى أعتقد أن حضرة الزميل العلامة قد زلّ فى بعض مواضع بحثه إذ قال فى صدر بحثه : « فأقول إن العرب لم يأخذوا لفظ الموسيق عن الروم لا تينيين كانوا أم يونانيين ، وإنما أخذوها من الإرميين بدليل أنهم يقولون (هنا كلة إرمية) وتقرأ موسيق بالياء . والدليل الثانى أن الموسيقار العربية فى نفس الإرمية (هنا كلة إرمية) وتلفظ موسيقاراً . والدليل الثالث أنهم « أى العرب » قالوا مثلهم موسيقاراً . ولم يراع أن كل

---

(١) انظر هذه النصوص فى كلمتنا التى نشرت بالعدد الماضى من الرسالة بعنوان (إلى جمهرة أهل الأدب)

ما نقل عن اليونانية كان بواسطة الآراميين كما أن كل ما نقل عن اللاتينية قبل فتح العرب لشمال أفريقية كان بواسطة اليونان وعنهم بواسطة الآراميين

« ولم يراع أن الكلمة الآرامية (.......) يرجع أصلها إلى الكلمة اللاتينية « Musicarius » وأهم من هذا ما وقع فيه من خطإ قائلاً : وأما عرب الجاهلية وصدر الإسلام فإنهم قالوا : « المِزيقَة » واستشهد على هذا القول ببيت للشماخ أورده كما يأتى :

له زَجَل كأنه صوت حاد إذا سَمِع المِزيقة أو زَمِير

ولا أدرى من أين نقل هذا البيت . فإنه ورد فى ديوان الشماخ طبعة أحمد بن الأمين الشنقيطى صفحة ٣٦ ما يلى :

له زجل تقول أصَوْت حاد إذا طلب الوَسِيقة أو زَمِير

« وهذه الرواية صحيحة فإن هذا البيت جاء وصفاً لحار وحشى فى قصيدة للشماخ ، ومعناها يتفق مع ما أورده الشنقيطى فى الشرح إذ قال : « المعنى أن الحار الذى يصفه يشبه صوته بأنانة إذا صوت بهاصوت حادى الإبل أو صوت مزمار »

« فكذلك لا توجد كلة المزيقة فى شعر الشماخ ، ولا توجد فى أى شعر آخر ولا فى كل العربية

« وقد ظن حضرة الزميل الملامة ، بعد اعتقاده بأن كلة « المزيقة » قد وردت فى شعر الشماخ أن فعل مَزَّق الذى ورد فى الشعر القديم بمعنى غَنَّى قد صحف عن مزَّق . وقد قال حضرة العضو الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين فى أثناء الجلسة : « لا أوافق حضرة الأب أنستاس على أن لفظتى ممزَّق، وتمزيق مصحفتان من ممزق وتمزيق . إذ لا دليل على هذا التصحيف الخ »

« وإنى متثبت من أنه على حق ، فإنه قد وردت فى لسان العرب وأساس البلاغة شواهد على فعل مزّق ، وقد بين هذه الشواهد بيت للشاعر « المزّق » من قصيدة وردت مرتين فى ديوان « المفضليات » — (طبعة تشارلس لايل صحيفة ٦٠٣) ، وفسر الأنبارى شارح المفضليات الفعل مزّق كما يلى » :

« ويمزّق يعنى والتمزيق الغناء . يقال : قد مزّق يمزّق تمزيقاً فهو ممزقٌ إذا غنى ا . ه » . وورد هذا الفعل أيضاً فى كتاب الأغانى (طبعة دار الكتب المصرية فى الجزء السابع صحيفة ٢٣٨) فى سياق الكلام كما يلى : قال الحسن وحدثنى غانم الوراق قال :

خرجت إلى بادية البصرة فصرت إلى عمرو بن تميم فأثبتنى بعضهم فقال : هذا الشيخ والله راوية . فجلسوا إلىّ وأتوا بى وأنشدتهم وبدأت بشعر ذى الرُّمة فعرفوه وبشعر جرير والفرزق فعرفوهما ؛ ثم أنشدتهم للسيد ... « أتعرف رسما ... الخ » ثمانية أبيات ؟ قال : فجعلوا يمزّقون لإنشادى ويطربون ، وقالوا : لمن هذا ؟ فأعلمتهم ... فقالوا : هو والله أحد المطبوعين ... لا والله ما بقى فى هذا الزمان مثله » ا . ه عبارات الدكتور فيشر

أيليق بنا يا حضرة الأب المهذب أن نسأل : كيف حصلت على لقب لغوى ما دمت تسقط فى مباحث اللغة هذه السقطات الشنيعات ، ثم تتدارى بعد ذلك وراء ألفاظ الهجاء لتخيف الناس من لسانك ومن قلمك ، ولتستر بذلك خطأك وحذلقتك وتهجمك على اللغة عفو الخاطر ، لأنه قيل إنك لغوى ، ولأنه جرى بين الناس أنك كذلك ؟ . . .

* * *

وبعد ، فإنى لا أود أن ألقى القلم قبل أن أفرغ من حضرة الأب المهذب أولاً وآخراً . فإنى اتهمته بأنه طلب من الدكتور صبحى مالاً لينتقد كتاب « الذخيرة » سراً ثم يسكت ؛ فإذا أبى الدكتور صبحى بك ، نشر الأب نقوده متظاهراً بالغيرة على العلم وعلى لغة القرآن : نسأل للغة القرآن منه العافية

والواقع أن هذه دعوى علىّ إثباتها : فإن الكتاب الذى أرسله حضرة الأب إلى الدكتور صبحى بك يسأله فيه ذلك ، قد مُزّق وألقى به فى سلة المهملات مع الأسف الشديد ؛ ولو أنه باق ، إذن لنشرته بخط يده . ولكن حضرة الأب قد ينسى أن كتاباً آخر يدل دلالة قاطعة على أنه يأخذ المال باسم اللغة والغيرة على اللغة ، ولكن بالسباب والشتم . وإنى أقتطف من هذا الكتاب عبارات مع حذف الأسماء . فإن أنكر الكتاب نشرته للناس بخط يده . جاء فى ذلك الكتاب :

« نعم إن إحسانات الدكتور ... قيدت يدى ورجلى ومنعتنى عن أن أهجم عليه هجماتى المعتادة على أصحاب سائر المعاجم[1] ، ولما رَدَّ علىّ رده المعهود وكله سفاسف وجهل شنيع للقواعد العربية والأصول اللغوية ، أخذت القلم لأكشف عوراته ثم فكرت

(١) يقصد حضرة الأب « سائر أصحاب المعاجم » وأصحاب سائر المعاجم أسلوب هندى أو وانواقى كما يقول هو للناس

فى نفسى وقلت أهذا مكافأة من أحسن إليك وأنقذ مجلتك[1] من أن تنزلق فى تلك السنة للخسارة التى لحقتها . فكسرت القلم وقلت الإقرار بالفضل والإحسان من شيم كرام النفوس، والنفض عن الرد خير من الاستسلام للغيظ. وهكذا سكت، ولو لم يكن برُّ هذا الرجل وماله بالفضل على لسحقته سحقاً، لأن ما فى ... من الأوهام والخبط والخلط يسود عين الشمس فى رائعتها . والآن أقول إن ... نصاب فى الأدب ولا يقاربه أحد فى نصبه، ولكن إذا كانت أموره تجوز على بعض السذج، فإنها لا تجوز على من له أدنى إلمام بالأدب »

ثم يقول حضرة الأب المهذب :

« أنملنى بمنزلة ... وأنا أعلم علم اليقين أنه لا يرى فى مادة واحدة من مواده إلا أغلاط جمة؟ ومع ذلك أقول ولا أخاف لومة لائم إن أغلاط ... دون أغلاط ... فإن هذا الأخير أفسد كل مادة فساداً لا تقوم له قائمة، وليس للرجل أقل اطلاع على اللغة ولا على علم ... ولا على نقل الألفاظ من الأفرنجية إلى العربية . والآن أجيبك على سؤاليك :

« ١ — إنى تسامحت كل التسامح فى نقد ... لأنه أحسن إلى. ولم أفعل مثل هذا الفعل فى نقد ... لأنه لا فضل له علىَّ فلم أسامحه لأنه زاد فساد ألفاظ ... وأوهامه زيادة فاضحة

« ٢ — إذا نقدت ثانية ... أهتكه هتكا من غير أن أستعمل كلمة جارحة كما فعلت مع ... لأن ... اشتغل أكثر من ... وعانى مشقات أعظم . أما لو أردت أن أنزله دركات جهنم لما صعب على لأنه هيأ لى الوسائل والذرائع لإنزاله فى تلك المهاوى » اهـ

هـذا كلامك يا حضرة الأب عندى بخط يدك أنشره على الناس ليعرف الناس لماذا تكتب وتحت أى تأثير تكتب، فإن لم تسكت نشرته فى كراسة مطبوعة بالزنكوغراف، ولو أنى بذلك سأسىء إلى أصدقاءهم من ذوى وأهلى الذين تتهاتر عليهم بملمك، وأتحمل فى سبيل ذلك حساب ضميرى على أن أنزل أسماءهم الشريفة المنزلة التى لم أجد بدونها وسيلة إلى إسكاتك أبد الآبدين

وتحت يدى أيضاً كتاب آخر أرسلت به إلى صديق لك قديم يدل على مقدار ما تعرف من قدر الصداقة، إن أنكرته نشرته أيضاً

(١) مجلة لغة العرب التى كان يصدرها الأب

وبعد فقد يكون فى كتاب الذخيرة كل الأوهام التى أشار إليها حضرة الأب المهذب، وقد يكون بعض هذه الأوهام من « حذلقاته » المعروفة فإنى لم أعن بتحقيق ما جاء بنقده، فإنى ما أردت بهذا الرد إلا أن أقرر واقعاً وأنى عن رجالنا شبهات يكيلها لهم هذا الرجل كيداً وظلماً. وإنى لأعلم أنى سأتلقى على يده من الإهانات والسباب ما سوف أتقبله

وكلمة أخيرة أتوجه بها إلى الأستاذ الفاضل أحمد أمين عميد كلية الآداب ومحرر الثقافة فأسأله : هل من اللائق أن يُوَجَّه على صفحات الثقافة ألفاظ وعبارات كتلك التى وجهها حضرة الأب إلى الدكتور صبحى بك وهو له زميل فى الجامعة وأستاذ مثله فيها ؟

هل يقبل الأستاذ أن ترى الجامعة التى هو أحد أساتذتها وعميد كلية الآداب فيها بأنها فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمعتها وأنها تروج إفساد اللغة وأنها تثبت الألفاظ المشوهة ؟

اسماعيل مظهر

كلمات . . .

تعريف

هذه « كلمات » كنت أكتبها فى مجلة أسبوعية أدبية منذ سنوات ست . ثم داومت على كتابتها فى جريدة « البلاغ » وفى صفحتها الأدبية والثقافية بعد ذلك بضعاً من السنين .

وهذه « الكلمات » القصيرة التى أرجو أن يشرفنى قراء « الرسالة » بقراءتها كل أسبوع لن تجاوز أن تكون نقداً لبيت قديم أو جديد من الشعر ، أو إعجاباً ببيت كذلك أو أبيات من الشعر جديد أو قديم ، أو نقداً لرأى أو فكرة أو عرَض من أعراض حياتنا الثقافية أو الأدبية ، إلى مثل هذه الشؤون الاجتماعية والأدبية التى هى وحى « الرسالة » ورسالتها لمصر والشرق .

***

كتب صديقنا الدكتور زكى مبارك يعلّق فى الرسالة على كلمة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بشأن « استهانة الجمهور بقواعد اللغة العربية » على حد تعبير الدكتور مبارك . وكان الموضوع الذى أثار الأستاذ عبد الغنى فكتب ما كتب ، هو إعلان فى صحيفةٍ وجد فيه طائفة من الأغلاط الشائنة .

وإذا كان الأستاذ محمد عبد الغنى يثور ويغضب لأغلاط وجدها فى كتابة إعلان تجارى حرّره عامل فى متجر لم يقرأ سيبويه ولم يعرف ألفية ابن مالك ولا ألفية ابن معطى ، وإذا كان الدكتور مبارك يثور ويغضب لأنه وجد صديقاً له من رجال وزارة المعارف يحاضر ويلحن ، فإن هذا وذاك — إذا قيس بغيره — ليس مما يغضب ولا مما يثير .

ليستمع صديقنا الدكتور مبارك إلى كثير مما يذاع فى الراديو المصرى من المحاضرات والأحاديث ، فإنه يجد كثيرين من المحدّثين وكثيرين من المحاضرين يحرصون الحرص كله على أن يكون نطقهم حين ينطقون الأسماء والأعلام الأفرنجية صحيحاً سليما ، ولا يعنيهم ولا يسوؤهم أن يكون نطقهم للعربى من الأسماء والأعلام عليلاً سقيما . فهم حين ينطقون اسم « بيتان » يحرصون على أن يضموا شفاههم على حرف الباء منه ضماً قوياً ثم يفرجون عنها مسرعة قوية كما يفعل الفرنسيون الأصيلون حين ينطقون به . وهم حريصون على أن يدغموا فى أنوفهم حرف النون فى نهايته حتى لا يبين إلا غنة قصيرة مثلاً شبه ضعيفة كما يفعل الأصيلون من الفرنسيين .

ولكنهم حين ينطقون اسم محمد أو محمود أو غيرهما من الأسماء والأعلام العربية ، لا يحرصون ولا يسيئهم أن يكون نطقهم لها على وجه خاطئ بيّن الخطأ .

وليقرأ صديقنا الدكتور مبارك العدد الأخير من مجلة الراديو المصرى فسيجد أنها كتبت اسم الصحابى الجليل « أبا ذر الغفارى » هكذا (أبو زر) « عدد ٢٩٧ من المجلة » .

والراديو المصرى هو المجلة الرسمية للاذاعة اللاسلكية المصرية ويشرف على تحريرها كاتب أديب من الطراز الأول هو الأستاذ محمد سعيد لطفى .

ولكن حين كتبت هذا عن المذيعين والمحاضرين وعن المجلة الرسمية للاذاعة المصرية نسيت أننا فى مصر كنا إلى سنة واحدة نطبع جداول الجلسات لمجلس وزرائنا باللغة الفرنسية ولا نطبع باللغة العربية . . . !

وبلد هذا مقدار حرصه على لغته فى مجلس وزرائه ، لا يلام فيه عامل فى متجر أو محاضر أو محرر مجلة على اللحن والخطأ . . . !

وأظن صديقنا الدكتور زكى مبارك والأستاذ محمد عبد الغنى حسن قد نسيا هذه الحقيقة من قبلُ حين كتبا ما كتبا . . . !

« محمود »

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

الحرب اليونانية ونتائجها

هل تؤدى الحرب اليونانية إلى انتصار قضية الديمقراطية ؟ أو بعبارة أوضح هل يكون الميدان اليونانى الألبانى ذا أثر كبير فى وضع حد للحرب العامة ؟ سؤال وجهه إلىّ أحد القراء ، وهو سؤال طالما سمعته فى المجالس ، فرأيت أن أوضحه للقارئ.

فإن انتصار اليونانيين وتقدم قواتهم السريع أمر غريب كما قال ملكهم . ولم يتوقع أحد أن يكون غزو إيطاليا لليونان سهماً قاتلاً يوجه للحركة الفاشستية ، فيكشف عن ضعف عجيب فى أحد طرفى المحور

أما النصر النهائى لقضية الديمقراطية فى الميدان الألبانى فأمره مستبعد ، فإن موقع الميدان الألبانى الجغرافى لا يسمح بأن يرى العالم مصرع حكم الإرهاب ، وإن كان هـذا الموقع يعتبر أحد المنافذ القاتلة لحركات المحور العسكرية والسياسية ، فقد كشف عن خطأ كبير ، وأتاح للامبراطورية البريطانية الحصول على مواقع كبيرة الخطورة جعلت الأهداف الألمانية والإيطالية أيسر تناولاً مما كانت عليه

وليتاح لنا فهم الموقف بسهولة يحسن بنا أن نوضح ناحية من نواحى السياسة العسكرية البريطانية ؛ فمنذ ما انهارت فرنسا انهارت معها جميع الخطط العسكرية ، سواء فى الشرق أو فى الغرب ، وأصبح الدفاع عن الميادين التى تسيطر عليها أمراً متعذراً فضلاً عن اتباع سياسة الهجوم . ولكن هذا الوضع العسير لم يضعف من عزيمة الإنجليز ، فرفضوا الصلح الذى عرضه هتلر وصمموا على مواصلة القتال . ولم يتمكن المحور من استغلال هذه الفترة والقضاء على قوات بريطانيا أو إضعافها فى ميادينها بفضل الأسطول البريطانى البحرى الذى عرقل مواصلات إيطاليا مع ممتلكاتها فى أفريقيا ومنع عنها الإمدادات ومنع ألمانيا أيضاً من غزو الجزر البريطانية

ويمكن القول أن سياسة انجلترا العسكرية منذ ذلك الوقت إلى الآن هى سياسة استغلال الفرص . وكانت حماقة موسيليني فى غزو اليونان فرصة ثمينة ، مكنت القوات البريطانية من الحصول على أربع نتائج باهرة تحقق ثلاث منها وما زالت إحداها فى دور التحقيق ، وإن يكن جزء منها قد تحقق

الدودكانيز

وإحدى هذه النتائج الثلاث زوال أهمية جزر (الدودكانيز) كقواعد حربية إيطالية ، فإن استيلاء القوات البريطانية على جزيرة كريت والجزر اليونانية القريبة من الدودكانيز عزلها عن قواعد تموينها ، وأصبح اتصال إيطاليا بها أمراً شديد الخطر

واقتراب القواعد يتيح للدوريات سواء كانت بحرية أم جوية مراقبة البحر مراقبة دائمة ، وسرعة الاشتباك بالقوافل الإيطالية سواء بقوات تقصدها من الإسكندرية أو كريت أو اليونان ، ومن ثم أوصد الطريق فى وجه القوافل الإيطالية فضلاً عن سهولة مهاجمة جزر الدودكانيز واحتلالها من الجزر القريبة منها

وكانت جزر الدودكانيز طرف قواعد الارتكاز التى تكون خطاً بحرياً طرفه الآخر على شواطئ ليبيا الإفريقية ، والغرض منه عرقلة الملاحة فى الحوض الشرقى للبحر الأبيض ، وفقدان جزر الدودكانيز لأهميتها أو احتلالها يفقد إيطاليا كل سيطرة على الجزء الشرقى لحوض البحر الأبيض المتوسط ، أضف إلى ذلك أنها كانت تعتبر إحدى القواعد التى يسهل منها تهديد تركيا فى منطقة المضايق وسوريا وفلسطين

الخسائر العسكرية

ومنى المحور أو طرفه الصغير بخسائر عسكرية فادحة لها أثرها فى استعدادات إيطاليا فى الميادين الأخرى وهى النتيجة الثانية ، فلم يكن غزو اليونان نزهة كما ظن موسولينى وأركان حربه ، ولكنه كان فاجعة إيطالية ، كلفتها عتاداً حربياً ورجالاً وهيبة عسكرية . ولا يتاح لنا الآن أن نكشف الغطاء عن حقيقة هذا الخذلان الإيطالى

وقالت بعض المصادر إن القوات الإيطالية استعملت فى زحفها طرقاً ضيقة محصورة بين الجبال ، وكانت قوات يونانية تكمن فيها ، فلما توغلت الوحدات الإيطالية صبت عليها الجنود اليونانية نارها ، وفى الوقت نفسه ثارت بعض القبائل الألبانية وهاجمت مؤخرة الجيوش الإيطالية فتعذر عليها التقدم أو التأخر ، واضطر

الإيطاليون إلى الهرب بأرواحهم مخلفين عتادهم وذخيرتهم فى عملية انسحابهم السريعة

فإذا أضيف هذا العتاد إلى ما أرسلته انجلترا إلى اليونان من معونة ، فإن استرداد الإيطاليين لمواقعهم السابقة يسبب لهم خسائر فادحة لا تتحملها مالية إيطاليا الضعيفة

ويتبين من خط الزحف اليونانى كما يرى بعض الخبراء العسكريين أن خطة اليونان تعمل على تطويق القوات الإيطالية إذ توالى زحفها إلى الباسان — وهى منطقة ثائرة تؤيد اليونان وتعادى إيطاليا — ومنها إلى تيرانا فالشاطىء ؛ فإذا تحققت هذه الخطة فلا يبقى للقوات الإيطالية إلا الانسحاب من ألبانيا

صدمة سياسية

وثالثة النتائج هى ضياع هيبة المحور السياسية ، فإن دول البلقان التى كانت تحرص على إجابة طلباته بدأت الآن ترى فى اليونان بارقة أمل فى الاحتفاظ بوحدتها ، وفى وقف هتلر عند حد ، ولاسيما أنها ترى القوات البريطانية والتركية بجوارها ، فبلغاريا التى كانت إلى أمد قريب إحدى نصراء المحور قالت له أخيراً : لا . ويوجوسلافيا التى كانت ترى نفسها منعزلة عن العالم لا يتيسر إنجادها إذا دنت الساعة ترى النصير قريباً منها فى اليونان وألبانيا

وأخطأت السياسة الألمانية خطأً كبيراً بما ارتكبه رجالها فى رومانيا باسم الحرس الحديدى ، فإن جميع الوعود الألمانية لم يكن لها قيمة ، وجميع التضحيات التى بذلتها رومانيا بمشورة هتلر لم تنقذ بلادها من الاحتلال واختلال الأمن ، فقسمت أرضها بين الروسيا وهنغاريا وبلغاريا ، ومع هذا احتل الألمان أرضها ، فهل بعد هذا من داع يوجب الاستسلام؟ وإذا كان اغتيال رؤساء الوزارات هو النتيجة ، فإن الساسة ليفضلون أن تحتل بلادهم قهراً وأن يموتوا فى ميدان القتال على أن تهدر دماؤهم دون ثمن

الأسطول السجين

والنتيجة الرابعة للحرب اليونانية هى تحكم انجلترا فى مدخل البحر الإدرياتيكى باحتلالها لكورفو وللشاطئ اليونانى الشمالى والألبانى الجنوبى . فمنذ احتل الإيطاليون ألبانيا أصبحوا سادة هذا البحر ، وزوال سيادتهم عن ألبانيا أو عن جزئها الجنوبى زوال لهذه السيادة ، ويتيح للأسطول البريطانى السيطرة على القوات البحرية الإيطالية التى اتخذته قاعدة حصينة لها فتمنعها من الخروج إلى البحر الأبيض بل قد يتيسر له مقاتلتها فيه

ونقص القوات البحرية الإيطالية معناه إضعاف مواصلاتها فى ليبيا وتعريض قواتها فيها إلى الهلاك جوعاً

مقتل المحور

والبلقان هو مقتل ألمانيا فليس لها من جهته الخطوط الحصينة التى أعدتها على حدودها الفرنسية ، فمنه يسهل غزوها . وكان البلقان فى بدء الحرب يتكون من دول محايدة لا يبيح العرف الدولى الاعتداء عليها ، وبريطانيا تحرص على هذا العرف ، ولكن سياسة ألمانيا الأخيرة أدت إلى كشف هذا المقتل ، فأصبحت دول البلقان إما محتلة وإما مشتركة مع المحور باستثناء بلغاريا ويوجوسلافيا ولن تتركهما السياسة الألمانية فى أمنهما . فإذا أزال المحور إحداهما زال الحائط المحايد ، وسهل على القوات الديمقراطية الوصول إلى الاشتباك بالقوات الألمانية نفسها حيث تتم المعارك الحاسمة

أما الميدان اليونانى فإن أقصى ما يمكن أن يحدث فيه هو طرد إيطاليا من ألبانيا ، ويبقى بعد ذلك احتلال إيطاليا نفسها وألمانيا أيضاً وهو متعذر الآن فضلاً عن أن القوات البريطانية لم تبدأ بعد فى تنفيذ سياستها الهجومية فما زالت سياستها حتى الآن سياسة استغلال للفرص .

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة

إلى « الملاح التائه »

ما جفاك الإلهامُ يا شاعر الجنـ	ـدول والحبِّ والجمالِ الحبيبِ
كيف يجفو ومارأى مثل قيثا	رك يا صاح لاعباً بالقلوبِ
هبه يجفو ! فأنت وحدك نبعٌ	عبقرى الظلال جَمُّ الطيوبِ
غاب موسى عن قومه فتلقَّى	كَلِمَ الله من وراء الغيوبِ
ولقد غاب مثلَه فتنظرْ	أىَّ فن يأتيك منه عجيبِ
ثم غرِّد به فإنا ظماء	رِيُّنا فى غنائك المحبوبِ
دمت يا شاعر الجمال ودامت	أغنيات المزمار والعندليبِ

(طنطا) ابراهيم محمد نجا

كما يرانا غيرنا

فى الطريق . . .

[من جريدة « الاجبشيان غازيت »
عدد ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٠]

لمصر وسائل متعددة لتعليم الأوربيين الصبر ، ومعظم الذين أقاموا بها خمسة أعوام إما أن يكونوا :

١ – قد تعلموا الصبر

٢ – أو استكشفوا فن (معلهش)

٣ – أو انغمسوا فى حمأة مرذولة

٤ – أو غادروا البلاد وقد تحطمت أعصابهم

ومن أظرف الوسائل التى يستفاد بها الصبر أن تسير فى شوارع القاهرة ، وما من مدينة أصلح منها لذلك ، لأن الأسكندريين مثلاً قد هدام بعض الغريب من حيل الأقدار إلى اعتياد المشى على الطوار فى غير حاجة إلى الإزاحة بالمناكب ، ودفع هذا ومنع ذلك من المارة فى الطريق ، وبغير أن يضطروا المسار إلى الإلقاء بنفسه تحت عجل السيارة أو الترام أو الدراجة أو تحت أرجل الحمير والخيل والجمال الضالة والثيران . ومعظم أهل القاهرة يسيرون كل خمسة منهم معاً فى خطوط متعرجة كالتى يرسم بها الضوء جماعة المصورين على لوحات التصوير ، وكأن الرجل متى خرج للسير فى هذه المدينة الغريبة قد نسى أن له غرضاً معيناً من المسير ، أو كأنه يغضب إذ يعرف أن للغير من هذا السير وجهة معينة

ومن المناظر المألوفة فى القاهرة مسير أبوين مع طفل أو اثنين أو خمسة من ذوى الأحجام المتفاوتة يصحبهم خادمان أو ثلاثة يحملون خمسة رؤوس من الخس وستة أعواد من القصب . فإذا ما رأيت جمعاً كهذا فخير ما تصنع أن تقفز من الطوار حتى لا يمر فوقك هذا الحشد الذى تتألف من مجموعه دبابة آدمية . ومن المناظر المألوفة كذلك أن يمر بك أربعة أو خمسة من النوبيين (السفرجية) بيد كل منهم عصا يلوح بها يميناً ويساراً وارتفاعاً وهبوطاً فإذا ما تخطاك دون أن يصيب رأسك بضربة عصا كان من الطريف أن تبلغ السلطات عن هذا الشذوذ النادر

ومن المألوف كذلك فى شوارع القاهرة أن ترى عشرة من البوابين قد جلسوا على مقاعد مصفوفة على شكل أفقى أو رأسى أو على شكل صليب فى منتصف الرصيف ، وقد حذقوا فن البصاق فى كل اتجاه . ونصيحتنا لكل رجل أو امرأة أو طفل أو طائر إن رأوا منظراً كهذا أن يعودوا إلى منازلهم وأن يؤجلوا المشى فى الطريق إلى يوم آخر

ومن المناظر المألوفة كذلك مشية (العقدة التى لا تنفصم) وهذه المشية تتكون من اثنين من (الأفندية) متوسطى القامة يد كل منهما فى يد الآخر وقد تشابكت أصابعهما وهما يسيران فى خط متعرج ، ولما يعرف العلم أية وسيلة لفك أحدهما من الآخر . إنهما يسيران على مبدأ الدبابة التى تسير فوق أى شىء أو تحت أى شىء أو تخترق أى شىء . إنهما شديدا التماسك حقاً ومنهما تتكون وحدة ميكانيكية وإن تسميا بأى اسم آخر

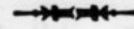
وأخيراً يرى السائر فى شوارع القاهرة امرأة يتراوح وزنها بين المائة كيلو والمائة والعشرين يتبعها أربعة أطفال وخادمان وكلب وزنه ثلاثة كيلو جرام ، والأطفال الأربعة يبكون ، هذا فى طلب كعكة وهذا فى طلب موز والآخر فى طلب عود من القصب أو رأس من الخس أو صفقة من البندق ، والأم فى انشغالها بالبحث عن (فستان) جديد لا تعنى بمطالب صغارها بل تضرب هذا وتصفع ذلك وتلطم الآخر وهم لا يزدادون إلا صراخاً والكلب يجرى من بينهم تحت أرجل المارة ثم يعود

إن رأيت منظراً كهذا فأسرع بالفرار قبل أن تصيبك من الأم لطمة أو صفعة .

ع

من أدب الحرب

أجنحة النمل

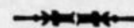


ضربُ المدائنِ ويْكَ ماسببُهْ ؟ عجبَ الحكيم وما انقضى عجَبُهْ
المجد لا يُعطيه من يهبه كلا ، ولا يعطاه مُنْتهِبُهْ
نبتٌ ترعرع فى مواطنه ويعيش حيث يُظِلُّه حَسَبُهْ
فتيانَ روما ليس ينفعكم مجدٌ ترفع عنكمُ نسبه
شركاؤكم رفعوكمُ صَعَدًا ... جاهٌ معارٌ بَعْدَه صببه
(وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه)
ماء « اللوار » يزيدكم سَغَبًا لا شهده لكمْ ولا ضَرَبُهْ
قد شاء « هتلر » أن يداعبكم فأثار ثائر جدكم لعبه
تغدو فرنسا من توابعكم ...؟ هذا المزاح كثيرة شُعبه
لا ، بل يجدُّ بكم ليوقعكم ... أنتم ، وشارد لبكم ، سَلَبُه
ويزيدكم بمزاحه طمعاً عجباً ، أينفق عندكم كذبه
الشام واليونان ملككمُ والنيل أيضاً بعض ما يهبه ؟ !
جود ولا كالجود ... ما سببه لا خوفه منكم ولا رهبه !
وعجزتمُ عن نصر أنفسكم أيكون فى أمثالكم رغبه
عودوا بخيلكمُ ورجلكمُ كم طامع قد ساء منقلبه
أو فاستمروا إن حلت لكمُ كثبان(بقبق) أو حلت هُضُبه
فى مصر متسع لمقبرة للبغى إن لم ينجه هربه

عبد اللطيف النشار

من صلواتى :

هنا محرابها ... !



هُنَا مِحْرَابُهَا ! ... فَاخْشَعْ مَعِي لِلْحُسْنِ يَا قَلْبِي !
وَبَارِكْ مِيرَ أَلْحَانِي فَهَذَا مَعْبَدُ الْحُبِّ
هُنَا وَكْرُ الْهَوَى ! ... كَمْ فِيهِ هَدْهَدْنَا أَمَانِينَا !
وَكَمْ فِى ظِلِّهِ يَا قَلْبُ رَدَّدْنَا أَغَانِينَا
فَيَا ذَاتِي ! ... تَعَالَيْ قَبْلَمَا يَقْفِى مَعِي نَحْبِي
تَعَالَيْ ! ... حُبُّنَا يَا مَهْدَ أَشْوَاقِ يُنَادِينَا !



سَكَبْتُ الرُّوحَ قُرْبَانًا عَلَى مِحْرَابِكِ الظَّامِي !
وَصُغْتُ الْحُبَّ أَنْغَامًا عَسَى تُرْضِيكِ أَنْغَامِي
فَيَا دُنْيَا تَسَابِيحِي فُؤَادِي مِنْكِ مَسْحُورُ
أَنَا الشَّادِي ... تَغَنَّتْ فِى لَهَاتِي بِالْهَوَى الْحُورُ !
فَعِيشِي فِى حِمَى حُبِّي تَرِفُّ عَلَيْكِ أَحْلَامِي
وَيَرْعَاكِ الْهَوَى وَالطُّهْرُ وَالإِيمَانُ وَالنُّورُ !



أَنَا الصَّادِي ! ... وَكَمْ رَفَّتْ أَغَارِيدِي عَلَى ثَغْرِكْ !
وَكَمْ يَا فِتْنَتِي أَغْفَتْ مُنَى نَفْسِي عَلَى صَدْرِكْ !
وَكَمْ ضَمَّ الدُّجَى الصَّابِي عَلَى شَوْقٍ خَيَالَيْنَا
وَطَافَ السِّحْرُ يَا نَبْعَ الْهَوَى الشَّافِي حَوَالَيْنَا
فَيَا دُنْيَايَ ! ... مَاذَا لَوْ غَمَرْتِ الرُّوحَ فِي نَهْرِكْ
وَقُلْتِ لَهَا : مَعِي عِيشِي ! وَقَرِّي بِالْهَوَى عَيْنَا !



تَعَالَيْ يَا هُدَى رُوحِي ! وَعِيشِي لِلْخُلُودِ مَعِي ... !
تَعَالَيْ ! ... قَدْ مَضَى أَمَلِي لِيَحْيَا فِي دَمِي جَزَعِي ..
وَمَا يُرْضِيكِ أَنْ تَمْضِي حَيَاتِي فِي الْيَبَابِ سُدَى !
فَهَيَّا نَسْكُبِ الأَشْوَاقَ فِي ثَغْرِ الزَّمَانِ هُدَى
وَنَسْقِ الْكَوْنَ بِالأَلْحَانِ حَتَّى لَا يَكَادَ يَعِي !
وَنَشْرَبْ مِنْ عُبَابِ النُّورِ ، قَدْ كِدْنَا نَمُوتُ صَدَى !

القاهرة — محمود السيد شعبان

وحي السويس

لهفات!

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى رَبِيعِي النَّضِيرِ   أَيْنَ يَمضِي مُطَرَّزًا بِزُهُورِي
وَشَبَابِي كَالْفَجْرِ غَرَّدَ فِيهِ   كُلُّ طَيْرٍ مُسْتَيْقِظٍ فِي ضَمِيرِي
وَأَنَا شَاعِرٌ أُصَلِّي لِفَنِّي   وَفَتَاتِي فِي مَعْبَدِ التَّفْكِيرِ
الْغُيُومُ الْبَيْضَاءُ يَرْكُضْنَ رَكْضًا   فِي أَصِيلٍ مُلَوَّنٍ مَسْحُورِ
قُدْرَةُ اللهِ صَوَّرَتْهُ فَجَاشَتْ   فِي تَهَاوِيلِهِ فُنُونُ الدُّهُورِ
إِنَّ هَذَا الْأَصِيلَ، وَالْأُفُقَ الْحَا   لِمَ، وَالشَّمْسَ فِي ازْرِقَاقِ الْأَثِيرِ
كَالْبَسَاتِينِ فِي الْفَضَاءِ أَفَادَتْ   عُمُرَ الْوَرْدِ وَانْطِفَاءَ الْعَبِيرِ
غَيْرَ أَنِّي قَدَّسْتُ أَلْوَانَهَا فِي   وَجْهِكِ الْمُشْرِقِ الْبَهِيِّ النَّضِيرِ
فَلَأَنْتِ الْأَصِيلُ وَاللَّيْلُ وَالصُّبْحُ   وَكَوْنٌ مِنَ الرُّؤَى وَالْعُطُورِ
عَالَمٌ أَنْتِ . . . عَالَمٌ مُسْتَقِلٌّ   يَسَعُ الْخَلْقَ فِي خَيَالِي الْكَبِيرِ
مَا انْتِشَائِي بِحُسْنِ هَذِي الْمَجَالِي   وَهُوَ بَعْضٌ مِنْ حُسْنِكِ الْمَفْطُورِ
وَابْتِعَادُ الْمَزَارِ يَقْدَحُ فِي صَدْ   رِي لَهِيبًا مِنَ الْأَسَى الْمَسْعُورِ
آهِ لَوْ كُنْتِ يَا شَقِيقَةَ رُوحِي   تَحْتَ جَنْحِي لَا صُورَةً فِي ضَمِيرِي
نَتَنَاغَى تَحْتَ الْجِبَالِ وَنَشْدُو   كَالْعَصَافِيرِ بَيْنَ أَيْكٍ شَجِيرِ
لِلْغُرُوبِ الذَّهِيبِ، لِلْبَحْرِ، لِلْأَمْـ   وَاجِ، لِلْحُبِّ، لِلشَّبَابِ الْغَرِيرِ
لِلرِّمَالِ الصَّفْرَاءِ لِلْجَبَلِ الشَّا   مِخِ لِلْعُشْبِ لِلدُّجَى الْمَنْشُورِ
آهِ لَوْ كُنْتِ يَا شَقِيقَةَ رُوحِي   تَحْتَ جَنْحِي لَا صُورَةً فِي ضَمِيرِي
مَالَتِ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ وَأَلْقَتْ   جِسْمَهَا الدَّامِيَ فِي الْقَنَالِ السَّحِيرِ
وَاكْتَسَى الطَّوْدُ حُلَّةً مِنْ طُيُوفٍ   غَازَلَتْهَا يَدُ الظَّلَامِ الْمُغِيرِ
وَسَرَى فِي الْأَجْوَاءِ رُوحٌ جَلِيلٌ   شَاعِرِيٌّ مِنْ رَهْبَةِ الدَّيْجُورِ
وَزَفِيفُ الْمَسَاءِ يُمْعِنُ فِي السَّطْـ   وِ عَلَى النُّورِ أَوْ بَقَايَا النُّورِ
وَالْمِينَا يَبْعُ نَجْمَهَا اللَّيْلُ سُودًا   فِي بِطَاحِ السَّمَاءِ نَجَّ الْغَدِيرِ
وَأَوَاذِي الظَّلَامِ مُرْتَطِمَاتٌ   فِي خِضَمٍّ مِنَ الدُّجَى مَسْجُورِ
خَطَرَتْ فِيهِ سُفْنُ أَيُوسَ شَتَّى   بَعْدَ مَا صَاغَهَا مِنَ الْبِلَّوْرِ (١)
وَالسُّكُونُ الْعَمِيقُ يَبْعَثُ فِي نَفْـ   ـسِي حَنِينًا إِلَى الْبُكَاءِ الْمَرِيرِ
وَأَطَلَّ الْهِلَالُ يَغْسِلُ بِالضَّوْ   ءِ جِبَاهَ الْآفَاقِ حُلْوَ الْفُتُورِ
وَتَدَلَّتْ ضَفَائِرُ الشَّجَرِ الْبَا   سِقِ فِي الْفَجْرِ رَاقِصَاتِ الشُّعُورِ
دَاعَبَتْهَا الْأَنْسَامُ فِي هَدْأَةِ اللَّيْـ   ـلِ فَهَزَّتْهَا سَكْرَةُ الْمَخْمُورِ
وَانْبَرَى خَافِقِي يُنَادِي نِدَاءً   عَالِيًا فِي عُمْقِي قَوِيَّ الْهَدِيرِ
آهِ لَوْ كُنْتِ يَا شَقِيقَةَ رُوحِي   تَحْتَ جَنْحِي لَا صُورَةً فِي ضَمِيرِي
أَنَا يَا أُخْتُ قَدْ تَعَشَّقْتُ أُمًّا   فِيكِ تَرْعَانِي كَالْوَلِيدِ الصَّغِيرِ
وَتَمَنَّيْتُ لَوْ عَلَى صَدْرِكِ النَّا   هِدِ أَغْفُو إِلَى صَبَاحِ النُّشُورِ
لَا أُبَالِي بِضَجَّةِ الْكَوْنِ حَوْلِي   لَا وَلَا أُصْغِي لِاصْطِخَابِ الْعُصُورِ
فَارْفَعِينِي إِلَى سَمَائِكِ . . . إِنِّي   فِي حَضِيضٍ مِنَ الْخَنَا وَالْفُجُورِ
وَاسْمَعِينِي فَإِنَّنِي سَأُغَنِّي   لَكِ لَحْنًا مِنْ أَدْمُعِي وَزَفِيرِي
آهِ لَوْ كُنْتِ يَا شَقِيقَةَ رُوحِي   تَحْتَ جَنْحِي لَا صُورَةً فِي ضَمِيرِي

عبد الرحمن الخميسي

(١) أيوس : هو رب النور

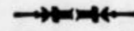


من أمراء العلم

ماكسويل

J. C. MAXWELL

للأستاذ قدرى حافظ طوقان



أليس عجيباً أن يستنبط العالم بعض النظريات عن طريق الأرقام والمعادلات الرياضية ؟ أليس مدهشاً أن تتنبأ المعادلات عن بعض الأجرام السماوية قبل أن يراها الفلكيون بالرصد ؟

لقد رأى فاراداى ببصيرته النافذة أن هناك صلة بين الضوء والاهتزازات الكهربائية المغناطيسية فى الأثير ، ولكنه لم يثبت ذلك عملياً . وجاء ماكسويل Maxwell وأتى بالعجب العجاب ، إذ لجأ إلى الرياضيات فى حل هذه المعضلة : هل هناك صلة بين الضوء والاهتزازات الكهربائية المغناطيسية ؟

وكانت محاولة ، ولكنها موفقة ، وانتصار عظيم للعلوم الطبيعية والرياضية . فلقد ابتدع معادلات أثبت بها أن فى الفضاء اضطرابات كهربائية مغناطيسية تتصف بصفات الضوء ، أى أن الاضطرابات الناشئة من شرارة كهربائية تبدو فى مظهر أمواج فى الأثير لا نراها، ولكنها كالأمواج التى تحدث الضوء والحرارة، وتسير جميعها بسرعة الضوء وقدرها ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية ! فهو بذلك قد وضع أساس الفنون اللاسلكية التى نراها متغلغلة فى العمران ومنتشرة فى كل مكان

كانت معادلات ماكسويل من أعظم الأعمال العلمية التى قام بها عالم ، فقد رفعته إلى مصاف العلماء العالميين الذين أدوا للحضارة أجل الخدمات التى قامت عليها الاختراعات العديدة والاكتشافات المختلفة التى تفرعت عن بحوث اللاسلكى

رأى بعض العلماء أن هناك اضطراباً فى فلك أورانوس ، وقالوا بوجود قوة تقصيه عن الطريق التى تحددها الحسابات والأرصاد ، وأن هذه القوة ليست إلا نتيجة لجذب كوكب غير معروف . وقام الفلكيان (ادمس) الإنكليزى و (الفريه) الفرنسى حوالى منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، بالبحث فى هذه المسألة فاستطاعا بقوانين الجاذبية والمعادلات الرياضية وحساباتها المعقدة أن يعينا مكان السيار المجهول وأن يحددا موقعه والطريق التى يسير عليها حول الشمس . وقد وجه الفلكيون فيما بعد مراقبهم إلى مكان السيار الجديد (نبتون) فوجدوه فى الموضع الذى تنبأت عنه رياضيات ادمس والفريه

وكذلك تنبأ العلماء عن طريق المعادلات والأرقام عن موقع سيار تاسع جديد أطلقوا عليه إسم (بلوتو Pluto)

كانت هذه الحوادث واكتشاف الأمواج اللاسلكية من أجل الأعمال التى أقامت الدليل على صحة القوانين الطبيعية والمعادلات الرياضية ، وهى من العوامل التى زادت ثقة العلماء بأنفسهم وبمقدرتهم على اكتناه أسرار الكون وروائع الوجود ، كما كانت أيضاً من العوامل التى دفعت بالعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية خطوات واسعة إلى التقدم والابتكار

انحدر ماكسويل من عائلة عريقة فى سكوتلاندة ، وولد فى ادنبرغ عام ١٨٣١ وتعلم فى جامعتها وفى جامعة كمبردج ونال الجوائز التى لا تمنح إلا للمتفوقين . شغل مركز أستاذ فى الفلسفة فى Marischal College مدة أربع سنوات ، وكذلك أستاذ فى الطبيعة والفلك فى كلية الملك التابعة لجامعة لندن مدة ثمانى سنوات (١٨٦٠ ـ ١٨٦٨) ثم اعتزل التعليم. وفى سنة (١٨٧١) تعين أستاذاً للعلوم الطبيعية التجريبية فى جامعة كمبردج ، وتحت رعايته نشأ معمل كافندش Cavendish Lab. الشهير بنتائج بحوثه وروائع تجاربه . وتوفى فى كمبردج عام (١٨٧٩) أى أنه مات وعمره (٤٦) سنة . وعلى الرغم من هذا العمر القصير، فقد وصل إلى أعلى المراكز العلمية التى يطمح إليها رجال العلم ، وكان له مقام خطير بين علماء الفلسفة الطبيعية

لقد تفتحت مداركه ومواهبه حينما كان فى الخامسة عشرة من العمر فنشر رسائل علمية قيمة منها رسالة تبحث فى طريقة ميكانيكية لرسم الأشكال الديكارتية البيضوية ، وقد قرأها عنه

الأستاذ فوربس Forbes في جمعية أدنبرغ الملكية

وفي سن الثانية والعشرين نشر في مجلة هذه الجمعية رسالتين نفيستين تبحث إحداهما في توازن الأجسام المرنة ، ويعترف العلماء بأن هذا البحث هو من الموضوعات الهامة التي تناولها ماكسويل ، وكان الأساس الذي بنى عليه ابتكاراته فيما بعد .

واعترف معاصروه بفضله وعبقريته فنحوه جائزة أدمس Adams من كبردج وذلك على أثر نشر رسالة مبتكرة في حلقات زحل ، فقد بين فيها أنها ليست مناطق جامدة أو سائلة وأنها مؤلفة من نيزكان . وكذلك منح جائزة رومفرد Rumford من الجمعية الملكية لبحوثه وتجاربه في اللون والألوان الأساسية في الطبيعة . وعني بنظرية الغازات وحركاتها ، وكانت من أهم البحوث التي طرقها ، وظهر فيها كعالم جمع بين التجربة والرياضة فقد قدم سنة (١٨٦٠) إلى مجمع تقدم العلوم البريطاني موضوعاً يتعلق بنظرية (برنوي) القائلة بأن الغازات مؤلفة من دقائق عديدة متحركة في حالة تصادم شديد ، فأثبت في هذا الموضوع أن السنتمتر المكعب من الهواء (على درجة عادية) يحدث فيه (٨٠٠٠) مليون اصطدام بين دقائقه . وكذلك كشف قانون توزيع السرعات في ذرات الغازات ويعرف هذا القانون بقانون (ماكسويل)

وألف كتاباً نفيساً في نظرية الحرارة ورسالة قيمة في المادة والحركة واشتهر بتبسيطه بعض البحوث الطبيعية ، تشهد بذلك محاضراته التي كان يلقيها أحياناً في مجمع تقدم العلوم البريطاني في (الجزئيات) و (المادة والحركة) و (التلفون) وبحوث أخرى في الغازات ولزوجتها

درس الرياضيات وجال فيها وغاص في أرقامها ومعادلاتها فرسخت قدمه فيها رسوخاً مكنه من تسخيرها لميادين الطبيعة ، وفي ذلك كشف أعظم مكتشفاته ، وبلغ درجة جعلته من المقدمين في تاريخ تقدم الاختراع والاكتشاف . لقد فسر (ماكسويل) بحوث فاراداي في خطوط القوة lines of forc رياضياً ، وكان من ذلك أن مكّن العلماء فيما بعد من توسيع نطاق هذه البحوث وتطبيقها في ميادين الاختراع

رأى في انتظام برادة الحديد خطوطاً في أشكال معينة عند نشرها على ورقة تحتها مغناطيس ، دليلاً على وجود قوة مغناطيسية وأن خطوط هذه القوة هي شيء حقيقي أكثر من مجرد تفاعل بين قوتين ، ويقول : « ... ولا يسعنا إلا الظن بأنه حيث توجد هذه الخطوط لا بد من وجود حالة طبيعية أو فعل طبيعي على جانب كاف من الطاقة لإحداث ظاهرة انتظام برادة الحديد ... »

وفوق ذلك فرض ماكسويل أن للتيارات الكهربائية وجوداً مستقلاً في الفضاء والمواد المعزولة ، وقد أسند إلى هذه التيارات الخواص التي تسند إلى التيارات الكهربائية التي تجري في دورات كهربائية مقفلة ، وعلى ذلك فمن شأن هذه التيارات إحداث حقل مغناطيسي وتيارات بالتأثير بالإضافة إلى حقلها الكهربائي ... وضع هذه الفروض أساساً وسخر الأساليب الرياضية ، فإذا هو يستنتج وجود الأمواج الكهرطيسية وخرج بالقول إنه « ... إذا تغيرت قوة (الحقل الكهربائي) تغيراً دورياً في السمة والاتجاه كان لا بد من حدوث موجة كهربائية ... » وأوضح أنه إذا طبق هذا الأسلوب على الحقل المغناطيسي أمكن إحداث أمواج مغناطيسية ، وقال : « إن الموجة الكهربائية يصحبها موجة مغناطيسية ، والمغناطيسية يصحبها موجة كهربائية وأن الواحدة لا تحدث إلا والثانية منها ، وأثبت أن قوة الحقل الكهربائي عمودية على قوة الحقل المغناطيسي ، وأن كلا منهما عمودي على اتجاه التيار ... » وظهر له أيضاً أن هذه الأمواج مستعرضة تشبه أمواج الضوء وأنها تسير بسرعة الضوء

ولا يخفى أن هذا الاستنتاج ذو أهمية عظمى وكان له شأن كبير في تقدم اللاسلكي ، وقد حمله على القول بأن الضوء قد يكون نوعاً من أنواع الطاقة الكهرطيسية [1] لولا بحوث ماكسويل ومعادلاته لما تقدمت المخاطبات اللاسلكية تقدمها الحاضر ، ولما كان في إمكان العلماء أن يملأوا الجواء بعجيج الأمواج اللاسلكية وقد حملت على أجنحتها الأنباء والأخبار والصور

إن ماكسويل من الذين وضعوا الأسس التي يقوم عليها الاختراع في هذا العصر ، ومن الذين أنعم الله عليهم بقوى خارقة عملت على ترقية الفكر العلمي وكشفت عن أسرار الطبيعة وغرائبها وأخضعت قواها لمطالب الإنسان ، فهو من مفاخر

---

(١) رجعنا في هذا المقال إلى المصادر الآتية : دائرة المعارف البريطانية ، كتاب أعلام المقتطف ، كتاب أساطين العلم الحديث لصروف ، كتاب تاريخ الفيزياء لنظيف ، وكتاب كبار رجال العلم لويلسون ، وكتاب تاريخ الرياضيات لسمث ، وتاريخ الرياضيات لكاجوري وغيرها .



حول مسابقة الجامعة المصرية

١ — كنت دعوت طلبة السنة التوجيهية إلى الإجابة عن طوائف من الأسئلة وأنا أوجههم إلى درس كتاب «وحي الرسالة» فأجاب الأديب فوزى مختار منصور الطالب بالمدرسة الخديوية إجابة تدل على فهم وذوق ، وإن كان انحرف قليلاً عما رميت إليه من النص على الغلطتين المطبعيتين

وأنص على الغلطة الأولى فأقول : جاء فى كلام الزيات « كان جمال المرأة (داعى) الرغبة خافض الجناح » ؛ والغلطة فى « داعى » وصوابها « وادع » كما يشهد السّياق . وقد يقول الزيات إنها من القلب المكانى ، فما هو القلب المكانى يا تلاميذ السنة التوجيهية ؟

أما الغلطة الثانية ، ففيها شبهة نحوية ، فما تلك الشبهة يا صديقنا العزيز بمدرسة الخديو إسماعيل ؟

٢ — كنت وجهت إلى الطلبة سؤالاً وأنا أدرس كتاب حافظ عفيفى باشا عن « الإنجليز فى بلادهم » ، والسؤال خاص بالفيلسوف الفرنسى صاحب العقد الاجتماعى ، وقد ظهر أن حافظ عفيفى أخطأ حين قرر أن كتاب روسو شغل عند ظهوره مفكرَين انجليزيين هما هوبس ولوك . أما وجه الخطأ ، فيرجع إلى أن روسُّو لم يكن مفكراً معروفاً إلا بعد ظهور هوبس ولوك بعشرات السنين ، فمن المستحيل عقلاً أن يكون كتابه أثّـر فى هذين المفكرين

وإلى الأستاذ شفيق غربال أقدم واجب الثناء

٣ — قال قومٌ : إنى بهذه الدراسات عطلت الغرض المقصود من مسابقة الجامعة المصرية ، وأجيب بأن هذا المذهب فى توجيه الطلبة مألوف فى الجامعات ، ولا سيما جامعة باريس ، وقد أديت امتحاناً من هذا الطراز فى أروقة السوربون ، فلم أر توجيه الأساتذة ينفع غير الطلبة النجباء

٤ — وقال آخرون : إنى غيرت مذهبى فى النقد الصريح ، وأجيب بأن المقام لا يسمح بغير ما صنعت ، لأنى وقفت موقف المدرس ، وقديما قيل : لـكل مقامٍ مقال

وأنا مع ذلك قلت كل شىء بأسلوب ينفع الطلبة ولا يؤذى المؤلفين

٥ — واعترض أحد الباحثين بأنى لم أشر إلى الناشرين ، وهو اعتراض وجيه ، وأقرر أن ناشر كتاب « فيض الخاطر » هو لجنة الترجمة والتأليف والنشر ، وناشر « وحى الرسالة » هو إدارة مجلة « الرسالة » ، وناشر « الإنجليز فى بلادهم » هو مكتبة النهضة المصرية ، وناشر كتاب « التاريخ المصرى » هو صاحب « البلاغ » ، وناشر « المنتخبات » هو مكتبة الأنجلو المصرية .

وفى الأبحاث الآتية سأنص على أسماء الناشرين ، بدون منٍّ عليهم ، لأنهم أصدق أعوان المؤلفين ، والله الموفق

زكى مبارك

سكان المريخ فى الشعر العربى القديم

لم يكتف الشاعر أبو العتاهية بالنص على أن فى المريخ سكاناً بل هو يصف سكان هذا الكوكب باصفرار الشعر واحمرار الوجوه وزرقة العيون

قال فى وصف والبة الشاعر :

وكأن وجهـك حُمْرةً رئةٌ ... وكأن رأسك طائر أصفر

فعرفنا من ذلك أنه أحمر الوجه أصفر الشعر

وفى قصيدة أخرى يقول فى وصف والبة :

أراك ولدت بالمـريخ ... يا ابن سبائك الذهب

لجئت أقيشر الخدين ... أزرق عادم الذنب

ولقد نقر أبا العتاهية على أن هذه المجموعة من الألوان تصف أهل المريخ لأنها صفات الجنس النوردى وهم فيما يقول الألمان

الإنسانية ومن كبار العلماء المقدمين الذين تركوا آثاراً خالدة ومآثر جليلة فى ميادين العلوم الطبيعية والرياضية . إن ماكسويل وأضرابه من المستنبطين من أغلى الممتلكات التى تملكها الأمة ويقول هوفر : « ... إن كل مبلغ من المال مهما يعظم ضئيل إزاء عمل هؤلاء الرجال الذين يملـكون قوة الإبداع والتفانى والمثابرة على ترقية الفكر العلمى خطوة خطوة حتى يصلوا به إلى البيوت فينشروا فيها أسباب الصحة والراحة والرفاهة . إننا لا نستطيع أن نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل أرباح البنوك فى جميع أنحاء المعمورة »(١)

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

(١) راجع كتاب فتوحات العلم الحديث لصروف ص ٦

أرق البشر ، وسكان المريخ مفروض فيهم أنهم أرق من سكان الأرض .

ولكن بقيت مسألة أخرى هي عرامة الذنب . فإن صح أن سكان المريخ من ذوى الأذناب العارمة كما يقول أبو العتاهية فإن الجنس الذى يحارب الألمان من أجل سيادته من ذوى الأذناب العارمة كذلك ... أم ليس ذلك كذلك ؟

النشار

حكايات من الهند

لصديقنا الأستاذ عبده حسن الزيات ملكة أصيلة فى القانون وقريحة بصيرة فى الأدب ؛ تجلت هذه وتلك فيما بحث من مسائل الفقه والاجتماع ، وفيما ترجم من عيون الروايات والقصص . واختياره لما يترجم كاختياره لما يكتب موسوم بطابع الجد والجمال والفائدة . وآخر ما أخرجه إلى قراء العربية « حكايات من الهند » وهى أمثال حكمية كتبها بالإنجليزية الكاتب الهندى « إيار » وأودعها الخلاصة الخالصة لفلسفة الهند وتصوفها وآدابها وأخلاقها وعاداتها ؛ ثم جلاها فى معرض أخاذ من البلاغة العالية والفن المحكم ، فجاءت « بعيدة المغزى على قرب منالها ، عميقة القاع على هدوء سطحها ، قوية الإيحاء على بساطة مظهرها » . ثم ترجمها الأستاذ « عبده الزيات » ترجمة أمينة رصينة جلتها على الوضع الأصيل من سلاسة الأسلوب وسلامة الإيجاز ودقة الأداء . وترجمة هذا النحو من الأمثال القصيرة أشق على المترجم وأدل على براعته ، لأنها لقصرها تكره الفضول ، ولإيجازها تخشى الغموض ، ولبساطتها تنكر التكلف . فإذا لم يتح الله لها قلماً كقلم الأستاذ الزيات رصيناً بطبعه بليغاً بفنه ، ذهب الجمال المستسر فيها ، وبعدت الغاية المقصودة منها . والكتاب بعد ذلك أنيق الوضع والطبع ؛ فنشكر للأستاذ الزيات هذا الجهد النافع . وننصح لقرائنا ألا يفوتهم الأنس بهذه الأقاصيص ، فإن فى معاريضها متعة وفى مغازيها عبرة

وفاة الأستاذ محمد مسعود بك

فى يوم الإثنين الماضى استأثر الله بالأديب البارع والعالم المحقق والمترجم الصادق الأستاذ محمد مسعود بك عن ٦٩ عاماً أنفقها فى رياضة القلم وخدمة الثقافة وتصحيح المعرفة . ففى شبابه حرر (المؤيد) ثم أصدر (المنبر) ؛ وفى كهولته ولى إدارة المطبوعات فوجه الصحافة والنشر التوجيه الصالح فى الطريق البالغ . وفى شيخوخته عكف على البحوث التاريخية والجغرافية واللغوية ، فنشر منها فى الصحف الطريف الممتع . وكان فى غضون عمره المبارك لا يفتر عن التأليف والتحرير والترجمة حتى ترك للمكتبة العربية ثروة قيمة لا ينقصها إلا الجمع والترتيب والنشر . رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض اللغة والأدب منه خير العوض

موسى عليه السلام

نقل الأستاذ « شيبوب » عن العلامة « فرويد » أن موسى كان مصرياً لا عبرياً ، وأيد رأيه بأن كلمة « موسى » مصرية بمعنى عبد ، وفى العدد ٣٨٧ من الرسالة سأل الأستاذ عبد المتعال الصعيدى عن موسى عليه السلام أمصرى هو أم عبرى ، وذكر ما قرأه فى بعض الكتب القديمة من أن كلمة « موسى » سريانية مركبة من كلمتين « مو — شا » و « مو » بمعنى ماء ، و « شا » بمعنى شجر ، فهى بمعنى ماء وشجر ، لأنه وجد بين ماء وشجر

وأنكر الأستاذ محمد صابر أن كلمة « موسى » مصرية وأنها بمعنى عبد ، ولكنه لم يذكر رأيه فى أصلها

والحقيقة أن كلمة « موسى » هى اسم مفعول من الفعل « مَشَاه » بمعنى انتشل بالعبرية ؛ والتوراة تنص على ذلك ، ففى سفر الخروج — الإصحاح الثانى ص ٨٩ (١٠) « ودعت اسمه موسى وقالت : إنى انتشلته من الماء » « فتقراء شموموشى فتومركى من هاميم مشيتيهو » فموشى بمعنى المنتَشل فى العبرية

وأما أصله فعبرى أيضاً يدل على ذلك ما جاء فى العهد القديم فى سفر الخروج — الإصحاح الثانى (٦) « ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبى يبكى ، فرقت له وقالت : هذا من أولاد العبرانيين »

وفى القرآن الكريم « ... فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه » . وفى سفر الخروج نجد (١١) « فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته »

كل هذا يقطع بأن « موسى » عليه السلام عبرى أصلاً واسماً .

محمود السيد أبو السعود

مجلة الحديث تصدر عدداً خاصاً عن الدكتور أدهم

من شهرين ونصف تقريباً أعلن الأستاذ إبراهيم أدهم شقيق الدكتور إسماعيل أدهم بمجلة الرسالة عن صدور عدد خاص بالفقيد من مجلة الحديث وفاء منها لأحد كبار كتابها الذين خدموا الأدب العربي الحديث بتلقيحه بثمار الفكر الأوربي ونتاج البحث الاستشراقي. وقد دعاني الأستاذ إبراهيم للاشتراك في تحرير هذا العدد كما دعا هو والأستاذ سامي الكيالي – صاحب (الحديث) – الكثيرين من كبار الأدباء والمفكرين في الشرق العربي للمساهمة في ذلك العمل النبيل . وكان المنتظر أن يكون أول المجيبين لتلك الدعوة الأدباء الذين قدّم لهم الفقيد الخدمات الأدبية الخالدة . وهل ينتظر فناننا المصري توفيق الحكيم من يكتب عنه أمثال تلك الدراسة التي كتبها عنه الدكتور أدهم وصدر بها عدد خاص من مجلة الحديث ، تلك الدراسة التي لم تخدمه فقط بل خدمت القصة المصرية جماء لعرض تاريخ كتابها كمقدمة للكتابة عن الفنان الحائر توفيق الحكيم . ولا يسعني أيضاً إلا أن أعجب من موقف الدكتور طه حسين الذي لم تلفته وفاة الدكتور أدهم لكتابة كلمة وفاء لذكراه التي إن لم تكن خالدة بالنسبة لما قدمه لأدبنا فهي خالدة لما قدمه من دراسة وافية عن الدكتور[1] . وليسمح لي الأستاذ الكبير الزيات بأن أعرض عرضاً سريعاً لمواد ذلك العدد من الحديث . ومجلة الحديث قبل كل شيء مجلة تخدم الفكر الحر وتعمل في نهضة أدبنا الحديث بجد وإخلاص ، إلا أن ظروف الحرب قد اضطرتها كما اضطرت غيرها من زميلاتها في الشرق العربي إلى أن تنقص من كمّها بدون أن يؤثر ذلك على كيفها . وقد ظهر ذلك في العدد الخاص بالدكتور أدهم لمن يعرف الحديث قبل ذلك ، وزين العدد بصورة للفقيد وقت تخرجه من جامعة موسكو ، كما صدر العدد بكلمات قصيرة لبعض كتاب العربية من أمثال المرحوم الرافعي والأستاذ الزيات والأستاذ سلامة موسى والدكتور أبي شادي. وتأتي بعد ذلك كلمة وافية لمحرر المجلة الأستاذ سامي الكيالي تتبع فيها الفقيد في جميع أدوار حياته كما كتب الأستاذ صديق شيبوب عن ذكرياته مع الدكتور أدهم . وأودع صديق الفقيد الشاعر حسن كامل الصيرفي عصارة قلبه المكلوم قصيدة من أروع شعره الرمزي الطليق الخيال. وقد تناول الأستاذ محمد عبد الغني حسن أسلوب أدهم بالتتبع والنقد. وثم كلمة أخرى للأستاذ السحرتي المحامي. وعداها لا توجد كلمات أخرى لكاتب مصري غير كلمتي عن (أثر الرياضيات في حياة أدهم الفكرية والعملية) لا العلمية كما وقع خطأ في المجلة . وما كنا ننتظر ذلك من أدباء مصر ولا كانت تنتظره مجلة الحديث فقد كاتبني الأستاذ سامي الكيالي متأسفاً (لتقاعسهم) عن أداء الواجب عليهم

وقد ختم العدد بمقال لشقيق الفقيد تحت عنوان (مع أخي في فترات حياته)

وغير هذه المقالات التي نشرت مقالات أخرى ضاق العدد عن نشرها فاضطر المحرر لتأخيرها إلى الأعداد التالية من الحديث

(دمنهور) عبد الحفيظ نصار

(١) كتبنا هذا لتلك الدراسة التي صدر بها عدد خاص من مجلة الحديث بالعدد (١٨) و (١٩) من مجلة الامام عام ٣٩ م التي كانت تصدر من الأسكندرية تحت عنوان (نظرات في دراسة الدكتور أدهم من الدكتور طه حسين)



«سانياسى» أو الزاهد

مسرحية رمزية رائعة لشاعر الهند طاغور

ترجمة الأستاذ فخرى شهاب السعيدى

— ١ —

(« سانياسى » خارج الكهف)

— إنى لا أميز بين الشُّهر والليالى ، ولا أعرف فارقاً بين الأشهر والسنين ، لأن تيار الزمن الذى يتراقص العالم على متن أمواجه تراقص المُصَافة والمساليج ساكنٌ لدى . إنى فى هذا الكهف المظلم وحيدٌ ، مغمورٌ فى نفسى ؛ والليل الأبدىّ ساجٍ كبحيرة فى جبل خائفة من عمق ذاتها ؛ والماء يرشح ويَنْقُطُ من الشقوق ، والضفادع القديمة سابحة فى البُرَكِ . فأجلس مترنماً بترانيم العَدم ؛ وحدود الكون تتناءى خطاً إثر خط . أما النجوم فإنها تنطقئ انطفاء الشرر المتطاير من سندان الزمن ؛ وأما سرورى فهو سرورُ الإله « شيفا » الذى يستيقظ بعد دهور يقضّيها فى حلمه فيجد نفسه وحيداً فى قلب الفناء الذى لا حدَّ له . إنى حرٌّ طليق . إنى أنا هو الأحد الصمد العظيم . إنى إذ كنتُ عبدكِ يا أيتها الطبيعة : سَلَّطْتِ قلبى على ذاته ، وجعلتِهِ يثير حرب الانتحار الشعواء فى عالمه . وقد أثارتْ فىَّ سَوْرَة الغضب تلك الشهوات التى لا غاية لها غير نهش ذاتها والتهام كل ما يقترب من أفواهها ، فركضْتُ ركضَ المجانين فى مطاردة ظلى . لقد سقتِنِى بأسواط ملذاتكِ الخاطفةِ إلى خلاء الشبع ، ومشاعر الجوع ، وقادتنى دوماً مغرياتُكِ إلى القحط الذى لا انتهاء له حيث انقلب الطعام إلى تراب واستحال الشراب إلى بخار !

وإلى الوقت الذى كان فيه عالمى مُبقعاً بالدموع والرماد أقسمتُ بالانتقام منك يا أيتها السيدة التى لا حَدَّ لمظهرها وتنكّرها . لقد لذتُ بالظلام ، معقل اللامتناهى ، وكافحتُ النور الخادع يوماً فيوماً إلى أن فقد جميع سلاحه وارتمى منخذلاً عند قدمى . والآن ، وأنا منعتق من رق الخوف والشهوات ؛ الآن ، وقد زال الغمام وانبعث من عاتقى نور الطهارة والذكاء . فلأخرج إلى عالم الأكاذيب ولأجلس على قلبه غير ملموس وبلا حراك

— ٢ —

(« سانياسى » على الطريق)

— ما أصغر هذه الأرض وما أضيقها ، وما أشد هذه الآفاق ثباتاً فى تطويقها ! إن مرأى الشجر والدور وجميع الأشياء ليضغط على عينى ضغطاً . والنور ! إنه مثل قفص فى حبسه ظلام الأبدية عن الدخول . والساعات ! إنها لتصرخ وتتواثب داخل حواجزها كأنها الطيور إذ تُحبس . ولكن ما لهؤلاء الرجال الصاخبين ينطلقون راكضين ولأى مقصد يسعون ؟ لكأنهم خائفون من أن يضيعوا شيئاً لا تستطيع أيديهم بلوغه !

[تمر زحمة من الناس]

(يدخل شيخ القرية وامرأتان)

المرأة الأولى : يا لله إنك لتضحكنى

المرأة الثانية : ولكن من قال إنك عجوز ؟

شيخ القرية : إن بعض الحمقى يحكمون على الناس من مظاهرهم

المرأة الأولى : واحسرتاه ! لقد كنا نرقب مظهرك منذ عهد حداثتنا ، وهو باق على ما عهدناه لم يتغير فى خلال هذه السنين

شيخ القرية : مثل شمس الضحى

المرأة الأولى : أجل مثل الشمس فى رائعة النهار

شيخ القرية : أيتها السيدتان ، إن فى ذوقكما ميلاً إلى الصرامة فى النقد ، إنكما تعنيان بتوافه الأمور

المرأة الثانية : دعك من هذا اللغو يا « أناكا » ولنسرع فى العودة إلى البيت وإلا ثار ثائر زوجى

المرأة الأولى : أستودعك الله يا سيدى . وأرجو أن تحكم علينا من ظواهرنا فلن نعير ذلك اهتماماً

شيخ القرية : ذلك لأنه لا ذات حقيقية لكما يمكن التحدث عنها غير هذا الظاهر ! [يخرجون]

(يدخل ثلاثة قرويون)

القروى الأول : أيشتمنى الوغد ؟ ليقرعنَّ سنّ الندم إذاً

القروى الثانى : يجب أن يلقن الدرس بليناً

القروى الأول : المرض الذى سيتبعه إلى الرمس

القروى الثالث : أجل يا أخى ، فلا تنثن عزيمتك ولا تترك له الفرصة السانحة

القروى الثانى : لقد أخذه الغرور والتعاظم

القروى الأول : تعاظم ينتهى به إلى الانفجار

القروى الثالث : إذا نجمت أجنحة النمل كان فى ذلك هلاكه

القروى الثانى : وهل أحكمتم لأنفسكم منهاجاً ؟

القروى الأول : لا منهجاً واحداً فحسب ، بل مئات المناهج سأقلب عالى بيته سافله بمجرانى ، وسأطوفه على حمار فى المدينة مشهراً به صابغاً وجهه بالصباغ الأبيض والأسود ، وسأثير غضب العالم كله عليه و ... [ينصرفون]

(يدخل تلميذان)

التلميذ الأول : إنى واثق بأن الغلبة فى المناظرة إنما كانت للأستاذ « مدهب »

التلميذ الثانى : كلا ، بل الأستاذ « جاناردان » هو الذى فاز

الأول : لقد ثبت الأستاذ مدهب على رأيه حتى النهاية وقال بأن الرقة بنت الخشونة

الثانى : ولكن الأستاذ جاناردان قد أتى بالبرهان القاطع على أن الرقة هى أصل الخشونة

الأول: يستحيل ذلك

الثانى : بل هذا أمر واضح كالنهار

الأول : إنما أصل البذور الشجرة

الثانى : بل البذرة هى أصل الشجرة

الأول : ما قولك يا سانياسى ؟ أى هذا هو الحق ؟ أى هذين الأصل : الرقة أم الخشونة ؟

سانياسى : لا هذه ولا تلك

الثانى : لا هذه ولا تلك ؟ إن فى هذا الكفاية

سانياسى : ما الأصل إلا النهاية ، وما النهاية غير الأصل . إنها حلقة ، وإن من جهلكما ينشأ الخلاف بين الرقة والخشونة

الأول : الأمر واضح جداً. وما أرى فى هذا غير قول أستاذى

الثانى : بل إن هذا لينطبق على تعاليم أستاذى أنا بغير شك [ينصرفان]

سانياسى : هذه الطيور لواقط كلم ، وما سعادتها إلا بالتقاط اللغو الملتوى الذى تملأ به أفواهها .

(تدخل بائعتا زهر)

تغنيان : « تمر الساعات بطيئة ؟

وتذوى الأزهار المتفتحة فى النور

فتسقط فى الظل

وقد خيل إلى أننى سأضفر إكليلاً

فى سجسج الصباح لمحبوبى ؟

ولكن الصبح يجر ذيوله متثاقلاً ،

والزهر على غصونه لا يجد قاطفاً ،

لأن حبيب النفس مفقود ... »

أحد السابلة : ولم هذا الأسف يا عزيزتى ؟ إذا ما تهيأت الأكاليل فالأعناق حينئذ متيسرة

إحدى الفتاتين : وكذلك الأرسان ![1]

الفتاة الثانية : إنك لشجاع مالك دنوت منى هذا الدنو ؟ !

الرجل : يا فتاتى ، شجارك هذا لنير ماداع ، فبينى وبينك ما يتسع لمرور فيل

الفتاة الثانية : أفى الحق هذا ؟ أمخوفة أنا بهذا القدر ؟ إنى ما كنت لآكلك لو أنك دنوت منى [يخرجون ضاحكين]

(يجىء سائل)

السائل : أيها السادة الرحماء ، اعطفوا ، فلعل الله أن يكتب لكم التوفيق . أعطونى يسيراً من خيركم الوفير

(يجىء جندى)

الجندى : هيا ابتعد من هنا ، أما ترى ابن الوزير قادماً ؟ [يخرجان]

سانياسى : هذه ظاهرة النهار[2] . إن الشمس لتستطع وتتوهج ، والسماء كأنها طاس من النحاس منكفئة تتقد ، وهذه الأرض تزفر بأنفاس حرار فتتراقص الرمال المائجة . كم من مشاهد هذا الإنسان رأيت فهل فى استطاعتى أن أتراجع ثانية فى صفر هذه المخلوقات لأكون منها ؟ كلا ، بل أنا طليق لا يعوقنى فى هذا الكون شىء . إنى إنما أعيش فى قفر موحش !

(تدخل « فاسنتى » الفتاة وامرأة)

المرأة : ألست ابنة « رافو » يا فتاة ؟ عليك أن تبتعدى عن هذه الطريق ، ألا تعلمين بأنها مؤدية إلى الهيكل ؟

فاسنتى : إنى يا سيدتى على الطوار الأبعد منها

---

(١) جمع رسن (٢) ساعة انتصافه

المرأة : حسبت أن قد مسك ثوبى . إنى حاملة هداياى إلى الآلهة ، وأرجو ألا تكون نجست

فاسنتى : أؤكد لك أن ثوبك لم يمسسنى (تنصب المرأة) إنى « فاسنتى » ابنة « رافوا » فهل أدنو منك يا أبت ؟

سانيامى : ولم لا يا طفلتى ؟

فاسنتى : لأنى رجس كما يدعوننى ؟

سانيامى : ولكنهم جميعاً دنسون . إنهم يتمرغون فى تراب الوجود ؛ وليس من توَرّع غير من نقّى ذهنه من هذا الكون ، ولكن ماذا بدر منك يا ابنتى ؟

فاسنتى — لقد استهزأ أبى الذى اخترمته المنون بقوانينهم وآلهتهم ، ولم يكن يقيم شعائرهم

سانيامى — مالكِ تقفين بعيدة عنى ؟

فاسنتى — وهل ستَمَسُّنى ؟

سانيامى — نعم ، لأنى لا يمسنى فى حقيقة الأمر شىء . إنى موغل فى اللانهاية ، إذا شئت أن تجلسى هنا فافعلى

فاسنتى — (متحسرة) لا تأمرنى بمغادرتك إذا ما قربتنى مرة منك

سانيامى — كفكفى عبراتك يا طفلة ، إنى أنا سانيامى الذى ليس ينفذ فى قلبه شىء من ضغينة ولا هوى ، وإذا لم تكونى لى فليس بوسعى أن أطردكِ . إن مثلكِ إذا قيس بى كان كمثل هذه السماء الزرقاء . إنى أراك كائنة وغير كائنة — أنت — فى نظرى

فاسنتى — أبتاه ، إنى منبوذة من الآلهة والناس على حد سواء

سانيامى — وكذلك أنا ، لقد نبذتُ الآلهة والناس

فاسنتى — أليس لكَ أم ؟

سانيامى — كلا

فاسنتى — ولا عندك أب ؟

سانيامى — كلا

فاسنتى — ولا اصطفيتَ خلاً ؟

سانيامى — كلا

فاسنتى — فسأكون معك إذاً . أفلا تنادرنى ؟

سانيامى — لقد استغنيتُ عن الفراق . فى إمكانكِ أن تظلى بجانبى ومع ذلك فأنت بعيدة عنى !

فاسنتى — إنى لا أفهمك يا أبتِ ! خبرنى أليس ثمة ملجأ لى فى هذه الدنيا كلها ؟

سانيامى — أتريدين ملجأ ؟ ألم يبلغكِ أن هذا العالم هوّة سحيقة لا تنتهى إلى قرار ؟ هذه جماهير الخلق خارجة من حفرة اللاشىء فى البحث عن ملجأ لها ، فإذا هى تدخل فى هذا الخواء الفاغر فاه وتضلّ فيه ! وتلك هى أخيلة الأكاذيب ملتفةٌ من حولكِ تقيم سوق أوهامها ؛ وما الأطعمة التى تبيعها سوى الظلال ! وإنها بذلك لتخدع جوعكِ ولكنها لا تُشبِعُكِ ، فاخرجى من هنا يا ولدى ، اخرجى

فاسنتى — ولكنى أراها فى هذا العالم سعيدة يا أبتاه ! أفلا نستطيع أن ننتبذ من هذه الطريق مكاناً نرقبها منه ؟

سانيامى — إن هذه الجماهير لا تعى شيئاً ويا للأسف . إن بصائرها لا تدركُ أن هذا الكون إنما هو الموت الأبدى الذى لا انتهاء له ؛ إنه ليموت فى كل لحظة ومع ذلك فلن ينتهى إلى النهاية . وأما نحن مخلوقات هذا العالم فإنما نحيا وقوام قوّتنا هذا الموت

فاسنتى — إنك لتملأ نفسى رعباً يا أبتاه !

(يدخل مسافر)

المسافر — هل أستطيع أن أتخذ لى ملجأ بالقرب من هذا المكان ؟

سانيامى — يا بنى ليس ثمة ملجأ إلا فى أعماق نفس الإنسان . فابحث عن هذا وتمسك به إن أردت نجاة

المسافر : ولكنى متعب وفى حاجة إلى ملجأ ما

فاسنتى : إن كوخى على مقربة من هذا المكان فهل تجىء معى ؟

المسافر : ولكن من عسيت أن تكونى ؟

فاسنتى : وهل لا بد لك من معرفتى ؟ إننى ابنة رافو

المسافر : بارك الله عليك يا طفلتى ؛ غير أنى لا أستطيع بقاء

[ينصرف]

(البقية فى العدد القادم) فخرى شهاب السعيدى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين — عابدين)



8me Année No. 389

Lundi - 16 - 12 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

القمــــراء

للأستاذ عباس محمود العقاد

انظر القمر ، وارقب الخطر ، واسأل القدر !

واذكر قول صديقنا الزيات : « ليت الذى صبغ وجوه المصابيح باللون الأزرق استطاع أن يصبغ به وجه القمر ... إن بزوغ القمر أمسى نذيراً بالغارة ، ودليلاً للجارة إلى قتل الجارة »

واسمع من يقولون : « لقد أوشك القوم أن يخيفونا من الأقمار ... » فأقول : ومتى خلت الأقمار من الأخطار ؟

لقد كان آباؤنا ينتظرون من كل قمر سهماً إلى قلب ، واليوم ننتظر من كل قمر قذائف نيران !

إنه تقدُّم الزمن !

وهل تتقدم الأيام ، إلا لتظهر القذائف بعد السهام ؟ !

وتخيلت شاعراً من أصحاب « الاختراعيات » وممن يقرنون بين الاستحداث والطيارات والدبابات ، يتغزل فيقول :

قمرى رمى بقذيفة من عينه ... وأذابنى برصـــاصه ولجينه
وأطار نومى فانتفضت لأننى ... أنا هالك بحضوره وبينـــه

فناديت بينى وبين نفسى : الأمان الأمان . الـكهوف أسلم من هذا الزمان ، والعقول أحوج إلى المخابئ من الأبدان ! !

***

قال بعض الفضلاء من قضاة المصريين : « متى نفهم هؤلاء الغربيين أو يفهمونا ؟ . . . إنهم يكتبون من الشمال إلى اليمين ، ونحن نكتب من اليمين إلى الشمال . وهم يدخلون المعبد فيخلعون القبعة ، ونحن ندخل المسجد فنخلع الحذاء . وهم يحبون فيتبسطون ويشكرون ، ونحن نحب فنتأوه ونتألم . وهم يذكرون الشمس ويؤنثون القمر ، ونحن نذكر القمر ونؤنث الشمس . وكل أولئك نقيض من نقيض . فمتى نفهم هؤلاء أو يفهمنا هؤلاء ؟ »

خطرت لي خاطرة ذلك القاضي الفاضل وأنا أذكر الغارات وأقمارها ، والأقمار وأخطارها ، فعاودني العجب من تذكيرنا القمر وتأنيث الغربيين إياه ، وتساءلت : ماذا في القمر من صفات الذكورة وهو مقرون بالحنين والحياء ، موصوف بالانباع والاقتفاء ، قليلٌ فيه ساطع الضياء وساطع الضياع ، عارض له من المحاق ما يعرض للنساء ؟

أهي زلة من زلات البداهة عند الشرقيين ؟ أم المستضعفون للأنوثة لا يفطنون لهذا المعنى الذي فطن له الغربيون ؟ أم هو إمعان في البداهة أدركوا به من سطوة المرأة ما لم يدركه مذكرو الشمس ومؤنثو القمر ، وأقاموا به ما عكسه أولئك الخاطئون ؟

هو على كل حال من مفارقات الشرق والغرب ، ولا بد لهما من مفارقات ، ولو من طريق المصادفات !

***

وجاء البريد الإنجليزي الأخير فعاودتني هذه الخاطرة المتجددة كرة أخرى

في إحدى مجلاته مقال جميل للكاتب « ريتشارد ستراود Stroud » يستوحي به المعاني التي أوحت إلينا مخافة الأقمار ، وأن نقرن بينها وبين الغارات والأخطار ، ولكنه جرى فيه على سنة التذكير في موضع التأنيث ، والغبطة موضع الألم ، والكتابة من الشمال في موضع الكتابة من اليمين ، فحمد ليالي القمر ، وود لو تتعاقب وتتكرر ، وحسب أنهم موشكون أن يفتتنوا بالأهلة والبدور ، وهم أمة فتنت بالشمس من قديم الدهور

قال إن التخبط في الظلمات إن هو إلا رمز محسوس لتخبط العالم بأسره في ظلمات رأس مخبول ، ودماغ جاهل مجهول ، فما أجدر الناس أن يحمدوا ليالي القمر كما يحمدون لمحات الصواب بعد غمرات الجنون ! وما أحق هذا الكوكب أن يرمز اليوم إلى العقل والرشاد ، وقد كان رمز الهيام والفتون !

ثم قال ما فحواه : إن سخرية القدر هي التي حكمت على عصر الكهرباء أن تقفر لياليه من الضياء . . . فمنذ فجر التاريخ والطرقات ما خلت قط من ضياء مصنوع على يدي ابن آدم : انطفأت المشاعل فأضاءت الفتائل ، وانطفأت الفتائل فأضاءت مصابيح النفط والزيوت ، وانطفأت هذه المصابيح فأضاءت أشعة الكهرباء ، فلما بلغنا هذا المدى شاء لنا القدر أن نرجع إلى يوم لا مصباح ولا فتيلة ولا شعلة ! واقترن ذلك بضراوة كضراوة السباع ، وأصبحنا نبحث عن القمراء كما كانوا يبحثون عنها في عصور الظلمات ، وعاد السؤال عن القمر كالسؤال عن الجو : نشيداً مطروقاً في الأحاديث ، وتعلة معادة لابتداء الكلام !

***

دع هذا ثم اقلب الصفحة إلى حيث تلمح بين سطور هذا الكاتب لمحة مما في سليقة أمته من روح الفن وحب الجمال

فهؤلاء القوم الذين تتساقط عليهم كِسَف الفضاء صباح مساء ، والذين ينظرون إلى السماء فلا يأمنون رجوم الموت وصواعق الأعداء

هؤلاء القوم تشوقهم ليالي القمر لما تعرض لهم من أشعة وظلال ، ومشاهد روعة وجلال ، ويقول كاتبهم هذا : « إن المدن والحقول وهي محلاة بالفضة القمرية لتبرز لك كأنها في يوم خلقها الجديد . ولقد قيل : إن هتلر فخور بأن ينسلك نفسه مع رجال الفنون . فمن الحق إذن أن نقول إنه أفلح فلاحاً يتجاوز الأوابد من أحلام رمبران . . . لأن الأشباح والظلال في أحقر الشوارع التي يغمرها الأسى والشجى بالنهار ، لتضفي على أعطافها في القمراء جمالاً وهيبة كأفخر ما تلقيه هيا كل يونان »

***

قلت : إن الكاتب الإنجليزي استوحى معاني القمراء على سنة الغبطة في موضع الألم وكتابة الشمال في موضع كتابة اليمين ، وإخال أن الأمر فيه اختلاف غير اختلاف الشرق والغرب أو غير

اختلاف كبلنج الذى قال إن الشرق شرق والغرب غرب وليس لهما لقاء

فالمغيرون فى انجلترا ألمان ، والمغيرون فى مصر طليان ، والأولون يغيرون ليل نهار ، ولا يقصرون الإغارة على مواعد الأقمار .

أما الطليان فيغيرون فى « القمراء » ، ويخطئون الأهداف فى الظلام والضياء على السواء

فإذا كان أنس الإنجليز بليالى القمر أعظم من أنسهم بليالى المحاق فلا غرابة فى ذلك ؛ وإذا عكسنا نحن الأمر فما نحن بمخطئين وإن كنا لنرجو أن يكثر فينا المحبون للأشعة والظلال ، إلى جانب المجفلين من الأوجال والأهوال

* * *

وخصلة أخرى فى هؤلاء الغربيين أنهم يصنعون خيالاً على كل حقيقة ، ثم يستخرجون عبرة من كل نكبة ، أو كما يقولون فضيلة من كل ضرورة

هم لا ينامون مع الغارات المتواليات إلا غراراً ، وفى النهزة بعد النهزة على غير موعد محدود ولا وتيرة معروفة

فهل تركوا هذه الحالة بغير عبرتها ؟ وهل أبطأوا فى استخراج الفضيلة المشكورة من هذه الضرورة القاهرة ؟

لا . لم يتركوها ولا أبطأوا فى الاستفادة منها . فقد رجع أناس من باحثيهم المتفرغين للملاحظة والدراسة إلى الأصل فى النوم المتعاقب بضع ساعات ، أو إلى الأصل فى زعم الزاعمين أن الرقاد فى الفراش ثمانى ساعات كل يوم ضرورة لا محيص عنها للانسان فيما بين الشباب الباكر والكهولة العاملة

فسألوا : أهذا صحيح ؟ ولم يا ترى يكون هذا كذلك ؟

وظهر لهم من مجرد السؤال أن هذا الزعم ليس بالحقيقة المقررة ، وليس بالرأى المستند إلى أصل وثيق

فالهرة تنام غفوات غفوات بالليل أو بالنهار ، وفصائل شتى من الماشية تنام كما تنام الهرة ولو لم تكن من كوادح الليل

فما بال الإنسان لا يشبع حاجته إلى النوم على هذا المثال ؟

كل ما أوجب النوم المتعاقب من قديم الزمن فإنما هو عادة الإنسان الأول أن يلوذ بالكهوف ويأوى إلى المضجع ، لأنه لا يحسن أن يصنع شيئاً غير ذلك قبل اختراع الضياء المصنوع الذى يشبه ضياء النهار

ولو أنه استطاع فى ذلك العهد الدابر أن يعمل بالليل عمله بالنهار لما رسخت فيه عادة الهجوع من مغرب الشمس إلى مشرقها ، ولأضاف إلى عمره بتفريق أوقات النوم عشر سنين ، وتعوّد أن ينام ساعة كلما أعياه الكد والكدح ساعات ، فإذا هو بعد ذلك مفيق ناشط للعمل من جديد

والنرجع إلى الحساب فى عصر الحساب

فإذا صح أن غارات الليل ستعلمنا أن نضيف إلى كل حياة عشر سنين فقد نخرج من الجمع والضرب على أن الأعمار التى كسبها الإنسان أكثر وأغلى من الأعمار التى تضيع الآن !

عباس محمود العقاد

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

«الأيام» لطه حسين

للدكتور زكى مبارك

-٦-

جواب

دعانا الأديب محمد متولى عوف إلى الإسراع بالكتابة عن «تحرير المرأة» و «ديوان اسماعيل صبرى»، وأجيب بأن عند «الرسالة» بحثين جيدين: صدر أولهما عن أحد المفتشين، وصدر ثانيهما عن أحد المدرسين. فإن وجدتُ ما يوجب الكلام عن هذين الكتابين بعد أن تنشر «الرسالة» ما ورد إليها فى درس أفكار قاسم أمين وأشعار اسماعيل صبرى، فسأعقِّب على ذلك الدرس بما يكمل الصور الأدبية والاجتماعية لموضوعات هذه السلسلة من الدروس، والله هو الموفق

كتاب «الأيام»

هو قصة واقعية لحياة الدكتور طه حسين فى طفولته وصباه، وهو يقع فى جزأين لطيفين، بالقِطع الصغير، والمقرر هو الجزء الأول، ولكن النظر فى الجزء الثانى واجب، لأنه يكمّل فكرة الطالب عن هذا النوع من القَصص الطريف؛ ويطلب الجزء الأول من لجنة التأليف والترجمة والنشر، أما الجزء الثانى فيطلب من مكتبة المعارف، وثمن الجزء عشرة قروش

تاريخ «الأيام»

ولهذه الأيام تاريخ لم يُنشر من قبل، فمن الخير أن نشير إليه فى سطور، لأنه تاريخ مجهول، ولأنه يصوّر كيف رجع الدكتور طه إلى ألفاف ماضيه لينشر منه صفحات تسير مسير الأمثال من حيث لا يقصد ولا يريد

فى مطلع الربيع من سنة ١٩٢٦ ثار الأزهريون وتبعهم فريق من النواب على الدكتور طه حسين لآرائه «فى الشعر الجاهلى»، واشتدت الثورة ثم اشتدت، حتى كادت تزلزل مكانه فى الجامعة المصرية

كنا فى ذلك الوقت صديقين، وكنا نلتقى فى كل صباح وفى كل مساء، لإعداد ما نُلقى من الدروس بكلية الآداب، وللنظر فى صد الجمهور عن الثورة على آراء أدبية لم تصل إليه إلا وهى محرَّفة بعض التحريف، وإن كان فيها ما يَشُوك رجال الدين

ظهرت بوادر الثورة فى جريدة كوكب الشرق، ثم انتقلت إلى جريدة الأهرام، وكان الشر كل الشر أن تنتقل إلى جريدة الأهرام، لأنها جريدة موسومة بالرزانة والعقل، ولا يُطعن فيها على الرجال إلا حين تصبح أقدارهم أهلاً للتجريح والتزييف

وقد انزعج الدكتور طه من حملة الأهرام أشد الانزعاج، ولم يعرف كيف يجيب، مع أنه من أقدر الناس على اللجاجة والجدال

وكان الشيخ محمد عبد المطلب، طيب الله ثراه، بطل الحملة «الأهرامية»، فكتبتُ فى الرد عليه مقالاً ضاق به صدر الأستاذ داود بركات — رحمه الله — ورجانى أن أؤجل نشره على أن يقف حملة الشيخ عبد المطلب، فصممت على أن ينشر مقالى وله بعد ذلك أن يفعل بهجوم الشيخ عبد المطلب ما يشاء!

وظهر مقالى فى صدر الأهرام، ورأى فيه الدكتور طه انتصافاً من خصمه العنيد، وشكر صنيعى بكلمات تدل على مبلغ ارتياحه لدفع قالة السوء عن مركزه المهدد فى ذلك الحين

وفى اليوم التالى حدثنى الدكتور طه بعبارة حزينة أن مقالى فى الدفاع عنه لم يقع من بعض المقامات موقع القبول، لأنى مدرس فى الجامعة المصرية، ولأن دفاعى عنه يصور الجامعة بصورة الإصرار على ما فى الكتاب المغضوب عليه من مذاهب وآراء.

فما تلك المقامات؟

كان الدكتور طه فى ذلك الوقت مسنوداً بثلاثة رجال: عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ولطفى السيد. وكان هؤلاء الرجال يريدون أن تمرّ العاصفة بسلام، ولا يتمّ ذلك إلا إذا سكت طه حسين وأصدقاء طه حسين عن دفع العُدوان بالعدوان

وكذلك قررت أن أدفع عنه شر خصومه فى جريدة المقطم بدون إمضاء لئلا تغضب تلك «المقامات»

وهنا يجيء الشاهد:

قضى الدكتور طه بقايا العام الدراسى بحنق وغيظ، فقد

كانت الجرائد الوفدية تنوشه فى كل وقت ، وكانت المجلات الدينية تسوق إليه التهم الجوارح بلا حساب ؛ ولا يملك الدفاع عن نفسه بحرفٍ واحد ، وهو الرجل العِرِّيض الذى قضى صدر شبابه فى التلهى بعداوات الرجال

فماذا يصنع ؟

رحل إلى فرنسا مع الصيف ليتناسى كروبه الداجية فى ربوعها الفِيح !

وهنالك خطر له أن يُملى أشياء بعيدة كل البعد عن الشعر الجاهلى والأزهر والدين ؛ فكانت تلك الأمالى وهى تاريخ طفولته بلا تزيين ولا تهويل

وفى صباح يوم من أيام الخريف فى سنة ١٩٢٦ عرفت من الدكتور طه أنه كتب مذكرات عن حداثته ، وأنه قدمها للأستاذ عبد الحميد العبادي ليطمئن إلى أنها مما يجوز إذاعته بين الناس

وفى صباح يوم آخر حضر الأستاذ العبادى ومعه أصول المذكرات ، وهو يقترح أن تحذف الفقرة الخاصة بالضريرة نفيسة ؛ فلم ير الدكتور طه أن تحذف

وفى ليلة شاتية جلسنا نتجاذب أطراف الأحاديث ، فسألته عن موضوع تلك المذكرات ، فوقف وقفة الخطيب المكروب وقصّ علىّ قصته يوم بدا له أن ينقل اللقمة إلى فيه بيديه الاثنتين ، وكيف ضحك إخوته وبكت أمه وانزعج أبوه . فعرفت أن تلك المذكرات سيكون لها فى تاريخ الأدب مكان

ثم نَقل الحديث إلى شؤون الجامعة المصرية وإلى المصير المحتوم فى مصر لحرية الفكر والرأى ، وما نقل الحديث إلى هذا الميدان إلا ليهرب من مكاره تلك الذكريات

مواهب طه حسين

هذا الرجل موهوب بلا جدال ، ولكنه قليل الصبر على تكاليف المواهب ، فهو يسطَع فى اللمحة الأولى ثم يجنح إلى الأفول

ترَجم لأبى العلاء فأفلح ، ثم ترَجم للمتنبي فأخفق ، لأنه لم يصحب المتنبي بقدر ما صحب أبا العلاء

وأخرج الجزء الأول من الأيام فكان أعجوبة ، ثم فتر فى الجزء الثانى

والجزء الأول من « هامش السيرة » سِفرٌ نفيس ، أما الجزء الثانى فهو أيضاً « سِفرٌ نفيس »

وكان أستاذاً فى الجامعة المصرية القديمة ، أستاذاً عظيماً ، أستاذاً علاء القدرة على إسقاط زكى مبارك فى امتحانات الليسانس مرتين ؛ أما فى الجامعة المصرية الجديدة فهو أستاذ هيوب يستر كسله الجيل بالتغاضى عن ضعف الطلاب

وأمره فى الصداقة أعجب من العجب ، فهو يؤاخيك ويصافيك إلى أن تظن أنه قطعة من قلبك ، ثم يتحوّل فى مثل ومضة البرق إلى عدوٍّ مُبِين

وهو على الرغم من ضعفه عن الاضطلاع بتكاليف المواهب رجلٌ جذّاب ، لأنه معسول الحديث ، ولأنه قد يصدُق فى الحب وفى البغض ، إلا أن تهديه حاسة النفع إلى أن يعادى من يصادق ويصالح من يعادى ، كالذى صنع فى طوافه بأركان الأحزاب

ويشهد الدكتور طه على نفسه بأنه ضرير ، وذلك فنٌّ من الإعلان ، فقد صحبته نحو عشر سنين ولم أتنبه إلى أنه ضرير . وكيف أصدّق دعواه وما رأيت رجلاً أرشق منه فى تناول الشؤون التى يتناولها المبصرون ؟

كنا نخرج من الجامعة المصرية حين كانت فى قصر الزعفران فنثب إلى « الترو » بعد أن يتحرك ولا يشعر أحد بأننى أصاحب رجلاً من المكفوفين

ومن يصدّق أنى لم أفكر فى حلق ذقنى بيدىّ إلا بعد أن رأيته يحلق ذقنه بيديه ؟

وهو يمشى بقامة منصوبة تزرى برشاقة الرمح المسنون

وهو — لتوهمه أنه ضرير — يحاول التأثير باللسان حين فاته التأثير بعينيه ، ومن أجل هذا نراه أعجوبة الأعاجيب فى إبراز مخارج الحروف

ولشعوره بأن لسانه مصدر قوته يلح فى الحديث وفى الإملاء إلحاحاً يترك سامعيه وقارئيه على أهبة الاقتناع بما يُملى وبما يقول

وخلاصة القول أن طه حسين هو طه حسين ، هو الرجل الذى استطاع أن يقيم البراهين على أنه من أقطاب الأدب فى هذا الزمان

ولو كنت أصدق أنه أعمى لكففت عنه قلمى ، ولكنى واثق بأنه مبصر ، وبأنه أستاذ قدير ، ومفكر حصيف ، وأديب

موهوب ، وأنا لا أكف قلمى إلا عن الضعفاء

وما قلت إنه أعمى إلا لأن درس اليوم يوجب ذلك ، فليتناس هذه المُنجُهية القلمية ، فما كنت ولن أكون إلا أعرف الناس بواجب الذوق

وإن استطال ناس على الدكتور طه بقوامم البصرية ، فلن يستطيعوا الاستطالة عليه بقوى الفهم والذكاء ، وإنه لشاهد على أن الله يؤتى الحكمة من يشاء

أسرار كتاب « الأيام »

حدثنى الدكتور طه بك أنه ينتظر رأيى فى كتاب « الأيام » عساه يعرف كيف فتن به الناس حتى جاز أن يترجم إلى عدة لغات فى بضع سنين

وكلام الدكتور طه فى هـذه القضية ليس من التواضع المصنوع ، فمن المحتمل أن تغيب عنه قيمة هذا الكتاب الطريف ، لأنه بالنسبة إليه غير طريف ، وإنما تظهر طرافته للمبصرين ، لأنه يطلعهم على آفاق من حَيَوات العميان قد تكون عند أكثرهم من المجاهيل

ويزيد فى طرافة هذه الاعترافات أن بعضها معيب ، فصدورها من رجل مثل طه حسين يشهد بأنه فنان يقيم فنه على قواعد من الصراحة والصدق ، وإلا فما الذى يضطر رجلاً فى مثل مركزه إلى أن يعترف بأنه كان فى طفولته يجلس من أبيه ومن سُمّاره مَزْجَر الكلاب ؟ وما الذى يقهره على التصريح بأنه كان يرى الدنيا بيديه فيعبث بالنمال الموضوعة حول دكة معلم الأطفال ، ثم يمعن فى تقليبها واختبارها حتى يعرف بالضبط عدد ما فيها من خروق ورقوع ؟ وما الذى يحوجه إلى النص على أن ذمته كانت اتسمت كما اتسمت ذمة « العريف » ، وأنه كان يرشو ويرتشى بلا تحرج ولا استحياء ؟

وكيف يجوز لرجل أن يهجو إخوته ، وأن يعرض بجَده وبأبويه ، إلا أن يكون رجلاً سما بعقله وفنه عما فى المجتمع من تصنع ورياء ؟

يشهد طه حسين بأنه كان يستغفل أباه فى بعض الظروف ، ويشهد بأن المكاره التى عاناها فى طفولته وفى صباه أورثته ألواناً من الاضطراب والخبال ، فهل تصدر هذه الشهادة عن رجل يستر ضعفه بتناسى ماضيه ؟ أم هى حجة على أنه أكبر من أن ينكر ذلك الماضى البغيض ؟

طفولة طه حسين كما صورها بنفسه لم تكن طفولة مهذبة الحواشى ، ولكن من الذى يزعم أن الأطفال ينشأون مبرَّئين من الهنوات والعيوب ؟

الطفل فى نشأته ضعيف ، وهو لضعفه يداور ويمارى ويحتال ، فليس من الغريب أن يلجأ طه حسين طفلاً إلى المراوغة والمماراة والاحتيال .

وهنا يظهر صدق طه حسين ، فقد حدث عن نفسه أنه كان فى طفولته سريع النسيان ، وأنه لذلك قاسى مكاره الخجل والكسوف بضع مرات ، ولو أنه أخبرنا أنه كان يحفظ كل ما يسمع ، وأنه لم ينس أبداً ما كان يحفظ ، لما كان فى ذلك شبهة من تزيد أو إسراف ، لأن سرعة الحفظ لا تُستغرَب من العُميان ، ولكن طه حسين سما بفنه سموًّا هو الغاية فى الإخلاص للصراحة والصدق ، وهما الدعامة الأصيلة للأدب الرفيع

طه حسين أعمى ، فيما يزعم ، وهو كثير المزاعم ، والأعمى يرى الدنيا بأذنيه وبيديه ، أما أذناه فهما طويلتان ، وقد حدثنا أنه كان يمدهما مدًّا ليزيدهما طولاً إلى طول ، عساه يستوعب ما يدور حواليه من أقوال وأخبار وأقاصيص . وأما يداه فقد قويت فيهما عضلات اللمس إلى أبعد الحدود ، ألم يحدثنا أنه كان يعرف الناس بنعالهم لكثرة تقليبه فى النعال ؟

وخلاصة القول أن الدكتور طه قد التزم الصدق التزاماً تاماً فى كتاب الأيام ، وكان من آثار ذلك الصـدق أن يأسر جميع من قرأوا مذكراته عن طفولته وصباه ، لأن الصدق خُلقٌ نفيس ، وهو يزيد الأديب جلالاً إلى جلال

يضاف إلى ذلك أن صدقه يوجب العطف عليه ، ويحوِّل شانئيه إلى أنصار أوفياء

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا ألاحق الفكرة التى تدور فى خاطرى عن كتاب الأيام ، وهى تنفر وتَشرُد ، فمتى أقتنص تلك الفكرة وهى نَفورٌ شرود ؟

لعلى أريد القول بأن طه حسين رجلاً قد نسى أنه مسئول عن طه حسين طفلاً ، فهو يشرِّح أوهامه وآثامه بلا ترفق ولا استبقاء ، وهو يتجنى عليه كما يتجنى على خصومه الألدّاء .

لعلى أريد القول بأن طه حسين قد أراد أن يقيم الدليل على أنه يملك السيطرة على هواه حين يريد، وهل من هواه أن يَسخر بماضيه وأن يعترف بأنه كان نفضياً في طفولته وصباه ؟

لعلى أريد القول بأن طه حسين قد انسلخ عن ماضيه كل الانسلاخ، ولم يعد يخشى أن يقال إن طه حسين الرجل ليس إلا صورة من طه حسين الطفل، وإن بقيت في وجهه وعقله وروحه ندوب من معارك ذلك العهد السحيق

لعلى أريد القول بأن طه حسين قد أراد أن يدلل ويبرهن على أن الأشجار البواسق لم تكن في الحداثة إلا أعواداً أماليد لا تأمن شر العواصف إلا بالانحناء والسجود

لعلى أريد القول بأن طه حسين من أساتذة الأخلاق، فهو يقصد إلى إفهام الشبان أن العظيم لم ينشأ عظيما، وإنما عَظُم بفضل الصبر على متاعب الجهاد، ومن حق طه حسين أن يتسامى إلى الأستاذية في الأخلاق، وهو بذلك التسامي خليق، فقد سمعت أنه أحرص الناس على رعاية واجبات الوفاء

لعلى أريد القول بأن طه حسين أراد أن يخرج على نفسه مرةً واحدة فيشهد على نفسه بأشياء لا يعترف بها الرجل إلا وهو عارمٌ عَصوف

لعلى أريد القول بأن طه حسين أراد محاكاة جان جاك روسّو وأناطول فرانس، وقد فاتته صراحة روسّو وعذوبة فرانس، لأنه طوى أهواءه الجنسية، ولأنه نسى أن الهيام بالجمال أشرف من الهيام بالنمال

لعلى أريد القول بأن طه حسين أراد أن يُفهمنا أنه طه حسين وتلك خدمة لن ينساها تاريخ الأدب الحديث

صور المجتمع المصرى فى كتاب الأيام

كنت قضيت عاماً أو يزيد فى استخلاص الصور التى رسمها الشعرانى عن مصر فى القرن العاشر، وهى الصور التى سجلتُها فى كتاب «التصوف الإسلامى» والتى نهبها بعض الناهبين بكلية الآداب»، يوم كان كتابى محفوظاً فى تلك الكلية وهو مخطوط يأخذ عنه من شاء ما شاء، وعند الله جزائى، فما رُعِىَ لى عهد، ولا حُفظ لى جميل

واهتمامى بتسجيل صور المجتمع المصرى فى القرن العاشر وأنا أدرس مؤلفات الشعرانى جعلنى أحرص الناس على تقييد ما سجل صاحب العزة الدكتور طه حسين بك من صور المجتمع المصرى فى القرن الرابع عشر، وهى صورٌ روائع، لأنها منقولة بأمانة ونزاهة وصدق. ويزيد فى قيمة هذه الصور أنها أمست على شفا الانقراض، ولو رجع الدكتور طه إلى مسقط رأسه لعرف أنها أسقطتْ فى غيابة التاريخ

فعلى طلبة السنة التوجيهية أن يتأملوا تلك الصور، وأن يوازنوا بينها وبين ما يعرفون من أوهام العوامّ فى الحواضر والأرياف، لأن فى بعض أوهام العوام صوراً شعرية، ولأن خرافات اليوم لها نسبٌ صحيح إلى عهد الفراعين... وما أحب أن أزيد!

انتقال مزعج

تمضى فى قراءة «الأيام» وأنت لاهٍ عابث، لأن الكاتب لاهٍ عابث، ثم تصطدم فجأةً بانتقال مزعج، هو الصورة المروّعة لإحساس أبويه بقسوة الثُّكل فى يوم عيد، وما تكاد تفرغ من الجزع لهذه الصورة حتى يفاجئك بصورة أعنف وأفظع، هى صورة أخيه الذى مات وهو مطعون

فلو قلتَ إن الصفحات التى صوّر بها طه حسين أحزانه وأحزان أهله لهاتين الفاجعتين تُعَدّ من أروع ما صوّرت به المآسى الإنسانية لكنت قريباً من الصواب

وطه حسين فى هذه الصفحات كاتبٌ قدير، لأنه يفجّر الدمع فى جوامد الشئون، ولقد هممت بأن أرسل إليه برقية عزاء، مع أن الأعوام التى مضت على هاتين الفاجعتين كادت تشارف الأربعين

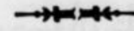
أما حديثه مع ابنته وهو يقص أخبار «أوديب» بعد أن فقأ عينيه، فهو حديثٌ يذيب لفائف القلوب، ومن واجب الدكتور طه نحو القَدَر المكتوب أن يذكر أن الله ترفق به كل الترفق، فجعله رجلاً من أكابر الرجال

جلسنا مرة نسمُر بداره يوم كان يقيم بمصر الجديدة فأطلعته على خبر لطيف فى جريدة (لابورس)، خبر يبشر بأن أحد الأطباء قد اهتدى إلى علاج يردّ به العميان مبصرين، فهتفتْ زوجته: «إن صحّ ذلك فسأبيع آخر قميص لأردّ إليك بصرك، يا طه!»

وأغلب الظن أن الدهر سيبخل على الدكتور طه بالمودة

مختار الصحاح
وقيمة العناية به

للأستاذ حسن السندوبي



يحلو لمشيخة في وزارة المعارف، بلغوا فيها بمضى الزمن المراتب ذات الألقاب الملحوظة، أن يشيروا على الوزارة بطبع بعض كتب المتقدمين ليضعوا عليها أسماءهم بعد أن ينظروا فيها ويقوموا أودها ويصححوا أغاليطها، وأن يكون من ذوى الشأن فى الوزارة المبادرة إلى إجابة طلبهم مع منحهم الأجر الحسن، وإخراج تلك الكتب فى معرض من الطبع الجميل

وقد قام بعضهم بمراجعة طائفة من هاتيك الكتب وتصحيحها ونالوا أمنيتهم فى وضع أسمائهم عليها بعد أن استولوا على المكافأة المرضية والثناء الحسن. غير أن الكثير من هذه الكتب قد صدر دون أن يكون حظها بالقائمين عليها مقارناً للتوفيق، ودون أن يكون القائمون عليها قد أدوا الأمانة العلمية، فلم يحسبوا أن إبلاغ الأخلاف تراث الأسلاف خالياً من الشوائب بريئاً من المعايب، من أفضل الخلائق الكريمة

وحسب القارئ أن يعلم أن من هذه الكتب كتاب «مختار الصحاح» فقد أصدرته وزارة المعارف بعناية بعض رجالها فجاء عيبة الأغاليط وجبة الأباطيل. لم يعن فيه العناية الكافية فى قيد الكثير من كلماته حتى تصحف منها ما تصحف، وتحرف من عباراته ما تحرف. وإذا علمت أنه كتاب لا يستغنى عنه طالب، وكثيراً ما يفتقر إليه الدارس، علمت أى جناية تجنى على اللغة العربية تحت سمع وزارة المعارف وبصرها. وما ظنك بكتاب هو عدة المعلم وعمدة المتعلم فى تحرير الكلمات، وضبط الألفاظ اللغوية، يخرج إلى الناس فى هذا التشويه والإهمال! ولا يكون همّ القائمين عليه إلا الإسراع فى عرضه بالطبع لينساب المال إلى جيوبهم دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة المراجعة والمعارضة، أو يتمثلوا بشيء من مثل التقوى فى العمل والإخلاص فى حسن القصد!

تفضل صديقى العلامة الأستاذ أحمد العوامرى بك بإهدائى

المنشودة لنور عينيه، وسيبخل على مدام طه بلذة البيع المنشود لآخر قميص، ولكن العمى لن يمنع الدكتور طه من التبريز فى كثير من الميادين

ولعل لله حكمة فيما وقع، فالدكتور طه هو حجتنا على أن مصر أخصب البلاد، وإلا فأين العميان الذين استطاعوا ما استطاع فى هذا الجيل؟ ولولا خوف الإسراف لقلت إنه أشجع من أبى العلاء، لأنه رفض أن يعيش رهين المحبسين، ولأنه وهو أعمى قد مهّد السبيل لمئات أو ألوف من المبصرين.

وأستغفر الله من الإشارة إلى عَمَى الدكتور طه، فتلك أول إشارة تصدر عن قلمى، ولم تصدُر أبداً عن لسانى، وإنما استوجبها البحث، والبحث قد يستبيح ما لا يباح

الأسلوب

للدكتور طه أسلوبان، أسلوب حين يُملى، وأسلوب حين ينظم؛ أما أسلوبه حين يُملى فلا يخلو من ركاكة واضطراب لأنه رهين بما فى الإملاء من سرعة وإبطاء، كالذى يكتب لمجلة الثقافة من أسبوع إلى أسبوع

أما أسلوبه حين ينظم – وله أبحاث ينظمها نظماً – فهو آية فى السلاسة والعُذوبة والصفاء، ومن هذا الفن أسلوبه فى كتاب الأيام، وهو بهذا الأسلوب من أقدر الناس على التصوير والتلوين، وله ألفاظ وتعابير هى العَجب العُجاب

أما بعد فهذا طه حسين، كما صور نفسه، وكما صوره قلمى، فإن كان أساء إلى نفسه بعض الإساءة فقد أحسنت إليه كل الإحسان، بلا منّ عليه، لأنه من كتّابنا ومفكرينا، ولأنه عانى من الصراحة بعض ما أعانى

والمهمّ هو أن ينظر الطلبة إلى كتابه كما نظرت إليه، فما كان كتاب الأيام ألفاظاً ضُمّ بعضها إلى بعض، وإنما هو جروح أضيفت إلى جروح، هو دماء تفجر بها قلبٌ حزين، هو لوعةٌ دامية لرجل طال شقاؤه بالوجود، منذ اليوم الأول لشهوده الوجود

لقد أبكانى طه حسين وهو يقص بعض مآسى طفولته وصباه، أبكانى وأنا خصمٌ لدود، فكيف يصنع إذا نفض هموم صدره إلى رجل يحمل بين جنبيه قلب الصديق الشفيق.

زكى مبارك

نسخة من هذا الكتاب فى طبعته الرابعة لسنة ١٩٣٨ ؛ وقد كتب عليها بالطبع أنه عنى بتصحيحها وتنقيحها وإكمال ضبطها وتعليق بعض حواشيها سنة ١٩١٦ ، أى منذ أربع وعشرين سنة ، وهو إذ ذاك فى سن القوة وعهد الفتوة . والظاهر أنه لم يراجع طبعات الكتاب منذ ذلك التاريخ ، ولذلك شاع فيه التحريف ، وعمه التصحيف . وأعجب من هذا ما علمته من أن وزارة المعارف ، لكى تيسر إعادة طبعه المرة بعد المرة ، قد كلفت بعض الصناع بحفر صفحاته فى رواشم (كليشيهات) زنك !!

وقبل عرض أمثلة من أغاليط هذه الطبعة من الكتاب ، يحسن أن أعرض كلمة ألخص فيها التعريف بمؤلفه عن كتاب لى أضعه الآن فى تاريخ المعجمات العربية ومؤلفيها ، وهذه الترجمة لا أعلم أنها نشرت بمصر إلى الآن :

قال صدر الدين القونوى المتوفى سنة ٦٧٣ هـ — ١٨٧٤ م : الشيخ العالم العامل الفاضل سيد العلماء ، قدوة الفضلاء ، محيي السنة ، ناصر الشريعة ، زين الدين أبو عبدالله محمد بن شمس الدين أبي بكر بن عبد القادر الرازى . جاء إلى مصر وأقام بها زمناً ، وجال فى ربوعها وأخذ عن بعض مشايخها ، وأخذ عنه بعض طلبتها . وذكر المقريزى أنه وصف بركة الحبش التى بالقاهرة بهذين البيتين من الشعر :

إذا زين الحسناء قرط فهـذه ... يزينها من كل ناحية قرط
ترقرق فيها أدمع الطل غدوة ... فقلت لآل قد تضمنها قرط

وهو من شعر العلماء الذى لا يعرج عليه الأدباء . ومن الغريب أن السيوطى لم يذكره فيمن وفد على مصر من العلماء أو من الأدباء أو من الحنفية . ثم ذهب إلى الشام وطوف فى أنحائها ، ومنها دخل بلاد الأناضول وأقام فى قونية وبهـا صحب الشيخ العالم المحقق صدر الدين القونوى وعليه سمع كتاب جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى الموصلى إلى سـنة ٦٦٦ والظاهر أنه توفى أواخر القرن السابع

وقد ترك من المؤلفات : شرح مقامات الحريرى ، والذهب الأبرز فى تفسير الكتاب المعزز ، وتحفة الملوك والسلاطين فى الفروع ، وحدائق الحقائق فى الأخلاق والمواعظ ، وأنموذج جليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل ، والأبيات التى يتمثل بها فى الأدب ، وروضة الفصاحة فى علم البيان ، وضعه باسم السلطان المؤيد المنصور نجم الدين أبى الفتح غازى بن قرا أرسلان الأرتقى صاحب ماردين المتولى سـنة ٦٩١ والمتوفى سنة ٧١٢ . ومختار الصحاح الذى نحن بصدد من شأنه ، اختصر فيه صحاح الجوهرى ووضعه على ترتيبه وضم إليه الكثير من الفوائد أخذها عن التهذيب للأزهرى ، وديوان الأدب للفارابى ، والمجمل لابن فارس ، والمصادر للبيهقى ، والمفصل للزمخشرى ، والفصيح لثعلب ، والمعرب للمطرزى ، والغريب لأبى عبيد ، والغريبين وشرحهما للهروى وقد كتب بخطه فى نسخته من المختار ، بعـد استشهاده بهذا البيت :

ألا يا اسلمى يادارى على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

يقول : تم الكتاب المسمى مختار الصحاح بعون الله وحسن توفيقه على يد مؤلفه وكاتبه بيده محمد بن أبى بكر الرازى عفا الله عنه وغفر له ولجميع المسلمين ، ووافق فراغه عشية يوم الخميس غرة شهر رمضان المبارك ليلة الجمعة الغراء سنة ٦٦٠ الخ

هذا ، وفى المقال التالى نعرض إن شاء الله لذكر أمثلة من الأغاليط التى أشرنا إليها فيما سبق .

حسين السندوبي

كتاب تحرير المـــرأة

للأستاذ محمد أبو بكر إبراهيم

من بين ما قررته وزارة المعارف على طلبة السنة التوجيهية المتسابقين فى امتحان اللغة العربية فى خلال يناير المقبل كتاب « تحرير المرأة » للمرحوم قاسم بك أمين . وقد يكون من الخير أن نبين — فى إيجاز — بعضاً من النواحى والأغراض التى عنى المؤلف بعرضها فى كتابه ، لعلّ فى هذا توجيهاً للطلاب ، واستحثاثاً لهم على الاستزادة والاستفادة .

(ا) شخصية المؤلف

ولد المرحوم قاسم بك أمين فى أسرة مصرية تنسب إلى أصل كردى ، وتربى منذ نشأته تربية أمثاله ، ثم سافر إلى فرنسا حيث درس الحقوق وعاد فى سنة ١٨٨٥ ميلادية . وظل منذ ذلك الحين إلى أن عاجلته منيته فى سنة ١٩٠٨ قاضياً ممتازاً ، ثم مستشاراً بارعاً بمحكمة الاستئناف .

وكان من خلقه : الصراحة ، وحب العدالة ، وحرية الرأى . ولم يكن من القضاة الذين قال عنهم « أعرف قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل » بل كان يحب الحق لأنه حقٌّ وفضيلة ، ويمقت الظلم لأنه ظلم ورذيلة .

ولم يكن يتقيد فى قضائه بآراء الفقهاء ، وأحكام المحا كم ، بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه .

وكان مولعاً بالبحث والتنقيب عن كثير من شئون الإصلاح والاجتماع ؛ فدعا إلى تحرير المرأة من رق الجهل ، ورق الحجاب . وكانت هذه الدعوة من الأمور الشاقة الشائكة لأنها خالفت العرف المألوف ، والتقاليد الموروثة ، وأدت إلى ثورة فكرية انقسمت بهـا الأمة قسمين : معه وعليه . وقد أوضحها فى هذا الكتاب ، ودعمها بالحجج والبراهين .

(ب) تصوير فكرته التى أودعها كتابه

حمل المؤلف — رحمه الله — حملة صادقة على الرجعيين الذين رضوا للمرأة أن تعيش فى الإسار كما يعيش الذليل المستعبد ، وأن تحبس فى الدار كما يحبس الطائر المعذب ، وأن تقضى أيامها فى هذا الوجود كما يقضى السجين أيامه فى غياهب السجون ؛ فاستنشوا لها أن يتصرف فى شئونها الخاصة والعامة قيِّمٌ قهار يملك عليها إرادتها ، ويقبض على ناصيتها ، ويسيطر على عملها وحريتها ؛ فلا تتحرك فى ظلامها الحالك إلا بعلمه ، ولا تتصرف فى حياتها الضيقة الأفق إلا بمشيئته .

توهم هؤلاء القدامى أنها قليلة العقل ، ضعيفة الإرادة ؛ ومن ثم لا بد أن تحاط بسياج منيع يحول بينها وبين مشتهياتها ، وإلا اندفعت إلى الشر وارتكبت ما يجلب لها الإثم والعار ؛ فعطلوا فيها حرية الفكر والرأى ، وحجبوها عن الوجود بحجاب كثيف لا تستشف ما وراءه من نور وضياء ، وأقاموا بينها وبين حقوقها سداً لا تستطيع أن تظهره ، ولا تستطيع له نقباً .

ظن هؤلاء أنها لا تصلح إلا للمعيشة فى داخل منزلها فعزلوها عن البيئة الخارجية كما يعزل المريض عن الأصحاء ، وفصلوها عن المجتمع كما يفصل العضو من الكائن الحى ، وأخمدوا جذوتها ، وأطفأوا شعلتها ، حتى صارت لا حول لها ولا طول ، ولا قوة لها ولا ناصر . فبقيت رهينة المحبسين ، وثالثة الأذلَّين أمداً طويلا

وتحكم بداهة العقل أن فى هذا التصرف جوراً عن الاعتدال وإسرافاً فى العسف والإذلال ، وأن فيه كَبْتاً لغرائز المرأة وميولها وطبيعتها وسائر قواها ، وأن نتائج هذا الكبت ضارّة بها إلى حد كبير

ومن أجل ذلك نادى المصلحون فى عصور مختلفة بوجوب إعطائها حريتها المشروعة ، وهى الحرية الصحيحة المقيدة بالنظم الدينية والقوانين الخلقية ، ومن بينهم المرحوم قاسم بك أمين زعيم القائلين بإصلاح المرأة فى مختتم القرن التاسع عشر ومفتتح القرن العشرين ؛ إذ نادى بوجوب إنهاضها والأخذ بناصرها لتستمتع بما لها من الحقوق الطبيعية والأدبية والدينية والاجتماعية ولتؤدى رسالتها التى خلقت من أجلها

وإنه لم يجهر بهذه الفكرة إلا بعد أن محصها وقلبها على مختلف وجوهها ، حتى اقتنع بصحتها ، واستوثق من صدقها ، وحلت منه محل العقيدة والإيمان ، ثم أبرزها فى كتابه « تحرير المرأة » وهذا ما عبر عنه فى مقدمة هـذا الكتاب حين قال :

« هـذه الحقيقة التي أنشرها اليوم شغلت فكرى مدة طويلة كنت في خلالها أقلبها وأمتحنها وأحللها ، حتى إذا تجردت من كل ما كان يختلط بها من الخطأ ، استولت على مكان عظيم من موضع الفكر منى ، وزاحمت غيرها ، وتغلبت عليه ، وصارت تشغلنى بورودها ، وتنبهنى إلى مزاياها ، وتذكرنى بالحاجة إليها . فرأيت أن لا مناص من إبرازها من مكان الفكر إلى فضاء الدعوة والذكر »

(ج) موضوعات الكتاب

اشتمل كتاب تحرير المرأة على مقدمة تمهيدية تصف حال المرأة في الأيام القديمة ، وتصوّر اضطهادها وإذلالها واستحواذ الرجل عليها بقوته وجبروته ، ومعاملته لها معاملة فيها قسوة وامتهان وبطش : بسجنها في المنزل ، وعدم الثقة بها ، والحيلولة بينها وبين الحياة ، وتعطيل حقوقها وما وهبها الله من قوى التفكير والإرادة والشعور . وجاء الإسلام فسوّى بين الرجل والمرأة في الحقوق ، وهذه الأحكام مقتبسة من تاريخ الأمم ، والتاريخ أكبر شاهد عليها

وعالج الباب الأول من الكتاب موضوع تربية المرأة وأثر هذه التربية في تثقيف عقلها ، وتهذيب خلقها ، وتنشئتها تنشئة صالحة ، وإعدادها إعداداً تاماً للحياة الكاملة ، حتى تنهض بنجاح وجدارة في الحياة العملية ؛ فتدبّر أمرها وأمر منزلها ، وأولادها ، وتقوم بوظيفتها في المجتمع قياماً حسناً ، وتطرح الخرافات والأباطيل ، وتتمسك بالعقائد الدينية والآداب الاجتماعية وتتمتع بما في الكون من علوم ومعارف وآثار

وقد حرمت فيما مضى — من التربية الصحيحة — فضعفت قواها الجسمية والعقلية والخلقية ، وصارت مصدر شقاء لنفسها وبعلها وذريتها وأسرتها . لأن التربية الحقة تحيي في نفوس النساء معانى الشرف والكرامة والعفة ، وتصونهن عن الفساد

وأفاض الباب الثانى في شرح حجاب النساء واعتباره أصلاً من أصول الآداب التي يلزم التمسك بها متى كان منطبقاً على ما جاء في الشريعة الإسلامية . وقد أنحى فيه المؤلف باللائمة على الغربيين لغلوهم في إباحة السفور والتكشف ، وعلى الشرقيين لغالاتهم في التحجب ، وأبان أن الفضيلة وسط بين هذين الطرفين ، ولا تتحقق إلا بالحجاب الشرعى . واستدل على ما يقول بما ورد في الشرع الشريف ، وناقش موضوع الحجاب والسفور نقاشاً دل على درجة تمكنه من هذه المسألة الاجتماعية الخطيرة

واختتم كلامه في هذا الباب بوجوب التدرج في السفور ، وإلا حدث انقلاب فجائى ينجم عنه ضرر جسيم ، ويؤدى إلى عكس المقصود

والباب الثالث من الكتاب يبين علاقة المرأة بالأمة ، فهى النواة للأسرة ، إن صلحت صلحت الأسرة ، وإن فسدت هى فسدت الأسرة تبعاً لها ، فهى المحور والمرتكز . ومن ثم كانت تربيتها أوجب من تربية الرجل . ومعلوم أن الأسرة هى الأمة مصغرة ، ومن مجموع الأسر تتكون الأمة . فالمرأة المتمدينة تخدم بلادها أجل خدمة بما تؤديه من أعمال جليلة في مواقف عدة

ولما كان ارتقاء الأمم يحتاج إلى عوامل شتى من أهمها ارتقاء المرأة ، وانحطاط الأمم ينشأ من عوامل مختلفة من أهمها انحطاط المرأة ، لزم العمل على إنهاض المرأة بتهذيبها وتطهيرها وتجميلها بالتربية الكاملة ؛ فهى الدعامة لبناء مجتمعها ، إن قويت قوى المجتمع ، وإن ضعفت ضعف المجتمع وساء مصيره

والباب الرابع خاص بنظام الأسرة وما يمس حياة العائلة من حقوق وواجبات وأحكام وعادات مما يتصل بمسائل الزواج ، وتعدد الزوجات والطلاق . واستند المؤلف في هـذا على ما ورد بكتب الفقه والمعاملات ، والشرائع والاجتماع

وقد أساء الناس فهم ما قصد إليه المرحوم قاسم بك أمين فظنوا أنه يدعو إلى الإباحة والمنكر ؛ وهو إنما دعا إلى الخير والإصلاح بما يتمشى مع الشرائع ولا يتنافى مع روح الدين

(د) الأسلوب

في أسلوب هذا الكتاب سهولة واسترسال . فلم يكن المؤلف متأنقاً في اختيار الألفاظ ، ولا متحذلقاً في صوغ العبارات ، ولم يعمد إلى زخرفة كتابته ، ولم يولع بالصنعة التي أغرم بها معاصروه من الكتاب ومن كانوا قبله

فجاءت كتابته خالية من التكلف والسجع . ولو أن قارئاً اطلع

على كتاب « تحرير المرأة » ولم يكن يعرف أنه لقاسم أمين لعدّه من المؤلفات الحديثة فى الوقت الحاضر ؛ لأن أسلوبه يقارب الأسلوب الذى يتوخاه الأدباء والصحفيون فى هذه الأيام من حيث السهولة والسلاسة

أما المعانى والأفكار والبحوث فهى مرتبة ترتيبا منطقياً سليما لأنه كان يأتى بالقضايا والأحكام بعد أن يمهد لها بمقدمات موصلة إليها ، ثم يدلل عليها بأدلة عقلية ونقلية ، ويعززها بشواهد كثيرة يسوقها من التاريخ ومن الواقع ، ليمنع عنها كل لبس ، وينفى كل شبهة ، ويسد على المعارضين طريقهم بالحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة . ولم تسلم ألفاظه وتراكيبه من أخطاء لغوية وصرفية ؛ ولم تخل تعابيره من التواء فى بنائها . والسبب فى هذا النقص يرجع إلى أمور من بينها أن اهتمامه كان متجهاً إلى ناحية الفكرة الإصلاحية التى يرمى إليها أكثر من اتجاهه إلى الناحية اللغوية ، وأنه لم يكن متضلعاً من فقه اللغة ولا من الدراسة الأدبية العربية فى الكتب القديمة التى هى المنبع الفياض للأساليب القوية الجزلة السليمة ؛ ونذكر على سبيل الاستشهاد بعضاً من هذه الأخطاء : فقد أكثر من استعمال كلمة « العائلة » وصوابها « الأسرة » ، وجمع كلمة « الأهل » على « الأهالى » وصوابها « الأهلون » ، وعدى الفعل « أعطى » باللام وهو يتعدى إلى المفعولين إذ قال : (وكثير من الرجال قد أعطوا لنسائهم مقاماً فى الحياة العائلية) ، كما عدى الفعل « أمكن » باللام إذ قال : (أمكن للأمة أن تنتفع بجميع أفرادها) ، وجمع « عادة » على « عوائد » والصواب « عادات »

ومن أمثلة الالتواء فى التعبير قوله : (وأذكر ملاحظة واحدة تؤيد ما قدمته – وهو أن نساء الإفرنج على العموم مهما كان حالهن فى الباطن يحافظن على الظواهر فيعيش الواحد بين رجل وامرأة يحب بعضهما بعضاً أياماً وأشهراً ولا يكاد تقع منهما هفوة تظهر ما كان خافياً بينهما الخ) إلى غير ذلك من الهفوات اليسيرة التى لا تخفى على الأديب .

ومهما يكن من شيء فالكتاب له قيمته الاجتماعية ، ويعتبر أثراً من الآثار الخالدة .

محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف

من الأدب الانجليزى

إذا ...

للشاعر الانجليزى كبلنج

إذا كان فى إمكانك أن تحتفظ بوقارك فى مجتمع فقده ثم عابه عليك ، وكان فى إمكانك أن تثق بنفسك حينما يشك فيك ، بعد أن تفهم رأيهم ووجهتهم التى يعيبونك فيها

إذا كان فى إمكانك أن تصبر دون أن تمل من الصبر ، وتصدق ولو كُذب عليك ، وتمتنع عن الحقد ولو حُقد عليك ، دون أن تفتخر بحكمتك وحسن شمائلك

إذا كان فى إمكانك أن تتصرف فى أحلامك دون أن تمكنها من نفسك ، وأن تفكر دون أن تجعل التفكير هدفاً لك

إذا كان فى إمكانك أن تثبت عند الهزيمة كما تثبت عند النصر

إذا كان فى إمكانك أن تكبح جماح نفسك فتصبر على أولئك الأوغاد الذين ينقلون كلامك بغير ما أمانة فيحرفونه ويبدلون فيه لغاية يقصدون بها نصب الشراك لأمثالهم الحمقى المجانين

إذا كان فى إمكانك أن تصبر على نوائب الدهر فتحاول اليوم بناء ما تهدم منك بالأمس ؛

إذا كان فى إمكانك أن تجازف بكل مالك فى مشروع نافع دون أن تظهر يأساً أو تذمراً إذا كانت عاقبتك الخسران ؛

إذا كان فى إمكانك أن تسخر قواك لخدمتك فى زمن شيخوختك ، وتثبت فى وقت لم يبق لك فيه إلا إرادتك التى هى مصدر قوتك

إذا كان فى إمكانك أن تخالط من هم أقل منك قدراً دون أن تخسر شيئاً من قدرك ومقامك ، وأن تماشى الملوك دون أن تفقد شيئاً من تواضعك ولين جانبك

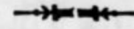
إذا كان فى إمكانك أن تتجنب شر أعدائك وأصدقائك ثم تضع ثقتك فى الجميع دون أن تسرف فيها مع أحد

وإذا كان فى إمكانك أن تملأ فراغ دقيقة يملأك فيها الحقد على أحد بركض مسافة لا بأس بها ، لك الدنيا وما فيها ، وفوق هذا فستصبح رجلاً بكل معنى الكلمة يا بنى ...

(حيفا . فلسطين) عبد الواحد الخطيب
المدرس بالمدرسة الاسلامية



بين (دغف) وصعلوك ومغفل . . . !



أبداً يظل الترام لمنظاري موضع فرجة لا تنفد، وذلك أنه ، من ناحية ، ملتقى ضيق يحشر فيه كل ساعة أنماط من الناس فى هذا المضطرب الواسع الذى ندعوه المجتمع ، ثم هو من ناحية أخرى المركب الوحيد الذى أتخذه فى ذهابي إلى مقر عملي وفى أوبتى من هناك ، فما كان لى وقد ضممت الفخر من أطرافه كما يقول مهيار وجمعت بين الحسنيين : وظيفة التدريس وحرفة الأدب ، أن يكون لى سيارة ، وبحسبى أن أركب كل شهر أو شهرين مع صديق فى سيارته أو أن أزحم الناس لأتخذ لى موضعاً بشق النفس فى سيارة عامة هى والترام شيء واحد !

كان الترام الجاهد بما يحمل من الخلق يجرى جرى من تقطعت أنفاسه ذات صباح ، وكان بيني وبين موعد الدرس الأول دقائق معدودات ، وكنت لا أفتأ أنظر إلى ساعتى وإنى لضائق بسرعة عقربها بقدر ما أنا ضائق ببطء الترام أخشى أن أتأخر فلا أدرى بماذا أعتذر لتلاميذى ولا كيف أخفى عنهم خجلى . دع عنك « البك الناظر » ونظراته على رأس السلم وغيظه المكظوم الذى لا آمن أن يظل مكظوماً . . .

وظللت أدعو الله ألا تفسد الزمارة أو تخرج « السنجة » عن خيوط الكهرباء، أو تتدلى عجوز لتنزل فتزل قدمها، أو يمر رتل من سيارات الجيش فيقف المرور ، أو يدفع القدر أحد الناس إلى حيث يلتهمه الترام . وقضيت لحظة أليمة على هذه الحال أسأل الله وأستعجل الكمسارى وأرهف أذنى إلى زمارته وأتلفت نحوه كلما أبطأ فى النفخ فيها

وأبطأ الكمسارى ، والتفتت فإذا شاب « أفندى » يقف على سلم المركبة والكمسارى يرجوه ويتوسل إليه أن ينزل ، فلا يجود عليه ولو بنظرة ؛ ويغلظ له الكمسارى شيئاً فشيئاً ، ولكنه يظل ثبت الجنان منتصب القامة مرفوع الهامة ؛ وأنظر وقد كاد يخنقنى الغيظ ، وينظر الراكبون جميعاً نحو ذلك الأفندى عسى أن يستحى ، فلا يشاء أن يرد أو يلتفت إلى أحد ، ويعود الكمسارى فيلين ويستعطف مبتسماً ابتسامة فيها معنى ذلك الصفاء الذى يسبق العاصفة ويذكر الأفندى بأن منع الوقوف على السلم قد بات أمراً معلوماً لكل الناس ، ولا حيلة له فى ذلك فهى مشيئة المصلحة والحكومة وعليه وحده الغرم إن تهاون . . . ثم إنه ييأس أخيراً فيقابل العناد بالعناد ، ويقسم أن لن يسير الترام إلا إذا نزل ذلك الأفندى « المتشمبط » . . . كل ذلك وصاحبنا لا يزداد إلا إصراراً واستكباراً ! . . .

ويضج الراكبون ، ويتقدم أحدهم بالرجاء فى رفق إلى ذلك الظريف المتعلق بالترام فيرد عليه بقوله : (موش شغلك يا أفندى) وتجرى على الألسن عبارات الاستنكار والتقريع والتوبيخ . . . وهو برغم ذلك مصر كأنه يجاهد فى قضية من قضايا الأوطان ، فلا يعرف فيها معنى الهوان أو الخذلان !

ويأتى صعلوك حافى القدمين ، حاسر الرأس ، فى يده عود ضخم من قصب السكر ، كأنه مدفع لطاردة طائرات العدو ، وفى جلبابه آثار تمزيق ، كأنه قادم لساعته من معركة ، ويتعلق هو أيضاً بالترام ، فلا يتمالك الناس أنفسهم أن يضحكوا ، على رغم ما كانوا يعانون من ضيق وغيظ !

ويحار الكمسارى بين الصعلوك والأفندى ، فقد أعلن أولهما أنه لن ينزل حتى ينزل الأفندى ، وهو لا يدرى أنه بذلك قد علق الأمر على المستحيل وأصبحت المصيبة مصيبتين ؛ وراح يتساءل ذلك الصعلوك فى حدة: لم يطلب إليه وحده النزول؟ أذلك لأنه «غلبان»؟ ويصرخ الكمسارى فى وجه الأفندى ضجراً ، فيرد عليه أخيراً بقوله «أما مغفل صحيح» ويوقن الكمسارى أن الحرب واقعة لا محالة فيرد عليه بقوله «إذا كنت أنا مغفل تبقى حضرتك دغف» . . . ويكتفى الصعلوك بذلك فينزل معتذراً وقد كان كفيلاً أن يحطم رأس الكمسارى بذلك «المترليوز» فى يده لو دعت الحال إلى ذلك

وينفد صبر المغفل فيجذب « الدغف » من كتفيه ويطول النزال ويعظم هول القتال ويتزاحم المتفرجون من السابلة ويتعطل الطريق ويضيع نصف الدرس وتنجلى المعركة أخيراً عن هزيمة « الدغف » . . . ويمضى الترام وأنا أسائل نفسى أيهما المغفل حقاً وأيهما «الدغف» حقاً وأيهما الاثنان معاً ؟ ولكنى لا أحتاج إلى طويل فكر لأقول إن المغفل لم يفعل ما يستحق من أجله أن ينعت بهذا اللقب ، وإن نعته به من جانب ذلك الأفندى المهذب لهو الغفلة بعينها ؛ ثم أسأل نفسى كذلك أى الرجلين كان أفضل وأكبر فى أعين الناس ألصعلوك أم الأفندى ؟ وأيهما إذاً هو الصعلوك حقاً ؟

أولى بنا والله أن نتساءل متى نتعلم النظام قبل أن نتساءل متى نظفر « بالاستقلال التام » .

الخفيف

وزارة المعارف العمومية

عـــدوان لطيف

للأستاذ محمود محمد شاكر

حضرة المحترم ناظر مدرسة ... الثانوية

قررت الوزارة (أى وزارة المعارف) كتاب المكافأة لأحمد ابن يوسف للسنة التوجيهية فى العام الدراسى الحالى ٤٠ / ٤١ ، والوزارة تطبع هذا الكتاب الآن بالمطبعة الأميرية ، بعد أن عهدت فى تهذيبه وتصحيحه وشرحه إلى حضرتى الأستاذين أحمد أمين عميد كلية الآداب ، وعلى الجارم بك وكيل دار العلوم

« وقد ظهرت أخيراً لهذا الكتاب طبعة أخرى قامت بنشرها المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، وهى طبعة فيها خطأ وتحريف ونقص فى الشرح والتعريف بأعلام الرجال ، وغير ذلك من العيوب »

فنلفت نظر حضرتكم إلى أن الطبعة التى ينبغى استعمالها والاقتصار عليها بالمدارس الأميرية والحرة هى طبعة الوزارة التى ستصدر من المطبعة الأميرية قريباً

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام السكرتير العام

١١/١١/١٩٤٠ مرسى فائق

***

وكان من قصة هذه النشرة الظريفة التى أذاعتها وزارة المعارف على المدارس الأميرية والحرة ، أنى نشرت كتاب المكافأة لأحمد ابن يوسف من المكتبة التجارية الكبرى فى ١٤ / ١٠ / ١٩٤٠ ، بعد أن حققت أصله وراجعته على الأصول ، وشرحت ما يعرض للقارئ من غامضه ، وكتبت لأحمد ابن يوسف ترجمة وافية جمعتها من بين سطور كتب التاريخ والتراجم ، إذ أن ترجمة أحمد ابن يوسف لا تبلغ عشرة أسطر فى الكتاب الفرد الذى ترجم له ، وهو معجم الأدباء لياقوت الحموى

وكان حقاً على وزارة المعارف ، أو على الأصح ، كان من الأدب المتبع أن تشكرنى على الجهد الذى بذلته فى تصحيح هذا الكتاب . ولكن الوزارة أبت أن تكافئ الجميل من العمل بالجميل من القول ، وقذفت الكتاب وناشره وطابعه قذفاً جارحاً لا مسوغ له ، وإذ كنت أعلم علم اليقين أن ليس بينى وبينها عداوة مستحدثة ، أو حقد متوارث ، فقد أذهلنى اجتراء هذه الوزارة على الطعن فى الكتاب طعن المنتقم المتضرم المغيظ الذى يفقده الغيظ سلطان الإرادة الحكيمة

والقارئ يعلم — ووزارة المعارف تعلم أيضاً — أن القانون يقدعها ويردها عن الطغيان كما يقدعنى ويردنى ، وأن هذه الجملة التى وضعناها بين الأقواس فى نشرة الوزارة ، إن هى إلا حشو لا معنى له ، وأن قد كان لوزارة المعارف مندوحة عنها ، وأن الكلام يستقيم بإسقاطها ، وأن أمرها لنظار مدارسها وأساتذتها وطلبتها واجب الاتباع . فإذا قالت الوزارة لهؤلاء إن الطبعة التى ستصدر من المطبعة الأميرية قريباً ! ! هى الطبعة التى تنبغى استعمالها والاقتصار عليها ، فهذا كفاية وفوق الكفاية فى منع الأساتذة والطلاب ! ! من اعتماد طبعتى فى الدراسة

ومع ذلك ، فما لا شك فيه أن السنة الدراسية الحالية ، قد انقضى من عمرها أكثر من الثلث ولم تصدر طبعة وزارة المعارف . أفيكون ثمة بأس على الأساتذة والطلبة أن يوفروا من الوقت المضاع أشهراً أخرى بالنظر فى نسختى ، حتى إذا ظهرت نسخة وزارة المعارف اتبعوها وألقوا نسختى ومضوا فى دراستهم فى كتاب الوزارة ؟ إنه مهما يكن فى نسختى من العيوب ، فلا يمكن أن يكون الأصل الذى طبعتُه من الكتاب غير الأصل التى تطبع عنه وزارة المعارف ، وما دام الأصل واحداً ، والنص واحداً ، فليس على الأساتذة والطلبة بأس . فهل تستطيع الوزارة أن تدعى أن نص الكتاب الذى طبعتُه — مهما يكن فيه الخطأ والتحريف — غير النص الذى يطبعونه ؟ وبالطبع نقول : لا ، وكلا ، وليس معقولاً ! !

وإذن ، فالجميل الذى أوليته وزارة المعارف ، وإخواننا من الأساتذة والطلبة ، جميل يوجب الشكر على من قدم له . هذا ، وأنت تعلم — ووزارة المعارف تعلم أيضاً — أن الأساتذة والطلبة مكلفون بشراء كتاب الوزارة كما اشتروا كتابى . فأمرها للأساتذة والطلبة بالاقتصار على طبعة الوزارة التى ستصدر من المطبعة الأميرية قريباً ! ! إيجاب عليهم بشراء كتابها وطبعتها ، فليس يضير الوزارة على ذلك شىء ، ما دامت ستنتهى إلى النهاية الطبيعية وهى بيع كتابها ورواجه بين المكلفين بدراسته

ونحن نعلم — ووزارة المعارف تعلم أيضاً — أن المفروض فى أمر هذه الكتب ، أن الوزارة لا تتجر بها للربح ، فإذا فرض

- وهذا مستحيل بعد أمر الوزارة للمدارس بالاقتصار على طبعتها التي ستصدر من المطبعة الأميرية قريباً ! ! - أن بقيت جميع نسخ الوزارة معطلة موقوفة لا تباع ولا تشترى ولا ترهن ! ! كالأوقاف والحبوس ، لما كان في ذلك شيء ، ما دام الغرض من طبع هذا الكتاب قد حقق للطلبة والأساتذة على ما قد يكون في طبعتي من العيوب

وبعد الاقتصار على هذا ، أظن وزارة المعارف قد استطاعت أن تفهم الآن مقدار ما أساءت به ، مع صرف النظر عن المسئولية الأدبية والقانونية التي وقعتْ فيها في نشرتها التي أذاعتها على المدارس الأميرية والحرة

وسأدع المسئولية القانونية التي يكفلها القانون لي ولصاحب المكتبة التجارية الكبرى - إلى أن يحين حينها وتأخذ طريقها الذي تقتضيه ، وأنصرف الآن إلى المسئولية الأدبية التي أغمضت فيها هذه الوزارة بغير رفق ولا حكمة ولا حرص

إن عمل وزارة المعارف ليس إلا الإشراف على التعليم ، وكل أمر أو نهي يصدر منها يجب اتباعه على المدارس الأميرية والحرة ونظارها وأساتذتها وطلبتها ، هذا ما نعلمه — وأظن وزارة المعارف تعلمه أيضاً — ، وليس من عمل وزارة المعارف فيما نعلمه — وأظن هذه الوزارة تعلمه أيضاً — أن تكون حكماً قاضياً على ما يصدر من الكتب غير مرسوم برسمها واسمها ، وإن كانت هذه الكتب مما قررته الوزارة لمدارسها . وما دمتُ لم أشر بحرفٍ واحدٍ في كتابي إلى أني قد نشرته لطلبة السنة التوجيهية بالمدارس الأميرية والحرة ، فليس من حق وزارة المعارف أن تتعرض للحكم عليه أو الطعن فيه على الأصح

ومع ذلك فأنا وأنت نعلم — ووزارة المعارف تعلم أيضاً — أن حكمها على الكتاب قد صدر ، وأن هذا الحكم ليس نقداً ولا شبيهاً بالنقد ، وإنما هو طعنٌ وتجريحٌ وطغيانٌ كلامىٌّ مؤذٍ كان يجب على هذه الوزارة أن تترفع عنه

ومع ذلك كله ، فالوزارة تقول إن هذه الطبعة التي نشرتها المكتبة التجارية الكبرى فيها « فُحْشٌ » ، هذا الحرف ، بهذا النص ، على هذه الصورة ، في هذا الوضع ! فأنا أتحدّى هذه الوزارة في هذا المكان وأطالبها باستخراج « الفحش » الذي وقع في طبعتي ، أين هو ؟ فإذا فعلتْ ، فسنرى أيُّ الفُحشين أفحش ، أهذا الذي تدعيه وزارة المعارف على كتابي ادّعاء ، أم الذي هو قائمٌ مقررٌ مثبتٌ في الكتب التي قررتها وزارة المعارف وطبعتها وأذاعتها ، وأمرت مدارسها بدراستها أعواماً طوالاً ؟

وتقول وزارة المعارف إن في طبعتي « تحريف » ؛ هذا الحرف ، بهذا النص ، على هذه الصورة ، في هذا الوضع ! فأنا أتحدّى هذه الوزارة أيضاً في هذا المكان ، وأطالبها باستخراج هذا « التحريف » ، ليعلم من لم يكن يعلم أيُّ التحريفين أقبح ، ما أقع أنا فيه ، أم ما وقعتْ فيه هي في الكتب التي صححتها وشرحتها وأذاعتها وقررت دراستها أعواماً طوالاً ؟

ومع ذلك كله ، فأنا أقرر في هذا المكان أن « الفحش » ! هذه واحدة ، وأن « التحريف » ! وهذه أخرى ، ليسا سوى دعوى من الوزارة لا برهان لها عليها ألبتة ، وأن الجرأة والطغيان قد بلغا مبلغاً في هذه النشرة الرسمية ، وأن كتب وزارة المعارف قد عرضت لي صفحتها ، فإن شئت قضيت وإن شئت أمسكت

أما ثالث أقوال الوزارة من أن الكتاب فيه « نقص في الشرح » ، فليس صحيحاً بوجه من الوجوه ، إذ كان شرحي مختصراً مبيناً عن وجه العبارة والمعنى ؛ وقاعدتي في الشرح أن أدع نص أصحاب اللغة في شرح اللفظ اللغوي ، إلى عبارة أعبر بها معنى الجملة على الوضوح والبيان . وبذلك أسقط من الكلام ما تحشو به وزارة المعارف كتبها من الشروح التي لا معنى لها . وسأضرب في كلمة أخرى أمثلة كثيرة أزعم أنها هي التي بغضت إلى الطلبة أكثر كتب الأدب التي وزعتها عليهم ، وصرفتهم عن الاستفادة منها

هذا ، ومن قرأ كتاب أحمد بن يوسف يعلم — ولعل وزارة المعارف تعلم أيضاً — أن الكتاب مجموعة من القصص القصير ، في عبارة قريبة واضحة ليس فيها من غريب اللغة إلا القليل ، ورب غريب فيها يبين عنه سياق الحكاية ، فلا معنى لإرهاق نظر الطالب والتهويل عليه بالشروح المستفيضة التي تخوفه أو تثقل عليه . ورب شرح قصير موجز واضح يكون أعظم بركة على القارئ من تمالح غليظ ثقيل وتقعر

وعندنا أن الأسلوب الذي جرت عليه وزارة المعارف في شرح كتبها أسلوب غير منتج إلا أسوأ النتائج ، لأنه يصرف الطالب عن الاستمتاع بالنص ، وعن التقليب له والنظر فيه ، وعن الترديد لطلب المعنى بالجهد القليل ، ويجعله حائراً بين الكلام الذي يقرأ وبين الشرح الطويل الممل الذي تتدلى حواشيه على

كل كلمة أو حرف من عبارة قصيرة قريبة المعنى دانية البيان ، وأن هذه الطريقة المضحكة هي التي تجعل الطالب لا يهتم كثيراً بالإصغاء إلى أستاذه اعتماداً على ما يتوهمه في الشرح الطويل العريض من الإبانة الصحيحة عن المعنى ، فإذا فعل ذلك ، ثم رجع إلى كتابه وقرأ شرح الشراح وأصحاب الحواشي لم يفهم ، وربما أضله هذا الشرح عن بعض الصحيح من الفهم الذي فهمه قبل قراءة الشرح . وأنا لا أقول هذا عن رجم وتظنٍّ ، بل أقوله وقد وقفت عليه من ملاحظتي لأكثر من عشرين طالباً من أبنائنا الذين كتب عليهم أن يتعلموا العربية في وزارة المعارف .

ولست أشك أن أكثر أساتذة العربية في المدارس الأميرية ، لو أتيح لهم أن يتكلموا لأظهروا هذه العيوب كلها لما يقاسونه مع الطلبة في دراسة النصوص العربية التي شرحتها وزارة المعارف

ومع كل ذلك ، فأنا أوافق وزارة المعارف على أن كتابي فيه نقص في الشرح ! فهل يعيبه هذا ؟ إنما العيب أن يطول الشرح ويكثر ، وتلج لجاجته ، ثم يكون هذا الشرح تضرباً في خطأ بعد خطأ ، وفي سوء فهم للعبارة ، وفي إبهام آت من قلة المعرفة بأساليب العرب في كلامها . وأنا أتحدى وزارة المعارف أن تخرج من كل ما صححت من الكتب ، بل من كل ما أكتب ، شيئاً يدل على ذلك . وما دامت الوزارة تأبى إلا أن تعتدى عليَّ فسأضع يدها على ضرب مدهش من الشروح التي وقعت فيها فيما طبعت من الكتب ، يدل كل الدلالة على أن الشراح لم يفهموا حرفاً واحداً مما قرأوا ، وأنهم ينقلون من الكتب ما يصادفون من المعاني ، لا ما توجبه الجمل من معاني اللغة ، وأنهم لا يتذوقون الأدب إلا بالوظيفة وعن طريقها ! !

أما النقص في التعريف بأعلام الرجال — كما تقول وزارة المعارف — فلا أظن أحداً قرأ كتاب أحمد بن يوسف ورأى ما فيه وعلم غرض مؤلفه منه ، إلا وجد من عيب وزارة المعارف لكتابي بهذا النقص — كما تسميه — أسلوباً مضحكاً في النقد . أتظن الوزارة أنها تستطيع أن تعرف بفلان وفلان وفلان ممن ذكر في هذا الكتاب في سطرين أو ثلاثة ، ثم يكون هذا تعريفاً ؟ كيف تستطيع هذه الوزارة أن تعرّف قارئ كتابها في سطرين أو ثلاثة : بإبراهيم بن المهدي ، وابن طولون ، وابن بسطام ، والمأمون ، وابن مدبر ، وخاله العشرى ، وابن أبي الساج ، وخمارويه ، وفلان وفلان ممن لا نحصى كثرة ؟ ؟ وهل تعتقد أن التعريف بأحد هؤلاء إن هو إلا ذكر سنة مولده أو سنة وفاته أو وظيفته في الدولة ؟ وقضى الأمر الذي فيه تستفتيان ! هذه طريقة في التعريف بالرجال مضحكة ، لا نلجأ نحن إليها ولا نقرها ، ونعلم أن لا فائدة فيها للطالب أو غير الطالب بتة . وستخرج طبعة وزارة المعارف التي تطبع بالمطبعة الأميرية قريباً وسنعلم كيف فمات ! وندلها على الصواب في كل ذلك إن شاء الله

وأخيراً ... وأخيراً ، أيها القارئ ، تقول وزارة المعارف بعد أن أنهكها تعداد عيوب كتابي ، وبلغ منها ، وكدها ، وأوهى متنها ، واستصفى نشاطها ، وحيرتها الكثرة التي لا تحصى من بلادتي وغفلتي وأخطائي ... أخيراً تقول : وفي هذا الكتاب الذي نشرته : « غير ذلك من العيوب » : « فقطعَ دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »

وأخيراً أيضاً ، أشكر وزارة المعارف على حسن جزائها لي في كتاب لم أتقدم به إليها ، ولكني تقدمت به إلى قراء العربية ، ثم أشكرها على توصيمها لاسمي واسم هذا الكتاب بالنشرة التي أذاعتها على مدارسها . وإذا كانت وزارة المعارف تجهل من أنا ، وما عملي ، وكيف هو — ووزارة المعارف تجهل أشياء كثيرة — فكل ذلك لا يبيح لها أن تهجم على الناس بالسيء من القول .

إني أعلم كيف كتبت هذه النشرة ، ومن الذي أملاها ، ولأي غرض أمليت على من كتبها ، ومن المضحك أن يجرؤ إنسان كل درجته في هذا الأمر تأتي من قبل وظيفته . أو أن يجرؤ إنسان كل علمه يأتيه من قبل شهادة نالها ، ثم من وظيفة قدر له أن يحرزها أو تحرزه ، ثم من ثالثة الأثافي التي هي الحظ .. أقول : من المضحك أن يجرؤ أحد هذين أن يدعي لنفسه حق الحكم على عمل أعمله مستتراً وراء نشرة تصدرها وزارة المعارف ، وهو لو وضعته بين أنملتي التي أمسك بها هذا القلم لمزّقت عنه كل الوشي المصنوع الذي يكتسيه ويتجمل به ... ومع ذلك فسوف نرى

محمود محمد شاكر

حكم استئنافياً بتغريم حسين خليل عمر البقال بباب الشعرية بالقضية ٦٨٥٠ بجلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جنيهاً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة

حكم استئنافياً بتغريم مايرمغربى البقال بباب الشعرية بالقضية ٩٦٨٦ ت بجلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جنيهاً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة

حكم استئنافياً بتغريم هلال سويلم بسيونى البقال بشارع فاروق في القضية ت ٩٦٩٠ بجلسة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ جنيهاً لبيعه كبريتاً بأزيد من التسعيرة .

كلمات ...

الإصلاح الاجتماعي

قرأنا في الصحف أن وزير الشؤون الاجتماعية يقدم إلى مجلس الوزراء مشروع قانون بإنشاء مجلس أعلى للشؤون الاجتماعية

وما نظن حكومة من حكومات العالم ، ولا أمة من أمم هذه البسيطة ، هي أكثر لجاناً ولا أطول لساناً في الكلام عن الإصلاح من حكوماتنا ولا من أمتنا المصرية .

وهذه « لجنة » أخرى جديدة للشؤون الاجتماعية ، أي للاصلاح الاجتماعي

والإصلاح الاجتماعي هو تمدين الأمة ونقلها مما هي عليه — والمثقفون منا يعرفون وتضيق صدورهم مما هي عليه — ويكاد يكون من العجيب أن تؤلف لجنة لهذا الغرض قبل أن يتحدد بيننا هذا الغرض نفسه .

فهل نحن نريد أن نكون أمة أوربية ، أم نريد أن نكون أمة شرقية ... أم نريد أن نكون — كما يقول كثيرون من المترددين — بين هذه الحضارة الشرقية التي ورثناها وبين هذه الحضارة الأوربية التي تغزونا ؟

ونحن ليس من همنا في هذه الكلمة أن نقول رأينا فيما يجب أن تكون حضارتنا وثقافتنا بين الحضارات ، بل همنا أن نقول : إنه عجيب أمر هذه اللجنة التي يؤلفها وزير الشئون الاجتماعية للاصلاح الاجتماعي

وقبل أن تؤلف لجنة لهذا الغرض يجب أن نحدد موقفنا قبل كل شيء ، ويجب أن نعرف في أي مكان نريد أن نضع أنفسنا بين أمم الأرض ، لا أن نسير فنخبط ونخلط كما نفعل الآن ، وكما فعلنا منذ لابسنا الحياة الأوربية وذقنا ثقافة الغرب وتفكيره وحضارة عصره

ويجب قبل ذلك أيضاً أن نهيئ الرأي العام لقبول ما نريد أن نسوقه إليه وأن نقوم حياة شعبنا عليه من إصلاح جديد

وسأضرب مثلين مفردين لتوضيح ما أريد :

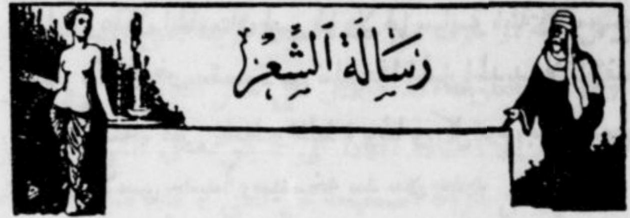
فهذا تعليم الأمة وتنوير الجيل الجديد منها تسيطر عليه وزارة خاصة هي وزارة المعارف ، وتهيمن على ثقافة الخلاصة منه جامعتان : جامعة فؤاد الأول ، وجامعة الأزهر . ولكن هذه الوزارة وهاتان الجامعتان ليس لها ولا لهما سياسة ثابتة ولا منهج مستقر ولا غرض مقصود من تعليم هذا الجيل الجديد ولا تثقيف الخلاصة منه . فهي تخبط وتخلط ، ولها في كل يوم جديد ينسخ ما كان بالأمس جديداً وسينسخه بعد حين جديد

وما يقال عن وزارة المعارف وعن جامعتينا يمكن أن يقال عن هذا الإصلاح الاجتماعي الذي تؤلف له وزارة الشؤون « لجنة » قبل أن تتحدد غاياته وأغراضه ومراميه . والمثل الثاني هو قانون أصدرته هيئة إصلاحية وصدر به قانون ألزم جميع المحاكم والناس أن يعملوا به : وهو قانون الطلاق الثلاثي يقع واحدة

فلا يزال كثيرون من سواد الناس ومن الفقهاء لا يرضى فيه بما رضي الأزهر ورضيت المحاكم الشرعية العليا ولا بما أمرت وزارة العدل وقوانين الدولة ، لا يزال هؤلاء الكثيرون من السواد ومن الفقهاء يوقعون الطلاق الثلاث ثلاثاً برغم هذا كله وقد مضت على هـذا القانون عشر سنين أو تزيد ، فهذا مثل للاصلاح الذي لم نهيء له الرأي العام ولم نمهد له نفوس الناس حتى يمكّن لذيوعه ورسوخه رضاهم واطمئنانهم إليه قبل أن تمكّن له قوة القانون

فقبل أن تؤلف وزارة الشؤون الاجتماعية لجنة للاصلاح الاجتماعي يجب أن يكون الغرض من هذا الإصلاح وأن تكون الغاية فيه واضحة بيّنة معلومة الحدود والمرامي والتفاصيل ، وأن تُهيأ لها قبل ذلك نفوس الناس .

(محمود)



من وحي الحرب

أوراق الخريف...

[مهداة إلى الأستاذ «العقاد»]

للأستاذ محمود الخفيف

يا هَوْلَ ما توحيه من خاطرٍ ... جموعها المائلَهْ
الموتُ فى بطشٍ له قاهرٍ ... ألقى بها ذابلَهْ
مضمونةً بعد الصِّبا الناضرِ ... مُصفَرَّةً آلافُها الراحلَهْ
مطعونةَ الأوَّلِ والآخرِ ... مذعورةً مُعجَلةً ذاهلَهْ!

* * *

تسابقت فى وثبها للفناءْ ... صفوفها الواهيَهْ
كأنما يدفعها فى الخفاءْ ... لحتفها طاغيَهْ!
أو قادها للموتِ كُرْهُ البقاءْ ... فى عيشةٍ تُفضى إلى الهاويَهْ
الذلُّ فى ناحيةٍ والشقاءْ ... والبطشُ والطغيانُ فى ناحيَهْ

* * *

يا سوء ما توحيه لى من خيالْ ... أوراقُ هذا الخريفْ
فى حشدها كم ذا أرى من مثالْ ... لكلِّ عانٍ لهيفْ
كم موجَعٍ فيها وكم ذى كلالْ ... مُهدَّمٍ أضناه كسبُ الرغيفْ!
يا قبحها! توحى لنفسى المآلْ ... لكلِّ فينانٍ بهيجٍ رفيفْ

* * *

كم صوَّرت ريحُ الشمالِ الطغاةْ ... لم تلوهم عاطفَهْ
من كلِّ عاتٍ شرُّ ما فى الحياةْ ... حياتُه العاصفَهْ
أممٌ كم تُزجى المنايا يداهْ ... والأرضُ من هولِ الردى راجفَهْ
ما وطئت أذنيه يوماً شكاةْ ... أو عطفته الرحمةُ اللاهفَهْ!

* * *

جنكيز أو تيمورُ هذا الزمنْ ... فى عصفها ماثلُ
يُترِعُ للعصرِ كؤوسَ المحنْ ... زُعافُها عاجلُ
وذلك المسكينُ مهما افتتنْ ... فى غده من سُمِّها ناهلُ
مهما يكن من هولِ هذى الفتنْ ... عمَّا قريبٍ يزهقُ الباطلُ

* * *

هذى الجموعُ الصفرُ كم نبَّهت ... شجوى أوصافُها
لشدَّ عند الموتِ ما أشبهتْ ... بنيه آلافُها
فى غمرةٍ من خلفهم ما وهتْ ... أيدٍ بروقُ الوهمِ أهدافُها
فخارُها فى العيشِ ما شوَّهتْ ... ومنتهى العمرانِ إتلافُها!

* * *

تكرُّ بى أشلاءُ تلك الغصونْ ... تُذرى بكلِّ النواحْ
للريحِ فيها من نوازى الجنونْ ... عصفٌ بها واجتياحْ
طيفٌ لروحى من طيوفِ المنونْ ... الويلُ فيه والأسى والنواحْ
فيه الضحايا ساقها المبطلونْ ... أشلاءُ هاملةُ الربى والبطاحْ!

* * *

انتثرت أوراقُ هذى الشجرْ ... وأوحشت عاريَهْ
كأنها فى الأرضِ بعضُ الأثرْ ... لهذه الغاشيَهْ!
لكنها خضراءُ لم تُهتصرْ ... تُكسى حلاها فى غدٍ ثانيَهْ
إن أوحشت فى العينِ عند النظرْ ... ففى حشاها تكمنُ العافيَهْ

* * *

يا ويحَ للإنسانِ ما إن له ... فى غيِّه من قريعْ
تنثرُ كفُّ الدهرِ آمالَه ... وما له من ربيعْ
والبغىُ كم ينقصُ آجالَه ... والعيشُ عجلانَ الليالى سريعْ
صريعُ هذا البغىِ يا ويلَه ... يرثى جنانى للشقىِّ الصريعْ!

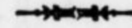
الخفيف



شىء موجود

الانجـــــذاب

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



يصف عامتنا الرجل الطويل اللسان الذى لا يكتم الحق ، والذى يلقيه على عواهنه يخز به الصغير ويخدش به كبرياء المتكبر ، ويجر به الخير ويسبب به الكارثة ... بأنه « مسحوب من لسانه »

وهذا الوصف يفهم فهمين : الفهم الأول هو ما تؤدى إليه هذه الصورة المادية التى يقصد عند إدراكها الفنانون بالصور المادية ، والفهم الثانى هو ما يدركه الطامحون الذين يسمون إلى المعانى ، والموهوبون الذين تسمى المعانى إليهم، وهو أن يُعتبر الرجل المسحوب من لسانه إنساناً إذا رأى الحق انشدّ إليه فلم يتثاقل عليه ، ولم يفكر فى الامتناع عنه ، ولم يتريث فى الذهاب إليه ، وإنما هو يندفع قاصداً إياه ليسكن فيه ، ولينعم بلذة هى السكنى ، وليَنتشى بما تبعثه فى نفسه من الاطمئنان الذى لا يرتاح إلا إذا حصله والذى يقلق إذا فوّته ، وهو فى اندفاعه نحو الحق لا يمشى على رجليه ، ولا يطير بجناحيه ، وإنما يحرك لسانه بالقول يقرر به الحق الذى لمحه من غير جهد يبذله فى تحريك لسانه ، ولا عناء يتجشمه فى تقريره للحق . بل إن الجهد يبذله إذا أمسك لسانه ، والعناء يتجشمه إذا قاوم الحق وتمنع معه والتوى عليه ...

وهذه الصورة المعنوية للرجل المسحوب من لسانه هى نفسها صورة المجذوب الذى يبيع الدنيا بكلمة حق يقولها فيفتقر ويخسر الناس ، ويطيح إلى خارج أنظمتهم وقواعدهم ، ويهدم النصراء منهم والأنصار ويتلقى على أم ناصيته التهم تكال له جزافاً أشرفها وأنظفها أنه مجنون لا عقل له ولا تمييز ، والسخرية تنهال عليه من كل جانب لأنه الإنسان الشاذ الذى يقول ما لا يصح أن يقال والذى يفعل ما تواطأ الناس على ألا يفعلوه . . . وهذه الصورة هى أيضاً نفسها صورة الأديب الفنان الصادق الحس السليم المنطق الصادق التعبير الواضح القصد ، فهو نفسه المجذوب وهو نفسه المسحوب من لسانه الذى يقول للمجتمع مهما اغتر المجتمع : إنك يا أيها المجتمع مغرور ومخطئ ، والذى يقول للسلطان مهما قوى السلطان ومهما اشتد : أيها السلطان إنك حائد عن الحق ومنزلق إلى الباطل ، والذى يقول للعقيدة مهما تغلغلت فى النفوس وتأصلت فى القلوب : أيتها العقيدة إنك فاسدة ترتكزين على مغالطة، فانهارى لأقيم مكانك فى نفوس الناس عقيدة أخرى تقوم على أساس من الحق الصافى

وهذا الأديب لا يصل إلى هذه الدرجة من قوة النفس إلا عن واحد من سبيلين . فإما أن يكون قد ولد من أبوين صادقين غربلا نفسيهما قبل أن ينتجاه ، ونفيا عن روحيهما كل خدعة وكل أكذوبة ، وركنا إلى الحق فى إحساسهما وتفكيرهما ونزعاتهما ، ولم يعودا يتأثرا بالهوى ، ولم يعودا يظنان بأنه كان يصح أن يكون لهما أكثر مما لهما ، وهذان أبوان لم يلتقيا ... وإما أن يكون كبقية الناس قد ولد وقد ورث نواة الخطيئة الحادثة من تفاعل الغرور عند أبيه والطمع عند أمه ، وأن يكون قد انتبه إلى هذا على أثر حادثة من الحوادث ، فبدأ يأخذ نفسه بمراقبة الحق وتحريه والقصد إليه حتى تنفتح نفسه للحق انفتاحاً فيحبها الحق كما تحبه وينزل فيها كما تنزع إليه ، وليست نفس الإنسان إلا حقاً من الحق إذا صفت وانفلتت دون الغرور والطمع نمت خالصة واستدعت من الحق حقاً وحقاً ، وكلما أحاطت بحق مثلته فصار منها ، وكلما كبر ما فيها من الحق وزاد ، اشتدت قوتها على استدعاء الحق الذى غاب عنها ، وما تزال هكذا حتى يكون لها إذا أرادت أى حق أن يلبيها مهما كان نزاعاً إلى التستر

والإنسان الذى يحاول هذه المحاولة ويعانى فيها هذا العناء ، ليس له قصد إلا هذا الحق المجرد ، فهو إذا وصل إليه مجذوباً ، حدث بينه وبين الحق تصادم هو عناق اللقيا ، وكان لهذا التصادم صوت هو قبلة الشوق ، وهى من الأديب كلام ، ومن سواه فنون أخرى ...

وقد تعجز أى قوة فى الأرض عن أن تحول بين الأديب المجذوب المسحوب من لسانه وبين كلمة الحق يفرقعها رنانة مدوية

كما يفرقع العاشق المجنون قبلة التحرق إذا التقى بحبيبه

وكما أن العاشق المجنون يظل يسعى ، ويظل يصبر الزمن الطويل حتى يلتقى بحبيبه بعد أن يكون قد داخ فى البحث عنه ، وفى الصبر عنه ، وفى الشوق إليه ، فإن الأديب المجذوب هو أيضاً يظل يسعى ، ويظل يصبر الزمن الطويل وهو مملوء شوقاً إلى حق يظل به حقاً ، أو يقيم عليه حقاً ، فكيف يمكنه إذا لمحه وتبينه أن يعود إلى الصبر عنه والصبر مر ؟ ! إنه لا يعود إلى الصبر ، وإنه ليتهافت على معشوقه الذى كان غائباً عنه ثم تجلى ... سبحانه من معشوق وتعالى !

هى دوخة يدوخها المجذوب قبل أن يصل ، فلا يلومنه إنسان إذا هتف كذلك الذى هتف وهو عريان فى الحمام ، وقال : « وجدتها » ! وانطلق من الحمام وهو عريان ليعلن أمام مخلوقات الحق أنه قد وجدها ، وهى أنه إذا غطس جسم فى الماء ازاح من الماء ما يساوى حجمه حجم ذلك الجسم الغاطس ...

وفى أثناء هذه الدوخة تظهر على الأديب المجذوب المسحوب من لسانه أمارات لا تظهر إلا على الداخين فعلاً وحقاً فهو إذا انفرد بنفسه أو إذا لم ينفرد بنفسه فهو لا يفتأ يفكر مع نفسه ويتناقش مع نفسه ، ويتحدث مع نفسه بالإسرار أحياناً ، وبالجهر أحياناً ، وإن عقله ليهديه فى بعض الأحيان إلى ما يحسبه حقاً ثم يهديه بعد ذلك إلى ما يهدم هذا الذى حسبه حقاً فإذا به يضحك فجأة وهو منفرد أو بين الناس ساخراً من نفسه لأنه حسب باطلاً من الأباطيل حقاً فى زمن من الأزمان ، وقد لا تقف به الحال عند الضحك . بل إنه قد يلطم نفسه لطمة ، وقد لا يقف به الحال عند هذا بل إنه قد يضرب رأسه فى جدار إذا كان قد رتب على هذا الباطل الزور قولاً فأعلنه أو فعلاً فأداه

إنه يعامل نفسه كما يعامل غيره . بل إنه ليشتد مع نفسه ويصارحها بعيوبها أكثر مما يشتد مع الناس وأكثر مما يصارحهم بعيوبهم ، فليس هناك ما يدعوه إلى أن يترفق مع نفسه كما يترفق مع الناس مجاملة أو تهيباً أو توقيراً أو عطفاً أو شفقة ، وهو مع شدته هذه أشد الناس رحمة لنفسه، فهذا الذى يصنعه ليس إلا تخليصاً لها من أدران البهتان وظلمات الأراجيف

وإذا كنا قد رأينا أديباً كهذا الأديب قد انشطرت نفسه شطرين وتسلط كل شطر منهما على الآخر يحاسبه ويناقشه ويناضله كأن بينهما عداوة تهدى إلى الحق ، فإننا قد رأينا أيضاً مغنين مجذوبين ورسامين مجذوبين وممثلين مجذوبين ومجذوبين آخرين من غير هؤلاء وهؤلاء .

والفرق بين كل واحد من هؤلاء وبين الأديب المجذوب ، أن الأديب المجذوب مسحوب من لسانه إلى الحق فهو يعلنه بالكلام الملفوظ أو بالكلام المقيد كتابة ، وأن الواحد من هؤلاء مندفع إلى الحق ومتجه إليه بناحية أخرى من نواحى نفسه المنشقة هى أيضاً شقين ، والشطورة هى أيضاً شطرين .

فالمغنى المجذوب تراه وهو فى حالة الانجذاب وقبيل أن يستقر على صوت روحه يهتز ويترنح — كما يفعل الشيخ على محمود — يريد ألا يمر من حنجرته إلى الخارج إلا صوت مبعوث من قرارة نفسه فيه التعبير الصادق عن المعنى الذى يقصد إلى التغنى به . وهو لا يزال فى هذا الاهتزاز وهذا الترنح المتعبين حتى ينطبق كل شطر من شطرى نفسه على صاحبه فإذا تم له هذا التوحد الروحى انطلق الغناء من صدره ... من أعماق صدره ... وجاز حنجرته منساباً مختاراً لا يتحسس أوتارها ، ولا يضغط على مقاماتها ، ولا يرعى ما يرعاه المغنون من وزن النغمات وربط الضرب وتقييد الواحدة ، وإنما أرسل الغناء إرسالاً تعبيراً ساذجاً صادراً من نفس تغنى ... وعندئذ يكون المغنى كما يكون الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى وهو يقرأ غائباً عن الناس أو فى شبه غيبوبة عنهم ... وكما يكون أيضاً الشيخ على محمود عند ما يتجلى الله عليه فلا يجاريه إنسان

وقد ينجذب المغنى إلى حق التعبير عن نفسه بالغناء فلا يعبأ بالناس أن يستمعوه أو أن ينفضوا من حوله فهو يغنى لغير مستمع أو لأى مستمع ، وهو يغنى منفرداً كما يغنى فى الجماعة ، وهو يغنى فى مقام الغناء وفى غير مقامه ، وهو يحترف الغناء أحياناً ويكف عن احترافه أحياناً كما يفعل الأستاذ مصطفى أمين الذى كانت له (شنة ورنة) منذ سنوات والذى لا يكاد أحد يدرى أين هو الآن ، والذى قيل لى منذ عام أن نفراً من أصحابه يشتبهون فى متسول مغن أن يكون هو الأستاذ مصطفى أمين أرسل نفسه فى الدنيا ينشد تسبيحاً لله وصلاة وتسليما على رسوله ...

والرسام إذا انجذب ... فيا ويل الأوراق والأقلام والألوان منه ... إنه يخبط بعضها فى بعض ، ويخرج من هذا الخبط بأشكال يرضيه بعضها وينفره بعضها ، ويرى هو فيها جميعاً ما لا يراه غيره من العيب والنقص ، وقد يكون رسمه مؤدياً لما

لا تبلغ إليه أيدي الرسامين من معاصريه ، ومع هذا فهو الذي يعلم أن عمله ناقص ، لأنه هو الذي يحس أنه لا يزال في الطريق مدفوعاً نحو تلك الصورة التي تتخايل أمام عينيه غامضة وراء أحجبة الزور وسحابات الباطل . . . فإذا ما اقترب . . . أو إذا ما وصل فعندئذ ينفجر بالصورة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ، ولا اضطراب ، والتي لا أثر فيها لانشقاق النفس وانشطارها ، والتي هي أثر من آثار توحد النفس : إحساسها ، مع إدراكها ، مع خلقها ، مع تعبيرها ...

والممثل إذا انجذب إلى دور كان كالأستاذ عزيز عيد وهو مجذوب إلى دور مجنون ليلى ...

كل الممثلين ، وكل النقاد ، وكل الناس كانوا يسخرون منه ، وعلى الخصوص بعد أن شاهدوا المجنون من الأستاذ أحمد علام الممثل المتمشق المتأنق اللبق ، فلم يجدوا مطلقاً ما يبرر ظهور عزيز عيد في هذا الدور الذي قال الناس جميعاً إنه لا يصلح له لا بجسمه ولا بنفسه ... وليس الأستاذ عزيز عيد بالرجل الذاهب العقل ، ولكن عقله ذهب إلى هذا الدور ، واستهان بعلام فيه ، كما استهان بحسين رياض فيه ، وهو لم يستهن بهما على تمكنهما المعترف به إلا لأنه كان يرى للمجنون صورة أبعد نحو الحق من الصورة التي رأياها هما . . . هي صورة لما رأيتها منه أبصرت فيها من المسيح ملامح . وقد ظل عزيز عيد يخاصم أهل الفن جميعاً في سبيل هذا الدور حتى تعب هو نفسه منه لأنه اقتنع في آخر الأمر بأن مادة بدنه تقعد عن تحقيق الصورة الخيالية اللطيفة التي يتصورها ، وأنه لن يستطيع أن ينقل من هذه الصورة إلى أذهان الناس حتى ولا التظليل الباهت الغامض ، وأنه محتاج إلى جمهور من الملائكة أو الجن يستشفون روحه من وراء مادة بدنه ....

عافاه الله من ممثل عاشق لفنه ، صادق في عشقه ، مجذوب

عزيز أحمد فهمي





تشابه الفكرة عند الكتاب

إلى الدكتور زكي مبارك

لاحظت أثناء مطالعتي كثيراً من التقارب بين أفكار المؤلفين مما يثير حب استطلاعي في معرفة سبب ذلك وهل هو تأثر بعضهم ببعض، أو تشابههم في وجهة النظر والتفكير، أو نقل أحدهم عن الآخر، أو تشبع أحدهم بآراء مشابهة لآراء الآخر. فمن ذلك أني لاحظت مثلاً في أثناء قراءتي مقالاً للأستاذ أحمد أمين منشوراً بمجلة الثقافة تحت عنوان (في المدنية الحديثة) بتاريخ ١٩ / ١١ / ٩٤٠ في عددها رقم ٩٩ - أن بعض أفكاره خصوصاً عن الحقيقة العقلية في آخر الصفحة الثامنة وأول الصفحة التاسعة من المجلة - تشابه أفكار الأستاذ توفيق الحكيم السابق نشرها في كتابه «تحت شمس الفكر» في صفحة ١٠ و ١١ وما جاء بكتابه «عصفور من الشرق» في صفحة (١١١).

كما أني قد لاحظت من قبل في مقال سابق للأستاذ أحمد أمين في مجلة الثقافة عدد ٢ بتاريخ ١٠ يناير سنة ١٩٣٩ تحت عنوان «بين الشرق والغرب» نفس التشابه في الروح والأفكار لما جاء في بعض صفحات «عصفور من الشرق» خصوصاً في صفحاته ٩٠ إلى ٩٤ و صفحة ٢٠٣ و ٢٠٤

فالرجاء إذا كان لديكم متسع من الوقت لمراجعة مثل هذه المسائل أن تفيدونا في مقال من مقالاتكم الطريفة الممتعة في الرسالة عن رأيكم في مدى ملاحظتي هذه، وفي مدى العلاقات الفكرية التي تربط الكتاب من حيث الاتحاد في وجوه النظر وطرائق التفكير.

محمد الرفاعي

المحامي

جرائم أدبية !

هذا التعبير الفظيع هو الذي يصور ما أريد، وتلك الجرائم هي جناياتي على أدبي، الأدب الذي رجوت أن يكون صورة صحيحة لما يثور في القلب والعقل والوجدان، ثم لم يكن مع الأسف إلا شاهداً على أني أساير الناس وأصانع الزمان

أقول هذا وقد مزقت بالأمس صفحتين أنشأتهما في لحظة صفاء، وقد عرفت أن أصحاب «الحب الغاضب» لا يزالون أحياء، وأنهم لم يكونوا غائبين، وإنما كانوا غاضبين

ألم أقل لكم إن القطيعة المقصودة من فنون الوصال ؟

ولا أعرف كيف مزقت هاتين الصفحتين وهما عصارة قلبي وروحي ؟

هل كنت أخشى أن تكونا وثيقة جديدة على أني رجلٌ مفطور الفؤاد ؟

وما العيب في ذلك وما ظهر في الدنيا أديب بلا قلب ؟

هل كنت أخشى أن يقول السفهاء إن أصحاب القلوب لا يصلحون لكبار الأعمال ؟

وكيف أخاف أقوال السفهاء ومنهم عرفت أن التجريح لا يصوب إلا إلى الأديم الصحيح ؟

أمثلي يخاف الناس وهو يعبد الله كأنه يراه ؟

لقد فكرت في أمري مرات فوجدتني أصدق من توكل على الله، ورأيته عز شأنه يرعاني رعاية رفيقة هي البرهان الساطع على حمايته لأرباب القلوب

فما خوفي من زماني، وأنا بفضل الله في أمان من مكاره الزمان؟

النفاق عمل ضائع، والمنافقون ضائعون، ولن يبقى في صحيفة الخلود غير القول الصادق الصريح، ولو كان في ظاهره رجساً من عمل الشيطان

كنت أقسم ثم يسوقني الهوى إلى الحنث، فلما أقسمت بالله الذي أقسم بالقلم لم يعرف الهوى كيف يسوقني إلى الخلف في اليمين

فهل أقسم بالذي أقسم بالقلم لأفين لوحي القلب أصدق الوفاء؟

أخشى أن تكون في صدري بقية من الشرك، وللشرك دلائل منها تهيب الناس، وأنا أكتم بعض آرائي عن الناس

فمتى يرحمني الله من هذا الشرك الوبيل؟ ومتى أنظر فلا أرى غير ما لذاته العالية من عظمة وجلال ؟ ومتى أعرف أن جوح القلم من أشرف الأرزاق، لأنه من شواهد الاعتماد على صاحب العزة والجبروت ؟

زكي مبارك

سؤال إلى علماء الآثار عن المحيا النبوي بالأزهر

جاء في كتاب الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة للعالم الجليل على مبارك باشا وهو الكتاب المعروف باسم الخطط التوفيقية — كلام عن أثر بالجامع الأزهر يسمى – المحيا النبوي – في أثناء ترجمة الشيخ أحمد شهاب الدين الكلبي المالكي (جـ١٥ ص ١٠١) وقد نقلت الخطط هذه الترجمة وما جاء فيها من ذلك الأثر عن كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، فذكرت أنه ممن ولد بعنفلوط الشيخ أحمد بن عيسى بن غلاب بن جميل المنعوت بشهاب الدين الكلبي المالكي شيخ المحيا النبوي بالجامع الأزهر نشأ بعنفلوط ثم تحول مع أبيه إلى مصر فحفظ القرآن وعدة متون وأخذ عن والده وأعيان العلماء . إلى أن قالت : وجلس بالمحيا بعد والده ، ووالده بعد البلقيني ، والبلقيني بعد الشيخ صالح ، والشيخ صالح بعد الشوني المدفون بزاوية الشيخ عبد الوهاب الشعراني . ثم ذكرت أنه توفى سنة سبع وعشرين وألف ودفن بالقرافة الكبرى بمصر

وهكذا عنيت الخطط كما عنى كتاب خلاصة الأثر (جـ٣ ص ٣٨٢) بسرد شيوخ هذا المحيا من الشيخ شهاب الدين الكلبي إلى الشيخ الشوني ، ولم يرد فيهما شيء يبين هذا المحيا نفسه ، فلم يعرفانا أمره ، ولم يهتما ببيان مكانه بالجامع الأزهر ، ولم يشرحا الغرض المقصود منه فيه ، وقد أردت أن أعرف الآن شيئاً عن هذا المحيا النبوي من بعض شيوخنا بالأزهر ، فلم أجد عندهم شيئاً من خبره ، إذ نسى الآن أمره ، ولم يعد له شيوخ يجلسون فيه كالشيوخ الذين جلسوا فيه سابقاً

ولعلى بعد هذا أجد من قراء مجلة الرسالة الغراء — ولا سيما علماء الآثار — من يكون عنده علم بهذا المحيا النبوي ، فيبين لنا مكانه بالجامع الأزهر ، ويشرح لنا أمره فيه

عبد المتعال الصعيدي

تصويب وتعليق

ترجم الأستاذ النشار في العدد الماضي من الرسالة أبياتاً نظمها « لورد دنساني » أثناء مروره بمصر جاء في مطلعها :

« أيها الملوك الأربعة الجالسون في ساحة أبي سنبل متجهين نحو مشرق الشمس ، لقد رأيتم الإنسان يطير »

ولقد قرأت هذه الترجمة فسحرني خيال الشاعر الحلق وتعبيره الجميل ، واستمتعت بلحظات نشوى حوم فيها خيالي على تلك الربوع الجميلة الساحرة من بلاد النوبة التي قضيت خلالها أربعة أعوام كانت ربيع العمر وفجر أحلامه . ثم حلق خيالي في أطباق الزمن إذ تمر مواكب القرون مطأطئة الرءوس أمام ذلك الأثر الخالد في أعماق الجنوب ...

ولكني أفقت من هذه السبحات الجميلة على هتاف ينبعث من ثنايا الذاكرة أفسد عليّ ما أنا فيه من متعة بجلال الفكرة وجمال الأسلوب ! فليس ثمة أربعة ملوك يجلسون في ساحة أبي سنبل ، ولكنها أربعة تماثيل لملك واحد هو رمسيس الأكبر استقرت على واجهة معبده العظيم الذي أقامه هنالك تخليداً لذكرى انتصاره على الحثيين ...

يا لله ! لأحببت والله أن تتغير معالم التاريخ فتصير هذه التماثيل الأربعة لملوك أربعة لا لملك واحد ، ليظل هذا التعبير الجميل الرائع في قصيدة لورد دنساني خالداً خلود هذه الآثار !

فإن في مخاطبة هؤلاء الملوك الأربعة وإشهادهم على ما وصل إليه الإنسان من عظمة مادية ومدنية شامخة ، وفي جواب هؤلاء الملوك من معاني الخلود والروحانية والسمو ، ما يفتح أمام الفكر عوالم من التأمل العميق والافتتان البالغ ، لا يكشف عنها التعبير التاريخي عن حقيقة هذه التماثيل

فلنسجل هذا التصويب للحقيقة والتاريخ ، ولنستمتع بما في أبيات لورد دنساني من أدب رفيع

(حلوان) محمد كامل حته

قصر اللابرنت

قرأت في عدد الرسالة رقم (٣٨٧) تحت عنوان : « بين كاتب وشاعر وخطيب » البيت الآتي :

من كل بيت مشرق يزرى بقصر اللابرنت

ووجدت في هامش التفسير ما يبين أن اللابرنت كان قصراً من قصور الفراعنة لا يزال بالفيوم إلى يومنا هذا

ولكن الحقيقة أن اللابرنت هذا كان معبداً لهرم الملك (أمنمحيت الثالث) سادس ملوك الأسرة الثانية عشرة المصرية التي اتخذت إقليم الفيوم قاعدة لحكمها

إذ كان المتبع أن يشيد كل فرعون معبداً جنازياً شرق هرمه تقام فيه الطقوس الدينية والصلوات

وكان ينقسم إلى قسمين : الرئيسي المتصل بالهرم وهو خاص بالكهنة وأقارب الملك المتوفى

ثم القسم الثاني وهو ما نسميه بمعبد الوادي وكان خاصاً بالشعب لإقامة الشعائر الدينية على روح الملك المتوفى حتى يهنأ بالراحة الأبدية في الدار الآخرة . وكان يصل المعبدين عادة طريق طويل مسقوف ينحدر بميل من معبد الهرم إلى معبد الوادي

ولكن تسمية معبد هرم الملك (أمنمحيت الثالث) بقصر اللابرنت أخذت عن كتاب اليونان الذين رأوا كبر المعبد واتساعه وتعدد حجراته أثناء زيارتهم لمصر فظنوه قصراً

ومع كل ما أظهره الكشف الحديث من تصحيحات فنية فإننا لا زلنا مع الأسف نجد المعبد منعوتاً باسمه القديم حتى في الكثير من كتبنا المدرسية . وغير ذلك من الأعلام الأثرية الكثيرة .

محمد صابر
إخصائي في الآثار المصرية القديمة
ومؤلف كتب الفراعنة

اقتراح

سيدي الأستاذ رئيس التحرير ...

في العدد (٣٥٧) من الرسالة الغراء عقب الأديب حسن احمد باكثير مقالة الأستاذ عبد العزيز الدروى في تفسيره للهند الصينية « باندونسيا » بما نصه :

لا شك أن الأستاذ يقصد بذلك جزائر الهند الشرقية الهولندية لا الهند الصينية الخ .

نعم لا شك في ذلك ولكن الواقع - مع الأسف الشديد - أن أكثر كتاب العرب ليس لهم أقل معرفة عن « أندونسيا » بما فيها من نهضات مباركة . إن أندونسيا التي لا ينقص عدد سكانها - حسب الإحصاء الأخير - عن خمسة وستين مليوناً ليتكون مسلموها من نحو ثمانين في المائة أي لا ينقص عن خمسين مليوناً ، وإن فيها جمعية — وهي الجمعية المحمدية — هي أكبر جمعية دينية في العالم الإسلامي . . . فكيف إذن يجوز لأديب من أدباء الإسلام أن يجهلها . . . فلما لم يكون نبيلاً من الرسالة — وهي على مالها من نفوذ — لو ازينت صفحة من صفحاتها بأبحاث عن العالم الإسلامي لسد هذا النقص ...

(مكة المكرمة) صوح الدين سليمان ١٥ شم

أخلاق القرآن

ذكر الدكتور عبد الوهاب عزام في مقاله « أخلاق القرآن » المنشور بعدد الرسالة ٣٨٨ الآية الكريمة هكذا : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة اليوم بجالوت وجنوده » . والصواب « قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده »

مليم الحجري

امرؤ القيس

إلى الأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

بعد التحية ... قرأت مقدمة كتابك « أغاريد الزفاف » المنشورة بالعدد ٣٨٤ من الرسالة إلى أن وصلت إلى :

ورثت الرباب بنت امرئ القيس زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت :

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون .. الخ

فمن هو امرؤ القيس هذا ؟ أرجو الإفادة على صفحات الرسالة الغراء « سائل »



« سانياسى » أو الزاهد

مسرحية رمزية رائعة لشاعر الهند طاغور

ترجمة الأستاذ فخرى شهاب السعيدى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

(يدخل رجال حاملين شخصا فى فراش)

الأول : إنه ما يزال نائماً

الثانى : ما أثقل هذا اللعين

مسافر (خارج من الجماعة) : من هذا الذى تحملون ؟

الثالث : إنه « بنـدى » الحائك الذى ينام نوم الأموات ، وها نحن أولاء قد حملناه لننأى به

الثانى : ولكنى تعب أيها الرفاق فدعونا نهزه هزاً عنيفاً لنوقظه

بندى : (مستيقظا) : إيه ؟ ... آ.. أو ...

الثالث : ما هذا الصوت ؟

بندى : من أنتم يا هؤلاء ؟ إلى أين تذهبون بى ؟ (يضعون من هواتفهم الفراش)

الثالث : ألا تستطيع المحافظة على السكينة مثل سائر الأموات المحتشمين ؟

الثانى : تلك حماقته ، توجب عليه الكلام وإن يكن ميتاً !

الثالث : لقد كان يخلق بك أن تلتزم جانب الصمت

بندى : إنى لآسف إذ أخلف ظنكم يا سادة ، لأنكم أخطأتم فما أنا بميت وما كان اعترانى غير سنة من النوم العميق

الثانى : إنى لأنتشق سلاطة هذا الرجل تمشقاً ! فهو لا يموت فحسب ، وإنما يموت مجادلاً

الثالث : إنه لن يعترف بالحقيقة ؛ فلنذهب لإعداد شعائر الميت وإتمامها

بندى : أقسم لكم بكرامة الحاكم هذه إنى حى مثلكم

سانيامى : لقد استغرقت الفتاة فى نومها متوسدة ذراعها تحت رأسها الصغير ، وما أرى إلا أن أدعها وأذهب الآن . ولكن هل يجب أن تلوذ بالفرار ، أيها الجبان ؟ هل تلوذ بالفرار من هذا الكائن الصغير ؟ إنما هذه فى الطبيعة أنسجة عناكبها وما ينال خطرها غير الفـراش ولا يتجاوزه ليبلغنى أنا الزاهد سانيامى

(تنتبه « فاسنتى » مذعورة)

فاسنتى : هل تركتنى يا سيدى ؟ هل ذهبت عنى ؟

سانيامى : وما الذى يوجب ابتعادى عنك ؟ مِمَّ أخاف ؟ أوَ أرتاعَ من ظل ؟ !

فاسنتى : هل تسمع اللغط فى الطريق ؟

سانيامى : ولـكن السكينة مخيمة على نفسى

(تدخل امرأة شابة ومن ورائها بعض الرجال)

المرأة : اذهبوا الآن ، غادرونى لا تتحدثوا إلىّ فى الحب

الرجل الأول : وَلِمَهْ ؟ ما هو ذنبى ؟

المرأة : إن قلوبكم ـ يا أيها الرجال ـ قد قُدّت من الصخر

الرجل الأول : كلام لا سبيل إلى تصديقه . إذا كانت قلوبنا مقدودة من الصخر فكيف تمكنت منها سهام « كيوبيد » إذاً ؟

رجل آخر : أحسنت . صدقت

الرجل الثانى : والآن ، فبماذا تجيبين على قوله يا عزيزتى ؟

المرأة : أتريد جواباً ؟ وهل حسبت أنك قلت شيئاً حسناً ؟ إنما هذا هذر محض

الرجل الأول : إنى أحتكم إليكم أنتم أيها السادة . لقد كان قولى : إنه لو كانت قلوب الرجال قد نحتت من الصخر ، فكيف...

الرجل الثالث : نعم ، نعم ، ليس على هذا الـكلام من جواب

الرجل الأول : والآن ، فلأشرح لـكم هذا : قالت إن قلوبنا نحن الرجال ، مقدودة من الصخر ، أليس كذلك ؟ حسن ؛ فأجبتها إن كانت قلوبنا من الصخر حقاً فكيف استطاعت سهام « كيوبيد » أن تنالها بالتخريب ؟ أتفهم ؟

الرجل الثانى : لقد كنت أبيع الدبس منذ أربعة وعشرين عاماً فى المدينة يا أخى ، أفتظننى لا أفهم ما تقول ؟ [ينصرفون]

سانيامى : ماذا تصنعين يا طفلتى ؟

فاسنتى : إنى أحدّق فى راحتِكَ الواسعة يا أبتِ ! وكأن يدى طير صغير قد وجد عشه فيها . إن راحتكَ فسيحة كهذه الأرض التى تتسع لـكل شىء : هـذه الخطوط أنهارها ، وتلك فيها التلال . (تضم خدها على راحته)

سانيامى : إنَّ مَلمسَكِ لناعم يا بنيتى كلمس النوم ، وإنه ليخيل إلىّ أن فى هذه اللمسة أثراً عظيماً من آثار الظلام الذى يجرح النفس جرح الأبد الخالد ؛ ولـكنك يا طفلتى لست سوى فراشة النهار : لك طيورك وأزاهير حقولك . فماذا تستطيعين

أن تجدى فىّ أنا الذى حصرت مركزى فى الوحدانية ؟

فاسنتى : لا أريد شيئاً آخر غير حبّك هذا فإنه يكفينى

سانيامى : تتوهم الفتاة أنى أحبها ، فيا لَذّات القلب الطائش ! إنها سعيدة بهذه الفكرة فلتنمّها وتشجّعها ! دعها تتملّل بى لأنهم قد نشأوا فى أحضان الوهم فلا بد لهم منه لِتسليهم

فاسنتى : يا أبت ، هذه المُعصَبَةُ (١) التى تمتد على العشب فى التماس شجرة تلتف حولها إنما هى عُصبتى : لقد تعهدتها وأرويتها منذ أن نجمتْ منها ناجمتان من صغار الورق فى الهواء كأنهما صرخة الطفل الصغير . إنى أنا هى تلك العصبة : نشأتْ على جانب من الطريق ، فمن السهل أن تقتلع . هل ترى هذه الأزهار الصغيرة الجميلة ذات اللون الأزرق الفاتح المنقّطة قلوبها بالنقاط البيض ؟ ما هذه النقاط سوى أحلامها ! دعنى أمسحْ جبينك فى لطف بهذه الأزهار ، فعندى أن الأشياء الجميلة إنما هى مفاتيح كل ما لم أرَ وما لم أهتد إلى فهمه

سانيامى : كلا ، كلا ، ما الجمال سوى ضربٌ من الخداع . وإن الزهرة والتراب فى نظر الحكيم العارف لشىء واحد . ولكن ما هذا الضعف الذى يدب فى عروق ويسدل على بصرى نقاباً خفيفاً من ألوان قوس قزح جميعها ؟ هل هذه هى الطبيعة تحوك أحلامها من حولى لتضلل حواسى ؟ (ينهض فجأة ساحقا الأزهار) حسبى هذا ، فإنما هو الموت . ما لعبك هذا ، يا أيتهـا الفتاة ، مِنْ؟ إنى أنا هو الزاهد « سانيامى » لقد قطعتُ عُقد نفسى كلها فأنا الآن حر طليق . كلا ثم كلا ، لا تذرفى الدموع فإنى لا أطيق احتمالها ؛ ولكن أين كانت تختبئُ هذه الحية فى قلبى أين كان هـذا الغضب الذى زحف خارجاً من ظلماته مرهف الناب ؟ كلا ... إذاً فهى لم تمتْ بل ظلت حية لإنشاء المجاعة : هذه المخلوقات الجهنمية قد تَجمّعتْ هيا كلَها القمقِمة وقامت تراقص بينا أخذت أستاذَتُها ، الساحرة الخطيرة ، فى إيقاع ألحان شبابتها السحرية فى قلبى . لا تبكىْ يا طفلة ، وتعالى إلىَّ تعالى. إنك لتشبهين فى نظرى صرخة عالم ضائع ، أو نشيد نجم جوال . إنك لتطيفين بذهنى شيئاً أوسع من هذه الطبيعة سمة لا تحد . بل هو أوسع من الشمس والنجوم جميعاً ... إنه لعظيم كالظلام ، وإني لا أدرك كنهه ، ولم أدر ما هو ، وذلك ما يبعث الرعب منه فى نفسى . وعلىّ أن أفارقك ، فعودى من حيث أتيت يا رسالة المجهول

(١) كل نبات لم ينم على ساق قائمة ، بل انتشر على الأرض وزحف حتى تسلق على شجرة يتكئْ عليها Creeper

فاسنتى : لا تفارقنى يا أبت ، فإنه ليس لى فى الدنيا من أحد سواك ...

سانيامى : بل يجب على أن أذهب . لقد حسبتُ أنى عرفت ولكنى لما أعرف ، ومع ذلك ، فيجب أن أهتدى إلى العرفان ؛ فأنا أغادرك لأعرف من عساك تكونين !

فاسنتى : أبت ، إن غادرتنى كنت فى الهالكين

سانيامى : اطلقى يدى ولا تمسكى بى ، فإنى يجب أن أتحرر

[يخرج راكضا]

— ٣ —

(يشاهد « سانيامى » الزاهد جالسا على صخرة فى شعب جبل . يمر صبي راع مغنيا)

الأغنية : « لا تشح ، يا حبيبى ، بوجهك عنى ؛
« فهذا الربيع قد فتح صدره ،
« وهذه الأزهار تبوح بمكنون سرها فى الظلام .
« وحفيف أوراق الغابة يرتفع فى الفضاء
« مثل ارتفاع حسرات الليل ؛
« فتعال يا حبيبى ، تعال وأرنى وجهك ... »

سانيامى : إنّ ذهب الأصيل ليذوب فى قلب البحر الأزرق وهذه الغابة التى تقوم على سفح الأكمة ترشف آخر أكؤس أنوار النهـار . تلك أكواخ القرية ترى إلى اليسار من خلال الأشجار ، وكأن مصابيح المساء المضاءة فيها أمٌ مبرقعة وقفت ترقب طفلها المستغرق فى النوم

يا أيتها الطبيعة إنما أنت أمتى ، لقد نشرت بساطك المهول فى القاعة الفسيحة التى أجلس فيها وحيداً جلسة ملك ، أرقبك تتراقصين وعلى صدرك تلمع ونيتك (١) المنظومة من النجوم .

(تمر الصبايا الراعيات منشدات :)

« تجىء ألحان الموسيقى مما وراء النهر المشمول بالظلام فتناديني
« لقد كنت فى الدار ؛ وكنت فيها سعيدة ؛
« ولكن لحن الشبابة تعالى فى سكون الليل ،
« فإذا بفؤادى تنتابه وخزة من الألم .
« ألا فلتدلنى على الطريق يا من تعرفها ،
« دلنى على الطريق التى تقود إليه ؛
« فسأذهب إليه بزهرتى الصغيرة الواحدة لأضعها عند قدميه
« وخبره بأن موسيقاه وحبى شىء واحد ! » [يتبعن]

(١) ضرب من العقود

سانيامي : أحسب أن مثل هذا المساء قد طرأ على مرة واحدة طوال حياتي ؛ فأترع كأسه إلى حافته بالحب والموسيقى ، وجلست مع شخص يعيد ذكرى وجهه إلى مرأى نجمة المساء ...

ولكن أين هي فتاتي الصغيرة ذات العينين السوداوين الحزينتين اللتين تترقرق فيهما الدموع ؟ أهي جالسة هناك خارج كوخها تحدق في نجمة المساء ذاتها من خلال وحدة المساء الجليلة ؟

ولكن لا بد للنجمة من أفول ، ولا بد للمساء من إغماض عينيها في الليل ؛ فأما الدمع فسيرقأ حتماً ، وأما الحسرات فسيهدئها النوم بغير شك . لا ، لن أقفل راجعاً ، ولتثبت لأحلام العالم أشكالها ؛ لن أعترض سبيلها ، ولن أختلق لها أوهاماً جديدة ، فلسوف أبصر ، ولسوف أتفكر وأعرف

(تدخل فتاة في أسمال بالية)

الفتاة : أنت هنا يا أبت ؟

سانيامي : تعالي واجلسي بجانبي يا طفلتي . وبودي أن لو استطعت للكت دعوتكم لنفسي . لقد دعاني بعضهم بـ « يا أبت » مرة ، وكان الصوت يشبه صوتك بعض الشبه ، وها إن الأب يجيب الآن ، ولكن أين هو النداء ؟

الفتاة : من أنت ؟

سانيامي : إني « سانيامي » الزاهد ؛ تخبريني أيتها الطفلة ما مهنة أبيك ؟

الفتاة : إنه يجمع الأحطاب من الغابة

سانيامي : وهل لك أم ؟

الفتاة : كلا ، لقد ماتت إذ كنت طفلة

سانيامي : وهل تحبين أباك ؟

الفتاة : أحبه الحب الذي ما فوقه شيء في هذا الكون . إني ليس لي في الدنيا سواه

سانيامي : لقد فهمتك ، أعطني يدك الصغيرة ، دعيني أمسكها في راحتي ، في راحتي الكبيرة هذه

الفتاة : وهل تحسن يا « سانيامي » قراءة الكف ؟ هل تستطيع أن تقرأ كل ما في حاضري ومستقبلي من كفي ؟ !

سانيامي : أحسب أنني أستطيع ، ولكن عسير على إدراك معناه ، ولسوف أعرف المعنى ذات يوم

الفتاة : يجب أن أبادر للقاء والدي

سانيامي : أين ؟

الفتاة : في الطريق المؤدية إلى الغابة ، فإنه سيفتقدني إن لم يجدني هناك

سانيامي : قربي رأسك مني يا طفلتي . تعالي أقبلك قبلة التبريك قبل أن تذهبي [تغادره الفتاة]

(تدخل امرأة وطفلتان)

الأم : ما أقواكما وما أثقلكما يا ابنتي « ميسيري » ! أما إنهما لتمة للنظر ! وما أراكما ، كلما أطعمتكما إلا قد زدتما هزالاً يوماً فيوماً !

الطفلة الأولى : ولم أراك تلومينا على هذا يا أماه ؟ هلا فهمنا هذا !

الأم : ألم آمركما بالإخلاد إلى الراحة ؟ ولكنكما لا تفتآن تتراكضان من هنا وهناك

الطفلة الثانية : ولكنا نركض في خدمتك يا أم

الأم : كيف تتجرئين على هذا الكلام ؟

سانيامي : إلى أين تريدين يا ابنتي ؟

الأم : لك تحيتي واحترامي يا أبت . إننا في طريقنا إلى الدار

سانيامي : وكم شخصاً أنتم ؟

الأم : زوجي وأمه وطفلتان أخريان غير هاتين

سانيامي : وكيف تقضون أيامكم ؟

الأم : صعب علي أن أعرف كيف تمضي الأيام . أما رجلي فيخرج إلى الحقل ، وأما أنا فأنصرف إلى منزلي أدبر شئونه ؛ فإذا أقبل المساء جلست مع كبريات بناتي للغزل (مخاطبة الطفلتين) اذهبا لتحييا الزاهد . باركهما يا أبت [يخرجن]

(يجيء رجلان)

الأول . ارجع من هنا يا صديقي ولا تعد أبداً

الثاني : نعم ، أدري ، فالأصدقاء إنما يجمعهم الاتفاق ، والاتفاق هو الذي يحملنا إلى بعض الطريق معاً ثم تحين اللحظة التي يتحتم فيها الفراق

الصديق الآخر : ولكن لنحمل أمل الاجتماع بعد الفراق

الصديق الأول : إنما يعود اجتماع الشمل وتشتته إلى سير العالم كله ، ولن ترعانا النجوم رعاية خاصة بنا !

الصديق الثاني : فلتحي النجوم التي جمعتنا إذاً سواء ، فإن ذلك لو كان للحظة واحدة فهو خير كبير

الصديق الأول : تريث لحظة قبل أن تذهب . هل تستطيع أن ترى لمعان الماء القليل في الظلماء ، وأن ترى أشجار « الجزورين » على الضفة الرملية من النهر ؟ لكأن قريتنا كومة من الظلال القاتمة السود . إنك لا تتبين منها غير الأنوار فهل تستطيع أن تقول أي هذه ضوؤنا ؟

الصديق الثانى : نعم أحسبنى أستطيع

الصديق الأول : إن ذلك النور هو نظرة التوديع التى تلق بها أيامنا الخالية على ضيوفها الراحلين ، ثم إذا أوغلت قليلاً فهنالك تجثم الظلماء [يخرجان]

سانيامى : هذا الليل يشتد ظلمة ووحشة ، وكأنه فى جلسته هذه المرأة المهجورة . وهذه النجوم دموعها قد انقلبت ناراً . لقد ملأ حزن قلبك الصغير ياطفلتى جميع ليالى حياتى حتى الأبد . ويدك المشتاقة الصغيرة قد تركت أثر ملمسها فى هواء هذا الليل ! وكأني أحسها على جبينى مخضلة بدموعك . أى حبيبتى ! إن حسراتك التى تابعتنى يوم أن هربت قد تعلقت الآن بقلبى ، وسأحملها إلى مماتى

— ٤ —

(سانيامى فى مخرفة القرية)

لتذهب نذور زهدى هباء ، فقد كسرت عكازى وحطمت كشكولى ، وهذه السفينة العظيمة ، هذا السكون الذى يشق عباب الزمان ليحملنى على متنه تارة أخرى كما أدرك الحجاج ثانية ، واهاً للمجنون الذى يسبح فى البحث عن السلامة وحيداً رافضاً أشعة النجوم ونور الشمس معتمداً فى التماس سبيله على ضوء مصباحه الدورى . إن الطير ليحلق فى الفضاء ليعود إلى هذه الأرض العظيمة ، لا لكى يضل فى الفراغ ! إنى طليق من أغلال الانتفاء غير المجسدة . إنى متحرر من قيود الأشياء والأشكال والغايات والحدود هو فى الحقيقة غير المحدود ! وإن الحب ليعرف حقيقته . يا فتاتى إنما أنت روح ذلك كله ، فلن أستطيع إلى تركك سبيلاً

(يجىء رئيس القرية)

سانيامى : هل تعلم يا أخى أين تكون ابنة « رافو » ؟

رئيس القرية : لقد غادرت قريتها وإنا بذلك لفرحون

سانيامى : وإلى أين ذهبت ؟

الرئيس : وهل تتساءل إلى أين ذهبت ؟ لا فرق عندها حيثما كانت [يخرج]

سانيامى : لقد ذهبت عزيزتى لتبحث لنفسها عن مكان حيث لا مكان فى الفراغ ، فيجب أن تهدى إلى

(يدخل جمهور من القرويين)

الرجل الأول : وإذاً فسيتزوج ابن ملكنا الليلة

الرجل الثانى : وهل تستطيع أن تخبرنى عن ساعة الزفاف متى تكون ؟

الرجل الثالث : إنما ساعة الزفاف للعريس وعروسه فالك ولها ؟

امرأة : ولكن ألا تراهم سيعطوننا من أجل هذا اليوم السعيد بعض الكعك ؟

الأول : بعض الكعك ؟ ما أبلدك ! لقد سمعت من عمى الذى يعيش فى المدينة أنهم سيوزعون علينا اللبن والرز المشوى

الثانى : شىء عظيم

الرابع : ولكن ثقوا بأن استنالنا كمية من الماء أكبر من كمية اللبن

الأول : ما أبلدك يا « مونى » أفى حفلة زواج الأمير يشاب اللبن بالماء ؟

الرابع : ولكنا لسنا بالأمراء يا « بانجو » . إنما لنا — نحن الفقراء — حيلة المذق بالماء الوفير

الأول : اسمعوا ، ذاك ابن الفحّام ما يزال منكباً على عمله فيجب أن نقفه عما هو فيه

سانيامى : هل علم أحد منكم أين تكون ابنة « رافو » ؟

المرأة : لقد خرجت مهاجرة

سانيامى : إلى أين ؟

المرأة : ذلك ما ليس يعلمه أحد

الرجل الأول : ولكنا واثقون بأنها ليست هى عروس الأمير ! [يتفرقون ضاحكين]

(تدخل امرأة ومعها طفلها)

المرأة : تحياتى أرفعها إليك أيها الأب . دع طفلى هذا يحنى رأسه عند قدميك ، إنه مريض فباركه يا أبت

سانيامى : غير أنى لستُ كما كنتُ زاهداً يا بنيتى فلا تسخرى منى باحتراماتك

المرأة : فمن عساك أن تكون إذاً ! وماذا تصنع ؟

سانيامى : إنى أبحث . . .

المرأة : وعمن تبحث ؟

سانيامى : إنى أبحث عن عالمى الضائع ـ هل تعرفين ابنة (رافو) ؟ أين تكون الآن ؟

المرأة : ابنة (رافو) ؟ لقد ماتت !

سانيامى : لا . . . إنها لا تموت . . . كلا . . . كلا

المرأة : ولكن ما أنت وموتها أيها الزاهد ؟

سانيامى : ليس أنا وحدى الذى يعنينى موتها ؛ بل ذلك يعنى موت الجميع

المرأة : إنى لست أفهمك

سانيامى : إنها لا يمكن أن تموت قط !

(تمت المسرحية)

فخرى شهاب السعيدى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



8me Année No. 390

Lundi - 23 - 12 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

الى رجال الجامعة ورجال المعارف

كلمة صريحـــة

لكاتب كبير

لقد هدأت الفورة التى ثارت فى صدور طلبة الجامعة المصرية بمناسبة تفكير الوزارة فى رفع درجات النجاح فى الامتحانات ، وهى فورة لم يكن لها موجب ، لأن من واجب الطلبة أن يروضوا على المصاعب ، وأن يظهروا بمظهر التحدى الجرىء لمتاعب الدرس والتحصيل

ولكن هناك فورة منتظَرة ، فورة حميدة العواقب ، لأنها ستصدُر عن الأساتذة لا عن الطلاب ؛ وفورة الأساتذة لا تعرف مناضبة الشُّرطة ، ولا تفكر فى تحطيم المصابيح ، وإنما هى فورة يقع فيها التصادم بين الأفكار والعقول

ولكن متى يقع ذلك التصادم فنسمع أن فريقاً من الناس رجعوا إلى ضمائرهم فأدركوا أن لهم « فضلاً » فى زعزعة التعليم الابتدائى والثانوى ، وأنهم مسئولون عن المصير الذى لا نجاة من شره إلا برفع درجات النجاح فى جميع الامتحانات ؟

لو ملكتُ حرية الخروج على الذوق لطوّقت رجال الجامعة ورجال المعارف بأطواق من حديد ، وكيف وأنا أخاطب أقواماً

تؤذيهم خطرات النسيم ، ويرون النصحَ — وإن لطُف — ضرباً من التمرّد والثورة على مقاماتهم العالية ؟

وأنا مع ذلك سأحاول تذكير تلك المقامات بما اجترحتْ في ميدان واحد هو ميدان اللغة العربية ، فأسأل في ترفّق وتلطّف :

من المسئول عن قصّ حواشي منهج اللغة العربية ، بحيث صار من المؤكد أن تلاميذ المدارس الابتدائية قبل عشر سنين كانوا يعرفون من القواعد أضعاف ما يعرف تلاميذ المدارس الثانوية في هذه الأيام ؟

ولأي غرض كثُر التغيير والتبديل في ذلك المنهج ؟ وبأي حق جاز أن يظفر الشاب بإجازة الدراسة الثانوية ، وهو لا يملك القدرة على تشريح فقرة واحدة من الجهات النحوية والصرفية والبلاغية ؟ ولأية غاية تدرس اللغة العربية في المدارس إذا كان من حق كل تلميذ أن يجهل من قواعد اللغة ما يشاء ؟

ثم قيل : إن كلية الآداب أطالت التأسف والتحسّر على مصاير التعليم الثانوي ، وأنها فرضت على وزارة المعارف أن تكف يدها عن ذلك التعليم لتطبّ له بالأساليب الجامعية فتصيّره غاية في القوة والعافية

فماذا صنعت كلية الآداب وقد زعمت أنها تقدر على ما لا تقدر عليه وزارة المعارف من إحياء الموتى وهي رَميم ؟

أشارت بالاستغناء عن الواجبات التحريرية في النحو والصرف والبلاغة لتنقلب الدروس إلى محاضرات (!) وأشارت أيضاً بأن يُترك المدرسون لضمائرهم فيما يأخذون وما يدعون (!) ولم يبق إلا أن تشير بحرية المواظبة لتتم « النعمة الجامعية » على أولئك التلاميذ !

فإن قيل : وأين وزارة المعارف ؟ فأنا أجيب بأن وزارة المعارف موجودة بالفعل ، وإلا فمن الذي يوزع المنشورات التي تصدُر عن كلية الآداب « وتوزيع المنشورات يحتاج إلى رجال ! »

وهنا أذكر شيئاً من التناقض المزعج ، أذكر أن كلية الآداب قد توفّق إلى خاطر طريف يحبّب التلاميذ في اللغة العربية ، كالذي اتفق في « مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية » ولكنها تترك تحقيق مثل هذا المشروع لمراقبة الامتحانات بوزارة المعارف . ومراقب الامتحانات لم يكلف نفسه دعوة نظار المدارس والمدرسين الأوائل للنظر في توجيه الطلبة إلى هذه المسابقة الطريفة ؛ فكانت النتيجة أن اكتفت كل مدرسة باختيار بعض الطلبة للمسابقة في الأدب ، كما تختار بعضهم للمباراة في الألعاب !

إن كان مشروع المسابقة من ابتكار وزارة المعارف فكيف تتركه لرجل بعيد من الحياة الأدبية ؟ وإن كان مشروع المسابقة من ابتكار كلية الآداب فكيف تتركه لمراقب الامتحانات بوزارة المعارف ؟

أين المسئولية في هذا الشأن الدقيق ؟ ومن الذي يتحمل وِزْرها الثقيل ؟

أشهد أن سيطرة كلية الآداب على السنة التوجيهية حقٌ في حق ، فقد أرّق كاتب جفونَها في الأعوام الماضية لاختيارها كتاب « نقد النثر » وكانت حجته أنه لا يصلح للمطالعة بحال من الأحوال ، وقد استجابتْ الكلية لندائه فسحبتْ ذلك الكتاب ، ولكنها مع ذلك كلفت وزارة المعارف أن تذيع منشوراً يقول : إن كتاب « نقد النثر » مرجع لأكثر النصوص المقررة في السنة التوجيهية ! !

فهل سمع أحدٌ قبل اليوم أن كتاب قُدامة في نقد النثر من مراجع النصوص الأدبية ؟

ليتني أعرف إلى مَن أوجّه القول ! فوزارة المعارف مُدغمة في كلية الآداب ، ولن يُفَكّ هذا الإدغام إلا يوم يُعرَف أن المسئولية لا تتضح إلا بتحديد جهات الاختصاص

أما بعد فهذا نَذيرٌ من النُّذُر الأولى ، فإن ظن قومٌ أن مصير اللغة العربيـة موكول إلى أذهانهم « الثواقب » فسيندمون بعد حين ، لأنّ النقد الأدبي لن يترك أهواءهم بلا تجريح ، وإن اعتصموا بأمنع الحصون

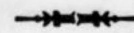
لن يكون مصير الجيل الجديد تحت رحمة الأهواء ، أهواء الداعين إلى « تيسير النحو » والقائلين بأن اللغة العربية لغة عصر ذهب وباد

مصير الجيل الجديد في اللغة العربية لن يصوغه غير أهل الغيرة الصحيحة على لغة القرآن « لانب »

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

«في صحراء ليبيا»
لأحمد حسنين
للدكتور زكي مبارك

— ٧ —



بسم الله الرحمن الرحيم

كذلك هتفتُ وأنا أهمّ بكتابة مقال عن هذا الكتاب ، لأنه صعب المنال ، ولأن المقدمة التي حبَّرها لطفي باشا السيد لم ترشدني إلى طريق تقديمه إلى القراء ، وأنا أرجو أن تنفعني بركة « البسملة » فأسجل بعض ما سنح من الخواطر عند قراءته السريعة ، وهى جهد المقل فى ثلاث سهرات

الرحلة

هى رحلةٌ قام بها حضرة صاحب المعالى أحمد محمد حسنين باشا سنة ١٩٢٣ من السلوم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، إلى الأبيّض عاصمة مديرية كردفان بالسودان ، وهى مسافة قدرُها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة كيلو متر قُطعتْ على ظهور الإبل ، وفيها وُفِّق الرحالة إلى كشف واحتين مجهولتين هما « أركنو » و « العوينات » ، وكانتا غير معروفتين قبل ذلك للجغرافيين .

وقد سُطِّر تاريخ هذه الرحلة فى نحو أربعمائة صفحة بالقِطع المتوسط ، وهى مقسمة إلى جزأين ، وفيها كثير من الرسوم العلمية والجغرافية

شخصية المؤلف

هو رجل لم تلده ولّادة ، كما يعبِّر أهل مصر حين يصفون فتًى من النجباء . وقد حدثنا هذا الفتى عن أهله ، فلم نعرف إلا أن أباه كان من علماء الأزهر الشريف ، وقد تلطّف لطفى باشا السيد فحدثنا أن جد المؤلف كان من الباشوات ، ولم يذكر بأية صفة نال ذلك الجد رتبة الباشوية ، وأغلب الظن أنها الباشوية التى كانت تمنح لرجال الجيش ، فإن لم تكن كذلك فهى باشوية لم تقض على وارثى جاهها الفخم بمحنة الترف واللين ، وإنما أورثت حفيدها القدرة على أن يقول : إن أهله كانوا من ساكنى البادية ؛ وعلى أن يقول : نحن أهلَ الصحراء ، لا يثنينا النوم عن العشاء

وقد كان أحمد حسنين فى كل أدوار ماضيه من نماذج الفتوّة واللوذعية ، عاش فى انجلترا حيناً فكان صورة للفتى الموسوم بالبراعة والشهامة والصدق والجاذبية ، ولم يمنعه تحضّره من الاتصال بالبادية ، فاعتُمد عليه أيام الحرب الماضية فى السفر إلى الصحراء الغربية للاتفاق مع زعمائها على رعاية واجب الجِوار فى احترام الحدود

ثم طوحت به همته إلى اختراق تلك الصحراء ليكشف واحتين كان لهما فى أذهان أهل البوادى خيال ، ولم يكشفهما أحد من قبل ، فكان التوفيق من حلفائه الأوفياء

ثم أراد أن يكون طياراً ، ولكن الحوادث أرادت غير ما يريد ، فقد طار من انجلترا إلى إيطاليا ، ثم سقطت طيارته ، فأصلحها وطار ، ثم سقطت فأصلحها وطار ، وقد صمم على أن يدخل مصر طائراً ولو سقط بطيارته فى جوف المحيط ، ولكن برقية كريمة صدرت إليه بوحى من الملك فؤاد ، فقهرته الطاعة على أن يدخل مصر وقد امتطى الماء ، لا الهواء ، وتلك أعظم محنة عاناها ذلك العربى الصوال

الإنسان الكامل

وما أريد الإنسان الكامل فى اصطلاح الصوفية ، وإنما أريد القول بأن أحمد حسنين كان رجلاً كامل الرجولة حين اخترق الصحراء فى سنة ١٩٢٣ ، والرجولة التى أعنيها هى الرجولة المبرأة من شوائب الضعف والغفلة والقنوط . كان أحمد حسنين فى ذلك العهد رجلاً بكل معنى الكلمة : كان بدويًّا فى مواطن البداوة ، وحضريًّا فى معاهد الحضارة . كان حليما فى أوقات الحلم ، وجاهلاً فى أوقات الجهل ؛ فكان له فى كل حالة لَبوس ، وكان فى جميع أحواله صورة من الرجل الذى يرى الخُلق الصحيح فى رياضة النفس على مسايرة ظرف المكان والزمان

ومن المؤكد أن رحلة الصحراء نفعته فى مركزه الحاضر ، وهو رياسة الديوان بقصر جلالة الملك ، فقد وصفته مجلة

«آخر ساعة» وصفاً هو أعجب الأوصاف ، حين قالت : إن أحمد حسنين يتمتع بأعظم المواهب السياسية ، لأنه أقنع الجميع بأنه رجل غير سياسي [(١)]

وأعود إلى تأثير الصحراء فى عقل أحمد حسنين فأقول :

عاش هذا الرجل نحو ثمانية أشهر فى ظلال المخاوف والحتوف ، وكانت الرِّيب تحيط به من كل صوب ، وكانت الشياطين تداعبه من حين إلى حين ، وكان يُؤْثِر سُرَى الليل ليتجه ببصره إلى ناحية واحدة ، ومن هنا عرف أن الظلمة قد تنفع (والسياسى يعيش فى عوالم من الظلمات ، ولو سطع النور حول أغراض السياسى لتخاذل وضاع) .

الرحالة :

لا يدلنا كتاب أحمد حسنين على أنه كان رجلاً من المُترفين حين قام بتلك الرحلة العاتية ، وإنما يشهد كتابه بأنه كان رجلاً من صميم البادية . كان رجلاً يهمه أن يقيم البراهين على أنه لم يتعلم فى جامعة أكسفورد غير حزم الأمتعة ، والتعرف إلى مواطن الخوف والرجاء فى مفاوز الصحراء

هو فلاح متحضر ، فهو لذلك أذكى الرجال وأعقل الرجال

وقد عرف هذا الفلاح المتحضر ما فى البادية من مكر ودهاء ، فهو يلبس حُلة ذكائه فى كل وقت ، ويشتمل بثوب مكره فى كل حين

وما ظنكم برجل تحيط به الشكوك من جميع الجوانب وهو فريد وحيد ثم ينتصر بلا مشقة ولا عناء ؟

ذلك هو أحمد حسنين الذى ائتمنه الملك فؤاد واصطفاه الملك فاروق ، ومن الصعب جداً أن يكون الرجل أهلاً لثقة الملوك ، فذلك مقام لا يظفر به إلا الأقلون من أعاظم الرجال

وقد فَطِن أسلافنا إلى أن صحبة الملوك تحتاج إلى تثقيف خاص ، فوضعوا المؤلفات الطوال فى التعريف بما يجب أن يتحلى به أمناء الملوك من شمائل وآداب . وهذا الفن من التأليف لم يكثر إلا فى العصور التى ازدهرت فيها الحضارة العربية والإسلامية ، وإنما كان ذلك لأن ازدهار الحضارة يزيد فى مشكلات المجتمع من النواحى الذوقية والاجتماعية ، وتلك حال تزيد فيها تبعات من يتصلون بالملوك ، لأنهم عندئذ يكونون صلة الوصل بين الحاكمين والمحكومين ، وعلى ذكائهم وبراعتهم وإخلاصهم يرجع الفضل فى حل أكثر المعضلات ... فمن خَطَل الرأى أن يظن بعض المتفائلين أن إكثار أسلافنا من التأليف فى هذه الشؤون دليل على أنهم كانوا يعيشون فى عصور الاستبداد

أغراض المؤلف

للمؤلف فى ظاهر الأمر غرض واحد : هو تسجيل رحلته فى الصحراء ، ولكن من الذى يقف به القلم عند ما كان يريد ؟ إن النفس تتفتح عند حمل القلم من وقت إلى وقت ، وتتنادى خواطرها من فصل إلى فصل ، فإذا بلغ القلم نهاية الشوط كانت النسبة بين ما ابتدأ به وما انتهى إليه كالنسبة بين النواة الضامرة والسَّرحة اللفَّاء

يقع كتاب أحمد حسنين فى عشرين فصلاً ، وله فى كل فصل مجالٌ خاص ، وفقاً لاختلاف الأغراض

فالفصل الأول عن الصحراء من نواحيها المادية والروحية ، وفى هذا الفصل كلام يقوله كل الناس ، إلا كلامه عن الشوق إلى ما فى الصحراء من متاعب وصعاب ، ولا تظهر قيمة هذه النزعة لمن يقرأها فى الفصل الأول إلا حين يعانى وقدها فى الفصل الأخير ، ذلك بأنها تواجهه أول مرة وهى أشبه بالفلسفة الروحية ، والناس قد يقرأون الفلسفة هادئين ، ولكن هذه النزعة لا تواجه القارئَ فى الفصل الأخير إلا بعد أن يكون شارك المؤلف فى الأنس بالصحراء ، وعندئذ يحق له أن يتوجع لبلواه حين يقول وقد وصل إلى دار الأمان :

« ودب فى نفوسنا جميعاً دبيب الابتهاج بعودتنا إلى الاتصال بحياة الحركة ، ولكنى شعرت حين انقلبت إلى فراشى بوخزة حزن فى قلبى ، لأن ذلك اليوم كان آخر أيامى فى الصحراء ، ورأيتنى أضيف إلى صلوات شكرى دعاء خالصاً أسأل الله فيه أن يقدر لى العودة إليها يوماً من الأيام »

وفى الفصل الثانى يتكلم المؤلف عن وضع خطة الرحلة فيقول كلاماً يقوله سائر الناس ، ولكنه يفاجئك بكلام نفيس عما صنع أبوه رحمه الله ، وهو يزوّده بالبخور والدعوات الصالحات

---

(١) السياسة فى الأصل رياضة الخيل ، مشتقة من سوس بالعبرية وهو الفرس .

ومن كلامه عرفت أشياء من عادات العرب فى التأهب للرحيل

وقد أطنب المؤلف فى الثناء على أبيه ، ثم أعرب عن لجيمته لوقاته بعبارات لا تصدر إلا عن نجباء الأبناء ، وما مات من خلّف مثل أحمد حسنين

وفى الفصل الثالث يقف المؤلف موقف المعلم لمن يحاولون اختراق الصحراء ، فيقدم من المعارف الضرورية للمغامرين أشياء يحتاجون إليها أشد الاحتياج

وفى الفصل الرابع تظهر طلائع المخاوف ، ونرى كيف يضطر الرحالة إلى تغيير خطة السير لينجو من مكايد الأعراب

وفى الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن السنوسيين بكلام ينهض على قواعد علميـة ، فيذكر تاريخهم بإيجاز ، ويشرح عقائدهم بالتفصيل ، ومن الواجب أن يدرس الطلبة هذا الفصل ، لأنه من عيون الكتاب ، ولأن موضوعه يهم أعضاء لجنة الامتحان

« وهنا أذكّر الطلبة بأن الامتحان له قواعد ، ومن أهمّ قواعده أن تَرِد أسئلة فى الموضوعات الرئيسية ، فمن واجب كل طالب أن يُعنَى عناية شديدة بالموضوعات التى لا يجوز جهلها على الإطلاق ، فإن التمكن فى تلك الموضوعات يغفر الضعف فى الموضوعات الفرعية بعض الغفران ... وأذكّرهم أيضاً بأن هنالك شؤوناً تظهر كالتوافه ، ولكنها رئيسية ، كوجه التسمية لواحة أركنو ، فهى مسألة هينة ، ولكن الجهل بها يدل على عدم الاكتراث ... ثم أذكرهم بأن الطالب الذى يُختَبر فى كتاب أحمد حسـنين سيسأل حتماً عما قال المؤلف فى وصف الواحتين الجديدتين ... وأذكّرهم كذلك بأن فى المقدمة التى كتبها لطفى باشا كلمة مهمة عن ارتياد تلك الصحراء فى عهد الفراعين »

وفى الفصل السادس يتكلم المؤلف عن واحة جغبوب ، وهى واحة مصرية نهبها الطليان منذ سنين ، فليقرأ الطلبة أخبارها ، وليذكروا أن لهم إليها عودة بعد حين

وفى الفصل السابع يتحدث الرحالة عن الولائم والأدوية ، فيذكر أشياء تنفع من يفكر فى ارتياد تلك البقاع

وفى الفصل الثـامن يتكلم عن الزوابع فى طريق جالو ، ويصفها وصف العارف الخبير ، والبدو هنالك يرون الزوابع من عمل الجن ، فليذكر الطلبة أن الزوبعة هى الجِنّية فى لغة العرب ، ولها اسم بهذا المعنى عند عوام المصريين ، فهم يرون الزوبعة من الأنفاس الخلفية للمفريت

وفى الفصل التاسع يفصل القول عن واحة جالو ، ويذكر ما بينها وبين الطليان من نزاع وشقاق

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

لا أرى من الضرورى أن أشير إلى بقيـة الفصول ، لأن هذه الإشارات العوابر لا تغنى عن المراجعة والاستقصاء

وإنما أرى من الحتم أن أوجه الطلبة إلى درس هذا الكتاب ، ولا يتم ذلك إلا بدعوتهم إلى تعقب ملاحظات المؤلف ، وتعرُّف ما كان يجول بنفسه من خواطر وشجون

وأقول إن المؤلف مولع بوصف الأجسام فلا يرى شخصاً إلا حدثنا عن قوامه وعينيه ، فما سر ذلك ؟

يرجع السرّ إلى أن المؤلف عاش دهره موصول الأواصر بالأندية الرياضية ، ومن هنا غُرِست فى نفسه بذور الثقافة الجسمية ، فهو ينظر إلى الأجسام قبل أن ينظر إلى العقول ، وهى نظرة تدل على أنه رجل سليم Normal ويؤكد هذا المعنى غرام الرجل بالإبل والخيل ، فهو جمّال إن أردت ، وفارس إن شئت ، وهو فوق هذا وذاك يحسّ مذاق الظل ، وقد يتذوق طعم الغُبار فى بعض الأحايين

يمرّ أحمد حسنين بعظام رجل ميت فيستأنس ، وكان الظن أن يستوحش ، وإنما استأنس برؤية عظام الميت لأنها تشهد بأنه يسير فى طريق سلكها الناس من قبل

ويهتم أحمد حسنين بدرس عادات البدو دراسة مضمّخة بعَبير الشوق والحنين ، وهو يرد تلك العادات إلى أصولها من المواطف الذاتية ، فالفتاة التى يحرق حِذاءها البارود تُزهَى وتختال ، لأن ذلك شاهد على أنها تَفتُلّ ألباب الرجال

وفى هـذه الرحلة يصرخ أحمد حسنين صرخات تنطق بأنه من أصحاب الأذواق

وهذا الرجل الفتون بالبادية هو أيضاً مفتونٌ بالحاضرة أعنف الفتون ، فلا يطيل المكث إلا فى المواطن التى يكثُر فيها اشتباك العواطف والأهواء

وهنا أظفر بأحد مقاتله فأصرح بأنه لم يعش طويلاً فى الواحتين

الجديدتين — وهما محصوله الأصيل فى تاريخ الاستكشاف — وإنما عَبَرهما عُبور الطيف ، لأنهما خاليتان من مواسم العيون والقلوب

وما عددت هـذا من مقاتله إلا رياء ، فالجمال الحقيقى هو الجمال الإنسانى ، لأنه يفهم عنا ما نريد ؛ أما جمال الطبيعة فهو جمالٌ غبيٌّ بليد ، ولا يكتفى بالأنس به إلا الممتحنون بالحرمان ، وما كان أحمد حسنين من المحرومين

أحمد حسنين يتفاءل فى فرصتين : الأولى أن يَرِىَ ظبياً فيصميه ، والثانية أن يرى فى صبيحة السفر وجهاً جذاب الملامح وضّاح الجبين

فمن يكون الرجل السليم إن لم يكن هـذا الرجل نموذجاً للرجل السليم ؟

ثم يجب النص على اهتمام أحمد حسنين بأداء الصلوات ، والتبرك بالأذان ، فتلك شواهد على ما صرح به غير مرة من أن الصحراء تزيد فى قوة الإيمان ، وهو التصريح الذي أتاح لمالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك أن يقترح إرسال علماء الأزهر إلى الصحراء !! والنكتة الدقيقة من أبرز عناصر الفن الرّفيع

الأُسلوب

أحمد حسنين ليس من أصحاب الأساليب ، فليس له فى الإنشاء مذهبٌ خاص ، وهو فيما نعلم لم يفكر فى أن يكون له مكان بين الكتّاب ، وإن كان من أكابر الأدباء

وقد أنشأ كتابه أول مرة بالإنجليزية ، ثم ترجمه إلى العربية وهذا يفسّر ما نشهد من تفاوت الأسلوب من حين إلى حين .

ولـكن الـكتاب مع هـذا على أعظم جانب من الحيوية ، فما سرّ ذلك ؟

يرجع السر إلى قوة إحساس المؤلف ، فـكل سطر من كتابه ينطق بأنه يَعنِى ما يقول ، وسياق الحديث يدل فى كل صفحة على أن الرجل جابَ الصحراء وهو مرهف الحسّ ذكىّ الَجنان ، وملاحظاته فِطريّة بعيدة من التكلف ، فهو يُشعِرك بأنه بدوىٌّ لا يرى غير ما فى البادية من مخاوف وآمال ، وهو ينقلك إلى تلك المجاهيل بقوة سِحرية فتسايره بتلهف وتشوق ، كأنك عانيت من صابها ما عانَى وذقت من رحيقها ما ذاق

وإحساس أحمد حسنين يصل به إلى تذوق جميع الألوان ، هو إحساس رجل سليم يرى ويسمع ويذوق بقوة وعنف ، وكأنه طفلٌ يطّلع أول مرة على غرائب الوجود

تقدّم إليه المائدة وهو فى البادية فيُقبل عليها إقبال البدوى الغرثان ، وينص على أنه أكل بشهية ، ثم يصف ألوان الطعام بإسهاب ، وذلك لا يقع إلا من رجل مدّرع بالعافية

ويدرس الوجوه باهتمام شديد ، حتى جاز أن يحكم لفتاة بالجمال ، ولم ترها عيناه ، لأنه لاحظ أن أخاها جميل

ويدرس عواطف أصحابه بمهارة وحذق فيعرف ما يطوون فى صدورهم من لواعج وأشجان ، ثم يمضى فيتعقب ما بينهم وبين نسائهم من كدر أو صفاء ، وهذا التطالع لا يقع إلا من رجل منشوف إلى درس الغرائز والطباع

وهل ننسى حديث « السبحة » فى ساعة أُنْس ؟

كان فى القافلة فتًى رخيم الصوت ، وكان أحمد حسنين يشتهى السماع ، ولـكن الفتى له عمٌّ كهل ، ومن العيب فى البادية أن يتغنى الشباب بحضرة الـكهول

وتلطف أحمد حسنين فاستأذن للفتى من عمه الـكهل ، فانطلقَ الشاب يغنّى ، واندفع الشيخ يسبّح ، ليشغل نفسه بالتسبيح عن الغناء

فاذا صنع أحمد حسنين ؟

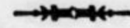
أخذ يرصد السبحة ليرى كيف يتواتر خفق الحبات ، فعرف أن حباتها تصاب بالبطء من لحظة إلى لحظة ثم تعود إلى الإسراع ، وكان ذلك شاهداً على أن الـكهل الوقور كانت له صَبَوات ، وأن رنين السبحة لم يُلهه عن تشوف المحبين إلى أوقات الوصال

وأحمد حسنين لا ينسى تسجيل ما مرّ به من عواطف ، كأن ينص على أنه استيقظ فى أعقاب حُلمٍ رائع على وجه فتاة حسناء ، وكأن ينص على أنه كان يتلبّث فى بعض المواطن ليزوّد قلبه وعينيه بأطايب الجمال

وجملة القول أن أحمد حسنين شاعرٌ وصّاف : هو يحدّق فى كل شىء ، وهو يصف كل ما يراه وصفاً يشهد بأنه مفطور على قوة الإحساس

شخصية الأزهر العلمية

للدكتور محمد البهى



لا أرد هنا أن أحدد الشخصية القانونية للأزهر فذلك محله عند ما يتعرض لعلاقة الأزهر بغيره لتسهيل الفصل فى أموره الخاصة كؤسسة عامة ، وإنما أقصد بيان العناصر التى تتكون منها شخصيته « كجامعة علمية » ، وفى الوقت نفسه هى عدته التى ينزل بها ميدان الحياة ليحافظ بها على وجوده الخاص بهذا الوصف

قد يكون عطف الوالى على رجاله ورعايته له من أسباب قوته فى وقت من الأوقات ، وقد تكون شخصية شيخه إذا علت مكانتها وكانت محببة لدى كثير من نفوس الخاصة من أسباب قوته أيضاً فى وقت من الأوقات كذلك ، وقد يكون لنفر من علمائه إذا منحه الشعب نوعاً خاصاً من الإجلال والاحترام أثر فى قوة الأزهر أيضاً

ولكن هذه الأسباب خارجة عن شخصيته كمعهد للبحث والدرس العلمى وإن كانت من مقومات شخصيته الدينية لأن عطف الوالى مثلاً على رجاله لما لهم من الصفة الدينية ، والاحترام الذى يمنحه الشعب لبعض علمائه لا شك أن القسط الأكبر منه راجع إلى معنى دينى فيه ، وسيبقى عطف الوالى عليه ما دام معهداً للدين ، وسيبقى احترام الشعب لبعض دائر بين علمائه ما داموا ينتسبون للدين ، إذ الوالى فى بسط سلطانه النفسى على الشعب فى حاجة إلى رجال الدين ، والشعب أيضاً ما دام يعتقد بمنح احترامه للمشرف على شئون العقيدة ، واعتقاد الشعب باق ما دام هناك شعب ، فالأزهر من هذه الناحية لا يضمن وجوده الذاتى فحسب، ولكنه وجود عنيف فى قوته يتلاشى عند الاصطدام به أى شيء آخر

ولست أعنى أيضاً هذه الشخصية، إذ أن للأزهر وصفاً آخر وهو كما أنه معهد دينى هو معهد علمى ، فله بجانب الشخصية الدينية شخصية أخرى علمية ، وهذه الشخصية الأخيرة يكونها أفراد ولكن لا بوصف كونهم دينيين، بل بوصف كونهم علماء باحثين وإن تناول بحثهم فيما تناول الدين نفسه ، ويكونها كتاب ولكن لا بوصف أنه مصدر للأحكام الدينية ولكن بوصف أنه يتضمن إنتاجاً علمياً خاصاً ، وعلى عدد من العلماء الباحثين ، وعلى قيمة إنتاجهم العلمى تختلف الشخصية العلمية قوة وضعفاً ، فإذا وجدنا من بين الأزهريين فى عصر من عصور تاريخه عدداً يمتاز بالبحث ورأينا لبحثه قيمة علمية دل ذلك على أن الأزهر له بجانب قوة وجوده الدينى قوة أخرى لوجوده العلمى؛ وإن لم نجد بين رجاله من له ولمله هذه الميزة كان اعترافنا بوجوده فقط لقوته الروحية

وقد أطال أحمد حسنين فى وصف القمر والنجوم ، كما أطال فى وصف الشروق والغروب ، فكيف صنع فى هذه الأوصاف ؟

نقل إلينا أحاسيس أهل البادية بقوة وحيوية ، لأن الكواكب فى البوادى لها سحر يجهله من يأنسون بأضواء المصابيح

ثم ماذا ؟ ثم أقول إن أحمد حسنين صوّر نفسه فى كتابه بصورة الرجل الممتحَن بهوى الصحراء ، ولو قال له المنادون : ما تشتهى ؟ لقال : أعود ! ! كما عبر الشريف الرضى عند فراق بغداد

وهنالك صورة أبدع وأروع ، هى صورة العالم الحصيف الذى أباحه العلم ما لا يباح من هتك أسرار الصحراء

هنالك أحمد حسنين الذى يتمارض ليخلو إلى أجهزته العلمية فى غفوة الليل

هنالك الباحث المستقصى الذى يدوّن كل ما يرى وما يسمع وما يذوق بلا تأجيل ولا تسويف . . .

هنالك الرجل الذى يرصد الشمس من وقت إلى وقت ليُمِدّ العلم بزاد جديد

هنالك الوطنى الغيور الذى ينص على قيمة بعض الواحات من الوجهة الحربية

هنالك المفكر الذى يشرح ما فى الصحراء الغربية من مذاهب وآراء

أما بعد فتلك هى الملامح الفكرية والعقلية والذوقية للرحالة أحمد حسنين ، وهى « الدليل » الذى « يوجّه » الطلبة إلى سرائر كتابه النفيس

وكل ما أرجوه أن تكون الفتوّة التى اتصف بها المؤلف من أعظم مطامح الشبان فى هذا العهد ، فقد رأوا بأعينهم كيف تكون الخشونة أقوى الدعائم فى بناء الرجال

زكى مبارك

الدينية ، وهى أبدية خالدة ، وأبديتها لا تتوقف على قيمة جوهرها فى نظر العقل الإنسانى لأنها وجدت فقط لانتسابها إلى شىء خارج عن نطاق الإنسان نفسه

وليس معيار البحث فى كثرة الجمع أو الاختصار ، وليست قيمته العلمية فى الحفظ والتحصيل ، بل فى الاستقلال فى التفكير فى النقد الإيجابى . فكثرة عدد « العلماء » ووفرة مواد الدراسة وكثرة الكتب المتداولة فى الدرس ليست عنواناً على وجود الشخصية العلمية ، بل لا بد من أن نلمس فى « العلماء » بوصف عام الاستقلال فى التفكير ، ونعثر فى هذه المواد وتلك الكتب على شخصياتهم

وبهذه الشخصية العلمية فقط يمكن للأزهر أن ينافس غيره من الجامعات المدنية ، وعلى نوعها يتوقف « مجاله الحيوى المدنى » فى الضيق والاتساع ونفوذه على الخاصة فى الضعف والقوة . والذى يتولى شؤون الأزهر ننعته بالمصلح العلمى ، لا من حيث أنه يغيّر فى مواد الدراسة بالزيادة أو بالنقص ، أو يعدل فى النظام العام مثلاً ، ولكن من حيث أن إشرافه كان ذا أثر فى الإنتاج العلمى وفى تكوين الشخصيات الباحثة . لا ننعته بالمصلح العلمى لأن فى عهده مثلاً يستطيع نفر من الأزهريين أن يخالف فهماً مألوفاً شائعاً فى بعض الأحكام الفقهية الفرعية دون أن يتعرض الباقون منهم له بالأذى مجاملة له أو خشية منه ، وإنما يستحق وصف المصلح العلمى حقاً إذا كان مبعث عدم التعرض من الباقين الاقتناع الذاتى بحرية التفكير وبجواز الاستقلال فى التفكير ، ولكنه لا يعدم فى كلتا الحالتين أن يلقب « بشيخ الدين » أو بالزعيم الدينى إذا قاد مع ذلك مدرسة دينية مخصوصة لها ميزة إيجابية فى حياة الإنسان العلمية . فالإمام المرحوم الشيخ محمد عبده زعيماً دينياً أكثر منه مصلحاً علمياً ، وإن كانت له شخصية العالم الباحث ، لأن بحثه قام على النقد ، وإنتاجه يمثل استقلالاً فى التفكير إلى حد ما ، على الأقل أكثر مما كان مألوفاً فى عهده

وفى العشرين سنة الأخيرة من قرننا العشرين ، أى فى المدة التى أخذ فيها الجامع الأزهر لقب جامعة علمية وأصبح الوصف العلمى جزءاً من شخصيته القانونية نجد نزاعاً متكرراً يأخذ ألواناً مختلفة بين جامعة فؤاد الأول المدنية والجامع الأزهر يدور من جانب رجال الجامعة على أن الجامعة دون سواها هى موطن البحث العلمى ، ومن جانب الأزهر على أن الأزهر يشارك الجامعة فى هذا العمل . وبينما يعلل « الجامعيون » دعواهم باستقلالهم فى التفكير فى البحث – عن التقليد وما ورد من الثقافة الموروثة – إذ بكثير من الأزهريين يلجأ فى تعليل المشاركة إلى نظام الكليات والتخصصات فى الأزهر ، وهو نظام جامعى . وكما يؤخذ على الفريق الأول عدم الدقة فى تحديد معنى الاستقلال فى التفكير ، يؤخذ على الفريق الثانى التعليل بالشكليات . ويجب على الفريقين أن يجاوزا هذا ويحتكما إلى عمل الأستاذ نفسه

ولكن ليس من السهل علينا نحن الأزهريين أن نحتكم إلى الأستاذ . وبالأخص إلى عمل النخبة من أساتذتنا ، إلى عمل جماعة كبار العلماء – وهم أساتذة الأساتذة – لأن من العسير أن يطلع أجنبى عنهم على ما لهم من « رسائل » ومن هنا يصعب تقدير عملهم من الوجهة الفنية

والحكم على عملهم من عناوين رسائلهم بحسب لا يخلو من نقص . فعناوين كثير من رسائلهم وإن احتملت أن مضمونها جمع لمنثور أو اختصار لمطول أو معالجة مفككة لمسائل تافهة أى لا تشتمل على عمل علمى بالمعنى الصحيح ، إلا أنها فى ذاتها قد تكون – مع احتمال آخر – أبحاثاً مؤسسة على استقلال فى التفكير ونوع من النقد العلمى

فإلى أن تنشر رسائل جماعة كبار العلماء فينا – لأن عملهم وحده أمام التاريخ وأمام الحكم العدل هو الأساس الذى يبنى عليه الآن التقدير والاعتراف أو عدم الاعتراف بشخصية الأزهر العلمية – يجب علينا نحن الذين لم يصبحوا بعد من جماعة كبار العلماء إما أن نسعى فى أن نطالع غيرنا على أبحاثنا الشخصية ، وبذا نكون علماء ، أو نعمد إلى تناول عمل الجامعيين بالنظر العلمى فنؤمن بما يدعونه أو ندلهم على موضع الدعاية فيه

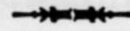
ومتى تنشر هذه الرسائل ؟ ... علمه عند الجماعة نفسها !

محمد البهى
مدرس علم النفس والفلسفة
بكلية أصول الدين

حكم استئنافياً بتغريم زكى محمد ابراهيم البقال بباب الشعرية بالقضية ٨٨٨٥ بجلسة ٢٠ نوفبر سنة ١٩٤٠ خمسون قرشاً لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة

أومن بالإنسان!

للأستاذ عبد المنعم خلاف



أومن به إيماناً عميقاً بصيراً . . . وأرصده رصداً مستوعباً يطيف به في جميع بقاعه ومختلف أوضاعه ، وأستوحي نظرة الله إليه ورحمته به وتسديده إياه في طريقه إلى مستقبله المجهول ...

أومن به حتى في هذه الأيام التي ساء الظن به فيها وقبح الرأي بقيمته وكفر هو بنفسه وسخط على حياته ، وبدت فيها خبائثه ومكايده وقسوته ، وذاق بعضه من بعضه البأس الشديد والشقاء المنكر ! وتهددت حياته عوادي فناء صنعها هو على أسلوب الصواعق والزلازل والبراكين وسائر غضبات الطبيعة التي طالما جأر إلى الله بالدعاء والبكاء أن يحفظه منها ويحفظ الأرض بما حملت من مواريث صناعاته وابتكاراته وأمواله وأعماله وعياله من سوء عقباها في التدمير والإبادة ...

أومن به لأومن بربه ... فلو طاوعناه على مقتضى قساوته وشقاوته في حياته الراهنة لأنكرنا كل مثل كريم هبط من السماء أو صعد من الأرض ... ولأخلدنا معه إلى عالم الجحيم الذي فتح أبوابه على نفسه في أكرم البقاع عليها في لندن وبرلين ... !

وأوصي به الناظرين إلى حاضره في يأس وقنوط وإلى مستقبله في تشاؤم ... فما ينبغي للذين آمنوا بالمثل العليا ، وعرفوا أن الإنسانية كلها مخلوقة لإدرا كها أن يتزلزلوا عنها ويجحدوها إذا ما أصاب الأرض نكسة إلى جهالة قديمة ، وارتداد إلى أعراض السفه الأول ... بل عليهم أن يرفعوا شعلة تلك المثل وسط احتدام الظلام والظلم حتى يمسك بخيوط نورها من يريد ألا تجرف روحه أمواج الظلمات ...

وإيماننا بالإنسان هو الذي يوحي إلينا أن نعمل له ونبسط عليه شعور حبنا ونقدم إليه ما نستطيع من خدمة . ولو أنكرناه وكفرنا بقيمته ما بقي لنا شيء في الأرض نلوذ به ونأنس إليه من وحشة الصمت المطلق والسكون المطلق ، والبكم والصمم والعمى التي تلف غيره من كائنات لم تدع في الحياة حديثاً مفهوماً عن غايات الحياة ...

وإنني ما أبصرت شيئاً غيره تَعمُقُ معه الحياة وتتسع وتتركب وبتنوع الإحساس بها . . . ولولاه لكنت صندوقاً أبكم فارغاً إلا من معاني غرائز معطلة وتجارب شهوات قليلاً ما تتحرك ... ولا اضطربت بي مجهولات الكون كغريق طاف على أكف الأمواج . . . إن كل شيء في الطبيعة صامت جامد لا يعطي جواباً عن غايات الحياة إلا هذا النوع الذي أحمله في جسدي وأستوحيه في فكري وأبادله ما صح وما فسد !

لقد قلت في مقال سابق : إن الإيمان بالإنسان هو عندي أول المعاني الدينية ، فلا يؤمن بالكون ولا خالقه من لم يؤمن بهذا النوع . . . وكان قولي هذا كضربة معول موفقة وقعت على باب كنز مرصود فانفتح ! ولست أزعم أن ما رأيته وراء هذا الباب حقيقة ينشدها الناس ويجدون في ظلها راحة وطمأنينة فالله أعلم بوقع هذا القول من نفوس القارئين ... وإنما وجدت وراء اهتدائي إليه راحة لنفسي وحلاً لكثير من المشكلات التي أجدها فيها وفي الإنسانية والطبيعة

ولقد علمني الخروج من نفسي ونوعي بعض الأحيان ورصدهما بعين غريب عنهما أن أرى كثيراً مما خفي على الذين يلبثون رهناء سجناء في الشبكة التي تلفهم مع سائر أفراد القطيع .

أجل، إني أرصد هذا النوع كغريب عنه فأرى منه مالا يراه إلا المفارقون لنفوسهم الخارجون بالفكر عن حدود وجودهم الناظرون إلى حياتهم نظرات الملأ الأعلى ممن هم فوق الإنسان ، والملأ الأدنى مما هن دون الإنسان ...

فماذا وجدت في الإنسان ؟ من قلوبه وعقوله تنبثق المعاني المكتومة المسجونة في أطواء المادة . وفي بيانه أصوات ربطت الكون كله ولاءمت بين نسبه المختلفة ولخصته واختزلته ووضعته أمام الفكر ملوماً ... وفيه نغمة مفهومة رقيقة وسط صخب الأمواج التي لا عدد لها في البحار ، والهبوات التي لا عدد لها في الأجواء ...

إنه مشبوب الحاجة دائماً ، واسع الآمال والخيال في تنظيم المادة وتنويعها وتصريفها والاحتفاء بكل سر فيها ، لا يخرج من الأرض إلا بعد أن يصوغ ترابها ومواتها عرائس ومباهج، ويبنيها أجساماً محبوكة ذات أوضاع وفنون ...

لقد استمرت الأرض من قبله جامدة لا يتغير فيها شيء من موادها إلا الدورات الأبدية المتشابهة من الهواء والماء

والفصول وتعاقب الليل والنهار والشهور ... ولم تر يداً غير يده تضع فى الأرض حجراً على حجر أو تحفر قناة مستقيمة تصرف فيها ماء أو تجلب ماء، أو ترسم صورة أو تقيم تمثالاً أو تمتهن حيواناً لخدمتها ... وإنما يبدو من الطبيعة أن كل شىء فيها كان ينتظر وجود هذا النوع ليقول ليده وفكره : هأنذا لكما !

وما زالت المرآة التى فيه وهى عقله تنطبع فيها صور الكائنات واحداً وراء آخر وهو يحولها وينقلها من عالم الجماد والصمت إلى عالم الأسماء والبيان والصور والتعبير حتى فرغ منها أو كاد ...

وما زال يدور حول ظواهر المادة وصورها وأشكالها ويحللها وينبش فيها ويسبر أغوارها حتى وصل إلى عالم الكهارب والأثير وهو الآن يجرى اختباراته وتحليلاته على هذه الأصول الأولى للمادة ليكتنفها أو يرققها ويتحكم فى إخراج أنواعها بعد أن وصلت يده إلى مفاتيح توجيهها

إنه تعمق فى عالم الأجسام والقوى حتى وصل إلى مصادر الحياة الآلية ومادة الوجود الأولية ، وتعمق فى عالم المعانى والأفكار حتى وصل إلى الخفقات الروحية العليا والرياضيات العليا التى قام عليها تخطيط الطبيعة وهندستها

وإنه ليركب ما فى الكون من المعانى كما يركب ما فيه من مواد ، فيقيم الكتب العامرة والمقالات الحكيمة والصلوات المطهرة والألحان الساحرة كما يقيم القصر الكامل الجميل والصرح المشيد والقاطرة والطائرة والباخرة ... وإنه ليسافر بفكره فى الآفاق العليا كما يسافر بصوته وصورته فى صندوق الراديو ... وهكذا هو يتوجه فى عالم المادة والقوى العمياء كما يتوجه فى عالم الروح الواعى والفكر المميز المبصر الحاكم ... وهكذا هو رباط بين العالم الساكن الخفى وبين العالم المتحرك المرئى

***

إن تكن للشرق الإسلامى رسالة جديدة فى هذا العصر تضاف إلى رسالاته السابقة فى العصور الخوالى فهى رسالة الدعوة إلى الإيمان بالإنسان سيد الأرض ، وحبه وخدمته ومعرفة قيمته ... ثم الضرب على أيدى محترفى السياسة واللاعبين بالشعوب ومورثى العداوة بينها فى سبيل الأمجاد الشخصية والأطماع والتسلط والاستبداد والإخلاد إلى منطق الغرائز السفلى التى ما وضعها الله فى تركيب الإنسان إلا لتكون له كالعجلات ودواب الحمل وآلات الدفع للقافلة السائرة إلى غاية

تاريخ مصباح

ولنستعرض تاريخ الإنسان على هذه الأرض لندرك مدى مركزه فيها ، ولنعطيه من تاريخه مصباحاً يرى به نفسه : إن الله أسلمه الأرض ، وليس فيها شىء معقد التركيب غير الأجسام العضوية الحية ، وهى أجسامه وأجسام الحيوان والنبات . أما المادة فأسلمها إليه بسيطة فى صورها الأولى وخاماتها البكر ، فما زال يدور حولها ويعبث فيها وينبش ويخرج أسرارها واحداً بعد آخر حتى حدثته أخبارها ، وأخرجت له أثقالها ، ووضعت بين يديه أجنتها وعيالها ، واستفاد من تجاربه فيها عقله وحكمه — والعقل هو حفظ التجارب والحكم بمقتضاها — وعلمه ووثائق سيرته ومدونات فكره . وكلما أنماها وعقد نموها أنمت هى فكره وعقدته — والتجاوب بين المادة والفكر قانون — حتى ملأ الأرض بما ولد منها وأخرجه من كوامنها وركبه من بسائطها

وشاء الله أن تكون قوة الفكر فى الإنسان لا حد لها ، فصارت تخاريج المادة وفروقها وتمايزها لا حد لها ... وتارة يكون كشفه عن أسرارها بطريق الصدفة ، فيلقط ويدون ، كما هو واضح من نمو علم الكيمياء . فإن كل أمورها تجريبية لا دخل للفروض والظنون والتجريدات فيها ... وتارة يكون الفكر سابقاً قادراً على الفروض وقياس النسب الغائبة على الحاضرة

أى تارة تكون الطبيعة سابقة فى الوحى إليه ، وزيادة علمه وفكره ، وتارة يكون هو سابقاً فى الوحى إليها وزيادة موجوداتها ومشاهدها

وإنى لأستعرض أعماله فى الطبيعة منذ أن كان هائماً لا سقف له يصنع من ورق الشجر ستاراً لسوأته ، ويتخذ من الحجر خنجراً لسطوته ، إلى أن صنع لباسه الأوربى المعقد المنوع الزين اللون ، وصنع بيته من ناطحات السحاب ، وآلات سطوته من الطوربيد وسلة مولوتوف ... ومركبه من الحصون الطائرة ، واستوعب جميع أجزاء الآلات المعقدة فى رأسه قبل تركيبها بمساميرها وحذافيرها ... وصنع له مجاهر ومقربات يقرب بها مشاهد السموات والسدم ويحلل عناصرها ، ويكبر بها أحجام الجراثيم ويقيس بها الخلايا ويحكم بها على كل أولئك حكماً صحيحاً خاضعاً لمقاييس الحس والفكر ... أستعرض أعماله هذه فأراه بعد ذلك قانوناً نامياً لا حد لنموه فى ذاته وقانوناً منمياً

للطبيعة وصورها وأشكالها لا حد له كذلك

وجميع قوانين الطبيعة قوانين متحجرة صارمة إلا هـذا الإنسان فإنه قانون مرن يذهب فى كل اتجاه . أليس فيه نفخة من روح الله ليست فى سواه ؟! والله خالق هذه القوانين وواضعها ؛ فلا عجب أن تدفعه هذه النفخة إلى الأمام فى مجاهل الكون دائماً

إن الأطفال يقلدون الرجال بغريزة التقليد والمحاكاة التى فيهم للاستعداد لمستقبل الفرد ، والرجال يقلدون صنع الله للاستعداد لمستقبل الإنسانية كلها . وجميع الآلات التى ركبوها وجدوا نماذجها أمامهم مما خلق الله . وجسم الحيوان هو نموذج الآلات الكبيرة السريعة التى ابتدأ بها الإنسان يتسلط على المكان والزمان والمسافات والأبعاد . وجميع أعمالهم فى الكهرباء والقوى الخفية إنما وجدوا نماذجها من المجموعات العصبية فى الحيوان والنبات ، فأرسلوا الإشارات والصور والأصوات إلى عيون وآذان صناعية عبر المحيطات والصحارى والقارات والجبال الشاهقات كما يرسل الجسم الواحد خواطره وصوادره إلى كل خلية فى أعضائه

وعلى ذلك صارت الأرض كجسم ينبض ويترابط ، وإنسانها فيها كالمراكز العصبية فى الجسم الحى : تصدر وتتلقى الجواب

حياة الشرنقة

ولكن هل يجوز أن يقف الإنسان فى ضجة ما صنع من الآلات والمفرقعات ضائعاً مغموراً غائباً فيها كما تغيب دودة القز فى الشرنقة التى تنسجها ، وكما تغيب النواة فى النخلة السحوق والبذرة فى الدوحة الفارعة ؟

إنه يرسل فى الطبيعة لمحات فكره وومضات خواطره ، وصار الأثير والهواء والماء والتراب مليئاً بهمساته وأزيز محركاته وضربات معاوله إلى أعماق المناجم والركاز

وهذا حسن لو أنه لا ينسى نفسه وسط الضجة والقوة والجبروت الآلى ، والحديد البليد القاسى ، حتى يختنق ما فيه من وداعة الروح وتأمل الفكر ، والإحساس بالانفصال عما صنعته يداه

أجل يجب ألا يكون الإنسان قوة عمياء تعمل فى المادة بدون فكر وروح وإحساس صوفى فيما تعمل ولذة به وإلا استحال إلى قوة متنقلة فى عمليات التكوين والتركيب بدون وعى وفى ذهول وغفلات تشبه عمى القوى العمياء

إن طاعة الحديد البليد القاسى للفكر الطليق البارد تركت فى أعصاب الأمم الصناعية آثاراً عميقة ستطمر لا محالة جوانب من عواطف الرحمة والمروءة فى قلوب أفرادها ، وتمحو آثار العصور الصوفية التى أدرك الإنسان نفسه فيها حين كانت النبوات تتلاحق عليه

وإنى لأتخيل الآن ما جرى فى ساحات « الفلاندر » فأرى الإنسان وهو يدفع الحديد الجبار فيندفع ، ويطلق البارود الصاعق فينطلق ، والقنابل الصارخة فتصيح فى نكر وشدة ، ويملأ الجو بالدخان الأسود والنار الحمراء فيمتلئ ، ويسيل النار من «باصقات» النار فتسيل على الأجسام البيضاء الجميلة ذات العيون الزرقاء والشعور الذهبية والجماجم المستوية وتذيبها كالشمع ، وتسحقها كالرفات ، وتذروها كالرماد ... ويرفع القلاع الطائرة إلى أجواز الفضاء فترتفع ... أتخيله وسط هذا كله لا يسمع صوت نفسه إذا تحدث ، ولا يعى خروج نفسه إذا تنفس ، ولا يحس ألمه إذا تألم ، ولا صمم جسمه إذا أصيب ؛ فهو فى جنون الحرب يضرب الأجسام الحية النامية من شجر أو ضرع أو زرع أو حيوان أو إنسان ويخرب العامر ويهدم القائم فأقول : لقد تحول إلى قوة عمياء ، وصار عاتياً كالريح ... جارفاً كالتيار ... أعمى كالصاعقة ... قاسياً كالحديد ... صابراً كالفولاذ ... فظيعاً كالنار ...

ولست أدرى متى يفيق لنفسه ويعنى بوضعه وتحولات حياته كما يعنى بمستقبل المواد والقوى ، ويربط ما بينه وبين الله مفيض الفكر والحياة كما يربط ما بين نفسه وأجزاء الأرض ؟!

إن الآلة لا تدركه وهو يعمل فيها ويقوم عليها ، وهى لا ترحمه من السحق أو البتر أو الصعق إذا تعرض لها جاهل بقوانين سيرها ، فلا قلب فيها ولا فكر ولا حياة دم وعصب وروح . ولكن ما باله هو لا يفكر فى الاتصال بمن أنشأه وركبه ونسقه وصوره وهو ذو الفكر والروح والوجدان والنزوع والإرادة والاختيار والتطلع والحزم والحذر والقدرة على قياس ما غاب بما حضر ؟!

إن الاستسلام لغيبوبة الحياة الآلية ضياع وتطبُّع بطابع الحديد البليد الأعمى الدائر فى غير وعى وإحساس ، وأخوف ما يخاف على الإنسان أن يترك هكذا فريسة وضحية للآلات يعيش معها ويقدم لها وقودها إلى أن يفنى وقود حياته هو وينطفئ

...مصباحه ويذهب إلى ظلمة القبور بدون بصيرة منيرة يسعى نورها بين يديه فى العالم الباقى غير المنظور

وعلى هذا ينبغى أن تقوم فى الناس دعوة إلى الإحساس بالنفس واليقظة الدائمة لها وتزكيتها والرفع من قيمتها، وهذا لا يكون إلا بالدين والفن الرفيع : الدين العقلى الطبيعى المبنى على إسلام النفس لله البارئ والطبيعة الأستاذة ! والفن الرفيع الذى يخلق جواً يحضر للقلب بعض المعانى النائية التى ترى الإنسان وضعه الممتاز الفريد الطليق وسط ما فى الكون من المواد والقوى والمخلوقات السجينة ... تلك المعانى التى تتراءى وراء بيان ذوى البيان النظيف، وألحان ذوى الأصداء البعيدة، وعيون ذوى الصفاء والإدراك ..

عبد المنعم خلاف

٣ - جيل وجيل

للأستاذ محمود البشبيشى

... إذا كنت فى فكرك مع الفن الطبعى، كانت كل آثارك من نثر وشعر، صوراً فنية، لا تكلف فيها ولا تمحل، والحيوية فى الأثر الأدبى، ترجع إلى الحيوية الكامنة فى نفس الأديب، وكلما كانت فطرية كان الأديب ينتزع من الطبيعة صوراً، ثم يخلع عليها من طبيعته ألواناً ضاحكة واضحة لا تنافر بينها . . . وكان موهوباً فى كل ما يكتب ويقول ... وأنت يا بنى فى كل ما حدثتنى موهوب ...

كنت قادراً على سرد أفكارك بوضوح ... والحيوية فى الكاتب هى قدرته على عرض أفكاره فى غير ما تعقيد ولا ضعف وكانت لأفكارك القدرة على التأثير ... والحيوية فى الأفكار هى قدرتها على التغلغل فى النفوس ... وكانت ألفاظك لا تحمل غير معانيها ... والحيوية فى الألفاظ هى وجودها فى المكان الذى إذا رفعت منه فقدت حيويتها، لا تستطيع أن تنقص منها أو تزيد عليها ... لأنها وضعت كما توضع المقادير فى سجل الوجود لا نقص فيها ولا زيادة ! !

— جميل يا والدى أن جعلت للكاتب حيوية وللأفكار والألفاظ، ولكنى أحب أن أعرف شأن هذه الحيوية فى الكاتب

— شأنها عظيم يا بنى ... فقد يختلف الكتاب باختلاف الحيوية الفكرية فيهم ... فهذا كاتب يملك ناصية الفكرة ولا يجد صعوبة فى عرضها ... فتخلص خلوص ماء السيل لا يقف ولا يتعثر، وتسطع كلماته أنواراً هى إشعاع نفسه وطبيعته، فتراه فى أسلوبه، وتلمس فى أسلوبه حيويته... وينسيك سحره كل شىء إلا ما أراد هو أن يخبرك به ! !

وهذا كاتب يملك ناصية اللغة ولا يملك ناحية الفكرة والحيوية ... مهما أوجز أو أطنب وملأ كتابته بكل لفظ شارد خرجت أفكاره عارية، لأن ألفاظها لا تكسوها، أو لأنها لا تلبس ألفاظها تماماً ... مثل هذا الكاتب يا بنى تستطيع أن تسميه صانع ألفاظ ...

— وكذلك الشعراء يا والدى ... فإنك لتجد شاعراً تسمو شاعريته، ويدق إحساسه، فينتزع من كل مرائى الطبيعة صوراً مهما صغر أصلها، يرتفع بها إلى القمة فى تصوير عجيب، وتدفق غريب، لأن فى نفسه طبيعة خلق معنوية شاعرية تكسو كل أفكاره حيوية ساحرة، فيخرج شعره صافياً كضمير الوليد، باسماً كثغر النهيد، راقصاً كالقلب فى فرحة اللقاء ... وهو فى إحكام صياغته، وارتباط معانيه بعضها ببعض، وتسلسل أنغامه، كأنه شىء حى تكاد تلمسه وتضمه، لأن نفس صاحبه وحيويته توزعت فيه نغماً وصياغة وتسلسلاً وصفاء

— وأكثر من هذا يا بنى، فالحيوية فى الشاعر إذا سمت اجتمع لها من الإعجاز ما يفوق حيوية الكاتب، لأنها هنا تقوم بأعمال كثيرة منها الوزن، والقافية الرقيقة، واللفظ الموسيقى، والمعنى الشارد، والروح الشعرى . على حين أنها هناك لا يطلب منها سوى صحة العبارة وسلامة المنطق . والحيوية فى الشعر لا تكتسب بالاطلاع كما قد تكتسب أحياناً فى النثر، لأن الشعراء قوم خلقوا وفى طبيعتهم روح الشعر، بل وفى منطقهم وفكرهم وحديثهم ونظرتهم . فمن قال الشعر من غير طبع وخلق شعرى خرج شعره يتعثر فى قيود الصنعة وفقد روح الشعر كما فقد تسلسل النثر ! أيحسبون أن الشعر حين يكتسب بالاطلاع ويشترى بالحفظ يكون شعراً بمعناه الصحيح ! ألا إن الحيوية الشعرية لا تكتسب أبداً ولا تباع . إنما هى تخلق مع الروح

— وكما توجد الحيوية يا والدى فى الأديب وأدبه، توجد

أيضاً فى الرسام وفنه ، وكما يختلف الأدباء باختلاف الحيوية فيهم يختلف الرسامون كذلك ، فإنك لتقف أمام لوحة زيتية لفنان موهوب ، امتزجت روحه بالفن وامتزج بها ، وسبح فى عوالم لا يصل إليها غير من رقت روحه ، وكشفت عن كل خفى من المعانى ، وخلع إحساسه الفنى على صور الطبيعة ألواناً من نفسه ، وخلعت صور الطبيعة على ألوانه ألواناً حية ، لو وقفت أمام صورة لمثل هــذا الفنان دبّ فى نفسك شعور غريب يملأ حواسك ، بل يخرج بحواسك من حقيقتها ، فتعتقد أن هذه الشجرة الزيتية شجرة حية تهتز وتتحرك ، وهذا النهر الملون تكاد تسمع له خريراً حلواً . ولا غرابة فى ذلك ، لحيوية الفنان هى سر حيوية لوحته الفنية . وأقسم أنى ما وقفت يوماً أمام لوحة لفنان موهوب ، تشع لوحاته إشعاعاً كله حيوية تتحرك وتؤثر وتعجب إلا وانقلب منطق إحساس . فأصبحت أسمع للألوان أصواتاً ، وألمس فى سكونها حركة . . . واللون الساحر يا والدى إذا وضعه فنان ساحر فى موضعه الفنى لا يظهر لوناً فقط ، بل يظهر لوناً وحقيقة حية !

— والحيوية فى الرجال يا بنى هى سر الرجولة الكاملة فى كل عمل يُعمل ، والرجل صاحب الحيوية هو الذى أحكم دقيق أمره وجليله ، وامتنعت صفاته السامية كثيرها وقليلها ، واحتوى من قوة الروح وهيبتها ما يغمر الجو الذى هو فيه هيبة غير مصطنعة وكانت فيه قوة ذات رحمة إذا قدرت ، وذات بطش إذا ظُلمت ! وارتفع بكل هذا عن كل منمز وكل مقالة ...

— وحيوية الحقيقة ياوالدى هى قدرتها على الذهاب بالباطل ، وإن الحقيقة لا تسمى حقيقة حتى تستطيع أن تقول للكذب أنت كذب فيقتنع ويخر ساجداً ، لأنه يعلم أنها تخاطبه بلسان الواقع والمنطق ... وقد تسكن الحقيقة أحياناً وتحتجب إذا كان فى نفس صاحبها ميل إلى الاستكانة إلى الواقع ولو كان ظلماً ! ! فتظل مقنعة تحاول الظهور كلما تمردت فى طبيعتها نزعة الحق ، فإن أفلحت فى ذلك خرجت تحمل قوتين : قوة الحق ، وقوة الإقناع . وكانت مدفوعة بدافعين : دافع استحقاق الوجود ، ودافع حب الانتقام من كل معارضة كاذبة ...

— وهــذا ما كان من أمر حقيقتك وحقيقة إخوانك شباب الأدب ، فقد ظلت ساكنة مقنّعة ، راضية بالواقع ، حتى تحركت طبيعة استحقاق الوجود فيها فقامت ثائرة تناقش ، وكان لها من ثورتها قوة تمطر مطرة من الأفكار والحجج ، كلها حق وكلها واقع فى المقالين السابقين ... ولكنى أرى أن قوتها ترجع إلى سر الحيوية الكامنة فى نفسك وفكرك ومنطقك . وإذا وجدت الحيوية فى شىء كان وجوده فى الحياة وجوداً للحياة نفسها

— أجل يا والدى كان لا بد أن يشعر الشباب بحقه فى الحياة الأدبية ، وبأن الواجب تشجيع الموهوبين منا ، فليس معنى الحياة أنك تحيا وتتحرك وتسكن ، وليس معنى الحياة أنك موجود فيها ... إنما الحياة الحقة أن تشعر هى بك ... فتكون فى الوجود وجوداً ، وفى الحياة حياة !! ... وفرق بين أن تشعر أنت بالحياة ، وأن تشعر بك الحياة ، وفرق بين أن تكون خبراً من الأخبار وأن تكون الحياة خبراً من أخبارك !! ... إن الرجل من امتلأ حيوية ، وظهرت حيويته فى أقواله صدقاً ، وفى أفعاله فلاحاً ، وفى نظراته صواباً ، وفى منطقه استقامة ، وكانت أقواله وأفعاله ونظراته ومنطقه هى حقيقته التى تقول إن صاحبي خلق فى الحياة حياة أخرى ... وجعلها خبراً من أخباره ! !

— هذا قول رائع يا بنى ولــكن كيف يصل الإنسان إلى هذه المرتبة السامية؟ وكيف يستطيع أن يكون نفسه هذا التكوين؟

— إن الأمر على شىء من الخطر والصعوبة يا والدى ، فهو يحتاج إلى خلق شخصية خاصة به فلا يكون صورة لغيره ، وعليه أن يتعود الصدق ، وإن صعب اليوم تعوده ، فلا يدخل فى كل خبر كلامه ، وأن يجمل ألفاظه من نور ضميره ، لا من سواد رغباته وأطماعه ! ! لأن الرغبات إذا اسودت بسطت سلطانها وسوادها على كل عمل يعمله الإنسان ... وأن يعرف كيف يكيف صور الحياة التكييف الذى يجعلها باسمة ... وأن يخلق لنفسه مثلاً أعلى ... وأخيراً أن يبعث فى شخصيته وصدقه وضميره وتكييفه للحياة ومثله الأعلى حيوية تكفل له النجاح فى كل سبيل ينهجه ، وعمل يعمله ، وفكر يتأمله ... فتشعر الحياة بأنه موجود فيها ! !

ولــكن ليس من السهل يا بنى أن تشعر الحياة بك ، وإن هــذه الصفات التى بينتها لا تجتمع لــكل إنسان ، ثم إن الوصول إليها من الصعوبة بمكان ... وليس فى مقدور كل فرد أن يكون رجلاً ... يحسن مغالبة الحياة ومدافعتها ويجمل فكره وشعوره فى الناحية التى لا تقيم للخطوب وزناً ... وليس الرجل من يبكى لأن الطبيعة وهبته عيناً تدمع ! ويصرخ لأنها أعطته لساناً يصرخ ! وييأس لأنه عجز ، ولأن الحر من طبيعته اليأس إذا

لم يقدر ! إنما الرجل من يخرج من عينيه إشعاع كله حياة وابتسام لأن الطبيعة وضعت السحر فى البصر ، ويضحك لأنها وهبت فيه معنى الضحك ، ولا ييأس لأن الحياة لا يأس معها ... ولِمَ اليأس ... وليس فى الحياة ما تنقطع عنده حيلة من الخطوب ؟ فإذا نظر الإنسان فى أحوال حياته ، وصدق تأمله ، ولم يعتمه إحجام ، ولم يقيده تردد ، ولم يذهب بجلاده رهبة ، استطاع أن يحمل كل أمر قريب المتناول ، هين المحاولة ...

— أجل ياوالدى ... كم مرت على أيام ، علم الله لم يك فيها ألم ولا يأس ... ولكننى استقبلتها وفى نفسى ألم ويأس فغمّر إحساس نفسى الحزين كل صور الحياة فرأيتها عابسة قاتمة فشكوت منها قائلاً :

ظلام يبطن الأم ليس له سر ... وليل يبطن القبر ليس له سر
لعمرى كأن العيش متصل الدجى ... فأوله قبر وآخره قبر ! !
إذا كان فى موت الحياة مرارة ... فموت شعور المرء حياً هو المر !

وقلت :

إيه يا قلب كم تعذبت بالدا ... ء ودارت عليك شر الدوائر
ومشت فوقك الحياة بشوك ... بعد ما بعثرت عليك الأزاهر
وظلال من الفناء ترامت ... فوق جنبيك يا طريد المقادر !

وإن أسعد أيامى تلك التى نظرت فيها إلى الحياة بعين السرور فرأيتها فناً من السرور وجعلت لها روحى قيثارة تغنى :

ليتنى بسمة على شفة الور ... د بفجر معطر الأنداء
وطيور تطير فى لهفة الشو ... ق إلى دوحها الحبيب النائى
وابتسام يلوح كالأمل الحلو ... على ثغر كاعب عذراء
ليتنى أرغن يغرد بالبشر ... ويكسو القلوب ثوب الهناء
ليتنى لم أكن من الطين كالنا ... س فأشقى بفكرة قتماء

— عرفتَ يابنى كيف تستقبل الحياة ، كما عرفت أن الحيوية هى سر وجود كل شيء ، وشعور الحياة بأنه حى فيها ، وعلمنا أن الكاتب من غير حيوية فيه ، يكون صانع ألفاظ ، وفهمنا أن الرسام تخرج لوحاته صامتة ميتة إذا حرم الحيوية الفنية ... وأدركنا أن الرجل من غير حيوية لا يكون رجلاً ... لأن أعماله تكون وليدة نقص فى الخلق والرأى والتأمل ... وقلنا إن حيوية الشاعر هى كل شيء فى شعره ... أما بعد فهل تتقيد الحيوية بسن ؟ وهل هى وليدة اطلاع ومثابرة ؟ وهل ظهرت فى جيل وانعدمت فى جيل ... ؟

— أظنها يا والدى لا تتقيد بطول ممارسة ، وليست وليدة اطلاع ... كما أنها تكون فى كل الأجيال

فكما نحسها فى قول الزهاوى :

هنالك نواميس بها أنا عالم ... وأخرى على جهدى بها لست أعلم
وما أنا شيء مثلما أنت فاهمي ... ولا أنت شيء مثلما أنا أفهم

وكما نلمحها فى قول الدكتور أبى شادى :

تتلاقى الشفاه وهى ظماء ... ثم تظمى على ارتواء وتنفس
وتطيل اللقاء وهى سواه ... عن حياة بوجدها تتنفس !

وكما تتلألأ فى قول العقاد :

ليس بين الجنون والعقل إلا ... خطوتا سائر ، فحاذر وأمسك
أول الخطوتين نسيانك النا ... س وأما الأخرى فنسيان نفسك

تظهر أيضاً فى شعر كثير منا . أفلست تحسها فى قول صالح جودت :

جريان الغدير يجرى دموعى ... ومسيل الدموع يدمى المحاجر
ملأ الصب من جمالك سحراً ... شفق الخد تحت ليل الغدائر

وفى قول مختار الوكيل :

حبذا أنت تطفرين مع الحلم ... بكون من الخيالات نائى
ترسلين الأنفاس وسنى كعينيك ... على وجنتى كالأنداء

وفى قول القائل :

يودعنى القلب لو ودعك ... ويرجع لو قدر أرجعك
لقد مزق الهجر زهر الغرام ... وضيعنى البعد إذ ضيعك
ولكن تعود لروحى الحياة ... إذا عاد للقلب عهدى معك

* * *

أما بعد : فتلك أحاديث لا يسعنى إلا أن أقول إنها كشفت لعينى أبعاداً جديدة ، وعلمتنى أن الحقيقة لا تختفى وراء الظلام ، وأن الأجيال تتأثر بحيوية فكرتها ، ويؤثر فى حيويتها صدق التأمل فتفسد بفساده وتصلح بصلاحه ، وإن الضعف والفناء قد يكونان قوة سامية ، ما دام الضعف يولد قوة ، والفناء يجدد حياة ...

ورأيت فيها فلسفة تعارض فلسفة ، فآمنت بأن الحيوية فى كل شيء هى سر وجوده ، وليست الحياة ومعناها فى كونك خبراً من أخبارها ... إنما معنى الحياة أن تكون هى خبراً من أخبارك ... آمنت يا بنى بكل ما تقول .. لأنك قيدت حقيقتى بكل ما تقول

محمود البشبيشى

حاشية أيضاً : كل ما جاء على لسان ولدى « حسين حسنى محمود البشبيشى » فهو من أفكاره ويكاد يكون فى ألفاظه

كتب لم أقرأها

بريد الفراعنة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

وهذا كتاب إلا أكن قد قرأته فإن قليلين من أدبائنا هم الذين قرأوه . وفى اعتقادى أنه لا عذر لأحد فى مصر ألا يكون ذا نصيب فيه إما مترجماً أو ناقداً أو قارئاً أو حاثاً على ترجمته أو قراءته .

وهو كتاب يقع فى جزأين ويشتمل على الترجمة الإنكليزية لوثائق فرعونية عددها أربعمائة يوجد من أصولها المنقوشة بالخط المسمارى على لوحات من الصلصال ١٩٤ وثيقة فى متحف برلين و ٨٢ فى المتحف البريطانى و ٥٠ فى متحف القاهرة ، وبقية الأربعمائة مبعثرة فى متاحف خاصة وعامة فى حواضر مختلفة ومن بينها وثيقتان فى نيويورك

هذه المجموعة تعرف باسم وثائق تل العمارنة. وأول عهد اللغات الأوربية بها فى برلين حيث نشر العالم النرويجى البروفسور كنودتسون طائفة منها ـ هى كل ما كان معروفاً منها إلى عهده. وقد استغرق مجهوده فى ترجمتها الفترة ما بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٤ وترجم هذه المجموعة إلى الإنكليزية العالم الإنكليزى البروفسور كلاى من جامعة ييل ، وأفرد لها جزءاً من كتابه « نقوش اللغة السامية القديمة » وأضاف إليها شروحاً وحواشى وقدمها بمقدمة طويلة

وفى المدة بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٩ اشتغل الدكتور مرسيه أستاذ اللغات السامية وعلم المصرولوجيا بجامعة ترنتى ـ بترجمة ما استكشف من الوثائق بعد نشر مجموعة كلاى وأضافها إليها ونشرها وهو يظنها كاملة . ولكن ظهرت بعد ذلك ثمانى عشرة وثيقة أخرى فاشتغل بترجمتها أيضاً بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ، وأعاد نشرها فكانت هى المجموعة موضوع هذا الحديث

وقد تحدث عنها المستر ألبرت فيلد جليمور فى عدد ٢١ نوفبر سنة ١٩٤٠ من جريدة الاجبشيان غازيت فقال :

« إن أهمية هـذه الوثائق إنما تتضح لك إن تخيلت ما يمكن أن يحدث بعد أربعة آلاف عام من استكشاف مجموعة فى مثل عدد هذه المجموعة من رسائل متبادلة بين رئيس جمهورية الولايات المتحدة وبين ملك انكلترا »

قال : إنه إن حدث ذلك فسيوضح هذا الأثر شطراً كبيراً من تاريخنا ومن أساليبنا السياسية وعلاقاتنا الثقافية وعاداتنا وصناعاتنا وحياتنا الاجتماعية

وأول العهد باستكشاف وثائق تل العمارنة هـذه كان فى سنة ١٨٨٧ إذ كانت فلاحة مصرية من سكان قرية قرب هذا التل تجمع سماداً فوجدت قطعاً من الصلصال يختلف طول إحداها بين بوصتين ونصف البوصة وبين تسع بوصات . ويختلف عرضها بين ثلاث بوصات وأربع وعليها نقوش غريبة

وسرعان ما انتشر الخبر بين العلماء فى القاهرة وفى باريس وبرلين ولوندرا واكسفورد وغيرها . وتبين أن هذه النقوش كتابة مسمارية ، وأن هذه المجموعة ليست إلا رسائل متبادلة بين الملك امنوفيس الثالث وابنه اخناتون ، وبين رجال مختلفين من حكام آسيا الغربية ، ومعظمهم من حكام بابل وأشور وسوريا وفلسطين ، وغيرها من بلدان آسيا الغربية

ويرجع تاريخ هذه الرسائل إلى المدة بين عامى ١٤١١ و ١٣٥٨ قبل المسيح

ويقول هذا الكاتب وهو أستاذ فى علوم الدين المسيحى : إن لهذه المجموعة أهمية خاصة لدى الذين يدرسون الكتاب المقدس لعلاقتها بسفر الخروج ، وأخبار بنى إسرائيل فى رحلتهم إلى أرض كنعان ، ولأنها تحدد التواريخ الدقيقة لبعض الأخبار التى تضمنها العهد القديم

* * *

لما اعتلى اخناتون عرش مصر خلفاً لأبيه امنوفيس الثالث نقل العاصمة من طيبة ، ولعل ذلك كان اضطراراً بسبب ما ترتب على تغييره عقيدة مصر من الوثنية إلى التوحيد من خلاف مع رجال الدين . وكان المكان الذى اختاره لعاصمته الجديدة هو المعروف الآن بتل العمارنة

ولقد عاد مقر الملك إلى طيبة بعد اخناتون وأصبحت عاصمته الجديدة أطلالاً . وعرفه الوثنيون من المصريين من بعده باسم « الكافر » لمخالفته عقائدهم

ولقد كان أخناتون شاعراً وفيلسوفاً ولم يكن ملكاً فحسب.

ومن بين هذه الوثائق خمس تتضمن الحديث عن هدايا تبادلها الملك المصرى وبعض الحكام والولاة . وتدل المصارحات التى تضمنتها هذه الرسائل الخمس على أن الحكام القدماء كانوا يحفلون بالقيمة المادية للهدايا

ومن أمثلة ذلك كتاب من أمنوفيس الثالث يشكو فيه اختيار الرسل الذين حملوا إليه الكتاب والهدايا من بين ذوى المراتب الثانوية فى المجتمع ، وكان هذا الكتاب وتلك الهدايا من ملك بابل . وقد تضمن الكتاب كذلك شكوى من ضآلة قيمة الهدايا ولكنه مع ذلك بعث مع الرد بهدايا قيمة ووعد بأن يرسل أكبر قيمة منها متى قبل الملك البابلى تزويجه من بنته

وبدأت المنافسات بين الملكين المصرى والبابلى فى عهد أمنوفيس الثالث ، ولكن مداها اتسع فى عهد أخناتون إذ تفوقت بابل على مصر . وتدل بعض هذه الرسائل على ما كان ملك أشور يعلقه على نفسه من الأهمية فقد كان يلقب نفسه (الملك الكبير الذى يصر على المساواة مع فرعون مصر الذى يخاطبه بلفظ أخى) وهو ينوه فى خطابه لأخناتون بقدر الهدايا التى تلقاها جده من فرعون سابق فقد كانت عشرين وزنة من الذهب ، وهو يذكر فى الخطاب أنه لا يبدو جانب التواضع حين يطالب أخناتون بألا تقل قيمة هديته عن هذا القدر حفظاً لكرامته

وتدل الرسائل أيضاً على أن مصر رفضت التدخل فى المنازعات التى كانت بين بابل وبين آشور ، عدا أنه لما اقتصر الخلاف على أمر الحدود بين الدولتين قبل أخناتون أن يتوسط لمصلحة الآشوريين لدى البابليين سادتهم القدماء. وهذه السياسة بين الملوك الأقدمين تطرد مع ما يجرى فى زمننا كأنما التاريخ يعيد نفسه

وأكثر هذه الرسائل مبعوث به إلى ملك مصر ، وأقلها مبعوث به من مصر . ومن بين ما بعثت به مصر أربعة كتب للملوك منها ثلاثة لملك بابل والرابع إلى ملك ارزاوا . أما الرسائل التى وردت إلى مصر فنها ما هو من بابل ومنها ما هو من أشور أو من مملكة الحيثيين أو سوريا ، وأحدها إلى أمنوفيس الثالث والد إخناتون . ورسالتان أخريان إلى سيدتين مصريتين

ولهجات هذه الرسائل مختلفة اختلافاً بيناً ، حتى لقد وجد المترجمون مشقة شديدة فى ترجمتها ، فلها من هذه الناحية أهمية لغوية عند علماء اللغات السامية

وفى الرسائل وصف دقيق لبعض عادات القدماء ومراسيم الدين وتقاليد الزواج ، كما أن لها أهمية جغرافية . وتدل هذه الوثائق فى جلتها على سيادة مصر على آسيا الغربية وعلى هيبتها منذ طردت الهكسوس إلى عهد أمنوفيس الرابع

ولقد كان ملوك مصر فى عهد مجدها محاربين ، أما أمنوفيس الثالث فبدت فيه ميول أدبية ، وأما ابنه إخناتون فقد بدأ به عهد الضعف ، وقد كان شديد الكراهية للحرب

(انتهى ملخصاً) عبد اللطيف النشار

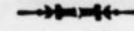
الرسالة فى سنتها التاسعة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها الى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء مع المشتركين القدماء . أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطاً أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض الا اذا بدأوا اشتراكهم من نصف ديسمبر الى آخر يناير سنة ١٩٤١ ، ولن يمد الأجل بعد ذلك

القدر والقصص

[بمناسبة شفاء أشخاص روائيين]

للأستاذ عبد المجيد مصطفى خليل



فى عام ١٨٥٠ قدمت شارلوت برونتى Charlotte Brontë الطبعة الثانية من قصة أختها إميلى برونتى Emily Brontë المسماة مرتفعات وُذَرِنج Wuthering Heights بمقدمة جاء فيها :

« لا أدرى أكان صواباً أو ملائماً أن تخلق كائنات مثل هيثكليف(١) ، ويصعب أن أظن ذلك ، لكننى أدرى أن الكاتب الذى يملك الموهبة الخالقة يملك شيئاً لا يسيطر دائماً عليه - شيئاً يريد ويعمل لنفسه بغرابة أحياناً ، فقد يضع « الموهوب » قواعد ويبتكر مبادئ ، ثم ترقد « موهبة الخلق » أعواماً فى خضوع لهذه القواعد والمبادئ ؛ وعندئذ ، ومصادفة وبغير إنذار بالثورة ، يحين وقت لا تعود تقبل فيه أن « تسلف الأودية ، أو تربط برباط فى خط المحراث(٢) » - حين « تضحك من زحام المدينة ، ولا تهتم بصياح الحوذى » - حين ترفض كل الرفض أن تصنع من رمل البحر حبالاً لحظة أخرى ، وتشرع تنحت التماثيل فتجد « أنت » صورة من بلوتو أو جوف A Pluto or a Jove(٣) وتيسيفون أو سيكى A Tisiphone or a Psyche(٤) ، وحورية ماء أو مريم العذراء A Mermaid or a Madonna(٥) ، كما يوجّه القدر أو الإلهام . وليكن العمل عنيداً أو مجيداً ، مفزعاً أو سماوياً ، فإن لك اختياراً ضئيلاً متروكا ، غير أنه اختيار هادئ ساكت . أما أنت أيها الفنان الإسمى « الصورى » فإن نصيبك منه كان أن تعمل مستكيناً بإرشاد لم تفهمه ، ولا استطعت أن تستوضحه - إنه لا يلفظ فى صلاتك ، ولا يُلغى أو يغير على هواك . فإن كانت النتيجة خلابة ، فسيمدحك العالم أنت الذى تستحق من المدح قليلاً ؛ أما إن كانت تشمئز النفس منها ، فإن العالم نفسه يلومك ، أنت الذى تستحق من اللوم قليلاً كذلك »

وفى عام ١٩٣٠ قدم هـ . و . جَرُد H. W. Garrod لطبعة هذا العام من هذه القصة ، بمقدمة أيد فيها شارلوت فى تفسير قسوة القصة بالقضاء والقدر أو الإلهام ، قال :

« إذا لم يمكن وصف قصة مرتفعات وذرنج بأنها أعظم قصة « غير مسرحية » فى لغتنا ، فإن لنا على الأقل أن ندعونا بعدل إلى اعتبارها أسمى قصصنا إلهاماً(١) ؛ وقد أحسنت شارلوت برونتى كشف قوتها العجيبة إذ تكلمت على « القدر أو الإلهام » (إلى أن قال) : ليست الطبيعة ، بل القدر ، يبدو أنه أخذ القلم من الكاتبة ، وكتب لها . (حتى قال) : لو كان مدبر القصة شيئاً أقل من « القدر أو الإلهام » لكانت سفينتها غرقت وسط متاعب الأنانية »

هكذا قال مقدماً القصة الغريبة الرفيعة . ولم يكن يسع شارلت الموهوبة الملهمة إلا أن تتأمل غرائب القصة وسببها الدافع وإلا أن تجد أنه القدر . أما الإلهام فمن القدر . ولم يكن يسع « جَرُد » إلا أن يُعجب بهذا التوفيق إلى تفسير سبب هذا العمل الأدبى الطافح بالقسوة والغرابة ، وإلا أن يؤيده ويكرره فى راحة وسرور

ولو لم تتكلم « شارلوت » و « جرد » عن عمل القدر فى هذه الرواية لكان جديراً بنصف قراء هذه القصة أن يتساءلوا مستنكرين : لماذا قسمت حظوظ شخصيات هذه القصة كما قسمت ؟! ولماذا نجح الشر فيها كل ذاك النجاح ؟! ولماذا شقيت شخوصها الطيبة ما شقيت ؟!

طالعت كثيراً من المآسى فلا أذكر أنى عجبت من المؤلف عجبى من إميلى برونتى وأن تكن قصتها المحشودة بالمآسى ليست فى قالب المأساة

(١) أهم شخصية فى القصة ، وهى شخصية بغيضة جداً . وكانت موفقة فى الشر إلى حد بعيد .

(٢) سلف الأرض أى سواها بالمسلفة أو حولها للزرع .

(٣) الأول إله الجحيم عند الرومان ، والثانى كبير الآلهة عندهم .

(٤) الأولى إحدى إلهات ثلاث للقضاء والقدر والانتقام فى الأساطير الأغريقية وكن ثعبانيات الشعر . والثانية فى أساطير الأغريق هى الروح المجسدة ، أو النفس والروح الانسانيتان ، أو العقل الانسانى .

(٥) حورية الماء فى الأساطير كانت امرأة إلى الخصر ، بارعة الحسن ، ثم ينتهى الجسم بذنب سمكة . وكان يمكن أن توجد علاقات بينها وبين الانسان . لكن هذه العلاقات كانت تجلب المكاره غالبا .

(١) مكتوب على « جاكت » غلاف القصة أنها لو كانت فى قالب مأساة « تراجيديا » لكانت أسمى قطعة للقوة والعاطفة والطبيعة البشرية ، على الخلق الجافى ، منذ شيكسبير Oxford, 1936

الناس يشقون بمكتوب القدر، ويسألون الله اللطف والرحمة؟ وقد يتعجبون في تسليم من الحكمة الخفية كيف تكون. وقد يستغربون وجود غاية مجهولة معقولة لأن عقولهم لا تنفى في هذه القضية بغير إيمان ثابت. فقد يسأل القارئ بعد تلاوة هذه المأساة وأمثالها: أما كفى المؤلف شقاء الناس في الحياة فيشقى شخوصه في الورق والخيال وهي من صنع يده لولا أن قدّر الحياة يتدخل في قدّر الخيال! إنه لا يجوز أن تشقى هكذا تلك الأحياء الخيالية الطيبة. فإن جاز شقاء شخوص روائية فحين يصف مؤلف أشخاصاً حقيقيين في قصة وصفية غير وضعية إلا أن يكون المؤلف قاسياً وحشياً

ويظهر أن مخرج هذه الرواية للسينما راعى شيئاً من ذلك، فرأيناها خلواً من شر ما فيها من شذوذ وقسوة. وإن يكن قد شوهها بالبتر والاقتضاب والتعديل

هذا، وقد كان كلام شارلوت على القدر والإنسان والاختيار المتروك له، وهو مناط الكسب، كلاماً صائباً يوافق في عمومه رأي السيد جمال الدين الأفغاني في مقالة «القضاء والقدر»[1]

***

وفي «عهد الشيطان» للأستاذ توفيق الحكيم أقصوصة عنوانها «الأميرة الغضبي». وهي «بريسكا» بطلة قصته «أهل الكهف». والمؤلف يحاور بطلة قصته بهذا الحوار الذي طرق به موضوع القدر:

— قل لي أنت قبل كل شيء: ماذا عليك لو أنك أبقيت لي مشلينيا؟... لو أن قلمك تمهل لحظة قصيرة ولم يقصف تلك الحياة لكنك ضننت بها أيها القاسي الظالم!

— لست قاسياً ياسيدتي ولا ظلوماً. ولو كنت أملك أمر بقاء مشلينيا دقيقة واحدة لأبقيته لك عن طيب خاطر

— لو كنت تملك؟ ومن غيرك يملك؟

— لا تحمليني يا سيدتي هذه التبعة!

— جميل أن يتنصل خالق من تبعة خلقه كل هذا التنصل!

— آه، ما أظلم الإنسان! وما أحوج الخالقين إلى الرحمة والرثاء في هذا الوجود

— نحن الظالمون وهم المظلومون... شيء بديع!

— إنكم تحملونهم التبعات وترمونهم بالظلم، وهم براء من كل صفة من هذه الصفات. فلا ظلم ولا عدل، ولا قسوة ولا حنان، ولا غضب ولا رضى، تلك عواطف لا يعرفونها ولا يشعرون بها. ولو أصغى إله لصوت آدمي لانحل الكون في طرفة عين، كما تنحل قصة أهل الكهف لو أني أصغيت إلى شخص واحد من أشخاصها! فأنت تريدين أن أؤخر موت مشلينيا دقيقة، ولا تعلمين أن هذه الدقيقة الواحدة كانت كفيلة أن تغير وجه القصة وتقلب مصير الأشخاص وتلقى عناصر الفوضى في العمل كله. كلا يا سيدتي. إني لم أرد موت مشلينيا ولم أرد بقاءه، ولم أحب ولم أكره، ولم أظلم ولم أعدل، إن الخالق لا يمكن أن يخضع لغير قانون واحد: «التناسق»[1]

فكيف لا يعرف الخالق الذي يحدثنا عنه الأستاذ الحكيم الظلم والعدل والقسوة والحنان والغضب والرضى وهو الذي خلقها؟! وكيف لا يشعر بها وهو يتصف بأكثرها؟ أو أن هذا الذي يصفه الأستاذ طراز من الخالقين طريف: اختصاصه الأبدان وليس من اختصاصه العواطف!

وكيف يجهل هذا الخالق المفاجآت ولا يحسب حساب الظروف وطارئ الطلبات، والمخلوقات يعرفونها ويعدون لها ما استطاعوا من عدة؟! أفينحل الكون العظيم لو أجاب الخالق دعاء إنسان يطلب شيئاً معقولاً هيناً على القدرة الإلهية؟!

وما عزاء المتدين عن مصائبه إذا لم يكن له أمل في رحمة الخالق وفي نعمة الجنة؟ إذن ما أضيع المخلوق!

وما هذا التناسق الغريب الذي لا يكون إلا مركباً من نسبة من الشر لا تنقص؟! فكيف إذن يكون الحال في الجنة التي لا شر فيها، ألا يكون فيها تناسق؟! كذلك القصص التي ليست مآسي، هل انعدم التناسق فيها؟! فإن يكن المراد «التناسق الذي يقتضيه الحال» فأين إرادة الخالق واختياره؟! وكيف يكون خالقاً من ليست له إرادة ولا اختيار ولا تدبير فيسيطر عليه المقام والسياق والاتفاق! فقد يسوقه التناسق فينساق فيكتب في لوح القدر تراجيدية أو درامة أو كوميدية.. ثم هو بعد ذلك خالق وله قدر!

***

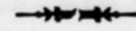
(٢) العروة الوثقى ص ١١٩ — ١٢١، بيروت ١٩٣٣

(١) ص ٧٠ — ٧٢، ١٩٣٨

من وحي الريف

ريف وروح ...

للأستاذ حبيب الزحلاوي



السرعة إحدى خصائص العصر ، وهي على رغم أخذها الناس بالسوط تستحثهم على المضي ، تهيب الأديب ، لا تجرؤ على الدنو منه ساعة سبحه في الفراغ الطويل ، أو تأمله بدائع الكون العظيم ، أو انجذابه بسحر الطبيعة ومفاتنها

للأديب الذي يركب القطار من القاهرة إلى الأسكندرية ، أو منها إلى الصعيد بعض العذر في رمي الريف بالصورة الواحدة ذات الوجه واللون الواحد ، وله أن يدعي الملال من الرؤى الرتيبة ، لا لأن طبيعة الريف هي كذلك ، بل لأن أثر السرعة في نفسه أبلغ من أثر تهيئها لتقبل الجمال ولمح قسمات الروعة والبهاء المطوية والمنشورة ، البادية والخافية والتشبع منها على مهل

والريف كالمرأة في مجموع تكوينها سحر يدرك بالغريزة ، وفي تفصيل قسماتها فتنة تميها لطافة الحس بالاشتراك مع الشعور والذوق وتفتق البصيرة

الريف للأديب المتسرع جمال موقوت وبهجة زائلة ، ولقرينه المتأمل هيكل في مباءة الأرواح . . .

ما سمعت من أديب ثناء على ريفنا الصامت ، بل رأيت ملامح الضجر تضج من الصمت فقلت هو ذا مظهر من مظاهر السطحية لا يقوى صاحبها إلا على مسايرة العصر في سرعته وتسرعه ، ويعجز عن مجاراة الروح في سبحه وتأمله وانجذابه

لم ترني « الدقهلية » نخيلاً تبدى لي في الصعيد بقامته المشوقة ، وأغصانه المروشة ، وعناقيده المدلاة ، وبلحه النحاسي القاتم والذهبي الصافي اللون ، بل أرتني منابت الأرز تلبس عشرات ألوان متناسقة متساوقة من خضرة السندسي المفرح ، تسبح في أمواه رقراقة لا تفيض حتى يدرك النبت النضج فيتناوله المنجل ، وكأني سمعتها تقول : « نعوم في أمواهنا نستكمل حياتنا فيها كما يستكملها الأديب الموهوب في حب متقطع متواصل يحيا به حياة دائمة التوقد والالتهاب حتى قطعه المنجل ! »

رأيت فصول العام مستوفاة في أرض الريف في ساعة واحدة هنا وهناك ربيع وخريف للقطن والقمح والأذرة والبرسيم ، وهنالك صيف وشتاء لأرض تتأهب لغرس جديد

إن تعجب يا صاحبي فاعجب لقطان هذا الريف السمح السخي إذ لا شيء أدعى للعجب بله الدهشة من تلقيك عكس ما كنت تتوقع وتتأمل

في طباع قطان الريف جود وبخل ، حلم وسفه ، ظرف

وقد انتهى دور أفلاطون في مسرح الدنيا ، لكن ديكنسون Dickinson استطاع أن يهيء له فيه مرة أخرى دوراً في محاورته « بعد ألفي عام »[1] وهي حوار بين أفلاطون وبين شاب عصري كذلك أسدل الستار على حياة فولتير ووشنطون ونابليون ، لكن مادارياجا Madariaga أنطقهم وبعثهم في الخيال المسطور في « ساحات الفردوس »[2] . وقد رقد المعري بعد مهاد دنياه ولكن الأستاذ العقاد أيقظه ليسجل في صفحات « رجعة أبي العلاء » أنباء رحلته في هذا العصر في الدنيا الحديثة . هذا وإن كان الأستاذ العقاد قد استصوب كلام الأستاذ الحكيم في « كناشة الأسبوع » بقوله :

« وهذا كلام جميل أصيل لا يحل به المؤلف مشكلة بريسكا وحدها ولا مشكلة الفن وحده ، بل لعله يحل به مشكلات كثيرة ، ويكشف به أسراراً كثيرة ، من مشكلات القدر وأسرار الوجود »

لقد أراد الأستاذ الحكيم أن يفسر القدر في القصص فنظر إلى القدر في الوجود فلم يوفق إلى حقيقتهما معاً حيث وفقت شارلوت برونتي إلى تفسير أقدار القصص برأي معقول . وللحكيم العذر في إخفاقه لأنه سلك سبيل القدر الإلهي ، وهو عصي على الأفهام

شجعني على إبداء هذه الملاحظات على « سُنَّة » الأستاذ الحكيم في « مخلوقاته » الروائية ، أنه « خالق » لا يعرف الغضب ولا يشعر به ، وأني لست مخلوقاً روائياً فأدخل في اختصاصه ...

عبد المجيد مصطفى خليل

(١) After Two Thousand Years
(٢) Elysian Fielps

وسماجة ، ذكاء وبلادة ؛ ولعلي لم ألمس وألتفت إلى الاستكانة وضدها الأنفة ، والتواضع وضده الكبرياء ، والشجاعة يقابلها الجبن ، وسهولة الخلق وتوعره ، لأنها وإن كانت من الصفات التي تسم روح الفلاح بميسم الانطلاق والحرية والاعتماد على النفس ولكنها مكبوتة فيه ، مخنوقة من الجور الذي لا تبلى جدته ، ولا يصدأ معدنه ، الجور الناعم الباسم وقد توارثته الأجيال الحاضرة عن الظالمين والمظلومين من أقدم العصور

والريف وضيء الطلعة ، واضح السنة ، كفتاة في مستهل الصبا ، عفيفة الطوية ، إن تصدت تتصدى لأليفها ، أو للقريب من روحها ، وليس للمحة الخاطفة عندها مهما بان سناها سوى أثر البرق ...

اقتربت من فتيات ريفيات يجنين القطن ، وكنت إذ ذاك متيقظ النفس ، متشوقاً إلى رؤية جنى محصول مصر العزيز ، ولكني ما كدت ألقي بالنظرة الخاطفة حتى غامت الرؤى في عيني ...

لقد تذكرت الأديب فخري أبا السعود ، هذا الرجل الذي صدمته الحياة فتغلب عليها بالموت ... تذكرته للفصل الممتع من الكتاب القيم الذي نقله إلى العربية لمؤلفه توماس هاردي في وصف فتيات ريفيات يجممن القمح في الحقل ، وإني لأنقل شذرة من الفصل للدلالة على أدب السرعة الذي نأخذ ذواتنا به لسهولته وخفته وعلى الأديب الموهوب الذي يندمج في موضوعه فيمتزج به ، فيشيع فيهما روح واحد ، فنسمع تجاوب الروح الواحد ...

« تركت الآلة الحاصدة المحصول وراءها في أكوام صغيرة ، كل كومة منها تصلح لأن تكون حزمة ، وعليها أكب الحاصدون بأيديهم ، وكان معظمهم من النساء ، وكان الرجال يرتدون قمصاناً وسراويلات تجمعها حول أوساطهم أحزمة من الجلد » « أما بنات الجنس الآخر فكن أهم شأناً وأمتع منظراً ، شأن المرأة حين تندمج في مظاهر الطبيعة بدل أن تظهر بينها مجرد ظهور ، كما هي الحال غالباً ، فالرجل في الحقل يبدو شخصية قائمة فيه ، أما المرأة فتبدو جزءاً منه ، قد فقدت استقلال شخصيتها وتشربت روح المنظر المحيط بها وضجت نفسها به »

وفي هذا الصباح كانت العين ترتد عفواً إلى الفتاة ذات السترة القرنفلية الشاحبة ، إذ كانت أعدل الجميع قداً ، وألينهن غصناً ، ولكنها كانت قد شدت قلنسوتها على جبينها حتى لم يعد يرى شيء من وجهها حين تنحني ، وإن كان من الممكن التنبؤ بلون وجهها بالنظر إلى خصلات شعرها الأسود الرمادي ممتدة من تحت حافة قلنسوتها ، ولعل من أسباب طموح العين إليها أنها لا تحاول اجتذابها ، وأن تلتفت الأخريات حولها من حين إلى حين

وظلت تنحني وتقوم في حركة رتيبة كسير الساعة ، تستخرج من آخر كومة هيئت ملء يمناها من السنابل ، وتضرب قممها براحتها لتسوي رؤوسها ، ثم تنحني ملياً ، وتتقدم ضامة العيدان بكلتا يديها إلى ركبتيها ، وتدفع يسراها ذات القفاز تحت الحزمة لتقابل اليمنى على الجانب الآخر ، معانقة القمح معانقة المحب ، وتجمع أطراف الحزمة وتجلس عليها وهي تربطها ، وتدفع أذيالها إلى أسفل كلما عبث بها النسيم ، وكان جزء من ذراعها يبدو عارياً بين جلد القفاز الخشن وبين كمها ناعماً رقيقاً ، وكلما تقدم النهار انبسطت عليه الخدوش وبض منه الدم ، وكانت تعتدل قائمة من حين إلى آخر لتستريح وتصلح من ميدعها وقلنسوتها ، وعندها يرى الناظر وجه فتاة مليحة بيضاوياً ذا عينين سوداوين تحف به خصلات من الشعر الأسود سبطة تعلق بكل شيء تقع عليه ، وكان خداها أشد شحوباً ، وشفتاها الحمراوان أرق ، وأسنانها أكثر تناسقاً مما يشاهد في بنات الريف »

سلام على ريفنا اللهم ، وعلى أديب ليستلهم فيصور ، ورحمة لفخري أبي السعود فقد عاش وكتب بدمه ، ومات وهو يعلم أن الدم روح مسفوكة .

حبيب الزحلاوي



١ — صاحب السلطان الحقيقي

وهذا صاحب سلطان آخر لم أدر بادئ الرأى ماذا أسميه، وترددت بين أن أنعتـه بصاحب السلطان الثعلبان وأن أسميه صاحب السلطان الهرج أو الشعوذ أو النصاب، حتى رأيتني أدعوه آخر الأمر على رغمي صاحب السلطان الحقيقي، ولعلها بعد كرامة من كراماته! والحق أني لم أر حتى اليوم من أصحاب السلطان من بلغ من الجاه نصف ما بلغه منه ذلك الألبان الثعلبان

دخل الحجرة في نفر من حاشيته فسلم مسبل العينين خافض الجناح مطأطئ الرأس يكاد يتهدم من الضعف ويبدو كأنما ينوء بعامته الحمراء الضخمة التي تعلو جبينـه العريض، والتي زاد في حمرتها شدة بياض لحيته وشعر عارضيه وفوديه؛ وجلس وهو يلملم هلاهيله ويضمها بحيث لا تخفي مسبحته العظيمة التي تدور بعنقه وتتدلى إلى منتصف بطنه، وما برح يتمتم ويحرك شفتيه وهو يخلع نعليه حتى تربع على الكنبة وأسند عصاه إلى جانبه

وأحسست وقد استوى على الأريكة جواً من الهيبة يشيع في المكان كله، فقد سكت الجلوس سكوتاً لم تتخلله إلا عبارات الترحيب والتحيات تزجى إلى الشيخ من كل ناحية، وهو لا يرد إلا همساً كأنما يحدث نفسه؛ وما دخل إنسان من أهل القرية تلك (المنظرة) التي جلس فيها الشيخ، والتي اتخذها العمدة مكان مهره وموضعاً للفصل بين المتخاصمين، حتى أقبل على الشيخ فتناول يده من فوق المتكأ فلثمها وردها إلى مكانها في خشوع ورهبة وفي نفسه من الغبطة من لثم يد الشيخ ما ينسيه قضيته إن كان صاحب قضية، أو يذهب كربته إن كان ذا كربة ...
وما رأيت قط صاحب قضية جرؤ على الإفضاء بما جاء من أجله في حضرة الشيخ، فليس من اللائق أن ينشغل المجلس عن الشيخ بقضية من القضايا مهما بلغ من خطرها، وإن كان الشيخ ليبدو وكأنه في شغل عمن حوله بما هو فيه من تمتمته وإطراقه

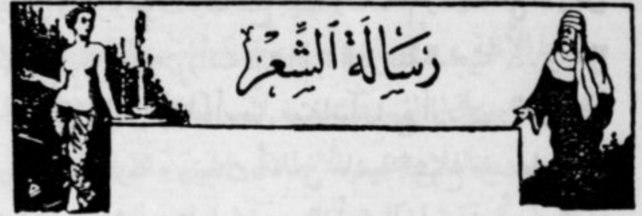
ولبث الشيخ على تلك الحال إلى أن رأيته ورآه من في الحجرة يهز رأسه هزاً عنيفاً ذات اليمين وذات الشمال ثم يدق كفاً بكف قائلاً في صوت مرتفع وعيناه مغمضتان: «الله: الله لطيف بعباده .. حي يا قيوم اصرف عنا الأذى ... إصرف عنا الأذى يا الله!» ونهض الشيخ فراح يمشي في الحجرة جيئة وذهاباً وفي وجهه عبوس وضجر وخوف وقد فتح عينيه ولكنه لم يرفعهما عن الأرض كما أنه لم يفتر عن هز رأسه تلك الهزة السريعة العجيبة ... ودخل الحجرة فتى يلبس جلباباً أبيض فضفاضاً واسع الردنين والطوق إلى درجة غير مألوفة، وتبينت أنه من حاشية الشيخ فقد جلس بين أصحابه دون أن يسلم على أحد حتى على أهل النزل وهذه أمور يتقنها هؤلاء «المجاذيب» وينفردون بها من دون الناس إلا من المجانين

ورأيت الشيخ يلمحه عند دخوله لمحة خاطفة ما أحسب أحداً لاحظها لفرط سرعتها؛ وبعد أن قطع الشيخ الحجرة في ذهابه ومجيئه بضع مرات عاد إلى مكانه وجلس فأطرق قليلاً ثم هب واقفاً في حركة «بهلوانية» عجيبة كأنما أطلقه لولب خفي وصاح قائلاً: «يا خفي الألطاف» وعاد فجلس والعيون ترمقه في دهشة وحيرة. ودخل الخادم يقدم القهوة فبدأ بالشيخ ولكن الشيخ أشار إليه بيده إشارة عصبية، ونهض اثنان من دراويشه فصرفا الخادم عنه لأنهما يعلمان من حال شيخهما ما لا يعلمه ذلك الخادم الذي التفت الدهشة في وجهه بالرهبة والاحتشام. ثم إن الشيخ عاد فوثب من موضعه وثبة من لدغته عقرب لدغة أطارت صوابه وصاح في صوت مزعج: «يا لطيف! يا لطيف ... حوش يارب حوش بحق جاه سيد المرسلين ... ألطاف يا لطيف سقت عليك النبي ... سليمة إن شاء الله، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً ...»

ولم يكد يتم كلامه حتى سمع الجالسون صفير الخفراء من أطراف القرية البعيدة، وحضر العمدة ومعه بعض الرجال، ثم عادوا بعد حين يعلنون أن الحرائق الثلاث أخمدت سريعاً والحمد لله. ونهض الشيخ يريد الخروج فقد رأى في وجه العمدة ما لا يخفى معناه عليه، وخرج الناس وراءه وما منهم إلا من يتمسح به ويزحم غيره ليحظى بلثم يديه فإن لم يستطع قنع بلثم ردائه، وقد ازداد الشيخ عظامة في نفوسهم بما أظهر من كرامة لا تنكر؛ ولما كانوا عند الباب الخارجي سمع لغط شديد وجلبة تتخللها الأيمان بالله وبالطلاق، وتبينا أن كلاً من هؤلاء يتمسك بأن ينال شرف مبيت الشيخ عنده؛ وفصل الشيخ في الأمر بإشارة منه أذعن لها الجميع فقد اختار من بينهم من يضيفه وأنعم عليه بهذا الشرف العظيم.

ودارت الأيام ورأيت الشيخ في مواطن كثيرة، أرجو أن أسوق إلى قارئي العزيز بعض ما التقطه منظاري منها ليؤمن معي إن لم يكن قد آمن بعد بأن الشيخ هو على رغم الناشئين المنكرين من أمثالي صاحب السلطان الحقيقي.

الخفيف



ميعاد ليلة الأحد

للأستاذ صالح جودت

والضُّحى، والغدائرِ الذّهَبِ   والعيونِ الشهباءِ كالسُّحُبِ
وبخديكِ كأسَيْ العنبِ   وبنهديكِ حُلْوَيْ اللعبِ
قَسَمٌ صنتُه عن الكذبِ

ذكريات اللقاء لم تَنَمِ   يَقِظاتٍ فى مهجتى ودمى
غَرِداتٍ فى نظرتى وفمى   فبحقى، وحقٌّ ذا القسَمِ
هل تُعيدين ليلة الهرمِ ؟

ليلة كابتسامة القَـــدَرِ   كنتِ فيها أحلى من القمرِ
جمعتنا بجانبٍ حَـــذِرِ   من أبى الهول ساخر النظر
ليت لى مثل قلبه الحجرى !

قد رآنا بطرْفِ مُقلتِـــهِ   ننقش العهـد فوق رَمْلتِهِ
يا لجهـل الصِّبا وضلّته   وغرورِ الهوى وغفلتـــه
درس العهدُ منـذ ليلتِهِ

أين ميعادُ ليـلة الأحدِ ؟   أين ميثاقنـا إلى الأبدِ ؟
أتصونينه ؟ بل اقتصدى   وتعالَىْ هنيهــةً نَجِدِى
إننى فى الثرى دفنتُ غدى

نصف عامٍ مضى ولم أرَكِ   أىُّ أمرٍ جرى فأخّرَكِ ؟
أحبيبٌ عَلَىَّ غيَّرَكِ ؟   أم طبيبٌ رأى فأخبرَكِ
أننى قد وقعتُ فى الشَّرَكِ ؟

على الرفقَ قلبُكِ القاسى   ذكّرِى بى فؤادكِ الناسى
ملأ الحب بالضَّنَى كاسى   فارفقى ساعةً بإحساسى
أنا ما عُدْتُ غيرَ أنفاسِ !

بعد عام

ثورة ...

[مهداة إلى أخى الأستاذ محمود الحنيف]

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

أسْبِلْ جُفُونَ العَيْنِ يا ساهرُ   وَخَفِّضْ الثَّوْرَةَ يا ثائرُ
اللَّيلُ حَوْلَيْكَ بَعيدُ المَدَى   لا أوّلٌ يُرْجَى ولا آخِرُ
والنَّجْمُ رَجّافُ السَّنا واهِنٌ   يَنْفُخُ فِيهِ العاصِفُ الماطِرُ
والكأسُ فى كَفَّيْكَ قدْ أوشَكَتْ   تَنْطِقُ : دعْ جَنْبَىَّ يا ساكِرُ
خَواطِرٌ زارَتْكَ ما تَنْتَهِى   فزائرٌ مِنْ بَعْدِهِ زائرُ
أثابَكَ اللهُ ... أمَا لَحْظَةٌ   يَثُوبُ فِيها رَأْسُكَ الحائرُ
يا نفسُ قدْ أوْهَيْتِ جِسْماً وَهَى   وَهَدَّ مِنْهُ وَحْيُكِ الآمِرُ
ما الخُلْدُ؟ ما يُغْرِيكِ؟ ما لَفْظَةٌ   جَوْفاءُ قَدْ أرْسَلَها ساخِرُ
فالنَّجْمُ إنْ غابَ عَلَى أُفْقِهِ   لا يَحْفِلَنْ بالغَيْبَةِ النّاظِرُ
رَفيقةَ «الدّانُوبِ» طالَ المَدَى   وَنالَ مِنّا الزَّمَنُ الجائِرُ
وَاسْتأنَتْ الأيّامُ فى سَيْرِها   وَعادَ يَحْبُو الفَلَكُ الدّائِرُ
وَبيْنَنا دُنْيا عَلَى رَحْبِها   يَزْحَمُها القاتِلُ وَالآسِرُ
يَجُولُ فِيها السّابِحُ المُتَّقَى   فى سَبْحِهِ وَالصّاعِقُ الطّائِرُ
تَساقَطَ الضَّعْفَى بأرْجائِها   وَسارَ فِيها الغالِبُ الظّافِرُ
لوْ تَعْلَمِينَ اليَوْمَ ما سَطَرَتْ   كَفِّى وَما فاضَ بِهِ الخاطِرُ
لفاضَ مِنْ عَيْنَيْكِ - أفْدِيهِما   بالرُّوحِ - يَجْرِى دَمْعُكِ الطّاهِرُ
أتذكُرِينَ اللَّيْلَ إذْ لَفَّنا   وَضَمَّنا زَوْرَقُنا العابِرُ
مُدَلَّلُ الخُطْوَةِ فى عَبْرِهِ   يبدُو وَيَخْفَى صَدْرُهُ الماخِرُ
وَيَنْثُرُ الأمْواهَ فى هَيْنةٍ   مِنْ حَوْلِهِ مِجْدافُهُ النّاثِرُ
وَزُرْقَةُ «الدّانُوبِ» تَمْضِى بنا   وَيَسْتَبِينا لَوْنُها الزّاهِرُ
تَلَصُّ مِنْ عَيْنَيْكِ لَوْنَيْهِما   وَأيْنَ مِنْها سِحْرُكِ السّاحِرُ
وَالكأسُ فى كَفَّيْكِ قدْ أشْرَقَتْ   وَضاءَ مِنْها وَجْهُكِ النّاضِرُ



تشابه الفكرة عند الأدباء

دعانى الأستاذ محمد الرفاعى إلى الفصل فيما نقل الأستاذ أحمد أمين عن الأستاذ توفيق الحكيم ، وأجيبُ بأن هذه القضية لا تحتاج إلى تحقيق ، فقد رأى فى البحوث التى نشرتها الرسالة عن « جناية أحمد أمين على الأدب العربى » أن هذا الرجل الفاضل لا يهمه أن يرد الحقوق إلى أربابها إلا فى موطن واحد ، هو الموطن الذى يقول فيه إنه استأنس بآراء المستشرقين ، ليقال : إنه يطلع على أقوال المستشرقين !

وهنا أذكر الغضبة المضرية ، غضبة الأستاذ الدمرداش ، حين حدثته فى بغداد عن تهافت الأستاذ أحمد أمين فى مقدمة الجزء الثالث من « ضحى الإسلام » ، فقد حدّث قراءه بأنه كان ينوى تأليف جزء رابع عن الأندلس ، ثم نهاه أحد المستشرقين فانتهى ، ونصحه فانتصح ، ومعنى ذلك أنه لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحى يصدُر عن أمثال أولئك الناس !

والأستاذ الدمرداش معذور ، لأنه لا يساير حركة الترجمة والتأليف ، ولأنه يؤمن بأن أحمد أمين فوق الشُّبهة والظنون ، وتلك خصلة تستحق الثناء ، لأنها تشهد بأن الأستاذ الدمرداش رجلٌ حكيم ، والرجل الحكيم يرى المشكلات الأدبية من وجع الدماغ !

ولو أن الأستاذ محمد الرفاعى رجع إلى أحد أعداد الرسالة فى سنة ١٩٣٤ ، لرأى أن الأستاذ أحمد أمين لم يسب على صاحب « النثر الفنى » غير آفة واحدة ، هى النص على ما سرق منه الدكتور طه حسين ، ومعنى هذا أن السرقة لا تعاب ، وإنما هى من الرزق الحلال !

والحق أنى أخطأت نحو نفسي فى التنبيه على ما سرق منى طه حسين ، وما سرق منى أحمد أمين . فهذان رجلان فاضلان جدًّا ، وفى مقدورهما أن يشهدا صادقَين بأننى الرجل المهذَّب ، إذا تواضعتُ فصرحتُ بأننى المعتدى الأثيم على ما لهما من أفكار وآراء

أخطأت ، وأخطأت ، ثم أخطأت ، وإن غضب الأستاذ إسعاف النشاشيبى على هذا التعبير ، فقد أنكر وروده فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

وَقُلْتِ و « الدَّانوبُ » فِي لَغْوِهِ … مَاذَا يَقُولُ الأَزْرَقُ الهادِرُ

فَقُلْتُ وَالقُبْلَةُ فِي خَاطِرِى … يقولُ هَيَّا . بادِرُوا : بادِرُوا

وَاقتَرَبَتْ أَعْطافُنَا وَاحتَوَى … صَدْرَكِ صَدْرِى النَّاحِلُ الضَّامِرُ

وَاتّحَدَ النَّبْضَانِ فِي لحظةٍ … فِدًى لها مَاضِيٌّ وَالحاضِرُ

لوْ قُلِبَ الزَّوْرَقُ مِنْ تَحْتِنَا … لَمْ يَشْعُرَنْ مِنَّا به شاعِرُ

أوْ لَفَّنَا الزَّاخِرُ فِي مَوْجِهِ … لَمْ نَدْرِ مَاذَا فَعَلَ الزَّاخِرُ

وَأَيْنَا المُبْتَـــلُّ فِي مائِهِ … وَأَيْنَا المرضُوضُ وَالخائِرُ

يا قلبُ ما الذِّكْرَى لنا ، خَلِّهَا … لاَ يَنْتَهِي ما يَذْكُرُ الذَّاكِرُ

يا طَاوِيَ الصَّحْرَاء ، فى ظُلْمَةٍ … ضَلاَلَتِهَا ، ما أنتَ وَالآخِرُ

وَسَائِلٍ أَيْنَ أَغَانٍ مَضَتْ … وَأَيْنَ أَلْحَـــانُكَ يَا شَاعِرُ

وَمُشْكِرَاتُ اللفظِ أَيْنَ انطَوَتْ … وَأَيْنَ وَلَّى وَحْيُكَ النَّافِرُ

وَأَيْنَ مِنْ وَجْهِكَ إِشْرَاقَةٌ … وَضَاءَةٌ ، أَيْنَ الصِّبَا البَاكِرُ

مَرَّتْ بِكَ البَسْمَةُ فِي جَفْوَةٍ … كما يَمُرُّ العاجِلُ السَّائِرُ

فقلتُ ما ضَرَّكَ صَمْتُ امرِئٍ … طَوَاهُ جَدٌّ مَظْلِمٌ عَاثِرُ

الصَّمْتُ أَحْرَى بِيَ فِي أُمَّةٍ … أُمِّيُّهَـا كَاتِبُهَا القَـادِرُ

يَسُودُهَا العِيُّ وَيَسْمُو بها … وَلاَ يَسُودُ النَّاطِقُ الجَاهِرُ

أَشِرْعَةُ الإِنْصَافِ فِى الدَّهْرِ أَنْ … يَسْتَوِىَ المَقْهُورُ وَالقَاهِرُ

وكلُّ ما أَعْجَزَ فِي فَهْمِهِ … بها بَيَانٌ سَائِغٌ بَاهِرُ

لِلّهِ صَوْتٌ رَنَّ فى أُفْقِهَا … أَخْفَتَهُ دَهْرٌ بِهِ غَادِرُ

وَأَنْكَرَتْ دُنْيَايَ سَعْيِي بِهَا … وَالضوءُ لاَ يُنْكِرُهُ النَّاظِرُ

حَتَّى يَكَادَ الصَّبْرُ مِنْ ضِيقِهَا … يَهْتِفُ لاَ كَانَ الفَتَى الصَّابِرُ

إِنْ نَالَ قَلْبِيَ اليَأْسُ فى سَاحِهَا … فَغُفْرَكَ اللَّهُمَّ يَا غَافِرُ

كَأَنَّنِي فى يَدِهَا مُصْحَفٌ … ضَافِي السَّنَا يَحْمِلُهُ كَافِرُ

شِعْرِى وَأَنْتَ القَلْبُ قَدْ صَاغَهُ … لَفْظًا بَنَانٌ صَنَعٌ مَاهِرُ

أَنْتَ مَلاَذِى إِنْ أَلَمَّ الأَسَى … وَسَامِرِى إِنْ أَعْوَزَ السَّامِرُ

كُنْ نَاصِرِى فى عَالَمٍ خَادِعٍ … إِنْ عَزَّ فِيهِ الخِلُّ وَالنَّاصِرُ

ولكن الشبهة باقية ، شبهة السرقة الأدبية ، السرقة التي يستبيحها أحمد أمين وطه حسين ، وهما رجلان شهد لهما قلبي بالسبق في بعض الميادين

آه ، ثم آه ! !

يراد منا أن نخدم الأدب بأمانة وصدق ، ثم يراد منا في الوقت نفسه أن نكون متجمّلين متلطفين ، فأين من بدلنا على أساليب التجمل والتلطف في الأخذ بنواصي الناهبين لأفكار الكتاب ، وآراء الشعراء ؟

النقد الأدبي محنةٌ عاتية ، فلنحتمل بلاياها صابرين

زكي مبارك

حول كتاب « المنتخبات »

أخي محرر الرسالة الغراء

سلاماً وتحية وبعد فقد قرأت الكلمة الطيبة التي خصّني بها الأستاذ الدكتور زكي مبارك في الرسالة عند ما عرض للكلام في كتاب المنتخبات لأستاذنا الكبير أحمد لطفي السيد باشا والله يعلم أني لموقن بأني لم أنتج شيئاً له من القيمة ما يستحق ذلك الثناء . ولكن الدكتور أبى إلاّ أن يكون أسبق بالفضل .

أما مأخذه على كلمة « أهل » بمعنى : Generation والتي يستعمل الكتاب كلمة « جيل » لتقابلها فأظن أني على حق في استعمالها في هذا المعنى . فإن « الجيل » في العربية هو : الصّنف من الناس ؟ فالمصريون جيل والإنجليز جيل والفرنسيون جيل ؛ أما الأهل فيقصد به الطبقة الواحدة المتعاصرة من الناس . وشاهدنا على ذلك شعر للنابغة الجعدي قال :

لَبِسْتُ أُناساً فأفنيتهم وأفنيت بَعد أُناسٍ أُناسا
ثلاثة أَهلِينَ أفنيتُهمْ وكان الإله هو المُستآسا

(أنظر الأغاني ص ٦ ج ٥ طبعة دار الكتب)

وأنشد (أي النابغة الجعدي) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبياته التي يقول فيها : ثلاثة أهْلِينَ أفنيتهم ؛ فقال له عمر : كم لَبِثْتَ مع كل أهْلٍ : قال سِتّين سنة (أنظر الأغاني ص ٧ ج ٥)

فالأهل إذن هو المعنى الحرفي لكلمة : Generation ؛ وكفى بما نقلت شاهداً — ومن العجيب أن هذا المعنى لم يثبت لكلمة « أهل » في القاموس واللسان ، فعسى أن يُلتفت إليه في المعجم الوسيط الذي يضعه المجمع اللغوي .

اسماعيل مظهر

موسى

رداً على كلمة الأستاذ محمود أبو السعود بالعدد ٣٨٨ من مجلة الرسالة الغراء أقول إني مصر على أن كلمة « موسى » ليست مصرية ، وذلك بعد أن بحثت عنها بحثاً هيرغليفياً دقيقاً ، وإنها ليست بمعنى عبد كما قال فرويد وغيره ولكني لم أتعرض لأصلها وكانت كل كتابتي أن أبين حقيقتها من الناحية المصرية فقط

وكل ما كتبه حضرات الكتاب الأفاضل عن أنها مشتقة من كلمة « موشا » القبطية التي صحتها موشي « مو » بمعنى « ماء » وشي بمعنى « شجر » على اعتبار أن اللغة القبطية هي الدور الأخير للغة المصرية القديمة ، وأولت على أنه وجد بين الماء والشجر فهذا كله من الحدس والتخمين لا أكثر ولا أقل

وأنا أميل إلى أن هذا الاسم عبري لعدم ورود ما يشابهه علينا أثناء دراستنا المصرية القديمة

وهو مشتق من كلمة « موشي تيو » العبرية أي الذي وجد سابحاً على وجه ماء النيل وانتشلته باتيا ابنة فرعون . وتقول القائمة الرسمية للاسرائيليين أن « موسى » ولد بالجيزة قرب منطقة الأهرام ٣٣٣٣

ومن كل ما ذكر لا نشك قط في أن موسى كان عبرياً اسماً وأصلاً

محمد صابر

إخصائي في الآثار المصرية القديمة

التماثيل والملوك

حضرة الأستاذ محمد كامل حتة ...

قرأت تصويبكم وتعليقكم على أبيات اللورد دنساني وأحسب الشبه قريباً جداً بين موقف البحتري أمام تماثيل ملوك الفرس ، وبين موقف اللورد أمام التماثيل المصرية . وقد قال البحتري :

يغتلي فيهمو ارتيابي حتى تتقراهمو يداي بلمس
تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس

فتحدث عن التماثيل بضمير العاقل وعناها هي لا الذين تمثلهم . وأحسب اللورد دنساني حين خاطب التماثيل وأثبت جوابها إنما عناها هي فهي التي شاهدت تطور الزمن ، وهي هي عنده الملوك

الأربعة فهى التماثيل الملوك لا تماثيل للملوك . وعندئذ لا أحسب من التصويب أن يقال إنها أربعة تماثيل لملك واحد . بل أحسب أن رمسيس إنما عنى بإقامة أربعة تماثيل أن يجمل منها أربعة ملوك، والمجال فى الفن كله من إقامة التماثيل أو من مناجاتها مجال خيال وللتحقيق التاريخى قيمته على كل حال ، ولكن التصويب إنما يكون فى موضع الخطأ ، ولا خطأ فى قول يقول :

وتوهمت أن كسرى أبرويز معاطىّ ...

ولا فى قول من يقول : فتخيلت ما أجابنى به الملوك الثلاثة لأن رابعهم كان قد كسر عند منتصفه فانشطر إلى شطرين، ولم ينكسر ملك وإنما انكسر تمثال ...

ولكم خالص الشكر ... عبد اللطيف النشار

تأنيث الشمس وتذكير القمر !

يستنكر الأستاذ العقاد على العرب أن يذكّروا القمر « وهو مقرون بالحنين والحياء ، موصوف بالاتباع والاقتفاء ، قليل فيه ساطى المضاء ، وساطع الضياء ، عارض له من المحاق ما يعرض للنساء » ، ويؤنثوا الشمس وهى مصدر الحياة والحيوية ؛ وذلك على عكس أكثر اللغات . ثم تساءل : « أهى زلة من زلات البداهة عند الشرقيين ، أم هم المستضعفون للأنوثة لا يفطنون لهذا المعنى الذى فطن له الغربيون ؟ أم هو إمعان فى البداهة أدركوا به من سطوة المرأة ما لم يدركه مذكرو الشمس ومؤنثو القمر ، وأقاموا به ما عكسه أولئك الخاطئون ؟ »

والحقيقة أنها ليست زلة من زلات البداهة عند الشرقيين أو الغربيين ، وليست إمعاناً فى البداهة من أى الفريقين ، ولكنها اختلاف نظر وملاحظة

فالغربيون لاحظوا فى التأنيث الرقة والوداعة ، والاستسلام والليونة فكان « القمر » مؤنثاً ، ولاحظوا فى التذكير القوة والفتوة ، والقسوة والغلظة فكانت « الشمس » مذكرة عندهم .

أما الشرقيون فلاحظوا فى الأنوثة الخصب ، والإنتاج ، والإخراج والولادة فكانت « الشمس » مؤنثة . والشمس هى التى ترسل بأذرعتها إلى معانقة الأكمام فتتفتح ، وتبعث بها إلى الثمار فتنضج ، وتبخر المياه فى البحار ، وتحرك السحاب فى السماء فهى منتجة أى إنتاج ، مخصبة أعظم إخصاب . ولاحظوا فى الذكورة العقم ، وعدم الإنتاج والإخراج، فكان «القمر» مذكراً والقمر لا أشعته تذيب جلداً ، ولا تهيج ساكناً

ومنشأ ذلك ـ كما يقول المازنى ، عافاه الله ـ « لأن آباءنا الأولين كانوا يقيسون حياة الطبيعة على حياتهم ، ويتصورونها قائمة على ما تقوم عليه حياتهم من التناسل وغيره . ومن هنا أنثوا الشمس فى لغتنا والريح وغيرها » من أرض ونخلة وروضة .

فالريح — مثلاً — أنثت دون الهواء ، لما بينهما من فرق فى الخصب والإنتاج ؛ فالهواء الهادئ لا يحمل الديم ، ولا ينقل اللقاح، وعلى العكس من ذلك « الريح » فهى تفعل ذلك وأكثر منه

(الزقازيق) السعيد جمعة

أسرة الشعر بدار العلوم العليا

كون لفيف من أساتذة الأدب العربى بدار العلوم العليا أسرة للشعر تنتظم الطلبة الشعراء بالدار ، وقد أسندت رياستها للشاعر الكبير صاحب العزة الأستاذ على الجارم بك . وعقد الاجتماع الأول بمكتب الرئيس لرسم الخطوات البدائية للاحتفال بموسم الشعر بدار العلوم . وقد اختير « أحمد عبد المجيد الغزالى » للقيام بأعمال سكرتارية الأسرة

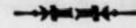
وفيما يلى أسماء الأعضاء من مختلف سنى الدراسة :

توفيق محمد جبر ، عبد الحليم داود ، عبد الرءوف عون ، عبد الستار فراج ، عباس الهاوى ، محمود شافع ، تمام حسان عمر ، عبد الرحمن أيوب ، أحمد شلبى ، عبد العزيز المندورى ، عبد العظيم دسوقى ، سيد أحمد باشا ، مصطفى زيد



عبء السلطة

للروائى اليوغسلافى ميلان بوجلج



ولد « ميلان بوجلج » سنة ١٨٨٣ فى مدينة ستبريا على الحدود بين سويسرا وبين الجانب الجنوبى الغربى من النمسا ، وكان أبوه مدرساً فى قرية . وبدأ « ميلان » ينظم الشعر وهو طالب . ثم اشتهرت كتاباته النثرية حتى أصبح من كتاب لغته المعدودين . وهو من أنصار المذهب الواقعى وفيه فكاهة قوية ، وله مجموعات قصصية كثيرة . وقد تولى إدارة المسرح الملكى فى يوغسلافيا فى وقت ما .

كان كاتب العمدة جالساً إلى مكتبه وهو شاب طويل القامة نحيل ، وكان على أذنه قلم وفى يده قلم آخر يكتب به فى سكون على ورقة أميرية

وكان يجلس فى ركن الحجرة رجل من السوقة تبدو عليه علائم التشرد والشر وهو غريب عن القرية ، وكان قد دخلها بغير مبرر ظاهر منكراً اسمه ومسقط رأسه

دخل العمدة وظل واقفاً عند الباب حتى تنبه الكاتب إلى وجوده لحياء ، فاقترب العمدة من المكتب ونظر إلى الورقة وقال ويداه فى جيبه : ما الذى تكتبه فى هذا الصباح ؟

قال الكاتب : لقد استدعيت هذا المتشرد وأجلسته بجانب الموقد وبدأت أكتب تقريراً عن صفاته الجثمانية لأرسله إلى المركز

ثم لمس الكاتب جبينه واستأنف الكتابة ، ومشى العمدة نحو المتشرد البائس فتأمل ثيابه الخلقة وقدميه الحافيتين وعينيه الرماديتين الدائمتى الاختلاج وصاح به : « ما الذى جاء بك إلى هنا أيها المتشرد ؟ هل سقطت علينا من السماء ؟ قل الحق من أين جئت وإلى أين تريد الذهاب ؟ »

فهز الرجل كتفيه وقال : « لا أعرف ! لا أعرف »

واستمر العمدة يسأل واستمر المتشرد يجيبه نفس الجواب

ولما كاد صبر العمدة أن ينفد طرق الباب طارق ، ودخل طحان القرية وهو قصير هزيل ورفع قبعته فى احترام وتنحنح قليلاً ، ثم قال : « على شاطىء النهر بقرب الطاحون وجدت غريقين أظنهما انتحرا ... إن شكلهما غريب وقد وجدت كلاً منهما مستلقياً على ظهره فوق الحشائش ، ويد كل منهما فى يد الآخر - يده اليمنى مشتبكة فى يدها اليسرى . إننى لم أشهد بغير الحق » .

بدت علائم الدهشة على العمدة ومد ذراعيه ونظر إلى كاتبه الذى نهض مسرعاً ، ورفع القلم الذى فى أذنه واستعد لكتابة ما شهد به الطحان

وهنا صاح المتشرد بشكل يدل على الاهتمام : « هل هما ميتان ؟ » فضرب الطحان بيديه على ركبتيه وهو يضحك : « نعم هما ميتان بالطبع »

وأمر العمدة المتشرد بلزوم مكانه ولزوم الصمت ، وقال الطحان للعمدة : « لقد جئت لأخبرك لكى تأمر بنقل الجثتين من مزرعتى »

فقال العمدة وهو يلمس بأصابع يديه جانبى رأسه : « حسن ! حسن ! إذهب وسأتبعك لأعاين الجثتين »

ومشى الطحان وظل يعبث بأظافره فى شعر رأسه ثم التفت إلى المتشرد وقال : « أنظر أيها الوغد الذى لا يصلح لشىء . هذه هى أعمال أصحابك المتشردين ، إنهم يذهبون مع الشيطان فى كل طريق ونحن الذين لا ذنب لنا نعانى نتائج شروركم »

ثم التفت إلى الكاتب وقال : « ما الذى نفعل ؟ عندنا الآن متشرد حى ومتشردان ميتان ، فما الذى نفعله بهم ؟ لعنة الله على هؤلاء المتشردين »

فهز الكاتب رأسه وقال : « إن حياتهم معصية لله وخزى للناس ، وهم حتى بعد الموت يضايقون خلق الله »

قال العمدة : « ولكن علينا عملا نعمله قبل كل شىء » .

فقال الكاتب : « نعم يجب علينا أن نبلغ السلطات ثم ندفن الميتين على نفقة البلدية »

قال العمدة بلهجة التوكيد مناقضاً كاتبه ومستشاره : « كلا فإن أموال القرية لا تنفق على هؤلاء المتشردين الأفاقين . يجب أن نعرف من أين أتوا ، ثم ... ثم ... »

فقال الكاتب وهو أكثر تجربة من العمدة : « إن هذا لا يصلح ، وإن النهر يحمل الجثث من أماكن بعيدة ، وأنا أتذكر أنه حمل إلينا مرة جثة من مدينة تبعد أربعة عشر ميلاً ، وقد بقيت تلك الجثة أربعة أيام قبل الدفن ، فكتبنا إلى جهات متعددة ، فلم نهتد إلا بعد ثلاثة أعوام إلى المكان الذي غرقت فيه »

قال العمدة : « إذن فلماذا نكتب إلى السلطات ؟ ... ثلاثة أعوام ! » فقال الكاتب : « نحن في هذه الأيام مضطرون إلى إبلاغ السلطات ولو كان القتيل هرة »

قال العمدة : إذن فاكتب إلى السلطات في الحال . فقال الكاتب وهو يحاول صياغة جملته في الصيغة الرسمية : ولكن يا حضرة العمدة أنا الآن مشغول جداً بكتابة التقرير عن هذا المتشرد وذهني مركز في هذه القضية فقط ولا أستطيع تركها للاشتغال بقضية أخرى ... اسمع يا حضرة العمدة ... ثم رفع عن المكتب ورقة وأخذ يقرأ :

حضرة صاحب العزة مأمور مركز . . .

بالنظر إلى مرور أحد المتشردين في زمام هذه القرية ، وبالنظر إلى أن هذا المتشرد ينكر اسمه واسم بلده فقد حررنا هذا التقرير بتشبيهه :

« متشرد غير معلوم موطنه ، مجهول الاسم ، حافي القدمين ، نحيل ، أصبع قدمه الكبرى معوجة ، في ذقنه شعر قليل مثل شعر الثعلب ، أنفه محدودب رفيع مائل قليلاً إلى الجانب الأيسر وعند ما يتكلم تهتز لحيته مثل الأرنب ، ومشيته كمشية الثور . أي أن خطوته قصيرة ، وركبته بطيئة الحركة ، وإذا شده إنسان من أذنه اليمنى تهدلت شفته السفلى وأغمض عينه اليسرى »

وكف الكاتب عن القراءة وبدا عليه الزهو وشعور الثقة بالنفس وقال : « من المحال أن أقف عند هذا الحد من التقرير ، فإن أفكاري مركزة وقد حرصت على الدقة »

ظن العمدة أنه قد فهم وقال : « هذا حسن فاقتصر أنت على نظر قضية المتشرد وسأنظر القضية الجديدة . هات ورقاً وقلماً جديداً وسأفكر وأكتب تقريراً للمركز »

وبعد دقيقة كان العمدة يبدأ في كتابة الخطاب . وبعد ساعة فرغ منه

استدعى العمدة كاتبه القدير وقال : « اسمع وقل لي رأيك ؟

حضرة صاحب العزة مأمور مركز . . .

إن النهر ألقى على زمام القرية غريقين وجدا عند الطاحون ... وجاء الطحان وقال لي : يا عمدة أبعدهما عن أرضي ... فأنا العمدة أرجو من عزتكم إخباري بما أفعل ... إن الناس يشيرون بدفنهما ، ومن رأيي ذلك ، فأرجو صدور التعليمات اللازمة »

هز الكاتب رأسه وقال : « من المستحيل إرسال هذا الخطاب فإن لهجته غير رسمية »

قال العمدة في نفسه : « غير رسمية ؟ وماذا يكون الخطاب الرسمي إذن ؟ »

تناول الكاتب الخطاب وقال : إن في المركز موظفين محترمين ولن يعجبهم خط هذا الخطاب

قال العمدة : ولماذا لا تكتبه أنت ؟ أليس وجودك هنا من أجل هذا الغرض ؟

فقال الكاتب : نعم ، عفواً يا حضرة العمدة ، الأفضل ترك هذا التقرير مؤقتاً

ثم قام الكاتب فجلس أمام العمدة ووضع في القلم سناً جديداً وبدأ يكتب . ووقف العمدة في وسط الغرفة يتأمل في خط كاتبه والمتشرد متبلد في مكانه يراقب هذين الموظفين ، وكان وجه الكاتب مخضباً بالاحمرار لزهوه وتحمسه وثقته بأهمية نفسه

وانتهى من كتابة الخطاب فوقف وأخذ يتلو خطابه مرتلاً كما لو كان يقرأ قصيدة من الشعر ، وكان العمدة يصغي وهو معجب بهذا الأثر الرسمي البديع ، ثم قال وهو يعبث بأظافره في شعر رأسه : يجب أن تذهب الآن إلى الطحان

وأدخلا المتشرد في سجن « الدوار » وذهبا فقادهما الطحان إلى مكان الغريقين عند حافة الماء ، فلم يريا على وجهي الجثتين ما يدل على أثر جريمة ، بل كانا يظهران كما يظهر وجها نائمين يحلمان ببعض أحلام الحب ، وبدأ الكاتب يهز رأسه الضيق الجبين وقال : يظهر لي أنها جريمته هو

فقال العمدة : بل هي جريمة الشيطان

وقال الطحان : اسمح لي يا حضرة العمدة أن أقول إنه لا يمكن أن نعرف جريمة من هذه

وانتهت الحادثة والتحقيق عند هذا الحد ، وعاد العمدة

والكاتب إلى القرية ، وقال الأول : ألا يستطيع الإنسان أن ينم بيوم راحة ؟ عندنا الآن متشرد حى ومتشردان ميتان ، فكيف ننتهى من أمرهم ؟

فقال الكاتب : لقد كانت الأمور كلها تسير سيراً حسناً لولا اضطرارنا إلى مخابرة السلطات ، فإن الصعوبة كلها ناشئة من تحرير المكاتبات

وأعقب هاتين الملاحظتين مسير نصف ميل فى صمت . ثم ضحك العمدة فجأة ضحكة عالية وقال وقد بدا له أنه سيدهش الكاتب بفكرة موفقة : لقد عرفت الحل فلا نكتب شيئاً إلى السلطات

كاد الكاتب أن يغمى عليه ، واستمر العمدة يضحك وكانت ضحكاته تزداد ارتفاعاً وقال : « لقد عرفت الحل وسأختصر الطريق ؛ لكن عليك أن تسكت ، وأن تخبر الطحان بلزوم الصمت » .

وفى المساء ذهب العمدة إلى المتشرد وقال : « أخبرنى ... ألم تعمل فى حياتك أى عمل نافع ؟ »

فحملق المجرم فى وجهه ولم يجب

قال العمدة : « ألا تعرف الطريق إلى الطاحون ؟ إنها بجانب النهر » فقال المتشرد : « نعم قد عرفتها »

قال العمدة : « بجانب الطاحون عند المزرعة ستجد جثتى رجل وامرأة . هل سمعت ؟ اذهب وألق الجثتين فى النهر حتى يحملهما الماء . هل سمعت ؟ »

هز المتشرد رأسه علامة على الموافقة وافترقا ، وبعد قليل كانت جثتا العاشقين طافيتين على الماء

وفى الصباح التالى كان الكاتب ماراً بجوار الطاحون وكان وراءه على مسافة قريبة حفار القرية يجر عربته الصغيرة وكان عليها إذ ذاك غطاء أسود ، فلما وصلا إلى شاطئ النهر نظر الكاتب إلى الماء فلم ير فيه أثراً لميت أو لحى ، وقال الكاتب : « بالأمس وصل بلاغ إلى (المدوار) بأن غريقين وجدا هنا على الشاطئ »

وقال الحفار : « هكذا سمعت ولكن يظهر أن البلاغ كاذب »

فقال الكاتب : لعله « كذلك »

وقال الحفار : « ربما عاد الماء فحملهما كما أتى بهما »

فهز الكاتب رأسه وقال : « ربما كان ذلك »

ثم مشى كل منهما فى طريقه

(ع . ا)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



8me Année No. 391 — Lundi - 30 - 12 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٩١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١ ذو الحجة سنة ١٣٥٩ — الموافق ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــــرس

الحرب وكتاب الانجليز

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى انجلترا كتاب عالميون لا يقع فيها حادث كبير إلا كان له شأن معهم أو كان لهم شأن معه ، لأنهم أكبر من أن تعبرهم الحوادث منسيين فى بلادهم ، أو فى البلاد الغربية عامة . ومن هؤلاء — إن لم نقل فى طليعتهم — الرياضى الفيلسوف الناقد الاجتماعى برتراند رسل

هذا الرجل مؤلف كتاب فى الرياضة العليا . سئل القراء العلميون فى أنحاء الغرب عن مائة كتاب هى الأولى فيما ألف بنو الإنسان ، فكان كتابه هذا واحداً منها وعلى رأسها

وهذا الرجل هو ثالث النبلاء من آل رسل المشهورين ، ولكنه نزل باختياره عن لقبه لأنه يقول بإلغاء الألقاب

وهذا الرجل حكم عليه بالحبس وبالغرامة فى الحرب الماضية لأنه عارض الحرب اعتقاداً منه بإمكان اجتنابها . ودعته جامعة فى الولايات المتحدة لإلقاء محاضراته الرياضية والفلسفية على طلابها فحيل بينه وبين السفر مخافة الرأى الذى قد ينشره هناك ، ولم يبال قبل ذلك أن ينشره فى صميم بلاده

وهذا الرجل أجرأ من كتب فى الأخلاق من الإنجليز ، غير مكترث لما يصيبه من جراء ذلك فى حياته الخاصة وأعماله العامة ، وقد أصابه من الأذى كثير

فلما نشبت الحرب الحاضرة كان قراؤه فى أنحاء العالم يسألون : أين برتراند رسل ؟ أين برتراند رسل ؟ ... لأنهم قدروا له موقفاً لا يتخلى عنه ، ثم عجبوا من سكوته كما عجبوا من السكوت عن ذكره ، حتى جاء البريد الأمريكى يوماً فإذا بالرجل فى الولايات المتحدة ، وإذا بهم يحملون عليه هناك وقد كان مظنوناً فى إبان الحرب الماضية أن الولايات المتحدة ملاذه الأمين الذى يتقى فيه الحملات !

لكنه تلقى حملة بعد حملة من رجال الدين وهو مترفع عن ردها، على كونه أجرأ الكتاب على المصاولة ، ولم تمنع هذه الحملات أن يختاره العارفون به لتدريس الرياضة والفلسفة تارة فى كاليفورنيا وتارة فى نيويورك . ورأينا له صورة بين الطلبة الفتيان وهم حافون به كأنه واحد منهم وهو فى الثامنة والستين مجلل الرأس بالشيب ، وهم دون العشرين أو يتجاوزونها بقليل

وقد فتن هؤلاء الطلبة بآرائه فما يحفلون بحملات رجال الدين عليه . وسئل عن نية الإقامة فقال : نعم ، سأقيم فى هذه البلاد وأنشئ فيها أبنائى على النشأة الحرة التى أرتضيها !

***

ورحل إلى الولايات المتحدة خلال هذه الحرب كاتب آخر من كبار الكتاب الإنجليز وأصحاب المذاهب الإصلاحية فى العصر الحديث هو : ﻫ . ج . ولز الذى يعارض أفلاطون باختراع المدن الفاضلة على النمط العصرى ، وينتهز فرصة الحرب الحاضرة للتبشير بالمستقبل المأمول ، وهو على شك فى إمكان الوصول إليه ، لأنه يريد أن يخلع جذور التفكير الإنسانى التى لا تزال متأصلة فى العقول من بقايا العقائد الأولى، والتى تغرى بالحرب، لأن أشرفها وأعظمها يلاق أضعفها وأخبثها فى تقديس الموت وتفضيله على الحياة

وكان ولز فى الحرب الماضية « دماغ » الدعوة البريطانية التى كتب لها النجاح على يديه . وظن أناس من عارفيه أنه سيعود فى الحرب الحاضرة إلى مثل ذلك العمل الجليل ؛ ولكنه فضل السفر إلى الولايات المتحدة لخدمة أمته ومذهبه الإصلاحى هناك ، وكانت له حملة عنيفة على بعض القواد الإنجليز وعلى الأسلوب الذى اتبعوه فى ميادين الغرب والشمال ، وربما كان لهذه الحملة أثرها فى تنظيم القيادة على نحو جديد . فلما سمح له بالسفر إلى الولايات المتحدة خشى بعض الساسة أن ينطلق بالنقد العنيف بين الأمريكيين فلاموا الحكومة الإنجليزية على الترخيص له فى مغادرة البلاد . وقال وكيل الشؤون الداخلية يومئذ بمجلس النواب إنهم قصدوا بالسماح له ألا يحسب الأمريكيون أنهم يكتمون عنهم بعض الآراء ويقصرون الدعوة بينهم على ناحية واحدة دون سائر الأنحاء

وأبطل الكاتب الكبير مخاوف المتخوفين بمسلكه الذى توخاه فى نشر دعوته بين الأمريكيين ، فكان أول ما قاله بينهم أنه لم يلجأ إلى مخبأ قط، وأن الذين تخيلوا الإنجليز فزعين ليل نهار لا يرعون المخابئ ُمخطئون . ولم يطلب إلى الأمريكيين أن يشتركوا فى الحرب ، ولكنه نادى بكبح الطغيان تمهيداً لكل إصلاح ، ونادى إلى جانب ذلك بضرورة إدخال الروسيين فى جملة النظام العالمى الذى تسفر عنه الحرب الحاضرة أيا كان هذا النظام .

***

ولا بد أن يسأل السائلون : وما شأن برناردشو ؟ وماذا يصنع الآن وماذا يقول ؟

والجواب أنه لا بريح ولا براح

فما مضت على إعلان الحرب أيام حتى راح الديمون وكتاب الصحف فى ألمانيا وإيطاليا يزعمون أن برنارد شو يائس من مصير الحرب متنبئ ُ منذ الآن بهزيمة الإنجليز

فلما سئل فى ذلك قال : إن القوم يتملقونه إذ يشجعون قلوبهم بكلامه ، ولعلها فى حاجة إلى تشجيع !

وحاول بعض خبثاء الصحفيين أن يصوروه وهو فى خوذة الوقاية فأبى أشد إباء

وأحبوا أن يلذعوه بالتسوية بينه وبين ملاكم مشهور ، فقالوا له : إنك وذلك الملاكم لثروة وطنية، ومن واجب كل منكما أن يحمى رأسه بخوذة !

فقال : بل عليه — إذا شاء — أن يحمى يديه بقفاز ...

وسألوه : أين تنام إذا سمعت نذير الغارة ؟ فقال : حيث ينبغى أن ينام كل إنسان فى الفراش !

وقيل له مرة : أليس من رأيه أن تقصر الغارات على الأهداف العسكرية ؟ فقال : إن مراكز الحكومة محسوبة من الأهداف

العسكرية ، ولكنها قصدت مرة فأصابه هو تحطيم نافذتين في بيته وطارت الشارة بإفريز من باب ردهته

وليس من الضروري أن يظفر محدثو برنارد شو بجواب مفيد ، ولكنهم يظفرون لا محالة بجواب لاذع أو جواب ساخر أو جواب يجمع بين الصراحة والروغان ، والمقصود هو جواب من شو كيفما كان السؤال أو الجواب !

* * *

وفي انجلترا كتاب عالميون غير هؤلاء مثل موام وبريستلي وهكسلي وجود وطائفة من هذه الطبقة المقدمة بين الكتاب الأوربيين

فأما موام فقد كان في باريس منذ نشبت الحرب الحاضرة وهو في خدمة وزارة الاستطلاع كما كانت في الحرب الماضية . ثم صدر إليه الأمر بالعودة إلى وطنه عند ما خيف سقوطها فعاد مع ألف وثلثمائة من اللاجئين الإنجليز في سفينة فحم قذرة طافت بهم عشرين يوماً بين فرنسا والجزائر وجبل طارق حتى وصلت إلى الجزر البريطانية ، ولم ينس وهو يتجاوز السادسة والستين ويعاني متاعب السفر وقلة الزاد وخطر القبض عليه في تلك السفينة المائجة أن يحصي ما تعوده من إحصاء النقائص الإنسانية ويحدثنا عن السيدات كيف حرصن على صبغة الشفاه والأظافر وهن بين الفحم والشحم ولا ناظر إليهن غير الجائعين الخائفين من أولئك اللاجئين الذين كانوا لا يفرغون من تهديد غواصة حتى يهددهم حكام هذا الميناء أو ذاك بالاستيلاء على السفينة أو يضنوا عليهم بالزاد القليل !

وحب هذا الرجل للاستطلاع والقراءة لا يقل عن حبه لتتبع النقائص والعيوب ، فهو هارب مهدد وفي حقيبته شيء عن ناكرى وشيء عن سقراط ، وعقله مشغول بالحكمة السقراطية التي تعرف الجلد على الموت كما تعرف الجلد على الحياة

* * *

أما بريستلي – وقد مثلت له رواية بدار الأوبرا في القاهرة – فهو يوشك أن يتجرد اليوم للدعوة في طريق الإذاعة

وجوليان هكسلي يود لو أنه ولد في سنة ١٩٢٥ ليفقه شيئاً عن هذه الحرب القائمة ويعيش فتياً في الفترة التي بعدها مشتركاً بعمله فيما يراه حقبة من أمتع حقب التاريخ

وجود الفيلسوف اللخص للفلسفات يعلن أنه طلق الفلسفة السلمية وآمن بأن الحرب واجبة للخلاص من الطغيان

* * *

وكنت أود أن أسمع شيئاً عن فئة من الكتاب العالميين غير الإنجليز ، وأولهم الكاتب الفرنسي رومان رولان الذي كان له في الحرب الماضية شأن بين الفرنسيين كشأن برتراندرسل بين الإنجليز ، ولكني لم أسمع عنه خبراً من الأخبار ، ولعله قابع في سويسرة كدأبه حين يسأم النصح وينجو بنفسه من الكيد والضغينة

ومنهم موريس مترلنك البلجيكي وقد لاذ بالولايات المتحدة « خالي الوفاض بادي الأنفاض » ... كان له مال بمصرف بركسل فسقطت بركسل في قبضة الألمان ؛ وكانت له دار وعقار في نيس فسقطت نيس في قبضة الألمان والطليان ... وهو لليوم يستأنف العيش من جديد وقد بلغ الثامنة والسبعين !

أما راوية الألمان الكبير في الجيل الحاضر « ليون فيختوانير » صاحب القصص التي عرض كثير منها على اللوحة البيضاء بالقاهرة فنجاته من ألمانيا ثم من فرنسا رواية كأغرب ما كتب الرواة : فر إلى فرنسا ثم اعتقل فيها ، ثم جاءه رجل لا يعرفه فاحتال على إخراجه من المعتقل في ثياب النساء ، ثم إخراجه من ميناء طولوز بجواز منحول ، ثم عبر به إسبانيا والبرتغال ، ولم يكشف عن حقيقته إلا وهو في سفينة أمريكية يلجأ إلى الولايات المتحدة مع غيره من اللاجئين !

لكن العجيبة الكبرى من عجائب الأدب والحرب هي تلك العجيبة التي قرأناها عن إقليم من أقاليم رومانيا التي احتلها المجريون والألمان

فقد سمعنا أن مائتي شاعر وكاتب هجروا ذلك الإقليم الواحد ولا ندري ماذا كانوا يصنعون فيه !

والحرب والله رحمة إلى جانب مائتي شاعر وكاتب في أقليم ، بين أميين وأشباه أميين ، ولعلها رحمة بالشعراء والكتاب أنفسهم قبل الرحمة بالقراء ومن لا يقرأون ! !

عباس محمود العقاد

مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

«أهل الكهف»

لتوفيق الحكيم

للدكتور زكي مبارك

— ٨ —

تمهيد

الأستاذ توفيق الحكيم مَدِينٌ في وجوده الأدبيّ لرواية «أهل الكهف» فهي الحجَر الأول في بناء شهرته الأدبية . وقد ظهرت أول مرة سنة ١٩٣٣ فظهر معها المؤلف أول مرة سنة ١٩٣٣ ولم يكن له قبل ذلك في حياة الأدب تاريخ

وكلمة اليوم تشريحٌ لتلك الرواية بلطف ورفق ، فما أحسبها شُرِّحتْ قبل اليوم ، لأنها استُقبِلتْ بإعجاب ، ولأن المؤلف أسرع فشغل عنها النقاد بمحصول وفير من الرسائل والأقاصيص، فإن انتهى التشريح إلى أنها رواية ضعيفة فلا بأس ، فتلك باكورة المؤلف ، والبواكير لا تسلم من العطب في جميع الأحايين ، وإن ظهر أن المؤلف لم يستمد لموضوع الرواية كل الاستعداد فلا استغراب ، لأنه رجلٌ قليل الجَلَد على مصابرة المراجع والأسانيد ، وإن وصل بنا الدرس إلى أنها رواية جيدة على ما بها من مآخذ وعيوب فذلك هو المصير المنتظر لأثر يصدر عن أديب موهوب مثل توفيق الحكيم

أهل الكهف

هي مسرحية شائقة ، مُثِّلت أول مرة في القاهرة سنة ٩٣٥ وبها افتُتِحتْ أعمال «الفرقة القومية المصرية» ثم نُقلت إلى الفرنسية سنة ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي للأستاذ جاستون ڤِيتْ مدير دار الآثار العربية

ولم يتسع الوقت للبحث عن النسخة الفرنسية ، للاستفادة بما في ذلك «التمهيد» من معارف تاريخية ، فلم يبق إلا النظر في هذه المسرحية بدون التفات إلى ما كتب ذلك المستشرق الفضال

ومن المؤكد أن المتسابقين لن يُسألوا عن ذلك التمهيد ، لأن المقرر هو النسخة العربية ، ولأنه بعيدٌ عن بعض أعضاء لجنة الامتحان ، فلن يكونوا جميعاً من قراء لغة هوجو ولامرتين

أصحاب الرقيم

خصَّص الأستاذ توفيق الحكيم صفحة من كتابه لآية قرآنية شريفة منتزعة من سورة الكهف ، فكان معنى ذلك أنه اعتمد على تلك السورة في زَخرفة ذلك التاريخ ، والتاريخ المزخرف هو ما يسميه الفرنسيون Histoire romancée وكان معنى ذلك أيضاً أنه يجب على توفيق الحكيم أن ينظر في القرآن وتفاسير القرآن قبل أن يَزخرِف ذلك التاريخ ، فماذا صنع ؟

قال الله تعالى في أصحاب الكهف والرقيم :

«سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجماً بالغيب ، ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبهم»

وبمراجعة التفاسير نعرف أن أصحاب القول الأول هم اليهود ، وأصحاب القول الثاني هم النصارى ، وأصحاب القول الثالث هم المسلمون

وبمراجعة المسرحية «التوفيقية» نرى المؤلف اختار قول اليهود فجعل أصحاب الكهف ثلاثة رابعهم كلبهم ؛ وبمراجعة «حمار الحكيم» نرى المؤلف يتخاذل ويتهافت حين يسمع الحفيف «المعبود» لأوراق «البنكنوت» فهل يمكن القول بأن هذا المؤلف «المسلم» له أجداد تنسَّموا أرواح الأصائل والأسحار في أرض الميعاد ؟

ما يهمني أن أحقق نسب توفيق الحكيم في هذا الحديث ، وهو إن صحت الدعابة نسبٌ مدخول ، وإنما يهمني النص على إساءته لفنه حين اختار قول اليهود

أصحاب الكهف في الرواية اليهودية ثلاثة ، وهم في الرواية الإسلامية ثمانية ، فأيُّ الروايتين أنفع للفنان ؟

لو فكَّر توفيق لأدرك أن المجتمع الذي يكوَّن من ثلاثة أضيق من المجتمع الذي يكوَّن من ثمانية ، لأن المجتمع الأول

لم يصور غير ثلاث أواصر : آصرة الأسرة ، وآصرة الحب ، وآصرة المال البسيط الذي يحرص عليه راعي الغنم في حاله الرقيق

ولو أن أصحاب الكهف كانوا ثمانية — كما تريد الرواية الإسلامية — لاتسع المجال أمام المؤلف ، نخلق من مشكلات المجتمع في نواحيه الاقتصادية والسياسية والذوقية آفاقاً رحيبة يجول فيها قلم الباحث ويصول

ثم ماذا ؟ ثم وقعت غلطة في اسم الراعي ، فهو « يمليخا » عند صاحبنا توفيق ، ولكن يمليخا في التفسير « الكشاف » وفي حاشية الجمل على « تفسير الجلالين » لم يكن راعياً ، وإنما كان من رجال « البلاط » ، بلاط الملك الوثني « دقيانوس » ، أما الراعي فاسمه « فلسطيونيس »

ثم ؟ ؟ ثم سكت توفيق الحكيم عن اسم الملك الذي بُعث في عهده أصحاب الكهف ، فلم يعرف إلا أنه « الملك » ، ولكن أي ملك ؟ لو رجع إلى التفاسير لعرف أن ذلك الملك كان يسمّى « بيدروس » والنصُّ على اسمه أوجب ، لأنه ورد في القصة مقروناً بالتعظيم والتبجيل

العقدة المنسية

وهنالك « عُقدة منسية » في رواية توفيق الحكيم هي عُقدة البعث ، وتلك العقدة تنقل القصة من وضع إلى وضع ، فنشرُ أهل الكهف كان مصادفة عند توفيق ، ولكنه في الرواية الإسلامية وقع في أعقاب أزمة عقلية بين رجال « بيدروس » هي الخلاف حول بعث الأرواح والأجساد ؛ وهو خلاف كان كثير الغليان في تلك العهود

ولكن ما قيمة هذه العُقدة المنسية ؟

لهذه العقدة قيمةٌ عظيمة جداً ، فغاية القصة عند توفيق هي انتصار الحب ، أما غاية القصة إذا روعيتْ تلك العُقدة فهي انتصار الإيمان ، وتلك هي الغاية الأساسية إذا أردنا الوفاء لمكان القصة من العقيدة ومكانها من التاريخ

بطلة القصة عند توفيق هي « امرأةٌ أحبتْ » وكان الواجب أن تكون « امرأة آمنتْ » لو كان توفيق من أصحاب الفكر العميق

استجواب

تحت أي تأثير كتب توفيق الحكيم هذه القصة ؟

عندنا ثلاثة فروض :

الفرض الأول هو قوة الشهوة ، والفرض الثاني هو قوة الحب ، والفرض الثالث هو قوة الإيمان

أما الشهوة فلم يصورها توفيق الحكيم ، الشهوة العارمة التي تزلزل أعصاب الرجال

وأما الحب فقد عرض له توفيق بأدب ولطف ، كما يصنع المذربون الضعفاء

بقي الإيمان ، فماذا صنع توفيق في وصف الإيمان ؟ وماذا صنع في تشريح أوصال الارتياب ؟ وأين المعركة التي أثارها بين نسائم الهدى وزوابع الضلال ؟

« أيها القديس ! أيها القديس ! »

تلك أنشودته في التذكير بالنشوة الروحية ، فأين أنشودته في التذكير بالغيّ والرّجس والإثم والفتون ؟

المحصول الفني لصاحبنا توفيق يرجع إلى صنف واحد هو البهرجة الروائية ، أما التعمق في الفكرة ، فهو غرضٌ لا يصل إليه إلا بمجهود شاق .

لو كان التوفيق من حلفاء توفيق لأدرك أن من المستحيل أن تكون بريسكا لم تحس الحب إلا أول مرة عند لقاء ميشلينا ، وقد نشأت في أحد القصور الرومية ، وهي قصور أقيمت على قواعد من طغيان الأهواء والأحاسيس ، وكان من الخير لفنه أن يخضعها لذلك الطغيان

ولو كان التوفيق من حلفاء توفيق لجعل موت ميشلينا في القصر لا في الكهف ، فالقصور هي ديار العطب ، أما الكهوف فهي ديار الأمان

وكان من همّ توفيق أن يجرّد الراعي من جميع العواطف ، فما سبب ذلك ؟

هنا عُقدة إنسانية لم يَفطِن إليها توفيق ، وهي احتباس العواطف في النفوس الفطرية ، فما الذي كان يمنع من تشريح أهواء العوامّ لذلك العهد ، وهم صورة مكررة في التاريخ ؟

منع من ذلك أن الأستاذ توفيق الحكيم لم يحدد الغاية من تلك المسرحية ، وإنما حصر همه فى الرتش والتزيين والتهويل ، فكان ما أراد !

والمعروف عند مؤلفى المسرحيات فى أكثر الشعوب أن اللون المحلىّ La couleur locale يُنتصب له ميزان ، فأين اللون المحلىّ فى مسرحية أهل الكهف ؟ هل شعرنا بأن عهد دقيانوس يخالف عهد بيدروس — الذى جهله توفيق — إلا فى توافه الشئون ؟

الخلاف بين العهدين يرجع إلى اختلاف الملابس والنقود ، فأين الخلاف بين العادات والتقاليد وبينهما ثلثمائة سنة وتسع ؟

وأين الخلاف بين ألوان الحقائق وألوان الأباطيل ، بعد اعتراك الأهواء والآراء فى تلك العهود ؟

كانت المسيحية لعهد دقيانوس تعانى اضطهاد الوثنية ، وقد فصّل ذلك توفيق ، وهو معنى سجله القرآن من قبل ، فكيف كانت المسيحية فى عهد بيدروس ؟ لقد سكت عن ذلك توفيق سكوت أهل الكهف بعد الرقاد الأخير ، مع أن الكلام فى هذا الوطن أنفس من السكوت ، فقد كانت المسيحية تحولت إلى معضلة عقلية ، بعد أن كانت نفحة روحية ، ولكن توفيق نسى أن ميدان هذه القصة مَصال فكر قبل أن يكون مجال خيال

الظاهر أن الأستاذ الحكيم لم ينظر إلى عصر الرواية من الوجهة العقلية والدينية ، وأريد العصر الذى وقع فيه البعث ، وهو الفيْصل فى مكان تلك القصة من معترَك الشك واليقين .

وقد اهتم توفيق بأن يجعل فى أصحاب الكهف رجلاً مُقلقل الإيمان بالمسيحية — وهذا ينافى الاعتقاد الموروث — فماذا استفاد من هذا التشكيك ؟

كنت أنتظر أن يستفيد من هذا التشكيك فيقدم لنا بعض ملامح الوثنية على لسان ذلك المؤمن المرتاب ، ولكنه لم يصنع ، فلأية غاية فنية أو عقلية أثار ذلك التشكيك ؟

كان من واجب توفيق أن يشرح تلك الوثنية فى صفحة أو صفحتين ، ولو على طريق الرمز والتجريح ، لأن الوثنية لم تُخلَق من العدم ، وإنما هى صورة من أهواء النفوس وأحلام القلوب

توفيق لم يصنع شيئاً ذا بال فى هذه المسرحية . لم يصنع شيئاً يضيفه إلى أقطاب الفكر ، وإن كان صنع شيئاً يضيفه إلى أرباب الخيال

وهنالك فجوة عميقة فى صحة التخيل ، فأصحاب الكهف بُعثوا فى مدينة اسمها طرسوس ، وكان يجب أن يبلبلهم المؤلف فيذكّرهم بأن مدينتهم كانت تسمّى أفسوس ، وقد تغير ما فى المدينة من ملابس ونقود ، ولم يتغير قصر المُلك ، فكيف وقع ذلك ؟ وكيف جاز أن يجد ميشلينا غرفة الزينة على عهدها المألوف قبل يومين وقد مرت عليها ثلاثة قرون ؟ وكيف جاز لميشلينا أن يحلق ذقنه بيديه كما يصنع توفيق الحكيم فى هذه الأيام ؟ ومتى كان حلق اللحية من مظاهر التزيُّن عند القدماء ، ولا سيما المتطلعين منهم إلى منازل التكريم والتشريف ؟

كان توفيق الحكيم يحتاج إلى هذا الدرس ليعرف أن المسرحيات لا تولد فى أيام معدودات ، وقد ترفقت به كل الترفق ، لأنه من أعز أصدقائى ، وللصداقة حقوق

توفيق الحكيم فى أهل الكهف

يتعثر المؤلف فى الفصل الأول ، وهو تعثُّر توجبه وضعية الرواية ، كما يعبِّر أهل العراق ، فأصحاب الكهف يستيقظون من سبات عميق ، يستيقظون على أهواء كان لها فى حياتهم وجود قهّار ، ولكنها أهواء مزعزعة الرسوم والحدود ، بفضل ذلك السُّبات العميق

فإذا كان الفصل الثانى رأينا المؤلف يصحو مع أهل الكهف فيقرر أن « قلب المرأة يتسع دائماً لله وغير الله » وأن « القصة ضمير الشعب ، وأنه لا يمكن للبشرية أن تخلىْ حين تتلاق فى قصة واحدة على اختلاف الديانات والأجناس ، فنعرف أنه انتفع بكتاب لامرتين فى تشريح سِفر أيوب . ثم نراه يقرر أنْ ليس للحب عُمُر فنعرف أنه انتفع بكلمة الفرنسى الذى سُئل عن عمره فأجاب : J'ai l'âge de mon coeur ثم نراه يقول : « أستودعكما الله هانئين بشباب قلبيكما » فنعرف أن هذا من ذاك !

فإذا كان الفصل الثالث رأينا توفيقاً كبير العقل حين يقرر

أن الحياة المطلقة المجردة من كل ماض ومن كل صلة ومن كل سبب هى أقل من العدم، وهل هنالك عدَم؟ العدم الحق هو الحياة المجردة من التاريخ

ثم رأيناه يقرر أن الحب أقوى من العقيدة ومن الدين، لأن عقيدة الملائكة لم تكن إلا فناً من الحب المصفوف

ثم نرى غيرة بريسكا من فتاة تقطع بها الزمن إلى أبعد من ثلاثة قرون فنعرف شيئاً من خلائق النساء

فإذا كان الفصل الرابع عرفنا من توفيق أن «الحلم أحياناً كالفن، لا ينقل الحقيقة كما هى، بل يسبغ عليها من عبقريته جمالاً لم يكن، أو بشاعة لم تكن» وعرفنا أن «القلب أقوى من الزمن» وأنه لا يهمّ المرأة أن تكون قِدّيسة، وإنما يهمها أن تكون «امرأة أحبت» فنفهم أن الحب فى قلب المرأة أعمق جذوراً من الدين، وإلا فكيف صح أن تخاطب الراهبة فاطر السموات بمثل هذا التعبير: «زوجى العزيز!»

وصدق شوقى حين قال. «الحياة الحبّ، والحب الحياة»

وحين قال:

سَيْطرَ الحبُّ على دنياكمُ   كل شيء ما خلا الحبَّ عَبَثْ

أما بعد فذلك توفيق الحكيم فى أهل الكهف

هو أديب موهوب تناغيه الحياة من حين إلى حين. هو أمشاج من الوجد المقهور والحب الدفين. هو قيثارة رنانة لأحلام الشباب والكهول، وإن كانت قيثارة لا تعرف أصول الأنغام، لأنه كاتب بلا أسلوب، ولو كان توفيق من أصحاب الأساليب لأدّى للفكر والبيان خدمات تعزّ على من رامها وتطول

كم تمنيت وتمنيت أن يكون توفيق الحكيم من كتاب اللغة العربية!

لو كان هذا الرجل كاتباً لأتى بالأعاجيب، لأنه قوى الملاحظة وقوى الإحساس إلى أبعد الحدود، ولكن التعبير يعوزه فى أدق الشؤون، والتعابير القوية لم تكن ولن تكون إلا شاهداً على عظمة الفكرة وقوة الروح

عيب توفيق الحكيم أنه نشأ مدللاً بين كتاب هذا الجيل، فلم يتذوق صيال الأحقاد والأهواء والأباطيل

ألم يشهد على نفسه فى مجلة الرسالة بأنه مَدين لكاتب لم يعرف قدره فى جميع الأحايين؟ ومن ذلك الكاتب يا توفيق؟

حظك بيديك، يا ابن آدم، فاعرف نفسك بنفسك، ولا تعتمد على غير واجب الوجود

ثم أما بعد فقد قضى توفيق عشر دقائق وهو ينمّق العبارة التى يهدى بها إلىّ «أهل الكهف» فأتت: «إلى الدكتور زكى مبارك إعجاباً بدراساته الصريحة ونقده الحر للأدب الحديث»

فكيف ترى مقامى منك، يا توفيق؟

هل هديتك؟ هل أضللتُك؟

تلك كلمة الحق فيك، فغيّر ما بنفسك لألقاك وأنت أديبٌ صوّال الفكر، جوّال البيان

والله يحفظك ويرعاك للصديق الوفى الأمين

زكى مبارك

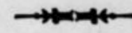
الرسالة فى سنتها التاسعة

على الرغم من استفحال أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها الى عشرة أضعاف، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء مع المشتركين القدماء. أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطاً أو غير مقسط. ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض الا اذا جددوا اشتراكهم من نصف ديسمبر الى آخر يناير سنة ١٩٤١، ولن يمد الأجل بعد ذلك.

من وحي الحرب

العلم والخلق

للأستاذ قدري حافظ طوقان



إن الخلق من النفحات الإلهية ، به يكتب التوفيق وعليه تقام دعائم النجاح . والفرد بخلقه لا بعلمه ، وكذلك الأمم ليست بعلومها وفنونها بل بأخلاقها وضمائرها لا تصلح إلا بهما ولا تشاد عظمتها إلا عليهما .

فالعلم إذا دخل دائرة الخلق اتجه نحو الخير والبناء والنمو والإثمار ، وإذا خرق نطاقها ولم يتقيد بها أصبح أداة شر وهدم وتدمير ، وعلى هذا فمن صالح البشرية والحضارة أن يحيط الخلق بالعلم وأن يسيطر عليه ويرعاه ليسير به نحو الخير والجمال والكمال

لقد تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير بعيد الأثر في الحياة والعمران ، فقد قضى على المسافات ومحا آثارها ، وأتى على معجزة الاتصال بين الأقطار ، فجعلها طوع إشارته . كشف المجاهل ، وجفف المستنقعات ، وأروى الصحارى ، ومهد الأدغال ، وأباد أكثر الأمراض ، فإذا الأرض أكثر تراميا وأرجاؤها أعظم اتساعا . فتح أبوابا كانت مغلقة ، ووصل إلى نتائج ما كانت لتخطر على بال إنسان ، وتمكن من السيطرة على مصادر الطاقة في أشكالها المختلفة فنمت الثروة العامة نمواً لم يحلم به أحد من قبل ، وطغت الاختراعات ، وكثرت الاكتشافات ، فالعائمات على الماء ، والسابحات في السماء ، والساريات والراسيات على الأرض وتحتها ، والأسلاك الكهربائية تطوف هذه الكرة ، والأمواج اللاسلكية تمج في الأجواء حاملة على أجنحتها الأخبار والأنباء والصور ، وأصبح كثير من الناس في هذا العصر يتمتعون بأسباب من الرخاء والرفاهة والترف لم يرن إليها القياصرة في الأزمان الماضية

ولكن مهلاً ... هل هذا التقدم كاف ؟

هل هذا التقدم — وقد توافرت فيه كل الوسائل لتسهيل الحياة وتوفير الهناء — قضى على المشاكل الاجتماعية التي يعانيها المجتمع ؟ . . .

إن هذا التقدم قد زاد المشاكل الاجتماعية تعقداً ، وسلب راحة البال وطمأنينة النفس ، ويمكنني أن أقول إنه وضع الحضارة في مركز خطر .

ولماذا ؟ ... لأن الإنسان في تقدمه لم يحسب حساباً للخلق ومعاني الحق والواجب والمثل العليا ، وقد قصرت حكمته عن تثقيف الرغبات والنوازع الإنسانية .

والذي يخشاه كبار الفلاسفة والحكماء أن الحكمة البشرية إذا أفلست في النهوض بعبء إدماج العلم وقواه العظيمة في أغراض الروح والخلق ، اتجهت هذه القوى إلى التدمير والتخريب والتقتيل بدلاً من الاتجاه إلى البناء والإنتاج والإثمار والخير والجمال

لقد أصبح شعار هذا العصر « المادية فوق كل شيء » طغى هذا الشعار وتضاءلت أمامه قوة الناس المعنوية وتلاشت به الروابط الأدبية وانكمشت الرحمة والعطف والشفقة في صحف الأديان ، وأشاحت الفضيلة بعزاياها عن النفس فإذا الإنسان في غمار من الزهو والغرور يهزأ من العفة والاستقامة والفضيلة والصلاح ولا ينظر إلى الحياة إلا من ناحية المتع والمسرات

لهذا لا عجب إذا قام المفكرون في أمريكا وانجلترا يدعون الناس إلى حركة إصلاحية غايتها الاتجاه نحو المعنويات والروحيات، والاهتمامُ بتكوين الخلق ، وجعلُ الحضارة قائمة عليها ، لينقذوا الإنسانية من الشرور المحيطة بها ويضعوا حداً للمشاكل العديدة التي يعانيها المجتمع . وهذا ما يجعلني أومن بأن العالم — على الرغم مما هو فيه من تخبط — سيتجه نحو الروحيات ونحو الاحتفاظ بمقام الروح فوق مقام المادة ، ذلك أنه إن لم يفعل ، وسمح للمادة أن تسيطر غير آبه للخلق ومعاني الخير والكمال ، فلن تقوم لحضارة قائمة وسيبقى السلم مهدداً ، والمثل العليا في خطر ،

والناس فى قلق ، والأفكار فى اضطراب ، والأعصاب فى توتر ، وتتضاعف مشاكل الإنسان ومتاعبه ، وتزيد تعقداً والتواء ، فلا يخرج من فوضى إلا ويجابه فوضى أشد وأنكى فلا اطمئنان ولا أمان ولا راحة ولا سلام

وعلى هـذا فالعلم وحده لا يكفى لوضع حدٍ لشرور العالم وآثامه ، والعلم وحده لا يكفى للخلاص من المتاعب والصعاب المحيطة به من كل جانب

يجب أن يقوم العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلى من شأن المثل العليا والأخلاق السامية ، كما يجب أن تقوم الحضارة على المعنويات وتوفق بين المادية والروحيات

وهل تكون حياة آمنة يسودها رحمة وسلام إذا كانت مادية ؟

وكيف تكون الحياة نامية ً رائعة ً إذا لم تسرْ على هدى الروحيات ؟

لن يستطيع الإنسان أن يردّ عن الحياة آثامها وشرورها ومفاسدها إذا سار فيها على العلم وحده منصرفاً عن معانى الخير والجمال !

بل كيف تكون الحياة سامية ذات أثمار إذا سيطرت عليها المادة من كل جانب ؟

وهل يصفو عيش فى جو مادى ؟

وهل تستقيم حضارة بالمادية ؟

لا . لا . لن تستقيم حضارة بها ولن تتخلص الإنسـانية من ويلات العـلم إذا لم تنزع إلى الروحية وتسر على هدي الخلق وطريق الحـق والعدل

بلاء هذا العالم فى طغيان المادية ، وخلاصه فى الجمع بين الخلق والعلم ، خلاصه فى روحانية تذكى فى الناس معانى الخير والكمال وتسمو بهم إلى ازدهار العواطف ، إلى حيث نمو الخلق وتفتح المواهب وبروز المزايا النفسية ... وإن فى هذا كله لثماراً يانعات تجنى منها الإنسانية الخير والطمأنينة والسلام

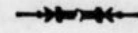
إن فى رجوعنا إلى عناصر الخلق وإلى الفضائل الاجتماعية التى نبتت فى أصول الأديان ، ما يضع حداً للمتاعب التى تواجه الإنسان وتجعل من العلم أداة خير وإصلاح وما يقضى على الفوضى الخلقية التى نراها سائدة فى مختلف نواحى الحياة

إن العلم قد وضع فى أيدينا قوة ، إذا لم نحطها بسياج من الخلق والفضائل ، انقلب إلى قوة هدامة مخربة . وعلى المعاهد والمفكرين أن يعملوا على حفظه ضمن هذا السياج ، ليجنى منه الإنسان قوى الخير والبناء والإعمار ؛ وأن يسيروا بجهودهم فى طريق إدماج العلم فى أغراض الروح العليا ، حتى يعرف النشء كيف يعيشون وكيف يقومون بواجبهم ويؤدون رسالتهم بنفحات روحية وعلى أساس متين من الأخلاق

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

حول كتاب تحرير المرأة

للأستاذ مصطفى محمد ابراهيم



درجت الرسالة الغراء منذ شرعت وزارة المعارف سنة المسابقة بين طلبة السنة التوجيهية فى امتحان اللغة العربية — على نشر مباحث كريمة فيها توجيهات قيمة لأذهان الطلبة فى الكتب التى سيمتحنون فيها ، وكان المتولى أمر هذه المباحث النافعة الأستاذ الدكتور زكى مبارك

وقد قرأت فى عدد الرسالة الأخير (رقم ٣٨٩) بحثاً قيماً نفيساً حول كتاب من هذه الكتب هو كتاب « تحرير المرأة » للمرحوم قاسم بك أمين بقلم الكاتب الفاضل الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم المفتش بوزارة المعارف . وقد عنت لى بعد قراءته ملاحظات لم أر بداً من تدوينها تعميما لفائدة أبنائنا الطلاب

* * *

تناول الأستاذ شخصية المؤلف بشىء من الإسهاب فأحسن وأفاد ، إذ أن التعريف بالمؤلف والإبانة عن مقومات شخصيته ومدى ثقافته له أثر كبير فى تفهم آرائه والحكم على أفكاره . ثم عرض الأستاذ مباحث الكتاب عرضاً لطيفاً، غير أنى تمنيت لو أنه أسهب فيه قليلاً حتى تزداد هذه المباحث الخطيرة وضوحاً ، خصوصاً وأن هذا الكتاب كان له من الأثر الاجتماعى العميق ما بزّ به كل كتاب فى هذا الباب فى هذا العصر ؛ فكان الطلبة خليقين أن يوجهوا فى دراسته توجيهاً واسعاً مسهباً

هذا وقد كنت قرأت كتاب تحرير المرأة هذا فرأيت من المباحث النفيسة التى احتفل لها المرحوم قاسم بك أمين وأعد لها ما استطاع من قوة وعتاد اقتضاه مجهوداً غير يسير — مبحث « الطلاق » وهو بحث سيبدو لمن يقرأه أنه مقطوع النظير

فقد عرض الباحث الإسلامية فى هذا الموضوع الخطير عرضاً قوياً مكيناً ، وأورد أقوال الأئمة وأصحاب المذاهب والفقهاء من أمثال الزيلعى والشوكانى وابن عابدين ، ثم استوعب كل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة حول هذا الموضوع درس ذلك كله دراسة الفقيه المتفهم لروح الدين ، ثم هاجم أولئك العلماء الذين اشتغلوا بالتأليف فى هذه الموضوعات الخطيرة وكان أكبر همهم تأويل الألفاظ وتخريج الحروف ، حتى ملأوا كتبهم بنحو « طلقتك ، وأنت طالق ، وعلى الطلاق ، وبالتسمين ! وطلقت رجلك ورأسك » وما إلى هذا من الخيالات الغريبة ؛ وغفلوا عن أن الشرع إنما يقوم أولاً وقبل كل شىء على النية التى هى أساس الدين الإسلامى ، وكانت حملة موفقة كل التوفيق فقد ظهر عليهم ، ولا غرو فسلاح المرء يقينه

هذا الفصل من الكتاب هو فى ظنى البحث العلمى الفريد المبنى على الدراسة الدينية المستنيرة المدعمة بالحجج الدوامغ ، فليت الطلبة يولونه أكبر همهم ، ويدرسونه دراسة تثبت وتفهم ، فنى دراسة مثل هذا الفصل تنوير لأذهانهم وتعويدهم الصبر على مكاره العلم والقدرة على تخريج الأحكام الصحيحة من الاتجاهات المختلفة

هذه ملاحظاتنا على مباحث الكتاب . ولنا ملاحظات أخرى لغوية تعرض لها الأستاذ أبو بكر بالنقد :

فقد أخذ على المرحوم قاسم بك فى كتابه استعماله كلمة « الأهالى » بدل الأهلين جمعاً لكلمة « الأهل » . وليس جمع الأهل على أهالى خطأ . وقد ورد هذا الجمع فى الجزء الأول من كتاب « أساس البلاغة » — وهو من مراجع اللغة المهمة — فى مادة « أهل »

وخطأه الأستاذ فى استعمال كلمة « عائلة »[1] مكان « أسرة » وعندى أن الرفق خير من العنف وأننا نخدم اللغة وأهاليها بقبول الكلمات التى نجد لها وجهاً خصوصاً إذا كانت متواردة على الألسنة والأقلام منذ عهد طويل

ويخيل إلىّ أن الأستاذ الكبير حكم عليها بعدم الاعتبار لأنه لم يجدها فى كتب اللغة مع أن المعاجم لا تذكر المشتقات .

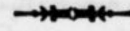
وأذكر أن أستاذنا الجارم بك كان يلقى منذ سنتين محاضرات عن طريق المذياع فى موضوع الأغلاط الشائعة فى العربية فورد على لسانه ذكر هذه الكلمة (العائلة) فأظهر غيظه

(١) كلمة « عائلة » من الكلمات التى ارتضاها مجمع فؤاد الأول للغة العربية بعد أن اقتنع بصحتها من الجهة اللغوية فى جلستيه الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين . (الرسالة)



الأزهر وبعثاته العلمية

للأستاذ محمود الشرقاوي



في عدد الرسالة الأخير (٣٩٠) كتب الأستاذ الدكتور محمد البهي مدرس علم النفس والفلسفة بكلية أصول الدين مقالاً فيه صدق كثير، كان عنوانه «شخصية الأزهر العلمية»

وقد قلت إن هذا المقال فيه صدق كثير، وهذا أكبر ما يمكن أن يُمدح به كاتب في هذا الزمن، وفي هذا البلد الذي فيه قول الصدق من أكبر العيوب ومن أكبر المعوقات للذي يريد أن ينجح وأن يصل إلى ما يريد يسلك له كل طريق

وقد أثار هذا المقال الجيّد الصادق في نفسي طائفة من الخواطر أعتقد أن فيها – هي أيضاً – صدقاً كثيراً وفيها صراحة، وهذا حسبي



عند ما عاد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي إلى مشيخة الأزهر منذ سنوات خمس، كان من ضمن مناهجه الإصلاحي لتجديد الأزهر والتفكير الديني بعثُ البعوث من علمائه ومن أساتذته إلى أوربا، وكان ذلك في رأينا أجرأ ما أقدم عليه شيخ للأزهر وأعظم ما فكر فيه مصلح شرقي بعد الشاذلي باشا[1] لتقويم الحياة العلمية في الأزهر وتوجيه التفكير الديني وجهة الحياة والنماء والإصلاح، وتقويم هذه الحياة العلمية وتوجيه هذا التفكير الديني وجهة الخير، هما أمتن المُمُد وأرسخ الأسس للإصلاح الشامل في مصر والشرق

وعلى هذا الأمل العريض قابلنا وقابل المخلصون من المصلحين اختيار البعثة الأولى من هذه البعوث الأزهرية إلى أوربا، وكانت بعثة فؤاد الأول إلى فرنسا وانجلترا وألمانيا

وقام لوداعها فضيلة الشيخ الأكبر ومن خلفه العلماء والأزهريون، ثم خطبها وخطبهم أنه سيجمل الأزهر وتجديده ونماء غرسه الإصلاحي فيه وديعة بين يدي هذه الطائفة المختارة من رجاله ومن أساتذته؛ إذ يعودون من بعثاتهم وقد تلقحت ثقافتهم الأزهرية بلقاح جديد واستفادوا من جامعات أوربا طرائق تفكيرها ومناهج بحثها وخصائص إنتاجها العلمي

وكان جيلاً وكان حقاً ما تحدث به شيخنا الأكبر لو أن الأمور سارت إلى نهايتها كما بدأت

(١) الشاذلي باشا هو أول من نفذ فكرة إرسال البعوث العلمية من الأزهر في قرننا الحاضر

وتبرمه من محاربة المليين لهذه الكلمة الجميلة البليغة ومطاردتها من كراسات التلاميذ مع دورانها على الألسنة والأقلام أمداً طويلاً، فقد ذكر أنه وجد هذه الكلمة في شعر شعراء الدولة الأيوبية (وإن كان نسي أن يعطينا بيتاً نسكن به الثورة الدائرة حول هذه الكلمة)! ...

ومما أذكره في تخريج الأستاذ الجارم بك لهذه الكلمة قوله:

إن عائلة وزن فاعلة مشتقة من عال يعيل إذا افتقر؛ فعائلة بمعنى مفتقرة، وزوج الرجل وصغاره مفتقرون إلى من يعولهم ويمونهم – عال الرجل أهله كفاهم ومانهم وأنفق عليهم، فعائلة فاعلة بمعنى مفعولة أي معولة، وإنما استعمل فاعلة هنا مكان مفعولة لغرض بلاغي لا يخفى، قال تعالى: فهو في عيشة راضية. أي مرضي عنها.

وأحسبه قال أيضاً ما معناه: والمعنى البليغ في أن العائلة بمعنى المعولة أنها تدفعه إلى الكد والسعي، ولولاها ما جاهد ولا ثابر، فكأنهم يعولونه. قال تعالى: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم». فقدم الأبناء على الآباء، لأن الآباء بأبنائهم يرزقون، أو كما قال ...

فعائلة إذاً صحيحة من حيث الاشتقاق اللغوي

ويحلو لي بهذه المناسبة أن أطلب إلى أستاذنا الجارم بك أن ينشر أمثال هذه المباحث القيمة مما تعرّض له في الإذاعة وليس أولى بها من صحيفة «الرسالة» حتى لا تضيع مثل هذه الفرائد بدداً فوق أمواج الأثير، وأحسب الكثيرين من إخواني المدرسين يؤيدونني في هذا المطلب والله المستعان

مصطفى محمد ابراهيم

وقد سافرت بعوث الأزهر إلى أوربا واستقر أعضاؤها في باريس وفي لندن وفي برلين يدرسون في جامعاتها . ومضت سنوات خمس عاد بعدها فريق من أعضاء هذه البعوث وقد أتم دراساته فيها ، وفاز بما قصد إليه من الألقاب العلمية والدرجات الدراسية

ومن قبل هذه البعوث أرسلت ثم عادت بعثة المرحوم الشيخ « محمد عبده » التي أرسلها الشاذلي باشا سنة ١٩٣١ إلى ألمانيا فدرست وفازت بما قصدت إليه من الألقاب والدرجات . وعاد هؤلاء وهؤلاء أساتذة في الأزهر يشرفون على توجيه الفرق النهائية في كلياته وتخصصاته ، حتى قام بعضهم يتساءل عن شخصية الأزهر العلمية ، ويريد أن يضع في الميزان إنتاج كبار العلماء وأن يحكم على القيمة العلمية لما ألف جماعة كبار العلماء

***

الأزهر محتاج إلى لقاح علمي جديد وإلى ثورة فكرية جديدة وإلى أسلوب من البحث العلمي قائم على الإخلاص للعلم وحده ، وعلى الشجاعة في سبيل العلم وحده ، وعلى حب الخير للعلم وحده وللأزهر وحده . ولا يزال في الأزهر روح قوي راسخ من الرجعية والردة والعود لعهود الظلم والظلام . وما من أحد يستطيع أن يرفع الشعلة ولا أن يديم اطراد السير لهذه الخطوات البطيئة من خطى التجديد والإصلاح ، سوى أعضاء هذه البعوث التي أرسلها الأزهر من خلاصة رجاله ، ولهذا وحده أرسلهم وانتظرهم حين غابوا ورجاهم حين عادوا

وأعضاء هذه البعوث العلمية التي فهمت الروح العلمي في جامعات أوربا واستقام تفكيرها على طرائق البحث العلمي فيها ، هم الذين يعرفون ويقدرون ما هي الشخصية العلمية ، وما هو الاستقلال في التفكير ، وما هو النقد الإيجابي ، وما هي حرية البحث ؟ وهم الذين يعرفون ويقدرون مما شهدوا في جامعات أوربا وفي حياة أهلها ما هي قداسة الفكر

فهم بما عرفوا وما قدروا وما أحسوا هم النواة الطيبة والبذرة المباركة النامية لبعث هذه الطرائق وهذا الروح العلمي في الأزهر.

وهم الذين تنبعث من أفكارهم ومن نشاطهم ومن إخلاصهم لهذه الطرائق العلمية الجذوة الأولى لهذه الثورة الفكرية التي يحتاجها الأزهر ، والتي بها وحدها يأمن الأزهر وتأمن الحياة الدينية في مصر ما نخشاه من طغيان الرجعة وردة عهود الظلم والظلام .

ذلك ما فهمناه وارتقبناه حين اختيرت البعوث العلمية من رجال الأزهر ، ثم عادت لتقود فيه الطليعة من الرواد في حياته الإصلاحية الجديدة

فهل يرى الأزهريون أن هذه البعوث تكوّن فيه الآن « البيئة العلمية » الجديدة ؟ ... وهل يرى الأزهريون أن لهذه البعوث طابعاً علمياً خاصاً تتميز به عن أشياخها الذين ذهبت هذه البعوث لتكمل بما ليس عند هؤلاء الأشياخ من فهم ومن ثقافة ومن تفكير ؟ ...

وهل يرى الأزهريون أن هـذه البيئة العلمية الجديدة لها « معسكر خاص يتميز بنشاط خاص وبأسلوب خاص ، ويقصد في دراساته وفي إنتاجه وفي توجيهه التعليمي مقصداً خاصاً يقوم على حرية البحث وقداسة الفكر والشجاعة في مواجهة ما يلقون من عنت « المعسكر الآخر » القديم ؟ ...

وهل يرى الأزهريون أن هذه البيئة العلمية الجديدة قد اجتذبت حولها مدرسة خاصة من تلاميذها ومن مشايعيها تكثر بهم جيش الحرية والتجديد في الأزهر وتحصن به نفسها وقوتها من جيوش الرجعية فيه ؟ ... وهي جيوش لهـا هجمات ، ولها هبوب بعد كل سكون

نحن نسأل ولا نحكم . ولو أننا لا نرى دليلاً على أن البعوث الأزهرية (بعثة الشيخ محمد عبده ومن عاد من بعثة فؤاد الأول) قد أقامت في الأزهر مدرسة للتجديد خاصة ولا نهجت فيه منهجاً دراسياً ولا تأليفياً خاصاً ولا لمّت حولها معسكراً جديداً يرفع معها وبعدها شعلة النور في الأزهر ، ولم يبد من آثار رجالها وإنتاجهم ما يدل على تميزهم على أشياخهم ، وقد ذهبوا ودرسوا في جامعات أوربا لتكمل ثقافتهم بما ليس عند هؤلاء الأشياخ

نحن لا نرى دليلاً ولا شبه دليل على وجود شيء مما ذكرناه

ونحن عند ذلك أمام واحد من فرضين : أن تكون هذه البعوث لم تفد شيئاً مما درست فى جامعات أوربا ولم ترتفع بتفكيرها عن أشياخها وعن زملاء أعضائها الذين لم يبعثوا ولم يدرسوا

وهذا فرض بعيد يوشك أن يكون ممتنعاً لما رأينا ونرى من تبرز هذه البعوث فى دراساتها الجامعية وفى درجاتها العلمية التى نالتها فى أوربا وفى البحوث التى نالت بها ما نالت من الدرجات . . .

أو أن تكون هذه البعوث العلمية قد أفادت من دراساتها الأوربية عقلية جديدة حرة وتفكيراً جديداً حرًّا ومنهجاً فى البحث جديداً حراً . وهذا ما نراه ونعتقد به

وعند ذلك لنا أن نسأل : لماذا إذن كانت هذه العقلية الجديدة الحرة عقيما ، وكان هـذا التفكير الجديد الحر متوارياً ، وكان هذا المنهج الجديد الحر مهجوراً من هذه البعوث فى دراساتها وإنتاجها وأثرها فى نفوس طلابها . . . ؟

لماذا لا يفيد أعضاء هذه البعوث بما أفادوا ولا يعلمون ما تعلّموا . . . ؟

وهل يتوّجه اللوم فى ذلك لهم أم أين يتوّجه . . . ؟

يقول صديقنا الدكتور البهى فى مقاله الذى فيه صدق كثير:

« فإلى أن تنشر رسائل جماعة كبار العلماء فينا ـ لأن عملهم وحده أمام التاريخ وأمام الحكم العدل هو الأساس الذى يبنى عليه الآن التقدير والاعتراف أو عدم الاعتراف بشخصية الأزهر العلمية ـ يجب علينا نحن الذين لم يصبحوا بعد من جماعة كبار العلماء إما أن نسعى فى أن نطالع غيرنا على أبحاثنا الشخصية ، وبذا نكون علماء ، أو نعمد إلى تناول عمل الجامعيين بالنظر العلمى فنؤمن بما يدعونه أو ندلهم على موضع الدعاية فيه »

ونحن نرد عليه ما سأل فنقول :

إلى أن نرى أثركم وإنتاجكم وتجديدكم وما جعلتم فى الأزهر من بيئة علمية جديدة وثقافة جديدة وحرية جديدة فى البحث . سنقول إنكم لم تفيدوا شيئاً مما تعلمتم ولا تميّز لكم على من لم يبعث ولم يدرس فى جامعات أوربا ، أو أنكم لا تجدون من نفوسكم شجاعة ولا قوة لكى تكونوا منتجين ولا مفيدين

وذلك قول أقوله لصديق كاتب مقال « شخصية الأزهر العلمية » وإلى أنداده أعضاء البعوث الأزهرية من أوربا

***

وقد كانت بعوث النهضة المصرية فى أيام محمد على الكبير وخلفائه سعيد وعباس الأول تكاد تكون فى مجموعها من طلبة الأزهر . تعلّم رجالها ثم عادوا فكانوا روّاد الحياة الجديدة والحضارة الجديدة فى مصر كلها ثم فى الشرق كله

ولكن الأزهر يبعث البعوث من رجاله ثم يعودون إليه يرجوهم لنفسه حياة جديدة وحرية جديدة وتفكيراً جديداً

فهل نجد عند رجال البعوث الأزهرية الجديدة هذه الحياة وهذه الحرية وهذا التفكير يبثّونها بين رجاله وبين أهله ؟

وهل نجد عند الأزهر نفسه ما يمكّن لهذه البعوث أن تعمل وأن تنتج وأن تفيد ؟

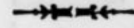
ذلك سؤال ندع الجواب عليه لمن يجيب !

محمود الشرقاوى

خطرات سريعة

قصة كتاب الديارات (*)

للأستاذ صلاح الدين المنجد



كتب إليَّ أخي من عمَّان يطرفني بما كتبه الأديب السيد كوركيس عواد تعليقاً على المقالة التي أثبتناها نحن عن الديارات ولقد كنت بين إقبال على الرد وإدبار عنه ، فقد عجبت من أمر من يدعى التحقيق والتدقيق « والعناية التي تفوق حد الوصف » ويسوق الدعاوى ، ويغرق في الثناء على نفسه ؛ ثم يعترف بأن الجهود كلها ليست جهوده ، وأن الأساتيذ العلاَّمات أمدُّوه بكثير من تلك المعلومات ، وأرشدوه إلى تلك الملاحظات ، وأن الكتاب بعد ذلك سيحمل اسمه

وقد سنحت لي خطرات أردت أن أثبتها هنا ليتضح للقرَّاء مبلغ صحة ما ذهب إليه الأستاذ

* * *

(ا) والحق أنه أتيح لنا بنشر قصة كتاب الديارات أن نتمتع — ويتمتع معنا القراء — بأسلوب عربي مبين ، وسبك رصين ، وعرض لأسماء المستشرقين ثمين ، أشباه فيشر وكيشر ولاهين ، وأسلوب لا اعوجاج فيه ولا سقطات إلا ما يربو على الثلاثين ! . . .

(ب) ولكن الأستاذ — مع الأسف — لم يجد في مقالنا شيئاً ولا أقل مما يريد . . . وما ندرى ماذا كان ينتظر من لمح موجزات تنشر في مجلة أسبوعية للتعريف بكتاب سنصدره بعد حين ! . . . ترى أكان ينتظر أن نصبَّ له فيهـا كل ما هبَّ ودبَّ ، وما اتصل إلى الكتاب بسبب ، وما لم يتصل ، وأن نسوغ له قصة كقصته ، فيها دعاوى كدعاواه ... فنرسم للقراء كل خطوة خطوناها إبان عملنا . . . ؟ أم كان ينتظر أن يجد الكتاب كله في مقال واحد ، مشروحاً مضبوطاً ، مفهرساً مهمشاً ، كما قدم له ذلك الأستاذ مصطفى والأب أنستاس ؟

(ج) وعلى كل فقـد كان اتفاقاً طريفاً — كما يقول كوركيس افندى — أن يقوم باحثان بنشر كتاب واحد . ولا أدرى لم ساق الأستاذ تلك المحاكمة التي دارت بينه وبين نفسه ... فانتهت إلى عزمه على نشر الكتاب « خدمة للعلم بذاته » مع أن الأمر جلل لا يستحق أن يستغرق ربع عامود في المجلة ... لأن كتاباً يقوم عليه أستاذ يتقن اللغة الآرامية ... وتدور فكرة نشره في رأسه منذ سبع سنوات ، ويصححه أستاذان علامتان ، يضمان له الملاحظات ويضيفان إليه الهوامش ، ويحققان فيه ويدققان ... إن كتاباً هذا شأنه وتلك قصته لحرى ألا يهمل نشره

ومهما يكن من أمر فإن تنفيذ ما عزم الأستاذ عليه سيكون حادثاً عظيماً وخطوة واسعة نحو التدقيق الصحيح . . . لأنه سيضم الفهارس المختلفة « وكلها في غاية الضبط » والملاحق الواسعة « وكلها على ما يرام »

(د) ومن يدرى كيف يكون الكتاب كتاباً إذا هو لم يضم الفهارس التي يفخر الأستاذ بها وقد كنا نتمنى ألا يضيع الأستاذ وقته في الإشادة بها ، لأنه عمل آليّ لا يُفخر به يستطيع المبتدئون أن يقوموا به

(هـ) بقيت هذه الإشارات الكثيرة إلى نسخة « فيشر » وإلى نسخة « الكرملي » ، وإلى « العناية التي تفوق حدود الوصف » في استنساخ النسخة « الكرملية » . وما ندرى إن كان تعداد النسخ على هذا النمط يوهم القراء أن هناك طائفة من النسخ لهذا الكتاب

(و) ويصر الأستاذ على قراءة النسخة البرلينية ، مع أننا ذكرنا في مقالنا الأول أن للكتاب نسخة قليلة الضبط كثيرة الأخطاء في دار الكتب المصرية ، كما ذكر لنا ذلك صديقنا الأستاذ شكرى فيصل ، وأثبته — كما أظن — صاحبكم حبيب الزيات

(ط) أما الملاحظات التي أراد كوركيس افندى أن نتناضى عن ذكرها فنقول فيها :

أولاً : لم نرتجل الرقم ارتجالاً — كما يفعل بعض من يعرفهم الأستاذ — فقد وجدنا الرقم هكذا على النسخة التي عنـدنا ، ولقد أثبت الرقم نفسه ، فيما أظن ، السيد حبيب الزيات في كتابه

(*) تأخر هذا المقال في البريد

« الديارات النصرانية فى الإسلام » وكنا نود لو يهب الله لنا علم الغيب ، إذن لاستطعنا معرفة الأرقام الصحاح ... وقد أثبت ذلك أيضاً تيمور باشا على النسخة . . . ولعلكم تستطيعون أن تسألوه من أين أتى به ... ولكن ...

ثانياً : ولقد كان الأستاذ فى غنى عن أن يسوق إلى القراء هذه القائمة الطويلة من أسماء المؤلفين ... فنحن لم نقصد فى قولنا إن أول من نقل عن الكتاب هو السيد حبيب الزيات ... إلى التعميم الذى يشمل كتب المستشرقين فى اللغات الأجنبية

ولو دقق الأستاذ لوجد أن السيد حبيب الزيات هو أول من نقل عن الكتاب كما قلنا . أما كتاب « الصليب والإسلام » فلم نتشرف بمعرفته ، وأحسب أن الأستاذ كوركيس افندى يقرنا أن هناك فرقاً كبيراً بين الإشارة إلى الكتاب فى هامش مقال أو فى ثنايا كتاب وبين النقل عنه والبحث فيه

وعلى كل فالأستاذ يشير فى مقاله إلى كتاب الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى الذى ترجمه السيد أبو ريده ، ويحتج بأصله الألمانى الذى نشر فى سنة ١٩١٧ ، وما من شك فى أن الأستاذ لم يطلع على الأصل الألمانى قبل الترجمة ، ولكنه يوهم القراء أنه بعيد عهد بالكتاب وبمن نقل عنه وأشار إليه ، ولو فى هامش من الهوامش

ثالثاً : أما الملاحظة الثالثة فقد أجهد الأستاذ نفسه فى تقسيم الأديار لينتهى إلى القول بأن ثمانية وثلاثين ديراً كانت فى العراق وأنه امرؤ عراقى ، وأنه موظف بدار الآثار ، وأنه لم يستطع تعيين المواقع الحقيقية إلا لعشرة منها ، ولو دقق الأستاذ فيما كتب عن الأديار وخصوصاً ما كتبه ياقوت والعمرى والبكرى والشابشتى ، لوجد أنهم يحددون الدير ، ويقولون إنه يقع فى شرق كذا ، وغرب كذا بجوار كذا على ضفة كذا ، وتلك كلها حدود تقريبية يستطيع معها الباحث المدقق أن يعلم موضع الدير منها ، ولا شك فى أن الأستاذ كوركيس قد لاحظ أن « لوسترانج » قد حدد فى مخططه الذى وضعه لبغداد بين سنة (١٥٠ — ٣٠٠) للهجرة أماكن كثير من الديارات ، كدير سمالو وغيره ، (وإن كان الأستاذ مصطفى يخطئ لوسترانج) وبدهى أننا لم نسلك فى تحديد الديارات والإشارة إلى محالها ، ما يسلكه موظفو دار الآثار ومأمورو التسجيل ، وإنما رأينا أن ذلك يقرب للأذهان محال تلك الديارات

ولعل الأستاذ كوركيس يدرى بعد هذا كيف يمكننا أن نضع للأديار مخططاً

(ك) أما وفاة الشابشتى ، فنحن لم نكن فى معرض ترجمة المؤلف والتحقيق فى سنى حياته ، وما قصدنا بمقالنا إلى الظهور وإيهام الناس أننا نحقق وندقق ، وإنما ذلك شيء تركناه لغيرنا ! وما كلمتنا عن الشابشتى إلا إشارة سريعة ... خاطفة

(ل) على أنه مهما يكن من أمر قصة كتاب الديارات التى أطرفنا بها الأستاذ عواد ، فإننا أفدنا منها أموراً كثيرة كنا نجهلها ، فقد عرفنا أنه ذو اطلاع ومعرفة بأسماء المستشرقين ، وأنه سيجمع فى كتاب يضع عليه اسمه جهود عالمين ، وأنه موظف بدار الآثار وعالم من علماء العراق ، وملم باللغة الآرامية

هذا ما بدا لنا على تلك القصة ذكرناه وللأب أنستاس ، وللأستاذ مصطفى تحياتى على جهودهما ... أما كتابنا الذى بدأنا به منذ شهور ، ولم نستعن فى تحقيقه بأحد ، فسيظهر غداً . . . وإن غداً لناظره قريب

(دمشق) صلاح الدين المنجد

كلمات ...

غرامك علمني النوح ... !

فى سيارة كبيرة من سيارات « الأتوبيس » جلست وجلس من خلفى وإلى جانبىَّ خلق من الناس رجال وسيدات

السيارة تسير فى طريق زراعىّ ، وكل من الركب مشغول بنفسه ، بعضهم يتحدث إلى جاره ، وبعضهم - وهو قليل - يطالع صحيفته ، وليس فى الصحف مكتوب ولا فى كلام الناس متحدث فى هذه الأيام غير هذه الحرب العاتية التى يتقدم فيها كل جندى فى كل أمة ، إما إلى النصر وإما إلى الموت . وبعض من فى السيارة يتلهى بالأكل وإلقاء الفضلات على أرضها وبين القاعد

وارتفع من المقاعد الخلفية صوت رقيق ، صوت مغنٍّ ... وكان غناؤه مرتفعاً حتى سمعناه من أماكن جلوسنا ، وبيننا وبين مجلسه سطور من الناس

وأبصرت خلفى أنظر هذا الذى يتطوّع لتطريب الناس ، وهم لم يستطربوه ، وهو لا يعرفهم ولا يعرف تهيؤ نفوسهم لقبول الغناء فى ذلك الوقت ، وعلى هذه الصورة ، وفى « الأتوبيس »

وكان الصوت الرقيق يخرج من أشداق رجل عملاق ضخم الجثة ، ضخم المنكبين ، ضخم الرأس ، ذى أكتاف عِراض ، قد استدارت حول ذراعه القوية حلقة حمراء ، ورصّعت على صدره أزرار نحاسية صفراء براقة ، وأمسك بيمناه عصا المارشالية ... !

إنه جندى من رجال جيشنا الباسل الذى فتح السودان وأداخ الدراويش والوهابيين فى الجزيرة ، والذى أوشك ابراهيم بن محمد على أن يقتحم به على الدولة العثمانية

كان الجندى من رجال جيشنا الباسل يغنى ويدير فى شدقيه بصوته الرقيق هذه الأغنية :

يا نور العين يا غالى يا شاغل مهجتى وبالى
تمال اعطف على حالى وهنى القلب ليلة العيد

نظرت ونظر غيرى من الركب إلى هذا الجندى يرفع عقيرته يصيح بهذه الأغنية ، وكأنما ظن أننا نستزيده فزاد ، ولا غرو ، فن خلائق الجندية الشهامة ... !

ونظرتْ إليه سيدة من الركب نظرة فهمها الناس ... ! ولكن صاحبنا المغنى فهمها فهماً آخر ، فعلا صوته يعيد : تمال اعطف على حالى ... وجعل يعلو بها ويفتن فى تنغيمها كأنما قدر أن السيدة ستجيبه ، وقد ناداها : تمال اعطف على حالى ...

* * *

وانتهى الجندى الفخم الباسل من أغانيه ، وانتهت بنا السيارة إلى حيث نقصد ، وأتممت طريقى حتى صعدت إلى بيتى وما تزال صورة ذلك الجندى وما يزال صوته وما تزال أغنيته الذليلة فى خيالى وفى صماخ أذنى وفى ضميرى

ولقينى من مسكنى صوت الراديو بأنغام الموسيقى ، ثم استفتحت وجلست أستريح وأستمع حتى انتهى العزف ، وأعلن المذيع يقول :

سمعتم سيداتى وسادتى فرقة موسيقى « الجيش المصرى » تعزف لكم بعض القطع الموسيقية والأغانى المنتخبة وهى :

كذا ... وكذا ... وكذا ... وأخيراً دور :

« غرامك علمنى النوح ... ! »

* * *

ألا ترى - أيها القارئ - أننى وركب السيارة كنا ظالمين حين نظرنا إلى ذلك الجندى المغنى تلك النظرات ؟ « محمود »

كيف تضاءل التاريخ

في الأزهر بعد الجبرتي

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

كان عصر الشيخ عبد الرحمن الجَبَرْتِي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وأوائل القرن الثالث عشر فاصلاً بين عصرين من عصور الجامع الأزهر ؛ فإلى عصر الشيخ الجبرتي كان الجامع الأزهر يستأثر وحده بالتعليم العالي في مصر ؛ وكان لرجاله نفوذ كبير في البلاد يضارع نفوذ حكامها من الترك الجراكسة والعثمانيين ؛ أما بعد عصره فإن المدارس المدنية التي أنشأها محمد علي باشا أخذت تنافسه في وظيفته ، وتضعف من شأنه ، فصار يذوى وينكمش ، وأخذ يرضى بالقليل من العلوم الدينية والعربية ، ويترك لتلك المدارس كثيراً من العلوم التي كان يعنى بها قبل إنشائها : كالتاريخ والأدب وتقويم البلدان وغير ذلك من العلوم التي كان يعنى بها ؛ وكانت تزيد في ثقافة رجاله ، وتعلى من شأنهم ، وتقوى من عزائمهم . فلما رضى بالقليل من تلك العلوم الدينية والعربية ضاقت ثقافة رجاله ، وضعفت فيه الهمم ، وفترت العزائم ، حتى صرنا نرى من رجاله من يذكر في تعليقه على بيت المتنبي الوارد في كتاب التلخيص للخطيب القزويني :

مُبارَكُ الاسم أغرُّ اللقبْ   كريم الجرِشَّى شريف النسبْ

أن سيف الدولة الممدوح بهذا البيت من بني العباس ، لقول المتنبي فيه (شريف النسب) مع أن سيف الدولة كان من قبيلة تغلب ، وهي من قبائل ربيعة ، فأين هو إذن من بني العباس وهم من بني هاشم ، وبنو هاشم من قريش ، وقريش من مضر .

وكذلك يزعم بعضهم في تعليقه على قول الفرزدق الوارد في ذلك الكتاب أيضاً :

إن الذي سَمَكَ السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ

أن المراد بالبيت فيه الكعبة لأن الفرزدق كان من قريش ، مع أن الفرزدق كان من تميم ، وهو يفتخر في ذلك على جرير ببيته فيهم ، وقد صرح به بعد ذلك في قوله :

بيتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بفنائه   ومُجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلُ

ولا غرو بعد هذا في أن يؤلف الجبرتي كتابه الجامع في التاريخ المسمى (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) فيلمّ فيه بأخبار عصره كبيرها وصغيرها ، ويترجم لرجاله تراجم وافية شاملة ، وفيهم الفقيه والنحوي والأديب والشاعر والفلكي والطبيب والحاكم والقاضي وغيرهم

فإذا جاء بعده الشيخ أحمد مصلح في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ، يحاول أن يترجم لعلماء عصره كما ترجم الجبرتي قبله ، أتى بشيء تافه يدل على مقدار ما وصل إليه الأزهر من ضعف في الثقافة قبل نهضته الأخيرة ، فيقول بعد حمد الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : وبعد فهذه صورة قائمة أذكر فيها العلماء المستعدين الذين هم موجودون بمصر في القرن الثالث عشر في عام تسع وخمسين سنة ، وذلك لما شاع أن مصر لم تزل من قديم الزمان مشهورة بالعلماء والفضلاء الذين هم ذو فطنة وعرفان[1]

ثم يذكر أن الذي دعاه إلى ذلك أن بعضهم قد قال بمقتضى وفور عقله : إن هذا الوقت لا يوجد فيه علماء مثل الذين أدركتهم من المتقدمين ، وإنه لا يرى إلا الصم البكم من الجاهلين الجامدين ، إلى أن قال : فحملتنى حَمِيَّة الحرية على أن أذكر أسماء العلماء المعتبرين ، ليكون ذلك عبرة للمعتبرين ، وتذكرة للمتذكرين ، ولربما بصرف عنايته إليهم تكثر أفراد هذا النوع ، وتشتعل العقول الفاترة بنار الفكرة ، وينشب فيهم هذا الوصف الذي يتبعه علو الهمة ، التي يتبعها عمار المملكة ، وقوتها على من عداها من الممالك .

وتقع رسالة الشيخ أحمد مصلح التي قدم لها هذه المقدمة في تسع صفحات من القطع الصغير ، وهي رسالة مخطوطة بخط نسخي لا بأس به ، وتوجد بمكتبة الجامع الأزهر بين كتب سليمان أباظة باشا رحمه الله ، ورقمها الخاص ٣٩٦ والعام ٦٦٨٨

وهذا مثال مما كتبه الشيخ أحمد مصلح عن أولئك العلماء ليرد على ذلك الطاعن فيهم ، وهو عبارة عن القائمة الأولى في علماء الشافعية :

١ — الشيخ ابراهيم الباجوري عالم فاضل وله تأليف

٢ — الشيخ مصطفى البلقاني عالم فاضل وله تأليف

---

(١) في عبارة المؤلف كثير من الأخطاء آثرنا إبقاءها على حالها لتكون صورة صادقة لعصرها

٣ — الشيخ عبد الله النبراوى كذلك وله تأليف
٤ — الشيخ أحمد المرصفى عالم فاضل
٥ — الشيخ مصطفى الذهبى عالم فاضل
٦ — الشيخ مصطفى المبلط عالم فاضل
٧ — الشيخ حسن البلتانى عالم فاضل
٨ — الشيخ أحمد أبو مصلح كذلك وله تأليف
٩ — الشيخ ابراهيم السقا كذلك وله بعض تأليف
١٠ — الشيخ سليم الشرقاوى كذلك عالم فاضل
١١ — الشيخ محمد الطوخى عالم فاضل أيضاً
١٢ — الشيخ صقر الأشمونى عالم فاضل
١٣ — الشيخ محمد الخضرى عالم فاضل
١٤ — الشيخ دسوقى المحلاوى عالم كذلك
١٥ — الشيخ محمد عبد القدوس عالم فاضل
١٦ — الشيخ نور الدين كذلك عالم فاضل
١٧ — الشيخ خليفة الفشنى كذلك عالم فاضل
١٨ — الشيخ محمد الحنانى عالم فاضل
١٩ — الشيخ سيد الأنصارى عالم فاضل

فهؤلاء تسعة عشر عالماً لا يذكر الشيخ أحمد مصلح فى ترجمة كل واحد منهم إلا أنه عالم فاضل مرة ، وعالم فاضل وله تأليف مرة ثانية ، وعالم فاضل أيضاً أو كذلك مرة ثالثة ، وهكذا هان فن الترجمة فى عصر الشيخ أحمد مصلح إلى هذا الحد ، وصار الذى يعنَى به لا يعرف فى كل من يترجم له إلا أنه عالم فاضل ، أو عالم فاضل وله تأليف ، أو عالم فاضل كذلك . ومن الغريب أن الشيخ أحمد مصلح ذكر اسمه فى هذه القائمة من علماء الشافعية ، وتبرع لنفسه بذلك الوصف الذى كرره فيهم ، ولعله تواضع فلم يزدنا تعريفاً بنفسه ، لئلا يمتاز بذلك على هؤلاء العلماء ويعنَى بنفسه أكثر منهم . وقد ذكر بعد ذلك ترجمة ستة من علماء الحنفية ، ولم يزد فيها على ذلك الوصف السابق ، اللهم إلا فى الشيخ السادس ، وهو الشيخ محمد الكتبى ، فقد ذكر أنه عالم فاضل إلا أن ذكره وصلاحه كادا أن يميلا به إلى الجهل . ولست أدرى والله الجهل الذى يريده ، ولعله يريد جهل الناس به فيكون مصدر المبنى للمفعول ، لا مصدر المبنى للفاعل

ثم ذكر أسماء أحد عشر عالماً من المالكية على ذلك النحو الذى ذكره فيمن قبلهم من الشافعية والحنفية . وقال بعد الفراغ منهم : « هؤلاء هم العلماء الأذكياء الذين هم حقيقون بالاعتناء ، ومن عداهم فهو إما طالب علم لم يبلغ هذه الدرجة ، وإما متشبه بهم فى المقال والأفعال ، وإما مكتف بشهرة علم آبائه ، والبعض من هذا القسم قد ظن أنه وراثه ، فتصور وتطور بما ليس فيه ، وإما صاحب دعوى عمداً أو مع غفلته عن ذلك وإن جل فى أعين العوام ، وعلامة عدم صحة ذلك له الامتحان ، وإما مكتف بتصوره بصورة العلماء ، وتلبسه بزيهم ، وكونه يركب بغلة على سجادة ، وإما بشهرته بذلك بين بعض العوامّ الذين هم كالعوامّ ، وإما بدعوى الديانة والصلاح ، وإما بشقشقة اللسان بما تعورف بين العلماء ، فيظنّ أنه على شىء فى صنعة العلوم ، وإما بزخرفة الكلام والتنكيتات ، والدعابة والهزليات ، وعنده فى ذلك لكل مقام مقال ، وإما بنحو ذلك »

وهذه الخاتمة أهم ما فى هذه الرسالة ، لأنها ترينا كيف وصل حال الأزهر فى عصر صاحبها إلى ذلك الاختلاط والاضطراب والتلبيس ، حتى صار كل من يركب بغلة على سجادة عالماً ، وحتى صار العلم فيه ينتسب إليه بالوراثة ، لا بالجد فى الطلب ، والاجتهاد فى الدرس والتعليم ، بل نزل قدر العلم إلى أن صار يحشر فى زمرة العلماء من يجيد زخرفة الكلام والتنكيتات والدعابة والهزليات ، ولا يعلم إلا الله كيف كان مصير الأزهر فى هذه الوهدة التى تردى إليها لو لم يتداركه المخلصون من أبنائه بهذه النهضة الأخيرة ، فيقيلوه من عثرته ، ويقضوا على ذلك اللبس والاضطراب فيه .

ولا شك أن هذه الرسالة بضعف أسلوبها ، وبعجزها عن القيام بما حاولته من الترجمة لرجال عصرها ، تمثل الأزهر فى ذلك العصر أكثر مما تمثله تلك الشروح المنسوخة ، والحواشى المنقولة فى العلوم الدينية والعربية التى ألفت فيها ، فالنقل عمل سهل لا يكلف شيئاً ، وليس كالعمل المخترع فى دلالته على القدرة وحسن الاستعداد

ولم يكن لى بعد هذا بد من تسجيل كلمة عن هذه الرسالة الصغيرة فى مجلة الرسالة الغراء ، ليكون لنا فيها عظة وعبرة ، ونعلم فضل حاضرنا على ماضينا ، فلا نسمع لمن يحاول النيل منه ، ويحن إلى ذلك الماضى مفضلاً له . ومن جهل ماضيه لم ينتفع به فى حاضره ومن علمه أيا كان أمره كان له منه العظة النافعة ، أو القدوة الحسنة .

عبد المتعال الصعيدى

يا ساعة الصفو ...

للأستاذ العقاد

قطعة من قصة شعرية سينمائية ألفها الأستاذ لفنانة « نادرة » وستغنيها من محطة الاذاعة مساء ٣٠ / ١٢ / ١٩٤٠ وهي من تلحين الأستاذ «السنباطي» من مقام (الحجاز) ... الويلحى

يا ساعة الصفو غبتِ عنى ... وحيرتْ لوعتى خطاكِ
غريبة أنت فى طريق ... هداك نور الهوى هداك !

***

أبطأتِ يا ساعة التمنى ... وموعد الملتقى قريب !
هل يبطئُ الحزن لو سعى لي ... كما سعى الموعد الحبيب ؟

***

أصبحت من لهفتى عليه ... أنتظر الليل بالنهار
طال انتظارى له فماذا ... فى الغيب يا ليل بانتظارى ؟

من وحي الحرب

أبناء نيرون

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أبناء برلين لهم عذرهم ... خيالهم طاغٍ على الواقع
إلّا تكن حقا أمانيُّهم ... فإنهم فى حُلمٍ رائع
أهل حروب صادفوا أهلها ... فدافعوا عن حسب رافع
إن يخفقوا فى الحرب، وليخفقوا، ... فقد أتوا بالعجب الرائع
وأنت يا روما بلا عاذر ... شربتِ من سم الوغى الناقع
(وإنما الفتك لذى خسة ... شبعان أو ذى كرم جائع)
حسبك يا روما رضى القانع ... أو فارقبى عاقبة الطامع
كرامة الدافع والوازع ... هما عماد الفاعل المانع
وأنت لا حقٌّ ولا قوةٌ ... ولست أهلاً للسنا اللامع
وأنت لا شيء سوى نعرة ... أبلغ ما فيها أذى السامع
دعتك برلين فسايرتها ... هيهات ما المتبوع كالتابع
أبناء نيرون بكم ما به ... من قدرة، لكن على الوادع
أبناء نيرون بكم ما به ... من جزع فى الموقف الفاجع
أحرق روما طالبًا لذة ... لذته فى موقف الصارع
منتحراً يبكي على نفسه ... بين وميض اللهب الساطع
فى كفه الموسى وألحاظه ... حائرة فى المحجر الدامع
أبناءه لم تتركوا نهجه ... كلكمو من ذلك الطابع
وكلكم أجرم إجرامه ... وماله فى الغد من شافع
وكلكم موساه فى كفه ... فلتثأروا للأمل الضائع
أو هادنوا الإغريق من قبل أن ... يتسع الخرق على الراقع
أو احرقوا روما كنيرونكم ... تنجو من المخدوع والخادع

القلوب المرضى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أرى العالمَ المجنونَ تُبرِمُ أمرَه ... عقولٌ صحيحاتٌ وأفئدةٌ مَرضى
إذا العِلمُ أسدى من عوارفه يداً ... تبدَّ لها هدمًا وأتبعها نقضا
لقد سوّد الناسُ السماءَ وقاتما ... كأن زلزلوا بالخيلِ والغارة الأرضا
ينامون إلا عن تِراتٍ دفينةٍ ... تؤجِّجُ نيرانَ العداوةِ والبغضا
نبَتْ بهمُ اليومَ المضاجعُ واغتدَوا
حِذارَ الردى لم يطعموا فى الدُّجى غمْضا
تغنّوا بألحانِ السلامِ جميلةً ... ولم يُمهلونا نجتنى زهرَها الغضّا
إذا صاح فيهم صائحُ الشرّ أرقلوا ... كما ينفذُ السهمُ المنازِعُ أو أمضى
عجِبتُ لهم قد حرّموا القتلَ مفردا ... ويقتل فى الهيجاء بعضهمو بعضا

معضلة وجدت حلها

[مهداة إلى كل من وخط الشيب رأسه قبل الأوان]

للأستاذ على الجندى

شعَراتٌ فى مَفرِقِ الرأس لاحتْ ... كنجومٍ تُضيء فى الديجورِ
غادرَتنى فى نضرة العُمر أبكى ... ذكرياتِ الصِّبا بدمعٍ غزيرِ
وكستْنى ثوبَ الوقار، وهل أسـ ... ـمج فى العين من وقار الصغير ؟!
يا لظُلمِ الأيامِ إذ وقفتْنى ... بين رأس شيخ، وقلب غريرِ

ذاك يدعو إلى الرشاد ، وهذا ... مُسْتَهامٌ بكلِّ وَجْهٍ نَضِيرِ
تَرَكاني في حَيْرَةِ الدَّمْعَةِ الحَرَّى ... بجفن المتيَّمِ المهجُــور
إنْ دَعَاني الشبابُ قالَ ليَ الشَّيْبُ ... تَصَابي الشُّيوخِ رَأسُ الفُجُور
أنُزُوعًا إلى الصِّبا تحتَ سيفٍ ... للمنايا، فوقَ الشَّوى(١)، مشهور
هَبْ بياضَ القَذَالِ لم يَزَعِ الشَّيْخَ ... ألمّا يَزَعْهُ صَوْتُ الضمير
أو أطعتَ المشيبَ صاحَ بيَ القلبُ ... رُوَيْدًا فلستُ بعضَ الصخور
أتُراني أرضى بجَنْبَيْكَ أن أحيا ... ـ بلا صَبْوَةٍ ـ حياةَ الأسير
ويمرّ الشبابُ كالحُلْمِ السَّا ... رِي ، وعُمْرُ الشباب جِدُّ قصير
لستَ مِنّي ولستُ منكَ فدعْني ... سَادِرًا في غَوَايتي وغُروري
وتَخَيَّرْ سِوايَ قلبًا يُجاريك ... غليظَ الإحساس صُلْبَ الشعور
لا أُطيقُ المُقامَ بين حَنايا ... كَ ، كأني أُقيم بين القبور

***

وَيْكَ رَأسي تركتَني أصحبُ الدُّنيا ... بقلبٍ دامٍ ، وطَرْفٍ حَسِيرِ
بَكَّرَ الشيبُ في النزول بفَوْدَيك ... وَيا شُؤْمَ ذلكَ التَّبْكِيرِ
قد خضبْنا ما ابيَضَّ منه فما جا ... زَ على فِطْنَةِ العليمِ الخبيرِ
وَبَرَزْنا للناظرين فقالوا : ... ذاك رأسٌ يُدْلي بحقٍّ وَزُورِ
يا رسولَ المَنونِ يا وافدَ الأسْقا ... مِ يا طيفَ منكرٍ ونكيرِ
أنتَ شَوَّهْتَ لي الحياةَ وأفسدْ ... تَ صِلاتي بمُرْهَفَاتِ الخُصور
كلُّ غيداءَ حين أبدُو تُراعيني ... بألحاظ كاشحٍ موْتور
ثم تَزْوَرُّ كالجَوادِ ـ على الطَّعْنِ ـ ... وتَعدُو كالشادن المذعور
ليتَ شعري وما نضَوْتُ شَبابي ... كيفَ صَبْري على جَفاءِ الحُور!

***

عَجَبًا للحسان يَزْهَدْنَ في الشَّيْبِ ... وما الشيبُ غيرُ هالةِ نورِ
قلتُ: يا «نُعْمُ» لا يَرُعْكِ مَشيبي ... إنه حِلْيةُ الرَّزينِ الوَقورِ
هُوَ كالدُّرِّ في نُحورِ الرَّعابيب ... وكالنَّور في حِفافِ الغَدير
نَاسَبَ الأوْجُهَ الرِّقاقَ بياضًا ... وحَكَى وَمْضُه رفيفَ الثغور
وَهَبيه قَذَى العيونِ فمَنْ يَستطيعُ ... دَفْعًا لعَادياتِ الدهور
كلُّ طفلٍ ـ ما أخطأته المنايا ـ ... سوفَ يلقَى على الزمان مصيري

وإذا ما احتَوَيْتِ شَعْري فَشِعْري ... حَلَبُ الكَرْمِ بالزُّلالِ النَّمير
لكِ منه وشْيُ الرُّبا وجَنَى الرَّوْ ... ضِ وأكمامُ وَرْدِهِ المَنضور
ونَسيبٌ يَستَلُّ (قيسًا) و(لَيْلا ... هُ) من الرَّمْسِ قبل يومِ النُّشور
وغِناءٌ ينسابُ في مِسمعِ الكَوْ ... نِ ويَسْري على جناحِ الأثير
فأجابتْ والزَّهْوُ يَعْطِفُ منها ... خُوطَ بانٍ تحتَ الصَّباحِ المُنير
لا تُحاوِلْ خَدْعي فشيبُكَ أزرى ... بنظيمٍ ـ تَزْهَى به ـ ونَثير
قسمًا بالصَّفا وزمزمَ والمَشْعَرِ ... والبيتِ حاليًا بالستُور
لو نظمتَ النجومَ والشمسَ والبد ... رَ ، وفصَّلْتَها بدُرِّ البحور
وحوَيْتَ البيانَ شطرَيْه حتى ... فُقْتَ فيه ابنَ هانئٍ والحَريري
لستُ أرضاكَ للغرام فدعْني ... أنشُدُ العيشَ في ظِلالِ السُّرور
أبرأسٍ مثلِ الثَّغامة(١) عاثَ الشَّيْبُ ... فيـــه عَيْثَ الجرادِ المُغير
وبجيبٍ كجُحْرِ ضَبٍّ خَرابٍ ... تعمُرُ الرِّيحُ جوفَه بالصَّفير
تبتغي خُلَّتي وترجُو وِصالي ... شَدَّ ما سُمْتَني عذابَ السعير!
يُمْلَكُ الحُسْنُ بالشَّباب وبالما ... لِ فما الظنُّ بالكبير الفقير

***

قد رَضينا مشيئةَ الله فينا ... وامتثلنا لحكمة المَقْدُور
ولبِسْنا على الصِّبا حُلَّةَ الشيب ... فأهلاً ومرحبًا « بالنَّذير »
ولَزِمْنا المحرابَ نجأرُ بالتهليل ... في صَدْره ، وبالتكبير
وعكفْنا على تلاوة آيِ الذِّكر ... زُلْفَى إلى العزيز الغفور
وثَنَيْنا العِنانَ عن منهل الرَّا ... حِ إلى منهل القَراحِ الطَّهور
وأعرْنا القِيانَ سَمْعَ أصَمٍّ ... ومنحْنا الحِسانَ طَرْفَ ضرير
وغَنِينا بالشمس مطلَعُها الأُفقُ ... عن الشمس تَزْدهي في الخُدور
واستعَضْنا بالغُصْنِ يكسُوه آذا ... رُ من الغصن رافلاً في الحرير
ولَهِينا عن وَجْنةِ الطَّفْلة(٢) الكا ... عِبِ بالوَرْد نافحًا بالعبير
وسَلَوْنا بأعيُنِ النرجس الغضِّ ... عُيونًا يَقْتُلْنَ بالتفتير
ووَجَدْنا الرُّمانَ أملأَ للعين ... وللقلبِ من ثمار الصدور

(١) جلد الرأس

(١) شجرة بيضاء الزهر والثمر

(٢) بفتح الطاء : الشابة الناعمة



الأهل والجيل

كنت قلت وأنا أعرض كتاب « المنتخبات » لسعادة الأستاذ الكبير لطفى باشا السيد إن الأستاذ إسماعيل مظهر وضع كلمة « أهل » فى مكان كلمة « جيل » ، وهى خفية المراد ، ثم قال : « وللعبارة وجه ، ولكنه لا يخرجه عن الإغراب فى غير موجب للاغراب »

والآن ظهر أن ما فاتنى كان فات صاحب « لسان العرب » وصاحب « القاموس المحيط » فهو إذاً إغراب فى إغراب

كلمة أهل بمعنى Generation وردت فى شعر النابغة الجعدى ثم هُجِرت فماتت منذ قرون حتى فاتت صاحب اللسان وصاحب القاموس ، فأين نضع الأستاذ إسماعيل مظهر هذه المرة فقط إن لم نضعه بين المغربين ؟

والجيل هو الصنف من الناس، هذا حق بشهادة المعاجم، وهو كذلك دائماً فى كتابات ابن خلدون ، كما نص بعض المستشرقين، وهو أستاذنا ديمومبين ، حين كان يحاضرنا عنه فى السوربون

ولكنى أنظر فأرى الجيل بمعنى الطبقة المتعاصرة من الناس قد شاع فى تعابير المصريين منذ أزمان حتى قيل فى الأمثال : « من عاش فى غير جيله عاش غريباً » ، وحتى صح للأستاذ البشبيشى أن يصف الخلاف بينه وبين ابنه حسين بأنه خلاف بين « جيل وجيل » وحتى جاز لشوقى أن يصف سلامة حجازى بأنه « كان دنيا وكان فرحة جيل »

الجيل فى تعابير أهل مصر هو الطبقة من أعمار الناس ، وليس الأمة من الناس ، فهل نشأ ذلك الفهم من العَدَم ، وللمصريين عرق أصيل فى اللغة العربية ؟

المنطق يوجب أن يكون تصور المصريين لمعنى الجيل قام على أساس ، وهذا ما يجب النص عليه فى المعجم الوسيط الذى يضعه المجمع اللغوى ، قبل النص على المفهوم البائد لكلمة أهل ، لأن المعجم المنتظر سيكون معجما حيًّا ، لا معجما تاريخيًّا ، أعنى أنه سينص على مدلول الكلمة فى استعمالها الحىّ ، قبل أن ينص على مدلولها المطمور فى مهاوى التاريخ

وخلاصة القول أن كلمة جيل أدل على ما نريد من كلمة أهل ، وليس من النفعة ولا من الفصاحة أن تقهر اللغة على تحمّل ما لا تطيق ، فاللغة أداء وبيان « من أقرب طرق الكلام » كما قال عبد الحميد ، وليس من الإفصاح أن تعبر بكلمة لم تجدها إلا فى حوار النابغة الجعدى مع عمر بن الخطاب

وأنا بعد هذا أذكر أنى قرأت فى مواطن كثيرة كلمة تنص على « تعاقب الأجيال » وهى تؤيد ما أقول ، فإن لم يقتنع الأستاذ مظهر بهذه البينات ، فسألقاه بشواهد جديدة ينحسم بها الجدل حول كلمة جيل

وكنت اعترضت على قول الأستاذ مظهر إنه عُنىَ بأن يخرج كتاب لطفى باشا مبرءًا من الأوهام فقلت : إنه تعبير مريب ، ثم لقينى أحد المتخرجين فى كلية الآداب ، فحدثنى أن الأستاذ لم يُرِد من « الأوهام » غير الأغلاط الطبعية ، وأنه أظهر عجبه من أن يجهل زكى مبارك أن الأوهام هى الأغلاط !

أنا لا أجهل أن الأوهام هى الأغلاط ، ولكنى أصر على القول بأن بين الكلمتين فرقاً دقيقاً ، وهو مع دقته صار من البديهيات — وإن كان الغلط والوهم قريبين جدًّا فى المدلول ، إذا راعينا مصطلحات القدماء — فإذا قال ناشر « المنتخبات » : إنه عُنىَ بأن تخرج سليمة من الأغلاط ؛ فهمنا أنه يريد الأغلاط المطبعية أما إذا قال إنه عُنى بأن تخرج « مبرّأة » من « الأوهام »

وَرَأَيْنَا أَقاحِيَ الروض أشْفَى ... لِصَدَى الروح مِن أقاحى الثغور
إنّ فِي الشّيب واعظاً لِلّذِى رَا ... نَ عَلَى قلبه ضَبَابُ الشّرور
غَرّنا الفاحِمُ البَهِيمُ فَنِمنَا ... وصحونا عَلَى ضياء القَتِير (١)
بلّغوا عَنّيَ الغوانيَ : أنّى ... لستُ زِيرًا لَهُنّ أوْ خِدْنَ زِير
لاَ سُعَادٌ أغدُو لها غُرّةَ الشهر ... وَلاَ هِنْد فى سِرَار البدور
رَقأَتْ عِبْرَتى ، وعادَ رُقَادِى ... وَخبَتْ لوْعَتِى ، وَقَرّ زَفيرِى

على الجندى

---

(١) الشيب

فلن نفهم إلا أنه جردها من أخطاء الفكر والإدراك ، وهو المسئول عن هذا التعبير المريب

أما قول الأستاذ مظهر بأن لطفى باشا أجل من أن يقدم له كاتب من أبناء هذا الجيل ، فقد قوبل بالدهشة والاستغراب ، لأن لطفى باشا نفسه وضع مقدمة لكتاب أرسطاطاليس فى الأخلاق ، ولم يقل أحد بأن ذلك غض من منزلة أرسطاليس ... والوثنية فى نظر الفكر لا تقل بشاعة عن الوثنية فى نظر الدين ... وإلى الأستاذ تحيتى وثنائى

زكى مبارك

تصحيح خطأ مطبعى فى القاموس وشرحه

لدى مراجعة (يَفتتنون) فى كتب اللغة ظهر لى غلطة مطبعية فى القاموس وشرحه تاج العروس أحببت التنبيه عليها ليصلحها فى الكتابين من ظهر له غلطها مثلى فأقول :

قال فى القاموس فى نسخة خطية منه[1] فى مادة (ف ن ن) (أفنَنَ : أخذ فى فنون من القول) وشكلت أفنن بوزن أفعل ، وفى طبعات متعددة منه قديمة وحديثة[2] : (أفننّ : أخذ فى فنون من القول) بنونين الأولى مفتوحة ، والثانية مشددة

وفى تاج العروس : (افنن الرجل : أخذ فى فنون من القول ويقال افنن فى حديثه وفى خطبته إذا جاء بالأفانين ، وافنن فى خصومته إذا توسع وتصرف) مورداً جميع الألفاظ بالنون

فأما شكل النسخة الخطية (أفنَنَ) بوزن أفعل فظاهر الغلط لأنه لا يقال : (أفنن) بفك الادغام ، لأن هذا من باب الادغام الواجب ، وكان الصواب — لو صح ورود هذا الوزن — أن يقال (أفنّ)

وأما (افنَنّ) بالنونات الثلاثة فلا توجد فى كتب اللغة ، والموجود فيها (افتَنّ) بالتاء والنون المشددة بوزن افتَعَلَ

ففى صحاح الجوهرى ولسان العرب : افتَنّ الرجل فى حديثه وفى خطبته إذا جاء بالأفانين ، وهومثل اشتَقّ . قال أبو ذؤيب :

فافتَنّ بعد تمام الورد ناجِيَة مثل الهِراوة ثِنياً بِكرُها أبدُ

وذكر فى اللسان تفسير هذا البيت ، ثم قال بعده : افتَنّ أخذ فى فنون من القول إلى أن قال : والأفانين الأساليب ، وهى أجناس الكلام وطرقه

وفى أساس البلاغة : أخذ فى أفانين الكلام ، وافتن فى الحديث وتفنّن فيه

وفى مختار الصحاح : الأفانين الأساليب ، وهى أجناس الكلام وطرقه ، ثم قال : وافتَنّ الرجل فى حديثه وفى خطبته بوزن اشتقّ جاء بالأفانين

ولا ذكر لهذه الكلمة فى جمهرة ابن دريد ، وفائق الزمخشرى ، ومغرب المطرزى ، ولا فى نهاية ابن الأثير ، والمصباح المنير ، ولم يذكرها المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه تصحيح القاموس المحيط ، ولا الشدقاق فى كتابه الجاسوس على القاموس

(دمشق) محمد الكامل القصار

تأنيث الشمس وتذكير القمر

هذه الفكرة على قدمها حديثة عند الشرقيين ، فقد كانوا قديماً يذكرون الشمس ويؤنثون القمر ، فقد كان الساميون فى سوريا والعراق يعبدون الإله بعل إله الشمس ورب السماء ، كما كان الإغريق يعبدون الإله فيباس أبولو إله الشمس ، وكان المصريون فى أون أو عين شمس أو هليوبولس يعبدون الإله رع إله الشمس ، وكلمة هليوبوليس كلمة إغريقية معناها مدينة هليوس ، وهى كلمة من مترادفات أسماء إله الشمس ، وقد جاء فى كتب التاريخ أن عبادة إله الشمس رع جاءت إلى مصر السفلى من آسيا ، أما المصريون فى مصر العليا ، فكانوا يعبدون آمون ثم حاولوا توحيد الإلهين عند ما اتحدت مصر العليا ومصر السفلى ، وكل هذا يدل على أن الشرقيين كالإغريق كانوا يذكرون الشمس ، وكان القدماء يجعلون الأرض زوجة للشمس ويعبدونها بأسماء مختلفة مثل جيا أو بوناديا عند الإغريق والرومان كما كانوا يعبدونها أيضاً باسم ما أو مايا أو ماما ، وأحياناً يعبدون الأرض أم الآلهة ، وكلمة أم فى العربية مقاربة لكلمة ما التى كانت تطلق على ربة الأرض كما أن ربة القمر عند الإغريق كانت تسمى ديانا وهى مقاربة لكلمة الديّانة العربية مؤنثة الدّيّان أى المبودة والمعبود ، وكان الساميون فى غرب آسيا يعبدون الإلهة أشتورث

---

(١) لدى السيد حمزة القصيباتي الكتبي بدمشق

(٢) طبعة المطبعة الحسينية بمصر سنة ١٣٣٢ ، ١٣٥٤ ، ومطبعة بولاق مصر سنة ١٣٠٣ والمطبعة الميمنية سنة ١٣١٩ و ١٣٣٠ . ومطبعة طهران سنة ١٢٧١ . أما فى مطبعة بولاق سنة ١٢٧٢ والمطبعة الكستلية بمصر سنة ١٣٠٨ فقد ذكرت فيهما على الصواب

أو أرستارت ويسمونها الديانة ، وينسبون إليها الصفات التي كان الإغريق ينسبونها لإلهة القمر ديانا ، واتصال الإغريق بمدن سواحل آسيا الصغرى والشام أدى إلى تأثرهم بالثقافة الدينية الشرقية ، كما أن الرومان فى غربهم تأثروا بثقافة الإغريق الدينية حتى إنهم كانوا يوفقون بين كل إله من آلهتهم وكل إله من آلهة الإغريق ، ثم جاءت أمم غرب أوربا وتأثرت بالثقافة الإغريقية والرومانية . ولا يزال الشعراء فى غرب أوربا يطلقون على الشمس اسم إله الشمس عند الإغريق وهو فيباس أبولو كما أنهم يطلقون على القمر اسم ربة القمر ديانا . ويستنتج من كل ذلك أن الشمس كانت قديماً مذكرة عند الشرقيين والقمر مؤنثاً ، وليس من البعيد أن يكون الأوربيون قد أخذوا هذه الفكرة عن الشرقيين .

عبد الله شاكر

الفياش

قرأت مقالكم المعجب « الأخلاق وهذه الحرب » فى عدد الرسالة ٣٨٨ فوقع من نفسى موقع غيره من مقالاتكم الافتتاحية الممتعة . وأود — لو يسمح لى الأستاذ — أن أبدى الملحوظة التالية :

لقد ورد فى المقال المذكور العبارة التالية : « فإن نزوّ النازية وفياش الفاشية لا يمكن أن يؤديا إلى عدل شامل وسلام دائم » وجاء فى أسفل الصفحة : « الفياش : كثرة الوعيد فى القتال من غير فعل » . والفياش فى اللغة ، على ما أذكر ، هو المفاخرة فقد ورد فى قصيدة لأبى الطيب المتنبى فى مدحه لأبى العشائر العدوى عند إيقاعه بأصحاب باقيس ومسيره فى دمشق البيت التالى :

تزيل مخافة المصبور عنه ... وتلهى ذا الفياش عن الفياش

والضمير راجع إلى مواقف الممدوح فى الحرب ، والمعنى الذى يقصده الشاعر فى هذا البيت دقيق معسر ، وقد جاء فى تفسيره : إذا سمع المصبور بمواقفه المذكورة شجعته وأزالت عنه خوف القتل لما يسمع من ذكر إقدامه واقتحامه للمهالك ، وإذا سمع بها المفاخر ألهته عن مفاخرته ، لأنه يتواضع لديها فلا يفتخر بنفسه

وأعتقد أن هذا التفسير هو أقرب ما يرى إليه الشاعر وهو ما يقصده الشارح . وللأستاذ الأكبر تحية المعجب المخلص

سعيد العبسى
(بيرزيت — فلسطين)

(الرسالة) : نعم من معانى الفياش المفاخرة ولكنها مفاخرة المرء بما ليس له أو بأكثر مما عنده . ومن معانيه كذلك ما ذكرناه ، والمعنيان من باب واحد .

تلميذ يجرح أستاذه !

ألقى الأستاذ السباعى بيومى بدار العلوم محاضرة عن « أسلوب المبرد فى كامله » فى مساء الثلاثاء السابع عشر من هذا الشهر

ولقد عقب على هذه المحاضرة أحد المستمعين بملاحظات تخالف ما ذهب إليه الأستاذ السباعى . ويبدو أن المعقب استقى آراءه مما كتب العلامة المرحوم سيد بن على المرصفى فتملكت الأستاذ المحاضر عاصفة من الغضب الساخط لا على المعقب ولكن على المرصفى ؛ فقد وصفه بكثير من الأخلاق الذميمة كالغل والحقد والحسد وسطحية البحث والتطاول الذميم ؛ ثم تعداه إلى تجريح طوائف العلماء على اختلاف مهنهم ، والحكم بأن طبائع الحسد والحقد والغيرة لا تجد لها مراحاً خصيباً كالذى تجد من قلوب العلماء

ولست أدرى ما الدافع إلى كل هذا وكان يكفى الأستاذ أن يدفع الرأى بالرأى فى هدوء لا أن يتعرض لمثل ذلك الرجل الجليل بمثل ما تعرض به له ، حتى لقد حكم بأن أخلاقه ذهبت بفضله كما تذهب الريح العصوف بسحيق التراب

وإنه ليحزننى جد الحزن أن أرى مثل الأستاذ فى علمه وفضله ومكانته يتناول السلف الصالح من الباحثين بمثل هذا الأسلوب المنيف من غير سبب ولا بينة ، فإن فى هذا نكراناً للجميل وجحوداً للفضل

محمد فهيم عبده

امرؤ القيس الكلبى

كتب « سائل » فاضل فى العدد ٣٨٩ من الرسالة الغراء يسألنى من هو امرؤ القيس الذى جاء فى مقدمة كتابى « أغاريد زفاف » أنه أبو الرباب زوجة الحسين عليه السلام ، فأجيب بأنه « امرؤ القيس بن عدى الكلبى ، كان نصرانياً وأسلم على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ، فولاه عمر على من أسلم بالشام من قضاعة ، وخطب إليه علىّ عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها فولدت له عبد الله وسكينة عليهما السلام »

هذا ، وكان يُسمى امرأ القيس صحابيون وشعراء غير الملك الشاعر الجاهلى صاحب « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

عبد الحميد مصطفى خليل

فهرس الموضوعات للمجلد الثانى من السنة الثامنة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطانة حسين — عابدين)